



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مستدرکات

عیان السبعین

بیت القریب

« ۲ »

دار الفاروق للطبوعات

بیرمینگھم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مستدرکات اعیان الشیعه

کاتب:

محسن امین عاملی

نشرت فی الطباعة:

دار التعارف للمطبوعات

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
١٦	مستدركات أعيان الشيعة المجلد ٢
١٦	اشاره
١٦	اشاره
٢٠	مقدمه المؤلف
٢٣	أمنه خاتم بنت الشيخ محمد علي بن الشيخ عبد الكريم صاحب كتاب نظم الفرر
٢٣	السيد إبراهيم القطيفي
٢٣	الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد النبي القديمي البحراني
٢٣	الشيخ إبراهيم بن الشيخ يوسف الخطي
٢٣	الشيخ أحمد بن حبيب الدندن
٢٤	الشيخ أحمد الصحاف بن علي
٢٤	اشاره
٢٦	علمه و فضله
٢٦	مسكويه أحمد بن محمد
٥٣	الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم آل عصفور
٥٤	الشيخ احمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد السلام البحراني
٥٦	الشيخ أحمد بن حاجي
٥٦	الشيخ أحمد بن صالح الدرزي البحراني
٥٧	الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني
٥٨	أحمد بن الحسين المتنبى
٩١	الشيخ أحمد آل طعان القطيفي السري البحراني ابن صالح
٩٥	الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الربيعي الفلاحى
٩٥	اشاره
٩٦	هجرته
٩٧	مكتبته
٩٧	وفاته
٩٧	أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله
١١٦	الشيخ أحمد بن الشيخ حسين
١١٦	الشيخ أحمد الزاهد البحراني
١١٦	الشيخ أحمد بن الشيخ سلمان آل عصفور
١١٦	الشيخ أحمد بن سليمان الخطي
١١٧	الشيخ أحمد بن صالح البحراني
١١٨	السيد أحمد بن السيد عبد الرؤوف البحراني
١١٨	السيد أحمد الزنجي البحراني

١١٩	الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن حسن البلادي.
١١٩	الشيخ أحمد بن محمد العقيري البحراني.
١٢٠	الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف البحراني.
١٢١	الشيخ أحمد بن الفلاح القطيفي.
١٢١	الشيخ أحمد بن محمد بن آل عصفور البحراني.
١٢١	الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد الشائب العمراني الأحسائي.
١٢٣	أحمد بن يوسف المصري.
١٢٨	أحمد بن هبه الله بن صاحب.
١٣٠	الشيخ أحمد بن يوسف البحراني.
١٣٠	الأخوص بن شداد الهمداني.
١٣١	إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن.
١٣١	اشاره
١٣٣	وفود العرب على إدريس
١٣٤	بناء مدينة فاس
١٣٧	غزو إدريس المغربيين
١٣٧	وفاه إدريس
١٣٩	إدريس بن عبد الله بن الحسن المشني بن الحسن بن علي ع.
١٣٩	اشاره
١٤٢	إدريس يغزو المغرب الأقصى
١٤٢	إدريس يغزو المغرب الأوسط " الجزائر "
١٤٢	الشاہ إسماعيل الأول الصفوي
١٤٢	اشاره
١٤٨	تعلیقنا علی ما تقدم
١٧٣	صدى قيام الدولة الصفويه عند الآخرين
١٧٨	محاولة القضاء على الدولة في مهبها
١٨١	أم كلثوم بنت الشهيد الشيخ محمد تقي القزوينيه البرغانيه.
١٨١	امانت.
١٨٣	أويس الأول.
١٨٣	الشيخ أيوب بن عبد الباقي البوري البحراني.
١٨٤	باير ظهير الدين محمد.
١٨٥	السيد باقر الدمستاني البحراني.
١٨٦	بيرم خان خانان.
١٨٨	جاربه بن قدامه السعدي.
٢٠٢	جعفر بن محمد القطاع.
٢٠٢	الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني.
٢٠٤	الدكتور جواد علي.

٢٠٤	جويريه أم حكيم ابنه خالد بن قارظ الكنايه:
٢٠٥	الشيخ حبيب بن قرين:
٢٠٨	الشيخ حرز بن علي بن حسين محمود العسكري السهراني الأوالي:
٢٠٨	الشيخ حسن بن الشيخ حسين
٢٠٩	الشيخ حسن علي البدر القطيفي بن عبد الله
٢٠٩	اشاره
٢١٠	مؤلفاته:
٢١١	شعره:
٢١٢	وفاته:
٢١٢	تأيينه:
٢١٣	الحسن بن محمد الوزير المهلبى
٢٥٤	الشيخ حسن الدمستاني البحراني
٢٥٤	الشيخ المعمر مسند العراق أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحه النعالي البغدادي الحماني:
٢٥٤	الشيخ حسين معنوق
٢٥٤	الشيخ حسين بن الشيخ محمد البحراني
٢٤١	السيد حسن الحيدري بن السيد أحمد
٢٤١	الشيخ حسن بن محسن البلادي
٢٤١	الشيخ حسين العلامه
٢٤٢	أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه
٢٤٢	اشاره
٢٤٢	مصنفاته
٢٤٢	موضوع الرساله
٢٤٤	هذه رساله في أسماء الريح
٢٤٩	السيد حسين الغريفي البحراني
٢٤٩	الشيخ حسين بن عبد الغفور الغريفي البحراني
٢٧٠	الشيخ حسين بن الشيخ علي البحراني
٢٧٠	الشيخ حسين بن الشيخ علي بن سليمان البحراني
٢٧٠	الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن جعفر الماحوزي البحراني
٢٧٢	مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي الطفرائي
٢٨٨	الشريف حسين بن داود بن يعقوب الفوعى:
٢٨٨	السيد حسين بن السيد رضى بن السيد مقتدى الحسيني القزويني
٢٨٩	السيد حسين بن علي نور الدين
٢٩٠	ابن سينا الحسين بن عبد الله بن علي
٢٩٠	اشاره
٣١٤	ابن سينا عالما طبيعيا:
٣١٤	المقدمه

٣٢٥	حمد البيك بن محمد بن محمود بن نصار
٣٢٥	اشاره
٣٢٥	في العهد الأموي
٣٢٧	معركة الشاعر العاملي مع جرير
٣٢٧	هزيمه جرير
٣٢٨	بعض شعره
٣٢٩	في العهد العباسي في العصر العباسي عند ما برز أبو تمام و البحتري و المتنبى و المعري و الرضى و الحمداني و غيرهم برز من جبل عامل شاعر جارى الفحول فكان في الظليعه منهم، ذاك هو عبد المحسن الصوري المتوفى سنه ٤١٩ هجرية، ١
٣٣٠	لم تنطفئ جذوه الشعر
٣٣٠	طلائع النهضه الشعريه بعد الاحتلال
٣٣١	فضل الشهيد الأول
٣٣١	نكبه جبل عامل بالجزار
٣٣٢	حصيله خمسه قرون
٣٣٢	فقدان النماذج المنوعه
٣٣٢	حفظ شعر النهضه
٣٣٣	نماذج من القرن التاسع
٣٣٤	و من القرن العاشر
٣٣٤	و من القرن الحادى عشر
٣٣٤	من القرن الثانى عشر إلى القرن الثالث عشر
٣٣٤	الشيخ إبراهيم الحاريسى
٣٣٨	الشيخ إبراهيم يحيى
٣٤٠	الشيخ محمد على خاتون
٣٤١	الشيخ صليبي الواكد
٣٤٥	السياسه من حال إلى حال
٣٤٥	موقف الشعراء؟
٣٤٤	حمد المحمود
٣٤٨	تينين
٣٤٨	لون من الشعر
٣٤٩	طرائق الشعر في هذا العصر
٣٥٠	حركه شعبيه
٣٥١	نجاح الحركه
٣٥١	موقف الشعراء
٣٥٢	الشيخ على مروه
٣٥٢	النظام
٣٥٤	صوره عن البلاط الحمداني
٣٥٥	الشيخ حبيب الكاظمى
٣٥٨	الكاظمى و جبل عامل

- ٣٦٢ بين حمد و سيف الدوله
- ٣٦٢ الشيخ على سبيتي
- ٣٦٤ السيد موسى عباس
- ٣٦٧ الشيخ خلف بن الشيخ عبد علي بن الشيخ حسين
- ٣٦٩ الشيخ خلف بن الشيخ عبد علي
- ٣٦٩ الخليل بن أحمد الفراهيدي
- ٣٧٨ الشيخ داود بن أبي شافير البحراني
- ٣٨٠ السيد درويش الغريفي البحراني
- ٣٨٠ رقيه بنت الشيخ الميرزا علامه بن الشيخ الحسن بن الشيخ محمد صالح الحائريه
- ٣٨٠ رويبه بن وبر الجلي
- ٣٨١ السائب بن مالك الأشعري
- ٣٨١ السيد سعد صالح
- ٣٨٤ سعيد حيدر
- ٣٨٤ اشاره
- ٣٨٦ المسأله القوميه
- ٣٩٨ لما ذا سكت العرب
- ٤٠٦ فتره الاستقلال
- ٤٠٩ حزب الشعب ثم الثورة
- ٤١٧ الشيخ سليمان بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظبيه الأصبعي
- ٤١٨ شبيب بن عامر
- ٤١٩ الشيخ صالح بن عبد الكريم الكركزي البحراني
- ٤١٩ صخير بن حذيفه بن هلال المزني
- ٤٢١ السيد صدر الدين الصدر
- ٤٢٢ طلشتكين المستنجدى الأمير أبو المكارم
- ٤٢٤ الشيخ عبد الامام الاحساني
- ٤٢٤ الشيخ عبد الباقي بن الشيخ أحمد العقيري
- ٤٢٤ الشيخ عبد الجبار الرفاعي البحراني
- ٤٢٤ السيد عبد الرؤوف الجد حفصي
- ٤٢٥ السيد عبد الرضا السيد صالح بن السيد محمد الأحساني
- ٤٢٥ الشيخ عبد الحسين القمي
- ٤٢٦ الشيخ عبد الحسين بن رقيه
- ٤٢٧ عبد الرحمن بن عبيد الهمداني
- ٤٢٨ عبد الرحمن بن عبيد
- ٤٣٠ عبد الرحمن بن الحسين النعماني القاضي
- ٤٣١ ديك الجن عبد السلام بن رغبان
- ٤٣١ اشاره

- ٤٣١ ديوانه
- ٤٣٨ أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل الحلبي
- ٤٣٩ الشيخ عبد علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم البحراني
- ٤٤٠ الشيخ عبد علي القطيفي
- ٤٤٠ الملا عبد العلي البيرجندي بن محمد بن الحسين
- ٤٤١ الحاج ميرزا عبد الغفار نجم الدوله
- ٤٤١ اشاره
- ٤٤٢ نموذج لمؤلفات ميرزا عبد الغفار نجم الدوله الأصفهاني
- ٤٤٤ مخطط كامل ل طهران و ولايات أخرى
- ٤٤٤ إحصاء طهران
- ٤٤٥ الشيخ عبد الكريم الممتن
- ٤٥٠ الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن المقابي
- ٤٥٠ الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الحجري البحراني
- ٤٥٠ الشيخ عبد الله القطيفي
- ٤٥٠ الشيخ عبد الله بن علي أحمد البحراني البلادي
- ٤٥١ عبد الله بن عزيز الكناني
- ٤٥١ عبد الله بن سعد بن نفيال الأزدی
- ٤٥٢ عبد الله بن وال
- ٤٥٢ عبد الله بن خازم الأزدی
- ٤٥٣ عبد الله بن عمرو النهدي
- ٤٥٣ عبد الله بن عوف الأحمر
- ٤٥٥ الشيخ عبد المحسن بن محمد بن مبارك اللويهي البلادي الأحسائي
- ٤٥٦ الشيخ عبد النبي بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم الدرزي البحراني
- ٤٥٦ عبد الله بن سنان بن طريف - و قبل طريف - الكوفي
- ٤٥٦ عبيد الله بن الحر الجعفي
- ٤٧٩ عبيده بن سفيان
- ٤٧٩ السيد عدنان الغريفي
- ٤٨١ الشيخ علي الأحسائي
- ٤٨١ الشيخ علي بن الشيخ حسن بن يوسف البحراني البلادي
- ٤٨٢ السيد علي بن السيد محسن المقابي
- ٤٨٢ الشيخ علي بن سليمان بن درويش بن حاتم القديمي
- ٤٨٢ الشيخ علي بن الشيخ جعفر
- ٤٨٣ الشيخ علي الدمستاني البحراني
- ٤٨٤ الشيخ علي بن محمد بن علي بن يوسف الصالحي البحراني
- ٤٨٤ ابن الشرفيه كافي الدين - أو فخر الدين - أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن بن أبي نزار اللبثي الواسطي
- ٤٨٩ علي بن المؤيد

- ٥٠٨ السيد علي باليل الحسيني الجزائري الدورقي.
- ٥٠٨ اشاره
- ٥١١ آثاره العلميه و الأدبيه
- ٥١٢ نموذج من قلائد الغيد
- ٥١٦ علي بن حمدان سيف الدوله الحمدي.
- ٥١٧ منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن بابويه
- ٥٤٦ السيد علي الغريفي بن السيد عدنان.
- ٥٤٦ اشاره
- ٥٤٦ مؤلفاته:
- ٥٤٨ شعره:
- ٥٦٧ السيد علي نقي الحيدري بن السيد أحمد:
- ٥٦٨ علي بن أسباط بن سالم الكندي، بياغ الزطى.
- ٥٦٨ الشيخ علي الصحاف بن الشيخ محمد.
- ٥٧٢ علي بن محمد الحماني.
- ٦٠٦ أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات
- ٦١١ أبو الحسن علي بن محمد التهامي.
- ٦٢٤ السيد علوي بن إسماعيل البحراني.
- ٦٢٤ كمال الدين عمر بن العديم.
- ٦٢٨ الشيخ عيسى بن صالح آل عصفور الدرزي البحراني.
- ٦٢٨ قيس بن عمرو بن مالك
- ٦٣٥ كريب بن زيد الحميري
- ٦٣٥ الشيخ كمال الدين بن سعاده السري البحراني.
- ٦٣٥ السيد مال الله بن السيد محمد الخطي.
- ٦٣٦ ماه شرف خانم بنت الشيخ محمد تقي بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم الطالقانيه القزوينيه.
- ٦٣٧ الشيخ محسن بن الشيخ محمد بن الشيخ يوسف صاحب الحدائق
- ٦٣٧ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدي.
- ٦٣٧ اشاره
- ٦٤٠ تعليق الدكتور محفوظ.
- ٦٤٤ محمد بن أحمد بن جعفر الكناني المصري
- ٦٤٨ أبو نصر الفارابي محمد بن أحمد بن طرخان.
- ٦٦١ محمد بن أحمد البيروني
- ٦٩١ الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني:
- ٦٩١ الشيخ محمد بن حسين السبعي البحراني:
- ٦٩١ الشيخ محمد بن حسين السبعي البحراني.
- ٦٩٢ الشيخ محمد بن الشيخ حسين الشويكي البحراني.
- ٦٩٢ الشيخ محمد بن عبد الله أبو عزيز الخطي البحراني.

٦٩٢	السيد محمد تقى السيزوارى الباشيتيني الفشتنقى.
٦٩٤	أبو على، محمد بن الحسن بن على القتال النيسابورى الفارسى.
٦٩٤	محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، أبو جعفر الأعرج.
٦٩٥	الشرىف الرضى محمد بن الحسين.
٦٩٥	اشاره
٧٧٩	السيرافيان
٧٧٩	اشاره
٧٨٣	المقصوره الحسينيه
٧٩٢	الرضى المؤلف
٧٩٣	الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكركزانى.
٧٩٣	الشيخ محمد بن الشيخ على بن الشيخ عبد النبى بن محمد بن سليمان المقابى البحرانى.
٧٩٤	الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحرانى.
٧٩٥	الشيخ محمد بن أبى جمهور الاحسانى:
٧٩٥	اشاره
٧٩٥	والده و جده
٧٩٦	مولده و نشاته
٧٩٨	دراسته و أساتذته
٧٩٨	مشايخه فى الروايه
٧٩٨	تلاميذه و الروون عنه
٧٩٩	أسفاره
٧٩٩	مناظرته مع العالم الهروى
٨٠٠	أقوال العلماء فيه
٨٠٢	مؤلفاته
٨٠٥	وفاته
٨٠٦	أدبه و شعره
٨٠٧	شبهه و مؤاخذات
٨٠٧	السيد محمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبى شيايه الحسينى البحرانى.
٨٠٩	الشيخ محمد الشهير بالملائكه البرغانى ابن الشيخ محمد تقى الشهير بالفريشته ابن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم
٨١١	الشيخ محمد تقى الفشندى بن الشيخ محمد على بن الشيخ حمزه بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم.
٨١١	الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم
٨١٢	الشيخ محمد بن الشيخ غوث الحجرى البحرانى.
٨١٢	السيد محمد جمال الهاشمى
٨١٢	اشاره
٨١٣	شعره
٨٥٣	بدر الدين محمد بن زهره الحسينى.
٨٥٣	محمد جواد ديوق ابن الحاج حسن.

- ٨٥٤ - الشيخ محمد بن محسن المقايي البحراني.
- ٨٥٤ - الشيخ محمد بن سعيد المقايي البحراني.
- ٨٥٤ - الشيخ محمد بن يوسف البحراني.
- ٨٥٤ - الشيخ محمد بن الحاج يوسف الأمير زیدی البحراني
- ٨٥٥ - الشيخ محمد بن الشيخ يوسف صاحب الحدائق
- ٨٥٧ - السيد محمد عباس الموسوي الجزائري للكهنوي
- ٨٦٠ - الشيخ محمد علي الشهير بالمالا على البرغانى بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم.
- ٨٦٠ - الشيخ محمد الفاضل القائيني.
- ٨٦٢ - الشيخ محمد صالح البرغانى.
- ٨٧٦ - الشيخ محمد قاسم الحسينى العاملى.
- ٨٧٦ - الشيخ محمد بن على البغلى.
- ٨٨٨ - الميرزا محمد على الحسينى الأصفهاني.
- ٨٨٩ - الشيخ محمد كاظم بن عبد العلى التنكابنى
- ٨٩٠ - محمد محسن بن مرتضى بن محمود الملقب بالفيز الكاشانى
- ٨٩١ - الشيخ محمد محسن بن الشيخ على العاملى.
- ٨٩١ - الدكتور محمد مهدي البصير.
- ٨٩٤ - الشيخ محمد النمر بن ناصر.
- ٨٩٤ - اشاره
- ٨٩٥ - بلدته
- ٨٩٦ - نشاطه العلميه
- ٨٩٧ - تلاميذه
- ٨٩٧ - اشاره
- ٨٩٨ - شعره
- ٩٠٠ - محمود بن الحسين المعروف بكشاجم.
- ٩٢٨ - السيد مرتضى العلوى البحرانى
- ٩٢٨ - الشيخ مغاس الحجرى البحرانى
- ٩٢٩ - الدكتور مصطفى جواد
- ٩٤١ - الشيخ معتوق بن الشيخ عمران الأحسانى
- ٩٤٢ - النقيب معد الموسوى
- ٩٤٣ - معقل بن قيس الرياحى
- ٩٤٩ - السيد مهدي الحكيم
- ٩٤٩ - السيد مهدي بحر العلوم
- ٩٦٢ - الشيخ محمد مهدي بن الشيخ عبد الهادى بن الشيخ أبى الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادى المازندراني الهزار جريبي الحازرى
- ٩٦٣ - السيد مهدي الحيدرى:
- ٩٧٠ - السيد منصور كموه النجفى
- ٩٧١ - الشيخ مهدي الكلكاوى

- ٩٧٢ السيد محمد طاهر الحيدري ابن السيد احمد:
- ٩٧٢ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر
- ٩٧٢ الشيخ محمد مؤمن أسد الله
- ٩٧٢ معمر بن خلاد البغدادي:
- ٩٧٢ الشيخ محسن بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب كتاب جواهر الكلام:
- ٩٧٤ الشيخ ناصر الخطي الجارودي:
- ٩٧٤ السيد ناصر حسين:
- ٩٧٥ نصر بن علي الحلبي النجوي:
- ٩٧٥ نصر بن ناصر المدائني
- ٩٧٥ القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد
- ٩٨٥ السيد نعمه الله الجزائري ابن السيد محمد جعفر
- ٩٨٥ نعيم بن هبيرة الشيباني.
- ٩٨٧ الشيخ نوح بن الشيخ هاشل بن الشيخ أحمد بن صالح بن عصفور.
- ٩٨٧ الشيخ نور الدين بن الشيخ عبد الجبار القطيفي.
- ٩٨٨ هبه الله بن علي
- ٩٨٩ وهيب بن زعمه الجعفي
- ٩٩٠ أبو محمد هشام بن سالم الجواليقي الجعفي، العلاف الكوفي
- ٩٩٠ يحيى بن زياد الفراء
- ١٠٠٦ الشيخ يحيى بن محمد الكتكاني
- ١٠٠٦ يعقوب بن إسحاق الكندي
- ١٠٢٠ يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله التركي العوني الهبيري البغدادي
- ١٠٢٢ الشيخ يوسف بن الشيخ خلف بن الشيخ عبد علي صاحب الأحياء
- ١٠٢٢ الشيخ يوسف بن علي المقايي البحراني
- ١٠٢٢ ملحق بالمستدركات
- ١٠٢٢ صلاح الدين الأيوبي
- ١٠٢٢ اشاره
- ١٠٢٥ و قد رد علي راد فرددت عليه بما يلي:
- ١٠٢٩ و رد مره ثانيه فأجيبته بما يلي:
- ١٠٣٢ تدخل شخص آخر و تدخل آخر فرد علي ردي، فرددت عليه بما يلي:
- ١٠٣٨ الخراسانية و المتشيعه
- ١٠٤٦ العرب و المأمون ثم البويهيون
- ١٠٤٦ اشاره
- ١٠٥١ البويهيون
- ١٠٥٤ استدراك على المستدركات
- ١٠٥٤ السيد سعيد صالح
- ١٠٥٧ صلاح الدين و خلفاؤه

١٠٥٩	إسماعيل الصفوى
١٠٥٩	اشاره
١٠٦٢	مواقف ايرانيه
١٠٦٣	ابن جبير
١٠٦٣	اشاره
١٠٦٨	جيل عامل و العالميون
١٠٧١	تعريف مركز

مستدرکات أعيان الشيعة المجلد ٢

اشاره

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديد آورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديد آور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم للقراء المجلد الثاني من (مستدركات اعيان الشيعة)، و بذلك أكون قد وفيت بوعدى لهم، شاكرًا لله على أن منّ بتحقيق ذلك، بعد أن منّ بما منّ به من انجاز الكتاب بكامله و إخراجه بحلته التى خرج بها.

و إذا كانت نعم الله لا تحصى، فإن من تلك النعم ما لا ينسى، بل يظل ماثلا فى الذهن ما طلعت الشمس و توالى الليل و النهار، و يظل مبعث الحمد فى كل ساعه.

و من اجلّ تلك النعم علىّ أن وفقنى لأن أجعل من تلك المسودات المتراكمه التى تركها والدى مما لم يطبعه من اجزاء (اعيان الشيعة) - أن اجعلها كتبا مطبوعه و أسفارا سائره كل مسير.

لقد كنت عند ما أبصر تلك المسودات و أجيل ناظرى عليها ماثوثة على الرفوف طبقه فوق طبقه - كنت استغرق فى اليأس و الأسى، فمن لى بأن استوعب ما فيها، و اجمع متناثرها و ألم متنافرها، و من لى - إذا استطعت ذلك - بأن اضمهبا بعضها إلى بعض مجلدا بعد مجلد تصل إلى أيدي القراء.

لقد كان مبعث اسأى إنى عاجز عن إخراج مسودات (اعيان الشيعة) و إنى شبه يائس من أن لا تقف مواضعه عند حرف السين فى الجزء الخامس و الثلاثين.

لقد كنت أحلم بأن أرى مواد حرف السين، ثم مواد الحروف الأخرى مرسومه رسما طباعيا بعد أن كنت اقلبها بيديّ مرسومه رسما كتابيا....

تلك كانت أحلام اليقظه و أحلام الهجوع. تلك كانت مطامعى و مطامحى!...

و من لى بأن يصبح الحلم امرا واقعا، و من لى بتحقيق المطامع و المطامح؟!..

و لكن الله العلى القدير، الله الرحمن الرحيم، حوّل الحلم إلى حقيقه، و جعل المطامع و المطامح ملء اليد....

فإذا بموسوعه (أعيان الشيعة) تخرج فى احد عشر مجلدا هى الغايه فى الاناقه و الاتقان، ورقا و طباعه و تجليدا.

و إذا بها لا تقف عند ذلك... و إذا بالمطامع و المطامح تتسع و تتسع، و إذا بى و أنا القانع اصبح الطامع الذى لا حدود لطمعه، و إذ بالاحد عشر مجلدا لا تسدّ خلتي و لا تشبع نهمنى، و إذا بى أركض من مكان إلى مكان، و أسعى من إنسان إلى إنسان، ركض الواله و سعى السّغب!..

لقد خرج المجلد الأول من (المستدركات)، و ما هو المجلد الثانى يتبعه، فهل هذا الطمع، و هل قرّ النهم؟!..

لا...سيظان مستعرين ما دامت الأنفاس تتردد و القلب ينبض و الجسد يتحرك...و ما دام توفيق الله يرعاني، و رحمته تحوطني...

و إلى اللقاء في المجلد الثالث إن شاء الله.

رمضان ١٤٠٨

نيسان ١٩٨٨

حسن الأمين

ص: ٥

آمنه خاتم بنت الشيخ محمد علي بن الشيخ عبد الكريم صاحب كتاب نظم الفرر

بن الشيخ محمد يحيى (صاحب ترجمان اللغة) ابن المولى محمد شفيح القزوينى بن محمد رفيع بن فتح الله القزوينيه.

ولدت فى قزوين سنه ١٢٠٢، و توفيت حدود سنه ١٢٦٩.

قرأت على أخيها الشيخ الميرزا عبد الوهاب القزوينى، و فى حدود سنه ١٢١٩ زفوها للشيخ محمد صالح البرغانى، ثم حضرت الفقه و الأصول على زوجها المذكور، و أخذت الحكمة و الفلسفه العاليه من حوزة الشيخ الملا- آغا الحكمى القزوينى فى المدرسه الصالحيه، كما حضرت مجلس درس الشيخ أحمد الأحسائى فى قزوين، حتى بلغت درجه عاليه فى العلم و الفضل، و كان زوجها يأمر النساء بالاعتداء بها و الرجوع إليها فى أحكام الدين، و كانت لها حوزة تدريس لنساء عصرها فى كل من كربلاء و قزوين، و قد أجازها زوجها و أخوها و الشيخ أحمد الأحسائى بإجازات مفصله، و كانت تقيه، عابده، زاهده، متورعه، و هى من أسباط السيد حسين القزوينى المتوفى سنه ١٢٠٨، شيخ السيد مهدي بحر العلوم و أم (قره العين) الشهيره. و من آثارها قصيده طويله فى ٤٨٠ بيتا عن لسان زينب الكبرى س، فى حوادث كربلاء، و لها بعض الرسائل مع أبى الثناء محمود الآلوسى حين نزلت بنتها قره العين فى دار الآلوسى ببغداد. (١).

السيد إبراهيم القطيفى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط: (٢)

له ذكر فى الرجال، و أثنى عليه أهل الكمال. أخذ العلوم الشرعيه عن صاحب البحار، و تصدر بامرہ فى كاشان. و له جملة من المؤلفات منها رساله فى فتح باب العلم فى زمن الغيبه. و رساله فى المحرمات، و كتاب فى الفقه لم يتم مات قدس سره سنه ١١١٢. الثانى عشر بعد المائة و الألف.

الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد النبى القدىمى البحرانى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من فضلاء أوال و المبرزين من أهل الكمال أخذ الفقه عن جدى صاحب الحدائق، و مجاز عنه و له عدہ رسائل، منها كتاب فى الأدب، و رساله فى القبله، و رساله فى الشكيات، و مسأله فى الجوهر و لم يحضرنى تاريخ وفاته.

الشيخ إبراهيم بن الشيخ يوسف الخطى

ذكره الشيخ الأحسائى فعظمه، و نقل عنه صاحب القوانين فائنى عليه، له الرساله المسماه ب "النجفيه" و لم توجد تأليفاته و تاريخ وفاته.

الشيخ أحمد بن حبيب الدندن

ولد في (الأحساء) و بها نشأ و ترعرع، و لا نعلم سنه مولده، و المعروف أنه تلقى كل دروسه العلميه في الأحساء على يد علمائها الأعلام. و كانت الأحساء في عصره مشرقه بالعلم و العلماء، و كان للنشاط العلمى فيها نمو و تفوق قليل النظير. و المترجم كان من تلامذه السيد هاشم السيد أحمد الموسوى الأحسائي، قائد الحركة العلميه في (مدينه المبرز) وطن المترجم و لعله تتلمذ على غيره، و كان من الملازمين لأستاذه المذكور، و من المقربين لديه، حتى نال رتبه عاليه من العلم و الفضل و أصبح من العلماء الأجلاء، و كان أستاذه يمدحه و يثنى عليه ثناء بالغاً كما قيل.

و بعد وفاه أستاذه المذكور عام (١٣٠٩) هـ كان المترجم يرسل الشيخ محمد بن عبد الله آل عيثن الأحسائي، و يسأله عن مسائل علميه طوال سنه كامله، مما يدل على نشاطه العلمى و شغفه باكتساب المعارف.

توفى حدود عام (١٣١٠)، أى بعد وفاه أستاذه بحوالى عام واحد - كذا أفادنا بعض رجال أسرته - و كانت وفاته في وطنه مدينه (المبرز) من الأحساء و لم يخلف ذريه. و له أخ اسمه الشيخ حسين كان من أهل العلم أيضاً، و من تلامذه السيد هاشم المتقدم، و لا نعلم عن حاله شيئاً.

الشيخ أحمد الصحاف بن على

إشاره

*الشيخ أحمد الصحاف بن على (٣)

توفى سنه ١٣١٩ في النجف.

آل (الصحاف) من الأسر العلميه الجليله التى أنجبت العديد من العلماء و الشعراء، و يعود نسب هذه الأسره إلى (ربيعه) إحدى القبائل العربيه الشهيره.

ص: ٧

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى

٢- تاريخ البحرين: هو كتاب خطى مؤلفه الشيخ محمد على بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ موسى بن الشيخ يوسف البحرانى صاحب كتاب الحدائق الناضره. و قد عثر على الكتاب فريق من شبان القطيف المناضلين، العاملين على نشر تراث بلادهم و قد لقيتهم فى مهجرهم فى طهران شتاء سنه ١٤٠٨ (١٩٨٨ م)، حيث نجوا بأنفسهم من الجور و الظلم، فتالفوا و اجتمعوا، و خططوا لخدمه موطنهم، الذى كان فى يوم من الأيام مناره من منارات العلم و الشعر و الفكر و الأدب، فكان من مناهج أولئك الشبان المجاهدين جمع ما تشتت من آثار بلادهم و العمل على نشرها و إحياها، فكان مما عثروا عليه الكتاب المذكور فاستنسخوه بالآله الكاتبه و أعطوني نسخه، فكانت من مصادرى فى هذه المستدركات. و لا شك أن المؤلف قد أدى خدمه جلى لبلاده، و لكنه كان لا يذكر فى بعض من ترجمهم لا تاريخ الولاده و لا تاريخ الوفاه، إما لجهله بها كما قد يصرح، و إما إهمالاً، و قد رأينا أن نقل نصوصه كما هى، مما سيراه القارئ فى طيات هذا الكتاب. و مؤلف الكتاب ولد سنه ١٢٩٨.

٣- السيد هاشم الشخص من كتابه المخطوط (أعلام هجر).

و كان لآل (الصحاف) وجود مرموق في (الأحساء) و (الكويت)، كما لهم امتداد في كل من (البحرين) و (القطيف) و (سوق الشيوخ) من العراق.

و المترجم واحد من ثلاثه إخوه، كلهم علماء أجلاء، ثانيهم الشيخ حسين الصحاف، و ثالثهم الشيخ كاظم الصحاف الشاعر الكبير المعروف، و آباء المترجم أيضا و أجداده كلهم من العلماء و الشعراء.

و نحن لا نعلم عن مولده شيئا، غير أنه عاش جل حياته في (الكويت)، حيث كان يعيش فيها أبوه و جده، و لعله ولد بها، و في (الكويت) أيضا تلقى جل دروسه العلميه على والده الشيخ علي و جده الشيخ محمد، حتى أصبح في عداد العلماء الفضلاء.

و كان جده الشيخ محمد الصحاف مرشدا دينيا في (الكويت)، و وكيلا من قبل المرجع الديني الشيخ محمد حسين أبو خمسين، فلما توفي الشيخ الصحاف سنة ١٣١٣ انتخب حفيده - صاحب الترجمة - ممثلا و وكيلا في جميع الشئون الدينيه عن الشيخ أبو خمسين المذكور. و بعد برهه يسيره من الزمن قرر المترجم مغادره (الكويت) و التوجه إلى النجف الأشرف، للحصول على رتبه أعلى في العلم، و كان ذلك - على ما يبدو - بعد وفاه المرجع الشيخ محمد حسين أبو خمسين سنة ١٣١٦، و في النجف الأشرف حظ المترجم رحله، و عاد يواصل دراسته العلميه. و لو لا أن الموت عاجله لتقدم وفاق، إذ توفي قبل أن يتجاوز عهد الشباب.

علمه و فضله

و ذكره أخوه الشيخ كاظم الصحاف في كتابه (تذكرة الأشراف) و صرح:

بأنه كان عالما فاضلا مراهقا للاجتهد، و قال في شأنه أيضا: "و كان الشيخ أحمد مع ارتقائه في العلم تقيا، عابدا، زاهدا، متهجدا، و كاتبا ماهرا، و شاعرا باهرا".

له ديوان شعر مخطوط يحتوى على جملة من القصائد في مدح النبي (ص) و أهل بيته الكرام. (١)

مسكويه أحمد بن محمد

مرت ترجمته في الصفحة ١٥٨ من المجلد الثالث، و نشر هنا ما كتبه عنه محمد حسين ظاذا:

نعرض اليوم بايجاز لفيلسوف إسلامي، أخرج للناس دستورا إيجابيا أخلاقيا طريفا قوامه المنطق الصحيح و الذوق السليم، بحيث لو تبعوه في حياتهم لنالوا به السعادة الحق دنيا و آخرة. و نعى به الفيلسوف "أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه" صاحب "كتاب تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق"، و هو الكتاب المعروف الذي نصح الامام "محمد عبده" بتدريسه في الأزهر إلى جانب الأحياء للغزالي، و الذي قام "علي باشا رفاعه" بنشره و تبويبه، و الذي شرع "سعد زغلول" في اختصاره و التعليق عليه دون أن يتمه.

عاش ابن مسكويه (٢) في العصر العباسي، الذي يمتاز بشده ضعف الخلافة العباسيه، و بقيام دويلات لا يعترف أكثرها للخليفه

بغير السلطه الاسميه. و يهنا من هذه الدولات الدوله البويهيه (٣٢٠ - ٤٤٧ هـ) لأن ابن مسكويه عاش و مات فى كنفها. و كان ملوكها يحبون العلم و الأدب و لا يستوزرون أو يستكتبون إلا عظماء الأدباء كالمهلبى و ابن العميد و ابن عباد و غيرهم. و كانت مجالسهم أبدا حافله بكبار الشعراء و العلماء و الفلاسفه و من على شاكلتهم. لذلك لا عجب أن يمتاز هذا العصر بنضج العلم، و تكوين المعاجم اللغويه، و استقرار الإنشاء على أسلوب مثالى. و لا عجب أن تنمو الفلسفه و تزهر، و تستقر قواعد الطبيعيات و الطب، و يتسع خيال الشعراء، و يظهر الشعر الفلسفى، و ينمو فن التاريخ و الجغرافيا، و يظهر النقد الأدبى، و تؤلف القصص المجازيه، و تنتشر المكاتب حاويه لألوف المخطوطات، أجل و لا عجب أن يظهر أمثال ابن سينا، و ابن مسكويه، و الهمذانى، و الخوارزمى، و المتنبى، و أبى فراس، و الأصفهانى، و القالى و الثعالبى، و التوحيدى، و الصابى، و الشريف الرضى، و التنوخى، و الطبرى.

٢ - حياته

و عسير جدا أن نتلمس حياته فيما ترك من كتب أو فيما ذكر عنه الكتاب و المؤرخون. و كل ما قد استطعنا كشفه من المؤلفات و التراجم العديده التى أطلعنا عليها، هو أنه ولد حوالى عام ٣٣٠ هـ و مات فى ٩ صفر سنه ٤٢١ هـ (١٦ فبراير سنه ١٠٣٠ م)، و كان مولده "بالرى" فى أسره فارسىه شريفه. و سرعان ما يترك والده أمه، فيبقى هو راعيا لها حتى تتزوج بغير أبيه، فيتركها و ينزح إلى بغداد شابا. و هناك يتصل بالوزير "المهلبى" حوالى سنه ٣٤٨ هـ و يدخل فى خدمته ككاتم لسره، و يبقى إلى جانبه ينادمه و يسامره حتى عام ٣٥٢ هـ، و هو عام وفاه الوزير، و من ثم يعود إلى الرى حيث يلتحق بخزانه الوزير العظيم "ابن العميد" و ينال ثقته و محبته و صداقته، و يبقى معه حتى عام سنه ٣٦٠ هـ لينتقل بعد وفاته إلى خدمه ولده الوزير "أبى الفتح". و قد بقى فى خدمه هذا الشاب حتى تنكر له الدهر و دخل الوزير السجن سنه ٣٦٦ هـ. ثم التحق بعدئذ بخدمه "عضد الدوله" الذى استولى على بغداد، كما التحق بعده بخدمه صمصام الدوله و شرفها حتى عام ٣٧٩ هـ، و هو العام الذى دخل فيه فى خدمه "بهاء الدوله" و اختص به و عظم قدره عنده. و هكذا انتقل ابن مسكويه من خدمه وزير إلى سلطان، حتى هرم و شعر بدنو الموت، فانتقل كما يقول صاحب "روضات الجنات" إلى "أصبهان" حيث مات عام ٤٢١ هـ.

٣ - ثقافته و أخلاقياته

و قد تثقف ثقافه أدبيه واسعاه، و نهل من مجالس العلم و مكتباته، و عنى عنايه خاصه بالأخلاق فدرس حكمها عند الفرس و العرب و الهنود و الروم، و جمع ما راقه من هذه الحكم و أخرجه فى كتاب لا يزال مخطوطا. هذا إلى أنه قرأ ما قد خلفه أرسطو و أفلاطون و جالينوس فى هذه الناحيه و محصه تمحيصا. و كأنما دفعته تربيته العائليه السليمه، و قلبه الكبير الحى، و تجربته الأليمه فى مجالس السلاطين و الوزراء، إلى إنقاذ عصره و العصور التى تليه من السياسه الخرقاء و الأخلاق المعتهله، فراح يقرأ فى الأخلاق و يؤلف، و يخرج للناس كتبا فيها من المنطق الصحيح ما يهديهم إلى "كمالهم الإنسانى"، و يأخذ بيدهم إلى طريق الفضائل و العلوم لتتم لهم السعاده التى ينشدونها عبثا فى تلك الخيرات الوهميه الخارجيه، خيرات "الكون و الفساد". و قد تجلت هذه النزعه فيما ترك من عهد عاهد فيه نفسه "أن يجاهدوا و يتفقد أمرها ما استطاع، فيعف و يشجع و يحكم، و يقتصد

١- السيد هاشم الشخص من كتابه المخطوط (أعلام هجر).

٢- هو مسكويه لا ابن مسكويه، كما يكرر الكاتب "ح".

فى مارب بانه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته، و يحارب دواعى نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوه قيحه و لا غضب فى غير موضعه، و يستبصر فى اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شىء من العلوم و المعارف الصالحة، ليصلح أولاً نفسه و يهذبها و يحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التى هى العدالة... (١) إلخ " ...أقول تجلت هذه النزعه فى ذلك العهد الطريف، و تجلت كذلك فى كتابه التاريخى المعروف "تجارب الأمم و عواقب الهمم" و هو الكتاب الذى فضح فيه بجرأه و صراحه الكثير من رذائل السلاطين، الذين خدم أولادهم و أحفادهم (٢) كما تجلت على الخصوص فى كتابه العظيم الذى نحدثك عنه الآن:

٤ - كتاب تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق

و يعتبر هذا الكتاب أهم كتبه الأخلاقية و أطرفها و أكملها، (٣) و نظراً لأن ابن مسكويه كان أديبا شاعرا يحذق العربية و الفارسية على السواء، فان أسلوبه فيه يمتاز بالسلاسه و الرقه و العذوبه على غير عادة الفلاسفه الإسلاميين. و قد أعجب "الطوسى" به كل الاعجاب فترجمه إلى الفارسيه و قال عنه:

بنفسى كتاب حاز كل فضيله و صار لتكميل البريه ضامنا

مؤلفه قد أبرز الحق خالصا بتأليفه من بعد ما كان كامنا

و وسمه باسم الطهاره قاضيا به حق معناه و لم يك ماثنا

لقد بذل المجهود لله دره فما كان فى نصح الخلائق خائنا

و الكتاب بعد هذا ست مقالات، تدور كما قلنا حول الأخلاق الايجابية للإنسان، أى الأخلاق التى تليق به من حيث هو حيوان ناطق. و لذلك نراه يفرق فى مقاله الأولى بين النفس و الجسد تفريقا يثبت به روحانيه الأولى و خلودها، و احتياج قواها المختلفه إلى كمال خاص يتفق و ما فيها من عقل مسيطر و فكر مقدس. و نراه يتناول فى الثانيه خلق الإنسان و قابليته للتغير و التهذيب و مدى أثر المعرفه فى العمل الخلقى، و يتادى من ذلك إلى " المنزله الرفيعه " الجديره بالإنسان و ما ذا عسى أن يعوقنا عنها. أما مقاله الثالثه فلا تتناول غير موضوع السعاده بالبسط و المناقشه و العرض. و أما مقاله الرابعه فتحدد الأعمال الخلقية و تميزها عن غيرها، و تنتهى بنا إلى مقاله الخامسه التى يبسط فيها أنواع المحبه بوجه عام، و محبه الصديق على الخصوص. و أخيرا تأتى مقاله السادسه لتبين لنا طريق حفظ الصحه على النفس و معالجتها إذا مرضت.

و يطول بنا المقام إذا أردنا أن نبين وجه الطرافه و الجمال و الإنساق فى هذه المقالات البعيده فى منهجها عن منهج الدينين - (كالبصرى فى كتاب أدب الدنيا و الدين) - (٤)، و المعتمده فى طريقتها على الاستقراء العلمى الدقيق الذى " يكاد " ينطق [ينطق] بالتطور، و الذى يرسل البصر فى الكون كله و يحدد للإنسان ماهيته و عمله فيه!.

أما مصادره فى ذلك الكتاب فهى تلك الثقافه الخلقية الواسعه التى استمدتها من الأمم الأربع، و التى يلوح فيها القرآن متفقا مع أرسطو و أفلاطون و جالينوس و غيرهم من حكماء اليونان على الخصوص.

و إذا حاولنا أن نعقد مقارنه بين هذا الكتاب و بين كتاب أرسطو " إلى نيكوماخوس ": وجدنا ابن مسكويه ييز المعلم الأول أحيانا فى الوضوح و الانسجام، و يتفوق عليه فى فصول خاصه كفصل الصداقه و الصديق، و يزيد على فصوله فصولا أخرى جوهرية كفصلى " دفع الأحزان " و " حفظ الصحه على النفس السليمه "!!.

لذلك ننصح القارئ العزيز بقراءه هذا الكتاب مره و مره و مره، و يجعله دستورا له فى حياته كإنسان يرنو إلى السعاده الحق دنيا و آخره " و نختم هذا التعريف الموجز بقول ابن مسكويه لابن العميد:

لا يعجبنيك حسن القصر تنزله فضيله الشمس ليست فى منازلها

لو زيدت الشمس فى أبراجها مائه ما زاد ذلك شيئا فى فضائلها

أو بقوله لعميد الملك:

فانظر إلى سير القوم الذين مضوا و الحظ كتابتهم من باطن الكتب

تجد تفاوتهم فى الفضل مختلفا و إن تقاربت الأحوال فى النسب

هذا كتاج على رأس يعظمه و ذاك كالشعر الجافى على الذنب

!!

مسكويه و تصنيفه تجارب الأمم

و قال الدكتور أبو القاسم إمامى: (٥)

لم يرد فى المصادر القديمه التى وصلت إلينا، ذكر بالتفصيل عن حياه مسكويه يجب على الكثير من الأسئلة المطروحه أمام دارسيه. و كل ما لدينا هو قطع مبعثره فى هذا المصدر أو ذاك، كتبها أصحاب التراجم و مؤرخو الحكمه، و هى نزر قليل للغايه. و من حسن الحظ أن نرى كاتبا حكيمًا من كبار الحكماء المعاصرين لمسكويه، من يعرف مسكويه عن كتب و يقدر القيم التى تنطوى عليها شخصيته، نراه و لم يقنعه ما كتبه عن مسكويه فى كتابه بقدر ما كتبه حول الحكماء الآخرين، بالاختصار و التلخيص، بل يعدنا فيه أنه سيخصص رساله بمسكويه، يعالج فيها مزيدا من تفاصيل حياته، و هذا الحكيم هو أبو سليمان المنطقى الذى يعد بدوره من أعظم الحكماء فى تلك الحقبة. ثم نرى - و هذا من سوء الحظ - أن ما وعده أبو سليمان لم يصل إلينا أيضا، سواء لم يوفق فى إنجاز ما وعد، أو لأنه أنجزه، و لكن صروف الدهر هى التى حرمتنا هذه الوثيقه التى كان من شأنها أن تغيننا مما هو مبعثر هنا و هناك، و ليس إلا تردادا لقليل من الكثير اللازم فى التعرف على حياه مسكويه. أما ما وعد به أبو سليمان، فهو ما قاله فى كتابه صوان الحكمه: "... أما ما سمعته من مجارى حياته، و شاهدته من سيره الحسنه، و أخلاقه الطاهره، فسأفرد فيه رساله أقصرها على ذلك، إذ ليس يحتمل هذا الموضوع أكثر مما ذكرته. "م.

- ١- انظر الإرشاد لياقوت، و المقابسات للسندوبي.
- ٢- وقد أعجب المستشرقون بذلك الكتاب و بدقته العلميه فطبعته لجنه جيب التذكاريه، و مجده الأستاذ "مرجليوث" في مقدمه لكتابه الإنجليزى (سقوط الخلافه العباسيه) و فى كتابه "محاضرات فى مؤرخى العرب".
- ٣- و له غير هذا الكتاب كتاب "جاويدان خرد" أى - العقل الأزلى - جمع فيه آداب العرب و الفرس و الهنود و الروم و جعله مصداقا للقوانين الخلقيه التى ذكرها فى "التهذيب"، و له كذلك رساله صغيره فى السعاده كتبها لصديقه ابن العميد لا تخرج فى معناها عما فى التهذيب، و كتاب ثالث يسمى "بالفوز الأصغر" و يعتبر أساسا لفلسفته الخلقيه و إيمانه الدينى الفلسفى. و هذان الأخيران مطبوعان. أما الأول فما يزال مخطوطا بمكاتب أوروبا و لا سيما مكتبه باريس الأهليه
- ٤- انظر على الخصوص كلامه فى دفع الغم و الحزن و وجوب عدم الخوف من الموت، أو كلاما فى خلود النفس، أو رايه فى اختيار الصديق و الاحتفاظ به.
- ٥- مقدمه تجارب الأمم.

و كان ظهور هذا الوعد في الصوان، و مصيره المجهول بعد ذلك، بالنسبة للمعنيين بدراسه مسكويه " غمامه أبرقت - كما قال القائل - قوما عطاشا، فلما رأوها، أقشعت و تجلت " و لم تمطر ما يشفى غليلهم.

و أما تصنيفه تجارب الأمم، الذى ضمنه فى الجزءين الأخيرين منه حوادث عصره، و من خلالها بعض حوادث حياته، فهذا المصدر أيضا، يتوقف عند سنة ٣٦٩ هـ، و هذا يعنى أن مسكويه عاش بعد ذلك حوالى نصف قرن، تاركاً كتابه الحوادث المتبقية من عصره، الحوادث التى كان من شأنها أن تلقى مزيداً من الضوء على النصف الثانى من حياته أيضاً، و ذلك من خلال اتصاله الوثيق بالشخصيات المشاركة فى تلك الحوادث، حيث كان مسكويه من وجوه أوساطهم.

الفترة التى عاشها

عاش مسكويه حوالى مائه سنة، و وصل إلى أرذل العمر الذى امتد من سنة ٣٢٠ هـ على الأقوى، إلى التاسع من صفر سنة ٤٢١ هـ بالتحديد على ما ذكره ياقوت نقلاً عن يحيى بن منده. و يبدو أن مرجوليوث هو أول من حاول تحديد مولد مسكويه، و ذلك فى المقدمة التى قدمها لترجمته الإنجليزية للجزءين الأخيرين من تجارب الأمم (انظر: P., Pref., iitheEcl.)، فنراه و قد حدد مولد مسكويه " مؤقثاً " سنة ٣٣٠ هـ، ثم يعود قائلاً: " أو أسبق بقليل ". ثم يحاول الدكتور عزت (ص ٧٩-٨٠) تقديم هذا التاريخ من ٣٣٠ إلى ٣٢٥ هـ كما يقدمه الدكتور عبد الرحمن بدوى (ص ٢٠-٢١) أكثر من ذلك و يجعله سنة ٣٢٠ قائلاً: " إن لم يكن قبل ذلك ". و أما الدلائل أو الأمارات الموجودة لتحديد مولد مسكويه فهى:

١ - ما قاله مسكويه نفسه فى تجارب الأمم فى مقدمه حوادث سنة ٣٤٠ فصاعداً، و ذكر مصادره فى تقرير تلك الحوادث. قال: " أكثر ما أحكيه بعد هذه السنه، [أى بعد سنة ٣٤٠ هـ] فهو عن مشاهدته و عيان، أو خبر محصل يجرى عندي خبره مجرى ما عاينته. و ذلك أن مثل الأستاذ الرئيس أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد - رضى الله عنه - خبرنى عن هذه الواقعة و غيرها بما دبره و ما اتفق له فيها، فلم يكن إخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة و السكون إلى صدقه، و مثل أبى محمد المهلبى - رحمه الله - خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه، و ذلك بطول الصحبه و كثره المجالسه، و حدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما استفاد منه تجربته و أنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره، و ما شاهدته و تجربته بنفسى فسأحكيه أيضاً بمشيئته الله ".

٢ - ما قاله مسكويه فى تجارب الأمم أيضاً عن نفسه، (انظر حوادث سنة ٣٤١). و ذلك عند ذكر معز الدوله بالحده و البذاءه، و موقف الوزير المهلبى من أخلاقه. قال مسكويه: " و كان معز الدوله حديداً، سريع الغضب، بذيء اللسان، يكثر سب وزرائه و المحتشمين من حشمه، و يفترى عليهم، فكان يلحق المهلبى - رحمه الله - من فحشه و شتمه عرضه ما لا- صبر لأحد عليه، فيحتمل ذلك احتمال من لا- يكثر له و ينصرف إلى منزله، و كنت أنادمه فى الوقت، فلا أرى لما يسمعه فيه أثراً، و يجلس لأنسه نشيطاً مسروراً... ".

أما فى الدليل الأول فيحدثنا مسكويه عن " طول الصحبه و كثره المجالسه " التى كانت بينه و بين الوزير المهلبى، و فى الدليل الثانى يقول: " و كنت أنادمه فى الوقت ".

و المعروف أن المهلبى قد تولى الكتابه لمعز الدوله سنة ٣٣٩ هـ و خوطب بالوزاره سنة ٣٤٥ هـ، و توفى فى شعبان سنة ٣٥٢ (انظر

التجارب، حوادث سنوات ٣٣٩، ،)، و الفتره الواقعه بين سنتي و هي التي كانت فيها تلك المنادمه و الصحبه و المجالسه، التي وصفها مسكويه بالكثرة و الطول. نعم صحيح أنه "قد صحب الوزير المهلبى فى أيام شببته" - كما صرح به أبو سليمان أيضا فى الصوان (ص ٣٤٦-٣٤٧) - و لكن مسكويه فى هذه الشيبه، لا- يمكن أن تكون سنه أقل من ٢٥ سنه، و خاصه بالنظر إلى أنه "كان من خواصه و وجوه المختصين به" - كما أضاف أبو سليمان - و كان من الحنكه و البصيره على مستوى جعل المهلبى يتخذ نديما له و "يخبره بأكثر ما جرى فى أيامه"، كما جعل مسكويه يعد نفسه مصدرا من مصادر تاريخ سنه ٣٤٠ فصاعدا، و ذلك فى قوله: "و أنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره، و ما شاهدته و تجربته بنفسى، فسأحكيه بمشيئه الله". فبذلك لا يصح أن يكون مولده بعد سنه ٣٢٠، كما تكون منادمته و صحبته الطويله و مجالسته الكثيره للوزير المهلبى ابتداء من عام ٣٤٥ أى دون احتساب الخمس السنوات الأولى (٣٣٩ - ٣٤٤ هـ) من وزاره المهلبى و ذلك لبعض الاحتمالات السلبيه التي قد تعترى هذا الافتراض.

٣- و هناك دليل آخر، و هو دليل على طول عمره أكثر من كونه دليلا على تحديد سنواته أو تحديد ميلاده، و هو أن لمسكويه أبياتا يشكو فيها "سوء أثر الهرم و بلوغه أرذل العمر" (انظر الثعالبي التتمه ص ٩٦).

فبهذا لا نستبعد أن يكون مسكويه قد عمر مائه سنه كامله (٣٢٠ - ٤٢١) إن لم نقل أكثر من ذلك، و عاش قرنا كاملا هو ألمع القرون الإسلاميه حضاره، و هو عصر النهضه فى الإسلام كما سماه آدم مترز. و إذا عرفنا أن دوله البويهيين قد بدأت هى أيضا فى سنه ٣٢٠ هـ، فيكون مسكويه و الدوله البويهيه، تربين، أو، لدين، تعاصرا قرنا كاملا. و السنوات المائه هذه كانت قمه ازدهار تلك الدوله. و أما السنوات المتبقيه من عمر الدوله (٢٧-٤٢١ - ٤٤٨ هـ) فهى سنوات تنحدر الأسره البويهيه فيها، إلى الضعف و الاضمحلال. فبذلك، يصبح مسكويه و ثيقه حيه من أوثق و وثائق تلك الحقبة التاريخيه التي لها خصائص و ميزات فى تاريخ الفكر و العلم الإسلاميين، و إن كانت بالنسبه للخلافه العباسيه عصر تفكك و تعدد فى مراكز الحكم، و هذا بالذات، أدى إلى تعدد مراكز العلم أيضا، كما أدى إلى ازدهار تلك المراكز، و نبوغ العلماء المتمين إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامى آنذاك، و ذلك لتنافس الأمراء و تفاخرهم فيما بينهم باجتذاب العلماء و الأدباء إلى بلاطاتهم. فنبغ فى غضون ذلك رجال علم و حكمه و أدب و سياسه عاصرهم مسكويه و عاصروه، و كان مسكويه على اتصال و ثيق بكثير منهم.

مسكويه، لا ابن مسكويه

و اختلفوا لا سيما فى القرون الإسلاميه الأخيره فى أنه: من هو الملقب بمسكويه؟ هو، أو أبوه محمد، أو جده يعقوب؟.

أولاً إلى عدم الانتباه إلى التسميه التي سماها بها معاصروه من أصدقائه وزملائه، و ثانياً، لأن بعض المتأخرين رأوا مسكويه يسمي نفسه بشكل لا- يمكن معه البت، لو لم نستدل بما دعاه معاصروه. فاننا نراه قد يسمي نفسه "الأستاذ أحمد بن محمد مسكويه" (انظر التجارب ١٣٦، ١٣٥، ٣١٠، ٥، جاويدان خرد (الحكمه الخالده): ٣٧٥)، كما قد يسمي "أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه" (أيضا جاويدان خرد ص ٥، و رسالته إلى أبي حيان في ماهيه العدل، ص ١٢).

فوق "مسكويه" تارة بعد اسم أبيه محمد، و تارة بعد اسم جده يعقوب، كان سبب الخطأ الذي شاع في ما بعد، في ضبط اسم مسكويه، فأوهم بعض الكتاب أن مسكويه لقب لأبيه، أو جده، فكتبوه: "أحمد بن مسكويه"، أو:

"أحمد بن محمد بن مسكويه" أو بشكل أغرب: "أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه"، بمعنى أن "مسكويه" أصبح لقباً لجد جده (انظر الخوانساري، الروضات ١: ٢٥٤، و الطهراني، الذريعة ٣: ٣٤٧).

و الحقيقة أنه عند ما يقال: "أحمد مسكويه" أو "أحمد بن محمد مسكويه"، أو "أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه"، فالقصد أن يجيء اللقب بعد أحمد أي بعد اسمه، فإذا ذكر الاسم وحده فاللقب يتلوه مباشرة. و لكن إذا ذكر الاسم مخصصاً بذكر اسم الأب، فيجيء اللقب بعد ذكر الأب، و إذا كان هناك تخصيص آخر بذكر اسم الجد فيأتي اللقب بعد ذكر اسم الجد، و هكذا. لأن مسكويه ذاته لم يذكر اسمه متلوا باسم أبيه، أو جده دائماً، بل نراه أحياناً يذكر لقبه بعد كنيته (أبي علي) فقط، و نراه يفعل ذلك بتكرار مشهود يبدد كل الشكوك بهذا الصدد، ففي شوامله على هوامل أبي حيان التي يبلغ عددها ١٧٥ مسأله، نراه يذكر اسمه في مستهل كل جواب بقوله: "قال أبو علي مسكويه" اللهم إلا في الاجابه الأولى، حيث يذكر اسمه متلوا باسم أبيه فيقول: "قال أبو علي أحمد بن محمد مسكويه"، أي لمره واحده فقط، و ذلك لتخصيص اسمه باسم أبيه كما أشرنا إلى ذلك، فأحمد نفسه هو الملقب بمسكويه، و ليس ابنا لمسكويه، أو سبطاً له.

و أما المعاصرون لمسكويه (٣٢٠ - ٤٢١) الذين سموه في كتبهم "مسكويه" فهم: أبو سليمان المنطقي (٣١٠ - ٣٩١ هـ) في صوان الحكمه: ص ٣٢١، و أبو حيان التوحيدى (٣٢٠ - ٤١٤ هـ) في الامتاع: ١: ٣٥، ١٣٦، ٢٢٧: ٣، و في الصداقه و الصديق: ٦٧-٦٨، و في مثالب الوزيرين: ١٨-١٩، و في المقابسات: ٢٥-٢٦، و أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) في تتمه اليتيمه ١: ٩٦، و أبو بكر الخوارزمي (... - ٣٨٢ هـ) في رسائله: ١٠٢. و أما بديع الزمان الهمداني (... - ٣٨٩ هـ) فنقل ضبطه ياقوت في معجم الأدباء حيث قال: "و للبديع الهمداني إلى أبي علي مسكويه" على أن هناك طبعه غير محققه من رسائل البديع (ص ١٠٠، ٣٢٣) ورد فيها اسم مسكويه بصوره خاطئه هكذا:

"أبو علي بن مشكويه" فلو كان ضبط البديع كمصدر لياقوت مخالفا لضبط ياقوت، أو ضبط أبي حيان، أو ضبط ابن منده، من الذين ذكرهم ياقوت في معجمه، لكان ياقوت ذكر الاختلاف.

و أما القدماء من غير معاصري مسكويه الذين سموه "مسكويه" أيضاً فهم:

الروذراورى (٤٣٧ - ٤٨٨ هـ) في مقدمته على الذيل (ص ٨)، و ابن أبي أصيبعه (٥٧٩ - ٦١٦ هـ) في عيون الأنباء (الطبعات الثلاث ص ٢٤٥، ص ٢٤٦، ص ٣٣١)، و ياقوت في معجم الأدباء (نشره مرجوليوت ج ٥: ص ٥، ٦، ١٠، ١١)، و الصفدى (٦٩٦ - ٧٦٤

ه) نقل كلام ياقوت بتمامه (انظر مرجوليوت في نشرته لياقوت ٥:٥ الحاشيه). وقد صرح ياقوت بان مسكويه لقب لأحمد حيث ذكره في عنوان كلامه بقوله:

"أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه" (برفع "الملقب") و الحق مع مرجوليوت حيث ضبط "الملقب" بالرفع نعتا لأحمد لا- ليعقوب، و ذلك لأن مرجوليوت شاهد بوضوح أن ياقوت نفسه يكرر ذكر مسكويه في خمس مواضع (ناقلا- عن معاصريه) بلفظ مسكويه، فلم يتردد في ضبط "الملقب" بالرفع إذا كان الضبط منه و ليس من مخطوطه معجم الأدباء، و نحن نعتبر ابن منده أيضا من الذين ذكروا مسكويه، "مسكويه" حيث نرى ياقوت ينقل عنه بنفس الضبط.

و من هؤلاء القدماء القفطي (٥٦٤ - ٦٤٦هـ) في تاريخ الحكماء (ص ٣٣١) و نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢هـ) في أخلاق ناصري (باللغه الفارسيه ص ٣٥، ٣٦)، و حاجي خليفه (المتوفى ١٠٦٧هـ) في كشف الظنون، و السخاوي (القرن التاسع) في التويخ (ص ٣٩).

و أما في الموسوعات و دوائر المعارف، فهو مسكويه أيضا في: دائره المعارف الإسلاميه (الطبعه الجديده، الإنجليزيه و الفرنسيه) انسحابا من الموقف في الطبعه القديمه، ففي تلك الطبعه ورد "ابن مسكويه" كما في الطبعه العربيه و الطبعه الفارسيه (دانشنامه إيران و إسلام)، و هو مسكويه أيضا عند دهخدا في لغت نامه، و كذلك في دائره المعارف للبستاني، كما صرح في أعيان الشيعة بقوله:

"مسكويه لقب أحمد نفسه كما صرح به جماعه...".

أما الدراسات المستقله التي نشرت عن مسكويه، فهو في كلها مسكويه كما رأيت من عناوينها التي سبق أن ذكرناها.

و من بين المستشرقين فان مرجوليوت أيضا صرح بقوله: "إن مسكويه لقب له بالذات لا لأبيه و هذا يظهر بجلاء كثير من كلام معاصريه.. (انظر TheEcl.,preface,ii) و كذلك برجشتر أيسر الذي أورد مواضع جاء فيها "مسكويه" بدون "ابن" (انظر: ZDMG, 65, P. ٦٧٤)، كما أخبرنا الدكتور عزت عن مخطوطات رسائل مسكويه (مجموعه راغب باشا) جاء فيها ضبط "مسكويه" بالصوره الصحيحه.

أما ما ورد في مخطوطه كتاب تاريخ الحكماء لليهقي (انظر عزت: ١٤٦) أو في مخطوطه نزهه الأرواح للشهرزوري حيث جاء "ابن مسكويه" فهو اقتضا محرف خاطئ من صوان الحكمة لأبي سليمان، و نحن عرفنا ضبط أبي سليمان سواء في ما نقله عنه ياقوت، أو في الصوان نفسه في نشره بدوي (ص ٣٢١، ٣٤٦). فهاتان المخطوطتان لا- يمكن الاعتماد عليهما، و لعل أخطاء المتأخرين في ضبط اسم مسكويه إنما نشأ عنهما.

و إما ما جاء في مخطوطه ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ) الذي كتبه بخط يده (المتحف البريطاني، الإضافات، رقم ٢٥٧٣٥، ورقه ١٠ ب) و الذي اعتمد عليه بروكلمن (GAL، الملحق ١: ٥٨٢ رقم ١) و قال "من المحتمل أن يكون مسكويه - و أصله مشكويه - لقب جده" كما فعل أيمدروز (Note on the Hist. P. XVI) فمردود ما دام مسكويه و معاصروه الكبار يشهدون بخلافه.

مسكويه (ابن محمد بن يعقوب) أى اللقب له، لا لأبيه، أو لجدّه، أو لجد جده!.

مسكويه: مشكويه

إن الأصل الفارسي لمسكويه هو "مشكويه" كما جاء فى بعض طبعات رسائل الهمذاني، و عند دولت شاه السمرقندى (القرن التاسع الهجرى) فى تذكره الشعراء، (ص ٢٤) و عند يوستى فى الأسماء الإيرانية (بالألمانية، ص ٢١٨)، و عند بروكلمن (الملحق ١: ٥٨٢ الحاشية) و عند جب (Gibb) فى دائره المعارف الإسلاميه، و كذلك عند ليف من الكتاب الايرانيين منهم سعيد نفيسى فى ترجمته لابن سينا (ص ١٣١)، و الدكتور دانش بجوه على ظهر نشرته لجاويدان خرد.

أما فى تاريخ كمبردج فالشكل الفارسي للاسم بالسین: مسكويه: Muskuya (انظر -CambHist.ofIran,vol.٤,P.٤٢٩-٣٠٥). و هذا غريب. لأن النطق الفارسي للكلمه منذ عصر مسكويه، أو أسبق من ذلك، لا يعترف بوجود حرف السین فيها، مهما يكن من أمر أصلها فى اللغات الهند و إيرانيه القديمه.

فالسین هذه علامه وجود شكلين لتعريب هذا الاسم: مسكويه، مسكويه.

و الأول أوفق للنطق العربى، و الثانى أقرب إلى الشكل الفارسي: مشكويه.

إن كلمه مشكويه تركبت من جزءين: مشك + أويه (moshk+uyeh) أما الجزء الأول فهو فى الفارسيه بضم الميم و كسرهما، و أصله فى السنسكريتيه muska (مصغر: Mus بالفارسيه موش: الفأره)، و فى اليونانيه Moskos، و فى اللاتينيه Muskus، و معنى الكلمه: ماده العطره المعروفه المأخوذه من غزال المسك، و لا حاجه إلى القول أنه عرب إلى "مسك" قال الجوهري: المسك من الطيب فارسي معرب. قال: و كانت العرب تسميه "المشوم". أما الجزء الثانى (أويه) فهو لاحقه تلحق بالكلمات لبيان الاتصاف، أو النسبه أو التصغير، أو الاستعطاف. و أما إذا قلنا "مشك" (Mashk) بفتح الميم، فمعناه جلد الغنم مدبوغا و غير مدبوغ، أو الوعاء الذى يصنع منه و يجعل السقاء فيه الماء. و تعريبه "مسك" بالسین المهمله و بنفس المعنى (انظر اللسان، نفس ماده). و هذا الشكل بمعناه ربما يهيم الذين ضبطوا "مسكويه" بفتح الميم، كما نجده عند مرجوليوث فى نشرته لمعجم ياقوت (٥: ٥-١٧) مع العلم بأنه ذكره بالكسر فى مقدمته لترجمه تجارب الأمم.

أوصافه و ألقابه الأخرى

لقد وصفه المترجمون له من القدماء و المتأخرين بقولهم: الحكيم، المتكلم، الفيلسوف، الأخلاقى، المؤرخ، الرياضى، المهندس، اللغوى، الأديب، الشاعر، الكاتب، الذكى، الناقد، النافذ الفهم، الكثير الاطلاع على كتب الأقدمين و لغاتهم المتروكه. كما كان من ألقابه، علاوه على لقب مسكويه:

الخازن، و النديم، كما لقب بالمعلم الثالث، مع أن اللقب كان قد ترشح له ابن سينا أيضا. و يقال إن مسكويه لقب بالمعلم الثالث لدوره الفذ الذى لعبه فى إعاده بناء الفلسفه اليونانيه فى فرعها العملى، أى فى فلسفه الأخلاق، و جمع أشتاتها و تمحيصها و ترخيص أركانها، بصوره لم يزد عليها أى مصنف صنف فى فلسفه الأخلاق حتى زماننا هذا. أضف إلى ذلك أن أبرز كتاب فى

الأخلاق، ظهر في اللغة الفارسيه، هو كتاب: أخلاق ناصري، الذى ليس إلا ترجمه لكتاب مسكويه: تهذيب الأخلاق، نقله إلى الفارسيه نصير الدين الطوسى نقلا- يكاد يكون حرفيا، و هو معجب بمسكويه و كتابه إعجابا كبيرا، يعرب عنه بأبياته المعروفه التى نظمها فى زمن سابق لترجمته، و أولها: "بنفسى كتاب حاز كل فضيله..." (انظر أخلاق ناصري: ٣٦).

إن هذه الألقاب و النعوت التى لقب بها مسكويه و نعت، لهى دليل على تعدد أبعاد شخصيته و سعه آفاقه فى العلم و الحكمه، تعززه أدله أخرى تتمثل فى تلك الآثار الكثيره القيمه التى تركها لنا، و التى نوردها و نعرفها هنا باختصار:

آثاره فى حقول المعرفه

١ - ترتيب السعادات و منازل العلوم (- الترتيب، ترتيب السعادات. انظر التهذيب: زريق: ١٥، ٤٩، ٩١، ١٢٤، - السعاده، طبعه الطبوجى، - ترتيب العادات. انظر أعيان الشيعه. و الكتاب شرح لمراتب السعاده الثلاث، و تحديد دقيق لمراتب العلوم حسب مدرسه أرسطو، و قيمتها فى الرقى بالإنسان نحو السعاده و الكمال الإنسى (التهذيب: ١٥).

٢ - الفوز الأصغر (- الفوز الصغير. انظر الصوان، بدوى: ٣٤٧، و القفطى: ٣٣٢) و قد يسمى الكتاب باسم آخر هو: كتاب الجواب عن المسائل الثلاث. اختصر إقبال اللاهورى نظام مسكويه الفلسفى من خلال [خلال] الفوز الأصغر، و قال: "إنى أطرح الفلسفه الأولى لمسكويه التى لا شك أنها أكثر انتظاما من فلسفه الفارابى، كما أستبدل الفلسفه الأفلاطونيه الحديثه لابن سينا، بالخدمه الأصيله التى أداها مسكويه تجاه فلسفه بلاده." (انظر: سير فلسفه در إيران: ٣٣).

٣ - الهوامل و الشوامل - و قد استعار أبو حيان التوحيدى كلمه الهوامل لأسئلته المبعثره التى تنتظر الجواب (١٧٥ مسأله) و استعمل مسكويه كلمه الشوامل فى الإجابات التى أجابه بها، فضبط بها هوامل أبى حيان التى كانت كالإبل المسيه، لأن الشوامل هى الحيوانات التى تضبط الإبل الهوامل فتجمعها (انظر أمين، المقدمه ص "ج").

٤ - تهذيب الأخلاق (- كتاب الطهاره، كتاب طهاره النفس، طهاره الأعراق. انظر نشره زريق: ٩١، ١٠٤) أما تهذيب الأخلاق اسم أطلقه مسكويه أيضا فى كتابه الآخر جاويدان خرد (انظر نشره دانس بجوه: ٢٤).

و قد اتخذ اسم الكتاب أشكالا مختلفه فى مخطوطات الكتاب. نقله نصير الدين الطوسى إلى الفارسيه و سماه: أخلاق ناصري، كما قال فيه و فى مؤلفه أبياته الأربعة المعروفه، إعجابا بهما. و نقله أبو طالب الزنجانى إلى الفارسيه أيضا، كما نقله زريق إلى الإنجليزيه (بيروت ١٩٦٨ م) و أركون (M.Arkoun) إلى الفرنسيه (دمشق، المعهد الفرنسى ١٩٦٩ م). و الكتاب يتالف من ست مقالات هى: الأولى فى مبادئ الأخلاق، و الثانيه فى الخلق و تهذيبه و الكمال الإنسانى و سبيله، و الثالثه فى الخير و أقسامه، و السعاده و مراتبها، و الرابعه فى العدالة، و الخامسه فى المحبه و الصداقه، و السادسه فى صحه النفس و حفظها.

٥ - الفوز الأكبر (- الكبير) ليس للكتاب أثر فى فهرس الكتب المطبوعه.

بيد أن هناك رأيا قائلا بكون الفوز الأكبر و تهذيب الأخلاق كتابا واحدا، على أن أبى سليمان أورد العنوانين لكتابين مختلفين (انظر الصوان: ٣٤٧).

الشبه القريب بين "فوز" و "نور" قد أدى إلى تصحيف جعل صاحب ريحانه الأدب (٢٠٨:٨) يعدهما عنوانين لكتابين مختلفين و هما كتاب واحد. كما أن موضوع الكتاب يظهر من عنوانه بجلاء.

٧ - رسائل فلسفيه، محفوظه في مجموعه راغب باشا تحت رقم ١٤٦٣.

و هذه الرسائل مختصره تبلغ صفحاتها ٣٢ صفحه و تتراوح بين صفحه واحده و ١٦ صفحه و عناوينها هي: أ. رساله في اللذات و الآلام، ب. رساله في الطبيعه، ج. رساله في جوهر النفس و البحث عنها، د. رساله في العقل و المعقول، هـ.

رساله في النفس و العقل، و. رساله في إثبات الصور الروحانيه التي لا هيولى لها، ز. ما الفصل بين الدهر و الزمان.

٨ - رساله في ماهيه العدل. العنوان الكامل لها كما جاء في مستهل المخطوطه الموجوده في مشهد (١:٤٣، ١٣٧/٤٤) هو: رساله الشيخ أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه إلى علي بن محمد أبي حيان الصوفى، في ماهيه العدل و بيان أقسامه.

٩ - جاويدان خرد. قال مسكويه عنه: "...فهذه جمل نحكمها قبل تفصيلها بالجزئيات، و لو لا أنا قد أحكمنا لك الأصول كلها في كتابنا الموسوم بتهذيب الأخلاق، لأوجبنا لك إيرادها هاهنا، و لكن هذا كتاب غرضنا فيه إيراد جزئيات الآداب بمواعظ الحكماء من كل أمه و نحلته، و تبعنا فيه صاحب كتاب جاويدان خرد [أحد ملوك الفرس الأقدمين] كما وعدنا به في أوله، و لأذن موضوع الكتاب الأول كتاب فارسي، و جب أن نبدأ بآداب الفرس و مواعظهم، ثم نتبعها بآداب الأمم الآخرين." فاذن، القسم الأول للكتاب بنى علي جاويدان خرد من تأليف قدامى الفرس، و القسم الثاني هو آداب الأمم الأخرى، بدأها بآداب الفرس المتأخرين (إلى ما قبل الإسلام). و أما آداب الأمم الأخرى فهي: آداب الهند، آداب العرب، آداب الروم (منها لغزقابس)، حكم الإسلاميين. (لقد أسهنا الكلام عن هذا الكتاب و آثار مسكويه الأخرى في دراستنا المستقله عن مسكويه).

١٠ - آداب الدنيا و الدين. ذكره في أعيان الشيعة (٣:١٥٨) و صاحب الذريعه (١:٣٨٧) بفارق أن الأخير ضبطه "أدب الدنيا و الدين" و مصدرهما صاحب الروضات الذي نقل بدوره عن النراقي في الخزائن. كل ما نقله الخوانسارى بشأن هذا الكتاب هو ما أورده في حاشيه الروضات (١:٢٥٥) و هذا نصه: "و قال المحقق النراقي في كتابه الخزائن: قال (ابن) مسكويه في كتاب آداب الدنيا و الدين: الفرق بين السرف و التبذير، أن السرف هو الجهل بمقادير الحقوق، و التبذير هو الجهل بمواقع الحقوق. انتهى" ثم قال صاحب الروضات: "و ظنى أن الغالب على كتابه هذا الذى لم نذكره فى المتن، متون اللغه، و أصول المعرفه مع شىء من مراسم الشريعه و أحاديث العلم و الحكمه، فيلاحظ إن شاء الله منه ره".

١١ - أنس الفريد. هذا هو عنوانه عند أبي سليمان فى الصوان: ٢٤٧، و ياقوت (٥:١٠) و القفطى (٣٣١) و الشهرزورى (انظر عزت: ١٤٤)، و عنوانه: نديم الفريد، عند كل من الخوانسارى (١:٢٥٥) و الأمين (١:١٤٦). قال ياقوت: "و له كتاب أنس الفريد و هو مجموع يتضمن أخبارا و أشعارا و أمثالا- غير مبوب". و قال القفطى: "فمن تصانيفه كتاب أنس الفريد و هو أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار و الفوائد اللطاف". قال آدم متر (١:٤٦٨)، و ذلك بعد أن تحدث عن تطور القصص المسليه و الأسمار الأجنبيه الظاهره فى فن القصه منذ القرن الثالث، قال: "و أخيرا جاء دور مسكويه، و كان أكبر مؤرخى القرن الرابع، فألف كتاب أنس الفريد و هو أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار و الفوائد اللطاف. و هذه القصص الجديده، هى من

نوع يغاير كل المغايره القصص القديمه التي ألفها ابن قتيبه و صاحب العقد، ففيها نجد لأول مره تمام الأسلوب القصصى الإسلامى، أعنى طريقه القصص التي ليست عربيه خالصه".

١٢ - الخواطر (- أنس الخواطر؟). ذكره أبو سليمان فى الصوان باسم الخواطر و نقل منه قطعه تدل على أن الكتاب فى النفس، و أنها جوهر بجبهه و عرض بجبهه، و ما إلى ذلك.

١٣ - حقائق النفوس. هكذا ورد فى أعيان الشيعة و تبعاً له فى ریحانه الأبد (٢٠٨:٨) و هو مجال آخر لدراسات مسكويه النفسیه.

١٤ - كتاب السياسه للملك أعيان الشيعة و الخوانسارى ذكره مسكويه فى التهذيب. ذكر السيد حسن الصدر فى كتابه التأسيس (ص ٣٨٤) كتاباً لمسكويه بعنوان: كتاب السياسه السلطانيه. و نحن نظن أنه ليس غير كتاب السياسه للملك.

١٥ - المستوفى فى الشعر. ذكر هذا الكتاب بنفس العنوان عند كل من أبى سليمان (ص ٢٤٧) و ياقوت (٥:١٠). و ذكره الشهرزورى (ص ٧٦، عزت: ١٤٤)، و أعيان الشيعة (٣:١٥٨). و لكن الخوانسارى ذكره بوصفه لا بعنوانه. فقال عند إحصاء آثار مسكويه ".. كتاب فى مختار الأشعار" فأصبح ذلك عنواناً للكتاب عند صاحب الریحانه (٢٠٨:٨). ذكره أبو سليمان قائلاً: "المستوفى فى الشعر المشتمل على حل المختار منه".

١٦ - الرساله المسعده. ذكره مسكويه فى التهذيب بنفس العنوان كما ذكره أبو سليمان (ص ٢٤) بعنوان "رساله المسعده" دون أى شرح له، و لكن عنوان الرساله ينطق بكونها دراسه فى مسأله السعاده، لا سيما بالنظر إلى ما نعرفه عند مسكويه من الاهتمام بموضوع السعاده.

١٧ - فوز النجاه. ذكر الكتاب عند بعض من درس مسكويه هامشياً بعنوان: فوز النجاه فى الاختلاف (- الأخلاق). يمكن أن يكون عنواناً ثانياً لكتابه الآخر المسمى فوز السعاده، و لكننا لا نستبعد أن يكون عنواناً لكتاب على حده، بالنظر إلى كثره ما كتبه مسكويه خصيصاً فى علم النفس و الأخلاق.

١٨ - كتاب السير. ذكره ياقوت (٥:١٠) كما عرفه باختصار قائلاً:

"... و كتاب السير، جاده، ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه.

مزجه بالأثر، و الآيه، و الحكمه، و الشعر". هذا كل ما أورده ياقوت و نقل عنه أعيان الشيعة بتمامه.

٢٠ - كتاب فى تركيب الباجات من الأطمعه (كتاب الطيخ. انظر ابن أبى أصيبعه ص ٢٤). قال القفطى (ص ٣٣٢) و ذلك عند إحصائه لكتب مسكويه الطيبه: "و كتاب فى تركيب الباجات من الأطمعه، أحكمه غايه الأحكام، و أتى فيه من أصول علم الطيخ و فروعه و كل غريب حسن".

٢١ - كتاب الأشربه. ذكره ابن أبى أصيبعه (ص ٢٤٥) بنفس العنوان، كما ذكره فى أعيان الشيعة بقوله: "كتاب الأشربه و ما يتعلق بها من الأحكام الطيبه".

٢٢ - كتاب فى الأدوية المفردة هذا الكتاب تفرد بذكر اسمه القفطى (ص ٣٣٢) فلم يذكره غيره من المترجمين لمسكويه، من أمثال ابن أبى أصيبعه الذى ذكر بعض آثاره فى الطب و العلاج.

٢٣ - مختصر النبض. كتاب فى الطب كتب لعضد الدوله البويهى، و هو متنازع فيه بين ابن سينا و بين أبى على مسكويه، أو أبى على مندويه، أما انتساب الكتاب إلى ابن سينا فمردود، لأنه كان طفلا عمره سنتان عند ما مات عضد الدوله، و لذلك ذهب فيلسوف الدوله صاحب كتاب مطرح الأنظار إلى أن الكتاب لأبى على مسكويه أو لأبى على مندويه (انظر الكود، تاريخ بزشكى إيران ص ٢٨٠).

٢٤ - تفصيل النشأتين و تحصيل السعادتين. قال فى الذريعة: "ذكر هذا العنوان صاحب الريحانه و لم نجده عند غيره. قال صاحب الريحانه (عند ذكره لآثار مسكويه): تفصيل النشأتين و تحصيل السعادتين فى الأخلاق، و للراغب الاصفهانى أيضا كتاب فى معرفه النفس بهذا العنوان".

٢٥ - أحوال الحكماء و صفات الأنبياء السلف. هكذا ورد العنوان عند الخوانسارى (١: ٢٥٦)، و هو فى أعيان الشيعة: "أحوال الحكماء السلف و صفات بعض الأنبياء السالفين".

٢٦ - المختصر فى صناعه العدد. إن أبا سليمان المنطقى (ص ٢٤٧) و بعده الشهرزورى (عزت: ١٤١) يشيران إلى أن له مصنفات "فى جميع الرياضيات... و الحساب و... مما هو متداول فى الأيدى يقرأ عليه فى أيام مجالسه". دون ذكر لعنوان واحد من عناوين آثاره الرياضيه. بيد أن مسكويه نفسه ذكر فى التهذيب اسم أحدها و هو: المختصر فى صناعه العدد.

٢٧ - فقر أهل الكتب. ذكره الشهرزورى (ص ٧٦، انظر عزت: ١٤١)، و هو كتاب قد يكون طريفا كما نبه عليه عزت. لأن مسكويه ربما يعرض فيه نتائج تجربته الخاصه مع هذه الفئه التى احتكك بها، و التى ينتمى إليها بحكم كونه خازنا لمكتبات الأمراء و الوزراء البويهيين.

٢٨ - رساله فى دفع الغم من الموت. هكذا ورد عند سزكين (٣، ٣٣٦) حققها لويس شيخو و نشرها تحت عنوان رساله فى الخوف من الموت (عام ١٩١١ م)، و نسبها خطأ إلى ابن سينا و هى من مسكويه (انظر أخلاق ناصرى، نشره مينوى ص ٦٠٦) و نسبت مره أخرى إلى ابن سينا عند ما نشرت ضمن رسائل ابن سينا فى الحكمه المشرقيه (ليدن انظر محقق ص ٢٠٩، ٤٣٠)، كما نقلها إلى الفارسيه البرقى القمى فى ٧٣ صفحه تحت عنوان: چرا از مرگ بترسم؟ لما ذا أخاف من الموت؟ (قم، ط ٢، ١٣٢٧ ش - انظر مشار). ٢٩ - تعاليق على الكتب المنطقيه. ذكرها أبو سليمان المنطقى (ص ٢٤٧) بقوله: تعاليق حواشى الكتب

المنطقيه. كما ذكرها الشهرزورى و الخوانسارى و أعيان الشيعة بتغيير طفيف فى الاسم.

٣٠ - وصيه له. أوردها أبو سليمان فى الصوان (ص ٢٤٧-٣٥٢) و مسكويه نفسه فى جاويدان خرد (نشره بدوى ص ٢٨٥-٢٩٢) أولها: "يا طالب الحكمة طهر لها قلبك... " و ختامها: "بلا حاجه إلى تفكير و تمييز و تطلب. " كما أورد أبو سليمان فصلا آخر من كلام مسكويه بعد إيراده الوصيه.

٣١ - وصيه أبى على مسكويه (عهده مع نفسه). أوردها ياقوت (١٧:٥-١٩) و نقل عنه أعيان الشيعة أولها: "هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد و هو يومئذ آمن فى سربه... " و ختامه: "و صرف جميع البال إليه".

٣٢ - مراسله بينه و بين بديع الزمان الهمداني. للبديع رساله اعتذار إلى مسكويه، أجاب عليها مسكويه. تجد الرساله و الجواب عند ياقوت (١١:٥-١٧).

٣٣ - شعر مسكويه. نقل الثعالبي (التمه: ٩٦-١٠٠) و نقل عنه ياقوت (٧:٥-١٧) نماذج من شعره. و أثنى عليه الثعالبي بقوله: "و كان فى الذروه العليا من الفضل و الأدب و البلاغه و الشعر".

٣٤ - نزهت نامه علائى. ذكره فى أعيان الشيعة و صاحب الريحانه (٨:٢٠٨) و نسباه إلى مسكويه. كما ذكره صاحب الذريعه (٢٤:١٣٠) و نسبه إلى شه مردان بن أبى الخير الرازى قائلا: "و قد نسبه إسماعيل باشا (هديه ١:٧٣) خطأ إلى "ابن مسكويه و عنه أخذ فى أعيان الشيعة و كذلك أخطانا نحن فى النابس. فاذن الكتاب ليس لمسكويه.

٣٥ - تجارب الأمم. هذا الكتاب من كتب مسكويه. كتاب جليل من التاريخ، و مصدر لا يستغنى عنه فى الدراسات التاريخيه، لم ينشر حتى الآن - مع الأسف - لا- عندنا فى إيران، و لا فى غيرها من البلدان الإسلاميه أو البلدان الأخرى، إلا بعض أجزاءه، فأخذنا على عاتقنا تحقيق نصه و نشره بكامل أجزاءه، كما عزمنا على ترجمته إلى اللغه الفارسيه، حتى لا يبقى مواطنونا الذين هم مواطنو مسكويه أيضا، محرومين من قراءته، و التمتع بما يتضمنه هذا الأثر العظيم، من الفوائد فى دراسه الماضى، و الاعتبار به.

و لتجارب الأمم - كمصدر كبير لدراسه التاريخ - أهميه بالغه، كما له من حيث عرضه و نشره و الاهتمام به، مصير ملتو غريب، نحاول أن نتناوله هنا بقدر ما يتيح لنا المجال فنقول:

التاريخ كما يراه مسكويه

الإنسان من التاريخ، كأنه تجارب له، باشرها بنفسه، فأصبح خبيراً بالأمر التي لم يجربها فعلاً في حياته، حتى إنه يعرفها بعد ذلك قبل وقوعها، فيستقبلها استقبال الخبير، فيفعل في علاجها الأنسب والأجدي، فيحل مشاكله، وينجح في مشاريعه نجاح الخبير الواعي.

بيد أن مسكويه لاحظ أن تلك الأخبار التاريخية الحقه مغموره بالأسمار، متبدده في الخرافات والأساطير التي ليست لها فائده إلا استجلاب النوم بها، والتأنس بالمستطرف منها. فأخذها بالنقد واستخراج ذات القيمة منها، وضرب صفحا عما لم يجد فيها قيمه تاريخيه تجريبية وتركها وهو يرى أن للأحداث التاريخية الحقه أيضاً أنس السمر الذي يوجد في الخرافات والأساطير. إن مسكويه لم يثق بروايات ما قبل الطوفان، لفقدانها القيمة التاريخيه التي ينشدها هو، كما لم يجد في المعجزات تجربته إنسيه يستطيع الجميع أن يمارسوا مثلها، أو يعتبروا بها، وهذا لا يعنى أنه ترك ما كان للأنبياء من تدابيرهم البشريه التي ليست مقرونه بالاعجاز، لأن هذا النمط من أخبارهم وارد في صميم ما اهتم به مسكويه في كتابه التاريخ.

مع العلم بان لمسكويه كتابا في صفات الأنبياء السالفين تحت عنوان: أحوال الحكماء و صفات الأنبياء السالفين (انظر التصدير: الآثار). وهذا رد على المستشرق كزادى فو (I; 106) في ما اتهمه به من أنه لم يحترم السنه. وأخيراً، عمد مسكويه إلى أحداث تجرى على البخت والاتفاق، مما هو خارج عن نطاق تدبير الإنسان وقدرته، حتى تكون في حسابانه، ولا تسقط من ديوان الحوادث عنده، وما ينتظر وقوع مثله، وإن لم يستطع تحرزا من مكروهه.

إنه لن ينسى ما ضمنه في مقدمه الكتاب، بل نراه يؤكد هنا وهناك، وبمناسبات شتى، على أغراضه ويصر على المضى في النهج الذي نهجه لنفسه في عمله. فحينما نراه يبرر تركه ذكر بعض الأشياء بقوله: "لخروجها عما بنينا عليه غرض هذا الكتاب (١,٢٦٤) و حينما يؤكد على هذا الغرض حتى في عنوان حدث أراد ذكره، ففي عنوان الحديث عن الشورى يقول: "ذكر ما يجب ذكره من حديث الشورى وما يليق منه بهذا الكتاب". وكذلك وبعد أن ينقل الحوار الذي جرى بين الامام على بن أبى طالب والزبير: الحوار الذي أثر في الزبير حتى أقسم أن لا يحارب علياً - لولا وسوسه ابنه له واقتراحه التكفير عن اليمين بعق غلام له، يقال له: مكحول - وبعد إيراد هذا الحدث [الحديث] نراه يقول: "وإنما حكينا هذه الحكايه لأن فيها تجربه تستفاد، وإن ذهب على قوم فانا ننبه عليه، وذلك أن المحقق ربما سكن بالكلام الصحيح، والسكان ربما أحق بالزور من الكلام، وذلك بحسب تأتى من يريد ذلك، وإتيانه من وجهه". (١,٥٥٠) ولا يهمه في ذلك شخصيه القائل أو الفاعل، ولا ينظر إلى من قال أو فعل، بل يهمه مغزى ما قال أو فعل، من حيث تلاؤمه وأغراضه في كتابه تجارب الأمم. فنراه يستحسن موقفا من مواقف الضحاك الشهير بالسفك والقتل والظلم، وينقل كلاما منه حيث قال في الاجابه على أمه البذيئه: "فلما هممت بالسطوه بهم (أى: بكابى الأصبهاني وأصحابه عند ما زاروه للتأتى له واستعطافه - (١٥١,١٤) وقف الحق بينى وبينهم كالجبل، فحال بينى وبين ما أردت". ثم يعلق مسكويه على هذا الكلام بقوله: "فهذا ما استحسن من فعل الضحاك وقوله ولا يعرف له شىء مستحسن غيره". إن هذا الالتزام الواعى الذى يبيده مسكويه تجاه منهجه، هو ما لا نراه عند كثير من المصنفين. فمسكويه، كما قال روزنتال (١٩٦، ١٩٧) يمثل مستوى عاليا في الكتابه التاريخيه، فهو قلما يهتم بالأمر التافهه، بل يدرك كل ما له قيمه تاريخيه جوهريه ويعرض الأحداث الهامه بشكل معقول متماسك.

إن المؤرخين المسلمين - ومعظمهم ممن تأخر عن مسكويه وربما تأثر به بالذات - نظروا إلى التاريخ من حيث هو درس و

عظه و عبره، و لكن مسكويه، السابق في هذا المضممار، هو المؤرخ الوحيد الذي نهج منهج الاستدلال الفلسفي مع ما كان له من نظره أخلاقيه عمليه برغماتيه (pragmatic) إلى حوادث التاريخ (زرياب: ١١٨ - بتصرف). إنك لا تجد بين المؤرخين المسلمين مؤرخا عمد إلى التاريخ عن وعى و جد، نشدانا للفوائد التي تنطوي عليها أحداثه، بالمستوى الذي عمد إليه مسكويه. إنه حكيم أخلاقي، و مصنف كتاب حكيم باسم تجارب الأمم. كما هو رائد في الكتابه العلميه للتاريخ، و أول من شق الطريق إلى فلسفه التاريخ، ليكون أسوه حسنه فيما بعد، لأمثال رشيد الدين فضل الله (٦٤٥ - ٧١٨ هـ) في جامع التواريخ، و ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٦ هـ) في مقدمته، ثم الكافيجي (القرن التاسع) في كتابه: المختصر في علم التاريخ، و السخاوي (٨٣٠ - ٩٢٠ هـ) في كتابه: الإعلان بالتوييخ لمن ذم أهل التاريخ (زرين كوب: ٧١، ٧٤ - بتصرف). و هناك ميزه أخرى أشار إليها كيتاني في مقدمته حيث قال: إن الأثر الذي بقى لنا من مسكويه، بنى على أساس منهج قريب جدا من المبادئ المتبعه عند مؤرخي العالم الغربي و المؤرخين المتأخرين، و مسكويه خلافا لسلفه الشهير الطبري الذي استهدف - أساسا - جمع المواد التاريخيه، و عرضها على ترتيب تاريخي لائق، عزم على أن يصنف تاريخه كبناء عضوي يكون الفكر الأساسي المحدد عنصرا بناء في الكتاب بأسره، رابطا كل أجزاء التصنيف بعضها ببعض. يرى القارئ على صفحات هذا الكتاب عنصرا شخصيا لا يجده في المصنفات التاريخيه الأخرى المؤلفه في تلك الحقبه.

إن تجارب الأمم - و بصوره جليه - عمل فكري نتج عن ذهن استدلالى بناء، يسوده انطباع سام من غرض المؤرخ و واجبه، و بهذا، يبدى مسكويه فضلا كبيرا على من سبقه أو عاصره من المؤرخين الذين كتبوا آثارهم باللغه العربيه. إنه لا يرضيه مجرد جمع الماده التاريخيه و عرضها في ترتيب تاريخي، لأنه [يعتقد] أن أحداث الماضي تترايط في ما بينها بشبكه من المصالح الإنسيه. و في الحقيقه، فان التاريخ - كما يراه مسكويه - ليس غير هذا، كما يرى العاقل في روايه التاريخ ألحقه ينبوعا من العلم الثمين (كيتاني، المقدمه: XI-XII).

إن مسكويه لا يميل إلى أحد في كتابه التاريخ، و لا يحدد به عن المنهج القويم أى انتماء. "لقد كتب تاريخه - كما نبه عليه مرجوليوت أيضا - في حياذ تام، مع أنه عاش في خدمه الأمراء و الوزراء البويهيين، و كان من المتوقع أن يشيد بهم و يمدحهم، و لا يتعرض لنقدهم أبدا، في حين نراه لم يمل إليهم في كتابه التاريخ"، و لم يراع جانبهم في ما كتبه عنهم، بل يؤاخذهم على أشياء في سلوكهم و تدايرهم.

مصادر مسكويه في كتابه التاريخ

صرح مسكويه بأنه لما قرأ أخبار الأمم، و سير الملوك، و أخبار البلدان، و كتب التواريخ (انظر المقدمه: ص ١) وجد فيها ما تستفاد منه تجربه....

فى متناوله، بحيث لا يمكن عدها و حصرها إلا بعد المصرح منها فى الكتاب، و حصر غير المصرح منها بإرجاع نقول مسكويه إلى أصولها و أصحابها، و هذا بتطلب [يتطلب] دراسه مستقله قد تأخذ وقتا طويلا. فمصادر مسكويه حسب هذه العجالة هى:

١ - تاريخ الطبرى: عول مسكويه، أولا و قبل كل شىء. على الطبرى.

و ذلك بحذف كثير من مواد الطبرى، من مكرره و ما لم يدخل فى إطار منهج مسكويه فى كتابه تاريخه. فمسكويه يوازي الطبرى ابتداء من العصر الفيشداذيو ذكر أو شهنج بالذات، أو مما بعد الطوفان حسب تصريحه، إلى سنه ٢٩٥ هـ، مع العلم بان الطبرى استمر فى تاريخه حتى سنه ٣٠٢ هـ. و مسكويه ليس المؤرخ الوحيد الذى ينهل من مناهل الطبرى و يعول عليه فى تصنيفه. فمن هو الذى لم يعول على الطبرى؟ فها هو ابن الأثير يصرح فى مقدمته (ص ٣) قائلا:

"فابتدأت بالتأريخ الكبير الذى صنفه الامام أبو جعفر الطبرى، إذ هو المعول عند العامه عليه، و المرجوع عند الاختلاف إليه. فأخذت ما فيه من جميع تراجمه، لم أخل بترجمه واحده منها، و قد ذكر هو فى أكثر الحوادث روايات ذات عدد، فقصدت أتم الروايات، و أضفت إليها من غيرها م ليس منها... فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهوره (منها تجارب الأمم) فطالعتها، و أضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبرى ما ليس فيه..."

هذه هى الحاله عند جل المؤرخين منهم ابن خلدون أيضا (العبر ٤: ١١٤٠). إنهم وجدوا تاريخ الطبرى ينبوعا ثرا يتدفق منه ذلك الحجم الهائل من المواد التاريخيه، و الروايات المختلفه الكثيره، التى أوردها فيه، دون نقد، أو تعديل، أو تعليق، واعيا عامدا ما يفعله، كما صرح به فى مقدمته.

و لكن المؤرخين صاغوا ما أخذوه من الطبرى فى قوالب ارتضوها لتصانيفهم، كل على شاكلته. و من هؤلاء مسكويه، الذى أخذ بدوره عن الطبرى أخذ نقد و اختيار و تعديل و تمحيص و حذف و إضافه من مصادر أخرى، وفقا لأغراضه التى تحدث عنها فى مقدمه تجارب الأمم.

و الجدير بالذكر أن هناك مناسبه خاصه بين مسكويه و الطبرى يمتاز بها مسكويه من بين سائر المؤرخين، حيث يعتبر مسكويه تلميذا غير مباشر للطبرى فى استماع تاريخه عن صاحبه، و قراءه كتابه عليه، و الحصول على الإجازة منه. قال مسكويه بهذا الصدد (انظر التجارب ٢٤٣، ٦): "و فيها (أى فى سنه ٣٥٠ هـ) مات أبو بكر أحمد بن كامل القاضى، رحمه الله، و منه سمعت كتاب التاريخ لأبى جعفر الطبرى، و كان صاحب أبى جعفر، قد سمع منه شيئا كثيرا، و لكنى ما سمعت منه عن أبى جعفر غير هذا الكتاب، بعضه قراءه عليه، و بعضه إجازة لى، و كان ينزل فى شارع عبد الصمد، و لى معه اجتماع كثير".

٢ - نفائس المكتبات: لم يكتف مسكويه بالطبرى، حتى بالنسبه إلى القسم الذى قلنا إنه عول فيه عليه تعويلا- كليا (العصر الفيشداذى إلى سنه ٢٩٥)، بل أورد فى تاريخه نصوصا إيرانيه عديمه النظر لا نجد لها عند الطبرى و لا عند غيره من كبار المؤرخين من أمثال المسعودى و ابن الأثير و من إليهما، و نخص بالذكر عهد أردشير الذى يعتبر من أقدم النصوص الإيرانيه المدونه التى وصلت إلينا، و كذلك السيره الذاتيه لأنوشروان، خطبته المشحونه، اللتين نقلهما مسكويه عن كتاب كتبه أنوشروان نفسه فى سيرته.

من أين أتى مسكويه بهذه النصوص و غيرها مما تفرد بنقلها بين المؤرخين؟ إنه كان خازنا لمكتبات البويهيين من أمثال ابن العميد، وابن أبي الفتح، و عضد الدولة. لقد دامت صحبته أو خزانته سبع سنين لابن العميد فقط (٣٥٠،٦)، و كان لفهرس مكتبه ابن العميد ١٠٥٦ ورقه (- ٤٤ كراسه لكل منها ٢٤ ورقه - متر ٢٩٧:١) و لم يثبت في هذا الفهرس إلا- أسماء الكتب، و قد اجتمعت في تلك المكتبه كل أنواع العلوم و الحكم و لآداب [الآداب]، تحمل على مائه وقر [ورق] و زياده (انظر التجارب:

٢٨٦،٦). و عن مكتبه عضد الدولة حكى لنا المقدسى (الذى كان يختلف إليها، فلا جرم أنه زار مسكويه أيضا) حيث قال عند وصفه لدار عضد الدولهبشيراز و غرفها و عجائبها: "... و خزانه الكتب، عليها و كيل و خازن و مشرف من عدول البلد، و لم يبق كتاب صنف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا و حصله فيها، و هى أزج طويل، فى صفة كبيره، فيه خزائن من كل وجه، و قد ألصق إلى جميع حيطان الأزج و الخزائن بيوتا طولها قامه فى عرض ثلاثه أذرع من الخشب المزوق - عليها أبواب تنحدر من فوق، و الدفاتر منضده على الرفوف لكل نوع بيوت و فهرستات، فيها أسامى الكتب لا يدخلها إلا و جيه... " (المقدسى: ٤٤٩). فلا شك أن مسكويه استفاد من هذه المكتبات كثيرا من علمه و المواد التاريخيه التى أوردتها فى كتابه مما لا يوجد عند سائر المؤرخين سواء ما أضافه فى تاريخ ما قبل الإسلام مستمدا من مصادر إيرانيه قديمه موجوده فى تلك الخزانات، أو ما أضافه إلى تاريخ ما بعد الإسلام آخذا عن مصادر إسلاميه كانت فيها.

٣ - ثابت بن سنان: هناك فتره تاريخيه تبدأ من سنه ٢٩٥ إلى سنه ٣٤٠ هـ يعتمد مسكويه فيها على مصادر مستقله عن الطبرى، منها: تاريخ ثابت بن سنان (المتوفى سنه ٣٦٣ هـ) ابن ثابت بن قره الصابى الحرانى (٢٢١ - ٢٨٨ هـ) خال أبى إسحاق هلال بن محسن الصابى. كتب ثابت بن سنان تاريخه ابتداء من خلافه المقتدر (من سنه مائتين و نيف - القفطى) إلى سنه ٣٦٠ هـ. فكتب أبو إسحاق هلال بن محسن تتمه لتاريخ ثابت بن سنان وصلت إلى سنه ٤٤٧ (كلود كاهن، دانشنامه ایران و إسلام). و من دلائل كونه مصدرا لمسكويه ما جاء فى التجارب (٥،٣٧١) حيث قال: "... و حكى ثابت بن سنان فى كتابه أن... " فهذا تصريح من مسكويه أنه أخذ فى تاريخ هذه الفتره عن ثابت بن سنان أيضا.

تاريخ مسكويه وصل إلى سنة ٣٦٩هـ، فكيف يمكن أن يكون آخر الكتابين أمدا واحدا. و أما هلال الصابي لو صح نقل مسكويه عنه، فهو يصل بحدوث أوائل كتابه أى من سنة ٣٦٤ (ابتداء تاريخ هلال) إلى سنة ٣٦٩ أى انتهاء تجارب الأمم. بيد أن هذا أيضا، مرفوض. لأن مسكويه فى هذه الفترة، يكتب التاريخ عن مشاهدته و عيان، و يعتبر مصدرا لنفسه.

٤ - مسكويه مصدرا: مهما يكن من أمر الفترة السابقة، أى التى تنتهى إلى سنة ٣٤٠هـ، فان مسكويه بشهوده و عيانه تاره، و بسماعه من الأصدقاء و الزملاء الساسه المشايخ تاره أخرى، يعتبر مصدرا حيا لكتابه تاريخه. لقد صرح مسكويه بذلك فى بدايه ذكر الحوادث لتلك السنه حيث قال:

"أكثر ما أحكيه بعد هذه السنه (٣٤٠هـ) فهو مشاهدته و عيان، أو خبر محصل، يجرى عندى خبره مجرى ما عاينته، و ذلك أن مثل الأستاذ الرئيس أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد - رضى الله عنه - خبرنى عن هذه الواقعة و غيرها بما دبره، و ما اتفق له فيها، فلم يكن إخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به، و السكون إلى صدقه، و مثل أبى محمد المهلبى - رحمه الله - خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه، و ذلك بطول الصحبه و كثره المجالسه، و حدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما استفاد منه تجربته، و أنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه و ما شاهدته و تجربته بنفسى، فسأحكيه أيضا بمشيئه الله".

و هكذا يصل تاريخه إلى سنة ٣٦٩هـ مع أنه عاش حتى ٤٢١هـ أى لمدته نصف قرن، تاركا كتابه تاريخ تلك المده، و بالرغم من ذلك، فان تجارب الأمم عرف كمصدر أساس لا يستغنى عنه لدراسه القرن الرابع الهجرى و العصر البويهى الذى يعتبر ألمع العصور الإسلاميه علما و حضاره.

تجارب الأمم: اسمه

اسم الكتاب هو تجارب الأمم كما سماه مسكويه نفسه فى مقدمته حيث قال:

"فجمعت هذا الكتاب و سميته تجارب الأمم". و قد ذكره بضبط أمين كل من ياقوت ٥: ١٠، و ابن الأثير ٧: ١١٨، ٨: ٨٦، و كذلك الففطى: ٣٣١، و البيهقى: ١٨-١٩، و ابن خلكان ٢: ١٩، و ابن خلدون ٣: ٧٧٢، و الخوانسارى ١: ٢٥٥، و غيرهم. و لكنه ورد بزياده "عواقب الهمم" عند كل من أبى سليمان فى الصوان: ٣٤٧، و الروذراورى فى الذيل: ٥، و السخاوى نقلا عن عمر بن الفهد الهاشمى المكى فى إتحاف الورى (روزنتال: ٤٤١).

و الزيادة عند العاملى ١٠: ١٤٦ هى "تعاقب الهمم" و هى ضبطت عند كيتانى (Caetani) فى مقدمته Taaqib بكسر القاف و هو خطأ. و الزيادة هذه إنما نشأت عن أسلوب السجع فى عنوانه المصنفات، الأسلوب الذى طالما ساد أوساط الكتاب و النساخ طيله القرون ممن لم يرضوا بما سماه المصنفون تصانيفهم، فشفعوا أسماءها بما شاء لهم السجع و الصنعه المتكلفه، بالرغم من تصريح المؤلفين فى ضبط أسماء آثارهم. و لذلك نرى الشطر الثانى: "عواقب (أو: تعاقب) الهمم" موضوعا مختلقا، لأن مسكويه صاحب الكتاب، أثبت اسم كتابه فى مقدمته بقوله: "تجارب الأمم" لا أكثر و لا أقل، حيث قال: "فجمعت هذا الكتاب و سميته تجارب الأمم". و الغريب فى الأمر أن الناسخ الذى نسخ فيما نسخ، هذه المقدمه و تصريح المصنف باسم كتابه، نراه فى عبارات الختام و الفراغ، و قد أضاف على الاسم شطرا ثانيا تاره، و قدم الشطر الثانى على الشطر الأول تاره أخرى، أى كتب

مره: "تجارب الأمم و عواقب الهمم". و مره: "عواقب الهمم و تجارب الأمم"!.

تجزئه تجارب الأمم

إن التجزئه الكامله الوحيده التي وصلت إلينا من تجارب الأمم هي تجزئه مخطوطه أيا صوفيا و هي سته أجزاء. أما مخطوطه ملك (مط) فهي في مجلد واحد كبير، و ليس فيه تجزئه، اللهم إلا إشاره بسيطه في الهامش تدل على أن المخطوطه انتسخت عن نسخه كانت على ثلاثه أجزاء، دون أى إشاره إلى عبارات الافتتاح من البسمله و التحميد و غير ذلك. و هذا التثليث يبدو أيضا مما بقى من مخطوطه ملك الثانيه (مح)، أو مخطوطه آستان قدس (أ)، فهما أيضا كانتا في الأصل ثلاثه أجزاء.

أما تجزئه أيا صوفيا فهي تجزئه كميه، أى لم يعتبر فيها التقسيم التأليفى الذى يبنى عاده على المواضيع الرئيسه، أو الفترات التاريخيه المحدده خاصه في أثر تاريخى مثل تجارب الأمم. لذلك نقلنا ٤٣ صفحه من بدايه الجزء الثانى و أضفناها إلى نهايه الجزء الأول، أولا لإكمال الفصل الأخير من الجزء الأول، ثانيا من أجل إكمال عصر ما قبل الأموى، و سنراعى هذا المبدأ في الأجزاء الباقيه أيضا إذا اقتضى الحال.

و من ناحيه أخرى، قسمنا الجزء الأول إلى قسمين: قسم خاص بما قبل الإسلام و هو مفصل بدوره إلى فصول حسب عصور الأسر الحاكمه الإيرانيه مثل: الفيشدازيه، و الكيانيه، و الأشغانيه، و الساسانيه، و قسم آخر خاص بالعصر الراشدى، و فيه فصول حسب أيام الخلفاء.

أما العناوين الفرعيه التي كانت في أصل المخطوطه فلم نجدها كافيه لإرشاد القارئ إلى مواد الكتاب و مواضيعه، و لذلك اخترنا لها عناوين و أثبتناها بين المعقوفتين [] شأنها في ذلك شأن العناوين الرئيسه التي وضعناها للأقسام و الفصول.

مخطوطات تجارب الأمم

لم يصل إلينا من مخطوطات هذا الكتاب إلا القليل، لا سيما إذا كان المراد المخطوط الكامل المشتمل على كل أجزاءه. و هذه المخطوطات بغض النظر عن كمالها و نقصها هي:

الجزء الأول (أيا صوفيا، رقم ٣١١٦، ٢٩٦ ورقة: ٥٩١ صفحته). تاريخ النسخ: ربيع الأول سنة خمس و خمسمائه (٥٠٥). يشتمل هذا الجزء على الحوادث التاريخيه منذ العصر الفيشداذى الايرانى حتى سنه ٣٧ هجرية.

الجزء الثانى (أيا صوفيا، رقم ٣١١٧، ٢٩٧ ورقة: ٥٩٣ صفحته، طهران، المكتبه المركزيه، الميكروفيلم رقم ١٢٠ و الصوره رقم ٢٩٠). ويشتمل هذا الجزء على حوادث سنه ٣٨ إلى سنه ١٠٣ هجرية.

الجزء الثالث (أيا صوفيا، رقم ٣١١٨، ٢٩٧ ورقة: ٥٩٣ صفحته، طهران، المكتبه المركزيه، الميكروفيلم رقم ١٢١، و الصوره رقم ٢٤٤).

يتضمن هذا الجزء على حوادث سنه ١٠٤ إلى سنه ١٩١ هجرية.

الجزء الرابع (أيا صوفيا، رقم ٣١١٩، ٢٩٠ ورقة، ٥٨٠ صفحته، طهران، المكتبه المركزيه، الميكروفيلم رقم ١٢٢، و الصوره رقم ٢٩٣).

يشتمل هذا الجزء على حوادث سنه ١٩١ إلى سنه ٢٣٣ هجرية.

الجزء الخامس (أيا صوفيا، رقم ٣١٢٠، ٢٩٣ ورقة: ٥٨٥ صفحته) تاريخ الانتساخ: شهر محرم سنه ست و خمسمائه (٥٠٦). يشتمل هذا الجزء على حوادث سنه ٢٣٤ إلى ٣٢٦ هجرية.

الجزء السادس (أيا صوفيا، رقم ٣١٢١، ٢٦٠ ورقة: ٥٢٠ صفحته) تاريخ الانتساخ: منتصف شهر ربيع الأول سنه ست و خمسمائه (٥٠٦).

يشتمل هذا الجزء على حوادث سنه ٣٢٦ إلى سنه ٣٦٩ هجرية.

ما نشر من هذه المخطوطه: نشر كيتانى (L.Caetani) الجزء الأول، و الجزء الخامس، و الجزء السادس من المخطوطه (ليدن ١٩٠٩، ١٩١٣، ١٩١٧ م) عن مؤسسه جب (GibB) التذكارية، طبعه فتوغرافيه (Facsimile Edition). إنه قدم الجزئين الخامس و السادس على الأجزاء الأخرى (الثانى و الثالث و الرابع) نظرا لكونهما استمرارا لتاريخ الطبرى.

و كان مشروع المؤسسه يقضى بان يعود كيتانى و أعوانه إلى العمل لنشر الأجزاء الوسطى (٢، ٣، ٤) بعد الفراغ من الجزئين الأخيرين (كيتانى، مقدمه الجزء الخامس: XIV) و لكنهم لم يوفقوا فى إنجاز مشروعهم لأسباب قد تكون ظروف الحرب العالميه الأولى منها. فلم تنشر تلك الأجزاء و بقيت بعيده عن متناول الباحثين.

أما الملاحق التى أُلحقت بهذه الطبعه (طبعه كيتانى الفتوغرافيه) فهى فى الجزء الأول: مقدمه لكيتانى (٥ صفحات) و كلمه أيمدروز (Amedroz) عن حياه مسكويه (١٣ صفحته) و ملخص لمضمون الجزء الأول بقلم ملونى (G.Meloni) و فهرس أعلام لملونى أيضا، كما ألقى لى سترنج (G.IE strangE) نظره على الملخص و الفهرس قبل إرسالهما إلى المطبعه. و فى الجزء الخامس، مقدمه لكيتانى أيضا (٤ صفحات) مع ملخص و فهرس. أما الجزء السادس فليس معه غير مقدمه كتبها لى سترنج

(صفحتان).

أما ما نشره أيمدروز فهو الجزء الخامس و السادس من هذه المخطوطه (القاهره شركه التمدن ١٩١٤، ١٩١٥ م) بإسقاط ٥٦ صفحه من أول الجزء الخامس و ضم ٢٨ صفحه من الجزء السادس إلى الجزء الخامس، كما نشر معهما جزءا ثالثا يتالف من ذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب بظهير الدين الروذراورى (من سنه ٣٦٩ إلى سنه ٣٨٩ هجرية)، و جزءا رابعا يتشكل من الجزء الثامن من تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى الكاتب (من سنه ٣٨٩ إلى سنه ٣٩٣) و هذان الجزءان صدرتا فى مجلد واحد تحت عنوان ذيل تجارب الأمم (القاهره شركه التمدن ١٩١٦ م)، مع العلم بان أيمدروز لم يوفق فى إكمال تحقيق نص الذيل بسبب وفاته، فتابع عمله مرجوليوت، فحقق النصف الباقي منه (مرجليوت، المقدمه:). فكل ما نشره أيمدروز هو مجلدان (٥، ٦) من تجارب الأمم، و مجلد ثالث عرف بذيل تجارب الأمم (- ذيل الروذراورى + الجزء الثامن من تاريخ هلال الصابى).

و الأجزاء الثلاثه هذه (نشره أيمدروز) نشرت بترجمه إنجليزيه ترجمها مرجوليوت بمقدمه (١١ صفحه) و فهرس (١٤٤ صفحه فى مجلد واحد) فى سبعة أجزاء (أكسفورد ١٩٢٠ - ١٩٢١ م) تحت عنوان:

. Caliphate the Eclipses of Ahbbasid

أما مشروعنا، كما أشرنا إليه قبل، فيشمل تحقيق أجزاء تجارب الأمم الستة، و نشر الكتاب بكامله، كما يشمل ترجمته إلى اللغه الفارسيه، لتكون بذلك قد أسهمنا فى سد الفراغ الذى طالما شغل بال الكثيرين من المعنيين بالدراسات التاريخيه الإيرانيه الإسلاميه.

٢ - ملك (مط) برقم ٤١٤٥: نسخه كامله من حيث الكميه، فى مجلد واحد من القطع الكبير. عدد صفحاتها ١٠١٤، فى كل صفحه منها ٢٥ سطرا و لكل سطر ٢١ كلمه. هى مثل أيا صوفيا فى أولها و آخرها. و عباره الفراغ فى الختام هى: "قد تم الفراغ من هذه المسوده فى عشر (- العشر) الأول من شهر ذى الحجه الحرام فى الليله (- ليله) الأضحى منه، من سنه أربع و تسعين و مائتين بعد الألف (١٢٩٤) من الهجره المقدسه، على يد أقل الطلاب و السادات محمود الطباطبائى الأردستاني الأصفهاني". خط النسخه نسخى جميل مقروء، و لكن الهفوات و الأخطاء الناتجه عن قله الثقافه لدى الناسخ، حطت من قيمتها كنسخه. و سيأتى الكلام عنها فى مكانه.

٣ - ملك الثانيه: (مح) برقم ٤٣٢٤، عدد أوراقها ٢٣١ و عدد صفحاتها ٤٦٢، بالقطع المتوسط و فى كل صفحه منها ٢١ سطرا. انتسخه محمد بن داود الحسينى المشهدى فى سنه ١٣٠٧ هجرية. أولها: " و دخلت سنه إحدى و مائه و فيها ولى يزيد بن عبد الملك الخلافه... " و آخرها: " و اتصل خبر انصرافه بالمهتدى، فكتب إليه فى ذلك كتابا (- كتبا) كثيره، فلم يؤثر شيئا فلما نظر... تمت... ". تشمل المخطوطه هذه على حوادث سنه ١٠١ إلى سنه ٢٥٦ هجرية. و هى كما ترى مخطوطه ناقصه.

٤ - آستان قدس: (أ) برقم ٤٠٩٠، طهران، المكتبه المركزيه، الميكروفيلم رقم ١٦٣٨ و الصوره رقم ٦١٨٨/٣ (ثلاثه أقسام) عدد الأوراق ٢٥٧، و عدد الصفحات فى الأقسام الثلاثه ٥١٤ صفحه. أولها بعد البسمله و الحمدله:

"و دخلت سنه إحدى و مائه (١٠١)" و آخرها: "و خرج و اتصل خبر انصرافه بالمهتدي، فكتب إليه كتابا [- كتبا] كثيره، فلم يؤثر شيئا. فلما نظر... " تشبه في أولها و آخرها مخطوطه ملك الثانيه (مح). يعود تاريخ انتساخ المخطوطه إلى شعبان سنه ١٢٩٧ (فهرس مخطوطات مدرسه نواب و آستان قدس) و هذه المخطوطه ناقصه أيضا كمخطوطه ملك الثانيه.

ص: ١٨

٦ - بودلى: (Marsh, ٣٥٧; UrI, No. ٨٠٤). و هذه النسخه تشتمل على حوادث ٣٤٠ - ٣٦٥ هجرية. (كيتانى المقدمه: XIII).

٧ - آمستردام: (Cat. de Jong, ١٠١) مخطوطه ناقصه تشتمل على حوادث سنه ١٩٦ إلى سنه ٢٥١ هجرية (كيتانى، المقدمه: XIII) أولها ناقص بأكثر من سطرين، ثم تبدأ هكذا: "أمر العراه باتخاذ ترأس من البوارى، و بالرمى بالمقاليع و محمد قد أقبل على اللهو و الشرب، و وكل الأمر كله إلى محمد بن عيسى بن نهيك، و إلى الهرش... " و آخره: "و نزل الحسين بالقرب من دمما. نجز الكتاب... و يتلوه فى الجزء السادس: ذكر رأى أشير به عليه صواب. و الحمد لله رب العالمين، و صلواته على محمد النبى و آله الطاهرين و سلم".

نشر المخطوطه دى خويه (DE GoeyE) بترجمه لاتينيه و مقدمه (بريل ٧١-١٨٦٩ م) تحت عنوان: Fragmenta Historiarum كما نشرت مره ثانيه بالأفست و بحذف الترجمة اللاتينيه (بغداد، المثنى، دون تاريخ) تحت عنوان:

العيون و الحداثق، لمؤلف مجهول (من خلفه الوليد بن عبد الملك إلى خلفه المعتصم) و يليه مجلد من تجارب الأمم. و العنوان الخاص بقسم تجارب الأمم هو: تجارب الأمم، تأليف أبى على أحمد بن محمد بن يعقوب "بن" مسكويه، الجزء السادس. فالنشره هذه هى من جزءين: الجزء الأول هو الجزء الثالث المتبقى من كتاب "العيون و الحداثق فى أخبار الحقائق" اشترك (يونج P.dejong) مع دى خويه فى تحقيقه، و الجزء الثانى و هو جزء من تجارب الأمم حققه دى خويه وحده. (من صفحه ٤١١ إلى صفحه ٥٨٣، المجموع: ١٧٢ صفحه مطبوعه).

٨ - اسكوريال: EscoriaL, No. ١٧٠٤. cat. ١٧٠٩. نسخته ناقصه تشتمل على حوادث سنه ٣٦ إلى سنه ٦٧ هجرية (كيتانى، المقدمه، XIII).

الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم آل عصفور

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٦٣ من المجلد الثانى. و نأخذ هنا ما جاء فى تاريخ البحرين المخطوط:

هذا الشيخ هو والد جدى صاحب الحداثق، قال فى اللؤلؤه:

الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم بن الحاج أحمد بن صالح بن عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطيه بن شنبه كذا وجدته بخطه فى آخر كتاب قطر الندى المكتوب بخطه فى وقت اشتغاله بالنحو فى أول عمره. و قد طلب له والده رجلا فاضلا يسمى الشيخ أحمد بن إبراهيم المقابى يجيء له فى البيت كل يوم لتدريسه، و عين له وظيفه هذا فى أول اشتغاله بالطلب [بالطب]، ثم لما صارت له قوه فى علم الصرف و النحو انتقل إلى الشيخ محمد بن يوسف المتقدم ذكره إلى شيخه الشيخ سليمان الماحوزى.

و كان قدس سره مجتهدا فاضلا جليلا. و فقيها نبيل لا يجارىه فى البحث مجار و لا يباريه مبار، و كان لا يمل من البحث و لا يغتاظ، و لا يظهر الغضب و الانقباض كما هو عاده جملة من علماء الدين ليس لهم مقدره ملكه البحث، و لقد كان يدرس فى خطبه كتاب الكافى، و كان فى الحلقة جملة من الفضلاء منهم الشيخ على بن عبد الصمد الأصبغى الآتى ذكره و كان فاضلا

دقيق النظر فوقع البحث في قوله: احتجب بغير حجاب محجوب، واستمر البحث من أول الدرس من الصبح إلى وقت الظهر، و هما ينتقلان في البحث من علم إلى علم، و من مسأله إلى أخرى، و انفصل المجلس بدخول وقت الظهر، و افترقا ثم بعد العصر جلسوا للدرس، فعاد الشيخ على في البحث و استمر الكلام إلى المغرب إلى أن قال قدس سره نقلا عن المحدث الشيخ عبد الله السماهيجي في وصفه:

أخي بالمؤاخاه و صديقي بالمصافاه الشيخ العلامة الفهامه الأسعد الأمجد شيخنا الشيخ أحمد بن المقدس الحكيم الشيخ إبراهيم البحراني متع الله المسلمين بوجوده و شمل المتعلمين بافادات جوده.

و هذا الشيخ أعنى الشيخ أحمد المزبور ماهر في أكثر العلوم لا سيما العقليه و الرياضيه، و هو فقيه مجتهد محدث و له شان كبير في بلادنا و اعتبار عظيم، إمام في الجمعه و الجماعه، و لى به اختصاص زائد دون سائر الإخوان و الأقران، و قد فرأت [قرأت] عليه شيئا من النحو في كتاب الرضى و أوائل الخلاصه في طريق السفر، و له لسان طلق و سرعه في الجواب، حسن الإنشاء و العباده، و هو أفضل أهل بلدنا الآن في العلوم العقليه و النقليه و الرياضيه. (انتهى كلامه في اللؤلؤه).

له من التصانيف جملة من الرسائل الرشيقه و التحقيقات الدقيقه، و كانت تصانيفه مهذبه محرره، و عباراته مع دقتها ظاهره مسطره منها:

رساله في بيان القول بحياه الأموات بعد الموت، و رساله في الجوهر و العرض، و رساله في الجزء الذى لا يتجزأ، و قد اختار فيها مذهب الحكماء، و رساله في شرح الحمدية لشيخه الشيخ سليمان بن عبد الله المتقدم ذكره، و قد مدحه في صدرها و أثنى عليه غايه الثناء. و رساله في بيان ثبوت الولاية على البكر البالغه الرشيد، و رساله في مسأله القرعه حسنه، و رساله في التقيه عجيبه غريبه، إلا أن هاتين الرسالتين ذهبتا فيما وقع علينا في قصبه البحرين مع جملة من الكتب.

و قد كان قدس سره يتلهف عليهما غايه التلهف و يتأسف على عدم حفظهما تمام التأسف، و رساله في شرح عباره شرح اللعنه في مبحث الزوال، و رساله في مسأله موت الزوج أو الزوجه قبل الدخول هل يوجب المهر كاملا أم لا، و رساله في الدعوى على الميت هل تثبت بشاهد و يمين أم لا، و رساله في الصلح، و رساله في تحقيق غساله النجاسه، و رساله في العدول من سوره إلى أخرى، و رساله في أجوبه مسائل الشيخ ناصر الخطى الجارودى، و الرساله العطاريه و هى أجوبه جملة من المسائل للشيخ على بن لطف الله الجد حفصى تتعلق بالعطاره و تنظم في كتاب التجاره، و رساله في أجوبه لمسائل السيد يحيى بن السيد حسين الأحسائي، و رساله في مسأله المتنجس بعد زوال عين النجاسه هل ينجس أم لا و هى مسأله المحدث الكاشانى التى تفرد بها قد رد عليه فيها، و رساله في أجوبه مسائل الشيخ عبد الامام الأحسائي، و رساله في دخول الرقبه في الرأس في الغسل.

و قد كان الشيخ عبد الله بن صالح كتب رساله في عدم دخولها إلى أن قال:.. توفى رحمه الله عليه في بلده القطيف بعد أخذ الخوارج البحرين و خروج جميع أعيانها إلى بلاد القطيف و ذلك بضحوه اليوم الثانى و العشرين من شهر صفر سنه الحاديه و الثلاثين بعد المائه و الألف، و دفن في مقبرتها المعروفه بالحناكه و عمره يومئذ مما يقرب من سبع و أربعين سنه.

الشيخ احمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد السلام البحراني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال شيخنا الأمين الشيخ ياسين فى رجاله: و أنا لحقت زمانه و وقت تدريسه و كان من فضلاء المعاصرين.

غلبت عليه الحكمة. مات سنة ١٠٧٣ ثلاثه و سبعين بعد الألف.

ص: ١٩

الشيخ أحمد بن حاجي

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من أدباء البحرين و خطبائها، و من أولى المفآخر و نقيبها، جمع مع الشعر بعض العلوم الأدبية، و له ديوان كبير مشتمل على مجلدين، مجلد في حكايات طريفه و أشعار منيفه، و مجلد في القصائد و المراثي و من قصائده:

أطل الوقوف على الديار و ناد يا دار أحمد النبي الهادي

يا دار فاطمه البتول و حيدر و بنهما و التسعه الأمجاد

يا مهبط الوحي الشريف و منزل التنزيل و الآيات و الإرشاد

يا منبع العلم الغزير و معدن الصلوات و الاذكار و الأوراد

و هذه القصيده مشتمله على سبعين و له أيضا:

أ تصبو لذكرى عافيات المنازل و تسلو عفير الخد فوق الجنادل

و تشرب ماء سائغا غير آسن و مولاك ممنوع ورود المناهل

و تزعم إيماننا فلست بمؤمن إذا لم تنح نوح الحمام الثواكل

و مات قدس سره سنه ١٠١٠ العاشر بعد الألف من الهجره.

الشيخ أحمد بن صالح الدرازي البحراني

من آل عصفور مرت ترجمته في الصفحة ٦٠٥ من المجلد الثاني. و نأخذ ما جاء في تاريخ البحرين المخطوط:

قال جدى قدس سره:

(كان الشيخ أحمد مقيما في بلاد الهند إلى أن فتح تلك البلاد الشاه أو تكريت (١) فأمر بإخراج الأصناف منهم كل يقدمه، فكان الشيخ أحمد المذكور مقدا على من فيها من صنف العلماء، فأمر له بالف روبيه، و رجع الشيخ أحمد منها إلى ولايه العجم بعد أن حج بيت الله الحرام و استوطن في بلده جهرم.

و كان قدس سره على غايه من الزهد و الورع و التقوى و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر يؤثر بماله الأضياف، و كان بيته لا ينفك دائما عن جمع من الغرباء الواردين لا سيما من أهل بلاده البحرين.

إماما في الجمعه و الجماعة و كانت مكاتباته ترد على الوالد في البحرين لبعض المطالب التي له فيها. "انتهى".

و هذا يدل على هجره علميه من البحرين أشبه بالهجره العامليه.

الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو الفاضل البارع، و الحبر الجامع، حسن الأخلاق، طيب الأعراق، جمع بين العلم و العمل، و أحاط بالفضل المحلل، إذ عنت له العلماء و أقرت بفضله العرفاء، عالما بفنون العلوم لا سيما علم اللغه و سائر علوم الأدب، أخذ الأدب عن أبيه العلامة الشيخ حسن صاحب الأوراد، و الفقه عن جدى صاحب الحدائق، و له من التصانيف رساله فى انتصار ابن أبى عقيل، قال بعد البسمله و الحمد لله الذى جعل الماء طهورا و لم يجعل مطلقه المطلق النجاسه مقهورا، إلى أن قال: و بعد فهذا كلام جليل و بحث نبيل فيه برء العليل و برد الغليل باقامه الدليل على عدم تنجيس ملاقاه النجاسه الماء القليل، كما هو مذهب ابن أبى عقيل و اجوبه مسائل الزنكباريه، و رساله فى الأصول، و رساله فى العروض: و له كتاب الإجازة أعنى إجازات مشايخه من صاحب الحدائق إلى المفيد لم يعمل مثله، مات رحمه الله سنة ١٢٤٠ - و له ديوان فى المدائح [المدائح] و المراثى... و من جمله قصائده:

أصبحت فى كرمان اليوم محبوسا مبرحا فى بحار النغم مغموسا

مبلبل اللب محشو الحشا أسفا موزع البال تثليثا و تسديسا

معكوس موجه الآمال أجمعها عكس النقيض و ليس العكس معكوسا

فى القلب منى هموم لا تطاق و قد جالت بمعترك ضنك كراديسا

فحل كل جزء غير منقسم فكذبت مدعى أرسططاليسا

أنى أقتم بمصر جل قاطنه عباد نار و ضرابوا نواقيسا

لم ألق فى أرضها شيئا أسر به و لا وجدت بها درسا و تدريسا

بلى مدارس منقوشا جوانبها تخالها من أصابغ طواويسا

لقد رمتنى مجانق القضاء بها لأم رأسى تحليقا و تنكيسا

أن أمس ذا غربه فى كرمان فقد أمس غربيا على الطهر فى طوسا

شمس الجلاله مريخ النباله ميزان العدالة قسطا لمس منحوسا

قطب الولايه مفتاح الدرايه مصباح الهدايه نور من مقابيسا

صاح أخبار علم المصطفى جمعت له فكانت لكل العلم قاموسا

توراه موسى و إنجيل المسيح معا فى علمه قطره فى البحر لو قيسا

أحمد بن الحسين المتنبى

مرت ترجمته فى الصفحة ٥١٣ و ما بعدها من المجلد الثانى، و نشر هنا عنه الدراسات الآتية:

قال الدكتور حسين مروه:

المتنبى شاعر الجهاد العربى

ليس يختلف المؤرخون فى عروبه أبى الطيب المتنبى أحمد بن الحسين، شاعر العروبه الأكبر. و إذا كان الدكتور طه حسين قد شكك (٢) فى ما رواه الرواه من أمر أبيه و أمه و من نسبته إلى جعفى من قبل الأب و إلى همدان من قبل الأم، فلم يشكك قط فى أن المتنبى كان عربيا صريحا، لأنه ليس لزاما عند طه حسين أن يكون "العربى الصريح أو العربى الصليبه هو الذى يعرف له نسب صحيح إلى قبيله من قبائل العرب فى الشمال أو فى الجنوب" ..و هو - أى طه حسين - يرى أن ليس ب "العقل العاقل الذى يصدق أن جميع سكان جزيره العرب، منذ العصور الجاهليه الأولى إلى هذا العصر الذى نعيش فيه، قد حفظوا لأنفسهم أنسابا صريحه صحيحه ترفعهم إلى عدنان أو قحطان.. إنما حفظ الأنساب مزيه قد اختصت بها طبقات من أشرف العرب و ساداتهم فى بعض الأوقات، ثم أصبحت سنه موروثه و عاده مالوفه، و مظهرا من مظاهر الأرسطراطيه، ثم فرضت على أصحابها أن يحفظوها و يتوارثوها، و يتدعوها ابتداءا إذا غلبهم. عليها النسيان" (٣).

و الدكتور طه حسين على صواب كثير فى ما يقرر من أنه لو كان حقا أن العربى لا- يكون عربيا حتى يحفظ لنفسه أو يحفظ الناس له نسبا صحيحا صريحا

ص: ٢٠

١- هكذا كتب الاسم، و الصحيح: أوركك زيب (ح).

٢- " مع المتنبى " - طه حسين - ص ١٢-٢٥.

٣- المصدر السابق ص ١٩

ينتهي إلى قبيله من القبائل، لتغير كثير جدا من القيم التاريخيه(1) المعاصره.

فالممتنبى، إذن، عربى الأصل، لا يشك فى ذلك أحد من المؤرخين و لا الباحثين، قدامى و محدثين، و الممتنبى نفسه قد نفى - من حيث لا يقصد قطعا - أسباب الشك فى أصله العربى، حين قال فى معرض الفخر بنفسه أثناء قصيده من شعر الصبا:

لا بقومى شرفت، بل شرفوا بى و بنفسى فخرت، لا بجدودى

و بهم فخر كل من نطق الضاد و عوذ الجانى، و غوث الطريد

بل هو لا يقتصر هنا على أن يؤكد نسبه و أصله العربى، و إنما هو يغلو بهذا الأمر حتى يرى قومه فى ذؤابه العرب، بهم يفخر كل من نطق لغه العرب..

و نحن إذا فرغنا من هذا الأمر، أى من نسبه الممتنبى إلى العربيه، فقد بقى أن نفرغ الآن للأمر الأهم من ذاك، و هو أمر نزعته العربيه، أو ما نسميه فى لغه العصر بالنزعه القوميه، نقصد بها شعور المرء شعورا عميقا راسخا بان كيانه الشخصى، من نواحيه الإنسانيه و الوجدانيه، مرتبط و جودا و حياه و مصيرا، بهؤلاء القوم، أو بهذا الشعب الذى تنميه إليه و شائج النسب و التاريخ و التراث و اللغه و الثقافه و المفاسر و الوقائع و التقاليد، فضلا عن و شائج الأرض، و مصالح العيش، و بواعث الآمال الكبيره و الأشواق العليا.

و لعل من الدقه أن نقول إن النزعه القوميه فى الفرد، كما نعينها هنا، هى أكثر من مجرد الشعور بهذا الارتباط، فلا بد من إضافه شىء آخر إلى ذلك، و هو أن يكون هذا الشعور من القوه و العمق و الوعى بحيث يرى الفرد أن أحزانه الشخصيه و أفراحه، مناقبه و معايبه، عزته و ذلته، سعادته و بؤسه، منصهره كلها، أو منفعله بالأقل فى كل ما يتاح لقومه أو شعبه من أفراح و أحزان، و من انتصارات و هزائم، و من مناقب و معايب، و من عزه و ذله، و من سعادته و بؤس.

و لعل من الدقه أيضا أن نضيف إلى ذلك أمرا آخر، و هو أن يكون هذا الانصهار أو هذا الانفعال من قوه الأثر بحيث ينعكس تلقائيا، دون تكلف متعمد، فى حياه الفرد، أى فى سلوكه العملى، فى ما يفعل و ما يدع من أمور الحياه العمليه، فى ما يحب و ما يكره، فى ما ياتى من أمر و ما يصدر عنه من فكر أو رأى أو فن أو أدب إذا كان من ذوى الفكر أو الرأى أو الفن أو الأدب.

فما ذا كان الممتنبى من النزعه القوميه هذه؟..

نستطيع أن نجيب عن ذلك بان الممتنبى كان عربى النزعه، بالمعنى الذى قلنا، كما هو عربى النجار عربى النسب.

تحدثنا كتب التاريخ و الأدب العربى عن مولد أبى الطيب و نشاته و بيئته، فنعلم أنه ولد فى الكوفه بالعراق سنه ثلاث و ثلاثمائه للهجره، أى فى ذلك المركز الثقافى الأصيل من مراكز الثقافه العربيه الخالصه، و فى تلك البيئه التى أقلق أمرها و عصفت بأهلها ما كان يلقى يومئذ أمر الدوله العربيه الإسلاميه كلها، و يعصف بأهلها جميعا من اضطراب سياسى و اجتماعى، و فى أوائل ذلك القرن الرابع الهجرى الذى ورث عن سابقه شئونا عجابا من ذلك الاضطراب السياسى و الاجتماعى فى كيان هذه الدوله الوسيعه الرقع المتراميه الجوانب فى ثلاث قارات من الأرض... و قد أضاف هذا القرن الرابع، إلى ذلك، اضطرابا أشد أثرا و أعمق غورا

و أوسع مدى، بحيث شمل طبقات مختلفه، و أمصارا عده، و شئونا كثيره من شئون الحياه، و زاد فى ذلك الاضطراب أنه كان ينبع من الداخل و ياتى من الخارج فى وقت معا:

فى الداخل انقسام و احتراب بين ملوك الأمصار و أمرائها و ولاه أمرها من جانب، ثم بين هؤلاء و بين مركز الخلافه بالعراق من جانب.. و قيام ثورات شعبيه و انتفاضات اجتماعيه تنقم على نظام الحياه و الدوله من جانب آخر.

و فى الخارج، و بالأصح: على حدود الدوله من الشمال، تتوالى الغارات من جانب الروم الطامعين فى الفتح و الاكتساح، لانتقاص أطراف الدوله العربيه شيئا فشيئا حتى يتاح لهم القضاء على سلطانها كله.

و تحدثنا كتب الأدب و التاريخ كذلك أن أبا الطيب ولد و نشأ حين ذاك فى بيت فقر و إعواز، و فى بيئه كدح و رهق، و لكنه - على ذلك - استطاع أن ينال فى الكوفه نصيبا من ثقافه، ثم أن يخرج إلى بعض نواحي الباديه فى العراق، و هو ما يزال فى غراره الصبا، فيفقه هناك بعض ما كان يجب أن يفقه من فصاحه الباديه، و لكن هذا كان أيسر ما أفاده من إقامته بعض الوقت هناك.. ذلك بان الرواه حين يتحدثون عن شأنه فى الباديه يلمحون حيناً و يصرحون حيناً بأنه ربما اتصل فيها بحركه القرامطه، أو ببعض دعواتها، و أن هذه الصله، و إن جاءت و هو فى حدائه السن، ربما أيقظت فيه شيئا من ثوره و نقمه: ثوره أصابت هوى عميقا من نفسه، إذ هاجت فيها مشاعر الفتى المحروم، و نقمه نبهت ذهنه الطرى إلى مساوى هذا الحال الذى يبعد أسباب النعمه و أسباب الثقافه عن فئه عريضه من قومه، بينما هو يدنى هذه الأسباب كلها إلى فئه خاصه منهم، فيغدق عليها النعمه، و يهيا لها أكبر نصيب من الثقافه و المعرفه.

و قد يكون هذا الذى يقوله الرواه، تلميحا أو تصریحا، واحدا من الأسباب التى أوقعت فى نفس المتنبى، و هو صبى، أنه مرجو لأمر خطير من الأمور ربما كان فيه الخير لنفسه و لقومه، و ربما كان فيه الوسيله لتغيير ذاك الحال من الظلم الاجتماعى الذى نبهته إليه الأحداث المضطربه الفاجعه من جهه، و نبهته إليه كذلك ضعه حاله و إعواز أهله و لوعه حرمانه، من جهه ثانيه.

و فى ديوان أبى الطيب أبيات ثلاثه كل ما نعرف عنها من الديوان أنه قالها فى صباه، و نستطيع أن نعرف، استنتاجا، أنه قالها فى الكوفه قبل أن يبرحها إلى بغداد، و بعد أن رجع إليها من الباديه، ذلك لأنه كان فى الخامسة عشره حين وفد إلى بغداد أول مره، فلم يكن صبيا إذن، و أما قبل أن يخرج من الكوفه إلى الباديه، فقد كان فى سن ليس من اليسير التصديق بأنه يقول فيها شعرا فى مستوى هذه الأبيات الثلاثه:

إلى أى حين أنت فى زى محرم و حتى متى فى شقوه، و إلى كم؟

و إن لا تمت تحت السيوف مكرما تمت و تقاسى الذل غير مكرم

فتب واثقا بالله و ثبه ماجد يرى الموت فى الهيجا جنى النحل فى الفم

نحن نرى فى هذه الأبيات أمرا هو أكثر من ثوره تدفعه إلى تغيير حاله و الانتقام لفقره و شقوته، نرى فيها أن الفتى - و قد رجع

إلى الكوفه من رحله الباديه - إنما امتلأت نفسه بامر كبير يدعوه أن

"يرى الموت فى الهيجا جنى النحل فى الفم"

أى أن يخوض حربا يستعذب فيها الموت حتى كأنه الشهد فى فمه.٩.

ص: ٢١

١- المصدر السابق ص ١٩.

فلم هذه الحرب؟.. أ هي لمجرد أن يخرج من الفقر إلى الغنى، و من الشقوه إلى السعاده؟.. أ تراه قام في ذهن الفتى يومئذ أنه لا يستطيع أن يفتنى و يسعد إلا بحرب كهذه؟.

نستبعد أن يكون الفتى قد أراد الحرب هذه لنفسه هو بمفرده، بل توحى إلينا هذه الأسباب، بما فيها من حراره اللهجه و حماسه العزم، أنه عاد من البادية إلى الكوفه و هو يحمل فكره الثوره على الأوضاع العامه، لا على حاله هو بشخصه.

و طبيعي أننا لا نقصد بهذا أن نتجاهل العامل الشخصى عند الفتى البائس الفقير المحروم، الطموح، و لكن نقصد أن الفتى قد أتىح له خلال تجرباتك تلك، فى مناخ اجتماعى ثورى، أن يكتشف - و لو بشكل بدائى - علاقته ما بين بؤسه و فقره و حرمانه. شخصيا، و بين ما يصيب غيره فى مجتمعه العربى من ظلامات و تعاسات، فإذا هو يرى أن أمره الشخصى من أمر قومه، و أن بؤس حاله من بؤس أعم و أشمل، مصدره هذا الاضطراب العام السائد، أوضاع الدوله العربيه كلها، و إذا هو يرى بعد، أنه متصل أوثق اتصال بهذه الأوضاع، و أنه - لذلك - على ارتباط بقضيه قومه، و أنه إذا كان يطمح إلى تغيير حاله فلا بد أن يرتبط طموحه هذا بطموح هذه الفئات الكثيره المظلومه المحرومه فى مجتمعه.

قد يكون فى هذا التفسير شىء كثير أو قليل من المبالغه، و تحميل للفتى و لعصره أكثر مما كان يمكن أن يحتملا من فهم القضييه على هذا الوجه..

و لكن، هل ترانى أقصد أن القضييه كانت واضحه محددده فى ذهن المتنبي على هذا النحو الذى يلائم عصرنا و تفكيرنا العلمى أكثر مما يلائم عصر المتنبيو تفكيره؟.. طبعاً، لا. و إنما الأمر الذى لا شك فيه، على ما يبدو لى، أن المتنبي كان فى ذلك الحين على شعور بأنه يحمل قضييه ما هى أكبر من قضيته الخاصه، و أن هذه القضييه ذات صلته بنظام الحكم أو بالأشخاص الذين يديرون أمر الدوله فى وطنه و قومه.

و لقد خرج المتنبي من الكوفه إلى بغداد أول مره، و هو فى الخامسة عشره، بعد أن انحسرت عن العراق موجة القرامطه، و لم تطل إقامته فى بغداد، و لم يترك فى عاصمه الخلافه أثراً و لا ذكراً، و ليس فى النصوص و الأخبار ما يكفى للكشف عن سبب هذا، و إن كان يمكن أن نربط ذلك بهذه النزعه الثوريه التى ظهرت عليه و هو فى الكوفه، و أن تكون هذه النزعه قد باعدت بينه و بين سراه بغداد و ذوى السلطان و الثراء فيها، فأعجل رحيله عنها إلى بلاد الشام، و لعله كان فى نحو السابعه عشره من عمره حين ذاك.

و من المحقق أن نزعه الثوريه هذه قد صاحبتة إلى بلاد الشام أيضاً، و طوفت معه فى أنحاء الجزيره بشمال سوريه، و فى رحلاته إلى طرابلس و اللاذقيه و فى حمص حيث قيل فى الأخبار أنه سجن لدعوته قوماً من البادية إلى أمر أنكره عليه أمير حمص لؤلؤ الإخشيدى فسجنه.. و لكن ما هو هذا الأمر؟.. أ حقا أنه ادعاؤه النبوه؟..

ليست النصوص، و الأخبار التى بأيدينا بمفصحه عن حقيقه هذا الأمر، و ليس ادعاؤه النبوه مما تصدقه هذه النصوص و الأخبار، و ما تزال مسأله ادعائه النبوه مما يعد فى باب الخرافه.. فما ذا أحدث المتنبي إذن من أمر استوجب اضطهاده و سجنه فى حمص؟.. أ ليس يمكن أن نستعين هنا بما ذكرناه آنفاً من أن المتنبي قد استشعر، منذ أوائل نشاته و شبابه، بتلك الصله العميقه

الغامضه بين قضيته الخاصه، قضيه بؤسه و فقره و حرمانه، و بين قضيه مجتمعه و قومه، أعنى أنه استشعر بترابط القضيتين معا، و اتصالهما بالأوضاع السياسيه و الاجتماعيه العامه، التى يفرضها نظام دخله الفساد، أو حكام فاسدون مفسدون، و أنه - لذلك - حمل فكره الثوره على هذه الأوضاع، و ظلت هذه الفكره تحيا فى نفسه و تنمو، ثم تتحين كل فرصه تتمكن فيها من التعبير عن ذاتها بأشكال مختلفه من التعبير، و أنه ربما وجد فى بادية حمص فرصه من هذه الفرص التى كان يترصدها طوال ذلك العهد من حياته، فحاول نوعا من الثوره بأوضاع الحكم هناك، و لا سيما أن السلطه فى ذلك الصقع كانت حين ذاك لغير العرب، إذ كانت لدوله الإخشيديين، و هم من الأجانب يحكمون قوما من العرب فى أرض عربييه.؟؟..

فالمتمنبى فتى عربى، و فى قراره ذاته ثوره، و هو منذ وجدت هذه الثوره مكانها فى ذاته يبحث عن ناس من العرب يعينونه على أحداثها، لعل بها خيرا لنفسه و لقومه كما أشرت من قبل، و لعل بها، فى حمص ذاتها، ما يرغم هذه الدوله الأجنبيه على الجلاء عن هذه الأرض العربيه، ليكون الحكم فيها إلى عربى صالح يقيم ميزان العدل فى قومه.

و لقد كانت الأيام تنتظر هذا الشاعر الثائر حتى يقيض له أن يعبر عن ثورته، عن نزعتة العربيه المكبوتة الحائره فى أعماق سريرته، تعبيرا يشبه الانفجار من وجهه، و يشبه - من وجه آخر - روعه النضج فى إبانة و فى أزهى عنفوانه.

و لقد طاولته الأيام كثيرا، و ما طلته كثيرا، و امتحنته بألوان من المحن مقبته ثقيله سمجه.. لقد وقف المتمنبى عند التوخين فى اللاذقيه يهز عروبتهم عسى أن يرجع بهم للعرب سلطانهم، و ينتزعوا من أيدي الأجانب ملكهم و أرضهم:

أحق عاف بدمعك الهمم أحدث شىء عهدا بها القدم(1)

و إنما الناس بالملوك و ما تفلح عرب ملوكها عجم

لا أدب عندها و لا حسب و لا عهود لهم و لا ذمم

بكل أرض و طئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم..

و وقف المتمنبى عند بدر بن عمار فى طبريه، و قد ملك عليه الفرح بلقائه كل نواحيه، فان بدر بن عمار مجاهد عربى، و المتمنبى يبحث فى الملوك و الأمراء و القواد عن عربى يستحق مدائح، و ها قد وجده فقصدته من شمال سوريه إلى جنوبها، و ها هو ذا يلقاه فيهتف من فرح:

أ حلما نرى أم زمانا جديدا أم الخلق فى شخص حى أعيدا

نجلى لنا فاضانا به كانا نجوم لقينا سعودا

و وقف المتمنبى، فى ما بين هذا و هؤلاء، عند ناس كثيرين ينشدهم شعره متكلفا ما ليس عنده لهم من حب و لا إعجاب، متحفظا فى إظهار سريرته و ثورته، متنفسا حيناً ببعض ما يكتم من هم ثقيل و سر خطير:ره

١- من قصيده قالها في علي بن ابراهيم التنوخي حوالى سنه ٣٢٣ هجريه، و كان المتنبي في نحو العشرين من عمره

فؤاد ما تسليه المدام و عمر مثل ما تهب اللثام(١)

و دهر ناسه ناس صغار و إن كانت لهم جث ضخام

و ما أنا منهم بالعيش فيهم و لكن معدن الذهب الرغام

أرانب غير أنهم ملوك مفتحه عيونهم نيام

و ظلت الأيام تطاوله و تماطله حتى آذنت بان يجد الشاعر الثائر بطله الفارس المجاهد، و التقيا معا أول مره، عند أبي العشائر في أنطاكيه سنه سبع و ثلاثين و ثلاثمائه هجريه، و حظى شاعر العروبه الأكبر أبو الطيب المتنبى بمجاهد العروبه الأكبر يومئذ، سيف الدوله أبي الحسن على بن عبد الله بن حمدان، أمير حلب و قد كان كلاهما ينتظر صاحبه منذ زمن..

سلكت صروف الدهر حتى لقيته على ظهر عزم مؤيدات قوائمه(٢)

مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه و لا حملت فيها الغراب قواده

فأبصرت بدرا لا يرى البدر مثله و خاطبت بحرا لا يرى العبر(٣) عائمه

و الأمر فى لقاء المتنبى لسيف الدوله، أنه ظاهره تحول و انتقال فى نفسه أبى الطيب و فى شعره و فى شخصيته جميعا.. و من هذه الظاهره، بعد أن تتضح لنا فى ما ياتى، نخلص إلى حقيقه ذات شان كبير فى الوصول إلى جانب النزعه القوميه عند المتنبى.

يكفى أن يرجع الناقد الباحث إلى ديوان المتنبى يدرس قصائده بتعمق و تذوق، ليعلم أن شعره فى هذه السنوات التسع التى صحب فيها بطله العربى المناضل وحده عن ثغور الدوله العربيه ضد غزوات الروم الطامعين بانتقاص هذه الدوله أطرافها، ليتسنى لهم القضاء على سلطانها كله - أقول: ليعلم أن شعر أبى الطيب فى هذه السنوات التسع قد جاء باروع ما كانت تختزن عبقريته من طاقات شعرية و قوى ثوريه.

نحن نحس فى قصائد أبى الطيب عند سيف الدوله أنه ينطلق فيها من جانب فى نفسه يختلف كثيرا عن تلك الجوانب كلها التى كان يصدر عنها شعره فى غير سيف الدوله من جميع ممدوحيه، سواء منهم الذين مدحهم قبل لقائه سيف الدوله، أم الذين مدحهم بعد ذلك، إلى أن لقي حتفه.

و ذلك الجانب الذى نعنى، ليس هو مجرد حبه لشخص سيف الدوله بما أنه سيف الدوله بذاته، و ليس هو مجرد إعجابه بذكاء سيف الدوله أو ببطلته، بما أنه ذكاء و أنها بطوله و كفى، و ليس هو مجرد رضاه نفسه بما لقي فى رحاب سيف الدوله من إنجاز فى عطائه و تقدير لشعره و رفع لقدره، بل الأمر - كما نحس فى جميع قصائده بسيف الدوله - يجاوز هذا كله إلى أن المتنبى وجد فى صحبه هذا الأمير الفارس، و فى جهاده المتواصل الدائب، و المظفر فى أكثر الأحيان، وجد فى ذلك إرواء و شبعاً لثورته القديمه المكبوتة، و إرضاء و تجسيدا لنزعه القوميه التى صحبت تلك الثوره و عاشت فيها و نمت نموها و هى تتفاعل معها، حتى تمازجتا تمازج ألفه و وحده. لقد قيل فى بعض ما يروى الرواه، أو فى بعض ما يشيع فى الأذهان، أن المتنبى

كان جبانا، فإذا صح هذا فان الذى كانوا يرونه جبنا فيه، قد ظهر من سيرته عند أمير حلب الحمدانى أنه لم يكن جبنا حقا، و أنا لا أعلم و لا أذكر حادثه واضحه تدل على جنبه، بل كان ذلك - كما يبدو - عزوفا من المتنبي عن إظهار جرأته فى غير موطنها الذى تستحقه.. ونحن لا نعلم فى أخبار ثورته ببيديه حمص ما يكشف بوضوح عن هذه القضية، فما تزال هناك حلقة مفقوده فى أخبار هذه الثورة..

و قد رأينا أبا الطيب يقبل على ممارسه فنون الفروسية و القتال مع سيف الدوله و يخوض معه معارك الجهاد ضد غزوات الروم، و نراه فى المعركه يخرج منها سيف الدوله منكسرا، مثله فى المعركه يخرج منها سيف الدوله منتصرا أى أننا نراه فى الحالين يطلع بعد المعركه بشعر هادر تائر رائع، يطفح فيه الأمل بالنصر بعد الهزيمه، أو يطفح فيه الأمل بالنصر بعد النصر. فهل كان هذا مجرد إعجاب بباس سيف الدوله و شجاعته؟.. أ كان هذا مجرد مدح لأجل المدح ذاته؟.

كان يمكن أن يصح القول هذا لو أن ذلك الشعر لا يختلف فى مستواه الفنى و فى نبضات الحياه فيه عن غيره من الشعر الذى قاله أبو الطيب فى غير سيف الدوله، و لكنه مختلف جدا، فشعره هذا بسيف الدوله يهدر هديرا عجبيا و ينبض بالقوه و الفرح و الصدق و الحراره و الحماسه، فالشاعر هنا يخرج من المعركه و هى تضج فى دمه و مشاعره و أمانيه و أشواقه، يخرج منها و هى تجربه من تجارب نفسه و عقله تملأ- جوانب نفسه و عقله، فلا- يكون الشعر هنا إلا هذه تجربه النفسيه العقلية الشخصيه ذاتها متجاوبه مع أصداء تلك النزعه الكامنه الناميه عنده أبدا، نزعه القوميه.

إن وراء هذا الشعر الهادر التائر الرائع، أمرا حقيقيا هو غير ما نعرف فى سائر شعر المتنبي، و ذلك أن المتنبي كان يدخل المعركه مع سيف الدوله، و هو يمزج عواطفه لشخص سيف الدوله بعواطفه لهذا الجهاد العربى الذى يحمى الثغور و يدفع الأخطار عن دوله العرب و سلطان العرب.

و هنا نذكر ملاحظه دقيقه عميقه لاحظها الدكتور طه حسين فى الفرق بين مدائح المتنبي للفارس العربى سيف الدوله، و بين مدائحه لجماعه من غير العرب، فهو حين يمدح هؤلاء الجماعه يتجنب التعرض لمدح أجناسهم الأجنبيه، و يكتفى بمدح أشخاصهم، فان تجاوز أشخاصهم لم يتجاوز أن يذكر ما لأبائهم من الإسلام و فى ظل الدوله العربيه. (٤)

و يلاحظ الدكتور طه حسين، بهذه المناسبه، أن المتنبي قد اتخذ العربيه مذهبا سياسيا و فلسفيا، و لكن يأخذ عليه أنه خرج على مذهبه هذا فى قصيدته التى مدح بها على بن صالح الروذبارى والى دمشق، حين فر من طرابلس إلى دمشق، و هو فى نحو الثالثه و الثلاثين من عمره، و فيها يقول:

ليس كل السراه بالروذبارى و لا كل ما يطير بباز

فارسى له من المجد تاج كان من جوهر على أبرواز

و بآبائك الكرام التأسى و التسلى عن مضى و التعازى

تركوا الأرض بعد ما ذللوها و مشوا تحتهم بلا مهماز ٩.

-
- ١- قالها فى المغيٲ بن على العجلى فى أنطاكيه.
 - ٢- من أول قصيده قالها المتنبى فى سيف الدوله، و مطلعها: وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمهبان تسعدا، و الدمع أشجاه ساجمهمؤيدات: جمع مؤيد، و هو القوى.
 - ٣- عبر البحر: شطه
 - ٤- مع المتنبى - طه حسين ص ٩٥٩.

غير أن هذا المآخذ هل يصح أن نتخذه دليلاً على شعوبيه صريحه من المتنبي كما يتهمه الدكتور طه حسين؟ هل مجرد مدح الفرس أو أى قوم آخرين يعد شعوبيه صريحه؟.. إذا صح مثل هذا فان الدكتور طه حسين مدح أقواما كثيرين كاليونان و الفرنسيين فى كثير من آثاره الأدبيه، فهل يرضى العقل و العلم أن نقول فيه ما يقوله فى المتنبي؟.

نعم، إن للمتنبى هفوه غير هذه ننكرها عليه و لا- نعتفرها له، و نعتقد أنها تناقض نزعته القوميه كل المناقضه، و هى تنحصر فى بيت واحد من مجموع شعره كله، بيت قاله فى إحدى قصائده بمدح [يمدح] كافور:

و أى قبيل يستحقك قدره معد بن عدنان فداك، و يعرب!..

ما ندرى كيف قال المتنبي هذا البيت و باى حال و لأى غرض، و لكن ندرى أنه مهما تكن حاله و مهما تكن الظروف التى أحاطت به، و مهما يكن الغرض الذى قصد إليه، فلا شىء مطلقا يبرر أن يقول كلاما من هذا القبيل، و هو الذى ملكت عليه، فى كل شعره، نزعته العرييه، و دخلت هذه النزعه فى كيانه و فى وجدانه، ثم دخلت فى تجربته الشعريه فأنضجت مواهبه و فتقت عبقريته و أخرجت من تجربته هذه، فنا من الأدب القومى يندر نظيره فى أدبنا القديم.

و لكنها هفوه واحده لا- تغير شيئا من الواقع الذى كأنه المتنبي، أعنى واقع أن أبا الطيب كان أعظم شاعر عربى غنى معارك النضال العربى فى زمن كان هذا النضال يحمل أثقاله فارس بنى حمدان وحده فى أمراء العرب و ملوكهم.

و لقد كان أبو الطيب يشعر بثقل المهمه التى يحملها سيف الدوله، و يشعر مع ذلك بتقصير الآخرين من ذوى السلطان فى الدوله العرييه، بل يشعر فوق ذلك بان هؤلاء لا يكتفون بالعود عن مناصره سيف الدوله فى مناهضه الغزوات الأجنبيه على حدود دولتهم، بل يزيدون فيقلقون على سيف الدوله أمنه الداخلى و يشورون به و يصرفون كثيرا من جهده عن مقاتله الروم إلى مقاتلتهم فى داخل البلاد لاخمد الفتنة أثر الفتنة، و لطالما ألمح المتنبي فى قصائده إلى هذا الأمر، و لطالما عرض بهؤلاء تعريض اللائم العاذل..

نسمعه فى القصيده التى يذكر فيها استنقاذ سيف الدوله لأبى وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوى من أسر الخارجى، و ذلك سنه ثمانى و ثلاثين و ثلاثمائه، و كان الخارجى يطمع فى الخلافة و الملك(1) و مطلع القصيده:

إلا م طواعيه العاذل و لا رأى فى الحب للعاقل

نسمعه فى هذه القصيده يقول:

أما للخلافه من مشفق على سيف دولتها الفاصل

يقد عداها بلا ضارب و يسرى إليهم بلا حامل

و فى هذا البيت الأخير إشاره إلى أن سيف الدوله ناهض وحده فى ضرب أعداء الخلافه غير محمول بمعاونه أحد من رجال الخلافه.

و فى سنه ثلاث و أربعين و ثلاثمائه هجرىه، أحدث بنو كلاب فتنه ضد سيف الدوله، فسار إليهم و أبو الطيب معه، فأوقع بهم، و قضى على فتنتهم، و أحسن معامله حريمهم، فلما عاد مظفرا قال أبو الطيب قصيدته التى مطلعها: (٢)

بغيرك راعيا عبث الذئب و غيرك صارما تلم الضراب

و فيها يقول:

ترفق، أيها المولى، عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

و إنهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لحادثه أجابوا

و عين المخطئين هم، و ليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا

و أنت حياتهم غضبت عليهم و هجر حياتهم لهم عقاب

و ما جهلت أياديك البوادي و لكن ربما خفى الصواب

ثم يقول:

و أن يك سيف دوله غير قيس فمنه جلود قيس و الثياب

و تحت ربابه نبتوا و أثوا و فى أيامه كنزوا و طابوا (٣)

و تحت لوائه ضربوا الأعادي و ذلك لهم من العرب الصعاب

و لو غير الأمير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب

و لاقى دون ثايهم طعانا يلقى عنده الذئب الغراب

(٤) فالمتنبى هنا يدعو سيف الدوله إلى العفو عن بنى كلاب، فهم عرب من قومه، و هم إذن عون له على أعداء العرب إذا

احتفظ بهم، ثم تهزه عروبه فيثنى على شجاعه هؤلاء الثائرين، و هم إذا كانوا قد انهزموا أمام سيف الدوله فلأنه سيف الدوله، و

لو أن غيره جاءهم لثناه عن شموسهم ضباب من غبار فرسانهم و شجعانهم.

و فى سنه أربع و أربعين و ثلاثمائه هجرىه، أحدث بنو عقيل و قشير و بنو العجلان و كلاب فتنه أخرى فى نواحي الدوله

الحمدانيه، فقضى سيف الدوله على فتنتهم، فقال أبو الطيب فى ذلك قصيدته (٥) التى مطلعها:

تذكرت ما بين العذيب و بارق مجر عوالينا و مجرى السوابق

و فيها يقول:

فما حرموا بالركض خيلك راحه و لكن كفاها البر قطع الشواهدق

و لا شغلوا صم القنا بقلوبهم عن الركز، لكن عن قلوب الدماسق

(٤) و هاهنا يبدو المتنبي أكثر صراحة في هذه المسألة، فهو يقول للشائرين إن خيل سيف الدولة حين طاردتهم منهزمين لم يحرمها الركض وراءهم راحتها، بل كفاها مئونه قطع الجبال الشواهدق في مطارده الروم أعداء العرب، و أن رماح سيف الدولة حين أمعنت طعننا في قلوبهم، لم يشغلها هذا الطعن عن أن تكون مركزه في الأرض دون عمل، و إنما شغلها ذلك عن طعان جيش الروم أعداء الدولة العربيه.

و معنى هذا، كما يريد أن يقول المتنبي، أن هؤلاء العابثين في الداخل، قد صرفوا جيش سيف الدولة عن قتال أعدائهم المغيرين عليهم من الخارج، م.

ص: ٢٤

-
- ١- شرح ديوان المتنبي - البرقوقى ج ٢ ص ٣٠.
 - ٢- المصدر السابق ج ١ ص ٥٥.
 - ٣- الرباب: غيم ماطر - و أث النبات: كثر و التف.
 - ٤- الثاى: جمع ثايه، و هى حجاره تجعل حول البيت ياوى إليها الراعى.
 - ٥- المصدر السابق ج ١ ص ٤٦٧.
 - ٦- الدماسق: جمع دمستق، و هو قائد الروم.

أين عن أداء واجبه القومي المقدس، الذى هو - فى الوقت نفسه - واجبه أيضا..

و نكتفى بهذه الأمثلة، دون استقصاء، للدلالة على أن المتنبي كان مشغول الذهن و العاطفه، و هو يمدح سيف الدوله فى هذه المناسبات، بامر هذا الجهاد القومي المقدس الذى كان أميره الحمدانى يحمل نفسه على النهوض باعبائه وحده فى الدوله الواسعه ذات الدويلات العديده.

و التعريض هكذا بخصوص سيف الدوله الداخلىين، ليس هو إلا- أيسر الجوانب المعبره عن اهتمام المتنبي بامر ذاك الجهاد القومي، و هناك جوانب المدح الخالص لسيف الدوله فى قصائده الروميات، بل فى كل قصائده التى قالها بهذا الأمير المجاهد، و هى تكاد تزيد عن ثمانين قصيده ظل ينشئها فى مدى تسع سنوات متواليات، و هى بلا شك أعظم شعر المتنبي على الإطلاق، بل من أعظم الشعر القومي فى أدبنا العربى.

فهذه قصيدته التى مدح بها سيف الدوله بعد انتصاره على الروم فى "مرعش" انتصارا تاريخيا رائعا، سنه اثنين و أربعين و ثلاثمائه هجرية، يسرد فيها وقائع عده معارك، و يسمى أمكتتها و أشخاصها، و هى القصيده التى مطلعها:

ليالى بعد الظاعنين شكول طوال، و ليل العاشقين طويل

هذه القصيده تكاد تكون لوحه كبيره متقنه الصنع متكامله الأجزاء، تصف بلاء الأمير الحمدانى فى جيوش الروم، و تصف فنون الكر و الفر، و لكنها ليست وصفا حقيقيا بقدر ما هى غناء وجدانى نحس فيه وهج العاطفه و لهب الحماسه و فرح الانتصار، حتى لكان المتنبي ينشئ فى كل بيت من القصيده معركة، و يحرز فى كل معركة نصرا، و يتذوق مع كل نصر فرحه جديده.

ألم ير هذا الليل عينيك رؤيتى فتظهر فيه رقه و نحول

لقيت بدر ب "القله" (١) الفجر لقيه شفت كمدى، و الليل فيه قليل

و يوما كان الحسن فيه علامه بعثت بها، و الشمس منك رسول

و ما قبل سيف الدوله اثار عاشق و لا طلبت عند الظلام ذحول [ذحول]

و لكنه ياتى بكل غريبه تروق، على استغرابها، و تهول

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا و ما علموا أن السهام خيول

شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحته و سهيل

و ما هى إلا خطره عرضت له بحران لبتها قنا و نصول

(٢) و يقول فيها:

و أنا لنلقى الحادثات بأنفس كثير الرزايا عندهن قليل

يهون علينا أن تصاب جسمونا و تسلم أعراض لنا و عقول

إنه هو المتنبى نفسه فى المعركة، و هو هنا يتحدث بانفعاله و تجربته و اندماجه فى القضية التى تدور لأجلها المعركة.. هو هنا ليس مادحا للمدح ذاته، و ليس مادحا للجائزه ذاتها، و ليس مادحا زلفى و تمليقا لصاحبه.. هو هنا عربى يهتز كيانه و وجدانه بحرکه المعركة، و بقضيه المعركة، و بمجد المعركة، ثم بفرح الانتصار فى المعركة.

و فى شهر صفر سنه ثلاث و أربعين و ثلاثمائه هجرية، يدخل على سيف الدوله رسول من قائد الروم يطلب الهدنه، فينبى المتنبى إلى هذه القصيده التى مطلعها:

دروع لملك الروم هذى الرسائل يرد بها عن نفسه و يشاغل

هى الزرد الضافى عليه و لفظها عليك ثناء ساغب و فضائل

لم يبدأ الشاعر القصيده، هذه المره، بالغزل أو النسب كعادته، فقد أعجله عن ذلك أمر خطير هو أحق أن يشغل به نفسه و يحذر به أميره.. إن الأمر عنده ليس مدح سيف الدوله و كفى، و ليس طلب المنزله أو طلب الجائزه و كفى.. بل الأمر الأهم من هذا كله أن يعلم أميره مغزى هذه الهدنه التى يرجوها قائد الروم.. هذه الهدنه ليست سوى خدعه يريد أن يدفع بها ملك الروم عن نفسه و جيشه إحدى الهزائم يوقعها به هذا الأمير العربى، سيف الدوله.

فالمتنبى، إذن، يدرك قصد الهدنه هذه، و هو إذن يسارع إلى أميره أن يرفض الهدنه، حتى لا يفيد منها العدو كسبا عسكريا على حساب الدوله العربيه. و يصاب العرب بالهزيمه، بعد النصر، فى المعركة التى وقعت قرب بحيره الحدث، سنه تسع و ثلاثين و ثلاثمائه، و كان سبب الهزيمه أن أتباع سيف الدوله بعد أن انتصروا على الروم عده انتصارات فى تلك السنه، أبوا عليه أن يتابع غزوه للروم، و ألحوا عليه فى طلب العوده إلى ديارهم، فاستجاب لهم، و عادوا بمغانم النصر و بالأسرى، و بينا هم فى طريق العوده فوجئوا بالعدو و قد أحاط بهم، و سد عليهم كل طريق فأوقع بهم الهزيمه، و كان المتنبى من شهود أحداث النصر و الهزيمه معا، فلما عادوا إلى حلب كانت نفس الشاعر قد امتلأت ألما و حزنا على ما قد أصيب به الجيش العربى فى تلك الحوادث، و سرعان ما أحدث الألم و الحزن هذه القصيده التى مطلعها:

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا، أو حدثوا شجعوا

أهل الحفيظه، إلا أن تجربهم. و فى التجارب، بعد الغى ما يزع (٣)

و ما الحياه و نفسى بعد ما علمت أن الحياه - كما لا تشتهى - طبع (٤).

ليس الجمال لوجه صح مارنه أنف العزيز بقطع العز يجتدع

(٥) فهذه بداءه القصيده كما ترى، وقد أنشدها سيف الدوله، فهل يبدأ شاعر قصيده مدح على هذا النحو و هو يقصد إلى مجرد المدح أو مجرد الجائزه أو مجرد الزلفى إلى أميره؟..

أنت تحس فى هذه البداءه أن شاعر هذه القصيده امرؤ محزون بالفعل، حاقداً حائقاً أشد الحقد و الحنق على أولئك الذين جنبوا عن متابعه الحرب، فوقعوا الهزيمه بجيشهم و قومهم و أميرهم.. و هو ينطلق من هذا الشعور الصادق ليس واصفاً و لا مادحاً، بل معبراً عن وجدانه المنفعل المتأذى، بما فيع.

ص: ٢٥

-
- ١- القله: موضع فى بلاد الروم.
 - ٢- حران: بلد كان يعسكر فيها سيف الدوله.
 - ٣- الحفيظه: الحميه و الأنفه، يزع: يردع.
 - ٤- بفتح ألباء: الدنس
 - ٥- المارن: اللين من الأنف. يجتدع: يقطع.

وجدانه من نبض عربي يساير الأحداث و ينفعل بها.. و هو - مع ذلك - يسخر بهؤلاء الذين يجنون عند القتال و لكنهم يشجعون في الحديث عن القتال، و يتظاهرون بالحميه و الأنفه، و لكن التجربه تذهب بحميتهم و أنفتهم..

و هو - إلى ذلك - يسأل في مراره و حرفه: ما الحياه و نفسى، و قد علمت هذه النفس أن الحياه - على غير ما تشتهى - ليست سوى دنس.. ثم هو ينفى الجمال عن وجه يلين أنفه و يخنع و يذل، و يرى أن العزیز كالمقطوع أنفه حين ينقطع عنه عزه..

أ أطرح المجد عن كتفى و أطلبه و أترك الغيث في غمدى و انتجع؟ (١)

و المشرفيه، لا زالت مشرفه، دواء كل كريم أو هى الوجع (٢)

و فارس الخيل من خفت فوقها فى الدرب، و الدم فى أعطافها دفع

و أوحدته و ما فى قلبه قلق و أغضبته و ما فى لفظه قذع

(٣) هذا شعر شاعر تضحج النكبه فى صدره و فى دمه، و تحس أنت، حين تقرأ هذا الشعر، أن النكبه تضحج فى صدرك و فى دمك كذلك، فالمتنبى إذن صاحب قضيه هنا، و ليس صاحب أمير يزجى إليه القصيد إزاء لينال بره أو ليشير إعجابه.. و هو هنا شاعر أمه لا شاعر أمير..

و تستطيع أنت، بعد هذا، أن ترجع إلى ديوان المتنبى بنفسك، تقرأ قصائده فى سيف الدوله كلها، و تتعمق هذه القصائد، و تتأمل أغراضها، و تتذوق فيها الرفيع، ثم ترى: أ كان المتنبى مجرد شاعر يطلب ضيعة أو ولايه أو رفدا كيفما جاءه الرفد و من أى مصدر أتاه، أم كان صاحب نزعه قوميه ثوريه، بالمعنى الذى أوضحناه أول الفصل.. ثم ترى: أ كان المتنبى مجرد صانع كلام مقفى موزون، ماهر الصنعه، أم كان إلى ذلك شاعر ثوره و عاطفه و هدف كبير؟..

و أنت تستطيع - بعد هذا أيضا - أن ترجع إلى قصائد المتنبى فى مدح كافور نفسه، بعد أن ألجئ إلى فراق سيف الدوله، تقرأها كذلك و تتعمق روحها و تتأمل أغراضها و تتذوق فيها، ثم ترى: أ كان المتنبى يحن حينه ذاك إلى سيف الدوله، و يعتب عليه عتبه ذاك الناضح دما و حبا و أسى، لمجرد أن سيف الدوله كان يحسن تقديره و بره، أم لأن سيف الدوله قد أروى و أشبع فى المتنبى عروبتة و ثوريتة و شاعريته؟..

المرحله المأساه فى حياه المتنبى:

المرحله التى انفصل فيها أبو الطيب عن صديقه المفضل، الأمير الحمدانى سيف الدوله، و اتصل فيها بأمر مصر كافور الإخشيدى (عام ٣٤٥ هـ)، هى المرحله المأساه فى حياته.

لقد فجع المتنبى، يومئذ، بأعز علاقاته الإنسانيه، و أسمى تجربات حياته، و أنبل قرابه وجدانيه بينه و بين الناس، فضلا عن فجيعة - حين ذاك - بتلك الطمأنينه الروحيه و الماديه التى لم يتذوق مثلها فى مراحل عمره جمعا..

و فى الحقيقه أن انفصاله عن سيف الدوله لم يكن يعنى انتهاء مرحله و ابتداء مرحله، بل كان يعنى - فى نفس الشاعر - تحول معنى مرحله نفسها من الطمأنينه إلى القلق العارم، و من الغبطه و السعاده إلى الكدر و الألم و التمزق النفسى..

و معنى ذلك أن المرحلة الأخيره لم تكن مرحله مستقله عن سابقتها. بل هى امتداد لها، و لكن بوجه جديد عابس قاتم مشخن بالجراح..

فالمتمنبى لم يفصل عن سيف الدوله روحيا و وجدانيا حين غادر بلاطه و غادر صحبته فى دولته و معارك جهاده، و إن انفصل عنه ماديا و جسديا..

لقد ظل مرتبطا بمرحلته السابقيه و باميره المفضل، و لكن ارتباط ألم و عتب و حنين و تفجع.. فقد راح إلى دمشق، ثم إلى الرمله، و هو ينظر بقلبه و وجدانه و قضيته الكبرى إلى الورا.. إلى حلب.. إلى رحاب سيف الدوله.. إلى معارك الحدود و الثغور.. إلى هزج الفرسان و صليل السيوف و هدير القتال و عظام الانتصارات و تدارك الهزائم.. بينما ينظر بعينه و بحاجته و مطامحه المحرجه، إلى أمام.. و لكن أين؟..

لقد كان فى نفسه، و هو يغيب عن وجه الأمير الحمدانى الذى خذله و استمع إلى أقاويل حساده و خصومه.. لقد كان فى نفسه حين ذاك أمران اثنان:

الأول: أن يجد المكان الذى يسع مطعمه كطالب "ضيعه أو ولايه" يستريح إليها بعد كفاح طويل، و تغنيه عن "بيع شعره فى سوق الكساد" من جديد...

الثانى: أن يجد وجوده كشاعر يملأ الدنيا و يشغل الناس، بعد أن رأى وجوده هذا قد فقد مكانه المطمئن المفضل الذى وجدته فى ظل الأمير الحمدانى، و هو يطوى فى ضميره رغبه جارفه فى أن يغبط سيف الدوله، و يثير غيرته و حميته و ندمه إذا وجد المكان الجديد الذى يرجو فى ظل أمير جديد ينافس سيف الدوله..

و كان كافور الإخشيدى، حاكم مصر يومئذ و خصم أمير حلب، هو الأمير الذى تطلع إليه المتمنبى، أول ما تطلع، حين أرغمه كيد الكائدين على أن يولى ظهره لسيف الدوله..

كان يتطلع إلى مصر و كافورها، و هو يرجو أن يحقق بذلك كلا الأمرين معا: مكان مطعمه، و مكان شاعريته، ليستريح، و ليغبط أميره الذى فارقه مرغما و ظل متصلا به روحا و وجدانا.

و فى الوقت نفسه كان الإخشيدى كافور هو أيضا يرقب هذه الفرصه ليضع يده على الشاعر الذى ملأ الدنيا و شغل الناس، لكى يملأ به دنياه و يشغل به أعداءه.. و كان سيف الدوله هو الشبح الذى يتجسد فيه كل عداوات كافور، و كان القبض على يد المتمنبى يعنى، فى نفس كافور، القبض على سنان الرمح الذى يطعن به كبرياء سيف الدوله، و يثير حنقه، و يهيج أعماق مشاعر المنافسه فى سويداء قلبه..

هكذا تلاقت الرغبتان: رغبه المتمنبى، و رغبه كافور، و إن اختلفت أسبابهما و أهدافهما..

و فى حىن كان المئنبى ىنتظر الفرصه لبلوغ ماربه، و هو عنء أمىر الرملهفلسطىن جاءءه الدعوه من كافور إى مصر... فخف إىه مسءجىبا لدعوءه،ش.

ص: ٢٦

-
- ١- انءجع: طلب العشب.
 - ٢- المشرفىه: السىوف.
 - ٣- القءع: الفءش.

و فى قلبه هزه فرح و أمل تقابلها رعد حنق و عتب و حنين تتجه به إلى حلب، إلى سيف الدوله..

و يتلاقى الشاعر و حاكم مصر، و تتلاقى رغباتهما، و لكن كافور رجل عصامى ماكر حاذق، فلم يعط الشاعر كل ما فى نفسه من مشاعر النصر..

و كان النصر يعنى عند كافور نصرا على المتنبي و نصرا على سيف الدوله معا..

لقد كبح الأمير الماكر الحاذق عواطفه، فما قابل الشاعر بما ينبغى أن يقابله به من فرح بلقائه بعد انتظار طويل صابر، بل واجهه ببروده ماكره، بالرغم مما هيا له من أسباب الراحة و السكن، ليستدر مدائح، مستعجلا إياه بهذه المدائح..

و ما خفى على فطنه الشاعر هذا المظهر البارد الماكر من كافور، فاعتم لذلك و أحس لوعه الجرح من جديد، و أحس الطعنه فى كبريائه تمزق وجدانه... و لكنه أضمرها فى طيات نفسه إلى حين، و شاء أن يقابل المكر بمكر مثله بعض الوقت.. فتأخر عن كافور بالمدح، حتى ينتزع منه المكان الذى جاء مصر من أجله...

و لم يطل الوقت.. فإذا الشاعر يفتتح مدائحه لكافور بأولى قصائده فيه (جمادى الثانيه سنه ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م)، و هى القصيده التى مطلعها:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا و حسب المنيا أن يكن أمانيا

و ننظر فى هذه القصيده لا لرى كيف حال أبى الطيب و هو يقول أول قصيده بعد انقطاعه عن سيف الدوله يمدح بها غيره أول مره.. فنرى تلك الحال نفسها التى وصفناها، أى أنه ما يزال يتلفت بقلبه إلى صديقه الذى فجع بصدافته، و لا يزال يرتبط به ارتباط روح و وجدان، رغم القطيعه، و رغم الجرح، و رغم الفجيعة..

فقد وقف نحو اثني عشر بيتا من أبيات هذه القصيده على التغمى بتلك العلاقه المقطوعه الموصوله معا معبرا عن غيظه، و لكن أى غيظ؟.. إنه غيظ المحب الذى فارق من أحبه مرغما جريحا، دون أن تنقطع فى نفسه و شائج الحب..

لقد انتظر كافور طويلا، و هو يتحرق، حتى يرى شاعر سيف الدوله يقف بين يديه منشدا فيه المدائح، فلما وقف فعلا، و تحقق حلم كافور، فوجئ بأولى قصائده تتحدث فى مطلعها حديث شاعر يرى الموت خير دواء يشفيه من دائه، و يرى المنيه أحلى أمانيه.

فهل انتظر كافور كل ذلك الانتظار لسمع مثل هذه اللهجه من شاعره عند أول موقف بين يديه منشدا؟..

و لا يكتفى الشاعر بهذا الاستهلال يجب به ممدوحه الجديد، بل يزيد فى تحديه للموقف، حين يعلن استكباره عن تحمل عيش الذل. و إثارة الدفاع عن عزته و كرامته بحد السيف و سنان الرمح و اختيار كرائم الخيل، كشان الأسود لا يغنيها الحياء فى دفع غائله الجوع، و لا تهاب إلا حين تكون ضاربه...

إذا كنت ترضى أن تعيش بذله فلا تستعدن الحسام اليمانيا

و لا تستطيلن الرماح لغاره و لا تستجیدن العتاق المذاكيا

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى و لا تتقى حتى تكون ضواريا

ما ذا يعنى المتنبي بهذه اللهجه يفتح بها عهده مع كافور؟..

لقد أراد أن يحذره منذ البدء.. أراد أن يقول له: إياك أن تسومنى المذله، فلقد فارقت سيف الدوله مذ رأيتك يريدنى أن أرضى عيش الذل، و لن أرضى أبدا هذا العيش، فكن على حذر..

ثم أراد أن يوحى لكافور أنه لم يفارق سيف الدوله كارها له، بل لا يزال يضمه له الحب.. و إن كان يعبر عن هذا الحب بصورة عتاب و تحذير لقلبه:

حببتك قلبى قبل حبك من ناى و قد كان غدارا، فكن أنت وافيا

و اعلم أن البين يشكيك بعده فلست فؤادى إن رأيتك شاكيا

فان دموع العين غدر بربها إذا كن أثر الغادرين جواريا

فهل نرى إلى قوله:

" و اعلم أن البين يشكيك بعده "

. أ ليس هذا أصرح تعبير عما يهيج فى قلبه من مشاعر الحنين إلى سيف الدوله؟.. بل، هل أبلغ صراحه فى ذلك من قوله:

أقل اشتياقا أيها القلب ربما رأيتك تصفى الود من ليس صافيا

خلقت ألوفا، لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

إنه يريد أن يقول لكافور: أنا لست لك.. إن قلبى لا يزال يصفى غيرك وده، و إن لم يكن ذلك "الغير" صافيا..

و لتأمل فى قوله

"خلقت ألوفا .."

فهو يريد أن يوحى لكافور أن المسأله بينى و بين سيف الدوله مسأله ألفه، و الألفه خليقه أصيله بى.. و لذا أرانى " موجع القلب باكيا لفراقه ".

هكذا تبين، منذ القصيده الأولى، بل منذ اللقاء الأول، أن كافور و المتنبى لن يكون أحدهما للآخر مثلما كان الحال بين سيف الدوله و المتنبى.

و لعل كلا من المتنبى و كافور قد أضمرا لصاحبه، منذ ذلك الوقت، أن يكون منه على حذر، و أن يستفيد من صحبته قدر ما يستطيع دون أن يعطيه كل ما يستطيع. فالمتنبى قد عقد النيه على أن يرتضى المصير الذى انتهى به إلى صحبه كافور رغم إرادته، و لكن شرط أن ينال منه مطلباً مادياً يغنيه عن التشرّد فى الآفاق، و يسكن إليه من متاعب التطواف و متاعب التقلب بين ذوى لجاه و السلطان..

لقد أصبح المتنبى، إذن، عائق النظر و الرجاء فى أمر واحد سيصبر من أجله على المكاره كلها عند كافور.. و هذا الأمر هو الحصول على المال، فلقد صار إلى حال لا يرى معها المجد كله شيئاً إذا لم يدعمه المال، أو لم يكن هو المال..

و ذلك ما قد كان يعلنه باشكال مختلفه فى مدائحه بكافور، ففى القصيده التى مطلعها:

أود من الأيام ما لا توده و أشكو إليها بيننا و هى جنده

فى هذه القصيده قال:

ص: ٢٧

إنها ماساه المتنبي.. فقد حرّمته القطيعه مع سيف الدوله مجدا يحرك فى ذاته كل طاقات الخلق و الإبداع، هو مجد الصداقه أولا، و مجد الايمان بالبطوله ثانيا، و مجد القضيه التى كان يرى فى سيف الدوله بطلها. ثالثا...

لقد حرّمته القطيعه هذا المجد، فلم يبق له الدافع العظيم الذى ينشد المطلب العظيم و يفجر الشعر العظيم، كما كان يوم كان فى صحبه سيف الدوله.

من هنا نراه ينحدر فى مدح رخيص، و فى شعر حمد لهيبه الذى نعرفه يتوقد فى القصائد الحمدانيه، و نرى الصور الملحميه تختفى كليا من القصائد الكافوريه.

و من هنا أيضا لم يطل عهده بكافور، لأن حاكم مصر كان ينوى منذ البدء أن لا يعطى المتنبي ما يرجوه، بل يماطله بالوعيد حتى يستنفد من مدحه قدر ما يمكن.

فلما أيقن الشاعر أن أمواله التى يرجوها من كافور لن تكون سوى "المواعيد" تنكر له، و عزف عن مدحه إلى هجائه، و رأينا لهب الشعر يتسعر من جديد فى أهاجيه اللاذعه بكافور.. و يترقب الفرص للفرار من قبضه حاكم مصر على حال سيئه تقتضيه المسير على قدميه تحت أستار الظلام، و يعود إلى موطنه العراق يائسا تشتعل نار المأساه فى جوانحه، لا يدرى - بعد - أين المصير؟..

و لكن تحدث له أحداث، و هو فى العراق، إذ تموت جدته، و تأتية الأنباء و الوفود من سيف الدوله فتتحرك شاعريته بامر جديد، و يتأجج وجدانه بلهب جديد، فإذا مرثيته لجدته، و مرثيته لأخت سيف الدوله، ترجعان إلى شعره روعه النغم النابع من مصادره الوجدانيه العميقه الصادقه الدافقه..

ثم يختم حياته القلقه بوضع مدائح ليست فى مستوى شعره العظيم، يقولها بابن العميد و عضد الدوله عند تلبيه دعوتها فى فارس.. و يسدل الستار بمصرعه الفاجع عند عودته إلى موطنه الأول، الكوفه.. يسدل الستار على تلك الحياه المتعبه المتناقضه، و يبقى شعره مجدا باقيا له و للأدب العربى لن ينطفئ و هجه أبدا..

المتنبي فى شعب بوان

قال محمد شراره:

قد تكون وقفه التاريخ مع المتنبي أطول الوقفات التى عرفها مع الأدباء عامه و الشعراء خاصه. و إذا استعرضنا ما قيل فيه و عنه وجدنا سيلا من الأفكار و العواطف المختلفه ينتشر حوله، و يدور حول حياته و أدبه، بينما لم ينل غيره سوى قطرات.

و الإطار العام الذى وضعه التاريخ فيه لا يتعدى "الكبرياء" و "الغطرسة" و "الغرور" و ما أشبه ذلك من المعانى التى توحىها قصائده أو معظم قصائده.

و كان من وراء الإطار المذكور شيوع الصور المتكبره و انطباعها فى النفوس عن الشاعر بحيث أصبح ذكره كافيا لأن ينقل إلى

و إذا شاعت هذه المعانى عن شخص وضعت بينه و بين الناس هوه أو أسلاكاً شائكة يصعب اجتيازها، و أصبح مكروها ممقوتا يثير ذكره معانى الاشمئزاز، لأن الصفات المذكوره تؤدى بصاحبها إلى احتقار الآخرين، و الحط من شأنهم، و الإنسان مهما كان، يرفض احتقار الآخرين، و يرى فيه إهانه لنفسه، و لا يرى موجبا للاتصال بمن يحتقره، و يحاول إهانته إلا إذا كانت كرامته ضئيله، و كان له نفع من وراء الخضوع للاهانه، فإنه - عندئذ - يبلع الاهانه فى سبيل المنفعه الخاصه، و يتحمل كبرياء غيره، و يرضى بالذل.

و لا نعرف للشاعر جوله فى هذا الميدان: ميدان المنافع حتى يتحمل المتصلون به - فى سبيل - ذلك - غطرسته و كبرياءه!.

هذا الإطار الذى خطه التاريخ حول الشاعر هو الخط البارز فى حياته، و فى شعره. و لم يكن التاريخ جانبا و لا ظالما حينما وضع هذا الإطار حوله.. لم يكن جانبا كل الجنايه، و لا- ظالما كل الظلم، و لكن قد يكون فى تخطيطه بعض الجنايه لأن هناك ومضات حلوه سائغه هاربه من ذلك الإطار التاريخى المعروف، هذه الومضات خاليه من الكبرياء و الغطرسة و الغرور و ما أشبه ذلك من المعانى التى توحىها قصائده أو معظم قصائده!

و قد وقف صديقنا الأستاذ حسين مروه فى بحثه القيم عنه على ومضه من تلك الومضات الصافيه، و أخرج الشاعر من الإطار التاريخى المعروف، أخرج منه إلى عالم جميل... عالم مناضل يذيب نفسه فى سبيل العقيدته أو الفكره. و لكن صديقنا كبر الومضه و خلق منها هاله واسعه.. هاله عظيمه تكاد تخرج الشاعر من الإطار الذى وضعه فيه التاريخ، و تضعه فى إطار معارض له. فاعتبار "المتنبى... شاعر الجهاد العربى" شىء كبير تؤاخذ عليه المقاييس العلميه. و نحن الذين أعتدنا - و الأستاذ مروه فى طليعتنا - أن نستشير الفيلسوفه القائمه على العلم فيما نقول أو نكتب، نستكبر أن يكون "المتنبى.. شاعر الجهاد العربى"، و نرى فى هذا الوصف "هاله" أو "وساما" لا يستحقه الشاعر.

و مهما يكن الأمر فالإطار الذى وضعه التاريخ حول الشاعر لم يكن عادلا كل العداله، كما أن "الهاله" الرائعه التى وضعه فيها الأستاذ مروه كانت كبيره عليه، و فوق ما يستحقه. و وضع الأمور فى نصابها يدفعنا إلى محاسبه التاريخ، و محاسبه الأستاذ مروه أيضا و إن اختلفت وجهه الحساب. فالمتنبى لم تكن حياته كلها أنانيه و عجرفه كما يصوره التاريخ، و لا كانت جهادا فى سبيل العرب و العروبه كما حاول أن يصوره الأستاذ مروه.

و المقياس الدقيق الذى وضعه الأستاذ فى تحليل النزعه القوميه هو نفسه يخرج المتنبى من تلك "الهاله" و يبعده عنها مسافه كبيره، و لكنه و إن أخرج منها يبقى فى شعره نبرات منها، و هذه النبرات هى التى أغرت الأستاذ مروه، و زينت له أنها "أكثر من مجرد الشعور" و جذبتة إليها تلك الجاذبيه التى جعلته يحسها نغمات عميقه منبعثه عن فكره موسيقيه مدروسه، صادره عن آلات منسجمه متوافقه تعرف كل آله منها اللحن المفروض عليها، و هى فى آخر المطاف نبره... نبره فقط.

اسمه قوم.. اسمه عرب.

على أن الدقه العلميه تقتضينا أن نحتاط كثيرا فى وصف هذا الشعور و تحديده، و تفرض علينا الحذر فى إخراجہ، و فى الحجم الذى ينبغى أن يخرج فيه.

و التأمل فى الشعور المذكور، المنظوى وراء تلك النبره يؤدى بنا إلى الحكم بأنه شعور غامض، بعيد عن البلوره. و أبياته التى يقول بها: "لا بقومى شرفت بل شرفوا بى" تدل على أنه لا يزال يفهم من كلمه "القوم" معنى القبيله:

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى و بنفسى فخرت لا بجدودى

و بهم فخر كل من نطق الضاد ، و عوذ الجانى و غوث الطريد

و النطق بالضاد شىء مقصور على العرب - كما هو معروف - فإذا كان جميع الناطقين بالضاد: أى كل عربى على وجه الأرض يفخر بقوم المتنبي قومه خاصه. فما ذا يكون - عندئذ - تفسيره لكلمه "القوم"، و ما ذا يكون قصده منها؟ و هل يعنى غير "القبيله"؟ و لكن موقفه أمام انتصار سيف الدوله على بنى كلاب يطل بنا على شعور عربى أوسع من الشعور القبلى:

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عتاب

و عين المخطئين هم و ليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا

فان المطالبه بالرفق منبثق عن عاطفه عرييه، أو قد يكون - على الأقل - منبثقا عن شعور عربى. و ربما يتأكد ذلك إذا عرفنا أن بنى كلاب ينتمون لقيس، و بنى حمدان يرجعون لتغلب، و بين قيس و تغلب ضغائن قديمه، و أحقاد عميقه، و برغم ذلك يرجو الرفق بهم، و يسمى الرفق "عتابا".

و اختيار لفظه "العتاب" فى هذا المكان - إذا صح أنها عتاب لا عقاب - تشير إلى عطف عميق. و كأنه يريد أن يقول إنهم لا يستحقون على جنايتهم أكثر من "عتاب" و العتاب يكون للصدى عاده إذا أخطأ و إن استعملها بشار فى غير ذلك:

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

و لكن هذا الاستعمال قائم على التصرف بالكلمه، و التطوير لها، و إن كان هذا التصرف فى منتهى الجمال الفنى.

و مهما يكن فاللفظه فيها حنان، و فيها حب، و فيها إحساس جميل نحو الناس الذين نشير إليهم، و إذا لم يكن هذا الاحساس منبعثا عن عاطفه قوميه فمن الصعب أن نجد له تعليلا آخر.

و إذا قارنا هذا الموقف بموقف آخر مشابه له من حيث الانتصار، مخالف له من حيث "الجناه" وجدناه يختلف اختلافا كبيرا. و نستطيع أن نأخذ مثلا على ذلك معظم القصائد التى قيلت بعد انتصار سيف الدوله على البيزنطيين، فان الشاعر لا يطلب فيها "رفقا" بالمهزومين، و لا شفقة عليهم، و لا عطا.

و سيف الدوله فيها لم يكن ملكا يهزم ملكا، و إنما كان " التوحيد " يصارع " الشرك " و معنى ذلك أن سيف الدوله هنا مبدأ يصارع مبدأ، و عقيدته تصارع عقيدته.

و لست مليكا هازما لنظيره و لكنك التوحيد للشرك هازم

تشرف عدنان به لا ربيعه و تفتخر الدنيا به لا العواصم

فهذه النظره المختلفه إلى " الجناه " على اشتراكهم فى الجنايه - و الجنايه بذاتها لا تتجزأ - تشير على أقل افتراض إلى عاطفه تختلج بحب الجناه إذا كانوا عربا، و تتجرد منها إذا لم يكونوا كذلك. و العاطفه نحو القوم بدايه شعور إنسانى.. بدايه انطلاق من الذات، و انفلات من الأنانيه.

و إذا قيل: إن هذه النظره بدويه أكثر منها قوميه، لأن البدوى لا يخرج عن هذه القاعده فى نظرتة إلى قبيلته. و من هنا قيل:

و هل أنا إلا من غزبه: إن غوت غويت، و إن ترشد غزبه أرشد

فهذا القول صحيح لو كان المتنبي من بنى كلاب، و كانت القبليه [القبيله] هى التى تربطه بهم. و لكن المعروف أنه من جعفى الهابطه من سعد العشيره، بينما تهبط كلاب من عامر بن صعصعه الهابطه بدورها من هوازن و ليس بينها هذه القرابه. و من هنا يمكن أن يعد عطفه على بنى كلاب نوعا من القوميه.

و القوميه - كما قلنا - بدايه شعور إنسانى. و لا شك أن المتنبي يمتلك هذا الشعور. و إذا بدا فى بعض الأحيان ضعيفا، فإنه يبدو فى أحيان أخرى قويا بالغ القوه. و إذا قرأت قوله:

و مراد النفوس أهون من أن نتعادى فيه و أن نتفانى

لمست هذا الشعور، و لمست مدى عمقه و قوته. فالإراده هى مصدر الشقاء، و منها تنبع العداوه فى الحياه، و لكن الإراده أهون من أن تبعث على العداوه، و الروابط الإنسانيه ينبغى أن تكون فوق الإراده و رغباتها.

و المتنبي بهذه النظره يسبق شوبنهاور الذى تلخص فلسفته فى أن " الحياه إراده ". يسبقه فى نظرتة أو " نظريته " و يفوقه فى وصف العلاج. فشوبنهاور يرى " أن فى كل إنسان حوضا من الألم لا محيص له عنه، و هو حوض [يستحيل] أن يظل فارغا كما أنه لا- يمكن أن يسع أكثر مما يملؤه. فإذا ما أزيح عن صدورنا عناء جسيم مضمحل مكانه عناء آخر. و لقد كانت ماده هذا العناء موجوده فعلا، و لكن منعها أن تجد سبيلها. إلى الشعور بها إن لم يكن هنالك من القوى ما يتفرغ لها.. أما الآن فإنها تندفع و تتبوأ مكانها".

" إن طبيعه الجهاد تبدو لنا فى كل ما تبدو فيه من صور كأنما هى مقصوده و مدبره بحيث تدعونا إلى العقيدته بان ليس فيها البته ما هو جدير منا بالجهاد، و ما طبييات الحياه كلها إلا عبث، و العالم فى كل ما يقصد إليه فاشل، فهو كالعامل الذى لا يغطى مصاريفه".

و إذا كانت طبيبات الحياه كلها عبثا فقد أصبح بلوغها " كالحسنه التي تقذف بها إلى الفقير فتحفظ حياته اليوم لكي يمتد شقاؤه إلى الغد.. إنه ما دام إدراكنا مغمورا بارادتنا، و ما دمنا خاضعين لمزدحم الرغبات بآمالها و مخاوفها التي لا تنقطع... ما دمنا مدفوعين لاراده هذا الشيء أو ذاك فيستحيل أن نحيا في سعادته كامله أو في سلام دائم".

ص: ٢٩

" إن عمل الإرادة و حركه الجسم ليسا شيئين مختلفين تفرق بينهما تفرقه موضوعيه، و يتحد أحدهما بالآخر برباط السببيه. أى أن ما بينهما من صلته هى صلته العلله بمعلولها. بل هما شىء واحد و لو أنهما يحدثان بطرق مختلفه أتم الخلاف. إن عمل الجسم ليس إلا عمل الإراده مجسدا. و هذا صحيح فى كل حركه من حركات الحسم [الجسم].. فليس الجسم كله إلا إرادته تجسدت، فيجب لذلك أن تقابل أجزاء الجسم الرغبات الرئيسيه التى تتجلى فيها الإراده مقابله تامه، و لا بد أن تكون تلك الأجزاء هى التعبير المرئى لهذه الرغبات.

فالأسنان و الحلق و الأمعاء هى الرغبه قد تجسدت، و أعضاء التناسل هى الجنسيه. و يكون الجهاز العصبى فى جملته أداءه الحس التى تشعر بها الإراده فتمدها لتحسس بها فى الداخلى و فى الخارج. و كما أن الجنس الإنسانى بصفه عامه يقابل الإراده الإنسانيه بصفه عامه فان البنيه الجسديه للفرد تقابل إرادته الفرد.. أى شخصيته...".

و ما دام الإنسان إرادته فلا بد أن ينتهى الأمر بقائل هذا القول إلى هذه النتيجة: " لشد ما يغىظنى أن نجادل رجلا بالبراهين، و نعانى الآلام، فى إقناعه ثم يتضح لنا آخر الأمر أنه لا يريد أن يفهم، و أنه ينبغى لنا أن نتصل بإرادته.

" من جهه أخرى إن أغبى إنسان ينقلب مرهف الذكاء إذا ما كانت المسأله المطروحه عليه تمس رغباته مساقريبا. و قد يبدو على الناس أنهم مقودون من الإمام، و الواقع أنهم مسوقون من الخلف".

فإذا ربطنا بين هذه الأفكار من "حوض الألم" إلى "سد الرغبات" إلى "جعل الإراده و الحياه شيئا واحدا" بدا لنا الدهليز المرعب، و الغايه المريحه التى تقودنا إليها هذه الفلسفه. بينما تقودنا فكره المتنبى - على بساطتها، و بعدها عن التحليل الفيزيولوجى - إلى واحه هادئه مريحه.

فالشاعر العربى، و الفيلسوف الألمانى يلتقيان فى "هوان" الإراده، و لكن شتان بين اللقاءين. فالفيلسوف يرى الإراده - على هوانها - كل شىء.. إنها الشخصيه.. إنها الإنسان.. و التنازل عنها تنازل عن الوجود، على أن هذا الوجود وجود شقى لا يستحق "الجهاد" ما دامت "طبيات الحياه كلها عبثا" و ما دام "العالم فاشلا فى كل ما يقصد إليه". فاستخفاف الفيلسوف بالإرادته مستمد من استخفافه بالوجود كله، و ما دام الوجود كله تافها - و الإراده هى الوجود - كانت الإراده هينه! فإذا تخلت عنها فى ضوء هذه النظره فلست بخاسر شيئا إن لم تكن رابحا.. و الدعوه إلى تركها دعوه إلى البعد عن الخسائر. بينما الشاعر العربى لا يراها هذه الرؤيا.. إنه يراها شيئا.. و قد تكون "شيئا" مهما. و لكنه - على أهميته - ينبغى التخلّى عنه إذا أدى إلى التصادم... إذا أدى إلى العداوه. فالتأديه إلى العداوه - عند الشاعر - هى التى تلقى الهوان على الإراده فقط، لا وجود الإراده نفسها، و باضافه "التأديه إلى العداوه" يلتقى المتنبى مع شوبنهاور فى قوله:

" ما دمنا مدفوعين لإرادته هذا الشىء أو ذاك فيستحيل أن نحيا فى سعادته كامله، أو فى سلام دائم".

فنظره الشاعر تنتهى - كما رأينا - إلى أن الإراده "شىء" و الدعوه إلى تركها و التخلّى عنها توضحيه.. و لكنها توضحيه فى سبيل التخلص من العداوه.. فى سبيل سلام دائم بين الناس. و وراء هذه النظره عنصر إنسانى يمددها بالجمال و القوه. أما التخلّى عنها بنظر الفيلسوف فليس بعيدا عن التوضحيه فقط! وإنما هو "تخلص" من شر.. تخلص من مرض!.. تخلص من آلام و متاعب! و

وراء هذه النظرة يقف كل ما فى الحياه من خوار و وعوعه.. و ما من شك بان القرن التاسع عشر، و ما تم فيه من رأسماليه شرهه، و استعمار منهوم يمد "نظره" الفيلسوف الألماني بكل ما فيها من سواد و ظلمه.

إن عصر المتنبي و إن كان لا يقل قلقا عن عصر شوبنهاور - مع اختلاف الأسباب الداعيه إلى القلق طبعاً - بيد أن نظره الشاعر فى هذا الموضوع بالذات ظلت أصفى من نظره الفيلسوف، و أدق منها كثيرا. و قد ظل الجوهر الإنسانى حيا فى نفس الشاعر على رغم القلق المريع فى عصره.

على أن الشاعر لا ينسى - و هو فى هذا الصفاء الإنسانى - أن الإنسانى لا نعى التسامح المطلق، أو التضحيه من أحد الجانبين، أو تنازل أحد الطرفين فقط. الإنسانى لا نعى استغلال المؤمن بها لمنفعه الكافرين بالإنسان، و بالقيم العليا، و إنما هى تسامح عام و تنازل مشترك بين الناس. و إذا حولها الكافرون بها إلى استغلال انقلبت عند المؤمنين بها إلى "هوان" و لم تعد "إنسانى" بل ذلاً أو نوما على الذل. و إذا فهمت على أنها نوم أو تغاض كان على المؤمن بها أن يعرف كيف يواجه هذا "الفهم" القدر.. عليه أن يستعد، و يقف للرد و لولاقى فى رده المنايا كالحات:

غير أن الفتى يلقى المنايا كالحات و لا يلقى الهوانا

و كان الشاعر يريد أن يقول: نحن مستعدون للتنازل عن مراد النفوس، لأن مرادها أصغر من أن تكون العداوه ثمنا له. و لكن حذار أن يفهم هذا "التنازل" على أنه جبن أو هزيمة فنحن مستعدون فى سبيل إعادتك إلى الفهم الصحيح أن نلقى المنيه و لو كانت كالحه. و نحن مدركون أن الحياه مقبله على الفناء، و أنها قصيره مهما طالت. و مع ذلك فنحن مستعدون لاختصارها أكثر إذا كنتم تظنون أن تنازلنا عن "مراد النفوس" هزيمة و خوف منكم. و يكاد لشده حرصه على هذا المعنى أن ينقلب عن فكرته الأساسيه إلى مبشر بالنضال:

و لو أن الحياه تبقى لحي لعدنا أضلنا الشجعانا

و إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جباناً

و هكذا يمضى الشاعر فى طرح المسأله: فمراد النفوس صغير، بل و أصغر من أن ندفع العداوه ثمنا له، و لكن حذار أن يفهم ذلك على أنه هزيمة، فان المسأله - عندئذ - تتخذ شكلاً آخر.. شكلاً فيه كثير من العنف و التحدى.

و طرح المسأله بهذا الشكل يضع النقاط على الحروف، و يديرها فى إطارها الذى يجب أن تدور فيه: فالتسامح شىء جميل، و لكن على شرط أن يتعد عن "الجو الصوفى" ... أن يتعد عن "الحب المطلق" و أن يبقى قريباً من الحكمة القائله:

و قالت لنا قولاً أجبنا بمثله لكل كلام يا بنين [بشين] جواب

و لو كانت بشينه محبوبه إلى حد التقديس!.

من اللحظات الهاربة من الإطار الذى وضعه فيه التاريخ.

و إذا رافقنا المتنبي إلى "شعب بوان" وجدنا لحظه أخرى من حياه الشاعر، يرتفع بها عن المقاييس المألوفه.

و هذا "الشعب" بقعه من البقاع الفاتنه التى مر بها المتنبي فى طريق فارس، و هو آيه من آيات الجمال الطبيعى، فلما وقف عليه أخذ أخذه المسحور، و ذاب فى روعه الجمال، و لا يكاد يفيق من غيبوبته حتى تسيل روحه فى أبيات تدل على قوه الجمال، و قوه تأثيره:

يقول بشعب بوان حصانى: أ عن هذا يسار إلى الطعان؟

أبوكم آدم سن المعاصى و علمكم مفارقه الجنان

فان أداه الاستفهام هنا تنطوى على أدق معانى الإنكار، و يصب فيها الشاعر أعماق ما فى روحه من الحسرات على ماساه الإنسان، و يستغرب حتى حصانه العارى من الفكر، و من الشعور بالجمال مغادره هذه الجنه الفاتنه!.

و إلى أين!. إلى الطعن الذى تسيل فيه الدماء، و تتمزق تحته الأشلاء، و تذهب فيه الأرواح إلى واد عميق عميق!.

إن الشاعر يرتفع فى هذه اللحظه عن جميع المقاييس المألوفه فى عصره، و لا ينسى تمجيده للحرب، و ترويه رمحه بالدماء فحسب، و إنما ينكر ما كان يمجده، و لا يكاد يذكر قوله:

و من عرف الأيام معرفتى بها و بالناس روى رمحه غير راحم

فما السر فى هذا التباعد العظيم فى المواقف؟ إن البعض يراه من "ازدواج الشخصيه" و البعض الآخر يرى "التناقض" شيئاً اعتيادياً فى حياه الأدباء.

يقول ليتون ستراتشى عن فولتير: "كان أعظم أنانى بين الناس، و كان أبعد الناس عن الأغراض الذاتيه، كان طماعاً بخيلاً، و كان كريماً بافراط، كان طائشاً خبيثاً غداراً، و مع ذلك كان صديقاً، متيناً، و منعماً صادقاً و وقوراً بعمق، و ملهماً بحماس نبيل". (1)

فهل ينطبق على المتنبي ما ينطبق على فولتير؟ و هل يكون الأديب "مجمع متناقضات"؟ إذا أخذنا برأى أرسطو فى التناقض، و اعتبرنا وحده الزمان و المكان و الشخصيه و غيرها من الشروط وجدنا الأديب كغيره واقعا تحت المؤثرات المختلفه، و هذه المؤثرات هى التى تملى عليه خواطره فى الحياه إذا لم يكن وراءها خط فلسفى متين يراقبها، و يراقب تذبذبها بين الأنانيه و إنكار الذات. و المتنبي من هؤلاء الناس الذين تؤثر بهم الظروف التأثير الذى رأيناه، فحينما يرتفع إلى القمه فى إنسانيته، و يتمرد على مقاييس العصر، و حينما يصبح ريشه فى التيار المندفع فى وادى الزمان... زمانه الخاص.

حصان المتنبي..!

و قال محمد شراره:

يقول بشعب بوان حصانى أ عن هذا يسار إلى الطعان؟!!

أبوكم آدم سن المعاصى و علمكم مفارقه الجنان!

هذان البيتان من قصيده طويله نظمها الشاعر بعد مروره ب "شعب بوان"، و هو مرج تتعالى فيه الأشجار، و تغنى البلابل، و تنتشر الأعشاب، و يختلط فيه تغريد البلبل بزقزقه العصفور، و أحاديث الناس بحفيف الأوراق، و تتصاعد فيه لغات لو سمعها النبى سليمان لاحتاج إلى مترجم:

ملاعب جنه لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

و قد وصف الشاعر هذا "الشعب" وصفا دقيقا، و صوره تصويرا فنيا يكاد يرى القارئ من خلاله الظلال و الأفياء، و الأشجار، و المروج، و ما تنطوى عليه من روعه و فتنه، و يرى الطبيعه - و قد لبست ثوبها الساحر الأخضر - فتنه تسبى العيون، و تعشش القلوب.

فى هذين البيتين "إحساس" و "تصوير"، أما التصوير و ما فيه من إبداع و دقه و صدق فلا يهمنا كثيرا فى هذه الكلمه، و إنما الذى يهمنا، و يهم أغلبيه القراء - على ما أظن - هو "الاحساس"، إحساس الشاعر، بالجمال، و الأثر الذى انبثق من هذا الاحساس.

و إحساس الشاعر فى هذه اللحظه الفاتنه - كما يراه القارئ - هو إحساس إنسانى عميق تتفتح به الحياه كما تتفتح الزهره على هبوب النسيم، و أطياف الأشعه، و ترى الوجود و ما فيه من جمال أخاذ، جنه لا- تختلف عن الجنه التى خرج منها آدم - جنه حلوه فاتنه تغرى الأحياء بالحياه، و تجذبهم إليها، و تحبب إليهم "العيش" فى ظلالها و أفيائها الناعمه اللذيذه. و لا يقتصر إحساس الشاعر فى هذه اللحظه على نفسه، و إنما يطغى عليه فيفيض و يفيض كما تفيض الكأس عند امتلائها. و إذا الشاعر يخلع هذا الاحساس الرائع على ما حوله - على حصانه. و إذا الحصان يرى الحياه - و قد ارتدت هذا الثوب المغرى الفاتن - شيئا لذيذا تستحق العناية، و تستحق الحرص... و لا يقف الحصان عند هذا الحد بل ينتقل إلى التفكير بما يهدد هذه الحياه، و بمن يهددها، و إذا بتفكيره - و هو فى قمه الاحساس - يوصله إلى مصدر هذا التهديد الضارى:

إنه الحرب - الحرب التى تأخذ الناس و الخيل، و تختطفهم من هذه الجنه الحلوه السائغه إلى "الطعن" و "الضرب" و "القتل"، و عندئذ يصرخ الحصان صرخه الجريح، و يستفهم استفهاما إنكاريا موجعا:

"أ عن هذا يسار إلى الطعان؟!!"

. و لا يلبث أن ينتقل بعد ذلك الاستفهام الموجع - و قد أخذه الغضب - إلى "آدم" الذى علم أولاده مفارقه الجنه!.

فى هذه النهايه يلقي حصان الشاعر تبعه الحروب و إثارتها على الإنسان الأول الذى لم تكفه معصيته الأولى التى سببت طرده من الجنه حتى أتبعها بغيرها من المعاصى - و أكبر معاصيه بعد الخروج من الجنه هى الحروب - و الشاعر يجعل الحيوان فى هذا الاستنتاج أرقى إحساسا و أصح تفكيراً من الإنسان!.

لم يحالف التوفيق شاعرنا في هذه النتيجة التي انتهى إليها. إنه - على عظمته - ضحية في هذه الفكرة المغلوطة للأساس الفلسفي الذي يرى بان الحرب ظاهره طبيعيه من ظواهر الحياه الإنسانيه. شأنها في ذلك شأن العواصف و الأوبئه في الطبيعه. و إذا كانت الحرب ظاهره إنسانيه لازمه كان الإنسان أخط إحساسا، و أدنى تفكيراً من الحيوان - من حصان الشاعر مثلاً.!

لم يكن شاعرنا العظيم وحده ضحية هذا الاحساس الفلسفي المتداعي، بل تعداه إلى كثير من الشعراء و كما سمعت منه:

"أبوكم آدم سن المعاصي"

فقد سمعت من غيره: ٩٠

ص: ٣١

عوى الذئب فاستانست بالذئب إذ عوى و صوت إنسان فكادت أطيرا!

و ما أشبه ذلك في الهذيان العاطفى الذى يرى الذئب عامه أقرب إلى الاستئناس من البشر كافة! إنه أدب الهزيمة العمياء الشارد من تبعات الحياه بعد أن حقن بالسموم!.

و ما قصدت فى هذه الكلمه إلى هذا اللون من التفكير و غربلته. بل لم يجرنى إليه سوى الربط الخاطئ الذى وقع فيه شاعرنا عند ما ربط تأثره العميق من الجمال بأسباب الحرب التى ذكرها على لسان حصانه، هذه الحرب التى تحرم الإنسان من أجمل مناظر الطبيعه كما تحرمه من أعذب مفاتن الحياه.

إن الشئ الذى حرصت عليه، و أحببت أن أوصله إلى القارئ العزيز بهذه الكلمه، هو التأثر العميق الذى أيقظه جمال الطبيعه فى نفس الشاعر، ذلك التأثر الذى أوجد تحويلا - و لو كان التحويل وقتيا - فى روحه و عاطفته.

حيث أحس - و هو أمام الطبيعه الفاتنه - بقيمه الحياه، و أدرك و هو فى نشوه هذا الاحساس العدو اللثيم لهذه الحياه. و إذا الريشه الشعريه تمتد و تصور هذا العدو، و تشن عليه غارتها العنيفه. و تستشرف الهدف و أنت ترافق الشاعر فى غارته، و إذا الحرب هى الهدف الوحيد، إنها - إذن - هى العدو: عدو الحياه، و هى التى تتلقى نغمه الشاعر. و عند ما يشن هذه الغاره على الحرب ينطلق من ذاته المحدوده، و يتحرر منها، و تصبح الحياه كلها معنى من معانى أغنيته. إن الحمله على الحرب، و تصويرها بصورها القبيحه، هى خدمه للانسانيه، و لو كان من بواعثها الاحساس الآنى بجمال الحياه.

هذه اللحظه من حياه الشاعر، و حياه أمثاله، لها وزنها عندنا، و لها قيمتها الكبرى. إننا نعتبر هذه اللحظه بمثابة الثمره الناضجه فى الشجره، و إذا كانت الأشجار تقدر بشمراتها فالحياه أيضا تقدرها فيها من هذه اللحظه الخالده و أمثالها.

إن هذه اللحظه فى حياه شاعرنا تكاد تكون أصفى لحظاته. لقد تجرد فيها من مطامعه، و انطلقت فيها إنسانيته انطلاقه الجواد المكبوت فى الميدان الواسع. و رأى فيها الحياه شيئا جميلا، كما رأى هذا الجمال متعه مشاعه لجميع الناس.

و تبدو ميزه هذه اللحظه إذا قورنت بأمثالها من اللحظات التى مرت بحياه غيره من الشعراء، فإذا سمعت قول المنازى مثلا:

وقانا لفحه الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم

يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها و يأذن للنسيم

يروع حصاه حالیه العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

رأيت جمالا، و رأيت تصويرا، و رأيت إحساسا بهذا الجمال، و لكنه إحساس - على رفته - لا يتعدى المشاعر الفرديه.

و إذا سمعت الآخر:

و لما جلسنا مجلسا طله الندى أنيقا و بستانا من الزهر خاليا

أجد لنا طيب المكان و حسنه منى، تمنينا فكنت الأمانيا

أحسست بالجمال أيضا، و أحسست بالعاطفه الرقيقه الناعمه التى تشبه زغب الطائر. و لكن الشاعر لم يستطع التخلص من ذاته إلا إلى ذات أخرى يتمم وجودها - إذا وجدت بجانبه - سروره، و استمتاعه بالحياه استمتعا أوسع.

فهذان الشاعران تأثرا بالجمال - كما رأيت - و لكن تأثرهما لم يخرجهما من نطاق الذات إلى إنسانيه أوسع. أما شاعرنا الممتنبي فقد كان كما رأينا روحا واثبه عبرت حدود الذات الفرديه إلى الحياه كلها. و رأت فى جمال الطبيعه متعه تحبب الأحياء لجميع الأحياء. و لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حمل على الذين يشوهون الحياه، و يحولونها إلى خرائب ينبع فيها البوم. شىء واحد أخطاه التوفيق فيه، و هو الإشاره الدقيقه إلى الذين يثيرون الحروب. فقد نسب الحرب إلى "المعصيه"، و هذه المعصيه الجديده جزء من المعصيه الكبرى التى وقع فيها الإنسان الأول.

إن الذى يقرأ ديوان الشاعر يرى فيه تمجيذا كبيرا للحرب، و يرى الفخر بالقتل و الاعتزاز به من أظهر أفكاره:

و من عرف الأيام معرفتى بها و بالناس روى رمحه غير راحم

و ما أشبه ذلك من الآراء التى ترى القيم كلها بالقتل و القتال، الأمر الذى جعل بعض الكتاب الرجعيين يعده فى هذه الناحيه بمصاف نيتشه الأديب الألماني المعروف الذى مهد آرائه إلى الفلسفه الهتلريه. فما الذى جعل الشاعر يتحول هذا التحويل فيشن الغاره على الحرب، و يعدها معصيه؟! إنه الاحساس بالجمال - جمال الطبيعه - إن هذا الاحساس جعل الشاعر ينتشى... جعله كالنحله التى تمتص رحيق الأزهار، ثم تحوله إلى عسل حلو لذيد، ثم تقدمه طعاما شهيا لمن يرغب باكله... جعله ينسى كل ما كان يطمح إليه، و يرغب فيه من عجرفه الملك، و عنجهيه السلطه!

لقد هرب فى تلك اللحظه الخالده من "أوهام" الاماره، و جاه السلطه، و ما أشبه ذلك من المثل العليا التى كانت سائده فى عصره، و انطلقت فيه "الذات الإنسانيه" الرفيعه، و تحررت من خرافات الطوائف الحاكمه، و راحت تزقزق كما تزقزق العصافير فى الغابه، و تغنى أغنيه الحب.

و لكن هذه اللحظه لم تطل و لم تمتد، و إنما نامت بنوم ذلك الاحساس الذى أيقظه جمال الطبيعه. بيد أنها ألفت علينا درسا عميقا بالرغم من قصرها. لقد صورت لنا الأعجوبه التى يستطيع أن يصنعها جمال الطبيعه، و جمال الحياه.

الشيخ أحمد آل طعان القطيفى السرى البحرانى ابن صالح.

مرت ترجمته فى الأعيان و نذكره هنا بتفاصيل أوسع:

ولد فى "ستره" من قرى البحرين عام ١٢٥١ و نشأ فى مدينه المنامه من البحرين.

درس المقدمات من نحو و صرف و علوم عربيه و تجويد و منطق فى البحرين.

ثم توجه إلى النجف الأشرف و أكمل دراساته فى الفقه و الأصول عند كبار علمائها.

عند الشيخ راضى النجفى، كما درس عند الطيب الشيخ على بن ميرزا خليل الطهرانى، و الشيخ محمد حسين الكاظمى.

عصره السياسى:

كان من مواليد البحرين، و لكننا فى ترجمه حياته نجد أنه سكن القطيف و يذكر المؤرخون سبب ذلك فى كلمه مختصره.. لوقوع الفتن فيها" و لو تصفحنا تاريخ المنطقه السياسى لوجدنا أن سبب هجره الشيخ من وطنه الأصلى و اتخاذه القطيف وطنا هو تسلط حكومات الحور [الجور] و الضلال على البحرين، و شده الإرهاب التى تمارسها، و التى اضطرت علماء كثيرين غيره للهجره إلى مناطق الخليج الأخرى مثل بوشهر، و بندر لنجه، و بندر عباس، و عبادان، و الأهواز، و شيراز، و مسقط، و الأحساء، و القطيف.

لذا رأى أن وجوده فى القطيف مهاجرا و عاملا فى سبيل الإسلام أكثر نفعا للإسلام و العلم، و لم يكن السعوديون قد تسلطوا فى ذلك الوقت. و لا- أدل ثم هذا من كثره طلاب العلم حوله، و كثره مؤلفاته و ازدياد مجالس إرشاداته حتى إنه فى أواخر عمره صار يتردد إلى البحرين كثيرا للقيام بواجب الإرشاد بناء على مراسله أهلها و مع الاستقرار النسبى للأوضاع هناك.

أسفاره:

سافر للنجف للدراسه الدينيه و رجع و سكن البحرين ثلاث سنوات ثم سافر إلى العراق لزياره الأئمه (ع)، ثم رجع و سكن القطيف، و سافر كذلك لزياره الامام الرضا (ع) و كذلك للحج.

مؤلفاته:

تنقسم مؤلفاته إلى كتب و رسائل و شعر و أجوبه مسائل:

أولا: الكتب ١ - شرح خطبه اللمعه الدمشقيه (فى مجلد كبير).

٢ - زاد المجتهدين فى شرح بلغه المحدثين (فى علم الرجال - مجلد كبير).

٣ - التحفه الأحمدية (١) (فى الأدعيه - مجلد كبير).

٤ - قبسه العجلان فى وفاه غريب خراسان (فى السيره - مجلد).

٥ - ملاذ العباد فى تتميم السداد (٢) (فى الفقه - فرج منه مسائل الاجتهاد و التقليد).

٦ - كاشفه السجف فى علم الصرف (فى علوم العرييه - مجلد كبير).

٧ - سلم الوصول إلى علم الأصول (فى مجلد و هو غير تام).

٨ - إقامه البرهان على حليه الإربيان (الربيان) (فى تحقيق مسأله فقيهه).

٩ - حواشى (رجال الميرزا الكبير) (فى علم الرجال).

١٠ - حواشى (رجال النجاشى) (فى علم الرجال).

ثانيا: الرسائل:

١ - رساله فى معنى العقل و أقسامه (فى تحقيق مسأله فلسفيه) ٢ - رساله فى ترجمه أستاذه الشيخ الأنصارى.

٣ - رساله فى نقض رساله معاصره الشيخ على السترى البجرانى [البحرانى]. ٤ - ثمان رسائل فى تحقيق ثمان مسائل فقهيه مختلفه منها رساله تسمى منهج السلامه و رساله تسمى قره العين و كذلك مختصرها.

ثالثا: أجوبه المسائل:

١ - الأسئلة الأحمديه (فى التوحيد و أصول الفقه).

٢ - مجموعه أجوبه مسائل سالها بعض العلماء تبلغ سبع رسائل.

٣ - أجوبه مسائل كثيره متفرقه تبلغ مجلدين.

رابعا: الشعر:

١ - ديوان شعر اسمه المراثى الأحمديه (مطبوع فى بمبئى).

٢ - منظومه فى الفقه (تبلغ ٢٥٠٠ بيتا).

٣ - منظومه فى التوحيد تسمى " الدرہ " (تبلغ ٥٠٠ بيتا).

٤ - أرجوزه فى نظم زبده الأصول للشيخ البهائى تسمى "العمده فى نظم الزبده".

٥ - مجموعه كبيره من المنظومات و القصائد فى المدائح و المراثى و التخميس و الألغاز النحويه و الفقهيه تبلغ أكثر من مجلد.

٦ - القصيده البديعيه فى مدح أمير المؤمنين.

و للمترجم كذلك مجموعه من الكتابات المتفرقه تبلغ مجلدين كبيرين.

أولاده

للمترجم ولدان من العلماء، أحدهما الشيخ عبد الله، و له بعض المؤلفات، توفى فى حياه والده ١٢٩٨، و الآخر الشيخ محمد صالح، كذلك له بعض المؤلفات و توفى فى كربلاء ١٣٣٣

توفى فى البحرين ليله عيد الفطر ١٣١٥، و دفن فى مقبره الشيخ ميثم البحرانى بقرية "هلتا" من قرى "الماحوز" فى البحرين.(٣)

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الربعى الفلاحى

إشارة

*الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الربعى(٤) الفلاحى.

المحسنى(٥) الأحسائى(٦) الدورقى(٧)(٨)، و جاء فى نسبه المدنى(٨) الغريفى(٩).

ورد ذكره فى الصفحة ١٣٥ من المجلد الثالث و نشر له هنا هذه الترجمة و هى بقلم: الشيخ جعفر الهاللى من كتابه المعد للطبع باسم: معجم شعراء الحسين.

لم تشر المصادر التى ترجمت له إلى سنه ولادته، و لا إلى المحل الذى ولد فيه. غير أن السيد هادى باليل الذى تصدى لأحياء [لأحياء] التراث العلمى و الأدبى

ص: ٣٣

- ١- التحفة الأحمدية يقال لها الصحيفة الصادقية أيضا "
- ٢- و يسمى ملاذ العباد فى مسائل التقليد و الاجتهاد.
- ٣- أحمد العلى.
- ٤- الربعى: يراد بذلك النسبه إلى ربيعه القبيلة العربية المعروفه.
- ٥- المحسنى: نسبه إلى آل محسن و هم بطن من ربيعه. و لأسره المترجم الرئاسة على آل محسن.
- ٦- الأحسائى: نسبه إلى الأحساء، و قد توطنها المترجم له ثلاث سنوات.
- ٧- الدورقى: نسبه إلى الدورق، و هى بلد بخوزستان.
- ٨- المدنى: نسبه إلى المدينة المنوره، فهى مسكن آبائه، و بها كانت ولادته، كما عرف أخيرا.
- ٩- الغريفى: نسبه إلى قرية الغريفه إحدى قرى البحرين، و عرف بذلك إما لأن أصله من الغريفه فى البحرين، أو لأنه سكنها فتره من الزمن.

لمدينتي (الحويزه) و (الدورق) كما في كتابه المخطوط المسمى ب (الياقوت الأزرق) في تراجم علماء و أدباء الحويزه و الدورق، و كما جاء في المقدمة التي كتبها لديوان المترجم، و قد عثر عليه أخيرا، قال عند ذكره لوفاه المترجم له و ذكر قبره: و كتب على صخر القبر تاريخ ولادته سنة ١١٥٧ في المدينه المنوره، و وفاته سنة ١٢٤٧.

و على هذا فتكون نشاته الأولى في المدينه المنوره مسقط رأسه على يد والده الشيخ محمد.

أما تحصيله العلمي فقد كان في بادئ الأمر في المدينه المنوره على والده و كان من العلماء الأفاضل آنذاك، و يظهر أن أباه قد رحل به إلى البحرين و سكنوا الغريفة، إحدى قرى البحرين كما أسلفنا، و كانت آنذاك زاخره بالعلماء. فآخذ المترجم هناك قراءه بعض السطوح، قال حفيده الشيخ موسى بن الشيخ محمد: إن جدي المترجم له قرأ كتاب اللمعه في ستة أشهر على العلامه الشيخ حسين البحراني(١) و فيه يقول أحد أدباء البحرين مخاطبا أباه الشيخ محمد:

حافظ على أحمد من دون إخوته فإنه غيرهم في كل أسلوب.

و لا عجب إذا ما فاق إخوته فيوسف كان من أولاد يعقوب.

و لا أعلم هل سافر إلى النجف لإكمال تحصيله هناك أم لا؟ إذ لم ينص على ذلك مترجموه. و إن كنت لا أستبعد ذلك، فقد رأيت في بعض المصادر أنه مجاز من قبل بعض علمائها المشهورين آنذاك، كما أشاد البعض الآخر بفضيلته العلميه، و أكد على صلاحه و تقواه.

فمن أجازه السيد محسن الكاظمي البغدادي و الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء و السيد جواد العاملي

هجرته

ذكرنا أن ولاده المترجم كانت في المدينه المنوره حسب ما هو مثبت في الصخره التي على قبره. و قد كانت له أكثر من هجره:

فهجرته الأولى كانت مع والده و إخوته إلى البحرين حيث استوطنها فتره لم تحدد، و هناك أخذ بعض السطوح، كما مر، ثم عاد إلى المدينه المنوره، و بقي إلى سنة ١٢١٠.

أما هجرته الثانيه، فكانت إلى الأحساء، و ذلك عند ما وقعت حادثه عبد العزيز و ولده سعود الوهابي، فقد جار فيها على علماء الشيعه، مما اضطره إلى الهجره إلى الأحساء بطلب من أهلها و أقام فيها ثلاث سنوات تقريبا.

أما هجرته الثالثه فقد كانت من الأحساء إلى بلد (الدورق) و ذلك سنة ١٢١٤.

و كانت الفلاحيه أو الدورق آنذاك حافله بالعلماء و الأدباء و الشعراء، و المحدثين من العصفوريين و الطريحيين، و الجزائريين، و الكعبيين و غيرهم.

و كانت الاماره هناك لآل كعب، و كانوا يجلون العلماء و الأدباء، و يهبونهم الاقطاعات و يملكونهم الاراضي، و كان العلماء و

الشعراء والأدباء من الشيعة يلجئون إلى الدورق عند تضييق الحكام عليهم، و من هنا حظ الشيخ أحمد رحل إقامته فيها. (٢) و قد عاصر الشيخ أحمد جماعه من أعيان الفلاحيه (الدورق) و علمائها فمن أمراء كعب عاصر أميرين هم الشيخ محمد بن بركات بن عثمان بن سلطان بن ناصر الكعبي، و الثاني هو: الشيخ غيث بن غضبان الكعبي.

أما معاصروه من العلماء و الأدباء في الدورق فمنهم الشاعر الشهير الشيخ هاشم بن حردان الكعبي الدورقي المتوفى سنة ١٢٣١، و الشيخ شبيب بن صقر الدورقي، و الشيخ يوسف بن خلف بن عبد علي العصفوري، و الشيخ علي بن محمد بن جلال الدين الطريحي الدورقي، و الشيخ عبد الأمير بن ناصر الكعبي الدورقي، و السيد إسماعيل بن السيد محمود آل باليل الموسوي الدورقي، و ابنه السيد إبراهيم بن السيد إسماعيل آل باليل الموسوي الدورقي المتوفى سنة ١٢٤٣، و السيد محمد الحسيني البحراني الدورقي. (٣)

مكتبه

كانت الفلاحيه تضم كتب العلم و أبوابه من الفقه، و الحديث، و التفسير، و الرجال، و الطب، و الأدب، و التاريخ، و غيرها مما كان معروفا، و متداولاً عند علماء المسلمين، و كانت هذه الكتب موزعه في المكتبات الخاصه، و عند ورود الشيخ أحمد الفلاحيه سنة ١٢١٤ كان أكثر علمائها القدامى قد انقرضوا، أو آذنت البيوتات العلميه أن تخلو من أهل العلم. فانتقل أغلب تلك الكتب إلى مكتبه الشيخ أحمد حتى صارت مكتبه قيمه فيها الكتب الموقوفه و المهده، و المبتاعه من جميع مكتبات الفلاحيه و الدورق القديمه، و بعد الشيخ أحمد أضاف عليها ابنه الشيخ حسن و أحفاده الشيء الكثير، و لكن بعد مرور أكثر من قرن و نصف و في زماننا هذا، تقاسمها أحفاده فتلف بعضها في الحرائق، و راح بعضها طعمه للأرضه و الفئران، و بقي بعضها عرضه للأمطار و الإهمال.

قال السيد هادي باليل: و قد وقفت على بعض مخطوطاتها المخرومه سنة ١٤٠١ في حسينيه الشيخ محمد علي في الفلاحيه و من جملتها ديوان الشاعر المترجم، و هو بخط الناظم فاستأذنت من المحفوظ أن استنسخه، فاذن لي بذلك، و الديوان قد سقط منه بعض الأوراق. (٤)

وفاته

توفى في الطاعون الذي ضرب البصره و المناطق المجاوره بما فيها الفلاحيه سنة ١٢٤٧ و دفن في مقبرته التي أعدها لنفسه هناك محاذيه لمسجده، و قد أصبح قبره اليوم داخل مسجده لتجديد بناء المسجد و اتساعه.

أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله.

مرت ترجمته في الصفحه ١٦ من المجلد الثالث كما مرت دراسه عنه في الجزء الأول من (المستدركات) و نشر عنه هنا هذه الدراره:

شخصيه المعري في "سقط الزند"

قال الدكتور حسين مروه:

يخرج المتتبع لهذا الاختلاف القديم المتجدد بشأن أبي العلاء، من حيث فلسفته و معتقده و مذهبه، و من حيث طريقته في العيش و علاقته بمجتمعه و آرائه بالناس و الحياه و الكون - يخرج من يتتبع هذا الاختلاف و يتتبع أسبابه

ص: ٣٤

-
- ١- لعله الشيخ حسين الماحوزى البحرانى المتوفى سنه ١١٨١، و يكون عمر المترجم آنذاك ٢٤ سنه. و الله أعلم.
 - ٢- مقدمه الديوان المخطوط للشاعر بقلم السيد هادى باليل.
 - ٣- المصدر السابق.
 - ٤- مقدمه الديوان بقلم السيد هادى باليل.

و مصادره، بظن يقرب من اليقين في أن معظم تلك الآراء المتخالفه المتناقضه إنما استمدها الباحثون، في الأكثر، من مصدر واحد، هو حياه أبي العلاء في عهد كهولته الأخير و شيخوخته، و في "لزوميته" و بعض رسائله التي أنشأها آنئذ، و لم ينظروا إلا قليلا في حياته عهد الحدائه و الشبيبه، و في ما كان له عهد ذاك من شعر و أدب و سيره.

و لست أعنى - طبعا - أنهم لم يتحدثوا عن حياته في طوري الحدائه و الشباب، و لم يفصلوا الحديث فيهما تفصيلا كافيا، فان أكثرهم صنع ذلك، و نخص الدكتور طه حسين بالذكر، لأنه بذل جهدا رائعا في استقصاء حياه أبي العلاء من فجرها إلى مغربها، و في تحقيق أخباره كلها على منهج علمي واضح بكتابه "تجديد ذكرى أبي العلاء". و لكن الأمر الذي أعنيه هو أن حياه المعري و شعره في أيام حدائه و شبابه و قسم من كهولته الأولى، لم يكونا مرجعا للباحثين في دراسته و في تعرف شخصيته من منابعها و أصولها. و لذلك جاءت آراؤهم عنه - في الغالب - متناقضه، لأنها منتزعه من ظواهر سيرته و شعره أيام هو يلتزم سيره متكلفه، و يقسر نفسه و فنه على أشياء قد لا تكون في الأصل من مكونات شخصيته و فنه.

و من الإنصاف للحق أن نذكر الأستاذ مارون عبود في أول من يمكن استثناؤهم في هذا المقام. فقد نظر في كتابه "زوبعه الدهور" إلى أبي العلاء نظره شامله بصيره، فأقام فارقا واضحا بين المعري الإنسان في شبابه و المعري المفكر المتمذهب في أيام عزلته و شيخوخته. لقد تنبه مارون عبود إلى مرد الخطا الذي وقع فيه معظم الذين درسوا أبا العلاء من المحدثين، إذ أسبغوا على حياته كلها ثوب زهده و تعففه و انقباضه عن الناس و مقته إياهم و تغلفه بالأحاجي و الأسرار دونهم، كما يظهر في "اللزوميات"، و أغفلوا أن هذا ثوب أبي العلاء في عهد "اللزوميات"، لا ثوبه في عهد "سقط الزند".

و بهذا الصدد يقول أدينا الناقد الباحث مارون عبود: "فقد توهم الناس، حتى الخواص من الأدباء - هداانا الله و إياهم - أن أبا العلاء خلق منزلها عن الشهوات، بريئا مما يسميه غيرنا الضعف البشري، لا ينقصه شيء من الكمال في نظرهم، حتى كادوا يجعلونه بمعزل من الغرائز، كأنه غير مركب من لحم و دم. إن أبا العلاء. أيها، الفضلاء، - و هذا لا يضير عصمته التي تزعمونها له - قد تغزل كالشعراء لأنه أحب مثلهم - الحب لا يضر يا ساده - و أحس بما أحس به كل مركب من نفس و جسد و له دماغ و قلب".

حين (1) لم يحصر مارون عبود نظره في نطاق "اللزوميات" و سائر ما أنشأه أبو العلاء في "محبيه"، وجد "سقط الزند"، ثم وجد في أشعار هذا الديوان و أغراضه شاعرا إنسانا يحيا كالشعراء، و كالتناس في زمانه، و رأى أبا العلاء لا يقول عبثا، أى لا يصدر عن غير قلب يخفق بالحب، حين يقول:

أيا دارها بالخيف أن مزارها قريب، و لكن دون ذلك أهوال

أو حين يقول:

أيا جاره البيت الممنع جاره غدوت و من لى عندكم بمقيل

لغيرى زكاه من جمال فان تكن زكاه جمال فاذكرى ابن سبيل

و رآه، كذلك، يمدح كالشعراء، و يهنئ بالزفاف و غيره مثلهم، و يغلو و يببالغ حتى لا- يقصر عن صاحبه المتنبى فى الغلو و المبالغه، و يجنى غله الشعر و يذوق بواكير محصوله كما يفعل غيره من شعراء ذاك الزمان، و يرثى كما يرثون، و يهجو مثلهم و لكن دون هجر، و يفخر و يدعى مثل الشعراء بل أكثر منهم، إذن "فلنثق جيدا أن المعرى إنسان مثلنا، أكل و شرب و تلذذ مثل الناس، و هو لم يكذب حين قال:

تنسكت بعد الأربعين ضروره و لم يبق إلا أن تقوم الصوارخ

فكيف ترجى أن تثاب، و إنما يرى الناس فضل النسك و المرء شارخ

(٢) و إذا كان مارون عبود وقف من أمر أبى العلاء الإنسان الذى يحيا فى "سقط الزند" عند هذه اللمحات، و لم يجاوزها إلى تفصيل كامل يخرج منه "بالحلقه المفقوده" التى تصل المعرى هذا بالمعرى المفكر المتمذهب الزميت بعد أن انطفأت نار شببته.. فان هذا لا يقلل قطعا من شان السابقه التى بدأها صاحب "زوبعه الدهور" باهتدائه إلى شاعر "سقط الزند"، دون أن يخلطه بناظم "اللزوميات" ..

روى الثعالبي فى "تيمه الدهر" عن المصيصى الشاعر أنه قال: "رأيت بمعره النعمان عجا من العجب، رأيت أعمى شاعرا ظريفا يلعب بالشطرنج و النرد، و يدخل فى كل فن من الجند و الهزل، يكنى أبا العلاء، و سمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيرى على البصر".

و أخذ بهذه الروايه كل من أرخ لأبى العلاء بعد ذلك، و لم نجد من يكذبها أو ينكرها عليه، غير أن الدكتور طه حسين شك(٣) فى أن أبا العلاء كان قادرا أن يلعب الشطرنج و النرد، و تأول قوله أنه يحمد الله على العمى كما يحمده غيره على البصر، و تأولا ليس يخلو من تلك النظرة التى ينظر بها الباحثون إلى أبى العلاء من خلال حياته فى "اللزوميات" ..

و نحن نأخذ بهذه الروايه من حيث دلالتها العامه، دون تفاصيلها بالدقه. فسواء كان أبو العلاء يلعب الشطرنج و النرد حقا أم لم يكن، و سواء أ كان يعنى حقيقه ما يقول من أنه يحمد الله على العمى كما يحمده غيره على البصر، أم كان يعنى من هذا القول ظاهره و فى نفسه شىء آخر، إما سخرا بالمبصرين، و إما اعتدادا بالنفس و فخرا - فان هذه الروايه بجملتها، تدل - على كل حال - أن شاعر المعره الفتى كان ظريفا مرحا يجالس الظرفاء، و يشارك أهل الهزل هزلهم و أهل الجد جدهم، و يتصل بمواطنيه فى المعره اتصال مواطن إنسان، فهو يحيا حياتهم اليوميه فى غير تحفظ، و يخالطهم فى لهوهم دون تزم، و يحس معهم إحساس المسره و المرح، دون أن تمنعه العاهه شيئا من ذلك، بل تزيده العاهه إقبالا على مثل ما يقبل عليه أترابه المبصرون توكيدا لوجوده و تفوقه.

أقول: نأخذ بالروايه من حيث دلالتها هذه، مع علمنا أنه ليس فى أخبار أبى العلاء ما ينفى شيئا من نصها، فهى من الوجهه التاريخيه المحض ثابتة غير منقوضه، فإذا أضفنا إلى ذلك أن أشعار "سقط الزند" ذاتها تنبئ بان الروايه ليست غريبه عن الواقع الذى كان يحياه أبو العلاء فى عهده الأول.٧.

١- زوبعه الدهور - ص ١٤.

٢- الشارخ: من يكون فى شرح العمر، أى الصبا.

٣- تجديد ذكرى أبى العلاء - ص ١٣٧.

الذى سبق عهد عزلته و تزهده، ازددنا يقينا بان شاعر المعره قد مارس حياته الأولى على امتلاء من علاقاته الإنسانيه بحياه مواطنيه، و انفعال وجدانه الشعاعرى بالكثير من هذه العلاقات، و أنه كان ينظر إلى الناس و الحياه من خلال عواطفه و علاقاته هذه، و أن النظره المتمزته المتبرمه بالناس و بالحياه لم تكن عهدئذ قد وجدت سبيلها إلى نفسه و تفكيره.

و أول ما يلفت انتباهنا من الدلالات على ذلك فى شعر "سقط الزند"، ما جاء فى قسم "الدرعيات" من أبيات قالها فى لاعب شطرنج:

قل لترب الآداب فى كل فن و حليف الندى و حرب العذول

أيها اللاعب الذى "فرس" الشطرنج همت فى كفه بالصهيل

من يباريك و "البياذق" فى كفكك يغلبن كل "رخ" و "فيل"

نصرع "الشاه" فى المجال و لو جاء مردى بالتاج و الإكليل

لطف رأى يستأسر الملك الأعظم بالواحد الحقير الذليل

أنت فوق الصولى فى هذه الخلله ، مزر فى غيرها بالخليل

(1) لسنا ندرى متى نظم المعرى هذه الأبيات، و لكن يكفينا منها دلالتها الصريحه على معرفه أبى العلاء بأدوات الشطرنج و حركاتها معرفه الخبير، ثم دلالتها ضمنا على أن روايه "يتيمه الدهر" عن ظرف أبى العلاء و مشاركته فى لعب الشطرنج زمن شببته، ليست بعيده و لا غريبه عن الصدق و الواقع، حتى فى أضعف فقره منها، و هى الفقره التى شكك فيها الدكتور طه حسين كما تقدم.

و لنقارن الآن أبا العلاء الكاره للزواج و للمرأة و للنسل، المتشدد فى هذه الكراهيه إلى الحد المعروف عنه فى أشعار "اللزوميات"، أو إلى الحد الذى دفعه - كما يخبرنا أكثر المؤرخين له - أن يوصى بان يكتب على قبره ذلك البيت الذى يصف جماع آرائه الصارمه فى النسل و الزواج و الحياه معا:

هذا جناه أبى على ، و ما جنيت على أحد

لنقارن أبا العلاء هذا صاحب "اللزوميات"، بأبى العلاء صاحب "سقط الزند"، فسرى أن هذا الآخر قد أنشا ثلاث قصائد فى تهنته ثلاثه من قومه بزواجهم، و أنشا قصيدتين فى التهنته بمولودين..

ترى، أ يتوافق هذا الاندفاع فى التهنته بالزواج و بالمولود، مع تلك النظره الساخطه إلى المرأه و الزواج و التناسل؟. إن بين الأمرين تناقضا ظاهرا!!.. فإذا قيل لنا إن هذه القصائد كان يدفع إليها المدح و المجامله لبعض الأمراء فى حلب، أكثر مما يدفع إليها الاستبشار بالزواج و بالمولود، أو التهنته بهما لذاتيهما - قلنا أولا: إن هذا أيضا دليل على أن أبا العلاء لم يكن يكره أن

يمدح أمراء زمانه، و لم يخالف طريقه الشعراء فى عهده من هذا الوجه.

و نقول ثانيا: إن شاعر المعره قد ذكر المرأه فى القصائد الثلاث، إلى جانب المدح، ذكرا جميلا تفوح منه رائحة الرجل الإنسان الذى يرى فى المرأه وجه النعمه و النضره و الغبطه و الخير. فى حين هو يرى فى اللزوميات أن:

"بدء السعاده إن لم تخلق امرأه"

و يظهر لنا أنه لم ينظم هذه القصائد فى صباه، لأن جامع الديوان - و أبو العلاء نفسه هو جامع الديوان - عودنا أن ينص عند كل قصيده قالها فى الصبا أنها مما قاله فى ذلك العهد. فإذا رجعنا إلى إحدى هذه القصائد نسمعه يقول لصاحبه الذى يهنئه بزفافه: (٢)

و تهن "النعمى" السنيه و البس حلل المجد و الفعال الخطير

و تمتع "بنضره" العيش، إذ جاءتك فى رونق الزمان النضير

"خير" أيدى الزمان عند بنى الدنيا أتت فى أوان خير الشهور

يا لها "نعمه"، و ليس ببدع أن تحوز الشمس رق البذور

و نرى - استطرادا - أن ثبت هنا أبياتا ثلاثه فى القصيده خص بها أبو العلاء مدينه حلب، قال:

"حلب" للولى جنه عدن و هى للغادرين نار سعير

و العظيم العظيم يكبر فى عينيه منها قدر الصغير الصغير

"فقويق" فى أنفاس القوم بحر و حصاه منها نظير ثبير

(٣) و فى القصيده الثانيه، و أكثرها طراز من المديح العادى المألوف، يخلص الشاعر إلى تهنئه أمير حلب بعرسه، فيقول:

الآن فاله عن الهيجاء "مغتبطا" طال امترأوك خلفى نابها الضببس

(٤) و فى حين نرى المرأه فى اللزوميات، موضع سوء ظنه دائما، لا- يثق بحفاظها على حصانتها، و يرى ضعفها على الإغراء هو الأصل فى سلوكها، بحيث يقول هناك - فى اللزوميات -:

و ما يمنع الخود الحصان حصونها و لو أن أبراج السماء حصونها

نراه - مع ذلك - هنا فى "سقط الزند" يراها أخت الأسد الصعب فى امتناعها على غير المحلل لها من الرجال. و ها هو ذا يقول لأمير حلب الذى يهنئه بعرسه، فى القصيده المتقدمه الذكر، و هو يصف عروسه:

ما ربه الغيل أخت الظبي فزت بها بل ربه الغيل أخت الضيغم الشرس

(٥) يقصد أن هذه العروس ليس ينبغي أن تشبهه - كالعاده - بالطباء، بل هي أشبه باللبوه أخت الأسد في امتناعها و حصانتها و عفافها. ألا ترى أن المرأه هنا - عند أبي العلاء - تناقض المرأه عنده هناك في اللزوميات؟.

و في حين يرى أبو العلاء - في اللزوميات - أن من الخير للإنسان أن لا يولد، و أن الحياه هبه أثيمه يجنى بها الآباء على الأبناء:
فليت وليدا مات ساعه موته و لم يرتضع من أمه النفساء

نجده هنا، في "سقط الزند" يرى نقيض ذلك أيضا.. فها هو ذا يهنئ أبا القاسم بن القاضى التنوخى بمولوده، فكيف يهنئه؟. إنه يرى الوليد المستهل "نعمه" نزلت من السماك الأعلى، فاستحق أن توفى بمولده الندور و أن تساق الهدايا إلى البيت الكريم، أى الكعبه، لأنه يرى المولود الكريم سرا من أسرار المجد لأبيه:..

ص: ٣٦

-
- ١- الصولى: هو أبو إسحاق الصولى و قد كان ماهرا بلعب الشطرنج، و الخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب علم العروض.
 - ٢- سقط الزند - الطبعة اللبنانيه - ص ١٥.
 - ٣- قويق: نهر صغير معروف فى حلب. و ثبير: اسم لبضعه جبال فى ظاهره مكه..
 - ٤- الهيجاء: الحرب. امترى: استخرج الحليب من ضرع الناقه أو غيرها. الخلف (بكسر الخاء): حلمه الضرع. الناب: الناقه المسنه. الضببس: الشرس العسير..
 - ٥- الغيل: أجمه الأطباء و الأسود. الضيغم: الأسود..

متى نزل السماك فحل مهذا تغذيه بدرتها الثدى (١)

أهل بصوته، فأهل شكرا به الأقسام، و افتخر الندى (٢)

بيوم قدومه وجبت علينا الذبور ، و سيق للبيت الهدى (٣)

و سر المعجد مولود كريم أبان وفوده خبر جلى

علو زائد بأبى على أتاك بفضلله الله العلى

و يهنى ثانيه صديقا له بمولوده، و قد كتب له الصديق بنيا ولادته، فإذا النبا عنده - أى أبى العلاء - "بشرى"، و إذا الوليد نفسه هو "النعمى".

و نحس هنا حراره الصديق فى تهنته، و تكاد نبضات قلبه تنتقل إلى صدورنا و نحن نقرأ هذه اللهفه إلى صديقه. و فى ظننا أن هذه التهنته الشعريه كانت فى أوائل عهده بالعزله، و كانت ما تزال فى نفسه صبوات إلى تلك المتع الروحيه بقاء الأصدقاء و الشعراء، و ما يزال يضطرب وجدانه و ينفعل بتجربات حيه باقيه من زمانه الأول:

كتابك جاء "بالنعمى" بشيرا و يعرض فيه عن خبرى سؤال

و حالى خير حال كنت يوما عليها، و هى صبر و اعتزال

فاما أنت، و الآمال شتى ، فلقياك السعاده لو تنال!

بعدنا، غير أنا أن سعدنا بغبطه ساعه، عكف الخيال

و لو صنعاء كنت بها لهزت هواى إليك نوق أو جمال

أرى راح المسره أثلمتنى و تلك، لعمرى، الراح الحلال

و قبل اليوم و دعنى مراحي و أنستنيه أيام طوال

هنيئا، و الهناء لنا جميعا يقينا لا يظن، و لا يخال

أهل فبشر الأهلين منه محيا فى أسرته الجمال

ياخوته الذين هم أسود على آثار مقدمه عجال

فان تواتر الفتیان عز يشيد حين تكتهل الرجال

و هل يثق الفتى بنماء وفر إذا لم تتل أيقنه فصال(٤).

سترکز حول قبتک العوالی و تكثر فی کنانتک النبال

فان منای أن یثری حصاکم و یقصر عن زهائکم الرمال

(٥) يستوقفنا من هذه القصيده العاطفيه، أولاً: إحساسها الصادق و صفاؤها النفسى و التعبیری معا، و ثانيا: نظره أبى العلاء إلى التناسل هذه النظرة الطبيعيه السليمه، فإذا الوليد الجديد بشاره بمواليد كثيره تتبعه، و إذا تكاثر الأبناء عز للآباء يشيدونه لهم فى أعمال الكهوله، و إذا هم المال الطيب، و لا- يثق المرء بنمو هذا المال إلا أن يتناسل و يتلو بعضه بعضا، و إذا أبو العلاء يتمنى، أغلى ما يتمنى لصديقه، أن يتكاثر أبناؤه حتى يقصر عدد الرمال عن أعدادهم.. يقول هذا و هو فى عافيه من نفسه و وجدانه، و فى رغبه صادقه أن ينال هذا الصديق ما هو خير و نعمى له، و النسل هنا هو خيره و نعماه.. أين هذا كله من رأى أبى العلاء فى الأبناء و فى التناسل و فى "جنايه" الآباء على أبنائهم حين يهبونهم "نقمه" الحياه؟.. أين هذا الذى ينطق به "سقط الزند" من ذاك الذى تضح به "اللزوميات"؟...

و ينقم أبو العلاء على الناس، فى اللزوميات، أنهم يفتخرون، و يرى افتخارهم، كالكذب، منشاء الجهل، فعلا م يفتخر الناس و هم تراب و من التراب:

ادفع الشر، إذا جاء، بشر و تواضع، إنما أنت بشر

هذه الأجسام ترب هامده فمن الجهل افتخار و أشر

فكيف شان أبى العلاء إذن فى "سقط الزند"، أ هو يرى الفخر هنا كما هو هناك عنده؟.

الفرق بين حالیه هنا و هناك، هو الفرق بين من يمارس الافتخار بنفسه فعلا- إلى حد الغو و الاغراب، و من يفلسف الافتخار للناس، و ينقمه عليهم، و يعجب منهم أن يجدوا فى إنسانهم [أنسابهم] موضع فخر.. أى أن الفرق بين أبى العلاء فى "سقط الزند" و بينه فى اللزوميات من هذا الوجه، هو أنه فى الأول شاعر، و فى الثانى متفلسف، أو - إذا شئت - فيلسوف، أو فلنقل:

مفكر متمذهب، يجرى فى هذه المسأله على غير ما تقتضيه طبيعه الشاعر الإنسان.

و من منا يجهل بيتيه السائرين فى مطلع قصيدته المعروفه:

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف و إقدام و حزم و نائل

أ عندى، و قد مارست كل خفيه، يصدق واش، أو يخيب سائل!

فى "سقط الزند" قصيدتان موضوعهما الفخر، و لكن قصائد غيرهما جاءت فى الديوان فى مواضيع أخرى، يطالع الفخر أثناء آياتها، لمناسبه حيناً، و لغير مناسبه حيناً. و فخر أبى العلاء تبدو فيه من المتنبى نفحه ظاهره، و لعل قصيده

أدل على هذه النفحة المتنبيه، سواء برويها الصاحب و بعروضها المجلجل، أم بكبرياء التحدى ممثله بها أوداج شاعر المعره، تشبها بكبرياء صاحبنا أبى الطيب شاعر الفرسان، و فارس الشعراء..

و إنى و إن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

لقد قال المعرى هذا الكلام و هو فى عنفوان حيويته [حياته]، و فى عز إقباله على الدنيا، و له فى الحياه آمال كبار، و أمامه دنيا بغداد لما تزل يومئذ دنيا أحلامه، فكان طبيعيا أن يزهو هذا الزهو كله، و ليس فى ذاك عاب يعيبه، فقد كان شاعرا، و كان يستشعر فى ذاته أمرا غير عادى، و كانت نفسه أشواق أبكار لما تمتحنها التجربه الكبرى المنتظره، و كانت شهره ذكائه و تفوقه فى الحفظ و الفطنه تكتسح بلاد الشام و تجاوزها إلى العراق و مصر، و تتضخم فى طريقها إلى الناس حتى تبلغ حدود الأساطير، و لعلها كانت و هى تجوب الآفاق، ترجع إلى مسمعه بضجتها و ضخامتها الأسطوريه، فينتشى بها، و يزهى بنفسه، ال

ص: ٣٧

١- السماك: كوكب نير. الثدى (بضم الثاء المشدده و كسر الدال و تشديد الياء): جمع ثدى.

٢- الندى: النادى.

٣- الهدى (بفتح الهاء و كسر الدال): جمع هديه و المقصود بها هنا الأضحيه.

٤- الوفى: المال. الأنيق ناقه. الفصال: جمع فصيل، ولد الناقه.

٥- يثرى حصاكم: يكثر عددكم. الزهاء: القدر و المثال

فيفخر هذا الفخر الموعغل فى المبالغه.

و ما ندرى، أ هذا النوع من الفخر، و قد كان أمرا مألوفاً فى شعرنا العربى عهد أبى العلاء، يدخل فى باب المين و الصفاقه، كما يرى الدكتور طه حسين، بحيث ينبغى أن ننزه عنه شيخ المعره؟.. هنا أيضا مسأله الخطا التى أشرنا إليها فى مطلع هذا الفصل، الخطا فى إسباغ ثوب الشيخوخه الزاهده المتمزته على حياه أبى العلاء كلها من حدائته و شبابه إلى يوم "محبسيه" ..

و فى المسأله أمر آخر: أ يصح، من الوجهه الفنيه المحض، أن نصف المبالغات الشعريه فى باب الفخر، كذبا و صفاقه، مع أننا نعلم أن أمثال هذه المبالغات لا تقتصد إلى المعانى الحقيقيه الحرفيه التى تنطق بها الألفاظ و العبارات، بل لا تقتصد حتى إلى المعانى المجازيه الجزئيه المباشره التى تدل عليها كل عباره بنفسها منفصله عن علاقتها بالكل الكامل لبناء القصيده و موضعها، و إنما هى تقتصد - بمجموعها و بدلالاتها الكبرى الشامله - إلى التعبير عن مشاعر إنسانيه متمترج بامال الشاعر و مطامحه و أشواقه الكبيره، غير أن خيال الشاعر قد يضحّمها فى فوره من فوران العنجهيه الفرديه، و قد يكون الكبت الاجتماعى أو الحرمان أو الشعور بالاضطهاد و الظلم سببا فى هذه الفوره، أو سببا فى جموح الخيال إلى أبعد حدوده تعويضا عن نقص، أو انتقاما لحرمان.. إذا صح أن نصف هذه المبالغات بالكذب و الصفاقه فى باب الفخر، فلما ذا لا نصفها كذلك فى باب المدح، أو فى باب الرثاء، أو فى باب الغزل إلخ...

و مهما يكن، فقد فخر أبو العلاء فعلا، و غلا فى ذلك حتى أنه، و هو الأخير زمانه، قد أتى بما لم تستطعه الأوائل.. فما ذا يجدينا تنزيه أخلاقه عن الفخر؟. أ ترانا نفسره قسرا، بعد ألف عام، على أن لا يقول الشعر افتخارا؟.

أبو العلاء المعرى فى "سقط الزند"

و قال الدكتور حسين مروه، كتب الباحثون كثيرا عن أبى العلاء، و فى التقديم و فى الحديث، و نظروا إلى جوانب عديده من حياته و أدبه و تفكيره و معتقده، و لكن رأيت هؤلاء الباحثين، بالإجمال، لا يعنون العنايه اللازمه بدراسه ديوانه الذى جمع فيه جملة من أشعاره و اختار له هو بنفسه اسمه المعروف "سقط الزند"، قاصدا بهذه التسميه الشعريه المجازيه أن يرمز إلى الحقيقه التى ينطوى عليها هذا الديوان، و إلى الواقع الذى يمثله من حياته و من شخصيته و من أدبه.

فان الزند - لغه - هو العود الذى تقتدح به النار، و سقط الزند هو أول نار تخرج من الزند عند الاقتداح. و قد قصد المعرى هذا المعنى بذاته، لأن "سقط الزند" يجمع الكثير من شعره الذى نظمه فى أوائل حياته، فهو إذن أول تلك النار العبقريه التى اقتدحها زناد ذهنه العبرى.

و لكن الأمر فى هذه الأشعار لا يقتصر على هذا الظاهر السطحى من دلالة التسميه، بل الواقع أن ديوان "سقط الزند" يصح أن يكون المدخل الحقيقى لدراسه أبى العلاء دراسه مستوعبه متوغله فى جوانب شخصيته جميعا، و أعنى أن هذا الديوان جدير بان يكون للباحثين و الناقدين بمنزله ما يسمى "مفتاح الشخصيه" لمن يشاء منهم أن يستجلى شخصيه أبى العلاء على حقيقتها و واقعها الأصيل.

وقد يرجع أكبر السبب في أن أولئك الباحثين لم يهتموا بديوان "سقط الزند" اهتمامهم بغيره من آثار أبي العلاء، إلى ما هو شائع عند الذين أرخوا لحياته أدينا العظيم من القدماء، من أن هذا الديوان إنما يجمع أشعاره التي قالها في صباه.. فقد تمسك الباحثون المحدثون بكلمه "صباه" على حرفيتها، ولم ينظروا إلى هذه الأشعار نفسها بحيث يجدون أن الذي صدر عنه في صباه هو أقل ما يحتويه "سقط الزند"، وأن أكثر هذه الأشعار وأروعها شاعريه وأقواها دلالة عليه إنما صدرت عنه في أعلى مراحل شبابه، وفي أخصب مراحل شاعريته، وفي أدق التجارب التي عاها في حياته قبل معتزله، بل في أقسى هذه التجارب وأعمقها أثرا في نفسه ووجدانه وتفكيره.

ولقد أبيع لنفسي أن أقول، إن الذين أرخوا لأبي العلاء من القدماء، قد أوهمونا أن صاحب "سقط الزند" نفسه لم يكن راضيا كل الرضا عن أشعاره التي تضمنها هذا الديوان، فقد نقل أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي عن أستاذه أبي العلاء نفسه ما يوهم هذا المعنى، إذ قال:

"لما حضرت أبا العلاء، قرأت عليه كثيرا من كتب اللغة، و شيئا من تصانيفه، فرأيت يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه، الملقب ب "سقط الزند"، وكان يغير الكلمه بعد الكلمه منه إذا قرئت عليه، ويقول معتذرا عن تايبه و امتناعه من سماع هذا الديوان: مدحت نفسي فيه، فلا أشتهى أن أسمع. و كان يحثني على الاشتغال بغيره من كتبه. (١)

و في رساله كمال الدين بن العديم، المسماه "الإنصاف و التحرى فى دفع الظلم و التحرى عن أبى العلاء المعرى" قال مؤلف الرساله و هو يستعرض تواليف أبى العلاء: "من الأشعار التي نظمها: ديوانه المعروف "بسقط الزند" و هو ما قاله فى أيام الصبا فى أول عمره، و هو من أحسن أشعاره، و قد اعتنى به العلماء و شرحوه، مقداره خمس عشره كراسه، تزيد أبياته المنظومه على ثلاثه آلاف بيت، شرحه الخطيب التبريزى و شرحه ابن السيد البطليوسى و أحسن شرحه".

و قال ياقوت فى "معجم الأدباء" (الجزء الثالث ص ١٥٤) فى معرض الكلام على مؤلفات أبى العلاء: "و من غير هذا الجنس كتاب لطيف فيه شعر قيل فى الدهر الأول يعرف بكتاب "سقط الزند" و أبياته ثلاثه آلاف".

هكذا تواترت أقوال القدماء الذين أرخوا لأبى العلاء، حتى استقام فى أذهان المحدثين أن "سقط الزند" ليس ذا شان يؤبه له فى آثار المعرى ما دام من نتاج صباه.. و ما دام المعرى نفسه لم يكن يابه لهذا الديوان، كما توهمنا مقاله أبى زكريا التبريزى.

و الحقيقه أن المعرى كان يحتفل لديوانه هذا احتفالا- ظاهرا. يدل على ذلك أنه عنى بشرح الغريب من ألفاظه و جعل هذا الشرح فى كتاب خاص سماه "ضوء السقط" و قد تحدث ابن العديم عن هذا الكتاب فوصفه بأنه "يشتمل على تفسير ما جاء فى سقط الزند من الغريب، مقداره عشرون كراسه، وضع - أى المعرى - هذا الكتاب لتلميذه أبى عبد الله محمد بن ٢٠

محمد بن عبد الله الأصبهاني، و كان رجلا فاضلا قصده إلى معره النعمان و لازمه مدة حياته يقرأ عليه بعد أن استعفى - أي المعري - من ذلك، ثم أجابه فقرأ عليه الكتب إلى أن مات - يقصد المعري - و قد أشار إلى ذلك في مقدمه "ضوء السقط". و أقام أبو عبد الله الأصبهاني بحلب، و روى عن أبي العلاء كتبا متعددة من تصانيفه، و هو الذي سأله أبو العلاء أن يشرح له "سقط الزند" فشرحه، و وسمه بـ "ضوء السقط".

و من هذا النص، و من أمثاله في تضاعيف عدد من المراجع التاريخيه الأديبيه، يتبين بجلاء و تأكيد أن أبا العلاء كان حفيا بديوانه "سقط الزند" إلى حد أن تلاميذه كانوا يروونه عنه بالاجازه، و كان عدد من طلاب العلوم الوافدين إليه من أقطار مختلفه يدرسون هذا الديوان عليه في جملة ما يدرسون. فقد ذكر السيوطي في "بغية الوعاة" في ترجمه نصر بن صدقه القابسي النحوي أنه "كان ممن يعانى الأدب، فقدم مصر و أخذ عن علمائها، ثم توجه إلى المعره فلزم أبا العلاء، و أخذ عنه ديوانه "سقط الزند" و كتب منه نسخه جيده، و رجع إلى مصر فقدمها للحاكم و قرأها عليه، فأعجبه نظمه، و أرسل إلى عزيز الدوله الوالي بحلب أن يحمله - أي يحمل المعري - إلى مصر. فاعتذر، فكف عنه".

و يروى "أحمد تيمور باشا(1)" هذه الحكايه بصوره أخرى نقلا عن مقدمه رساله للمعري تسمى "الفلاحيه" تقول أن القابسي هذا لما رجع إلى مصر بنسخته "سقط الزند" أهداها للوزير أبي نصر صدقه بن يوسف الفلاحى، فأعجب بها و استدعى كاتب الديوان و أمره أن يكتب إلى عزيز الدوله متولى حلب و أعمالها، في حمل أبي العلاء إلى مصر، لينى له دار علم، و سمح بخراج معره النعمان له في حياته و بعدها، فوصلت الأوامر إلى ديوان الشام بكتب السجل، فكتب و جهز على البريد، فلما وقف عليه عزيز الدوله نهض للوقت حتى دخل معره النعمان، و قرأ السجل على أبي العلاء، فقال:

أمهلنى حتى أكتب جواب السجل إلى مجلس الوزراء، فلعل العفو يسامحنى بالمقام فى بلدى، إذ لا يمكننى الخروج منه. فامهله الأمير، فاحضر الكاتب للوقت، و أملى عليه هذه الرساله - أى "الرساله الفلاحيه" - يعتذر فيها عن عدم الرحيل بعهزه عنه.

و فضلا عما لهذه الحكايه، بوجهيها، من دلالة على احتفال أبي العلاء و تلاميذه بديوان "سقط الزند"، تدل كذلك على احتفال الناس فى عصره بهذا الديوان و بأدب أبي العلاء و بمكانته، كما تدل على إباء المعري نفسه و عزوفه عن عروض المال و الجاه من حكام زمنه، و قد دلت على ذلك روايات عده فى أخبار أبي العلاء.

و أما ما تنبى عنه روايه أبى زكريا التبريزى، المتقدمه الذكر، من أنه رأى أبا العلاء "يكره أن يقرأ عليه شعره فى صباه الملقب بسقط الزند"، فيمكن حمله على بعض أشعار هذا الديوان مما هو منظوم فى صباه حقا. يدلنا على هذا التخرىج للروايه أن أبا العلاء قد جعل حجته فى الامتناع عن سماع هذا الديوان كونه مدح نفسه فيه، و هذه حجه لا تنهض إلا بالنسبه للأبيات التى مدح فيها نفسه، و لم أجد من هذه الأبيات فى النسخه المطبوعه من "سقط الزند" التى درست فيها الديوان، سوى قليل، و هى أقل من أبيات نستشعر فيها تواضعه جاءت فى مراسلاته لأخوانه، فلعل شيئا من النقص أصاب الديوان خلال القرون التى انقضت من عهد أبى العلاء إلى اليوم، أو لعل طابعى هذه النسخه قد أنقصوا الديوان بعض قصائده، و هذا ظاهر بالفعل و سنوضحه بعد.

و مهما يكن من شان روايه التبريزى، فإنها لا- تستطيع أن تعارض ما نقلناه و ما لم نقله من الروايات و الأخبار المستفيضه عن اهتمام أبى العلاء بهذا الديوان.

على أن أدينا العظيم، أبا العلاء، قد ذكر في خطبه "سقط الزند" - أي مقدمته - ما يشبه هذا الذي حكته عنه روايه التبريزي، فقد قال ما نصه:

"أما بعد، فإن الشعراء كافراس تتابعن في مدى، ما قصر منها لحق و ما وقف ذيم(٢) و سبق، و قد كنت في ربان الحدائه(٣) و جن النشاط، مائلا في صغو(٤) القريض، أعتده بعض ماثر الأديب، و من أشرف مراتب البليغ، ثم رفضته رفض السقب(٥) غرسه، و الرأل تريكتته(٦) رغبه عن أدب معظم جیده كذب، و رديئه ينقص و يجذب، و ليس الرى عن التشاف(٧)، و يعلمك بجنى الشجره الواحده من ثمرها، و يدللك على خزامى الأرض النفحه من رائحتها، و لم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد، و لا مدحت طالبا للثواب و إنما كان ذلك على معنى الرياضه و امتحان السوس - أى الطبيعه - فالحمد لله الذى ستر بعفه من قوام العيش و رزق شعبه من القناعه أوفت على جزيل الوفر".

هذه قضيه يعيننا أن يجلوها أبو العلاء بمثل هذا الكلام يصدر عنه هو، و لا يتركها لمجرد الاجتهاد و الاستنتاج، و إن كان لنا من أخباره - كما قلت - ما يعين على الاجتهاد و الاستنتاج.

و يبقى الآن أن نعود إلى هذه الدعوى من أبى العلاء و من المؤرخين لحياته و أدبه، من القدماء و المحدثين على السواء، و هى دعوى أن شعر "سقط الزند" هو شعر الحدائه و الصبا.

هذا غير صحيح، ففي شعر هذا الديوان، كما وصل إلينا و كما نراه فى شرح أبى يعقوب يوسف بن طاهر النحوى صاحب "التنوير" - و هو مقارب لعهد أبى العلاء - ما قد نظمه المعرى و هو فى بغداد، و ما قد نظمه بعد رحلته إلى بغداد أثناء اعتزاله الأخير بالمعره. و من ذلك قصيدته فى رثاء أبى أحمد الطاهر والد الشريفين الرضى و المرتضى، فقد توفى هذا عام ٤٠٣ هـ، و معلوم أن المعرى بدأ عزلته بالمعره عام ٤٠٠ هـ، فكيف تكون هذه القصيده - و هى من شعر "سقط الزند" - مما قاله الشاعر فى صباه؟. و منظر

ص: ٣٩

١- "أبو العلاء المعرى" - تيمور ص ٩٢.

٢- ذيم: أى لحقه الدم.

٣- ربان الحدائه: أول الشباب.

٤- الصغو: الميل إلى الشىء.

٥- السقب: الذكر من ولد الناقه. و الغرس: جلده رقيقه توضع على الولد ساعه يولد.

٦- الرأل: ولد النعام، و الأثنى رأله، و الجمع رئال و رئلان. التريكة: البيضة حين يخرج منها الفرخ و يتركها.

٧- التشاف، كالأشتاف: أن يشرب جميع ما فى الإناء. و معنى الجملة: أنه يمكن أن يرتوى المرء من شرب القليل دون شرب ما فى الإناء كله، أى قد يغنيك القليل الجيد من الشعر عن الكثير الردىء منه، ثم ضرب مثالين على ذلك من أن الواحده من الثمر تدلك على جنى الشجره و أن النفحه من الرائحة تدلك على خزامى الأرض، أى نباته العطر

ذلك قصائد بعث بها من المعره إلى صديقه القاضى أبى القاسم التنوخى، فى بغداد، و فى هذه القصائد أغراض مختلفه أظهرها الحنين إلى أيامه التى قضاها فى بغداد خلال رحلته الشهيره إليها، و هى الرحله التى اتخذ بعدها منزله بالمعره " محبسا " ثانيا له، و من قصائده إلى القاضى التنوخى هذا، القصيده التائيه التى مطلعها:

هات الحديث عن " الزوراء " أو " هيتا " و موقد النار لا تكرى " بتكريتا "

(١) و فى هذه القصيده يصف حنينه إلى العراق و يذكر سبب عودته من بغداد إلى المعره مرغما، فى حين كان يرجو أن لا يفارقها: و لا- مدحت طالبا للثواب، و إنما كان ذلك على معنى الرياضه و امتحان السوس، (٢) فالحمد لله الذى ستر بعفه [بعفه] (٣) من قوام العيش و رزق شعبه من القناعه أوفت (٤) على جزيل الوفير. و ما أوجد لى من غلو علق فى الظاهر بادمى، و كان مما يحتمله صفات الله عز و جل، فهو مصروف إليه. و ما صلح لمخلوق سلف من قبل، أو غير، أو لم يخلق بعد، فإنه ملحق به. و ما كان محضا من المين (٥) لا جهه له فاستقيل (٦) الله العثره فيه و الشعر للخلد مثل الصوره لليد (٧): يمثل الصانع ما لا حقيقه له، و يقول خاطر ما لو طولب به لأنكره، و مطلق فى حكم النظم دعوى الجبان أنه شجاع، و لبس العزهاه ثياب الزير (٨) و تحلى العاجز بحليه الشهم الزميع (٩) و الجيد من قيل الرجال - و إن قل - يغلب على رديئه و إن كثر، ما لم يكن الشعر له صناعه، و لفكره مرنا و عاده. و فى هذه الكلمات جمل يدلن على الغرض، و الله تعالى أستغفر، و إياه أسال التوفيق "

لهذا النص يمليه أبو العلاء نفسه فى مقدمه " سقط الزند " قيمه ذات شان كبير، فهو يلقي ضوءا غامرا على كثير من القضايا التى يختصم الباحثون فيها منذ زمن بشأن أبى العلاء، فى شعره و فلسفته و معتقده الدينى. و إنه لمؤكد أن صاحب " سقط الزند " قد أملى هذا النص أثناء اعتزاله الأخير فى منزله بالمعره بعد الأربعين من عمره، و ذلك هو العهد الذى أنشا فيه خيره أعماله الفكرية و الأدبيه، و أملى فيه " اللزوميات " ذاتها، و هى التى يشتد فيها الجدل بين المفكرين و الباحثين، من حيث أنها تحتوى معظم آرائه فى الكون و الحياه و الناس و المعتقدات.

فنحن نرى فى هذه المقدمه الصريحه أن الرجل يبرى نفسه من تهمة الزندقه و يصرف ظواهر شعره إلى مقاصد لا تنافى الاعتقاد بالله، ثم يستغفر الله مما قد لا يكون فيه مجال للتأويل. على أننا ننظر فى " سقط الزند " فنرى فيه شعرا كثيرا يدل على الايمان و التدين من مثل قوله فى رثاء أبيه:

جهلنا فلم نعلم على الحرص، ما الذى يراد بنا، و العلم لله ذى المن

و قوله فى قصيده يحن فيها إلى وطنه و هو فى بغداد:

فيا وطنى، إن فاتنى بك سابق من الدهر فلينع لساكنك البال

فان أستطع فى الحشر آتيك زائرا و هيهات لى يوم القيامة إشغال

و ليس هذا الأمر موضوع بحثنا و إلا- لأتينا من " سقط الزند " بشواهد كثيره على ذلك. و إنما الغرض هنا أن نقف قليلا عند ذلك النص الذى نقلناه من إملاء أبى العلاء، فنرى إليه و هو يقدم لديوانه بهذا الكلام الذى يشبه من بعض وجوهه، روايه

التبريزى عنه بأنه كان يرى فى "سقط الزند" أنه من شعر الحدائث، و لكن هذا لم يمنعه أن يهتم بامر هذا الديوان، و أن يقدم له، و أن يرويه لتلاميذه و يجيز روايتهم إياه و يتدارسه معهم فى حلقات دروسه.

و ثمة ناحيه أخرى ذات شان فى هذا النص، و هى اعتذار أبى العلاء عما ورد فى "سقط الزند" من مدائح ربما توهم أن الرجل كان كغيره من شعراء لك [تلك] العصور يقف بشعره على أبواب الحكام و ذوى الجاه، إما زلفى و رياء و تمليقا، و إما استجداء للعطايا و الهبات، فى حين نعلم من أخباره أنه تفرد فى شعراء تلك العصور بميزه الترفع بنفسه و خلقه و أدبه عن كل ما هو من قبيل الزلفى و الملق و الرياء، و الاستجداء، بل نعلم من أخباره المستفيضه أنه لقى فى كثير من الحالات أزمه الحاجه و الإعواز، و إنه - إلى ذلك - قد أتيح له مرارا أن يملأ كفيه بالمال و أن يملأ حياته بالرفاهه، غير أنه رفض كل ذاك رغم إقلاله و حرمانه.

و ها هو ذا، فى مقدمه "سقط الزند"، كما رأينا. يرفع ذلك التوهم بنفسه، و يكشف عن حقيقه تلك المدائح فى هذا الديوان، بقوله: "...

و لم أطرق مسامع

أثارنى عنكم أمران: والدهلم ألقها، و ثراء عاد مسفوتا(١٠)

أحياهما الله عصر البين ثم قضيقبل الإياب إلى الذخرين: أن مونا(١١)

لولا رجاء لقائها لما تبتعنسى دليلا كسر الغمد أصليتا(١٢)

و لأصحبت ذئاب الأنس طاويهتراقب الجدى فى الخضراء مسبوتا(١٣)

سقيا لدجله، و الدنيا مفرقهحتى يعود اجتماع النجم تشتيتا

و بعدها لا أريد الشرب من نهر كأنما أنا من أصحاب طالوتا

(١٤) و مما بعث به من المعره إلى بغداد بعد رحلته تلك، قصيدته إلى أبى احمد عبد السلام بن الحسن البصرى الذى كان يكثر الإقامه عنده فى بغداد، و هى من شعر "سقط الزند"، و مطلعها:).

ص: ٤٠

١- الزوراء: اسم لبغداد، و هيت و تكريت: بلدتان فى العراق

٢- السوس: الطيبه.

٣- الغفه (بضم الغين): البلغه من العيش.

٤- أوفت: زادت.

٥- المين (بفتح الميم و سكون الياء) الكذب. لا جهه له: أى لا وجه لتأويله.

٦- استقال العثره: طلب إقالتها و المغفره منها.

٧- يقصد أبو العلاء هنا "أن اليد ربما تنقش نقوشا و تخط أشياء أو تمثل تماثيل من الشمع و الطين يفقد مثلها فى الأعيان الموجوده المألوفه، اتفاقا من غير قصد، لتحقيق صورته ما، و المعنى: أنه لا- ينبغى أن تناقش الشعراء فى بعض ما أغربوا به من القول، بل اللائق بمذهبهم المسامحه" (شرح التنوير على سقط الزند - ج ١ ص ١٣).

٨- العزهاه: الرجل الذى لا يحب النساء، و الزير ضده.

٩- الشهم: الحديد الفؤاد و الزميع: النشيط المقدام. و معنى الجمل الثلاث الأخيره أنه لا- إنكار على الشعراء فى أن ينسبوا لأنفسهم ما ليس فيهم، فقد يدعى الجبان الشجاعه، و يدعى الكاره للنساء أنه زير نساء، و يدعى العاجز أنه قوى الجبان نشيط مقدام.

١٠- الثراء: المال. المسفوت: القليل البركه.

١١- يشير إلى أن والدته و بقيه مال له قد خسرهما. قبل وصوله إلى المعره.

١٢- يقصد لقاء أمه. (٢٦) [سيف أصليت: صقيل ماض. العنس: الإبل.

١٣- يقصد بذئاب الأنس: اللصوص و الخضراء: السماء. و الجدى: من بروج السماء. مسبوتا: من السبات، أى النعاس.

١٤- أى بعد مفارقتى دجله عزمت على أن لا أشرب الماء من نهر، و فاء بعهد دجله، حتى كأننى من أصحاب طالوت.. و يشير بذلك إلى الآيه الكريمة: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي، وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي). (سوره البقره).

تحية كسرى فى الثناء و تبع لربعك، لا أرضى تحية أربع

و فيها يقول:

ألم يأتكم أنى تفردت بعدكم عن الأئس، من يشرب من العد ينقع (١)

نعم، حبذا قيظ العراق، و إن غدا يبث جمارا فى مقيل و مضجع

و فى "سقط الزند" - فضلا عن ذلك - قصائد كثيره مما قاله و هو فى بغداد، و معلوم أن رحلته إليها كانت فى ما بين عامى ٣٩٨-٣٩٩ هـ، أى حين كان قد جاوز الخامسة و الثلاثين، فأين هو فى هذه السن من زمن الصبا؟..

يضاف إلى ذلك كله أن جملة من قصائده السائره فى الناس منذ أجيال، و المعروفه أنها من ذروات الشعر العلائى، هى من قصائد "سقط الزند"، و هذه يبدو عليها طابع النضج الفكرى و الشعرى الذى عرف به أدينا العربى العظيم. و من ذلك قصيدته المشهوره فى رثاء الفقيه الحنفى أبى الخطاب محمد بن على بن محمد بن إبراهيم الجبلى (٢) الذى توفى سنه ٤٣٩ هـ كما ذكر ياقوت فى "معجم البلدان". و هى القصيده التى مطلعها:

غير مجد فى ملتى و اعتقادى نوح باك، و لا ترنم شاد

ففى "سقط الزند" إذن من شعر أبى العلاء ما قاله و هو فى السادسة و السبعين، فأين هذه السن من زمن الصبا؟..

يثبت من هذا كله أن الفكره الثابته فى الأذهان، بان "سقط الزند" هو شعر أبى العلاء فى صباه، ليست منطبقه على الواقع. و أعنى بالتحديد: واقع هذا الديوان بصورته التى وصلت إلينا، و التى يحكم عليها الباحثون المعاصرون أيضا أنها من شعر أبى العلاء فى صباه. و يبدو لى من مطالعه أخبار أبى العلاء فى مختلف المراجع التى استطعت الوصول إليها، أن "سقط الزند" الذى بين أيدينا الآن، بطبعته: المصرى، و اللبنانى، لا يختلف كثيرا عنه كما عرفته الأجيال المقاربه لعهد المعرى. يدلنا على ذلك - كما ذكرت آنفا - أن صاحب "شرح التنوير" قد أورد جميع القصائد التى أشرت إليها منذ قليل، و منها قصيده:

"غير مجد فى ملتى و اعتقادى"

.. فهل يكون ذكر هذه القصائد كلها فى "سقط الزند" من تحريف المؤرخين و الشارحين بهذا التواطؤ و التواتر؟. إنى أشك بذلك.

ترانى أصر على تحقيق هذه المسأله لغرض أريد أن أنتهى إليه، و هو غرض أدبى له شأنه الخطير فى رأى. و ذلك أن "سقط الزند" إذا اعتبرناه من شعر أبى العلاء فى مراحل صباه و فى شببته و فى أوائل كهولته، كما هو الواقع الذى عرضنا أدلته فى هذا الفصل، فهو إذن يصح - كما قلت أول الأمر - أن تكون دراسته مدخلا لدراسه جديده لأبى العلاء. فان الذين بحثوا أمر هذا الأديب العربى العظيم، قصروا النظر فى بحثه - غالبا - على عدد من مؤلفاته، و لا سيما "اللزوميات" و "رساله الغفران"، و لم ينظروا إلى "سقط الزند" الذى يمثل أصالته الأديبيه بحقيقتها، و يمثل كذلك أهم أوجه حياته و شخصيته، و أعمق تجاربه

الوجدانيه و انفعالاته الشعريه.

الشيخ أحمد بن الشيخ حسين

من آل عصفورقال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من فضلاء البحرين و هو مجاز عن أبيه عن صاحب الحقائق و له من الأولاد الشيخ محمد و كان فاضلا محققا معاصرا مع عمه العلامة الشيخ حسن المتقدم ذكره. و له من الأولاد الحاج شيخ إبراهيم و الشيخ أحمد و الشيخ على، أما الشيخ أحمد فقال صدر الدين الشيرازى فى تاريخ فارس عند ذكره: هذا الشيخ كان عالما عادلا زاهدا متبحرا، و قد مضى من عمره سبعون سنه ١٢١٩، و أما الشيخ إبراهيم فهو من زهاد هذا العصر، تصدر فى البصره للجمعه و الجماعة مده عشر سنين فتوفى سنه ١٢٩١، و له من الأولاد علامه العصر رئيس المذهب الملقب بإمام الجمعه، تصدر للافتاء فى حياه جدى العلامة الشيخ عبد على بن العلامة الشيخ خلف، و مجاز عنه و هو إلى الآن قائم باعباء الفتوى، مع ما عليه من لباس التقوى، كان حليما كريما دامت أيام إفادته، و للشيخ أحمد من الأولاد الشيخ خلف و هو أيضا عالم فاضل و متبحر كامل أيدهم الله تعالى.

الشيخ أحمد الزاهد البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

إمام وقته فى العلوم العقليه، و أحد الأئمه فى العلوم الشرعيه، صاحب المصنفات المشهوره و الفضائل الغزيره المذكوره.

ولد فى رمضان فى سنه خمس و أربعين بعد الألف، اشتغل أولا على عمه العلامة الشيخ كمال الدين البحرانى، ثم على بعض علماء الحلّه، و أتقن علوما كثيره، و برز فيها و تقدم و ساد، و قصده الطليه من سائر البلاد، و إنما ذكرته فى حالات الشعراء لأنه ما صنف فى العلوم شيئا إلا كتابا فى المدائح و القصائد و المراثى. مات قدس سره سنه ١١١٢، و قبره فى بهبهان مشهور رحمه الله و بركاته عليه.

الشيخ أحمد بن الشيخ سلمان آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان من أعيان هذه الطائفه و هو مجاز عن عمه الشيخ عبد على بن العلامة الشيخ خلف العصفور، تصدر للافتاء بامر الشيخ فى البحرين، و لم أجد من تأليفه شيئا إلا رساله فى أدوات العموم و حاشيه مليحه على المطول.

مات قدس سره سنه ١٣٠٦.

الشيخ أحمد بن سليمان الخطى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من مشايخ الطريقة أخذ الأدب عن علامه زمانه الشيخ سليمان بن أبي ظبييه، و الفقه عن المحدث البارع الشيخ محمد الحر العاملي و له كتاب فى الحكمه، لم يعمل مثله، و رساله فى قوله تعالى: (ألم أعهد، إليكم يا بنى آدم..) و غير ذلك من الرسائل.

مات قدس سره سنه ١١١٠ العاشر و المائه بعد الألف.

الشيخ أحمد بن صالح البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

فقيه عصره و فريد دهره كان من المتورعين، و لم يتصدر للقضاء لزهده

ص: ٤١

١- الماء العذ: الدائم الذى لا تنقطع مادته. ينقع: يرتوى.

٢- نسبه إلى جبل (بفتح الجيم و تشديد ألباء مع ضم): بلده فى العراق بين واسط و النعمانية (أبو العلاء المعرى) لأحمد تيمور باشا - ص ٩٥.

و ورعه، و هو يروى عن جماعه من المجتهدين، و له تصانيف رائعه منها:

الصحيحه الرضويه و منها: كتاب الحج و غير ذلك، مات قدس سره فى السنه الخامسه بعد الثلاثمائه و الألف رحمه الله عليه.

السيد أحمد بن السيد عبد الرؤف البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط، و لم يذكر لا تاريخ مولده و لا تاريخ وفاته:

كان من بلغاء عصره و فصحاء مصره، أديبا شاعرا له حاشيه على الفيه ابن مالك، و شرح على ديوان المتنبى، و له قصائد بديعه و من قصائده:

عيون المنايا للأمانى حواجب و دون المنى سهم المنيه صائب

و كل امرئ يبكى سيبكى و هكذا صبايه ماء نحن و الدهر شارب

فكم من لبيب غر منه بموعده فصدقه فى قوله و هو كاذب

هو الدهر طورا للنفائس واهب إليك و طورا للنفسيه ناهب

إلى أن قال:

إليكم و لاه الأمر خير قصيده يهذبها رأى من الفكر صائب

عروس و لكن ليس تجلى لغيركم عليها من الصدر البديع عصائب

إلى أن قال:

فأنتم عصا موسى لا حمد فيكم سليل الفتى عبد الرؤف مارب

السيد أحمد الزنجى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من قريه الزنج إحدى قرى البحرين، كان أديبا شاعرا عارفا بالطب، و له كتاب فى الأنساب، و كتاب فى الأذكار، و كتاب قصائد، و من قصائده:

منازلهم بالخيف من بعدهم قفر ناى ساكنوها ثم غيرها الدهر

وقفت على أرجائها فوجدتها بسكب الحيا خضرا و لكنها صفر

معاهدها سود خلاف معاشر قلوبهم بيض و أسيافهم حمر

مات قدس سره سنه ١١٨٢.

الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن حسن البلادي.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من المحققين المبرزين، قال جدى العلامة فى اللؤلؤة: و كان مع ما هو عليه من الفضل فى غاية الإنصاف، و حسن الأوصاف، و الورع، و التقوى، و المسكنه، لم أر مثله من العلماء فى ذلك الوقت. و كانت وفاته يوم الاثنين رابع عشر رمضان للسنة السابعه و الثلاثين بعد المائة و الألف، و قد حضرت درسه و قابلت فى كتاب شرح اللمعه عنده، و الشيخ عبد الله بن الشيخ على بن أحمد البلادى الآتى ذكره. و إلى هؤلاء انتهت رئاسه البلاد بعده كل فى وقته، و كان أشهر هؤلاء والدى و المحدث الصالح المذكور، و قد رأيت الشيخ المذكور و أنا ابن عشر سنين يومئذ تقريبا، و قد كان والدى نزل فى قريه البلاد بتكليف والده، لملازمه التحصيل عند الشيخ المبرور، و كان يدرس يوم الجمعة بعد الصلاه فى الصحيفه الكامله إلى أن قال: و له قدس سره جملة من المصنفات، إلا أن أكثرها رسائل منها ما تم و منها ما لم يتم. (١)

الشيخ أحمد بن محمد العقيرى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من الأدباء، ديوانه معروف بين أرباب المراثى و من قصائده:

خليلى غاب النجم و اتضح الفجر أ مالك بالأحباب مذ رحلوا خبر

الا فاسال الركب اليمانين وقفه على عتبات الكرخ أن عارض الجسر

و إن جزت بالنعمان أنعمه برهه تحيه مشتاق يروعه الهجر

و أن زمت الركبان عيس النوى بهم يجلى على الخطب بل يعظم الأمر

إلى أن قال:

ترقوا إلى أوج المعالى فأصبحوا على العرش أشباحا لها ظهر السر

فبعدهم الدنيا على الناس أظلمت و ضاق الفضا حتى كان الفضا شبر

لهم وقعه لو أن معشار عشرين ألم بقلب الصخر لا نصدع الصخر

إلى أن قال:

فتى حيدر يا منتهى غايه الورى و يا من إليه يرجع الخلق و الأمر

فكن للبيد القن أحمد شافعا متى كان لا زيد بمغن و لا عمرو

و له قصائد بديعه و لم يحضرنى تاريخ وفاته قدس الله سره.

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف البحرانى.

مرت ترجمته فى المجلد الثالث و نأخذ هنا عن تاريخ البحرين المخطوط:

الخطى أصلا، و البحرانى المقابى منشا و محصلا، و كان هذا الشيخ علامه فهامه، زاهدا عابدا ورعا كريما، و تصانيفه التى وقفت عليها دليل بعلو كعبه فى المعقول، و المنقول، و الفروع، و الأصول، و دقه النظر، و حده الخواطر، مع مزيد البلاغه و الفصاحه فى التعبير و التحبير، و التحرير، و عندى أنه أفضل علماء بلادنا البحرين ممن عاصره و تأخر عنه بل و غيرهم.

و قد ذكر بعض تلامذته فى رساله له: أتى فى سفره إلى أصبهان و كان المولى الفاضل محمد باقر الخراسانى صاحب الكفايه و الذخيره يخلو معه فى الأسبوع يومين للمذاكره معه و الاستفادة منه.

و قد أجازته شيخنا المجلسى فقال فى إجازته له:

(إنه كان من غرائب الزمان، و غلط الدهر الخوان، و من فضل الله على و نعمه البالغه لدى اتفاق صحبه المولى الأولى الفاضل، الكامل، البارع، التقى، الزكى، جامع فنون الفضائل و الكمالات، حائز قصب السبق فى مضامير السعادات ذى الأخلاق الرضيه، و الأعراف الطيبه البهيه، علم التحقيق، و طود التدقيق، العالم التحرير [التحرير]، و الفائق فى التحرير و التقرير، كشاف دقائق المعانى الشيخ أحمد البحرانى دام الله تعالى أيامه و قرن بالسعود شهوره و أعوامه، فوجدته بحرا زاخرا فى العلم لا يساحل.. إلى آخر الإجازة، و شعره قدس سره فى غايه الجوده و الجزاله و من مصنفاته كتاب:

رياض الدلائل، و حياض المسائل، لم توجد منه إلا قطعه من الطهاره، و رساله فى وجوب الجمع عينا، ردا على رساله الشيخ سليمان بن على الشاخورى، كما تقدمت الإشارة إليه، و رساله فى استقلال الأب بولايه البكر البالغه الرشيده، و رساله فى المنطق سماها المشكاه المضيئه، و رساله سماها، الرموز الخفيه فى المسائل المنطقيه، و رساله صغيره فى مسأله البداء.

توفى قدس سره بالطاعون مع إخوته و دفنوا فى جوار

ص: ٤٢

الكاظمين (ع) في السنه الثانيه بعد المائه و الألف و توفي أبوهم سنه ١١٠٣ في قريه مقابا مسكنه و هو قدس سره يروى عن جمله من المشايخ، منهم شيخنا المجلسى، و قد تقدمت الإشاره إليه فى إجازته له، و منهم والده الفقيه الشيخ محمد بن يوسف عن الشيخ على بن سليمان القدمى البحرانى المتقدم ذكره.

الشيخ أحمد بن الفلاح القطيفى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

ذكره الشيخ أحمد الأحسائى فى شرح تبصره العلامه فى الفقه فى مسأله الجمع ما لفظه:

(و ممن ادعى الإجماع على الوجوب العينى الفاضل المتبحر الشيخ أحمد بن الفلاح القطيفى و هو منه عجيب).

و توفي فى سنه ١١٨٨.

الشيخ أحمد بن محمد بن آل عصفور البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من أكابر هذه الطائفة أديب، بديع البيان، و نجيب مؤسس البنيان، بيته أحد بيوت العلم باوال و إلى حرم فضله تشد الرحال، مات قدس سره سنه ١٢٣٠، و له من الأولاد الشيخ محمد و هو من أعيان هذه الطريقه - كما ستعلم - و للشيخ أحمد مجموعات المسائل، و رساله فى معنى الكتب، و رساله فى المراثى، و رساله فى وجوب غسل الجمعة، و رساله فى مجازاه الكتاب، و رساله فى المتعه، و رساله فى أدعيه قنوت النوافل، و كتاب مجلاه الالتباس من حديث (إن من أشد الناس) و حاشيه على الكفايه و هى من أعظم تأليفاته و هو مجاز عن أخيه الشيخ حسين. و الشيخ كثيرا ما يعتمد على منقولاته قدس سرهم.

الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد الشائب العمرانى الأحسائى.

ولد فى قريه (العمران الجنوبيه) إحدى قرى مدينه الأحساء عام ١٢٦٣ و توفي فيها سنه ١٣٣٣.

سافر إلى النجف للدراسه، و كان عمره آنذاك ثلاثين سنه. فمكث هناك ثلاث عشره سنه، عاد بعدها إلى بلده الأحساء. و قد امتهن الخطابه الحسينيه، فقرأ فى كل من الأحساء، و البحرين، و مسقط، و الكويت.

و كان بالاضافه إلى خطابته يقوم بالأمر الحسينيه فى بلده.

كان خطيبا بارزا، أديبا شاعرا، ينظم الشعر فى أكثر من مناسبه إلا أن أكثر شعره ضاع مع ما ضاع من شعر (الإحساء)، و لم يعثر منه إلا على النزر اليسير، منه قوله فى رثاء الحسين (ع):

عش ما بدا لك فى سرور فى ظل شاهقه القصور

لا بد تعلم موقنا أن لست إلا في غرور

فاعمل لنفسك إنما حظ المقصر في قصور

فعساك تحظى بالرضا و الفوز في يوم النشور

و الزم محبه من بهم يرجى الخلاص من السعير

أبناء فاطمه البتول و عتره الهادي البشير

أهل الرئاسة و العلى و الفخر و الشرف الخطير

تحیی بذكرهم القلوب و ينجى غسق الصدور

جار الزمان عليهم و رمتهم أيدي الشرور

لا تنس وقعه كربلاء من ذلك الخطب الكبير

حيث الحسين لقي بها عار على تلك الوعور

مترملا بدمائه متوسدا حر الصخور

متدثرا سلب القنا متكفنا نسبح الدبور

و بنو أبيه و صحبه من حوله مثل البدور

أكفانهم سافى الرياح و غسلهم فيض النحور

هذا و أعظم حادث و أجل رزء في الدهور

لما بنات محمد أبرزن من بين الخدور

و العابد السجاد مغلول اليدين على بعير

أضحى أسيرا بينهم وا لهفتاه على الأسير

يا آل طه أنتم غوث الصريخ المستجير

فكوا وثاقى سادتى في يوم حشرى و النشور

ما لى سواكم عاصم فى ذلك اليوم العسير

و إلكم من (أحمد) غررا تفوق على النظر

و عليكم صلى الإله لى الرواح و فى البكور

(١)

أحمد بن يوسف المصرى.

كتبها السيد صالح الشهرستانى بعنوان (أقدم كتاب خطى بالخط العربى) و ذلك سنة ١٣٥٣، و نحن نأخذها هذا العام: عام ١٤٠٨. و المكتبة التى يتحدث عنها الكاتب أوصى صاحبها الحاج ملك أن تضم بعد وفاته لمكتبه الامام الرضا (ع)، و قد تم ذلك، كما أن السيد صالح نفسه كان قد أوصى أن تضم مكتبته - و كانت من كبريات مكتبات طهران - إلى مكتبه الحاج ملك المضمومه إلى مكتبه الرضا (ع).

رحم الله الاثنين و خلد ذكرهما و أثابهما الجنة.

تضم مدن إيران و قراها بين جدران أبنيتها و عماراتها مكتبات قديمه، تحتوى على أنفس الكتب الخطيه الإسلاميه منذ صدر الإسلام. تلك المكتبات التى لم تتمكن أيدى الغربيين لا سيما المستشرقين منهم من التقرب إلى انتشارها [انتشارها] أو نقلها إلى الغرب.

ليست هذه المكتبات - سواء كانت عامه أو خاصه - منحصره بمدينه من مدن إيران، فإنها منتشرة فى أكثرها لا سيما فى طهران، و أصفهان، و مشهد، و همذان، و شيراز، و تبريز، و كرمانشاه، و قم و زنجان و غيرها. كما لم تكن كلها عامه موضوعه تحت تناول عموم الناس و القراء كمكتبه البرلمان الايرانى بطهران و مكتبته وزاره المعارف بطهران أيضا، و مكتبته الامام على بن موسى الرضا (ع) بمشهد. و إنما الأغلب منها شخصيه تتعلق بعلماء و أعيان و وزراء، كمكتبه الحاج ملك التجار فى طهران و مشهد، التى هى الآن موضوع بحثنا، و مكتبته الميرزا محمد على خان تربيت فى تبريز، و مكتبته الميرزا أبو عبد الله الزنجانى فى زنجان، و مكتبته إمام الجمععه فى كرمانشاه التى احترقت و مكتبته الميرزا محمد هاشم ميرزا أفسر، و مكتبته السيد نصر الله

ص: ٤٣

١- الشيخ جعفر الهلالى من كتابه المعد للطبع (معجم شعراء الحسين).

الحائري، و مكتبه الحاج محتشم السلطنة، و غيرها من المكتبات الخاصة الكثيره فى سائر مدن، إيران.

و فى مقدمه هذه المكتبات، من عامه أو خاصه، فى عموم إيران مكتبه الحاج حسين آقا ملك التجار، تلك المكتبه التى تعد أكبر مكتبه على الإطلاق فى إيران. و كان الحاج ملك المشار إليه قد شغف بجمع الكتب العربيه و الفارسيه من خطيه و مطبوعه، و بعض الكتب الأوروبيه المهمه. بيد أن المومى إليه غرم بوجه خاص فى اقتناء و جمع الكتب الخطيه النادره التى تؤلف النصف من مكتبته، و يقدر مجموع كتبها بست و أربعين ألف مجلد، هى من أنفس و أثنى الكتب و المصاحف، التى تعد فيها بالف و مائتى مصحف بخطوط مشاهير الكتاب و مذهبه تذهيبا بديعا جدا.

و لقد انفردت هذه المكتبه الخاصه بكثير من النسخ الخطيه، و النفائس البديعه التى لا وجود لها فى جميع أنحاء العالم، علاوه على ما تحويه من خطوط كثير من المؤلفين القدماء المعروفين.

و من أهم الكتب التى تحويها هذه المكتبه كتاب شرح الثمره، الذى كتب عام ٣٧١ هـ و الذى هو موضوع بحثنا فى مقالنا هذا، و كتاب (عين اللغه) للخليل بن أحمد كتب عام ١٠٩١ هـ، و نسخه نادره من القرآن بخط الامام الحسن بن على بن أبى طالب (ع)، و كتاب (رياض العلماء) النادر الوجود جدا، و كتاب (منطق الشفاء) لابن سينا و هو نسخه نادره كامله، و المجلد الأول من كتاب (أمل الآمل) فى أحوال علماء جبل عامل بخط الحر العاملى تاريخه ١٠٩٧ هـ، و كتاب (رياض الجنه) فى تراجم العلماء و أظن أن نسخ هذا الكتاب منحصره بهذه النسخه فقط، و مؤلفه السيد حسن الزوزى من كبار علماء القرن الثالث عشر الهجرى، و كتاب (تقويم التواريخ) باللغه التركيه لمؤلفه الحاج خليفه مؤلف (كشف الظنون)، و كتاب (روضات الجنات) فى أوصاف مدينه هرات، و مجلد واحد من تاريخ أبى الفداء الذى ينتهى بحوادثه فى سنه ٧٢٠ هـ و قد كتبت فى عصر المؤلف المذكور. و ديوان الحر العاملى بخط الناظم و كتاب (حدائق السحر فى دقائق الشعر) لمؤلفه رشيد الدين محمد العمر الكاتب البلخى تاريخ ٧٣٨ هـ، و كتاب الدرر الفاخره فى الأمثال السائره تأليف حمزه الأصفهاني، و المجلد الثالث من (وسائل الشيعه) بخط المؤلف الحر العاملى، و كتاب الوجيز فى الفقه للغزالي مكتوب عام ٥٨٤ هـ، إلى غيرها من الكتب النادره النفيسه، أما كتاب (شرح الثمره) فهو أقدم نسخه خطيه بالخط العربى فى هذه المكتبه بل و فى مكتبات العالم أجمع. (١)

الثمره فى أحكام النجوم: أحد تأليف الحكيم اليونانى بطليموس. ذلك التأليف الذى وضعه لتلميذه (سورس). و الاسم اليونانى الأصلى لهذا [لهذا] الكتاب (انطرومطا) أى مائه كلمه، و قد ترجم إلى اللغه العربيه فى صدر الإسلام و وضع عليه اسم (الثمره). إذ أنه جاء بخلاصه و ثمره أربعة كتب ألفها الحكيم المذكور لتلميذه المومى إليه كما يظهر ذلك من مقدمه هذا الشرح الذى نحن بصدد الآين و هى: -. (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله حمد الشاكرين، و الصلاه و السلام على محمد و آله الطاهرين. (٢) و بعد فهذا كتاب ثمره بطليموس الحكيم من تمام الكتب الأربعة التى ألفها فى الأحكام لسورس تلميذه. قال بطليموس قد قدمنا لك يا سورس كتبا فيم يؤثر الكواكب فى عالم التركيب كثير المنفعه فى تقدمه المعرفه. و هذا الكتاب ما اشتملت عليه تلك الكتب و ما خلص عن تجربته منها و ليس يصل إلى معرفته من لم يعنى النظر فيما قدمناه (٣) قبله و فى علوم آخر من علوم الرياضه فكن به سعيدا).

و لقد شرح هذا التعريب جماعه كبيره من الشراح و المفسرين منهم أحمد بن يوسف المصرى المهندس كاتب آل طولون بمصر (٤) و هو يعد من أقدم الشروح لهذا الكتاب، و ذكره كثير من المؤرخين كابن النديم و ابن القفطى و غيرهما، كما نقل

عنه كثيرا (أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود المتوفى عام ٣١٧) فى كتابه المسمى بالتسييرات.

يرتقى تاريخ هذه النسخة إلى سنة ٣٧١ هجرية. إذ جاء فى آخر صفحة من الكتاب ما صورته (تم كتاب بطليموس المسمى الثمره و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على خير خلقه محمد المصطفى و آله الأكرمين (٥) كتبه الحسين بن عبد الرحمن بن عمر الصوفى بالرى فى دار ابن الأقال (٦) و فرغ منه للنصف من شعبان لسنة إحدى و سبعين و ثلاثمائة). فيكون قد مر على هذه النسخة ١٠٣٨ (ألف و ثمان و ثلاثين) سنة تقريبا (فى هذا العام:

عام ١٤٠٨).

أما كاتب النسخة أعنى (الحسين بن عبد الرحمن) فهو ولد عبد الرحمن بن.

ص: ٤٤

١- أتذكر أننى قرأت منذ عدة سنوات فى بعض مجلدات المقتطف المصرىه الغراء بان أقدم كتاب خطى بالخط العربى أى خط النسخ المتداول الآن لم يتجاوز تاريخ سنة ٤٠٠ هجرية، و أنه لو وجدت نسخه تاريخها أقدم من هذا التاريخ فهى لا تثنى بئس ٢- يظهر من كلمتى (و آله الطاهرين) أن الشارح المذكور أحمد بن يوسف المصرى كان من الشيعة. ٣- جاء فى الصفحة ٦٩ من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء لمؤلفه الوزير جمال الدين أبى الحسن على ابن القاضى الأشرف يوسف القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ (طبعه مصر) عند ترجمه بطليموس القلوذى ما نصه: - (و مما اشتهر من كتاب بطليموس و خرج إلى العربيه كتاب كتبه إلى سورش تلميذه نقله إبراهيم بن الصلت و أصلحه حنين بن إسحاق، و فسر مقاله الأولى أنطرقوس و جمع مقاله الأولى ثابت، و أخرج معانيها و فسره أيضا عمر بن الفرخان و إبراهيم بن الصلت و التبريزى و البتانى) ١. و لقد وردت عين هذه العبارات فى ص ٣٧٤-٣٧٥ - من فهرست ابن النديم طبعه مصر. و قد ذكر صاحب (كشف الظنون) فى الجزء الأول ص ٣٥٦-٣٥٧ فى باب الشاء ما نصه (الثمره: فى أحكام النجوم لبطليموس القلوذى الحكيم الفلكى و اسمها بالروميه (انظرومطا) أى مائه كلمه. و هى تمام الكتب الأربعة التى ألفها لسورش تلميذه يعنى ثمره تلك الكتب. و لها شروح منها: شرح أبى يوسف الأقليدسى و شرح أبى محمد الشيبانى، و شرح أبى سعيد الشمالى، و شرح ابن الطيب الجائليقى السرخسى، و شرح بعض المنجمين أوله: أحمد الله حمدا لا يبلغ الأفكار حده إلخ ذكر أنه أخذه من الأمير أبى شجاع رستم بن المرزبان سنة ٤٨٥ و جمع فيه بين هذه الشروح المذكوره. و منها شرح العلامة نصير الدين محمد بن محمد - الطوسى المتوفى سنة ٦٧٣، و هو شرح مفيد بالفارسيه ألفه لصاحب ديوان محمد بن شمس الدين) ١. و لقد رأيت هذا الشرح الأخير بالفارسيه فى مكتبة البرلمان الايرانى و هو فى رساله متوسطه القطع، عدد أوراقها ٤٨ ورقه. و هذه النسخة بلا تاريخ غير أنه يظهر من خطها و قرطاسها أنها من مخطوطات القرن الحادى عشر الهجرى. و رقمها الخصوصى فى المكتبه ١٦٩ أما رقمها العمومى فهو (٩٠٨٤).

٤- جاء فى أخبار الحكماء لابن القفطى المذكور ص ٥٦ طبعه مصر ما نصه (أحمد بن يوسف المنجم: رجل مشهور بالعلم فى هذا الشأن. فمن تصانيفه كتاب النسبه و التناسب، و له فى أحكام النجوم كتاب شرح الثمره لبطليموس) ١. و ذكر ابن النديم فى فهرسه ص ٣٧٥ طبعه مصر ضمن ترجمه بطليموس و ذكر تأليفه ما عبارته: (... كتاب الثمره فسره أحمد بن يوسف المصرى

المهندس) إلخ.

٥- يظهر من كلمتي (آله الأكرمين) أن كاتب هذه النسخة الحسين المذكور كان من الشيعة.

٦- أو (دارأت الأقوال) فان الكلمتين غير واضحتين لا سيما و أنهما غير منفصلتين.

عمر الصوفى الرازى المتوفى سنة ٣٧٦ هـ. (١) و كان الحسين المذكور يكنى بأبى على (٢) كما يظهر ذلك من مقدمه نظمه كتاب أبيه المسمى (صور الكواكب) على طريقه الأرجوزه التى يتدى بها بقوله: -

(هذا مثال لأبى علينجل أبى حسين الصوفى)

(فى صنعه النجوم و الأفلاكأنشاه لملك الأملاك)

و ملك الأملاك الوارد هنا فى الشعر هو الملك السعيد عضد الدوله الديلمى الذى كان يلقب حينئذ بهذا اللقب الذى يحتمل أنه معرب من الكلمه الفارسيه (شاهنشاہ) أى ملك الملوك.

هذا وصف موجز لكاتب هذه النسخه. و أما النسخه نفسها فإنها تحتوى على ٥١ ورقه سميكه تميل بلونها إلى الصفرة بقطع ٢٠ سنتيمترا طولاً- و ١٥ سنتيمترا عرضاً. و النسخه كامله ما عدا الصفحه الأولى منها، التى يظهر أنها كانت مفقوده، فكتبها الشيخ لطف على بن محمد كاظم التبريزى (٣) عام ١٣٠٨ بطهران مالك هذه النسخه قبل أن تصل إلى مكتبه الحاج ملك التجار.

أما خط هذه النسخه فقد كتب بحبرين أحمر و أسود، إذ الكلمه الأصلية (أى تعريب كلمه بطليموس) كتبت بالأحمر تحت عنوان (كلمه) و الشرح كتب بالحبر الأسود تحت عنوان (التفسير). و لم تعد الكلمات المذكوره باعداد الحروف الهنديه كالعاده الجاريه الآن، و إنما عدت بواسطه حروف أبجد.

و الظاهر على الخط بأنه أقرب خط للكوفى. إذ أن فيه كثيرا من قواعد الخط الكوفى كالكاف الكوفيه الطويله فى حاله الانفراد، و كذا الطاء، و لا، و عدم التنقيط و ارتفاع رأس الجيم و أخواتها و غير ذلك من مميزات و مختصات الخط الكوفى و قواعد.

هذا و من المتيقن أن كاتب هذه النسخه أبو على الحسين جد كثيرا فى تحسين كتابتها. إذ يظهر أنه قد بذل غاية جهده فى عدم استعمال القواعد الكوفيه مهما أمكنه. فاخرج كتابه الكتاب بالشكل الذى نراه الآن.

و مما يؤيد كون خط هذه النسخه أقرب خط إلى الكوفى، هو اختراع الخط المتداول الآن من قبل الوزير أبى على محمد بن على بن الحسين بن مقله المتوفى عام ٣٢٨ هـ. و قد اخترع هذا الخط حوالى السنوات ٣١٥-٣٢٠ و كان قد نقله من الخطين الكوفى و النسخ اللذين كانا متداولين فى صدر الإسلام بعد أن أدخل عليهما تحسين كبير. فتكون هذه النسخه قد كتبت بالخط العربى المتعارف الآن بعد اختراعه بمدته خمسين سنه تقريبا.

هذا و قبل أن نختم كلمتنا فى وصف هذا الكتاب نقل فيما يلى تفسير الكلمه الأخيره من كلمات بطليموس و هى كلمه (قب).

قال المفسر أحمد بن يوسف المصرى ما عبارته: (قد بنى أرسطوطاليس فى كتاب الآثار العلويه أن الأبخره الجافه إذا بلغت الأثير صارت شهباً و هى النيازك، فليس بمنكر أن يدل ظهورها على الجفاف فى البحار، و لأنه ذكر فى كتاب الآثار العلويه أيضا أن جوهر المريخ صار يابساً دلت (كذا) فى الجهه الواحده على ريح منها و فى تشييعها (كذا) فى كل الجهات على نقصان المياه، لأن اليبس إذا زاد فى الهواء نقصت المياه. و إنى لأذكر فى ليله من سنه تسعين و مائتين أن الشهب انتشرت و عمت الجو بأسره، فارتاع الناس لها و لم تنزل أكثر من أربع ساعات فلم يمض لذلك من السنه يسير حتى ظمى الناس، و بلغ نيل مصر ثلاث عشره

ذراعا، و نقص عن حاجه البلد أربع (كذا) أذرع، و ترعت (كذا) الأسعار، و اضطرب الناس اضطرابا شديدا، و زالت به دوله آل طولون. و أثرت سنه ثلاثمائة(٤) من كل جهه من جهات الجو، فنقص النيل و انفتح على مصر باب المغاربه لحماسه (كذا) و عبد الرحمن بعده، فعظمت به نكايه من معهما. فاما ذوات الذوائب فإنه طلع منها ذو الجمه فى وتد من أوتاد انتهاء القران الذى بدأت فيه دوله بنى العباس لها الله (كذا) فمات أبو أحمد الناصر رحمه الله. و طلع ذو الذوابه فى سنه اثنين و تسعين و مائتين و أقام إحدى عشره ليله، يسير فى كل ليله مسيرا محسوسا، فدخل ابن الجلنحى بعده بمدیده يسيره، و تسلط على مصر و نواحيها، و حدث بمصر جميع ما ذكره بطليموس.

فهذا ما حضرني من تفسير كلمات هذا الكتاب، و أرجو أن يكون مطيفا (كذا) بمعانيه مستوفيا لشرحه، و الصواب أن تضعه فى مستحقه و تمنعه ممن لا يؤثر منه إلا الكثير بملكه، و ترى أن حصوله فى خزائنه معادل لثباته فى خلدته، فيستقل الارتياض به، و يعتمد فى إحرازه لمكانه من الناس على المهاتره، و لطيف التلييس، فان احتيازه محرم على أمثاله و مؤثم لموصله إليه، و أنا اسأل الله هدايتك و كفايتك و هو حسبي و نعم الوكيل) اه.

و قد نقلت فيما مضى عين عبارته كاتب هذه النسخه الحسين بن عبد الرحمن فلا حاجه لتكرارها هنا.

أحمد بن هبه الله بن صاحب.

هو أبو منصور أحمد بن علي بن هبه الله بن صاحب الملقب بالريب، أخو

ص: ٤٥

١- و هو أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفى الرازى الذى عاش ٨٥ عاما. و كان من مشاهير الراصدين فى زمانه، قال عنه صاحب الأعلام فى المجلد الثانى: عالم بالفلك من أهل الرى اتصل بعضد الدوله فكان منجمه له (الكواكب الثابته - ط) بناه على كتاب المجسطى لبطليموس و لم يكتف بمتابعته بل رصد النجوم كلها نجما نجما و عين أماكنها و أقدارها. و له مطارح الشعاعات و أرجوزه فى الفلك) ١ ه. و ليست الأرجوزه التى ذكرها هنا صاحب الأعلام لأبى الحسين عبد الرحمن، و إنما هى لابنه الحسين أبى على كما هو فى المتن أعلاه. و فات صاحب الأعلام أن يذكر أيضا أن لأبى الحسين عبد الرحمن (صور الكواكب) الذى جاء ذكره فى كشف الظنون بما يلى: (صور الكواكب للشيخ أبى الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفى المدقق ألفه لعضد الدوله) ١ ه. و قد شاهدت فى بعض مكتبات طهران عده نسخ من هذا الكتاب و هى قديمه كتابه و صوراً.

٢- جاء فى كتاب (سر الأسرار) ما عبارته: (كان فى زمن الملك السعيد عضد الدوله نصر الله وجهه رجل عالم يعرف بأبى على الحسين الصوفى. و كانت له يد طويله فى صناعه النجومهيه و حسابا و أحكاما - و لم يكن من نقصان فى المعرفه و لا- من تقصير فى البضاعه) ١ ه.

٣- الشيخ لطف على بن محمد كاظم التبريزى المتوفى حوالى عام ١٣٥٠ هجرية كان من أجلاء علماء إيران و كان يعرف بصدر العلماء. و قد بحث حول هذه النسخه التى كان هو مالکها أبحاثا مستفيضه كتبها على بعض الأوراق البيضاء التى أرققها بأول النسخه و آخرها. و مما كتبه باللغه الفارسيه ما مترجمه هنا (.. و أن هذه النسخه التى هى بخط الحسين أصح نسخه موجوده من هذا الكتاب النادر الوجود و يمضى من عمر هذه النسخه فى هذه السنه التى نحن فيها و هى سنه ١٣٠٨ تسعمائه و بضع سنين. و

لا توجد نسخه خطيه أقدم من هذه النسخه على الإطلاق. و حقا ينال الإنسان حفا وافرًا من مشاهدته لخط هذه النسخه الذي هو أقرب خط استخراج من الخط الكوفي.. إلخ.

٤- يظهر من هذه السنه أن شارح الثمره أحمد بن يوسف المصرى كان حيا حتى، سنه ٣٠٠ من الهجره و كان باقيا حتى بعد انقراض سلطان آل طولون بمصر.

أستاذ دار الخليفة أبي الفضل مجد الدين هبه الله بن علي بن هبه الله بن الصاحب، كان من أعيان الشيعة ببغداد، وقد روى شيئا من الحديث، وتوفي يوم الأحد تاسع المحرم من سنة ٦٠٤، و صلى عليه في جامع القصر، و دفن في مشهد موسى بن جعفر - على ساكنيه السلام - و كان عمره نحواً من خمسين سنة.

الشيخ أحمد بن يوسف البحراني.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

ذكره الشيخ سليمان الماخوزي فاثني عليه، و ذكره صاحب البحار فعظمه حتى قال في وصفه: هو من مجددى المذهب.

قال جدى صاحب الحدائق: هو عالم فاضل، و محقق كامل، له كتاب:

رياض الدلائل و حياض المسائل فى الفقه لم يتم. و رساله سماها المشكاه المضيئه فى المنطق. و رساله سماها: الأمور الخفيه فى المسائل المنطقيه. و له شرح جيد على الشرائع قاله الحر فى أمل الأمل.

و توفي سنة ٩٩٩.

الأحوص بن شداد الهمداني.

لما تقابل جيش إبراهيم بن مالك الأشر مع جيش عبيد الله بن زياد على بعد خمسه فراسخ من الموصل، ثبت أهل العراق مستعدين للموت و هم يقولون: اللهم إننا ما خرجنا إلى حرب هؤلاء القوم إلا شارين بدمائنا و أموالنا الجنه، طالبين بدماء أهل بيت نبيك محمد (ص)، فانصرنا عليهم كيف شئت و أنى شئت، إنك على كل شىء قدير. قال:

فوقف الفريقان بعضهم ينظر إلى بعض، و تقدم رجل من عتاه أهل الشام و مردتهم يقال له عوف بن ضبعان الكلبي حتى وقف بين يدي الجمع على فرس أدهم ثم نادى: ألا يا شيعه أبى تراب! ألا يا شيعه المختار الكذاب! ألا يا شيعه ابن الأشر المرتاب! من كان منكم يدل بشجاعته و شدته فليبرز إلى إن كان صادقا، و للقرآن معانقا! ثم جعل يجول فى ميدان الحرب و هو يرتجز و يقول:

أنا ابن ضبعان [ضبعان] الكريم المفضل إنى أنا الليث الكمى الهذلى

من عصبه يبرون من دين على كذاك كانوا فى الزمان الأول

يا رجال! فما لبث أن خرج إليه الأحوص بن شداد الهمداني و هو يرتجز و يقول:

أنا ابن شداد على دين على لست لمروان ابن ليلي بولى

لأصطلين الحرب فيمن يصطلى أحوص نار الحرب حتى تنجلي

قال: فجعل الشامي يشتم الأحوص بن شداد، فقال له الأحوص: يا هذا لا تشتم إن كنت غريبا، فان الذي بيننا و بينكم أجل من الشتيمة، أنتم تقاتلون عن بنى مروان، ونحن نطالبكم بدم ابن بنت نبي الرحمن، فادفعوا إلينا هذا الفاسق اللعين عبيد الله بن زياد، الذي قتل ابن بنت نبي رب العالمين محمد (ص)، حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلوا مع الحسين بن علي، فاننا لا نراه للحسين كفتنا فنقتله به، فإذا دفعتموه إلينا فقتلناه جعلنا بيننا و بينكم حكما من المسلمين، فقال له الشامي: إننا قد جربناكم في يوم صفين عند ما حكمنا و حكمتم، فغدرتم و لم ترضوا بما حكم عليكم. قال: فقال له الأحوص بن شداد: يا هذا إن الحكمين لم يحكما برضا الجميع، و أحدهما خدع صاحبه الآخر، و الخلافه لا تعقد في الخديعه، و لا يجوز في الدين إلا النصيحه، و لكن ما اسمك أيها الرجل؟ فقال الشامي: اسمي منازل الأقران حلال! فقال له الأحوص بن شداد: ما أقرب الاسمين بعضهم من بعض، أنت منازل الأبطال، و أنا مقرب الآجال! ثم حمل عليه الأحوص و التقيا بضربتين ضربه الأحوص ضربه فسقط الشامي قتيلا، فجال الأحوص في ميدان الحرب و نادى: يا قتله الحسين! هل من مبارز! فخرج إليه داود بن عروه الدمشقي مقنعا في الحديد على كميته له و هو يقول:

أنا ابن من قاتل في صفينا قتال قرم لم يكن غيبنا

بل كان فيها بطلا حرونا مجربا لدى الوغى كميना

فضمه إليه الأحوص بن شداد الهمداني و جعل يقول:

يا بن الذي قاتل في صفينا و لم يكن في دينه غيبنا

كذبت قد كان بها مغبونا مذذببا في أمره مفتونا

لا يعرف الحق و لا اليقينا بؤسا له لقد مضى ملعونا

ثم التقيا فضربه الأحوص ضربه ألحقه بصاحبه، ثم رجع إلى صفه. (١)

إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن.

إشارة

مرت ترجمته في الصفحة ٢٢٩ من المجلد الثالث. و نشر هنا عنه دراسته ثانيه:

ولد يوم الاثنين ثالث رجب سنة ١٧٧ و كان والده إدريس بن عبد الله قد توفي مسموما، و هو حمل كما هو مفصل في ترجمه أبيه الآتية (٢) فكفله راشد مولى أبيه و قام بامرّه أحسن قيام، فأقرأه القرآن حتى حفظه و هو ابن ثمان سنين، ثم علمه الحديث و السنه و الفقه في الدين و العربيه و رواه الشعر و أمثال العرب و حكمها و أطلععه على سر الملوك، و عرفه أيام الناس، و دربه على ركوب الخيل و الرمي بالسهام و غير ذلك من مكاييد الحرب، فلم يمض له من العمر إحدى عشره سنه حتى كان قد اضطلع بما حمل، و ترشح للأمر، و استحق لأن يبايع، فبايعه البربر و آتوه صفقتهم عن طاعه منهم و إخلاص.

قال ابن خلدون: بايع البربر إدريس الأصغر حملا، ثم رضيعا، ثم فصيلا، إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينه ولىلى سنه ١٨٨ و هو ابن إحدى عشره سنه.

و كان إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقيه قد دس إلى بعض البربر الأموال و استمالهم حتى قتلوا راشدًا مولاه سنه ١٨٦، و حملوا إليه رأسه، و قام بكفاله إدريس من بعده أبو خالد يزيد بن إلياس العيدى، و لم يزل على ذلك إلى أن بايعوا لإدريس فقاموا بامره و جددوا لأنفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته.

ص: ٤٦

١- كتاب الفتوح.

٢- و كان راشد قد طلب البربر أن يصبروا حتى تضع زوجه إدريس حملها فان كان ذكرا انتظروا حتى يبلغ مبلغ الرجال فيبايعوه.

و فى القرطاس أن مقتل راشد كان فى السنه التى بوىع فىها إدريس بن إدريس، قال: "و كانت بىعه إدريس يوم الجمعة غره ربىع الأول سنه ١٨٨" بعد مقتل راشد بعشرين يوما و إدريس يومئذ ابن إحدى عشره سنه و خمسه أشهر قاله عبد الملك الوراق فى تاريخه:

و فى قتل راشد يقول إبراهيم بن الأغلب فى بعض ما كتب به إلى الرشيد يعرفه بنصحته و كمال خدمته:

أ لم ترنى بالكيد أرديت راشدا و أنى بأخرى لابن إدريس راصد

تناوله عزمى على بعد داره بمحتومه يحظى به من يكاید

نفاه أخو عك بمقتل راشد و قد كنت فيه شاهدا و هو راقد

يريد باخى عك محمد بن مقاتل العكى والى إفريقيه، فإنه لما حاول ابن الأغلب قتل راشد و تم له ذلك كتب العكى إلى الرشيد يعلمه أنه هو الذى فعل ذلك، فكتب صاحب البريد إلى الرشيد بحقيقه الأمر، و أن ابن الأغلب هو الفاعل لذلك و المتولى له، فثبت عند الرشيد كذب العكى و صدق ابن الأغلب، فعزل الرشيد العكى على بعض كورها، هكذا حكى صاحب القرطاس، و فيه أن عزل العكى أن إفريقيه و توليه ابن الأغلب عليها كان فى سنه أربع و ثمانين قبل وفاه راشد بستين، أو بأربع سنين على الخلاف المتقدم. و قال البكرى و البرنسى: إن راشدا لم يمت حتى أخذ البيعه لإدريس بالمغرب، و أن إدريس لما تم له من العمر إحدى عشره سنه ظهر من وفور عقله و نباهته و فصاحته ما أذهل عقول الخاصه و العامه، فاخذ له راشد البيعه على البربر يوم الجمعة سابع ربىع الأول من السنه المذكوره، فصعد إدريس المنبر و خطب الناس فقال: "الحمد لله أحمده و أستغفره و أستعين به و أتوكل عليه، و أعوذ به من شر نفسى و من شر كل مشر، و أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله المبعوث إلى الثقلين بشيرا و نذيرا و داعيا إلى الله باذنه و سراجا منيرا، (ص)، الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهير أيها الناس: إنا قد ولينا هذا الأمر الذى يضاعف فيه للمحسن الأجر و على السيئ [المسيء] الوزر، و نحن و الحمد لله على قصد، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فان الذى تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا".

ثم دعا الناس إلى بيعته و حضهم على التمسك بطاعته. فعجب الناس من فصاحته و قوه جاشه على صغر سنه، ثم نزل فتسارع الناس إلى بيعه و ازدحموا عليه يقبلون يده، فبايعه كافة قبائل المغرب من زناته و أوربه و منهاجه و غماره و سائر قبائل البربر فتت له البيعه، و بعد بيعته بقليل توفى مولاه راشد، و الله أعلم.

وفود العرب على إدريس

لما استقام [استقام] أمر المغرب لإدريس بن إدريس و توحده ملكه، و عظم سلطانه، و كثرت جيوشه، و أتباعه وفدت عليه الوفود من البلدان، و قصده الناس من كل مكان فاستمر بقيه سنه ثمان و ثمانين [و مائه] يصل الوفود و يبذل الأموال و يستميل الرؤساء و الأقبال. و لما دخلت سنه تسع و ثمانين و مائه وفدت عليه وفود العرب من إفريقيه و الأندلس نازعين إليه و ملتفين عليه فاجتمع لديه منهم نحو خمسمائه فارس من قيس و الأزد و مذحج و يحصب و الصدف و غيرهم فسر إدريس بوفادتهم و أجزل صلتهم و أدنى منزلتهم و جعلهم بطانه دون البربر فاستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي المعروف بالملجوم، من ضربه ضربها فى بعض

حربهم و ستمه على الخرطوم.

و كان عمير من فرسان العرب و سادتها و لأبيه مصعب ماثر بإفريقيه و الأندلس و واقف فى غزو الفرنج و استقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسى و كان من أهل الورع و الفقه و الدين، سمع من مالك بن أنس و سفيان الثورى و روى عنهما كثيرا، و كان قد خرج إلى الأندلس مجاهدا، ثم أجاز إلى العدو، فوفد بها على إدريس فيمن وفد عليه من العرب فاستقضاءه و استكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى.

و لم تزل الوفود تقدم عليه من العرب و البربر حتى كثر الناس لديه و ضاقت بهم مدينه و ليلى.

و انتهى إلى ابن الأغب ما عليه إدريس من الاستفحال فارهق عزمه للتضريب بين البربر و استفسادهم على إدريس. فكان منهم بهلول بن عبد الله الواحد المضغرى من خاصه إدريس و من أركان دولته، فكاتبه ابن الأغب و استهواه بالمال حتى باع الرشيد و انحرف عن إدريس و اعتزله فى قومه، فصالحه إدريس و كتب إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله فكف عنه، و كان فيما كتب به إدريس إلى بهلول المذكور قوله:

أ بهلول قد حملت نفسك خطه تبدلت منها ضله برشاد

أضلك إبراهيم مع بعد داره فأصبحت منقادا بغير قياد

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغب و قدما رمى بالكيد كل بلاد

و من دون ما منتك نفسك خاليا و مناك إبراهيم شوك قتاد

ثم أحس إدريس من إسحاق بن محمد الأوربى بانحراف عنه و مواله لابن الأغب فقتله سنة ١٩٠ و صفا له المغرب و تمكن سلطانه به.

بناء مدينه فاس

لما كثرت الوفود من العرب و غيرهم على إدريس و ضاقت بهم مدينه و ليلى أراد أن يبنى لنفسه مدينه يسكنها هو و خاصته و وجوه دولته فركب يوما فى جماعه من حاشيته و خرج يتخير البقاع فوصل إلى جبل هناك فأعجبه ارتفاعه و طيب هوائه و تربته، فاخطت بسنده مدينه مما يلي الجوف، و شرع فى بائها فبنى بعضا من الدور و نحو الثلث من السور، فأتى اسيل من أعلى الجبل فى بعض الليالى، فهدم السور و الدور، و حمل ما حول ذلك من الخيام و الزروع و ألقاها فى نهر سبو، فكف إدريس عن البناء، و استمر الحال على ذلك مدة يسيره، ثم خرج ثانيه يتصيد و يرتاد لنفسه موضعا يبنى فيه ما قد عزم عليه، فانتهى إلى نهر سبو حيث هى حمه خولان، فأعجبه الموضع لقربه من الماء و لأهل الحمه التى هناك (١) فعزم إدريس على أن يبنى هناك مدينه و شرع فى حفر الأساس و عمل الجيار و قطع الخشب و ابتداء بالبناء، ثم فكر فى سبو و ما ياتى به من المدود و السيول زمان الشتاء و ما يحصل بذلك من الضرر

١- الحمه كل عين فيها ماء حار ينبع منها و يستشفى به.

العظيم للناس فكف عن البناء ورجع إلى ولى.

ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد موضعا يبني فيه المدينة التي عزم عليها، فسار عمير في جماعه يقص الجهات و يتخير البقاع و الترب و المياه، حتى انتهى إلى فحص سائس، فأعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تطرد في مرج أخضر، فتوضأ و صلى الظهر هو و جماعه الذين معه، ثم دعا الله تعالى أن ييسر عليه مطلبه، ثم ركب وحده و أمر الجماعه أن ينتظروه حتى يعود إليهم، فنسب العين اليه من يومئذ و دعيت عين عمير، ثم أوغل في فحص سائس حتى انتهى إلى العيون التي ينبع منها وادى فاس، فرأى مياها تطرد في فسيح من الأرض و حول العيون التي شعراء من شجر الطرفاء و الطخش و العرعار و الكخ و غير ذلك، فشرب من الماء فاستطابه، و نظر إلى ما حوله من المزارع التي ليست على نهر سبو فأعجبته، فانحدر مع مسيل الوادى حتى انتهى إلى موضع مدينة فاس اليوم، فنظر فإذا ما بين الجبلين غيضة ملتفه الأشجار مطرده العيون و الأنهار، و فى جانب منها خيام من شعر يسكنها قوم من زواغه يعرفون ببني الخير، و قوم من زناته يعرفون ببني يرغش و كان بنو يرغش على دين المجوسيه و بعضهم يهود و بعضهم نصارى.

و كان بنو الخير ينزلون بعدوه القرويين و بنو يرغش ينزلون بعدوه الأندلس، و كان قلما يفترقون عن القتال لاختلاف أهوائهم و تباين أديانهم.

فرجع عمير إلى إدريس و أعلمه بما رأى من الغيضة و ساكنيها و ما وقع عليه اختياره فيها فجاء إدريس لينظر إلى البقعه فالفى بنى الخير و بنى يرغش يقتتلون فأصلح بينهم و أسلموا بعد ذلك على يده و اشترى منه الغيضة بسته آلاف درهم، فرضوا بذلك و دفع لهم الثمن.

ثم ضرب أبنيته بكراده و شرع فى بناء المدينة فاخطط عدوه الأندلس غره ربيع الأول سنه ١٩٢.

و فى سنه ثلاث بعدها اختط عدوه القرويين و بنى مساكنه بها و انتقل إليها. و كان أولا أدار السور على عدوه الأندلس و بنى بها الجامع المعروف بجامع الأشياخ، و أقام فيه الخطبه، ثم انتقل ثانيا إلى عدوه القرويين كما قلنا و نزل بالموضوع المعروف بالمقرمده و ضرب فيه قيطونه و أخذ فى بناء جامع الشرفاء و أقام فيه الخطبه أيضا، ثم شرع فى بناء داره، ثم بنى القيساريه إلى جانب المسجد الجامع، و أدار الأسواق حوله و أمر الناس بالبناء و قال لهم: من بنى موضعا أو اغترسه قبل تمام السور فهو له.

فبنى الناس من ذلك شيئا كثيرا و اغترسوا، و وفد عليه جماعه من الفرس من أرض العراق فأنزلهم بغيضته هناك كانت على العين المعروفه بعين علوان.

ثم أدار السور على عدوه القرويين و كانت من لدن باب السلسله إلى غدير الجوزاء.

قال عبد الملك الوراق: كانت مدينة فاس فى القديم بلدين لكل بلد منهما سور يحيط و أبواب تختص به، و النهر فاصل بينهما، و سميت إحدى العدوتين عدوه القرويين لنزول العرب الوافدين إليها من القيروان بها، و سميت الأخرى عدوه الأندلس لنزول العرب الوافدين من الأندلس بها.

و ذكر ابن غالب فى تاريخه أن إدريس لما فرغ من بناء مدينه فاس و حضرت الجمعه الأولى صعد المنبر و خطب الناس ثم رفع يديه فى آخر الخطبه فقال:

" اللهم إنك تعلم أنى ما أردت ببناء هذه المدينه مباحاه، و لا مفاخره، و لا رياء، و لا سمعه، و لا مكابره، و إنما أردت أن تعبد بها و يتلى بها كتابك و تقام بها حدودك و شرائع دينك، و سنه نبيك محمد (ص) ما بقيت الدنيا. اللهم وفق سكانها و قطانها للخير و أعنهم عليه و أكفهم مئونه أعدائهم و أدر عليهم الأرزاق و أعمد عنهم سيف الفتنة و الشقاق إنك على كل شىء قدير "

غزو إدريس المغربيين

أقام إدريس بفاس إلى سنه ١٩٧ ثم خرج غازيا بلاد المصامده فانتهى إليها و استولى عليها و دخل مدينه نفيس و مدينه أغمات(١)، و فتح سائر بلاد المصامده، و عاد إلى فاس فأقام بها إلى سنه ١٩٩. فخرج فى المحرم لغزو قبائل نفزه من أهل المغرب الأوسط و من بقى هناك على طريقه الخوارج من البربر، فسار حتى غلب عليهم و دخل مدينه تلمسان، فنظر فى أحوالها و أصلح سورها و جامعها و صنع فيها منبرا. و بقى فى تلمسان ثلاث سنين ثم رجع إلى مدينه فاس.

قال داود بن القاسم الجعفرى: شهدت مع إدريس بن إدريس غزواته مع الخوارج الصفريه من البربر، فلقيناهم و هم ثلاثه أضعافنا فلما تقارب الجمعان نزل إدريس فتوضأ و صلى ركعتين و دعا الله تعالى ثم ركب فرسه و تقدم للقتال، قال: فقاتلناهم قتالا شديدا، فكان إدريس يضرب فى هذا الجانب مره، و يكر فى هذا الجانب الآخر مره، و لم يزل كذلك حتى ارتفع النهار، ثم رجع إلى رايته فوقف بإزائها و الناس يقاتلون بين يديه، فطفقت أتامله [أنامله] و أديم النظر إليه و هو تحت ظلال البنود يحرض الناس و يشجعهم، فاعجبني ما رأيت من ثباته و قوه جاشه: فالتفت نحوى و قال: يا داود ما لى أراك تديم النظر إلى؟. قلت: أيها الامام إنه قد أعجبني منك خصال لم أرها اليوم فى غيرك.

قال و ما هى؟. قلت: أولاها ما أراه من ثبات قلبك و طلاقه وجهك عند لقاء العدو. قال: ذاك ببركه جدنا و دعائه لنا و صلواته علينا، و وراثه من أبى بن أبى طالب " الخبر " .

وفاه إدريس

قال ابن خلدون: انتظمت لإدريس بن إدريس كلمه البربر و زناته و محا دعوه الخوارج منهم و اقتطع المغربيين عن دعوه العباسيين من لدن السوس الأقصى إلى وادى شلف، (٢) و دافع إبراهيم بن الأغلب عن حماه بعد ما ضايقه بالمكايد و استفساد الأولياء حتى قتلوا راشدا مولاة. و ارتاب إدريس بالبربر فصالح ابن الأغلب و سكن من غربه و ضرب السكه باسمه و عجز الأغلبه بعد ذلك عن مدافعه هؤلاء الأدارسه، و دافعوا خلفاء بنى العباس بالمعاذير الباطله. وصفا ملك المغرب لإدريس و استمر بدار ملكه من فاس ساكنا وادعا، مقتعدا أريكته، مجتنيا ثمرته إلى أن توفاه الله ثانى جمادى الآخره سنه ٢١٣، و عمره نحو ست و ثلاثين سنه، و دفن بمسجده بإزاء الحائط الشرقى منه. و قال آخرون: إنه توفى بمدينه ولىلى و دفن إلى جنب أبيه.

و يقال عن سبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبه فمات لحينه، و خلف من

- ١- نفيس من المدن المغربيه التي انقرضت و أغمات بقيت قريه صغيره.
- ٢- المقصود بالمغربين: المغرب الأقصى و المغرب الأوسط، أى ما يعرف اليوم بالمغرب و الجزائر.

الولد اثني عشر ولدا، ولى الأمر منه بعده أكبرهم محمد. (١)

إدريس بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن بن علي ع.

إشارة

مرت ترجمته في الصفحة ٢٣٠ من المجلد الثالث و نشر عنه هنا دراسه ثانيه:

إدريس ممن شهد مجزره فح (٢) فيمن شهدها من العلويين كما شهدها أخوه يحيى. و قد سلمهما الله فنجيا، فاما يحيى فإنه فر إلى الشرق حتى بلغ بلاد الديلم و دعا الناس فبايعوه فجهز إليه الرشيد جيشا بقيادة الفضل بن يحيى البرمكي، فكاتبه الفضل و بذل له الأمان فأجاب إلى السلم و لكنه طلب يمين الرشيد و أن يكون بخطه و يشهد فيه الأكبر، ففعل ذلك و حضر يحيى إلى بغداد فأكرمه الرشيد ثم حبسه حتى مات في السجن و في ذلك يقول أبو فراس الحمداني:

يا جاهدا في مساويهم يكتمها غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم

و أما إدريس فإنه فر و لحق بمصر، و على بريدها واضح مولى صالح بن المنصور، و كان واضح يتشيع لآل البيت، فعلم شان إدريس و أتاه إلى الموضع الذي كان مستخفيا فيه و لم ير شيئا أخلص له من أن يحمله على البريد إلى المغرب ففعل، و لحق إدريس بالمغرب الأقصى هو و مولاه راشد فنزل بمدينه "وليلي" سنة ١٧٢، و بها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربه من البربر البرانس، فاجاره و أكرمه و جمع البربر على القيام بدعوته، و خلع الطاعة العباسيه، فانتهى الخبر إلى الرشيد بما فعله واضح في شان إدريس فقتله و قال ابن أبي زرع في كتاب القرطاس: إن إدريس لما قتلت عشيرته بفتح مر بنفسه متسترا في البلاد يريد المغرب فسار من مكه حتى وصل إلى مصر و معه مولى له اسمه راشد فدخلها و العامل يومئذ لبنى العباس هو على بن سليمان الهاشمي فبينما إدريس و راشد يمشيان في شوارع مصر إذ مرا بدار حسنه البناء فوقها يتاملانها، و إذا بصاحب الدار قد خرج فسلم عليهما و قال: "ما الذي تنظرانه من هذه الدار" فقال راشد: "أعجبنا حسن بنائها" قال: "و أظنكما غريبين ليسا من هذه البلاد" فقال راشد: "جعلت فداك إن الأمر كما ذكرت" قال: فمن أي الأقاليم أنتما" قال راشد: من الحجاز. قال: فمن أي بلاده؟ قالوا: من مكه. قال: "و إخالكما من شيعه الحسنيين الفارين أرى لك صورته حسنه و قد توسمت فيك الخير أ رأيت إن أخبرناك من نحن أ كنت تستر علينا؟" قال: "نعم و رب الكعبه و أبذل الجهد في صلاح حالكما" فقال راشد "هذا إدريس بن عبد الله بن حسن و أنا مولاه راشد، فررت به خوفا عليه من القتل و نحن قاصدون بلاد المغرب" فقال الرجل:

"لتطمئن نفوسكما فاني من شيعه آل البيت و أول من كتم سرهم فأنتما من الآمنين".

ثم أدخلهما منزله و بالغ في الإحسان إليها فاتصل خبرهما بعلى بن سليمان صاحب مصر، فبعث إلى الرجل الذي هما عنده فقال له: "إنه قد رفع إلى خبر الرجلين اللذين عندك و إن أمير المؤمنين قد كتب إلى في طلب الحسنيين و البحث عنهم، و قد بث عيونهم على الطرقات و جعل الرصاد على أطراف البلاد فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه و حاله، و إنى أكره أن أتعرض لدماء آل البيت فلك و لهم الأمان فاذهب إليهما و أعلمهما بمقالى و أمرهما بالخروج من عملى و قد أجلتهما ثلاثا".

فسار الرجل فاشترى راحلتين لإدريس و مولاه و اشترى لنفسه أخرى و صنع زادا يبلغهما إلى إفريقيه و قال لراشد: " اخرج أنت مع الرفقه على الجاده و أخرج أنا و إدريس على طريق غامض لا تسلكه الرفاق و موعدا مدينه برقه ".

فخرج راشد مع الرفقه فى زى التجار، و خرج إدريس مع المصرى فسلكا البريه حتى وصلا إلى برقه و أقاما بها حتى لحق بهما راشد، ثم جدد لهما المصرى زادا و ودعهما و انصرف.

و سار إدريس و راشد يجدان السير حتى وصلا إلى القيروان.

فأقاما بها أياما، فلما لم يجد إدريس بها مراده خرج مع مولاه راشد حتى انتهيا إلى مدينه و ليلى قاعده جبل زرهون.

و كانت مدينه متوسطه حصينه كبيره المياه و الغروس و الزيتون، و كان لها سور عظيم من بنيان الأوائل، يقال إنها المسماه اليوم بقصر فرعون. فنزل بها إدريس على صاحبها ابن عبد الحميد الأوربى، فاقبل عليه ابن عبد الحميد و بالغ فى إكرامه و بره، فعرفه إدريس بنفسه و أفضى إليه بسره فوافقه على مراده و أنزله معه فى داره و تولى خدمته و القيام بشئونه.

و كان دخول إدريس المغرب و نزوله على ابن عبد الحميد بمدينه و ليلى غره ربيع الأول سنه اثنين و سبعين و مائه.

بيعه إدريس بن عبد الله

لما استقر إدريس بن عبد الله بمدينه و ليلى عند كبيرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربى أقام عنده سته أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنه جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربه و عرفهم بنسب إدريس و قرابته من رسول الله (ص) و قرر لهم فضله و دينه و علمه و اجتماع خصال الخير فيه، فقالوا: الحمد لله الذى أكرمنا به و شرفنا بجواره، و هو سيدنا و نحن العبيد، فما تريد منا؟ قال: "تبايعونه" قالوا: "ما منا من يتوقف عن بيعته فبايعوه بمدينه و ليلى يوم الجمعة رابع رمضان سنه ١٧٢ و كان أول من بايعه قبيله أوربه على السمع و الطاعه و القيام بامرهم، و الافتداء [الافتداء] به فى صلواتهم و غزواتهم و سائر أحكامهم.

و كانت أوربه يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الأقصى و أكثرها عددا و ثلثها فى نصره إدريس و القيام بامرهم كل من مغيله و صدنيه.

و لما بويع إدريس خطب الناس فقال بعد حمد الله و الصلاه على نبيه " أيها الناس لا تمدن الأعناق إلى غيرنا، فان الذى تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا".

ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناته و البربر مثل زواغه و زواوه و سدراته و غياثه و مكناسه و غماره و كافه البربر و تمكن سلطانه و قويت شوكته.

و لحق به من إخوته سليمان بن عبد الله و نزل بأرض زناته من تلمسان

١- الاستقصاء.

٢- راجع تفاصيل هذه المجزرة في ترجمه الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب في موضعها.

و نواحيها، هذا ما قاله ابن خلدون، و لكن أبا الفداء يقول إن سليمان بن عبد الله قتل بوقعه فخ و جمع رأسه مع رؤوس القتلى.

إدريس يغزو المغرب الأقصى

ثم إن إدريس اتخذ جيشا كثيفا من وجوه زناته و أوربه و صنهاجه و هواره و غيرهم، و خرج غازيا بلاد تامستا، ثم زحف إلى بلاد تأولا ففتح معاقلها و حصونها، و كان أكثر أهل هذه البلاد لم يدخلوا في الإسلام و إنما الإسلام بها قليل، فأسلموا جميعهم على يده.

و رجع إلى مدينه و ليلي مؤيدا منصورا، فدخلها أواخر ذى الحجه سنة ١٧٢، فأقام بها شهر المحرم أول سنة ١٧٣ ريثما استراح الناس، ثم خرج يغزو من كان بقى من قبائل البربر بالمغرب على غير دين الإسلام، و كان قد بقى منهم بقيه متحصنون في المعاقل و الجبال و الحصون المنيعه، فلم يزل إدريس يجاهدهم في حصونهم و يستزلهم من معاقلهم حتى دخلوا في الإسلام.

و كانت البلاد التي غزاها هذه المره هي: حصون فندلاوه و حصون مديونه و بهلوله و قلاع غياثه و بلاد فازاز ثم عاد إلى مدينه و ليلي فدخلها في النصف من جمادى الآخره من السنه المذكوره.

إدريس يغزو المغرب الأوسط " الجزائر "

أقام إدريس في و ليلي بقيه جمادى الآخره و نصف رجب التالي لها ريثما استراح جيشه ثم خرج منتصف رجب المذكور لغزو مدينه تلمسان و من بها من قبائل مغراوه بنى يفرن فانهى إليها و نزل خارجها فخرج إليه صاحبها محمد بن خزر مستأمنا و مبايعا له فامنه إدريس و قبل بيعته.

و دخل مدينه تلمسان فأمن أهلها ثم أمن سائر زناته و بنى مسجد تلمسان و أتقنه ثم رجع إلى و ليلي. أما الأحداث الأخرى في حياه إدريس فتراجع في ترجمته المتقدمه في المجلد الثالث.

الشاه إسماعيل الأول الصفوى

إشاره

و الصفويون مرت ترجمته في الصفحه ٣٢١ من المجلد الثالث، ثم ذكرنا تفاصيل أخرى عنه في الصفحه ١٦ من المجلد الأول من المستدركات.

و هاهنا تفاصيل أخرى كتبها واحد من معاصرى أواخر عهد الصفويين هو السيد حسين بن مرتضى الحسينى الأسترآبادى فى كتاب بعنوان (من الشيخ صفى إلى الشاه صفى) و هذا الكاتب عاش فى عصر الشاه حسين (١١٠٦ -) و كتب ما كتب سنه ١١١٥.

و نحن ننشر مقاله أولا ثم نعلق عليه و المقال مكتوب بالأصل بالفارسيه و قد تركناه بنصه لاعطاء صورته كامله من آراء الكاتب و عن تعبيره عن رجال ذلك العهد و اعتقاده بهم غير متدخلين فى آرائه و تعبيره و اعتقاده، تاركين للقارئ استنتاج ما يشاء من

الحقائق وحدها. قال الكاتب:

الصفويون: من صفى الدين إلى إسماعيل

سلطان الأولياء و برهان الأصفياء، سراج سماء الولاية الأعظم السلطان صفى الدين إسحاق - قدس سره - كان شمسا من مشرق الولاية، شخصيه دينيه نيره، و شمس من مطلع الهدايه، ناشر الشريعه. اسمه الشريف هو حضره السيد إسحاق، و لقبه الكريم هو صفى الدين، و فى بعض الكتب نجيب الدين. و لكن هذا اللقب غير معروف و كنيته الشريفه أبو الفتاح. كان مولده السعيد فى سنه ٦٥١ فى آخر أيام حكومه العباسيين، و بعد وفاه والده الكريم أشرفت والدته المحترمه على تربيته و أحواله، و عمل فتره من الزمن فى كسب الفضائل و الكمالات الصوريه، و قد تغلبت عليه رغبه السير و السلوك و إدراك مشاكل عالم المعنى، و وضع خطاه و سار فى وادى الجهاد و نكران الذات و التصوف، و كان ينوى أن يلزم خدمه مرشد عالم جليل، صاحب مكارم يتلمذ على يديه، و يكسب آداب السلوك، و يبلغ الكمال. فكان يقضى أيامه بجوار مرقد الشيخ فرح الأردبيلي و الشيخ أبى سعيد و هما من مريدى شيخ الطائفين الشيخ جنيد البغدادي، و أحيانا يقضى أيامه بجوار مرقد العارف الربانى الشيخ شهاب الدين محمد الأهرى. حتى وصل صيته إلى أسمع الشيخ نجيب الدين مرعش الشيرازى، فحصل لديه رغبه فى زيارته و لما كان أخوه الأكبر السيد صلاح الدين يقيم فى مدينه شيراز و هو يتمتع بالمال و الجاه و الصيت، و قد تزوج هناك عفيفه من الأشراف النبلاء، فقد استاذن من والدته أن يسافر إلى مدينه شيراز بحجه زياره أخيه، فتوجه بالفعل نحو المقصود، و كان يلتقط من الثمار حيث يحل فى طريقه، و مع كل من كان يجتمع بهم من أصحاب الفكر و المنزله و القدر، و حين وصل إلى شيراز كان الشيخ نجيب الدين مرعش قد انتقل إلى جوار ربه، فالتقى بنجله الشيخ ظهير الدين و التقى بمشايخ تلك الديار. و بدت عليه آثار الكرامه حتى التقى بمولانا رضى الدين و هو من العلماء من أصحاب الشأن، و كان فى خدمته حتى أنهى من التفسير إلى سوره (إذا زلزلت)، و من ثم حصل على ترخيص ندريس [تدريس] التفسير. كما اجتمع بالشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازى. و فى بيضاء بولايه فارس التقى بالشيخ ركن الدين البيضاوى، و من ثم التقى بالأمير عبد الله قدس سره - و هو فارس ميدان الهدايه و قدوه أرباب التصوف، فشرح له ما جرى عليه، فتأمل مليا و أجاب أيها الشاب التركى، إن الذى توصلت إليه من الجهاد، و نكران الذات، و عظمه الشأن، لم تبلغه بصيرتنا، و لم يصل إليه طائر همتنا. إن الذى تريده أنت و تتمنى أن تبلغ إليه لا يرشدك إليه سوى عارف المعارف الربانيه الشيخ إبراهيم زاهد الكيسلانى [الكيلانى]، لا أحد سواه. و هو فى كيلان بالقرب من بلدك، و يعيش هناك قرب البحر فى خلوته، و وصف له جمال بشرته و قال: إنه رجل قصير القامه، أبيض الوجه أسود العينين، عريض الجبين، رأسه أصلع، كث اللحيه.

فلم يلبث صاحبنا أن ودع مشايخ فارس و توجه إلى أردبيل، فوصل إلى صومعه الشيخ زاهد و وقف إلى الصلاه، و كان ذلك فى شهر رمضان المبارك، و كانت من عادات الشيخ زاهد أن لا يجتمع فى هذا الشهر مع أحد، و كان الشيخ صفى الدين إسحاق قد وصل إليها فى ذلك اليوم، فخرج الشيخ زاهد من خلوته و قال لخدمه: لقد حل علينا اليوم ضيف و هو الآن فى الصومعه، مشغول بعباده الله تعالى، آتني به، فجاء إليه الخادم و أخذه إلى الشيخ زاهد.

و الشمس علامتان لظهور ملك قاهر من صلبك و إن هذا الملك سيضىء العالم قريبا. و جاء فى كتاب تاريخ جهان آرا أن أمير جويان سلدوز أمير أمراء إيران خرج يوما للصيد إلى جبال طارم، و كان معه أحد أقاربه و يدعى داش تيمور، و كان داش تيمور يلاحق غزالا- و هو راكب جواده، و إذا بجواده يهيج و يأخذ به إلى قمة الجبل، و من هناك سقط داش تيمور و الجواد إلى الأسفل.

فجاء الأمير نحوهما فرأى الجواد مقتولا و لكن داش تيمور حيا سليما، فسأله عن السبب فقال: بينما كنت قد فقدت أملى شاهدت الشيخ فى الهواء و هو ماسك بثوبى فوضعتنى على الأرض. و هناك الكثير من هذه الأقوال.

و كان الشيخ يتلو الآية الكريمة (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ) اثنى عشر ألف مره يوميا. و لما شاهد الشيخ زاهد آثار الورع و الكرامه فى صاحبنا، زوجه ابنته فاطمه. و كلما أصر عليه فى زمن حياته أن يتولى إرشاد الناس كان يرفض، إلى أن حان أجله، فسلمه سرير الهدايه و كرسى ولايه العهد.

فاتح المعضون على الشيخ زاهد بذلك و قالوا: لما ذا تقلد منصب الإرشاد إلى رجل آخر، بينما نجلتك و ولدك من صلبك و خلفك الصادق الشيخ جمال الدين على موجودا و هو صاحب مكارم و معاجز، فأراد الشيخ زاهد أن يزيل كل التباس و شبهه، و أن يختبر الاثنين، فقال: أين خلوه ابنى؟ قالوا: فى حريم الصومعه. و قال: أين خلوه صفى؟ قالوا: على مسافه نصف فرسخ. فقال: أنادى الاثنين لتشاهدوا مرتبه كل واحد منهما و مقامه. فنادى بصوت عال ثلاث مرات ابنه فلم يسمع جوابا. فنادى الشيخ الجليل فأجابه على الفور و قال: [لييك و سعديك يا شيخى و مرشدى]، و وضع قدمه فى الصومعه، فقال له الشيخ زاهد: أين كنت يا صفى؟ قال: كنت فى خلوتى فسمعت نداء عذبا، فتوجهت نحوكم. فنظر الشيخ إلى القوم و قال: إن ما كنت أريده جمعه الحق سبحانه و تعالى فى صفى، و ليس فى كمال الدين، و إنى لم أحن أمانه ربي، و رددتها إلى صاحبها. و قد انتقل الشيخ زاهد إلى جوار ربه فى سياورود كيلان فى سنه سبعمائه من الهجره النبويه الشريفه و دفن هناك.

إن الشيخ صفى تربع على سرير الهدايه و الأشاد [الإرشاد] فى يوم الخميس غره شهر شعبان، و استمر فى هذه المهمه الخطيره خمسا و ثلاثين عاما، أو أربعين عاما حسب بعض الأقوال، و لما ناهز الرابعه و الثمانين من العمر أصيب بمرض فى المثانه بسبب الضعف و الاعتكاف، و كان و [] هو فى عالم الصوفيه يداوى المرض بمختلف الأساليب الدينيه و كان يفرح بها. إلى أن اضطجع فى فراش الضعف و الخوار، و كلما اشتد به المرض أسرع إلى المكان الذى هو الآن مرقده، و كان يرتاح فيه لبعض الوقت، و تأتى حليلته الجليله و تأخذه إلى منزله، فكان يقول: خذونى إلى بيتى، فيقول له خادموه: إنك فى منزلك، فيقول: إن منزلى الرئيسى هو هناك. و قد تكرر هذا الأمر عدده مرات، و عند ما وافته المنيه أوصى مريديه و أصحابه و أولاده بدوام منهاج الشريعه المطهره، و طريقه المشايخ، و بذل السفره، و إطعام و إكرام الفقراء و المساكين، و فوض أمر إرشاد العباد إلى ولده السيد صدر الدين موسى. و تناول شربه الموت من ساق الأجل عند صلاه الصبح فى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر محرم الحرام سنه خمس و ثلاثين و سبعمائه، و انتقل إلى جوار ربه، و كما تضرعت و التمت حليلته الجليله إلى ربها انتقلت إلى جواره بعد ثمانيه عشر يوما. و جاء فى فتوحات الأمينى. أن السيد جمال الدين الأصفهانى تولى تغسيله و تجهيزه حسب الوصيه، و كان السلطان صدر الدين آنذاك فى مدينه السلطانيه، و دفن فى المقام المعين المعروف حاليا (القبه السوداء).

و تصل سلسله إرشاده و هدايته بعد اثنى عشر واسطه إلى الامام الهمام على بن موسى الرضا (ع): الأول أبو العلا الشيخ تاج

الدين إبراهيم زاهد الكيلاني، الثاني السيد جمال الدين التبريزي، الثالث الشيخ شهاب الدين محمد أهرى، الرابع الشيخ قطب الدين الأبهري، الخامس الشيخ أبو نجيب السهروردي، السادس القاضي وجيه الدين، السابع الشيخ محمد الأسود، الثامن الشيخ محمد شاه الدينوري [الدينوري]، التاسع الشيخ أبو القاسم جنيد بن محمد النهاوندي المعروف بالبغدادي، العاشر الشيخ أبو الحسن السقطي. الحادي عشر الشيخ أبو حفص المعروف بفيروز الكرخي، الثاني عشر الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع).

إن أولاده الماجدين من السيده فاطمه خاتون ابنه الشيخ زاهد هما ولدان:

الأول الشيخ صدر الدين موسى، حيث ولد يوم عيد الفطر بعد صلاه الصبح في سنه أربع و ستين و سبعمائه، بعد وفاه الشيخ زاهد بأربع سنوات. و الثاني الشيخ أبو سعيد الذي كانت له هيبه خاصه، و ابنه واحده هي جميله بيگم.

و أولاده من زوجته الأخرى ابنه أخى سليمان الكلخواراني، هما ولدان:

السيد علاء الدين، و السيد شرف الدين على، و ابنه واحده و هي ستي عصمت بيگم، التي تزوجها الشيخ شمس الدين بن الشيخ زاهد، و أن ذريه الشيخ زاهد من هذه البنت. و لم يخلف أولاد السلطان صفى الدين إسحاق الثلاثه أعقابا عدا السيد صدر الدين. و يقول صاحب كتاب بحر الفوائد:

إن السلطان صفى الدين إسحاق كان له ولدان آخران هما: السيد رفيع الدين منصور و السيد محيي الدين محمد من ابنه أخى سليمان الأنف الذكر. و كان وجهه الشريف أبيض يميل للحمرة، طويل القامه، بدين أسود العينين طويل الحاجبين، كث اللحيه.

السلطان صدر الدين موسى:

الهروى : أنه فى الليله التى رأى السيد قاسم أنوار - قدس سره - حلما بأنه واقف بين قبه مسجد جامع أردبيل الكبيره و فى يده شمعته كبيره، و أن الناس بيد كل واحد منهم شمعته يوقدها من شمعته السيد. فقال فى تأويل هذه الرؤيا: إن الطالبين سينالون حصه وافيه من الأنوار التى فاضت عليك من المبدأ الفياض، و إن اسمك سيكون قاسم الأنوار. و قد اعتلى كرسى الإرشاد بعد وفاه والده، و إن أصحابه زادوا و كثروا.

و قدم جانى بيك خان حاكم سهل قيجاق إلى آذربيجان قادما من باب الأبواب فى شيروان للقضاء على الملك أشرف، و تشرف لدى السلطان صدر الدين، و شاهد عن قرب حالاته و مقالاته، و مد إليه يد الإخلاص، و حصص عوائد الأملاك و العقارات و الضياع، التى كانت فى ولايه أردبيل و دار المرز و هفان و غير ذلك مما للسلطان صدر الدين. و لما كثر أصحاب السلطان و مريدوه خصص له بقعه مباركه هى اليوم مطاف طوائف الناس، و بنى قبه مرقد سلطان الأولياء المبارك، و دار الحفاظ و ملحقاتها من ماله و ثروته الخاصه. و بعد أن أمضى تسعين عاما فى الإرشاد و التشريع و معرفه الله، انتقل إلى دار البقاء بجوار ربه، و خلفه ابنه الكريم السلطان خواجه على، الذى كان قد تلقى الفضيله و الكمال على يد والده. و دفن جثمان والده الطاهر تحت قبه سلطان الأولياء.

و كان للسلطان صدر الدين ثلاثه أولاد من الذكور و هم: السلطان خواجه على المعروف ب (سياه پوش) و الشيخ شهاب الدين الذى لم يخلف أحدا، و الشيخ جمال الدين الذى له ابنه اسمها خان زاده باشا، تزوجها، الشيخ إبراهيم المعروف بالشيخ شاه. و يعتقد البعض أن السلطان صدر الدين كان له أربعة أولاد ذكور و هم الثلاثة الأنفو الذكر و الرابع خواجه عبد المحسن.

السلطان خواجه على المعروف ب (سياه پوش [پوش]):

- سلك طريق آباءه فى الجهاد، و نكران الذات و التريه و تصفيه الباطن، و كان ينظم الأشعار جيدا، و كان تخلصه على. و يذكر أن الملك صاحب قران الأمير تيمور الكوركانى شاهد حالات عجيبه منه، و يتجلى حسن إخلاصه و ولائه و اعتقاده لسيدنا من وثيقه الوقف، التى ختمها بختم آل تمغا، و شاهدتها أنا الكثير التقصير المحتاج إلى الله الودود، مختومه بختم تيمورى و حررت فى سنه ثمانمائه و سته، أضيفت إلى أوقاف عتبه سلطان الأولياء المقدسه: و هذا نصها: الشكر الجزيل لله سبحانه تعالى، جلت عظمته، و علت كلمته، الذى أشرق و أضاء نور الشمس من قلوب أصدقائه الأوفياء، و انتشر فيضه على الأبدال و الأوتاد، ليهدى به العالم و العالمين، و يكشف لهم الحقائق و المعانى: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (السوره ٥٧ الآيه ٢١). و الصلاه و السلام على الروح الطاهره، و العاقبه المحموده، الذى تجتمع فيه جميع كمالات مكارم الأخلاق من البارى الخلاق، من حيث الإطلاق إلى يوم التلاق، و عليه من الصلوات أزكاهها، و من التحيات أنماها، على آله و أولاده الطاهرين أجمعين، و الحمد لله رب العالمين: محمد المصطفى، و على المرتضى، و الحسن و الحسين، نسله الامام زين العابدين، نسله الامام محمد الباقر، نسله الامام جعفر الصادق، نسله الامام موسى الكاظم، نسله سيدنا الحق و الهادى المطلق أبو القاسم حمزه، نسله السيد قاسم، نسله السيد محمد الأعرابى، نسله السيد احمد، نسله السيد عوض الخواص، نسله السيد محمد، نسله السيد جعفر، نسله السيد إبراهيم، نسله السيد محمد، نسله السيد حسن، نسله السيد محمد، نسله السيد شرف شاه، نسله السيد فيروز، نسله السيد إسماعيل، نسله السيد محمد، نسله السيد قطب الدين، نسله السيد صلاح الدين رشيد، نسله السيد صالح، نسله السيد جبرئيل، نسله السيد الحق المعروف بالشيخ صفى الدين، نسله السيد صدر الدين موسى، نسله سلطان العارفين و برهان

السالكين السيد خواجه علي". و يقال: إن سيدنا اجتمع بالأمير تيمور الكوركاني ثلاث مرات نوعيا و مثاليا. الأولى عند ما كان يعبر نهر جيحون للهجوم على خراسان، فقد وقع سوطه في الماء فظهر عليه شخص نير أخرج سوطه من الماء و سلمه إياه، و تفاعل الأمير تيمور بهذا الأمر خيرا، و سال سيدنا عن حاله فقال: موطني في أردبيل، و مكان ظهوري في دزفول، و مدفني سيكون في قدس الخليل. و في المره الثانيه عند ما كان الأمير تيمور يستعد لاحتلال خوزستان قادما من بغداد، ظهر عليه شخص نير مرتديا ملابسا سوداء، فوق جسر نهر دزفول و قال: أنا ذلك الشخص الذي سلمتك السوط على ضفه نهر جيحون. و موعدنا في اللقاء القادم سيكون في مدينه أردبيل.

و بعد مرور عده أعوام و بينما كان الأمير تيمور في طريق عودته من الروم، و كان معه عدد كبير من الأسرى الأتراك حيث وصل إلى دار الإرشاد. سمع أوصاف الشيخ صفى الدين إسحاق فذهب لزياره مرقد الشريف. و بعد الانتهاء من عمله الطواف، قام بتفقد أحوال العاكفين في ذلك المقام، فأبلغوه عن أحوال السلطان خواجه علي، فتوجه إلى ذلك المقام مكان اختلائه، فكان سيدنا جالسا على سجاده العباده. فأخبروه عن مجيء الأمير تيمور، فلم يلتفت إلى ذلك مستمرا في العباده و الدعاء، حتى دخل عليه الأمير تيمور فسلم عليه و رد عليه السلام، و طلب منه الجلوس و أمره بحسن معامله خلق الله، و وجه له بعض الموعظه و النصيح. و كان الأمير تيمور قد شرط على نفسه ثلاثه أمور، و وعد نفسه بأنه سيمد يد الإخلاص نحو سيدنا إذا عرف هذه الأمور الثلاثه و أبرزها، فكان الحال كذلك. الأول: أن سيدنا لا ينهض من مكانه بعد دخول الأمير تيمور عليه. و الثاني: أن يحضر للأمير تيمور شيئا لم يتعود عليه في حياته. و الثالث: أن يقدم الأمير تيمور لسيدنا كأسا من السم و يشربه دون أى تريث و لا يؤثر فيه، و لما دخل الأمير تيمور على سيدنا أشار سيدنا عليه بالنصح و الموعظه دون أن يلتفت إلى أمور أخرى.

و بعدها أمر بان يسقوه من لبن الغزال و يطعموه الخبز. فلما رأى الأمير تيمور هاتين الحاليتين. خجل أن يكلفه بالأمر الثالث. فقال له سيدنا لقد بقى العقد الثالث، فما هو سبب عدم القيام به؟ فاعطى سيدنا الأمير تيمور كأسا، فخجل الملك القدير، و لكن سكب السم في الكأس فتناوله الأسد السعيد، و مصدر الكرامه و الإجلال مره واحده في الحال، فانتابته حاله من السرور، و من ثم عصر من خلال ثوبه جميع ما كان قد شربه في كاس و وضعه على الأرض أمام الأمير تيمور. و هنا مد الأمير تيمور يد الالتماس إلى ساحه سيدنا و استدعى منه أن يطلب منه شيئا، و ما كان يدري و يعلم أن ملوك عالم الفقر و المعنى لا يطلبون من ملوك عالم الصوره و لا يحتاجون إليهم.

و ضواحيها و آذربيجان و العراق قري و مزارع من ماله، و أوقفها على البقعه المباركه حيث كان دخلها السنوي ما يقارب الأربعة الآلاف تومان. و قد اشتهرت "باوقاف الأمير تيمور القديمه" و قد يشرف عليها إلى يوم القيامة السلاطين الصفويه أدام الله إقبالهم. هذا عدا أوقاف السلاطين الصفويه العليين، التي يبلغ دخلها السنوي ألفي تومان مخصصه للاضاءه و رواتب الخدمه و النفقات الأخرى.

و لما بدت علائم الوصول إلى الكعبه المنشوده، أجلس نجله الكريم السيد إبراهيم على كرسى إرشاد و فارق الحياه فى يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنه ثمانمائه و ثلاثين، و دفن فى تلك الأرض المقدسه. و كان له من الأولاد ثلاثه و هم: الشيخ إبراهيم، و الشيخ عبد الرحمن، و السيد جعفر.

السلطان السيد إبراهيم: -

و كان قد اشتهر بين أعوانه و مرديه بالشيخ شاه، و اهتم حسب تعاليم آباءه و أجداده بإرشاد خلق الله و هدايتهم. و لما استولى عليه المرض أمر نجله الكريم السلطان جنيد بإرشاد الناس و هدايتهم، و انتقل إلى جوار رحمه ربه فى يوم السبت من سنه ثمانمائه و واحد و خمسين، و دفن بجوار آباءه العظام. و كان له من الأولاد الذكور ستة و هم: قطب الأبدال و الأوتاد الشيخ جنيد، و الشيخ أبو سعيد، و السيد أحمد، و الشيخ بايزيد، و خواجه جان ميرزا، و الشيخ خواجهكى.

السلطان جنيد: -

و ما أن اعتلى كرسى السيادة و الديانه و إرشاد الناس حتى تداعى عليه أن ينصب نفسه ملكا و سلطانا. فتهاقت إلى عتبه العليه أرباب الإخلاص من كل صوب و حدب. فبلغت أخبار السلطان جنيد و ما يتمتع به من الحشمه و الإمكانيات و عدد الأنصار و الموالين إلى أسمع ميرزا جهان شاه تركمان ملك زمانه و حاكم آذربيجان و العراقين، فخاف على نفسه، و كان يرسل باستمرار أناسا إلى سيدنا و يلمح له بان [] بامكانه أن يسافر إلى أى مكان يرتئيه. فما كان على سيدنا إلا أن يختار مدينه ديار بكر فتوجه إليها. و كان يرافقه فى هذا السفر عدد من الصوفيين و بعض من يؤمن بالأسره الصفويه. و كان يحكم نصف مدينه ديار بكر آنذاك الأمير الكبير أبو النصر حسن بيك آق قوينلو، و لم يكن يخضع لحكم ميرزا جهان شاه. فلما بلغه بشرى وصول موكب السلطان جنيد السعيد غمرته الفرحه و السرور، و رحب بسيدنا خير ترحيب، و زاد فى تكريمه و إعزازه، و عين كلا من الأمراء و الأشراف و الأعيان من الصوفيه بما يليق به من منصب و مكان. و أخيرا انتهت الوحده و الصداقه بينهما إلى المصاهره حيث زوج شقيقته الشريفه خديجه بيگم لسيدنا و بهذا زاد فى صيت دولته.

و أقام السلطان جنيد فى تلك الديار فتره من الزمن و بعد مده اشتاق لوطنه فاستأذن حسن بيك و توجه عائدا إلى دار الإرشاد. و مره أخرى التهب نار الغيره فى صدر ميرزا جهان شاه و تبادل معه الرسل و الرسائل. فاختر ثواب الجهاد و توجه و معه عشره آلاف من الجنود الصوفيه إلى شيروان لمحاربه الجر كس. و على أى تقدير و بتحريض من طغاه طبرسران [طبرستران] حاول والى الولايه السلطان خليل منعه من التوجه نحو الجر كس. فوقع حرب بينه و بين السلطان جنيد، فاستشهد سيدنا على أيدي جند شيروان شاه. و جاء فى كتاب فتوحات الأمينى: أن الصوفيه من الصفويين نقلوا جثمان سيدنا الشريف إلى دار الإرشاد فى أردبيل و دفنوه فى الروضه المقدسه. و كتب إسكندر بيك المنشى فى كتاب (تاريخ عالم آرا) أن جمعا من أهالى طبرسران

[طبرستان]الموالين لهذه العائله أخرجوا جثمانه الطاهر من أرض المعركه و دفنوه في (قرية خودمان من ضواحي قبه و ساليان) في مكان مناسب، و هو الآن مهبط أنوار الفيض و الرحمه و مطاف أهالي الولاية. و قد يكون كذلك أى دفنوه أولا في هذا المكان، ثم نقلوا جثمانه بعد ذلك إلى مدينه أردبيل. و الله أعلم. و كان لهذا الأمير الذائع الصيت ولدان: أحدهما السلطان حيدر و هو ابن أخت حسن ملك التركمان، و الآخر، خواجه محمد، و كانت والدته جاريه كان قد جاء بها من غزوه الجركس.

السلطان حيدر: -

كان يسلك حسب تعاليم آبائه و أجداده و أن الملك حسن بن علي باشا بن قرا عثمان باشا الذي تمكن بحسن حظه أن يقضى على ميرزا جهان شاه، و اعتلى كرسى الحكم، عامل سيدنا معامله مخلصه و شعبيه، و لما كان قد عزم على تعزيز و تثبيت علاقاته مع القادم الجديد زوجه ابنته حلیمه بيگم المعروفه بعلم شاه بيگم، في يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من شهر رجب سنه اثنين و تسعين و ثمانمائه، و كانت عتبه دائما مكان اجتماع الخاص و العام، إلى أن رأى ليله في المنام أنه كلف من عالم الغيب أن يصنع تاجا ذا اثني عشر ضلعا و هى علامه الاثني عشريه، من السقرلاط الأحمر، و أن يأمر أنصاره بوضعه على رؤوسهم.

فلما شاهد السلطان حيدر هذا الحال رمى بقبعته إلى السماء فرحا، و بدل طاقية الأتراك التي كانت متعارفه و معموله في ذلك الزمن إلى تاج حيدري ذى اثني عشر ضلعا، و اشتهروا لذلك بالقرلباش. و ازدادت يوما بعد يوم حشمتهم و صيتهم و سيادتهم، كما زاد توافد أهل الوفاء و الإخلاص نحوهم أكثر من ذى قبل. و تمتع جميع الناس من فوائد فضائلهم و نعمهم. إلى أن جمع بين السلطه الصوريه و المعنويه بايعاز من مشايخ أهل الله فى الباطن، و طلبا لكرسى السيادة حسب الظاهر. و كان الأمير الكبير الملك حسن يعامل جميع أنصار العتبه الحيدريه بالوفاق و الوداد و كان معارضا لكل أمر لا يرتضيه ابن أخته و صهره.

ص: ٥٣

على مدينه شيروان طالبا ثار والده، فما كان عليه إلا أن يدخل مع سيدنا مدخل الكيد و النفاق، فأرسل مندوبا إلى صهره السلطان يعقوب و أعلن أنه بالرغم من أن السلطان حيدر ينوى احتلال الجركس لكن قد يعترم التوجه نحو شيروان إذا وصل إلى حوالى دربند و طبرسران [طبرستران] و لا يحتل أى أرض، فعليك أن تجند جيشا قويا. فلما بلغ هذا الخبر إلى السلطان يعقوب، أرسل سليمان بيجن أوغلى و معه أربعة آلاف فارس من التركمان لمساعدته شيروان شاه، ففرح شيروان شاه من وصول المساعدة التى أرسلها السلطان يعقوب، و كان العسكران من شيروان و التركمان قد شكلا اجتماعا عظيما بالقرب من شماخى إلا أن السلطان حيدر توجه إلى تلك الديار و معه جنده الغزاه عبر طريق شكى مارا بقلعه دربند، إلا أن أهالى تلك المنطقه استخدموا أسلوب العناد و اعتدوا على عسكر السلطان حيدر، مما دفع سيدنا بالايغاز إلى جنده الغزاه باحتلال القلعه و المدينه، و تأديب الأهالى الضالين، ففى مده قصيره اهتزت أركان ذلك الحصن الحصين و اقترب فتحه و احتلاله، و هنا وصل قراييرى قاجار من الخلف على رأس جيشه، و وصلت الأخبار أن فوجا من جيش التركمان عبر النهر، و أن شيروان الملك التحق بهم مع عسكر شيروان لمحاربه عسكر سيدنا المنصور و تواردت الأنباء عن وصول تلك المجموعه، مما اضطر السلطان حيدر للانسحاب من القلعه و الاستعداد لمواجهه تلك الفرقة الخائنه، و قد اشتبك العسكران بالقرب من طبرسران [طبرستران]، و خلال هذه المعركه حاول سليمان بيجن أوغلى مع فوج من أبطال القتال محاربه سيدنا السلطان الغازى. فتولى السلطان حيدر بنفسه قياده الحرب، فضربه بالسهم و ألقاه على الأرض من على ظهر الجواد، و اكتفى بذلك و لم يقتله. فعاد سليمان بيجن أوغلى و ركب حصانه و سال سيدنا عن سبب الامتناع من قتله، فأجاب أن أجله لم يأت بعد، و أن أجلى قد حان و انتهى عمرى و سأستشهد فى هذه المعركه. فخلال المعركه انطلق سهم و أصاب سيدنا و أرداه قتيلا، و دفن جثمانه الشريف فى طبرسران [طبرستران]. و فى المره الثانيه التى توجه فيها الخاقان لتأديب الشيخ شاه إلى شيروان، كان قد مضى على حادث السلطان حيدر اثنان و عشرون سنه، فاخرجوا الجثمان من ذلك المكان و نقلوه إلى دار الإرشاد فى مدينه أردبيل و دفنوه إلى جانب قبور أجداده الكبار المباركه. و كان ذلك فى شهر شعبان اثنان أو ثلاثه و تسعين بعد الثمانمائه.

و يقول كاتب حبيب السير و تاريخ جهان آرا و الفتوحات: كان لسيدنا ثلاثه أولاد من زوجته السمحاء ابنه حسن الملك و هم: السلطان على ميرزا المعروف بالسلطان على بادشاه، و إسماعيل ميرزا، و سيد إبراهيم ميرزا، و يقول حسن بيك صاحب كتاب أحسن التواريخ و كتاب بحر الفوائد: إن السيد محمد ميرزا و السيد سليمان ميرزا و السيد حسن ميرزا و السيد داود ميرزا هم أولاد السلطان حيدر أيضا، و لم يذكر اسم السيد إبراهيم بين أولاده.

ذكر أحوال على بادشاه بن السلطان حيدر: -

الأخ الرشيد للنواب الخاقان صاحب القران الملك إسماعيل عند ما سمع الصوفيون السعداء من أنصار هذه العائله التى يعتبر أفرادها من الفاتحين لدوله الإخلاص و الوفاء، عند ما سمعوا حياه و بقاء أولاد ذلك السلطان العظيم الشأن، أخذوا يتهافتون على دار الإرشاد فى أردبيل يوما بعد يوم، لتجديد البيعه و إعداد وسائل الحرب و الغزو. إلا أن أصحاب العناد و اللجاج أبلغوا السلطان يعقوب بهذا الحدث، و أطلعوه أن نجل السلطان حيدر قد تربع على كرسى الإرشاد بامر من والده، و أن الصوفيه من الصفويه توحدوا و تجمعوا، و أن رايه دولته سترتفع شاهقه قريبا.

و تأسف السلطان يعقوب من هذا الحادث و تذكر قرابه و حياء شقيقته المعظمه حليمه بيگم، فأرسل أحد الأمراء البارزين مع

مجموعه من التركمان إلى أردبيل ليقتنعوا سيدنا و يأخذوه إلى قلعه إصطخر في فارس، و يسلموه إلى منصور بيك برناك حاكم تلك الديار.

و لما وصلت الجماعه المذكوره إلى مدينه أردبيل، توكل السلطان على بادشاه على الخالق القدير و توجه إلى إصطخر برفقه والدته المحترمه و إخوته الكرام، و فى أحد الأشهر من سنه ست و تسعين بعد الثمانمائه دخل إلى القلعه و قضى هناك فتره من الزمن، و كان منصور بيك برناك يقوم بواجبه نحو السلطان على و حاشيته خير قيام، إلى أن فارق السلطان يعقوب الحياه، و انقسم أمراء التركمان إلى مجموعتين: اتفقت مجموعته على حكمه أخيه مسيح ميرزا، و اتفقت المجموعه الثانيه على جلوس بايسنقر و استشهد مسيح ميرزا فى هذه المعركه، و جلس ميرزا بايسنقر على العرش.

و قرر أصحاب عم رستم ميرزا بن مقصود ميرزا بن الملك المرحوم حسن بيك - و هم من أنصار مسيح ميرزا - اعتقاله و إرساله إلى قلعه النجق، و تسليمه إلى فرقه السيد على مسئول القلعه. فلما مضى على ذلك بعض الوقت توجه آبيه سلطان إلى قلعه النجق و جمع أفراد السيد حوله و أخرجوا رستم ميرزا من تلك القلعه، و اختاروه ملكا كما تجمع حولهم أناس كثيرون، و اقترحوا التوجه إلى تبريز و محاربه بايسنقر ميرزا، إلى أن وصلوا إلى ضفاف نهر أرس و أقاموا هناك. و خرج ميرزا بايسنقر من تبريز للقضاء على الفتنة، و لما وصل إلى مدينه مرند أرسل بعض أفراده إلى جانب رستم ميرزا للتقصي، و لكنهم لم يكونوا مخلصين فالتحقوا برستم ميرزا، ف وقعت الفرقة بين أفراد جيش ميرزا بايسنقر مما تعذر عليه ضبطهم. و اضطر إلى ترك أعباء و أحمال و أقال الملك، و توجه مع عدد قليل من حاشيته نحو خاله شيروان شاه عبر طريق أهر، قواجه داغ، و كان المنتصر ميرزا رستم فدخل مدينه تبريز مظفرا منصورا و جلس على العرش.

ساحل نهر أرس و نصبوا خيامهم هناك، و أقاموا الجسور على جانبي النهر و أغلقوا الطرق، و لم يكتب لأى من الجانبين النصر و الفوز، فأقام الجانبان فتره من الزمن و أخيرا عاد بايسنقر إلى شيروان، و عاد السلطان على بادشاه و آييه سلطان إلى تبريز.

فى غضون ذلك تمرد الحاجى بايندر حاكم أصفهان على رستم ميرزا فقراً الخطبه باسم بايسنقر. مما دفع بايسنقر للتوجه إلى آذربيجان مره أخرى على رأس جيش كبير. فأرسل الأمير رستم ميرزا مره أخرى السلطان على ميرزا و معه آييه سلطان و أفواجا من عساكر الصوفيه و التركمان لمواجهة بايسنقر.

فالتقى الجيشان بالقرب من أهر و مشكين، و دارت الحرب بين الفريقين، فكانت الهزيمة للبايسنقرين و قتل بايسنقر و عاد السلطان على ميرزا مظفراً منصوراً إلى مدينه تبريز، فرحب به الأمير رستم خير ترحيب، ثم أرسل سيدنا إلى أردبيل حيث جلس سيدنا على كرسى الهدايه و الإرشاد.

و ما أن سمع رستم ميرزا باجتماع الصوفيين المخلصين حول السلطان على ميرزا حتى اشتعلت نار الحسد فى ضميره و استدعى سيدنا مع إخوته إلى تبريز، و أمر جماعه من حاشيته بمراقبتهم و عدم السماح للصوفيين بالاجتماع بهم، و لكن الاجتماع بهم سرا كان فى ازدياد. فلما علم ميرزا رستم بذلك فكر فى أحوال أولاد السلطان حيدر مليا و انتهى التفكير به إلى القضاء على سيدنا.

و لكن أحد أفراد ميرزا رستم أبلغ سيدنا بما يكيد لهم ميرزا رستم، فأنتهى بهم الأمر لأن يغادروا تبريز فى إحدى الليالى راكبين نحو أردبيل. فلما سمع ميرزا رستم بذلك أرسل آييه سلطان و معه أربعه آلاف راكب لملاحقه السلطان الجليل، فوصل إلى سيدنا بالقرب من شماسبى و هى منطقه قريبه من أردبيل. و يقال: إن عدد حاشيه السلطان على ميرزا آنذاك كان لا يتجاوز السبعمائنه شخص. و لم يكن بمقدور هذا الفوج القليل الوقوف بوجه تلك الجماعه الكثيره، فما كان عليهم إلا أن يتدبروا الأمر و يبحثوا عن مفر لهم.

و لما كان سيدنا قد أدرك بنور ولايته، موعد استشهاده قرر تعيين أخيه إسماعيل ميرزا - الذى كانت تتلألاً أنوار الملك على ناصيته - ولياً للعهد و نائبا عنه، فسلمه رموز و أسرار الأسره فى الإرشاد التى كان قد ورثها عن أبيه العظيم الشأن و أجداده الكرام، و وضع تاجه الكريم على رأس أخيه و سلمه إلى كبار الحاشيه و أوصاهم به و قال: إن سراج الملك فى هذه العائله سيقى مضيئاً بواسطتك.

و بعد هذه الوصيه خاض المعركه و كان أن انتصر المعارضون فى النهايه و وقع سيدنا شهيداً. و بعد هذه الوقعه حصلت الفرقة بين أصحاب الرأى و تناثر كل واحد إلى صوب.

إلا- أن حسين بيك خادم شاملو و خليفه الخلفاء الذى كان قد عرف آنذاك بخادم بيك و معه دده بيك نقلوا جثمانه الطاهر إلى دار الإرشاد فى أردبيل، و دفنوه فى الحظيره المباركه المنوره الصفيه الصفويه. رحمه الله تعالى.

الشاه إسماعيل

إن الأول فى سلسله سلاله السلاطين المشهورين المظفرين هو النواب الخاقان السلیمان الشأن صاحب القران الشاه إسماعيل -

روح الله روحه. و لما كانت العناية الأزليه و إرادته واهب العطايات قد وعدت باستجابته دعاء، و استدعاء سماحه سلطان الأولياء، و برهان الأصفياء فى صومعه عارف المعارف الربانيه الشيخ زاهد الكيلانى، و كان قد طلب من العلى المنان السلطه الدينويه و الأخرويه - كما ذكرنا سابقا - و ما كان مقصوده السلطه الصوريه و الحكم و المال، بل كان مقصوده السلطه المعنويه، و السعاده، و رواج مذهب الأئمه الاثنى عشر، و كلمه على ولى الله الطيبه، و استخلاص الشيعة الاماميه الناجيه، و أنصار و أصحاب الامام على من بليه التقيه، و لما كانت الحكمه الربانيه البالغه و القدره الالهيه الكامله قد قررت و قدرت ظهور كل مله و دوله فى وقت معين من الزمان، فقد بزغ شمس السلطه العظمى من مطلع المراد، فى أشرف الأوقات و أسعد الساعات، و ولد ذلك الدر الكريم من الصدفة الكريمه علمشاه بيگم ابنه حسن ملك التركمان بتاريخ يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من شهر رجب سنه اثنين و تسعين بعد الثمانمائه - و كان قد مضى على وفاه الملك حسن المذكور عشر سنوات - فى طالع العقرب فى دار الإرشاد باردبيل بتأييد من الرب الجليل.

و كانت كنيته الشريفه "أبو المظفر" و اشتهر بعد العروج إلى معارج السلطه و الحكم بصاحب القران، و لما أن بلغ السادسة من العمر، انتخبه أخوه الكريم الشاه سلطان على قبل يوم واحد من استشهاده ولى للعهد، و سلمه ودائع الإرشاد و أسرار أمانه أجداده الكرام. و فى اليوم الثانى فاز سيدنا بشرف الشهاده، و ما كان على الصوفيين المخلصين الأوفياء إلا أن يخفوا كوكب الولايه عن أنظار الحاقدين، و جاءوا به إلى المدينه و أخفوه. و بعد مرور أربعين يوما رأوا من الأفضل عدم البقاء فى مدينه أردبيل و استشاروا والدته المحترمه ففضلت التوجه نحو كيلان. و فى سنه ثمان و تسعين و ثمانمائه توقف بصحبه أخيه الكريم السيد إبراهيم ميرزا فى بلده رشت، و كان واليها آنذاك الأمير إسحاق، حيث قدم الخدمه اللازمه، و من ثم توجه إلى منطقته لاهيجان حيث قدم واليها كار كيا ميرزا على الخدمه اللازمه أيضا. و بعد مده اشتاق السيد إبراهيم لرؤيه والدته الماجده فتوجه إلى مدينه أردبيل، تاركا سيدنا مع جمع من الخواص و الحاشيه هناك منتظرا اللطيفه الغيبيه. و كان سيدنا الشريف يبلغ من العمر آنذاك سبع سنوات. و كانت اقامه سيدنا فى كيلان خمس أو سبع سنوات.

و فى سنه تسعمائه و خمس - و كان سيدنا آنذاك يبلغ من العمر اثنى عشر عاما - توجه إلى مدينه آستارا و أقام فيها فصل الشتاء. و لما أن بلغه خبر التمرد فى ضياع التركمان اقتضت الضروره أن يتوجه نحو آذربيجان. إلا أن كار كيا ميرزا على التمس إليه مخلصا بان يمكث هناك أياما معدودات، ليزداد عدد الأصحاب الأوفياء المخلصين. فمكث أياما معدوده. و فى اليوم الأول من شهر جمادى الثانيه سنه تسعمائه و ست و بقوه (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ودع كار كيا ميرزا على و توجه مع عدد من أفراد حاشيته إلى دار الإرشاد فى أردبيل.

والعشرين من شهر شعبان من السنه المذكوره فى الكاء من ضواحي مدينه مراغه. و الرابع أبو الفتح بهرام ميرزا الذى ولد بتاريخ يوم الجمعه السابع عشر من شهر شوال سنه تسعمائه و ست و عشرين، و توفى بتاريخ ليله الجمعه التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنه تسعمائه و ست و خمسين، فى قلعه قهقهه، و كان عمره الشريف ثلاثين عاما، و كان له ولدان هما: السلطان إبراهيم ميرزا، و السلطان بدیع الزمان ميرزا. و الخامس القاس ميرزا، و السادس السلطان حسين ميرزا، و لم تتوفر معلومات عن حالهما. و كان لسيدنا ست عشره بنتا و هن: مهر بانو سلطان بيگم التى كانت قد ولدت بتاريخ سنه تسعمائه و خمس و عشرين، بريخان بيگم خانم، و فرح انكيز بيگم خانم، و شاه زينت بيگم خانم، و لم تتوفر معلومات عن أحوالهن، و خانس خانم بيگم التى توفيت بتاريخ التاسع عشر من سنه تسعمائه و واحد و سبعين فى مدينه قزوین. و لم تتوفر أسماء إحدى عشره منهن. أما أحدث الآثار و الأبنیه التى بناها فهى العماره و القبه العالیه و جهاز باغ و العمارات و البساتین الأخرى، و مقبره سيدنا المعظم و المكرم سهل بن على (عليه التحیه و الثناء) و القبه العالیه على مقبره أخيه الكريم السيد نظام الدين أحمد فى قريه أوجان فارس و القريه المذكوره قد وقفها على مقبره أخيه. و أربعة أسواق أطراف الساحة القديمه فى أصفهان و تعريض الساحة المذكوره.

و كان تاريخ ولادته الكريم يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من شهر رجب سنه ثمانمائه و اثنين و تسعين. و بدايه حكمه فى سنه تسعمائه و ست، و مده حكمه أربع و عشرون سنه، و كان نقش خاتمه و مسكوكه "غلام شاه مردانست إسماعيل بن حيدر" و قد انتقل إلى عالم البقاء بتاريخ يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رجب سنه تسعمائه و ثلاثين، و كانت أيام عمره الشريف ثمانيه و ثلاثين عاما.

أحداث فتره الحكم

[يونت ئيل تسعمائه و ست]، السنه الأولى للجلوس: (عام الحصان)

يوم النوروز الأربعاء العاشر من شهر شعبان - كان النواب الخاقان صاحب القران قد غادر ديلمان من مدن كيلان مع سبعة من حاشيته و بعد توديع كار كيا ميرزا على نزل فى أرجوان بالقرب من آستارا لقضاء فصل الشتاء و أخذ بتدبير الأمور، و فى بدايه فصل الربيع غادرها إلى أردبيل دار الإرشاد، و حظى بزياره آبائه العظام و والدته و أخوانه ملتصبا العون من بواطنهم القدسيه، و من ثم توجه إلى قراباغ حيث كان فى استقباله السلطان حسين الباراني من أحفاد ميرزا جهان شاه و توجهها معا إلى تشخور سعد.

و انضم إليهما قراجه داغ إلياس روملو مع فوج من أصحاب الإخلاص من الصوفيين و المعتقدين و الموالين، نالوا شرف الاصطحاب، ثم توجهوا جميعا نحو المصيف فى الغابه. و من هناك أوفد حمزه بيك فتح أغلى استاجلو إلى أويماق استاجلو، حيث قدم للترحاب بهم خان محمد خان استاجلو مع جميع أمناء أويماق. و قد أمضى جلالاته فتره من الزمن فى المصيف ثم توجه نحو آذربيجان. و لما أن انتشر خبر قدوم موكبه الميمون بين المخلصين و أصحاب الوفاء، تهافتوا من ديار الروم و الشام و ديار بكر و ذو القدر و بقيه الممدن أفواجا أفواجا لتقبيل قدميه، و الاعراب عن الولاء و الوفاء. و يذكر أن درجه و مدى إخلاص و وفاء و عقيدته صوفى ذى القدر كانت لجلالاته إلى حد أن أحدهم ترك زوجته و عروسه دون أن يدخل عليها و توجه صوب جلالاته، و أن أويماق استاجلو استدعى أن يترك أهله و عشيرته إلى جانب الروم و أن يكون هو و بعض من معه فى خدمه جلالاته. فتمت الموافقه و أصدر السلطان بايزيد خان أمرا فى المحافظه على عشيره أولئك القوم. و بعد أن اجتمع الصوفيون المخلصون توجه المركب الملكى نحو شيروان.

يوم النوروز الخميس الحادى والعشرون من شهر شعبان - توجه النواب الخاقان من آذربيجان إلى شيروان. و كان قد أوفد ببيرام بيك و قلى بيك الملقب بجوش خبر خان فى وقت سابق، و وصل جلالته مع عساكره المنصوره و كان عددهم سبعة آلاف من راكبين و مشاه إلى قلعه گلستان، و جاء فرخ يسار والى شيروان و معه عشرون ألف راكب و ستة آلاف من المشاه لمجابهه جيش القزلباش و بعد معركة عنيفه و بفضل حيدر الكرار كان النصر حليفا، و قتل فرخ يسار و قاده عسكريه و غنم الغزاه أموالا كثيره.

و يذكر أن فرخ يسار كان قد تسلّم السلطه فى شيروان بعد وفاه أبيه الأمير خليل فى سنه ثمانمائه و ستين، و كانت حكومته سبعة و ثلاثين عاما و عدّه أشهر، و جاء بعده ابنه بهرام بيك ملكا على بعض قطاع شيروان، و توفى بعد سنه واحده، و جلس بعده أخوه غازى بيك على كرسى العرش فى عام تسعمائه و سبعة، و كانت مدّه حكمه سنه واحده أيضا، و جاء بعده أخوه الآخر الشيخ شاه فى سنه تسعمائه و ثمان و كانت مدّه حكمه عشرين عاما، و توفى فى يوم السبت الثامن عشر من شهر رجب سنه تسعمائه و ثلاثين، و جاء بعده ابنه السلطان خليل و كانت مدّه حكمه أحد عشر عاما و ستة أشهر، و تزوج ابنه النواب الخاقان صاحب القران، و انتقل إلى دار العقبى فى يوم الجمعة التاسع من شهر جمادى الثانيه سنه تسعمائه و ثلاث و أربعين.

و خلاصه القول أنه فى ذلك السفر المثمر بلغت أمانه و ديانه عسكري القزلباش إلى حد تركوا أموالهم و أمتعتهم جميعا فى موقع واحد و توجهوا إلى الحرب، و بعد الفراغ من الحرب عاد الجميع و أخذ كل واحد ماله و متاعه دون أن يفقد منها شيئا، و أن النواب الخاقان صاحب القران بعد ثلاثه أيام من المعركه توجه نحو مدينه شماخى، و أرسل خلفا بيك مع فوج من العسكري لاستدعاء الشيخ شاه بن شيروان شاه الذى كان قد هرب من ساحه القتال.

و لما كان الشيخ شاه قد عرف مجىء جلالته فقد أوصل نفسه إلى كيلان و التحق به أهالى كيلان، و لكن النواب الخاقان غضب من هذا الأمر فأوفد خلفا بيك مع بعض العسكري إلى شهر نو، و لما سمع الشيخ شاه بمجىء خلفا بيك هرب من هناك، و احتلت قوات الحكومه القاهره تلك المنطقه و أن جلالته منح ولايتها لخلفا بيك.

[يحيى نيل تسعمائه و ثمان]، السنه الثالثه للجلوس: (عام القرد)

يوم النوروز يوم السبت الثانى من شهر رمضان المبارك - اجتاز النواب الخاقان نهر الكر و توجه إلى جانب نخجوان و أوفد فى وقت سابق ببرى بيك القاجار ليلغ الوند ميرزا خبر ورود الموكب الملكى. كما أرسل حسن آقا شكر أغلى على رأس الطلائع و لكنه عجز عن مقاومه المعارضين، فتراجع و هرب إلى الوند ميرزا فى تبريز، و جاء الوند ميرزا على رأس عساكره و تلاقى العسكران فوقعت المعركه بينهما و قتل فيها قرققاي محمد و لطيف بيك و سيدى آقا من أمراء الوند ميرزا مع ثمانيه آلاف مقاتل. و هرب الوند ميرزا إلى ديار بكر فدخلت رايات العظمه و الجلال إلى تبريز دار السلطنه، و جلس جلالته على العرش. و منح منصب الصداره إلى القاضى شمس الدين الكيلانى الذين كان معلم جلالته و منح منصب أمير الأمراء إلى حسين بيك شاملو، كما منح وزاره الديوان الأعلى إلى الأمير زكريا، كما منح الأمراء و الأمراء كل حسب استطاعته و حاله من العطايا الملكيه و الخلع الفاخره، و ضربت المسكوكات و ألقى الخطب باسمه الكريم، و أكد و بالغ ثانيه فى رواج مذهب الأئمه الاثنى عشر الحق، كما توجه فى ذلك الربيع إلى آذربيجان لتأديب علاء الدين ذى القدر، فلما بلغ خبر مغادره النواب الخاقان إلى الوند ميرزا عاد ثانيه، فأرسل النواب الخاقان فوجا من المقاتلين الأشداء. فلم يتمكن من الصمود و المقاومه، فهرب إلى أوجان همدان، و منها إلى بغداد، و بعد ذلك إلى ديار بكر.

[تخاقوى نيل تسعمائه و تسع]،

السنه الرابعه للجلوس: (عام الدجاج) يوم النوروز يوم الأحد الثالث عشر من شهر رمضان المبارك - خبر مجيء السلطان مرد [مراد] بن يعقوب ملك فارس و العراق و كرمان و خوزستان و إعداد النواب الخاقان لذلك، و إرسال قنبر آقا موفدا إلى السلطان مراد و لكنه لم يخضع، فتوجه ذلك الخائب المذنب عن طريق دليجان و همدان مع سبعين ألف من جنود التركمان و المدفعية و عدده عربات من التجهيزات الحربيه فتلقى العسكران فى آلمه بولاغى بالقرب من همدان صباح يوم الاثنى الرابع و العشرين من شهر ذى الحجه الحرام و أخيرا قتل كوزل أحمد بايندر أمير أمراء السلطان مراد مع عشره آلاف من المعارضين بسيوف جيش القزلباش، فلم يقدر السلطان مراد الخائب على الصمود و المقاومه، فهرب إلى شيروان. فغنم جنود القزلباش الفوارس الغنائم الكثيره. و حصل هذا الفتح المبين بقوه الملك القهار و بفضل حيدر الكرار. و توجه الموكب الملكى بعون الملك المنان إلى شيراز بتاريخ شهر ربيع الأول فوصل الخبر إلى السلطان مراد فهرب إلى جانب شوشتر ثم بغداد، فتمكن جلالته من احتلال دول فارس، و منح حكومه كرمان إلى خان محمد خان استاجلو، فتوجه نحو كرمان و معه سته آلاف من الجند، فوصل الخبر إلى محمد بيك التركمان حاكم تلك الديار، فهرب إلى جانب خراسان مع عشيرته و حشمه، فدخل خان محمد خان ولايه كرمان ف ضرب المسكوك و ألقى الخطبه باسم صاحب الجلاله.

[ايت نيل تسعمائه و عشر]، السنه الخامسه للجلوس: (عام الكلب)

يوم النوروز يوم الاثنى الرابع و العشرين من شهر رمضان توجه بعون البركه و الإقبال إلى شيراز، فدخل شيراز دار الملك فى يوم الاثنى.. شهر ربيع الثانى فقتل خطباء كازرون الذين كانوا فى غايه الغنى و الثروه، و كانوا قد تمردوا، فمنح ولايتها إلى الياص بيك ذى القدر. و فى غره شهر جمادى الثانيه توجه من هناك إلى قم لقضاء فصل الشتاء. و أوفد إلباس بيك مع جماعه من أفراد القزلباش إلى الأمير حسين كياجلوى و إلى خوار و سمنان و فيروز كوه و دماوند و هبلرود.

و فى تلك الحرب لم يتمكن إلباس بيبك من الصمود و تحصن فى قلعه ورامين، فقام الأمير حسين كيا بمحاصره القلعه، و بعد مده ضاق به الأمر و توجه مع جماعته إلى الرى فلقه الأمير حسين كيا و اعتقله فى كبور [كبود] كنبد بالقرب من الرى و قتله، و فى اليوم الثانى عشر من شهر رمضان و بينما كانت الشمس فى ثمانى عشره درجه توجه إلى دير وكاج، و من هناك إلى قلعه گل خندان التى كان يسيطر عليها حسين كيا، و فى اليوم الثانى من شهر شوال كان الانتصار، و بعد ذلك توجهت رايات، العظمه و الجلال إلى فيروز كوه، فوقف الأمير حسين كيا، و معه اثنى عشر ألف من الجنود بوجه العساكر المنصوره، و لكن بعد فتره من الزمن ندم من فعلته فتحصن فى قلعه استا، و وصل النواب الخاقان إلى القلعه و بدأ باقامه التحصينات و حفر نهرا إلى جانب النهر الذى كان يمر من القلعه و يستقى منه أهالى القلعه و حول مياه النهر إلى النهر الجديد، فضاقت الأمر باهالى القلعه عطشا، فاستولى النواب الخاقان على القلعه و سجن حسين كيا فى قفص حديدى و قتل جماعته و بعد مرور عده أيام انتحر حسين كيا فى قفصه الحديدى. فحرقوا جثمانه بامر ملكى. فلما سمع محمد حسين ميرزا والى أسترآباد بالخبر أوصل نفسه إلى الموكب الملكى، و من جانب آخر جاء كار كيا سلطان حسين شقيق كيا ميرزا على من كيلان للاعلان عن ولائه فحصل على الرحمه الملكيه و عاد كل منهما إلى أرضه. و أصدر صاحب الجلاله أمرا بتعيين القاضى محمد كانتى فى منصب الصداره بمشاركه القاضى شمس الدين محمد الكيلانى.

[تنكوزئيل تسعمائه و أحد عشر]، السنه السادسه للجلوس: (عام الخنزير).

يوم النوروز يوم الثلاثاء الخامس من شهر شوال - الخاقان توجه إلى مدينه أصفهان فما أن اطلع الرئيس يوسف شقيق الرئيس بركه ثانى زمانى على وصول الركب الملكى حتى استقبله بالهدايا الثمينه و قدم لجلالته المجوهرات و اللآلى النادره و ذهب بالنواب الخاقان إلى منزله بالقرب من جسر ماريانان و قام بخدمته خير قيام، و بدأ بالتحصينات مده شهر واحد و أخيرا دخل من بوابه كران و فتح قلعه طبرك و استولى على خزائن الملوك فيها، و جاء نبا فتح قلعه أصفهان فى الكتب بالإجمال. و توفى فى قريه برخوار مولانا علاء الدين محمد الطيب الخاص بداء ذات الجنب. و أمر النواب الخاقان بتعريض ساحه الميدان القديم و أحدث الدكاكين فى أطراف الميدان كما أوجد أربعة أسواق.

و يذكر أن علاء الدوله بن كا كويه ابن خان مجد الدوله كان حاكما و أميرا فى أصفهان، و جاء السلطان محمود سبكتكين و ابنه السلطان مسعود إلى عراق العجم فى سنه أربعمائه و اربع و أربعين و استولى على بعض البلاد هناك، و ترك السلطان محمود ابنه فى أرض الرى و عاد إلى غزنه. فهاجم السلطان مسعود علاء الدوله فى أصفهان فلما تلقى علاء الدوله الخبر هرب من المدينه إلا أن السلطان مسعود اعتقل شقيقته و أخذها معه.

أسماع السلطان مسعود، فكتب إليه بالامتناع عن هذا الأمر و إلا سلم شقيقته إلى الناس الأوباش. فأجابه علاء الدولة، إذا كانت شقيقتي فهي زوجتك و إذا طلقتهما فستكون مطلقتك، و هذا مما يقلل من شان سلطانك. فأنت المختار. فلما تسلم السلطان مسعود هذا الكتاب أعاد شقيقته بعز و احترام تامين. و من ثم توجه السلطان مسعود إلى خراسان، و عين أبو سهل الهمداني نائبا عنه. فوقع حرب بين علاء الدولة و أبي سهل، فكان أبو سهل هو الغالب فاستولى على مدينه أصفهان.

[سيجقان نيل تسعمائه و اثني عشر]، السنه السابعه للجلوس: (عام الفأر)

يوم النوروز يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال - وصل خبر احتلال أصفهان إلى أسمع مراد بيك بانيدري [بايندري] فهرب إلى هرات خوفا، و قام أحمد سلطان وزيره بتدبير أمور البلاد، و نظرا للمصلحه العامه أشفق النواب الخاقان على ممتلكات [ممتلكات] حسين بيك، فبادر حسين بيك بإرسال جومه بيك محافظه إلى تلك الديار لتدبير الأمور، فلما سمع أحمد سلطان بوصول جومه بيك خرج إلى خارج المدينه لاستقباله فعززه و أكرمه و أدخله في منزله و كان له بالمرصاد إلى أن قتله في الحمام في أحد الأيام و أصدر أوامره بتدبير الأمور.

فوصل الخبر إلى الرئيس محمد كره حاكم أبرقوه، فانتهاز الفرصه و هاجم أحمد سلطان و قتله و استولى على القلعه. فما [فلما] أن بلغ الخبر إلى النواب الخاقان حتى توجه من أصفهان في السادس و العشرين من شهر جمادى الثانيه و وصل إلى يزد في أول شهر رجب مع عساكره المنصوره، و فرض الحصار على القلعه حتى شهر رمضان المبارك، و كانت خسائر الجانبين سبعة آلاف قتيل، إلى أن استسلم محمد كره و استولى النواب الخاقان على القلعه و ألقى بالرئيس محمد في القفص الحديدى و بينما هو في ذلك بلغه خبر تمرد جماعه في أرض طبس، فسارع للوصول إلى تلك الحدود، و قتل جميع المتمردين و عاد إلى مدينه يزد.

و أمر بمعاقبه سليمان بيك ذى القدر حاكم شيراز بسبب عصيانه و تمرده، و منح حكومه شيراز لمنصور بيك أفسار، و حكومه يزد إلى حسين بيك لله. و فى يوم الأربعاء السادس و العشرين من شهر شعبان توجه إلى أصفهان و انتهز أحمد سلطان الفرصه فى الطريق فانتحر. فأمر النواب الخاقان بعد وصوله إلى مدينه أصفهان فى شهر شوال بإحراق جثمان أحمد سلطان غضبا، كما أرسل جنودا من ذى القدر إلى أبرقوه فاحتلوها.

و فى نهايه هذا العام قدم مرافق بايزيد باشا من جانب السلطان بايزيد صاحب الروم (العثمانيين) للتهنئه، و قد أمر النواب الخاقان باستدعاء عساكره المنصوره من أطراف فارس و العراق و تجمع الناس فى محله حاله سياه، و ذهب صاحب الجلاله بنفسه مع حارسه الخاص إلى الصيد، ثم أمر الأمراء و أركان الدوله بالتوجه للصيد. و يقال: إن ستين ألف و سبعمائه طريده قتلت فى ذلك اليوم و أصدر جلالته أمرا للأساتذ الماهرين ببناء مناره مرتفعه خارج المدينه تبقى مدى الحياه، و لا تزال قائمه حتى الآن. كما أمر ببناء قبه عاليه و عماره على مقبره أخيه الشيخ نظام الدين أمير أحمد الواقعه فى قريه أوجان فارس و أمر بان تكون القريه المذكوره وقفا على المقبره.

[أودى نيل تسعمائه و ثلاث عشره]، السنه الثامنه للجلوس: (عام الثور)

يوم النوروز يوم الجمعه السابع و العشرون من شهر شوال - توجه النواب الخاقان إلى مصيف همذان بجبال الوند، ثم فى الشتاء

في خوى و أرومي، و أمر بإرسال العساكر المنصوره إلى تلك الحدود للقضاء على جماعه الأشرار و المتمردين، و أعطى قياده العساكر إلى بيرام خان قرامانلو و خادم بيك خليفه الخلفاء، و نظرا لتمرّد كل من عبيد بيك شاملو شقيق دورمش خان، و ساروا على مهردار تكلوا فقد قتلها. و أمر ببناء قبه عاليه و عماره على ضريح سيدنا سهل بن علي (عليه التحيه و الثناء) كما أمر بحفر ينابيع المياه و بناء العمارات و الأحواض و البساتين في المكان المذكور.

[بارس نيل تسعمائه و أربع عشره]، السنه التاسعه للجلوس: (عام النمر)

يوم النوروز يوم السبت التاسع من ذى القعده الحرام - قرر النواب الخاقان التوجه من همذان للهجوم على صارم الكردي و تحركت حاشيته و وصل خبر توجه النواب الخاقان إلى صارم الكردي فهرب، فلاحقته العساكر المنصوره، و بادرت بالقتل و النهب و السرقة. ثم توجهت القافله المالكه إلى بلده رشت، فوصل الخبر إلى أسماع الأمير حسام الدين والى رشت، فأرسل بواسطه الأمير نجم الدين مسعود الرشتى التحف و الهدايا و اعتذر فعفا عنه النواب الخاقان، ثم سمع جلالته بانباء رجوع صارم الكردي إلى أرومي مع جمع كبير من أنصاره، فسد طريقه كل من بيرام بيك و خادم بيك خليفه الخلفاء مع جمع من أفراد القزلباش، فقتل ابن صارم الكردي مع جماعه من المعارضين و كانت الغنائم كثيره، و في بلده خوى تشرفوا بجلالته و عوقب أبدال بيك دده قورجي باشى بسبب القصور الذي ظهر منه. و أمضى جلالته الشتاء في خوى. و في السادس عشر من شهر ذى الحجه الحرام - انتقل الميرزا سلطان حسين بايقرا والى خراسان إلى جوار ربه و تسلّم السلطه بعده ولده.

[توشقان نيل تسعمائه و خمس عشره]، السنه العاشره للجلوس: (عام الأرنب)

يوم النوروز يوم الأحد التاسع عشر من شهر ذى القعده الحرام - وصلت الأنباء إلى صاحب الجلاله أن السلطان مراد بعث رسولا إلى علاء الدوله حفيد ناصر حاكم بلاد مرعش، و انتخبه صهرا له ليتمكن بمساعدته و بالتعاون مع جماعه ذى القدر و التركمان و تلك المناطق من الاستيلاء على قلاع ولايه ديار بكر و ضواحيها و أن النواب الخاقان قرر القضاء عليهم و لهذا السبب بعث بالرسائل و الأحكام إلى كل البلاد و إلى أمناء الولايات بان يجمعوا أنصارهم بقدر الإمكان و التوجه نحو بلاطه، و بعد ذلك توجهت رايات الفتح إلى آذربيجان و حاول التركمان خلال الليل القيام بهجوم إلا أن قوات جلالته كانت قد استقرت في سفح الجبل.

و وصل الخبر إلى أمير خان موصلو فتوجه مع جماعته إلى العتبه المباركه، فنال و حظى بالشفقه الملكيه. و أن علاء الدوله لما سمع ذلك النبا الهائل تحصن في قلعه درنا فحاصرت قوات القزلباش تلك القلعه و أن النواب الخاقان توجه بنفسه في اليوم الثالث إلى القلعه لاحتلالها و قد هربت جماعه ذى القدر لما شاهدت هيبه و جلال جلالته و أن القزلباش غنموا أموالا كثيره و بفضل حيدر الكرار استولت الحكومه على قلاع تلك الديار. فمنح حكومه تلك الديار إلى خان محمد خان بن يرام [بيرام] بيك استاجلو و أن جلالته أمضى فصل الشتاء في مدينه خوى و من هناك توجه إلى العراق.

و أوفد علاء الدوله جيشا بقياده ابنه قاسم بيك على محمد خان محمد.

الغالب و اعتقل قاسم بيك و ابنه و بقيه كبار و أعيان ذى القدر و قتلهم و أرسل رءوسهم إلى جلالته. و أن صاحب الجلاله عين الأمير نجم الدين مسعود زرگر الرشتى و كيلا و أن عدد معامل جلالته ارتفعت إلى ثلاثه و ثلاثين معملا و تم تدبيرها و تعيين مشرفين و أمناء عليها. و يذكر أن الأمير نجم الدين مسعود كان معروفا و خيرا في بلده رشت في صياغه المجوهرات و فى تلك الأيام التى كان النواب الخاقان يعيش فى ولايه كيلان كان الأمير نجم الدين يقوم بخدمته سرا، و يقضى أيامه آملا إلى أن ذاع صيت جلالته. و صاغ لجلالته شده اشتياقه و رغبته له خاتما و نقش عليه بيتين من الشعر وصف فيهما حاله و رغبته.

و بعد أن تسلم جلالته الخاتم أمره بالانصراف. و بعد أن عاد جلالته إلى أردبيل أصبح الأمير نجم الدين مسعود من أفراد حاشيته و زاد من مكاتته يوما بعد يوم لحسن سلوكه كما ارتفع مقامه فى فتره قصيره.

[لوى ئيل تسعمائه و ست عشره]، السنه الحاديه عشره للجلوس: (عام الحوت)

يوم النوروز يوم الاثنين آخر أيام شهر ذى القعدة الحرام - مره أخرى جهز علاء الدوله ولديه كور شاه رخ و أحمد بيك و معهما أربعة عشر فارسا و من المشاه و أرسلهم لمحاربه خان محمد خان انتقاما لدم ولده قاسم بيك. و بعد أن تلاقى الفريقان توجه كل جيش إلى صفوفه. فرجع خان محمد خان مع فوج من جنوده و نصبوا كمينا. و تصور جيش ذى القدر أنهم هربوا فبادروا بجمع الأموال، إلا أن أفراد القزلباش خرجوا من كمائنهم فجاء و هجموا على جيش ذى القدر و قتلوا أولاد علاء الدوله و حاشيتهم، و أرسلوا برءوسهم إلى صاحب الجلاله فى مصيف همذان.

و تم حسب الإبراده الملكيه إيفاد خليل بيك فى مهمه إلى باريك ملك بغداد و معه هدايا كثيره و خلع فاخره و تاج مرصع لابلاغه عواطف جلالته، و أن باريك أرسل أبو إسحاق بيك شيره جى إلى جلالته و معه تحف و هدايا فاخره معربا عن إخلاصه و بيعته فرد عليه جلالته إننا قررنا زياره العتبات المقدسه، و أن إخلاص و عقيدة باريك ستظهر عند ما يسارع إلينا و أن أبو إسحاق أبلغ باريك بالرساله و تطلع باريك إلى الأحوال نادما عن فعلته. و قد ألقى التاج و الهدايا جانبا و بدأ بتحسين المواقع و القلاع و اعتقل السيد محمد آل كمونه لولائه لنا و ألقى به فى السجن. و لما بلغ هذا النبا إلى أسمع النواب الخاقان منح حسين بيك لله قياده الجيش المظفر و رفع رايه احتلال تلك البلاد. و لما اطلع باريك على هذا النبا أدرك أنه لا سبيل أمامه سوى الفرار، فهرب.

و تمكن أنصار جلالته من الإفراج عن السيد محمد كمونه و ضربوا المسكوكات و ألقوا الخطبه باسم جلالته صاحب القران، و توافدوا لاستقبال جلالته، و بذلك دخل جلالته الولايه فى يوم الجمعة الخامس و العشرين من شهر جمادى الثانيه، و نزل فى بستان ميرزا بيربوداق و من هناك توجه الموكب الملكى لزياره العتبات العاليه، و أمر بتعمير و إعادة بناء الأضرحة فى العتبات المقدسه و منح حكومه تلك الديار إلى خادم بيك طالش أمير الديوان و لقبه بخليفه الخلفاء كما عين السيد محمد كمونه سادنا على العتبات المقدسه.

و من هناك توجه لاحتلال خوزستان و القضاء على آل مشعشع كما أمر الأمير نجم الدين مسعود و معه لله بيك و بيرام بيك بالقضاء على أوس شاه رستم عباسى و رفع رايه الفتح نحو بلده الحويه و تمكن من احتلالها بعون خالق الأرض و السماء. ثم عاد الموكب الملكى إلى شيراز عن طريق كوه كيلويه و أمضى الشتاء فى ذلك الإقليم و عين الملا شمس الدين محمد

الأصفهاني في منصب استيفاء الديوان الأعلى كما عين أمير بيك موصلو بمنصب صاحب الختم و أمر لهما بالخلع الفاخره.

[ثيلان نيل، تسعمائه و سبع عشره]، السنه الثانيه عشره للجلوس: (عام الحيه)

يوم النوروز يوم الأربعاء الحادى عشر من ذى الحجه الحرام - توجه النواب الخاقان من شيراز إلى آذربيجان و فى طريقه إلى آذربيجان عين القاضى محمد كاشى صدر الأبواب حاكما على يزد و كاشان و شيراز و الأمير نجم الدين مسعود و كيلا، و قال أن فى ذمته مبلغا مقداره ثمانيه آلاف تومان من أموال الديوان، يجب على الأمير نجم الدين مسعود أن يستردها منه و يسلمها إلى الخزانة العامه. و أعد الأمير نجم الدين مسعود تقريرا عن أعمال القاضى محمد و عرضه على النواب الخاقان و ما كان إلا أن قتلوا القاضى محمد فى أقبح حال، و بعد مرور أيام تم عزل أبدال بيك دده ذى القدر حاكم قزوین و ساوخبلاغ و خواری بسبب أعماله الدينئه، و ثم تسليم أراضيه إلى زنيل [زينل] بيك شاملو و منح منصب الصداره إلى المير سيد شريف بن مير تاج الدين على ابن مير مرتضى بن مير تاج الدين على بن مير مرتضى بن تاج الدين على الأسترآبادى الذى كان من أحفاد الداعى الصغير محمد بن زيد والى طبرستان، من جانب أبيه و من أبناء المير سيد شريف الجرجانى العلامه من جانب والدته و منذ ذلك اليوم فان منصب الصداره تفوض إلى السادات العظام.

و وصل الموكب الملكى إلى آذربيجان و توقف بعض الوقت فى تبريز دار السلطنه. و هنا تم عزل حسين بيك لله شاملو الذى كان من أمراء الديوان من منصبه و إحاله منصبه إلى محمد بيك سفره جى باشى استاجلو. و توفى الأمير نجم الدين مسعود بداء ذات الجنب فى بدايه شهر رجب، و تم إحاله منصبه إلى الأمير يارأحمد خوزانى و لقب بالنجم الثانى، و قضى صاحب الجلاله فصل الشتاء فى تلك السنه فى مدينه خوى. و فى فصل الشتاء بدأ الهجوم على شيروان، فتوافدت الأفواج تلوا الأفواج على شيروان، و لما بلغ نبا وصول الموكب الملكى إلى أسماع الشيخ شاه والى شيروان، لجا إلى القلعه، و ما كان على حراس القلاع فى بادكوبه و المناطق الأخرى إلا المجيء إلى صاحب الجلاله و حظى كل واحد منهم بهديه فاخره، فتمكنت قوات جلالته من احتلال القلاع المذكوره و سارت الرايه الملكيه نحو دربند و تم اعتقال يارأحمد آقا و محمد بيك حارسا لتلك القلاع، و تسليم حكومه تلك المنطقه إلى منصور بيك، و تسليم بقيه المناطق إلى حسين بيك لله.

و فى هذه السنه تم نقل جثمان السلطان حيدر من تبريز دار السلطنه إلى أردبيل دار الإرشاد، حيث كان قد دفن فى تبريز قبل اثنين و عشرين عاما.

من الذهب و الفضة، و كانت حاجتهم من التوابل فى تلك الدير ما يعادل سبعة عشر منا يوميا.

[يونت نيل تسعمائه و ثمان عشره]، السنه الثالثه عشره للجلوس: (عام الحصان)

يوم النوروز يوم الخميس الثانى و العشرين من شهر ذى الحجه الحرام - توجه النواب الخاقان إلى مصيف خرقان و وصلت الأنباء إلى جلالته أن جماعه من الأوزبىك أغاروا على ولايه كرمان و أن جلالته أوفد القاضى نور الدين شقيق الشيخ زاده اللاهجى مندوبا إلى شيبىك خان لمنعه من عمله الدنىء و أن شيبىك خان بعث بالأمر كمال الدين حسين أيبوردى إلى جلالته معلنا عن غروره و تمرده على السلطه فاستاء جلالته من هذا الأمر و توجه فى الحال من مصيفه إلى خراسان. و لما وصل إلى مدينه دامغان هرب منها كل من أحمد سلطان صهر شيبىك خان و خواجه أحمد حاكم أسترآباد و بعض حكام الولايات الأخرى. و أن النواب الخاقان عين بعض الحكام و المحافظين.

و بعد زياره الروضه الرضويه المقدسه المنوره المباركه على صاحبها و على آبائه التحيه و الثناء، توجه إلى حدود سرخس و زورآباد و كان شيبىك خان بعد تسلمه نبا مجىء النواب الخاقان قد توجه من مدينه هرات دار السلطنه إلى حصار مرو فى شهر رجب. و أن النواب الخاقان صاحب القران أرسل محمد خان أفسار مع جيش جرار فى مقدمه الموكب، و دارت بينه و بين فوج من الأوزبىك حرب بالقرب من طاهرآباد قتل فيها خان محمد خان، و أن أفراد الجيش المظفر ألحقوا الهزيمة بالاوزبىك، و هربوا إلى القرب من مدينه مرو، فلحقهم الموكب حتى حاصر المدينه و دارت الحرب عده أيام دون أیه نتیجه، فعبر النواب الخاقان نهر محمدى فى يوم الأربعاء السادس و العشرين من شهر شعبان، و يبعد النهر ثلاثه فراسخ عن المدينه، و بقى جلالته هناك يومى الخميس و الجمعة.

و فى يوم الجمعة بعث جلالته قورى بيك إلى شيبىك خان معاتباً، و توجه جلالته خلفه حتى وصل إلى جسر محمودآباد فترك أمير خان موصلو صاحب الختم مع ثلاثمائه فارس هناك، و أمره بان ينسحب من هناك بمجرد أن يشاهد جيش شيبىك قادما و التوجه إلى الموكب الملكى.

و ذهب قورى بيك إلى شيبىك خان و سلمه الرساله الملكيه، فثارت حميه شيبىك خان فخرج من حصار المدينه و توجه مع خمسه عشر ألفا من أفراده نحو أمير خان. و ما أن شاهد أمير خان عسكر شيبىك خان قادما حتى انسحب و توجه نحو الموكب الملكى حسب ما أمر به النواب الخاقان، فلحقه شيبىك خان، و لما عبر جميع أفراد شيبىك خان الجسر، أرسل النواب الخاقان مجموعه من أفراده لتدمير الجسر، و استمر القتال من الصباح حتى غروب الشمس.

و فى النهايه عجز شيبىك خان عن الصمود و قرر الهرب مع خمسمائه من فرسانه. فلما وصلوا إلى الجسر رأوا أن الجسر مدمر فلجئوا إلى خربه قريه لا يدرون ما ذا يفعلون، و هنا لحق بهم القزلباش و قتلوا شيبىك خان، و جاءوا برأسه و رؤوس أعوانه إلى صاحب الجلاله. و أن الخواجه محمود وزير شيبىك خان و هو رجل شيعى من شيعه حيدر الكرار جاء بمفتاح القلعه و قدمه لصاحب الجلاله فأكرم الملك وفادته. و أن هذا الانتصار مسجل فى التاريخ باسم (فتح الملك المنتصر للدين). و دخلت راميات الظفر فى الثامن من شهر رمضان المبارك إلى المدينه و منح حكومه الولايه إلى لله بيك، و أرض مرو إلى دده بيك. و أصدر جلالته أمرا حسب استدعاء السلطان محمد بابر ميرزا بان يمتلك كل جزء من بلاد ما وراء النهر الذى ينتصر فيها.

و توجه من كابل إلى ما وراء النهر، و أخذ معه في بدخشان خان ميرزا و حارب جمشيد سلطان الأوزبك و حكام ولايه حصار فقتلهم جميعا، و استولى على بلادهم و ضرب النقود و ألقيت الخطبه باسمه.

و في هذه السنه قتل صاحب الجلاله سيف الدين أحمد بن يحيى بن سعد الدين التفتازانى، شيخ إسلام خراسان بسبب معارضته. و تشرف بمقابله جلالته ميرزا سلطان أويس بن ميرزا سلطان محمود أبو سعيد المعروف بخان ميرزا و حظى بالعطف الملكى.

و جاءه من كل من مصر و الشام و الروم الرسل للتهنئه بسبب هذا الانتصار، كما جاء مير عبد الكريم و آقا محمد من مازندران و أقيمت حفله ساهره. حضرها أركان الدوله. و سلخوا رأس شيبك خان و أرسلوه إلى السلطان بايزيد بن السلطان محمد الغازى كما أرسل كل عضو من جسده إلى أحد السلاطين فى البلدان المختلفه، و صنعوا من جمجمته كأسا من الذهب (؟) و استدعى لتلك الحفله الخواجه كمال الدين الشاعر الخاص لشيبك خان و قالوا له: هل تعرف هذا الرأس؟ قال: نعم إنه رأس لا زال الحكم فيه طالما هو بين يديك. فعينه الملك بسبب كلامه الواضح هذا وزيرا للديوان الأعلى، كما أنعم على مير عبد الكريم و آقا محمد بخلع فاخره و أرسلهما إلى أوطانهما و قد احتلت جيوش جلالته جميع الأراضى حتى نهر جيحون، و قضى صاحب الجلاله الشتاء فيها.

[قوى ثيل تسعمائه و تسع عشره]، السنه الرابعه عشره للجلوس: (عام الخروف)

يوم النوروز يوم الجمعه الثالث من شهر محرم الحرام - توجه النواب الخاقان إلى مصيف تخت سليمان، و أرسل الأمير نجم مع جمع من قوات القزلباش إلى ما وراء النهر. و دخل الأمير نجم مدينه بلخ، و توقف فيها عشرين يوما، و أرسل الأمير محمد يوسف الخراسانى إلى بابر ميرزا للمساعده، جاء بابر ميرزا مع أفراده إلى تنك جكجك، و ذهبوا جميعا إلى خوارزم، و علم فولاد سلطان حاكم تلك الديار بمجيئهم فجاء إليهم طالبا الأمان. و لكن هلقوتو بهادر اوزبك و هو أحد قاداته رفض الاطاعه و بقى فى القلعه و أخيرا قتل مع جماعته.

و توجه الأمير نجم من هناك إلى قرشى، فكان أمير شيخم ميرزا حاكمها معارضا، و بعد ثلاثه أيام وقعت الحرب فقتل حوالى خمسه عشر ألفا، و لم يتمكن مير نجم من الصمود فذهب إلى بخارا و نزل على مسافه فرسخين منها، فوصلت إليه أنباء عن مجيء محمد تيمور شيبك خان و أبى سعيد و عبيد خان.

بدأ ثانيه يستعد للهجوم على خراسان، فجاءهم نبا وفاه بايزيد خان و استلام السلطان سليم ابنه للسلطه و مجيء السلطان مراد عم السلطان سليم.

[بيجي ئيل تسعمائه و عشرين]، السنه الخامسه عشره للجلوس: (عام القرد)

يوم النوروز يوم الأحد الرابع عشر من شهر محرم الحرام - لقد أبلغ جلالته قبل هذا أن محمد تيمور خان بن شيبك خان و معه عبيد خان توجهوا إلى مرغاب، و منها إلى مشهد المقدسه و احتلا أراضي مرو حتى أسفرائين، و لما كانت المعونه الغذائيه قد شحت في هرات دار السلطنه بسبب القحط و الغلاء، فان حسين بيك لله و أحمد سلطان صوفى أعلى لم يجيزا الوقوف و المكوث، فتوجهوا إلى العراق (1) عن طريق طبس و سيستان. و قد علم تيمور سلطان عن هذا الأمر فوصل إلى هرات و نزل في بستان جهان آرا و قتل جمعا كبيرا من أهالي تلك البلاد من الشيعة.

لقد غضب النواب الخاقان مما جرى، فأرسل السلطان خليل حاكم شيراز و وصل جلالته مكرما معززا إلى منطقه الري. و هناك أصدر أمرا بتعيين الأمير عبد الباقي أميرا للأمرء و مير سيد شريف لمنصب الصداره كما زوج ابنه مير عبد الباقي إلى مير سيد شريف. فلما سمع عبيد خان في مدينه مشهد خبر توجه النواب الخاقان هرب و ذهب إلى بخارا، و كذلك فان محمد تيمور و قاده غادروا هرات إلى سمرقند. و انتهز أبو القاسم بخشى الفرصه و بادر مع جمع من أنصاره بالتحصن، و كان أبو القاسم هذا قد كسب بعض الصيت في عهد السلطان حسين ميرزا.

و أصدر النواب الخاقان أمرا بتعيين زينل خان شاملو حاكما على تلك البلاد، كما عطف على ديو سلطان روملو و عينه حاكما على بلخ و ملحقاتها، و عين الأمير سلطان موصولو حاكما على قاين. كما أوفد شاه رخ خان أفشار لاحتلال أراضي قندهار و كرمسيرات. و لما وصل شاه رخ خان إلى ضواحي قندهار، أسرع شجاع بيك حاكمها للتشرف بجلالته حاملا معه الهدايا الثمينه، و حظى بعطف صاحب الجلاله. و لما كان دده بيك حاكم مدينه مرو قد غادر قلعه مرو خوفا من محمد تيمور خان و لجا إلى بلاط جلالته، فان صاحب الجلاله غضب من هذا الأمر و أمر بالباسه ملابس النساء و أركبه على الحمار، و أمر بان يجال به في محلات المدينه ليكون عبره للآخرين.

و أرسل مير عبد الباقي و معه جايان سلطان إلى نساء أبيورد لدفع جمع من الأشرار الذين كانوا قد هاجموا السلطان محمد بايقرا بن أبو الحسن ميرزا بن السلطان حسين و أنجز هذان مهمتهما بأحسن حال و عادا إلى أصفهان. كما عاد موكب جلالته كذلك إلى أصفهان.

[تنخاوى ئيل تسعمائه و إحدى و عشرين]، السنه السادسه عشره للجلوس: (عام الدجاج)

يوم النوروز يوم الاثنين الخامس و العشرون من شهر محرم الحرام - علم النواب الخاقان أن السلطان سليم حاكم الروم توجه نحو آذربيجان على رأس عشرين ألفا من الجند فتوجه النواب الخاقان مع عساكره المظفره إلى تلك البلاد، كما انضم إلى الموكب الملكى بالقرب من جورس، خان محمد خان حاكم تلك الديار و معه جمع كبير من أفراد القزلباش و عساكر آذربيجان.

و قد تلاقى الفريقان في صحراء جالدران في يوم الأربعاء الثاني من شهر رجب. فاصطف الجيش، فكان على اليمينه كل من

خان محمد خان حاكم ديار بكر، و سارو بيره قورجى باشى استاجلو و أخوه و دورمش خان شاملو و نور على خليفه روملو و خلفا بيك و حسن بيك لله و خليل سلطان ذو القدر. و على الميسره خان سلطان استاجلو ولد بابا الياس جاوشلو و جمع آخر. و كان السيد محمد كمونه و مير عبد الباقي و كيل و مير سيد شريف الصدر مع النواب الخاقان فى القلب. و قد تقرر بين السلطان صاحب القران و السلطان سليم بان لا يستخدم الجانبان مدفيعتهما. و كان أفراد القزلباش يقومون بواجبهم خير قيام إلى أن ضاق الأمر فى النهايه على جيش الروم، فأمر السلطان سليم باستخدام المدفيعه بعد أن خدع جماعته، فكان أن ذهب من جيش القزلباش خمسه آلاف قتيل، فثارت حميه النواب صاحب القران و برزت رجولته فسل السيف معتمدا على قوه ذراعه و عز من قائل (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) فتوكل على الله مستمدا من حيدر الكرار، و خاض المعركه و هو ينادى يا على، و ضرب بسيفه ضربه حطم أغلال المدفيعه، و توجه نحو السلطان سليم فوقف مالمقوج أغلى و هو أحد كبار عساكر الروم و معه فوج من الروم على طريق النواب الخاقان و لكن جلالته و بعون حيدر الكرار أنزل ضربه بسيفه على رأس ذلك الخائن ففلق خوذته و رأسه و درعه حتى خاصرته فوق من فوق جواده، كما قتل جلالته جمعا كثيرا من أفراد الروم، فوصل إليه جمع كبير من حاشيته من الصفويين و أحاطوا بجواده و أعادوه، و هنا استغل جماعه الروميين المشؤمين الفرصه و هاجموا قلب العسكر و قتلوا خان محمد خان استاجلو و أولاده و بابا إلياس جاوشلو و السلطان ميرزا أفشار و السيد محمد كمونه و مير عبد الباقي الوكيل و مير سيد شريف الصدر و سارو بيره قورجى باشى و حسين بيك لله و خان محمد خان حاكم ديار بكر و جمعا كبيرا آخر.

و لما علم النواب الخاقان بهذا الحادث عاد إلى العراق و توجه نحو أراضي درجزين و دخل السلطان سليم مدينه تبريز دار السلطنه، و بقى فيها أياما و قد تأسف النواب الخاقان لما وقع و أخذ يفكر فى تدبير الأمور. و منح جلالته الصداره إلى السيد عبد الله و الاشراف على الديوان إلى ميرزا شاه حسين الأصفهاني و أمير الأمراء إلى جاين سلطان و حكومه ديار بكر إلى قرا خان سلطان شقيق خان محمد خان استاجلو. و بعد أيام فوض الصداره إلى مير جمال الدين محمد الأسترآبادى. و فى هذه السنه لما سمع الأوزبك بانشغال الموكب الملكى فى آذربيجان، هاجموا مدينه هرات و نهبوها.

[آيت نيل تسعمائه و اثنين و عشرين]، السنه السابعه عشره للجلوس: (عام الكلب)

يوم النوروز يوم الثلاثاء السادس من شهر صفر - توجه النواب الخاقان إلى مدينه أردبيل لزياره آباءه العظام طالبا منهم العون و المساعدة ثم نزل فى مصيف سهند. و تشرف بمقابله الأمير سلطان حاكم قائن و عرض على جلالته تقريراً عن سوء الأحوال فى ولايه خراسان. و قدم ديو سلطان من مدينه بلخ تقريراً مماثلاً. و عطف النواب الخاقان على الأمير سلطان و منحه منصب اللكى [الملكى] و لقبه بالخان. ثم توجه مع جمع من القوات إلى خراسان. ففوض حكومه تلك البلاد إلى ولده الأكبر طهماسب ميرزا و أعطى الصداره إلى مير غياث الدين محمدى.

ص: ٤١

ولد الأمير يوسف الرازي الذي كان قد ترعرع في مدينة هرات. ثم أمضى الشتاء في تلك السنه في مدينة تبريز دار السلطنه.

[تنكوزيل تسعمائه و ثلاث و عشرين]، السنه الثامنه عشره للجلوس: (عام الخنزير)

يوم النوروز يوم الأربعاء السابع عشر من شهر صفر - في هذه السنه أمضى النواب الخاقان أيامه في تبريز دار السلطنه و نخجوان لتدبير أمور الملك.

[سيجقان ئيل تسعمائه و اربع و عشرين]، السنه التاسعه عشره للجلوس: (عام الفأر)

يوم النوروز يوم الخميس الثامن و العشرين من شهر صفر - عاد النواب الخاقان من المشتى إلى تبريز دار السلطنه و نزل بالقرب من نهر تلوار حيث أمضى ما يقارب من الشهر الواحد في صيد السمك. و من هنا أرسل الميرزا شاه حسين الوزير الأعظم إلى مدينة قم دار المؤمنين. و توجه جلالته إلى مدينة جمجمال في همذان، و هو في حاله صيد و أمضى فصل الشتاء و شهر رمضان المبارك في مدينة قم دار المؤمنين. و من هنا أرسل دورمش خان و زينل خان شاملو إلى مازندران. و في شهر ذى الحجه تمت محاصره قلاع تلك الولايه و في الخامس عشر من الشهر المذكور و بعون حيدر الكرار تم الاستيلاء عليها.

و تشرف حكام مازندران و رستمدار و هزار جريب بقاء جلالته بالقرب من أصفهان، فعفا عن ذنوبهم بكرمه العميم الذي هو من صفات هذه العائله.

[اود] [اودى ئيل تسعمائه و خمس و عشرين]، السنه العشرون للجلوس: (عام البقره).

يوم النوروز يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول - أمضى النواب الخاقان فصل الشتاء في مدينة أصفهان و لم يغادرها. و يقال إن مولانا علاء الدين أحمد بن مولانا صدر الدين على الشيرازى و هو من الأطباء الحاذقين توفى بداء ذات الجنب في مدينة كاشان دار المؤمنين عائدا من أصفهان. و أن جلالته عاقب السلطان خليل حاكم مدينة شيراز و عطف على سلطان قورجى باشى السابق، و عينه حاكما على ولايه شيراز و فسا. كما تلقى جلالته في هذه السنه خبر وفاه السلطان سليم بن بايزيد حاكم الروم، و جلوس ابنه السلطان سليمان على العرش كما أوفد جلالته دورمش خان إلى خراسان لمساعدته أمير خان. و قد توجه الموكب الملكى السامى في نهايه السنه إلى مدينة سلطانيه.

[يارس] [بارس ئيل تسعمائه و ست و عشرين]، السنه الحاديه و العشرين للجلوس: (عام النمر)

يوم النوروز يوم الأحد الحادى و العشرين من شهر ربيع الأول - أمضى جلالته الشتاء في هذه السنه في نخجوان، و أرسل ديو سلطان مع فوج من القزلباش إلى كرجستان. كما تم في هذه السنه اعتقال لوند ميرزا و داود ميرزا و مثولهما أمام جلالته. كما وافق حكام مازندران و رستمدار و هزار جريب على الضرائب المرسومه عليهم. و عادوا جميعا موقفين إلى بلادهم، و هرب آقا محمد روزافزون إلى مازندران، و أصدر جلالته أمرا إلى جوهه سلطان باعتقاله، فاعتقله في مازندران و جاء به إلى جلالته.

و في يوم الأحد التاسع عشر من شهر جمادى الثانيه - جاء عبيد خان لمحاصره مدينة هرات، و في يوم الجمعة الثاني من شهر رجب لم يستقم فهرب ثانيه إلى ما وراء النهر و أن الأمير خان حاكم خراسان أمر باعتقال الأمير محمد يوسف، و هو من ساده

ذلك العصر و أفاضلهم، و ذلك فى يوم الثلاثاء السادس من شهر رجب و قتله فى اليوم الثانى بسبب التهمه التى وجهها إلى جماعه من المتمردىن و الأشرار، فاغضب هذا الأمر النواب الخاقان فعزله من منصبه و جعل مكانه دورمش خان. و فى بدايه فصل الربيع توجه الموكب الملكى إلى منطقته سهند و مراغه. و فى نهايه شهر رمضان المبارك تشرف الشيخ شاه والى شيروان بمقابله جلالته و أكرمه و أهده الخلع الفاخره الثمينه، و عاد الشيخ شاه بعد فتره إلى بلاده محظوظا سعيدا.

[توشقان نيل تسعمائه و سبع و عشرين]، السنه الثانيه و العشرين للجلوس: (عام الأرنب)

يوم النوروز يوم الاثنيين الثانى من ربيع الثانى - أمضى النواب الخاقان شتاء هذه السنه فى مدينه تبريز دار السلطنه - و حظى السلطان خليل بن الشيخ شاه بمقابله جلالته و عطفه الكريم. كما التحق أمير خان بالركب الملكى فى سهند أوجان فى شهر جمادى الثانيه و توفى فى ليله الأحد الثانى عشر من شهر شعبان.

[لوى نيل تسعمائه و ثمان و عشرين]، السنه الثالثه و العشرين للجلوس: (عام الحوت)

يوم النوروز يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ربيع الثانى - أمضى النواب الخاقان فصل الشتاء فى مدينه تبريز دار السلطنه، و فى نهايه يوم الثلاثاء الثامن و العشرين من شهر جمادى الثانيه طعن مهتر شاه قلى عربكبرلو، بسبب العداوه التى كانت بينه و بين ميرزا شاه حسين الأصفهانى وزير الديوان الأعلى، فطعنه هذا بالخنجر و أرداه قتيلا و ما أن سمع النواب الخاقان بالحوادث حتى عاقب مهتر شاه قلى عربكبرلو، و أرسل جثمان ميرزا شاه حسين الأصفهانى إلى أرض الكاظمين المقدسه و دفنه هناك.

و فى هذه السنه توفى جايان سلطان استاجلو وكيل الديوان الأعلى و دفن فى مدينه بغداد، و عطف جلالته على ميرزا جلال الدين محمد و منحه منصب وزاره الديوان الأعلى، و أمضى النواب الخاقان فصل الصيف فى سهند أوجان.

[ئيلان نيل تسعمائه و تسع و عشرين]، العام الرابع و العشرين للجلوس: (عام الحيه).

يوم النوروز يوم الخميس الرابع و العشرين من شهر ربيع الثانى - أمضى جلالته فصل الشتاء لهذه السنه فى تومان نخجوان و حظى الشيخ شاه والى شيروان بمقابله جلالته و ترك ابنته لدى جلالته و عاد سعيدا مظفرا. و توجه الموكب الملكى إلى مدينه أردبيل لزياره آباءه العظام. و من هناك توجه إلى مدينه سراب. و حظى بايزيد سلطان بن جايان سلطان بمقابله النواب الخاقان، و انتقل بعد أيام إلى جوار ربه فجعل جلالته [جلاله] منصبه إلى ديو سلطان.

رجب المرجب صعد طائر روحه إلى رياض (جَنَاتٍ عَيْدِنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أسكنه الله في غرفات الجنان، و أفاض عليه رشحات الغفران.

تعليقتنا على ما تقدم

و يرى القارئ فيما تقدم كيفيه نشوء الأسره الصفويه و تدرجها في تأسيس ملكها، كما يرى دقائق تحركات الشاه إسماعيل في معاركه، و مسراه في توطيد سلطته خطوه خطوه، كما يلحظ حرج الكاتب و هو يذكر معركة (جالديران) الذي انهزم فيها الشاه إسماعيل أمام السلطان سليم، و كيف يبرر الهزيمة بمحاوله المبالغه في عدد جنود السلطان و قله عدد جنود الشاه، كما أنه يركز على البطوله الشخصيه للشاه في المعركة ليزيل أثر الهزيمة من النفوس.

و كنا تطرقنا فيما كتبناه في المجلد الأول من (المستدركات) إلى ما ذكره النهروالي عن الأسره الصفويه من أنها لم تكن أسره شيعيه و أن المتشيع الأول فيها هو الشاه إسماعيل و ناقشنا هذا القول بعض المناقشه. و الكاتب هنا لا يشير إلى شىء من ذلك مما يدل على أنه ليس من رأى النهروالي في هذا الموضوع، و لكنه يؤكد تصوف الصفويين الأوائل تصوفا عريقا عميقا، و ينسب إلى بعضهم من الكشف الغيبى و أمثاله ما لا يصح، كما أن نزعه الكاتب الصفويه تبدو فيما يكتب و فيما يعرض من مصطلحات في التعبير و الأداء و تبنيه لأساليبهم في السعى و الوصول و غير ذلك. على أن ما يلفت هو ما نقله عن الأمير عبد الله الذى التقاه صفى الدين فى (بيضاء) بولاية فارس، من مخاطبته لصفى الدين بقوله (أيها الشاب التركى) فمن أين جاءت هذه الصفه لصفى الدين، و ما هى أصول تركيته [تركيته هذه و ما حدودها..، و ما هى نتائج معرفتنا بها؟].

ثم إن الكاتب يقول قبل ذلك عن صفى الدين: " و قد تغلب عليه رغبه السير و السلوك و إدراك مشاكل عالم المعنى، و وضع خطاه و سار فى واد الجهاد و نكران الذات و التصوف ". ثم يضيف إلى ذلك قوله: " و كان ينوى أن يلزم خدمه مرشد عالم جليل صاحب مكارم يتتلمذ على يديه و يكسب آداب السلوك.... ".

و هذا يدل - كما هو معروف - على أن المتصوف الأول فى هذه الأسره هو رأسها المنسوبه إليه: (صفى الدين)، و على أنه لم يرث التصوف عن آباءه، بل هو الذى بدأه فى قومه.

و مما يرشد إلى ذلك قول الكاتب عن رحيل صفى الدين إلى شیراز للاتصال بالشيخ الصوفى الشيخ نجيب الدين مرعشى شیرازى.

أنه كان لصفى الدين أخ ثرى وجيه معروف فى شیراز، و أنه اتخذ من وجود أخيه فيها ذريعه لاستئذان والدته بالسفر إلى شیراز، و معنى ذلك أن أخاه لم يكن صوفيا، بل هو فى ثرائه و وجاهته بعيد عن التصوف و لو كان أبوه و جده صوفيين لبان أثر ذلك عليه، و أن كل ما كان من شان للأسره قبل صفى الدين هو أنها لا تتميز بشىء عن كل الأسر البسيطه، و أن تميزها بدأ بصفى الدين لذلك سميت به و نسبت إليه.

و أما عن تشيع صفى الدين فاننا لا يمكن أن نستدل عليه من تتبعنا لسيره المشايخ الذين قصدهم و تتلمذ عليهم كالشيخ ظهير الدين مرعش، و الشيخ ركن الدين البيضاوى، و الأمير عبد الله، و الشيخ إبراهيم زاهد، و الكيلانى الذى تزوج صفى الدين ابنته

و ورث مقامه و صار بعد موته رأسا صوفيا طيله خمس و ثلاثين أو أربعين سنه على اختلاف الأقوال، ثم توالته رئاسه التصوف بعده فى أحفاده ابتداء من ولده صدر الدين موسى.

فليس لى أنا حتى الآن ما يدل على تشيع هؤلاء المشايخ، بل إن ما يبدو فى أحوالهم و تصرفاتهم الصوفيه ما يمكن أن يدل على العكس، فهذا الانحراف فى التصوف لا يعرفه الشيع، و متصوفو الشيعة كان تصوفهم معتدلا مقبولا لا بتعدى [يتعدى] نوعا من الزهد الذى لا يدفع إلى الشطحات و ادعاء الغيبات و ما إلى ذلك.

و اتصال صفى الدين بمن اتصل بهم، و أخذه بطريقتهم و انكباه على تعاليمهم قد لا يدل على تشيعه، و يبقى علينا إذا صح هذا الرأى أن نصل إلى المتشيع الأول فيهم بعد أن عرفنا المتصوف الأول. على أننا لا نسلم مع النهروالى (1) بان المتشيع الأول هو الشاه إسماعيل بعد أن أثبت هو نفسه أن حيدر الجد الأعلى للشاه إسماعيل هو الذى صنع التاج ذا الاثنى عشر ضلعا أحمر (و هو إشاره إلى الأئمه الاثنى عشر) و أمر أتباعه أن يلبسوا نظيره فعرفوا باسم (القرلباش) و هو اسم لا يطلق إلا على الشيعة، و لا يزال بعضهم حتى اليوم معروفين به.

على أن رأى الكاتب حسين بن مرتضى يتنافى مع استنتاجنا عن الشك بتشيع صفى الدين، فهو يرى تشيعه و يرى أنه هو أول من فكر بتأسيس دوله شيعيه، و أن ما حققه حفيده إسماعيل كان تحقيقا لأحلام جده الأعلى صفى الدين و وصولا إلى رغباته و استجابته لدعائه.

فالكاتب يفتح حديثه عن الشاه إسماعيل بهذا النص: " و لما كانت العناية الأزليه و إرادته واهب العظيات قد وعدت باستجابته دعاء و استدعاء سماحه سلطان الأولياء و برهان الأصفياء فى صومعه عارف المعارف الربانيه الشيخ زاهد الكيلانى، و كان قد طلب من العلى المنان السلطه الدنيويه و الأخروييه و ما كان مقصوده من السلطه الحكم و المال، بل كان مقصوده السلطه المعنويه و السعاده و رواج مذهب الأئمه الاثنى عشر و كلمه على ولى الله الطيبه و استخلاص الشيعة الاماميه الناجيه و أنصار و أصحاب الامام على من بليه التقيه... ".

و نظل نحن عند استنتاجنا - مجرد استنتاج - و يظل للكاتب رأيه، و نحن فى الوقت نفسه نعترف بأنه لا يمكن أن يرسل قوله هذا جزافا فلا بد أن يكون مستندا إلى حقائق وصل إليها و لم تصل إلينا، و يبقى للقارئ حكمه على ما

ص: ٦٣

١- هو محمد بن أحمد النهروالى، نسبه إلى نهرواله، بلده فى الهند تسمى الآن بتن، و إليها تنسب أسرته، أما هو فقد ولد فى مدينه لاهور سنه ٩١٧ ثم هاجر إلى الحجاز [الحجاز]. ثم رحل إلى مصر. ثم ذهب إلى اسطنبول مارا ببلاد الشام، ثم عاد إلى مكه. و لاه الأتراك مناصب فى التدريس و الإفتاء و غيرهما، و قرروا له مرتبا شهريا كبيرا، و نال عند الأتراك جاها عظيما فكانوا يعطونه العطاء الواسع، لذلك نجده يبالغ فى الثناء على سلاطين الأتراك و رجال دولتهم و يتحامل على غيرهم من العرب و غير العرب. توفى سنه ٩٩٠. و صفه المؤرخ على التاجر فى الصفحه ٥٤١ من المجلد الخامس من مجله العرب بعد أن نقل وصفه لبعض الأحداث: لست بحاجه بعد كل هذا إلى تفصيل ما فى حديث النهروالى من تخليط و تخبط، فذلك أوضح من أن يحتاج

إلى بيان. ثم يقول عن روايه النهروالى: بغض النظر عما فى هذه الأسطوره من خلط و تشويش و اضطراب و أخطاء تاريخيه و جغرافيه.... و يقول فى الصفحه ٤٦٠: و النهروالى قليل الاهتمام بتحرى الحقيقه عديم العنايه بصحه ما يكتب و خاصه بالنسبه إلى التاريخ. و يقول فى الصفحه ٦٣٨: الواقع أن النهروالى كان يتحدث عن موضوع يجهل ملابساته كلها جهلا تاما، فلفق و خلط كما هى عادته.

يرى أمامه من نصوص و تحقيقات و استنتاجات.

و إذا صح تشيع صفى الدين و صح رأى الكاتب و لم يصح استنتاجنا، فمعنى ذلك أن صفى الدين متسلسل من أصول شيعيه، و لا يبقى بعد هذا من مجال للبحث عن المتشيع الصفوى الأول، ما دام التشيع فى الأسره قد سبق عصر صفى الدين، و لم يعد صفى الدين أن كان واحدا ممن تسلسلوا من الأصول الشيعيه البعيده.

و سواء كان صاحب فكره قيام الدوله الشيعيه هو صفى الدين نفسه - كما يرى الكاتب - أو كان صاحب الفكره، أو أصحاب الفكره هم من جاءوا بعده من أحفاده، فان عباره الكاتب التى أتت خلال حديثه عن صفى الدين و هى قوله: "... كان مقصوده السلطه المعنويه و السعاده و رواج مذهب الأئمه الاثنى عشر و كلمه على ولى الله الطيبه و استخلاص الشيعه الاماميه الناجيه و أصحاب الامام على من بليه التقيه..."

إن عبارته هذه تدل على اللهفه التى كانت فى نفوس الشيعه لأن يجدوا المكان الذى يأمنون فيه على أنفسهم و حرياتهم، بعد أن طال اضطهادهم و سفك دمائهم و نهب أموالهم و مطاردتهم فى كل مكان، مما ألجأهم إلى الأخذ بالتقيه صونا لحياتهم و كرامتهم...

كما تدل على ما كان فى نفوسهم من الأسى، و ما يشعرون به من الكرب لاضطرارهم للتستر بهذه التقيه، الذى سماه الكاتب (بليه التقيه)، و حسبك بهذه التسميه دلالة على محنه المتقين النفسيه.

كما تدل على توقيهم الشديد لأن يتحدثوا عن على بن أبى طالب، و على نقتهم من اضطرارهم للسكوت عن ذكره أو للتهامس به.

لذلك عند ما تحققت الأمنيه و قامت الدوله المنشوده على يد الشاه إسماعيل، كانت رده الفعل عنيفه منطلقه من ذلك الكبت الطويل، و منبعثه من تلك المصائب التى عاناها الشيعه، فرأينا أن أول ما فعله الشاه إسماعيل أن أضاف إلى الآذان: (أشهد أن عليا ولى الله)، و أن انطلقت بعض الأقوال المبالغه المتحديه، كما يحدثنا الكاتب و لم نجد لزوما لنشرها هنا، مما نراه نحن أمرا لا داعى له، و كان يجب أن لا يحدث و لا يستمر.

و لكن إذا نحن قلنا هذا فى هذا العصر، فان علينا و على غيرنا أن يقدر الظروف التى انفجرت فيها النفوس و الألسن بما انفجرت به بعد تلك القرون فى العنت و العسف و الارهاق و الاذلال، و أن الذين أطلقوا تلك الأقوال لم يكن من السهل عليهم أن ينسوا أن على بن أبى طالب كان يشتم على المنابر الإسلاميه من عهد معاويه إلى عهد عمر بن عبد العزيز. و إذا كان من لوم فليس على الذين شاءوا أن يفرجوا عن كربهم بأسلوب يتفق كل الاتفاق مع أسلوب مضطهدهم العنيف، بل على الذين ألجأهم إلى ذلك.

على أن أول إشاره تشيع تبدو فى السلسله الصفويه - أول إشاره بالنسبه إلينا - هى ما ذكره عرضا الكاتب (حسن بن مرتضى الحسينى الأسترآبادى) نفسه و هو يتحدث عن أحد أفراد السلسله (على) المعروف ب (بسيه پوش):

فهو يذكر أن الأمير تيمور الكوركاني التقى بسياه پوش و أعجب به و كتب له وثيقه وقف شاهدها الكاتب نفسه مختومه بخاتم تيمورى محرره سنة ٨٠٦ و فيها هذا النص الموجه من تيمور إلى سياه پوش:

"...و عليه من الصلوات أزكاها و من التحيات أنحاهها، على آله و أولاده الطاهرين أجمعين... " ثم يذكر بعض هؤلاء الآباء: "...محمد المصطفى، و على المرتضى، و الحسن، و الحسين، نسله الامام زين العابدين، نسله الامام محمد الباقر، نسله الامام جعفر الصادق، نسله الامام موسى الكاظم..".

ثم ينتقل إلى الجد الذى تسلسل منه الصفويون من الامام موسى الكاظم: أبو القاسم حمزه و هكذا وصولا إلى على سياه پوش. و لا شك أن تعبير هذا النص لا تصدر إلا من شيعى إلى شيعى و إذا كان ما جاء فى الحديث عن سياه پوش هو إشاره تشيع، فان التشيع الواضح هو ما جاء فى سيره (حيدر) من إيجاده التاج ذا الاثنى عشر ضلعا الرامز إلى الأئمه الاثنى عشر.

على أن اللافت للنظر هنا أن حيدرا هذا المخترع للتاج الاثنى عشرى، و الذى ابتداء منه لقب القزلباش الشيعى - أن حيدرا هذا لم يكن من أم شيعيه، فان والده جنيد كان قد تزوج أخت حسن أمير قبيله آق قوينلو (القطيع الأبيض) التركمانيه و هى قبيله سنيه و كان يقابلها قبيله قره قوينلو (القطيع الأسود) الشيعيه.

و من هذا الزواج جاء حيدر بن جنيد، ثم إن الأمير حسن زوج ابن أخته حيدر من ابنته حليمه بيگم التى اشتهرت بعلم شاه بيگم، و من هذا الزواج جاء على بن حيدر، و إسماعيل بن حيدر، و هو الذى قامت على يديه الدوله الشيعيه الأولى التى جهرت بالدعوه إلى التشيع و اتخذت ذلك شعارا لها و طبقته عمليا.

فى حين أننا لا نرى فى حركه الصفويين قبل إسماعيل: من سياه پوش إلى جنيد إلى حيدر إلى على بن حيدر الظاهر تشيعهم - لا- نرى فى حركتهم أية دعوه شيعيه علنيه أو قصد لنشر التشيع، اللهم إلا إذا اعتبرنا ما فعله حيدر بن جنيد من إيجاده التاج ذا الاثنى عشر ضلعا الرامزه إلى الأئمه الاثنى عشر، و أمره [امر] أنصاره بوضعه على رءوسهم - إذا اعتبرنا ذلك دعوه شيعيه و تصديا لنشر التشيع. و فيما عدا ذلك فإنما بدا هذا أول ما بدا علنا عند الشاه إسماعيل خليفه أخيه على بن حيدر.

فهل فى هذا ما يؤيد دعوى النهروالى بان إسماعيل هو المتشيع الأول؟ أم أن سبب ذلك أنهم كانوا منصرفين أول الأمر إلى تركيز أمرهم، فلما تركز بإسماعيل أعلن الدعوه الشيعيه و صمم على نشرها؟ هذا ما نعتقد أنه الصحيح، فقد تجنبوا أول الأمر الظهور بمظهر حمله الدعوه الشيعيه لئلا يؤلبوا الناس عليهم حتى إذا تمكن إسماعيل أعلن ذلك واضحا حازما.

و قد رأينا فيما تقدم فى الجزء الأول من (المستدركات) عند الحديث عن إسماعيل ما ذكره النهروالى صراحه بان سبب غزو السلطان سليم للشاه إسماعيل هو الحثول دون قيام دوله شيعيه فى العالم...

و لكن هل يمكن أن يكون للزوجه غير الشيعيه، و للخال غير الشيعى من تأثير فى ذلك على جنيد، ثم للأم غير الشيعيه الأولى على الابن حيدر بن

جنيده، و للأم غير الشيعيه الثانيه على الابن على بن حيدر، ثم لم يكن لذلك من تأثير على إسماعيل بن حيدر، لأنه نشأ في غير رعايتها و بعيدا عن تأثيرها، بل في محيط شيعي في مدينه لاهيجان، حيث نقل إليها و هو في السادسة من عمره بعد مقتل أخيه على، الذي عهد إليه بولايه العهد، فانتقل به أنصاره خوفا عليه إلى لاهيجان، و بقيت والدته بعيده عنه في أردبيل؟ و أن يكون هذا ما حمل النهروالي على القول بان إسماعيل هو المتشيع الأول في الصفويين، و أن سبب تشيعه نشأته في لاهيجان. على أنه إذا انطبق قولنا على جنيد و حيدر و على، فإنه لا ينطبق على سياه پوش.

و هنا لا بد لنا من وقفه عند ما ذكره الكاتب حسين بن مرتضى علوى عن وثيقه الوقف، و ما جاء فيها عن ربط نسب السلسله الصفويه بالإمام موسى الكاظم. فان ذلك يجرنا إلى الحديث عما قيل في صحه هذا النسب، و ما أثر حوله من شكوك. فالكتاب مسلم بصحه هذا النسب، و يبدو أن معاصريه مسلمون، و أن من قبلهم في عصر تيمور مسلمون أيضا، و أول ما اشتهر من الطعن في نسب الصفويين في هذا العصر، هو ما كتبه أحمد كسروي من نفى النسبه العلويه الموسويه إلى الصفويين.

و نحن حين نرى أن الأقدمين - و هم الأقرب إلى الأصول الصفويه و الأكثر تتبعاً لها - لم يتطرقوا إلى التشكيك في نسبهم، و اعتبروه صحيحاً سليماً حين نرى ذلك لا نستطيع إلا التسليم بصحه النسب.

و لعل النزعه التهديميه التي سيطرت على كسروي في الشطر الأخير من حياته هي من عوامل إنكاره النسب الصفوي العلوي الموسوي، لأن في هذا الإنكار تهديماً لحقيقه قائمه. على أن من الإنصاف أن نترك للذين قرءوا كتاب كسروي أن يحكموا عليه، و أن يناقشوا أدلته، و أن يكونوا - في هذا الموضوع - معه أو عليه. فانا لم أقرأ ما كتب لأنني أجهل الفارسيه، و من هنا ليس من حقي أن أحكم، و إن كان من حقي أن استنتج.

صدي قيام الدوله الصفويه عند الآخرين

بعد نشرنا ما كتبه مؤرخ قديم عاش أواخر عهود الدوله الصفويه، و رأينا فيما كتبه صدي قيام هذه الدوله في نفوس الشيعه بعد ما عانوه في كل مكان من اضطهاد و ترويع و قتل، و بعد ما اضطروا إلى تحمل (بليه الثقيه) كما سماها الكاتب المؤرخ. و هي بليه أي بليه...

بعد نشرنا ذلك و تعليقنا عليه نرى أن ننشر ما كتبه الآخرون المعاصرون لنشوء تلك الدوله، لأن فيما كتبه هو أيضا صدي لما في نفوسهم.

و أفضل ما نأخذه هنا هو ما كتبه قطب الدين النهروالي المتقدم ذكره و هو مؤرخ عاصر الأحداث و شاهدها، و كان لسان الآخرين المتوجسين من الدوله الجديده الناقلين على قيامها.

و ما نأخذه هو ما نشره في كتابه (الاعلام باعلام بيت الله الحرام). قال و هو يتحدث عن عهد السلطان العثماني بايزيد الثاني بن محمد الفاتح الذي تولى الملك سنه ٨٨٦ ما نصه:

و ظهر في بلاد العجم في أيامه شاه إسماعيل بن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد الصفوي في سنه ٩٠٥، و كان له ظهور عجيب و

استيلاء على ملوك العجم يعد من الأعاجيب، فتك في البلاد، و سفك دماء العباد، و أظهر مذهب الرفض و الإلحاد، و غير اعتقاد العجم إلى الانحلال و الفساد بعد الصلاح و السداد، و أخرج ممالك العجم، و أزال من أهلها حسن الاعتقاد، و الله يفعل في ملكه ما أراد، و تلك الفتنة باقية إلى الآن في جميع تلك البلاد.

و شرح ذلك يحتاج إلى تاريخ مستقل و لا أعلم أحد تعرض له من العلماء الأمجاد.

و ظهر من أتباع شاه إسماعيل المذكور في بلاد الروم (١) شخص ملحد زنديق يقال له شيطان قولي، أهلك الحرث و النسل، و عم بالفساد و القتل، و تبعه غواه لا تعد و لا تحصي، و قويت شوكته و عظم به على المسلمين في ذلك القطر الفتنة و البلاء. فأرسل السلطان بايزيد وزيره الأعظم على باشا بعسكر كبير لقتل هذا الباغي و أمده بجيش عظيم لقطع جادره هذا الطاغى، فاستشهد على باشا في ذلك القتال، و قدم بأكفان شهادته إلى الله المتعال، و انكسر شيطان قولي المفسد التعيس، و عسكره من جنود إبليس، و قتل مع طائفه من أعوانه الأباليس، و أسكن الله هذه الفتنة بعد ما طمت، و كفى الله تعالى شر أولئك الأشرار بعد أن عظمت فتنتهم و عمت، و ذلك في سنة ٩١٥ (٢) (انتهى).

ثم يروى النهروالى ظهور الدوله الصفويه على الشكل التالى، فإنه بعد أن يذكر ظهور صفى الدين ثم يستمر في ذكر أحداث خلفائه حتى يصل إلى الشيخ جنيد فيقول ما نصه: (٣)

فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده في الزاوية باردبيل كثر مریدوه و أتباعه في أردبيل فتوهم منهم صاحب آذربيجان يومئذ و هو السلطان جهان شاه بن قرا يوسف التركمانى من طائفه (قره قوينلو) فاخرجوهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مریديه إلى ديار بكر و تفرق عنه الباكون. و كان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بيك بن قتلق بيك بن على بيك من طائفه من (آق قوينلو) جد أوزون حسن بك البابندرى [البابندرى] و هو أول من تسلطن من طائفه آق قوينلو، و ولى السلطنه منهم تسعه أنفس و مده ملكهم اثنتان و أربعون سنه و أخذوا ملك فارس من طائفه قره قوينلو، و أول سلاطينهم قره يوسف بن قره محمد التركمانى و مده سلطنتهم ثلاث و ستون سنه، و انقرض ملكهم على يد أوزون حسن بيك المذكور (٤) في شوال سنه ٨٧٣، و كان أوزون حسن بيك ملكا شجاعا مقداما مطاعا مظفرا في حروبه، ميمونا في نزوله و ركوبه، إلا أنه وقع بينه و بين السلطان محمد بن السلطان مراد خان حرب عظيم في بايرت فانكسر أوزون حسن بيك و قتل ولده زينل [زينل] بيك، و هرب هو و سلم من القتل و عاد إلى آذربيجان و ملك فارس و العراقين، فلما التجأ الشيخ جنيد إلى طائفه آق قوينلو صاهره أوزون حسن بيك و زوجه بنته خديجه بيگم فولدت له الشيخ حيدر، و لما استولى أوزون حسن بيك على البلاد و طرد عنها ملوك قره قوينلو و أضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر إلى أردبيل و كثر مریدوه و أتباعه و تقوى

ص: ٦٥

١- المقصود ببلاد الروم هنا: الأناضول و ما إليها من البلاد التركييه.

٢- الصفحه ٢٥٩.

٣- الصفحه ٢٧١.

٤- يلاحظ هنا قوله: إن عثمان بيك من طائفه آق قوينلو و أنه جد أوزون حسن، ثم قوله: إن انقرض ملك آق قوينلو كان على

باوزون حسن بيك لأنه صهره، فلما توفى أوزون حسن بيك ولي موضعه ولده السلطان خليل سته أشهر، ثم ولده الثاني السلطان يعقوب فزوج بنته حليمه بيك من الشيخ حيدر، فولدت له شاه إسماعيل فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة ٨٩٢ و كان على يديه هلاك ملوك العجم طائفه آق قوينلو و قره قوينلو و غيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور.

و كان الشيخ جنيد جمع طائفه من مرديه و قصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين فى سبيل الله (١) فتوهم منه سلطان شروان أمير خليل الله شروان شاه فخرج إلى قتاله فانكسر الشيخ جنيد و قتل و تفرق مريدوه، ثم اجتمعوا بعد مده على الشيخ حيدر و حسنوا له الجهاد و الغزو فى حدود كرجستان، و جعلوا لهم رماحا من أعواد الشجر و ركبوا فى كل عود سنانا من حديد، و تسلحوا بذلك، و ألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسامهم الناس قزلباش، و هو أول من ألبس التاج الأحمر لأتباعه. و اجتمع عليه خلق كثير، فأرسل شروان شاه إلى السلطان يعقوب بن أوزون حسن يخوفه من خروج الشيخ حيدر على هذه الصفه، فأرسل له أميرا من أمرائه اسمه سليمان بك باربعه آلاف نفر من العسكر، و أمره أن يمنعهم من هذه الجمعيه فان لم يمتنعوا أذن له أن يقاتلهم، فمضى إلى الشيخ حيدر و منعه من هذه الجمعيه فما أطاعه، فاتفق مع شروان شاه فقاتلاه و من معه، فقتل الشيخ حيدر و أسر ولده شاه إسماعيل و هو طفل، و أسر معه أخواله و جماعته، و جاء بهم سليمان بك إلى السلطان يعقوب فأرسل بهم إلى قاسم بك الفرناك و كان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب، و أمره أن يحبسهم فى قلعه إصطخر فحبسهم بها و استمروا محبوسين فيها إلى أن توفى السلطان يعقوب فى سنة ٨٩٩، و تولى بعده السلطان رستم، و نازعه فى السلطنه أخوانه و تفرقت المملكه و استقل فى كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب. فهرب أولاد الشيخ حيدر إلى لاهيجان من بلاد كيلان، و خرج من أخوان شاه إسماعيل خواجه شاه على بن الشيخ جنيد و جمع عسكرا من مریدی والده و قاتل بهم فقتل فى أيام السلطان رستم بن السلطان يعقوب ثم توفى السلطان رستم و ولي مكانه السلطان مراد بن يعقوب و ألوند بيك ابن عمه، و كان شاه إسماعيل فى لاهيجان فى بيت صائغ يقال له نجم زرگر، و بلاد لاهيجان فيها كثير من الفرق الضاله كالرافضه و الحروفيه و الزيديه و غيرهم، فتعلم منهم شاه إسماعيل فى صغره مذهب الرفض، فان آباءه كان شعارهم مذهب السنه السنيه، و كانوا مطيعين متقادين لسنه رسول الله (ص) و لم يظهر الرفض غير شاه إسماعيل. فطلبه من أمراء ألوند بيك جماعه، و طلبوه من سلطان لاهيجان فأبى أن يسلمه لهم فأنكر و حلف لهم أنه ما هو عندى و ورى فى يمينه، و كان مختفيا فى بيت نجم زرگر، و كان يأتیه مریدو والده خفيه و يأتونه بالنذور و يعتقدون فيه و يطوفون بالبيت الذى هو ساكن فيه إلى أن أراد الله ما أراد و كثرت داعيه الفساد، و اختلفت أحوال البلاد باختلاف السلاطين و كثره العناد بين العباد، و لو كان فيها آلهه إلا الله لفسدت.

و حينئذ كثر أتباع شاه إسماعيل فخرج هو و من معه من لاهيجان و أظهر الخروج لأخذ ثار والده و جده فى أواخر سنة ٩٠٥، و عمره يومئذ ثلاث عشره سنه، و قصد مملكه الشروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه و جده، و كلما سار منزلا كثر عليه داعيه الفساد، و اجتمع عليه عسكر كثير إلى أن وصل إلى بلاد شروان، فخرج لمقاتلته شروان شاه بعساكره و قاتلوه و قاتلهم فانهمز عسكر الشروان، و أسر شروان شاه فأتوا به إلى شاه إسماعيل أسيرا، فأمر أن يضعوه فى قدر كبير و يطبخوه و يأكلوه، ففعلوا كما أمر و أكلوه (٢) و كان ذلك أول فتوحاته.

ثم توجه إلى قتال ألوند بيك فقاتله و انهزم منه و استولى على خزائنه و قسمها فى عسكره، و صار يقتل كل من ظفر به قتلا ذريعا (٣) و لا- يمسك شيئا من الخزائن بل يفرقها فى الحال. ثم قاتل مراد بيك بن السلطان يعقوب فهزمه فى الحال، و أخذ خزائنه و فرقها على عسكره، ثم صار لا- يتوجه إلى بلاد إلا فتحها و يقتل جميع من فيها (٤) و ينهب أموالهم و يفرقها إلى أن

ملك تبريز و آذربيجان و بغداد و عراق العرب و عراق العجم و خراسان و كاد أن يدعى الربوبية(٥) و كان يسجد له عسكريه و يأترون بامرهم، و قتل خلقا لا- يحصون ينوف على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الإسلام و لا في الجاهليه و لا في الأمم السابقيه من قتل من النفوس ما قتله شاه إسماعيل(٦) و قتل عده من أعظم العلماء(٧)، بحيث لم يبق أحدا من أهل العلم في بلاد العجم، و أحرقت جميع كتبهم و مصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنه،(٨) و كلما مر بقبور المشايخ نبشها و أخرج عظامهم و أحرقت(٩)، و إذا قتل أميرا من الأمراء أباح زوجته و أمواله لشخص آخر. و من جمله مضحكاته أنه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا و رتب له ترتيب الأمراء من الخدم، و الكواخي، و السماط، و الليلو، و الأوطاق، و الفرش الحرير و نحو ذلك، و جعل له سلاسل من ذهب و مرتبه و مسنده يجلس عليها كالأمراء(١٠). و سقط مره مندبل من يده إلى البحر و كان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المندبل من عسكريه فوق ألف نفس تحطموا و تكسروا و غرقوا(١١) و كانوا يعتقدون فيه الألوهيه(١٢) و يعتقدون أنه لا ينكسر و لا ينهزم إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسده.

ص: ٦٦

- ١- الكرج ليسوا مسلمين.
- ٢- الباعث على هذه الافتراءات هو حقد المؤلف على قيام الدوله الصفويه و غيظه من انتصارات الشاه إسماعيل.
- ٣- يضاف هذا إلى افتراءاته المتقدمه. و إسماعيل على كل حال لم يقتل أخاه خنقا بالوتر كما فعل السلطان سليم العثماني. و لا خنق في ليله واحده سته من أقربائه، و خنق معهم في نفس الليله سبعة من الأولاد من أقربائه أيضا كلهم رضع في المهده، كما فعل السلطان سليم نفسه كما يروى الكاتب نفسه.
- ٤- عطفا على افتراءاته السابقيه.
- ٥- كلما ازدادت فتوحات الشاه إسماعيل ازداد غيظ المؤلف فتزداد افتراءاته و تتعاضم.
- ٦- و أخيرا استقر حكم الشاه إسماعيل و قامت دولته الشيعيه فلم يجد المؤلف شفاء لغيظه إلا هذا الافتراء الضخم المتناسب مع نجاح الشاه إسماعيل.
- ٧- لو كان صادقا لذكر أسماء هؤلاء العلماء.
- ٨- و هنا يفضح نفسه و يبرز مفتريا لا حدود لافتراءاته، فالمصحف هو مصحف واحد للسنه و للشيعه.
- ٩- الذي احترق هو قلب النهروالي من قيام الدوله الصفويه و أما عظام الموتى فلم يحرقها أحد.
- ١٠- المضحك هو ذكر النهروالي لهذه الفريه و حسابانه أن الناس يمكن أن تصدقها.
- ١١- حبذا لو ذكر لنا اسم البحر و اسم الجبل لنصدق، فمعلوماته الجغرافيه لا أصل لها كتدويناته التاريخيه.
- ١٢- بلغت الدوله الصفويه ذروتها فبلغت افتراءات النهروالي ذروتها، أنه بهذا البهتان و أمثاله يحاول التفريخ عن كرتبه.

محاولة القضاء على الدولة في مهدها

إذا كان ما ذكره النهروالى هو تعبير عما كان يعتلج في قلوب الآخريين من قيام الدولة الشيعيه، و هو كلام مجرد كلام، فان السلطان سليم قد صمم على أن يحيل هذا الكلام إلى فعل، فالتفجع لوقوع هذا الحدث الخطير لا يعنى شيئاً فى حين أن المطلوب هو العمل المجدى الذى يحول دون استفحال أمر هذه الدوله، ثم القضاء عليها فى مهدها. و هذا ما صمم عليه السلطان سليم و قرر تنفيذه.

و يقول صاحب كتاب (تاريخ العرب الحديث) فى الصفحه ١٦ ما يلى:

"دخل إسماعيل مدينه تبريز عام ٩٠٨ (١٥٠٢ م) حيث أعلن نفسه ملكاً و حامياً للمذهب الشيعى الذى جعله المذهب الرسمى للبلاد" إلى أن يقول بعد أن يردد و يخترع ما يردده و يخترعه من اتهامات هى وليده النقمه على قيام الدوله الجديده ليس إلا، و إن كنت لا- تعجب من نقمه الماضين، فانك لتعجب و تأسف أن يكون لأساتذته الجامعات و مؤلفى التاريخ الحديث فى هذا العصر نفس الذهنيه التى كانت للنهروالى و أمثاله قبل قرون و قرون.

يقول صاحب تاريخ العرب الحديث متابعا كلامه السابق: " و شعر المسئولون فى إستانبول بعظم الخطر الجديد، فأجبر سليم أباه المسالم بايزيد الثانى على التنازل عن العرش، و أهمل سليم جبهه البلقان و ركز اهتمامه بشئون دار الإسلام "

لقد رأى - بل رأى - الخطر فى قيام دوله شيعيه تكف الأذى عن الشيعه، و ليس الخطر - بل عظم الخطر -، و لم ير - بل لم يروا - عظم الخطر فى صليبيه البلقانيين بل رأوه فى إسلام الصفويين. فاهمل سليم جبهه البلقان و ركز اهتمامه بشئون دار الإسلام، على حد تعبير صاحب تاريخ العرب الحديث.

و لنعد الآن إلى بقيه حديث النهروالى المعاصر للأحداث. يقول النهروالى متحدثاً عن السلطان سليم:

" فلما وصلت أخباره (الشاه إسماعيل) إلى السلطان سليم خان تحركت فيه قوه العصبيه، و أقدم على نصره السنه الشريفه السنيه، و عد هذا القتال من أعظم الجهاد، و قصد أن يمحو من العالم هذه الفتنة و هذا الفساد، و ينصر مذهب أهل السنه الحنيفيه على مذهب أهل البدع و الإلحاد، و يأبى الله إلا ما أراد، فتهياً السلطان سليم بخيله و رجله و عساكره المنصوره و رحله و سافر لقتاله، و أقدم جلاده و جداله، و هو يجر الخميس العرمم و يصول بسيف عزمه و يتقدم، إلى أن تلاقى العسكران فى قرب تبريز، و رتب السلطان سليم عسكره، و تنزل من عند الله الفتح القريب و النصر العزيز، فتجالد الفريقان بجالدران و تطارد الفرسان و تعانق الشجعان يهدرون كاليخاتى الفوالج فوق البحور الموائج، و تصادمت فرسان الزحف و الصيالى، تصادم أطواد الجبال، و صارت نجوم الأبطال رجوم البطش و القتال، فزلزلت الأرض زلزالها، و أخرجت الأهوال أثقالها، و حيلت المعركه سماء غمامها و القسطل، و صواعقها بروق البيض من بريق الصيقل، و رعوها صليل السيوف فى أعتاق الجحفل، و غيوثها صبيب الدم من أوداج رؤوس تحز و تفصل، و أحجار المدافع كجلمود صخر حطه السيل من عل، إلى أن طارت قلوب الأعداء هواء و ذهب قواهم هباء، و ولوا على أدبارهم إديبارا، و انهزم شاه إسماعيل و لى فرارا، و لم يجد له من دون الله أنصارا "

هذا هو الوصف المجلجل الذى خطه قلم النهروالى لمعركه جالديران و لا عجب فى ذلك و هو يتحدث بلسان المنتصرين. و إذا

قارناه بالوصف المتقدم للمعركة بقلم مؤرخ الصفويين نرى كم كان هذا الأخير مجمما متلجلجا يريد أن يخلق من الضعف قوه، و لا عجب فهو ينطق بلسان المنهزمين. المنتصرون لا الانتصار العسكري فحسب بل الانتصار العقائدى المذهبي الذى يرى فى الآخرين ضلالا، و فى قيام دولتهم الهول كل الهول!..

و المنهزمون لا الانهزام العسكري فحسب بل انهزام الحلم الجميل الذى عاشوه قرونا و قرونا حتى إذا تحقق رأوه يكاد ينطوى فى طيات الزمن!..

و قد كان يمكن أن تكون معركة جالديران حاسمه بكل معانى الحسم، و أن تقضى على الدوله الصفويه، القضاء المبرم، و لكنها لم تكن كذلك، بل مرت مرورا عابرا عاودت بعده الدوله الجديده مسيرتها المظفره، فكان لا انهزاما ضاريا أصابها، و لا انتصارا كاسحا ناله عليها أعداؤها، فالجيش تمزق فى جالديران، و العاصمه احتلت، و أصبحت البلاد كلها عرضه للاحتلال و الاغتصاب دون مدافع و لا دائد و لا مانع. فإذا بإسماعيل ينهض من بين الأنقاض و ينفض عنه غبار الهزيمة و يعاود النصر بعد النصر حتى يصل إلى بغداد و الموصل و البصره!..

أما السبب فى ذلك فيحدثنا عنه النهروالى:

و لكننا قبل أن ننقل وصف ما جرى بعد الهزيمة لا بد لنا من أن ننقل الجملة التى ختم بها النهروالى وصفه للمعركة حيث قال:

" فوطئت حوافر خيله (السلطان سليم) أرض تبريز فنهى فيها و أمر، و قتل من أراد و أسر، و أعطى الرعيه تمام الأمن و الأمان، و نشر فيها أعلام أهل الايمان "

و لا- يبالى النهروالى بان يقع فى التناقض ما دام قد شفى غيظه بهزيمة الشاه إسماعيل، فكيف يجتمع الأمن و الأمان مع القتل و الأسر.

و المهم فى هذا الكلام هو قوله: " و نشر فيها (تبريز) أعلام أهل الايمان " فأعلام الصفويين أعلام أهل الكفر، و أعلام العثمانيين أعلام أهل الايمان!..

بهذه الذهنيه التى ليست هى ذهنيه النهروالى وحده - بهذه الذهنيه تخلى السلطان سليم عن مقارعه صليبيه البلقانيين و نهد إلى مقارعه إسلام الصفويين!..

و التناقض الذى يقع فيه النهروالى و الذى أشرنا إليه من قبل ليس هو التناقض الوحيد. بل إن النهروالى الذى زعم فيما تقدم من القول أن الشاه إسماعيل قتل العلماء حتى لم يبق منهم أحد، يقول الآن إن السلطان سليم حين رحل رحيله عن تبريز: " أخذ منها من أراد من الفضلاء الأفاضل، و المتميزين فى الصنائع و الفضائل، و الشعراء الأماثل و ساقهم إلى اسطنبول "

إذن فتبريز كانت مملوءه بالفضلاء الأفاضل و الشعراء الأماثل، و إذن فان الشاه إسماعيل لم يقتلهم!..

يقول النهروالى بعد ذلك متحدثا عن سبب انكفاء السلطان سليم عن تبريز و تخليه عن النصر العظيم الذى أحرزه: " و أراد أن يقيم فى تبريز للاستيلاء على إقليم العجم، و التمكن من تلك البلاد على الوجه الإثم [الأتم]، فما أمكنه ذلك لكثرة القحط و استيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقه بمائتى درهم، و بيع الرغيف الخبز بمائه درهم. و سبب ذلك أن القوافل التى كان أعضها السلطان سليم لأن تتبعه بالميره و العليق و المؤمن تخلفت عنه فى محل الاحتياج إليها، و ما وجدوا فى تبريز شيئا من المأكولات و الحبوب، لأن شاه إسماعيل عند انكساره أمر بإحراق أجران الحب و الشعير و غير ذلك فاضطر السلطان سليم خان إلى العود من تبريز إلى بلاد الروم (تركيا) و تركها خاليه خاويه على عروشها، ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه فأخبر أن سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغورى، فإنه كان بينه و بين شاه إسماعيل محبه و موده و مراسلات، بحيث إن السلطان قانصوه الغورى كان يتهم بالرفض فى عقيدته بسبب ذلك... " (انتهى).

و لم تكن محاوله السلطان سليم القضاء على الدوله الصفويه التى مر ذكرها هى المحاوله الوحيدة، بل كانت المحاوله الأولى، فإنه بعد انتصاره على قانصوه الغورى فى حلب و على طومان باى فى مصر، حاول العوده إلى تبريز، و كانت آخر محاوله له هى التى يتحدث عنها النهروالى قائلا: " فلما أراد سفرا ثالثا إلى بلاد العجم لقطع جاذره طائفه القزلباش (1) رأى أن ما بقى من خزائنه لا يفى بتلك المصاريف، فتأخر ليجتمع فى خزائنه مما يجمع له من خراج البلاد قدر ما يفى له بالمراد، و يأبى الله إلا ما أراد " .

و لم يلبث السلطان سليم أن مرض و مات سنة ٩٣٣.

و جاء ابنه سليمان و فى نفسه التصميم نفسه على القضاء على الدوله الناشئه للسبب نفسه، و نترك للنهروالى أن يحدثنا عن ذلك:

" أرسل (السلطان سليمان) قبل سفره الميمون الوزير الأعظم إبراهيم باشا بعسكر عظيم، و جيش كالبهر العظيم، و فيه كبيره كالخميس العرمم، لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول سنة ٩٤١ و وصل إلى حلب و شتى بها هو و من معه من العساكر المنصوره السليمانيه و الجيوش المؤيده الخاقانيه.

و برز عقبه الوطاق الشريف السلطاني و المخيم المكرم الخاقاني العثماني إلى أسكودر آخر شهر ذى القعدة الحرام سنة ٩٤١ و استمر متوجها لنصره السنه الشريفه السنيه و قطع طوائف الراضه البليه إلى أن وصل مخيمه الشريف العالى إلى يبلان أوجان قريب تبريز، و جاء إلى استقباله الوزير المعظم إبراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور و توجهها بجميع العساكر المنصوره إلى أخذ سلطانيه من مملكه العجم " .

ثم يذكر النهروالى أن الثلوج حالت دون تقدم السلطان سليمان قائلا:

" و استولى البرد الشديد على العسكر المنصور و نزل الثلج كأنه الجبال " .

فعند ذلك قرر السلطان سليمان الرجوع عن تبريز و التوجه إلى بغداد و الاستعاضه بفتحها عن فتح تبريز.

و فى ذلك يقول النهروالى:

" فنزل بعسكره المنصور فى بغداد ". ثم يقول:

" وأمرت الحضرة السلطانية بتحسين قلعه بغداد و حفظها و صونها من الإلحاد " ثم كانت للسلطان سليمان محاوله ثانيه يعبر عنها النهروالى بقوله:

" بادرت الحضرة السلطانية بجيوشها المنصوره العثمانيه إلى أن تشتى فى مدينه حلب و بعد انقضاء الشتاء يتوجه إلى أخذ بلاد قزلباش ".
ثم يواصل كلامه بعد استطرادات قائلًا:

" فلما انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطاني إلى نخجوان من بلاد العجم ثانياً ".
و انتهى أمر هذه الحمله بالعوده إلى استنبول دون أن تحقق غايتها. و يقول النهروالى عن ذلك دون أن يدخل فى التفاصيل:

" فجاءت رسل الشاه و طرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفه السلطانيه إجابته الشاه إلى سؤاله ترويحاً للعساكر السلطانيه و صونا لدماء الرعيه فأنعمت على الشاه بما يتمناه ".
و إذا كان النهروالى لم يذكر التفاصيل و لا الأسباب التى حملت السلطان سليمان على قبول الصلح و العوده من حيث أتى دون الوصول إلى هدفه، و اكتفى بالقول بأنه فعل ذلك (ترويحاً للعساكر السلطانيه و صونا لدماء الرعيه). فاننا نستطيع أن نتبين السبب الحقيقى، و هو أن السلطان سليمان بعد دراسته الموقف عن قرب عرف استحاله هزيمة الجيش الصفوى لمنعته و استعداده و تحوطه فأثر العوده.

أما (ترويح العساكر السلطانيه و صون دماء الرعيه) فلو كانت هى السبب - كما يزعم النهروالى - لما أقدم السلطان أصلاً على إقحام العساكر السلطانيه بما ينافى الترويح عنها، و لا ساق الرعيه إلى ما يؤدي إلى سفك دمائها.

أم كلثوم بنت الشهيد الشيخ محمد تقى القزوينيه البرغانيه.

ولدت حدود سنه ١٢٢٤ و توفيت بعد سنه ١٢٦٨ كانت من فواضل نساء عصرها. قرأت المقدمات و العلوم العربيه و الأدب على عمه والدها ماه شرف، ثم أخذت الفقه و الأصول عن والدها الشهيد و عمها الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى، و حضرت فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ ملا آغا الحكمى القزوينى، ثم زفوها لابن عمها الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى القزوينى و هو الابن الأرشد لعمها الشيخ محمد صالح. تصدرت التدريس فى قزوين و طهران و كربلاء، للنساء. و أوقفت مكتبتها سنه ١٢٦٨ على كافه طلاب العلوم الدينيه و جعلت التوليه بيد زوجها، ثم بعد وفاته بيد شقيق زوجها الشيخ حسن.

و من مؤلفاتها تفسير سوره فاتحه الكتاب. (٢)

الاسم الشعري للشاعر الهندي السيد آغا حسن المولود سنة ١٢٣١ و المتوفى سنة ١٢٧٥.

له مرات في الحسين (ع) ابتداءً بها شعره. ثم نظم في الغزل،

ص: ٦٨

١- يقصد بهم اتباع الشاه إسماعيل من الشيعة. راجع ما مر عن سبب هذه التسمية.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

فكان له مجموعتان شعريتان: عرفت إحداهما باسم: (كلدسته امانت) والثانيه (الديوان) الذي عرف أيضا باسم: (خزائن الفصاحه) وقد نشر لأول مره سنه ١٢٨٥ في لكهنو.

و اشتهرت له مسرحيه (إندارسبها) و هى مسرحيه فكاهيه أتمها سنه ١٢٧٠ و نشرها مشروحه فى العام التالى، و قد أولع الجمهور الهندى بها، و سارت فى أوساطه كل مسير. و لشهرتها هذا حذوها العديد من الكتاب الهنود.

أويس الأول.

مرت ترجمته فى الصفحه ٥١٢ من المجلد الثالث. و نزيد عليها هنا ما يلى:

أجمع المؤرخون على الإشاده بشفقتة و عدله و شجاعته، و قد كان إلى ذلك يرعى الأدب و الأدباء. و أهم من مدحه من الشعراء: سلمان الساوجى الذى خلف لنا عده مقطوعات بها فيها بأعظم ما وقع فى عهده من حوادث. و كان المترجم جميل الخط رساما شاعرا.

ضربت السكه باسمه فى بغداد و تبريز و غيرها، و كان على السكه التى ضربت باسمه فى بغداد سنه ٧٥٨ لقب: (السلطان العالم العادل). و التى ضربت فيها سنه ٧٦٢ لقب: (السلطان الأعظم شيخ أويس بهادر). و التى ضربت عام ٧٦٦ كانت تحمل الاسم بالغه المغوليه. و على السكه التى ضربت فى شيراز سنه ٧٦٦ لقب: (الواثق بالملك الريان).

و هناك أويس الثانى بن سلطان ولد بن على بن أويس الأول المترجم، و هو سابع السلاطين الجلائريه، حكم خوزستان و البصره و واسط من عام ٨١٨ إلى ٨٢٤ و قتله شاه محمد التركمانى، و أمه (تاندو) ابنه حسين بن أويس الأول، و هى امرأه قديره، كانت فى أوائل عهد ابنها فى الحكم، و هو صغير السن بمثابه الوزير له.

و فى (أعيان الشيعه) يعتبر المترجم ايلخانيا، أما فى دائره المعارف الإسلاميه فيعتبره (مينورسكى) جلائريا و يعبر عنه بشانى السلاطين من أسره جلائر. على أن (بارتولو) فى دائره المعارف الإسلاميه نفسها يقول: "يجعل بعض المؤرخين الجلائريه من الايلخانيه، و الحق أنهم لا ينتسبون إليهم إلا عن طريق النساء، فان حسنا مؤسس هذه الأسره كان حفيدا لأرغون من ناحيه أمه."

الشيخ أيوب بن عبد الباقي البورى البحرانى.

هو من أعيان العلماء و فى السنه التاسعه بعد الألف رحل من البحرين لضيق المعيشه و قطن فى الديار المصريه و صار مدرسا للشافعيه حتى فهموا منه التشيع و قتل فى حجرته فى السنه العاشره بعد الألف و لم يوجد من تأليفاته شىء.

قاله صاحب السلافه " رحمه الله عليه " .

هذا ما قاله صاحب كتاب (تاريخ البحرين) المخطوط. و يبدو جليا أن الرجل كان من أفاضل علماء البحرين، و أنه لم يكتف بدراسه الفقه الشيعى، بل درس المذاهب الفقهيه الأخرى حتى استطاع أن يتولى تدريس الفقه الشافعى فى مصر.

و الظاهر أن رحلته إلى مصر كانت للاستزاده من العلم درسا و تدريسا، فاكشفوا من بعض أقواله تشيعه فلم يمهلوه حتى قتلوه...

و فى هذه الترجمة الموجزه الكثير مما يثير الاهتمام و التفكير: من ذلك كون البحرين فى أوائل القرن الحادى عشر منبتا للعلماء و دارا للعلم. ثم اتقاد جذوه التعصب الأعمى فى كل عصر و مصر.

لقد هجموا على الشيخ العالم المدرس فى حجرته فقتلوه فيها بمجرد أن استنتجوا تشيعه.

و بعد ذلك يتساءلون لما ذا أخذ الشيعة بالتقيه، و يعيرونهم بها...

باب ظهير الدين محمد.

مؤسس الإمبراطوريه المغولييه فى الهند.

نذكر أولا تلخيصا لسيرته، ثم نعقبه ببعض التفاصيل و إن لزم التكرار:

ظهير الدين محمد بن عمر، و حفيد ميران شاه بن تيمور لنك، و يتصل نسبه من ناحيه أمه بجنكيز خان. هو مؤسس الأسره المغولييه التى حكمت الهند، و كانت من أعظم الإمبراطوريات الإسلاميه. و خلف أباه عمر شيخ فى منصب ميرزا فرغانه سنه ٨٩٩ (١٤٩٤) و فى سنه ٩٠٣ (١٤٩٨ م) استولى على سمرقند فى صراع مع أقاربه و لكنه اضطر للتخلى عنها. و بعد صراعات و معارك أفقدته ملكه قرر عبور جبال هندوكش فاستولى على كابل سنه ٩٠٩ (١٥٤٠ م) و فى سنه ٩١٧ (١٥١١) استطاع بمساعده الشاه إسماعيل الصفوى أن يهزم الأزابكه و أن يحتل بخارى و سمرقند، و لكنه، اضطر بعد عام للانسحاب إلى كابل. و قرر هذه المره أن يعدل خطه فيتجه إلى الهند بعد أن كان قد حاول ذلك فى احتلاله الأول لكابل.

و بعد احتلاله لقندهار سنه ٩٢٨ (١٥٢٢ م) اغتتم فرصه نشوب نزاع بين إبراهيم لودى ملك دهلى و بين الزعماء الأفاغنه فاستولى على لاهور سنه ٩٣٠ (١٥٢٤) ثم انتصر على إبراهيم سنه ٩٣٢ (١٥٢٦) فى حرب قتل فيها إبراهيم. و مضى بابر فى الهند متخذًا من مدينه (اكرا) عاصمه له، و اضطر لخوض عدّه معارك، و امتدت امبراطوريته من أفغانستان غربا إلى البنغال، و من هملايا إلى جواليار جنوبا.

كان بابر مقداما شجاعا لم تضعف عزمه قله الأنصار الذين لم يتجاوزوا أحيانا ٢٤٠ رجلا. و كان عبوره جبال هندوكش المغطاه بالثلوج شتاء من أقوى مغامراته. و كان إلى ذلك شاعرا أدبيا ترك ديوانا شعريا باللغه التركيه و بعضه بالفارسيه، و مجموعته من المثنويات تسمى (مبين). كما ترك مذكرات تعرف باسم (با برناميه) و تعتبر من أهم ما سجل من تاريخ المغول فى الهند. كتبها باللغه الجغتائيه إحدى لهجات اللغه التركيه الشرقيه.

و هنا بعض التفاصيل:

ولد سنه ٨٨٨ (١٤٨٣ م) و توفى سنه ٩٣٧ (١٥٣٠ م) فى آكرا و دفن فيها، ثم نقل جثمانه بعد عدّه سنوات إلى قبره الحالى فى كابول اشتهر باسم بابر و لم يعرف باسم محمد، و هو من جهه أبيه ينحدر فى الجيل الخامس من صلب

تيمور، و من جهه أمه فى الدرجه الخامسه عشره من جنكيز.

خلف أباه فى حكم فرغانه سنه ٨٩٩ و فى سنه ٩٠٣ ضم سمرقند و غيرها إلى ملكه، و لكنها لم تدم له طويلا، إذ استطاع الخان شيبانى الأوزبكى أن يخرج من كل ذلك، و بعد معارك دارت أحيانا سجلا اضطرب بابر إلى اللجوء إلى خاله فى طشقند. و أخيرا قر قراره على أن يعبر جبال هندوكش إلى أفغانستان فاستولى على كابل سنه ٩٠٩. و فى سنه ٩١١ وصل إلى هرات مليا طلب السلطان حسين ميرزا بايقرا لمناصرته على الأوزبكين، و لكن الأمر لم يتم إذ توفى السلطان و لم يكن فى أولاده من له كفاءته، فاستولى شيبانى خان على معظم خراسان. على أن بابر استولى سنه ٩١٣ على قندهار مترعا إياها من بنى أرغون، و لكن شيبانى طارده فى ملكه الجديد، فصمم بابر على النفاذ إلى الهند. و فى أثناء ذلك وقع الصراع بين شيبانى و الشاه إسماعيل الصفوى فانتصر إسماعيل و قتل شيبانى بمرور سنه ٩١٦، فعاد بابر إلى سمرقند سنه ٩١٧ مؤيدا من الشاه إسماعيل مقرا بتبعيته له على أن الأمور لم تصف له فعاد إلى كابول بعد سنتين متخذًا منها نقطه انطلاق لما يحاول من ملك عريض، و استطاع سنه ٩٢٨ الاستيلاء على قندهار. و هنا صمم على العبور إلى الهند بعد أن كان منذ سنه ٩٢٢ قد أنفذ إليها حملات استطلاعيه صغيره، أفادته فى التعرف على مواطن الضعف و القوه فيها ثم قام نزاع بين إبراهيم لودى و بين الأفغانين فاهتبل بابر الفرصه و تقدم فى الهند و استولى على لاهور سنه ٩٣٠ ثم أباد قوات إبراهيم لودى فى بانيتسنه ٩٣٢ و احتل دلهى و آكرا و تقدم حتى جونبور و غازيبور. و بانتصاره على الأفغانين الشرقيين سنه ٩٣٥ وصل حتى البنغال.

و كان بابر أديبا شاعرا، كتب باللغه التركيه الجغتائيه كتاب (با برنامه) و هى سيره ذاتيه له ذكر فيها، قصه حياته و طفولته إلى آخر سنوات عمره، كان فيها صريحا كل الصراحه فتحدث عن ضعفه و أخطائه و هزائمته، فكان فيها واقعا بعيدا عن الانفعالات النفسيه، و لم يكن القصد منها الدفاع عن النفس.

و قد اعتبرها بعض الدارسين بما فيها من قوه الملاحظه و القدره على التحليل و الفهم لنفسيه الشعوب و الافراد. و ما فى لغتها من صفاء و بساطه و وصف حافل بالألوان الجياشه بالحياه - اعتبرها من روائع النثر التركى.

و لباير ديوان شعر معظمه باللغه التركيه، و بعضه باللغه الفارسيه، يشتمل على الغزل و المثنوى و الرباعى و القطعه و المعمى و المفرد. و يدل هذا الديوان على أن بابر لم يكن دون أى من الشعراء الجغتائيين فى القرن الخامس عشر. و فى الديوان نقرأ أغانى الحب الصوفى و الخمريات إلى جانب موضوعات الحياه اليوميه. عدا عن أن قصائد الديوان هى فى الأصل باللغه التركيه، فان فيه ما يزيد على عشرين قصيده باللغه الفارسيه.

و يجهر فى الديوان بأنه تركى مشيدا بشجاعه الأتراك، و إذا عد بابر فى التاريخ السياسى بين الملوك المظفرين المؤسسين الناجحين، فإنه يعد و لا شك فى التاريخ الأدبى فى أول الشعراء الأتراك، و لا يسبقه إلا الشاعر نوائى.

و لباير رساله فى العروض اكتشفت سنه ١٩٢٣ مخطوطه فى ملحق المكتبه الأهليه فى باريس.

السيد باقر الدمستاني البحراني.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو أول فاضل تصدر للافتاء في قرية الدمستان، كان حليما حكيما، و عالما عاملا و شاعرا كريما، له كتاب نفيس مسمى بالأمالى و هو مشحون من أدبه و سوانحه. قال طاب ثراه في أول مقدمات كتابه: إن للشعراء ألفاظا صارت بينهم حقائق عرفيه. و إن كانت في الأصل مجازا، لكثرة دورها في كلامهم و تعاطيهم استعمالها، لأنهم الفوا ذلك من تداولها و تكرارها في مسامعهم، و من ذلك الغصن إذا أطلقوه فهموا منه القوام، و الكثيب إذا أطلقوه فهموا منه الردف، و الورد إذا أطلقوه فهموا منه الوجنه، و الأفاحى إذا أطلقوه فهموا منه الثغر، و الراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق، و النرجس، إذا أطلقوه فهموا منه العيون، كل هذه الأشياء انتقلت عن وضعها الأصلي و صارت حقائق عرفيه نقلها الاصطلاح إلى هذه الأشياء، ثم ذكر أشعارا من نفسه و من غيره لاثبات مقدمته، و بالجملة مات قدس سره سنه ١١٢١.

بيرم خان خانان.

وردت له ترجمه موجزه في الصفحه ٦١٦ من المجلد الثالث و لكن وقع فيها خطان مطبعيان لم يصححا، إذ ورد اسمه (برام) بدل (بيرم) و (جان خانان) بدل (خان خانان).

و نذكر من ترجمته هنا ما يلي:

قتل سنه ٩٦٣ و معنى خان خانان: أمير الأمراء هو من كبار رجال الشيعة التاريخيين في الهند، و من المؤسسين الفاعلين في قيام الإمبراطوريه الإسلاميه المغولييه فيها، إذا لم نقل إنه الفاعل الأول.

و هو من أصل تركمانى ينتمى إلى قبيله (بهارلو) المتفرعه من (القره قويونلو)^(١) و هو ابن سيف على بك، و من أحفاد على شكر، و على شكر هذا هو والد أو جد شير على الذى كان من أعوان جهان شاه برنى، ثم من أعوان السلطان محمود ميرزا ثم صهره على ابنته. ثم التحق ابنه جان على بكيبابر. ثم خلفه في ذلك ابنه سيف على والد المترجم في أوائل شبابه، و هو الذى صار واليا على غزنه. و بعد وفاه بابر التحق بهمايون. ^(٢) أما ولاده بيرم فيقال إنها كانت في (بدخشان)، أو في (غزنه)، و قد فقد والده في سن مبكره، و لم يلبث أن هاجر إلى (بلخ)، و فيها عكف على الدراسه، و كانت دراسته جديه مثمره جعلت منه رجلا واسع الاطلاع، و كان إلى جانب ذلك شاعرا.

و قد التحق و هو في السادسة عشره من عمره بهمايون، و عند ما كان همايون في كابل و عزم على الانتقال إلى الهند صحبه بيرم، و شارك معه في معركة: (تشوسه) سنه ٩٤٦، و معركة (قنوج) سنه ٩٤٧، اللتين انتهتا بهزيمة همايون، و لما طارده الأعداء احتفى مع زميندار بسمسبهل التى كانت إقطاعا لهمايون. و لما اكتشف رجال شير شاه سور مكانه و أبلغوا ذلك إلى أمير الأفغان الذى خيره بين أن يكون من رجاله أو يترك (سمبهل) ففر إلى كجرات إلى

ص: ٧٠

١- القره قويونلو: القطيع الأسود، مقابل آق قويونلى: القطيع الأبيض.

٢- من أباطره المغول في الهند، و هو ابن بابر و والد محمد أكبر. حكم الهند (١٥٣٠-١٥٤٠).

بلاط ملكها محمود فحماء و ألحقه بخدمته، و ظل طامحا إلى ما هو أبعد من ذلك، مترقبا الفرص المؤاتيه، فاستأذن محمودا بالسفر إلى الحج، و لما أذن له قصد إلى (راجبوتانه) عابرا صحراء السند وصولا إلى همايون فلقبه سنة ٩٥٠ (١٥٤٣ م) في بلده (جون) التي كانت في ذلك الوقت عباره عن أطلال. و كان همايون الإمبراطور المشرد حين ذاك يكافح مستيئسا لاسترداد ملكه.

و قد رافقه بيرم في ذهابه إلى قندهار السنه ٩٥٠ (١٥٤٣ م) مستنجا بأخيه ميرزا عسكري.

و لكنه لم يجد منجدا، بل اضطر للنجاه بنفسه مع رفيقه بيرم ملتجئين إلى الشاه طهماسب ملك إيران الذي استنصره همايون فنصره، و لما طلب الشاه طهماسب إلى بيرم أن ينضم إليه و يعمل معه، اعتذر بأدب عن تلبية طلب الشاه و آثر ملازمه همايون مواسيا له بنفسه مرافقا له في الكفاح المرير لاسترداد العرش المفقود، و قد قاد بيرم بعد ذلك جيش همايون في معارك ناجحه السنه ٩٦١ (١٥٥٤ م)، ثم توج ذلك بانتصاره الحاسم على سكيندر سور السنه ٩٦٣ (١٥٥٥ م) في (ماتشهيوار)، و قد أبدى في انتصاره هذا من النبيل و الشهامه ما لم يكن مألوفا في أخلاق المنتصرين في تلك العهود في معاملة المقهورين.

و كانت نتيجة هذه المعركه ضمان مستقبل همايون في التربع على عرش الهند، و كان الفضل في ذلك لبيرم خان.

و في السنه ٩٦٢ (١٥٥٥ م) عهد إلى بيرم تقديرا لجهوده بان يكون (أتالقي) لمحمد أكبر الذي كان لا يزال يوم ذاك في الثالثه عشره من عمره، و صار يلقب بلقب (خان بابا) أي والد الخان، و أصبح بمكان الأب لمحمد أكبر. ثم رافقه بعد ذلك إلى البنجاب التي عين أكبر واليا عليها.

و لما فوجئ الناس بوفاه همايون كان بيرم يطارد فلول جيش سكيندر سور في كلانور فبادر في الحال للسيطره على الوضع و أعلن حلول أكبر محل أبيه.

و لم يلبث (هيمو) قائد جيش (سور) أن هاجم دهلي ففر منها الوالي المغولي (تردى بك) بدون مقاومه، فأمر بيرم باعدامه ليكون عبره للآخرين، و يبدو أن بيرم لم ينس له أنه عند ما لجا همايون إلى قندهار العام ٩٥٠ - كما مر - و طلب من تردى بك أن يعيره جواده لتمطيته زوجته حميده بانو بيگم أم الطفل (أكبر) عند اضطراره مع بيرم للتزوج عن المدينه التي خابا فيها - لم ينس بيرم أن تردى بك رفض أن يعيره الجواد و عامله بغلظه، فجاءت الفرصه المناسبه الآن ليعاقبه بيرم على تخليه عن الدفاع عن المدينه فارا منها بدون مقاومه، متذكرا غلظته في رفضه إعاره الجواد و معاملة همايون و بيرم معاملة مهينه أيام المحنه...

و في العام ٩٦٤ (١٥٥٦ م) التقى بيرم و هو قائد قوات الإمبراطوريه المغوليه بقوات (هيمو) في موقعه (بانيست)، فانتصر بيرم انتصارا كاسحا، و أسر هيمو بعد ما جرح، فأمر بيرم بقتله بموافقه ضمنيه من همايون، و قد ليم بيرم على قتله أسيرا جريحا، و لكن الظرف كان فيما يرى المدافعون عنه يسمح بمثل هذه المعامله لثائر متمرذ على الدوله يريد أن ينتزع تاج ملكها لنفسه.

و بهذا النصر الذي شتت الجيش الأفغاني وضع بيرم حدا لعدم الاستقرار، و تم أمر الهند لمحمد أكبر أمبراطورا غير منازع، يحكم وصيه بيرم الهند باسمه. و بذلك بلغ بيرم أوج سلطانه. ثم ازداد تالقه بزواجه سنه ٩٦٥ (١٥٥٧ م) من سليمه سلطان بيگم، و هي ابنه عم أكبر و ابنه (كل رخ) شقيقه همايون، حيث صار جزءا من الأسره المالكة.

على أن إنصاف بيرم للشيعة، و رفعه الاضطهاد عنهم، و مراعاة كفاءه أصحاب الكفاءات منهم، لا سيما فى مناصب الدوله، و من ذلك تعيينه الشيخ كدائى كمبوه الدهلوى صدرا للصدور السنه ٩٦٦ (١٥٥٨-١٥٥٩)، قد أثار عليه نقمه المتعصين.

على أن أكبر نفسه كان يضايقه تدخل بيرم فى (متع الصبيانه) - كما يعبر عنها أحد المؤرخين - ثم بعد ذلك عدم إغداق المال عليه و على الأسره المالكه، فترعمت (ماهم أتكه) مرضعه أكبر جماعه من رجال القصر للذس على بيرم و إفساد ما بينه و بين أكبر و تفاقمت الأمور على بيرم و شعر أن الأحوال تسير فى غير ما يهواه، و بعد أن سلم بالأمر الواقع و تخلى عن الكثير من سلطاته عاد معلنا التمرد، و لكنه لم ينجح فى تمرده، فتغاضى أكبر عن تمرده و لم يؤاخذه عليه، ذاكرا له حسن بلائه مع أبيه فى قيام الإمبراطوريه المغوليّه.

و عزم بيرم على الحج إلى بيت الله الحرام، و بوصوله إلى (بتن) فى الرابع عشر من جمادى الأولى السنه ٩٦٨ (١٥٦١ م) اغتاله هناك رجل أفغانى كان أبوه قد قتل فى معركة (ماتشهيواره) و نهب مخيم بيرم و تشردت أسرته، و فيها ولده الطفل عبد الرحيم، و لجات معدمه إلى أحمدآباد، و نقل جثمانه إلى دهلى حيث دفن مؤقتا، و فى السنه ١٧٩ [٩٧١] (١٥٦٣ -) نقل إلى جوار الامام الرضا (ع) فى (مشهد)، و قبره ذو القبه العاليه معروف هناك.

و إذا كانت هذه حياه بيرم السياسيه، فان له حياه أخرى مقرونه بالعلم و الشعر، فقد كان عالما فى العلماء، شاعرا فى الشعراء، ينظم بالفارسيه و التركيه. و قد لقى العلماء و الأدباء و الفنانون و الصناع منه كل الرعايه و العطف. و لم يستطع متعصب شديد التعصب مثل (البدادونى) أن يتجاهل مزايا بيرم فاضطر للثناء عليه، و هو الذى لم يسلم من ثلبه أحد.

و فى السنه ١٩١٠ برز بيرم (الشاعر) بنشر ديوانه فى كلكته.

و قد أدرك أكبر المدين هو و أبوه من قبله بعرشيهما لبيرم مقدار الجحود فيما فعله ببيرم، فاحتضن ولده اليتيم ميرزا عبد الرحيم خان، الذى أصبح بعد ذلك يحمل لقب أبيه (خان خانان) (راجع: باير).

جاربه بن قدامه السعدى.

مرت ترجمته فى الصفحه ٥٨ من المجلد الرابع. و لما كان هو القامع لحركه ابن الحضرمى فى البصره رأينا أن ننشر هنا تفاصيل تلك الحركه و دور جاربه فى قمعها، و إننا نعتد فى ذلك على كتاب (الغارات) لابن هلال الثقفى:

عثمان، و احذر ربيعه و أنزل في مضر و تودد الأزدي، فان الأزدي كلهم جميعا معك إلا قليلا منهم فإنهم غير مخالفيك، و احذر من تقدم عليه.

فقال له عبد الله بن عامر: أنا سهمك في كنانتك: و أنا من قد جربت و عدو أهل حربك و ظهيرك على قتله عثمان فوجهني إليهم متى شئت، فقال له: اخرج غدا إن شاء الله، فودعه و أخذ بيده و خرج من عنده.

فلما كان الليل جلس معاويه و أصحابه يتحدثون، فقال لهم معاويه: في أي منزل ينزل القمر الليلة؟ فقالوا: بسعد الذابح فكره معاويه ذلك و أرسل إليه أن: لا تبرح حتى يأتيك رسولي، فأقام.

و رأى معاويه أن يكتب إلى عمرو بن العاص، و كان عامله يومئذ على مصر يستطلع رأيه في ذلك فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله معاويه أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص - و قد كان يسمى بأمر المؤمنين بعد صفين و بعد تحكيم الحكيم :-

سلام عليك.

أما بعد، فاني قد رأيت رأيا هممت بامضائه و لم يخذلني عنه إلا استطلاع رأيك، فان توافقني أحمد الله و أمضيه، و إن تخالفني فاستجير بالله و أستهديه، إنى نظرت في أمر أهل البصره فوجدت عظم أهلها لنا و لعلنا و شيعته عدوا، و قد أوقع بهم على الوقعه التي علمت، فاحقاد تلك الدماء ثابتة في صدورهم لا تبرح و لا تريم، و قد علمت أن قتلنا ابن أبي بكر و وقعتنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب على في الآفاق، و رفعت رؤوس أشياعنا أينما كانوا من البلاد.

و قد بلغ من كان بالبصره على مثل رأينا من ذلك ما بلغ الناس، و أحد ممن يرى رأينا أكثر عددا و لا أضر خلافا ليس على من أولئك، فقد رأيت أن إليهم عبد الله بن عامر الحضرمي فينزل في أبعث مضر، و يتودد الأزدي، و يحذر ربيعه، و نعي دم عثمان بن عفان و يذكرهم وقعه على بهم التي أهلكت صالحى إخوانهم و إبنائهم، فقد رجوت عند ذلك أن يفسدوا على على و شيعته ذلك الفرج (1) من الأرض، و متى يؤتوا من خلفهم و أمامهم يضل سعيهم و يبطل كيدهم، فهذا رأيتي فما رأيك؟. فلا تحبس رسولى إلا- قدر مضى الساعه التي ينتظر فيها جواب كتابي هذا، أرشدنا الله و إياك، و السلام عليك و رحمه الله و بركاته.

فكتب عمرو بن العاص إلى معاويه، أما بعد فقد بلغنى كتابك، فقرأته و فهمت:

رأيك الذى رأيتته فعجبت له، و الذى ألقاه فى روعك و جعله فى نفسك هو قلت: إن الثائر لابن عفان و الطالب بدمه، و إنه لم يك منك و لا منا منذ نهضنا فى هذه الحروب و نادينا أهلها و لا رأى الناس رأيا أضر على عدوك و لا أسر لوليك من هذا الأمر الذى ألهمته، فامض رأيك مسددا فقد وجهت الصليب الأديب الأريب الناصح غير الظنين و السلام.

فلما جاءه كتاب عمرو، دعا ابن الحضرمي - و قد كان ظن حين تركه معاويه أياما لا يأمره بالشخص أن معاويه قد رجع عن إشخاصه إلى ذلك الوجه فقال لمعاويه: يا ابن الحضرمي سر على بركة الله إلى هل البصره فانزل فى مضر، و احذر ربيعه و

أتودد الأزد، و انع عثمان بن عفان، و ذكرهم الوقعه التي أهلكتهم، و من (٢) لمن سمع و أطاع دنيا لا تفنى و أثره (٣) لا يفقدها حتى يفقدنا أو نفقده، فودعه! ثم خرج من عنده و قد دفع إليه كتابا و أمره إذا قدم أن يقرأه على الناس.

قال عمرو بن محسن: و كنت معه حين خرج.

قال: فلما خرجنا فسرنا ما شاء الله أن نسير، سرح لنا ظبي أعضب (٤) عن شمائلنا - قال: فنظرت إليه فو الله لرأيت الكراهية في وجهه. ثم مضينا حتى نزلنا البصره في بني تميم فسمع بقدمونا أهل البصره فجاءنا كل من يرى رأى عثمان بن عفان (٥) فاجتمع إلينا رؤوس أهلها، فحمد الله ابن عامر الحضرمي و أثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس فان عثمان إمامكم إمام الهدى قتله على بن أبي طالب ظلما، فطلبتم بدمه، و قاتلتم من قتله، فجزاكم من أهل مصر خيرا، و قد أصيب منكم الملاء الأخيار و قد جاءكم الله باخوان لكم، لهم بأس شديد يتقى، و عدد لا يحصى فلقوا عدوكم الذين قتلوكم فبلغوا الغايه التي أرادوا صابرين، فرجعوا و قد نالوا ما طلبوا، فمالئوهم و ساعدوهم و تذكروا تارككم تشفوا صدوركم من عدوكم.

فقام إليه الضحاك بن عبد الله الهلالي (٦) فقال: قبح الله ما جئنا و دعوتنا إليه جئنا و الله بمثل ما جاء به صاحبك طلحه و الزبير، أتينا و قد بايعنا عليا (ع) و اجتمعنا له، و كلمتنا واحده، و نحن على سبيل مستقيم فدعوانا إلى الفرقة و قاما فينا بزخرف القول، حتى ضربنا بعضنا ببعض عدوانا و ظلما فاقتلنا على ذلك، و ايم الله ما سلمنا من عظيم و بال ذلك و نحن الآن مجتمعون على بيعه ذا العبد الصالح الذي قد أقال العثره و عفا عن المسيء و أخذ بيعه غائبا و شاهدنا أفتأمرنا الآن أن نختلع أسيافنا من أغمادها ثم يضرب بعضنا بعضا ليكون معاويه أميرا و تكون له وزيراء، و نعدل بهذا الأمر عن علي (ع)؟! و الله ليوم من أيام علي (ع) مع النبي (ص) خير من بلاء معاويه و آل معاويه لو بقوا في الدنيا ما الدنيا باقيه.

فقام عبد الله بن خازم السلمى (٧) فقال للضحاك: اسكت فلست بأهل أن تتكلم في أمر العامه ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال: نحن يدك و أنصارك، و القول ما قلت، قد فهمنا ما ذكرت فادعنا إلى أى شىء شئت و، ن.

ص: ٧٢

١- الفرج: الثغر و قال ابن الأثير في النهايه ماده (فرج): "في حديث عمر: قدم رجل من بعض الفروج أى الثغور، واحدها فرج".

٢- و منه: عده بما يتمناه من الدنيا.

٣- الأثره - بفتحيتين - هنا الإيثار على الغير.

٤- سرح: عرض، و الأعضب من الشاء [الشاه] و الأطباء: مكسور القرن، و من الإبل: مشقوق الأذن

٥- لعلها" يرى رأينا في عثمان بن عفان".

٦- الضحاك بن قيس الهلالي من أحوال عبد الله بن عباس (انظر تاريخ الطبرى ١٤٢/٥ حوادث سنه ٤٠).

٧- عبد الله بن خازم - بمعجمتين - السلمى، أبو صالح. قال ابن الأثير في أسد الغابه ١٤٨/٣: "أمير خراسان شجاع مشهور، و

بطل مذكور قيل: له صحبه، و كان أميرا على خراسان أيام فتنه ابن الزبير،" قال: و قد استقصينا أخباره فى كتاب الكامل فى

التاريخ و قتل سنه إحدى و سبعين فى الفتنه. يعنى الفتنه التى حدثت بخراسان.

فقال له الضحاك بن عبد الله يا بن السوداء(١) والله لا يعز من نصرت ولا:

يذل من خذلت، فتشأتما.

و الضحاك هو الذى يقول:

يا أيهذا السائلى عن نسبي بين ثقيف و هلال منصبي

أمى أسماء و ضحاك أبى وسيط منى المجد من معتبى

و هو القائل فى بنى العباس:

ما ولدت من ناقة لفحل بجبل نعلمه و سهل

كسته من بطن أم الفضل(٢) أكرم بها من كهله و كهل

عم النبى المصطفى ذى الفضل و خاتم الأنبياء بعد الرسل

(٣) فقام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثم التيمى(٤) فقال: عباد الله إنا لم ندعكم إلى الاختلاف و الفرقة، و لا نريد أن تقتتلوا و لا- نريد أن تتنابدوا، و لكننا إنما ندعوكم لجمع كلمتكم و توارروا إخوانكم الذين هم على رأيكم، و أن تلموا شعثكم(٥) و تصلحوا ذات بينكم بينكم]، [، فمهلا- مهلا- - رحمكم الله - اسمعوا لهذا الكتاب الذى يقرأ عليكم، ففضوا كتاب معاويه و إذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله معاويه أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من المؤمنين و المسلمين من أهل البصره، سلام عليكم، أما بعد، فان سفك الدماء بغير حلها، و قتل النفس التى حرم الله قتلها هلاك موبق و خسران مبین، لا يقبل الله ممن سفكها صرفا و لا عدلا(٦) و قد رأيتم - رحمكم الله - آثار ابن عفان و سيرته و حبه للعافيه و معدلته و سده للثغور، و إعطاءه بالحقوق، و إنصافه للمظلوم، و حبه للضعيف، حتى و ثب الواثبون عليه، و تظاهر عليه الظالمون فقتلوه مسلما محرما ظمآن صائما، لم يسفك فيهم دما و لم يقتل منهم أحدا، و لا يطلبونه بضربه سيف و لا سوط، و إنما ندعوكم أيها المسلمون إلى الطلب بدمه و إلى قتال من قتله، فانا و إياكم على أمر هدى واضح، و سبيل مستقيم، إنكم إن جامعتمونا طفئت النائرة،(٧) و اجتمعت الكلمه، و استقام أمر هذه الأمه، و أقر الظالمون المتوثبون الذين قتلوا إمامهم بغير حق، فأخذوا بجرائرهم(٨) و ما قدمت أيديهم، إن لكم على أن أعمل فيكم بالكتاب و أن أعطيكم فى السنه عطاءين، و لا أحتمل فضلا من فيثكم عنكم أبدا، فنازعوا إلى ما تدعون إليه - رحمكم الله - و قد بعثت إليكم رجلا- من الناصحين و كان من أمناء خليفتم المظلوم ابن عفان و عماله و أعوانه على الهدى و الحق، جعلنا الله و إياكم ممن يجيب إلى الحق و يعرفه، و ينكر الباطل و يجحده، (و السلام عليكم) و رحمه الله.

فلما قرئ عليهم الكتاب قال عظامؤهم: سمعنا و أطعنا.

عن أبي منقر الشيباني قال: قال الأحنف بن قيس لما قرئ عليهم الكتاب: أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل و اعتزل أمرهم ذلك.

وقال عمرو بن مرجوم (٩) من عبد قيس: أيها الناس الزموا طاعتكم، ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم واقعه و تصيبكم قارعه، و لا تكن لكم بعدها بقيه، ألا أنى قد نصحت لكم و لكن لا تحبون الناصحين.

حدثنا ثعلبه بن عباد (١٠) أن الذى كان سدد لمعاويه رأيه فى إرسال ابن الحضرمى كتاب كتبه إليه صحار بن عباس العبدى (١١) و هو ممن كان يرى رأى عثمان و يخالف قومه فى حبهم عليا (ع) و نصرتهم إياه.

قال: فكتب إلى معاويه: أما بعد، فقد بلغنا وقعتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم و قتلوا خليفتهم ظلما و بغيا، فقرت بذلك العيون و شفيت بذلك النفوس، و ثلجت أفئده أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين، و لعدوه مفارقين، و لكم موالين، و بكم راضين، فان رأيت أن تبعث إلينا أميرا طيبا زاكيا، ذا عفاف و دين يدعو إلى الطلب بدم عثمان فعلت، فانى لا إخال الناس إلا مجمعين عليك فان ابن عباس غائب عن الناس، و السلام.

فلما قرأ معاويه كتابه قال: لا- عزمت رأيا سوى ما كتب به إلى هذا، و كتب إليه جوابه: أما بعد، فقد قرأت كتابك فعرفت نصيحتك، و قبلت مشورتك، فرحمك الله و سددك، اثبت - هداك الله - على رأيك الرشيد، فكأنك بالرجل الذين سالت قد أتاك، و كأنك بالجيش قد أطل عليك، فسررت و حييت و قبلت، و السلام.ه.

ص: ٧٣

١- السوداء أم عبد الله بن خازم و اسمها عجلى و قد ورث السواد عنها فكأنها يعد من الغربان العرب (و انظر تاج العروس فى غرب) ٠

٢- أم الفضل بنت الحارث الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب و اسمها لبابه، و هى أم الفضل و عبد الله و معبد و عبید الله و قثم و عبد الرحمن أبناء العباس بن عبد المطلب، و يقال لها لبابه الكبرى تفريقا بينها و بين أختها لبابه الصغرى أم خالد بن الوليد المخزومى، و هى أخت ميمونه بنت الحارث زوج النبى (ص)، و أخت أسماء و سلمى و سلامه بنات عميس الخثعميات لأمه، و أمهن جميعا هند بنت عوف الكنانيه و قيل: الحضرميه التى قيل فيها: إنها أكرم الناس أصهارا لأن رسول الله (ص) زوج ميمونه و العباس زوج لبابه، و جعفر بن أبى طالب و أبو بكر و على أزواج أسماء و حمزه بن عبد المطلب زوج سلمى (انظر الاصابه بترجمه لبابه كتاب النساء حرف اللام ق ١، و أسد الغابه ٥/٥٤٠).

٣- ش " و خاتم الأنبياء بعد الرسل " و لا يستقيم وزن البيت و فى أسد الغابه " و خاتم الرسل و خير الرسل " و هو أوجه.

٤- عبد الرحمن بن عمير و قيل: عميره و قيل: ابن أبى عميره قال ابن الأثير فى أسد الغابه ٣/٣١٣: " حديثه مضطرب لا يثبت فى الصحابه " روى عن النبى (ص) أنه قال لمعاويه: " اللهم اجعله هاديا مهديا و اهد به " ثم نقل عن أبى عمر صاحب الاستيعاب أنه " لا تصح أحاديثه و لا تثبت صحبته ".

٥- الشعث - بالتحريك - التفرق.

٦- الصرف: التوبه، و العدل: الفديه.

٧- النائره: الهيجان، و يريد هيجان الفتنة

٨- الجرير: الذنب و الجنايه.

٩- عمرو بن المرجوم العبدى العصرى صحابى وفد على رسول الله (ص) فى وفد عبد القيس كان أبوه المرجوم و اسمه عامر بن مر من أشرف عبد القيس فى الجاهليه و ابنه عمرو من أشرفهم فى الإسلام ساق يوم الجمل فى أربعه آلاف فكان مع على (ع) (انظر الاصابه حرف العين ق ١ بترجمته، و تاج العروس فى رجم و عصر).

١٠- ش " روى محمد بن عبد الله عن ابن أبى سيف عن الأسود بن قيس عن ثعلبه بن عباد إلخ " و ثعلبه بن عباد - بكسر المهمله و تخفيف الموحده - العبدى البصرى قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٢٤/٢ " ذكره ابن حبان فى الثقات " و قال الذهبى فى ميزان الاعتدال ٣٧/١: " تابعى يروى عن مجاهيل ".

١١- صحار - كغراب - ابن عباس العبدى ذكره ابن سعد فى الطبقات ٦١/٧ فىمن نزل البصره من الصحابه و وصفه ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٣٢/١ بقول: " له صحبه و روايه و كان بليغا لسنا " و قال ابن النديم فى الفهرست ص ١٣٢ " كان خارجيا أحد النسابين و الخطباء فى أيام معاويه و له مع دغفل أخبار و قال فى ص ١٣١ كان عثمانيا من بنى عبد القيس، روى عن النبى (ص) حديثين أو ثلاثه، و له من الكتب كتاب الأمثال " و يظهر من كلامه هذا أنه انتقل من الخوارج إلى العثمانيه و يؤيد هذا كلام ابن سعد: " كان ممن طلب بدم عثمان " توفى صحار بالبصره.

قال: لما نزل ابن الحضرمي بيني تميم أرسل إلى الرءوس فأتوه، فقال لهم: أجيوني إلى الحق و انصروني على هذا الأمر، و إن الأمير بالبصره - يومئذ - زياد بن عبيد قد استخلفه عبد الله بن عباس و قدم على علي (ع) إلى الكوفه يعزيه عن محمد بن أبي بكر قال: فقام إليه صحار فقال: إي و الذي له أسعى، و إياه أخشى لنصرتك بأسيافنا و أيدينا.

و قام المثنى بن مخربه العبدى (١) فقال: لا، و الذي لا إله إلا هو لئن لم ترجع إلى مكانك الذي أقبلت منه لناخذنك بأسيافنا و أيدينا و نبالنا و أسنه رماحنا، أنحن ندع ابن عم نبينا و سيد المسلمين و ندخل في طاعه حزب من الأحزاب طاغ! و الله لا يكون ذلك أبدا حتى نسير كتيبه إلى كتيبه و نفلق الهام بالسيوف.

قال: فاقبل ابن الحضرمي على صبره بن شيمان الأزدي (٢) فقال: يا صبره أنت رأس قومك و عظيم من عظماء العرب و أحد الطلبة بدم عثمان، رأينا رأيك، و رأيك رأينا، و بلاء القوم عندك في نفسك و عشيرتك ما قد ذقت و رأيت، فانصرتني و كن من دوني، فقال له: إن أنت أتيت فنزلت في داري نصرتك و منعتك، فقال: إن أمير المؤمنين معاويه أمرني أن أنزل في قومه من مضر، فقال: اتبع ما أمرك به. و انصرف من عنده.

و أقبل الناس إلى ابن الحضرمي فكثر تبعه ففزع لذلك زياد و هاله و هو في دار الاماره فبعث إلى الحضين بن المنذر (٣) و مالك بن مسمع (٤) فدعاهما فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنكم أنصار أمير المؤمنين و شيعته و ثقته و قد جاءكم هذا الرجل بما قد بلغكم فاجيروني حتى ياتيني أمر أمير المؤمنين و رأيي، فاما مالك بن مسمع فقال: هذا أمر لي فيه نظر، فارجع إلى من ورائي و انظر و أستشير في ذلك و ألقاك، و أما الحضين بن المنذر فقال: نعم، نحن فاعلون و لن نخذلك و لن نسلمك، فلم ير زياد من القوم ما يطمئن إليه.

فبعث إلى صبره بن شيمان الأزدي فقال: يا ابن شيمان أنت سيد قومك و أحد عظماء هذا المصر فان يكن فيه أحد هو أعظم أهله فأنت، أفلا تجيرني و تمنعني؟ و تمنع بيت مال المسلمين؟ - فإنما أنا أمين عليه، فقال: بلى، إن أنت تحملت حتى تنزل في داري منعتك، فقال له: إني فاعل فحمله ثم ارتحل ليلا حتى نزل دار صبره بن شيمان و كتب إلى عبد الله بن عباس، و لم يكن معاويه ادعى زيادا بعد لأنه إنما ادعاه بعد وفاه علي (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم للأمير عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد (سلام عليك)، أما بعد، فان عبد الله بن عامر الحضرمي أقبل من قبل معاويه حتى نزل في بني تميم، و نعى ابن عفان، و دعا إلى الحرب فبايعه جل أهل البصره فلما رأيت ذلك استجرت بالأزد بصبره بن شيمان و قومه لنفسى و لبيت مال المسلمين، فرحلت من قصر الاماره فنزلت فيهم و أن الأزد معي، و شيعة أمير المؤمنين من سائر القبائل تختلف إلى، و شيعة عثمان تختلف إلى ابن الحضرمي، و القصر خال منا و منهم، فارفع ذلك إلى أمير المؤمنين ليري فيه رأيه و يعجل على بالذى يرى أن يكون فيه منه، و السلام. قال: فرفع ذلك ابن عباس إلى علي (ع) فشاع في الناس بالكوفه ما كان من ذلك، و كانت بنو تميم و قيس و من يرى رأى عثمان قد أمروا ابن الحضرمي أن يسير إلى قصر الاماره حين خلاه زياد، فلما تهيأ لذلك و دعا له أصحابه ركب الأزد و بعثت إليه و إليهم: إنا و الله لا ندعكم تأتون القصر، فتتزلون به من لا نرضى و من نحن له كارهون حتى ياتي رجل لنا و لكم رضى، فأبى أصحاب ابن الحضرمي إلا أن يسيروا إلى القصر و أبث [ابعث] الأزد إلا أن يمنعوهم، فركب الأحنف فقال لأصحاب ابن الحضرمي: إنكم و الله ما أنتم بأحق بقصر الاماره من القوم، و ما لكم أن تؤمروا عليهم من يكرهونه، فانصرفوا عنهم، ثم جاء إلى الأزد فقال: إنه لم يكن ما تكرهون و لن يؤتى

إلا ما تحبون فانصرفوا - رحمكم الله -، ففعلوا.

و عن الكلبي أن ابن الحضرمي لما أتى البصره و دخلها نزل في بني تميم في دار سنبل(٥) و دعا بني تميم و أخلاط مضر، فقال زياد لأبي الأسود الدئلي:

أ ما ترى ما صنع أهل البصره إلى معاويه و ما في الأزدي مطمع، فقال: إن كنت تركتهم لم ينصروك و إن أصبحت فيهم منعوك، فخرج زياد من ليلته و أتى الأزدي و نزل على صبره بن شيمان فاجاره فبات ليلته فلما أصبح قال له صبره: يا زياد ليس حسنا بنا أن تقوم فينا مختفيا أكثر من يومك هذا، فاتخذ له منبرا و سريرا في مسجد الحدان(٦) و جعل له شرطا و صلى بهم الجمعة في مسجد الحدان.

و غلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصره و جباها، و اجتمعت الأزدي على زياد فصعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا معشر الأزدي أنتم كنتم أعدائي فأصبحتم أوليائي و أولى الناس بي، و إنى لو كنت في بني تميم و ابن الحضرمي فيكم نازلا لم أطمع فيه أبدا و أنتم دونه، فلا يطمع ابن الحضرمي في و أنتم دوني، و ليس ابن اكله الأكباد في بقيه الأحزاب و أولياء الشيطان بأدنى إلى الغلبه من أمير المؤمنين على في المهاجرين و الأنصار، و قد أصبحت فيكم مضمونا، و أمانه مؤداه، و قد رأينا وقعكم يوم الجمل فاصبروا مع الحق كصبركم مع الباطل فإنكم لا تحمدون إلا على النجده، و لا تعذرون على الجبن.

فقام شيمان أبو صبره و لم يكن شهد يوم الجمل، و كان غائبا، فقال: يا معشر الأزدي ما أبقت عواقب الجمل عليكم إلا سوء الذكر، و قد كنتم أمس على على (ع) فكونوا اليوم له و اعلموا أن إسلامكم جاركم ذلب.

ص: ٧٤

١- المثنى بن مخربه - كمرحله - العبدى من التوايين الذين خرجوا مع سليمان بن صرد في ثلاثمائة من أهل البصره ثم رجع بعد ذلك و دعا لبيعه المختار بن أبي عبيد في البصره و خرج معه (انظر تاريخ الطبرى ٦٦/٦ حوادث سنه ٦٦).

٢- صبره - بفتح الصاد المهمله و كسر ألباء - ابن شيمان الأزدي: كان رأس الأزدي يوم الجمل مع عائشه (الاصابه حرف الشين ق ٣ بترجمه شيمان بن عكيف).

٣- حضين - بضاد معجمه مصغرا - ابن المنذر الرقاشى - بتخفيف القاف - أبو محمد، و أبو ساسان حامل رايه أمير المؤمنين (ع) يوم صفين، دفعها إليه و هو ابن تسع عشره سنه مات على رأس المائة (انظر تقريب التهذيب و كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٢٥ و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد م ١/٤٩٥).

٤- مالك بن مسمع كان رايه مائلا إلى بنى أميه، و كان مروان لجا إليه يوم الجمل، و كان يأمر الناس بعد واقعه الطف بتجديد البيعه ليزيد بن معاويه (انظر تاريخ الطبرى ٥/١١٠ حوادث سنه ٣٨).

٥- فى الأصلين "سنبل" تصحيف قال فى تاج العروس فى ابن سنبل - بالكسر - و يقال بالصاد أيضا أحرق جاريه بن قدامه و هو من أصحاب على رضى الله تعالى عنه و خمسين رجلا من أهل البصره فى داره".

٦- الحدان - بالضم - إحدى محال البصره القديمه نسبه إلى حدان حى من العرب.

و خذلكم إياه عار، و أنتم حى مضماركم (١) الصبر و عاقبتكم الوفاء، فان سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم، و إن استمدوا معاويه فاستمدوا عليا، و إن وادعوكم فوادعوههم.

ثم قام صبره بن شيمان فقال: يا معشر الأزد إنا قلنا يوم الجمل: نمنع مصرنا، و نطيع أمنا، و نصر خليفتنا المظلوم، فانعمنا القتال و أقمنا بعد انهزام الناس حتى قتل منا من لا خير فينا بعده، و هذا زياد جاركم اليوم و الجار مضمون، و لسنا نخاف من على (ع) ما نخاف من معاويه، فهبوا لنا أنفسكم، و امنعوا جاركم، أو فأبلغوه مأمنه، فقالت الأزد: إنما نحن لكم تبع فأجبروه، فضحك زياد، و قال: يا صبره أ تخشون أ لا- تقوموا لبنى تميم؟ فقال صبره: إن جاءونا بالأ- حنف جئناهم بأبى صبره (٢)، و إن جاءونا بالحثات (٣) جئتهم أنا، و ان كان فيهم شباب ففينا شباب كثير فقال زياد: انما كنت مازحا.

فلما رأت بنو تميم أن الأزد قد قاموا دون زياد بعثت إليهم: أخرجوا صاحبكم و نحن نخرج صاحبنا فإى الأميرين غلب، على أو معاويه دخلنا فى طاعته و لم نهلك عامتنا، فبعث إليهم أبو صبره: إنما كان هذا يرجى عندنا قبل أن نجيره، و لعمري ما قتل زياد و إخراجة إلا سواء، و إنكم لتعلمون أنا لم نجره إلا تكرما، فالهوا عن هذا.

عن أبى الكنود (٤) أن شيبث بن ربيعى قال لعلى (ع): يا أمير المؤمنين ابعث إلى هذا الحى من تميم فادعهم إلى طاعتك و لزوم بيعتك، و لا- تسلط عليهم أزد عمان البعداء البغضاء فان واحدا من قومك خير لك من عشرة من غيرهم، فقال له مخنف بن سليم الأزدى (٥): إن البعيد البغيض من عصى الله، و خالف أمير المؤمنين و هم قومك، و إن الحبيب القريب من أطاع الله و نصر أمير المؤمنين و هم قومى واحدهم لأمر المؤمنين خير من عشرة من قومك، فقال أمير المؤمنين (ع): مه، تناهوا أيها الناس و ليردعكم الإسلام و وقاره عن التباغى و التهذى (٦)، و لتجتمع كلمتكم، و الزموا دين الله الذى لا- يقبل من أحد غيره، و كلمه الإخلاص التى هى قوام الدين، و حجه الله على الكافرين، و اذكروا إذ كنتم قليلا- مشركين متفرقين متباغضين فألف بينكم بالإسلام فكثرتم و اجتمعتم و تحاببتم، فلا تفرقوا بعد إذا اجتمعتم، و لا تباغضوا بعد أن تحاببتم، فإذا انفصل الناس و كانت بينهم الثائره (٧) فتداعوا إلى العشائر و القبائل فاقصدوا لهمهم (٨) و وجوههم بالسيوف، حتى يفرعوا إلى الله و كتابه و سنه نبيه، فاما تلك الحميه حين تكون فى المسلمين من خطرات الشيطان (٩) فانتهوا عنها - لا أبا لكم - تفلحوا و تنجحوا ثم إنه (ع) دعا أعين بن ضبيعه المجاشعى (١٠) فقال: يا أعين ما بلغك أن قومك وثبوا على عاملى مع ابن الحضرمى بالبصره يدعون إلى فراقى و شقاقى و يساعدون الضلال الفاسقين على؟! فقال: لا تستأ يا أمير المؤمنين و لا يكن ما تكره، ابعثنى إليهم فانا لك زعيم (١١) بطاعتهم و تفريق جماعتهم و نفى ابن الحضرمى من البصره أو قتله، قال: فاخرج الساعه، فخرج من عنده و مضى حتى قدم البصره، ثم دخل على زياد و هو بالأزد مقيم فرحب به و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له على (ع) و بما رد عليه، و ما الذى عليه رأيه قال: فو الله إنه ليكلمه و إذا بكتاب من أمير المؤمنين (ع) إلى زياد فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد: سلام عليك، أما بعد، فانى قد بعثت أعين بن ضبيعه ليفرق قومه عن ابن الحضرمى، فارقب ما يكون منه، فان فعل و بلغ من ذلك ما يظن به و كان فى ذلك تفريق تلك الأوباش (١٢) فهو ما تحب، و إن ترامت الأمور (١٣) بالقوم إلى الشقاق و العصيان فانفض بمن أطاعك إلى من عصاك، فجاهدهم فان ظفرت فهو ما ظننت، و إلا- فطاوعهم، و ما طلهم ثم تسمع بهم و أبصر (١٤) فكان كتائب المسلمين قد أظلت عليك فقتل الله المفسدين الظالمين، و نصر المؤمنين المحقين، و السلام.

فلما قرأه زياد، أقرأه أعين بن ضبيعه، فقال له أعين: إني لأرجوه أن تكفى هذا الأمر إن شاء الله، ثم خرج من عنده فاتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا قوم على م تقتلون أنفسكم و تهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار؟! و أنى و الله ما جئتكم حتى عبيت إليكم الجنود، فان تنيبوا إلى الحق يقبل منكم، و يكف عنكم، و إن أبيتم فهو و الله استئصالكم و بواركم.

فقالوا: بل نسمع و نطيع، فقال: انهضوا الآن على بركة الله، فنهض بهم إلى جماعه ابن الحضرمى، فخرجوا إليه مع ابن الحضرمى فصافوه (١٥) و واقفهم عامه يومه يناشدهم الله و يقول: يا قوم لا- تنكثوا بيعتكم و لا- تخالفوا إمامكم، و لا تجعلوا على أنفسكم سيلا فقد رأيتم و جربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم و خلافكم فكفوا عنه و لم يكن بينه و بينهم قتال و هم فى ذلك يشتمونه و ينالون منه، فانصرف عنهم و هو منهم منتصم.

ص: ٧٥

- ١- المضمار - هنا -: الغايه فى السباق.
- ٢- يقصد أباه.
- ٣- الحتات - بالضم - ابن زيد بن علقمه التميمى صحابى قال فى الاصابه فى حرف الحاء المهمله ق ١: " ذكره ابن إسحاق و ابن الكلبي و ابن هشام فيمن وفد من بنى تميم على النبي (ص).
- ٤- يمكن أن يكون أبا الكنود الوائلى الذى عدّه الشيخ فى رجاله فى باب الكنى من أصحاب أمير المؤمنين (ع) و سيأتى أبو الكنود الأزدي و لعله هو المراد هنا.
- ٥- مخنف - بكسر الميم و فتح النون - ابن سليم بن الحارث الأزدي الغامدى صحابى نزل الكوفه، و كان نقيب الأزدي بالكوفه، و استعمله على (ع) على مدينه أصفهان و شهد معه صفين، و كانت معه رايه الأزدي، و استشهد بعين الورد سنة ٦٥ مع التوابين، و هو جد أبى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم صاحب الأخبار و السير المشهور (انظر أسد الغابه ٣/٣٣٩).
- ٦- التباغى: ظلم بعضهم بعضا، و التهاذى: التكلم بغير المعقول لمرض و نحوه.
- ٧- الثائره: الضجه و الشغب، و فى ش "الثائره" و هى هيجان الشر.
- ٨- الهام - جمع هامه -: رأس كل شىء.
- ٩- الحميه: الأنفه و النخوه أى إذا كانت لغير الحق تكون من خطرات الشيطان.
- ١٠- أعين - بفتح الهمزه و الياء و السكون بينهما - ابن ضبيعه - بضم الضاد كجهينه - عدّه الشيخ فى رجاله من أصحاب أمير المؤمنين (ع) انتدبه أمير المؤمنين (ع) لقتال ابن الحضرمى لما دخل البصره فقتل غيله فأرسل مكانه جاريه بن قدامه السعدى (انظر الطبرى ١١١/٥ حوادث سنة ٣٨ و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد م ١/٣٥١).
- ١١- الزعيم: الكفيل.
- ١٢- الأوباش: سفله الناس و أخلاطهم.
- ١٣- ترامت - هنا -: بلغت.
- ١٤- أى ستمع و تبصر ما ذا يكون.

١٥- صافوه وقفوا أمامه صفا صفا، وواقفهم وقف أمامهم.

فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن أنهم خوارج فضربوه بأسيا فهم وهو على فراشه، ولا يظن أن الذى كان يكون، فخرج يشتد عريانا فلحقوه فى الطريق فقتلوه، فأراد زياد أن يناهض (١) ابن الحضرمى حين قتل أعين بجماعه من معه من الأزد وغيرهم من شيعة على (ع) فأرسلت بنو تميم إلى الأزد: والله ما عرضنا لجاركم إذ أجزتموه ولا لمال هو له ولا لأحد ليس على رأينا، فما تريدون إلى حربنا وإلى جارنا؟ - فكان الأزد عند ذلك كرهت قتالهم، فكتب زياد إلى على (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين فان أعين بن ضبيعه قدم علينا من قبلك بجد و مناقحه و صدق و يقين فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثهم على الطاعة و الجماعة، و حذرهم الفرقة و الخلاف، ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه فوافقهم عامه النهار، فهال أهل الضلال مقدمه و تصدع عن ابن الحضرمى كثير ممن كان معه يريد نصرته فكان كذلك حتى أمسى فاتى رحله فبيته نفر من هذه الخراجة المارقه فأصيب - رحمه الله - فأردت أن أناهض ابن الحضرمى عند ذلك فحدث أمر قد أمرت صاحب كتابى هذا أن يذكره لأمر المؤمنين، و قد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جاريه بن قدامه فإنه نافذ البصيره، مطاع فى العشيره، شديد على عدو أمير المؤمنين، فان يقدم يفرق بينهم باذن الله، و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته.

فلما جاء الكتاب و قرأه على (ع) دعا جاريه بن قدامه فقال: يا ابن قدامه تمنع الأزد عاملى و بيت مالى و تشاقتى مضر و تناذنى، (٢) و بنا ابتدأها الله بالكرامه، و عرفها الهدى، و تدعو إلى المعشر الذين حادوا (٣) الله و رسوله، و أرادوا إطفاء نور الله حتى علت كلمه الله و هلك الكافرون.

قال: يا أمير المؤمنين ابعتنى إليهم و استعن بالله عليهم، قال: قد بعثتك إليهم و استعنت بالله عليهم. قال كعب بن قعين: فخرجت مع جاريه من الكوفه إلى البصره فى خمسين رجلا- من بنى تميم ما كان فيهم يمانى غيرى، و كنت شديد التشيع قال: فقلت لجاريه: إن شئت سرت معك، و إن شئت ملت إلى قومى؟ فقال: بل سر معى و انزل منزلى، فوالله لو ددت أن الطير و البهائم تنصرنى عليهم فضلا من الإنس.

و عن كعب بن قعين أن عليا (ع) كتب مع جاريه بن قدامه كتابا فقال: اقرأه على أصحابك قال: فمضينا معه فلما دخلنا البصره بدأ بزياد فرحب به و أجلسه إلى جانبه، و ناجاه ساعه و ساء له، ثم خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال: احذر على نفسك و اتق أن تلقى مالقى صاحبك القادم قبلك، و خرج جاريه من عنده فقام فى الأزد، فقال: - جزاكم الله من حى خيرا - ما أعظم عناءكم و أحسن بلاءكم، و أطوعكم لأمركم، و قد عرفتم الحق إذ ضيعة من أنكره، و دعوتكم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه، ثم قرأ عليهم و على من كان معه من شيعة على (ع) و غيرهم كتاب علفاذا فيه: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصره من المؤمنين و المسلمين: سلام عليكم، أما بعد، فان الله حلیم ذو أناه لا يعجل بالعقوبه قبل البينه، و لا يأخذ المذنب عند أول وهله، و لكنه يقبل التوبه و يستديم الأناه و يرضى بالانابه ليكون أعظم للحجه و أبلغ فى المعذره، و قد كان من شقاق جلكم - أيها الناس - ما استحققتم أن تعاقبوا عليه ففوت عن مجرمكم، و رفعت السيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم، و أخذت بيعتكم، فان تفوا ببيعتى و تقبلوا نصيحتى، و تستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب و السنه و قصد الحق و أقم فيكم سبيل الهدى، فوالله ما أعلم أن واليا بعد محمد (ص) - أعلم بذلك منى و لا أعمل، أقول قولى هذا صادقا غير ذام لمن مضى و لا متقصا لأعمالهم، فان خطت بكم الأهواء المرديه و سفه الرأى الجائر (٤) إلى منابذتى تريدون خلافى، فهذا أنا

ذا قربت جيادى، و رحلت ركابى، (٥) و ايم الله لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعه لا يكون يوم الجمل عندها إلا كلعقه لاعتق، و إنى لظان أن لا تجعلوا - إن شاء الله على أنفسكم سيلا، و قد قدمت هذا الكتاب حجه عليكم، و لن أكتب إليكم من بعده كتابا إن أنتم استغششتم نصيحتى و نابذتم رسولى حتى أكون أنا الشاخص (٦) نحوكم إن شاء الله، و السلام.

فلما قرئ الكتاب على الناس قام صبره بن شيمان فقال: سمعنا و أطعنا، و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم أمير المؤمنين سلم، إن كفيت يا جاريه قومك بقومك فذاك، و أن أحببت أن ننصرك نصرناك، و قام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه و مضى نحو بنى تميم.

فقام زياد فى الأزد فقال: يا معشر الأزد إن هؤلاء كانوا أمس سلما فأصبحوا حربا، و إنكم كنتم حربا فأصبحتم اليوم سلما، و إنى و الله ما اخترتكم إلا على التجربه، و لا أقمت فيكم إلا على التأمل، فما رضيتم أن أجزتمونى حتى نصبتم لى منبرا و سريرا، و جعلتم لى شرطا و أعوانا، و مناديا و جمعه، فما فقدت بحضرتكم شيئا إلا هذا الدرهم لا أجبيه، فان لم أجبه اليوم أجبه غدا إن شاء الله، و اعلموا أن حربكم اليوم معاويه أيسر عليكم فى الدين و الدنيا من حربكم أمس عليا، و قد قدم عليكم جاريه بن قدامه و إنما أرسله على (ع) ليصدع أمر (٧) قومه، و الله ما هو بالأمير المطاع و لا المغلوب المستغيث، و لو أدرك أمله فى قومه لرجع إلى أمير المؤمنين أو لكان لى تبعا و أنتم الهامه العظمى و الجمره الحاميه فقدموه إلى قومه فان اضطر إلى نصركم فسيروا إليه إن رأيتم ذلك.

فقام أبو صبره بن شيمان فقال: يا زياد إنى و الله لو شهدت قومى يوم الجمل رجوت أن لا يقاتلوا عليا و قد مضى الأمر بما فيه، و هو يوم بيوم، و أمر بامر، و الله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسيئ، و التوبه معه.

ص: ٧٦

- ١- يناهض: أى ينهض لحربهم.
- ٢- المشاقه: المخالفه و المعاداه، و المنايذه: المفارقه عن عدواه.
- ٣- المحاده: المعاداه و المغاضبه.
- ٤- خطت: تجاوزت، و المرديه: المهلكه، و سفه: ضعف و الجائر: المائل عن الحق.
- ٥- الجياد: الخيل، و الركاب: قربتها: أدنيتها، و رحلتها، شددت الرحال عليها، و الكلام كناية عن الاستعداد و التهيؤ.
- ٦- شخص إلى البلد: ذهب إليه.
- ٧- صدع الأمر: كشفه و بينه.

الحق و العفو مع الندم، و لو كانت هذه فتنه لدعونا القوم إلى إبطال الدماء، و استئناف الأمور و لكنها جماعه دماؤها حرام و جروحها قصاص، و نحن معك فقدم هواك نحب لك ما أحببت.

فعجب زياد من كلامه و قال: ما أظن في الناس مثل هذا.

ثم قام صبره ابنه فقال: إنا و الله ما أصبنا بمصيبة في دين و لا- دنيا كما أصبنا أمس يوم الجمل، و إنا لنرجو اليوم أن نمحص ذلك بطاعه الله و طاعه أمير المؤمنين، و أما أنت يا زياد فو الله ما أدركت أملكك فينا و لا أدركنا أملنا فيك دون ردك إلى دارك، و نحن رادوك إليها غدا إن شاء الله تعالى، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا، فانك إن لم تفعل تأت ما لا يشبهك، و إنا و الله نخاف من حرب على في الآخرة ما لا نخاف من حرب معاويه في الدنيا، فقدم هواك و أخر هوانا، فنحن معك و طوعك.

ثم قام جيفر العماني و كان لسان القوم فقال: أيها الأمير إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا لم نرض لك ذلك من أنفسنا، و لو رضينا لك كنا قد خناك لأن لنا عقدا مقدما و حمدا مذكورا، سر بنا إلى القوم إن شئت، و ايم الله ما لقينا يوما قط إلا اكتفينا بعفونا دون جهدنا إلا ما كان أمس.

فلما أصبحوا أشارت الأزدي إلى جاريه أن سر بمن معك، و مضت الأزديزياد حتى أدخلوه دار الاماره. و أما جاريه فإنه كلم قومه و صاح فيهم فلم يجيبوه و خرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه و أسمعوه، فأرسل إلى زياد و الأزدي يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه ثم ساروا إلى ابن الحضرمي و خرج إليهم ابن الحضرمي و على خيله عبد الله بن خازم السلمى فاقتتلوا ساعه فاقبل شريك بن الأعور الحارثي و كان من شيعه على (ع) و صديقا لجاريه بن قدامه و على رأى على (ع) فقال: أ لا أقاتل معك عدوك؟ فقال: بلى.

قال: فما لبثت بنو تميم أن هزموهم، و اضطروهم إلى دار سنبل السعدى فحصرهم ذلك اليوم إلى العشى في دار ابن الحضرمي، و كان ابن خازم معه فجاءت أمه و هى سوداء حبشيه اسمها عجلي فنادته فأشرف عليها، فقالت:

يا بنى انزل إلى، فأبى، فكشفت رأسها و أبدت قناعها، و سألته النزول، فقالت: و الله لئن لم تنزل لأتعرين، و أهوت بيدها على ثيابها، فلما رأى ذلك نزل فذهبت به، و أحاط جاريه و زياد بالدار، و قال جاريه: على بالنار، فقالت الأزدي: لسنا من الحريق بالنار فى شىء و هم قومك و أنت أعلم، فحرق جاريه الدار عليهم، فهلك ابن الحضرمي فى سبعين رجلا أحدهما عبد الرحمن بن عمير ابن عثمان القرشى ثم التيمى، و سمى جاريه منذ ذلك اليوم: محرقا، فلما أحرق ابن الحضرمي و سارت الأزدي زياد حتى أوطنوه قصر الاماره و معه بيت المال قالت له: هل بقى علينا من جوارك شىء؟ - قال:

لا، قالوا: فبرئنا من جوارك؟ - قال: نعم، فانصرفوا عنه إلى ديارهم، و استقام لزياد أمر البصره، و ارتحل بيت المال حتى رجع إلى القصر.

و قال أبو العرنديس العوذى(1) فى زياد و تحريق ابن الحضرمي:

رددنا زيادا إلى داره و جار تميم ينادى الشجب(٢)

. لحا الله قوما شووا جارهم و للشاء بالدرهمين الشصب

(٣)

ينادى الحباق و حمانها و قد حرقوا رأسه فالتهب

(٤) عن محمد بن قيس(٥) عن ظبيان بن عماره(٦)، قال: دعاني زياد فكتب معي إلى علي (ع): أما بعد فان جاريه بن قدامه العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره و أعانه من الأزدي ففضه و اضطره إلى دار من دور البصره في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله بينهما، فقتل الحضرمي و أصحابه! منهم من أحرق بالنار، و منهم من ألقى عليه الجدار، و منهم من هدم عليه البيت من أعلاه، و منهم من قتل بالسيف و سلم منهم نفر أنابوا و تابوا فصفح عنهم. بعدا لمن عصي و غوى، و السلام على أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته.

فلما وصل كتاب زياد قرأه علي (ع) على الناس فسر بذلك و سر أصحابه و أثنى على جاريه و على الأزدي.

جعفر بن محمد القطاع.

هو أبو الحسن جعفر بن محمد القطاع المعروف بالسديد البغدادي، سكن محله قراح ظفر ببغداد المعروفه اليوم بمحله الطوب، و كانت له معرفه تامه بالكلام على رأى المعتزله و المنطق و الهندسه، و اطلاع على علوم الأوائل و أقوالهم و مذاهبهم، و له يد طويله فى قسمه الدور و عماراتها، و يناظر فى الكلام، رتب مهندسا فى ديوان الأبنيه للقسمه و الهندسه، و كان متظاهرا بالتشيع، توفى يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر سنه ٦٠٢ ببغداد و دفن فى داره بمحله قراح ظفر و قد جاوز السبعين.

الشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال جدى فى اللؤلؤه: لم أقف للشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى على شىء من المصنفات. و قد توفى فى حيدرآباد فى السنه الثامنه بعد الألف، و كان منهلا عذبا للوارد، لا يرجع القاصد إليه إلا بالمطلوب و المراد.

و للشيخ عيسى بن صالح عم جدى الشيخ إبراهيم قصيده فى مدحه. إلى أن قال: و بعد موته كان القائم مقامه فى تلك البلاد الشيخ الزاهد العادل الشيخ أحمد بن صالح الدرازى من آل عصفور.

و نحن نقل هذه الترجمة لتؤكد على استمرار الهجره العلميه من البحرين،

١- العوذى - بالذال المعجمه - نسبه إلى العوذ بطن من الأزد و اسم العوذى هذا عمرو بن العرندس - كما فى تاريخ الطبرى ١١٢/٥ حوادث سنه ٣٨.

٢- الشجب: الهلاك

٣- لحاهم الله: لعنهم و قبحهم، و الشصب: السلخ، و فى ش "لعمرى لبئس الشواء الشصب".

٤- الحباق - بكسر الحاء المهمله لقب قوم من بنى تميم، و حمان - بالكسر - و التشديد -: قبيله من تميم و روى الطبرى تتمه لهذه الأبيات: و نحن أناس لنا عادهنحامى عن الجار أن يغتصب حميناه إذ حل أبياتناو لا يمنع الجار إلا الحسب و لم يعرفوا حرمه للجوار إذ أعظم الجار قوم نجب كما فعلوا قبلنا بالزبير عشيه إذ بره يسلب

٥- محمد بن قيس مردد بين محمد بن قيس الهمدانى الكوفى و محمد بن قيس اليشكرى البصرى (انظر ميزان الاعتدال ١٦/٤ و ١٧).

٦- ظبيان بن عماره عدّه الشيخ فى رجاله من أصحاب أمير المؤمنين (ع) و هو من الرواه عنه (ع) - كما فى ميزان الاعتدال ٣٤٨/٢، و لهذا الرجل مواقف مشهوره يوم صفين (انظر صفين لنصر بن مزاحم ص ١٧٢ و ص ١٩٢).

كما من جيل عامل. و ليرى القارئ أن من يموت مهاجرا لا بد أن يحل محله مهاجر آخر.

الدكتور جواد على.

ولد في الكاظميه (العراق) سنة ١٩٠٧ م و توفي سنة ١٩٨٧ م (١٤٠٨ هـ) بعد مرض عضال:

تلقى تعليمه في بغداد ثم في ألمانيا حيث حصل على الدكتوراه في التاريخ العربي سنة ١٩٣٨ م من جامعه همبورغ.

تولى أمانه لجنة التأليف و الترجمة و النشر التي كانت نواه المجمع العلمي العراقي الذي أنشئ سنة ١٩٤٧ فأصبح عضوا فيه و أميناً له.

و قد نعاه الجمع بهذا النص: إنه بوفاه الدكتور جواد على خسر البحث العلمي علما كرس حياته للبحث المتعمق و العمل في كشف المجهول و إجلاء الغوامض و الإنتاج العلمي الرصين في ميدان التاريخ العربي، و فقد المجمع ركيزه من دعائمه بما أسهم فيه من أعمال علميه، و ما تحلى به من جديه و اتزان و حرص على أداء الواجب، و خلق رضى اتسم بحب الخير و التعاون، و الأسهم المخلص بكل عمل علمي بناء.

و يعد الدكتور جواد على أحد أبرز المؤرخين في العصر الحديث الذين أثروا المكتبة العربية بمجموعه قيمه من البحوث و الدراسات الأدبيه و التاريخيه الرصينه و منها: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، التاريخ العام، تاريخ العرب في الإسلام، موارد تاريخ الطبري، موارد تاريخ المسعودي، الحمادون، الشعر الجاهلي و لغه القرآن الكريم، سلسله بحوث عن التاريخ في اليمن القديم، سلسله بحوث عن تطور العربية.

و قد ركز جهوده على تاريخ العرب قبل الإسلام، فاستوعب مصادره و ما كتب فيه في العربية و غيرها، و نظر فيه نظرات ثاقبه، و كانت ثمره ذلك تاريخه الشهير الذي جاء في عشر مجلدات ضخمة تعد مرجعا أساسيا لكل باحث.

كما أولى اهتماما خاصا للعربية القديمه و تاريخ اليمن قبل الإسلام، و استوعب في ذلك النقوش و الكتابات القديمه، و أعد معجما للغه السبئيه.

و من مؤلفاته التي كانت معدة للطبع عند وفاته: معجم ألفاظ المسانيد.

جويره أم حكيم ابنه خالد بن قارظ الكنانيه:

أرسل معاويه إلى الحجاز و اليمن بسر بن أرطاه و كان مما أوصاه به: اقتل شيعه على حيث كانوا. و اطرده الناس، و أخف من مررت به، و انهب أموال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن يدخل في طاعتنا، و أرهب الناس منك فيما بين المدينه و مكه.

إلى آخر ما أوصاه.

و كان عبيد الله بن العباس والي على اليمن قد هرب من صنعاء لما بلغه قدوم بسر، و جعل ابنيه عند رجل من بني كنانه، و

أمهما جويريه أم حكيم ابنه خالد بن قارظ الكنانية، فمر بسر ببني كنانه فلما انتهى إليهما أراد أن يقتلهما، فلما رأى ذلك الكناني دخل بيته وأخذ السيف وخرج إليه، فقال بسر: ثكلتك أمك، والله ما كنا أردنا قتلك، فلم عرضت نفسك للقتل؟ فقال: نعم أقتل دون جاري أعذر لي عند الله والناس، ثم شد عليهم بالسيف حاسرا وهو يقول:

آليت لا يمنع حافات الدارو لا يموت مصلتا دون الجار

إلا فتى روع غير غدار

فضارب بسيفه حتى قتل وقدم بسر الغلامين فذبجهما، فخرج نسوه من بني كنانه، فقالت امرأه منهن: هذه الرجال تقتلها فعلا م تقتل الولدان؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية ولا في الإسلام، والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الضرع الضعيف والمدرهم الكبير (١) لسلطان سوء.

وقالت جويريه أم الغلامين:

ها من أحس بابني الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

ها من أحس بابني الذين هما سمعى وقلبي فقلبي اليوم مختطف

ها من أحس بابني الذين هما مخ العظام فمخى اليوم مزدهف (٢)

نبئت بسرا و ما صدقت ما زعموا من قتلهم و من الإفك الذى اقترفوا

أودى على ودجى ابني مرهفه مشحوذه و كذاك الإثم يقترف

من دل واله حرى مسلبه على صبيين ضلا إذ مضى السلف

و كان الذى قتل بسر فى وجهه ذاهبا و راجعا ثلاثين ألفا. و حرق قوما بالنار. و فى ذلك يقول الشاعر يزيد بن مفرغ من أبيات:

إلى حيث سار المرء بسر بجيشه فقتل بسر ما استطاع و حرقا

الشيخ حبيب بن قرين:

كان أحد مراجع التقليد فى الأحساء فى عصره، و هو الشيخ حبيب بن صالح بن على بن صالح بن محمد بن محسن بن على القرينى الأحسائى المعروف - (الشيخ حبيب بن قرين)، أصله من قرية (القرين) - إحدى قرى (الأحساء) الشماليه - و لهذا يقال له (القرينى) و (ابن قرين).

كان آباؤه و أجداده جلهم من العلماء الفضلاء، و بيته بيت علم و شرف، و جده الثالث الشيخ محمد بن الشيخ محسن القرينى، كان أحد كبار العلماء فى عصره و هو من أساتذة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى كما جاء فى (جوامع الكلم) ج ٢، ص

و من تلك السلالة الطيبه ولد الشيخ حبيب، و كانت ولادته فى قريه (كردلان) من نواحي (البصره) حدود سنه ١٢٧٥ هـ، و فى تلك القريه تربى و قضى أيامه الأولى تحت رعايه والديه و أسرته الكريمه.

و كانت دراسته العلميه فى النجف الأشرف على يد علمائها آنذاك أمثال شيخ الشريعه الأصفهاني و غيرهه، و قد أجزى من عدد من أولئك الأعلام درايه و روايه منهم: أستاذه شيخ الشريعه الأصفهاني و الشيخ محمد عبد الله آل عيثان و السيد ناصر السيد هاشم الأحسائي و غيرهم.

و حين أكمل دراسته العلميه فى النجف الأشرف، عاد إلى مسقط رأسه (كردلان) و أصبح فى تلك النواحي مرجع تقليد لعدد كبير من المؤمنين لا- سيما الأحسائيين المقيمين هناك و بقى فى (كردلان) حتى توفى فى الأحساء السيد ناصر السيد هاشم الأحسائي سنه ١٣٥٨ هـ، فرجع معظم أهل الأحساء فى

ص: ٧٨

١- الضرع بفتح الضاد و كسر الراء: الواهن الضعيف. و المدرهم: الذى تساقط من الكبر.

٢- مزدهف: ذهب به.

تقليدهم إلى الشيخ حبيب حتى وافاه الأجل المحتوم في الأحساء سنة ١٣٦٣ هـ.

رحلته إلى الأحساء

تعد رحله الشيخ إلى الأحساء رحله مهمه لها آثارها في نفوس المؤمنين هناك و لا يزال يتذكرها كبار السن ممن عاصروها.

لقد عاشت الأحساء بعد رحيل السيد ناصر الأحسائي فراغا كبيرا في الزعامه الدينيه و المحور القيادي رغم وجود عدد من العلماء هناك، لكن المؤمنين و الأفاضل من أهالي الأحساء لم يجدوا من يسد ذلك الفراغ الكبير سوى الشيخ (ابن قرين) فوقع اختيارهم عليه و كان السيد ناصر في حياته كثيرا ما يرجع مقلديه في المسائل الاحتياطيه إليه - على ما نقل -.

و طلبه أهل الأحساء و بعد ثلاث سنوات من الانتظار وافق على تلبيه الطلب، و غادر البصره متوجها إلى الأحساء بقصد التوطن فيها، و وصل إلى الأحساء في أوائل عام ١٣٦١ و احتفى الأحسائيون بمقدمه. و لم يطل الأمر أكثر من سستين إذ وافاه الأجل سنة ١٣٦٣ فدفن في مدينه الهفوف، و رثاه الشعراء بقصائدهم فمن ذلك قصيده للشيخ فرج آل عمران منها:

لبس العلم الأسي بردا قشيبا و تجلى كاسف اللون كثيبا

راقيا في متدى الحزن على منبر التابين يدعو (وا حيبيا)

وا حيبيا كان لى نورا به اكشف الجهل إذا غطى القلوبا

و قصيده للشاعر ياسين الرمضان منها:

شمس الشريعه و المنير بافقتها و هو الدليل لمن أراد دليلا

مصدق معنى الاجتهاد و سره يستنبط الأحكام و التنزيلا

إيها حبيب الله يا مولى الورى سيدوم حزنك فى الزمان طويلا

و لا بد أن نشير هنا إلى الاختلاف الواقع فى تاريخ وفاه المترجم ففى (الذريعه) ج ٢٤ ص ٢٣٤ ذكر أنه توفى سنة ١٣٦٤ هـ، و فى (دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه) ج ٣ ص ١٠٢ قال الدكتور الفضلى إنه توفى عام ١٣٦٧ هـ و الصحيح أن وفاته كانت سنة ١٣٦٣ هـ - كما أثبتناه - نص على ذلك المتتبع الثبت الشيخ فرج العمران - أحد المعاصرين للشيخ حبيب - فى (الأزهار الأرجيه) ج ٢ - ص ٧، كما نص على ذلك أيضا المؤرخ الحاج محمد على التاجر البحرانى فى (منتظم الدرین) المخطوط.

له من المؤلفات:

١ - نعم الزاد ليوم المعاد، رساله عمليه طبعت فى النجف.

٢ - حواشى متفرقه على بعض الكتب.

الشيخ حرز بن علي بن حسين محمود العسكري السهراني الأوالي:

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

المعتصم بربه العلي العالی، هكذا وجدت في كتاب صنفه في مقتل الامام علي بن أبي طالب (ع)، و هو من فضلاء أوال و من بقيه أهل الكمال، نحوى بيانى متكلم ربانى، أخذ الفقه عن علماء عصره و تصدر للافتاء في مصره و له مناقب عظيمه و فضائل كريمه، و هو من شيوخ الإجازات و له بعض الرسائل، مات قدس سره سنة ١١١١.

الشيخ حسن بن الشيخ حسين

من آل عصفور قال في تاريخ البحرين:

قال صدر الدين الحسيني في تاريخ فارس في ذكر علماء هذه الطائفة الذين سكنوا في خليج فارس: و منها علامه الدهر و ناموس العصر و هو من أعيان علمائنا و مشاهير فضلائنا، متقنا لعلم الحديث النبوى و ما يتعلق به، عارفا بالنحو و اللغة، برع في الفقه و الأصول، جمع بين المعقول و المنقول، تفقه على أبيه الشيخ حسين العلامه في البحرين، ثم انتقل إلى بلدتنا بوشهر، و بوجوده نظمت بلاد العجم، قال العلامه ميرزا محمد النيشابورى في كتاب إجازات مشايخه: و قد أجازنى لسان العصر سيد الوقت المنسلخ عن الهياكل الناسوتيه، و المتوصل إلى السبحات اللاهوتيه، العارف الربانى، و العالم الصمدانى الشيخ حسن البحرانى نجل المرحوم المبرور، أمين الشريعة و مفتخر الشيعة سيدنا و أستاذنا الشيخ حسين العلامه من آل عصفور، و هو يروى عن أبيه، و هو عن عمه صاحب الحدائق، إلى أن قال: و من نظر في كتبهم و كثره مصنفاتهم و تحقيق مقالاتهم عرف مقدارهم و استحسنت آثارهم. و تشرفت بخدمته في أصبهان (انتهى كلامه). و قال العارف الربانى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي و ممن أجازنى من علماء البحرين الشيخ حسن البحرانى نجل المقدس المبرور الشيخ حسين الدرازى من آل عصفور، كان إماما عالما، يلتقط الدرر من كلمه، و يتناثر الجوهر من حكمه، يصلح المذنب القاصى عند ما يلفظ، و يتوب الفاسق العاصى حين ما يعظ، يصدع القلب بخطابه، و يجمع العظام النخره بجنابه، لو استمع له الصخر لانفلق، و الكافر الجحود لآمن و صدق، و كان طلق الوجه، دائم البشر، و حسن المجالسه مليح المحاوره، و لم يزل على قوه حاله حتى انتفع به الناس على اختلاف طبقاتهم، و انتشر صيته و كثرت أتباعه في أقطار الأرض، و شهد له علماء وقته بأنه الامام المفرد كحجه الإسلام السيد محمد باقر الأصفهاني فقال قدس سره: إنى لأعلم أن لكل وقت صمدا، و إنك و الله صمد هذا الوقت، فتوفى قدس سره سنة ١٢٦١ و له من التصانيف رساله في الفقه، و شرح لطيف على أرجوزه أبيه في علم الكلام و أجوبه مسائل البلدان، و غير ذلك ممن شاع و داع ثم ضاع، و ضريحه الشريف في بيته المشهور بالمجلس يزار و يتبرك به، و لأهل بوشهر بقبره اعتقاد عظيم، و له من الأولاد الشيخ أحمد و هو لم يكن من العلماء و لذا لم أذكره.

و نحن كما قلنا من قبل نلتزم نقل نصوص (تاريخ البحرين) كما هي لتكون صورته واضحه عن ذاك العصر و أساليب كتابه و طريقه تفكيرهم و اتجاه آرائهم.

ولد سنة ١٢٧٨ في مدينة النجف الأشرف، حيث تربى في ظل والده، ثم توفي عنه والده الذي كان يتولى أمره (في مدينة النجف الأشرف)، و هو في بدايه عمر الشباب فعاد إلى بلده: القطيف.

و أكمل دراسته العلميه على يد الشيخ محمد النمر، المتوفى سنة ١٣٤٨،

ص: ٧٩

١- السيد هاشم الشخص.

و الشيخ عبد الله بن الشيخ ناصر أبو السعود المتوفى سنة ١٣٤١.

و ينقل الشيخ فرج فى كتابه (الأزهار الأرجيه): (أن الشيخ أصيب فى أول دور من أدوار حياته - الشباب - بكوارث و رزايا، و لكن بالرغم من صغر سنه آنئذ، فهى لم تؤثر على عزمته الماضيه.

و على الرغم من الظروف المعيشيه القاهره فى ذلك الوقت، إلا- أن فكره العوده إلى النجف ظلت تراوده، و هناك قطع شوطا علميا طويلا فطالبه عمه بالعوده إلى الوطن. و عاد فتره و جيزه تزوج بعدها و سافر إلى حج بيت الله الحرام، و من هناك توجه مره أخرى إلى النجف ليواصل طلب العلم، فدرس لدى كبار العلماء، منهم: المحقق الخراسانى، و الشيخ محمد طه نجف، و الشيخ ملا هادى الطهرانى.

استمر فتره يتولى التدريس و أجز من كل من: الشيخ فتح الله، المعروف بشيخ الشريعه الأصفهانى، و الشيخ المازندرانى و الشيخ محمد تقى آل أسدآبادى. و الشيخ محمد كاظم الخراسانى. و الشيخ عبد الله [و] الشيخ محمد تقى أسد الله الدزفولى.

و من تلاميذه: الشيخ حسين الشيخ على القديحى و الشيخ منصور على المرهون و غيرهم.

ثم سافر إلى الهند لعلاج عينه، و أقام بها بضعه شهور فى مدينه (حيدرآباد)، و (لكنو) و هناك حاول بعض المسيئين حينها التعرض بسوء للشيخ، فعاد إلى النجف و فى سنه ١٣٢٩ (١٩١٢ م) هاجمت القوات الايطاليهطرابلس الغرب فى ليبيا فبادر إلى الإعلان عن سخطه لهذا الانتهاك لحرمت المسلمين، و طبع رساله على شكل كتاب تحت عنوان: (دعوه الموحدين إلى حمايه الدين)، دعا فيها إلى الجهاد، و حمل السلاح ضد الغزاه، و قد فرغ من تصنيفها كما جاء فى كتاب (الأزهار الأرجيه) فى ٢٥ شوال من نفس العام و طبعت بتاريخ ٢٨ ذى القعدة من العام ذاته.

مؤلفاته:

١ - وسيله المبتدئين إلى فهم عبائر المنطقيين.

٢ - حاشيه على تهذيب المنطق.

٣ - شرح مبسوط غير تام.

٤ - حاشيه على فرائد الأصول، و هى تحليل رسائل الشيخ الأنصارى.

٥ - حاشيه على كفايه الأصول، و هى تحمل غوامض الكفايه للمحقق الخراسانى.

٦ - رساله و جيزه فى مسأله أصوليه.

٧ - رساله فى أحكام المكاسب و التجاره، وفق آراء أستاذه الخراسانى.

٩ - روح النجاه و عين الحياه، و هى رسالته لمقلديه على ضوء فتاوى الشيخ محمد كاظم الخراسانى طبعت سنه ١٣٢٧.

١٠ - ذكرى الشيخ محمد بن ناصر آل نمر القطيفى العوامى. و غير ذلك من الرسائل.

شعره:

له قصائد كثيره فى رثاء أهل البيت (ع) فمن قصيده مطلعها:

و من ينظر إلى الدنيا بعين بصيره يجدها أغاليطا و أضغاث حالم

و يوقظه نسيان ما قبل يومه إلى أنها مهما تكن طيف نائم

و لكنها سحاره تظهر الفنا بصوره موجود بقالب دائم

و لا فرق فى التحقيق بين مريها و ما يدعى حلوا سوى وهم واهم

فكيف بنعماها تغر أبا حجي فيقرع إن فانت لها سن [من] نادم

و هل ينبغى للعارفين ندامه على فانت غير اكتساب المكارم

على قدر بعد المرء منها ابتعاده عن الروح و اللذات ضربه لازم

إلى أن يقول بعد أن يصف المصيبه فى واقعه كربلاء:

فما بال قومي لاعدمت انعطافهم و كانوا أباه الضيم ماضى العزائم

أعارونى الصما فلم يسمعوا النداء و قروا ألم يدروا بانى بلا حمى

أعيدكم أن لا يغاث صريخكم بغير قطع السوط من كف ظالم

أعيدكم أن لا يجاب دعاء من دعاكم بغير السب أو لطم لاطم

أعيدكم أن يستباح حريمكم و تسبى نساكم [نساءكم] فوق عجب الرواسم

أعيدكم أن يستنصام نزيلكم فتغضون ما ذا شان أبناء هاشم

أيرضى إباكم أن يروم مبيعنا يزيد و لم يعطب بقطع الغلاصم

أ يرضى إياكم أنها كلما دعت بكم روعت بالسوط فوق المعاصم

وفاته:

توفى فى مدينه الكاظميه بالعراق سنه ١٣٣٤ هـ، بعد الاحتلال البريطانى للعراق.

و لم تكن وفاته طبيعيه، بل كانت فى موقف تاريخى. فبعد الاحتلال البريطانى للبصره و الزحف نحو بغداد سنه ١٩١٤ م، نادى علماء الدين و المراجع الكبار بوجوب القيام ضد الاحتلال الأجنبى، و وقعت معارك ضاربه و لأن الشيخ كان حينها من العلماء البارزين فخطب فى محفل من الناس خطبه حماسيه ملؤها الأسف و الحزن على أمته.

و لم ينته من كلامه.. حتى لفظ نفسه الأخير،.

و دفن فى روضه الإمامين الكاظم و الجواد فى مدينه الكاظميه.

تأبينه:

و قد ابنه عدد من العلماء و الشعراء بعد سنوات من وفاته.

فقد ذكره الشاعر الملا على بن رمضان فى قصيدته المشهوره التى مطلعها:

يا خطى يا وطن الكرام ألا اسمعى ما ذا يقول فتاك ذاك الألمعى

كم قد شرفت بساده و أماجد من حجه للمسلمين و مرجع

إلى أن يقول فى الشيخ:

و الحجه الحسن العلى البشر رب الفقه و الشعر، الهزير اللوذعى

و ابنه الشيخ عبد الحميد الخطى فى قصيده طويله، بعنوان (ذكرى فقيد العلم و الحق) جاء فيها:

و دعوتك (١) العصماء أس بنائه و لولاك لم ترفع إليه المناير

قضيتها شبت بحجر ك يافعا و أنت لها حام و أنت مناصر

و لما رأيت الخصم أوغل في الحمى دوى صوتك العالى كأنك خادر

ترقص أضلاع المناير داعيا (٢) و تبعثهم و العزم فى القوم خائر

و مت شهيد الحق تحت لوائه و إن لم توزعك القنا و البواتر

و كل فتى يجزى على قدر [قدر] صنعه ستشكر ك الأجيال و الدكر عاطر

كما ابنه الشيخ على بن الشيخ منصور المرهون فى عام ١٣٦٢ هـ، فى قصيده بعنوان (تدور عليك رحي الكائنات) جاء فيها:

بكاك الهدى يا حسام الهدى و كنت على حفظه تسهر

و عج لفقذك دين النبى و زمزم و البيت و المشعر

عليك تدور رحي الكائنات و أنت لها القطب و المحور

فهذى المحاريب تبكى أسى و هذى طروسك و المزير

و ابنه أيضا الشيخ فرج العمران بقصيده تحت عنوان (دمعه الشرق) جاء فيها:

أيها البدرى و البدر الذى مد تسامى الغرب (٣) قد أبدى غروبا

من بأفق العلم يبدو كوكبا و ظلام الجور قد عم الشعوبا

من باوج العلم يسمو شرفا و حجاب الجهل قد غطى القلوبا

و بنو التوحيد من يحفظهم و أفاعى الشرك قد دبت دييبا

غبت يا بدر سما العلم و ما فى ضمير العلم يوما أن تغيبا

الحسن بن محمد الوزير المهلبى

مرت ترجمته فى الصفحة ٢٢١ من المجلد الخامس و نشر هنا دراسه عنه بقلم: جابر عبد الحميد الخاقانى:

الاسم و النسب

هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب (القائد العربي) بن أبي صفرة.

و يستمر هذا النسب حتى يصله بمازن بن الأزد العتكى، أو أزرد (دبا) كما يسميهم ابن خلكان.

و قد انسابت شخصيه المهلب بن أبي صفرة فيمن أنجب من أبناء ثم من أحفاد.. و هكذا. و لذا أنت واجد غير واحد ممن تلقب بالمهلبى و انتسب إلى ابن أبي صفرة قد دخل التاريخ من أكثر من باب، و بين يديك كتب التاريخ شهيده على ذلك.

ولادته:

فى بصره المهلب من سنه إحدى و تسعين و مائتين، ولد أبو محمد، حسب ما يذكر جل من أرخ له باستثناء ابن الجوزى إذ أنه يفهم من كلامه - حين يقدر عمره بأنه عاش أربعاً و ستين سنه، و حين ذاك، تكون ولادته سنه ثمان و ثمانين و مائتين فى رأى الجمهور و سبع و ثمانين و مائتين فى رأى ابن الجوزى.

نشاته و تعلمه:

لا نملك ما يحدثنا عن تلك النشأه، كما أننا لم نستطع معرفه الاساتذه الذين تلمذ لهم، غير أن متناثر شعره، و أخباره، تكشف عن أنه كان ملماً إماماً حسناً بمعارف عصره، و كان مزيداً إلى ذلك، يتقن الفارسيه و يفصح بها. و قد أعانته كثيراً فى الاطلاع على رسوم الفرس فى الشؤون التنظيميه المتعدده.

حياه الحرمان:

فى شعر المهلبى قطعه قوامها أربعة أبيات، أخذها الناس و حاكوا حولها ما وسعهم الخيال، و الأبيات هى:

ألا موت يباع فاشتره فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موت لذيد الطعم ياتى يخلصنى من العيش الكريه

إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت أو أننى مما يليه

ألا زحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاه على أخيه

و ذكروا فى سبب نظمها أن المهلبى مر بالبصره، و اشتهى (لحماً) و لما لم يقدر على دفع ثمنه، تمنى ما تمنى..

و قد صور الحرمان الذى عاشه، اعتماداً على هذا النص.

و الحقيقه أن هذا التفسير غير مقبول، لأن المهلبى اشتغل عاملاً للحكم العباسى سنه خمس و عشرين و ثلاثمائة، و هو قبل هذا التاريخ كان متصلاً بالحكم من قريب أو بعيد.

و الزمن المناسب لمثل تلك الحاجه هو قبل التاريخ المذكور، ففي شعره ما يؤكد أنه كان يستعين على تمشيه أمورهِ بالقرض من أعيان أهل البصره.

و لكن الذى يجد من يقرضه فى مدينه كل أهلها يحترمون به أسرته، و يقدرّون له مكانته، لا يمكن أن نتصوره بالشكل الذى صورهُ لنا هذا المؤرخ.

لا سيما أنه كان - فى فتره إقامته بالبصره، و قبل الاتصال بالحكم - مقصد الطالبين. جاءه رجل - مره - و هو فى البصره، و قد تعذر عليه أن يمد له يد العون، فكتب له رقعهُ فيها:

الجود طبعى، و لكن ليس لى مال و كيف يصنع من بالقرض يحتال

فهاك خطى فخذهُ منك تذكرهُ إلى اتساع فلى فى الغيب آمال

إذن، الحرمان الذى عاشهُ، ليس هو - كله - الفقر، و إنما - فقر - بسبب تعطيل مواهبه، و كفاياته و نشدان آماله التى كان يدأب لتحقيقها.

حياه الترف

و كما أفرط المؤرخون، فيما نسبوه إليه من حاجه بلغت به حد الشره، فى أيامه الأولى، نسبوا له - أيضا - عكس ذلك فى أيام مجده و سيطرته.

فقد قالوا: إنه حين بلغ من السلطان ما بلغ كان لا يأكل وحده. و هى عادهُ الرجال. و لا يتناول طعامه إلا بملاعق ذهبيه، ثم حلا لهؤلاء المؤرخين -

ص: ٨١

١- فيه إشاره إلى رسالته (دعوه الموحدين) إلى حمايه الدين.

٢- يشير إلى رسالته دعوه الموحدين [الموحدين]

٣- فيه إشاره إلى سبب موته إثر دخول الإنكليز العراق.

تلوين هذه الصورة، فقالوا: كان يقف عن يمينه خادم و عن شماله خادم يناوله الأول ملعقه فيتناول بها لقمه و يرميها إلى الخادم الذى عن يساره، كل ذلك كراهه أن يعيد الملعقه إلى فمه.

و لكن الشخص الذى كان بهذا المستوى، كان أولى به أن لا ينادم مثل أبى الفرج الأصفهاني، و أمره على المائده معروف.

أقول كان أولى به - ثانيا - أن يتنى قصرا أو يتخذ دارا تناسب مقامه - و هو وزير بغداد - فقد كانت داره - على الرغم مما نعتها الناعتون - دارا عاديه لا متانه تميزها، و لا زخرف يبهجها، كانت تتداعى جوانبها أو جوانب منها و لا يملك الوزير إلا أن يرمم ما تساقط.

ثم - أخيرا - كان بذلك يمكن لمعز الدوله أن يسجل عليه - أزمه -، إذ كان معز الدوله يتحين بالمهلبى الفرص. و تكون حينئذ مسوغا لكى يجدد له الانتقام.

حياته السياسيه

عرف التاريخ المهلبى وكيلا لعامل من عمال البريدين على مدينه السوس إحدى مدن الأهواز سنه خمس و عشرين و ثلاثمائه للهجره. و قد كانت الدوله العباسيه قد تقاسمها القواد و الأمراء، فكانت واسط و البصره و الأهواز فى أيدى البريدين، و كرمان فى يد أبى على بن إلياس، و فارس و الجبل و الرى و أصفهان فى يد ابنى بويه.

و اتسعت مطامح بنى بويه، و تحرك أحمد معز الدوله - فيما بعد - نحو بلاد الأهواز غازيا، عام ست و عشرين و ثلاثمائه ليضمها إلى سلطانهم فى الرى..

ثم ليجعلها طريقه إلى وصول بغداد. و هكذا الأمر فيما بعد..

و التقى طموح أحمد بن بويه بكبيراء المهلبى و هو الأمير على مدينه السوس، فقطع المهلبى على معز الدوله الطريق، و سيطر على مدن كثيره، و حاصره فى مدينه عسكر مكرم، حتى اضطرب رجال معز الدوله، و كادوا أن يتركوا عنه.

و كانت إحدى المواقف العسكريه التى خاضها المهلبى و نجح فيها نجاحا جيدا، لو لا مسانده بنى بويه بعضهم لبعض، و ما حصل من إمداد عسكرى أنقذ موقف معز الدوله.

و بدأت كفايات الرجل تنفس عن نفسها، و قد وجهها و صقلها تلك الأعمال الاداريه و العسكريه التى أنيط به أمر تديرها. و رأى أن مستقبل الأهواز و البصره و واسط بيد بنى بويه - و لا ضير من ذلك - و لعله أهون الخطين. فالدوله العباسيه فى تفكك و الإمبراطوريه المتراميه يتوزعها زعماء ليكونوا منها نواه دويلات.. فلتكن بغداد و البصره و الأهواز و الرى و فارس و أصفهان بيد قائد قوى.. و ليكن بعد ذلك ما يكون.

و استقر أحمد بن بويه فى عسكر مكرم له قصبته دون ما سواها ينتظر النصره من أخيه. و يتم بينه و بين المهلبى لقاء.. أسفر - بعد سنوات - عن عبء يحمله المهلبى ليسكن روع الخليفه العباسى المستكفى بالله فى مخباه و الأمير ابن شيرزاد وزيره فى

مكان استتاره ثم يتم الأمر لأحمد بن بويه. ويتخذ بغداد عاصمه دولته و أبا جعفر الصيمري وزيره و يستكتب المهلبى و يكون موطن سره و مؤتمن مشورته، و يجعله يخلف الصيمرى على الوزاره حين تستدعى الأمور أن يكون الصيمرى بعيدا عن بغداد.

و يبدو أن المنافس الوحيد للمهلبى - يوم ذاك - هو أبو جعفر الصيمرى، و لذا فإنه، حين يلبى الصيمرى نداء ربه سنه تسع و ثلاثين و ثلاثمائه يكون قد اتسع المجال أمام المهلبى، ليأخذ مكانه الجدير به، إذ لا منافس - حينئذ - مع قدراته و قابلياته على أن يكون وزير بغداد و مدبر شؤونها، قال أحمد بن مسكويه " و سبب ذلك - يعنى اختيار معز الدوله للمهلبى - أنه وجده جامعا لأدوات الرئاسه، و كان لا- يجمعها غيره، و إن كان فيهم من هو أرجح كتابه.. و أيضا فقد أنس به على طول الزمان.. و إنه - يعنى المهلبى - عرف غوامض الأمور و أسرار المملكه " فالتزم الأمر فكان خير من أنيط به، و أصلح كثيرا مما أفسدته الأيام.

و لكن - فيما يبدو - لم يسم بالوزاره، إلا بعد ست سنوات من هذا التاريخ، أعنى سنه خمس و أربعين و ثلاثمائه إذ فيها - كما يقول مسكويه - خوطب أبو محمد لمهلبى [المهلبى] بالوزاره بامر معز الدوله، و خلع عليه و زاد فى إقطاعه.

كما حظى بخلعه الخليفه العباسى - و هو يومئذ المطيع - فيلقبه بالوزاره، و تجتمع له - كما يقولون - وزاره الخليفه و وزاره السلطان، فيلقب بذى الوزارتين.

نكبه المهلبى

يقول ابن الأثير فى حوادث سنه ٣٤١: فى هذه السنه فى ربيع الأول ضرب معز الدوله وزيره أبا محمد المهلبى بالمقارع مائه و خمسين مقرعه، و وكل به فى داره، و لم يعزله من وزارته و كان نقم عليه أمورا ضربه بسببها.

و لم يوضح ابن الأثير شيئا من تلك الأمور التى سببت هذه العقوبه الفاسيه [القاسيه] للمهلبى.

و يرى بعضهم أن من تلك الأمور معارضه المهلبى لمعز الدوله أن الثانى أراد نقل العاصمه من بغداد و أن الأول عارض فى ذلك فأكتفى معز الدوله بنقل مقره إلى أعلى بغداد من الجانب الشرقى فى البستان المعروف بالصيمرى، فهوأوه نقى، و ماؤه أصح و إذا كان لا بد من بناء فيبنى قصر فى جوار باب الشماسيه و ان معارضه المهلبى هذه تركت أثرا سيئا فى نفس المعز، فقد شاب العلاقه بينهما صراع خفى بدأ ينفس عن نفسه حين طلب المعز إلى المهلبى أن يوجه وجوه الأموال إلى بناء هذا القصر فاخذ يحتج عليه بقصر الدخل عن المصروف، و كان يلقى منه عنتا حتى اضطره آخر الأمر إلى أن يتولى الأمر بنفسه على أن يكون فى هذا تخلص من المأزق.

بسبب مقامه ببغداد، و ظن أنه إن عاد إلى الأهواز عاوده ما كان فيه من الصحة، و نسي الكبير و الشباب. فلما انحدر إلى كلواذى ليتوجه إلى الأهواز أشار عليه أصحابه بالمقام و ان يفكر فى هذه الحركة و لا يعجل، فأقام بها، و لم يؤثر أحد من أصحابه انتقاله لمفارقة أوطانهم و أسفا على بغداد كيف تخرب بانتقال دار الملك عنها، فأشاروا بالعود إلى بغداد و ان يبنى بها له دارا فى أعلى بغداد لتكون أرق هواء و أصفى ماء ففعل و شرع فى بناء داره فى موضع المسناه المعزیه (انتهى).

فى مثل ذلك الظرف، و مثل تلك العلاقه كانت حياه المهلبى مع المعز، و أخذت الحساسيات تنمو و الأخطاء ترصد لكى تكون مسوغا - شكليا - للانتقام.

و جاءت مرحله، أشرف المهلبى فيها بنفسه على بناء الدار المعزیه.

و وجدت هفوات - لعلها مقصوده - فسعى ساعى النفاق إلى معز الدوله، بأنه لم يحكم البناء، و أحضر المهلبى و أوقفه المعز على بعض ما رآه من التسنيف (ساف لبن و ساف أجر)، و لذت ساعه الانتقام، فأمر به - بالمهلبى - فبطح و ضرب مقارع كثيره قال ابن الأثير " مائه و خمسين مقرعه ".

و جمد - بعدها - المهلبى من ممارسه أعماله، و بقى قعيد داره.

العوده إلى أعمال الوزاره

لا- نملك ما يؤيد عوده المهلبى إلى ممارسه أعماله الوزاريه بعد نكبته، إلا- نصا شعريا - نرجح - أنه بعث به صاحبه بهذه المناسبه، و إن ذكر ياقوت بان هذا النص بعث به أبو محمد الخلاذى حين تسلم الوزير أمور الوزاره، و الترجيح مبنى على ما فى النص من إشاره إلى العوده بعد الغياب، قال القاضى أبو محمد الخلاذى:

الآن حين تعاطى القوس باريها و أبصر السمى فى الظلماء ساريها

الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الخلافه بل مصباح داجيها

أضحى الوزاره تزهى فى مواكبها زهو الرياض إذا جادت غواديهها

تاهت علينا بميمون نقيته قلت لمقداره الدنيا و ما فيها

موفق الرأى مقرون بغرته نجم السعاده يرعاها و يحميها

معز دولتها هنتها فلقد أيدتها بوثق من رواسيها

و الأبيات هذه بما تحمل من دفع فى بعض ما استخدمت من أساليب، لعله أراد بها إبراز معانى القوه

(عاد مهلبها)

أكثر مما أراد بها لونا بلاغيا معروفا، أقول: إن الأبيات هذه لم تثر حماسه المهلبى كثيرا، و كل ما دفعته إليه هو أنه أجاب مهنته بأبيات أملاها الذوق و دعا إليها العرف، مع رساله يستشف منها أن الياس ما يزال مخيما عليه، و إنه لم يستطع اجتياز المحنه بشجاعه.

و استمر بعد ذلك وزيرا دون أن نحس لشخصيته القويه بأثر يذكر من الناحيه السياسيه.

أعماله:

كانت الوزاره فى القرن الرابع الهجرى تعنى أمورا مثيره، فالوزير، هو الذى يدبر أمور السلطه من الناحيه الاداريه، و هو الذى ينظم شئونها من الناحيه الماليه و هو الذى يقود الجيش فى غزواتها و الدفاع عن أراضيها. لذلك كان على المهلبى أن يساهم فى هذه الأمور كلها.

فهو ما إن تسلم زمام الأمر حتى كان عليه أن يسافر إلى البصره ليخمد نار ثورتها التى أشعلتها سياسه البريديين الرعناء، بفرض ضرائب قاسيه كان القصد منها إضعاف قوى الناس. بان تؤخذ ضريبه العشر - من الحنطه و الشعير - مضروبه فى أربعة مسعره عليهم بسعر يرتضيه العامل. و حين دخل المهلبى البصره شكوا إليه أهلها ذلك التعسف فوعدهم بكل ما أنسوا به و طلب إليهم العوده إلى رسمهم القديم فى أخذ العشر حبا بعينه من غير تربيع و لا تسعير و سويت المشكله بينهم و بين معز الدوله.

و أثمر عدله هذا فى نفوس البصريين فحضروا إلى بغداد شاكرين هذه المكرمه للمهلبى أمام المعز، و أشهدوا - أمام الخليفه العباسى - على التزامهم له و تنقل بين البصره و الأهواز ليقف على تصرف العمال بنفسه و ليرد كل مظلمه.

و قد بلغه و هو فى الأهواز - خبر عامل عمان يوسف بن وجيه، ممن آثر الخروج على حكم معز الدوله، و قد أغرى هذا العامل ما سمعه من نفوذ القرامطه فى البصره و استيحا شهم من معز الدوله، و ما درى أن الأمر - فى البصره - قد سوى بحزم وزير ذكى.

و سار المهلبى فى جيش قوى إلى البصره و دخلها قبل وصول يوسف إليها، و شحنها بالرجال، و حين وصل يوسف إلى البصره دخل هو و المهلبى فى معركه دامت أياما، كان النصر فى النهايه حليف الوزير، و عاد بكل ممتلكات [ممتلكات] ابن وجيه من سلاح و متاع.

و استمرت حياته حربا لعمر بن شاهين مره و التهيئه لفتح عمان أخرى، و لكنه لم يوفق فى الموقفين.

أما الأول، فلاضطراره من قبل معز الدوله على التهور و ترك سياسته الحازمه، و خطته الناجحه فى الحرب الطويله مما أدى إلى انهزام جيشه، و اعتقال قواده.

و أما الثانى، فلأنه، قد اعتل قبل وصوله هدفه، فأعيد إلى بغداد فى السنه التى توفى فيها.

صلته بادباء عصره:

قال الثعالبي: كان المهلبى من ارتفاع القدر و اتساع الصدر و نبل الهمه و فيض الكف و كرم الشيمه على ما هو مذكور مشهور.

ص: ٨٣

الأصفهاني، و أبي سعيد السيرافي و علي بن عيسى الرماني، و أضرابهم من العلماء و الأدباء و القضاة.

قد يكون هذا.. و قد يكون ما وجده بعض هؤلاء في الاتجاه السياسي الذي سار عليه الوزير و الآمال التي كانت تعقد عليه، و الأمانى التي كان يعتقد أنه خير من يستطيع تحقيقها سببا آخر في ذلك الالتفاف.

و لكن المهلبى لم يكن يندفع - فى علاقته تلك - وراء العواطف ليقينه أن العاطفه سرعان ما تذهب، و تبقى وراءها حسره لا ترددها آهات السنين.

و لذلك فانك تجده بينى معاملته على أساس من النفع العام، فإى من هؤلاء أكثر خدمه للناس فهو المقدم عنده و الأثير لديه.

سأله - مره - القاضى أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه عن سبب تفصيله لابن عبد الواحد على أبى تمام الزينبى (عامليه على مناطق بالبصره) فقال المهلبى: يا أبا الحسين شتان بين الرجلين؟ دخل على ابن عبد الواحد فرأيت أن أقصيه، بما عاملته من قله الرفع و التقرب، فعرض على أول رقعته، فاعتقدت أن أرددها فلما قرأتها وجدتها لحاجه غيره، فاستحييت أن يكون أكرم منى، و قد بذل جاهه لمن سأله سؤالى مع ما يعلمه بماله عندى..

ثم توالى رقاعه، فوجدت جميعها فى حوائج الناس. و قد دخل هذا يعنى أبا تمام الزينبى، فعاملته من الإكرام بما رأيت لما بينى و بينه، فعرض رقاعه، فوجدت أولها فى شىء يخصه، فوقع له، و كلما عرض رقعته تطلبت أن يكون فيها شىء لغيره، فأقضيه له، و أجعل له محمده عليه فما وجدت الجميع إلا له، و فيما يخصه فكرهت ذلك منه و انحط من عينى.

نقلنا النص - على طوله - لما فيه من دلالة على الأساس الذى يعامل به الوزير معاصريه.

و تبعا لذلك، فإنه لم يقتصر فى علاقته بالنابيين من الأدباء و الشعراء فقط، و إنما امتد تفقده إلى أولئك الذين لم يطمحوا بالوصول إلى الوزراء. فكان يكتب إلى أمثال هؤلاء شعرا أو نثرا بما يرفع نفسياتهم، و يعيد إلى اطمئنانهم أن مقاييس الرجال - عنده - ليست نباهه الذكر و علو المنزله، قال التنوخى وجدت بخط أبى محمد المهلبى، كتابا إلى أبى القاسم بن ببل، و هو صغير الحال، و فيه:

طلع الفجر من كتابك عندى فمتى باللقاء يبدو الصباح

ذاك إن تم لى فقد عذب العيش و نيل المنى و ريش الجناح

و قد احتل فى نفوس هؤلاء الأدباء جميعا مكانا عليا و حظى بتقديرهم حتى إن منهم من أفرغ لمديحه و أخباره صدرا من كتبه، كالتنوخى فى نشوار المحاضرته، و الصاحب بن عباد فى (الروزنامه) و أبى إسحاق الصابى و أبى الفرج الأصفهاني، فيما كتباه عنه.

و قد كانت موجه الاعجاب به تدفع بعض الشعراء إلى السرقة من غيرهم، فيما إذا قلت بضاعتهم أ و لم تأت بالجوده المطلوبه، كما حدث للسرى الرفاء مع الخالدين فى ادعائه أنهما (يعنى الخالدين) كانا يسرقان شعره ليمدحا به المهلبى.

و مثلها موجه الوفاء التي جعلت الحسين بن حجاج يرثيه، بعد وفاته في أحلك الظروف، إذ كان معز الدولة قد ألقى القبض على كل أتباع المهلبى و سجن زوجته و ولده.

وفاته:

في سنه اثنتين و خمسين و ثلاثمائة، يقود المهلبى - عن غير رغبه - جيشا كثيفا يريد به فتح عمان، و لما يبلغ القائد هدفه، إذ أنه أصيب بمرض أقعده عن مواصلة الزحف و اشتدت علته فأعيد إلى بغداد، و في جمادى الآخرة من السنه نفسها، توفي في طريقه إلى بغداد، و حمل جثمانه إليها، و دفن في مقابر قریش.

أدبه النثرى و الشعرى:

لست متحدثا كثيرا عن نشاطه الأدبى، باستثناء هاتين الملاحظتين:

أولاً: - فيما يخص رسائله - يبدو أنها لم تخرج عن الخط العام للرسائل فى القرن الرابع الهجرى، من حيث العناية بالسجع و الازدواج، و مع أن الصفه الغالبه عليه هى الكتابه، فإنه لم يستطع أن يجدد فى هذا الفن.

ثانيا: - فيما يتعلق بشعره - أقول: إن شعره كان قليلا، كما وصفه ابن النديم و لعله لا يزيد عما جمعناه له إلا قليلا.

و قد وصفه الناس و صنفين متباينين، فقد كان بعض الأدباء إذا سمع قوله:

يا من له رتب ممكنه القواعد فى فؤادى.

قال: هذا يصلح أن يكون شعر بناء.

فى حين نجد آخرين ينعته بالجوده و البهاء.

و قد يكون فى هذا المدح أو ذاك التعريض ما فيه من التحيز له أو عليه.

و لكنه شان أى إنسان امتلك ناصيه القريض، ياتى بالغث مره و السمين أخرى، و مهما يكن من أمر، فقد تمثلت فى كل تلك المقطعات حياته التى عاش فيها الحرمان مره و النعيم و الترف أخرى.

ديوان شعره:

لم نجد فيما بين أيدينا من مصادر دراسته ما يشير إلى ديوانه باستثناء إشاره ابن النديم و لعل قله شعره، و ما اتسم به - غالبه - من جفاف، قد صرفت الأدباء عن العناية به، و من ثم الإشاره إليه، على الرغم من عناية أهل ذلك العصر بتدوين الدواوين و جمع ما تناثر من شعر السابقين.

و لعل تلك - كانت - خاتمه النكبات التى منى بها المهلبى - حيا و ميتا - و هى، أن لا يعثر له على أثر أدبى ليأخذ مكانه فى

و لذلك فقد صح العزم على جمع ما تفرق، و تتبع ما تشتت من شعره عسى أن يكون - في ذلك - مساهمه [مسامهه] منى فى خدمه تراث أمتنا، أن وفقت فيها، فذلك بليغ رجائى. و إلا فحسبى ما انتفعت به من جهد، و الله أسأل أن يأخذ بيد العاملين.

ينأى فاشتط و أنوى لهتنقص الدانى على النائى(١)

٢ - حتى إذا أبصرته ذبت فيديه ذوب الملح فى الماء

حرف الألف المقصوره [٣] قال لما تقلد الوزاره لمعز الدوله:

- ١

لقد ظفرت - و الحمد لله - منيتيما كنت أهوى فى الجهاره و النجوى

٢ - و شارفت مجرى الشمس فيما ملكتهم الأرض و استقررت فى الرتب العليا

(٢)

٣ - و عاينت من شعر العينى حلتهعاون فيها الطبع و المهجه الحرا(٣)

٤ - فحركنى عرق الوشيجه و الهويلعمى و أملت بى إلى الرحم القربى

(٤)

٥ - فيا حسرتا أن فات وقتى و قتهو يا حسره تمضى و تتبعها أخرى

(٥)

٦ - و يا فوز نفسى لو بلغت زمانهو بغيته (دنيا) و فى يدى الدنيا

٧ - فمكنته من أهل (دنيا) و أرضها ففاز بما يهوى و فوق الذى يهوى(٤)

[٤]

١ - يا من يسر بلذه الدنيا و يظنها خلقت لما يهوى

٢ - لا تكذبن فإنها خلقت(٧) لينال زاهدها بها الأخرى

حرف ألباء [٥] قال فى بعض غلمانه:

١ - خطط مقومه و مفرق طره(٨) فكان سنه وجهه محراب

٢ - وريت فى كشف الذى ألقى به فتعطل المنام (٩) و المقتاب

[٦]

١ - لقد واظبت نفسى على الحب فى الهويبانسانه ترعى الهوى و تواظب

٢ - صفا لى منها العيش و الشيب شاملكما كان يصفو و الشباب مصاحب

[٧]

١ - الشمس فى مشرقها قد بدتمنيره لى لها حاجب (١٠)

٢ - كأنها بوتقه أحميتيجول فيها ذهب ذائب (١١)

[٨]

١ - و ريح تضل الروح عن مستقرهو تستلب الركبان فوق الركائب

(١٢)

٢ - فلو أنها ريح الفرزدق لم يكنلها تره من جذبها بالعصائب

٣ - نصبت لها وجهى و أنصبت صاحبيالى أن حللنا فى محل الحباب

(١٣) [٩]

لو توسطت إذا لم تتركو كفت القلب عن بعض الأدب

(١٤)

كان أرجى لك فى العقبى من أن (١٥) تملأ الدلو إلى عقد الكرب

[١٠]

ما لابن هم سوى شرب ابنه العنقفهاتها قوه فواجه الكرب

[١١]

يا منى نفسى و يا حسيمن حسن و طيب

فهو للفتيان فى الدنيا بمرصاد قريب

فشمت فيها اختلاس لحظو خلت فيها وجيب قلب

(١٧)[١٣] قال فى غلام له جرب:

يا صروف الدهر حسبى أى ذنب كان ذنبى

عله عمت و خصت فى حبيب و محب

دب فى كفيك يا من حبه ربي بقلبي

فهو يشكو حر حب و اشتكائى حر حب

(١٨)[١٤] و قال ياقوت - فيما يروى - قال أبو الحسن بن عبيد الله بن سكره الهاشمى (١٩)- و كان ابن سكره قد مدح المهلبى

بأبيات - فلما كان من الغد.

ص: ٨٥

١- اشتط - أبعد..

٢- فى اليتيمه: فى الرتبه العليا.

٣- عينى: رأى بعض الصرفيين. أما الأكثر و الأوضح فالنسبه إليه عينى، بحذف الياء الثانيه، ياء فعليه.

٤- فى اليتيمه: و أطيب بى إلى الرحم.

٥- فى اليتيمه: فيا حسرتى.. و فى نزفه الجليس.. و يا محنه تمضى و تتبعها أخرى..

٦- فى نزفه الجليس.. فملكته..

٧- فى شعر الدعوه الإسلاميه: فإنما خلقت لينال..

٨- الطره: الجبهه. الناصيه.

٩- النمام: صيغه مبالغه لنام. و جمع نام: نمام بضم النون. و النمام: الذى يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه.

١٠- فى أسرار البلاغه و مباحج الفكر و الغيث المسجم و أنوار الربيع و التحفه الناصريه: مشرقها. فى حله الكميت: (مسفره لها

ليس..) و هو سهو طباعى. و فى التحفه الناصريه: مشرقه

- ١١- فى حلبه الكميت: يحل فيها..
- ١٢- فى نشوار المحاضره: و ريح تضييم الحر مما تثيرهو تستلب الركبان دون العصائبقال مرجليوث: لعله: تغييم الجو.
- ١٣- فى نشوار المحاضره: إلى أن نزلنا فى ديار الحباب. و فى الأبيات إشاره إلى أبيات الفرزدق التى ألقاها على سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافه، و أبيات الفرزدق هى: و ركب كان الريح تطلب عندهم لها تره من جذبهم بالعصائب سرورا يركبون الريح و هى تلفهمعلى شعب الأكوار فى كل جانب إذا استوضحوا نارا يقولون ليتهاو قد خصرت أيديهم نار غالب
- ١٤- فى التمثيل و المحاضره: و كفت النفس عن بعد الأدب.
- ١٥- فى التمثيل و المحاضره: فى العتبى.
- ١٦- فى التمثيل و المحاضره: سابقى بالوصل حولياً و مغيبى أو مشيبى
- ١٧- روايه البيت فى النشوار مضطربه، فقد كانت على الصوره التاليه: رأيت من الهوا فسمت بها اختلاس لحظ و خلت فيها وجيب قلب و لعل (رأيت..) جز [جزء] من بيت سقط فى نشوار المحاضره.
- ١٨- لعله: فهو يشكو حر جرب.
- ١٩- ابن سكره: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمى من ولد على بن المهدي العباسى شاعر مجيد كبير من شعراء بغداد فى القرن الرابع، له ديوان شعر فى أربعة مجلدات يزيد على خمسين ألف بيت، توفى سنه ٣٨٥ هـ، اقرأ عنه اليتيمه ١٨٨/٢ - ٢١١ - تاريخ بغداد ٤٦٥/٥، وفيات الأعيان ٥٢٦/١، الوافى بالوفيات ٣٠٨/٣، الاعلام ٣٩/٧.

استدعاني - يعني المهلبى - و قال:

اسمع و أنشدنى لنفسه:

أتانى فى قميص اللاذ يسعى عدو لى يلقب بالحبيب(١)

فقلت له: فديتك كيف هذا؟ بلا واش أتيت و لا رقيب(٢)

فقال: الشمس أهدت لى قميصا كلون الشمس فى شفق الغروب(٣)

فتوبى و المدام و لون خدى قريب من قريب من قريب

[٥]

إنى ليعصمنى هواك عن الهويحتى كان على منك رقىا

و أجول فى غمرات حبك جاهدا طورا فيحسبنى الجليس رهيا

ما إن هممت بشم نحرك ساعها لا ملأت من الدموع جيوبا

[٦]

وجدوا عود أبى الصقر على الغمز صليا

كلما زادوا عذابا زادهم صبرا عجيا

و كذا المسك إذا مازاد سحقا زاد طيبا

[٧]

يجير على سلطانه حكم دينهو يبعد فى حق البعيد أقاربه

[١٨]

قد قصر الليل عند ألفتنا كان حادى الصباح صاح به

حرف التاء [١٩]

فديت أخوا يواصلنى بكتبأسر من البشاره حتى تأتى

أخ لم يرض لى بالوصل حتيجبانى بالبقية من حياتى

[٢٠] (٤)

و إن جاءك القوم فى حاجتفطرت حولين فى العله

(٥)

و تلقاهم أبدا كالحاكان قد عضضت على مصله

حرف الثاء [٢١]

فان عصير الثمار التجير(٤)و إن نفى الحديد الخبث

حرف الجيم [٢٢]

عزمى و عزم عصابه ركاضه(٧)موصوله الإلجام بالإسراج

كالنبل عامده إلى أهدافهاو الطير قاصده إلى الأبراج

[٢٣]

يا شادنا جدد حبى لهمن بعد حب سالف ساجى

بلحيه قد أوصلت جمهمثل اتصال الطرق بالتاج

[٢٤]

الورد بين مضمخ و مضرجو الزهر بين مكلل و متوج

و الثلج يسقط كالنصار فقم بنانلتد بابنه كرمه لم تمزج

(٨)

طلع البهار و لاح نور شقائقو بدت سطور الورد بين بنفسج

(٩)

فكان يومك فى غلاله فضهو النبت من ذهب على فيروزج

(١٠) حرف الحاء [٢٥]

طلع الفجر من كتابك عنديفمتى باللقاء يبدو الصباح

(١١)

ذاك إن تم لي فقد عذبالعيش و نيل المنى و ريش الجناح

[٢٦]

بعثت إلى رب البرايا رسالهتوسل لي منها دعاء مناصح

فجاء جوابي بالاجابه و انجلتبهها كرب ضاقت بهن الجوانح

[٢٧]

تطوى بأوتارها الهموم كمايطوى دجى الليل بالمصاييح

(١٢)

ثم غنت فخلتها سمحتبروحها خلعه على روحى

(١٣) حرف الدال [٢٨]

ورد الكتاب فديته من واردفله بقلبي من حياتى مورد

(١٤)

فرأيت درا عقده منتظمفى كل فصل منه فصل مفرد

(١٥)[٢٩]

إن العبيد إذا ذللتهم صلحواعلى الهوان و إن أكرمتهم فسدوا

(١٦)ى.

ص: ٨٦

- ٢- فى اليتيمه روايه البيت: فقلت له: لم استحللت هذا فقد أصبحت فى زى عجيب
- ٣- فى اليتيمه: غريب اللون فى شفق المغيب. و هو فى معجم الأدباء: رقيق الجسم من شفق الغروب. و قد نسب الثعالبي هذه الأبيات الأربعة إلى محمد بن عباس البصرى، المعروف بصاحب الراقيه.
- ٤- فى طبعه مرجليوث بالتحية.. و قد فسر التحية بالبقاء...
- ٥- قال محقق كتاب التشبيها: لعلها: تفكرت. و نقول: و لعلها: تنظرت.
- ٦- الثجير: ثفل كل شىء يعصر. و تقول: أخذ سلافه العصير و ترك حثاله الثجير.
- ٧- ارتكض فى أمره: تقلب فيه و حاوله..
- ٨- فى اليتيمه و شرح المقامات و التحفه الناصريه: الثلج يهبط. و فى شرح المقامات: نصبحك بابنه.. و موقع البيت الثالث فيها.
- ٩- فى اليتيمه.. سطور الورد تلو بنفسج و فى شرح المقامات.. فلاح..
- ١٠- فى من غاب عنه المطرب.. و النور من ذهب.. و فى التحفه الناصريه و كان.. و الفيروزج، أو الفيروزج: حجر من الأحجار الكريمة.
- ١١- فى اليتيمه: فمتى للقاء.
- ١٢- فى فوات الوفيات: تطوى دجى.
- ١٣- فى فوات الوفيات، و ديوان الشعر العربى: ثم تغت..
- ١٤- فى نشوار المحاضره و المنتحل: فيه لقلبي..
- ١٥- فى نزاهه الجليس: منتظما.. و روايه البيت فى نشوار المحاضره: فرأيته كالدرد نضد عقدهفى كل فصل منه فصل مفرد
- ١٦- نسبه الثعالبي فى التمثيل و المحاضره، و تبعه القرطبي فى بهجه المجالس: ليزيد المهلبى.

ما عند عبد لمن رجاه محتمل و لا على العبد عند الحرب معتمد

فاجعل عبيدك أو تادا مشججه لا يثبت البيت حتى يقرع الوتد

(١) [٣٠]

يا من له رتب ممكنها القواعد فى الفؤاد

(٢)

أ يحل أخذ الماء منمتهب الأحشاء صادى؟

[٣١]

لئن قعدت بى قله المال قعد هفما أنا عن كسب المعالى بقاعد

و لا أنا بالساعى إلى الجهل و الخناو لا عن مكافاه الصديق براقد

أ كافي أخى بالود أضعاف ودهو أبذل للمولى طريفى و تالدى

و ما صاحبى عند الرخاء بصاحبا إذا لم يكن عند الأمور الشدائد

[٣٢]

إذا اختصر المعنى فشربه حائمو إن رام إسهابا أتى الفيض بالمد

(٣) [٣٣] قال فى غلام اسمه غريب:

رعى الرحمن قوما ملكونى رشا قصر بلغت به المرادا

و سموه مع القربى غريبا كنور العين سموه سوادا

(٤) [٣٤]

و آن لميت من معاد معادهو غصن جفاه الشرب أن يتعهدا

(٥) [٣٥]

اشتهى الآن أن أصلى على نعش (نعم) محب قد مات فى الحب وجدا

[٣٦] قال فى غلام تركى لمعز الدوله:

ظبى ىرق الماء فى وجناته و ىرق عوده

(٤)

و يكاد من شبه العذارى فىه أن تبدو نهوده

ناطوا بمعقد خصره سيفا و منطقته تتوده

جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل و من يقوده

حرف الراء [٣٧]

رب يوم قطعت فىه خمارىبىغزال كأنه مخمور

(٧)

و مصاد سرحت فىه و نصر بازىازى مظفر منصور(٨)

بصقور مثل النجوم إذا انقضتو عصف كأنهن صقور

(٩)قال ىصف كتابا ورده من ابن العميد:(١٠)

ورد الكتاب مبشرا قلبى بأضعاف السرور

(١١)

و فضضته فوجدته لىلا على صفحات نور

(١٢)

مثل السوالف و الخدود البىض زىنت بالشعور

(١٣)

بنظام لفظ كالثغور و كالعقود على النحور

(١٤)

أنزلته منى بمنزله القلوب من الصدور

[٣٩] (١٥)

منيه سابت وروء البشرو مواف أوفى على التقدير
يا عروسا زفت إلى فأهديتا ليها رقى مكان المهور
بالتملى و بالرجا و السرور يا حياتى و المنزل المعمور
قد لعمرى و فیت لى و سأجزىكوفاء بالشرط بعد النذور

[٤٠]

و قالوا للطيب أشر فاناعدك للعظيم من الأمور
فقال شفاؤه الرمان مما تضمنه حشاه من السعير
فقلت لهم أصاب بغير قصدو لكن ذاك رمان الصدور

[٤١]

أرانى الله وجهك كل يوم صباحا للتمين و السرور
و أمتع ناظرى بصفحتيها لأقرأ الحسن من تلك السطور

[٤٢] (١٤)

و الشمس حيرى خلف غيم عارضو كأننا فى ضوء ليل مقمر

..(١٧)

ص: ٨٧

-
- ١- فى المنتحل و التمثيل و المحاضرة، و بهجه المجالس، و فصل المقال ورد: أوتادا مشمخه، و هو تصحيف ظاهر.
 - ٢- فى سر الفصاحة: من فؤادى. و فى منهاج البلغاء: فى فؤادى.
 - ٣- يقال رجل حائم: أى عطشان.
 - ٤- فى الغيث المسجم: فسموه مع القربى.

- ٥- ورد البيت مضطربا في اليتيمه، و روايته: و إن لمست منه بعاد معادهو عصر جفاه الشرب أن يتعهدا
- ٦- و في وفيات الأعيان طفل يرق.. و يرف عوده. و كان هذا الغلام قد أنيط به قياده سريه من الجند لمحاربه بعض بنى حمدان، و قد صحت نبوه الوزير فقد ضاع الرعيل، و عاد من يقوده منكسرا.
- ٧- في اليتيمه.. رب ليل..و في خاص الخاص: بغلام كأنه..و في من غاب عنه المطرب بغزال كأننى مخمور
- ٨- كذا ورد.. و لم نهتد لمعناه..
- ٩- كذا ورد، و لم نهتد لمعناه، مع أن ماده عصف في اللسان تعنى: العصف، و العصفه، و العصيفه و العصافه: عن اللحياني: ما كان على ساق الزرع من الورق الذى يبس فيتفتت، و قيل هو ورقه من غير أن يعين ببس و لا- غيره، و قيل ورقه، و ما لا يؤكل..و مهما يكن من شىء، فهى لا توضح معنى البيت.
- ١٠- ابن العميد: هو، أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد العميد وزير من أئمه الكتاب، واسع المعرفه متبحرا في الفلسفه و النجوم و لقب بالجاحظ الثانى. ولى وزاره لركن الدوله البويهى فكان حسن السياسه، خبيرا بتدبير الملك، و أمور الحرب و السلم، و دام فى وزاره لبنى بويه أربعا و عشرين سنه و عاش نيفا و ستين عاما. مات بهمدان سنه ٣٦٠ هـ و قد ترك ذخيرتين: - ولده أبو الفتح بن العميد. ب - مجموع رسائله. فى مجلد ضخم، و ديوان شعره. اقرأ عنه: الامتاع و المؤانسه ٦٦/١ - اليتيمه ٢/٣ - الكامل حوادث سنه ٣٥٩ هـ - ابن العميد لخليل مردم - الأعلام ٣٢٨/٦.
- ١١- فى المنتحل: نفسى بأنواع..
- ١٢- فى اليتيمه ففضضته..
- ١٣- فى حماسه ابن الشجرى.. مثل السوالف و الجباه..و السالفه: ناحيه مقدم العنق..
- ١٤- فى حماسه ابن الشجرى و كنظم در كالتغور..و فى نشوار المحاضره: أو اللالكى على..
- ١٥- فى نشوار المحاضره و اليتيمه و التحفه الناصريه: أنزلته فى القلب منزله..
- ١٦- فى المنتحل: أمتع مقلتى.. و فى اليتيمه، و الإعجاز و الإيجاز، و خاص الخاص: بصحيفتيه، و هو تصحف ظاهر.
- ١٧- فى الغيث المسجم فكأننا فى ضوء..

[٤٣]

أما ترى الشمس و هي طالعه تمنع منا إدامه النظر
حمراء صفراء في تلونها كأنها تشتكي من السهر
مثل عروس غداه ليلتها تمسك مرآتها من القمر

[٤٤]

ألا يا منى نفسى و إن كنت حثفتها (١) و معنای فى سرى و مغزای فى جهرى

تصارمت الأجفان لما حرمتنى (٢) فما نلتقى إلا على دمه تجرى

انا فى حجره تجل عن الوصف (م) و يعمى البصير فيها نهارا

هى فى الصبح كالظلام و فيالليل يولى الأنام عنها فرارا

أنا منها كأنى جرف بثرأتقى عقربا و أحذر فارا

و إذا ما الرياح هبت رخاء خلت حيطانها تميدا انهيارا

رب عجل خرابها و أرحنمين حذارى فقد مللت الحذارا

[٤٥]

و قصر يوم الصيف عندى و ليله (م) الشتاء سرور منه رفرط طائره

حرف الزاى [٤٧]

فللرجل الوافى جميل و فاء هو للناصح إليها فى جميل التجاوز

(٣) حرف السين [٤٨]

جاءت بمعموله من جنس قامتها لينا و فى كفها من خدها قبس (٤)

حتى إذا قربت من ذيل صاحبها أصغى إلى سرها و الرأس منتكس

فمن بينهما ما كان مكتتما ما نمه اللفظ لكن نمه النفس

[٤٩]

و غدا ابن دأيه [\(٥\)](#) عندهم كمهاو أبتز سوق صياحه خرس

[٥٠]

شربنا غبوقا و النجوم كأنهائثار دنانير على أرض سندس

كان الثريا بينها حين أعرضتياقيت تاج أو تحيه نرجس

[\(٦\)](#) حرف الشين [٥١]

يوم كان سماءهمثل الحصان الأبرش [\(٧\)](#)

و كان زهره أرضهفرشت بأحسن مفرش [\(٨\)](#)

و الشمس تظهر مرهو تغيب كالمستوحش [\(٩\)](#)

فسمأوه دكن الخزوزو أرضه خضر الوشى [\(١٠\)](#)

شبهت حمرة وجههابحمار عين المنتشى [\(١١\)](#)

[٥٢]

إذا غناني القرشيدعوت الله بالطرش

و إن أبصرت طلعتهنفوا لهفى على العمش

حرف الضاد [٥٣]

الله يدفع عن نفس الوزير بناو كلنا للمنايا دونه غرض

ففى الأنام له من غيرنا عوضو ليس فى غيره منه لنا عوض

حرف الطاء [٥٤]

كلوا من التوت و انشطوا فإنه على الأرى مسلط [\(١٢\)](#)

كأنما التوت على أطباقهالآلى بعندم منقط

حرف العين [٥٥]

الراح تريقاق(١٣) لسم الهم فيحكم من المعقول و المسموع

و الهم يلسعنى فهل من مسلميسخو بتريقاق على الملسوع

[٥٦]

قليل مجال الرأى فيما ينوبهنزول على حكم النوى و التودع

[٥٧]

لئن عرفت جريراأو اعتمدت قطيعا(١٤)

فلا ظفرت بعاصو لا أطعت المطيعا

حرف الفاء [٥٨]

و لى حبيب ألوذ فيه بأوصافو فحواه فوق ما أصف

كالبدرد يعلو و الشمس تشرقو الغزال يعطر و الغضن ينعف

[٥٩]

و قلب شديد لا يلين لخلهو لا يتلافاه الرقى و التلطف

[١٥] [٦٠]

تركوا المكيدو و الكمين لجهدهمو النبل و الأرماح للأسياف..

ص: ٨٨

١- فى الإعجاز و الإيجاز: خنقها: و هو تصحيف..

٢- فى اليتيمه، و الإعجاز و الإيجاز، و الإرشاد، و أنوار الربيع منذ حرمتنى.. و على عبره تجرى فى اليتيمه و وفيات الأعيان و العكبرى و أنوار الربيع... و فى الإعجاز و الإيجاز إلا إلى عبره تجرى. و قد تردد ابن جنى فنسبه له و لأبى الفرج الأصفهانى..

٣- فى اليتيمه. فللرجل الوافى جميل جزائه..

٤- يعنى المجره

٥- ابن دأيه: الغراب.

- ٦- يبدو أن البيتين من قطعه واحده.. و الثريا: تصغير، ثرى، مشتق من الشوه فى العدد، و هى أنثى ثروان، و لا- يتكلمون بها مكبره. و يقال للثريا: اليه الحمل و هى سته كواكب.. انظر: المخصص، لابن سيده.
- ٧- فى اليتيمه فى موضعين: كان سماء شبه.. و فى نثار الأزهار و التحفه الناصريه: شبه.
- ٨- فى اليتيمه: و كان زهره روضه..
- ٩- فى نثار الأزهار: كالمتوحش.
- ١٠- الخزوز، جمع خز، و هو الحرير، إما نسج من الصوف.
- ١١- فى نثار الأزهار: شبهت حمرة عينها كحمارة ابن المنتشى..
- ١٢- كذا.. و لعله.. من التوت كثيرا.. أو طباقا و انشطوا.. و الأرى: لعلها الأذى.
- ١٣- الترياق: - بكسر التاء - دواء للسموم فارسى معرب.
- ١٤- فى الروزنامجه: إن الوزير عملهما لساعتها و غنى بهما. قال الثعالبي: المراد، بالجريز: جريزه. و القطيع: القطيعه.
- ١٥- أو: و لا تتلافاه الرقى..

[٦١]

أ تحسب العين أنها طرحتعلى فؤادى ثقلا من الشغف

(١)

ما أبله العين فى توهمها بأنها عريت من التلف

[٦٢](٢)

أت رقعہ القاضى الجليل فكشفتوساوس محزون الفؤاد ملهف(٣)

فأهدت نظاما من قريض كأنه نظام لآل أو كوشى مفوف

تكامل فيه الظرف و الشكل مثل ماتكامل فى مهديه كل النظرف

حوى منتهى الحسنى بأول خاطر يكلفه فى الشعر ترك التكلف

[٦٣]

يدبره ملك ماهر بهضما لقوى و جبر الضعيف

[٦٤]

ذات غنى فى الغناء من نغمتنفق فى الصوت منه إسرافا

كأنها فارس على فرسينظر فى الجرى منه أعطافا

حرف القاف [٦٥]

لى صديق فى وده لى صدوقو برعى الحقوق منى حقيق

يا (تجننى)، كتمت ثم بدا ليأنت ذاك الصديق لى و الرفيق

كلما سرت من فراقك ميلا مال من مهجتي إليك فريق

(٤)

فحياتى مصروفه فى طريقللمنايا على فيها طروق

[٦٦]

يا من شكا عبثا إلينا شوقه فعل المشوق و ليس بالمشواق

لو كنت مشتاقا إلى تريدنيما طبت نفسا ساعه بفراق

و حفظتني حفظ الخليل خليلهو وفيت لي بالعهد و الميثاق

[٦٧]

أ مثلى يا أخى و قسيم نفسييفارق عهده عند الفراق (٥)

و يسلو سلوه من بعد بعدو ينسبه الشقيق إلى الشقاق

و أقسم بالعناق و تلك أشفيو أوفى من يمينى بالعتاق (٦)

لقد ألصقت بي ظنا ظنيناتجافى جانباه عن اللصاق

[٦٨](٧)

لولا تسلى بارتكاضى (٨) فى البعد و القرب و التلاقى

و دفعى الهم بالأمانيفارقت روى مع الفراق

[٦٩]

أحن إلى بغداد شوقا و إنما أحن إلى إلف بها لى شائق

مقيم بأرض غبت عنها و بدعها إقامة معشوق و رحله عاشق

[٧٠]

يا هلالا يبدو لتحتاج نفسيو هزارا يشدو فيزداد شوقى (٩)

زعم الناس أن رقك ملكيكذب الناس أنت مالك رقى

[٧١](١٠)

قال لى من أحب و البين قد جدو فى مهجتى لهيب الحريق (١١)

ما الذى فى الطريق تصنع بعدى؟ قلت: أبكى عليك طول الطريق

[٧٢]

رق الزمان لفاقتيو رثى لطول تحرقى (١٢)

و أنالنى ما أرتجيو أجاد مما أتقى (١٣)

فلأصفحن عما أتاهمن الذنوب السبق (١٤)

حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقى

(١٥)[٧٣]

و صبا ذووه إلى جناب عدوهو تقطعت أقرانه و علائقه

حرف الكاف [٧٤]

لو لا شغيل عاقنى، بالقربحاول، عن مزارك (١٦)

لأتيت نحوك مسرعوا لصرت من غلمان دارك..

ص: ٨٩

١- فى تحقيق مرجليوث: يحسب العين..

٢- فى تحقيق مرجليوث: ما أبله العين فى توهمها.... ضرب من التلف.

٣- والقاضى المعنى: هو أبو على المحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم التنوخى البصرى، عالم أديب ولد بالبصره سنه ٣٢٧، أو ٣٢٩، و نشا فيها و لى القضاء فى جزيره ابن عمر و عسكر مكرم، ثم سكن بغداد، و توفى فيها سنه ٣٨٤ هـ و قد ترك آثارا قيمه فى الأدب، منها كتاب الفرج بعد الشده. و كتاب نشوار المحاضره، و كتاب المستجاد من فعلات الأجواد، و ديوان شعر، اقرأ عنه: اليتيمه ١١٥/٢، و تاريخ بغداد ١٥٥/٣، و إرشاد الأريب ٢٥١/٦-٢٦٧، و الأعلام ١٧٦/٦.

٤- نحسبه: كلما سرت فى فراقك..

٥- فى نشوار المحاضره: و شقيق روى..

٦- فى معجم الأدباء: فأقسم بالعناق.. و فى نشوار المحاضره: و تلك أوفيو أشفى.

٧- فى معجم الأدباء: ألصقت بى طلبا قبيحا.. عن التصاق. و فى نشوار المحاضره/الشالجي.. عن التصاقى..

٨- ارتكض الرجل فى أمره: تقلب فيه و حاوله.

٩- فى اليتيمه و الإعجاز و الإيجاز.. فيزداد عشقى و فى معجم الأدباء: فيشتد عشقى. فى نزاهه الجليس: يا هلالا بيدو فيزداد شوقيو

هزارا يشد و فيزداد عشقى

١٠- فى نزهه الجليس.. يكذب الناس أنت.

١١- فى اليتيمه: قد بدد دمعى مواصلا للشهيق و قد اضطربت روايه أنوار الربيع لهما: أ - و البين قد حدر دمعى مواصلا لشهيق.

ب - و البين قد جد و دمعى مواصل لشهيقى.

١٢- فى فوات الوفيات: لطول تقلقى..

١٣- فى وفيات الأعيان و فوات الوفيات: فانالنى ما أرتجيهو حاد عما.. فى جمع الجواهر: فانالنى.. فى نزهه الجليس.. و أذل مما أتقى..

١٤- فى زهر الآداب: فلاغفرن له الكثير.. فى جمع الجواهر: فلاغفرن له القديم. فى نزهه الجليس: عما جناهمن الذنوب.

١٥- فى زهر الآداب: إلا- جنايته التى فعل.. و فى جمع الجواهر.... جنايتهلما. و فى وفيات الأعيان: حتى جنايته بماصنع الزمان بمغرفى.

١٦- الجار و المجرور (بالقرب) متعلقان ب حاول..

فيحق طرفك و افتنانك و المهذب من نجارك

إلا مننت و قلت لي: إني وهبتك لاعتذارك

[٧٥]

و يوم كان الشمس و الغيم دونها حجاب به صنت فما يتهتك

عروس بدت في زرقه من ثيابها يجللها فيها رداء ممسك

(١) حرف اللام [٧٦]

الجود طبعي و لكن ليس لي مالو كيف يصنع من بالقرض يحتال

فهاك خطي فخذه منك تذكرها لي اتساع فلي في الغيب آمال

[٧٧]

برد مصيفك و افرشه بمثيره (٢) فأنني لمقام الخل أرتحل

الذكرى و إن أضحي و يعجبني أن تستريح و أن تكتنك الظلل

[٧٨]

فهبك طعامك استوثقت منه فما بال الكنيف (٣) عليه قفل

[٧٩]

نهض العليل، فقلت حينبدا كغصن مائل

طلع الهلال لليلهبضياء بدر كامل

[٨٠]

وصل الكتاب طليعه الوصلبغرائب الإفضال و الفضل

فشكرته شكر و الفقير إذا أغناه رب الجود بالبدل (٤)

و حفظته حفظ الأسير و قدورد الأمان له من القتل

[٥١](٥)

إن كنت أزمعت الرحيل (٤) فإن عزمى فى الرحيل

أو كنت قاطنه أقمتمو إن منعت لذيد سولى (٧)

كالنجم يصحب فى المسيرو لا يزول لدى النزول

[٨٢](٨)

جاد لى بالعتاق من صرف دهريكتاب يسرنى أو رسول (٩)

فعلى قدر ما تكلف من وصليلعلمى بقطه للوصول

أشكر البذل من جواد و إن زاد إلى البذل جاءنى من بخيل

[٨٣] ٩٠

و أصلاه حر جحيم الحديد تحت دخان من القسطل

[١٠٠](٨٤) و أنشدنى المهلبى لنفسه (١١):

ألبس أخاك على ما كان من خلق و احفظ مودته بالغيب ما وصلا

فأطول الناس غما من يريد أخا ذا خله لا يرى فى وده خلا

[٨٥]

و غزاهم بسوابع من فضلهم جعلت جماجمهم بطائن نعله

[٨٦]

و فات مداواه التلافى فى فسادهو أعيت دلالات الخير بكاهله

[٨٧] كتب بها إلى الصحاب [الصاحب] إسماعيل بن عباد:

لما وضعت صحيفتى فى بطن كف رسولها

قبلتها لتمسها يمينك عند وصولها

و تود عيني أنها اقتربت ببعض فصولها

حتى ترى من وجهك الميمون غايه سؤالها

حرف الميم [٨٨]

و من خاف أن ألهم يملك نفسهاولى به ترك العلا و الجسائم

[٨٩]

الناس أتباع من دامت له النعمو الويل للمرء إن زلت به القدم

ما لى رأيت أخلائي و حاصلهماثنان مستكبر عنى و محتشم

لما رأيت الذى يجفون قلت لهماذنبت ذنبا؟ فقالوا ذنبك العدم

[٩٠]

و هل يباعد عذب الماء ذو غصصأو ينثنى عن لذيذ الزاد منهوم

[٩١]

إنما الطيف الملمفرح يتلوه هم

قلما يحمد أمرليس فيه ما يذم

[٩٢]

قضيت نجبي فسر قومحمقى لهم غفله و نوم

كان يومى على حتمو ليس للشامتين يوم٦.

ص: ٩٠

١- يقال: مسك الثوب و مسكه: طيبه بالمسك، و ثوب ممسك و ممسوك..

٢- يقال: فراش وثير: وطى.

٣- الكنيف فى اللغه الساتر.. و هو هنا مفهوم..

٤- فى اليتيمه رب المجد..و فى نشوار المحاضره: رب المال. و فى التحفه الناصريه: و قد أغناه رب المال.

٥- و فى نشوار المحاضره: الأسير إذا ورد..

٦- فى محاضرات الأدباء: فان رأى.

٧- فى محاضرات الأدباء: دنو سولى..

٨- فى محاضرات الأدباء: ولا يزور..

٩- فى تحقيق مرجليوث: جاد لى بالكتاب، و قد رجح أن تكون.. بالعناق..

١٠- القسطل: الغبار الساطع فى الحرب، و يجمع على قساطل. و يقال فيه: القسطل. و القسطول، و القسطلان..

١١- المنشد: هو الوشاء أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، عالم بالأدب من أهل بغداد، كان يحترف التعليم، توفى

عام ٣٢٥هـ، و قد ترك آثارا أدبيه و نحويه منها: كتاب الجامع فى النحو. كتاب خلق الإنسان كتاب المتظرفات كتاب الموشى، و

غيرها. اقرأ عنه: تاريخ بغداد ٢٥٣/١. و الإرشاد ٢٧٧/٦ و بغيه الوعاه ٧، و الأعلام ١٩٩/٦.

[٩٣]

و نفسا تفيض كفيض الغمامو ظرفا يناسب صفو المدام

[٩٤](١)

هب البعث لم يأتنا نذر هو جاحمه النار لم تضرم

(٢)

أليس بكاف لذى فكره حياء المسىء من المنعم

[٩٥](٣)

أو فى كلا وقتى: قسط تالهو قسط هوى لا يستمر لمحرم(٤)

ولذو وجدى من لذاذه مطرباً أسر إلى نفسى و أعذب فى فمى

[٩٦]

يا شقيق النفس من خدميلم ينم ليلى و لم أنم

(٥)

غنى من شعر ذى حكما شقيق النفس من حكم

[٩٧] و أنشدنى - أيضا - (٦)

أقسمت بالله لا ينفك مغتفرا ذنب الصديق و إن عفا و إن صرما

و العمر يقصر عن هجر و عن صلوه عن تجن و عتب يورث السقما

[٩٨]

إذا غنى لنا أمما حشوت مسامعى صمما

و أن أبصرت طلعتك حلت نواظرى بعمى

[٩٩]

و حمدا لمولى استمد بحمدهله الرتبه العلياء و العز دائما

و أن يسخط الأيام بالجمع بيننا و يرضى المنى حتى يرينه سالما

حرف النون [١٠٠]

و من أن تلافاه رضاك أعاشهو من موته أن دام سخطك حائن

[١٠١]

و أرحام ود دونها الرحم التيتدانت و جلت أن يطول بها الظن

(٧)[١٠٢]

و كان فطنته شهاب ثاقبو كان نقد الحس منه يقين

(٨)[١٠٣]

إذا تكامل لى ما قد ظفرت بهمن طيب مسمعه أو صوت مرنان

(٩)

و قهوه لو تراها خلت رقتها دينيو من حافر إن شئت أغنانى

(١٠)

فما أبالى بما لاقى الخليفه منبغى الخصى و عصيان ابن حمدان

[١٠٤]

و ذى حسد لو حل بى ما يريد هالأصبح مفجوعا بفيض بنانى

و لم أعطه جهلا و لكن سحائيتعم ذوى الإخلاص و الشنآن

[١٠٥]

أشكو إلى الله أحداثا من الزمبيرينى مثل برى القدح بالسفن

(١١)

لم يبق في العيش لى إلا مرارته إذا تذوقته و الحلو منه فنى

[\(١٢\)](#)

يا نفس صبيرا و إلا فاهلكى جزعا إن الزمان على ما تكرهين بنى

لا تحسبى نعما سرتك صحبتها إلا مفاتيح أبواب إلى الحزن

[\(١٣\)](#)[١٠٦]

خرسنوه و ما درى ما خراسان بلبس القباء و الموزجين

[\(١٤\)](#)[١٠٧]

رب ليل لبست فيه التصايو خلعت العذار و العدل عنى

فى محل تحله لذه العيشو يجنى سروره من. (تجنى)

[\(١٥\)](#)[١٠٨]

ما ذا لقينا من القاطول لا هطلتفيه السحاب و لا سقته تهتنا [\(١٦\)](#)

فقد سددها و ارتدت غواديه حسرى و لم نال أحكاما و إتقانا

و قد دعمنا له سكرما سما و طماحتى توهمه راءوه ثهلانا

[\(١٧\)](#)

و استفرغ الوسع حتى طم خادما كالمهلبى و قاسى فيه أشجانا

نجاه منه بآراء مثقفه تخالها فى ظلام الليل نيرانا

رمىت بحرا بطود فاستكان لهكرها و أيقظت فيما بات يقظانا

و ما تقابل بالإقبال ممتعا إلا تبدل بالعصيان إذعانا

[١٠٩]

و دارت عليه رضى وقعته ظل الحجاره فيها طحيناه.

- ١- وردت كلمه (نفسا) منصوبه، دليل على أن البيت ليس يتيما، وإنما هو بعض من أبيات..
- ٢- فى المدهش: لم تأتتا رسله.. و تأتتا تقتضيها الصحه.
- ٣- البيت فى المدهش. و روايته (بدون غرو). أ ليس من الواجب المستحقحياء العباد من المنعم
- ٤- أحرم الحاج فهو حرام، و هم حرم. و لبس المحرم، و هو لباس الإحرام، و أحرمنا: دخلنا فى الشهر الحرام أو البلد الحرام.
- ٥- انشدهما ردا على سلاف المغنى، إذ غنى له سلاف بيت أبى نواس: يا شقيق النفس من حكمنمت عن ليلى و لم أنم
- ٦- المنشد، هو الوشاء. و قد سبقت ترجمته.
- ٧- فى اليتيمه: يطول. غير واضحه.
- ٨- فى اليتيمه نقد الحدس..
- ٩- فى الإرشاد: و ظرف رمان. و فى معجم الأدباء: أو صوت رنان.
- ١٠- فى الإرشاد: و حافظ من إن شئت غنانى و فى معجم الأدباء: و من حاجز ان شئت.. و حافظ: هو اسم حاجبه.
- ١١- السفن: مبراه السهام، قال الأعشى: و فى كل عام له غزوه تحكك الدوابر حكك السفن
- ١٢- فى شرح نهج البلاغه: لم يبق بالعيش..
- ١٣- فى شرح نهج البلاغه: لا تحسبن.. من الحزن.
- ١٤- الموزجان: مثنى موزج، و هو الخف: فارسى معرب.
- ١٥- فى اليتيمه: يحله - بالياء.. و تجنى: هى جاريتة المعروفة، و أم ولده.
- ١٦- القاطول، أو قاطول كلواذا، أحد الفروع المتفرعه عن دجله - انظر دليل خارطه بغداد / ١٢٠. و القطل: هو القطع - معجم البلدان ٤/ ماده قطل.
- ١٧- عمنا [دعمنا] له سكر.. لعلها سدا.. و ثهلان: بالفتح: هو جبل ضخيم بالعاليه.

و صرنا فى محبتنا حد يثايهجن شرحه قيسا و لبنى

حرف الياء [١١١]

مرت فلم تشن طرفها تيهايحسدها الغصن فى تشنيها

تلك (تجنى) التى جنت بها أعاذنى الله من تجنيها

(١)[١١٢]

إنى وصلت مفاخرى بابحاز الفخار و طاول العليا

و أجاب داعيه و خلفنيو حديثه، فكأنما يحيا

و تلوت عمى فى تغزلهو شربت ريا من هوى ريا

(٢)(٣)[١١٣] كتبها ردا على أبيات بعث بها القاضى أبو محمد الخلاوى. (٣)

و قد ترك آثارا قيمه فى الأدب و الحديث منها: ربيع المتيم فى أخبار العشاق، و أدب الناطق (و المحدث الفاصل بين الراوى و الواعى) فى علوم الحديث، لم ندر مصيرها بعد. اقرأ عنه:

اليتيمه ٣٣٣/٣ - و الإرشاد ١٤٠/٣ و ما بعدها. الأعلام ٢٠٩/٢.

مواهب الله عندى لا يوازيها سعى و مجهود و سعى لا يدانيها

لكن أقصى المدى شكرى لأنعمه و تلك أفضل قربى عند مؤتيها

و الله أسأل توفيقا لطاعته حتى يوافق فعلى أمره فيها

و قد أتتني أبيات مهذبه ظريفه خجله رقت حواشيها

ضممتها حسن أوصاف و تهنته أنت المهنا بياديها و تاليها

و دعوه صدرت عن نيه خلصت لا شك فيها أجاب الله داعيها

و أنت أوثق موثوق بنيته و أقرب الناس من حال نرجيها

فثق بنيل المنى فى كل منزله أصبحت تعمرها عندى و تنيها

[١١٤]

ألا موت يباع فاشترىهفهذا العيش ما لا خير فيه

(٤)

ألا موت لذيد الطعم ياتيخلصنى من العيش الكريه

(٥)

إذا أبصرت قبرا من بعيدوددت لو أننى مما يليه

(٦)

ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاه على أخيه

[١١٥]

من ذا ألوم أنا جنتيفراق من أبكى عليه

مما نسب إلى المهلبى [١١٦]

فديتك ما شبت من كبرهو هذى سنى و هذا الحساب

و لكن هجرت فحل المشيو لو قد وصلت لعاد الشباب

خليلى إنى للتريا لحاسدو إنى على ريب الزمان لواجد

أبقى جميعا شملها و هو ستهو أفقد من أحببت و هو واحد

كذلك من لم تخترمه منيهيرى عجا فيما يرى و يشاهد

[١١٨]

و لو أنى استزدتك فوق ما بيمن البلوى لأعوزك المزيد

و لو عرضت على الموتى حياهبعيش مثل عيشى لم يريدوا

إن العرائن تلقاها محسدهو لن ترى للثام الناس حساد

دموعى فيك انهار غزارو قلبى ما يقر له قرار

و كل فتى علاه ثوب سقمفذاك الثوب منى مستعار

أ لست ترى استراق الدهر حظيو كيف يفيت فى أدب الخمول

أ أبغى العون منه و هو خصمى؟ كما استبكت ضرائرها الثكول

الشيخ حسن الدمستاني البحراني

صاحب الأورادقال فى تاريخ البحرين المخطوط:

انتهت إليه رئاسه المذهب فى بلدتنا البحرين فى قريه الدمستان، تشد الرحال إلى لقائه و يستنشق الفضل من تلقائه، منه تقببس أنوار أنواع الفنون و عنه تؤخذ أحكام المفروض و المسنون، خطيب البحرين نثار العرب، سيد أهل الأدب ختم به الشعراء و النثارين و من تتبع كتابه المسمى باوراد الأبرار علم صدق مقالى.

و له قصائد فى المدح و الرثاء لم يسبق إلى مثلها سابق و لا يلحقها لاحق، و له تأليفات رائعه، و تصنيفات فائقه، منها كتاب فى الفقه، و رساله فى الحج، و رساله فى الزكاه، و كتاب الأجوبه للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى، و رساله فى العروض، و اجوبه الزنكباريه، و رساله فى الكلام، و كتاب فى المنطق، و كتاب سلاسل النور، و كتاب فى الهيئه، و أرجوزه فى علم الكلام شرحها شيخنا العلامة الشيخ محمد المدعو بإمام الجمع، و رساله فى الأعداد، و رساله فى قوله (ص) "ستدفن بضعه منى بخراسان" و رساله التنبيه فى أوصاف الفقيه و غير ذلك من الرسائل (انتهى).

نكرر ما قلناه من أننا نلتزم نقل نصوص صاحب التاريخ بحذافيرها مع كل مبالغاتها و قد نقل له أبياتا من الشعر فى مدح الأئمه لم نر نقلها، فان كان شعره الذى وصفه بأنه لم يلحقه به لاحق، و لم يسبقه به سابق، هو على مستوى هذه الأبيات فهو بقوله هذا فى بحر المبالغات غارق.

١- تجنى: هى جاريتة، و أم ولده، و قد سبق ذكرها.

٢- يقصد: ابن أبى عينيه، و هو: أبو عينيه بن محمد بن المنجاب بن أبى عينيه بن المهلب بن أبى صفره أقرأ عنه: فى الأغاني، مواطن كثيره. ٢٣/٢٠-٢٤. و للاستاذ صلاح الفرطوسى دراسه مسجله فى جامعه القاهره عن ابن أبى عينيه، شعره و حياته. فكاننى

هو فى صبابتهو كأنه - فى حسنها - دنيا

٣- هو القاضى: الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى من أدباء القضاء، و محدث العجم فى زمانه، و قد اختص بابن العميد و اتصل بالوزير المهلبى اتصالا- وثيقا، و قد بعث تهنئته للوزير حين عاد إلى الوزاره، فقال فى تلك الأبيات: الآن حين تعاطى القوس باريهاو أبصر السمى فى الظلماء ساريها الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الخلافه بل مصباح داجيها إلخ الأبيات فى

الإرشاد ١٤١/٣

٤- فى المنتحل فهذا عيش من لا خير فيه.

٥- فى فوات الوفيات و صبح الأعشى: يخلصنى من الموت الكريه.. و قد جاء فى فوات الوفيات الثانى مكان الثالث.

٦- فى ثمرات الأوراق: لو أننى فيما يليه..

الشيخ المعمر مسند العراق أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي البغدادي الحمامي،

الحافظ يعنى يحفظ ثياب الحمام و غلته.

هكذا ذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء). ثم قال: أسمع جده من أبي عمر بن مهدي و آخرين عددهم.

ثم ذكر من حدث عنه و هم كثيرون. ثم قال: قال أبو علي بن سكره: هو رجل أمي له سماع صحيح عال، و كان فقيرا عفيفا من بيت علم، يخدم حماما في الكرخ. قال شجاع الذهلي: هو صحيح السماع، خال من الفهم و العلم، سمعت منه.

و قال أبو عامر العبدري: هو عامي أمي رافضي، لا يحل أن يحمل عنه حرف، لا يدرى ما يقرأ عليه.

قال السمعاني: سألت إسماعيل الحافظ بأصبهان، فقال: هو من أولاد المحدثين سمع الكثير. و سألت إبراهيم بن سليمان عنه، فقال: لا أخذت عنه، كان لا يعرف ما يقرأ عليه. و سمعت عبد الوهاب الأنماطي يقول: دلنا عليه أبو الغنائم بن أبي عثمان فمضينا إليه فقرأت عليه جزءا فيه اسمه و سألته:

هل عندك شيء من الأصول؟ فقال: كان عندي شده (1) بعثها لأبي الحسين ابن الطيوري ما أدري ما فيها، فمضينا إلى ابن الطيوري فأخرجها فيها سماع من الحاليين و غيره فقرأناها عليه.

قلت: مات الحافظ أبو عبد الله هذا في صفر سنة ثلاث و تسعين و أربع مائه عن أرجح من تسعين سنة، و قد روى عنه السلفي بالاجازه و وقع لنا من عواليه جماعه أجزاء (انتهى).

الشيخ حسين معتوق

مرت ترجمته في الصفحة ٢٩ من المجلد الأول من المستدركات و نزيد عليها هنا ما يلي: ولد سنة ١٣٢٠ في بلدة العباسيه من جبل عامل. بدأ دراسته في كتاب البلده عند الشيخ إبراهيم ياسين، ثم في مدرسه بلده طيردبا القريه من قريته عند الشيخ عبد الله ذهيني. ثم درس العلوم التي تعده للدراسه النجفيه على الشيخ حسين مغنيه، ثم سافر إلى النجف الأشرف فكان من أساتذته هناك كل من السيد حسين الحمامي و السيد محسن الحكيم.

الشيخ حسين بن الشيخ محمد البحراني

من آل عصفور.

قال في تاريخ البحرين المخطوط: و نحن ننقل هذه الترجمة بنصها على طولها و مبالغاتها تقيدا منا بما ذكرناه من أننا نلتزم نصوص المؤلف لأنها تصور بعض جوانب الأساليب الفكرية و الكتابية في ذلك العصر فهي جزء من تاريخه:

هو أحد أولئك الأجله، و واحد تلك البدور و الأهله، ناشر لواء التحقيق، جامع معاني التصور و التصديق، سيد المشايخ و المحققين، و سند المجتهدين و المحدثين، الشيخ الأكبر و مجدد المذهب في القرن الثاني عشر، كما هو اعتقاد جماعه منهم

المحقق النيشابورى فى قلع الأساس، و الشيخ الأمجد الشيخ أحمد الأحسائى فى جوامع الكلم و هو علامه البشر، و إليه انتهت رئاسه المذهب فى هجر، و ذكره شيخ الجواهر فى كتابه و سماه بالبحر الزاخر، و فوضت إليه أمور الشريعه فى سنه ألف و مائتين بعد أخذه عن الجهابذه من علماء عصره، فصير بيت العلم مصره، و حضره جمع من العلماء و استفادوا منه فى علوم شتى، أكثرهم حفظا بالأحاديث الشريفة، و أشدهم اطلاعا بفتاوى أرباب المذاهب، خصوصا الشيعه و من المشهورات أنه قدس سره كان يحفظ اثني عشر ألفا من الأحاديث المعنونه، و على أنه قدس سره كان يرتكب فى مجلس واحد أمورا متناقضه مثل التدريس، و الإفتاء، و التصنيف، و التأليف، و القضاء، و ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم. قال العلامة النيشابورى فى إجازته لابنه بعد جمل من أوصافه و محاسنه و هو معدن المعارف و كثر الإفاده و كعبه الفضائل تصانيفه فى سماء الشريعه كواكب، و تاليفه لجمع الفوائد مواكب، مجدد آثار الشريعه، و الحافظ لنا موس الشيعه، ابن علامه الأوحى الشيخ حسين بن الشيخ محمد آل عصفور، و له قدس سره كتب كثيره، قال قدس سره فى إجازته بعض تلامذته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى نصب سرادقات الدراريه على مخيم أهل الروايه، و ربط أطنا بها بأوتاد أسانيدھا فى البدايه و النهايه، و حث على اتباعها و تقليد حملها للإرشاد و الهدايه، و الصلوات و السلام على محمد و آله الأعلام المزيحه لظلمه الجهل و الغوايه.. و بعد فان الله عز و جل قد أوجب على عباده النفر لتحصيل الأحكام و بلوغ المرام و الغايه، و جعلهم فى عذر إلى ان يرجعوا إلى من يندرون كما هو صريح الآيه، فاقنضت المصلحه الربانيه و العنايه السبحانيه الإجازته لحمله تلك الأخبار بنشر ما تحملوه من تلك الآثار، ليكون عليه المدار فى الإيراد و الإصدار، و كان ممن حملته تلك الحميه العليه، و حثته تلك النفحه القدسيه، الولد الأعز المحفوظ، و من هو لا زال بين العنايه الحفيظ المحفوظ الشيخ الأجل الصدوق مرزوق بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن محمد بن حسين بن محمد الشويكى مولدا، و النعيمى البحرانى أصلا، و الأصعبى مسكنا لتحصيل تشييد معالم الدين و نظم أحاديث سيد المرسلين فاستجازنى وفقه الله تعالى فى سلوك جاده التحمل و النقل لتلك الأخبار الصادره من ينابيع عين الحياه و المطهره لأسرار أنوار رساله إلى يوم المحشر الوفاء، بعد ما قرأ على نبذه من علوم المبادئ الفقهييه و أطلعتة على درر مزايا لأخبار و تلك الدرر العليه، و جملة المسائل الأحكاميه، فأجزت له تيما و تبركا بدخوله فى طريقه العلماء الاثنى عشرية، و حثته على جاده المتفقيين فى تلك المسائل الحفيه و الجليه على أن يرد لى عنى جميع ما روته عن مشايخى الذين تدخلوا فى منازل أهل التقديس، و نصبوا أعلام الدرس و التدريس، و استخرجوا من ليج بحار العلم كل در نفيس، و هم آباءى الأقطاب الأبرار الذين درات عليهم رحى الأخبار و نوروا رحى الأحاديث بتلك الأنوار البارقه من أهل العصمه الذين هم المدار. فأولهم والدى الروحاني، أخو والدى لأبييه، المحدث المحقق المنصف من مكن له فى الأرض و علمه تأويل الأحاديث فى الطول و العرض، فأثمرت عنه حدائق تلك العلوم الربانيه، و استخرج من صدف التحقيق درر التحف المسنده إلى يعسوب الدين، و الأئمه الأطهار الربانيه، العلامة الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم الدرأزى البحرانى، و منهم العالم العلى الفائز بالرقيب، و العلى من قداح علوم النبى

(ص)، و الوصى الكاشف لكل مشكل خفى فى المقام الواضح الجلى، عمى لأبوى الشيخ عبد على ثم عن والدى الجسمانى و الروحانى و من أشربنى رحيق التحقيقات، و قرب إلى القاصى كالدانى، والدى الأمد الأوحى الشيخ محمد أفاض الله عليهم فيوض الرحمه و الرضوان، و حمل منازلهم فى الجنان أعلى مكان بمحمد و آله قرناء القرآن بما رووه جميعا، و أخبروا به عن شيخهم الأعدل الأعلم، الخالى من ريبه الدنس و المين المقدس الشيخ حسين بن المرحوم الشيخ محمد لاجتماع هذه الثلاثه على مشيخته المثاليه، و الاجتماع على إجازته الساميه لحق روايته عن شيخه علامه البشر، و العقيل الحادى عشر مسقط البيان بالبرهان، و مشيد أركان ذلك البنيان، أغلوطه الزمان و أعجوبه الأوان جدى لأبى العلامه الربانى السبحانى الشيخ سليمان عبد الله الماحوزى البحرانى عن شيخه الأعظمين الجليلين النبيلين الشيخ سليمان بن الشيخ على بن الشيخ سليمان بن أبى ظبيه البحرانى الأصعبى أصلا الشاخورى مسكنا، و الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف الخطى أصلا و البحرانى المقابى تحصيليا و مسكنا، بحق روايته الأول عن شيخه العلامه الشيخ على بن سليمان بن حسن بن سليمان بن درويش بن حاتم البحرانى القدمى الملقب بزین الدين، عن شيخه النبيه المعتمد الأمين بهاء المله و الحق و الدين الشيخ الأمد، الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ عبد الصمد الحارثى العاملى عن والده المحقق الغايه المدقق العلامه الشيخ عز الدين الشيخ حسين بن عبد الصمد بن الشيخ محمد الحارثى العاملى المدفون بأرض البحرين، برؤيا يراها بمكه المشرفه عن شيخه الجليل النبيل الأمين الشيخ زين الدين بن على بن أحمد بن محمد بن جمال المشهور بالشهيد الثانى، روح الله روحه و تابع فتوحه عن شيخه السيد بدر البحرانى بن السيد حسين بن السيد جعفر بن السيد فخر الدين بن السيد حسين الأعرج الحسينى، عن شيخه الجليل نور الدين الشيخ على بن الشيخ عبد العالى، الملقب بالمحقق الثانى عن شيخه الامام الأعظم نور الدين الشيخ على بن الشيخ هلال الجزائرى عن شيخه جمال الدين بن فهد عن الشيخ على بن خازن العاملى، عن الشهيد السعيد الموفق الرشيد، الشيخ شمس الدين الشيخ محمد بن الشيخ مكى قدس الله روحه، عن شيخه فخر المتفقيين بن آيه الله فى العالمين عن أبيه الشيخ جمال المحققين و نور المجتهدين الشيخ العلامه الحسن بن يوسف المطهر الحلى عن والده الفخر الحلى، و عن شيخه نجم الدين أبى القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلى الملقب بالمحقق، عن شيخه العالم المحقق نجيب الدين ابن نما، عن شيخه الشيخ محمد بن إدريس الحلى العجلى عن شيخه سديد الدين الخمصى [الخمصى]، عن خاله الشيخ أبى على الطوسى، عن أبيه الشيخ شيخ الطائفة المحقه الشيخ محمد بن الحسن الطوسى، عن شيخه السعيد السديد الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان أبى عبد الله المشهور بابن المعلم، عن شيخه أبى القاسم جعفر بن قولون [قولويه]، عن شيخه ثقه الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى، و عن شيخه الآخر الامام الصدوق على بن الحسين بن بابويه القمى، بأسانيدهم المتصله إلى الأئمه الميامين و الساده المعصومين المنصوص عليهم فى كتب الرجال و فى كتب الإجازات فليرو عنى وفقه الله تعالى و فتح له أبواب الخيرات، و جنبه ارتكاب المحرمات و المشتبهات، جميع كتب هؤلاء المشايخ المعتمده فى علم الحديث و الروايه و الدرايه، لا سيما كتب الأربعة التى صارت عليها العمده و المداره فى جميع السنين و الأعصار، و اشتهرت كاشتهار الشمس فى رابعه النهار، و هى كتاب الكافى لثقه الإسلام، و كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق، و كتاب التهذيب، و كتاب الاستبصار للشيخ الطوسى، و كتاب الوافى للكاشانى، و كتاب البحار للمجلسى، و كتاب الوسائل للحر العاملى حيث احتوت تلك الكتب على جل أحاديث أصحابنا الصحيحه المعتمده و النقيه، الأسانيد الثابته عن الخيره، و كذلك جميع ما صنفته مشايخى المذكورين من الكتب و الرسائل المبسوطه و المختصره ككتاب الحقائق لشيخنا المتقدم ذكره، و كتاب الأحياء العمى الشيخ عبد على، و كتاب مرآه الأخبار فى أحكام الأسفار، و جملة ما لهم من الكتب و الرسائل المعتمده المنصوص عليها فى تلك الإجازات، و ما سمحت به قريحتى الفاتره، و جرت به أقلام يدي الدائر من الكتب المبسوطه ككتاب الرواشح الربانيه فى شرح الكفايه الخراسانيه، خرج منها ثلاثه

مجلدات، و كتاب السوائح - النظرية في شرح البدايه الحريه سبعة مجلدات، و كتاب الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع ١٤ مجلد، و كتاب متممات الحدائق المسمى بالحدق الناظره مجلدين، و كتاب القول الشارح و الحجج في علم العقائد لثمرات المهجه - ٢ مجلد -، و كتاب الحدق النواظر في متممات كتاب النوادر برز منه مجلد واحد في كتاب الطهاره و النوادر للملا كاشى بلغ فيه إلى كمال علم الأصول و العقائد، ميرهننا عليه في أخبار ليست من الكتب الأربعة، فجزيت على منواله فيما برز منه نسأل الله إكماله، و كتاب رسائل أهل الرساله و دلائل أهل الدلاله، جمعت فيه رسائل متعدده موزعه على كتب الفقه قد انتهيت فيه إلى أثناء الرساله الحجيه، و كان مبدأ الرسائل الرساله المسماه بالنفحة القدسيه في الصلوات اليوميه و هي أصغر الرسائل، و كتاب سداد العباد و رشاد العباد في الفقه الكامل بلغنا فيه كتاب المكاسب و البيوع مجلدين، و كتاب المحاسن النفسانيه في أجوبه المسائل الخراسانيه، و كتاب الأنوار الضويه في شرح الأحكام الرضويه و هو ما اشتمل عليه حديث شرائع الدين الذي كتبه على بن موسى الرضا (ع) إلى المأموم [المأمون] و قد رتبه أصولاً - و فروعاً، و أتمته بما يناسب حاله من الكلام المتروك، و كتاب كشف اللثام في شرح إفهام الأفهام في عقائد الإسلام و المتن لجدي لأمى الشيخ سليمان الماحوزى، و قد شرحته شرحاً وافياً مع إيجاز عبارته، و كتاب البراهين النظرية في أجوبه المسائل البصريه، و كتاب القوادح الحسينيه و القوادح البينيه جمعته ليقراً في ماتم أبى عبد الله (ع) ليقراً مده العشر، و قد أودعته من الخطب و الأخبار ما يجدد على القلوب الغافله حرائر تلك الخطوب و الأخطار، مرتباً ترتيب المنتخب، و كتاب سحائب النوائب في ماتم على بن أبى طالب مده الخمسه الأيام على كلا الروايتين المختلفتين في مقتله و وفاته، و كتاب اشتمل على ثلاثين مجلساً لكل ليله من الشهر مجلس يقرأ فيها، و كتاب اشتمل على سبعة مجالس يقرأ في كل ليله من الأسبوع مجلس، و كذلك الكتب المجموعه في وفايات الأئمه و وفاه الزهراء و وفاه الرسول، و كتاب الانتهاج في مناسك القرآن، و هو كتاب جليل قد اشتمل على مناسك الحاج بالاستدلال. و كذلك المناسك الثلاثه الأخر الكبير و الصغير و كذلك ما ألفناه من الرسائل المتفرقه في الفروع، و الأصول، و الرساله المنظومه في فقه الصلوات لم تكمل، و المنظومه الأخرى كامله بلغت مائه و ثمانين بيتاً مسماه بشارحه الصدور، و وضعتها في علم العقائد، و ديوان شعر كبير كله في رثاء أبى عبد الله الحسين (ع)، قد اشتمل على ما يزيد على سبعة آلاف بيت،

سوى أشعارنا المتفرقة، و الرسائل الموسومه بالجنه الوقيه فى أحكام التقيه، و رساله موسومه بياهره العقول فى نسب آل الرسول إلى آدم، و منظومه فى علم النحو بلغت لظننت و أخوانها مرتبه ترتيب الألفيه، و الرساله الدهلكيه الخطيه، و رساله فى الكلام على هذه الفقره من دعاء كميل و توجيه إعرابها و هى ما كانت لأحد فيها مقرا و لا مقاما، و رساله فى عوامل النحو القياسيه و السماعيه، و كتاب شرح رسالتنا النفخه القدسيه فى مجلدين كل منهما مجلد واحد، و رساله فى الحيوه و ما يختص به الولد الأكبر، و رساله جلاء الضمائر فى أجوبه الشيخ باقر، و رساله فى تركيب سبحان ربي العظيم و بحمده إلى غير ذلك من الرسائل، التى قد ذهبت فى البلدان و تشعبت عن حوادث الزمان، و لم يكن فى أيدينا ما نعتمد عليه و نرجع إليه و قد شرطت عليه وفقه الله تعالى للترقى فى مراقى أهل العلم و العمل و جنبه الخطاء و شبهات الزلل سلوك جاده الاحتياط و أن أكون على باله الشريف عند تاديه الفروض و النوافل فى كل زمن منيف، و قد قصدت فى هذه الإجازة الاختصار لما فى الإتيان على طرقي و إجازاتي من الشعب و الانتشار مع وجود الموانع من هذا الدهر الخوان الغدار، المانع عما يقتضيه التفقه فى الإيراد و الإصدار، و جرى ذلك باليوم الثامن و العشرين من شهر ربيع الأول أحد شهور السنه ١٢١٤ - الرابعه عشر بعد المائين و الألف من الهجره على مهاجرها أفضل التحيه و الإكرام، و كتب المتفقهين و المتعلمين الراجى فضل ربه، المجازى حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازى البحرانى من آل عصفور.

و كانت وفاته ليله الأحد قريب الفجر من شهر شوال سنه ١٢٢٤.

و للحاج هاشم بن حردان الكعبى فى رثاء هذا الشيخ قصائد مشهوره منها:

أطيلي البكاء فالرزه أضحي مجددا إذا غبنا فى اليوم باكرنا غدا

و لا تسامى فرط النياحه و اهتفى بخطب عرا شمل الهدى فتبددا

و خلى التعزى للخليين و اندبى فما كل صبر بابنه القوم أحمدا

ألم تعلمى الخطب الذى هد و قعه نظام الهدى و انهد منه ذرى الهدى

إلى أن قال:

أهاب باخوان الصفا فاصطفاهم و ثنى بأرباب العلا متفردا

قفوا بى على أطلالهم نبك ساعه و إن لم يكن فيها مجيب سوى الصدا

نساثلها أى المنازل يمموا و أى مقام أعجلوا نحوه الحدا

خلا منهم الوادى فصوح نبته و بانوا عن النادى فأصبح أسودا

تضم الثرى منهم صدورا تضمنت من العلم معروف الروايه مسندا

إلى أن قال:

تناقل أعداءه أحاديث فضله فلم تستطع منهم جحوداً فتجهدوا

تأييدها بالرغم منها ولو رأيت سبيلاً إلى إنكارها لن يؤيدا

السيد حسن الحيدري بن السيد أحمد

ولد في سامراء سنة ١٣٣٢، و كان بصحبه والده في النجف الأشرف، يدرس عليه و على غيره و لما عاد والده إلى الكاظميه عاد معه، و انصرف إلى الدراسه و التحصيل و حضر دروس علمائها كالسيد احمد الكشوان، و الميرزا على الزنجاني و غيرهما ثم انتقل إلى بغداد و صار إماماً للجماعه في مسجد "عثمان بن سعيد" ظهراً، و في مسجد الجعيفر ليلاً.

له كتابات متفرقه منها كتاب "أحوال الامام الرضا" و كتاب "جوامع الكلم" في خطب الرسول الأعظم (ص)، و رساله في "القواعد القرآنيه".

الشيخ حسن بن محسن البلادي

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

ملك العلوم زماماً و تقدم في مقام الفضل إماماً تصدر للافتاء سنة ١٢٠٩.

ثم هجر عن البحرين، و استوطن الهند و قطن في حيدرآباد إلى أن مات رحمه الله عليه و له رساله في القبله. و كتاب في المراثي، و له نظم و نثر و رساله في الخطب.

هذا هو الإيجاز المخل الذي يقع فيه صاحب (تاريخ البحرين)، فلم يفصل سبب تهجيريه، و لم يذكر من هجره، و لا نقل شيئاً من شعره، و لو فعل لأفادنا جزيل الفائدة.

و كما قلت من قبل فقد كان لهذه المنطقه هجره علميه تشبه الهجره العامليه، و هي على كل حال هجره سواء هجرهم غيرهم أو هجروا هم أنفسهم بأنفسهم. (١)

الشيخ حسين العلامه

من آل عصفورقال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من علماء البحرين و عبادها، و فضلاء زوال و زهادها، الكاشف لحقائق كتاب الله بالتدوين، و الواقف على دقائق خطابات سيد المرسلين، ذو الجناب الأطهر الأوفر ابن علامه البشر، تصدر الإفتاء في زمان أبيه الشيخ حسين العلامه، و لم يبلغني تاريخ وفاته، و له حاشيه على التجريد تدل على طول باعه و كثره اطلاعه، و له من الأولاد جدى العلامه الشيخ خلف و قبره الشريف

فى المقبره المعروفه بالمصلى عند آباءه الكرام عطر الله مراقدهم.

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه

أشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٤١٩ من المجلد الخامس و نشر هنا بحثا عن رسالته فى أسماء الریح مكتوبا بقلم حاتم صالح الضامن:

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، من أهل همذان.

دخل بغداد طالبا للعلم سنه ٣١٤هـ، و قرأ القرآن على ابن مجاهد، و النحو [و]

ص: ٩٥

١- هو و الذى قبله اخرا عن مكانهما سهوا.

الأدب على ابن دريد و أبي بكر بن الأنباري و نبطويه، و أخذ اللغه عن أبي عمر الزاهد، و سمع من محمد بن مخلد العطار. و قرأ على أبي سعيد السيرافي و كان متصرا له على أبي علي الفارسي. انتقل إلى الشام، ثم إلى حلب فاستوطنها، و تقدم في العلوم حتى كان أحد أفراد عصره، و كانت الرحلة إليه من الآفاق، و اختص بسيف الدوله بن حمدان و بنيه، و قرأ عليه آل حمدان و كانوا يجولونه و يكرمونه فانتشر علمه و فضله و ذاع صيته. و له مع أبي الطيب المتنبى مناظرات. توفي بحلب في سنة ٣٧٠ هـ.

مصنفاته

و هي كثيره طبع منها: إعراب ثلاثين سوره من القرآن. الحجج في القراءات السبع (١). رساله في أسماء الرياح. الشجر (٢). شرح ديوان أبي فراس الحمداني. العشرات. (٣) ليس في كلام العرب. (٤) مختصر في شواذ القرآن. و من كتبه المخطوطه: شرح المقصوره الدردييه و كتاب القراءات. (٥)

موضوع الرساله

لم يكن ابن خالويه أول من ألف في الرياح، فقد سبقه أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي المتوفى سنة ٢٤٩ هـ في كتابه: أسماء السحاب و الرياح و الأمطار (٦) و أبو بكر بن السراج المتوفى ٣١٦ هـ في كتابه: الرياح و الهواء و النار (٧). و قد أفرد أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ بابا للرياح في كتابه الغريب المصنف و كان ابن خالويه عيالا عليه إذ نقل معظم ما أورده أبو عبيد دون إشاره لذلك.

و قد اهتم المؤلفون بالرياح فافردوا لها أبوابا من كتبهم منهم:

١ - ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ في: تهذيب الألفاظ.

٢ - الهمداني المتوفى سنة ٣٢٠ هـ في: الألفاظ الكتاييه.

٣ - ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ هـ في: متخير الألفاظ.

٤ - أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في: التلخيص في معرفه أسماء الأشياء.

٥ - الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في: فقه اللغه.

٦ - ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ في: المخصص.

٧ - الربيعي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ في: نظام الغريب. ٨ - ابن الأجدابي المتوفى بعد سنة ٤٨٠ هـ في: الأزمنه و الأنواء.

و قد نشر رساله الرياح المستشرق الروسي كراتشكوفسكى (٨) في مجله إسلاميكا سنة ١٩٢٧. و لقد حفزني على إعاده نشرها صعوبه الحصول عليها لقدم العهد بنشرتها الأولى، ثم إنني ألحقت بالرساله ذبيلا يشتمل على فوائت من أسماء و صفات الرياح لم يشر إليها ابن خالويه في رسالته. و الله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه و أن يسدد أعمالى لما فيه الخير، إنه نعم المولى

و نعم النصير.

هذه رساله فى أسماء الريح

للشيخ ابن خالويه النحوى بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوى: الحمد لله رب العالمين، و صلى الله و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

و بعد، فان الريح اسم مؤنثه(٩) و تصغيرها رويحه، قال الله جل و عز:

(كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) (١٠) أى البرد، و من ذلك الحديث:

(لا بأس بأكل الجراد إذا قتلتة الصر (١١) أى البرد، و قال جل و عز: (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) (١٢). فاما قوله: (رِيحٌ عاصِفٌ) (١٣) ففيه قولان: أحدهما أنه مثل قولهم: امرأه حائض و طامث، و قيل معناه:

ريح ذات عصف. فاما (الرَّيْحُ الْعَقِيمُ) (١٤) فان الهاء ساقطه منها، لأن العرب تقول: رجل عقيم و امرأه عقيم، لا يولد لهما ولد، و ريح عقيم، لا تفتح الأشجار. و الريح الدوله، (١٥) قال الله تبارك و تعالى: (وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (١٦) أى دولتكم (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) (١٧)، قال: الدوله.

و الياء التى فى الريح منقلبه من واو و الأصل روح(١٨)، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. و أدنى العدد أرواح مثل حوض و أحواض. و أنشدنا ابن دريد. (١٩)

ليبت تخفق الأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف

ص: ٩٦

١- و فى نسبتها إليه خلاف. ينظر مقال محمد العابد الفاسى فى مجله اللسان العربى (الجزء الأول من المجلد الثامن ١٩٧١). و ينظر (نسبه الحجه إلى ابن خالويه افتراء عليه) للاستاذ صبحى عبد المنعم سعيد فى مجله مجمع اللغة العربيه بدمشق (الجزء الثالث من المجلد الثامن و الأربعين ١٩٧٣).

٢- نشره ناجلبرج فى سنة ١٩٠٩ اعتمادا على نسخه وحيدته تحمل اسم ابن خالويه، غير أنه عاد فاثبت فى مقدمته أن الكتاب لأبى زيد الأنصارى. (ينظر: المستشرقون ص ٨٩٩ و فصول فى فقه اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص ٢١١).

٣- الكتاب لأبى عمر الزاهد (ينظر: أبو عمر الزاهد ص ١٨٧). و فات الزميل محمد جبار المعيد أن المستشرق برونله قد نشر العشرات منسوباً لابن خالويه، و طبع فى ليدن سنة ١٩٠٠. (ينظر: المستشرقون ص ٨٠١ و روايه اللغة ص ٣٦٦).

٤- نشره ديرنبورج فى سنة ١٨٩٤ و الشنقيطى فى سنة ١٣٢٧ هـ، و أحمد عبد الغفور عطار فى سنة ١٩٥٧. و جميع هذه الطبعات ناقصه. (ينظر: لحن العامه و التطور اللغوى ص ١٨٤).

٥- تاريخ الأدب العربى لبروكلمن ١٧٩/٢، ٢٤١.

٦- معجم الأدباء ١/١٦١، أنباه الرواه ١/١٦٧.

٧- وفيات الأعيان ٤/٣٣٩، معجم الأدباء ١٨/٢٠٠ و سماه حاجى خليفه فى الكشف ١٤٢١: كتاب الرياح.

٨- هو أغناطيوس يوليانيوفتش كراتشكوفسكى، ولد سنه ١٨٨٣ و توفى سنه ١٩٥١ و هو من كبار المستشرقين الروس نشر كثيرا من الكتب العربيه منها: الأخبار الطوال لأبى حنيفه الدينورى، و كتاب البديع لابن المعتز، و ديوان الوأواء الدمشقى و غيرها. و قد ترجم من كتبه: تاريخ الأدب الجغرافى العربى و مع المخطوطات العربيه... (ينظر: الأعلام ١/٣٤٠، مقدمه تاريخ الأدب الجغرافى العربى).

٩- ينظر: المذكر و المؤنث للفراء ٢٧، البلغه فى الفرق بين المذكر و المؤنث ٦٨، مختصر المذكر و المؤنث للمفضل بن سلمه ٣٣٦.

١٠- آل عمران ١١٧.

١١- فى تفسير القرطبى ٤/١٧٨: "و فى الحديث أنه نهى عن الجراد الذى قتله الصر". و فى اللسان (صرر): "و فى الحديث أنه نهى عما قتله الصر من الجراد".

١٢- يونس ٢٢.

١٣- يونس ٢٢.

١٤- الذاريات ٤١.

١٥- اللسان (روح).

١٦- الأنفال ٤٦.

١٧- الأسراء ٦.

١٨- هو عند سيبويه فعل (بفتح الفاء و سكون العين). و عند الأخفش فعل (بكسر الفاء و سكون العين) و فعل (بضم الفاء و سكون العين). ينظر اللسان (روح) و المخصص ٩/٨٣.

١٩- أبو بكر محمد بن الحسن، عالم باللغه، توفى سنه ٣٢١ هـ (ينظر: مراتب النحويين ٨٤، نور القبس ٣٤٢ الوفيات ٤/٣٢٣، نزهة الألباء ٢٥٦).

و لبس عباءه و تفر عيني أحب إلى من لبس الشفوف

(١) و ذكر اللحياني (٢) في نوادره: أرياح، و ذلك شاذ مثل حوض و حياض.

فاما الريحان بالنون فحدثني ابن مجاهد (٣) عن السمرى (٤) عن الفراء (٥) قال: الريحان جمع روح مثل كوز و كيزان و نون و نينان يعنى السمك.

و الريح سبب لانزال القطر و الودق و الغيث اللواتى أسماها الله جل و عز رحمه فقال: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) ، (٦) أى بين يدي المطر، و الريح و المطر سببان لانزال الغيث و ذهاب المحول و رفع الجذب و محيا الخصب و الحيا و الحبا (٧) ، و الخصب أماره لقبول الله تبارك و تعالى أعمال عباده ألم تسمع قوله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ يُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) (٨). قال ابن خالويه: يقال أمددته فى الخير و مددته فى الشر، قال الله تبارك و تعالى: (وَ يُمِدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) . (٩)

و العرب تقول: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرضون، (١٠) يعنى بالمؤتفكات الرياح لأنها تأفك الأرض أى تقشرها و تقلبها، و إنما سمي الكذب إفكا لأنه مقلوب عن الصدق. و إذا كان النشىء (١١) يعنى السحابه من قبل العين يعنى من قبل القبلة ثم ألقحته الجنوب و أدرته الشمال و أنسبت به الصبا فذلك أجود ما يكون من المطر. و أمات الرياح، يعنى أمهات الرياح، غير أن الأمات فى البهائم و الأمهات فى الناس، أربع: الشمال و هى للروح و النسيم عند العرب، و الجنوب للأمطار و الأنداء، و اللثق و الغمق [يعنى] (١٢) الندى و الصبا لإلحاق الأشجار، فاما قول الشاعر:

لعمري لئن ريح الموده أصبحت شمالا لقد بدلت و هى جنوب

(١٣) فان المتحابين إذا اجتمعا قيل ريحهما جنوب، و إذا تفرقا قيل ريحهما شمال، لأن الشمال تفرق السحاب و الجنوب تجمع، قال الآخر (١٤)

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضاو تصدع قلبى أن تهب جنوبها

قريبه عهد بالحبيب و إنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

و قال الآخر:

يا ريح ويحك بلغى تسليما من ليس يأتينا له تسليم

مرى به فتعلقى بثيابه ليكون فيك من الحبيب نسيم

و الدبور العذاب و البلاء نعوذ بالله منهما، و أهون الدبور أن تكون عاصفا تقذى العين، فلذلك

كان رسول الله (ص) إذا هبت الرياح يقول: (اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا) (١٥) و تلك الأخرى و كل واحده تأتى بنوع

من الخير إلا كثيرا (١٤) فإنه ذم الشمال فقال:

و هبت بسفساف التراب عقيمها

(١٧) أراد بالعقيم هاهنا الشمال، و لذلك اختار أبو عمرو بن العلاء (١٨) و عاصم (١٩) أفراد كل ما فى الكتاب الله عز و جل من ریح العذاب، و جمع كل ما كان من ریح الرحمه، و أنشد سيويه: (٢٠)

و ما له من مجد تليد و ما له من الریح فضل لا الجنوب و لا الصبا

(٢١) يهجو رجلا أى ما له خير، فان قال قائل قد قال الله عز و جل:

(وَلِسِيْلَيْمَانَ الرَّيْحِ) (٢٢) فأفرد. فالجواب عن ذلك أن سليمان سخر الله له الصبا فقط (رُخَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ) (٢٣) أى طيبه لینه حيث أراد فكانت تحمل سريره من كابل إلى قزوين فى نصف يوم و هى مسره [مسيره] شهر. و

قال (ص): (نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور). (٢٤) و أنشدنى ابن عرفه نفظويه (٢٥) لشاعر يمدح رسول الله (ص):

له دعوه ميمونه ريحها الصبا بها ينبت الله الحصيده و الإيا

٩. (٢٤)

ص: ٩٧

١- البيتان لميسون بنت بحدل زوج معاويه، و الثانى من شواهد سيويه ٤٢٦/١ و هو فى الأ-صول ٢٤/٢، و المقتضب ٢٧/٢، و الإيضاح العضوى ٣١٢، و الصباحى ١١٢، و سر صناعه الاعراب ٢٧٥/١، و الجمل ١٩٩، و شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف ٢٩٤ و إعراب القرآن للنحاس ق ٦٠، ٢٠٦ و مشكل إعراب القرآن ١٥٤، و الروايه فيها جميعا: للبس. و نسب فى بلاغات النساء ١١٨ لزوج يزيد بن هبيرة المحاربى أمير اليمامه على عهد عبد الملك بن مروان.

٢- أبو الحسن على بن حازم، عالم باللغه عاصر الفراء و أخذ عن الكسائى (ينظر: أنباه الرواه ٢٥٥/٢، طبقات النحويين ٢١٣، معجم الأدباء ١٠٦/١٤، نزهه الألباء ١٧٦). و ينظر: الخصائص ٣٥٦/١.

٣- أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمى عالم بالقراءات، توفى سنة ٣٢٤ هـ. (ينظر: غايه النهايه ١٣٩/١، الفهرست ٥٣، النشر فى القراءات العشر ١٢٢/١).

٤- أبو عبد الله محمد بن الجهم، أحد تلاميذ الفراء، توفى سنة ٣٧٧ هـ. (ينظر: أنباه الرواه ٨٨/٣، تاريخ بغداد ١٦١/٢، معجم الأدباء ١٠٩/١٨، الوافى بالوفيات ٣١٣/٢).

٥- أبو زكريا يحيى بن زياد، توفى سنة ٢٠٧ هـ (ينظر: أبو زكريا الفراء للدكتور أحمد مكى الأنصارى و ما فيه من مصادر).

٦- الأعراف ٥٧.

٧- الحبا: السحاب و كذلك الحبى (اللسان: حبا).

- ٨- نوح ١٠-١٢.
- ٩- البقره ١٥.
- ١٠- اللسان (أفك).
- ١١- ينظر اللسان و التاج (نشا).
- ١٢- يقتضيها السياق.
- ١٣- اللسان و التاج (جنب).
- ١٤- هو مجنون ليلى قيس بن الملوح. و البيتان فى ديوانه ٦٩، و ذيل الأمالى ٩٢، و الأغاني ٨٥/٢ و تزيين الأسواق ٦٢، و الأول فى السمط ٦٤١. و هما بلا عزو فى الزهره ٢٢ - و الروايه فى جميعها: هوبها بدل جنوبها.
- ١٥- المخصص ٩١/٩، اللسان (روح). و ينظر الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير ٥٩/١.
- ١٦- كثير بن عبد الرحمن صاحب عزه، توفى سنة ١٠٥ هـ. (ينظر: ابن سلام ١٢٢، الشعر و الشعراء ٥٠٣، الأغاني ٣/٩، معجم الشعراء ٢٤٢، خزانه الأدب ٣٨١/٢).
- ١٧- أساس البلاغه (ثوب) و صدره: إذا مستثبات الرياح تنسمتو مر.. (و ينظر ديوانه ١٥٠، و الأنواء ١٦٣)
- ١٨- زبان بن العلاء البصرى، أحد القراء السبعه، عالم باللغه و الأدب، توفى سنة ١٥٤ هـ. (ينظر: أخبار النحويين البصريين ٢٢، طبقات النحويين ٢٨، ١٧٦، نور القبس ٢٥، التيسير فى القراءات السبع ٥، السبعه فى القراءات ٨٠).
- ١٩- عاصم بن أبى النجود، أحد القراء السبعه، توفى سنة ١٢٧ هـ (ينظر: وفيات الأعيان ٩/٣، غايه النهايه ٣٤٦/١، ميزان الاعتدال ٣٥٧/٢، السبعه فى القراءات ٧٠).
- ٢٠- الكتاب ١٢/١. (و ينظر عن سيبويه: سيبويه إمام النحاه لعلى النجدى ناصف).
- ٢١- البيت للأعشى فى ديوانه ١١٥ و فيه: و ما عنده مجد تليد و لا له...
- ٢٢- الأنبياء ٨١ و سبا ١٢.
- ٢٣- سوره ص ٣٦.
- ٢٤- الجامع الصغير ١٨٧/٢. و ينظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى و ما فيه من مصادر.
- ٢٥- إبراهيم بن محمد، أخذ عن ثعلب و المبرد، توفى سنة ٣٢٣ هـ. (ينظر: وفيات الأعيان ٤٧/١، زهه الألباء ٢٦٠، أنباه الرواه ١٧٦/١، معجم الأدباء ٢٥٤/١).
- ٢٦- تفسير القرطبى ٢٢٢/١٩.

الأب (١) المرعى، أنشدنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد:

جذمننا قيس و نجد دارنا و لنا الأب بها و المكرع

(٢) و حدثنا أبو عبد الله القاضي قال: حدثنا الدورقي (٣) قال: حدثنا عبيد الله الأشجعي (٤) قال: سمعت هارون بن عنترة (٥) يروى عن أبيه عن ابن عباس (٦) فى قوله: "فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ" (٧) قال ریح فیها سموم.

و حدثنى أبو حفص بن الشحام عن أبى عروبه (٨) عن الأشج (٩) عن حفص بن غياث (١٠) عن داود بن هند (١١) عن عكرمه (١٢) عن ابن عباس قال: أتت الصبا الشمال فقالت: مرى حتى نصر رسول الله... (١٣)

و الهبوه (١٤) و النضيضه و الحواشك و العريه و الهلاب ریح معها مطر، و البوارح هى الشمال تكون فى الصيف حاره (١٥)، قال ابن خالويه يقال يوم راح كثير الريح و ليله راحه، و ليله ساكره لا ریح فیها و يوم ریح طيب الريح. و النافجه أول كل ریح (١٦). و الهجوم التى يشتد هبوبها حتى تطلع الثمام و البيوت. و الثوج الشديده المر. و الدروج يدرج مؤخرها حتى يرى لها مثل ذيل الرسن (١٧). و النسيم التى تأتى بنفس ضعيف. نسمت تنسم نسيما و نسمانا. (١٨) و عجت الريح و أسنفت كل ذلك فى شدتها و سوقها التراب.

و ریح خارم بارده. و المعصرات التى تأتى بالمطر. و الحواشك و المشتكره المختلفه (١٩). و قال الصغانى فى الأضداد ٢٢٧:

الرياح الحواشك الشديده و الضعيفه. . و العريه الباردة. و الاعصار التى تستطيل (٢٠) فى السماء.

و الحرجف القره (٢١) تمت الرساله بحمد الله و عونہ و حسن توفيقه و الحمد لله أولا و آخرا، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم و ذلك بعد العشاء فى الليله التى يسفر صباحها عن سابع شهر ربيع الثانى من شهور سنه ١٠٠٣ أحسن ختامها تم.

السيد حسين الغريفي البحراني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو الامام العالم العلامة شيخ الإسلام، سراج المله، برع فى الفقه و الأصول، و انتهت له رئاسه المعقول و المنقول، و صنف كتبا نفيسه انتشرت فى حياته، و أفتى و ألف و هو فى حدود العشرين.

و من تصانيفه كتاب: الغنيه المعموله فى طريقه الاحتياط. مات فى سابع ذى الحجه سنه إحدى و سبعين بعد الألف.

الشيخ حسين بن عبد الغفور الغريفي البحراني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فقيها أديبا خطيبا عالما بالتفسير، خيرا بأيام الجاهليه، و ما وقع فيها و مع غزاره علمه ما صنف كتابا و لا ألف، مات قدس سره سنه ١١٣٤.

الشيخ حسين بن الشيخ على البحراني

من آل عصفورقال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من المشايخ الكبار و الحامل للواء الأخبار، فقيها، عالما، عارفا، متكلما، أخذ الفقه عن عمه صاحب الحدائق.

و تصدر للافتاء فى الفلاحيه. و توفى قدس سره سنه ١٢١٢.

الشيخ حسين بن الشيخ على بن سليمان البحراني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال العلامة الحلبي فى إجازته لبنى زهره: إنه يروى عنه عن أبيه الشيخ على المذكور جميع كتب أبيه. و أما أبوه الشيخ على الملقب بجمال الدين إلى أن قال:.. إن الشيخ حسين المزبور كان عالما بالعلوم العقلية و النقلية عارفا بقواعد الحكماء. له مصنفات حسنه (انتهى).

و قال الشيخ حسين بن الشهيد الثانى فى إجازته: و أنا رأيت من مصنفاته كتاب: مفتاح الخير فى شرح ديباجه رساله الطير للشيخ [أبى] على بن سينا. و شرح قصيده ابن سينا فى النفس، و فيهما دلالة واضحة على ما وصفه العلامة.

(انتهى).

و له الرساله المشهوره التى شرحها المحقق الطوسى بالتماس تلميذه الشيخ ميثم البحراني، و قبره الشريف الآن فى قرية ستره من قرى بلادنا البحرين إلى جنب قبر شيخه أبى سعاده رحمه الله عليهم.

الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن جعفر الماحوزى البحراني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

أعلم من قضى و أفتى، أفضل من باشر التدريس و الإفتاء، أكثر العلماء علما، أرفع أهل النصوص رايه، أبرع أولى الخصوص آيه.

قال جدى العلامة فى كتابه المسمى بلؤلؤه البحرين: و عن طريقى إلى المشايخ الأعلام و مصنفاتهم المشار إليها فى المقام قراءه و سماعا و إجازة شيخنا الفاضل و أستاذنا الكامل، جامع المعقول و المنقول، و مستنبط الفروع من الأصول الشيخ الأجل الأوحى الأفخر الشيخ حسين بن المرحوم الشيخ محمد بن جعفر البحراني الماحوزى، و هى ثلاث قرى (الدونج) (بالجيم بعد النون)، و هى مسكن الشيخ المذكور، (و هلتا) بالتاء المثناه من فوق بعد

- ١- جمع الزركشى فى البرهان ٢٩٦/١ أقوال المفسرين فى معنى (الأب) و حصرها فى سبعة أقوال. و ينظر أيضا تفسير القرطبي ٢٢٢/١٩ و كتاب الغريين ٧/١.
- ٢- اللسان و التاج (أب).
- ٣- يعقوب الدورقي، توفى سنة ٢٥٢ هـ (ينظر الأعلام ٢٥٣/٩ و ما فيه من مصادر).
- ٤- توفى سنة ١٨٢ هـ (تذكرة الحفاظ ٢٨٦/١).
- ٥- ينظر الأنساب للسمعاني ٣٩.
- ٦- عبد الله بن عباس، صحابي توفى سنة ٦٨ هـ (ينظر: حليه الأولياء ٣١٤/١، نكت الهميان ١٨٠، وفيات الأعيان ٦٢/٣، غايه النهايه ٤٢٥/١).
- ٧- البقره ٢٦٦.
- ٨- الحسين بن محمد السلمى الحراني، توفى سنة ٣١٨ هـ (الأعلام ٢٧٧/٢ و ما فيه من مصادر).
- ٩- عبد الله بن سعيد، توفى سنة ٢٥٧ هـ (ينظر: الفهرست ٥٧ و تذكره الحفاظ ٧٧/٢).
- ١٠- توفى سنة ١٩٤ هـ (ينظر: الأعلام ٢٩١/٢ و ما فيه من مصادر).
- ١١- ينظر الفهرست ٥٧.
- ١٢- عكرمه بن عبد الله، تابعي، توفى سنة ١٠٥ هـ (ينظر: حليه الأولياء ٣٢٦/٣، الوفيات ٢٦٥/٣، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧، المعارف ٤٥٥).
- ١٣- غير واضح فى الأصل الذى اعتمده كراتشوفسكى.
- ١٤- من هنا إلى آخر الرسالة نقله ابن خالويه من الغريب المصنف ٢٨٠-٢٨١.
- ١٥- و هو قول أبى زيد كما فى الغريب المصنف ٢٨١.
- ١٦- بعدها فى الغريب المصنف ٢٨٠: تبدأ بشده.
- ١٧- بعدها فى الغريب المصنف ٢٨٠: فى الرمل.
- ١٨- و هو قول أبى زيد الأنصارى كما فى الغريب المصنف ٢٨٠.
- ١٩- بعدها فى الغريب المصنف ٢٨١: و يقال الشديده.
- ٢٠- فى الغريب المصنف ٢٨٠: تسطع.
- ٢١- بعدها فى الغريب المصنف ٢٨٠: و هى الصرصر.

اللام، و بها قبر المحقق الفيلسوف الشيخ ميثم البحراني صاحب الشروح الثلاثة على كتاب نهج البلاغه. (و الغريفه) بالغين المعجمه ثم الراء ثم الياء المثناه من تحت ثم الفاء مصغره، و قد عاش شيخنا المذكور و بلغ من العمر ما يقارب تسعين سنه، و مع ذلك لم يتغير ذهنه و لا شيء من حواسه سوى ما لحقه من الضعف الناشئ من كبر السن، و من العجب أنه قدس سره مع غايه فضله لم تكن له ملكه التصنيف و لم يبرز شيئاً في قالب التأليف و كان تلميذى على الشيخ المبرور في بلاد القطيف بعد موت الوالد في البلاد المذكوره، و بعد استيلاء الخوارج على بلادنا البحرين.

مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي الطغرائي

مرت ترجمته في الصفحه ١٢٧ من المجلد السادس و نشر هنا بحثا عن رسالته (ذات الفوائد) مكتوبا بقلم الدكتور رزوق فرج رزوق:

المؤلف

هو مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الدؤلي، الأصفهاني، المنشئ، الطغرائي.

ولد باصفهان سنه ٤٥٣هـ في أسرهِ عربيهِ ينتهي نسبها إلى أبي الأسود الدؤلي. و درس في صباه و شبابه علوم عصره الشرعيه و الحكيميه، و حين بلغ أشده بدأ يشق دربه بعلمه و أدبه و مواهبه إلى المناصب السلجوقيه العاليه، فصار منشئا و طغرائيا و مستوفيا و وزيرا.

و قتل سنه ٥١٥هـ بعد معركة نشبت بين السلطان محمود و أخيه الملك مسعود الذي كان الطغرائي وزيره.

برز الطغرائي في العصر السلجوقي في أربعة من الميادين هي الشعر و الكتابه و الكيمياء و السياسه، فقد كان شاعرا مجيدا، و منشئا بليغا، و كيمياويا عالما، و سياسيا قديرا.

و لكن الطغرائي المعروف عند الأدباء و الباحثين بوصفه أدبيا، أو وزيرا لا يعرفه كيمياويا أو يعبا بكيميائه إلا قله منهم. و الحق أن الطغرائي مبرز في كيميائه تبريزه في الأدب و السياسه، فقد كان (جابر) عصره، و كان اسمه ألمع أسماء أهل الصنعه في زمانه.

و لقد وصل إلينا من مؤلفاته في الكيمياء كتب و رسائل و أشعار هذا ثبتها:

١ - مفاتيح الرحمه.

٢ - مصابيح الحكمه.

٣ - جامع الأسرار.

٤ - تراكيب الأنوار.

٥ - حقائق الاستشهاد (في الرد على ابن سينا).

٦ - سر الحكمة في شرح كتاب الرحمة.

٧ - الإرشاد إلى الأولاد.

٨ - أسرار الحكمة.

٩ - الرسالة الخاتمة.

١٠ - الأسرار في صحة صناعه الكيمياء.

١١ - رساله في الطبيعه.

١٢ - المقاطيع في الصنعه (شعر تعليمي في الكيمياء). ١٣ - وصيه الطغرائي من تدابير جابر.

١٤ - ذات الفوائد.

الرساله

ورد ذكر هذه الرساله في طائفة من المصادر و المراجع العربيه، مع سواها من مؤلفات مؤيد الدين أبي إسماعيل الطغرائي في الصنعه (علم الكيمياء القديم).

ذكرها ياقوت الحموي، و صلاح الدين الصفدي، و حاجي خليفة، و طاشكبري زاده، و إسماعيل باشا البغدادي (١)، و آقا بزرگ (٢).

و قد تبين لي بعد مراجعه طائفه كبيره من فهارس المكتبات، و من الكتب و المراجع أنه لا توجد من هذه الرساله إلا نسخه خطيه فريده هي التي تمتلجها دار الكتب المصريه بالقاهره.

و هذه الرساله قسم من أقسام مجموع خطي كبير رقمه ٧٣١ طبيعيات.

و هي تتالف من خمس صفحات (ق ١٨٥ أ - ق ١٨٧ أ). في الصفحه الواحده ٢٥ سطرا. مكتوبه سنه ١٠٨٨ هـ. بقلم نسخ فارسي (٣).

أولها: "رساله ذوات الفرائد من كلام الأستاذ مؤيد الدين أبي إسماعيل رحمه الله عليه. قال: من الأسرار الكبار قول هرقل: إن في التبييض أحد عشر سرا".

و آخرها: "فهذه الأوزان التي أكثروا فيها الإلباس قد شرحناها بغايه البيان. و الحمد لله وحده و صلواته على عبده سيدنا محمد و

أما موضوعها فهو (الأوزان)، و هي التي أشار إليها الطغرائي في آخر رسالته و قال إنه شرحها بغايه البيان. و هذه الأوزان لا علاقه لها في الرسالة بالوزن بمعناه المعجمي المعروف، و إنما هي من مفاهيم علم الصنعه. و قد كان يطلق على علم الكيمياء نفسه اسم علم الميزان أو علم الموازين. و ثمه كتاب لجابر بن حيان عنوانه "الحاصل في علم الميزان" (٤) و كتاب ثان عنوانه "ترتيب الأوزان" (٥). و هناك كتاب لأبي مسلمه محمد بن إبراهيم المجريطي عنوانه "الأوزان في علم الميزان" (٦) و بين الطغرائي في رسالته ما يعنيه أهل الصنعه بالأوزان فيقول: "و اعلم أن ما ذكروه من الأوزان فإنما هو المقايسه بين أرواح الأجساد و أنقالها. و هذه الأوزان و إن تميزت في العمل فلا حاجه إلى وزنها. و إنما قالوا ذلك تضليلا و تحييرا للجهال...".

و يقول البحاثه فيدمان في هذا الصدد: "إن الكيمياء لا تتسمى بهذا الاسم [علم الميزان] بسبب استعمال موازين فيها. و لكن لما يجرى البحث عنه فيها من المقاييس الصحيحه و النسب المتوازنه التي ينتج عنها الحصول على

١- هديه العارفين ١: ٣١١. سماها: ذات الفوائد.

٢- الذريعه. ١: ٢. سماها: ذات الفوائد.

٣- العنوان الراجح: ذات الفوائد. و هو ما نص عليه معظم المصادر.

٤- منه نسخه خطيه في مكتبه جار الله باستانبول ١٦٤١.

٥- منه نسخه خطيه في مكتبه الفاتح باستانبول ٥٣٠٩.

٦- منه نسخه خطيه في دار الكتب المصريه ٤ طبيعيات.

الوسط الصحيح الملائم لتحقيق الغايه الكيماويه المرتجاه " (١) ١٢٤-١٢٥.

و المنهج الذى اتبعه الطغرائى فى تأليف رسالته هو أن يذكر طائفه من أقوال العلماء و الحكماء القدماء ممن اشتغلوا بالصنعه، أو ألفوا الكتب و الرسائل فى مواضيعها. و هذه الأقوال و جيزه غالبا. و هو يتلوها بشروح لها أو تعليقات عليها تكاد تحكيها قصرا.

يبدأ الطغرائى رسالته باقتباس قول كيماوى لهرقل هو: "إن فى التبييض أحد عشر سرا" ثم يعقبه بقول آخر شبيه به لجابر بن حيان هو: "تحتاج الأرض من الماء إلى عشره أضعافه" و يشرحه ثم يمضى فى اقتباساته لأقوال كيماويه أخرى عديده و فى شرحها و التعليق عليها. و من الموضوعات و الاصطلاحات الكيماويه التى تتردد فى هذه الأقوال: العمل و التدبير و الخلط و التبييض و التحمير و التعفين. و من الرموز: أرض مصر و أرض فارس و السماء و الأرض و السبعه المتحيره و الماء الورقى و الماء الخالد و إكليل الغلبه و الحجر.

أما العلماء و الحكماء الذين يقتبس أقوالهم فى هذه الرساله فهم هرقل و آرس و أغاثوذيمون و بليناس و زوسيموس و جاماسف و ماريه و جابر بن حيان و خالد بن يزيد. و ما يقتبسه من أقوال بليناس ثم آرس أكثر مما يقتبسه من أقوال الآخرين. و فى الرساله أقوال حكماء غير هؤلاء لا يسميهم. (٢)

و لا بد من الإشارة إلى أن هذه الرساله - و إن كان هدفها الشرح و البيان - لا تخلو من الغموض، و إنها كسواها من المؤلفات الكيماويه القديمه تتحدث عن موضوعات علم صعب أعزه أهله و كتموه من غيرهم فاستخدموا فى مؤلفاتهم الرموز و تعمدوا التعميه و الإبهام. و لا بد من الإشارة أيضا إلى أن اعتمادى فى تحقيق هذه الرساله على نسخه خطيه وحيدته لم ييسر لى فى تقويم نصها و تصويب بعض جملها ما كان ممكنا أن ييسره تعدد النسخ الخطيه.

منهج تحقيق الرساله:

١ - صححت فى متن الرساله أخطاء التصحيف و التحريف و أشرت فى الحواشى إلى الأخطاء.

٢ - شرحت بعض الألفاظ و الرموز الكيماويه.

٣ - أرفقت الرساله بملحقين تضمن أولهما تعريفا بالحكماء و العلماء الذين ورد ذكرهم فى الرساله. و تضمن ثانيهما فهرسا لما جاء فيها من ألفاظ و رموز كيماويه.

٤ - استعملت الرموز الآتية:

م: للمجموع الخطى ٧٣١ طبيعيات (ق ١٨٥ - أ ١٨٧) بدار الكتب المصريه.

لندن: للمجموع الخطى ٨٢٢٩ شرقيه بمكتبه المتحف البريطانى بلندن.

ق: لكلمه ورقه. بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على محمد و آله رساله ذات الفوائد من كلام الأستاذ مؤيد الدين أبى

إسماعيل رحمه الله عليه قال: من الأسرار الكبار قول هرقل: "إن في التبييض أحد عشر سرا." وهو مثل قول جابر "تحتاج الأرض من الماء إلى عشره أضعافه." وإنما يريد جابر بالماء الماء الورقي، ويريد بالأرض الثفل الباقي منه. وقال آرس: "و من أجل هذا الماء قال الحكيم: ماؤك من طبقه سماويه صانعه للطباع".

و العشره الأشياء التي ذكروها في الكتب أشاروا بها إلى كون الماء الورقي عند تمامه عشره أضعاف الجسد. و سموا كل واحد من العشره باسم على حده.

و قال جابر في بعض كتبه: "إن الكلس يدبر إلى أن ينقى عسره، و يحترق ما سواه." أقول: إذا انتهى إلى هذا الحد اختلط النحاس المعفن بالصفحة التي لم تعفن. و تمسك الأصباغ بعضها بعضا خلایا [خالیا] من النحاس المعفن. الذي لم يعفن هو الماء الورقي، و الصفیحه [الصفیحه] التي لم تعفن هي الجسد الباقي و هو إكليل الغلبه لأنه به يتم التدبير و يصير الأجساد بکلیتها أرواحا لم تبق فيها أرضیه تخالفها هاهنا تقوى على قتال النار.

و ما ذكروه من الأربعة الأجساد، و الستة الأجساد، و السبعة الأجساد، إنما هو كميته ما يروح من الجسد بالقياس إلى العشره الأجزاء التي هي تمام، و العمل الأجزاء.

اعلم أن الماء المفرد عند التدبير يستخرج أرواح الأجساد فيجنها في جوفه. و إنما يستجن اليسير منه في أول الأمر ثم لا يزال يتزايد إلى أن يصير الروح و الثفل سواء، ثم يتزايد الروح فتختلف نسبه أحدهما إلى أن يصير الروح و الثفل سواء، ثم يتزايد الروح فتختلف نسبه أحدهما إلى الآخر من أول التدبير إلى آخره، أما ما رمزه من الأعداد في سائر المواضع فعلى هذا القياس، و لهم فيها مجال واسع.

و قال آرس في الأوزان: "هذه الأشياء إنما تركيبها من كثير و قليل ثم يصيران بالسواء." أقول ثم بعد ذلك يستمد أحدهما من الآخر حتى ٣.

ص: ١٠٠

١- دائره المعارف الإسلاميه، ماده "الكيمياء" (بالانكليزيه) ٢: ١٠١٠. أقول: إن وجود هذا المعنى الكيماوى لكلمه وزن لا ينفي وجود الكلمه بمعناها الحقيقي في العمليات الكيماويه التي كان يقوم بها الكيماويون العرب و المسلمون. و نحن نجد في كتب جابر بن حيان و أبي بكر الرازي و غيرهما عنايه بذكر أوزان المواد المتفاعله التي تستخدم في التجارب العمليه، و لا شك أن اهتمامهم بالوزن هو الذي هداهم إلى استنباط القانون الذي ذكره الجلدكي، و هو أن المواد تتفاعل بمقادير معينه من حيث الوزن. و لقد استعملوا من الأوزان الرطل و الأوقيه و المثقال و الدرهم و الدائق [الدائق] و القيراط و الحبه، و استخدموا موازين حساسه دقيقه. انظر جابر بن حيان و خلفاؤه لمحمد ص محمد فياض

٢- دراسات في مؤلفات الطغرائي (بالانكليزيه) ص ٢١٠-٢١٣.

يصير ما كان قليلا في الأول كثيرا في الثاني.

و ما ذكروا من الأوزان وإنما هو الماء الخالد، و هو الذى قال فيه أغاثوذيمون: (١) "إن الماء الخالد إذا أصيبت حقيقه وزنه جعل خطا الذى لم يعرف وزنه صوابا."

و يسمون الثفل الذى يبقى بعد طلوع الماء الخالد بالزبل. (٢)

قول الحكيم: "إن حجرنا مثلث الكيان، مربع الكيفيه." يعنى بالتثليث الماء المفرد و الماء المركب و الأرض، و بالتربيع البياض و الخضره و الحمره و السواد.

قول الحكيم: "فى أرض فارس و أرض مصر." أرض فارس هو (٣) الطافى فوق لاشرافه (٤) و علوه، و أرض مصر هو الراسب لظلمته.

قول بليناس (٥): "تلك الحركات كانت فى وسطه (٦) أقوى منها فى أطرافه و حدوده." يريد بذلك أن ما صعد فى وسط التدبير من التركيب أكثر مما يصعد أولا و آخرا. أما أولا فلصلا به الجوهر، و لأنه معدنى لم ينضج، و أما آخرا فلقله الباقي و لكثره ما صعد منه الماء. و لما قسموا الجوهر قسمين أعلى و أسفل سموا الأعلى و الأسفل سوادا، الأعلى إن تم بياضا و سوادا كما سموهما سماء و أرضا، و روحا و جسدا، و ماء و دهنا.

قول بليناس: "فلما جاءت الحركات و اختلفت الطبائع دخل بعضها فى بعض، و قبل بعضها بعضا فى بعض على قدر قوتها و انحلال بعضها فى بعض، و ازدواج بعضها لبعض، و لذلك أسرع بعضها فى ولادته و أبطا بعضها." أراد بذلك انحلال النفس من الجسد، و سمي المنحل طبائع، لأنها تنحل شيئا فشيئا، ثم ذكر فى هذا الفصل ازدواج هذه الطبائع المنحله و عله سرعه بعضها و إبطاء بعضها، و ذكر المواليد المولده منها أولا فأولا، فيقال أخيرا لاجتماع الطبائع الثلاث عليه فى تحليله و تعفينه أسرع هذه الثلاث فى الحركه لللطافتها و تمت ولادتها قبل ولاده الأرض، فلما تم ما تولد من الماء و الهواء و طلع (٧) على وجه الأرض طلع على أثره ما تولد من الأرض بمعونه هذه الثلاث لها، و كان الشجر الذى لا ثمر له لشده يبسه، فدل بهذا القول لكره (٨) على كيفيه انحلال الطبائع من الجواهر الأول، و تدرجها حالا فحالا، و شبهها فى كل درجه بعنصر من العناصر البسيطه، أو نوع من الأنواع المركبه عنها، و ابتداء بالشجر الذى لا ثمر له، حتى صار إلى الإنسان الذى هو أشرف المركبات، (٩) و ذلك قوله و إنما طلع فى آخره ما طلع من النبات، لأن القوى الأربع اجتمعت عليه و دفع كل واحد ضد منها ضده عن نفسه إلى أن أسلفوا ولد، و الآن (١٠) هذه الطبائع الأربع أصدقاء، فلما اجتمعت (١١) دفع كل ضد ضده فأبطأت فى اجتماعها لدفع بعضها بعضا، فلما تمت و طلعت طلع بإزائها من الحيوان و الإنسان و كل دابه تامه القوه طويله الولاده مثل الفرس و البقر و الأسد و غير ذلك، و صار الإنسان قائما فى الهواء لاعتدال الطبائع الأربع فيه لأنه أتم المواليد كلها. هكذا تمت المواليد من الحيوان و النبات من الطبائع فى ابتداء الخلقه من جميع الخلقه، فقد دل بهذا القول على كيفيه الانحلال أولا، و الامتراج ثانيا، و طول المده فى تمام ذلك، و عسر الاجتماع و الاتحاد فى بدء الأمر.

قول القائل: "الرطوبه مثلها، و بها تصبغ الأجساد." ليس يعنى بها الرطوبه المائيه، و إنما يعنى بها الرطوبه المستخرجه من الأجساد

التي هي أرواحها.

قول بليناس(١٢): "المكان الذي كانت فيه الحركة معتدله و السكون معتدلا أيضا مثل الحركة جزءين مستويين كان هناك خلق الإنسان، الذي هو أوسط الخلائق. " يدل على أن المركب إذا صار روحه و جسده سواء فقد صار كثيرا. و هو الحملان الذي ذكره خال [خالد] [بن يزيد بن معاوية] في شعره.

(١٣) و كلما زاد الروح ازداد لطافه إلى أن يصير تسعه على واحد، و هي التسعه الأحرف التي ذكرها زوسيموس(١٤) في عده مواضع، و ذكر أن أربعه منها لا صوت لها، و خمسه لها صوت. و إنما أراد بالصوت الصبح، و لذلك قال آرس: " كان الأمد في أول الأمر السواء بالسواء و هو قولهم آبار(١٥) نحاس اجعلها بالسواء. " و الآبار نحاس هو الخلط كله، و هو الذي قال [فيه] الحكيم: "إننا لم نلق شدة في العمل أشد من المزاج حتى تراوجت الطبائع و اختلطت و صارت شيئا واحدا، فهو كلما دبر انقلب من لون إلى لون، و لكل لون طبيعه و قوه و لطف، و قد أفادته النار لأن يكون أولا- دوده ثم حيه تنينا، و كلما طبع بالرطوبة ازدادت ألوانه ازدهارا. "

و اعلم أن كل ما ذكره من الأوزان فإنما هو المقايسه بين أرواح الأجساد و أثقالها، و هذه الأوزان إن تميزت في العمل فلا حاجه إلى وزنها، و إنما قالوا ذلك تضليلا و تحييرا للجهاال كما قال جاماسب الحكيم في رسالته إلى بهمن بن أردشير: " و اعلم أن المركب لا يحمر حتى ينشف ماؤه و يجف ". و يدل على ٤٨

ص: ١٠١

١- م: أغاذيمون.

٢- م: بارزيل.

٣- م: و هو.

٤- م: لاشراقة.

٥- م: ليناس.

٦- م: وسطها.

٧- م: و طلوع.

٨- م: كذا في الأصل.

٩- هنا ينتهي ما ورد من هذه الرسالة في "دراسات في مؤلفات الطغرائي" ص ٢٨٨-٢٩٠.

١٠- م: كذا في الأصل.

١١- م: اجتمع.

١٢- م: قوبلينا.

١٣- الحملان: الخميره. جاء في كتاب تراكيب الأنوار للطغرائي (لندن ق ١٨١ أ): "قال خالد بن يزيد في أبيات كثيره يذكر فيها العمل و الأجساد الأربعه ثم ذكر الحملان و هو الخميره، فقال: و علمنى حملان شىء معجلجزاه إلهى خير ما كان جازيا انظر

أيضا ديوان خالد بن يزيد بن معاوية (مخطوطه مكتبه المتحف العراقي ببغداد ٢١٢٣) ص ٢٢٣.

١٤- م: ريسموس.

١٥- قال د. كامل مراد: "أخذ العرب معلوماتهم في الكيمياء على الأكثر من البلاد التي دخلوها، و كان المؤلفون أو النقلة على الأغلب من أصل فارسي أو سرياني، و لهذا لا غرابه في أن نراهم يستخدمون بعض الألفاظ الفارسيه أو السريانيه للدلاله على عنصر من العناصر. و قد وردت في كتبهم اللفظه الأكديه (آنك) للرصاص أو القصدير عوضا عن قلعي أو قصدير أو رصاصي. كما نجد استعمال الكلمه الآراميه (أبار) للرصاص... " انظر "الرمز في الكيمياء عند العرب" ص ٤٨

ذلك قول زوسيموس: "إن الأثالي اليابس يكون إذا طبخ بمائه حتى يجف و تذهب رطوبته و يتغير من البياض إلى الحمرة. و هو الذى يسميه الحكيم زئبقا و كبريتا."

و قول بليناس و هو يصف انقلاب الفضه فى معدنها ذهباً: "ثم يلح عليه الطباخ بحرارته و يقطع عنه الغذاء من الرطوبه و يصير يابساً(١) بحراره النار، فإذا ألح عليه النار فى طباحها اتصلت الحراره الطباخ بالجزء الذى هو فى باطنها فقويا جميعا و ظهرها على(٢) الفضه و انعدم(٣) البرد منها و بطن البياض فى باطنها و ظهرت(٤) الحمرة فى استعلاء النار فصارت ذهباً."

اعلم أن المركب إذا صار ذهباً بعد ما كان ورقاً فقد بقى فيه عمل كثير إلى أن يصير فرفيراً. و كذلك

قال زوسيموس(٥) فى حكاية عن موسى (ع) (٦): "خذ الحجر المعروف بالنسطريس(٧)، و هو العشره الأنواع التى ذكرها(٨) الحكيم، و اجعلها خميراً لذهب الذهب الذى سموه الصدى قد اختلط بالصمغ إلى أن ينعقد و يتحد(٩) طبخها و إلى أن نجدها فرفيراً." اعلم أنهم حين قسموا المركب عشره أقسام سموها هذه الأقسام أجساداً(١٠) و إنما سموها الثفل الباقى أجساداً.

و يدل على ذلك قول آرس: "إنهم خلطوا الأجساد بعضها ببعض فامتزجت(١١) فاسمك بعضها بعضاً بالماء المخلوط بها، ثم دبرت فصارت كلها زئبقاً واحداً فسمتها الحسده(١٢) ماء الكبريت، و سموها كباريت استخرجت من الأجساد. و إنما هذا كله استخراج روح الأجساد حتى يصير زئبقاً واحداً فى رأى العين."

قال آرس: "و معنى قوله ألصقوا(١٣) الزئبق بجسد المغنيسيا و بعباره أخرى خذوا الزئبق فألصقوه بالكباريت. قال: إنما أمرم أن تأخذوا الزئبق المركب المدبر فتلصقوه بالجسد النقى، و ذلك بعد ذهاب السواد، فيصير الذهب حجراً و رقيقاً، ثم يصير زعفراناً، ثم يصير فرفيراً. اعلم أنهم يريدون بالسواد الأرضيه، و ذلك أن للأجساد ظلمه و سواداً. و ذلك السواد و الغلظ من أرضيتها، و إنما يذهب بالتدبير الذى به يبيض النحاس و به يحرق، و به يذهب ظله، و ذلك بالزئبق و النار. و قال فى موضع آخر: "إن العمل التام لا يخرج إلا بالرفق و حسن التدبير، و إن النار و الزئبق لا يقدران أن يصيرا الأجساد غير أجساد حتى يذهب رجرجته و بريقه و يلصق بالأجساد رطباً [و] حتى يصير تراباً شبيهاً من الأجساد، لأن الزئبق إن لصق بالأجساد خرج ما أعلمتكم، و هناك يسمونه ماء الكبريت النقى."

و قال أيضاً: "إن الأرواح إذا جسدت تالفها(١٤) الأجساد فى التقلب و التبييض و التحمير."

و قال: "هذه العشره الأشياء تسمى إذا تمت الأصباغ و هى من ألغام الزئبق الخرثقلا(١٥). و هذه الكبريته البيضاء تسمى إكليل الغلبه". أقول إنما تسمى إكليلاً لأن الركن الثابت يسمونه ملكاً، و هذه الكبريته تطفو فوقه فتصير إكليلاً له، و يسمونه سماً لأنه يفتت الجسد و ينشف رطوبته، كما يفعل السم بأجساد الحيوان.

و هذه الأصباغ ربما قسموها سبعة أقسام و سموها بأسماء السبعه المتحيره(١٦).

و قول الحكيم: "إنه يواتيك على رأى الأوزان شئت إلا أن تدخل(١٧) عليه غريباً أو تجعله(١٨) ناقصاً من نجومه". يعنى إن لم يستخرج منه تمام الأصباغ التى شبهت بالنجوم السبعه. و أقوال إن هذه السبعه هى آخر العمل بعد البياض. و لذلك قال خالد

[بن يزيد بن معاويه]:

و عليك بالتعفين(١٩) بعد بياضه فى فارس سبعا من السبعات

(٢٠) وقبلها أربعه للبياض، و هى التى قالوا فيها بيبض النحاس و يلين الحديد و يذهب بصريير القلعى و رطوبه الآبار.

و باجتماع الأربعة و السبعة يتم قول هرقل: "إن فى البياض أحد عشر سرا".

و ربما قسموا المركب التام ثلاثه أقسام و سموه هرمس المثلث بالنعمة(٢١)ه.

ص: ١٠٢

١- م: يابسه.

٢- م: و اظهرا.

٣- م: و انعدام.

٤- م: و ظهره.

٥- م: اديسموس.

٦- قال ابن النديم: "... و قالت طائفه أخرى من أهل صناعه الكيمياء إن ذلك كان بوحي من الله جل اسمه إلى جماعه من أهل هذه الصناعه، و قال آخرون: كان هذا بوحي من الله تعالى إلى موسى بن عمران و إلى أخيه هارون (ع)... " انظر الفهرست ص

٥٠٨. و انظر أيضا ديوان خالد بن يزيد فى الصنعه ص ٢٠١-٢٠٢.

٧- أو النسطرس، و هو البورق. انظر سيكل ص ١٤.

٨- م: فذكر.

٩- م: و يتحدا.

١٠- م: أجساد.

١١- م: فترجت.

١٢- م: بالحده.

١٣- م: و معنى قولهم ألصق...

١٤- م: مجلدات يالفها.

١٥- م: الحرشقلى. و الخرشقلا من أصل يونانى و معناه الملبس ذهباً. انظر الكرملى: "الكلم اليونانيه فى اللغه العربيه" مجله

المشرق، بيروت ج ٧ ص ٣١٨. أو: الخرشقلا من اليونانيه خروسو كولا- أى الذهب الرصاص، و هو أحد الرموز التى رمز بها

الكيمياء و يون القدماء إلى النحاس. انظر "الرمز فى الكيمياء عند العرب" ص ٥٢. انظر أيضا سيكل ص ١٦، ١٧، ٣٣.

١٦- هى الكواكب السبعة المتحيره: زحل و المشترى و المريخ و الشمس و الزهره و عطارد و القمر. و قد تقتصر صفه التحير

على خمسه منها هى: زحل و المشترى و المريخ و الزهره و عطارد. و سميت هذه الكواكب بالمتحيره لأنها ترجع أحيانا عن

سمت مسيرها بالحركه الشرقيه و تتبع الغريبيه، فهذا الارتداد فيها يشبه التحير. انظر نهايه الإرب ١: ٥٨.

١٧- م: يدخل.

١٨- م: يجعله.

١٩- م: التقفين.

٢٠- ذكر الطغرائي هذا البيت وبيتا تاليا له، في كتابه تراكيب الأنوار (لندن ق ١٧٥ ب) و هذان البيتان هما: فادفنه في التعفين بعد بياضهفي فارس سبعا من السبعات فإذا تكامل وقتهن، فإنهمسر، و ذلك غاية الغايات و ورد البيتان في "ديوان خالد بن يزيد بن معاوية" (مخطوطه المتحف العراقي رقم ٢١٢٣ ص ٧٣-٧٤) من قصيده مطلعها: طرد الظلام تتابع الغسلاتفي كل واحده من الجمعات و عدد آياتها ١٣ بيتا. و هذان البيتان هما المرقمان ١٢، ١٣. و هذا نصهما في الديوان: و عليك بالتعفين عند بياضهفي فارس سبعه [كذا] من السبعات فإذا تكامل وقتهن، فإنهمسر و تلك [كذا] غاية الغايات

٢١- م: بالنغمه.

[و الحكمه و النبوه] (١) و ربما قسموه أربعة أقسام فسموها ماء و هواء و نارا و أرضا.

و إنما اختلفت الأقوال لاحتمال الانقسام إلى أى عدد فرض لها.

و قد غلطوا بذكرها و اختلاف أوضاعها، و إنما هو عمل واحد و تدبير واحد، آخره شبيه بأوله.

قول الحكيم: اجعلوا النورين القرينين بالسواء و من الباقي مثل جميعهم إنما هو فى بعض درجات المركب. فالنوران القرينان هما الماء المركب بالسواء:

ثلثان و ثلث و الباقي ثلثان.

و أقول إن السبعة الأشياء كلها هو التصديق الأول لأن القوم قالوا الثلث للبياض سمتها الحسده شيئا واحدا، و جعلوا من ماء الكبريت مثل الأشياء كلها هو التصديق الأول لأن القوم قالوا: الثلث للبياض و الثلثان للحمره.

و قد قلنا إن السبعة (٢) للحمره فقد صح ما قلناه. و غايه البيان فى ذلك أن الحكماء قسموا حجرهم دفعه قسمين و دفعه ثلاثه أقسام و سموها نحاسا و حديدا و قصديرا و آبارا. و سموها الأربعة الأجساد، و ربما جعلوا هذه الأربعة اثنين فسموا النحاس و الحديد نحاسا و القصدير و الآبار قصديرا. و ربما جعلوا هذه الأربعة عشره. و لذلك قالوا: العشره موجوده فى الأربعة و جعلوا القسم الآخر سبعة، فصار الجميع إما أحد عشر على رأى هرقل و إما سبعة عشر على رأى جابر. و مصداق ذلك قول هرمس: "أثمال الذهب سبع ثملان" فإنهم يسمون القسم الأول من العمل البياض و عمل الورق، و القسم الثانى الحمره و عمل الذهب. و يسمونه أيضا ذهبا و معدن ذهب و حجاره ذهب و رمل ذهب و كبريتا أحمر و ما شاكل ذلك من الأسماء.

و أما من قسمها ثلاثه أقسام فقد سماها ثلاثه تراكيب لانقسام كل واحد منها إلى ثلاثه أقسام [و] و تسعه أقسام بعدد الشهور.

و شبهوها بالفصول الأربعة. و سموها القسم الأول من الثلاثه نحاسا لبيسه، و القسم الثانى رصاصا لينه، و القسم الثالث حجر أطسوس لألوانه.

و هو قول ماريه: "آبار نحاس حجر مكرم ثم أذيبوها بالسواء". و قولها فى موضع آخر: "نحاس رصاص أطسوس بالسواء".

فهذه الأوزان التى أكثروا فيها الإلباس قد شرحناها بغايه البيان، و الحمد لله وحده و صلواته على عبده سيدنا محمد و آله أجمعين.

ملحق ١ تعريف بالحكماء و العلماء الذين ورد ذكرهم فى الرساله

آرس:

قال الأب الكرملى: آرس إله الحرب عند اليونان، من أصل عربى من حرش)، و هو الآرث أيضا (المساعد ١: ١٨٣). و آرس أيضا من الحكماء الذين الفوا كتبنا و رسائل فى الصنعه، منها "كتاب آرس الأكبر" و "كتاب آرس الأصغر" و قد ذكرهما ابن النديم

فى الفهرست ص ٥١٢. و منها "مصحف الحياه" و "مساءلات آرس الحكيم" و "كتاب الأمثال". و قد تردد ذكر هذه الكتب و تعدد الاقتباس منها فى مؤلفات الطغرائى الكيمياويه.

أغاثوذيمون:

قال ابن أبى أصيبعة: كان أغاثوذيمون أحد أنبياء اليونانيين و المصريين، و تفسيره السعيد الحظ (عيون الأنباء ص ٣١).

و قال الأب الكرملى: أغاثوذيمون - و هو بالفرنسيه Agathodemon و باليونانيه Agathos Daimon - معناها فى اليونانيه: المبدأ الحسن. و هو الاسم الذى سُمى به اليونان خوفيس من أشهر آلهه المصريين. و يظهر اسم أغاثوذيمون فى المصنفات العربيه باشكال شتى منها أغاثوذيمون و غاثوذيمون و أغاذيمون و غارميون و عاديمون و عادميون.. (المساعد ٢٥١:١).

و قال ابن النديم: إنه واحد من الفلاسفه الذين تكلموا فى الصنعه. و لم يذكر له كتابا (الفهرست ص ٥١١).

و فى مكتبه الفاتح باستانبول نسخه خطيه من رساله له عنوانها "مقالات أغاذيمون لتلاميذه" و رقمها ١/٣٢٢٧.

بليناس:

قال الأب الكرملى معرفا بابولونيوس: إن هذا العلم جاء بصوره بلينوس و بليناس و بليس و سائر مصحفاتها لا للعالم Plinius بل للعالم Apollonius، و إن ثمة اثنين من العلماء القدماء يحملان هذا الاسم هما أبولونيوس الطوانى - Nius De Tyane و أبولونيوس البرجى Apollonius de Perge (المساعد ١).

٩٣). و قال هولميارد: إن أول هذين العالمين هو الذى يعنيه المسلمون فى كتب الصنعه Alchemy.

و ذكره ابن أبى أصيبعة باسم "بليناس الحكيم صاحب الطلسمات (عيون الأنباء ٧٣:١).

و ذكر حاجى خليفه فى كشف الظنون ص ١٤٠٢ "كتاب بليناس".

و أغلب الظن أن هذا الكتاب هو الكتاب المسمى "كتاب العلل" أو "كتاب سر الخليفه" الذى توجد منه عدده نسخ خطيه فى مكاتب القاهره و ليدن و البنغال و غيرها.

الطغرائى الشاعر

و عن شعر الطغرائى يقول إسماعيل مظهر:

هو من أفذاذ الشعراء، و من أهل البيان الذين يشار إليهم بالبنان. أنكره أهل زمانه على القاعده السائده فى هذه الدنيا. و ليس فى ذلك عجب، ذلك بان نكران الأفذاذ فى زمانهم سنه أهل الشرق منذ أقدم عصورهم. و هذا الطغرائى على جلاله قدره يقول:

مالى و للحاسدين؟ لا برحت تذوب أكبادهم و تنفطر

يغتابنى عند غيبتى نفر جباههم إن حضرت تنعفر

ألسنه فى إساءتى ذلق يقتادها من مهابتى حصر

أنام عنهم ملء الجفون إذا أثارهم فى المضاجع الأبر

يكفيهم ما بهم إذا نظروا إلى ملء العيون لا نظروا

تغيظهم ربتى و يكمدهم جاهى فصقوى عليهم كدر

فنعمة الله و هى سابغه عندى من الحاسدين تنتصرع.

ص: ١٠٣

١- زياده تردد فى كثير من المصادر.

٢- م: السبع.

يعجبني أنهم إذا كثروا قلوا غناء و إن هم كثروا

و ليس من عجب في أن يحقد جماعه على الطغرائي في زمانه، و ليس من عجب في أن يقول فيهم الطغرائي هذه الأبيات و أكثر منها مما يتضمن ديوانه.

و لكن العجب في أن يهمل الطغرائي في زماننا فلا يتناوله كاتب بنقد، و لا يذكره أديب ببحث، كان هذا الشاعر العظيم من مطويات الأدب، تلك التي تطوى فلا تنشر، و تنسى فلا تذكر. ذلك في حين أن المتأمل في شعر هذا الرجل الفذ يدرك فيه سرا قلما تقع عليه في غيره من الشعراء: لا في شعراء عصره و لا في الشعراء الذين تقدموه، و لا في الشعراء الذين تلوه. و عندي أن هذا السر لا يشاركه فيه إلا شاعر واحد هو أبو العلاء المعري. أما ذلك السر فهو الجمع بين قوه الشعريه و دقه الاحساس و صدق الوجدان و بين هدوء الطبع. أما إن ذلك سر من أسرار العظمه في الطغرائي، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه سر عظمته، فذلك بان الشعر عاطفه و خيال و حركه نفسيه جياشه دافقه سياله، فإذا حكم هذه الصفات هدوء نفس طبيعي، صفا الشعر و رق و أنساب انسياب الجدول المترقق الهادئ، و لكنه في ترققه و هدوئه حاد كالسيف قاطع كالفاس الباتره المحدوده.

و أبو العلاء المعري إن شارك الطغرائي هذا السر، فلا شك في أنه في نفسيه الطغرائي و أذهب في الوجدان. فان أبا العلاء شاعر حكيم بطبعه متشائم بفطرته. حمل على المرأه و طغى على الإنسانيه، حتى لقد أراد أن يهدم كل قائم من غير أن يعرف كيف يقيم غيره، و أن يدك كل أساس عملي في الحياه من غير أن يرسم للحياه طريقا جديدا. ذلك على العكس من الطغرائي فإنه عاش مع المرأه و اندفع في غمرات الحياه و شرب من أفوايقها حلوه و مره، فكان من صميم أهل الدنيا. فإذا لازم أبا العلاء شيء من هدوء الطبع ظهر أثره في شعره فذلك طبيعي بمقتضى النشأه و الاتجاه الفكرى. أما أن يلازم الطغرائي ذلك الهدوء و تحكمه تلك الطمأنينه، و هو بعد مغمور في الحياه محب لها، هائم بمباهجها، لماح لما فيها من مغريات و مفاتن، فذلك سر من العظمه لا تالفه في الشعراء.

و لقد يظهر أثر هذا السر في مراثيه [مراثيه]، و هى أبعد الأشياء عن أن يلزم فيها شاعر هدوء نفسه و طبعه، فلا يغلب عليه خيال جماح إلى غايات من الشعر يسبح من خلالها الشاعر في عالم من الخيال البعيد المعلق بأفاق الوهم القصيه.

و له في ارناء مقطوعه رثى بها عزيزه عليه، تلمح من خلالها مقدار ما لاقى في فراقها من لوعه عميقه الأثر بالغه الخطر، و لكنك تلمح فيها أيضا ذلك الهدوء النفسى الذى يبلغ من قراره نفسك مبلغا لا تبلغه ثوره الشعر:

و لم أنسها و الموت يقبض كفها و يبسطها و العين ترنو و تطرق

و قد دمعت أجفانها فوق خدها جنى نرجس فيه الندى يترقق

و حل من المقذور ما كنت أتقى و حم من المحذور ما كنت أفرق

و قيل فراق لا تلاقى بعده و لا زاد إلا حسره و تحرق

فلو أن نفسا قبل محتوم يومها قضت حسرات كانت الروح تزهب

هلال ثوى من قبل أن تم نوره و غصن ذوى فينانه و هو مورق

فوا عجباً أنى أحم اجتماعنا و يا حسرتى من أين حل التفرق

أحن إليها إن تراخى مزارها و أبكى عليها إن تدانى و أشهق

و أبلس حتى ما أبين كأنما تدور بى الأرض الفضاء و أصعق

و ألصقها طورا بصدري فاشتفى و أمسحها حيناً بكفى فتعقب

و ما زرتها إلا توهمت أنها بثوبى من وجدى بها تتعلق

و أحسبها و الحجب بينى و بينها تعى من وراء الترب قولى فتنتق

و أشعر قلبى الياس عنها تصبراً فيرجع مرتاباً به لا يصدق

هذا شعر صادق الدلالة على الحقائق التى أحاطت بالشاعر، و على الإحساسات التى اختلجت بها نفسه. قد تكون فيه لمحات من شعر الرثاء فى شعر غيره من الشعراء، و لكن فيه إلى جانب هذا سر جديد عليك. ذلك ما تدرك من هدوء هذه النفس الثائرة كأنما ترى أرضاً انبسطت و نما فوقها العشب و غشتها الأزاهير، و أنت تسمع من تحتها دوى البراكين و همهمه الزلازل تغلى فى باطنها.

و لقد حاولت أن أطلق على هذه الظاهره العجيبه فى شعر الطغرائى اسماً أميزها به، فلم أجد اسماً أطلقه عليها أجدر بها من أن ندعوها "الواقعيه الشعريه" فإنها و الحق يقال أقرب الأشياء فهما مما ندعوه "الواقعيه فى الفلسفه" على أن المقارنه بين واقعيه الشعر و واقعيه الفلسفه يحتاج إلى فراغ ليس هذا مكانه، أما إذا أردت أن تقف على طرف مما ذكرت فاقراً له المقطوعه الآتيه:

أقول لنضوى و هو من شجنى خلو حنانيك قد أدميت كلمى يا نضو

تعالى أقاسمك الهموم لتعلمى بانك مما تشتكى كبدى خلو

تريدين مرعى الريف و البدو أبتغى و ما يستوى الريف العراقى و البدو

هناك نسيم الريح مثلك لاغب و مثلى ماء المزن مورده صفو

و محجوبه لو هبت الريح أرفلت إليها الغيارى بالعوالى و لم يلووا

صبوت إليها و هى ممنوعه الحمى فحتى م أصبو نحو من لا له نحو

هوى ليس يسلى القرب عنه و لا النوى و شجو قديم ليس يشبهه شجو

فأسر ولا فك، و وجد ولا أسى و سقم ولا برء، و سكر ولا صحو

عناء معنى و هو عندى راحه و سم زعاف طعمه فى فمى حلو

و لو لا الهوى ما شاقنى لمح بارق و لا هدى شجو و لا هزنى شدو

إن فى هذا الشعر لثوره يخيم عليها هدوء نفسى قلما تانسه فى شاعر غيره.

و عندى أن هذه الصفه لم تتجل فى شعر الطغرائى بقدر ما تجلت فى لاميته المعروفه، و إن لنا لعوده إليها نحلل فيها هذا الشاعر الكبير على ضوء هذه الحقيقه الملموسه فى شعره. و لقد يحفزنا إلى درس الطغرائى أنه شاعر فسيح الجوانب مديد الغايات و فى شعره تعلق بأسباب الأدب العالى، و ما أحوجنا إلى هذه الأسباب.

الشريف حسين بن داود بن يعقوب الفوعى:

قال أبو الفداء فى تاريخه و هو يتحدث عن حوادث سنه ٧٣٩:

فيها فى أوائل رجب توفى بمعره النعمان ابن شيخنا العابد إبراهيم ابن عيسى...

و بعد أن يصفه بأوصاف كثيره يقول: و هو من أصحاب الشيخ القدوه مهنا الفوعى نفعنا الله ببركتهما، و كان داعيا إلى السنه بتلك البلاد و توفى بعده بأيام الشريف حسين بن داود بن يعقوب الفوعى بالفوعه و كان داعيا إلى التشيع بتلك البلاد، قلت:

و قام بنصر مذهب عظيم و حدد ظفره و أطال نابه

تبارك من أراح الدين منه و خلص منه أعراض الصحابه

السيد حسين بن السيد رضى بن السيد مقتدى الحسينى القزوينى

الملقب بمعين الإسلام و المشهور باللامع.

ولد فى قزوين ليله الجمعه ٢٠ جمادى الأولى سنه ١٣١٦ و توفى بها سنه

ص: ١٠٤

١٣٨٦ نشأ في قزوین علی حب العلم، ثم هاجر فی أوائل عمره إلى أصفهان، وقرأ الصرف و النحو و المنطق هناك علی جماعه من أفاضل أصفهان، ثم عاد إلى قزوین، و أكمل السطوح بها، و تخرج فی الفقه و الأصول علی الحاج ملا علی أكبر سیاه دهنی و الشیخ عیسی البرغانی و غیرهم و مال إلى الخطابه فأقننها و نبغ بها، فكان من أكابر خطباء المنبر الحسینی فی ایران. و فی إحدى رحلاته إلى مدینه أرومیة اجتمع مع محمد حسن المعروف بمحبوب علی الشاه فی مراغه و هو من أقطاب الصوفیه، فتأثر بافكاره و اعتنق طریقته و أصبح خلیفته فی قزوین.

من آثاره المطبوعه: دیوان شعر یحتوی علی مجموعه من الغزلیات و الرباعیات و له قصیده باسم جغد بلبل عرفانی، و له أيضا بعض المؤلفات لم تخرج إلى المبیضه. (١)

السید حسین بن علی نور الدین

ولد عام ١٨٩٦ م فی قریه "خریه سلم" من جبل عامل و توفی فیها سنه ١٩٧٨ م و تعلم مبادئ القراءه و الكتابه فی "الكتاب" ثم تثقف علی نفسه.

قال من قصیده عام ١٩٤٨، و هو عام تقسیم فلسطین، و ما ارتکبه اليهود فی جبل عامل من الآثام:

قری الحدود و أهلوها قد اندثرت تداس فی سوحها الأشلاء و الرمم

جاس اليهود خلال الدور و اندلعت من المدافع نيران بها اعتصموا

لما أناخوا علی "حولا" بكلکلهم و استعملوا الفتک ما رقوا و ما رحموا(٢)

فالطفل من فرق قد شاب مفرقه و الأم أذهلها عن طفلها الألم

أین الصنادید یوم الروع من شهدت لباسها فی الوغی الهندیه الخدم

أین البواسل من قحطان تنجدنا أین الحماء أباه الضیم أین هم

أین المذاوید هل خارت عزائمها بل أین أین الحفاظ المر و الشمم

أین الذین إذا اهترت صوارمهم تساقطت قلیل للأرض تصطدم

ما مجلس الأمن من خوف یؤمننا فلینصف السیف إن لم ینصف الحکم

ما بالکم بح صوت المستجیر بکم أین الحمیه و الاقدام و الهمم

عهدی بکم لا یضیع الدهر و ترکم و لا یطل لکم بین الطلول دم

هبوا سراعا و فى أحشائنا رمق فنوم مثلكم عن مثلنا يصم
ألا ترانا و قد ضاق الفضاء بنا و ما لنا منهم منجى و معتصم
قد أمطرونا رصاصا من بنادقهم فارغموننا على استسلامنا لهم
و قال:

يخاتلنا ذا الدهر فى من يخاتل يسالمننا طورا و طورا يقاتل
و أبناءه فى الغدر يحذون حدوه فمن ذا نصافى منهم و نجامل
أيرجى و فاء منهم و صفاتهم على شكلهم فاللؤام للكل شامل
فلا يطمع الأعداء فىنا سكوتنا فان الليالى فى الورى تتداول
فلا بد من يوم يؤرخ فعله و أخباره بين الملا تتناقل
ألا أيها الساعى ليطفى نورنا رويدك لا يغررك منا التغافل
ألا تتقى الحرب العوان و تنتهى فان الليالى فى الخطوب حوامل

ابن سينا الحسين بن عبد الله بن على

إشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٦٩ من المجلد السادس ثم مر بحث عنه فى الصفحه ٢٣٠ من المجلد الأول من المستدركات. و قد كانت الدراسات عنه فى معظمها فيلسوفا و فى هذا البحث الذى كتبه الدكتور داود مزيان الثامرى عن رساله مخطوطه لابن سينا يبرزه لنا طبيبا و البحث الذى يليه يبرزه لنا عالما طبيعيا:

التعريف بابن سينا

شهدت خراسان فى القرن الرابع للهجره حركه فلسفيه قويه تحت حكم الدوله السامانيه و نبغ فيها النشاط العلمى بدرجه كبيره كان لها الأثر الفعال فى ازدهار الثقافه و العلوم العقلية فى تلك العصور، و قد توجهت هذه الحركه بظهور الفيلسوف الكبير ابن سينا الذى يعد بحق دره الدوله السامانيه و مفخره الأمة الإسلاميه.

هو حجه الحق و شرف الملك الشيخ الرئيس الحكيم الوزير الدستور أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا.

لقد اشتهر فى كتب الفلاسفه المتأخرين من هذه الألقاب و الكنى و الأسماء، ما يوحى بمهامته العلميه و السياسيه، و من

المؤسف حقا أننا لا نجد في نسبه أكثر من هذه الأسماء، وقد علق ابن أبي أصيبعة على شهرته فقال:

"و هو و إن كان أشهر من أن يذكر و فضائله أظهر من أن تسطر".

و ابن سينا من الفلاسفة القلائل الذين دونوا سيره حياتهم، و كتبوا أخبارهم، و يعود الفضل إلى أحد تلامذته المعروف بأبي عبيد الجوزجاني، الذى سطر حياه ابن سينا و جاءت فى مصادرنا التاريخيه. و قد أخذ ابن أبي أصيبعة روايه الجوزجاني هذه فقال الشيخ عن نفسه: " كان والدى رجلا من أهل بلخ و انتقل منها إلى بخارى فى أيام الأمير نوح بن منصور(٣) فولاه الأمير نوح إداره قريه من ضواحي بخارى تسمى خرميثن ". و هذا دليل على أن عبد الله والد ابن سينا كان على شىء من راحه العيش. ثم تزوج عبد الله امرأه اسمها (ستاره) من قريه أفشنة فرزقا الحسين عام ٣٧٠هـ، فأصبح فى الأسره غلامان. على و هو الأ-كبر و الحسين و هو الثانى، و بعد خمس سنين رزقت الأسره غلاما ثالثا و هو محمود.

انتقلت الأسره إلى بخارى فاستقرت بها، و أحضر لابن سينا معلم القرآن و الأدب، فلم يكد يكمل العشر من العمر حتى حفظ جميع القرآن و كثيرا من الأدب و حتى "كان يقضى منه العجب ". و صحبت هذه الذاكره القويه العجيبه ابن سينا طوال حياته، فهو يروى أنه حفظ كتاب الطبيعه لأرسطو عن ظهر قلب دون أن يفهمه، حتى اشترى كتاب الفارابى فى أغراض ما بعد الطبيعه فانفتح على: "فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه قد صار لى محفوظا على ظهر قلب".

و قد برزت شهرته العلميه و نبوغه العقلى عند ما تولاه الأمير نوح بن منصور السامانى بالرعايه و الاهتمام. و يذكر أن الأمير نوحا قد ذكر عنده فى مرضه الأخير فأحضره و عالجه حتى برئ، و اتصل به و قربه منه و فتح له دار كتبه، و كانت هذه المكتبه من خيره مكتبات ما وراء النهر و المشرق الإسلامى، و قد وصفها ابن خلكان بقوله: "و كانت عديمه المثل فيها من كل فن من الكتب المشهوره بايدى الناس و غيرها مما لا يوجد فى سواها و لا سمع باسمه فضلا عن معرفته ". فكانت فرصه ابن سينا أن يتزود من هذه المكتبه لكثره علومها، و لم يستكمل ثمانى عشره سنه من عمره إلا- و قد فرغ من تحصيل العلوم التى عاناها بأسرها.

ص: ١٠٥

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- حولاً: قريه عامليه على حدود فلسطين أجرى اليهود فيها مجزره رهيبه.

٣- هو أحد أمراء البيت السامانى الذى ترعرع فى كنفه ابن سينا و نبغ فى علمه: ابن خلكان - وفيات الأعيان ١/٤٢٠ السامانى

و هكذا كان لاهتمام السامانيين بآبن سينا و رعايتهم له أثر فى تفوقه العلمى و شهرته العلميه و ذبوع صيته. و يستمر آبن سينا فى الحديث عن نفسه. فبعد أن أتم حفظ القرآن و الأدب العربى أرسله أبوه إلى بقال يسمى "محمود المساح" ليتعلم منه حساب الهند و مبادئ الهندسه، كما تعلم الفقه على يد إسماعيل الزاهد. و صادف أن وفد إلى بخارى الفيلسوف أبو عبد الله الناتلى و كان تلميذا لأبى فرج بن الطيب، من علماء القرن الرابع الهجرى، فأنزله والده فى داره حتى يتعلم منه آبن سينا الفلسفه، و بدأ يقرأ عليه كتاب إيساغوجى لفرفيوس الصورى(1) و برز التلميذ على يد أستاذة حتى كان يتصور مسائل المنطق أفضل منه، و عندئذ أخذ آبن سينا يقرأ الكتب و يطالع الشروح بنفسه حتى أحكم علم المنطق و الهندسه و الطب. و من فرط ذكائه أنه برز فى الطب و هو فى السادسة عشره دون معلم و أخذ يتعهد المرضى، و لا غرابه فى ذلك من شفاؤه للأمير نوح بن منصور السامانى فى هذا العمر المبكر، و بذلك نجح نجاحا باهرا و اشتهر أمره.

إن هذه السيره قد قرأها على تلميذه عبد الواحد الجوزجانى عند اتصاله به، و كان آبن سينا فى الثانیه و الثلاثين من عمره، و أكمل الجوزجانى الحديث عن سيره أستاذة بعد ذلك، و دون أخباره بما يعادل ربع قرن، حيث نضج فيها آبن سينا و تطور و اكتسب الكثير من التجارب و ألف كثيرا من الكتب الجليه الشأن.

لقد وصفه آبن خلکان بقوله: "كان نادره عصره فى علمه و ذكائه و تصانيفه" و صنف كتاب الشفاء فى الحكمة و النجاه و الإشارات و القانون و غير ذلك مما يقارب مائه مصنف ما بين مطول و مختصر. و لا غرابه فى أن يتخذ كتابه القانون مرجعا لطلبه الطب فى جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر.

و أخذ القديس توما الاكوينى الفلسفه السينويه لآبن سينا فكانت بذلك الفلسفه الغربيه التى تمتد جذورها إلى ثمره جهود آبن سينا، و هذا ما يفسر لنا كيف استمد الغرب ثقافته من العرب.

و يسجل الجوزجانى تاريخ ولادته سنه ٣٧٠ هـ فى شهر صفر من تلك السنه، أما وفاته فكانت بمدينه همذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنه ٤٢٨ هـ و دفن بها.

ذكر آبن أبى أصيبعه كتاب "القولنج" هذا، و أشار إلى أن تأليفه قد وقع أيام سجنه فى قلعه فردجان من أعمال همذان - لم يكن تاما على حد تعبيره.

و يبدو أن ظروف السجن و معاناه العيش آنذاك حالت دون استكماله.

و لعل آبن سينا قد أكمل الكتاب بعد ذلك أو أيام كونه فى السجن. و لكن يد الإهمال حالت دون وصوله إلينا كاملا.

و مهما يكن فان النسخ التى بين أيدينا تعبر بوضوح عن قيمه آبن سينا العلميه و أهميته فى الطب فى حالتى التشخيص و العلاج، و هو ما بين الداء و الدواء يبرز كطبيب عصره و قدرته فى العلوم الطبيه.

التراث الطبى الإسلامى

إن أهميه دراسه التراث العلمى الطبى الإسلامى تنبع من جوانب عدة:

فدراسه التراث الطبى تمكنا من تبيان الحقائق الطبيه التى نقلها أجدادنا فى عصر الترجمة من الأمم الأخرى مثل اليونان و الاغريق و الفرس و الهنود التى أضافوها إلى جهودهم الشخصيه و مكتشفاتهم التى توصلوا إليها عن طريق الملاحظه و المتابعه و التحرى و قوه التفسير و التعليل المنطقى الذى يقبله العقل مخالفين بالرأى غيرهم إن لم يكن حقيقه مقبوله. فاختلوا مع جالينوس فى كثير من الأمور الطبيه و لم يقبلوا كل شىء على علاته كما يدعى البعض. إن ذلك سوف يعرف أبناء اليوم بجهود أجدادهم كما أن ذلك سوف يرد به على المغرضين و الحاقدين الذين يحاولون طمس الحقيقه و حجب نورها و إعطاء المسلمين دور الناقل و المترجم و البعض يعطيهم فضل أمين المكتبه.

إن طبيعه الأمراض لم تختلف عما كانت عليه فى الأزمان الماضيه عنها فى الوقت الحاضر، و لكن الذى اختلف هو ظهور البحث العلمى الذى توصل إلى معرفه مسببات تلك الأمراض. و كثيرا من الوصف الطبى الذى قام به أطباؤنا الأوائل لا يختلف كثيرا عما نعرفه اليوم، و قد برز المسلمون فى علم الصيدله و التداوى و هم أول من ألفت الكتب فى ذلك. و من دراسه التراث العلمى لهم نستطيع الكشف عن العلاج الذى اتبعوه، و نحاول دراسته علميا و نخضعه للتجربه العلميه لتبيان مدى فعاليته. و قد قامت جهود مشكوره و لكنها محدوده لدراسه بعض النباتات الدوائيه التى استعملها العرب فى مداواه بعض الأمراض و أثبتت نتائجها كما فعل الدكتور محمود رجائى و جماعته فى دراستهم السريره على استعمال المسواك^(٢) حيث أثبتوا احتواء المسواك على المواد الطبيعيه النافعه.

إن الأدوية التى استعملها أطباء المسلمين كثيره و متعدده و قد يكون الرجوع إليها مخرجا من القيود و التحددات التى وصل إليها العلم فى الزمن الحالى و قد يجد عالم اليوم جوابا علاجيا لبعض الأمراض المستعصيه خاصه إذا علمنا أن كثيرا من أدويه هذا العصر سبق أن استعملت و لكنها طورت و استخلصت بصوره جيده و على نطاق تجارى واسع، أو قد صنعت بعد معرفه مكوناتها الأساسيه، و كتب الصيدله تزرخ بالمثال منها.

إن تحقيق التراث سوف يرفد المكتبه الإسلاميه بالمصطلحات و الأسماء الطبيه التى عرفها أجدادنا و سموا بها الكثير من أعضاء الجسم و الأدوية و الأمراض، و يساعد فى عمليه التعريب، و يثبت أن لغه العرب غير قاصره عن خدمه العلم، و ليست محدوده بحيث لا تسمح لتعريب الطب أن يجرى و أن يواكب الحركه العلميه فى كافه المجالات.

و التحقيق كذلك يساعدنا على معرفه أماكن مخطوطاتنا التى تنتشر فى أنحاء المعموره كافه، و طمور كثير منها فى رفوف المكتبات، و هى تراث علمى نفتخر به، و يجب أن نظهره للعالم أجمع، و قد قامت كثير من الدول العربيه و الجامعه العربيه بإنشاء مراكز تعنى بالتراث و تحقيقه و عدم الاكتفاء بالمبادرات الشخصيه المشكوره حيث إن العمليه مجهده و متعبه و هى بحاجة إلى جهود جمه متجمعه و ليست متفرقه.

موارد ابن سينا التى تآثر بها فى الطب

كما وردت فى المخطوطه - ج - ١ - جالينوس^(٣)!

١- إيساغوجى لفظه يونانيه معناها المقدمه أو المدخل

٢- د. محمد رجائي المصطبهى و جماعته، استعمال المسواك لنظافه الفم و صحته، كتاب الطب الإسلامى. الأبحاث المقدمه للمؤتمر العالمى الأول - الكويت، ربيع الأول ١٤٠١ هجرية.

٣- جالينوس - ولد سنه ١٣٠ م فى مدينه بيرغاموم شمالى أزمير فى تركيا و توفى سنه ٢٠٠ م عن عمر يبلغ السبعين، له مصنفات كثيره فى الطب و لم يسبقه أحد إلى علم التشريح و ألف فى تشريح الأحياء كتابا و شرح كتب أبقرات كلها.

٢ - الاسرائيلي: - كتاب مبحث أمراض الرحم.

- كتاب الحميات.

٣ - ابن زهر) ابن زهر - أبو مروان عبد الملك بن زهر ولد في إشبيلية سنة ١٠٩١ أو ١٠٩٤ ميلاديه و توفي في إشبيلية عام ١١٦٢ ميلاديه بعد إتمام كتابه - التيسير - التي ترجم للعبريه و اللاتينيه و طبع باللاتينيه عدده مرات بين عام ١٤٩٠ و ١٥٥٤ ميلاديه. صاحب التيسير ٤ - محيي الطب(١) أبي قراط.

اعتمدنا مخطوطه معهد إحياء المخطوطات العرييه رقم ٣١٦٧ جامعه الدول العرييه للتحقيق و رمزنا إليها بالحرف - آ - و هي عباره عن مايكرو فيلم برقم من ٥٣٢ - المكتبه الآصفيه بحيدرآباد، و رقم المخطوط فيها ٤١ (١٩) مجاميع من صفحه ٤٨٤-٥٦٤، اسم الكتاب "رساله في القولنج" و اسم المؤلف ابن سينا. تاريخ النسخ القرن الثاني عشر بخط تعليق حسن، عدد الأوراق (٣٧) بالعلم) الصفحه ١٧ سطرا، المقاس ١٦٠.٩٠ ملمترا.

بالنسخه آثار أرضه و ترقيع بسيط. و قد تم مقارنتها بمخطوطه جامعه الدول العرييه - معهد إحياء المخطوطات العرييه رقم ٣٠٦١ و قد رمز لها برقم - ب - و هي من مكتبه رضا رامبور، و رقم الفيلم من ٢٦٧/٢٢٩، و رقم المخطوط فيها ٤٠٣ (٥)، وسط اسم الكتاب (رساله في القولنج و تعديل أصنافه و أسبابه و علاماته) اسم المؤلف ابن سينا، و تاريخ النسخ القرن الحادى عشر، و هي بخط تعليق حسن، عدد الأوراق فيها ٧٤ صفحه، و الأسطر ١٥ بمقاس ٢٢٢.١٣٠ ملمترا.

أولها: و بعد فقد خاطبني مبتديا بالأمير الجليل نصره الدوله عن الملك كفاه الله من جميع متصرفاته.

كما تم مقارنتها بمخطوطه معهد و لكم للتاريخ الطبى فى لندن برقم:

٦٨ Wmsor و قد رمز لها بالرقم - ج -، و هي ٢٢ ورقه (١٤٥.٢١٢)، ملم ١٨ سطرا طلق معاده الكتابه (رساله في القولنج - القولنج).

و أولها: و بعد فقد خاطبني سيدنا الأمير الجليل نصره الدوله عن الملك كفاه الله جميع متصرفاته الإنجاح و الظفر).

اعتاد الباحثون عند تحقيقهم لأى مخطوط(٢) مقارنته بأكثر من نسخه واحده يشيرون إليها بالأرقام (أ، ب، ج) ثم يثبتون بعد ذلك فى الهوامش الاختلافات و هذا مطلوب علميا و لكنه مرهق و رأيت أن أكتب و أذكر ما ذكر فى اثنين من المخطوطات لأسهل للقارئ الصوره و لا- أشغله كثيرا بان الكلمه وردت فى (أ) كذا و فى (ب) و فى (ج) كذا، و أظن أن ذلك هو سبب عزوف كثير من الأساتذه عن التحقيق و الأفضل أن يظهر كتاب ابن سينا و يصرف الوقت عليه لتبيان الحقائق الطبيه من ضياع الوقت باعتماد الطريقه المتبعه سابقا علما بان ذلك قد لا يقبل من كثير من الأساتذه الأفاضل الذين يتبعون الطريقه الأولى. لقد حصرت الكلمه بين قوسين عند ورودها فى مخطوط واحد فقط و كتابه المتفق عليه فى المتن. لقد وردت كلمات كثيره فى المخطوطه (ج) غير منقطه فهتمت من سياق العبارات و المعانى للكلمات و المقارنه بالمخطوطتين (أ و ب). استعمل ابن سينا الفيشات فى هوامش صفحاته لتوضيح بعض الكلمات و النقل للصفحه الثانيه لم يكن عدد الأسطر متساويا فى كل الصفحات و

قد جاءت بعضها كتابات كبيرة و واضحة و بعضها صغيره مملومه، و ذكر أسماء الفصول في الصفحه نفسها دون أن يضع لها عنوانا.

الدراسه و التعليق

من خلال دراستنا للحقائق الطبيه في رساله الشيخ الرئيس ابن سينا في القولنج و مدى مطابقتها و اختلافها لعلم الطب الحديث يتضح لنا عمق التراث العلمى الذى دونه أسلافنا في مجالات المعرفة العلميه و تأثيرها في ما هو وارد لدينا في الطب الحديث فقد ذكر:

١ - وجود الهدف الواضح في مقدمه الرساله حيث بين أسباب كتابه الرساله بقوله: " ان أجمع بخزائنه - عمره الله - كتابا يشتمل على ما ينبغى من حال القولنج أقسامه و أسبابه و أعراضه و دلائله و وجوه معالجاته و نهج السبيل إلى التحرز منه غير قاصر عن واجب البيان و لا خارج إلى حد الحشو و التطويل (١/أ).

٢ - إن هذه المقدمه تبين أن الرساله هي أول كتاب تخصصى في أمراض الجهاز الهضمى و بجزء واحد منه و هو أمراض القولون - القولنج.

٣ - كما أنها تبين التتابع العلمى و التسلسل المتبع حديثا في كتابه الأمراض في الكتب فقوله: " أقسامه "Classification" و أسبابه "Aetiology" أعراضه و دلائله "Symptoms" أو ما يعرف بالعرض الطبى للمرض "Clinical Presentation" و وجوه معالجاته "Treatment" و ينهاها "نهج السبيل إلى التحرز منه" و هو ما يعرف حديثا بالوقايه "Prevention" ثم يضيف: إنها يجب أن لا تكون مقصره في مضمونها و ليست خارجه عنه بالحشو و التطويل.

٤ - اتبع نفس الفهرسه و التبيوب الحديث و أشار إلى ذلك في المقدمه فهو يقول: "المقاله الأولى في تشريح الأمعاء و منافعها، و المقاله الثانيه في تعريف ماهيه القولنج في أقسامه و أسبابه و علاماته، و المقاله الثالثه في تدبير أصحاب القولنج و علاجهم و حفظهم (١/أ).

و من ثم يستمر في توضيح كل فصل من فصول المقاله معددا كل ما تشتمل عليه ليسهل للقارئ أن يعرف عند ما يطلب شيئا خاصا يجد مقابله بما هو موجود في الكتب الحديثه التى تسهل للقارئ ذلك. فمثلا تأخذ فصول المقاله الأولى فهى تسعه فصول: الفصل الأول في ذكر التجاويف الكبار التى في بدن الإنسان، الفصل الثانى في ذكر منافع الأعضاء " (١/ب).

و يستمر على هذا المنوال حتى ينهى جميع فصول المقالات. قائلا: " فهذا ٣١.

ص: ١٠٧

١- محيى الطب - أبى قراط. يعده البعض أبا الطب، عاش ٩٥ سنه، و هو يشتهر بطبه و قسمه و ألف العديد من الكتب في الطب.
٢- هنالك نسختان، نسخه مشهد، و نسخه وهبى، اللتين نوه بهما الأب جورج شحاته فنواتى، في كتابه "مؤلفات ابن سينا":

٥ - إن الشيخ الرئيس يحاول أن يشرح فلسفه الجسم و المراكز و المسئوله عن وظائف الأعضاء فهو يقول: " اعلم أن الأفعال الضرورية من قوام الحيوان فعل تغذيه البدن و يصدر عن القوه الطبيعيه، و فعل تغذيه الروح و تعديلها و يصدر عن القوه الحيوانيه، و فعل الحركه و يصدر عن القوه النفسانيه " (٢/أ).

إن هذا التفصيل يشبه ما نعرفه اليوم من الفلسفه فالتغذيه تفصلها عن التنفس و هما منفصلان عن الحس و الحركه.

٦ - كما إنه شرح موضع كل من الأعضاء فى الجسم مشيراً إلى سيطره كل عضو على العضو الآخر قائلاً: " وقد أعد الخالق لكل واحد من تلك الأعضاء التى تخص فعلاً منها تجويفاً و خزانه تحويه، فأعضاء التغذيه للبدن هى المعده و الكبد و يدخل معها الكبد الطحالى و المراره و الكلتيان و الأمعاء و التجويف الذى يحويها هو الفضاء الذى يبطن و يحيط به المراق و الصلب من الأسفل و من الخلف و الحجاب الحاجز المسمى ذيفر عما من فوق " (٢/أ).

٧ - إن أعضاء التغذيه لدى الشيخ الرئيس لا- تختلف عما نعرفه اليوم ما عدا الكبد الطحالى الذى لا يدخل فى التغذيه، أما الكلتيان فهما تشتركان بالهضم و بطرح الفضلات الممتصه و الزائده بعد عمليه التمثيل، كما أن ربط الكبد بالعمليه الغذائيه مفخره فى وقت لا يعرف فيه اختصاص الكيمياء الحيويه.

٨ - إن الحجاب التشرىحى فى وصف مكان الأعضاء يدل على أن التشرىح معروف لدى الشيخ الرئيس و ليست أقواله مجرد حدس و تخمين، فقله: " أعضاء تربيه الروح و تغذيه القلب و الرئتين و قصبتهما و التجويف الذى يحويها هو الفضاء الذى تحده، أما من قدام فالقفص و أضلاع الصدر، و من خلف الظهر الأعلى و من فوق الترقوه و العنق و من تحت الحجاب الحاجز " (٢/ب). و هو ما نعرفه اليوم تشرىحياً و وظيفياً.

٩ - و يستمر على هذا المنوال فى الوصف التشرىحى للدماغ و النخاع مبيناً أنهما أساس الحياه و كل ما عدا ذلك توابع لها بقوله: " هذه الأعضاء التى تحيط بها هذه التجاويف هى الأعضاء الضرورية فى قوام الحياه و سائر الأعضاء أطراف لها و هى غير ضرورية " (٢/ب) و هو ما توصل إليه العلم الحديث الذى يعلن الوفاه بتوقف الدماغ لا القلب.

١٠ - يعترف ابن سينا بان رطوبه الماء هى قوام الحياه فهو يقول:

" و جعل قوام جوهره من الرطوبه " (٣/أ) هو أساس الفلسفه فى العصر الحديث حيث تعتبر الماء العنصر الأساسى فى التكوين الحيوانى كما أن الفعاليات الحياتيه: (METABOLISM) معروفه له فهو يصفها بقوله: " و كان الحار الذى فيه و الحار المحيط به يحلل جوهره " (٣/أ) و هى العمليات الحياتيه الوظيفيه المعروفه لدينا بالتأيض و التمثيل.

١١ - إن الإنسان يتغذى و يعيش على ما يتحلل من جوهر مشابه لجوهره و هو يحلل فى بدنه هذا الجوهر المعوض بما يحضره من الأغذيه. و هذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله: " و جب أن يدبر بالحكمه لبدنه تدبيراً يحصل له بدل ما يتحلل عنه فهياً له مما يحضره أجساماً من شأنها أن يستحيل إلى مشاكلة جوهره فيسد مسد التحلل منه و هذا هو الغذاء و أعد له أعضاء فيها ينضح

هذا الشيء الذى هو الغذاء (٣/أ).

١٢ - إن الغذاء الذى يتناوله الكائن الحى لا يستحيل بكامله لجوهر الكائن بل يبقى منه فضلات غذائيه، وهذا أيضا معروف لدى ابن سينا فهو يعرف أن بعض الغذاء يبقى و يجب لفظه خارج الجسم فهو يقول: "و يبقى منه فضل مؤذيا باحتباسه خلق له آليات دفع الفضول" (٣/أ). كما يعترف أن الفضلات إن بقيت فى الجسم فهى تؤذيه و هو ما معروف طبيا الآن باعراض الإمساك و الذى يجهد الطبيب نفسه بمعالجتها.

١٣ - إن الوصف الوظيفى للعضو فى الجسم مهم من الناحيه الفيزيولوجيه و بخاصه إذا جمع معه الوصف التشريحي للعضو و هذا ما يتبعه الشيخ الرئيس فهو يبين أسباب خلق الأمعاء بصورتها الحاليه و ما ذا يحدث لو أن الخالق سبحانه و تعالى جعلها بصوره غير صورتها الحاليه، فهو يقول فى خلق الأمعاء: "صلبه بالقياس إلى سائر الأمعاء لينه بالقياس إلى الباسط الماد، و لو خلقها عظميه لما أطاعت الانبساط عند الامتلاء و الانتفاخ من الرياح و لكانت ثقيله مؤذيه عند الحركه و لو خلقها لحميه لكانت تعرض للانخراق عند تمديد الأثقال و الرياح" (٣/ب).

١٤ - كما إن الجانب الوظيفى فى الأمعاء هو سبب خلقها بطبقتين فهو يقول: "و خلقها من طبقتين لتكون أمتن و أثخن و أصبر على ما يزاحمها من الأثقال المنعقده و اليابسه و يلذعها من الأخلاط الحاده" (٣/ب). و هو ما معروف لدينا من ناحيه دراسه الأنسجه أن هنالك طبقتين فى الأمعاء فى الوقت الذى لم يعرف فيه الميكروسكوب فى ذلك الوقت.

١٥ - أثبت العلم الحديث أن الغذاء يهضم فى الأمعاء ثم تمتصه الأمعاء ليحال بواسطه الدوره الدمويه إلى الكبد حيث يعمل عليه ليحيله إلى مواد أخرى صالحه للتايض و التمثيل.

و لإكمال تلك العمليه احتاجت الأمعاء لطول كبير و وقت يبقى الغذاء فيها ملامسا للشعيرات المعويه يكفى للامتصاص و كانت حكمه الخالق هى أن يفرق الإنسان من الحيوان فلم يجعله بهيمه تهتم بالأكل و التبرز و لم يخلقه حيوانا مجترا. إن ذلك هو ما جاء بالنص فى كلام الشيخ الرئيس فى الصفحه (٤/أ) من أولها إلى آخرها.

١٦ - إن حقيقه طول الأمعاء التى أكدها ابن سينا أثبت العلم أهميتها من الناحيه العلاجيّه، فالجراح اليوم يسرع بمعالجه التواء الأمعاء مخافه أن يضطر إلى قص و إزاله بعض منها نتيجة لموتها باحتباس الدم و الدوره الدمويه أثناء الالتواء، و السبب معروف اليوم: حيث إن قصر الأمعاء سوف يؤدي إلى الاسهال و فقدان السوائل و الوفاه، كما أن العلم الحديث بين أهميه مكث الغذاء فى تلافيف الأمعاء لغرض الامتصاص، فالاسراع المعوى حاله مرضيه تحتاج و تتطلب المعالجه. يبدو أن ذلك الوصف هو نتيجة للتحكيم المنطقى، و لكن هذا يدل على تفهم وظيفى للعضو البشرى نتيجة لدقه الملاحظه و ضبط المشاهده و الربط الفكرى و التتبع المرضى و العلاجي.

لما هو معروف عليه اليوم، مما يدل على أن التشريح كان معروفا و جاريا، كما أنها جميعا مربوطه بالظهر فهو يقول: " و هذه الأمعاء كلها مربوطه بالصلب و رباطات تشدها على واجب أوضاعها" (٤/ب).

كما أنه يفرق بينها تشريحا و وظيفيا فهو يقول: " و خلقت العليا منها رقيقه بجوهرها لأن حاجه ما فيها إلى الإنضاج و نفوذ قوه الكبد إليه أكثر من الحاجه فى الأمعاء السفلى و لأن ما يتضمنه لطيف لا يخشى فسخه لجوهر الأمعاء نفوذه فيه و مراره به" (٤/ب).

١٨ - إن الأمعاء السفلى لدى الشيخ الرئيس تبدأ من الأعور و هى تختلف تشريحا من العليا فيقول: " و السفلى مبتدئه من الأعور غليظه ثخينه متشحمه الباطن فيكون مقاومه للثفل الذى إنما يصلب و يكتف أكثره هناك" (٤/ب).

و لكنه لا ينسى أن يذكر أن الأمعاء العليا لم ينس الخالق أهميه مقاومتها إذ يقول: " و لكن لم ينحل فى الخلقه من تعريه سطحها الداخلى برطوبه لزجه مخاطيه تقوم له مقام التشحيم" (٤/ب).

و لا أحد ينكر أهميه ماده المخاطيه: "Mucus" من الناحيه الدفاعيه للأمعاء فى عصرنا هذا.

١٩ - إن حقيقه تصلب و تكتف الثفل فى الأمعاء الغلاظ معروفه للشيخ الرئيس و هى الجانب الوظيفى، الذى نحدده اليوم للأمعاء الغليظه و لم نزد عليه سوى امتصاص بعض من كميه الماء الذى لم يتجاوزها الشيخ الرئيس أيضا".

٢٠ - إن الشيخ الرئيس يتبع الأسلوب العلمى فى التشريح الوظيفى متبعا أجزاء الجهاز الهضمى فى الصفحه ٤/ب و ٥/أ، من المخطوط و بأسلوب لا يختلف عما يجرى عليه اليوم و لكنه يضيف على الأمعاء وجود قوتين جاذبه و دافعه و هو ما لا يقره العلم الحديث الذى اكتفى بقوه دافعه هى الحركه المساريقيه.

٢١ - إن العلم الحديث أثبت أن للصفراء تأثيرا على الحركه الساريقيه إضافه إلى وظيفتها فى الهضم. و إشاره الشيخ الرئيس إلى ذلك تعد مفخره كبيره و هو يقول: " و هى خالصه غير مشوبه فتكون قويه الغسل تهيج القوه الدافعه باللذع فيما يغسل و يعين على الدفع إلى أسفل" (٥/أ).

٢٢ - يعتقد الشيخ الرئيس خطأ " أن الديدان تفيد الإنسان عند ما تتولد فى أمعائه فهو يقول: " و فى تولدها أيضا منافع إذا كانت قليلة العدد" (٦/أ) حيث نعرف أن الديدان مضره للجسم و تسبب الأمراض له.

٢٣ - إن الوصف التشريحي الدقيق للأمعاء الغلاظ ينم عن معرفه جيده بالتشريح فالشيخ الرئيس يقول: " كما يبعد من الأعور يميل عنه ذات اليمين ميلا جيدا ليقرب من الكبد ثم يأخذ ذات اليسار منحدرًا فإذا حاذى الجانب الأيسر مال إلى اليمين و إلى الخلف (٦/أ)، و هو ما ندرسه اليوم لطلبه الطب فى قسم التشريح و نلزم الجراح بمعرفته فى الامتحان للتخصص.

٢٤ - إن الشيخ الرئيس يضيف إلى وظيفه الأمعاء الغلاظ المعروفه لدينا وظيفه أخرى نعرفها اليوم و هى استقصاء بعض بقايا الغذاء فهو يقول: " بعد استقصاء فضوله من الغذاء الكائن فيه" (٦/أ). ٢٥ - يحدد صاحبنا أن مرض القولنج يحدث عند تعرض قسم الأمعاء الغلاظ المعروف بالقولون للمرض فهو يقول: " و فى هذا المعاء التعرض من عله القولنج و منه اشتق اسمه" (٦/أ).

٢٦ - إن محاوله ابن سينا للوصف التشريحي الوظيفي الدقيق للشرح مفخره أخرى في معرفه التشريح و وظائف العضلات و هو ما يحاول المعلم اليوم تدريسه لطلاب الطب في التشريح، فهو يصف الشرح تشريحيًا و يصف وظائف العضلات المحيطه به و المرض الذي ينتج عن رخاوه قد تصيب هذه العضلات فهو يقول: " و منفعه هذا المعاء قذف الثفل إلى خارج، و قد خلق الخالق و مده أربع عضلات لتغمده و تمسكه واحده مشتمله على فم المعاء المستقيم عند المقعده " (٦/أ). ثم يكمل قوله عن بقيه العضلات الأخرى قائلا: " و هي معينه لتلك من القبض و العصر و طرفيها بين العضلتين يتصلان بأسفل العصب و فوق هاتين العضلتين زوج - يتورب باشماله على المعاء المستقيم و منفعته إشاله المقعده إلى فوق و عند استرخاء هاتين يعرض للدبر أن يبرز " (٦/ب).

٢٧ - تبدأ الكتب الطبيه اليوم عند وصف المرض بتعريفه في البدايه و هذا ما يتبعه فيلسوفنا فيقول في تحديد القولنج: " القولنج مرض آلى يعرض من الأمعاء الغلاظ لاحتباس غير طبيعي فيتوجع " (٦/ب).

و يعود لشرح أسباب التسميه و يحدد الغرض من ذلك و هو تسهيل مهمه الطبيب الممارس في التشخيص و التفريق عن الأمراض الأخرى فهو يقول:

" فالمرض جنس للقولنج و الآلى فصل له عن الأمراض يسمى متشابهه الأجزاء و هي المزاجيه فإنه و إن كان القولنج يعرض عن المرض المزاجي، فلا يكون المرض المزاجي في نفس القولنج بل سبب القولنج " (٦/ب).

٢٨ - إن الدارس للطب و المتخصص فيه لا يمر على هذه الكلمات مر الكرام فهي كبيره المغزى و الأهميه من الناحيه الطبيه، و خاصه إذا علمنا أن ذلك حدث قبل ألف عام و قبل أن يعرف فرويد و نظرياته، فالشيخ الرئيس سبق الجميع و أشار إلى حقيقه علميه و هي أن الأمراض المزاجيه (النفسيه) قد تسبب أمراض الجهاز الهضمي فهو يقول: " و ليس إذا كان المرض مزاجيا يجب أن يكون المرض مزاجيا " (٦/ب).

٢٩ - نحن نسمى اليوم مرض الأمعاء الدقاق (Ileitis) و هي لفظه مقاربه للفظه الشيخ الرئيس: " إيلاوس " (٦/ب) الذي يستعيز بالله منه "أى مستعاذ بالله منه فإنها تكون في الأمعاء الدقاق و ليست هي القولنج " (٦/ب). و نحن نعرف اليوم أن مرض الأمعاء الدقاق أخطر على الحياه من مرض الأمعاء الغلاظ و ذلك لكميه السوائل التي يفقدنها المريض و تسبب وفاته.

٣٠ - إنه يستمر في التفريق بين الاحتباس غير الطبيعي في القولنج و بين غيره من الأمراض التي قد تشبه القولنج فهو يقول: " و قولنا لاحتباس غير طبيعي فرق بين القولنج و بين السحج و المغص و الزحير و أمراض آليه في الأمعاء لا يسمى شيئا منها باسم القولنج فإذا عرض فحينئذ يسمى الاحتباس دون القولنج و تكون هي أسبابا بالذات و بالعرض للقولنج " (٧/أ).

حسب أسبابه و هو ما يتبع اليوم فى الكتب الطبيه. إنه يعطى أهميه لما فى الأمعاء الغلاظ من ماده لها تأثير على المرض و نوعه فهو يقول: " و المحتبس فى التجويف إما جوهر لطيف و إما جوهر غليظ و الجوهر البخارى الريحي و الجوهر الغليظ إما حيوانى أو غير حيوانى " (٧/أ).

ثم يبين أسباب كل واحد منها، فقد تكون للغذاء أو تكون ديدانا و يفصلها عن الصفراء أو السوداء، بينما يعترف أن الدم قد ينفجر فى الأمعاء و يؤدى إلى القولنج فهو يقول: " ثم الدم فى الأوقات إذا انفجر فى الأمعاء و جمد الدم (جمد البلغم فى نسختين) قد يعرض منه القولنج (٧/ب). و لكنه يعود لينصح باستعمال كلمه المغص لمثل هذه الحالات ليفرقها عن القولنج كما يقول: " و تلك العله أولى باسم المغص منها باسم القولنج " (٧/ب).

٣٢ - إن مرض القولنج اليوم يختلف عما يصفه الشيخ الرئيس و لكن أسباب مرض الإمساك التى قد يسميها القولنج هى نفس الأسباب المعروفه لدينا اليوم فقولته: " إن أول أقسام القولنج البسيط خمس، احتباس ريحي و خلطى و دودى و ثقلى و ورمى ثم تشعب هذه الأقسام " (٧/ب). يضيف عليها دقه علميه و وصفا مرضيا حين يصف أن القولنج قد يحدث بسبب موجود فى المعاء، أو بسبب عضو مجاور له، فهو يقول: " السبب الذى يعرض منه القولنج ربما كان فى نفس المعاء و ربما كان بحسب المجاوره " (٧/ب). كما قد يكون مرض القولنج بالنسبه للشيخ الرئيس ما نعرفه اليوم بالانفتال - (Volvu Lus) أو انسداد الأمعاء. (Intestinal Obstruction)، و هذا وارد حينما نقرأ قوله: " أن يكون من انضغاطه من عضو مجاور، و هذا على أقسام ثلاثه، لأن الانضغاط إما أن يكون لورم فى ذلك العضو مثل القولنج بسبب ورم فى المثانه و الرحم، أو لزوال ذلك العضو من وضعه مثل القولنج لدخول حرز الظهر داخلا- " لضربه أو سقطه أو لزوال ذلك العضو و اتصاله كالفتق يعرض فى الصفاق فيقع فيها المعاء فينطبق و يحتبس الثفل " (٨/أ) و هذه الأسباب معروفه اليوم لدينا كمسببات للانفتال أو انسداد الأمعاء.

٣٣ - يعطى ابن سينا للكبد و الطحال بعض الوظائف الأخرى المؤثره على الثفل، و لكن ليست كما نعرفها اليوم علميا فهو يقول: " لمشاركه عضو من سوء مزاجه مثل تخفيف الكبد للثفل بفرط برودته " (٨/أ)، أو ذكر "النوازل الدماغيه " (٨/أ)، و لكنه يستعمل الإشاره الطبيه لغيره فى نفى أو تفسير بعض الحقائق فهو يقول: "انصباب المراره و قد أنكر بعضهم أن يكون ذلك سببا للقولنج " (٨/أ).

٣٤ - يربط الشيخ الرئيس العلاقه بين الكليتين و إدرارها و سيوله الثفل، فهو يعرف أن كثره الإدرار تؤدى إلى التيبس فيقول: " و إدرار كثير يعرض معه فيجف الثفل لميل المائه إلى جهه الكليه " (٨/أ)، و هو ما يعود و يؤكد من أهميه التعرق و تأثيرها على الثفل يقول: " و كذلك العرق الشديد للرياضه الكثيره و القلب فى الحر الشديد " (٨/ب).

٣٥ - إنه يركز على الناحيه الفلسليه فى وظائف الأمعاء و يعطى لها أهميه كبيره فى تغيير الطعام و دفعه و أى اختلال فى هاتين الوظيفتين يؤدى إلى ناحيه مرضيه فهو يقول: " و الذى يكون فى جرم المعاء فإنه يكون لأن قوته الدافعه ضعيفه أو لأن قوته المغيره ضعيفه فلا تحيل الغذاء إحاله جيده بل يبقى طعما لزجا كثيفا فيحتبس الثفل بلزوجته و غلظه " (٨/ب). و يربط بين الحاله النفسيه و درجه القوى فهو يقول: " على أن سوء المزاج يتبعه ضعف القوى " (٨/ب).

٣٦ - يشرح الشيخ الرئيس فى الفصل الثالث (٩/أ)، تفصيل أصناف القولنج الكائن بالمشاركه و فيه بعض الحقائق التى لا تتفق

مع العلم الحديث مثلا- قوله: "أما الدماغ فيكون سببا للقولنج البلغمى فقط بسبب النوازل التي تنزل عنه" (أ/ ٩). وهذا ما لا يعترف به العلم الحديث، ولكن عند ما يتكلم عن المراره فهو يصيب كبد الحقيقة، فالיום نعرف أن نقص المراره و عدم إفرازها يؤدي إلى الأعراض نفسها التي ذكرها الشيخ الرئيس بقوله: "و ثانيهما ما ينصب منها إلى الأمعاء من المراره فيكون ذلك سببا لاحتباس الثفل و لاحتقان الرياح الغليظه و استعصائها على التحلل لأن المراره يعين في دفع الفضول من وجهين الفسل و التنبيه للقه الدافعه للذع" (أ/ ٩).

٣٧- إن شرح الشيخ الرئيس للكليه و طرق تسببها في الاصابه بالقولون ذات مدلول طبي كبير فهو يشير إلى ما نعرفه اليوم ب (REferredPain) و هو الألم الذى يصيب عضوا عند مرض عضو آخر و تؤكد في الحياه العمليه و الحياه التدريسيه فالام المراره قد تظهر على الكتف، و نحن نعرف اليوم أن أمراض الكلى كالحصاه قد تسبب القىء و المغص المعوى و هو ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله: "و أما الكليه فيكون سببا للقولنج من وجوه ثلاثه، إما لورم فيها فيضغط، و إما لحصاه فيها فيوجع القولون بالمشاركه فيضعف من فعلها فيحتبس الثفل، و إما لكثرة إدرارها البول. و القسمان الأولان يتولد منها جميع أصناف القولنج" (أ/ ٩).

٣٨- نحن نعرف اليوم أن أورام المثانه قد تسبب اضطرابا في الأمعاء الغليظه و حتى انسدادها و هذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس قائلا: "أما المثانه فتحدث القولنج، إما لورم يحدث فيها فيضغط و يحبس الثفل و الرياح و الأخلاط، و إما بالإدرار أيضا نحو ما قيل في الكليه". (ب/ ٩).

٣٩- و لكنه يعود فيعطى الطحال وظيفه لا نعترف بصحتها اليوم في تسبب مرض القولنج فهو يقول أسباب ثلاثه: أحدها لتبريد القولون و المعاء كله و المعده، و الثانى بسبب كثره انصباب السوداء منه فيحتبس و تولد الرياح و لضعف، قوه المعاء و أما الورم و هذا أقل". (ب/ ٩) و لكنه يعود ليؤكد حقيقه علميه معروفه لدينا و هى أن تضخم الطحال يجرى على وجه الأمعاء و لا يضغطها، و هذا يعد مفخره في الفحص الطبى السريرى، و هو ما تؤكد عليه اليوم عند تدريس طلبه الطب، فهو يشير إلى هذه الحقيقه قائلا: "ورم الطحال فى الأكثر يجرى على وجه الأمعاء و قلما يعرض أن يضغطها" (ب/ ٩).

لانتهاك رابطة عن المعاء العلوى فيلتوى " (٩/ب).

٤١ - لا يعطى ابن سينا فى الفصل الرابع (١٠/أ) ما نسميه تفسيراً علمياً مقبولاً لأسباب القولنج بذاته فهو يركز كثيراً على الرطوبة والحرارة و يعزو إلى سوء المزاج و تأثيرهما على الحرارة و الرطوبة، و لكنه يعود للحقائق العلمية مره أخرى عند ما يتكلم عن المرض الآلى فهو يقول: " و أما المرض الآلى الذى يقع فى نفس المعاء يكون سبباً للقولنج هو الورم و أكثر ما يعرض فيه من الورم هو الورم الحار " (١٠/أ).

٤٢ - إن الطرق و الحقائق العلمية فى كتاب الرئيس مبعثره حسب تسلسل الكتاب فهو عند ما يقول: " إما حصاه كما قيل فى النادر ربما عرض قولنج عن الحصاه فقد شوهد إنسان - عرض له قولنج بسبب سد حصاه محتبسه فى المعاء للمسلك و إنها لما أبرحت اندفعت إلى خارج انطلقت إلى الطبيعه و أخلت القولنج " (١٠/ب).

إن هذه الكلمات تشير إلى نقطتين: أولهما: ما نسميه بتسجيل حاله مرضيه (CaseReport) بقوله: " شوهد إنسان " و ثانيهما: احتمالات إيجاد تلك الحاله المرضيه (Incidence) بقوله " فى النادر " و تلك إنجازات تضاف إلى الحقائق الأخرى أيضاً.

٤٣ - يفرق ابن سينا بين الكمية و النوعيه التى نعطيهها أهميه كبيره فى عالمنا الطبى اليوم فهو يقول: " إما لكيفيه الغذاء و إما لكميته و إما لتركيبه و إما لترتيبه " (١٠/ب).

و يستمر بذكر الأمثله لكل واحد منها فهو يقول: " فان يكون الغذاء فى جوهره يابساً قابضاً مثل الذره و الجاورس و الجين " (١٠/أ)، أو حتى بطرق التحضير قائلاً ضاراً كذلك بالصنعه مثل المشوى تشويه بالغه من اللحوم و البيض " (١٠/أ). و هذا يتبعه اليوم الطبيب عند وصفه للأغذيه و طرق تحضيرها، و لما له من أهميه لا تقل عن الدواء، و لم يغفلها الشيخ الرئيس، ثم يعود ليناقدش الكمية بعد أن فرغ من النوعيه قائلاً: " فاما كثرته إذا كان كثيراً لا تهضمه الطبيعه و لا يقدر على دفعه " (١٠/ب). و هذا ما نسميه اليوم التخمة و عسر الهضم، و أما قلته فان الغذاء إذا كان قليلاً و الجوع شديداً أقلت الطبيعه على استقصاء المرض فيجفف الثفل " (١٠/ب). و هذا ما نشاهده فى الجوع.

٤٤ - يعطى ابن سينا أهميه كبرى للغذاء فى أن يكون سبباً للقولنج قائلاً: و خصوصاً القرع، فان له خاصيه فى إحداث القولنج، و أن يكون كثيره فلا- ينهضم تمام الانهضام، و كل غذاء لم ينهضم تمام الانهضام فهو بلغم. (١١/أ). و هو مصيب عند ما يصف الأغذيه التى لا تهضم قائلاً:

" و الأغذيه التى لا تهضم يكون من حقها أن تندفع عن الطبيعه، فان كانت معتدله المقدار و اندفعت بسهولة، و إن لم تكن معتدله بل مفرطه الكثره فلا- يخلو، أما أن يقوى عليها الحركه العنيفه من الطبيعه فيدفعها دفعا بعنف فيعرض إن تتبعها رطوبات أخرى من البدن فيكون إما استطلاق و ذرب، و إما هيضه، فان عجزت القوه الدافعه عنها حدث القولنج " (١١/أ).

٤٥ - نحن اليوم نوصى المريض بعدم نسيان نفسه عند ما تدعو الحاجه إلى التبرز فهذا مضر و قد يؤدي إلى الإمساك الشديد المرضى، و هذا ما لم يغفله الشيخ الرئيس فهو يقول: " أو ضعف عضل البطن من تشنج أو استرخاء أو كثره الصبر على مدافعه الحاجه " (١١/ب).

و هنا يوضح نقطتين: أنه يعلم أن الإنسان يحتاج إلى عضلات بطنه للتبرز بزيادة الضغط، فالعصر و هذا يفقد متى ما كان العضل ضعيفا نتيجة تشنج و استرخاء، و ثانيهما: ركز على أهميه تلبيه نداء القولنج ColonicCall الذى يسميه مدافعه الحاجه و الذى له أهميه كبيره فى أمراض القولون و معالجاتها فى عصرنا هذا.

٤٦ - نعرف اليوم طبيا أن الماء البارد على الريق قد يسبب المغص المعوى و هذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس قائلا: " و شرب الماء البارد كثيرا أو خصوصا على الريق و تناول الأغذيه الكثيره دفعه أو التناول على التخم و قله الرياضه " (١١ / ب).

٤٧ - إن الشيخ الرئيس عند وصفه لعلامات القولنج المرضيه لا يختلف عن أى كتاب طبى اليوم، فالتسلسل و التتابع و الوصف الشامل موجود عنده فيقول:

" علامات القولنج جملته و تفصيلا بتدئى أولا- بتقلب نفس و بعض الطعام و فوات شهوه له و وجع الأطراف و خصوصا فى الساق، و يظهر وجع ناخس فى البطن يبتدئ أكثره من اليمين ثم يصير إلى اليسار، و كذلك يظهر عند ابتدائه فى الأكثر خرز من أصل القضيب و تنجذب إحدى الخصيتين إلى فوق ثم يشتد الوجع دفعه و يعرض قىء و كرب لاحتباس البطن و الريح، و ربما أدى لشده الوجع أن يحدث غشى و عرق بارد " (١٢ / أ). و هو يفرق بين الأسباب الظاهرية و المخفيه و يدل على ذلك بالعلامات الناتجه من الخفيه فهو يشير إلى ذلك بقوله: " مثل احتباس ما ينصب إلى المعاء من المراره و علامه ذلك بياض ما كان يبرز و حدوث اليرقان و كون البول زعفرانيا إلى السواد و انصباغ زبد البول بالصفرة " (١٢ / ب).

إن هذه الأعراض المربوطه منطقيا و طبيا تدل على حقائق كثيره لوحدها، فانصباغ زبد البول بالصفرة هو ما يفتش عليه طبيب اليوم عند محاولته البحث عن الصفراء فى البول و هذا إنجاز طبى لوحده.

٤٨ - يتطرق الشيخ الرئيس فى الصفحه (١٢ / ب) من المخطوطه شارحا علامه كل نوع من أنواع القولنج، و هو ما نتبعه فى الوصف الطبى اليوم، و يشير إلى اختلاف الأعراض تفصيلا دقيقا. ففي الريحى يقول مثلا: " و أما الريحى فعلامته ثفلا و تمددا و مغصا فى المعاء، و قراقر تقدمت ثم سكنت و احتباس الثفل معه أو قله خروجه و كون ما يخرج شبيها بأخشاء البقر و إذا ألقى على الماء طفا و لم يرسب " (١٢ / ب).

و الناظر إلى هذا التشبيه بأخشاء البقر تسهيلا للممارس الطبى و حقيقه الإلقاء فى الماء الذى هو نوع من الفحص الطبى، بحد ذاته، يدل على طول باع فى الممارسه الطبيه و قوه الملاحظه و الاستفاده منها فى التشخيص التفريقى بين مختلف أنواع القولنج.

٥٠ - إنه يربط بين أعراض المرض و أسبابه و الاستفاده من تاريخ المرض بالتوصل إلى نوع العله فيقول: "فاما الكائن من الديدان فيعرف من بروز الديدان و سقوط حب القرع و العلاقه التي يكون مع ذلك من تغيير اللون و نهوك البدن و تحلب الريق و غير ذلك، فإذا كانت هذه العلامات موجوده ثم احتبست الديدان فلم تسقط البته، عرف أن القولنج منها" (١٣/ أ). فما ذا نزيد نحن اليوم عند ما نريد أن نعرف أن الديدان هي سبب الانسداد سوى اتباع هذا الأسلوب في التحرى و الفحص.

٥١ - أما العلامات التي يعطيها للنزف و فقدان الدم فهي نفسها اليوم و التي تؤكد على طالب الطب التفنيش عنها، بقوله: "و أما الكائن بسبب دم منصب جمد في المعاء فعلامته أن يكون وجع ثقيل مع خروج الدم فيما سلف و مع ضعف قوته و غشى و عرق بارد" (١٣/ أ).

٥٢ - يفرق صاحبنا بين الأنواع المختلفه للقولنج في الوصف الدقيق، فقوله: "و علامه ما يكون من الورم، أما الحار فان يكون هنالك حمى و وجع مع ثقل و هذيان و تلهب و تمدد و عطش و تهيج العينين و حمرة اللون و اشتداد الوجع عند استفراغ الغائط و قد يحتبس معه البول أو يعسر" (١٣/ ب).

و يفرقه عن البارد بقوله: "و أما البارد و الرطب شهوه رصاصيه اللون و ثقل في المعاء مع ترهل في المراق و عنان من غير وجود الصلابه اللينه في اللمس" (١٣/ ب). فما ذا يريد الطبيب الذي يدرس هذا الكتاب أكثر عند ما يريد التفريق بين الأنواع، و هذا ما هو متبع اليوم في التدريس الطبي.

٥٣ - إنه يركز على كل صفة خاصه بنوع القولنج فهو يقول: "و أقربها أصنافا" من الخطر هو الورمى، و أشدها وجعا هو الريحي. (١٣/ ب).

و هذا ما نشاهده اليوم في الممارسه العمليه اليوميه.

٥٤ - يستعمل الفيلسوف ابن سينا التشخيص التفريقي - Differential di agnosis بصوره لا-تختلف عما يجرى اليوم في الحياه الطبيه و يسهل للطبيب الممارس ذلك و يعطى نقاط التشابه و الاختلاف، و يخصص فصلا كاملا لذلك فهو يقول: "الفصل السابع بين القولنج و أمراض تشابهه، أمراض تشبه القولنج و ليست به، و أمراض يشبهها القولنج، فيظن أنها هي فمن ذلك وجع الكليه و المغص و هما أشد الأشياء شبهها، ثم السحج و وجع المعده إذا انحدر إلى الأمعاء، و وجع المثانه و وجع الرحم و وجع الديدان و الحياه".

(١٣/ ب) ثم يفرق بين كل واحده منها و بين القولنج و يفصل ذلك تسهيلا للعمل الطبي فهو يقول: "و الفرق بين القولنج و بين الحصاه في الكليه و يعرف من هذه الأشياء أن البول في حصاه الكليه يكون في ابتداء الأمر صافيا رقيقا ثم يجرى معه في آخر الأمر رمل و ورم، و في القولنج يكون كدرا في الابتداء" (١٤/ أ).

و يفرقهما بالعلاج أيضا فهو يشير إلى ذلك بقوله: "و الحقنه تفيد الراحة بما يستفرغ من الرطوبات و لا يظهر ذلك في الحصاه بل ربما ظهر ضرر بل إنما ينفع بالأشياء المفتته للحصاه". (١٤/ أ) فهو يبين أن الحصاه يمكن أن تفتت و أن الطبيب يجب أن يأخذ حذره من الحقنه في المغص الكلوى الذي قد تضره الحقنه. و هو يعود ليشير إلى أن حصاه الكليه قد تؤثر على الأمعاء و

تسبب الاسهال فهو يقول: " و ربما انحلت طبيعه في حصاه الكليه بذاتها إذ لا يكون الاحتباس هنالك كما في القولنج ". (١٤ / أ).

و ينبه الطبيب إلى أعراض أخرى في حصاه الكليه قائلا: و يكون في الفخذ و الخصيتين اللتين تليان الكليه عليه خدر في أكثر الأمر (١٤ / أ). و هو ما نسميه اليوم الألم الرجيع (REFFERD PAIN) و تؤكده في الفحص الطبى.

٥٥ - و يؤكد للطبيب أهميه التشخيص التفريقي لأنه يعرف أن خطأ الطبيب قد يؤدي إلى وفاه المريض فهو يقول: "فيخطئ الطبيب و يمعن باستعمال القوابض و المقريات فيكون ذلك هلاك العليل ". (١٤ / ب) و يبين الحاله التشخيصيه الصعبه التي قد يختلط فيها الأمر على الطبيب و يخطئ أو يقع في الخطا فهو يقول: " و أصعب ما يشكل هذا إذا اجتمع زحير و قولنج ". (١٤ / ب).

٥٦ - إن الشيخ الرئيس يقوى حجته بالاشارة إلى الثقات في الطب و المشهورين كما نفع اليوم فهو يقول: " و قال جالينوس إن كل وجع شديد في البطن فهو قولونج لأن الكبد و الطحال و غير ذلك من الأعضاء المنطبقه بالأمعاء لا يبلغ وجعها وجع قولون ثم معاء قولون يبلغ جهات البطن ". (١٤ / ب).

٥٧ - إن الشيخ الرئيس لا يكتفى بالقولنج كمرض منفصل بل يذكر الأمراض التي ينتقل إليها و هو يخصص الفصل الثامن في ذكر الأمراض التي من شأن القولنج أن ينتقل إليها: " إن القولنج ينتقل إلى الصرع و إلى الفالج و إلى أوجاع المفاصل و إلى السحج و اليرقان و إلى الخفقان و إلى الاستسقاء و عسر البول و استرخاء المعده و الزحير و البواسير ". (١٥ / أ) و هي مضاعفات معروف كثير منها في أمراض القولنج. و لكن تعليقاته لها لا تتفق و ما نعرفه علميا اليوم فهو يقول: " تلك الأخلاط إلى الأعضاء الأخرى فان تصعدت إلى الدماغ و كانت رطبه أحدثت الفالج و السكته و الصرع، و إذا انصب إلى بعض الأعصاب أحدثت الاسترخاء، و إذا قبلها المفاصل حدث أوجاع المفاصل البارده، فان مالت إلى ناحيه الكليه و المثانه أحدثت عسر البول، و إن كانت حراريه و مالت إلى الدماغ أحدثت السراسم و هذا نادر، فان أكثر ما يتفق للأخلاط الحراريه المحتبسه بسبب القولنج أن ما ينصب إلى الجلد فيحدث اليرقان ". (١٥ / أ).

٥٨ - إن ابن سينا يشرح سبب الخفقان كما نشرحه اليوم فهو يقول:

" و أما الخفقان فيحدث لميل المواد إلى فم المعده من ناحيه القلب ". (١٥ / أ).

٥٩ - إن الشيخ الرئيس لا ينسى مضاعفات استعمال الحقنه في المعالجه و يصف تأثير ذلك على المريض قائلا: " و أما السحج إما لاستتباع الاستفراغ بالحقن أخلاطا حاده أو لأجل أن الحقنه الحاده يخرط المعاء و يجرده، و أما الزحير فيكون لضعف المعاء المستقيم و نكايه الحقن به و استرخاء المقعده أيضا بمثل ذينك في عضل المقعده ". (١٥ / ب). و يعطى نفس التفسير غير العلمى للبواسير قائلا: " و أما البواسير فلقبول المعاء في نفسه أخلاطا رديه يحدث البواسير و يضعف المقعده فيقبل المواد المنصبه إليه ". (١٥ / ب).

من تشخيصه للمرض قبل بدء المعالجة فهو يقول: "و أول ما يجب عليك أن تتفقدته في كل قولنج تفقدنا صالحا أنه: هل العله قولنج أو مغص"؟ (١٥/ب) لأنها إذا كانت مغصا ما ذا يحدث للمريض؟ فإذا كانت العله مغصا و كانت الطبيعه مستعده لينه أو خلفه فحقت أو سقيت ما يستفرغ كان في ذلك خطر عظيم ". (١٥/ب) و هو يعود لينبه الطبيب المعالج بأنه قد يخط هذا المرض مع الورم قائلا: "و كذلك إمكان ابتداء ورم محتبسه قولنجا باردا أو ريحيا أو نوعا آخر فحقت و سقيت مستفرغا أوقعت العلى من أمر مخوف" (١٦/ب).

٦١ - يؤكد العلامة ابن سينا على التمهل فى العلاج و اختبار العلاج الذى لا يؤدى إلى مضاعفات لا يستطيع الجسم ردها فهو يقول: "و إذا علمت أن العله شديده للماده غليظه فإياك و المدافعه و الاشتغال برقيق العلاج و ضعيفه فان القوه إذا سقطت لم ينجح الدواء القوى و لا الضعيف ". (١٦/أ).

و هل يجد الطبيب نصيحه من أستاذه أحسن من قول الشيخ الرئيس؟ "و يجب أن تزن الدواء بقدر الداء ". (١٦/أ) و الكل يعلم اليوم أن كثيرا من الأمراض يسببها الطبيب لمريضه بالمعالجه الخاطئه التى ينبهنا لها الشيخ الرئيس قبل ألف عام.

٦٢ - إن الشيخ الرئيس يعود لينصح الطبيب من مغبه الإدمان الذى قد يسببه للمريض بالمعالجه فهو يقول: "و الآبزن يجب ألا يكب على استعماله كل وقت و خصوصا مع الغشى، لأنه إذا كان هناك غشى ضر ضرارا عظيما و إذا أدمن كمن البرد من الأمعاء ". (١٦/أ).

٦٣ - إن التجربة العلاجيه مسموح بها للطبيب المعالج فى عصرنا هذا، و هو ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله: "و أما التكميد فيعتمد من تجربه، فان كان يهيج الوجع ترك أصلا" (١٦/أ).

٦٤ - إن الشيخ ابن سينا يؤكد على أهميه الغذاء فى المعالجه لكل نوع من أنواع القولنج، كما يتناول بالتفصيل طريقه إعداد الغذاء و المواد الواجب إضافتها لكل نوع، ففى الصفحه (١٧/أ) من المخطوطه يؤكد على هذا فهو يقول: "فليقتصر تحسى شورباجه مطبوخا فيه الحمص و مطيبه بالشبت و الدارسين و يتناول فى وقت لا يؤذى فيه الغشى ". (١٧/أ). و هو يحدد وقت تناول أيضا.

٦٥ - إنه يؤكد على الطبيب بعدم الخطا فى التشخيص لأن ذلك يؤدى إلى وصف الغذاء المغلوط أيضا و هذا ما يشير إليه بقوله: "و من الخطا الذى يقع للأطباء فى هذا الباب أن يحسبوا العله ثفليه فتناولوا مثل البنفسج و الشيرخشت خاصه فيفسد مزاج المعده و برودها ". (١٧/ب).

٦٦ - إنه لا- يكتفى بوصف الغذاء فقط و لكن يصف ما يجب على الطبيب أن يجنب مريضه من تناوله و هو ما نطلق عليه اليوم بالنواهى - (Contraindication) فهو يقول مثلا: "و يجب أن يجتنبوا البقول حتى الحاره فإنها لا- تخلو من نفخ ما خلا السذاب و الهليون و روس الكراث النبى و القرطم و ينفعهم جدا" و قد مدح لهم السمسم: "و إما أن للمشده مضرته بالمعده و يهيج الغثيان" (١٧/ب). و هو يحاول أن يشرح أسباب النواهى حسب التركيب الغذائى فهو يقول: "و إما أن للمشده مضرته بالمعده و يهيج الغثيان و لأن جوهر مادته لهذه العله اللزوجه و إن كانت قوته جلاءه و فيه تلين فلست أحبه فى هذه العلم، و اعلم

أنه ينفع أولا ثم يضر". (١٧/ب).

٦٧- إن الشيخ الرئيس لا يترك المريض دون أن يكمل له علاجه فهو يعلق على الماء ولا ينسى خواصه الفيزيائية، وهو يعرف أن الماء قد يؤدي إلى الإمساك و يجب معالجته قبل تناوله في بعض الحالات فهو يقول: "وأما شرب الماء فيجب أن يقللوا منه ما قدروا و خصوصا من الماء البارد المثلج، و أن لا يستوفوا الرى دفعه بل يتجرعوه قليلا قليلا و يتجنبوا ما فيه قوه قابضه مثل المياه الشبيهه، و أما الكبريتيه فإنها لا تضر ضرر الشبيه بل ربما كانت خيرا من العذبه، و يجب أن يكون الماء الذى تشربونه ماء خفيفا جدا فان أعوز فيجب أن يصعر و يخلط بمدر مشموصه من طين حر و يحمض تمحيض اللبن شيئا كثيرا ثم يصفى و يشرب". (١٨/أ).

إننا نمارس شرب الماء جرعا جرعا فى الحالات المرضيه لأن الامتلاء المفاجئ للمعدة قد يسبب الغثيان و القيء و هذا ما يريد الشيخ الرئيس أن يجنب مريضه منه فى ذلك الوقت.

٦٨- إن طبيب اليوم يذكر أوزان الأدوية فى الوصفه حسب تأثير الأدوية التى يطلبها كما أن يبدل فيها عند ما ينشد مفعولا خاصا حسب نوع المرض و هذا ما يتبعه الشيخ الرئيس بالتفصيل فقولته: "الفصل الثانى فى تدبير الأدوية التى يشربها أصحاب القولنج البارد، و أما الخفيف اللطيف الذى يجب أن يسقى فى الابتداء كما يتبدئ النخس قبل أن تتمكن العله و الأرياح نحو مثقال و معه نصف درهم تبرد أو صبر مثقال و سكبنج نصف مثقال أو أيارج درهم و سقمونيا دائق و تبرد نصف درهم و ثماريقون دانقان فان أريد أن يكون أسرع إسهالا و كانت الماده كثيره ركب هذا بايارج مثقال شحم الحنظل ربع درهم ملح نبطى و سقمونيا مكد دائق و دانقين و دقوا". (١٨/ب). فما ذا يريد الصيدلى أكثر من توضيح هذه الوصفه بصوره عموديه متسلسله لتصبح و صفه موصوفه اليوم؟.

إن الأوزان المذكوره معروفه للصيدلى و إلا- لما ركز عليها الشيخ الرئيس، و هذا ما يدل عليه وصفه للعلاج و تغيير تراكيبه، فالطبيب لا يكتب و صفه لنفسه بل لصيدلى عارف يقوم بتحضيرها له.

٦٩- من الصعب التعليق طبيا على فعاليه المواد المذكوره فى الكتاب و لمختلف الأمراض، و ذلك لأن أسماء الكثير من المواد لا نعرفها بالضبط و يجوز أن قسما منها مستعمل فعلا فى تراكيب الأدوية الحديثه، أما فعاليه الطبيه فلا تطلق جزافا دون التجربه و البحث الطبى لتقصى تلك الحقائق و معرفه مدى فعاليه هذه الأدوية التى سبق و أن جربت و أعطت فعاليه علاجيه و هى مجال واسع رحب يغطى أحد أسباب البحث فى إبراز المخطوطات الطبيه و معرفه محتوياتها إكمالا للفائده الإنسانيه و إظهار الحق فى مدى مساهمه الفكر العربى و الإسلامى فى الحقول الطبيه التى يحاول الغرب طمسها.

٧٠- إن الشيخ الرئيس يكمل وصفه للوصفه الطبيه بالإشاره إلى ما نسميه اليوم الجرعه: DOSE فهو يقول: "و الشربه نصف مثقال". (١٨/ب).

٧١ - إن الشيخ الرئيس يشير إلى أن مفعول الأدويه قد يختلف من بلد لآخر بسبب الجو و المناخ فهو يقول: " و معجون الأسقف نافع للمشايخ و فى البلدان الباردة الصخرية موافقه عجيبه ". (١٩/أ). و هذا ما نعرفه اليوم.

٧٢ - ينه الشيخ الرئيس الطبيب لحقيقه التداخل العلاجي DRU GINTER ACTION الذى قد يذهب بفعاليه الدواء، و المعروف لدينا اليوم، فهو يقول: " و إذا سقوا الأيارج بعد دهن الخروج أذهب بقابليته و استفرغ من الخلط ما بقى ". (١٩/أ).

٧٣ - إن الشيخ الرئيس ينه الطبيب لنتائج المعالجه الطبيه و يستعملها داعيه لاستمرار المعالجه (INDICATION) الطبيه فهو يقول: "فان خرج ثفل و بقى الوجع فأعد و أعد حتى يخرج سفل رقيق مرى أو شىء شبيه بمسح البيض عفن منتن، و ينكل فى تكرار الحقنه حتى يستفرغ الماده بكليتها و يسكن الوجع ". (١٩/ب) و هو ينهه لما يجب عليه أن يفتش عليه ليعرف نتيجه المعالجه الطبيه و وجوب تبديلها إذا فشل العلاج الطبى.

٧٤ - إن بعض الوصفات الطبيه التى يستعملها الشيخ الرئيس تحتوى على بعض المواد التى لا يتقبلها العلم الحديث، و نطلق عليها بعض الأحيان خرافات علاجيه، و لكن العذر الذى نعطيه لطبيب تلك الأوقات هو عدم وجود التصنيع الدوائى المعروف فى الوقت الحاضر، فاستعمال خراء الذيب الأبيض لا نقبله علميا اليوم و لكنه يصفه بقوله: "خراء الذيب الأبيض درهمين يطبخ مثل الأولى ". (٢٠/أ).

٧٥ - إن الشيخ الرئيس يستعمل الحقنه فى المعالجه الطبيه و لكنه يبدل تركيب الأدويه التى يستعملها فيها للحصول على النتيجه المرجوه من المعالجه الطبيه فى مختلف الحالات المرضيه، فهو يبدل الحقنه إذا كانت العله أصعب، أو أن النتيجه لم تكن مرضيه، أو إذا احتيج إلى تأثير أقوى، أو أن الحقنه الفلانيه مجربه، فهو مثلا يذكر بان يحقن به، و هذا مجرب غايته، فان أعوزت الخطاطيف استعمل هذه الحقنه ". (٢٠/أ).

٧٦ - يشير صاحبنا إلى مده بقاء الحقنه فى الأمعاء أثناء المعالجه و يعطيها الأهميه فى التأثير العلاجي و هو ما يمارسه طبيب اليوم حينما يريد تأثيرا خاصا للحقنه المحتبسه (Retention Enema) فهو يقول مثلا: " و يتركها حتى تبقى هذه فى الجوف فيفعل فعلها ". (٢١/أ).

٧٧ - إنه يفرق بين المرضى و الحالات المرضيه و مدى استفادتهم من العلاج فهو يقول مثلا: " و الذين يعترتهم هذه العله دائما، و غير شديد ينتفعون منفعه عجيبه بهذه الحقنه ". (٢١/ب).

و يذكر مثلا- طبيا (Case Report) ليؤكد قوله قائلا: " و قد عالجت بهذا وحده فقيها ببخارى فانقطعت عنه هذه العله و أذابت غده عظيمه كانت فى معائه ". (٢١/ب).

٧٨ - لم يكن باستطاعه الشيخ الرئيس استعمال وسائل الفحص الحديث مثل التشخيص بالأشعه و المختبر. لذا فهو يستعمل موضع الألم كدليل للعلاج و ينصح الطبيب بترك الحقنه إن هى آلمت المريض فهو يقول: " استعمال الحقنه بتأمل موضع الوجع وجهه ميله، فان كان الميل إلى الظهر فيجب أن تستعمل مستلقيا، و إن كان إلى قدام استعمل مبركا، و إن مال إلى جانب فعلى ذلك الجانب، و على كل حال فإى نص استعمل عليه الحقنه فأدت إلى نالمة و جلبت عليه مشقه، تركت و استعمل على ما سهل

عليه، فيجب أن يجرب أسباب حقنه فأیما أخف عليه أخذ به " (٢٢/أ).

٧٩ - إن الشيخ الرئيس يستعيز بالحقنه باستعمال المحمولات و هي إحدى وسائل المعالجه المتبعه اليوم فهو يقول مثلاً: " و يشيف حملات قويه يخرج الثفل الكثير مع البلغم اللزج يجعل طولها ست أصابع " (٢٢/أ).

٨٠ - فى الفصل الرابع المخصص لمعالجه القولنج الثفلى يبدأه الشيخ الرئيس بالقول: " إن التكميد من أضر الأشياء لهذه العله ". (٢٢/ب) ناصحا الطبيب و منبها إياه للنواهي (Contrain dication) و يلزمه بالتفتيش عن السبب الأصلي للمرض فهو يقول: " و قبل هذا فيجب أن يبحث عن السبب ". (٢٢/ب)، لأن معرفه الطبيب للسبب سوف تثير طريقه فى المعالجه، كما يقول: " فان كان السبب هو بيس الأغذيه فيجب أن يستعمل الأغذيه المرطبه اللينه المزلقه ". (٢٢/ب).

٨١ - إن الاستشهاد بالحالات المرضيه و وصف حالات خاصه تعزز التشخيص، و تفيد فى تذكير الطبيب الممارس إلى ذلك، فيه أهميه تعليميه كبرى و هذا ما يمارسه الشيخ الرئيس بقوله " و قد ذكر بعض المتطببين أن رجلا أصابه القولنج بسبب تغذيته بأربعين بيضه مشويه و كان من علاجه أن أشار عليه باستفاف ثلاثه راحات من ملح ثم يتجرع الماء الكثير فلما عملت بذلك انطلقت طبيعته ". (٢٢/ب).

٨٢ - يخصص ابن سينا فى الصفحه (٢٣/أ و ٢٣/ب) وصف الأغذيه التى يجب أن تستعمل لكل نوع من أنواع القولنج و يركز على جانب النتائج لتبديل تلك الأغذيه و يترك مجالاً للتجربه فى الحصول على نتائج أفضل، كما يخصص الفصل الخامس (٢٢/أ و ٢٢/ب) للحقن و الشياقات التى تصلح لهم مينا تركيب كل حقنه بالتفصيل و طريقه تحضيرها كما نتبعه اليوم فهو يقول مثلاً:

" عمله حقنه يؤخذ من السلق قبضه و من النخاله حفته [حقنه] و من التين عشره أعداد و خطمى أبيض عشره دراهم يطبخ فى سبعة أرتال ماء حتى يبقى رطل و يلقي عليه من السكر الأحمر عشره دراهم، و من البورق مثقال، و من المرء نصف أوقيه و يحقن به و يعاد مثل الحقنه بعينها حتى يخرج جميع البنادق ". (٢٤/أ).

و فيه وصف لطريقه صنع الحقنه أيضا.

٨٣ - إن الشيخ الرئيس ينبه الطبيب إلى مضاعفات العلاج و طرق المعالجه إن حدثت تلك المضاعفات فقد خصص فصلاً كاملاً قائلاً: " الفصل السادس فى تدارك أحوال تعقب الحقن (Treatment of complication) قد يعقب بعض الحقن فى القولنج إذا استعملت بمقدار أكثر و كانت أغلظ قواماً أو أقل سخونه بالقوه أو بالفعل. أما للتوقى على عضو تجاور الأمعاء.. ". (٢٥/أ).

السليقة بماء السماق يذوبه بدهن الورد ". (٢٦/أ). أما المضاعفات الأخرى فلا يتركها دون أن يفسر للطبيب الطرق الصحيحة في معالجتها دون الإضرار بالمريض فهو يقول مثلا: " وربما أعقت الحقنه الكبيره مع ما ذكرناه أولا تقطير البول و علاجه الأبن و المروحات بالأدهان المرخيه على القطن و العانه و المدررات شرابا، إلا- أن يكون ثفليا مانعا لادرار كثير فلا يستعمل حينئذ المدررات بل المرخيات و الأبن، و ترك الحقنه بكفى فيه ". (٢٦/أ).

٨٥ - من الحقائق العلميه الطبيه التي نركز عليها في تدريس طلبه الطب، أن العلاج يجب أن يكون سبب علاج جذري RADICAL لأعراضه، كما أن الطبيب يجب ألا يعطى المخدرات - و المسكنات للمريض، إذ أن ذلك قد يخفى الأعراض و يزيد من صعوبه التشخيص أو يبدل الأعراض و يجعل التشخيص صعبا، و الطبيب الحاذق هو الذي يحاول أن يفتش عن سبب المرض ليعالجه، و هذا ما نجده في قول الشيخ الرئيس حرفيا: " الفصل السابع في كيفية استعمال المخدرات في القولنج: إن المبادرين إلى تسكين الوجع بالمخدرات يرتكبون أمرا عظيما من الخطر، فاستعمال المخدرات ليس بعلاج حقيقى هو قطع السبب، و التخدير يمكن السبب و إبطال الاحساس به ". (٢٦/أ). و لكنه يلزم الطبيب المعالج في الحالات الاضطراريه قائلا:

" فلا يجب أن يستعمل به ما أمكن و ما وجد عنه مندوحه بل يستعمل مبعده السبب و تقطيعه و تحليله و توسيع مسام ما احتبس فيه بارخائه، و أكثر ما يمكن هذا بادويه ملطفه ". (٢٦/أ).

٨٦ - إن الشيخ ينصح الطبيب بإجراء موازنه بين ضرر المرض و ضرر استعمال المخدر و هذا يمارسه طبيب اليوم عند ما يعطى الأدوية المضاده للسرطان، و هو يعرف أنها لا تقل إضرارا بالمريض من المرض نفسه، و لكن ليست باليد حيله، فهي الطريقه المتوفره لديه و إلا فقد المريض، فهو يقول:

" متى كان قدح الألم من القوه أضر من زياده المخدر في العله، فإذا استعمل المخدر في هذا الوقت رجي له أن يكون الحاصل لهجوم القوه و توفرها بالنوم على الإنضاج و عوز الروح بزوال الألم الذي كان يحلله، و فعل القوه يزيد نفعه على نفع المعاونه التي كان يتعاطاه بقوه قد أعجزها الألم و أشرف بها الاضمحلال، فحينئذ ترجح استعمال المخدر، و كان عقد هدنه مع المرض تريخ القوه عاجلا- و إن زادت في المرض ". (٢٦/ب). إننا نطلق اليوم على القوه المقاومه الجسديه التي تعرف أنها تتحسن و تزيد عنه هدوء أعصاب المريض و خلوده إلى الراحة التي لا يلقاها إلا الشخص الذي لا يتألم، و هذا ما يحاول الشيخ الرئيس توفيره للمريض مع سابق علمه بان المخدر قد يزيد من المرض و لكنه يعدها هدنه بين المرض و المقاومه التي سوف تزيد بعد انتهاء فتره الهدنه و تقضى على المرض، و هذا ما يمارسه طبيب اليوم عمليا.

٨٧ - إن الشيخ الرئيس لا- يدع مجالا لتساؤل الطبيب من الناحيه العلاجيه في الحالات المرضيه الخاصه فهو يشرح له المداواه (THERAPY) في بعض أنواع القولنج قائلا: " و المخدرات أوفق على علاج القولنج الصفراوى لأنها مع تسكين الوجع فيخدر الحس و يسكن حده ماده الفاعله للوجع و لما ذكر أولا صار الأطباء يستعملون المخدرات في القولنج البارد " (٢٧/أ).

٨٨ - إن الشيخ الرئيس يشير إلى أن المريض قد يدمن على العلاج و لذلك وجب الانتباه لتلك الحقيقه و الحذر من استعمال المواد التي تؤدي إلى الإدمان فهو يقول: " كما عليه تركيب معجون فيلن و هو القولنبا الرومى يدمنون استعمال (Addiction) و يحذرونها حذرا كثيرا في الأمزاج و الاشتان ".

٨٩ - إن الشيخ الرئيس يفرق بين المواد الغذائية و تأثيرها على المرض و المريض فهو يقول: " ما ينفع القولنج بالخاصيه للثوم خاصيه جيده فى تسكين القولنج، مع أنه ليس له تعطيش، كما للبصل و ربما تناول منه القولنجى عند إحساسه بابتداء القولنج و هجر الطعام أصلا، و أمعن على الرياضه ".
 (٢٧/ب).

٩٠ - بالرغم من كل التحكيم المنطقى و العقلى فى الممارسات الطبيه لهذا الكتاب فان الشيخ الرئيس لا يترك استعمال التمام من عظم وجد فى خرى الذئب و يستشهد بجالينوس فهو يقول: " و إن وجد فى خرى عظم كما هو و هو عجيب أيضا، و يدعى أن تعليقها نافع من شربها و يأمر أن تعلق بجلد سامورا أو أيل أو كبش تعلق به الذئب فانفلت منه، و جالينوس يشهد بنفعه تعليقا و لو فى فضه، و قيل إن جرم معاء الذئب إذا جفف، أبلغ فى النفع من زبله سقيا و حقنه ". (٢٧/ب).

٩١ - سبق و أن ذكرت أن الكتاب لا يخلو من بعض الأشياء التى لا نقبلها علميا اليوم بل نطلق عليها خرافات، فمثلا قول الشيخ الرئيس: " و مما يجرى فى هذا المجرى العقارب المشويه فإنها شديده المنفعه للقولنج و يجب أن يجرب على القولنج الصحيح لئلا يكون مجربوها قد جربوها على قولنج كاذب هو تابع لحصاه الكلى فينفع بحصاه الكلى بالذات و من القولنج بالفحص ".
 (٢٨/أ). إن فى تلك الخرافه الطبيه حقيقه تعليميه للطبيب الممارس و هو ما نطلق عليه التحذير من النتائج الكاذبه
 . (Precaution of False result)

٩٢ - إن الفصل التاسع (٢٨/أ) قد خصص لعلاج الديدان. و من الحقائق الطبيه فى هذا الفصل أن الشيخ الرئيس يذكر أن الأدوية هى سموم بالنسبه للديدان و هذا ما يعرفه طبيب اليوم كما أنه يوصى بتحضير المريض و إعداده للدواء قبل المباشرة بالعلاج و هو يذكر استعمال المسهل بعد أدويه الديدان و الذى نمارسه اليوم فى العلاج الطبى و بخاصه إذا لم تنطلق الطبيعه أو انطلقت فى بعض الحالات. إنه ينبه إلى أن موت الديدان فى الأمعاء قد يؤدي إلى مضاعفات، و هذا ما نعرفه اليوم، و هذه الحقائق المذكوره بقول الشيخ الرئيس: " ينبغى أن ينقى البلاغم المجتمعه فى المعاء التى يتولد فيها الديدان و أن يغسل الديدان بادويه هى بالقياس إلى الديدان سموم لها، و هى المره الطعم، فمنها حاره دفعها بارده، سندكرها، و منها ما يفعل بالخاصيه، ثم يسهلوا، بعد قتل الديدان (PURGATION AFTER TREATMENT) - إن لم تدفعها الطبيعه نفسها - فان بعض أصحاب الديدان يعترتهم إسهال فيتبرز معه الديدان من غير حاجه إلى مسهل " (٢٨/أ). و ثم يقول: " و إذا قتلت بالأدويه فلا ينبغى أن يترك لطول بقائها فى البطن بعد موتها و ننتها فيصير بخارها ضررا "كليا" (سميا) و يضعف النبض " (Complication of dead worms).

يقول: "فهى أولا بان يخرج من أن يقتل إلا ما كان فى المستقيم من صغار الديدان، على أن هذا النوع من الديدان (٢٨/أ). إنما يحدث زحيرا و لا يكاد يبلغ إلى إحداث أوجاع قولنجيه" (٢٨/ب). إنه يذكر بعض الأمور التى لا نقرها اليوم مثل ميل الديدان إلى بعض الأغذية و تأثرها برائحتها، كما يقول:

"ثم بعد ذلك فى اللبن دواء قتالا للديدان مع سكر، فربما مص قبل تناوله الكباب فشبت لرائحته من مكانها و أقبلت على المص لما ينحدر إليها فإذا اتبع ذلك هذه الأدوية القاتله لها فى اللبن بغته كان أقتل لها (٢٨/ب) أو ينصح بسد المنخرين خوفا من روائح الديدان كما يقول:" و إذا شربت الأدوية الدودية فيجب أن يسد المنخران سدا شديدا لا يكثر من إخراج النفس و إدخاله إن أمكن فان الأصوب أن لا يختلط فى النفس شيئا من روائحها" (٢٨/ب).

٩٤ - و من الحقائق الطبيه المعروفه لدينا هى أن حال المريض قد لا تسمح بإعطائه أدويه الديدان و يجب أن تحسن حالته و ترفع مقاومته قبل البدء بالمعالجه، و هذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله:" و فى العلاج المتصل بعلاج الديدان إصلاح الشهوه إذا سقطت" (٢٩/أ). كما أنه يعدد أنواع الديدان قائلا:" و الأدوية التى تقتل حب القرع و المستديره، و يقتل أيضا الطوال و السيب" (٢٩/أ).

و هو يخصص الصفحه (٢٩/أ و ٢٩/ب) لمعالجه مختلف أنواع الديدان و لكنه يعود ليذكر أن شعر الحيوان المسمى آخريمون له فعاليه دوائيه بقوله:

"من الأدوية العجيبه فى جميع ضروب الديدان شعر الحيوان المسمى آخريمون فيما يذكر" (٣٠/أ). إن الشيخ الرئيس يشير إلى طريق المعالجه عن طريق الشرج (Rectal treatment)، فهو يقول:" و أما أدويه الديدان الصغار فقل ما يعرض منها آلام قولنجيه كما بينا إلا- أنه يقتلها احتمال الملح و الاحتقان بالماء الحار و يقطع مادتها، و أقوى من ذلك حقنه يقع فيها القنطوريون و القرطم و الزوفا" (٣٠/أ). إنه يصف أيضا طريقه أخرى لإخراج الديدان الشرجيه التى نسميها (Pin worms) قائلا:" و مما يلفظ هذه الصغار أن يدس فى المقعد لحم سمين مملوح و قد شد عليه مجذب من خليط، فإنها تجتمع عليه بحرص، ثم يجذب بعد صبر عليها ساعه، إن أمكن، فيخرجها و يعادوا إلى أن يستنفى" (٣١/أ).

٩٥ - يتطرق صاحبنا إلى أغذيه المصابين بالديدان و ينصح بعدم تعرضهم للجوع، إذ أن ذلك قد يسبب أعراضا لهيجان الديدان، و نحن نعرف اليوم أن الديدان يجب أن لا تتعرض للآثاره: (Irritation) لأن ذلك قد يؤدى إلى مضاعفات، و هذا ما يقوله الشيخ الرئيس أيضا." و أما الوقت و الترتيب فيجب أن لا يجاع فتهيج هى و يلذع المعده و ربما أسقطت الشهوه بل يجب أن يغذوا قبل حركتها فى وقت الراحة و أن يفرق غذاءهم فيقطعوا كل قليل إلا فى نوبه القولنج" (٣١/أ).

٩٦ - إن طبيب اليوم لا- يمارس الفصد لمعالجه الأورام أو أى قولنج إلا- فى بعض أمراض القلب و لكن الشيخ الرئيس ينبه الطبيب إلى حاله المريض قبل فصده و إلى سنه و الوضع العام، و هو ما يشير إليه بقوله:" الفصل العاشر فى علاج القولنج الورمى: أما الكائن عن ورم حار فيجب أن يستفرغ منه الدم بالفصد من الباسليق إن كان السن و الحال و القوه و سائر الموجبات يرخص فيه و يوجه" (٣٢/أ). و هو يخصص الصفحه (٣٢/أ و ٣٢/ب) لمختلف الأغذيه و الوصفات الخاصه بالقولنج الورمى الحار. أما الصفحه (٣٣/أ) فيخصصها إلى القولنج الكائن من الورم البارد. إن محاوله شرح نوعى القولنج الورمى الحار و البارد

بما نعرفه اليوم لا- ينطبق إلا على التهاب الزائدة المصحوب بالكتله - (A ppen dicular mass) التي قد تكون حاره أو بارده، و هو ما يسميه الشيخ الرئيس الورمى الحار و الورمى البارد.

٩٧ - إن الشيخ يولى أهميه خاصه للوقايه من مرض القولنج و هو يخصص الفصل الأخير من كتابه لذلك واصفا كل ما يجب على الشخص اتباعه فهو يقول: "الفصل الحادى عشر فى وجه احتراز المستعد للقولنج عن القولنج (٣٣/أ) و هو يصف أسباب الاستعداد و طرق الوقايه قائلا: الاستعداد لهذه العله يكون لضعف الأمعاء عن المزاج الردىء الذى ينفعل معه عن الأسباب الضعيفه بسرعه، و تدبيره تقويه الأمعاء بتعديل مزاجها " (٣٣/أ). و يشترط عدم معونه الأدوية عند تعريف الحاله الصحيه الجيده قائلا: " و يعتبر عوده إلى المزاج الفاضل و تمام قوته بتمام أفعاله (٣٣/أ) من غير معونه الأدوية و غير انفعاله و مقاومته للأسباب الممرضه " (٣٣/ب). و هو يؤكد على أهميه الأغذيه و طبيعتها الهضميه و الأشربه قائلا: و جميع القولنجيين يحتاجون إلى غذاء مزلق ملين و قد يحتاجون إلى التقويه فيكون ذلك أولا- بمياه اللحم البالغ فى طبخه، و لباب الخبز المذوب " (٣٣/أ). و يبين الأغذيه التى تضرهم بقوله: " و الأشياء التى تضر القولنج منها أغذيه و منها أفعال، أما الأغذيه فكل غليظ كلحم البقر و لحم الجزور و لحم الوحشى حتى الأرنب و الطبى، و السمك الكبار خاصه، طريا كان أو ملوحا و كل مقلو من اللحمان و مشوى كيف كان، و جميع بطون الحيوان و أجرام اللحوم " (٣٣/أ).

٩٨ - من النصائح الطبيه التى نعطيها للمريض المصاب بالإمساك أن يلبى الحاجه إلى البراز و هو ما نسميه طيبا بنداء القولون (CalloftheColon) الذى نوليه أهميه علاجيه، و نستعمله فى معالجه الإمساك و كثير من الكلام الذى نقوله للمريض يوجزه لنا الشيخ الرئيس قائلا: "أما الأفعال التى يجب أن يحذروا فمثل حبس الريح و حبس البراز و النوم على البراز و النوم على براز فى البطن و خصوصا يابس، بل يجب أن يعرضوا أنفسهم عند كل نوم على الخلاء. و اعلم أن حبس الريح كثيرا ما يحدث القولنج باصعاده الثفل و حصره إياه حتى يجتمع شيئا واحدا كثيرا و يحدث ضعفا فى الأمعاء، و ربما أحدث ظلمه فى البصر و صداعا و دوارا " (٣٤/أ).

و لا ينسى أن يحذر من التخمه التى يعدها أساس هذه العله قائلا:

" و يحذر القولنجيون التخمه كل الحذر فيكاد أن يكون جميع أسباب هذه العله يرجع إليها و ليحذروا باسرههم الاستكثار من الجماع " (٣٤/أ). و لا ينسى أهميه امتلاء المعده و أثره على الشخص فى حالات خاصه مثل الرياضه و الاستحمام و الجماع، و هذا ما نمارسه طيبا اليوم فهو يقول: " و يمنعون الاستحمام بعد الأكل و الجماع على الامتلاء (٣٤) (Full Stomach / ب).

المستعد لكل صنف هو اجتناب أسبابه و استعمال الخفيف من علاجه مع الأغذية الموافقه " (٣٥ / أ).

١٠٠ - و هكذا تتضح أهميه ابن سينا الطبيه و العلاجيّه، فقد تبين كثير من الحقائق الطبيه التي بينها: و هي عباره عن خلاصه لأهميه ابن سينا الطبيه و العلاجيّه و مدى مطابقه علومه في الوقت الحاضر.

ابن سينا عالما طبيعيا:

و هنا بحث عن ابن سينا عالما من علماء الطبيعيات و هو بقلم الدكتور منعم مفلح الراوى:

" المعادن و الآثار العلويه " هي الفن الخامس من موسوعه ابن سينا الشهيره في العلوم و الفلسفه (الشفاء، جزء الطبيعيات).

" تحتوى المعادن و الآثار العلويه " على مقاليتين:

المقاله الأولى: في الجيولوجيا (علم الأرض) و تشتمل على ما يحدث من ذلك بناحيه الأرض، و هي ستة فصول.

و المقاله الثانيه: في المتيورولوجيا (علم الطقس)، و هي تشتمل على الأحداث، و الكائنات التي لا- نفس لها مما يكون فوق الأرض، و هي ستة فصول.

يشمل هذا المقال دراسه الفصل الأول من المقاله الأولى في الجيولوجيا المتعلق بالجبال و تكوينها مقارنة باسس الجيولوجيا الحديثه، و يستخلص من هذه الدراسه أن لابن سينا سبق في " المعادن و الآثار العلويه " في وضع مفاهيم أساسيه في الجيولوجيا منذ ستة قرون قبل معرفتها و تطورها في أوروبا على مدى خمس قرون. و من هذه المفاهيم:

مفهوم استمراريه أو انتظام العوامل الجيولوجيه و تتابعها، قانون تتابع الطبقات، أهميه الأحافير، الزمن الجيولوجي الطويل اللازم لعمل الظواهر الجيولوجيه، و مفهوم الكوارث الجيولوجيه. هذا إضافة إلى تعليقه الصحيح لتكوين الصخور و الجبال و أسباب الزلازل، و تشخيصه لعدم التوافق الطبقي. و قد اعتمد ابن سينا في دراسته على مشاهداته العلميه بنفسه و بالنقل عن رواه ثقات. و بهذا يكون ابن سينا قد سلك النهج العلمى الصحيح في الدراسات الجيولوجيه، و بذلك يعد ابن سينا و بدون غلو رائد الجيولوجيا الحديثه.

المقدمه

هذا المقال مقتطف من بحث قدم إلى الندوه العالميه الثانيه لتاريخ العلوم عند العرب الذى عقد في جامعه حلب في ٥-١٢ نيسان ١٩٧٩ بعنوان:

" المعادن و الآثار العلويه " لابن سينا و علاقتها باسس الجيولوجيا الحديثه.

نقدر ما كتب عن ابن سينا (ت ٤٢٨/٥ ١٠٣٧ م)، و عن مؤلفاته الكثيره في مختلف العلوم و الفنون، لا نرى شرحا حديثا لأعماله في العلوم الطبيعيه من قبل العلماء العرب و المسلمين، علما بان تلك العلوم بقيت لفترة طويله الجسر العلمى بين الحضارتين

القديمه و الحديثه.

لقد تم تحقيق و نشر كتاب "الشفاء" لابن سينا (و هو الموسوعه الشهيره فى الفلسفه و العلوم) على أجزاء، و منها: الفن الخامس من جزء الطبيعيات. و هذا الفن يشتمل على "المعادن و الآثار العلويه" و قد حقق و نشر عام ١٩٦٥ عن المخطوطات التاليه:

- مخطوطه الأزهر.

- مخطوطه دار الكتب.

- مخطوطه داماد الجديده.

- مخطوطه المتحف البريطانى.

- نسخه طهران (المطبوعه) و هامشها.

و قد عثرت على نسخه أخرى من مخطوطه "الشفاء"، لعلها كانت معروفه لمحقيقى النسخه المنشوره السابقه الذكر. و لكن للأهميه نذكر هنا شيئاً عنها:

وجدت مخطوطه الشفاء فى مكتبه تشستريتي فى دبلن - إيرلنده، برقم ٣٩٨٣، و يرجع تاريخ كتابتها إلى سنه ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) فى الوقت الذى عاشت فيه الحضاره العربيه الإسلاميه عصر الانحطاط. و مكتبه تشستريتي غنيه عن الذكر فهى تحتوى على عدد كبير من نفايس المخطوطات الإسلاميه باللغات العربيه و غيرها علاوه على الرسوم الإسلاميه الرائعه. و قد أجرى البحث بدراسه الفصل الأول من مقاله الأولى: "فى الجبال و تكوينها من المعادن و الآثار العلويه" من المخطوطه و النسخه المحققه و المنشوره مقارنة باسس الجيولوجيا الحديثه و المعروفه. و فصول مقاله الأولى - الخمسه الأخرى - هى: الفصل الثانى فى منافع الجبال و تكوين السحب و الأنداء، و الفصل الثالث فى منافع المياه، و الفصل الرابع فى الزلازل، و الفصل الخامس فى تكوين المعدنيات، و الفصل السادس فى أحوال المسكونه (أى الأرض) و أمزجه البلاد.

لقد سبق و أوجزت فى تاريخ الجيولوجيا عند العرب و بينت عدد العلماء و المشاهير فى الحضاره العربيه الإسلاميه ممن فكروا و بحثوا فى طبيعه كوكب الأرض الذى يسكنون فيه. و قد لا يخلو عصر من العصور من عدد من العلماء المعاصرين الذين حفظوا العلم و أعطوه للأجيال التى تلتهم. و قد كان ذلك منذ عصر الترجمة (القرن الثالث الهجرى) إلى عهود متاخره عاصرت النهضه الأوروبيه الحديثه.

لقد عرف مقام ابن سينا كأحد العلماء المسلمين فى علوم الأرض (الجيولوجيا) و ذلك من قبل كتاب عرب و غيرهم من أمثال: السكرى، و يكتز Wickens، صبره Sabra، عبد الرحمن، و العشرى. و لكن من مؤرخى الجيولوجيا الغربيين لم نجد من يذكر فضل ابن سينا فى علوم الأرض سوى القليل و نذكر منهم: دنس Dennis، و كمل Kummel، و قد ذكر كمل ابن سينا كمؤرخ و معلق لعلوم الاغريق، بالرغم من أن ما جاء به فى المعادن و الآثار العلويه لم يذكر فى تاريخ علوم الأرض عند الاغريق.

إن تطور الجيولوجيا فى أوروبا كعلم نتج عن تطور مفاهيم و أسس علميه خلال خمس مراحل: الأولى: مرحله العصور القديمه المسيحيه - و الثانيه:

مرحله التكوين التى استمرت من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر الميلادى.

ص: ١١٧

والعشرين. ويمكن تلخيص تلك المفاهيم و الأسس العلميه التي كان النقاش يدور حولها طيله تلك الفترات الزمنيه كالآتى:

١ - معنى و أهميه الأحافير.

٢ - استمراريه العوامل الجيولوجيه أو قاعده الانتظام.

٣ - قانون تتابع الطبقات.

٤ - الزمن الجيولوجى الطويل.

٥ - مفهوم الكوارث الجيولوجيه.

إن الاضطراب فى الاكتشافات الجيولوجيه المتأخره و المتعمده على التكنولوجيا يجب أن لا تغفلنا عن الماضى، فالجيولوجيون المحدثون ليسوا بأكثر ذكاء من السابقين، كما أن الإنجازات الحداثه تنبع من التطور التاريخى للأفكار و الطرق العلميه. إن التاريخ الطويل للجيولوجيا فى أوروبا يحمل تفاوتاً كبيراً فى وجهات النظر بين العلماء فى المسائل الجيولوجيه على اختلاف مذاهبهم العلميه.

و أهميه ابن سينا فى تاريخ الجيولوجيا تنبع من شهرته الواسعه الناتجه من ترجمه كتبه فى أوروبا بالرغم من وجود علماء مسلمين آخرين كانوا قد خاضوا هذا المضمار العلمى، و من أولئك العلماء من عاصر ابن سينا، و ربما يكون قد أخذ عنهم.

و تأتى شهره كتب ابن سينا من أنها شامله المحتوى كالموسوعات العلميه التي احتوت على أعماله و غيرها المعتمده على سرد الحقائق دون التركيز على أقوال الأفراد. لذا فإن كتبه الشهيره كالقانون فى الطب قد استعملت ككتب مقرره فى الجامعات الغربيه لفترات زمنيه طويله.

و كلمه أخيره فى هذه المقدمه هى أن تاريخ أى علم يجب أن لا يكون بسرد أسماء العلماء و الكتب، فليس كل مخطوط نتاجاً علمياً ثميناً، بل يجب التركيز فى العمل العلمى التاريخى على تطور المفاهيم العلميه زمنياً، إذ أنها تعكس التطور الفكرى الإنسانى عبر العصور، و هذا يكون فى غايه الأهميه فى مجال تاريخ الجيولوجيا، إذا أنها تعبر عن علاقه الإنسان بالأرض و الكون و مدى شعور و تفكير الإنسان فيهما.

إنه لظلم للإنسانيه إذا فرضنا - كما هو مفروض فى أوروبا - أن الإنسان حصر كل ما أوتى من تفكير علمى و رياضى و فلكى فى الأرض و ما حوله بعصور الاغريق و العصور الأوروبيه الحديثه فقط. فالخطأ ليس فى الإنسانيه التي لم تفكر فى الأرض خلال العصور الأوروبيه المظلمه، و إنما الخطأ فى العلماء و المؤرخين الغربيين الذين تناسوا ذكر الأعمال الجليله التي قام بها العلماء العرب و المسلمون فى مجال علوم الأرض، هذه العلوم التي لولاها لما كان علم جيولوجيا حديث، و لا اكتشافات معدنيه و نفطيه ثمينه، و لبقيت أوروبا و العالم بعد انحطاط الحضاره العربيه الإسلاميه فى دياجير الظلام التي كانت تعيشها فى القرون الوسطى.

أسس الجيولوجيا فى المعادن و الآثار العلويه

عند دراسته هذا الفصل بصورة دقيقة فاننا نلمس عمق التفكير العلمى لدى ابن سينا المبني على المشاهده و التأمل للظواهر الجيولوجيه المختلفه للوصول إلى التعليل العلمى المعقول لها. هذا فضلا عن الكتابه العلميه السهله. فيبدأ الفصل بقوله:

"لنبتدئ أولا- و لنحقق حال تكون الجبال ". و المباحث التى يجب أن تعلم فى ذلك. أولها: حال تكون الحجاره، و الثانى: حال تكون الحجاره الكبيره أو الكثيره، و الثالث: حال تكون ما يكون له ارتفاع و سمو".

فهذا يقرر ابن سينا الحقيقه الثابته و هى: أنه لتكون الجبال يجب أن يعرف أولا حال تكون الحجاره، و من ثم الحجر الكبير أو الكثير و الذى بعد الارتفاع يكون الجبال. هذه الحقيقه شغلت العلماء لقرون عديده فى أوروبا للوصول إلى نفس النتيجة التى وصل إليها ابن سينا فى بحثه عن تكون الجبال. و هذا ما سنشرحه تباعا فى هذا البحث.

١ - تكون الحجاره:

لتكون الحجاره، يقرر ابن سينا ثلاثه أصول، و هى: الطين أو الماء أو النار. و هذه الأصول تعرف الآن بالأصل الرسوبى (الطين أو الماء) و الأصل النارى. أما الأصل الآخر الذى لم يعرفه ابن سينا و اكتشف فى القرون المتأخره فهو الأصل المتحول من الصخور الرسوبيه و الناريه. فعن النوع الأول الذى يتكون من أصل الطين يقول ابن سينا:

" فكثير من الطين يجف و يستحيل أولا شيئا من الحجر و الطين، و هو حجر رخو، ثم يستحيل حجرا، و أولى الطينات بذلك ما كان لزجا، فان لم يكن لزجا فإنه يتفتت فى أكثر الأمر قبل أن يتحجر".

و قد استدل لكل نوع من أنواع الحجاره بأمثله، فيقول:

" و قد شاهدنا فى طفولتنا فى مواضع كان فيها الطين و ذلك فى شط جيحون، ثم شاهدناه قد تحجر تحجرا رخوا و المده قريبه من ثلاث و عشرين سنه ". (و شط جيحون يسمى حاليا بنهر أمور [آمو] داريا [دريا] أو الأقصص، و يقع فى الحدود بين أفغانستان و الاتحاد السوفيتى، و قد كرر ابن سينا ذكر هذا النهر فى مرات لاحقه، كما أوضح الإصطرخى [الإصطخرى] (ت ٣٤٠ هـ - ٩٥١ م) بخريطه مشابهه موقع هذا النهر. و هذا النوع من الحجاره الرسوبيه يعرف الآن بالصخور التفتيه Detrital or clastic .

أما عن النوع الثانى الذى يتكون من أصل الماء فيقول ابن سينا:

" و قد تتكون الحجاره من الماء السيل على وجهين: أحدهما أن يجمد الماء كما يقطر أو كما يسيل برمته. و الثانى يرسب منه من سيلانه شىء يلزم وجه مسيله و يتحجر. و قد شوهدت مياه تسيل، فما يقطر منها على موضع معلوم ينعقد حجرا أو حصى مختلفه الألوان ". و هذا النوع يعرف الآن بالصخور الكيمياءيه Chemical rocks أو التبخريه Evaporites .

و عن النوع الثالث من الحجاره، يقول ابن سينا:

" و قد تتكون أنواع من الحجاره من النار إذا أطفئت، و كثيرا ما يحدث فى الصواعق أجسام حديديه و حجرية بسبب ما يعرض

للناريه أن تطفأ فتصير بارده يابسه".

ص: ١١٨

العرب قد وصفوا ذلك فى شعرهم. و هذا النوع من الحجاره يعرف الآن بالنيازك Meteorites ، و هى صخور حديديه ثقيله جدا.

و يجدر بالذكر أن ابن سينا لم يذكر الحجر النارى الذى يتكون من حمم البراكين، و لعله لم يشاهد البراكين بنفسه. كذلك لم يكن قد عرف الحجر المتحول بسبب الضغط و الحراره من الأصلين الرسوبى و النارى. و هذا متوقع، إذ إن هذا النوع من الصخور لم يعرف إلا فى فتره متاخره (فى القرن التاسع عشر). و يمكن تلخيص أنواع الحجاره و علاقتها بتكون الجبال.

و أثناء التكلم عن أنواع الحجاره، يذكر ابن سينا وجود الأحافير Fossils فى الحجاره و يعلل عمليه التحفر Fossilization فيقول: "و إن كان ما يحكى من تحجر حيوانات و نباتات صحيحا فالسبب فيه شده قوه معدنيه محجره تحدث فى بعض البقاع الحجرية، أو تنفصل دفعه من الأرض فى الزلزال و الخسوف، فتحجر ما تلقاه، فإنه ليس استحاله الأجسام النباتيه و الحيوانيه إلى الحجرية أبعد من استحاله المياه و لا من الممتنع فى المركبات أن تغلب عليها قوه عنصر واحد يستحيل إليه، لأن كل واحد من العناصر التى فيها مما ليس من جنس ذلك العنصر، من شأنه أن يستحيل إلى ذلك العنصر، و لهذا تستحيل الأجسام الواقعه فى الملاحات إلى الملح، و الأجسام الواقعه فى الحريق إلى النار"، و نلاحظ أن ابن سينا لم يدخل فى جدل طويل فى تعليل تحجر الحيوانات كما حدث فى أوروبا، بل كانت لديه المسأله بديهيه.

٢ - تكون الحجاره الكبيره أو الكثيره:

و هذا ما يسمى الآن بالتتابع الطبقي الصخرى Straigraphic sequence فيقول ابن سينا: " و أما تكون حجر كبير فيكون إما دفعه، و ذلك بسبب حر عظيم يعاصف طينا لزجا، و إما أن يكون قليلا على تواتر الأيام".

و بالمعنى تكون الحجر بالصوره الكبيره أو الكثيره يحدث عند جفاف أو تحجر الرسوبيات الطينيه و غيرها بسبب الحراره أو الجفاف، أو التحجر البطيء المتواصل فى مده طويله. و هنا فى جمله "على تواتر الأيام" يقرر ابن سينا أهميه الزمن الطويل فى عمليه تكوين الصخور بالكميات الكبيره أو الكثيره تلك الأهميه التى لم يعرفها العلماء الأقدمون بالصوره التى أوضحها ابن سينا، و التى عرفت بعد ذلك فى القرن الثامن عشر.

٣ - تكوين الجبال، أو ما له ارتفاع و سمو:

ينتقل ابن سينا فى المرحله التاليه بعد أن شرح كيفيه تكون الحجاره و كيفيه تكون الحجاره بكميات كثيره إلى عمليه تكوين الجبال بارتفاع الحجاره الكثيره و نحت السيول لها تاركه الوديان و الجبال العاليه. فيقول: " و أما الارتفاع فقد يقع لذلك سبب بالذات، و قد يقع له سبب بالعرض (أى سبب داخلى و سبب خارجى - المؤلف)، أما السبب بالذات، فكما يتفق عن كثير من الزلازل القويه أن ترفع الريح الفاعله للزلزله طائفه من الأرض، و تحدث راييه من الروابى دفعه، و أما الذى بالعرض فان يعرض لبعض الأجزاء من الأرض انحفار دون بعض، بان تكون رياح نسافه أو مياه حفاره تتفق لها حركه على جزء من الأرض دون جزء، فيتحفر ما تسيل عليه و يبقى ما لا تسيل عليه راييا، ثم لا تزال السيول تغوص فى الحفر الأول إلى أن تغور غورا شديدا، و يبقى ما انحرف عنه شاهقا. و هذا كالمحقق من أمور الجبال و ما بينها من الحفر و المسالك".

و هنا يقرر ابن سينا ببساطه عمليتين لرفع الأحجار أو الصخور التي تكونت بالوسائل السابقه، و ذلك بواسطه قوى داخلية أو موضوعيه (بالذات)، و هذا الارتفاع يحدث أثناء الزلازل أو ما يسمى بالكوارث.

و بواسطه قوى خارجيه (بالعرض)، و هذه هي عوامل التجويه بواسطه المياه و الرياح **Weathering** و نحت المياه أثناء السيول **Stream erosion** فى مناطق من الأرض دون الاخرى. فالمكان الذى تسيل عليه الأمطار يتحفر و ينتج عنه الأدويه، و تبقى المناطق العاليه جبالا.

و يعود ابن سينا ليشرح و يؤكد ما ذكر سابقا مبينا أهميه الزمن الطويل فى إجراء العمليات الجيولوجيه، فيقول: " و ربما كان الماء أو الريح متفق الفيضان، إلا- أن أجزاء الأرض تكون مختلفه، فيكون بعضها لينه و بعضها حجرية فينحفر الترابى اللين، و يبقى الحجرى مرتفعا. ثم لا يزال ذلك المسيل ينحفر على الأيام، و يتسع و يبقى التواء، و كلما انحفر عنه الأرض كان شهوقه أكثر".
و يلخص ابن سينا بشيء من التوضيح أحوال تكون الجبال فيقول:

" فهذه هي الأسباب الأكثرية لهذه الأحوال الثلاثه. فالجبال تكونها من أحد أسباب تكون الحجاره، و الغالب أن تكونها من طين لزج على طول الزمان، تحجر فى مدد لا- تضبط فيشبه أن تكون هذه المعموره (أى الأرض) قد كانت فى سالف الأيام غير معموره بل معموره فى البحار، فتحجرت، إما بعد الانكشاف قليلا قليلا فى مدد لا تفى التاريخات بحفظ أطرافها. و إما تحت المياه لشده الحراره المحتقنه تحت البحر".

" و هنا يؤكد ابن سينا أهميه الزمن الجيولوجى الطويل جدا و الذى لا يحصى فى مقاييسهم آنذاك، و أيضا أهميه الحراره الداخليه للأرض و التى عرفها جيمس هتون لأول مره فى اسكوتلنده فى القرن الثامن عشر.

و يستمر ابن سينا قائلا: " و الأولى أن يكون بعد الانكشاف، و أن تكون طينتها تعينها على التحجر، إذ تكون طينتها لزجه. و هذا ما يوجد فى كثير من الأحجار، إذا كسرت أجزاء الحيوانات المائيه كالأصداف و غيرها. و لا يبعد أن تكون القوه المعدنيه قد تولدت هناك فاعانت أيضا أى فى داخل الصخور بواسطه الحراره فتبلور المعادن **Recrystallization** و أن تكون مياه قد استحالت أيضا حجاره **Secondary solution**، لكن الأولى أن تكون الجبال على هذه الجمله، و لكثره ما فيها من الحجر لكثره ما يشتمل على البحر من الطين، ثم ينكشف عنه، و ارتفاعها لما حفرته من السيول و الرياح فيما بينها".

و لم يكتف ابن سينا فى الشرح و التلخيص لكى يثبت فكره تكون الجبال التى تولدت لديه من التأمل و المشاهده، فيعيد صياغته أفكاره ليصل إلى التعليل العلمى لتلك العوامل الطبيعيه اللازمه لعمل الانحفرات فى الجبال من جراء الاستمراريه فى العمل الطبيعى و الزمن الطويل.

إلى آخره، كان يحدث سابقا، فيقول ابن سينا:

" فانك إذا تأملت أكثر الجبال، رأيت الانحفار الفاصل فيما بينهما متولدا من السيول. و لكن ذلك أمر إنما تم و كان فى مدد كثيره، فلم يبق لكل سيل أثره، بل إنما يرى الأقرب منها عهدا. و أكثر الجبال الآن إنما هى فى الارضاض و التفتت، و ذلك لأن عهد نشوئها و تكونها إنما كان مع انكشاف المياه عنها يسيرا يسيرا، و الآن فإنها فى سلطان التفتت، إلا ما شاء الله من جبال و إن كانت تتزايد بسبب مياه تتحجر فيها، أو سيول تؤدى إليها طينا كثيرا فيتحجر فيها".

و يتبع ابن سينا ذلك بدلائل من مشاهداته الشخصيه و مشاهدات غيره فيقول: " فقد بلغنى أنه قد شوهد فى بعض الجبال، و أما ما شاهدته أنا فهو فى شط جيحون، و ليس ذلك الموضع مما يستحق أن يسمى جبلا. فما كان من هذه المنكشفات أصلب طينه و أقوى تحجرا و أعظم حجما، فإنه إذا انهار ما دونه، بقى أرفع و أعلى".

ينتقل ابن سينا بعد ذلك إلى تعليل تكوين " الرسوبيات فى الوديان " التى بين الجبال، و يصفها بأنها ليست من الماده الأصلية للجبال و إنما هى منقوله بعد تفتت الجبال، و هذا ما هو معروف الآن برسوبيات بين الجبال **Inter mountain deposits** ، فيقول:

" و أما عروق الطين الموجوده فى الجبال فيجوز أن تكون تلك العروق ليست من صميم ماده التحجر، لكنها من جمله ما تفتت من الجبال و ترسب و امتلأ- فى الأودية و الفجاج، و سالت عليه المياه، و رطبته و غشيتها أرهاص الجبال، أو خلطت به طينتها الجيده. و يجوز أن يكون القديم أيضا من طين البحر غير متفق الجوهر (أى الماده)، فيكون من تربته ما يتحجر تحجرا قويا، و منه ما لا يتحجر و منه ما يسترخى تحجره لكيفيه ما غالبه فيه، أو لسبب من الأسباب التى لا تعد".

و يعلل ابن سينا الرسوبيات الحديثه أيضا بأنها رسوبيات بحر قد طفى على اليابسه و عند انكشافه فإنها تتحجر، و لكن صخور الجبل القديمه تكون قابله للتفتت أكثر، فيقول:

" و يجوز أن يعرض للبحر أيضا أن يفيض قليلا- قليلا- على بر مختلط من سهل و جبل، ثم ينضب عنه، فيعرض للسهل منه أن يستحيل طينا، و لا يعرض ذلك للجبل. و إذا استحال طينا كان مستعدا لأن يتحجر عند الانكشاف (أى ظهور الحجاره) و يكون تحجره تحجرا سافيا قويا. و إذا وقع الانكشاف على ما تحجر، فربما يكون المتحجر القديم فى حد ما استعد للتفتت. و يجوز أن يكون ذلك يعرض له عكس ما عرض للتربه، من أن هذا يربط و يلين و يعود ترابا، و ذلك يستعد للحجره".

و يشبه ابن سينا التفتت **Disintegration** بتجارب قد عملها فيقول:

" كما إذا نعت آجره و ترابا و طينا فى الماء، ثم عرضت الآجره و الطير و التراب على النار، عرض للآجره أن زادها الاستنقاغ استعدادا للتفتت بالنار ثانيا، و التراب و الطين استعدادا للاستحجار أقوى".

و يختم ابن سينا فصله الشيق عن الجبال فيعرض فلسفه علميه قد عرفت فى الجيولوجيا الحديثه بما يسمى بقانون تتابع الطبقات:

(**Law of Superposition of Strata**) و هو أن الطبقات التى ترسب أولا هى الأقدم، و التى تليها هى الأحدث إذا لم

يحدث ميل، فيقول:

" و يجوز أن ينكشف البر عن البحر و كل بعد طبقه، و قد يرى بعض الجبال كأنه منضود سافا سافا، فيشبهه أن يكون ذلك قد كانت طينتها في وقت ما كذلك سافا سافا، بان كان ساف ارتكم أولا ثم حدث بعده في مده أخرى ساف آخر فارتكم، و كان قد سال على كل ساف جسم من خلاف جوهره، فصار حائلا- بينه و بين الساف الآخر، (هذا ما يسمى الآن بعدم التوافق (Unconformity) ، فلما تحجرت المادة عرض للحائل أن انشق و اثره ما بين السافين. و أن حائلا بين أرض البحر قد تكون طينته رسوبيه، و قد تكون طينه قديمه ليست رسوبيه و يشبه أن يكون ما عرض له انفصال الإرهاص من الجبال رسوبيا. فهكذا تتكون الجبال".

و بهذا يكون ابن سينا قد جاء بكل المستلزمات الأساسية لنشوء علم الأرض (الجيولوجيا) بالمعنى الحديث الذي نعرفه الآن، فقد أكمل ملاحظات الأقدمين و زادها بملاحظاته، و نظمها و أخرج منها غير المعقول و صاغها الصياغه العلميه الصحيحه الجيده. و ما جاء به العلماء الغربيون من بعده بعده قرون لم يكن سوى زياده المشاهده بعد ما قرءوا علومه، و أعطوه الاصطلاح العلمى الأوروبى، و نسبوا تلك المفاهيم و القوانين لهم، و نسوا أو تناسوا ما صنع هذا العالم الجليل.

حمد البيك بن محمد بن محمود بن نصار

اشاره

اشتهر باسمين معا: فبعض يطلق عليه اسم: حمد المحمود، و بعض اسم حمد البيك.

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٣٠ من المجلد السادس، و نزيد عليها هنا ما يلى:

مما تميز به عهد حمد البيك بروز نهضه شعريه فى جبل عامل اجتمع فيها ثله من الشعراء حول حمد فكانوا شيئا متميزا فى الحياه الشعريه فى جبل عامل على امتداد هذه الحياه قبلهم و بعدهم.

و لا بد لنا قبل الدخول فى التفاصيل من أن نلم إماما موجزا بتلك الحياه التى تسلسل فيها الشعر العاملى منذ صدر الإسلام حتى عهد أولئك الشعراء:

فى العهد الأموى

لقد ماشت الحياه الشعريه فى جبل عامل أزهى العهود العربيه ثم لما ابتدأت تلك العهود بالانحدار ظلت هى فى طريقها السليم لم تتعسف و لم تتدهور. ففى العهد الأموى مثلا عند ما تالق جرير و الفرزدق و الأخطل، و توارى الشعراء من طريقهم فخلت الساحه لهم و حدهم يصلون و يجولون، تصدى لهم شاعر عاملى فنالهم و ثبت لهم، و استطاع ان يظفر ببعضهم ظفرا مرموقا، و لم يجرؤ غيره على أن ينزل من البلاط الحاكم منزلتهم، هذا الشاعر هو عدى بن الرقاع العاملى، و ليد هذا الجبل و ربيبه و

خريجه. و من المؤلم أن مدرسى الأدب عندنا و دارسيه يجهلون كل شيء عنه، في حين أنه كان شيئاً مدوى الأثر حتى إن شاعرا
فحلا مثل أبي تمام لا يأنف عن التمدح به و الاستشهاد بذكره فيقول:

ص: ١٢٠

يشير عجاجه فى كل ثغر يهيم به عدى بن الرقاع

و حتى إن الشريف الرضى و هو من هو يقول:

و يعجبني البعاد كان قلبى يحدث عن عدى بن الرقاع

و حتى إن شاعرا آخر من أكبر شعراء العرب هو على بن المقرب الأحسائي يشير إليه فى قوله:

أهم بهجوم فأرى ضللا هجائى دون رهط ابن الرقاع

و يصعب جدا إيجاز الحديث عن هذا الشاعر العاملى، لأن الحديث عنه متعدد الجوانب متشعب النواحي، و لكن لا بد من ذكر معركة مع جرير لئلا نرى منها كفاءته و قوته.

معركة الشاعر العاملى مع جرير

لقد كان جرير هو السائد فى بلاط الأمويين، و كان لسانه جمره من الجمرات، بل شفره من إحدى الشفرات التى تحز فى المفاصل فتقطع قطعاً ذريعاً.

و كانت المعركة الشعرية تحتدم بينه و بين الفرزدق فلا يستطيع أحدهما التغلب على الآخر، و لا يقدر أى منهما أن يحمل صاحبه على الانسحاب مقهوراً مغلوباً.

و لكن الشاعر العاملى استطاع و ظفر من جرير بما لم يظفر به لا الفرزدق و لا الأخطل و لا غيرهما. و من غيرهما عند ما يذكر هذان البطلان؟..

إذا استطاع الفرزدق أن يقول:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

كان جرير مستطعاً أن يقول:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامه يا مربع

فإذا أفحش جرير كان الفرزدق مستعداً لأن يكون أكثر إفحاشاً.

و لم نعرف أن معركة انتهت بينهما على غالب و مغلوب، بل ظلاً أبداً لا غالباً و لا مغلوباً، أو غالباً و مغلوباً، أو مغلوباً و مغلوباً.

و لكن عدى بن الرقاع العاملى استطاع ما لم يستطعه غيره، استطاع أن يهزم جريراً و أن يضطره إلى الاعتراف بالهزيمة.

هزيمة جرير

و يبدو أن جريرا استهان به أول الأمر فأراد السخريه من هذا الشاعر الوافد من الجبل إلى دمشق يريد أن يزاحم الفحول على أبواب الملوك، فرماه بيت من الشعر تقضى الكياسه بان لا نذكر إلا صدره و هو:

"يقصر باع العاملى عن العلى"

. و قد ظن جرير أنه قد أخجله و أسكته، و لكن عديا انبرى له بالبيت الذى تقضى الكياسه أيضا أن لا نذكر إلا عجزه و هو:

"أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول"

. فبهت جرير و أدرك أنه هزم هزيمة شنعاء - و هو الذى لم يهزم من قبل - و خاف مغبه الاسترسال مع هذا الشاعر القوى فأثر الانسحاب من المعركه و الاعتراف بالهزيمة لأول مره فى حياته، فأجابه:

"بل أنا امرؤ لم أدر كيف أقول"

و يروى الفرزدق لقاءه الأول هو و جرير لعدى بهذا النص: كنت فى المجلس و جرير إلى جانبى، فلما ابتدأ عدى فى قصيدته:

عرف الديار توهما فاعتادها من بعد ما درس البلى إبلادها

قلت لجرير مشيرا إلى عدى: هلم نسخر من هذا الشامى، فلما ذقنا كلامه يتسنا منه.

بعض شعره

و إذا كان المجال يضيق فى هذه المقاله عن تعداد شعره و دراسته دراسه موضحه، فاننا نذكر له أبياتا غزليه من أرق الشعر العربى كقوله:

و كأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم

و سنان أقصده النعاس فرنقت فى جفنه سنه و ليس بنائم

و كقوله:

لو ثوى لا يريمها ألف حول لم يطل عندها عليه الثواء

أهواها شفه أم أعيرت منظرا غير ما أعير النساء

و يروى المؤرخون أنه لما وصل فى إنشاد قصيدته الداليه إلى هذا البيت:

تزجى أغن كان إبره روقه قلم أصاب من الدواه مدادها

و سمعه الشعراء سجدوا له، فلما استغرب الناس أن يسجد الشعراء لبيت من الشعر، قال الشعراء: "إنا نعرف مواضع السجود فى الشعر كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن".

و من الإبداع فى شعره فى غير الغزل قوله:

و الناس أشباه و بين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء

بل ما رأيت جبال أرض تستوى فيما عسيت و لا نجوم سماء

و المجد يورثه امرؤ أشباهه و يموت آخر و هو فى الأحياء

و ساظم عدى بن الرقاع أن قلت أن ما ذكرته عنه و ما استشهدت به من شعره يمثله تمثيلا صحيحا و يعطينا الصورة التى نريدها عنه، فهذا العاملى النابغ لا تقوم بحقه مثل هذه السطور القليله.

فى العهد العباسى فى العصر العباسى عند ما برز أبو تمام و البحترى و المتنبى و المعرى و الرضى و الحمدانى و غيرهم برز من جبل عامل شاعر جارى الفحول فكان فى الطليعه منهم، ذاك هو عبد المحسن الصورى المتوفى سنة ٤١٩ هجرية،

و إذا كان عدى بن الرقاع سليل القمم العاملية فان عبد المحسن سليل الشواطئ منها، فهو من مدينه صور بالذات و منها استمد لقبه.

و مع أنه كان لهذا الشاعر شهره مدويه بين معاصريه فان ديوانه لم يطبع حتى اليوم و كانت توجد منه نسخه مخطوطه فى خزانه المرحوم الشيخ محمد رضا الشيبى نسخها والده الشيخ جواد على نسخه قديمه من مخطوطات أوائل القرن السادس الهجرى.

و من الظواهر فى شعره ما يدل على مدى ترابط البلدان العربيه فى عهده، فان وفاه تحدث فى بغداد تستجيش شاعرا فى صور فيرثى الميت و يبكيه باحر الدموع، فقد توفى العالم الكبير المفكر محمد بن محمد النعمان الذى اشتهر

يلقب " الشيخ المفيد " توفى فى بغداد فتجاوبت بصدى و فاته ديار العرب فقال عبد المحسن يرثيه من قصيده طويله:

يطلب المفيد بعدك و الأسماء تمضى فكيف تبقى المعانى

فجعه أصبحت تبلغ أهل الشام صوت العويل من بغداد

و من شعره الدال على ظروف حياته ما جاء فى مدحه لعلى بن الحسين المغربى والد الوزير أبى القاسم. فان هذا الشاعر الصورى كان كغيره من الشعراء يتصدى للمدح كسبا للعيش و لم تكن ظروفه كلها موافيه، فكانت تكسد بضاعته عند من لا يعرف قيمتها فيعيش فى كآبه وهم و فقر فقال يصف هذه الحاله:

و نوائب أظهرن أيامى إلى بصورتين

سودنها و أظننها فرأيت يوما ليلتين

ثم يقول ذاكرا أنه لطول عهده بالنقود صار لا يميز الذهب من الفضة و لا يعرف حقيقتهما:

هل بعد ذلك من يعرفنى النضار من اللجين

فلقد جهلتها بعد العهد بينهما و بينى

متكسبا بالشعر يا بئس الصناعه باليدين

لم تنطفئ جذوه الشعر

و لم تنطفئ جذوه الشعر العاملى حتى فى عهد الاحتلال الصليبي فان قصيده ابن الحسام العاملى فى رثاء أبى القاسم بن الحسين العود الأسدى المتوفى سنة ٦٧٩ نظمت خلال الاحتلال.

طلائع النهضه الشعريه بعد الاحتلال

أما بعد الجلاء فيمكننا أن نعتبر أن الشهيد الأول محمد بن مكى هو مؤسس النهضتين العلميه و الأدبيه، و لقد كان إلى جانب مكانته العلميه على شاعريه حسنه ينظم الأبيات و البيتين. فنحن نستطيع أن نعد شعره من أوائل النتاج العاملى الذى وصلنا بعد جلاء الصليبيين، فمن ذلك قوله:

كنت قبل الهوى حليف المعالى و لأعلامها على خفوق

نقصتنى زياده الحب حتى أدركانى المريخ و العيوق

و ينسب إليه قوله:

شغلنا بكسب العلم عن طلب الغنى كما شغلوا عن مطلب العلم بالوفر

فصار لهم حظ من الجهل والغنى و صار لنا حظ من العلم و الفقر

و قوله:

غنيا بنا عن كل من لا يريدنا و إن كثرت أوصافه و نعوته

و من صد عنا حسبه الصد و الجفا و من فاتنا يكفيه أنا نفوته

و يمكننا اعتبار هذا الشعر و أمثاله من شعر الشهيد طلائع نهضة شعره أخذت تنمو و تتقدم بتقدم المدارس و تكاثر العلماء و الطلاب.

فضل الشهيد الأول

و الواقع أن هذا الرجل كان له من الفضل على الجبل ما لا- يحد بحد، فقد خرجت البلاد من وطاه الاحتلال مهيضه الجناح مهشمه القوى، و لئن استطاعت أن تحتفظ بعروبتها و إسلامها و مقوماتها و استمرار التعليم فيها، فإنها لم تستطع أن تصل بذلك إلى ما كانت تطمح إليه. لهذا رأينا أن الأربع و الأربعين سنة التي سبقت ولاده الشهيد، لم تستطع أن تخرج عالما كبيرا مشهورا، بل كانت هذه السنون سنين إعداد و تجهيز و قضاء على مخلفات الماضي البغيض. حتى إذا شب محمد بن مكى و درس على شيوخ بلاده ما أمكن أن يدرس. و رأى أن هؤلاء الشيوخ قد استفدوا فى تلقينه كل ما عندهم، و رأى أن هذا الذى تلقنه لا غناء فيه إذا هو أراد أن يكون شيئا مذكورا فى العلم، حتى إذا رأى ذلك، عزم على الهجره العلميه إلى العراق و هو فى غضاره السن و طراوه العمر. فقصد مدينه الحله حيث كانت مدرسه الشيعه الكبرى قبل النجف و هناك انكب على التحصيل، ثم عاد إلى بلاده مجازا من أساتيده. مبرزا بمعلوماته، و شرع بتركيز قواعد التدريس و نشر العلم فاستطاع أن ينهض بالجبل نهضه جباره كان هو رأسها و أساسها.

و هكذا يمكننا اعتبار سنة ٧٥٥ هجرية و هى سنة عوده الشهيد من العراق مبدأ البعث العلمى و الأدبى فى جبل عامل.

نكبه جبل عامل بالجزار

كانت نكبه جبل عامل بأحمد باشا الجزار من النكبات القاصمه فقد فوجئت البلاد بزحفه عليها و هى على غير استعداد، فاستطاع التغلب عليها و على من لقيهم من أبنائها ثم أطلق جنوده يعملون التخريب و التقتيل و السلب. و كان من أفجع ما لقيه جبل عامل فى تلك المحنه نهب مكتباته نهبا عاما و حمل كتبها إلى عكا. و كان يمكن أن يكون الأمر سهلا لو أن تلك الكتب أريد لها فى عكا الجمع و الحفظ. لكن الجزار و أعوانه و هم الجهلاء رأوا زياده فى الانتقام أن يبيدوا تلك الكتب فيسلموها إلى أصحاب الأفران يوقدون بها أفرانهم، و يكاد يجمع المؤرخون العامليون على أن تلك الكتب ظلت تغذى الأفران فى عكا أسبوعا كاملا.

على أن بعض الفلسطينيين من أهل المعرفة استطاعوا إنقاذ القليل منها، كما أن بعض من وقعت في أيديهم باعوا ما حصلوا عليه، وقد وصل قسم منها إلى مكتبة الأمير بشير الشهابي في بيت الدين، كما شوهد بعضها بعد ذلك في بعض البيوت البيروتية.

حصيلة خمسة قرون

كانت تلك الكتب حصيلة خمسة قرون فإذا اعتبرنا بدء التجديد في جبل عامل هو عوده الشهيد الأول من العراق عام ٧٥٥ هجرية يكون بين هذا التاريخ و نكبه البلاد بالجزار سنة ١١٩٥ أربعمائه و أربعون سنة.

أجل أربعمائه و أربعون سنة كان فيها جبل عامل مقرا للعلماء و الشعراء الذين ألفوا و صنفوا و توارثوا الكتب جيلا بعد جيل، حتى قضت على ذلك أفران عكا.

فقدان النماذج المنوعة

من هنا لا نستطيع أن نجد أماننا ما كان يجب أن نجده من نماذج منوعة للشعر العاملي طيله تلك القرون. و لكن ما وجدناه يرينا الواقع و يعطينا الصورة الصحيحة لاستمرار الشعر في هذه الديار قوى الديباجة شديد الأسر متين اللفظ جميل المعنى صادق الشعور.

ص: ١٢٢

حفظ شعر النهضه

و لا بد من القول أن نهضه الشعر العاملى كانت قد بلغت مقاما رفيعا حين حلول النكبه و قبيل حلولها، فقد شهدت البلاد عددا من الشعراء الفحول رافقوا أحداثها و عاشوا انتصاراتها و هزائمها فنظموا فى ذلك شعرا عاليا، و عاش بعضهم حتى شهد النكبه و ناله منها الترويع و التشريد، و رأى الفواجع تحل بمواطنيه فنظم فى كل ذلك أحسن الشعر. و لحسن الحظ فان هذا الفريق الناجى قد استطاع بفراره أن يحفظ شعره من الضياع، فحفظته مجاميع بعلبك و دمشق و النجف، و استطعنا بذلك أن نراه أمامنا و نرى فيه صورته الشعر العربى الأصيل الصادق.

نماذج من القرن التاسع

سنعرض نماذج مما سلم من الشعر العاملى فى مختلف عصوره ترينا صدق ما قلناه من أن الشعر ظل هنا سليما قويا على مدى الأيام.

فمن ذلك أن قريه (عيناثا) كانت فى أواسط القرن التاسع الهجرى أى منذ خمسمائه و خمسين سنه مقرا لأعلى الدراسات الإسلاميه و العربيه و كان الطلاب يفتدون إليها لا- من الجبل وحده، بل من أقصى البلاد العربيه، فجاءها فيمن جاء ناصر بن إبراهيم البويهى، و عكف على تلقى العلم فيها، و حدث يوما أن حصل من أستاذه العاملى ظهير الدين بن الحسام ما ظنه الطالب إهمالا له فقال متظلما من أبيات: (1)

أشاقك ربع بالمشقر عاطل فظلت تهاداك الهوموم النوازل

فأصبحت تستمرى من العين ماءها و هيهات قد عزت عليك الوسائل

تذكرت من تهوى فابكاك ذكره و أنت "بعيناثا" على الكره نازل

و يبدو أن أستاذه لم يكن شاعرا، أو أنه لم يشأ أن يجيبه بنفسه، فتولى الجواب الشيخ حسن أخو الأستاذ فقال:

لعمرك ما عزت عليك الوسائل و لا أجدبت منا لديك المناهل

و لا زلت منظورا بعين جميله و لو نظرت شزرا إليك القبائل

فنحن أناس لا يضام نزيلنا عزيز علينا أن تطانا الجحافل

ندافع عن أحسابنا و مضيفنا و لو نهلت منا الظبى و الذوابل

لنا منهل جم الفضائل ورده تقل لديه فى الزمان المناهل

تخوض إليه الناس فى كل مجلس إذا أشكلت بين الرجال المسائل

لئن ضنت الدنيا علينا بثروه تفاضلها أشرارها و الفواضل

هذه القطعه الصغيره الجميله خير مثال على نضاره الشعر العاملى فى ذلك العصر، فهى فى صدقها و صفائها و تفرق ألفاظها و جمال أسلوبها، و ما اشتملت عليه من تمدح متواضع بالفضائل الأصيله من عزه و كرم و إباء و شجاعه و حفظ للجوار مع اعتراف بالفقر هى فى كل ما تضمنته ترفع الشعر العاملى بنظرنا و تحببه إلينا.

و الشيخ حسن ناظمها هو واحد من عشرات أمثاله كانت تغص بهم شعاب عيناثا و دروبها و منازلها و مدارسها، و لكن آثارهم ضاعت و أشعارهم فقدت و بقيت هذه القطعه دليلا- على دوام الأصاله فى الشعر العاملى. و يجب أن لا ننسى أن شعر ناصر البويهى نفسه هو حصيله عامليه، فإذا علمنا أنه هبط عيناثا شابا حدثا، و أن مواهبه تفتحت فى جبل عامل على أيدي أساتذه عاملين أدركنا أن شعره هو أيضا شعر عاملى بحت.

و من القرن العاشر

و فى القرن العاشر الهجرى خرج الشيخ محمد الحيانى(٢) من قريه (بنى حيان) القريه البسيطه الصغيره، ذات البيوت المحدوده و العدد القليل، و القابعه فوق تله مشرفه على الثنايا و العقاب و الأوديه هناك فى أقصى جنوب جبل عامل.

إن قريه (بنى حيان) التى ظلت حتى اليوم غير معروفه لجمهوره العامليين أنفسهم فكيف لغير العامليين، و التى لا- بد لك من الوصول إليها من أن تمتطى دابه أو أن تسير على قدميك إن كنت لا تزال ممن يستطيعون صعود الجبال مشيا على الأقدام.

من هذه القريه التى لا تزال اليوم كما كانت فى القرن العاشر لم يتحسن فيها شىء. من هذه القريه خرج الشيخ محمد الحيانى إلى النجف إما طلبا للعلم على الأرجح، أو ضجرا من حياه القريه الرتيبه الممله.. و هناك فى النجف ملكه الحنين إلى (بنى حيان) إلى مراتع صباه و مدارج شبابه، إلى مغارس السنديان و منابت الملول، فاخذ يرسل الشعر رقيقا عذبا قائلا أمثال هذا القول:

إذا ما بدا من جانب الشام معرق عساه لقلبي بالوصال يبشر

و إن هب من أرض "النحارير" نسمة تنسمت روح الوصل فيها فاذكر

رعى الله أياما تقضت و أعصرا مضت فى (بنى حيان) و الغصن أخضر

و إذا كنا قد عرفنا (بنى حيان) لأنها لا تزال قائمه، فان (النحارير) حيرت كل من قرأ هذه القصيده، فما هى هذه النحارير التى يتمنى الحيانى أن تهب عليه نسمة من نسمااتها؟ يقول بعضهم إنها ربما كانت (وادي الشحارير) القريب من بنى حيان، و يقول آخرون: إنها أرض موقوفه على العلماء النحارير و يقول غيرهم غير ذلك و إنها قريه (طلوسه) القريه من بنى حيان.

و أيا كانت النحارير فحسبها أنها كانت ملء خاطر هذا الشاعر النازح.

و بنى حيان المتواضعه البسيطه ظلت موضع اعتزاز هذا العاملى الوفى فقال فى نهايه إحدى قصائده واصفا للقصيده:

عربيه الألفاظ "حيانيه" يعنو لمعنى حسنها حسان

و حسب القصيده فخرا عنده أن تكون عربيه الألفاظ عروبه صافيه لم تخالطها عجمه، و لم تشنها لکنه، و إن تكون إلى ذلك (حيانيه) منبتها بنى حيان.

و يظل خيال (بنى حيان) يفعم نفس هذا الشاعر العالم، و تظل صوره (النحارير) أمام عينيه فيكرر ذكرهما و يعيد التغنى بهما فيقول من قصيده أخرى مادحا على بن أبي طالب (ع) مؤكدا أن جواره وحده هو الذى يحمله على البقاء بعيدا عنهما:

ص: ١٢٣

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٠٢ من المجلد العاشر.

٢- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٦٩ من المجلد التاسع.

و لو لا ضريح أنت فيه موسد لما اخترت غير الشام أرضى من بدل

و لا كنت عن أرض (النحارير) نائيا و لا عن "بنى حيان" ما ساعد الأجل

و يظل فى حنينه و وجدته لا- إلى جبل عامل وحده، و لا إلى بنى حيان وحدها، بل إلى بلاد الشام كلها، فهو يحييها من ذلك المنتأى البعيد، و لكن التحية الكبرى لبنى حيان تاره و للنحارير تاره أخرى.

حييت يا شام من شام و من سكن و لا تعداك جون المزن يا وطنى

و إن أكن قاطنا أرض العراق ففى أرض النحارير لى قلب بلا بدن

و يقول فى ختام قصيده معتزا بالشام كلها و بالنحارير منها بخاصه:

محمد الحيان ناظم درها لها الشام ورد و النحارير مصدر

و من حق بنى حيان أن نقول إنها لم تخرج الشيخ محمد الحيانى وحده، بل أخرجت فى أوائل القرن الحادى عشر عالما شاعرا آخر اسمه أيضا الشيخ محمد، و لكنه لم ينأ بعيدا عن بنى حيان، و كان أقصى مكان رحل إليه فى اغترابه هو بعلبك لذلك لم ينظم شيئا فى نى [بنى] حيان، بل حفظت له بعض المجاميع مثل قوله:

آل بيت النبى يا عنصر المجد و شمس الفخار و الأنساب يا كرام النفوس و الأصل و الفرع و بيض الوجوه و الأحساب

و من القرن الحادى عشر

و فى القرن الحادى عشر يطلع جبل عامل شاعرا عبقريا محلقا، لا عيب فيه إلا أن شعره فقد فلم يصلنا منه إلا بقايا، هذا الشاعر هو محمد محمود المشغرى (١) المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ هذا الذى لو أدرك عصور العرب الزاهيه لكان فى تاريخها نظيرا لأكفأ الشعراء و أكثرهم إجاده و تفوقا.

و قد اضطر هذا الشاعر لأن يهجر الجبل بحثا عن العيش، فمضى حتى حط به السير فى رباع الحجاز فى ظلال البيت العتيق بمكة حيث احتضنه أشرابها فعاش فيهم و سكن بينهم بعيدا عن أهله و وطنه.

من القرن الثانى عشر إلى القرن الثالث عشر

و فى أواخر القرن الثانى عشر إلى أوائل القرن الثالث عشر تكون النهضه الشعريه فى جبل عامل قد تكاملت ففتحت عن مجموعه من الشعراء الأفاذا عاشوا أحداث بلادهم بشعرهم و شعورهم فكانوا لسانها الناطق و ضميرها الحى و ذهنها الوقاد.

الشيخ إبراهيم الحاريسى

(٢) و حسبنا منهم ابن قريه حاريص، الشيخ إبراهيم الحاريسى المتوفى سنة ١١٨٥ هـ و الذى كان أحد أعلام ذلك العهد، و قد

أصر في إحدى قصائده على أن يشير إلى قريته الحبيبه و إلى القرية الأخرى التي درس فيها فقال هذا البيت من قصيده:

فتى (حاريس) مغناه و لكن تلقى العلم وفرا من (جوبا)

للقائع العسكريه التي خاضها العاملون كقوله:

شوس تمد من السيوف قصارها يوم الوغى و من الرماح طوالها

تجفو لدى كسب الثنا أرواحها و تعاف في نيل المنى أموالها

تهوى بها نحو الطراد سوابقتخذت غبار الدارعين جلالها

ما أطلقت في غاره ثم انشبتا و بلغت المنى أبطالها

وافى بها في يوم (تريخا) و قد جاست خيول الدارعين خلالها

طافوا عليها بالصوارم و القنافاكأنهم قطع الغمام حبالها

جافت جفون كمانتا طيب الكريفيها و عافت عذبتها و زلالها

ألقت على (ابن العظم) كل عظيمهفرأى أشد نكايه ما نالها

و من هذه الوقائع و من تلك الروح العسكريه التي كانت تهيمن على البلاد في تلك العهود يستمد حكمته الآتيه:

بالسيف يفتح كل باب موصد و به من العليا بلوغ المقصد

من لم يكن بين الورى ذا صارم فهو البعيد عن الفخار السرمد

فإذا بدت لك حاجه فاستقضها بغير ماضى الشفرتين مهند

و من ذلك قوله في مطلع قصيده:

جرد من العزم سيفا و اركب الحذرا و اجعل فؤادك في يوم الوغى حجرا

و يمضى على هذا النحو في قصيدته غير رفيق و لا مشفق، داعيا إلى القوه مبشرا بالسلاح محذرا من الضعف و اللين:

و غالب الخصم لا تشفق عليه و لا تركن إليه فلا يعفو إذا قدرا

من لا حسام له لا يرتقى شرفا و ليس يدرك في حاجاته وطرا

و نحن حين ندرس الظرف التى نظم فيه هذا الشعر ندرك العوامل التى اوحى للشاعر بما أوحى، فقد كان العاملون فى ذلك الحين على سلاحهم ليلاً و نهارهم، لا- يعرفون متى تدهمهم النوازل و تحدى بهم الكوارث و لقد خاضوا يوم ذاك أشد معاركهم عنفاً و أروعها نتائج. و هكذا رأينا الشيخ إبراهيم الحاريسى يخرج عما ألفه الشعراء التقليديون من افتتاح قصائدهم دائماً بالغزل، يخرج فى الكثير من قصائده على ذلك الأسلوب ويفتح بمثل ما رأينا فى قصيدته الدالية المتقدم بعضها، و فى قصيدته الرائية هذه، و كذلك فى غيرهما.

و من خصائصه ما نظمه فى بعض مواقع بلاده كقلعه الشقيف التى كان يحكمها ممدوحه الشيخ على الفارس:

ما الشقيف الصلدا إلا جنه و لنا قصر بأعلاه استنار

ليس يدنو منه فى عظم البنا قصر غمدان و لا عظم الجدار

تنظر المرآه فيه فترى فوقك النهر تراءى بانحدار

ما رأينا قبل هذا جدولاً فوق قصر شامخ فى الجو طار

الشيخ إبراهيم يحيى

(٣) و ياتى بعده بين أواخر القرن الثانى عشر و أوائل الثالث عشر الشيخ إبراهيم يحيى (١١٥٤ هـ ١٢١٤) ابن قريه الطيبه و تكون البلاد على ما هى عليه من روح عسكريه حماسيه و يكون هو كما كان الحاريسى وثيق الصله بامراء البلاد و له كالحاريسى فيهم المدائح العديده، و لكننا لا نلمح فى أكثر مطالع

ص: ١٢٤

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٥٢ و ما بعدها من المجلد العاشر.

٢- راجع ترجمته فى الصفحه ١١٦ من المجلد الثانى.

٣- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٣٧ و ما بعدها من المجلد الثانى.

قصائده ما لمحنه فى شعر الحاريسى من العنقوان العسكرى الصلب، على أن مدائحه تنصب فى مضمونها على ما لمدوحيه من معارك و وقائع:

فلست ترى إلا سلاحا على الثرى و خيلا بها فقر إلى كل راكب

و أعجب شىء أن خمسين فارسا تمزق ألفى فارس بالقواضب

و هكذا يقول أيضا:

فثار إليه الجيش من كل جانب فلست ترى إلا سيوفا عواريا

و لست ترى إلا قتيلا و هاربا و منجدلا يشكو الجراح وعانيا

و بينما هو على هذه الحال إذ تقع المحنة الكبرى بمباغته أحمد باشا الجزائر لجيل عامل و أخذه على حين غره قبل أن تجتمع جموعه فيكون بذلك القضاء المبرم على قوه الجبل و حيويته و هنا يعود الشيخ إبراهيم يحيى شاعر تلك النكبه، نكبه البلاد بعامه، و نكبته هو بخاصه فنسمع منه شعر الرثاء و الحنين و التوجع:

غرام و تشتيت و شوق مبرح فله ما يلقي الفؤاد المقرح

فيا أيها الناءون عنى عليكم سلام يمسى حيكم و يصبح

تحيه مشتاق يكنى عن الهوى حياء و لكن الدموع تصرح

و يقول:

سقى الله هاتيك البلاد و أهلها ملث الغوادى من لجين و عسجد

و رد إلى أوطانه كل شاسع يكابد ذلا بعد عز موطن

و يقول و هو فى العراق:

أشيم بروق الشام شوقا إليكم و هيهات من (دار السلام) سام

و يقول:

أكفكف دمع العين و هو غزير و أكتم نار القلب و هى تفور

و أنتشق الأرواح من نحو (عامل) و فيها لمثلى سلوه و سرور

منازل أحباب إذا ما ذكرتهم شرقت بماء المزن و هو نمير

خليلى أن الظلم طال ظلامه فهل من تباشير الصباح بشير

و يقول:

مضى ما مضى و الدهر بؤس و أنعم و صبر الفتى أن مسه الضر أحزم

يعز علينا أن نروح و مصرنا لفرعون مغنى يصطفيه و مغنم

و يقول:

غريب يمد الطرف نحو بلاده فيرجع بالحرمان و هو همول

و هكذا يقدر للشيخ إبراهيم يحيى أن يكون شعره صورته الحياه العامليه فى تلك الأيام بكل ما فيها من أرزاء و فواجع و دموع.

الشيخ محمد على خاتون

(1) و من شعراء أواخر القرن الثالث عشر نذكر ابن قريه جويا الشيخ محمد على خاتون، و يكفى هذا الشاعر أنه استوحى طبيعه بلاده فى قصيده جاءت كما نعبّر عنه فى هذا العصر و نطلبه من الشعراء و هو (ذات وحده فى الموضوع). و الواقع أننا نلمس تقصيرا بارزا فى الشعراء العاملين فى مختلف العصور، هذا التقصير هو أن طبيعه الجبل لم تكن مصدرا لالهامهم فلم يخص واحد منهم واديا من الأودية الجميله و لا ذروه من الذروات السامقه و لا ثنيه من الثنايا البديعه، و لا شيئا فى هذا الجبل من زهر و شجر و ورد و نبع و نهر، لم يخص واحد منهم شيئا من هذا بقصيده أو مقطوعه. و الذين وصفوا قلعه الشقيف مثلا- إنما وصفوها عرضا و هم يمدحون أمراءها.

و لكن الشيخ محمد على خاتون تميز بان وادى الحجير الجميل و نبعه و جدول له أوحى له بقطعه شعرية لم يدخل فيها إلا وصف وادى الحجير و نبعه و جدول فقال:

هذا (الحجير) فرو منه غليلا و احبس ركابك فى رباه طويلا

نهر يزول صدى القلوب بمائه فاق الفرات محاسنا و النيبلا

واد غدت فوق الغصون بدوحه تشدو البلابل بكره و أصيلا

إن ضل قاصده الغداه طريقه كان الأريج به عليه دليلا

واد سقته المعصرات و أمطرت فيه الهتان المرزمات سيولا

فلکم أقمنا للشباب بظله أودا و کم فيه اتخذت مقیلا

و الروض باسمه هناك ثغوره جر النداء من فوقهن ذیولا

إننا نرى فی هذه الأبیات دلیلا- علی تحسس الشاعر بما حبا الله بلاده من جمال طبیعی، و إذا عرفنا أن نهر الحجیر هو جدول یجرى شتاء و یستمر حتى أواخر الربیع ثم ینضب، إذا عرفنا ذلك عرفنا شغف الشاعر ببلاده إلى حد جعل عنده شبه النهر فیها یفوق بمحاسنه الفرات و النيل.

علی أن من أصدق ما فی هذه الأبیات، قوله:

واد سقته المعصرات و أمطرت فی الهتان المرزمات سیولا

فتدفق وادی الحجیر إنما یكون إذا سقته المعصرات، و أمطرت فی المرزمات.

و الشیخ محمد علی خاتون هو مع غیره حصیله النهضه الشعریه الجدیده التي تمخضت عنها البلاد بعد انجلاء غمه الجزار و زوال ذاك الكابوس المخیف الذی لم یبق و لم یذر، و الذی قضی علی المدارس و المعاهد و عطل فیما عطل الدراسات و شرد العلماء و غیر العلماء.

الشیخ صلیبی الواكد

(٢) و فی هذا القرن یبرز الشیخ صلیبی الواكد المعروف بأبی واكد الذی ینتمی إلى أسره حمد نفسها و الذی كان یسكن فی قریه قانا.

و من المؤسف أنه لم یصلنا من شعر أبی واكد إلا- القلیل، بل ما دون القلیل، و هو كل ما عثر علیه فی بعض المجامیع الخطیه القدیمة، و لا- شك أن لهذا الشاعر شعرا كثيرا ذهبت به الأيام. و ما وصلنا من شعره یمثل فنا لطیفا من فنون الشعر هو فن (الإخوانیات) و لكنه إلى ذلك یدلنا علی الكثير من العادات و الأوضاع و الصلات التي كانت تسود المجتمع العاملی.

عاش هذا الشاعر فی عصر حمد المحمود المعروف بحمد البیک(٣) و المكنی بأبی فدم و الذی كانت تبین له مقرا. و أرسل حمد البیک فی أحد الأيام إلى قریبه أبی واكد أجراس أسبر لیضعها عند الصائغ (مخول) فی قانا فلما تمت

ص: ١٢٥

١- راجع ترجمته فی الصفحه ١٠ من المجلد العاشر.

٢- راجع ترجمته فی الصفحه ٣٩٠ من المجلد السابع.

٣- هو حفید الشیخ محمود النصر المعروف بأبی حمد، الذی كان تابعا لأخیه الشیخ ناصیف النصر و قد قتل فی حیاته و من أجله.

و أرسلها إلى حمد البيك لم يستحسنها لضعف أصواتها و خمود حسها فارجعها إليه ثانيا ليعطيها إلى الصائغ و يحسن أصواتها.
فلما تمت كما أراد حمد البيك أرسلها إليه و أرسل معها هذه الأبيات:

أفدى أبا فدمع إذ ظل يعذلنى من حيث أحمد حظى صوت أجراسى

لا تعجبن لذا و أعجب لثانيه أن ليس يلحق بالأجراس أنفاسى

هل ينكر (البيك) أعلى الله رتبته سواد حظى و ما يأتيه أنحاسى

لو أن فى جرسى القانون يردفه "مخارق" بفنون الأوج و الراسى

بنغمه الناي و السنطير ملحقه به النواقيس و الصهباء فى الكاسى

لأسمع الحظ منى كل مستمع صوت الذبابه قد طنت على الرأس

فكيف بى و هو حظى كلما رفعت يدى بشأن تولاهما بانكاسى

فالآن وافتك أجراس مطنطنه تحكى النواقيس فى راحات شماس

قد أتقن الصنع منها عارف فطن بصنعه خير حداد و نحاس

فان تجدها كما تبغى صناعتها فذاك من طالع الحداد فى الناس

و إن تكن تشبه الأولى فذلك من حظى الذى قد رمى دوما باتعاسى

فالمدح فى صنعها أمسى لصانعه و الدم لى و الكلام القارس القاسى

يقول لله "مخول" و صنعه كأنها ذهب قد صيغ فى ماس

أو لا يقال (صليبي) تهاون فى حسن الصياغه فهو الطاعم الكاسى

ينال "مخول" فيها المدح إن حسنت أو لا "أبو واكد" فى الدم و الياس

و الدلاله البارزه فى هذا الشاعر هو أن الثقافه الأديبه كانت فى جبل عامل شامله أناسا من جميع الطبقات، و إذا كنا قد رأينا أن من مروا معنا فيما تقدم و من سياتون، هم من خريجى الدراسات الفقهييه فى المدارس المنتشره فى الجبل، أو ممن طمحووا إلى الأفضل فانتقلوا إلى النجف، فان ما يبدو من مظاهر ثقافه هذا الشاعر يدل على أن هذه الثقافه ليست فطريه بل هى نتيجة اطلاع و درس و تتبع و فى ذلك ما يرشدنا إلى ما فعلته تلك المدارس من اجتذاب رجال من مختلف الطبقات، و إعدادهم إما للعلم أو للشعر و الأدب، و فى الشيخ صليبي الواكد أفضل مثال.

و إذا كان لكل واحد من الشعراء العاملين مواضيعه و أسلوبه، فاننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك أن هناك قاسما مشتركا كان يجمع بينهم جميعا، هو أنه مهما كانت اتجاهات الشاعر، فإنه سيلتقى حتما مع غيره من شعراء عصره و ما قبل عصره و ما بعد عصره فى نقطه معينه هى مدح على بن أبى طالب و أهل البيت (ع). و هذا ما نراه هنا فى شعر صليبي الواكد الذى أقام فى قريه قانا لم يبرحها، و إذا كان قد برحها فربما إلى تبين أو صور ليس إلا.

و هكذا فإنه لا يتخلف عن النظم فى هذا الموضوع لا الشاعر الفقيه سليل الفقهاء و لا الشاعر الوجيه سليل الوجهاء، و ها هو أبو واكد يقول من أبيات:

يا آل بيت محمد لى فيكم أمل إذا نصب الصراط أجوز

أنتم نجاتى فى المعاد و عدتى و بكم إذا وضع الحساب أفوز

و هكذا يلتقى فى (آل بيت محمد) كل الشعراء العاملين على اختلاف ميولهم و مواضيعهم.

و لا يفوتنا أن نشير هنا إلى أنه إذا كان لقب الشيخ قد أطلق على من رأينا من الشعراء كما أطلق على الشيخ صليبي الواكد، فان هذا اللقب لا يدل على صفه واحده فيهما، فان الأولين قد نالوه لأنهم رجال فقه و دين. أما أبو واكد فلأن أسرته الوجيه كانت حتى ذلك الوقت تلقب بهذا اللقب تدليلا على وجاهتها، و أول تحول فى اللقب جرى فى هذه الأسره كان ما جرى على عهد حمد المحمود قريب شاعرنا الواكد و معاصره. فهو أول من استبدل لقب البيك بلقب الشيخ، و ظل غيره من أقاربه المعاصرين يحملون اللقب القديم، و لذلك كان يطلق عليه أكثر الأحيان اسم (حمد البيك) كما أنه أول من اقتدى بالسلطان محمود فخلع الملابس القديمه و فى مقدمتها العمامه و لبس الطربوش و الملابس الأورويه الحديثه.

و فى شعر الشيخ صليبي ما يدل على بعض الأحداث فى زمانه، فقد أدركنا نحن فى مطالع حياتنا الصله الوثيقه بين جبل عامل و حوران، فقد كان إدبار المواسم الزراعيه فى جبل عامل يحمل العاملين على النزوح خلال الصيف إلى حوران، كما أن إدبارها فى حوران كان يحمل الحورانيين على النزوح إلى جبل عامل. و الفرق بين النزوحين كان فى أن العاملين كانوا ينزحون أفرادا للعمل فى موسم الحصاد. أما الحورانيون فكانوا ينزحون بأسرهم و أنعامهم، لأن فى إدبار الموسم الشتوى فى جبل عامل تبقى المواسم الصيفيه و كرم التين و العنب، أما فى حوران فقد كان الادبار معناه فقدان كل شىء لأنه لا أشجار مثمره فى حوران. و بالرغم من أن هذا التبادل فى الادبار و الإقبال كان يقتضى المؤاخاه و رفع الأضغان فقد كان على العكس من ذلك كثيرا ما يؤدى إلى التصارع و التقاتل. و يبدو أن شيئا من هذا قد حدث فى عصر أبى واكد و أن حدوثه كان فى حوران خلال النزوح العاملى فاغاظ ذلك شاعرنا فقال هاجيا حوران مشاركا فى المعركه بشعره من بعيد، مستغلا الصفه البركانيه السوداء لأحجار بيوت حوران:

أسائلهم لمن (حوران) تعزى فقالوا للذئاب و للكلاب

مرابعهم كلون القار سود و دورهم على جرف الخراب

فلم تسمع بها إلا نباحا و لم تبصر بها غير الذباب

و لا تلقى بها إلا كلابا و لا تلقى بها غير التراب

و كم آوى لنا منها جياح فتقرى بالطعام و بالشراب

و يغفر الله لشاعرنا هذا الهجاء المرير، و إذا كنا نجيز لأنفسنا نقله اليوم فلأن الماضي قد مضى بكل أحداثه فلا نزوح عاملى إلى حوران، و لا نزوح حورانى إلى جبل عامل، و قد تبدلت الدنيا، لذلك فنحن حين ننقل هذا الشعر لن نهيج شرا و لن نثير حدثا. و إنما نبسط لونا طريفا من ألوان الحياه فى هذه البلاد، و قد كان يستطيع أى حورانى أن يرد على الشيخ صليبي هجاءه و يقول له: و نحن أيضا كم آوينا منكم غربيا، و كم أعملنا عاطلا، و كم قرينا نازحا... و أن الذباب فى دياركم ليموج موجه فى ديارنا، و التراب بين بيوتكم يتراكم مثله بين بيوتنا، و الذئاب تعوى بدياركم عويها فى براريننا، و الكلاب الشارده تسرح خلال منازلكم سرحها خلال منازلنا. و الفرق بيننا و بينكم أن بلادكم أنجبت شاعرا استطاع أن يهجوننا، و بلادنا لم تصل إلى ذلك.

و لعل فى هذا الشعر ما يمكن أن يكون استمرارا للتهاجى العربى القديم بين القبائل مما كان يجعل الشاعر لسان قبيلته، و يجعل القبيله معتزه بشاعرها حفيه به، و ما يعيد إلى أذهاننا أمثال:

فغض الطرف أنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

فلو وضعت ثياب بنى نمير على خبث الحديد إذا لذابا

و أمثال:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا و لو سلكت سبل المكارم ضلت

السياسة من حال إلى حال

فى هذه الفترات كانت الأحوال السياسيه فى الجبل تتحول من حال إلى حال، ثم من هذا الحال إلى حال آخر، كانت جيوش إبراهيم باشا قد دخلت البلاد، و كان الأمير بشير حليف الفاتحين، فضماموا إليه فيما ضموا (جبل عامل) و كانت له ثارات على العاملين و كان يحقد عليهم كل الحقد فزال عن الجبل ما كان له من تميز خاص و غدا تابعا لا سلطه لأمرائه، و لا سياده لأهله، و تطور الحكم الجديد فغدا قاسيا عنيفا حاقدًا، و مضى بلا خبره له فى حقائق الأمور فلم يحسن معالجتها، و قامت ثوره حسين بك الشيب، و أخوه محمد على بك الشيب سنة ١٨٣٦ م متحديه الحكم البشيري و من ورائه الحكم الابراهيمى و استطاعت أن تحقق نجاحا أول الأمر، ثم توارى زعيماها و انتهى أمرهما على أسوأ حال. فعانت البلاد ضغطا فظيعا، و قاست بلاء شديدا. و كان فيها مجموعه من الشعراء المجيدين، و لكننا لا نسمع لهم صوتا يدل على أنهم تبنا شكوى الجبل و حملوا أحاسيسه.

موقف الشعراء؟

ما ذا؟.. اخالوا رسالتهم الشعريه و انفضوا عن مجتمعهم الجريح غير مبالين بما يتعالى من أنين فيه، و غير مساهمين بما يتلظى فيه من حماسه مكبوته؟ الواقع أنه ليس فى أيدينا من شعر تلك الفترة ما يدل على أن شعراءها قد شاركوا فى شىء من شجون الجبل، أو أنهم كانوا صدى لما يعتمل فى نفوس أبنائه.. فما ذا يعنى ذلك؟ أن أول ما يتبادر إلى الذهن أن الشعراء ليسوا من رجال الشدائد، و لا هم ممن يجازف فى نغمه عارمه ربما عادت على أصحابها بالشر العميم. و لذلك آثروا السكوت و الانزواء.

و لكننا نلاحظ فى نفس الوقت أن لا شعر لهم فى الحكام الجدد، و أن ليس فى أيدينا ما يدل على نوع الصله التى كانت تربط هؤلاء بهؤلاء، و يكفى ذلك لأن نحمد للشعراء موقفهم، فهم إذا كانوا لم يساهموا فى النغمه بشعرهم فإنهم لم يتملقوا الحاكمين ليكسبوا المال على حساب ظلم شعبهم و اهتضام جبلهم، ليس فى أيدينا شعر يدل على مدائح سطرت فى الثناء على السلطات الجديده.

و هكذا نجد أننا نفتقد كلا النوعين من الشعر شعر الثوره و شعر الخنوع..

فعلى أى شىء يدل ذلك..

لعل الشعراء قد شاركوا فى النغمه بشعرهم، و لكن ظل هذا الشعر همسا لا يتعدى الجدران الخصوصيه، ثم تمزق لطول ما استخفى.

و لكي نكون منصفين نقول أيضا: و لعل الشعراء لم يكونوا ثائرين، بل كانوا في الصف الآخر يتملقون الحاكمين، ثم لما انطوى علم هؤلاء و فاز خصومهم أخفى الشعراء شعرهم و أضاعوه.

من المؤسف أن لا يصلنا شعر يرجح أحد الرأيين، و من الأكثر أسفا أن لا تحوى مجاميعنا شعرا كان يمكن أن يكون - لو وجد - من أغنى الشعر و أكثره لذه و جدوى.

حمد المحمود

(١) كان زعيم الجبل يوم ذاك حمد البيك أو حمد المحمود و هو رجل من أنبغ من أنجبت أسرته. كان فارسا مقداما، و كان أديبا شاعرا. و تلقى حمد الحكم الابراهيمى الجديد باسى عميق، لقد أفقده سلطته، و غدا ظلا لا حول له و لا طول. و رأى فشل ثوره الشيبين فأثر الصبر، و لما لاح له الفرصه ذهب يغتمها، فقد أقبلت الجيوش العثمانيه تطارد المصريين و وصلت طلائعها إلى حلب، و تحرك الأسطول الانكليزى بجبروته فى البحر المتوسط، فاستصرخ حمد قومه فلبوه و زحف بهم ليلاقى الأمير مجيد الشهابى على جسر القاقعيه فيهزمه و يمضى حيث يلتقى بالجيوش العثمانيه فى حمص و يخوض معها معاركها كلها على المصريين، و يعجب به القائد التركى عزت باشا فيعيه حاكما على جبل عامل و يطلب إليه أن يطارد المصريين فى قلب الجبل و أن يتقدم إلى فلسطين، و يمضى حمد لما أودع إليه، فيلتقى بجهوش إبراهيم باشا فى سهل رميش ثم فى وادى الحبيس ثم فى صميم فلسطين فى شفا عمرو، ثم يحتل صفد و يمضى فيستولى بعدها على طبريه و عكه و الناصره و غيرها.

هنا فى ساعات النصر يبرز الشعراء ملتفين حول حمد، مندفعين فى تهنئته و الإشاده بانتصاراته و التغنى بامجاد الجبل. و حمد - كما قلنا - إلى جانب مكانته، كان شاعرا. فاجتمع للشعراء: أمير تشوقه المدائح، و شاعر يفهم ما يقولون، و أمجاد مغريه بالمدح. فالتقى فى قصر حمد مجموعه من الشعراء لم يلتق مثلها إلا فى قصور الملوك السالفين.

و يخيل إليك و أنت تراجع شعر تلك الفتره أن حياه مصغره لسيف الدوله الحمدانى قد انبعثت فى الجبل.. و إذا كانت مدائح شعراء سيف الدوله تظل غير ممجوجه لأنها فى جوهرها إشاده بانتصاراته على الروم، و تغن بالوقائع العسكريه العربيه، و ملاحم شعريه رائعه فكذلك هى مدائح شعراء حمد المحمود الوائلى، و كما كان سيف الدوله شاعرا ذواقه فكذلك كان حمد، و كما كان الأول فارسا مقداما فكذلك كان الثانى... و إذا كان ما بقى من أوراق تلك الفتره لم يسجل لنا مقادير العطايا، كما سجلها عصر سيف الدوله، فلا شك أن عطايا حمد كانت غير قليله، لا سيما و قد أصبح الحاكم المطلق فى البلاد، منصوبا من الدوله التى قدرت له موقفه فأطلقت يده فى الجبل، و ككل حاكم مطلق ينطلق فى اجتناء أكثر ما يستطيع من المكاسب، انطلق حمد، فكان المال موفورا، و اليد مبسوطه. فازدهر الشعر ازدهارا يعز مثيله و شهد جبل عامل عصرا ذهبيا للشعر.

و إذا كنا قد عرفنا الكثير من وقائع حمد، فاننا لم نعرف الكثير من شعره، فلم يكن يعنى - على ما يبدو - بتدوين شعره، لأنه كان فى شاغل عنه، شانه فى ذلك شان سيف الدوله الذى لم يصلنا إلا القليل من شعره.

و كل ما لدى الآن و أنا أكتب هذا الكلام من شعر حمد هذان البيتان الغزليان اللذان قالت مجله العرفان إن محمود باشا الشلبى رواهما لشيب باشا الأسعد و أنه وجدهما فى مجموع مخطوط: (٢)

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٣٠ و ما بعدها من المجلد السادس.

٢- الجزء الأول من المجلد الثامن من مجله العرفان الصفحه ٦٧.

حضرت فكننت فى بصرى مقيما و غبت فكننت فى وسط الفؤاد

و ما شطت بنا دار و لكن نقلت من السواد إلى السواد

و حسبهما دلالة على شاعريه صاحبهما.

تبنين

و كانت (تبنين) قاعده حكمه، و فيها ملتمى وفاده، و كان قد جدد بناء قلعتها، هذه القلعه التى شهدت أزهى أمجادها أيام سلفه الشيخ ناصيف النصر، ثم حال الزمن بعد استشهاد ناصيف و زالت عن مكانتها حتى أتاها حمد فأعلى بنيانها و أعاد رونقها و جعلها قصرا منيفا هو أشبه ما يكون بالبلاط الملكى برجاله و شعرائه و بطشه و اعتداده.

و كان للشعر نصيب فى تجديد القلعه إذ أشار الشعر إلى ماضيها و أرخ تجديدها فى أبيات وجدت فى بعض المخطوطات العامليه دون أن يعرف ناظمها، و هى مثال لشعر التاريخ فى ذلك العصر، جاء فيها:

حصن تبنين رفيع شامخ شاده بالعز غوث المسلمين

ذاك ناصيف ملاذ الملتجى مأمن الخائف غيث المعتمين

و به نالت فخارا عامل ذكره باق لها فى الآخرين

ما الذى حل بها من بعده و دهاها من فعال الجائرين

جدد اليوم لها الفخر فتى عود السيف على قطع الوتين

داره البدر لقد جددتها (حمد) القوم لأمن الخائفين

مربعا للعز قد شاد لنا ناصر الإسلام غوث العالمين

يا لها من قلعه "تاريخها تبنين برج السعد حصن المؤمنين"

لون من الشعر

و شعر التاريخ هو فى الأغلّب متكلف غير مطبوع، و قد زاد على ذلك بيت التاريخ فى هذه القطعه أنه جاء خارجا عن الوزن بزياده "ألباء و النون" فى كلمه (تبنين)، و ذلك ليستقيم التاريخ فيأتى مطابقا لسنة البناء ١٢٥٨ هجرية. و نحن حين ننشر هذه القطعه إنما ندل على فن من فنون الشعر كان مما تعاطاه شعراء حمد، و نقدم أنموذجا من اللون الشعري فى ذلك العهد كما نستخلص منه المراره التى ظل يحسها العاملون طوال العهود مما جناه أحمد باشا الجزائر على بلادهم، و كان منه تهديم القلعه و استشهاد صاحبها، على يد من وصفهم الشاعر "بالجائرين". و لذلك لم يستطع الشاعر المؤرخ، و هو يبتهج بتجديد القلعه و

يهنئ مجددتها إلا أن يتذكر ما نال بلاده و منها القلعه من الجور، و إلا أن يشير إلى ما كانت عليه بلاده من المنعه و الاعتزاز قبل ذلك، فأصر على أن يقرن إشاده ناصيف لها بكلمه " العز " ثم على أن يشير إلى الصفه البارزه فى حمد و هى " قطع الوتين بالسيف " .

و الأبيات بمجموعها ترينا الروح التى كانت سائده فى " بلاط " حمد من تباه بالماضى. تباه ممزوج بالحسره على ما عاد إليه ذلك الماضى، ثم عوده إلى التباهى بالحاضر الذى يجدد ما انهدم من الحصون، و يجرد ما انعمد من السيوف.

طرائق الشعر فى هذا العصر

و ليست هذه الأبيات وحدها هى التى ترينا ذلك بل أن الكثير من الشعر الذى نظم يوم ذاك يرينا عين الأمر، و يرينا كيف أصبحت تبين مرمى الأبصار، و منتج الآمال، فهذا الشيخ صليبي الواكد شاعرنا الذى مر ذكره يرسل إلى حمد أبياتا هى فى الواقع الصوره الواضحه لاحساس الناس و مظاهر الحياه، بعد أن امتشق الجبل السيف و خاض المعارك و انتصر، و بنى حاكمه أمره على القوه العسكريه و السلاح الحربى، فغدا ذلك هو موضوع المدح، و هو المآثر التى تذكر للممدوح.

جد المسير إلى (تبين) تلق بها شهما إلى ذروه العيوق مرقاه

قد أصبحت من نداء روضه و غدت حصنا مكينا و عين الله ترعاه

ربيعها (حمد) المنهل من يده غيث لو الزمن استسقاءه رواه

مولى له خضعت هام الملوك و قد ساس الأمور فاضحت طوع يمانه

ليث برائنه البيض الرقاق و من يلقى الألوف فتخشى هول لقياه

فأسلم بعز و مجد غير منقطع مليك فضل و شكر من رعاياه

فالحديث فى هذا الشعر هو عن (الحصن المكين) و (خضوع هام الملوك) و (البيض الرقاق) و (لقيا الألوف) و (إقامه عمود المجد).

مضافا إلى الحديث عن (الندى) الذى لا بد منه لمن كانت له مثل هذه المواقف. ثم ذكر كلمه (مليك) فى آخر الأبيات موصوفا بها (حمد).

هذى هى روح شعر المدح فى معظم شعراء حمد كما سنرى فيما بعد، و هذه مظاهر الشعور فى ذلك العهد.

على أننا لا بد لنا من التساؤل عن الحقيقه فيما جاء فى البيت الأخير من (شكر الرعايا) لهذا المليك.

و الحقيقه التى لا شك فيها أن حمدا قد استحق أول الأمر شكر (الرعايا) فعلا، بما حققه لهم من إزاحه ذلك الكابوس الذى

سامهم من الضيم ما لم يتعودوا... و لكن إلى متى استمر ذلك الشكر..؟

حركة شعبيه

هذا ما تجيب عليه الأحداث التي توالى بعد ذلك، فيبدو أن حمدا، وقد انتصر فيما أقدم عليه، ثم تعزز بتعيين الدوله له حاكما مطلقا على الجبل و وقوفها من ورائه تسنده و تؤيده ثم بالتفاف الناس حوله و ابتهاجهم بما فعل.

يبدو أن حمدا و قد حاز كل ذلك، راح ينطلق فيما يجر إليه هذا التفرد بالسلطه و التملك للقوه، فمال إلى الطغيان و الاستهتار بالشعب و العبث فيه. و يبدو أن الشعب أو (الرعايا) كما عبر عنهم أبو واكد لم يتحملوا ذلك، كما يبدو أن الحمله المصريه بما رافقها من تنبه الشعور العام و ما صاحبها من تغلغل أفكار جديده و أساليب حديثه لم يكن للبلاد عهد بها من قبل، يبدو أن ذلك قد ساعد على عدم التحمل، فقامت حركة شعبيه هي الأولى من نوعها فى جبل عامل تنادى بالتخلص مما يجرى، و تجمع الناس بقياده الحاج قاسم الزين و ألفوا وفدا ضخما قصد إلى بيروت و حملوا معهم دلائل من الزروع المتلوفه بفعل إقدام الصيادين من الحكام و قابلوا والى ولايه الشام الذى كان قد حضر إلى بيروت و شكوا له ما يلقي الناس من المتسلطين. و يورد أحد المؤرخين العاملين شكواهم بهذه العبارات: "شكوا لوالى الشام حينما حضر إلى بيروت من حمد البيك و قالوا إن العشائر و على رأسهم حمد البيك فضلا عن ظلمهم و تعديهم على الفقراء و الفلاحين قد أتلفوا المزروعات بالصيد و القنص. و حملوا معهم شيئا من الزرع المتلف و أروا الوالى إياه".

ص: ١٢٨

نجاح الحركة

هذه العبارة التي أوردها المؤرخ العاملى ترينا الموقف على حقيقته، و يبدو أن الوالى كان على شىء من الخير و الإنصاف، أو أن الدولة قد أرادت كبح جماح حمد بعد أن رأت إدلاله عليها، أو أن الأمرين اجتمعا معا، فاصدر الوالى أمرا بعزل حمد من حاكميه جبل عامل. و اختير لها رجل من الشعب من بلده النبطيه هو الشيخ حسين مروه، و لكن يبدو أن الاختيار لم يكن موقفا، إما لأن الرجل لم يكن كفتا فطغى رجاله بدون علمه كما طغى السابقون، أو لأن السلطه مغريه للجميع حامله لهم على الطغيان فطغى هو نفسه، فلم تتحقق أمانى الشعب.

و لم يصبر حمد على الأمر طويلا و استطاع العوده إلى منصبه بعد ستة شهور من عزله و رجع إلى البلاد بموكب حافل زاخر.

و يبدو أن من عوامل نجاح هذه الحركة هو تدخل الحاج قاسم الزين و توليه التحريض ثم قياده المحتجين إلى مقابله الوالى. و قد يظهر غريبا أن يشارك الحاج قاسم الزين فى مثل هذا التحريض فى حين أنه ليس ممن يمكن أن يناههم أذى حمد، بل يمكن عده من المتسلطين. و لكن الغرابه تزول إذا عرفنا أن ذلك إنما كان لأن نزاعا قام بين آل الزين و بين حمد بسبب الشيخ على زيدان، و يروى صاحب (جواهر الحكم) قصه هذا النزاع بما يلى: "إن هذا الشيخ - على زيدان - كانت بينه و بين بيت الزين اختلافات على أراضى و أملاك و اتصلت لولاه الأمر و حصل التشكى على أمير جبل عامل حمد البيك بسبب أنه منع بيت الزين عن الشيخ".

موقف الشعراء

هذه الحركة الشعبيه التى استطاعت أن تزعزع زعيما عريقا و حاكما مستطيلا. و التى كان باعثها التوق إلى الحريه و العدل، و النقمه على الاستبداد و الظلم، و التى نظمت تنظيما دقيقا بحيث تجرأت على التجمع و إعلان السخط، ثم على تأليف الوفد و إحكام الخطه، ثم الفوز بما أرادت. هذه الحركة الشعبيه لا نجد فيها للشعراء أى موقف. فقد غابوا عنها و صمتوا صمتا كاملا. و ليس فيما وصلنا من الشعر أى شىء يدل على أن الشعراء شاركوا الشعب نقمته، و ساهموا فى احتجاجه. و هذا غير عجيب ما داموا هم فى الأصل شعراء حمد لا شعراء الشعب.

على أننا نجد فى شعر أحدهم الشيخ حبيب الكاظمى الذى كان من أكثرهم التصاقا بحمد، و من أعظمهم موده عنده - نجد فى شعره قصيده تدل على أن حمدا كان غاضبا عليه، و إنه نظمها استرضاء له و استعطافا، بل طلبا للعفو:

إن كانت العتبي تقدم لى بها ذنب فان العفو عين ورود

فما هو الذنب الذى أذى ارتكابه إلى أن يستحق غضبا يطالب بعده بالعفو.

و نحن نعلم أن صله الكاظمى بحمد تعود إلى أيام خمولى الأخير على حد تعبير الشيخ محمد مغنيه فى كتابه (جواهر الحكم)، و أنه لذلك قربه كل تقريب بعد نباهه أمره و انتصاراته و توليه الحكم فلما ذا غضب عليه بعد هذا؟ أ يمكن أن يكون ذلك لأن الشاعر ماشى خصوم حمد؟ إن صح هذا الأمر فإنا لا نحسب أن الكاظمى قد غامر بمماشاه الحركة الشعبيه، بل ربما كان قد

اعتقد بأفول نجم حمد أفولا نهائيا فماشى الحاكم الجديد، ثم انتهى الأمر على غير ما اعتقد.

و عدا هذه اللمحه فى شعر الكاظمى فانا لا نلمح أى شىء فى شعر غيره و سنتحدث بعد عن الكاظمى حديثا آخر.

الشيخ على مروه

(١) من شعراء عصر حمد المحمود، الشيخ على مروه. و هو من الشعراء الذين كان لهم بحمد المحمود أوثق الصلات و ممن ساهم فى الحديث عن انتصاراته و وقائعه و سجل ذلك فى ديوانه المخطوط. و قدم لإحدى قصائده بقوله: "قلت أمدح الشيخ حمد سنة ١٢٥٦ حين توجه إلى فتح بلاد صفد و عكا و محاربه الدوله المصريه". فهو يحدد لنا بذلك تاريخ القصيده و سبب نظمها. ثم إن فى تلقيبه حمدا بلقب الشيخ دون لقب "البيك" دليلا على أن العاملين لم يكونوا قد استساغوا بعد اللقب الأعجمى الجديد و أنهم ظلوا يؤثرون عليه اللقب العربى القديم. و يبدأ قصيدته بالحديث عن راحته التى أقلته إلى ممدوحه:

باتت على مضض السرى سهدا مشغوفه فى سيرها أمددا

و بعد أن يسترسل بذلك فى أربعة أبيات يصف فيها الراحله و الجو و الأفق يقول:

حتى أتت أم القرى و رأت فى ربعها ليث الثرى حمدا

و أم القرى المقصوده هنا هى (تبين).

و بعد أن يتحدث عن أسلاف حمد و أنه ورث عنهم (العليا) يعود إلى مخاطبه حمد نفسه:

و أقمت من أمر (النظام) بها ما كان من معوجه فسدا

يا من بنى المجد الأثيل على رغم العدى فاستظهروا حسدا

فخرت بك الشامات و ابتهجت لما جلوت عن القلوب صدا

فهو هنا يسير على النهج الذى غلب على شعراء حمد المحمود، و الذى شقته لهم الظروف العسكريه و العوامل الحربيه التى رافقت حياه حمد. فحمد فى هذا الشعر ليس مفخرا لجبل عامل وحده، و لا الجبل وحده هو الذى بتهج [يتهج] بما فعل حمد، بل إن الشامات كلها هى الفخوره المبتهجه. و من الطبيعى أن يقول الشاعر هذا القول لأن الذى عمله حمد لم تكن نتائجه مقتصره على الجبل وحده، فالثوره على الحكم "الابراهيمى" كانت عامه و النقمه كانت شامله. ثم يحدد الشاعر العوامل التى أدت إلى هذا الافتخار و الابتهاج بأنها كانت فى تقويم اعوجاج النظام الذى كان قد فسد.

النظام

و نحن مضطرون للوقوف عند كلمه (النظام) وقفه قصيره فقد وردت هذه الكلمه فى شعر شاعر آخر من شعراء حمد و هو

يتحدث عن نفس الأحداث - وردت بمعنى الجيش النظامي تمييزاً له عن الجيش الشعبي و المتطوعين.

ص: ١٢٩

١- راجع ترجمته في الصفحة ٢٠٢ و ما بعدها من المجلد الثامن.

فقد قال الشيخ حبيب الكاظمي في حمد نفسه:

برميش كيف أوطات العدى ضمير الخيل فنكست (النظاما)

فهل "النظام" الذى كان قد أعوج وفسد فى رأى الشيخ على مروه ثم أصلحه و قومه حمد المحمود هو الجيش النظامى كما قصد بذلك الشاعر الكاظمى أم هو النظام العام للحكم؟ الأ-غلب أن المقصود هنا هو نظام الحكم، و أن كلا- من الشعارين استعمل كلمه (النظام) فى معنى غير الذى استعمله فيه الآخر.

و أيا كان مقصود الشاعر فاننا نلمح هنا شيئا جديدا فى شعر شعراء هذه الفتره من التحدث عن الأمور العامه فى معرض المدح و ربط مصائر جبلهم بمصائر البلاد الشاميه، و الإشاره إلى "الفساد" و تقويم الاعوجاج مما لا عهد لنا به فى شعر الفترات السابقه.

و لا- شك أن هذا كله ناتج عن تنبه الأذهان بما حركته الحمله المصريه فى النفوس و ما أتت به من آراء جديده و تصرفات حديثه لم تكن معهوده من قبل.

و سواء كانت الثوره على الحكم الابراهيمى ثوره ظالمه أو كانت محقه، فاننا لا نستطيع أن نسلم مع الشاعر بان "النظام" كان قبل الحمله المصريه صالحا، و إنه عاد بعدها أكثر صلاحا.

صوره عن البلاط الحمدانى

و بعد الأبيات المتقدمه يخص الشاعر ممدوحه بيتين من الثناء الشخصى التقليدى فلا حاتم مثله و لا الأحنف، ثم ينتقل إلى اللون الجديد من المدح المرتكز على العمل العسكري و الانتصارات الحربيه:

لم يبغه أحد ينازله إلا موارد حتفه وردا

فهنا منازلته تنتهى بموت العدو، و قد انتهت بذلك فعلا و لا بد من تعداد المعارك التى خاضها حمد، و نازل فيها عدوه:

فاسال (رمىشا) حين باكرها بالغاره الشعوا و سل (صفدا)

و اسال بروجاً زلزلت و هوت من (عكه) لما أن احتشدا

خرت له فى الحال ساجده و السور تعظيما له سجدا

و النصر وافاه (بناصره) و انحل ما القاضى بها عقدا

خابت مساعيه و مامله إذ لم يصب من أمره رشدا

أمست أنوف القوم مرغمه مذ أنجز الإقبال ما وعدا

نحن نحس هنا أننا أمام شاعر من شعراء سيف الدولة يتحدث عن معاركه و منازلها و وقائعه و أماكنها. و يتمدح بانتصاراته و هزيمه عدوه. و يحدد لنا خطه سير البطل. فمن سهل (رميش) حيث وقعت وقعه جلى ثبتت إقدام الممدوح، إلى اجتياز حدود الجبل نحو فلسطين حيث سلمت (صفد) ثم مواصلة الزحف إلى (عكه) حيث استقبلت الزاحفين بزوجها و لكن البروج زلزلت و هوت أمام الحشد العاملى المتقدم، و سجدت و سجد معها السور الشهير الذى رد نابليون خاسرا، سجدت مع سورها تعظيما للمنتصرين و يا له من سجود ذليل..

ثم التقدم من (عكه) إلى مدينة الناصره، فمن نصر إلى نصر.. و هنا يشير الشاعر إلى حديث نجهل تفاصيله، و لا بد أن قاضى الناصره قد دبر أمرا للإفساد تقدم الفاتحين، و لكن الفاتحين حلوا ما عقده، و أكملوا خطواتهم إلى الإمام. و هنا تكون المهمه المعهود تنفيذها إلى حمد قد تمت كلها فليس بعد فلسطين غير الانسحاب (الابراهيمى) التام و عوده الجيوش من حيث أتت. و بذلك تكون أنوف القوم قد رغمت و هل بعد هذا من حديث؟..

هذه صورته مصغره لمشهد من مشاهد البلاط الحمدانى - كما قلت من قبل - تتمثل هنا فى هذا البلاط الصغير، يعرضها لنا، لا شاعر حمد الأول، لا متنبى البلاط الوائلى، بل واحد من شعراء الصف الثانى الذين رأينا أشباههم فى بلاط سيف الدولة. أما متنبى هذا البلاط فلنا أن نقول إنه الشيخ حبيب الكاظمى، و يمكن أن يقال أيضا إنه الشيخ على سببى، و هما ممن سيرد ذكرهما فى الآتى من القول.

الشيخ حبيب الكاظمى

(1) لم يكن هذا الشاعر عاملى الأصل، بل هو من أصل عراقى كاظمى وفد إلى جبل عامل و فيه تفتحت شاعريته و نضجت موهبته و صار واحدا من شعراء عهد حمد المحمود. و كانت حياته ترتكز على الشعر فقد يمدح الأضداد حين يرى أن ذلك أكثر فائده له. و قد تقدم القول أن صلته بحمد كانت قبل أن يتالق نجم حمد، لذلك، رأينا حمدا يدينه إليه بعد أن صار أمره إلى ما صار من التفرد بحكم جبل عامل و السيطرة عليه. و لكن حاله هذه لم تكن دائما مستقره، بل كان يمازجها نفور بينهما يعاتب فيه الشاعر حمدا أحيانا، و يستعطفه أحيانا، و إذا جاز لنا أن نقول إنه كان فى بلاط حمد أشبه بالمتنبى فى بلاط سيف الدولة، جاز لنا أن نقول إن قصيدته النونية فى عتاب حمد تكاد تشبه قصيده المتنبى الميميه فى عتاب سيف الدولة. فيبدو أن نبوه حدثت بينهما سببها كما نفهم من القصيده ما اعتقده الشاعر من إهمال حمد له و عدم تحقيق رغباته، فلم يتورع عن مهاجمه حمد و الثناء على خصمه و قريبه حسين بك السلطان يقول فى مطلعها:

يا (بيك) عند للعتاب لسان فيه لغيرك صارم و سنان

و بعد التعريض بالشعراء الآخرين الذين يفدون إلى حمد فيحسن عطاءهم دون أن يحسنوا الشعر - بزعمه - و كيف أن نصيبه الحرمان:

لهم الغباوه و الفسالة و العطا و الفضل لى و المدح و الحرمان

و بعد أن يسترسل في ذلك قائلا أمثال هذا:

فأصبح ما ألفيت أن وعودكم مثل السراب و مثلى الظمان

تغرى بنا الأوهام فى أطماعها حرصا على الموهوم و هو عيان

فالله يجزى عنكم أوهامنا خيرا و جاد شبابها الريعان

ثم يعترف بما فى المدح من غضاضه:

لكم بها حسن الثناء مؤبدا و لنا بهن مذله و هوان

ثم يلمح إلى ما يبدو أن حمدا قد اعتذر به من اضطراره لمساييره الآخرين معتمدا على صداقه الكاظمى:

و رسمت أن تقربى لك باعث قطعى صدقت و فى النوى الرجحان

فليشكر الرحمن من هو عنكم ناء و يغنى عنكم السلوان

ص: ١٣٠

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٥٤١ من المجلد الرابع.

و هذا كله نلمح فيه مشابهه مما حوته قصيده المتنبي الميميه فى عتاب سيف الدوله - على بعد ما بين الشاعريتين - و نلمح فيه مشابهه من تزامم الشعراء هنا كتزاحمهم هناك و يسترسل الكاظمى بهذا و أمثاله إلى أن يصل إلى هذا الاعتراف الطريف:

بعناكم دينا لنشرى منكم دنيا فلا الدنيا و لا الايمان

ثم يوغل فى الاعتراف مقرا أن فيما كان فيه من نظم المديح هو خيانه:

ها جزاء الطامعين بأنهم خانت بهم أو هامهم إذ خانوا

ثم يتعجب من ضياع مثله عند مثل حمد:

و يضيع مثلى عند مثلك إن ذا أمر تضل بمثله الأذهان

و بعد أن يصل إلى هذا الحد يوقن أنه لا- يستطيع أن يعيش دون ممدوح جديد، فيتلفت إلى خصم حمد مشيرا إليه إشاره صريحه، معلنا أن أمله سيتحقق به وحده:

ما شد ضبعى فى الورى إلا الذى قد شق نبعه دوحه سلمان

و كنا قد أشرنا من قبل إلى القصيده التى استعطف بها شاعرنا ممدوحه حمد و طلب عفوه و قلنا أ يمكن أن يكون غضب حمد عليه لأن الشاعر قد ناصر الحركه الشعبيه التى استهدفت حمدا، أو ناصر الحاكم الجديد الذى خلف حمدا؟ و إننا نتساءل هنا: هل كانت قصيده الاستعطف التى أشرنا إليها، نتيجه لغضب حمد من هذه القصيده النونيه؟ أم أن تلك القصيده كانت نتيجه حادث آخر؟..

أكبر الظن أن القصيده الداليه بعيده عن موضوع هذه القصيده و أن تلك كانت نتيجه غضب شديد من حمد على شاعره، غضب مبعثه شىء أهم من هذا العتاب فى هذه القصيده.

و قد جاء فى ترجمه الكاظمى فى (أعيان الشيعه) أبيات ذكر فى تقديمها أنه يمدح بها بعض الأمراء و يعرض بدم غيره. و قد جاء هذا الذم قاسيا عنيفا يدل على قطيعه كامله من الشاعر لهذا الأمير المذموم:

إن كنت و الناس فى الناسوت متحدا فالعود و العود ذا ند و ذا حطب

و بعد عده أبيات فى المدح و التعريض يقول:

لا قرب الله رذلا كله حمق و باعد الله نذلا كله كذب

و هكذا نرى أن الهجاء عاد شتما فظيعا، فمن هو الأمير الذى قيل فيه هذا القول؟ إن الذين رووا هذا الشعر لم يذكروا اسم الأمير المعرض به، فهل يمكن أن يكون هو حمد؟ أ يمكن أن يكون الأمر قد وصل بين حمد و بين شاعره إلى هذا الحد؟.

إن القرائن تدل على ذلك، و إذا صح هذا فإنه لأمر مؤسف حقا أن تصل العلائق بين الرجلين إلى أن يصبح الممدوح القديم مذموما بمثل هذا الظم القبيح، و بذلك تتباعد الفرجه بين متنبى [و] سيف الدوله الذى ظل مقدرًا لأميره ذاكرًا له بالخير، و كل ما وصل إليه معه هو عتاب بسيط و تعريض طفيف، و بين متنبى [و] حمد الذى عاد الآن حمد على لسانه عودًا من الحطب أحرق نذلا كذابا، بعد أن كان:

فى عدل كسرى فى شجاعه رستم فى جود حاتم فى ذكاء لبيد

و هذا البيت من القصيده الداليه التى أشرنا إليها من قبل و التى قالها مستعظفا لحمد مستشفعا لديه بالسيد على الأمين:

و شفيع ذنبى عين آل محمد أعنى عليا كهف كل طريد

فهل يمكن أن تكون الوساطه قد فشلت و لم يفد الاعتذار و الاستعطاف فيئس الشاعر و اشتط بالهجاء و غالى؟.

و فى هذه القصيده يبدو واضحا ما ذكرناه من قبل من أن جوهر المدح فى عصر حمد كان ذكر الوقائع و الحروب و التغنى بالانتصارات و الفتوح:

لمديح من عقد اللواء على الولاء له الزمان و قد مشى بجنود

فى بيض مرهفه و سود وقائع و نفوذ رأى فى الزمان سديد

لم تثنه نار الكفاح عن الندى كلا و لا عن عزمه بصدود

يعطى و يلقى و العداه كأنها وفد العفاه و لات حين وفود

متبسما عند الكفاح و سيفه يذرى العقيق على حدود البيد

فالقصب تركع بالحنى على الشوى و الهام خاضعه له بسجود

على أنه و بعد وفاه حمد رأينا الشاعر يصبح شاعر ابن أخيه و خليفته على بك الأسعد فيهنئه بتوليه بعد عمه.

الكاظمى و جبل عامل

قلنا إن الكاظمى عراقى الأصل و لكنه استقر فى جبل عامل و تفتحت شاعريته فيه و لا تزال سلالته فيه حتى اليوم كما أن له نسلا فى مصر، و قد كانت تتنابه نوبات قلق و ملل فيصب جام غضبه على جبل عامل هاجيا ناقما فإذا هداً عاد مادحا مثنيا. ثم هو أحيانا بين بين لا يهجو و لا يمدح بل يتشوق إلى العراق و يحن إليه:

أهيل الكرخ لى قلب معنى أسير فى يد الأشواق عانى

أمن حق المروءه أن جعلتم من الأحلام أيام التدانى

أما فى نغمته و غضبه فىنسى كل ما ناله فى جبل عامل من خير و لا يرى إلا الشر فىنطلق فى هجائه صاحبا عنيفا فهو أولا يذم الهجره و يرى أن تركه العراق كان بطرا:

أشكو إلى الله ما لاقيت من زمنى حالا تفرق بين الجفن و الوسن

لفظت عزمى بأطراف النوى بطرا فرحت أطم وجه الريح بالغبن

ثم يشير إلى أن أسوأ ما كان فى تلك الهجره أنها أقرته فى جبل عامل:

حتى استقر النوى فى أرض "عامله" فخيرتنى بين الذل و الشجن

ثم يسترسل فى الغضب و النقمه معددا بعض القرى العامليه التى حل بها متهمكما ساخرا:

كأنما حين قام العيس يصدع بى نشز الآكام و طى المهمه الحزن

كنت المشوق "لقانا" أم "جويه" أم "لدير قانون" لا حيا بها سكنى

ثم يسترسل بالتهكم و السخرية مختارا أبسط المآكل القرويه العامليه لتكون مثلا عن شطف العيش الذى هو فيه:

أ كنت قبل النوى أشتاق "ترمسها" أم قادنى الشوق "للبلوط" و الشعن

أم "للبلية" لا بلت لها غلل أم "بقله الفول" عنها كنت غير غنى

أم كان قد مر بى دهر فعودنى "بربوره" طبخت بالماء و اللبن

ص: ١٣١

أم "للسميد" بلحم النى منجبالا و رب واضع زيت فيه يكرمنى

فهو هنا يسخر من هذه الأطعمه الشعبيه العامليه و يخص بالسخرية (الكبه النيه) متهكما على هذا الذى يرى أن فى وضع الزيت على الكبه إكراما للضيف.

و لعل فى الجيل [الجيل] الحاضر من يجهل بعض هذه المأكولات التى انقرضت فيما انقرض فى القرى، و التى أدركناها نحن و تذوقناها و استطبنا بعضها.

و إذا كنا نسامح شاعرنا على ما فرط فى حق الجيل مقدرين الظروف التى قد تكون هى التى أثارته فانفلت لسانه بما انفلت به. فاننا نود لو استطعنا أن نذكره بان هذه الأطعمه التى تحدث عنها لم تكن حتما هى كل ما تناوله على موائد الجيل، بل نحن على يقين بأنها لم تمر عليه إلا لماما، و إنه إنما تذوقها مستطعلا، و إلا فأين هى موائد حمد البيك و حسين السلطان و تامر السلطان و على الأسعد و السيد محمد الأمين التى كانت و لا شك هى الموائد التى عرفها أكثر مما عرف غيرها، و التى لم تشهد لا الترمس و لا البلوط و لا البليله و لا بقله الفول و لا البربوره.

على أن شاعرنا الذى قال ما قال فى ساعه غضب و نغمه هو نفسه الذى قال غير هذا القول فى غير ساعات الغضب و ساعات النغمه، و هو نفسه الذى يقول عن جباع و مواقعها و مياها:

أبا الفردوس وجدك أم (جباع) و فى كليهما تهوى الخلودا

و لو كنت المخير فى خلودى فعن (جبع) و حقك لن أحيدا

أ أعدل "بالمشارع" ما سواها و قد أخذت على الصفو العهودا

و قد شهدت (برأس العين) عينى غصونا خلقتها حملت عقودا

و بعد أن يثنى على المكان ما شاء له الثناء، يتمم ثناءه ليشمل السكان:

و لا برحت بال (الحر) تسمو دعائم للمكارم لن تميدا

و إننا و نحن ممن يأخذون

بالقول المأثور: الحسنات يذهبن السيئات، نرى أن بيتا واحدا من أبيات هذه القصيده يمحو كل سيئات القصيده السابقه فكيف بحسنات قصيده الأخرى الحائيه الفائقه التى أبرزته على حقيقته حين أرسل نفسه على سجيتها فاطنب ما شاء له الاطناب فى الحنين إلى جبل عامل بعد فراقه له و الثناء على أهله و التغنى ببلبان مما لم يلحقه فيه لاحق. و إننا نورد القصيده كلها كما هى فهى خير دليل على ما طبعت عليه نفس هذا الشاعر من وفاء أصيل و نفس كريمه:

(سامر يلحو و أشواق تلح) هاجها من ظن أن العذل نصح

نهب الصبر ادكارى سرحه عند (لبنان) لها فى القلب سرح

لست أنساها ليال سلفت ألف صبح لى بها و الدهر صلح

و شمس الراح تجلى كلما غاب صبح قام يجلو الكأس صبح

و مغان نقلت عنها الصبا خبر الند و فيه طال شرح

فضضت جيد الربى أزهارها و عليه من سقيط الطل رشح

نقط الطل على أوراقها و له فى الرمل أسقاط و طرح

يغمز الدهر علينا طرفه و بعينه لعين النجم طمح

نحن و الورق اقتسمنا لهونا فلنا شطح و للورقاء صدح

كلنا فى الغصن إلا أننا ما علينا لو نروم الوصل جنح

فإلى كم و منائى عهدا يثبت العزم و كف الحظ تمحو

ليث [ليت] شعرى، و الأمانى سلوه هل لها وصل و هل اللهم نرح

يا أوداى بسفحى "عامل" إن شوقى عامل و الدمع سفح

هل وفى بالعهد من بعدكم مدمع سح و قلب لا يصح

هاكم دمعى فقد أشهدته و له من الخد تعديل و جرح

من لمشتاق لكم من بعدكم (بات ساهى الطرف و الشوق يلح)

فكره تمضى و تأتى فكره (و الدجى إن يمض جنح يأت جنح)

حارب الجفن الكرى ليتهما عرفانى هل يرى للسلم جنح

لا رعانى المجد إن لم يرنى و لخيلى فى ربي (لبنان) سبح

و من (القبلى) من شاطئه خبر المجد و عندى فيه شرح

برجال لم يثنهم لو و لا فيهم يلفى بغير العرض شح

آل (همدان) هم لا غيرهم و كفاهم من أمير النحل مدح

قد أبت إلا المعالي مسلكا و لهم فى متجر الايمان ربح

كم لهم فى الدين من سابقه ساقها أيد من الله و نجح

كلما استنصرها داعى الهدى جاءه نصر من الله و فتح

بين حمد و سيف الدوله

قلت إن بلاط حمد كان أقرب إلى أن يكون بلاطا حمدانيا. و قلت إن متنبى هذا البلاط هو الشيخ حبيب الكاظمى و يمكن أن يقال إنه الشيخ على سببى.

و لكن إذا أخذنا ما كان بين الكاظمى و حمد من ود عريق ثم من عتاب شديد ثم من تنافر عنيف، كانت حياه الكاظمى عند حمد هى الأقرب إلى الشبه بحياه المتنبى عند سيف الدوله. و قد رأينا فيما تقدم صورا من التواصل و التقاطع، و سرى هنا صوره أوضح للصله الوثيقه بين الرجلين: الأمير و الشاعر، هذه الصوره التى تعيد علينا بعض مشاهد الماضى بين سيف الدوله و شاعره المتغنى بوقائعه، الواصف لمعاركه.

فقد ساق الأقدار حمدا ليكون من بين أسرته مشاركا فى أضخم أحداث عرفها عصره، أحداث مصيريه فى حياه الدوله، و أن تكون مشاركه مشاركه عمليه فعاله، قاد فيها الجيوش و حمل السلاح و قاتل و انتصر.

و هنا يبرز الشبه من جديد بين الأميرين الحمدانى و الوائلى، بعد أن برز الشبه بينهما فى الشاعريه و احتضان الشعراء. ثم يبدو الشبه أكثر بروزا فى تبارى شعراء حمد بوصف معاركه، كتبارى شعراء سيف الدوله فى وصف معاركه. و هنا يبرز متنبى حمد بقصيدته الميميه، التى لا- تطاولها فى قصائد شعراء حمد إلا- قصيده السببى الميميه أيضا. و من هنا كانت حيرتنا فى أى من الشاعرين يمكن أن يكون متنبى هذه البلاط.

يبتدى الكاظمى قصيدته ابتداء ضاحكا ممتلئا حورا، و لا بدع فان الفوز كان جديرا بان يوحى بذلك، و يجيء الاستهلال لا مجيئا غزليا، بل مجيئا مستلهما من طبيعه الحياه الجليله العامليه التى لا تشكو شيئا كما تشكو فقدان الماء النابع، و التى لا تبشر بشىء أحلى عندها من أن تبشر بهطول المطر بعد الانجاس. و يختصر الشاعر هذه البشرى بشرط واحد ينتقل بعده رأسا إلى الدعوه للأخذ بما تقتضيه البشرى من البهجه و الانشراح:

بشرت بالمزن أرواح النعامى فأجل لى الكأس على أيدى الندامى

و ليس من الضروري أن تكون هذه الكأس من الراح، و الشاعر ممن لا يشربونها لا هو و لا نداماه، بل يكفي أن تكون كأسا من الشاي في مجلس أتيق. و لا يطيل الشاعر في ذلك بل يمضى مسرعا إلى التمدح بحمد:

و طوى البشر الأمانى إذ وطا (حمد البيك) من الظهر السناما

قد شكا السيف الظما حتى ارتوى و انحنى عود القنا حتى استقاما

واطئ الهام احتكم فيها بما تنصف الحكمة فى البين احتكاما

و دع الحكمة تعطى قسمها للظبي هاما و للتيجان هاما

(برميش) كيف أوطات العدى ضمير الخيل فنكست (النظاما)

إذ لوى "مير اللوا" عنه اللوا و التوى كالظبي يحتل الآجاما

بفلسطين جيوش حشدت قدت بالحزم لها جيشا لهاما

و على الأردن منك انتفضت ردن الموت هجوما و اقتحاما

كم شفى سيفك قلبا موجعا فى (شفا عمرو) و أحيت رماما

و يمضى فى قصيدته على هذا المنوال حتى يختمها بنفس الشطر الذى افتتحها به:

لم يزل ذكرك يعلو كلما بشرت بالمزن أرواح النعامى

الشيخ على سببتي

(1) هذا الرجل من أفذاذ جبل عامل المتميزين. و لم يكن الشعر صفة الغالبه عليه، بل كان إلى جانب شاعريته على مشاركة طيبه بعلوم اللغة و بالتأريخ.

و وصف فى كتاب (أعيان الشيعة) بأنه: "نحوى بيانى لغوى شاعر كاتب مؤرخ". كما وصف بصفات خلقه أخرى منها أنه مصارع بالحق غير مدهن، و أنه حسن النادره ظريف المعاشره.

لقد كان اتصال السببتي بحمد المحمود ثم بعده بابن أخيه على الأسعد اتصالا وثيقا.

على أن المؤسف أن ليس بين أيدينا من شعره إلا النزر اليسير مما لا يتعدى قطعه من قصيده نظمها استجابة لطلب حمد المحمود فى مدح السلطان عبد المجيد، و أرسلت إليه. نظمت عن لسان حمد نفسه و أدبت باسمه لا باسم ناظمها و يمكن أن تكون قد نظمت بعد عزل حمد، و كان نظمها و إرسالها من الوسائل التى توسلها حمد للتقرب من الدوله ليعود إلى ما كان عليه من

الحكم و التسلط كما أنه يمكن أن تكون قد نظمت بعد الانتصار على جند إبراهيم باشا، و قدمت للسلطان تدليلاً على ما قام به حمد و إشاره إلى بلائه في تلك الوقائع. فمما حفظ من تلك القصيده:

لنا يوم "الحبيس" و أى يوم منعنا شوس مصر أن تناما

و قبلا يوم "حمص" لو ترانا أثرنا نقع حرب قد أغاما

نصبنا المجد حتى أن قوما بظل فخارنا ضربوا الخياما

و كم يوم عبوس قمطير عقدنا فوق هامتهم قتاما

سننا كل نعمى فى البرايا باعناق الملوك غدت و ساما

و غبرنا لكسرى أى وجه بعدل مليكنا فسما و سامى

قضى دين المفاجر و المعالى و أيقظ عدله قوما نياما

و لا شك أن هذا الشعر هو من مظاهر الشعر (العسكرى) العاملى الذى بلغ ذروته فى عهد حمد.

على أن الشعر (العسكرى) العاملى قد انتهى بانتهاء شعراء عصر حمد.

و كانت معارك حمد آخر المعارك التى يخوضها العامليون دفاعاً عن جبلهم و صيانه لوجودهم. إذ أن الدنيا كانت قد تبدلت.

السيد موسى عباس

(٢) و على العكس من الشيخ حبيب الكاظمى، الشاعر العراقى الذى عاش فى جبل عامل، فان السيد موسى عباس شاعر عاملى نشأ و عاش فى العراق و توفى بالنجف. و يبدو مما ذكره صاحب (جواهر الحكم) أنه كان يكثر القدوم من العراق إلى الجبل ثم يعود إلى مقره، على ما كان فى هذا الترحال من مشاق. و أن من عوامل تروده إلى الجبل هو ما كان يلقاه فى (بلاط) حمد المحمود من إكرام تعززه مدائحه فى حمد. فقد قال صاحب (جواهر الحكم) ما نصه: "نشأ فى العراق و قرأ الدرر و لكن تغلب عليه الشعر. زار أمراء جبل عامل مرارا و رجع إلى العراق و مدحهم باشعار كثيره، و ما قصرُوا عن نصرته".

على أنه ليس بأيدينا من مدائحه فيهم إلا ما مدح به حمد المحمود فى قصيده أشرك معه فيها بالمدح أخاه أسعد. و قصيده أخرى، أشرك معه فيها ابن أخيه على الأسعد. و القصيده الأولى نظمها بعد وفاه أسعد، فلم يرد ذكره فيها إلا فى بيت واحد منها، انتقل بعده إلى ذكر ولده على فى بيت آخر، ثم أجمل ذكر الآباء و الأجداد فى عدة أبيات، ثم استرسل فى مدح حمد.

و مادة المدح هنا هى كما قلنا من قبل، و كما ساد فى شعر شعراء عصر حمد - هى: ذكر الحروب و الوقائع و التغنى بالبطولة:

هو ابن أبى الهيجاء مردى كماتها و فارسها المعروف عند التصادم

و لا بد من استناره سجيته الكرم فى الممدوح:

هو الغيث قد عم الأنام مواهبا هو البحر من جدواه فيض الغمام

على أنه يعطى نضارا و عسجدا و ذاك بغير الماء ليس بساجم

و بعد الإشاره إلى العطاء و التصريح بالنضار و العسجد، يعود إلى ما صار الأصل فى موضوع المدائح العامليه، يعود إلى المعارك و ذكر الأبطال و نهب الأرواح و حومه الوغى:

و يا مورد الأبطال فى هوه الردى و يا تارك الأموال غنما لغانم

و يا ناهب الأرواح فى حومه الوغى و يا تارك الأجساد طعم القشاعم

و كم وقعته مشهوره لك فى العدى سرى ذكرها فى عربها و الأعاجم

تركت بها الأبطال صرعى على الثرى خواشع أشلاء بغير جماجم

و كما أشرنا فيها تقدم فقد أصبح حمد حاكما على الجبل باراده حكوميه، و أصبح ممثل الدوله فيه، مما لم يكن معروفا من قبل. و هنا نجد فى هذا الشعر تعريفا جديدا لحمد، لم يكن يذكر فى مدائح أسلافه، هو وصفه بالحاكم:

و يا " حاكما " بين الأنام بعدله و يا منصف المظلوم من كل ظالم

ص: ١٣٣

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٣٠٣ من المجلد الثامن.

٢- راجع ترجمته فى الصفحه ١٩٠ من المجلد العاشر.

أما "العدل" و أما "إنصاف المظلوم من الظالم"، فترك الحكم عليه لمعاصري حمد، فهم أدري منا بالحقيقه، و هل كان الشاعر حين نظم هذا البيت ينطق بلسانهم، أم كان ينطق بلسانهم أولئك الذين مشوا بقياده قاسم الزين للتظلم من حمد؟!.

و الشاعر لا يخفى بعد ذلك، الغرض من قدومه من العراق و تجشمه العناء و نظمه الشعر، فهو يقول لحمد:

إليك أت تطوى الفيافي ركائبى من النجف الأعلى إلى دير قاسم

براهما السرى لم يبق غير إهابها يقوم على أضلاعها و القوائم

و ها هي فى مثواك ألقى رحالها و أنت لها دون الورى خير راحم

على أن هذا الشاعر كان إذا عجز عن القدوم إلى الجبل و إنشاد الشعر فى (البلاط الوائلى)، و إذا حالت الأحوال دون أن يقدم مدائحه بنفسه بين يدي حمد يرسل القصائد من العراق، فتحقق غايتها و كانت قصائده المرسله من العراق تتميز عن القصائد الأخرى بحراره العاطفه و بما تتضمنه من شوق إلى جبل عامل و حنين لمرابعه.

و كما رأينا فان ما أوردناه من أبيات القصيده الأولى إنما يمثل شعرا جافا لا رواء فيه، و كل القصيده على نفس النمط. و أما القصيده المرسله من العراق فإنها مفتحة بشعر عاطفى تنفجر فيه لواعج الشوق إلى الديار الأولى و الأحبه النائين:

إلى عامل شوقى و فى القلب عامل فيا ويح قلبى ما به الشوق عامل

يحملنى ما لا أطيق و إنه ليثقل رضوى بعض ما أنا حامل

فراق و وجد و اشتياق و لوعه و حزن و إن طال المدى متناول

و ذكر حبيب نازح و منازل بعدن و فى قلبى لهن منازل

و أجفان عين لا تجف دموعها و نار لها بين الضلوع مشاعل

فما أنسى لا أنسى الزمان الذى مضى "بعامله" و الدهر عنى غافل

و يا حبذا (لبنان) من سفح (عامل) و يا حبذا أجباله و السواحل

و يمضى بعد ذلك فى المديح مشيرا هذه المره فيما يشير - إلى ما عرف به حمد من الشعر و الأدب:

فيا حبذا ذاك اليراع و حبذا بنان غدت تجرى به و تساجل

ثم يعود إلى وقائع حمد و معاركة قائلا فيما يقول:

حميت بلاد المسلمين و صنتها و أنت لدين الله كاف و كافل

و جمعت شمل العدل و هو مبدد و فرقت شمل الجور و الجور شامل

فهو يريد أن يسبغ على تلك الحروب غلاله دينيه و يظهرها بمظهر من حمت بلاد المسلمين و صانتها!.. ثم من أشاعت العدل و مزقت الجور!..

و لا ندري العلاقة بين حمايه بلاد المسلمين و بين هذه الحروب، و المتقاتلون جميعا مسلمون. و لو كان فى مقاتله إبراهيم باشا حمايه لبلاد المسلمين و كفاله لدين الله، لما ألبت انكلترا العالم الغربى على محمد على و ولده إبراهيم!..

أما العدل و أما الجور فلا نظن أن قد اختلف وقعهما على الشعب فى كلا الموقفين.. و لكن الشاعر يريد أن يبرر حركه (حمد) و يعطى حروبه صفه ترفعها إلى المواقف الملتزمه، و بالتالى يريد أن يبرر إشادته هو نفسه بتلك الحروب!.

ثم يسترسل الشاعر فى الحديث عن القتال و المقاتل الأول حمد فى أبيات عديده:

و كم لك فى يوم الحروب مواقف ثبت لها و الجو بالنقع حائل

و يمعن فى المبالغات:

فلولاك ما ثارت جياذ إلى الوغى و لولاك لم تعقد لسيف حمائل

و هو الشاعر الوحيد فى شعراء حمد الذى ذكر فى شعره (إبراهيم باشا) باسمه صريحا:

رمى الله (إبراهيم) منك و جيشه بغائله فاغتالهم منك غائل

ثبت لهم و الحرب فاغره اللهى فما حلتهم فيها و أنت المماحل

فلا زلت للهيجاء يا بن زعيمها زعيما تحييك القنا و القنابل

و بعد أبيات طويله تصف فى مبالغات ساحات الوغى و القتال و الثواكل و النادبات و الرياح السافيات و العقبان و الذئاب، بعد ذلك يشير إلى وقعه يسميها (يوم الجسر):

و كم لك من أمثالها يا بن قطبها كفاك بيوم الجسر ما أنت فاعل

فمزقتهم بالبيض كل ممزق و ألبستهم ثوب الردى و هو شامل

الشيخ خلف بن الشيخ عبد على بن الشيخ حسين

من آل عصفور.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

ص: ١٣٤

و كانت وفاته فى قريه الدهلكى وقبره الشريف مشهور يزار و يتبرك به، و سبب خروجه من بلدتنا بوشهر و توقفه فى القريه المزبوره هو واقعه الإفرنج و غلبتهم على بوشهر و كانت سنه ١٢٧٣ - ثلاث و سبعين و مائتين بعد الألف - و وفاته قدس سره وقعت فى هذه السنه و على قبره الشريف مكتوب هذين البيتين:

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات و القلب السليم

و نقل الزاد أقبح كل شىء إذا كان الوفود على الكريم

الشيخ خلف بن الشيخ عبد على

من آل عصفور صاحب الأحياء.

قال فى تاريخ البحرين على عادته فى المبالغات:

أعلم من قضى و أفتى، و أفضل من باشر التدريس و الإفتاء، و هو مجاز عن عمه صاحب الحدائق، و كتب له و للشيخ حسين العلامه إجازة طويله مسماه ب "لؤلؤه البحرين فى إجازة قرتى العينين خلف و حسين".

و على الجملة له يد فى الأصوليين، تصدر للإفتاء فى حياه أبيه فى الفلاحيه ثم رحل إلى المحمره و له من المصنفات: رساله فى صلاحه الجمعة، و رساله فى الرضاع، و رساله فى السلام، و رساله فى الاستصحاب و رساله فى أن الفرقه الناجيه هى الاماميه. و رساله فى الحج، و كتاب فى الفقر، و كتاب فى الرجال، و حاشيه على الحدائق، و حاشيه على المدارك، و حاشيه على الكافى، و حاشيه على الكافيه الحاجيه [الحاجيه]، و رساله فى العدالة، و رساله فى حديث الصلاه خير موضوع، و رساله فى الميراث، و رساله فى التسبيح، و مجموعه فى مسائل متفرقه.

هذا ما حضرنى من مؤلفاته و لم يحضرنى تاريخ وفاته.

الخليل بن أحمد الفراهيدى.

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٣٧ من المجلد السادس و مر فيها البحث عن كتابه (العين). و فيما يلى بحث عن مخطوطات كتاب: (مختصر العين) الذى ألفه أبو بكر الزبيدى كتبه الدكتور صلاح مهدى الفرطوسى:

لا- يختلف اثنان فى أن القرن الرابع الهجرى هو أزهى عصور الحضاره العربيه الإسلاميه، إذ بلغت فيه العلوم درجه من الرقى لم تبلغها من قبل فى مغرب الأمه و مشرقها.

و قد كان لدخول أبى على القالى الأندلسى أعماق الأثر فى الحركه اللغويه التى شهدتها فى هذا القرن، إذ كانت أماليه و مروياته و تاليفه اللغويه موردا لطلاب العربيه و علمائها، و قد شارك تلاميذه الذين تفرقوا فى الفردوس المفقود فى إذكاء تلك الحركه.

و كان أبو بكر الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) أبرز تلاميذ القالى، و أبعدهم أثرا، إذ تميز بغزاره عمله، و قوه حافظته، و كثره إنتاجه، و

تنوعه. و قد درسه المستشرق لاثارو فى رساله قدمها إلى جامعه مدريد سنه ١٩٦٨ بعنوان "أبو بكر الزبيدى نحوى أندلسى من القرن الرابع" و درسه الدكتور نعمه رحيم العزاوى فى رساله قدمها إلى جامعه بغداد بعنوان: "أبو بكر الزبيدى و آثاره فى النحو و اللغه" و قد طبع فى مطبعه الآداب فى النجف الأشرف سنه ١٩٧٥.

و طبع من آثاره: لحن العامه، و الواضح فى النحو، و طبقات النحويين و اللغويين، و الاستدراك على سيبويه فى كتاب الأبنيه، و مقدمه كتاب استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين. و لعل أبرز مؤلفات الزبيدى و أعمقها أثرا كتابه "مختصر العين"، و قد حقق علال الفاسى و محمد بن تاويت الطنجى فصله منه معتمدين على نسختين خطيتين منه. الأولى: فى خزانه القرويين بفاس، و الثانيه: فى خزانه علال الفاسى - و أمر عرض هذه الفصله يحتاج إلى وقفه أخرى - وفد نوهت بقيمه مختصر العين و أهميته و أثره فى أكثر من بحث، إذ تبين لى أن الكتاب ليس اختصارا بالمعنى الذى يوحيه عنوانه و مقدمته و خاتمته، و إنما هو معجم متميز، اعتمد على ماده فى أصل هو (العين) و هى ماده التى اعتمدت عليها المعجمات التى سارت على منواله: كالتهديب، و المحيط، و المحكم.

و قد تجمعت لدى فى السنوات الخمسه الماضيه معلومات عن مخطوطاته رأيت من المناسب أن أنوه بها بسبب أهميه الكتاب.

أ - ألمانيا:

ذكر بروكلمان أن فى برلين نسخه برقم ٦٩٥٠-٦٩٥٢، و أخرى برقم دحداح ١٥٩، و ذكر فى معرض تعليقه على نسخه دحداح: (انظر أيضا ١٩٣ فى المكتبه نفسها). و قد بذلت جهدا كبيرا لكى أحصل على هذه النسخ، و خاصه نسخه دحداح، إذ علق بروكلمان بشأنها: (وقيل: إن هذه النسخه هى الكتاب الأصيلى للخليل، و هى فى ثلاثه أجزاء). و تعليقه جدير بالاهتمام فقد تكون نسخه جديده من كتاب العين، و قد تكون أيضا النسخه الكبرى من مختصر العين الذى لم أعثر له على نسخه فى ما رجعت إليه من مصادر.

و مما يؤسف له أن مكتبه الدوله ببرلين أفادت بان هذه النسخه لا وجود لها فى المكتبه على الرغم من وجود إشاره فى فهرسها إليها، و قد تكون احترقت فى ما احترق من الآثار خلال الحرب العالميه الثانيه. و المكتبه لا علم لها بمصيرها.

أما المخطوط رقم ٦٩٥٠، فقد تم نسخه عام ١٦٠٠هـ، و هو يحتوى على النصف الثانى من الكتاب، و هو فى ١٥٤ ورقه، ذكر ذلك المستشرق لاثارو فى رسالته التى سبق التنويه بها، و قد استقى معلوماته عن هذه النسخه من:

AHLWARDT, W.V. erreichnis der arabischen Handschriften der Koniglichen Bibliothek.

Zu Berlin, Berlin ١٨٨٧-١٨٩٩. No ٦٩٥٠ و قد تكرم السيد لاثارو فأرسل لى ما جاء فى رسالته من معلومات بشأن مخطوطات المختصر التى عثر على أخبار عنها، و بلغ عدد المخطوطات التى ذكرها فى رسالته تسع عشره مخطوطه.

ب - فرنسا:

أشار بروكلمان إلى وجود نسخه فى المكتبه الوطنيه بباريس برقم ٥٣٤٧، و قد تكرم أحد الزملاء الأفاضل فصور لى الصفحه

الأخيره منها على أمل تصويرها كامله، إن كانت ذات فائده، و قد تبين لى أنها نسخه حديثه بخط مغربى سقيم منقوله عن نسخه
كتبت فى القرن العاشر.

ص: ١٣٥

VAJDA,G.Index general der manuscrits arabes musulmans de laBib -liothèque. Nationale de paris,paris,١٩٥٣,P.٢٧٨ .BLOCHET,E.Catalogue desmanuscrits arabes des nouvelles acquisitions(١٨٨٤-١٩٢٤),- paris,١٩٢٥,p.٩٤ و ذكر السيد لاثارو أن في المكتبة نفسها نسخه أخرى برقم ٥٣٩١، تم نسخها في القرن الثالث عشر، أقدم من النسخة السابقة، و هي بخط نسخي سوداني تقع في ١٤٩ ورقة تعود إلى المجموعه السابقه نفسها، و قد استقى معلوماته من المصدرين السابقين، و لا بد أن تكون هذه النسخه هي النسخه التي ذكرتها، و قد وقع فيها لبس لا أتذكر سببه.

ج - أسبانيا:

ذكر السيد لاثارو أن في مجموعته المخطوطات العربيه المحفوظه في معهد ميغيل أسين (المجلس الأعلى للأبحاث العلميه) في مدريد نسخه من المختصر برقم ٣٥، تم نسخها سنه ٤٣٥ هـ، عثر عليها في مدينه (Almonacid)، تبدأ بحرف الغين، و تقع في ١٤٥ ورقه، و هي بخط مغربي مجهول النسخ، و قد استقى السيد لاثارو معلوماته من:

RIBERA,J.YASIN,M.Manuscritor arabesy alijamiados de laBib- liote-ca de la Junta- Nolicias Yextractos de los alumnos de lac- seccionara bebajo la direccion de..Madrid,١٩١٢.p.١٣٤-١٣٥ أشار بروكلمان إلى وجود نسخه برقم ٤٩ في مدريد ثالث. و ذكر السيد لاثارو أن المخطوط المذكور من مجموعته المخطوطات العربيه المحفوظه في معهد ميغل أسين، تم نسخه حوالي عام ٧٤٠ هـ، عثر عليه في مدينه - (d Almonaci) تنقصه بعض الورقات في أوله، و هو بخط مغربي، و ناسخه فرج بن عبد الله بن فرج بن عبد العزيز، و قد استقى السيد لاثارو معلوماته من المصدرين السابقين.

- أشار بروكلمان أيضا إلى نسخه مخطوطه من المختصر في الاسكوريال، ثاني برقم ٥٦٩. و قد تم نسخ المخطوط المذكور في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنه ٨٣٣ هـ، يقع في ١٠٦ ورقات بخط مغرب، مجهول النسخ، ذكر ذلك السيد لاثارو في رسالته السابقه اعتمادا على:

. DERENBOURG,H.Les manuscrits arabes de L,Escurial,T.L,Paris ١٨٨٤,n.٥٧٠ - و أشار بروكلمان إلى نسخه ثانيه في مكتبه الاسكوريال برقم ٥٧٠ و المخطوط المذكور تم نسخه سنه ٨٤٥ هـ، و هو بخط مغربي، مجهول النسخ، و قد ذكر ذلك السيد لاثارو، اعتمادا على المصدر السابق.

- و أشار بروكلمان إلى نسخه ثالثه في الاسكوريال برقم ٥٧١، نسخت في السادس والعشرين من شهر شوال عام ٩٧٥ هـ، تقع في ١٦٥ ورقه، و هي بخط مغربي، مجهول النسخ. ذكر ذلك السيد لاثارو في رسالته السابقه الذكر.

- ذكر السيد لاثارو أن في دير السكرمونييه في غرناطه نسخه برقم (٢)، تم نسخها سنه ٣٩٩ هـ، ناقصه من الأول، تبدأ بالورقه ١٩ و تقع في ١٩٩ ورقه، و هي بخط مغربي، مجهول النسخ. و لعل هذه النسخه هي عين النسخه التي أشار بروكلمان إلى وجودها في غرناطه، و قد خبرني السيد لاثارو أنه يتعذر تصوير هذه النسخه أو الاطلاع عليها بسبب موقف العاملين بالدير المذكور، و هي

أقدم نسخه من المختصر تردنا أخبار عنها.

- و ذكر السيد لاثارو أن في المكتبه الوطنيه بمدريد نسخه من المختصر برقم ٥، نسخت في مدينه ثيريرا الاسبانيه، في ٢٤ من شهر شوال سنه ٧٤٧ هـ عن نسخه موسى بن هارون بن موسى بن خلف بن عيسى بن أبي درهم التجيبى الأندلسى الذى نقلها عن نسخه أخرى تم نسخها في شهر ربيع الأول سنه ٣٦٨ هـ، و كان الزبيدى قد راجعها. و هى بخط مغربى في جزءين، ناسخها أحمد بن عبد الرحمن بن سالم بن محمد الأعمالى و قد استقى السيد لاثارو معلوماته من:

GUIIENROBLES,F.Cataloge de los mauscritos arabes existentes en la Bibateca. Nacional de Madrid, Madrid, ١٨٨٧, p.٤-٥. DERENBOURG, H. Notes Gitiques eur les Manuscrits arabes de la .Bib-liotheque Nationale de Madrid, opud "Homenaje a D.F.Rancirco Cordera" Zaragoza, ١٩٠٤ p.٥٧٤
مخطوطا من المختصر برقم ٢٩٤، نسخ سنه ٦٥٢ هـ، في مدينه سرقسطه. و من اللافت للنظر أن السيد لاثارو ذكر أيضا أن النسخه قد كتبت بحروف عبريه ناسخها مجهول. و قد استقى السيد لاثارو معلوماته من:

LLAMAS, J. Los manuscritos hebroos de la Universidad de Salamanca apud "SEFARAD". X١٢٥٠, p.٢٧٨-٢٧٩ وهو مخطوط جدير بالدراسه، و قد راسلت بعض الأصدقاء لتيسير تصويره، إذ إن كتابه معجم عربى بحروف عبريه أمر يدعو إلى التأمل.

د - تركيا:

- أشار بروكلمان إلى وجود نسخه من المختصر في مكتبه كوبريلى برقم ١٠٧٤.

- و فى مكتبه فيض الله نسخه برقم ٢٠٩٨، توجد مصوره منها فى معهد المخطوطات برقم ٢٤٦ ذكر الأستاذ فؤاد السيد فى فهرس المخطوطات العربيه المصوره فى معهد المخطوطات ٣٧١/١ أنها بقلم نسخ جميل بخط محمد بن حسن بن على الحائكى، و قد كتبت برسم الجنا ب العالى أمير حسن، عدد أوراقها ٤٢٠ ورقه.

ه - مصر:

- توجد فى دار الكتب المصريه (الخانزه التيموريه) نسخه من المختصر برقم (١) لغه. توجد مصوره منها فى معهد المخطوطات برقم ٤٧، قال الأستاذ فؤاد السيد: إن الموجود منها النصف الأخير، و هو بخط قديم، و قد أكمل النسخه العلامه برهان الدين إبراهيم البقاعى (ت ٨٨٥ هـ) سنه ٨٦٥ هـ، تقع فى ٣٣٨ ورقه (ينظر فهرس المخطوطات المصوره ٣٧١/١).

ص: ١٣٦

الناسخ و تاريخ النسخ. توجد مصوره منها فى المكتبه المركزيه بجامعة بغداد برقم (م خ ١٦-١٧) (ينظر فهرس دار الكتب المصريه ٣٦/٢).

- و توجد فى الدار نسخه أخرى برقم ٤٠٦ ناقصه تبدأ بحرف الفاء، و تنتهى بآخر الكتاب، و هى بخط مغربى، نسخها محمد بن ياسين بن محمد التوم البعيلى، و كان الفراغ من نسخها فى يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر سنه ٦٣٥ هـ. (فهرس دار الكتب المصريه ٣٦/٢).

- توجد فى الدار نسخه أخرى برقم ٥٩٧، و هى فى ثلاثه أجزاء، الموجود منها الجزء الثانى، كتبت سنه ٥٧٦ هـ بهامشها تقييدات تبدأ من باب المضاعف من الهاء و الخاء، و تنتهى إلى الباب الثانى المضاعف من حرف الجيم و السين.

و - تونس:

- توجد فى خزانه جامع الزيتونه نسخه برقم ٣٩٤٤، بخط مغربى، نسخها محمد بن صالح بن محمد المعطى الشرفى سنه ١١٣٦ هـ تقع فى ١٤٨ ورقه، (فهرس مخطوطات المكتبه الأحمديه بتونس ص ١٥٣).

ز - المغرب:

- توجد فى المغرب نسخ كثيره من المختصر تيسر لى الاطلاع على قسم كبير منها لم تذكر فى أى فهرس من فهارس المخطوطات أو الكتب التى اهتمت بوصف المخطوطات العرييه، و يهمنى هنا أن ألفت النظر إلى أن بروكلمان أشار إلى وجود نسخه فى خزانه القرويين بفاس برقم ١٢٤٦-١٢٤٧، اعتمادا على ما جاء فى مجله المجمع العلمى العربى: ٥٦/١٢، و لا-وجود لنسخه بهذا الرقم فى الخزانه.

و أشار السيد لاثارو فى رسالته إلى نسخه فى الخزانه نفسها برقم ٧١ اعتمادا على ما جاء فى فهرس خزانه القرويين و نوادرها ص ١٥، و لا وجود لمخطوط بهذا الرقم فى الخزانه.

١ - الخزانه العامه بالرباط، و فيها النسخ الآتیه:

- نسخه الأوقاف برقم ١/٢٨ و هى نسخه قديمه جدا متاكله الأطراف بفعل الآفات، مكتوبه بخط مغربى قديم، كتبت أبوابها و موادها اللغويه بخط متميز. قسمها الناسخ على قسمين.

ينتهى القسم الأول بقوله: (الغين و اللام: البلغم: خلط من أخلاط الجسد. انقضى الرباعى و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد خاتم النبيين، و بانقضائه تم السفر الأول من كتاب العين يتلوه فى الثانى إن شاء الله أوائل حرف القاف، و الله المستعان و المعين).

و ينتهى الجزء الثانى فى حرف ألباء (باب الثنائى المضاعف ألباء و الميم:

بم العود: معروف).

الأوراق الثلاثة الأولى منها كتبت بخط مغاير، و الصفحات من ١٤٠ إلى نهايه ص ١٤٨، كتبت بخط مغاير أيضا، و هي نسخه غير صالحه بسبب الضرر الذى أصابها بفعل الرطوبه و الآفات و الترميم السيئ، و قد عرضت بعض فصولها على النسخه التطوانييه رقم ٦٤٢ الآتى وصفها فوجدتها مطابقه لها. و يلاحظ أن ناسخها أخطا فى خاتمه الجزء الأول فقال: "تم السفر الأول من كتاب العين".

- نسخه الأوقاف برقم ١/٦، و هي نسخه قديمه متاكله الأطراف بفعل الآفات، فيها صفحات كثيره مطموسه بفعل الرطوبه لا تصلح للتصوير، بسبب تلاشى أغلب صفحاتها، و بسبب الضرر الذى لحقها بسبب الترميم السيئ، و هي نسخه ناقصه، الباقي منها القسم الأول بحسب تقسيم ناسخها. قال فى خاتمتها: "تم حرف الخاء و بتمامه كمل السفر الأول من مختصر كتاب العين، و الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على محمد خاتم النبيين و المرسلين و على آله الطيبين فى يوم السبت من غره ذى القعدة سنه أربع و عشرين و خمسمائه). عدد صفحاتها ٢٥٩، و قد قابلت بعض أبوابها بنسخه خزانه القرويين رقم ١٢٣٨، فوجدتها مطابقه لها.

- نسخه الخزانه الكتانيه برقم ١٦٦٢، و هي نسخه حديثه كتبت بخط مغربى فى (يوم الخميس عند انسلاخ صفر عام ١٢٦٣ هـ، رديئه الخط كثيره التصحيف، جاء فى خاتمتها: "نجز و كمل بحمد الله (و صلى الله على محمد و آله) على يد الفقير الذليل لمولاه عبيد الله تعالى إبراهيم بن الحاج مبارك الطبيي الهشتوى، عفا الله عنه كله لرفيقه سى محمد بن عبد الله ألماسى الخربد، فى غره يوم الخميس، عند انسلاخ صفر ١٢٦٣ هـ".

٢ - الخزانه الحسنيه:

- توجد فيها أربع نسخ من المختصر أرقامها (٤، ١٩، ٣٦٣٣، ٧٨١، ٢٣٦).

و قد اخترت النسخه رقم ٢٣٦، و هي بخط مغربى تتفرد بزيادات غير موجوده فى النسخ التى اطلعت عليها، و قد تكرم الأستاذ محمد العربى الخطابى بتصويرها لى و إهدائها.

٣ - خزانه البلديه بتطوان:

و توجد فيها نسختان:

- الأولى برقم ٦٤٢ و هي نسخه عتيقه جدا كتبت بخط أندلسى يغلب على الظن أنه من خطوط القرن الخامس أو السادس، مقابله على أصول عده، و هي غايه فى الإتقان و الضبط، غير أنها لم تسلم من الأرضه و الرطوبه، و قد رمت حواشيه ترميما قديما، لم يسلم من الأرضه أيضا.

فى صحيفه العنوان: "كتاب مختصر كتاب العين، اختصار أبى بكر محمد بن حسن... الزبيدى رحمه الله تعالى..". و فى الصحيفه نفسها تمليكات عده لعلى بن قاسم البياض، و محمد بن أحمد، و عبد السلام بن عبد الله بن العباس بن أحمد الحسنى الصقلى

الكاظمى، اشتراه الأخير من كتب الفقيد ابن عزوق بمراكش الحمراء فى أواسط رمضان المعظم عام ١٣٠٨ هـ.

جاء فى أحد حواشيها: " و وقع فى النسخ التى قابلت بها هذا المختصر، و ثعت و لم أجد فى الكبير إلا قوله: الشع... و كذلك رأيت فى شرح الحديث لأبى عبيد". و فى هذه النسخه زيادات تتفرد بها، و أخرى موجوده فى حواشى نسخه القرويين رقم ١٢٣٨، الآتى وصفها. و قد تكرم الزميل الأستاذ محمد مفتاح بتصويرها لى و إهدائها.

ص: ١٣٧

عليها محمد بو خبزه أمين قسم المخطوطات في الخزانة، و يسر لي تصويرها، و قد ساعدتني كثيرا في قراءه الكلمات المطموسه في النسخه السابقه، و هي لا تقل أهميه عن النسخه السابقه، غير أن فيها سقطا بمقدار ملزمتين في أولها و آخرها، و قد أكملت بخط مغربي حديث، كما أنها تتفرد ببعض الزيادات، جاء في خاتمتها: "انقضى حرف الياء و بتمامه كمل جميع الديوان و الحمد لله كثيرا كما هو أهله و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و سلم". الصفحات من ١ و حتى نهايه الصحيفة ١٠، مكتوبه بخط حديث، و كذلك الصفحات من ٣٨١ و حتى نهايه المخطوط، و فيها سقط في مواضع عده.

٤ - خزانه القرويين بفاس:

توجد في خزانه القرويين نسخ عده هي:

- نسخه برقم ١٢٣٩ و هي نسخه عتيقه كتبت بخط مغربي قديم يعود في الغالب إلى القرن السادس الهجري، و في صحيفه العنوان تحييس على ترميم قديم نصه: "هذا السفر مما حبسه مولانا سيدي محمد بن مولانا عبد الله أمير المسلمين الحسيني العلوي على طلبه العلم في حضره فاس ينتفع به هناك..."

جمادى الثانيه عام ١١٧٤" و في صحيفه العنوان تمليكات أخرى لم أتبينها بسبب الترقيع.

و في صحيفه العنوان كتب: "كتاب مختصر العين تأليف: أبي بكر محمد بن حسين الزبيدي رحمه الله عليه" و كتب فيها أيضا قول لأرسطو، و أبيات من الشعر لمحمد بن أبي خيثمه في ترتيب حروف الهجاء.

و المخطوط مرمر ترميما قديما، غير أنه لم يسلم من الآفات التي أتلفته تقريبا على الرغم من الترميم.

عدد صفحاته ٣٠٣ صفحات، كتبت الصفحات ٢٥٣-٣٠٣ بخط حديث، و لم تسلم هذه الصفحات من الآفات أيضا.

جاء في خاتمتها: "تم مختصر العين من النسخه الكبرى من تأليف أبي محمد بن حسين الزبيدي رحمه الله بحمد الله تعالى و حسن عونه و توفيقا بجميله و يمنه، و صلى الله على سيدنا محمد نبيه و عبده و على آله و صحبه الذين قاموا بنصره الدين بعده". و يلاحظ أن الناسخ أخطا، فهو أبو بكر محمد بن حسن.

و هي في الغالب منقوله عن النسخه رقم ١٢٣٨ الموجوده في الخزانه نفسها بسبب مطابقتها لها في الرسم و الشكل، و مشاركتها بالزيادات التي تتفرد بها.

- توجد في الخزانه نسخه أخرى برقم ٥٣٧، و هي نسخه مكتوبه بخطوط مختلفه، تبدأ بحرف القاف. الصفحات ٢٥-٣٢ كتبت بخط حديث و كذلك الصفحات ١٩١-١٩٩، بخط ناسخ مجهول، و لا يعرف تاريخ نسخها.

في صحيفه العنوان اسم الكتاب و اسم مؤلفه و عده تمليكات، و أبيات شعريه في ترتيب الحروف، و تحييس على مكتبه القرويين نصه: "الحمد لله، هذا كتاب حبسه مولانا المنصور بالله سيدي محمد بن مولانا عبد الله على طلبه فاس لينتفعوا به".

و توجد فى قسم الخروم فى الخزانه أوراق من نسخ عده تكرم الأستاذ محافظ الخزانه السيد محمد بن عبد العزيز الدباغ فاطلبنى عليها بعد أن بذل جهدا كبيرا فى استخراجها، جزاه الله خير الجزاء، و هى تالفه تماما، و هى:

- أوراق من نسخه مكتوبه بخط أندلسى جميل جدا الباقى منها أوراق من حرف العين و اللام و النون و ألباء و الميم و الياء.

يتعذر معرفه عدد أوراقها، بسبب ما أصابها من عوادى الزمن و آفاته.

- أوراق من نسخه أخرى، بخط مغربى، ردىء للغاية، الباقى منها أوراق من حرف العين و الحاء و الهاء و الغين.

يتعذر معرفه عدد أوراقها، بسبب ما أصابها من عوادى الزمن و آفاته.

- أوراق من نسخه. أخرى وضعت بملفين مستقلين، بخط مغربى جيد، و قد اختلطت أوراقها، و يتعذر ترتيبها بسبب ما أصابها من عوادى الزمن و آفاته، الباقى فى أحد الملفين قسم من حرف الحاء، و الباقى فى الملف الآخر أوراق من حرف الجيم و الراء و التاء و الذال و الزاى و الظاء و الطاء و التاء و الدال.

- أوراق من نسخه أخرى تالفه تماما، بخط مغربى دقيق يصعب ترتيب أوراقها بسبب ما أصابها من عوادى الزمن و آفاته، الباقى منها أوراق من حرف الكاف و القاف و الهاء و الحاء و الخاء.

- توجد فى خزانه القرويين نسخه برقم ١٢٣٨، و هى أوثق نسخه معروفه فى العالم للكتاب، و من أندر النسخ الخطيه.

- توجد فى خزانه علال الفاسى نسخه سبق وصفها فى الفصله التى طبعت من المختصر، و قد رمز لها بالرمز (ب).

بقيت عندى كلمه بشأن مخطوطات المختصر، و هى أن الأستاذ محمد العربى الخطابى كتب لى مشكورا بشأن مخطوطه أندلسيه قديمه للمختصر ما نصه: " هذا و حينما وجهنا مخطوطه مختصر العين لأبى بكر الزبيدى الإشبلى إلى المكتبه العامه قصد تصويرها لكم، تذكرت أن أحد أصدقائى العلماء فى شمال المغرب يملك نسخه أندلسيه قديمه من هذا الكتاب مكتوبه على الرق ترجع إلى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى، فهى لا تبعد عن عصر المؤلف إلا بأقل من مائه عام، و لا أدرى كيف انصرف ذهنى عن هذه نسخه حينما كنتم بمكتبى حتى اختلط على أمر مختصر العين بكتاب آخر، و ها أنا قد كتبت رساله إلى صديقى بمدينة شفشاون، راجيا أن يتحفنا بصوره من نسخه التى عنده من المختصر لتكون سندا لكم من بين النسخ الأخرى... ".

غير أن مالك هذه نسخه لم يشأ أن يكتب الأستاذ الخطابى بشأنها، و أستاذنا العربى الخطابى شاء بما عرف به من دماثة و خلق علمى رفيع عدم اطلاعى على اسم مالك هذه نسخه، و قد حاولت فى أثناء إقامتى فى المغرب أن أعرف شيئا عن أخبار هذه نسخه بوساطه أصدقائى فى مدينة الشفشاون المغريه فلم أوفق.

الشيخ داود بن أبى شافير البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط ناقلا عن السلافه، و هو و صاحب السلافه فى المبالغه فرسا رهان:

المهاج، رتبته في الآفاق شهيره و رفعته أسمى من شمس الظهيرة، و لم يكن في عصره و مصره من يدانيه من مده و قصره، و هو في العلم فاضل لا يسامى، و في الأدب فاضل لم يكل الدهر له حساما، إن شهر طبق و إن نشر عبق، و شعره أبهى من شف البرود و أشهى من رشف الثغر و البرود..) إلى أن قال قدس سره: و من شعره قوله:

قل لأهل العذل لو وجدوا من رسيس الحب ما نجد

أوقدوا في كل جارحه زفره في القلب تتقد

ثم ذكر تمام القصيده و بعض قصائده الفائقة فتوفى قدس سره سنة ١٠١٧.

السيد درويش الغريفي البحراني.

قال في تاريخ البحرين المخطوط و نرجو من القراء أن يتحملوا المبالغات كما تحملنا:

سيد العلماء المحققين، سند الفضلاء المدققين، جامع المعقول و المنقول، مستنبط الفروع من الأصول، قطب دوائر التحقيق، صدر صدور المدرسين، كان من أدباء زمانه، عارفا بالعلوم الأدبيه، عالما بالفنون الرياضيه، و هو مجاز عن شيخه صاحب الحدائق، و له تأليفات منها كتاب شرح القواعد، و كتاب جواهر الحروف، و كتاب القصائد، و رساله في الامامه، و كتاب في تفسير الأسماء الحسنی و غير ذلك، مات في شيراز سنة ١٢٠٤ - الرابعه و المائين و الألف و قبره في شيراز في السعديه.

رقبه بنت الشيخ الميرزا علامه بن الشيخ الحسن بن الشيخ محمد صالح الحائريه.

ولدت في كربلاء سنة ١٣٠٧ هجريه، و توفيت في ٥ رجب سنة ١٣٩٩، و دفنت في مقبره أسرته البرغانيين خلف الشاه زاده حسين بقزوين.

قرأت المقدمات و العلوم العربيه على رجال أسرته في كربلاء، كما حفظت القرآن الكريم قبل التاسعه من عمرها، و أخذت الفقه و الأصول عن الشيخ صدر الدين المعروف بعماد الإسلام ابن الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى و الشيخ الميرزا أحمد البرغانى، فنبغت في علوم القرآن و التفسير، و كانت من فواضل نساء عصرها، و تصدرت للتدريس في كربلاء للنساء أكثر من نصف قرن، و قد تزوجت بابن عمها الشيخ حسن بن الشيخ الميرزا على نقى، و كان زوجها مع فضله يستفسر منها في حل بعض المسائل العلميه و الفقيهيه. كما كانت من مراجع الأمور الشرعيه للنساء في كربلاء. و من مؤلفاتها رساله في خواص السور القرآنيه و بعض الآيات، رساله في غريب القرآن.

هاجرت من كربلاء إلى قزوين بعد طغيان النظام البعثى العراقى. (١)

رويه بن وبر البجلي.

عند ما أصر الخوارج يوم النهروان على ضلالهم دعا على (ع) برجل من أصحابه يقال له رويه بن وبر البجلي فدفع إليه اللواء و أمره بالتقدم إلى القوم، قال: فتقدم إلى القوم و هو يقول:

لقد عقد الامام لنا لواء و قدمنا إمام المؤمنين

بأيدينا مثقفه طوال و بيض المرهفات إذا حلينا

نكر على الأعدى كل يوم و نشهد حربهم متوارينا

و نضرب فى العجاج رؤوس قوم تراهم جاحدين و عابدين

قال: فحمل فجعل يقاتل حتى استشهد.

السائب بن مالك الأشعري.

مرت كلمه عنه فى الصفحه ١٨٢ من المجلد السابع، و نضيف إليها هنا ما يلى:

لما خرج المختار فى الكوفه طلبا بنار الحسين (ع) انضم إليه السائب، و لما اصطدمت قوى المختار بقوى عبد الله بن مطيع والى ابن الزبير على الكوفه، أقبل المختار فى عساكره حتى وقف على أفواه السكك و أمر أصحابه بالقتال، فاقتتلوا قتالا لم يسمع به و لا بمثله. قال: و جعل السائب بن مالك الأشعري ينادى: ويحكم يا شيعه آل رسول الله إنكم قد كنتم تقتلون قبل اليوم، و تقطع أيديكم و أرجلكم من خلاف، و تسمل أعينكم، و تصلبون أحياء على جذوع النخل، و أنتم إذ ذاك فى منازلكم لا تقاتلون أحدا، فما ظنكم اليوم بهؤلاء القوم إن هم ظهروا عليكم! فالله الله فى أنفسكم و أهاليكم و أموالكم و أولادكم! قاتلوا أعداء الله المحلين، فإنه لا- ينجيكم اليوم إلا- الصدق و اليقين، و الطعن الشزر، و الضرب الهبر، و لا- يهولنكم ما ترون من عساكر هؤلاء القوم فان النصر مع الصبر. فعندها رمت الناس بأنفسهم عن دوابهم، ثم جثوا على الركب و شرعوا الرماح و جردوا الصفاح و فوقوا السهام، و اصطفقا بالصفوف اصطفاقا، و تشابك القوم اعتناقا، فصبر القوم بعضهم لبعض ساعه، و قتل من الفريقين جماعه، و انهزم أصحاب عبد الله بن مطيع، و اقتحم المختار و أصحابه الكوفه.

السيد سعد صالح

مرت كلمه عنه فى الجزء الأول من المستدركات، و كتبناها يوم ذاك مما كان فى الذاكره من موافقه، و كنا نفتقر إلى الوثائق و المصادر التى كانت بعيده عنا يوم كتابه تلك الكلمه.

و قد وقع فى أيدينا بعد ذلك بعض ما كتبه عنه جعفر الخليلي مما نأخذه هنا، قال و هو يتحدث عن بدء ممارسته للمحاماه فى النجف.

عرف الناس فى سعد شخصيه ممتازه من حيث رعايتها للحقوق، و التزامها بواجب المحامى الذاب عن حقوق موكله بكل معنى الذب، و بدأت تحوط اسمه هاله من الإجلال و الاحترام، و كانت النجف قد شرعت تدب فيها الاختلافات فسعى إلى إزالتها و وفق بين النزاعات المختلفه، فإذا به بين ليله و ضحاها يصبح شخصيه لها شىء من الوجاهه. ثم بدأ يزيد نفوذه على مر الأيام و

يكبر فى العيون يوما بعد آخر.

وقد صار لسعد شان آخر فوق الشأن الذى أكسبته إياه المحاماه، و صا [صار] لأخذ رأيه من لدن رجال اللواء و القضاء قيمه فى المهمات و الطوارئ.

لقد عرفته صادقاً و هو يقدر الصدق و يفضله على جميع الصفات و عرفته جريئاً، و هو يعطى الجراه كل ما ينبغى أن تعطى لتكون جراً محموده.

و سعد شاعر و خطيب، و له شعر كثير أغلبه يصدر نزعاته الوطنيه و قليل منه فى النواحي الأخرى.

ص: ١٣٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و لقد رثى نفسه قبل أن يموت بأسبوعين بقصيده فى نحو ستين بيتا سماها (الأشباح) و لما كان لا يستطيع أن يمسك القلم بيده فقد كان ينظم الأبيات و يحفظها ثم يتلوها على من يحضر ليكتبها عنه. و هذه أبيات منها:

أ بوارق الآمال و الآلام لوحى لعلك تكسفين ظلامى

فلقد بدا شبح الهموم على الدجى ملكا ركاما قام فوق ركام

يوحى إلى نفس الكئيب كآبه خرساء تخلع مهجه الضرغام

متوسطا شبحين ذاك لمحنه الوطن الأسير و ذا لفرط سقام

فلعلتى شبح رهيب كالردى و لموطنى شبح جريح دام

و قال مداعبا صديقا له اسمه نافع:

أجهدت نفسك لاعبا لكن لعبك كان ضائع

و الضر طبعك دائما كذب الذى سماك نافع

و سعد زعيم من زعماء السياسة المحنكين دون أقل شبهه، و مقامه السياسى معروف لدى الجميع، و قد طغت السياسة عليه حتى لم يعد لمن يعرف سعدا عن كذب أن يتبين فيه شيئا غير السياسة، و هو رجل كان من القابليه و اللياقه بحيث يستشف كثيرا من الحوادث و يتكهن بكثير من العواقب قبل حدوثها، و له آراء جد صائبه، ينفرد بها بين مئات السياسيين فى هذا البلد، و يقدرها له الذين عالجوا المشاكل السياسيه عند ما خبروا بواطنها، فقد أوتى حظا كبيرا من الذكاء و الفطنه، و أن لاصابته الهدف و حسن قيامه بما يعهد به إلى نفسه فى أشد الأوقات حراجه الأثر الكامل الملموس. و لعل ذكاه كان أبرز خصله من خصاله الغريزيه.

و سعد حين يرسل الرأى السياسى يرسله مدعوما بالأدله التى لا تقبل التشكيك فهو يعتمد المنطق فى جميع تفكيره و من طريق المنطق يسعى للظفر.

و كم رأيته و هو متحمس لرأى، ثم لا يلبث أن يعود لينقضه من أساسه حين يبدو له رأى آخر سواء كان هذا الرأى له أو لغيره ممن يسمع به ما دام يلمس فيه الحجه الصائبه، لذلك كان سعد أبعد ما يكون عن العناد فى آرائه السياسيه، و كانت سلبيته فى القضايا الوطنيه منطقيه معقوله، و لعل لجرأه سعد أثرا كبيرا أيضا فى شخصيه لا تقل عن مواهبه و قابليه السياسيه و الأدبيه.

و صادق سعدا كثير من الرجال على اختلاف نزعاتهم من حزبين و غير حزبين، و بالإمكان القول أن كثيرا من أصدقائه قد صادفوه تحسسا بمنزلته و حبا بروحه و إعجابا برجاحه عقله و تعلقا بمبادئه القوميه العرييه.

و قلما زرته و لم أجد عددا منهم يخوضون و إياه مختلف الشئون كأنهم فى ناد لا يؤمونه إلا ليغذوا أنفسهم بما يطيب، و ما ينبغى أن تتغذى به النفوس الحره التى لا يقيدوها أى قيد و لا يمنعها مانع من أن تقول ما تحس به.

لقد كان سعد بارزا في حياته، و الذين برزوا و ماتوا كثيرين و لكن أمثال سعد كانوا أقل من القليل فهو نسيج وحده من حيث مواهبه الخاصه و من حيث وطنيته و توفر ملكات الزعامه السياسيه فى نفسه، تلك المواهب التى استدرت دموع أصدقائه و غير أصدقائه على حد سواء حزنا عليه و شعورا بالخساره الفادحه، فكانت فاجعه البلاد به عامه و راح و لم يكسب من دنياه غير هذا الشعور و هو كل ثروه الذين يعيشون للناس، و توفى قبل أوانه فى الوقت الذى أوشكت الزعامه الوطنيه و السياسيه أن تنحصر فيه. و مما يذكر فى سيره سعد صالح أنه عند ما كان متصرفا فى لواء المنتفك هدد الفيضان المنطقه بكارثه ماحقه و قد عمل هو بحكم منصبه على الحثول دون وقوع هذه الكارثه، و استطاع بما اتخذه من تدابير و ما بذله من جهود أن ينجح فى ذلك و نجت المنطقه من الكارثه الفيضانيه المدمره. فرأى فريق من أبناء بلده سوق الشيوخ أن يقدموا له هديه رمزيه هى عبارته عن قنطره فضيه ضمن إطار فيه صورته و تحت الصوره هذه الأبيات من نظم الشيخ محمد حسن حيدر أحد أفاضل سوق الشيوخ:

عليك (لواء) الحمد شكرا يرفرف لأنك فى دنيا العلى (متصرف)

بحزمك كافحت الحوادث و انجلى عن الشعب ليل بالكوارث مسدوف

وقفت أمام الخطب سدا ممنعا و ذا موقف أنى يحاكيه موقف

فله أيام عليك عصيبه تهدد آمالا لنا و تخوف

طغى الماء فيها و السدود ضعيفه و همه أرباب المزارع أضعف

فقاومته حتى تشنى عناته و كافحته حتى انتهى و هو أعجف

فيا سعد ما زالت خطاك سديده و ما زالت الآمال باسمك تهتف

بك الزرع لاقى من يرق لحاله و لم يرقبلا من يرق و يعطف

إلى (سوق الشيوخ) مكرما جهادك فى رمز عن الحب يكسف

يفدمه ذكرى لموقفك الذى سيبقى مدى الأجيال و هو مشرف

سعيد حيدر.

إشارة

ولد فى بعلبك و تلقى دراسته الثانويه فى دمشق، و تخرج من معهد الحقوق فى استنبول، و كان خلال دراسته فيها من بين الشبان العرب الذين أدركوا نوايا الأتراك الطورانيين فى سيطره العنصر التركى سيطره كامله على الدوله العثمانيه و السعى فى تترك العرب بكل وسيله، و قد باشروا ذلك فعلا، و أخذوا يمهدون لتطبيق خططهم تمهيدا عمليا. لذلك انضم المترجم إلى أخوانه الشبان العرب العاملين على مقاومه الطورانيين و إنقاذ البلاد العربيه من شرهم، فكان عنصرا فعلا فى التكتلات العربيه

الثوريه المتالبه فى استنبول.

و لما أنهى دراسته و عاد إلى بلاده عين فى سلك القضاء، ثم لم تلبث الحرب العالميه الأولى أن أعلنت، ثم حلت الهزيمه بالدوله العثمانيه، و احتل الفرنسيون الساحل السورى اللبناى، و الإنكليز فلسطين، و بقى بيد العرب القسم الداخلى من سوريه، و هو ما اصطلح على تسميته بالمدن الأربع:

(دمشق و حلب و حمص و حماه و ما يتبعها).

ثم تجلت نوايا الفرنسيين فى السيطرة على هذا القطاع الذى بقى وحده مستقلا استقلالاً تاماً، و كان أن تكتل الاستقاليون العرب فى دمشق يخططون لدفع شر الفرنسيين عن بلاد الشام، فكان سعيد حيدر فى الطليعه من هؤلاء عاملاً نشيطاً.

ثم كان ما كان من احتلال الفرنسيين لدمشق بعد معركة ميسلون و قضائهم على الاستقلال العربى الناشئ، فكان سعيد حيدر ممن اضطروا للتزوح عن البلاد مع من نزع من القاده الذين كان الفرنسيون قد حكموا عليهم باحكام غيايبه قاسيه بينها الاعدام و هو ما حكم به المترجم.

و بعد أن استقر الفرنسيون فى سوريه بدءوا بتقليص هذه الأحكام و إسقاطها تدريجياً عن المحكومين و أخذ هؤلاء يعودون واحداً بعد واحد،

ص: ١٤٠

و كان بين العائدين سعيد حيدر.

وقصه سعيد حيدر هي قصه القضية العرييه منذ انبثاق هذه القضية و تبلورها بعد سنه ١٩٠٨، سنه إعلان الدستور العثماني، و استيلاء حزب (الاتحاد و الترقى) على السلطه و فوران الدعوه الطورانيه المبنيه على سياده العنصر التركي، و العمل على تتركيب العرب. و لا بد لنا قبل التوغل في هذا الموضوع من عرض إجمالي لموقف العرب من الحكم التركي الذي سمي عثمانيا و امتد طيله ٤٠٠ عام

المسأله القوميه

و قبل ذلك فاننا ننشر دراسه للدكتور وجيه كوثراني هي بحث شامل عن الصراع بين الفكر القومي الذي نما في تلك الفتره التي نتحدث عنها، و بين التوجه الإسلامي الذي ظل متمسكا به من يرون في الفكر القومي تناقضا مع توجههم.

قال الدكتور كوثراني:

برز الاشكال القومي في العصر الحديث(١) و لا سيما في القسم الواسع من العالم الإسلامي المرتبط آنذاك بالسلطنه العثمانيه، في سياق تفاعل أزمه السلطنه أمام ضغط بنيتها الداخليه الآخذة بالتفكك و أمام تعثر مشاريع الإصلاح الادارى و السياسى فيها و أمام ضغط التدخلات الأجنبيه الهادفه إلى إحداث مزيد من الخلل و التفكيك في بنيه الاجتماع الإسلامي و وحده دولته الأساسيه. و كان اتجاه التريك و العثمنه و هو أحد الاتجاهات الايديولوجيه - السياسيه التي حاولت أن تتصدى لاجتراح حلول لتلك الأزمه قد استطاع عبر انقلابى و ١٩٠٩ أن يهيمن على السياسه العثمانيه و أن يوجهها في مسار استحداث دوله مركزيه عثمانيه مرتكزه إلى غلبه القوميه التركي في اجهزه الدوله و مراكز القرار السياسى و الاقتصادى و الثقافى.

و كان من نتائج انتصار هذا الاتجاه و غلبته في أجهزه الدوله و مؤسساتها أن استنفرت القوميات المبعده عن مراكز القرار و الممتهنه في لغتها و ثقافتها و دورها الفكرى و الحضارى. و كان الاصلاحيون العرب الذين وقفوا إلى جانب الانقلابيين الأتراك في مواجهه الاستبداد الفردى و من أجل تطبيق الدستور في طليعه المبعدين. و كانت اللغه العرييه التي هي لغه القرآن الكريم و لغه الشريعه و الحضاره الإسلاميه معا هدفا للتجريح و الامتهان و التشويه. فجاء الوعى القومى العربى في حينه و في جزء كبير من استجابته لهذا التحدى و عيا لهذا الاشكال الداخلى الذي عبر عنه آنذاك بازمه العلاقات بين العرب و الترك. و في هذا الجانب بالذات حمل الوعى العربى مضمونا إسلاميا يتجلى في دفاع بعض المفكرين العرب عن اللغه العرييه بصفتها لغه للشريعه و عن ضروره وحده العرب و الترك و بقائهم في دوله واحده بسبب الحرص على الارتباط بالإسلام و الحفاظ على ما تبقى من دولته. و مع ذلك فإنه لا بد من ذكر جوانب أخرى اندمجت في هذا الاشكال القومى و أعطته طابعا انفصاليا عن الدوله العثمانيه أو طابعا معاديا للإسلام. من هذه الجوانب:

- تقاطع الدعوات الانفصاليه مع مشاريع التقسيم الاستعماريه التي حملتها سياسات الدول الكبرى آنذاك.

- اندماج بعض الداعين للاستقلال عن الدوله العثمانيه باسم العروبه في سياسات السفارات و القنصليات و الوزارات الأجنبيه. و كان من بين هؤلاء أعضاء بارزون في الجمعيات السياسيه العرييه و في المؤتمر العربى الأول (١٩١٣).

- جاذبيه الفكر الليبرالى القومى الغربى للنخب المحليه فى وقت رزح فيه العالم الإسلامى تحت نير حكومات استبداديه تسترت بالإسلام و قدمت نفسها "حاميه للدين".

هذه الجوانب شكلت فى لحظه انتصار الغرب الاستعمارى فى الحرب العالميه الأولى العوامل المرافقه لعملية تقرير المصير للعديد من مناطق العالم الإسلامى.

و لذلك التبس أمر هذا التيار القومى و بدا عاملا مساعدا فى التجزئه و التفكيك حين ذاك.

و الواقع أنه إذا كانت هذه الصوره صحيحه إلى حد كبير آنذاك، فان دعوه العروبه لم تلبث أن اكتسبت بعد الحرب العالميه الأولى - و لا سيما فى المشرق العربى - بعدا و حدودا معاديا لسياسه التجزئه الاقليميه و الطائفيه و المذهبيه التى سارت عليها السياسات الغربيه منذ ذلك الحين و حتى آخر المرحله الناصريه، و لم تنفصل العروبه على المستوى الشعبى و الجماهيرى عن بعدها الإسلامى آنذاك.

السؤال كيف واجهت التيارات الإسلاميه المعاصره هذا الاشكال القومى فى عهديه العثمانى و الغربى؟ لقد تشكل فى سياق تفاقم أزمه السلطنه العثمانيه فى أواخر القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين، تيار فكرى إسلامى نجد فى مواقف أعلامه و نصوص كتابه أجوبه إسلاميه واضحه على هذا الاشكال. منذ صدور "العروه الوثقى" بقلمى جمال الدين الأفغانى و محمد عبده إلى كتابه عبد الرحمن الكواكبي طبائع الاستبداد.

و أمام هذا الاشكال المزدوج للحاله القوميه المعاشه فى مطلع القرن العشرين كان التيار الإسلامى المعبر عنه عبر المفكرين و الفقهاء الذين أشرنا لهم يقدم إجابات واضحه عن السؤال: كيف نتجنب استخدام الوعى القومى اداه للتجزئه و مطيه لشيوع الأفكار المعاديه للإسلام؟ و كيف يمكن للحاله القوميه أن تندرج فى وعى إسلامى أشمل و أكمل؟ لقد تطرق جمال الدين الأفغانى إلى هذه المسأله فى العديد من مقالاته و خاطراته. و هو إذ يجعل من الرابطة الإسلاميه الرابطة الأشمل و الاسمى و الأعدل و الأقدس، لا يغفل أهميه رابطة الجنس (و يعنى بها الرابطة القوميه) فى مسار التشكل التاريخى للشعوب و الأمم. و لكنه - مع ذلك - لا يعتبرها مندرجه فى حقائق "الوجدانيات الطبيعيه"، بل من "الملكات العارضه على الأنفس ترسمها على ألواحها الضرورات". و الضرورات(2) هذه تكمن فى وحده

ص: ١٤١

١- يقتصر كلامنا هنا على بروز الاشكال القومى فى التاريخ الإسلامى المعاصر و لا- سيما فى المناطق التى كانت اجزاء من ولايات الدوله العثمانيه. و لا يعنى ذلك أن هذا الاشكال لم يكن موجودا فى المراحل الأولى من التاريخ الإسلامى. بل أن ما يميز الاشكال القومى الحديث هو فى تمثله و عيا سياسيا هادفا إلى إنشاء دوله قوميه محدده على أساس الانتماء الاثنى أو العرقى و على أساس الحدود الجغرافيه - السياسيه الثابته. فى حين أن الاشكال القومى فى مراحل التاريخ الإسلامى القديم اقتصر على بروز عصبيات قوميه تتصارع من أجل احتلال مواقع فى الدوله القائمه أو إقامه دوله حادثه. و لا يتحدد نطاق الدوله وفقا للانتماء الاثنى أو القومى لأهل الدوله أو عصبيتها.

٢- جمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة، تحقيق محمد عماره، ص ٣٤-٣٥.

المصالح الاقتصادية لجماعه أو فى الدفاع الذاتى و صيانه الحقوق... "فإذا زالت الضروره لهذا النوع من العصبية تبع هو الضروره فى الزوال كما تبعها فى الحدوث بلا ريب" (١). و المزيل لهذه الضروره هو معتقد التوحيد الالهى فى الإسلام.

يقول: " و تبطل الضروره بالاعتماد على حاكم تتصاغر لديه القوى و تتضاءل لعظمته القدره، و تخضع لسلطته النفوس بالطبع، و تكون بالنسبه إليه متساويه الأقدام، و هو مبدأ الكل و قهار السموات و الأرض " (٢).

و إن التدرج فى سلم التوحيد و على أساس المبدأ الوظيفى للروابط الصغرى التى تتسع فى حقولها التوحيدىه إلى وحده العالمين - وفقا للمفهوم القرآنى للدعوه الإسلاميه - يستوعب هنا رابطه العروبه كحامله دعوه و لسان شريعته و لغه قرآن، لا كرابطه دم و عصبية نسب.

يقول: " أن زحف العرب و وفودهم على البلاد إنما كان لتعميم الدعوه الدينيه أولا " .إن وفود العرب حملت معها أخلاقا فاضله ظهرت أفضليتها باجلى المظاهر مثل الأنفه من الكذب، و الوفاء بالعهد، و مطلق العدل، و كمال الحريه و المساواه... و إغاثه الملهوف و الكرم و الشجاعه... لذلك انعطفت قلوب الأمم على استحسان الوافدين من العرب لبلادهم سواء فيه البلاد التى فتحت عنوه و وضعت فيها الحرب أوزارها، أو صلحا، و أول مقدمات العاده الاستحسان ثم المزاوله حتى ترسخ ملكه...

" نعم أن أكبر حامل و افعال عامل على تعرب أولئك الأقوام هو الفضائل الأخلاقية و الصفات العاليه التى كانت تأتى بها العرب مع بأسهم و شجاعه أبطالهم " (٣).

تلك هى العروبه المقترنه بالرساله و بالأخلاق و الشجاعه و التى يراها جمال الدين حلقه ممهده للرابطه الإسلاميه غير متعارضه معها أو معيقه لها. و هو بذلك يدعو الأقوام الإسلاميه الأخرى إلى تعلم العريه لتعميق إسلامها و ترسيخه. يقول: " أن لكل دين لسانا و لسان دين الإسلام العربى ".

فالعروبه بهذا المعنى تشد العرب إلى غيرهم من الشعوب الإسلاميه و تشد الشعوب الإسلاميه غير العربيه إلى العرب. أنها حلقه جذب لا حلقه تناوب (٤) و فى المرحله التى كتب فيها الأفغانى هذه الكلمات و المخاطرات كان الخطر الاستعمارى يهدد الشعوب الإسلاميه بأسرها كما يهددها اليوم، و كان المستهدف فى عمليه المواجهه على الجبهه الثقافيه و على مستوى الاجتماع السياسى فى الشرق هو الإسلام بما هو إمكانيه جمع و توحيد و تفجير طاقه ثوريه للشعوب. فإذا اقترن الإسلام فى هذا السياق بوطنيات هذه الشعوب و قومياتها فى مواجهتها لقوى الاحتلال و الاستعمار فإنه يتوج بذلك الروابط الجمعيه على اختلافها و أوليات الدفاع الاجتماعى الذاتى فى حركه جديله تصاعديه ترقى بالرابطه إلى الأعلى و الاسمى و الأشمل.

و الأفغانى وفقا لهذا المفهوم الإسلامى يقيم خطأ للتمييز بين هذا النوع من القوميات أو الوطنيات التى يستوعبها الإسلام و بين النوع الغربى من القوميات التى تتصارع و تتقاتل من أجل التوسع و السيطرة و التى تتناقض مع الدين وفقا لنسق التجربه التاريخيه الأوروبيه التى أفرزت العلمانيه كصيغه حل للصراع بين اللاهوتى و الدنيوى، بين الكهنوتى و المدنى، بين الدين و العلم. و هذا ما يبرز فى رد الأفغانى على ارنست رينان الذى اتهم الإسلام بمناهضته للعلم، و الأمة العربيه بعدم صلاحية طبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعه و الفلسفه (٥). و فى السجال بين المفكرين يبرز بوضوح اختلاف المفهومين اللذين يتناولان معنى " الأمة ".

فثمه مفهوم غربى مشحون بعقدته التفوق و التمييز و التصنيف العرقى - عند رينان - و ثمه مفهوم إسلامى مرن و منفتح و متدرج و متداخل (عند الأفغانى).

و فى مجال الممارسه السياسيه كان الأفغانى نموذجاً فعالاً فى تأكيد مصداقيه هذا الفكر. و من يتابع نشاطه السياسى و الدعوى فى العالم الإسلامى يندهش لتلك القدره الخارقه على الحركه و التأثير و المتابعه التفصيليه لأحداث كل بلد و صياغه الموقف المناسب من كل وضعيه و القدره على الانتقال السريع من قطر إلى قطر.

و الأمر الذى يستوقف فى كل هذا رؤيته الاستراتيجيه الإسلاميه الشامله التى يتكامل فيها الحس التاريخى مع الوعى السياسى و التى تتجلى فى تركيزه على دوائر ثلاث كانت قد انطلقت منها مشاريع الدول المركزيه فى التاريخ الإسلامى و من خلالها يتم رصد احتمالات المواجهه مع الغرب. و هذه الدوائر هى: مصر، و إيران و مركز السلطنه العثمانيه (تركيا).

و يتكامل هذا التيار الفكرى الإسلامى فى أدراجه الأشكال القومى داخل المنطق الإسلامى فى نظريه الكواكبي فى الجامعه الإسلاميه. فإذا كان الأفغانى قد اقترح أن تبقى السلطنه العثمانيه فى قلب هذه الجامعه و إطارها فان الكواكبي يقترح أن تنتقل الخلافه إلى إمام عربى قرشى (٤) و أن تتشكل جامعته إسلاميه يتصور مؤتمرها التحضيرى فى "أم القرى"، كما يتصور توزيع وظائفها وفقاً لأهليات و خصال الأقسام المسلمين. إذ يقترح الكواكبي وظائف معينه فى الجامعه الإسلاميه تناط بكل شعب من شعوبها.

(٧) و إذا كان التصور هذا، يشكو من طوباويته على صعيد الواقع السياسى فإنه على الأقل و على صعيد المنهج يدعو إلى اعتماد نظره وظائفيه فى التعامل مع خصوصيات الأقسام الإسلاميه، نظره تهدف إلى تحقيق نوع من التوازن فى وحده الجامعه الإسلاميه حيث لا تطغى عصبية على عصبية و إن تسترت بالإسلام "كصبغه دينيه" كما كان يقول ابن خلدون.

و سترداد معناه هذا التيار الإسلامى فى مواجهته لحل هذا الاشكال القومى مع تفاقم أزمه الدوله العثمانيه و تحولها التدريجى إلى دوله قوميه تركيه.

فهو يراهن على احتمال الإصلاح الدستورى كصيغه متلائمه مع الشورى فى الإسلام و لا- يلبث أن تصدمه حركه التتريك و سياسه جمال باشا الدمويه فيراهن على احتمال لإحياء الإسلام من الحجاز ثم تحبطه اتفاقيه سايكس - بيكو و وعد بلفور.. و يعود ليتوجه بالأنظار إلى تركيا و بالتحديد إلى حركه مصطفى كمال فيتوسم فى هذا الأخير أملاً فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه. و يدفعه الأمل بان يتصل بالترك لتريميم العلاقات العربيه - التركيه و حتى لاقتراح أن تبقى الخلافه فيهم، بل و حتى أن يعود مصطفى كمال إلى الإسلام ليبيع سلطانا على المسلمين.٦.

ص: ١٤٢

١- المصدر نفسه، ص ٣٤.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٤.

٣- المصدر نفسه، ص ٣١٦.

٤- يقول مرتضى مطهري أن الفرس " لم يكونوا يعدون العرييه لغة العرب فحسب بل لغة الإسلام و المسلمين عامه " فهى "لغة إسلاميه أمميه عالميه". الإسلام و إيران، ص ٦٦.

٥- الأعمال الكامله ص ٣٢٢.

٦- ينطلق بعض الباحثين من هذا الاقتراح ليرى فى الكواكبي داعيه للقوميه العرييه على طريقه نجيب عازورى فى دعوته عام ١٩٠٥. و فى هذا التأويل بعد عن الحقيقه التاريخيه و تشويه لآراء الكواكبي.

٧- الكواكبي، أم القرى، ص ٣٥٥-٣٦٦.

غير أن مصطفى كمال كان يرسم طريقا مغايرا لكل هذه الرهانات. و لن تلبث معاهده لوزان أن تقطع الطريق على كل هذه الاحتمالات لفتح طريقا واحدا أمام تركيا هي طريق القومية العلمانية. و بذلك يتلقى التيار الإسلامى فى بلاد العرب كما فى غيرها من البلدان الإسلاميه ضربه قاسيه و يصاب الفكر الإسلامى حينها بحاله من القلق و التساؤل و التردد بالرغم من "مؤتمرات الخلافه" التى عقدت و التى انتهت بتأجيل البت بمساله الخلافه. كما تشهد الساحات السياسيه تحركات مشبوهه من السلاطين و الملوك و من الدوائر الدبلوماسيه الغريبه لتتطف ثمار هذا الفراغ السياسى.

ثم أن ما ينبغى التنبه له هو أن العامل الحاسم فى إضعاف التيار الإسلامى لم ينحصر فى قرار إلغاء الخلافه الذى اتخذه مصطفى كمال. ذلك أن المؤسس السلطانيه كانت قد أضحت عمليا بلا حول و لا طول و كانت قد فقدت شرعيتها الإسلاميه بعد عجزها عن المقاومه و استسلامها للأجانب و قبولها بمشاريعهم.

إن ما يغفل عنه الباحثون هو أن سلسله من الثورات الشعبيه التى ارتكزت إلى منطلقات إيمانيه و إسلاميه كانت قد ضربت بوحشيه بالآله العسكريه الأوروبيه المتطورة: فمن ثوره عبد الكريم الخطابى إلى ثوره عمر المختار، إلى الانتفاضه الشعبيه المدينه فى مصر، إلى ثوره العراق بقياده علماء النجف، إلى الثوره السوريه الكبرى... ارتسمت معالم مقاومه إسلاميه مفرقه و موزعه، و لكن يجمعها المنطلق الإسلامى الواحد (الجهاد) و الحافز الوطنى الأهلى (الدفاع عن الديار و الأهل)، و العدو المشترك (المشروع الاستعمارى و ان تلونت اقطاره و قومياته).

إن انتصار القوى المستعمره على هذه الثورات بالأسلوب الوحشى الذى تحدث عنه و نائق التاريخ و تحمله الذاكره الشعبيه أفسح المجال أمام منهج فى العمل السياسى النخبوى كانت قدوته بشكل عام و بدرجات متفاوتة: صوره نظام آتاتورك فى تركيا.

و هكذا و مع ضرب تعبيرات المقاومه فى المجتمعات الإسلاميه و بروز نموذج آتاتورك بدأت تتشكل تيارات سياسيه قوميه علمانيه تبتعد عن الإسلام، بل و قد يعزو بعض أجنحتها و مفكريها إلى الإسلام أسباب الهزيمة و التأخر.

هذا الطرح كان من شأنه أن يزيد من عقده الاشكال القومى و ذلك من خلال تعميق الفجوه بين الموقف الإسلامى و الصيغه القوميه المقتبسه من تجارب أوروبا و منظرها.

و هكذا ارتسمت صوره للقوميه منفصله عن الإسلام لا سيما فى بلاد الشام حيث كانت التجربه مع التتريك العثمانى قاسيه و حيث اتسم المجتمع الأهلى بتعدد دينيه استدعت استخدام خطاب سياسى يتحدث عن وحده وطنيه لا دينيه.

و لكن هذا الاشكال نفسه لم يكن ليطرح خارج هذه الخصوصيه الجغرافيه - التاريخيه.

فى شمالى إفريقيا اندمج الوعى القومى بالإسلام بل ارتكز إليه. و لم تكن الدوله العثمانيه و لا سيما فى مرحله التتريك فيها و قد تركت هناك ذكرى الحصار و المجاعه أو التجنيد الالزامى و أعواد المشانق كما حصل فى كل من دمشق و بيروت، بل كانت ذكراها هي ذكرى الدوله الإسلاميه التى تحاول أن تدافع عن ثغور الجنوب الإسلامى للمتوسط و كانت هذه الذكرى محفوظه فى "الذاكره الشعبيه" و الكتاب التاريخى منذ القرن السادس عشر. و هكذا لم تجد التيارات الإسلاميه نفسها فى شمالى إفريقيا فى مواجهه مع القوميه. بل أن التعبير الإسلامى كان أحيانا جزءا من التعبير القومى، و فى الغالب كان التعبيران مندمجين

فى حاله سياسيه و ثقافيه واحده هى حاله التمايز عن المستعمر و حاله الدفاع عن هويات وطنيه و ثقافيه معا. و هو الأمر الذى كان قد لاحظته (فانون) بشكل واضح و لا سيما فى دراسته لثوره الجزائر.

و الذى يستعرض التيارات الفكرية الإسلامية عبر نصوصها و أعلامها فى شمالى إفريقيا (أمثال ابن باديس و حسن البنا) لا يجد مكانا للاشكال القومى كاشكال مثير للتعارض أو الرفض من موقع المعتقد الإسلامى. إذ تجرى مصطلحات الوطن و الوطنيه و الوحده العربيه و الوحده الإسلاميه كمفاهيم متدرجه فى إطار التكاملية الوظائفيه المؤديه إلى التوحيد.(١)

إذن كيف و متى و أين كانت تثار الإشكالات بصيغه التعارض بين حالات الوعى الإسلامى و حالات الوعى القومى؟ قلنا أن التعارض كان يحصل عند ما كان الوعى القومى يعبر عن نفسه عبر بعض النخب المحليه المتغربه تماثلا- فكريا و منهجا مع العقائد القوميه الأوروبيه التى اتخذت لنفسها و لأممها صفه التفوق و الاستثثار و حملت معها مشاريع للتوسع و السيطرة كما حملت معها فلسفه سلوكيه معاديه للدين أو مهشمه له.

هذا على صعيد المنهج. و لكن يبقى أن نشير إلى عوامل أخرى ارتبطت بخصائص جغرافيه سكانيه تاريخيه فى مناطق معينه من العالم الإسلامى.

فكما أن لبلاد الشام مثلا وضعيه سكانيه معينه و تجربه تاريخيه خاصه مع مرحله المركزيه و التتريك، فان لايران و الهند (و لا سيما فى قطاعها الباكستانى) تجربه تاريخيه معينه فى حقل العلاقه بين القوميه و الإسلام.(٢)

و هذه تجربه اتسمت فى قطاعات منها بمعاداه حاده بين الفكر القومى و الفكر الإسلامى.

فهذا هو أبو الأعلى المودودى يعتبر الفكر القومى "فكرا شيطانيا" ابتليت به أوروبا و النخب المحليه المقلده لها.(٣). و المودودى فى هذا الموقف الصارم لا يعبر فحسب عن معيار منهجى و عقائدى فى التمييز بين الفكر القومى الأوروبى التجزيئى و بين الفكر الإسلامى التوحيدى، بل أنه يعبر أيضا فى المجال السياسى و الوجهه الواقعيه العمليه عن الاحتمال التاريخى التجزيئى و الانشاقى للوجهه الوظيفيه للقوميات المحليه فى الهند و الباكستان.(٤)

و لعل هذه الوجهه التفسيريه لوظيفه القوميه هناك هى ما استوقفت مفكرا إسلاميا هو كليم صديقى و دفعته أن يعمم النظره المعاديه للقوميه فى كل مستويات الطرح دون اعتبار للخصوصيات الاقليميه فى التجارب التاريخيه. فهو يجعل من القوميه على طول الخط صنيعه للاستعمار و أداه لسياسات التفسير فى الأمه الإسلاميه.(٥)٤.

ص: ١٤٣

١- راجع وثيقه لحسن البنا حول الموقف من الوحده العربيه و الوحده الإسلاميه فى مجله الحوار، صيف ١٩٨٦، ص ١٦٨-١٦٩.

٢- راجع مقاله: طارق البشرى، بين الإسلام و العروبه، الحوار، صيف ١٩٨٦، ص ١٥-٣٢.

٣- أبو الأعلى المودودى، نحن و الحضاره الغربيه، ص ٧٧

٤- انظر: طارق البشرى، بين الإسلام و العروبه، مجله الحوار، صيف ١٩٨٦، ص ٢١-٢٢.

٥- قارن كللم صديقى؁ التوحيد و التفسيف بين سياسات الإسلام و الكفر. المعهد الإسلامى - لندن. ١٩٨٤؁ ص ٢٧-٣٤.

و إذا كان هذا الأمر صحيحا بالنسبة لتيار الرابطة الإسلاميه فى الهند البريطانيه الذى تزعمه محمد على جناح و الذى أدى إلى انفصال باكستان فان هذه التجربه الباكستانيه (و إن حملت عنوان الإسلام شكلا و القوميه مضمونا) لا يمكن تعميمها على البلاد العربيه. فالرابطة العربيه هنا و التى يعبر أحيانا عنها بالعروب و أحيانا أخرى بالقوميه العربيه (دون استدعاء المعانى الغربيه لها) هى دعوه لرابطه توحيد ورد على سياسه التفسير و التجزئه التى استخدمها المستعمرون منذ الحرب العالميه الأولى و حتى الآن و كرسوها كأمر واقع مفروض أو كمشاريع تذهب نحو مزيد من التجزى و التفكيك كما نلاحظ الآن على الساحة اللبنانيه. (١)

و فى إيران و تركيا كان التيار الإسلامى يواجه الفكر القومى الأخرى انطلاقا من الاختلاف فى تعيين مرجعيه الأفكار و تعيين أصولها و مصادر استلهامها.

فالفكر القومى الأخرى ارتبط بمرجعتين متعارضتين مع العمل الإسلامى. فهو من جهه يتماهى مع الحضاره الآريه التى تستحضر فى الصوره التاريخيه زمنا تركيا أو إيرانيا ساد فى مرحله ما قبل الإسلام، و هو من جهه أخرى ينجذب نحو تقليد أنموذج حضارى غربى حديث ساد فى مرحله السيطره الاستعماريه على الشعوب الإسلاميه. و كان أهم هذين النموذجين: نظام الشاه فى إيران، و نظام آتاتورك فى تركيا.

و لذلك كان من الطبيعى أن يتخذ العمل الإسلامى فى كل من إيران و تركيا وجهه معاديه للفكر القومى باعتباره فكرا أوروبا و آريا معاديا للإسلام.

يقول مرتضى المطهرى، أحد كبار مفكرى الثوره الإسلاميه فى إيران معبرا عن إشكاليه الموقف الإسلامى الايرانى فى التصور القومى هناك: "إذا تقرر أن يكون الأساس فى تعيين حدود الأمه الإيرانيه هو العنصر الأخرى، كانت النتيجة فى نهايه الشوط الاقتراب من العالم الغربى. و كان لهذا الاقتراب فى سيرتنا القوميه و السياسيه تبعات و آثار اخطرها الانقطاع عن الأمم المسلمه المجاوره غير الآريه و الارتباط بأوروبا و الغرب... و على العكس من ذلك تماما فيما إذا جعلنا ملاك أمتنا نظامنا الفكرى و السلوكى و الاجتماعى لهذه القرون الأربعه عشر الأخيره، إذ يكون لنا آنذاك سيره و تكاليف أخرى مغايره لما سبق - و يصبح حين ذاك العرب و الترك و الهند و الأندونيسيون و الصينيون المسلمون بالنسبه إلينا أصدقاء بل أقرباء". (٢)

و يمكن أن نخلص إلى القول أن الوعى القومى المتشكل لدى الأقوام الإسلاميه غير العربيه بدءا من تركيا إلى الهند مرورا بإيران كان يتخذ صيغا فكريه و سياسيه معاديه للإسلام أو بعيده عنه. كان ذلك شأن الحاله الفارسيه الآريه و الحاله الطورانيه التركيه، أو حتى شأن الحاله الانفصاليه الباكستانيه التى حصرت الإسلام فى مفهوم سوسولوجى - إقليمى فبدت انشقاقيه و بعيده عن المفهوم الوحده الإسلامى للدعوه.

و من هنا فان تمايز هذه الحالات ليدعو إلى التمييز أيضا فى الحالات العربيه.

إن الحالتين الطورانيه التركيه و الفارسيه الآريه تتشابهان على المستوى العربى مع الحالات الاقليميه العربيه كالحاله المصريه - الفرعونييه، و الحاله اللبنانيه - الفينيقيه و الحاله السوريه - الآشوريه مع اختلاف العمق فى التمثيل و اختلاف أهميه كل من هذه الحضارات فى التاريخ.

أما فيما يخص حاله العروبه "و إذا استثنينا التعبيرات الجزئية القومية التي سعت إلى الابتعاد عن الإسلام في بعض المناطق ولدى بعض النخب) فان العروبه كانت مندمجه دائما في الإسلام - بل كانت هي حضور الإسلام المتجدد في اللسان و القرآن و التراث. و من هنا فان التيارات الإسلاميه العربيه المعاصره لا تجد في العروبه المسلمه خصما. ذلك أن العروبيين إذا ما انفصلوا عن الإسلام لن يجدوا في انفصالهم مبررا أو مرجعا إلا عودتهم إلى عروبه جاهليه قبله أو تماهيمهم مع أنموذج قومي عنصري يستلهمون منهجه من نظريات أوروبية درست.

إن المعركه التي تفتعل اليوم بين العروبه و الإسلام أو بالأحرى بين التيارات القومية و بين التيارات الإسلاميه في بلاد العرب إنما تعود إلى التباسات في الفهم النظرى و إلى أخطاء في استراتيجيات العمل السياسى و خططه.

- التباسات تعود إلى أن أنظمه دعت نفسها إسلاميه، استتبعت إلى الغرب و كانت جزءا من استراتيجيته في مواجهه حركات التحرر الوطنى تحت غطاء محاربه الشيوعيه، و إلى أن أنظمه دعت نفسها قومية و كانت قطريه في توجهها و استبداديه في علاقتها بجماهيرها و عاجزه عن خوض المعركه القوميه التي ادعت القيام باعبائها.

- و أخطاء في استراتيجيات العمل السياسى تعود إلى ردود فعل متسرعه يلجا إليها كل طرف و قد يخترقها العدو أو يوظفها باتجاه الدفع بالصراع نحو مزيد من التفكيك و التجزى.

و هكذا و بسبب الالتباس و الخطا و الفعل ورد الفعل تقوم تيارات قومية و إسلاميه بتبادل التهم و تحميل وزر الخطا إلى بعضها البعض. فيحمل الإسلام وزر أخطاء قوى اجتماعيه سياسيه في مرحله تاريخيه ماضيه، و تحمل العروبه وزر أخطاء نظام سياسى معين و قوى سياسيه عربيه معينه.

و هكذا أيضا تتعمق المفارقة الحاده بين الفكر الوجدوى الذى يرفده الإسلام و العروبه معا و بين العمل السياسى الحزبى بشقيه الإسلامى و القومى. فالحزبيه سواء كانت قومية أو إسلاميه توظف الفكر فى مشاريعها التكتيكيه السياسيه و السلطويه الخاصه. فان اختلفت هذه المشاريع أخضع الفكر للاختلاف و الانشقاق و التجزى. و يبقى مع ذلك للفكر و الوجدوى الذى يستلهم التوازن و العدل من المفهوم القرآنى "لأئمه الوسط" حيز من الاستقلاله الذى يمتنع عن الإخضاع لمنطق العمل الحزبى و السلطوى.

و لنا من جمال الدين الأفغانى عبره فى القدره على تجاوز الاختلاف فى الانتماءات القوميه فى العالم الإسلامى. فلم ينحصر تأثير جمال الدين الفكرى فى نطاق قومى معين. لقد أثر فى العرب بقدر ما أثر فى الايرانيين و الأتراك و الأفغان و غيرهم. و قد قيل "إن جمال الدين لم يكن يرغب فى أن يعرف نفسه إلى الناس منتميا إلى أمه معينه من المسلمين، مخافه أن يعطى بذلك حجه بيد المستعمرين".

التي يعممها كليم صديقي في مؤتمراته الخاصه في لندن.

٢- مرتضى المطهري، الإسلام و إيران، ص ٢٢ و هنا لا بد من الاستدراك أن ثمة تعبيرات قومية - إسلاميه إيرانيه موجوده على الساحة الإيرانيه لا ترى تناقضا بين الإيرانيه و الإسلاميه. و لا نكون بعيدين عن الواقع إذا قلنا أن التيار الإسلامى نفسه فى إيران ملئ بالتعبيرات القوميه الإ-إيرانيه. كالأصرار مثلا- على وصف بعض المعالم الجغرافيه - التاريخيه بالفارسيه، و كالأعتزاز بدور الايرانيين فى خدمه الإسلام. و كتاب الشهيد مرتضى مطهري (الإسلام و ايران)، يظهر جهدا علميا كبيرا لاثبات هذه الفرضيه اثباتا يدفع بالمؤلف للحديث "بان الأمه الإيرانيه قدمت خدمات للإسلام أكثر من أيه أمه أخرى و أن الحضاره الإيرانيه القديمه و العريقه قدمت للحضاره الإسلاميه الحديثه خدمه كبرى". الإسلام و إيران، ص ٢٥٧.

كى يثيروا بذلك شعور سائر القوميات المسلمه ضده "(1).

هذا التوجه الوجودى فى التعامل مع قوميات العالم الإسلامى يملك دلالات كبرى على امكانيات الفكر الإسلامى فى أن يمارس تأثيرا إيجابيا و توحيدا إذا استطاع أن يفلت من فخاخ التوظيف السياسى للأحزاب و العصبيات و شباك السلاطين و الملوكة و الحكومات و الدول. و لعل علاقه جمال الدين بالسلطان عبد الحميد تعبر عن المأزق الكامن بين الفكر و السلطه و عن عمق المعاناه عند ما يطمح المفكر أن يكون مرشدا للسياسى لا خادما له. (انتهى بحث الدكتور كوثرانى).

و نعود بعد هذا إلى التساؤل عن سبب سكوت العرب عن الحكم العثمانى:

لما ذا سكت العرب

؟ إن سكوت العرب على الحكم العثمانى طيله أربعة قرون هو موضع تساؤلات عديده طرحها الباحثون فى مختلف المناسبات، و فى هذا الموضوع نقول:

لما ذا سكت العرب طوال أربعة قرون على الحكم التركى الذى تستر باسم العثمانىه ليعبد عن نفسه تهمة العنصرىه؟.

لما ذا سكت العرب هذا السكوت الطويل و لم يتكلموا إلا قبيل زوال الدوله العثمانىه، فتهامسوا أولا، ثم بدأت الأصوات ترتفع قليلا- قليلا- حتى تحولت إلى الجهر، جهرا لا- باللسان بل بالسنان، جهرا يتلظى بنيران البنادق و لهيب المدافع، و أين هذا الجهر المدوى من ذاك الصمت المطبق؟ و كل ما قيل من تعليل ذلك هو إما اتهام للعرب بأنهم استكانوا للأجنبى الفاتح لمجرد كونه مسلما مشاركا لهم فى الدين. و إما دفاع هو فى حقيقته إقرار لهذا الاتهام.

و نحن نحاول فى هذه الكلمات أن نرى أين هى الحقيقه. و لا نزعم أننا جننا بالقول الفصل، بل نزعم أننا من بعض العرب الذين تجرى على أجدادهم هذه الأحكام، و أننا من خلال سير هؤلاء الأجداد رأينا بصيصا من الحقيقه علينا أن نكشف عنه، فى السنه ١٤٩٨ واجهت البلاد العربيه خطرا فادحا هو سيطره الأسطول البرتغالى على المياه العربيه و فرضه حصارا على مدخلى البحر الأحمر و الخليج، فقال مؤرخ عربى يصف ذلك: " و صاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا و نهبا ". و قال مؤرخ آخر: "البرتغال... ظهوروا فى البحر و أوسعوه نهبا و صاروا يأخذون كل سفينه غصبا".

و فى السنه ١٥٠٠ أحرقت البرتغاليون عشر سفن مصرىه فى الموانئ الهنديه. و فى السنه ١٥٠٢ هاجموا عدن و نهبوا و أحرقوا سفنا عربيه فى مينائها، و فى السنه التاليه وصلوا إلى مدخل البحر الأحمر، ثم بعد سنتين تغلغلوا حتى ميناء جدده. و فى السنه ١٥٠٦ أحكموا السيطره على باب المندب و مدخل البحر الأحمر، ثم التفتوا فى السنه التاليه إلى مداخل الخليج.

و بعد ذلك قاد (البوكر ك) قائد الأسطول البرتغالى، حملة إرهاب و عنف و حرق و تخريب على السواحل العربيه الجنوبيه الشرقيه، و أحرقت مسقط و شرد سكانها. ثم احتل البرتغاليون ما اختلوه من البلاد.

و إذا كانت الأمور العربيه على هذه الحال المفجع فى المشرق، فإنما كانت أسوأ منها فى المغرب، إذ تمكنت إيزابيلا ملكه قشطاله من احتلال غرناطهالسنه ١٤٩٢ فانتهت آخر حكم عربى فى الأندلس. ثم كان حفيدها شارل ملك اسبانيا يهدد العرب فى

شمال إفريقيا و يعمل على الحلول محلهم فى مياه البحر المتوسط و أصبح فى إمكانه أن يهددهم من الشمال وقت كان يضربهم البرتغاليون من الجنوب.

و أخذت المصائب تتوالى فاحتلت قوات أراغون: وهران السنه ١٥١٠، و بوجيه السنه ١٥١٢، و أجبر زعماء الجزائر على توقيع معاهده و اعترفوا بسياده أراغون. و كان أسطول أراغون احتل تونس و طرابلس أوائل ١٥١٠، و احتل البرتغاليون طنجه. و هدد فرسان القديس يوحنا من رودس و طرابلس و مالطه السفن العربيه بمثل ما يهددها به البرتغاليون فى المحيط الهندى.

و قد كان (البوكر ك) صريحا حين قاد فى شباط ١٥١٥ أسطولا فى اتجاه السواحل العربيه و أعلم ملك البرتغال بان هدفه الرئيسى هو الاستيلاء على عدن و جعل مصوع ميناء حريبا و مركزا للأسطول البرتغالى فى البحر الأحمر ليتمكن من القضاء على الترك و تخريب مكه.

و فى ٢٦ آب السنه ١٥١٦، كان السلطان سليم العثمانى يدخل حلب، ثم فى التاسع من تشرين الأول يدخل دمشق. ثم يتتابع احتلال العثمانيين بعد ذلك للبلاد العربيه بلدا بعد بلد. غير أن العثمانيين لم يستطيعوا الاحتفاظ بأكثر أجزاء الجزيره، فسيطروا على مكه و جدّه، و قامت فى وجههم ثورات فى اليمن، و كانت سلطتهم اسميه فى حضر موت و نجد.

أما فى إفريقيا الشماليه فخضعت لهم ليبيا و تونس و الجزائر و فشلوا فى الاستيلاء على مراکش.

لقد رأينا فيما تقدم أن احتلال السلطان سليم لحلب جاء بعد إعلان (آلبوكر ك) بأنه عازم على تخريب مكه، و بعد أن تساقطت البلاد العربيه فى المشرق و المغرب بيد البرتغاليين و الإسبان، و لم يكن هؤلاء الفاتحون يكتفون أن حربهم هى حرب صليبيه، لذلك لم يكن غريبا أن لا ينظر العرب للعثمانيين نظره عدايه بحتة.

و مع أن السلطان سليم و من كان قبله و من جاء بعده لم يتعرضوا للبرتغاليين و لا- دافعوهم عن البلاد العربيه، و لم يفعلوا قبل ذلك شيئا لحمايه مسلمى الأندلس فقد سلم العرب لهم.

ثم إنه لم يكن هناك حكم تركى مباشر، بل إن البلاد العربيه كانت تتمتع بما يمكن أن نسميه بالحكم الذاتى، و لكن لا بمستوى هذا العصر، بل بمستوى ذلك العصر. و من هنا كان حكام البلاد الحقيقيون هم أهلها، فقد أبقت الدوله فى سوريه و لبنان على سبع عشره أسره حاكمه إقطاعيه. و كذلك الحال فى العراق، اعترفت الدوله بشيوخ العشائر حكاما على عشائرتهم.

أما فى ليبيا و تونس و الجزائر فلم يكن هناك حكم تركى بالمعنى الصحيح، بل لقد تقلص هذا الحكم فى وقت مبكر جدا، و كانت هذه البلاد تتمتع بما هو أوسع من الاستقلال الذاتى. و أما فى الحجاز فقد كان الحكم الحقيقى بيد شريف مكه، و أما اليمن فقد كان هو الثائر أبدا، و كان يعيش بين حالين، استقلال تام أو ثوره عارمه.

ص: ١٤٥

و فى مصر سلم السلطان سليم الحكم إلى خير بك من ممالیک السلطان الغورى و نائبه فى حلب و كان قد تخلى عن سلطانه و انضم إلى السلطان سليم. و بعد وفاه خير بك سنة ١٥٢٢ كانت الدوله ترسل لحکم مصر باشا عثمانيا، لم یکن ینفرد بالحکم الفعلی، بل كان الممالیک یشاطرونه الكثير من شئونه إلى أن استطاع هؤلاء الممالیک السیطره سیطره کامله على البلاد. و یجب أن لا ننسى أنهم كانوا قد تمصروا و أصبحوا من أبناء البلاد.

هذه الأوضاع لم تشعر العرب بأنهم محکومون فعليا من غیرهم، لذلك كانوا یرون أنفسهم أسياد أنفسهم، فلم الثوره؟.

و یجب أن لا ننسى أن اللغة العربیه التى هی من أبرز مظاهر السیاده كانت مصونه کل الصون، بل یبدو أن الأمر كان أكثر من ذلك، ففى كثير من النصوص ما يشعر بأنها كانت هی المقدمه على اللغة التركیه. و أنى لأورد مثلا: ففى عشر الخمسين كنت فى سیاحه فى اليونان و زرت فیما زرت مدینه سلانیك فإذا بی أمام ظاهره عجیبه، فقد رأیت فیها حماما أثريا هو من بقايا العثمانيين أيام حکمهم لها، و تطلعت إلى مدخله فإذا على بابہ منقوش على الحجر كتابه حسبته لأول وهله كتابه تركیه، و لما تأملتها إذا بها كتابه عربیه فصیحه هذا نصها: "أمر ببنائه إمام المسلمین و سلطان الغزاه و المجاهدين السلطان مراد بن محمد بن بايزيد خلد الله ملكه". ثم تحتها بلا فاصل الكلمه العربیه العذبه "أهلا و سهلا" و علیها تاریخ سنة ٨٤٦هـ.

و لو كانت هذه الكتابه فى بلد عربی محکوم من الأتراك لكان لها كل المبررات. أما أن تكون فى البلد البعيد و فى قوم هم من غیر العرب، فمعنى ذلك أن اللغة العربیه هی الأصل فى الدوله العثمانيه.

و یزید فى العجب أن السلطان مراد بن محمد هذا لم یکن یحکم البلاد العربیه، فقد تولى الملك سنة ٨٢٤هـ، و هو والد محمد الفاتح، أى أن هذه الكتابه العربیه قد كتبت قبل فتح القسطنطينیه سنة ٨٧٥هـ و قبل فتح حلب الذى كان سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦).

فإذا كانت اللغة العربیه هی اللغة السائده فى حکم العثمانيين قبل فتحهم البلاد العربیه بست و سبعین سنه، فكیف بها حين فتحوا تلك البلاد؟.

ثم إن هناك دلیلا آخر على سیاده اللغة العربیه فى الدوله العثمانيه حتى فى البلاط السلطانی، فان السلطان أحمد الثالث و هو السلطان الرابع عشر من آل عثمان، و الذى تولى الحكم السنه ١٠١٢هـ (١٦٠٣م) كان شاعرا باللغة العربیه و هو صاحب القصیده الغزلیه التى مطلعها:

طیبی یصول و لا وصول إلیه جرح الفؤاد بصارمى لحظیه

و حتى یكون رأس الدوله شاعرا عربیا فلا بد أن یكون لا للغه العربیه وحدها السیاده فى الدوله، بل لشعرها و أدبها أيضا.

ثم هناك المؤلفون الأتراك باللغة العربیه فمن مدینه أنقره وحدها خرج أربعه فقهاء كانت مؤلفاتهم باللغة العربیه، هم جلال الدین الأنقروى المولود سنة ٦٥١ (١٢٥٣) مؤلف كتاب شرح الزیارات للعتابى و كتاب الفرائض.

و محمد بن الحسن الأنقروى المتوفى سنة ١٠٩٨ (١٦٨٦) صاحب فتاوى الأنقروى. و شجاع بن نور الله الأنقروى المتوفى سنة ٩٦٤ (١٥٥٦) صاحب كتاب حل المشکلات. و إسماعیل بن احمد الأنقروى المتوفى سنة ١٠٤١ (١٦٣١) صاحب كتاب منهاج

هذا فى بلده واحده، و نستطيع أن نعدد ممن كتبوا باللغه العربيه، نعددهم كنماذج كلا من الشاعر أحمد برهان الدين ٧٤٥ - ٧٩٩ (١٣٤٤ - ١٣٩٧) الذى نظم الشعر بالعربيه و التركيه و ألف بالعربيه فى الفقه (ترجيح التوضيح) و (إكسير السعادات فى أسرار العبادات). و حاجى خليفه الموسوعى الكبير ١٠١٧ - ١٠٦٧ (١٦٠٩ - ١٦٥٧) صاحب كتاب (كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون) و هو معجم أسماء المؤلفات العربيه.

و كتاب (تحفه الكبار فى أسفار البحار) و كتاب (الوصول إلى طبقات الفحول). و حسين بن محمد الديار بكرى صاحب كتاب (تاريخ الخميس فى أنفس نفيس) و هو يشمل السيره النبويه و ما بعدها حتى السلطان مراد الرابع توفى سنه ٩٦٦ (١٥٥٨). و طاشكبرى زاده ٩٠١ - ٩٦٨ (١٤٩٥ - ١٥٦١) من أشهر كتاب السير و الموسوعيين. وضع موسوعه باللغه العربيه فى العلوم و الآداب. و له كتاب (شقائق النعمان) يتضمن سيره ٥٢٢ من العلماء و شيوخ الطرق. و عارف حكمت (١٧٨٦ - ١٨٥٩) شيخ الإسلام كان شاعرا باللغه العربيه. و نامق كمال (١٨٤٠ - ١٨٨٨) كان إلى شاعريته باللغه التركيه شاعرا باللغه العربيه. و نحن هنا لا نريد الاستقصاء و إنما هى امثله تمثل مختلف العصور و تدل على حقيقه الحال.

و أكثر من ذلك، فقد كان الملوك العثمانيون يمدحون بالشعر العربى فيجيزون عليه، و يقصدهم الشعراء العرب بمدائحهم فيرجعون بجوائزهم.

حتى إن أحدهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين العليف، من شعراء الحجاز، و يلقبه (النهروالى) بشاعر البطحاء، نظم ديوانا كاملا فى السلطان بايزيد الثانى بن السلطان محمد الفاتح الذى تولى الملك سنه ٨٨٦.

و من شعره فيه قوله من قصيده:

فيا راكبا يجرى على ظهر ضامر إلى الروم يهدى نحوها طيب النشر

لك الخير إن وافيت (برسا) فسر بها رويدا لاسطنبول ساميه الذكر

لدى ملك لا يبلغ الوصف كنهه شريف المساعى نافذ النهى و الأمر

إلى بايزيد الخبر و الملك الذى حمى بيضه الإسلام بالبيض و السمر

فيا ملكا فاق الملوك مكارما فكل إلى أدنى مكارمه يجرى

لئن فقتهم فى رتبه الملك و العلا فان الليالى بعضها ليله القدر

و إنى لصوان لدر قلائدى عن المدح إلا فيك يا ملك العصر

فقابل رعاك الله شكرى بمثله فانك للمعروف من أكرم الذخر

و كانت جائزته من السلطان على القصيده ألف دينار ذهباً. و راتب سنوى مائه دينار ذهباً. و ظل الراتب يجرى على أولاده بعد موته. و كذلك فقد كان الشعراء يرثون موتاهم بشعر عربى، فعند ما مات السلطان سليمان (القانونى) رثاه فى اسطنبول الشيخ أبو السعود العمادى بقصيده قال فيها:

أ صوت صاعقه أم نفخه الصور فالأرض قد ملئت من نقر ناقور

أم ذاك نعى سليمان الزمان و من قضت أوامره فى كل مأمور

مجاهد فى سبيل الله مجتهد مؤيد من جناب القدس منصور

بلهذى إلى الأعداء منعطف و مشرفى على الكفار مشهور

ص: ١٤٦

و رايه رفعت للمجد خافقه تحوى على علم بالنصر منشور

و عسكر ملأ الآفاق محتشد من كل قطر من الأقطار محشور

و هكذا نرى أن العرب كانوا فى الدوله العثمانيه يتمتعون بما يمكن أن نسميه بالاستقلال الذاتى، و أن لغتهم المكانه التى تستحقها، و أن تلك الدوله ردت عنهم الهجمه الصليبيه، و إنها تحميهم من مثيلاتها، فلا عجب إذن أن يرتضوها.

أما حين تبدل الحال و بدأت تنمو فى الأتراك الروح الطورانيه، و بعد أن قام فى الأتراك مثل عبيد الله من يدعو إلى طمس أسماء الخلفاء الراشدين المكتوبه على قباب المساجد التركيه لأنها أسماء عربيه و إبدالها بأسماء الخلفاء الأتراك. و بعد أن ألقت جمعيه (تورك ياوردى) دعاء ليتلى فى المساجد التركيه جاء فيه: "و أنت يا مملكه توران الجميله المحبوه أرشدنا إلى الطريق المؤديه إليك لأن جدنا أوغوز الكبير ينادينا".

أما حين صار الأمر إلى هذا الحال بعد أن كان فى الأتراك مثل نامق كمال الذى يقول مخاطبا الوطن: "اذهب أيها الوطن و تذر بالسواد فى الكعبه ثم ابسط إحدى ذراعيك إلى روضه النبى و مد الثانيه إلى المشهد فى كربلاء ثم افتح صدرك و اخرج منه شهداءك و انثرهم على الملأ و قل: يا رب هؤلاء هم الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيلك، بينهم من استشهد ببدر و من استشهد فى حنين".

أما حين حل عبيد الله محل نامق كمال، و حين فقد العرب كل حقائق الاستقلال الذاتى، و حين أصبح الحكم التركى حكما مركزيا متسلطا على العرب، و حين صارت اللغه العربيه غريبه حتى فى بلاد العرب، أما حين حل كل هذا و ما هو شر من هذا، فقد بدأ التهامس العربى، ثم بدأت الأصوات ترتفع قليلا- قليلا- حتى تحولت إلى الجهر لا- جهرا باللسان - كما قلنا فى مفتتح القول - بل جهرا باللسان، جهرا يتلظى بنيران البنادق و لهيب المدافع..

و من الحقائق التى ليست معروفه أن الذين بدءوا بهذا التهامس، ثم أتبعوه بشىء من ارتفاع الصوت، هم الفقهاء. فالفقيه الفلسطينى الشيخ يوسف النبهانى زار استنبول باعتبارها عاصمه الخلافه الإسلاميه، و باعتباره من كبار الفقهاء المسلمين، فأحس فيها التحول الجديد و شعر بما يبيت للعرب فتركها عائدا إلى بلاده قائلا:

و يمتت دار الملك أحسب أنها إلى اليوم لم تبرح إلى المجد سلما

فألفت فيها أمه عربيه يرى الترك منها أمه الزنج أكرما

و ما نقموا منا بنى العرب خله سوى أن خير الخلق لم يك أعجما

بنى الترك أنى تكلمت هاجيا و لكن قلبى من جفاكم تكلما

و سبقه إلى ذلك فقيه آخر من كبار الفقهاء اللبنانيين هو السيد نجيب فضل الله، أحس هو أيضا بما أحس به الفقيه النبهانى. و هو و إن لم يزر استنبول كان يلمح فى الأفق انحرافا و إن كان لا يبدو شاملا فهو ينذر بالكثير.

فقصد إلى مكة حاجا و اتصل بالشريف عون محرضا إياه على الثورة و إعادته الخلافة عربييه.

و كما كان الشيخ يوسف النبهاني شاعرا فعبر عن نغمته بالشعر كذلك كان السيد نجيب فضل الله شاعرا هو الآخر فعبر عن ثورته بالشعر أيضا، فقال من قصيده يخاطب بها الشريف عون:

إني وجدتك يا بن بنت محمد أرج الخلافة من ثيابك يعبق

لو قمت فينا ملهبا نار الوغى خفت إليك بنا الجياد سبق

يحملن منا كل أشوس أقعس بحسامه هام الكماه تفلق

و ما دمتنا في حديث الشعر فان شعرا سبق شعر هذين الفقيهين في هذا الموضوع، و كان هذا الشعر عراقيا، هو شعر الشاعر احمد الشاوي الذي قال:

الا ليت شعري و الاماني ضله و عمر الفتى ان عاش ما عاش للهلك

أ مخترمي ريب المنون و لم أكن لأدرك للإسلام تارا من الشرك

و أبرد من صهب العثانين غلتي و أشفى و استشفى غليلي من الترك

على أن التحرك العربي الفعال كان بعد سنة ١٩٠٨، سنة إعلان الدستور العثماني، فالذين أسقطوا السلطان عبد الحميد و أعلنوا الدستور إعلانا نهائيا كانوا جماعه حزب الاتحاد و الترقى. و قد هلك العرب للعهد الجديد و أنشئوا للحزب فروعا في بلادهم، و حسبوا أن الحريه ستشملهم. و شيئا فشيئا بدأت تتكشف نوايا (الاتحاديين) و أخذت الدعوه (الطورانيه)^(١) بالتظاهر و أطل التريكة واضحا.

و كان وراء حزب الاتحاد و الترقى جمعيه (تركيه الفتاه)، التي كانت هي الموجه الفعلية للاتحاد و الترقى، و كان الحزب وجهها العلني، بينما كانت هي قاعدته السريه.

و بالمقابل عمل الشبان العرب على إنشاء جمعيه (العربيه الفتاه)، و كان منشئوها طلابا يدرسون في باريس، و كانوا يدرسون نوايا الاتحاديين، فقاموا سنة ١٩١١ بتأليف جمعيتهم. و كان هدفها كما قالت: "النهضة بالعرب و إيصالهم إلى مصاف الأمم الحيه". و لم تذكر الجمعيه كلمه الاستقلال، و لكنها في الحقيقه كانت تعمل من أجله بعد أن بدا من الاتحاديين ما بدا..

و في صيف سنة ١٩١٣ أنهى أكثر أعضاء الهيئه الاداريه للجمعيه دراستهم في باريس و عادوا إلى بلدانهم، و لما كان بعضهم من بيروت فقد أعيد تأليف الهيئه فيها، و بدأت الجمعيه نشاطها السري و أنشأت جريده (المفيد) مظهرها علنيا لها. كما أنها وضعت تصميم العلم العربي بألوانه الثلاثه: الأخضر فالأبيض فالاسود، الذي أضيف إليه عند إعلان الثورة في الحجاز اللون الأحمر.

و لما اشتركت الدوله العثمانيه في الحرب العامه الأولى (١ تشرين الثاني ١٩١٤) أصبحت دمشق مقر قياده الجيش الرابع و مركز

العمل فى سوريه، فانتقلت لهيئه الاداريه لجمعيه العربيه الفتاه إلى دمشق و واصلت عملها السرى، ثم اتصلت بجمعيه العهد العسكريه لتوحيد الجهود العربيه.

و حتى هذا الوقت لم تشا الجمعيتان معاداه الأتراك أو عرقله مجهودهمى.

ص: ١٤٧

١- نسبه إلى طوران، و هى البلاد الواقعه شمال شرقى ايران، و يقصد بها موطن الترك القدامى، و منها اخذ [أخذ] ما عرف باسم (الحركه الطورانيه) التى نادى بها فى العصر المتأخر غلاه الترك داعين إلى الرابطه الطورانيه و سياده العنصر التركى.

الحربي، بل قروا العمل معهم جنباً إلى جنب في الدفاع عن الأقطار العربيه، و لكنهم كما يقول أحد الباحثين: "كانوا في الوقت نفسه يريدون تجميع قواهم (العرب) و توحيد كلمتهم استعداداً للاحتتمالات التي قد تتمخض عنها الحرب".

على أنه بعد أن بطش جمال باشا بطشسته الكبرى بزعماء العرب و شتق منهم من شتق تحول الأمر و وقعت الواقعة بين الأمتين. و لم يستطع جمال باشا كشف سر (العربيه الفتاه) بالرغم من كل ما جرى من تعذيب، و إن كان قد أعدم فريقاً من أعضائها مع من أعدم دون أن تظهر حقيقه الجمعيه، حتى أن بعض أعضائها برءوا بعد الاعتقال، و لو علم أمر انتمائهم إليها لكان مصيرهم الاعدام.

و كان ممن انتمى إلى (العربيه الفتاه) فيصل بن الحسين، لذلك كان جل اعتماده بعد دخول دمشق في نهايه الحرب العالميه الأولى على أعضائها الذين ظهروا باسم حزب (الاستقلال) ليساهموا بالأعمال العلنيه في الحكم الجديد.

و نحن نعلم أن سعيد حيدر كان عضواً بارزاً في حزب الاستقلال و عاملاً نشطاً في تلك الفتره، و من ذوى الرأى المسموع.

فتره الاستقلال

أقبل قاده العرب من كل مكان إلى دمشق بعد الجلاء التركي، فبعضهم جاء مع فيصل كالضباط العراقيين، و البعض الآخر توافد إليها لأنها أصبحت مقر العمل العربى و مطمح آمال العرب و قاعده أول بقعه مستقله في بلاد الشام و غير بلاد الشام بعد الحكم غير العربى الطويل.

فكان فيها رجال العراق و رجال لبنان و رجال الساحل و رجال فلسطين، كما كان فيها بعض من نرح إلى مصر من السوريين، و التقى الجميع بآمال ضخمه و أمانى بعيده يحسبون أن ساعه الدوله العربيه الكبرى قد دنت و أنهم مؤسسوها و باعثو رفاتها.

كيف لا- و جيشهم العربى الزاحف من قلب الحجاز هو المنتصر حليف المنتصرين، و ملء حقائبهم و عوداً مؤكده و مواثيق و ثقيه.

كان العرب يعيشون تلك الأيام التي بدأت عام ١٩١٨ ثم انتهت يوم الرابع و العشرين من تموز ١٩٢٠ أزهى يامهم [أيامهم] و أعذب أحلامهم. و كانوا في غمره هذا الفرح لا ينظرون إلى البعيد و لا يحسبون حساباً للغدر و الختل.

ثم بدأت الحقائق تتجلى قليلاً- قليلاً فالحاكم العربى الذى ذهب إلى بيروت و رفع علمه على صروحها عاد مطروداً من الفرنسيين، و أنزل العلم ذليلاً!

و الحكام الوطنيون الذين عينوا أنفسهم في مناطقهم الساحليه معلنين الاستقلال لم يلبثوا أياماً بل و لا ساعات، بل دحرجوا عن كراسيهم.

و تقلص حجم الرقعته المستقله حتى انحصر فيما عرف باسم المنطقه الشرقيه، و هى لا تعدو دمشق و حمص و حماه و حلب و ما يتبعها و ينضوى إليها!..

و لكننا إذا نظرنا إلى العرب يوم ذاك نراهم فى واقع هو أفضل ألف مره مما صار إليه واقعهم المعنوى بعد ذلك.

كان الحديث يوم ذاك عن العرب و عن القضييه العربيه، و التوق كله إلى الوحده الشامله، و لم يكن للاقليميه مكان!.

فهذه بقعه صغيره من بلاد الشام أميرها ثم ملكها حجازى(١) و رئيس برلمانها لبنانى متمصر(٢) و قائد جيشها عراقى(٣) و وزير داخليتها لبنانى(٤) و وزير خارجيتها فلسطينى(٥) و حكام مناطقها و ضباط جيشها مزيج من كل أرض عربيه، لا يدور بخلد أحد أن يسأل أحدا عن بلده أو أن يجد فى ذلك موضعا لاستغراب و مكانا لتساؤل! أ ليس الجميع عربا؟ أ ليسوا كلهم رجال قضييه واحده، فهم جميعا فى أرضهم و جزء من وطنهم.

ثم هذا الترفع عن الطائفيات و عدم النظر إلى دين الشخص و مذهبه.

فهذه أول حكومه عربيه تقوم فى البلد الإسلامى العريق دمشق و تشمل.

سيادتها الأرض السوربه الداخليه التى لا يبلغ فيها المسيحيون (١) من (١٢) فتتكون من حاكم عسكرى مسلم دمشقى هو رضا الركابى و رئيس للشورى الحريه مسلم بغدادى هو ياسين الهاشمى، و رئيس للعدليه مسيحى لبنانى من دير القمر هو إسكندر عمون، و رئيس للماليه مسيحى لبنانى من الشويفات هو سعيد شقير، و رئيس للأمن العام مسيحى من طرابلس هو جبرائيل حداد، و رئيس للخارجيه مسيحى دمشقى هو توفيق شاميه، و رئيس للصحه مسيحى لبنانى من مواليد عبيه هو موصلى باشا.

خمس رئاسات أو بالأحرى خمس وزارات(٤) من سبع يشغلها مسيحيون، أربعة منهم من لبنان و واحد من دمشق.

و محكمه الاستئناف المدنيه التى تطبق مجله الأحكام العدليه المستمده من الشريعه الإسلاميه، محكمه الاستئناف هذه تتالف من ثلاثه قضاة كلهم مسيحيون بينهم اثنان من لبنان هم: نجيب الأميونى من حاصبيا رئيسا و أسعد أبو شعر من دمشق عضوا و فائز الخورى من الكفير (لبنان) عضوا.

كان سعيد حيدر فى صميم هذا المعترك الاستقلالى العربى، و من أكثر العاملين فيه نشاطا و حماسه، لذلك كان موضع غضب الفرنسيين و نعمتهم بعد دخولهم دمشق فحكموا عليه بالاعدام فاضطر للتوارى زمنا، ثم عاد مع العائدين كما قدمنا فى أول البحث.

عاد و لكنه لم يعد ساكنا بل عاد حاملا معه ثورته، مخططا للنضال المستقبلى كما سنرى فيما يلى من القول.

و بدأ كفاحه فى جريده المفيد ثم فى حزب الشعب، ثم فى إشعال الثوره السوربه، و هذا ما نستعرضه بايجاز فى البحث الآتى:

ص: ١٤٨

١- فيصل بن الحسين.

٢- رشيد رضا.

٣- ياسين الهاشمى.

٤- رضا الصلح.

٥- سعيد الحسينى.

٦- فور انسحاب الأتراك و دخول الجيش العربى بقياده فيصل إلى دمشق تألفت أول حكومه عربيه لم يسم أعضاؤها بالوزراء بل بالرؤساء. و بعد تتويج فيصل تألفت الحكومه الدستوريه و أطلق على أعضائها اسم الوزراء. و كان وزير العدله فيها مسيحيا تتبعه المحاكم الشرعيه الإسلاميه.

حزب الشعب ثم الثورة

لقد حقق الجنرال غورو حلمه فدخل دمشق فاتحا بعد معركة ميسلون (٢٤ تموز ١٩٢٠)، وقضى على الاستقلال فيها و تشرذم الوطنيون في كل مكان، و حكم الفرنسيون سوريا بالحديد و النار و قسموها إلى دويلات: دولة دمشق، و دولة حلب، و دولة جبل الدروز، و دولة العلويين، و لواء الاسكندرون. و خفت الصوت الوطني عند تشتت قادته و همدت الحركة.

و لاعطاء فكره واضح مما كان عليه الحال من الهوان و الهمود، و للتدليل على ما كان للرجال الذين تألف منهم حزب الشعب بعد ذلك من فضل في تحويل الأمر من هوان و همود إلى عنفوان و ثوره، نقول إن دخول الجنرال غورو إلى دمشق لم يكن دخولا هينا، بل كان نقطه سوداء، إن لم نقل صفحه سوداء في تاريخ البلاد في تلك الحقبه.

لم تكن دماء البطل يوسف العظيمه و دماء رفاقه شهداء ميسلون قد جفت بعد، حين استطاع عملاء الاستعمار أن يحملوا جماهير دمشق على أن تخرج بقضها و قضيضها و عراضاتها و اهازيجها إلى مدخل دمشق في المنشيه لاستقبال فاتح دمشق الجنرال غورو.

هذه الجماهير نفسها كانت قد خرجت قبل بضعه عشر يوما (بقضها و قضيضها و عراضاتها و اهازيجها) لتودع الذاهبين لقتال جيش الجنرال غورو الزاحف لفتح دمشق، و الكثير منها كان من بين الذين ذهبوا للقتال و شاركوا فيه.

و نزل الجنرال من سيارته التي أقلته من بيروت إلى باب دمشق، و صعد المركبه المجروره بالخييل ليدخل دمشق متأنيا، مستمتعا بهذا الاستقبال الشعبى الباهر أطول وقت.

و هنا تقدم أبو شكري الطباع و رفاق له ففكوا حصانى المركبه و ربطوا أنفسهم مكانهما و جروا مركبه الجنرال غورو، فدخل فاتح دمشق إليها مجروره عربته بأبناء دمشق..

و لم تنكر الجماهير الحاشده هذا، بل ظلت اهازيجها مدويه، و هتافات متعاليه، و ربما كان المنظر قد زاد في دويها و تعاليها..

و قد كان أبو شكري الطباع بعد ذلك يعتذر عن فعلته بان قريبا له كان محكوما من الفرنسيين بالاعدام، و أنه رجا بما فعل أن يناله عفو من الجنرال.

على أن دمشق الحقيقه لم تكن هي التي تمشى هذه المشيه لاستقبال غورو، و لا- كان أبو شكري الطباع و رفاقه هم الذين يمثلونها، بل إن دمشق الحقيقه كانت مكبوته وراء جدران منازلها الضاويه، و في حنايا أزقتها الخاويه، هي التي كان يمثلها شاعرها الشاب أديب التقي (١) فيهتف بشعره قائلا:

أ أهل دمشق كيف سالمتم العدى و كيف رضيتم بالمذله و الأسر

و نتمم على شوكة الهوان و تلكم ضحاياكم فى ميسلون قرى النسر

بلادكم اجتاحت و تلكم رجالكم موزعه الأشلاء فى مهمه قفر

أ تغفون و الأقداء ملء جفونكم و لم تثاروا بالهالكين بلا و زر

ألا هل دريتم أنكم إذ خرجتم تلاقون (غورو) قد صباتم إلى الكفر

و من عجب أن تخرجوا للقائه و تلکم دماکم فی الربی لم تزل تجری

ثم بدأ فريق من القياديين النازحين يتسللون إلى دمشق، و لكن ظلوا فيها مشتتين متفردين، قد يلتقون و لكن بتحفظ و قد يتكلمون و لكن بتهامس حتى كان شهر نيسان من السنه ١٩٢٢ فإذا بالدكتور عبد الرحمن الشهبندر يتلقى - لاعتباره من خريجي الجامعه الأميركيه في بيروت - رساله من رئيس الجامعه و فيها عزم المستر كراين على زياره دمشق. و المستر كراين هو الذى كان سنه ١٩١٩ رئيسا للجنه الاستفتاء التى قدمت سوريا و لبنان لاستفتاء أهلها حول ما يريدون فى شان الاستقلال و الانتداب و ما إلى ذلك و بدا المستر كراين يوم ذاك. بمظهر الصديق للاستقلاليين العرب و ترك فى نفوسهم أثرا طيبا.

و وصل كراين إلى دمشق، و فى ٢ نيسان ١٩٢٢ أى بعد ٢١ شهرا. من معركة ميسلون و زوال الاستقلال العربى السورى، و فى جو من الاستسلام الوطنى الكامل - التقى الشهبندر المستر كراين فى فندقه فى دمشق، فطلب إليه كراين أن يجمعه بأرباب الرأى فى البلاد، فلبى رغبته، و عقدت اجتماعات فى المنازل الدمشقيه، كان رجالها يشكون من الاستعمار مر الشكوى، و يخطب الخطباء متحمسين حتى كان يوم سفر المستر كراين، فاحتشد لوداعه جمهور يهتف للاستقلال. و خطب الشهبندر و غيره، و ما أن انطلقت السياره بالمستر كراين و مضت حتى انقلب الأمر إلى مظاهره كانت الأولى من نوعها بعد ذاك الكبت الطويل، و مشت الجموع فى الشوارع هاتفه هازجه متحمسه.

و انتهى الأمر عند هذا الحد.

كانت المظاهره مفتاح النضال الوطنى الذى انفتح بابه على الفرنسيين فى بلاد الشام كلها فاقض مضاجعهم طيله احتلالهم لهذه البلاد.

و مؤرخ الأحداث العربيه المعاصره يجب أن يقف طويلا أمام هذا اليوم الدمشقى الأصيل، و أن يتحدث كثيرا عن رجاله، لأنه يوم كان له ما بعده، كما كان يقول الأقدمون.

إذا كان أمر المظاهره الحماسيه قد انتهى عند حد تفرق جمهورها و انصرافه إلى المنازل و الدور، و إذا كان لم يبق له من مفعول إلا الذكرى الجميله العذبه فى أذهان المتظاهرين، فإنه لم يكن كذلك عند الجنرال غورو، فقد محت هذه الانتفاضه اللاهيه من ذاكرته ذلك الاستقبال المصنوع عند باب دمشق، و لم يعد فى ذاكرته إلا اللهب المتوهج من يوم دمشق الحماسى، و أيقن أن دمشق ليست هى التى بدت له حول (المنشيه)، و لا رجالها هم الذين جروا عربته بأجسادهم. بل إن دمشق هى التى بدت له عند روابى ميسلون، و إن رجالها هم الذين تساقطوا برصاص جنوده على قمم تلك الروابى، و فى أجزاءها و سفوحها، و إن بقايا السيوف إن كانوا قد قبعوا إلى حين، فإنهم قد وثبوا فى هذا الحين.

لذلك حزم أمره و تذكر أنه القائد العسكرى الصارم الذى لا يقع له بالشنان - كما كان يعبر الأسلاف -، ففى السابع من

نيسان القت السلطات الفرنسيه تنفيذاً لأوامره القبض على كل من الدكتور عبد الرحمن شهنندر و سعيد حيدر و حسن الحكيم، و زجتهم فى سجن القلعه مع المجرمين العاديين.

ص: ١٤٩

١- راجع ترجمه أديب التقى فى مكانها من (أعيان الشيعة).

كان هؤلاء الثلاثة في الواقع قادة الموقف من أوله إلى آخره، و سيكونون بعد حين نواه حزب الشعب.

و سرى نبا القبض على الثلاثة في دمشق مسرى النار في الهشيم فتحفزت النفوس، و في يوم الجمعة خطب الخطباء في المسجد الأموى محرضين مثيرين فخرجت المظاهرات متحدية طالبه الإفراج عنهم، فقبضت السلطه على مجموعه من الشبان، فلم تتوقف المظاهرات و أطلق عليها الرصاص و اشترك فيها النساء. ثم أعلن ما يشبه الأحكام العرفيه و منع التجول و احتل الجند المدينه في كل مكان و سيق المعتقلون إلى محكمه عسكريه فرنسيه حكمت على الشهبندر بالسجن عشرين سنه، و على سعيد حيدر بالسجن خمس عشره سنه، و على حسن الحكيم بالسجن عشر سنوات، و على معتقلين آخرين باحكام مختلفه أقلها خمس سنوات و سيق الجميع إلى جزيره أرواد ليقضوا مدته السجن في سجنها.

و كان بين المسجونين نجيب الريس الذى كان يوم ذاك في مطلع شبابه، ثم أصبح أبرز صحافى سورى باصداره جريده "القبس" و كانت افتتاحياته فيها لا تبارى بلاغه و فكره و عمقا، و كان يحرص دائما على أن يختمها بيت من الشعر المأثور.

و فى خلال وجوده فى سجن أرواد نظم قصيده كانت شهيره فى سوريه يخاطب بها جزيره أرواد يقول فيها:

بنت الخضم و كم فى الشام من شفه هتافه باسم شاطيك و من فيه

و نظم النشيد الذى سار على كل شفه و لسان، و تجاوز حدود سوريه إلى لبنان و فلسطين و العراق و غيرها و مطلعها:

يا ظلام السجن خيم إننا نهوى الظلاما

ليس بعد الليل إلا فجر مجد يتسامى

و فى ٢٥ تشرين الثانى سنه ١٩٢٢ سافر الجنرال غورو إلى باريس، ثم لم يعد، و فى ١٩ أيار سنه ١٩٢٣ وصل مفوض سام جديد هو الجنرال ويغان، و فى ١٨ تشرين الأول سنه ١٩٢٣ أطلق سجناء أرواد. و فى ٢٢ كانون الأول سنه ١٩٢٤ وصل الجنرال ساراي ليحل محل الجنرال ويغان، و قد لاح من تصرفاته أنه أقرب إلى التفاهم من سلفيه، و لكن سوء الحظ رافقه فقامت الثورة الكبرى فى عهده و ليس هنا مكان الحديث المفصل عن الثورة.

و كان المفوض السامى الجديد قد أعلن قبل الثورة أنه مستعد لسماع الشكاوى و النظر فيها. و حتى هذا الوقت لم يكن فى جميع البلاد السوريه أى حزب أو تنظيم أو تكتل سياسى يجتمع حوله الوطنيون و يقود النضال فى وجه الفرنسيين، و كل ما كان موجودا هو أحاديث يتداولها الناس فى بيوتهم أو مكاتبهم كلما التقى اثنان أو أكثر: و كان الثلاثى الأروادى: الشهبندر و حيدر و الحكيم يكثر اللقاء فيما بينه و مع غيره.

ثم صدرت جريده "المفيد" يومية باسم يوسف حيدر شقيق سعيد الأ-كبر، و كان الكاتب الأول فيها و المشرف فعليا على توجيهها هو سعيد، فكان مكتبها ملتقى يوميا للمفكرين الوطنيين الذين انبثق منهم حزب الشعب كما سنرى.

و كانت الصوت الوطنى المتعالى، و التف حولها شيوخ الكفاح و كهوله و شبانه، فكانت لسانهم الناطق. بل كانت المدرسه

لقد كانت مقالات سعيد حيدر نبراسا وهاجا ينير السبيل أمام التائهين، و كان قلمه المحرك المثير للعزائم.

و لم تكن (المفيد) بمستطيعه أن تقول كل شيء، و لا كانت قادره على أن تصرح بجميع ما يجب التصريح به، و الدعوه إلى كل ما تريد أن تدعو إليه، لأن سيف التعطيل الإداري كان مسلطا فوق رأسها يهددها عند أول بادره.

لذلك كانت تلجأ إلى الرمز، و ما كان أوضح هذا الرمز عند النفوس المتعطشه إلى كل كلمه وطنيه.

و لن أنسى أبدا ما كتبه سعيد حيدر بتوقيع (س) و ما صور به في المفيد بقلمه في صباح الثامن من آذار.

و ما صباح اليوم الثامن من آذار؟ إنه صباح اليوم الذي أعلنت فيه سوريه استقلالها التام الناجز و صرخت بوجه الدنيا متحدية قوى الاستعمار بأنها تريد أن تعيش حره سيده نفسها.

و لم يلبث الحلم السعيد أن عاش بضعه شهور فقط، و لم يلبث أن هوى في يوم ميسلون...

و جاءت ذكرى الثامن من آذار و الاستعمار الفرنسي يجثم بكل شرسته على صدر الوطن الجريح.

جاءت الذكرى العظيمه فكان لا بد لجريده المفيد و سعيد حيدر من أن يحتفلا بها احتفالا يليق بجلالها، احتفالا يوقظ النفوس و يلمس القلوب، و يوقظ الغافى و يهز الهامد، بل يثير و يستفز.

يفعل كل ذلك دون أن يثير ريبه المستعمرين أو يلفت أنظارهم لما يريد فيبطشوا بالمفيد.

و لقد كان للمفيد و لسعيد حيدر ما أرادوا و خرج مقاله في صباح ٨ آذار قطعه أدبيه رائعه و جذوه وطنيه لاهبه ملهبه.

و كرمت دمشق بلسان سعيد حيدر و قلمه، كرمت ذكرى ٨ آذار أنضر تكريم و أزكاه، أعنف تكريم و أقساه، كرمت هذه الذكرى لأول مره بعد دخول الفرنسيين دمشق و سيطرتهم على الوطن.

و ختم سعيد حيدر مقاله بأبيات مهيار الديلمي:

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

و اذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع و عاف القدحا

قد عرفت الحزن مذ فارقتكم فكانى ما عرفت الفرحا

و من مكتب "المفيد" خرجت فكره إرسال وفد وطنى يقابل المفوض السامى الجديد و يبسط له المطالب الوطنيه فى الحريه و الاستقلال، على ما بدا من حسن نوياه فى تصريحاته. و تألف الوفد خليطا من المحامين و الأطباء و التجار و الشبان. و ذهب و

قابل الجنرال ساراي في بيروت فلقى منه ترحيبا، و لكنه لم يناقش في المطالب، بل قال لهم قولا جديدا لم يألفه الناس من قبل:
اذهبوا و ألفوا أحزابا سياسيه لها برامج محددة و على أسس هذه البرامج يناقش كل مطلب.

ص: ١٥٠

و وقع هذا القول أحسن الوقع فى نفوس الوطنيين فاجتمعوا و قرروا تأليف حزب وطنى باسم حزب الشعب و كان فى الطليعه: الشهبندر و سعيد حيدر و حسن الحكيم مع من انضم إليهم مثل فارس الخورى و فوزى الغزى و لطفى الحفار و غيرهم.

و اختير الشهبندر رئيسا للحزب و فارس الخورى نائبا للرئيس، و أجزى الحزب فى الحال ما أن طلب الإجازة، و احتفل الحزب بانطلاقه فى شهر حزيران سنة ١٩٢٥ و خطب فى الحفله عبد الرحمن الشهبندر و فارس الخورى و إحسان الشريف، و كان خطاب فارس الخورى - و هو واضع نظام الحزب - محمدا لمنهج الحزب فى سته بنود يهمننا منها فى بحثنا هذا بند واحد يعطينا صورته التفكير السورى الوطنى فى تلك الأيام و هو الذى ينص على ما يلى: "وحده البلاد السورىه بحدودها الطبيعیه. و السياسه الحاضره قضت على سوریه بالتقسيم و التجزئه، و شطرت منها جزءا كبيرا فى الجنوب و (يقصد فلسطين) وضعت فى أيد أخرى، كما بترت منها أقساما فى سائر الجهات و قطعت أوصال الوطن الواحد (يقصد ما ألحق بلبنان).. فحزب الشعب يعتقد أن البلاد السورىه ضمن حدودها الطبيعیه ماهوله بشعب واحد تجمعه روابط الجنس و اللغه و العادات و الأخلاق".

و مضى الحزب يرص الصفوف و ينظم الأمور. ثم فوجئ بتازم الموقف فى جبل الدروز بين الفرنسيين و أهل الجبل. ثم وقعت الوقعه الأولى بين الفريقين فى ٢٢ تموز سنة ١٩٢٥ التى أيد فيها الفرنسيون بقيادة الكابتن نورمان قرب قريه الكفر، و عدد الفرنسيين لم يتجاوز المائه و التسعين جنديا، إلا أنها اعتبرت وقعه كبرى لنتائجها الخطيره، و لأنها كانت فاتحه الصدام الكبير.

و هنا تنبه حزب الشعب لما يمكن أن يفعله من تحويل هذه الحركه من حركه محليه جليله، إلى حركه سوریه عامه، فبدأ رجاله اتصالات سريره برجال الجبل، و عقدت فى بعض المنازل الدمشقيه اجتماعات طويله بين الجانبين و نوقشت المواقف بوضوح و صراحه.

و هنا كان لسعيد حيدر دوره الحاسم فى الموضوع، فقد كان الدروز يخشون فى أعماق نفوسهم من هيمنه الأكثرية التى لا ينتمون إليها، ففاتحوا بهذا الأمر سعيد حيدر باعتباره لا ينتمى لتلك الأكثرية، فطمأنهم و قال لهم إن الفكر الاستقلالى يترفع عما يتوهمون، و ضرب لهم مثلا- نفسه و كيف أنه فى موقعه من الحركه الوطنيه لا- يحس بغبن و لا- انتقاص لحقه، و إنه بين أخوانه فى المكانه التى يستحقها. فاقنعهم بذلك.

و هنا كان الفرنسيون أعدوا حمله قويه للانتقام من معركه الكفر و تأديب الثائرين، فانصرف عند ذلك رجال الجبل إلى جبلهم لمواجهة الموقف.

و زحف الجنرال ميشو بحملته المؤلفه من سبعة آلاف جندى فتلقاها الثوار الدروز فى أوائل آب سنة ١٩٢٥ فكانت هزيمتها هذيمة ماحقه.

فأدرك الجنرال ساراى أن الأمر جد، و أنه كان مخطئا باستخفافه بما يقع فلجا إلى اللين و أرسل وفدا درزيا لبنانيا لمعالجه الموقف و التوصل إلى صلح شريف.

و بينما هذا الوفد على وشك النجاح فى مهمته، و كانت آراء الميالىين إلى المصالحه هى التى تكاد تتغلب على آراء المصريين على الاستمرار بالثوره و فى طليعتهم سلطان الأطرش، وصل وفد من حزب الشعب للتحريض على مواصلة الثوره و الوعد بدعمها

من دمشق ثم تعميمها في سورية كلها، فرجحت كفه سلطان باشا و استقوى بالوفد الشعبي و تعهداته.

و كانت السلطه الفرنسيه أدركت تحركات حزب الشعب، فاصدر الجنرال ساراي في ٢٦ آب أمرا باعتقال هيئته الإداريه. و لكن رئيسه الدكتور الشهبندر كان التحق بالثوار في الجبل، كما أن سعيد حيدر و حسن الحكيم كانا تمكنا من الخروج من سورية و الانضمام إلى الثوره.

و استطاعت السلطه اعتقال فارس الخوري و فوزي الغزي و يوسف حيدر و آخرين فأرسلت بعضهم إلى ارواد و البعض الآخر إلى الحسكه.

و هكذا انتهى حزب الشعب انتهاء سريعا و لم يعمر طويلا، و لكنه كان بهذا العمر القصير ذا أثر من أعظم ما تتركه الأحزاب من آثار، و حسبه إطلاق الثوره السوريه الكبرى.

و بعد خمود الثوره أطلق معتقلو ارواد و فيهم - كما قلنا - فارس الخوري و فوزي الغزي، ثم مات الغزي ميتته الرهيبه في الخامس من شهر تموز سنه ١٩٢٩ بعد أن أصبح الرجل الأول في دمشق فرثاه رفيقه في سجن ارواد فارس الخوري بقصيده عاطفيه يقول فيها:

سلوا القبور عن الصحب الألى ذهبوا فخر العروبه و الصيابه النجب

عاشوا و للحق في أفواههم رسل ماتوا و للعهد في إيمانهم كتب

قالوا قضى المدره المحبوب طالعه قضى الزعيم الجريء الفيصل الإرب

يا راحلا و قلوب الناس تتبعه و كل قلب له في سعيه أرب

بيكيك أحرار سوريا و أنت أخ بيكيك دستور سوريا و أنت أب

عرفت فيك سجايا كلها شمم عرفت فيك حديثا كله أدب

كهوف ارواد) مدت بيننا نسايا حبذا السجن بل يا حبذا النسب

أخا السجنون أخا المنفى أخا و صبا قد فرق الموت ما قد ألفت الوصب

إن أدركت سيدا منا منيته فما علينا و نحن الساده العرب

لنا من الصبر درع لا ينهنه ريب المنون و لا السيف الذي خضبوا

أما الشهبندر و حيدر و الحكيم فلم يعودوا إلى دمشق إلا سنه ١٩٣٧ عند قيام الحكم الوطنى الأول. و قد سماهم نجيب الرئيس في جريدته "القبس" في مقال افتتاحى عند عودتهم: "أصحاب الصيحه الأولى".

و لم يكن من لقب يطلق عليهم أصدق من هذا اللقب.

فقد كانوا فعلاً أصحاب الصيحه الأولى التي حركت الجامد و أثارت الهامد و أطلقت المارد

الشيخ سليمان بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظيبه الأصبعي.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

كان هذا الشيخ مجتهداً في المعقول و المنقول توفي في السنه الحاديه بعد المائه و الألف و رثاه السيد الأجل السيد عبد الرؤوف الجد حفصي و كان خصيصاً به بقصيده منها ما يتضمن تاريخ وفاته:

ص: ١٥١

الأوحد الشيخ أحمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف البحراني، و رساله في تحليل التنن و القهوة رادا على بعض علماء العجم العاملين بتحريمها و رساله في علم الكلام في أصول الدين و رساله في تحريم السمك.

و هذا الشيخ يروى عن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن علي المقشاعي أصلا و الأصبعي منزلا قاله جدى في اللؤلؤه و عن تلميذه العلامة الشيخ سليمان الماحوزى طيب الله مضجعه قال في أزهار الأنظار:

(و كان أستاذنا العلامة الشيخ سليمان بن علي مجتهدا صرفا و له من المصنفات كتاب: العمده و رساله في استقلال البكر، و رساله في الأوامر و النواهي، و كتاب في مناسك الحج، و رساله في قوله (ع): "من لا تقيه له لا دين له".

و هو يروى عن الشيخ أحمد و الشيخ علي بن سليمان.

شبيب بن عامر.

وجه معاويه برجل من أهل الشام يقال له عبد الرحمن بن أشيم في خيل من أهل الشام إلى بلاد الجزيرة، و بالجزيره يومئذ شبيب بن عامر، و هو جد الكرمانى الذى كان بخراسان و كان بينه و بين نصر بن سيار ما كان، و كان شبيب مقيما بنصيبين في ستمائه رجل من أصحاب علي فكتب إلى كميل بن زياد و إلى علي بن علي هيت: أما بعد، فاني أخبرك أن عبد الرحمن بن أشيم قد وصل إلى من الشام في خيل عظيمه، و لست أدري أين يريد، فكن علي حذر، و السلام.

قال: فكتب إليه كميل: أما بعد، فقد فهمت كتابك و أنا سائر إليك بمن معي من الخيل، و السلام.

قال: ثم استخلف كميل بن زياد رجلا- يقال له عبد الله بن وهب الراسبي، و خرج [خرج] من هيت في أربعمائه فارس كلهم أصحاب بيض و دروع، حتى صار إلى شبيب بنصيبين، و خرج شبيب من نصيبين في ستمائه رجل، فساروا جميعا في ألف فارس يريدون عبد الرحمن، و عبد الرحمن يومئذ بمدينه يقال لها كفرتوثا في جيش لجب من أهل الشام، فأشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشام. و جعل كميل بن زياد يرتجز و يقول:

يا خير من جر له خير القدر فالله ذو الآلاء أعلى و أبر

يخذل من شاء و من شاء نصر

قال: و جعل شبيب يرتجز و يقول:

تجنبوا شدات ليث ضيغم جهم محيا عقربان شدقم

يغادر القرن صريعا للفم بكل غضب صارم مصمم

قال. و اختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من أصحاب كميل رجلان عبد الله بن قيس القابسى و مدرك بن بشر الغنوى، و من أصحاب شبيب أربعة نفر، و وقعت الهزيمة على أهل الشام فقتل منهم بشر كثير، فولوا الأدبار منهزمين نحو الشام.

فقال كميل لأصحابه: لا تتبعوهم فقد أنكينا فيهم، و إن تبعناهم فلعلهم أن يرجعوا علينا و لا ندرى كيف يكون الأمر.

قال: ثم رجع شبيب بن عامر إلى نصيبين، و رجع كميل بن زياد إلى هيت، و بلغ ذلك عليا،

فكتب إلى كميل بن زياد: أما بعد، فالحمد لله الذى يصنع للمرء كيف يشاء، و ينزل النصر على من يشاء إذا شاء، فنعم المولى ربنا و نعم النصير، و قد أحسنت النظر للمسلمين و نصحت إمامك، و قدما كان ظنى بك ذلك فجزيت و العصابة التى نهضت بهم إلى حرب عدوك خير ما جزى الصابرون و المجاهدون، فانظر لا تغزون غزوه و لا تجلون إلى حرب عدوك خطوه بعد هذا حتى تستاذنى فى ذلك، كفانا الله و إياك تظاهر الظالمين، إنه عزيز حكيم، و السلام عليك و رحمه الله و بركاته.

ثم كتب إلى شبيب بن عامر بمثل هذه النسخه ليس فيها زياده غير هذه الكلمات:

و اعلم يا شبيب إن الله ناصر من نصره و جاهد فى سبيله، و السلام عليك و رحمه الله و بركاته.

الشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكانى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان هذا الشيخ فاضلا ورعا فقيها شديدا فى ذات الله سبحانه انتهت إليه رئاسه شيراز و قام بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فيها أحسن قيام و انقادت إليه حكامها فضلا عن رعيته لورعه و تقواه، و نشر العلم و التدريس فيها، و لا يكاد يوجد فى جميع الفنون فى شيراز إلا و عليه تليغه و المقابله عليه.

تولى القضاء بامر الشاه السلطان سليمان و لما أته خلعته القضاء من السلطان المزبور و رقم القضاء امتنع من لبس الخلعه المذكوره و بعد الالتماس و التخويف من سطوه السلطان و غضبه لبسها.

و له من المصنفات رساله فى تفسير أسماء الله الحسنى، و الرساله الخمرية، و رساله فى الجبائر و غير ذلك من الفوائد. و قبره الشريف معروف بجوار بقعه الشاه جراج.

صخير بن حذيفه بن هلال المزنى،

و بعضهم يسميه صخر.

لما عسكر سليمان بن صرد الخزاعى فى النخيله فى نيه الخروج بطلب ثار الحسين (ع) خطب الناس فقال:

أيها الناس، إنه من كان إنما أخرجته معنا إرادة الله ثواب الآخرة فذاك منا و نحن منه و رحمه الله عليه حيا و ميتا، و من كان يريد متاع الدنيا و حرثها فلا و الله ما معنا فضه و لا ذهب، و لسنا نمضى إلى شىء نحوزه و لا إلى غنيمه نأخذها، و ما هى إلا سيوفنا فى رقابنا و رماحنا فى أكفنا، و معنا زاد بقدر البلغه إلى لقاء عدو الله عبيد الله بن زياد، فمن كان ينوى غير هذا فلا يصحبنا.

فقال له صخير بن حذيفه بن هلال المزني: صدقت رحمك الله، و الله ما لنا خير في صحبه من الدنيا همته و نيته، و ما أخرجنا إلا التوبه من ذنوبنا و الطلب بدماء أهل بيت نبينا، و قد علمنا أنا إنما نقدم على حد السيوف و أطراف الرماح.

ص: ١٥٢

خرجتم منها إلى الله فإنها لا تبقى لكم و لا تزهّدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فان ما عند الله خير لكم، يا بني عمى! إن هؤلاء الذين تقاتلونهم هم الذين قتلوا ابن بنت رسول الله الحسين بن على و ساروا برأسه إلى يزيد بن معاوية يريدون بذلك الزلفى و المرتبه و الجائزه، ثم تقدم و هو يرتجز و يقول:

بؤسا لقوم قتلوا حسيناً بؤسا و تعسا لهم و حيناً

أرضوا يزيد ثم لاقوا شينا و لم يخافوا بغيهم علينا

ثم حمل و حمل معه قومه و عشيرته، ثم جعل يرتجز و يقول:

إنى إلى الله من الذنب أفر أنوى ثواب الله فيمن قد أسر

و أضرب القرن بمصقول بتر و لا أبالى كلما كان قدر

فلم يزل يقاتل حتى قتل هو و بنو عمه.

السيد صدر الدين الصدر.

مرت ترجمته فى مكانها من المستدركات، و قد عثرنا له على قصيده ننشرها فيما يلى:

يا خليلى احبسا الجرد المهارا و ابكيا دارا عليها الدهر جارا

و ربوعا أقفرت من أهلها و غدت بعدهم قفرا بارا

حكم الدهر على تلك الربى فانمحت و الدهر لا يرعى زمارا

كيف يرجى السلم من دهر على أهل بيت الوحي قد شن المغارا

لم يخلف أحمد إلا ابنه و لكم أوصى إلى القوم مرارا

كابدت بعد أبيها المصطفى غصبا لو مست الطور لمارا

هل تراهم أدركوا من أحمد بعده فى آله الأطهار نارا

غصبوا حقها جهرا و من عجب أن تغصب الزهراء جهارا

من سعى فى ظلمها من راعها من على فاطمه الزهراء جارا

من غدا ظلما على الدار التى اتخذتها الأئس و الجن مزارا

طالما الأملاك فيها أصبحت تلمم الأعتاب فيها و الجدارا

و من النار بها ينجو الورى من على أعتابها أضرم نارا

و النبي المصطفى كم جاءها يطلب الإذن من الزهراء مرارا

و عليها هجم القوم و لم تك لائت لا و عليها الخمارا

لست أنساها و يا لهفى لها إذ وراء الباب لاذت كى توارى

طاشتكين المستجدى الأمير أبو المكارم.

قال الدكتور مصطفى جواد:

هو مجير الدين طاشتكين المستجدى أمير الحاج، و زعيم بلاد خوزستان، كان شيخا خيرا حسن السيره كثير العباده مظهرا لتشيعة، حج بأهل العراق و موالى الدوله العباسيه سنه ٥٦٦ و ما بعدها و فى سنه ٥٧١ حدثت بينه و بين الأمير مكث بن عيسى أمير مكه حرب و كان الخليفه المستضىء قد أمره بعزل مكث عن الاماره و إقامه أخيه داود بن عيسى، و سبب ذلك أنه كان قد بنى قلعه على جبل أبى قبيس فلما سار الحاج عن عرفات لم يبيتوا بالمزدلفه و إنما اجتازوا بها فلم يرموا الجمار إلا بعضهم فإنهم رموها و هم سائرون، ثم نزلوا الأبطح فخرج إليهم ناس من أهل مكه فحاربوهم و قتل من الفريقين جماعه و صاح الناس: الغزاه إلى مكه، فهجموا عليها، فهرب أمير مكه مكث و صعد إلى القلعه التى كان قد بناها على جبل أبى قبيس، فحصره بها، ففارقها و سار عن مكه، و ولى أخوه داود الاماره، و جرى فى مكه ما يستنكر حينما يذكر، و فى سنه ٥٩٢ خرج الأمير طاشتكين مع الوزير عضد الدين أبى الفرج محمد بن عبد الله بن رئيس الرؤساء و الأمير غرغلى لحرب أحد الملوك و هو ابن ملك شاه بن محمود فإنه وصل فى هذه السنه إلى خوزستان و صاحبها (شمله) فخر بها و نهبها و فتك فى الناس و سبى حريمهم و فعل كل قبيح، فوصل الخبر إلى بغداد و خرج الوزير عضد الدين و عرض العسكر و وصل عسكر الحله و واسط مع الأمير طاشتكين، فساروا جميعا نحو العدو فلما سمع بوصولهم فارق مكانه و عاد و كان معه من التركمان جمع كثير، فنهبتهم العساكر البغداديه و لكنهم رجعوا من غير استثمار فى العود، فأنكر الخليفه عليهم ذلك و أمرهم بالعوده إلى موافقهم، فعادوا لأوائل شهر رمضان من السنه، و كان ابن ملك شاه قد رجع فنهب البندنجين المعروفه اليوم بمندلى، و أخذ منها ما كان سلم فى الأول من النهب و وقعت بين الجيشين وقيعه ثم افترقوا و غادر ابن ملك شاه ولايه العراق و كان ابن جبير الرحاله قد اتفق حجه البيت الحرام سنه ٥٧٩ و أمير الحاج طاشتكين قال (و كانت محله هذا الأمير العراقى جميله المنظر بهيه العده راتقه المضارب و الأبنيه عجيبه القباب و الأروقه على هيئات لم نر أبداع منها منظرًا، فأعظمها مضرب الأمير و ذلك أنه أحدق به سرادق كالسور من كتان كأنه حديقه بستان أو زخرفه بنيان و فى داخله القباب المضروبه و هى كلها سواد فى بياض مرقشه ملونه كأنها أزاهير الرياض و قد جللت صفحات ذلك السرادق من جوانبه الأربعة كلها أشكال درقيه من ذلك السواد المنزل فى البياض، يستشعر الناظر إليها مهابه يتخيلها درقا لمطيه قد جللتها مزخرفات الأغشيه، و لهذا السرادق الذى هو كالسور المضروب أبواب مرتفعه كأنها أبواب القصور المشيده، يدخل منها إلى دهاليز و تعاريح ثم يفضى منها إلى الفضاء الذى فيه القباب و كان هذا الأمير ساكن فى مدينه قد أحدق بها سورها تنتقل بانتقاله و تنزل بنزوله و هى من الأبهاث الملوكيه المعهوده التى لم يعهد مثلها عند ملوك المغرب، ثم قال فى خبر

بنت الأمير مسعود السلجوقي: (و هي إحدى الخواتين الثلاث اللاتي وصلن للحج مع أمير الحاج أبي المكارم طاشتكين مولى أمير المؤمنين الموجه كل عام من قبل الخليفة و له يتولى هذه الخطه نحو الثمانيه أعوام أو أزيد ثم قال: و الأمير طاشتكين المتقدم الذكر يقيم بالحله ثلاثه أيام إلى أن يتقدم جميع الحاج ثم يتوجه إلى حضره خليفته، و هذه الحله المذكوره طاعه بيده للخليفه (كذا) و سيره هذا الأمير في الرفق بالحاج و الاحتياط عليهم و الاحتراس لمقدمتهم و ساقطهم و ضم نشر ميمنتهم و ميسرتهم سيره محموده و طريقتة في الحزم و حسن النظر طريقه سديده و هو من التواضع و لين الجانب و قرب المكان على وتيره سعيدة، نفعه الله و نفع المسلمين به).

ص: ١٥٣

إلى زعامه خوزستان و توفى بتستر المعروفه اليوم بششتر فى ثانى جمادى الآخره من سنه ٦٠٢ و حمل تابوته إلى الكوفه فدفن بمشهد على (ع) بوصيه منه

الشيخ عبد الامام الاحسائي.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فقيها مفسرا تصدر للافتاء بامر الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي فى قريه الأحساء و له رساله فى شرح الأسماء الحسنى. و كتاب فى وجوب غسل الجمعة. و رساله فى العدالة.

توفى سنه ١٢٠٩.

الشيخ عبد الباقي بن الشيخ أحمد العقيرى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان عالما بأنسب العرب، مشهورا بين فضلاء الأدب، له كتاب فى تاريخ المولدين من الشعراء لم يسبق مثله سابق و من قصائده البديعه:

هذا اللوى فأحبس مطيک فاعقل و اساله عن قلبى و إن لم يعقل

و لم يحضرنى الآن تاريخ وفاته و له من الأولاد الشيخ أحمد كان من العلماء.

الشيخ عبد الجبار الرفاعى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

من أجلاء المتأخرين و كان من شيوخ الإجازة، كما يعلم من إجازة الشيخ الأمد الشيخ أحمد الأحسائي و له تأليفات رائعه منها شرح التذكرة و كتاب شرح التبصره، و رساله فى الإجماع، و رساله فى الامامه، و رساله فى القرعه و الأجوبه الخراسانيه و غير ذلك، مات قدس سره سنه ١٢٠٥.

السيد عبد الرؤف الجد حفصى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان عالما، شاعرا، نحويا، عروضيا، أدبيا، خطيبا، له كتاب نفيس فى خطب الجمعة، و كتاب فى تاريخ الشعراء، و كتاب فى القصائد و المراثى و من قصائده الفاخره:

إلى كم تطيل النوح حول المراع و تدرى على الدارات در المدامع

و تندب رسما قد محته يد البلاد و تشجيك آثار الطلول البلاقع

و تقضى غراما عند تذكار دمنه لأرام أنس فى القلوب رواتع

إلى أن قال:

فهم أمنا الله فى هل أتى أتى مديحهم بالنص غير مدافع

براهين فضل قد جلت عن معارض و آيات فصل قد علت عن مضارع

بهم أشرق الدين الحنيفى غب ما دجى و تجلب مبهمات الشرائع

إلى أن قال:

فحبكم فى الحشر أقوى وسيله و عقد لاكم ثم أوجه شافع

و هذه القصيده تقارب المائتى بيتا و لم يحضرنى تاريخ وفاته فاما قبره الشريف فى جد حفص فهو مشهور رحمه الله عليه و له من الأولاد السيد أحمد.

السيد عبد الرضا السيد صالح بن السيد محمد الأحسائى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هذا هو الفاضل الذى كتب شيخنا العلامة الشيخ سليمان الماحوزى، له المسائل الجهرميه و هو ذو التصانيف البديعه، له كتاب فى القصائد و الرثاء و كتاب فى وجوب الجمععه عينا، سكن فى جهرم و مات قدس سره سنه ١٢٠٠.

الشيخ عبد الحسين القمى

المعروف بابن الدين.

ولد فى قم سنه ١٣٢١ و توفى فى طهران سنه ١٣٩٠.

كانت دراسته فى قم فاخذ اللغه العربيه عن الشيخ محمد حسين الأردستانى و الفقه و السطوح على الشيخ محمد حسين النجار و الأصول عن الشيخ مهدي حكى و الفلسفه عن الشيخ محمد على شاه آبادى، ثم قوى لغته العربيه عند السيد محمد جواد القمى. ثم تفرغ للتخصص فى الفقه و الأصول على مؤسس حوزة قم الشيخ عبد الكريم، فظل فى تلك الحوزه اثنتى عشره سنه يتلقى الدروس و يلقياها، و بعد وفاه الشيخ عبد الكريم انتقل إلى طهران و تولى التدريس فى مدرسه مروى، ثم فى مدرسه

سيهسالار [سيهسالار] حيث كان أستاذ الفقه و التفسير. كما تولى تدريس اللغة العربية في كلية الالهيات و المعارف الإسلاميه. و في خلال ذلك ترجم إلى اللغة الفارسيه كتاب إعجاز القرآن للرافعي و كتب له مقدمه و علق عليه، كما ألف بالفارسيه كتاب الأصول الاجتماعيه في الإسلام، و كتاب المحاضرات الدينيه، و قد طبعت هذه الكتب الثلاثه.

و له من المؤلفات غير المطبوعه: أصول فن الخطابه، و أصول المعارف الإسلاميه و تراجم شعراء العرب و كلها بالفارسيه.

و قد كان كاتباً أديباً باللغة العربية كتب بها كثيراً من البحوث، نشرتها المجلات العربيه لا سيما العرفان و المرشد و رساله الإسلام.

و قد اشتهر باسم (ابن الدين) لأنه كان يوقع به مقالاته، و ظل مثابراً على ذلك حتى عرف بهذا الاسم و لم يشتهر له غيره طيله حياته.

الشيخ عبد الحسين بن رقيه.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من بقيه أهل الكمال، جمع مع الشعر علم الرجال، له كتاب في علم الدرايه، و كتاب في علم الرجال مبسوط، و له ديوان معروف و من قصائده البديعه:

ص: ١٥٤

تعود لمشتاق تزايد وجدته و ما قد مضى فى الدهر ليس بمرجع

إلى أن قال:

و خطب بكت منه السماء و صدعت له الأرض و الأطواد أى تصدع

فديت حسينا حين ودع راحلا لأكرم جد و هو خير مودع

فأمسى يجد السير لم يك وانيا غداه دعوه طالبا ما له دعى

على أنه ذاك الامام و لم يكن بما رامه فى ذلك الأمر مدعى

عبد الرحمن بن عبيد الهمداني.

لما قام المختار يطلب بثار الحسين (ع) فى الكوفة دعا بسلام له أسود يقال له رزين، و كان فارسا بطلا، فقال: ويلك يا رزين! قد بلغنى عن الشمير بن ذى الجوشن أنه قد خرج عن الكوفة هاربا فى نفر من غلمانه و من اتبعه، فاخرج فى طلبه فلعلك تأتيني به أو برأسه، فانى ما أعرف من قاتل الحسين بن على أعتى منه و لا أشد بغضا لأهل بيت رسول الله (ص).

فاستوى رزين على فرسه و خرج فى طلب الشمير بن ذى الجوشن فجعل يسير مسيرا عنيفا، و هو فى ذلك يسأل عنه فيقال له: نعم إنه قد مر بنا آنفا، فلم يزل كذلك حتى نظر إليه من بعيد، قال: و حانت من الشمير التفاته فنظر إلى رزين غلام المختار فقال لغلمانه: سيروا أنتم فان الكذاب قد بعث بهذا الفارس فى طلبى! قال: ثم عطف الشمير على غلام المختار و تطاعنوا برميهم، طعنه الشمير طعنه قتله ثم مضى.

و بلغ ذلك المختار فاغتم لذلك غما شديدا، ثم دعا برجل يقال له عبد الرحمن بن عبيد الهمداني، فضم إليه عشره من أبطال أصحابه ثم قال: يا عبد الرحمن! إن الشمير قد قتل غلامى رزينا و مر على وجهه، و لست أدري أى طريق سلك، و لكنى أنشدك بالله يا أخا همدان ألا قررت عيني أنت و من معك بقتله إن قدرتم على ذلك.

فخرج عبد الرحمن بن عبيد فى عشره من أصحاب المختار فى طلب الشمير بن ذى الجوشن، فجعلوا يسيرون و هم يسألون عنه و يمضون على الصفة، قال: و الشمير قد نزل إلى جانب قريه على شاطئ الفرات يقال لها الكلتانية و هو جالس فى غلمانه، و معه قوم قد صحبوه من أهل الكوفة من قتله الحسين بن على رضى الله عنهما، و هم آمنون مطمئنون، و الشمير قد نزع درعه، ورمى به ورمى ثيابه و اتزر بمتزر و جلس، و دوابه بين يديه ترعى، فقال له بعض أصحابه ممن كان معه: إنك لو رحلت بنا عن هذا المكان لكان الصواب، فانك قد قتلت غلام المختار، و لا نأمن أن يكون قد وجه فى طلبنا! قال: فغضب الشمير من ذلك و قال: ويلكم أكل هذا خوفا و جزعا من الكذاب، و الله لا- برحت من مكاني هذا إلى ثلاثة أيام و لو جاءنى الكذاب فى جميع أصحابه! قال: فو الله ما فرغ من كلامه حينما حتى أشرفت عليه خيل المختار، فلما نظر إليهم وثب قائما فتاملهم، قال: و نظروا إليه و كان أبرص، و البرص على بطنه و سائر بدنه كأنه ثوب ملمع. قال: ثم ضرب بيده إلى رمحه ثم دنا من أصحاب المختار و هو يومئذ متر بمنيديل و هو يرتجز و يقول:

تيمموا ليثا هزبرا باسلا جهما محياه يدق الكاهلا

لم يك يومنا من عدونا كلا إلا كذا مقاتلا أو قاتلا

يمنحك طعنا و موتا عاجلا

قال: فقصده عبد الرحمن بن عبيد و هو يرتجز و يقول:

يا أيها الكلب العوى العامرى أبشر بخزى و بموت حاضر

من عصبه لدى الوغى مساعر شم الأنوف ساده مغاور

يا قاتل الشيخ الكريم الطاهر أعنى حسين الخير ذى المفاخر

و ابن النبى الصادق المهاجر و ابن الذى كان لدى التشاجر

أشجع من ليث عرين خادر ذاك على ذو النوال الغامر

ثم حنق عليه الهمدانى فطعنه فى نحره طعنه فسقط عدو الله قتيلًا، و نزل إليه الهمدانى فاحتر رأسه، و قتل أصحابه عن آخرهم، و أخذت أموالهم و أسلحتهم و دوابهم، و أقبل الهمدانى برأسه و رؤوس أصحابه إلى المختار حتى وضعها بين يديه، فلما نظر المختار إلى ذلك خر ساجدا لله، ثم أمر برأس الشمر و أصحابه فنصبت بالكوفة فى وجه الحدادين حذاء المسجد الجامع، ثم أمر لهذا الهمدانى بعشره آلاف درهم و ولاه أرض حلوان.

عبد الرحمن بن عبيد.

كان الضحاک بن قيس واليا على الكوفة لمعاويه بن أبى سفيان. و كان قبل ذلك أيام أمير المؤمنين (ع) قد أغار على الحيره، فأرسل إليه أمير المؤمنين جيشا بقياده حجر بن عدى الكندى فما زال مغذا فى أثر الضحاک حتى لقيه بتدمر فواقفه فاقتلوا ساعه، و حجز بينهم الليل فمضى الضحاک، فلما أصبحوا لم يجدوا له و لا لأصحابه أثرا.

عن محمد بن مخنف (١) قال: إني لأسمع الضحاک بن قيس بعد ذلك بزمان على منبر الكوفة يخطبنا و هو يقول: أنا ابن قيس، و أنا أبو أنيس، و أنا قاتل عمرو بن عميس، قال: و كان الذى ظاهره على ذلك أنه أخبر أن رجالا من الكوفة يظهران شتم عثمان و البراء منه قال: فسمعتة و هو يقول:

بلغنى أن رجالا منكم ضلالا يشتمون أئمة الهدى و يعيبون أسلافنا الصالحين، أما و الذى ليس له ند و لا شريك لئن لم تنتهوا عما بلغنى عنكم لأضعن فيكم سيف زياد ثم لا تجدوننى ضعيف السوره، و لا كليل الشفره (٢)، أما و الله إني لصاحبكم الذى أغرت على بلادكم فكنت أول من غزاها فى الإسلام فسرت ما بين الثعلبيه و شاطئ الفرات، أعاقب من شئت و أعفو عمن شئت، لقد ذعرت المخبثات فى خدورهن، و إن كانت المرأه ليكى ابنها. فلا ترهبه و لا تسكتة إلا بذكر اسمى، فاتقوا الله يا أهل

فقام إليه عبد الرحمن بن عبيد فقال: صدق الأمير و أحسن القول ما أعرفنا و الله بما ذكرت..! و لقد أتيناك بغربى تدمر فوجدناك شجاعا صبورا مجربا، ثم جلس فقال: أ يفتخر علينا بما صنع فى بلادنا أول ما قدم؟! و ايم الله لأذكرنه أبغض مواطنه تلك إليه، قال: فسكت الضحاك قليلا فكأنه خزى و استحيا ثم قال: نعم كان ذلك اليوم باخره (٣) بكلام ثقيل ثم نزل.

ص: ١٥٥

-
- ١- هو محمد بن مخنف بن سليم بن الحارث الغامدى، أبوه صحابى و قد رأى عليا (ع) عند مقدمه البصره و قد بلغ الحلم و روى عنه (انظر صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠ و ميزان الاعتدال ٣٢/٤) و قد تجاهله الذهبى.
 - ٢- السوره: السطوه، و الشفزه: السكين العظيم
 - ٣- باخره: أخيرا، و قوله: " بكلام ثقيل " أى جاء به متثاقلا كأنه يجره جرا من شده الخجل.

فقلت لعبد الرحمن بن عبيد أو قيل له: لقد اجترأت حين تذكره ذلك اليوم و تخبره أنك كنت فيمن لقيه، فقال: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) .

قال: و حدثني ابن أخي (١) محمد بن مخنف، عن أبيه عن عمه قال الضحاك لعبد الرحمن بن مخنف حين قدم الكوفه: لقد رأيت منكم بغربي تدمر رجلا- ما كنت أرى في الناس مثله رجلا، حمل علينا فما كذب حتى ضرب الكتيبه التي أنا فيها، فلما ذهب ليولى حملت عليه فطعنته في قمته فوقع ثم قام فلم يضره شيئا فذهب، ثم لم يلبث أن حمل علينا في الكتيبه التي أنا فيها فصرع رجلا ثم ذهب لينصرف فحملت عليه فضرته على رأسه بالسيف فخيّل إلى أن سيفي قد ثبت في عظم رأسه قال: فضررتني، فو الله ما صنع سيفه شيئا ثم ذهب! فظننت أنه لن يعود، فو الله ما راعنى إلا- و قد عصب رأسه بعمامه ثم أقبل نحونا، فقلت: ثكلتك أمك أ ما نهتك الأوليان عن الاقدام علينا؟ قال: و ما تنهينى و أنا أحتسب هذا في سبيل الله؟! ثم حمل علينا فطعننى و طعنته فحمل أصحابه علينا فانفصلنا و حال الليل بيننا. فقال له عبد الرحمن بن مخنف: هذا يوم شهده هذا يعنى ربيعه بن ناجد (٢) و هو فارس الحى و ما أظن هذا الرجل يخفى عليه فقال له: أ تعرفه؟ قال: نعم، قال:

من هو؟ قال: أنا! قال: فارنى الضربه التي برأسك. قال: فأراه فإذا هي ضربه قد برت العظم منكره. فقال له: ما رأيك اليوم فينا؟ أ هو كرايك يومئذ؟ - قال: رأى اليوم رأى الجماعه، قال: فما عليكم اليوم من بأس، أنتم آمنون ما لم تظهروا خلافا، و لكن العجب كيف نجوت من زياد؟ لم يقتلك فيمن قتل؟ أ و لم يسيرك فيمن سير؟ قال: أما التسيير فقد سيرنى و أما القتل فقد عافانا الله منه. و الأرجح اتحاده مع الذى مر.

عبد الرحمن بن الحسين النعمانى القاضى.

هو أبو منصور عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله النعمانى النبلى المعروف بشريح، قدم بغداد و استوطنها و شهد بها عند قاضى القضاة أبى الحسن محمد بن جعفر الهاشمى العباسى فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة من سنه خمس و ثمانين و خمسمائه، و زكاه العدلان أبو الحسن على بن المبارك بن جابر و أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المأمون، و كان يتولى قضاء بلده "النعمانيه" أيضا و التحق بأمر الحاج طاشتكين المستنجدى الشيعى و خدمه متوليا لإشغاله، و هو الذى قرأ عهد قاضى القضاة ضياء الدين أبى الفضائل القاسم بن يحيى الشهرزورى سنه ٥٩٥ بجامع القصر المعروف اليوم بعضه بجامع سوق الغزل، و كان فاضلا، متميزا، مترسلا، و له رسائل قال الحافظ محمد بن سعيد بن يحيى الواسطى أنشدنى أبو منصور المعروف بشريحللصاحب إسماعيل بن عباد فى الاعتزال:

قلت يوما و ذاك مما دهانى ما احتيالى فى ما مضى ما احتيالى؟

فجفانى و قال: ما وصل من قال بخلق الأفعال من أفعالى

كان لى فى هواك رأى فلما قلت فى الجبر فى هواى بدا لى

و قال أنشدنى مذاكره من حفظه:

كم قلت للخاطر أنجدني بنادره فقال يومك منى نصره خرق

ما دمت أجنى ولا أسقى فلا ثمر يبقى لجانى فى عودى ولا ورق

توفى القاضى عبد الرحمن هذا ليله الأربعاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ٦٠٣ و دفن فى داره بالقيبات بالقرب من محله قراح أبى الشحم بشرقى بغداد.

ديك الجن عبد السلام بن رغبان.

إشارة

مرت ترجمته فى الصفحة ١٢ من المجلد الثامن، و نضيف إليها هنا ما يلى:

ديوانه

صدر ديوانه سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦ م) و قد حققه و أعد تكملته كل من أحمد مطلوب و عبد الله الجبورى، و كان قد سبق أن صدر له ديوان من قبل، جمعه و شرحه كل من عبد المعين الملوحي و يحيى الدين الدرويش الذين جمعه من بطون الكتب لعدم العثور على ديوان له.

و الديوان الذى جمعه مطلوب و الجبورى حاولا فيه تكمله الديوان الأول و زادا عليه ما يتعلق بشعر الشاعر فى آل البيت (ع)، و هى ثمانى قصائد فى ١٥٦ بيتا، و قصائد أخرى عثرا عليها فى المجموعه التى جمعها الشيخ محمد السماوى و أضافا إليها ما لم يذكره. كما جاء بقصائد و أبيات لم تذكر فى ديوانيه المطبوع و المخطوط. و عن ديوانه كتب هلال ناجى ما يلى:

نشر الأستاذان عبد المعين الملوحي و محيى الدين الدرويش، مجموعه من شعر ديك الجن الحمصى فى حمص بسوريا سنة ١٩٦٠ و قد ضم المجموع فى دفتيه (٤١٧) بيتا جمعها من شتيت المظان.

و قد استطاع الأدبيان العراقيان الدكتور أحمد مطلوب و عبد الله الجبورى أن يعيدا نشر المجموع بعد أن أضافا إليه إضافات مهمه أبرزها زياده (٢٢) - قصيده و قطعه تقع فى (٢٢٤) بيتا، أضافها إلى مطبوعه الملوحي و الدرويش.

و عملهما العلمى هذا جدير بكل تقدير، و يمثل فى رأينا إضافه قيمه للتراث العربى المنشور.

و قد أحببنا أن ندلى بدلونا بين الدلاء فنستدرك على الجبورى و مطلوب بعض ما فاتهما من شعر ديك الجن آملين أن ينتفع بها المحققان الفاضلان فى طبعه قابله. و أجمل هذه المستدركات فى الآتى:

١ - قال ديك الجن:

لا مت قبلك بل أحيأ و أنت معا و لا بقيت إلى يوم تموتينا

لكن نعيش كما نهوى و نامله و يرغم الله فينا أنف و اشينا
حتى إذا ما انقضت أيام مدتنا و حان من يومنا ما كان يعدونا
متنا كلانا كغصنى بانه ذبلا من بعد ما استورقا و استنضرا حيننا
انظر " الحماسه البصريه " ١-٢٦٥.

٢ - و قال ديك الجن:

ليس يخشى جيش الحوادث من جنده و فدا صبابه و دموع

ص: ١٥٦

١- لمحمد بن مخنف عده اخوه منهم عامر بن مخنف و يكنى أبا رمله، و سعيد بن مخنف جد أبى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأخبارى المشهور و عبد الله بن مخنف فالراوى ابن لواحد من هؤلاء و لا ريب أن بعض السند قد سقط لبعده روايه صاحب الكتاب عن ابن أخى محمد المذكور.

٢- ربيعه بن ناجد - بالبدال المهمله - الاسدى عده الشيخ فى رجاله من أصحاب على (ع)

قمر حين رام أن يتجلى سار فيه المحاق قبل الطلوع

فلذه من صميم قلبى و جزء من فؤادى و قطعه من ضلوعى

لصغير أعار رزء كبير و فريد أذاق فقد جميع

إن تكن فى التراب خير ضجيع كنت لى فى المعاد خير شفيح

انظر " الحماسه البصريه " ١-٢٧٢.

٣- و قال ديك الجن:

و ليس المرء ذو العزمات إلا فتى تلقاه كل غد بلاد

فتى ينصب فى صدر الفيافى كما ينصب فى المقل الرقاد

انظر " الحماسه البصريه " ج ١ هامش الصفحه ١١٥ و " حماسه ابن الشجرى " ص ٢٦٩ و فيها:

(فتى ينصب فى ثغر الليالى)

و قد ورد البيت الثانى منهما فقط فى الديوان و روايته:

فتى ينصب فى ثغر الليالى كما ينصب فى المقل السواد

٤- و قال ديك الجن:

غراء جاءت و أفواه الثرى يبس لكنها انصرفت و النور منغمس

تسرى و للريح فى حافاتها زجل يريك ذهنك أن الرزق ينبجس

فى ماتم للحيا ما انهل عارضه إلا و فيه لأبكار الثرى عرس

انظر " الحماسه البصريه " ٢-٣٤٩-٣٥٠.

٥- و قال ديك الجن:

و كم قربت من دار عبه عبه كجندله السور المقابل تشرفه

فيرعى الفلا ما قد رعته من الفلا و ينحفها المرت القفار و تنحفه

انظر " الحماسه البصريه " ٢-٣٦٠ و " الأشباه و النظائر " للخالد بين ٢-٢٨١.

٦- و قال ديك الجن و هو من أطف أنواع التخير، (و هو أن ياتي الشاعر بيت يسوغ أن يقف بقواف متعدده فيختار منها قافيه مرجحه على سائرها، تدل على حسن اختياره):

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى عند المنام

عند الرقاد - عند الهجوع - عند الوجود - عند الوسن

فعسى أنام فتنظى نار تأجج فى عظامى

فى فوادى - فى ضلوعى - فى كبودى - فى البدن

جسد تقلبه الأكف على فراش من سقام

من القتاد - من الدموع - من الوقود - من الحزن

أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

من معاد - من رجوع - من وجود - من ثمن

انظر " أنوار الربيع " ٢-١٥٠ و " خزانه الأدب و غايه الإرب " لابن حجه الحموى ص ٧٨.

٧- و كتب ديك الجن إلى بعض أخوانه:

لك عندى من طيب الورد أطباق ملاح تدنى بعيد سرورك

و شراب كطيب نسكر يلقى فوق أيدى السقاء نورا كنورك

فبحقى، أهد السرور إلى من لا يلد الدنيا بغير حضورك

انظر - " قطب السرور " ص ٣٥١. ٨- و قال ديك الجن:

و ليله بات ظل الغيث ينسجها حتى إذا كملت أضحي يدبجها

يبكى عليها بكاء الصب فارقه إلف و يضحكها طورا و يبهجها

إذا يضحك فيها الورد نرجسها باهى زكى خزامها بنفسجها

فقلت فيها لساقينا و في يده كاس كشعله نار بات يوهجها

لا تمزجها بغير الماء منك فان تبخل يداك فدمعى سوف يمزجها

أقل ما بي من حبيك أن يدي إذا سمت نحو قلبي كاد ينضجها

انظر "قطب السرور" ص ٥٤٨.

٩ - و قال ديك الجن:

خليلى هبا عللانى مدامه معتقه مما تخير نوح

فما العيش إلا أن أفوز بسكره و ما الغبن إلا أن يقال صحيح

سأجمع فى حب البطاله و الصبا و إن لام فيه عادل و نصيح

انظر "قطب السرور" ص ٥٦٠.

١٠ - و قال ديك الجن:

وقنان زواهر هن بالشمس من الشمس بالقلائد أحكى

يتبسمن قائمات صوفا فإذا ما ركعن قهقههن ضحكا

قلت: خذها و عاطنيها سلافا ذهباً فى الزجاج يسبك سبكا

انظر "قطب السرور" ص ٦٥٨.

١١ - و مما يستدرك على الفائيه المشوره فى الصفحات ١٧٧-١٧٩ البيتان التاليان:

كأنما التف من هداى راهبه يستوحش الأنس إلا يبعه أنفا

فكان فى ضوءها إذ قام مصطبحا و ضوء و جنته ما عمنا و كفى

انظر "قطب السرور" ص ٦٤٧-٦٤٨.

١٢ - و فى الديوان ورد البيت الثالث ص ١٨٩ بالروايه التاليه.

صفراء (....) فاصفرت فأنت ترى ذوبا من التبر رسوا فوقه الشرفا

و صواب الروايه:

صفراء أو قل ما اصفرت فأنت ترى ذوبا من الدر رسوا فوقه صدفا

انظر "قطب السرور" ص ٤٤٨:

١٣ - و مما يستدرک علی البيتين المنشورين في الصفحة ١٨١ من الديوان قوله:

و من عرف الأيام لم يغترر بها و بادر باللذات قبل العوائق

انظر "قطب السرور" ص ٤٥١.

١٤ - و في مواضع غير قليلة لاحظت عدم دقه في التحقيق. فالغرض الأول من ذكر مراجع القصيده و مصادرها هو إثبات الاختلاف في الروايات أو في النسبه - إن وجدت -، لكن المحققين الفاضلين أغفلا ذلك في مواضع عديده. من ذلك مثلا القطعه المنشوره في ص ١٠٧-١٠٨، فالبيت الثاني منها روايته في الديوان:

و قم أنت فاحث كاسها غير صاغر و لا تسق إلا خمرها و عقارها

و ذكر المحققان في الهامش رقم (٣) ص ١٠٧ ما نصه: "شرح المقامات - فقم" فهذا هامش مبتور و غير علمي، مبتور لأن النص الوارد في "شرح المقامات" ج ٤ ص ٢٣٦ يختلف عجزه اختلافا كليا عن النص الوارد في

ص: ١٥٧

الديوان، فراويه العجز في شرح المقامات كالاتي:

ولا تسق مطبوخا و اسق عقارها

فالهامش مبتور إذن، وهو غير علمي إذ لم يذكر رقم الجزء و الصفحة من شرح المقامات. و هناك أيضا نقص في تخريج القطعه فالأبيات ٢ و ٣ و ٤ و ٥ منها وردت أيضا في "التشبيهاً لابن أبي عون ص ١٨١، ثم إن القطعه كامله مع اختلاف جوهرى فى الروايه مثبتة فى "قطب السرور" ص ٦٢٣-٦٢٤ و هى أيضا فى "أنوار الربيع" ٦٣/٤ و الأول و الرابع منها فى "خزانه الأدب" لابن حجه الحموى ص ٢١٠ و كلها مراجع لم يقف عليها المحققان الفاضلان.

مثال آخر على عدم الدقه يتجلى فى القطعه رقم ٢٣ المنشوره فى الصفحتين ١١٦-١١٧ فمن مطالعه الهامش رقم (١) ص (١١٦) نجد أن هذه القطعه قد وردت فى المصادر التاليه - الأصل: "نهايه الإرب" ١٥٩/٤ و الديوان المطبوع ١٠٩، و المصون "١٥٩، و يتبادر إلى الذهن أن المحققين سيشيران إلى اختلاف الروايات بين هذه المصادر فى الهامش حتما. و من الأمانه أن نقول أنهما أثبتا بعضها فعلا، و من الأمانه أن نقول أيضا: أنهما أهملتا أبرزها. من ذلك أنك تقرأ البيت الثانى و روايته:

قامت مذكره و قام مؤنثا فتناهما الألاحظ بالنظرين

و ذكر فى الهامش رقم (٢) ما نصه: (فى الأصل و "نهايه الإرب":

قامت مؤنثه

، و التصحيح من الديوان و المصون). و لكن هل هذه روايه "المصون" حقا؟؟ دعنا نرجع إلى المصون للعسكرى ص ١٥٩ فما ذا نجد؟ نجد العجز بروايه أخرى تماما هى:

فتنازعا المهجات باللحظين

بل و نجد بيتا آخر يليه لا وجود له عند المحققين و نصه:

لا زال من بغض الصيام مبغضا يوم الخميس إلى و الاثنين

أكثر من ذلك أن الأبيات الأول و الثانى و السابع من هذه القطعه موجوده فى "قطب السرور" ص ٧٠٣ بروايه أخرى لم يقف عليها المحققان الفاضلان. و من ذلك ما أثبتته فى الهامش رقم (١) ص (١٧٥) و نصه:

(البيتان فى "سحر البيان" ١٦٤ و نهايه الإرب ٩٨/٣ و الديوان ٦٧. و الأول فى "خاص الخاص" ١٠٢).

ثم إن القطعه (٧) المنشوره فى ص ٩٠-٩١ موجوده فى مراجع أخرى غير التى ذكرها المحققان الفاضلان هـى: "أنوار الربيع" ٤٦٣-٤٦٤/٤ و "أمالى الزجاجى" ١٠٢-١٠٣ منسوبه لديك الجن و "ذم الهوى" لابن الجوزى ٤٦٩-٤٧١ مع اختلاف فى الروايه و لعل فى الرجوع إليها فائده، ثم إن الكلام حول هذه النقطه كثير لا تتسع له مثل هذه الكلمه المقتضبه.

١٥ - فى المقدمه التى عقدها المحققان الفاضلان للحديث عن "ديك الجن. حياته و ديوانه" ذكرا فى الصفحه التاسعه ما قاله النواجى فى "حلبه الكميت" من أمر لقاء أبى تمام مع ديك الجن فى حمص، و قالوا: (و هذه روايه انفرد بها الشيخ النواجى، و قد لا تكون صحيحه، لأن أبى تمام كان يختلف إلى ديك الجن فى حمص إبان نشاته الشعريه و يستفيد منه، فكيف يتخفى عنه؟). يبدو لى من هذا الكلام أنه قد فاتهما الاطلاع على نص بالغ الأهميه ذكره ابن ظافر الأزدى فى "بدائع البداءه" ص ٦٨ و نصه: (أن أبى تمام لقي ديك الجن و هو طفل يلعب، و يدعى قول الشعر، فقال: إن كنت شاعرا كما تقول، فاجز: فرقوا بين من أحب و بينى).

فقال: أ بعد أم قرب؟ فقال أبو تمام: بعد، فقال:

مثل بعد السماك و الفرقدين.

فقال له: قرب، فقال:

مثل ما بين حاجبى و عينى).

و على أيه حال فبين هذا النص و نصوص أخرى ذكرت أستاذه ديك الجن لأبى تمام تعارض ظاهر. و هو تعارض كان يستوجب التدقيق و التحقيق.

أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل الحلبي

- المعروف بابن الجلى.

قال السيد عبد العزيز الطباطبائى و بيت الجلى - بكسر الجيم المعجمه و تشديد اللام - من البيوت العلميه العريقه الشيعيه فى حلب، أنجبت أعلاما فى الفقه، و الحديث، و الأدب فى القرنين الرابع و الخامس، منهم أبو الفتح هذا، و أبوه، و جده.

ترجم ابن العديم فى بغية الطلب فى تاريخ حلب لأبيه إسماعيل بن أحمد، و قال: حدث بحلب، عن أبيه... و روى عنه ابنه أبو الفتح...

و أخرج من طريقه

حديث على (ع): "نزلت النبوه يوم الاثنين، و صليت مع النبى (ص) يوم الثلاثاء".

و ترجم له أيضا ابن حجر فى لسان الميزان ٣٩٢/١، ناقلا- عن تاريخ ابن أبى طى أنه قال: إمام فاضل فى الحديث، و فقه أهل البيت، روى عن أبيه و... توفى سنة ٤٤٧، و لإسماعيل أسفار فى فنون شتى، (انتهى).

و أما ابنه أبو الفتح، فقد روى عن أبيه سنة ٤٠٧، فتقدر ولادته حدود سنة ٣٩٠، و روى أيضا عن أبى نمير الأسدى عبد الرزاق بن عبد السلام، و روى عنه على عبد الله بن أبى جراده العقيلى الحلبى، و نظام الملك الطوسى الوزير، و أبو بكر الخطيب البغدادى.

له ترجمه فى أنساب السمعانى "الجلى"، و وهم فسماه أحمد، و المشتبه ١/١٦٨، و تبصير المنتبه ١/٣٤٢، و تاج العروس ٧/٢٦٢. له تذييل على نهج البلاغه.

قال ابن أبى الحديد فى شرحه ١٨/٢٢٥، فى حديث ضرار بن ضميره:

فان الرياشى روى خبره، و نقلته أنا من كتاب عبد الله بن إسماعيل بن أحمد الحلبى، فى التذييل على نهج البلاغه.

الشيخ عبد على بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم البحرانى

من آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

ص: ١٥٨

قال الشيخ أحمد الأحسائي: إنه أحد فضلائنا في البحرين.

وقال العلامة النيسابوري بعد ذكر جمل من أوصافه أنه من فقهاء أهل البيت (ع) و كان أخباريا و له كتاب كبير مسمى ب "إحياء الشريعة" و هو كتاب لم يسبقه سابق إلى أن قال: و هو العلامة و ابن العلامة و أخو العلامة و ابنه العلامة و من مصنفاته كتاب (الأحياء) و رساله في التقيه، و رساله في حديث لا ضرر و لا ضرار، و كتاب في المسائل المتفرقه. و مناسك الحج، و رساله في عدم حجيه الإجماع كما هو اعتقاد مشايخه، و كتاب في رد من قال: بحجيه البراءه الأصلية، و كتاب في حديث (العبوديه جوهره كنهها الربوبيه) و رساله في منجزات المريض، و رساله في حجيه خبر الآحاد، و رساله في عدم جواز نقل الأموات إلى المشاهد المشرفه و الرد على أخيه صاحب الحدائق حيث جوز ذلك، و رساله في وجوب غسل الجمعة. و أجوبه المسائل البصريه و غير ذلك من الأجوبه قال ابنه الشيخ خلف: إن أبى طاب ثراه هجر مع من هجر سنه تسعين و المائه بعد الألف و نزل في الفلاحيه و تصدر للافتاء في تلك الناحيه، و مات في السنه العاشره بعد المائتين و الألف سنه ١٢١٠ من الهجره النبويه.

الشيخ عبد على القطيفي.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

أحد الأئمه و فاضل الأمه، جمع بين المعقول و المنقول الحاوى بين الفروع و الأصول، و كان معاصرا مع جدنا الشيخ حسين العلامة و مجاز عنه، له كتاب في الفقه لم يكمل، و رساله في حرمه الظن، و رساله في جواز تقليد الموتى، مات سنه ١٢٣٠، و له من الأولاد الشيخ محمد، و هو مجاز عن شيخه الشيخ أحمد الأحسائي مات سنه ١٢٤٥.

الملا عبد العلى البيرجندى بن محمد بن الحسين

الملقب نظام الدين.

توفى سنه ٩٣٤ قال الدكتور جلال الدين همائى:

من أكابر العلماء و المؤلفين فى الهيئه و النجوم و الرياضيات فى القرنين ٩ و ١٠. و قد راجت مؤلفاته بين خيره أهل العلم. و لم يبلغ أحد مبلغه فى كثره المؤلفات الرياضيه و الهيئه و النجوم بعد الخواجه نصير الدين الطوسى و الملا قطب الشيرازى، و آثاره مفيده و محققه. و قد كان تلميذ معين الدين الكاشانى فى الرياضيات و الهيئه و النجوم، و قد كان معين الدين ابن أخت غياث الدين جمشيد الكاشانى و تلميذه البارز. كما درس العلوم النقليه على شيخ الإسلام سيف الدين التفتازانى. و قد علق كثيرا من الحواشى و التعليقات على كتب الهيئه و الرياضيات، كما له مؤلفات مستقله كثيره، منها:

(أ) شرح زيج ألغ بيك، و قد أتمه سنه ٩٢٩.

(ب) شرح التذكره لخواجه نصير الدين فى الهيئه الاستدلاليه المبسوطه، و تاريخ إتمامه ربيع الأول من سنه ٩١٣.

(ج) شرح تحرير المجسطى، و نصه من الخواجه الطوسى كذلك.

(د) شرح عشرين بابا للأسطرلاب بالفارسي، تأليف جمادى الآخره ٨٨٩، و كذلك نصه من الخواجه الطوسى. و قد استنسخته أيام التلمذه من نسخه خاصه بال الملاباشى يا قلعه، و ما زالت فى حوزتى.

(ه) رساله الأبعاد و الأجرام، ألفت سنه ٩٣٠. (و) عشرون بابا فى معرفه التقويم، بالفارسيه. ألفت سنه ٨٨٣.

الحاج ميرزا عبد الغفار نجم الدوله.

أشاره

قال الدكتور جلال الدين همائى:

كان هو و الملا على أحمد الأصفهانى المتوفى سنه ١٢٩٣ من مفاخر عهد ناصر الدين شاه القاجارى. و يجب أن يعدا خاتمه العلماء العظام فى الرياضيات و الهيئه و النجوم، لانتمائهما إلى مدرسه العلماء القدماء كالخواجه نصير الدين الطوسى و غياث الدين جمشيد الكاشانى. أما علماء الرياضيات الايرانيون فقد تبعوا الغرب فى طريقه علمائه تماما، أو أنهم مزجوا بين الطريقتين، و ألفوا كتبهم.

و كان نجم الدوله (ميرزا عبد الغفار الأصفهانى) خاتمه هذه المجموعه.

إذ بعد أن أتم دراسته على والده تعلم إلى اللغه الفرنسيه و العلوم الغربيه.

و بدت على مؤلفاته آثار ثقافته المزدوجه، القديمه و الحديثه بشكل واضح.

فى أحد أسفار ناصر الدين شاه (١٢٦٤ - ١٣١٣ هـ) الأولى إلى أصفهان رافقه العالم الفاضل على قلى خان اعتضاد السلطنه، فأشرق بريق ذلك الجوهر بعد خمول، و نقله إلى طهران. و اهتبل نادر [ناصر] شاه فرصه وجوده فاستفاد منه فى التشكيلات العلميه لدار الفنون. و قد استمر ازدهار العلوم الرياضيه فى تلك المدرسه مده حياه الملا على محمد، حيث أحسن إدارتها، و أشرف فيها على امتحانات القسم. و يعتبر الملا على محمد مخترع اللوغاريتم فى إيران، من قبل أن تقرأ هذه القاعده فى الكتب الأجنبية، أو أن يطلع عليها أحد. فقد اكتشفه بقوه ذكائه و ألمعيته فى الرياضيات. حتى إن المعلمين الأجانب الذين يعملون فى دار الفنون حين سمعوا باختراعه عجبوا كثيرا و أثنوا على عمله.

و لقد شرح المرحوم معتمد الدوله فرهاد ميرزا شاه زاده القاجارى "خلاصه الحساب" للشيخ البهائى شرحا جيدا، و حققته. و يبدو من فحوى خاتمه الكتاب أنه صحح من قبل عبد الوهاب المنجم باشى و باشراف أبيه الملا على محمد. و الحقيقه أن العمل كله تم بالمعلومات التى صبها الملا على محمد.

و يعتبر ابنه الميرزا عبد الوهاب المنجم باشى و الحاج ميرزا عبد الغفار من كبار علماء الرياضيات و الهيئه و النجوم فى إيران فى القرنين ١٣ و ١٤ هـ. ق.

و لقد تعادلت معلوماتها القديمه مع دراستهما الحديثه فى هذه العلوم. و كان الميرزا عبد الوهاب رئيس المنجمين الخاص لمهد عليا (المتوفاه ١٢٩٠ هـ) أم ناصر الدين شاه، و أمضى فتره فى عمل استخراج التقويم الرسمى لايران.

و كان الابن الأكبر للملا علي محمد، و لهذا فإنه كان المساعد و المعاضد لأعمال الملا علي محمد.

نموذج لمؤلفات ميرزا عبد الغفار نجم الدوله الأصفهاني

مؤلفات المرحوم نجم الدوله كثيره فى فنون الجغرافيه و الهيئه و النجوم و الجبر و المقابله و الهندسه. و لما كان أغلبها من جمله الكتب المدرسيه الجديده فقد تكرر طبعها، و هى تشمل المراحل الابتدائيه و المتوسطه و العالیه. فمثلا كتب ثلاثه كتب فى علم الحساب، و أسماؤها: "بدايه الحساب" و "كفايه الحساب" و "نهايه الحساب". كما أنه ألف عدّه كتب فى الهندسه، أسماؤها: "بدايه الهندسه" و "كفايه الهندسه" و "نهايه الهندسه"، و هى

ص: ١٥٩

للمراحل الثلاث: الابتدائية و المتوسطة و العاليه.

و بشكل عام نستطيع أن نقول إن الدراسه فى المدارس الجديده بدأت منذ أوائل تأسيس دار الفنون سنه ١٢٤٨ هـ. ق باشراف الميرزا تقى خان أمير كبير. و منذ ذلك التاريخ حتى الآن و كتب نجم الدوله المدرسيه هى المعتمده.

و كانت أحيانا تدرس هذه الكتب كما هى، و أحيانا يبدل المدرسون المؤلفون من بعض عباراتها، لتكون جزءا من الكتب المدرسيه.

و ما دام نجم الدوله حيا كان التقويم الرسمى موكلا إليه، حيث كان يطبع تقويمين: "الرقومى" و "الفارسى" و ينشرهما. و لو أن مجموعته حفظت كلها لعدت من نفائس آثاره. و على أى حال فان مؤلفات المرحوم نجم الدوله جزء من الكتب المدرسيه، الشامله لجميع شعب الأ-صول و الفروع للرياضيات و الجغرافيه، و التى كتبت و طبعت لدار الفنون. و له كتب أخرى رياضيه مفصله، و أغلبها مترجم عن الفارسيه. و له مؤلفات مستقله فى الرياضيات و الهيئه و النجوم، أعلى مستوى من الكتب الدراسيه. و ذكرنا فى قسم الرياضيات القديمه أن له آثارا متفرقه أخرى كتصحيحه و تحشيثه و طبعه لكتاب "الكشكول" للشيخ البهائى، و الذى دعى باسم "طبعه نجم الدوله" و اشتهر به، و كان خير طبعه للكتاب.

و كنت ذكرت أن استخراج التقويم الرسمى كان منحصرأ به لسنين عديده، و الذى كان يدعى بنوعيه "الرقومى" و "الفارسى" تقويم البهاء، و كان يطبعهما و ينشرهما. و كانت تقويماته تنتشر فى أكثر الدول الإسلاميه كالعراق و الهند و أفغانستان و لبنان و سوريه و مصر و الحجاز، و يهتم لها أهل العلم. و أسماء مؤلفات نجم الدوله فهى:

١ - بدايه الحساب.

٢ - كفايه الحساب.

٣ - نهايه الحساب.

٤ - بدايه الهندسه.

٥ - كفايه الهندسه.

٦ - نهايه الهندسه.

٧ - بدايه النجوم.

٨ - كفايه الجغرافى.

٩ - بدايه الجبر.

و لقد طبعت الكتب الخمسه (بدايه الحساب، بدايه النجوم، بدايه الهندسه، كفايه الجغرافيه، بدايه الجبر) من ضمن سلسله الكتب المدرسيه لدار الفنون سنه ١٣١٩ هـ. ق.

١٠ - هندسه المقالات السبع، و كان قد ألفها فى دار الفنون، و طبعت مرات، و غدت من كتب المراحل المتوسطه. و اقتبست فيما بعد، و أظهرها باشكال مختلفه، و كانوا فى كل اقتباس يسقطون بعض فوائد الكتاب، حتى غدا بشكله الناقص اليوم.

١١ - المثلثات الكرويه.

١٢ - الجبر و المقابله و المفصل، و كان بمنزله "كفايه الجبر" أو "نهايه الجبر". و غدا هذا الكتاب كذلك من جمله الكتب المدرسيه فى المدارس الجديده.

١٣ - تطبيق السنوات القمرية و الشمسيه و الهجرية و الميلاديه حتى ٥٠٠٠ سنه، رساله مفيده جدا، و الحاجه إلى طبعها ماسه.

١٤ - كتاب "قانون ناصرى" فى الهيئه الاستدلاليه. كتبه بالفارسيه على جزءين، و يضم سته آلاف بيت. ألفه سنه ١٢٨٤ باسم ناصر الدين شاه، و هو على نسق "قانون المسعودى" الذى كتبه أبو الريحان البيرونى باسم السلطان مسعود الغزنوى.

و مما يؤسف له أن هذا الكتاب لما يطبع. و لقد بيض من هذا الكتاب نسختان فقط، واحده من أجل مكتبه السلطنه، و أخرى حفظت فى حوزة السلطان مسعود ميرزا، و أعترف باننى رأيت كليهما، و أمضيت مده فى مطالعتهما. و الكتاب مفيد جدا، و بالإمكان طبعه على الأفت.

١٥ - كتاب "آسمان: السماء": و هو أكثر كتب الهيئه الاستدلاليه الجديده تفصيلا كتبه بالفارسيه بحدود ٢٠ ألف بيت (البيت باصطلاح الكتاب خمسون حرفا، و هو بسطر واحد عاده). و يقول المرحوم نجم الدوله فى مقدمه "بدايه النجوم" عن هذا الكتاب:

فى رحله ناصر الدين شاه إلى بلاد الفرنجه أحضر معه كتابا مفصلا و فخما بالفرنسيه حول النجوم طبع حديثا، و أمرنى أن أترجمه. و كنت أعرض على الملك معلوماته شفاها. أى أن ناصر الدين شاه كان يقرأ على نجم الدوله الهيئه و النجوم. و كان مقررا أن يطبع الكتاب، لكن ظروفنا حالت دون ذلك. كما أنه دون نسخه لتبقى فى حوزة السلطان مسعود ميرزا. و نسخوا كذلك عده نسخ عن الأصل (المترجم).

مخطط كامل ل طهران و ولايات أخرى:

و من جمله أعمال نجم الدوله العلميه رسم بعض المخططات، منها مخطط كامل عن طهران، و مخطط الطريق بين طهران حتى بوشهر، و مخطط طريق طهران حتى خرمشهر، و رابع مخططات قم و كاشان، و خامس مخططات مدن إيران، و قد ذكر نجم الدوله أسماءها فى مقدمه كتابه الجغرافى.

إحصاء طهران:

قام نجم الدوله بعملية إحصاء لمدينه طهران بامر ناصر الدين شاه سنه ١٢٨٤ هـ. ق. و لو أننا حصلنا على هذا الإحصاء لاستطعنا مقارنتها بطهران اليوم التى تعد عدده ملايين.

الشيخ عبد الكريم الممتن.

قال الشيخ جعفر الهلالى:

كان من الشعراء المتأخرين فى الأحساء الذين عاشوا فى هذا القرن (الرابع عشر) و لا نجازف إذا قلنا: إنه ياتى فى الطبقة الأولى من شعراء الأحساء بل إنه بشاعريته يحاكي أدباء و شعراء النجف أو الحله فى هذا القرن، و لا عجب فقد كان للمده التى قضاها بين شعراء العراق فى النجف الأشرف الأثر الكبير فى صياغته الأدبيه هذه، و قد كانت النجف و لا تزال المنبع الصافى الذى ورد منه شعراء هذه الحقبة الزمنيه.

ص: ١٦٠

نشأ الشاعر في الجيل - مسقط رأسه و مسكن أسرته -، و فيها أخذ أوائل تحصيله العلمى على يد والده الشيخ حسين، ثم انتقل إلى النجف الأشرف و هناك حضر بحث السيد ناصر الأحسائي.

كان المترجم أحد فضلاء الأحساء، و هو بالاضافه إلى فضيلته العلميه كان شاعرا متفوقا كما ذكرنا، و يمتاز أيضا بقوه الجدل و المناظره، خصوصا فى علمى النحو و المنطق، كما أن له يدا فى علم الفلك.

و فى شاعرنا الأجل فى الأحساء ليله الجمعة فى ١٢ رجب سنه ١٣٧٥ هـ، و قد رثاه جماعه من الأدباء الشعراء، منهم الشيخ ملا كاظم بن مطر، قال:

جر ما بدا لك أيها الزمن فالأمر يدرك سره الفطن

نمسي و نصبح منك فى دجن الارهاق ما برحت بنا الدجن

لين الأفاعى منك نلمسه و لأنت أنت المركب الخشن

صوب الكوارث منك عارضه أبدا على أحرارها هتن

لو كنت تنطق أيها الزمن لأجبت من فى حبك افتتوا

و الظرف يكرم إن يكن حسنا مظروفه و العكس يمتهن

و على الكرام أغرت مقتنصا عبد الكريم فطرفهم سخن

أهل (الجيل) ثكلتم جبلا فى ظلّه العافون كم قطنوا

بمعينه و راده نهلوا و بكهفه رواده أمنوا

و انهار عنكم لا فحسب فقد جزعت قري و تزعزعت مدن

إن أوحشت منه مساجده فله حشى عمارها وطن

لقد ضاع أكثر شعره شأنه شان غيره من شعراء هذه المنطقه للظروف القاسيه التى مرت بها، و لعدم وجود من يهتم لمثل هذا التراث إلا ما قل، و الذى وقفنا عليه من شعره هو ما جمعه أحد أقرباء الشاعر و هو الحاج الملا طاهر البحرانى، و كان الدافع له هو تذوقه للشعر باعتبار وظيفته و هى الخطابه الحسينيه، حيث اعتاد خطباء المنبر الحسينى على حفظ الشعر فقد تيسر للخطيب الملا طاهر البحرانى أن يجمع بعض ما وصل إليه أو وقف عليه من شعر الشاعر، و هو مصدرنا الوحيد فى ما سنذكره من شواهد شعريه للشاعر، فهذه قصيده يرثى بها الشاعر الامام الحسين (ع) و يشيد فيها بمواقف أصحابه من شهداء كربلاء، و يظهر أنه قد ضاع أكثرها، قال:

سل غالبا ما بال غلب كماتها ذلت و ليس الذل من عاداتها
ما للضياغم من بنى عمر و العلى قعدت ففاح الضيم فى ساحاتها
هل كيف تضرع خدها لطليقها و هى التى ما أضرعت لعداتها
أ ترى عراها الجبن حاشا عصبه ما عصبت بسوى اللوا جبهاتها
ما عذرهم لا شب منهم ناشئ إن لم يشبوا فى الوغى شعلاتها
وسمت أميه أنفها فى مرفق سمه العبيد به على ساداتها
حشدت به أبناء حرب جندها و على ابن أحمد ضيقت فلواتها
فهناك صاح بصحبه فتنادبت و توائبت كالأسد من غاباتها
و تمايلت شوقا إلى ورد الردى بحشاشه أورى الظما قبساتها
صفقت لهم سمر الرماح و غنت البيض الصفاح فرجعت نغماتها
عشقت نفوسهم الهياج كأنما هى غاده تختال فى جلواتها
عقدت على البين النكاح و طلقت دون ابن بنت محمد لذاتها
من فوق خيل كالنعام تخالهم أسد العرين تسنموا صهواتها
غلب كماه لو يغالبها القضا لقضى عليه الحتف لدن قناتها

و قال مشطرا هذين البيتين لغيره فى وقوف نساء الحسين (ع) أمام يزيد بن معاوية فى مجلسه:

(أ ترضى و أنت الثاقب العزم غيره) حرائر كم تستامهن عبيد

مربقه الأعناق فى مجلس به (يلاحظها حسرى القناع يزيد)

(يسب أبوها عند سلب قناعها) (و يبتز منها أسور و عقود)

يطاف بها الآفاق فوق هوازل (و لا ستر إلا ساعد و زنود)

و قال أيضا مشطرا و الأصل لغيره:

(همت لتقضى من توديعه وطرا) غداه أمت بها الأظعان مصرعه

فمذ رأته على جثمانه وقعت (و قد أبى سوط شمر أن تودعه)

(ففارقتة و لكن رأسه معها) كالبدر كان القنا الخطى مطلعها

بالرغم منها سرت عنه مفارقه (و غاب عنها و لكن قلبها معه)

و قال هذه القصيدة يذكر فيها أهل البيت - (ع) - و يختمها بمصيبه الزهراء - س - منها قوله:

أيها الغافل لا نلت نجاحا خالف النفس و دع عنك الملاحا

و أفق من سكره الغى و لا تحسبن الجد من قولى مزاحا

كم تمادى فى الهوى لا ترعوى و غراب البين يدعوك الرواحا

كيف لا تقلع عن معصيه و نذير الشيب فى المفرق لاحا

أذنت فيك الليالى بالفنا و دنا الموت مساء أو صباحا

أنت من فوق مطى الأيام و الفلك الأطلس يحدوك لحاحا

فاتخذ زادا من التقوى و كن خافضا لله من ذل جناحا

معرضا عن زهره الدنيا فهل لفتى يغتر فى الدنيا فلاحا(1)

إنها دار غرور طبعها الغدر و المكر فبعدا و انتزاحا

أ و لم تسمع بما قد صنعت بنى أحمد لم تخش افتضاحا

شتتهم فرقا و اجترحت سيئات تملأ القلب جراحا

صوبت فيهم سهاما لم تصب غير قلب الدين و استلت صفاحا

أظهرت أبناؤها ما أضمرت و استباحوا كل ما ليس مباحا

و قال مؤرخا هدم قبور البقيع لأئمه أهل البيت (ع):

لعمرك ما شاقنى ربرب طفقت لتذكاره أنحب

و لا سح من مقلتي العقيق... على جيره فيه قد طنبا
و لكن شجانى وفت الحشا أعاجيب دهر بنا يلعب
و حسبك من ذاك هدم القباب فذلك عن جوره يعرب
قبا برفع العلى هدمت و هيات ثاراتها تذهب
إلى م معاشر أهل الابا يصول على الأسد الثعلب
لئن صعب الأمر فى دركها فترك الطلاب بها أصعب
أليس كما قال تاريخه (بتهديمها انهدم المذهب)رى

ص: ١٦١

١- هكذا جاءت القافيه فى الأصل الذى نقلنا عنه، و هى ملحنه كما ترى

الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن المقابى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

ولد بقرية المقابا سنة سبعة و ثلاثين بعد الألف، و نشأ بها و تادب على الشيخ عبد الغفور الشافعى. ثم دخل شيراز فاخذ الفقه عن السيد نعمه الله الجزائرى و أخذ الكلام عن الشيخ إبراهيم الدرأزى العصفورى، ثم دخل بهبهان و صار عالما بين من فيها من الأعيان، و له رساله (زاد المسافرين) و كتاب: الوافيه فى شرح الكافيه. و كتاب: المقاصد العليه فى فقه الاماميه، و رساله فى الألغاز. و كتاب: القصائد و المراثى. و كتاب: أعمال الجمعة.

و كتاب: نتيجته التقوى. مات قدس سره سنة ١٢٣٠.

الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الحجرى البحرينى.

قال فى كتاب تاريخ البحرين المخطوط:

هو من علماء المتورعين أخذ الفقه عن علامه عصره الشيخ حسين العلامة و مجاز [مجاز] عنه، و له من التأليف كتاب الذخيره و كتاب الوافى على الكافى [مات] سنة ١٢٣٥ -.

الشيخ عبد الله القطيفى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

و هو من أكابر علماء القطيف، مجاز عن شيخه الشيخ أحمد الأحسائى، و له رسائل فى علوم شتى، منها كتاب فى تفسير أول ما خلق الله العقل، و منها رساله فى وجوب الجمعة عينيا، و منها رساله فى آداب المفتى، مات سنة ١٢٢٥.

الشيخ عبد الله بن على أحمد البحرينى البلادى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فاضلا لا سيما فى الحكمة و المعقولات إلا أنه قليل الرغبة فى التدريس و المطالعه فى وقتنا الذى رأينا فيه.

له رساله فى علم الكلام. و رساله أخرى فى علم الكلام أيضا كتبها للشيخ أحمد بن شيخ الإسلام. و رساله فى نفى الجزء الذى لا يتجزأ.

و رساله فى تقسيم الكلمه إلى اسم و فعل و حرف. و شرح رساله شيخه [شيخه] الشيخ سليمان فى المنطق إلا أنه لم يتمها. و رساله فى وجوب جهاد العدو فى زمن الغيبه. و رساله فى عدم ثبوت الدعوى على الميت بالشاهد و اليمين.

و للوالد رساله فى الرد عليه فى ذلك. و قد اختار ثبوت الدعوى المذكور بالشاهد و اليمين كالدعوى على الحى.

توفى فى شيراز فى عام جلوس نادر شاه و دعواه السلطنه إلى أن قال:

و دفن فى قبه السيد أحمد بن مولانا الكاظم (ع) المشهور بشاه جراح، و أنا كنت يومئذ فى شيراز إمام جمعيتها و جماعتها رحمه الله عليه، قاله جدى.

عبد الله بن عزيز الكنانى.

كان مع التوابين الذين خرجوا بقيادة سليمان بن صرر [صرد] الخزاعى للطلب بثار الحسين، و عند ما رأى رفاعه بن شداد البجلي أن ينسحب بمن بقى من الناس عائدا إلى الكوفه، أصر جماعه على الاستشهاد و عدم العوده، و كان منهم عبد الله بن عزيز الكنانى و كان معه ولده محمد و هو صغير، فنادى بنى كنانه من أهل الشام و سلم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفه، فعرضوا عليه الأمان فأبى، و أخذ ابنه بيكى فى أثر أبيه و بكى الشاميون رقه له و لاينه. فقال يا بنى لو كان شىء آثر عندى من طاعه ربي لكنت أنت، ثم اعتزل ذلك الجانب و قاتل حتى قتل.

عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي.

كان مع التوابين الدين [الذين] خرجوا للطلب بثار الحسين (ع)، فلما قتل سليمان بن صرد ثم قتل المسيب بن نجيه أخذ الرايه عبد الله بن سعد بن نفيل، و ترحم على سليمان و المسيب ثم قرأ: (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا). ثم حمل على القوم و جعل يرتجز و يقول:

ارحم إلهى عبدك التوابا و لا تؤاخذه فقد أنابا

و فارق الأهلين و الأحبابا يرجو بذاك الفوز و الثوابا

و حف به من كان معه من الأزد، فبينما هم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثه و هم: عبد الله بن الخضل الطائى، و كثير بن عمرو المزنى، و سعر بن أبى سعر الحنفى، و قد أرسلهم سعد بن أبى حذيفه فأخبروا بمسيره من المدائن فى سبعين و مائه من أهل المدائن، و أخبروا بمسير أهل البصره مع المثنى بن مخرمه العبدى فى ثلاثمائه، فسر الناس بذلك. فقال عبد الله بن سعد: ذلك لو جاءونا و نحن أحياء. فلما نظر الرسل إلى مصارع أخوانهم ساءهم ذلك و استرجعوا و قاتلوا معهم، فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت من الثلاثه كثير بن عمرو المزنى و طعن الحنفى فوقع بين القتلى ثم برئ بعد ذلك. و كان الطائى فارسا شاعرا فجعل يقول:

قد علمت ذات الرود أن لست بالوانى و لا الرعيد

يوما و لا بالفرق الحيود

و قاتل قتالا شديدا و طعن فقطع أنفه.

و قاتل عبد الله بن سعد بن نفيل حتى قتل.

كان من رؤساء التوابين الذين خرجوا بقياده سليمان بن صرد الخزاعي للطلب بثار الحسين (ع)، و لما قتل عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، نادوا عبد الله بن وال ليأخذ الرايه مكانه، فإذا هو يحارب في جانب آخر في عصابه معه، فحمل رفاعه بن شداد البجلي فكشف أهل الشام عنه، فأتى و أخذ الرايه و قاتل مليا حتى قطعت يده اليسرى، ثم استند إلى أصحابه و يده تشخب ثم كر عليهم و هو يقول:

نفسى فداكم اذكروا الميثاقا و صابروهم و احذروا و النفاقا

لا كوفه نبغى و لا عراقا لا بل نريد الموت و العنفا

فقاتل حتى قتل.

و كان من الفقهاء العباد.

عبد الله بن خازم الأزدي.

لما عزم سليمان بن صرد على الخروج على رأس التوابين، نادى في أصحابه، فجعلوا يخرجون من منازلهم على خيولهم و قد أظهروا الآله و السلاح، فجعلوا يسيرون في أسواق الكوفه و الناس يدعون لهم بالنصر

ص: ١٦٢

و الظفر، حتى إذا صاروا إلى النخيله عسكروا بها.

و خرج سليمان من الكوفه فى نفر من أصحابه، حتى إذا أشرف على أصحابه و عسكره لم يعجبه ما رأى من قله الناس، فدعا برجلين من أصحابه: حكيم بن منقذ الكندى و الوليد بن غضين الكنانى، فقال لهما:

اركبا فمرا بالكوفه و ناديا فى الناس: من أراد الجنه و رضاء الله و التوبه فليلحق بسليمان بن صرد إلى النخيله.

ففعلا- ما أمرهما به و ناديا بالكوفه، فسمع ذلك رجل من الأزد يقال له عبد الله بن خازم، و له امرأه يقال بها [لها] سهله بنت بسره، فلما سمع النداء و ثب إلى ثيابه فلبسها، و أفرغ عليه سلاحه و أمر باسراج فرسه، فقالت له ابنته ما لى أراك متأهبا؟ فقال لها: إن أباك يريد أن يفر من ذنوبه. فقالت له امرأته:

ما شانك و يحكك؟ خبرنى قضيتك، فقال: ويحك أيتها المرأه، إنى سمعت الداعى فأحببت أن أجيبه، و أنا أطلب بدم الحسين بن على و إخوته و أهل بيته حتى أموت أو يقضى الله فى ذلك من أمره ما يحب و يرضى، فقالت له امرأته: ويحك على من تخلف أهلك و ولدك؟! فقال: على الله وحده. ثم رفع طرفه نحو السماء فقال: اللهم إنى أستودعك أهلى و ولدى فاحفظنى فيهم، و تب على مما فرطت فى نصر ابن بنت نبيك، ثم خرج حتى لحق بسليمان بن صرد.

عبد الله بن عمرو النهدى.

لما التقى جيش المختار بجيش مصعب بن الزبير، كان عبد الله بن عمرو النهدى فى جيش المختار، و كان محمد بن الأشعث فى جيش مصعب فقال عبد الله: ويحكم أرونى الموضع الذى فيه محمد بن الأشعث فإنه ممن قاتل الحسين بن على و شارك فى دمه فقالوا: ألا ترى هو فى الكتيبه الحمراء على الفرس الأدهم؟ فقال: بلى قد رأيت، فدعونى و إياه. ثم رفع رأسه إلى السماء، و قال: اللهم. إننى على ما كنت عليه بصفين، اللهم و إنى أبرأ إليك ممن قتل أهل البيت بيت نبيك محمد (ص)، أو شارك فى دمائهم. قال: ثم حمل حتى خالط أصحاب مصعب بن الزبير، فجعل يضرب فيهم ضربا منكرا و هو فى ذلك يلاحظ محمد بن الأشعث، حتى إذا أمكنته الفرصه و حمل عليه، ضربه ضربه على رأسه جدله صريعا.

و اختلط الناس من أصحاب ابن الزبير بعبد الله بن عمرو هذا فقتلوه.

عبد الله بن عوف الأحمر.

لما تهيأ التوابون للمسير للطلب بثار الحسين (ع) و عزموا على ذلك، جعل عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى يحرض الناس على ذلك و يذكر ما كان منه، فبدأ ذلك فى أيام صفين و حروبها، فأنشأ يقول:

صحوت و ودعت الصبا و الغوانيا و قلت لأصحابى أجيوا المناديا

و قولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى و قتل العدى لبيك لبيك داعيا

و شدوا له إذ سحر، الحرب أزره ليجزى امرؤ يوما بما كان ساعيا

و قودوا إلى الأعداء كل طمره و قودوا إليكم سانحات المذاكيا
و سيروا إلى القوم المحلين جنه و هزوا حرابا نحوهم و عواليا
ألسنا باصحاب (الحزبيه) و الأولى قتلنا بها من كان حيران باغيا
و نحن شمرنا لابن هند بجحفل كركن حوى يزجى إليه الدواهيا
الا و انع خير الناس جدا و والدا حسينا لأهل الدين إن كنت ناعيا
لييك حسينا من رعى الدين و التقى و كان غياثا للضعيف و كافيا
و ييك حسينا ذو أمان و حفظه عديم و أيتام عد من المواليا
و أضحى حسين للرماح دريئه و غودر مسلوبا لدى الطف ثاويا
فيا ليتنى إذ ذاك كنت شهدته و ضاربت عنه السائين الأعدايا
و دافعت عنه ما استطعت مجاهدا و أعملت سيفى فيهم و سنانيا
و لكن قعدنا فى معاشر ثبطوا و كان قعودى ضيله من ضلاليا
فيا ليتنى غودرت فيمن أجابه و كنت له من مقطع القتل واديا
و يا ليتنى أخطرت عنه باسرتى و أهلى و خلانى جميعا و ماليا
سقى الله قبرا ضمن المجد و التقى بغريه الطف الغمام الغواديا
و لكن مضى لا يملأ الروع نحره فبورك مهديا شهيدا و هاديا
فصلى عليه الله ما هبت الصبا و ما لاح نجم أو تحدر هاويا

و لما انتهى التوابون من زياره قبر الحسين (ع) و لزموا الطريق الأعظم كان عبد الله بن عوف يسير معهم على فرس كमित يتأكل
تأكلا و هو يقول:

خرجن يلمعن بنا أرسالا عوابسا قد تحمل الأبطالا

نريد أن نلقى بها الأقبالا الفاسقين الغدر و الضلالا

و قد رفضنا الأهل و الأموال و الخفريات البيض و الحجلا

الشيخ عبد المحسن بن محمد بن مبارك اللويمى البلادى الأحسائى

المتوفى حدود سنه (١٢٥٠ هـ).

عاش فى قريه (البطاليه) من قرى الأحساء، و كانت تعرف آنذاك ب (البلاد)، و إليها نسبته، و كان له فيها مسجد خاص روى عن أكثر من عالم من أعلام العلماء، منهم:

السيد محمد مهدي بحر العلوم.

و الشيخ حسين آل عصفور.

و السيد مهدي الشهرستاني الحائرى.

و الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني.

و روى عنه جماعه من العلماء، منهم:

الشيخ سليمان آل عبد الجبار البحرانى القطيفى.

و الشيخ على الشيخ مبارك آل حميدان الخطى الجارودى.

و كان فقيها مجتهدا، و قد وقفت فى مكتبتنا الخاصه بمدينة البصره على إحدى رسائله الاستدلاليه فى الصلاه، فرأيته ذا أصاله فى الرأى، و عمق فى النظره، و دقه فى مناقشه الأدله، و استقامه فى استنطاق النصوص.

و له عدده مؤلفات ذكرها فى إجازته للمشايخ المذكورين، منها:

١ - التحفه الفاخره، فرغ من تاليفه فى سنه ١٢١٨ هـ.

٢ - جامع الأصول عن أهل الوصول.

٣ - الرساله الصغرى فى الصلاه.

٤ - الرساله الوسطى فى الصلاه.

٥ - الرساله الكبرى فى الصلاه.

٧ - شرح العوامل الجرجانية في النحو.

٨ - كفاية الطالب المودعه بدائع علم الأعراب، نظما و شرحا.

٩ - مشكاة الأنوار في فقه الصلاة عن الأئمة الأطهار.

١٠ - النهج القويم و الصراط المستقيم.

١١ - وفاه النبي يحيى.

١٢ - وفاه الامام الحسن.

١٣ - وفاه الامام الكاظم.

١٤ - بدايه الهدايه (١).

الشيخ عبد النبي بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم الدرزي البحراني

من آل عصفور.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من إخوان جدي صاحب الحدائق، و هو من أعيان فضلائنا، قرأ على أخيه صاحب الأحياء، و هو من أحب أخوانه لديه لزهده و ورعه، و له تحقيقات رائقه على كتب الأخبار، و حاشيه مليحه على كتاب أخيه الحدائق المسمى ب (الحديقه). و توفي يوم الجمعة سنه ١١٧٢ و قبره الشريف في المصلى.

عبد الله بن سنان بن طريف - و قيل ظريف - الكوفي

مولى قريش.

من أصحاب الإمامين الصادق و الكاظم (ع)، جليل القدر ثقه، لا يطعن عليه بشيء، كان على الخزانة من قبل المنصور و المهدي و الهادي و الرشيد العباسيين، له كتاب، روى عنه ابن أبي عمير، و محمد بن علي الهمداني، و الحسن بن الحسين السكوني، و عبد الله بن جبلة، و غيرهم.

عبيد الله بن الحر الجعفي.

أشير إليه في (الأعيان) باسم (عبد الله) كما وردت عنه كلمه في الجزء الأول من (المستدركات) بالاسم نفسه. و نحن هنا نذكر تفصيل أحواله باسمه الصحيح (عبيد الله)، ماخوذه بنصها من كتاب (الفتوح) لابن أعثم الذي قال بأنه حدثه بما يروى (غير واحد

ممن جمع هذه العلوم).

فالعهد في الكلمه الآتيه على (ابن أعثم) الذي لا بد أن يكون قد تحقق ممن روى عنهم.

قال ابن أعثم:

قال أهل العلم كما حدثني به غير واحد ممن جمع هذه العلوم أن عبيد الله بن الحر كان رجلا من سادات أهل الكوفه، و بها ولد و بها نشأ، و هو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن كعب بن عوف بن حريم بن جعفى، و كان مقيما بالكوفه فى خلافه عثمان بن عفان، فلما قتل عثمان و كان من أمر الجمل ما كان، خرج عبيد الله بن الحر إلى معاويه بالشام فالتجأ إليه، و لم يشاهد حرب الجمل، حتى إذا قدم على بن أبى طالب من البصره إلى الكوفه و خرج إلى الشام فحاربه معاويه فدعاه ثم قال: يا بن الحر إننا احتجنا إلى معاونتك و لك عندنا بالرضا، فقال له ابن الحر: إنى لا يتهاى لى ذلك لأننى رجل من الكوفه و هؤلاء الذين مع على بن أبى طالب أكثرهم قومى و عشائرى، و لم أخرج من عندهم مكرها، و لم يقتل على عثمان بن عفان فاقاتله، فان رأيت أن تعفينى من قتال على فافعل أنت، فإذا انصرف عنك على فأقاتل من شئت من بعده. قال: فغضب عليه معاويه و جفاه، فلزم ابن الحر منزله فلم يشهد مشهدا من حروب صفين (٢)، و لم يزل كذلك إلى أن كان من أمر الحكيم ما كان، و رجع على إلى الكوفه فترزها، و أرسل معاويه إلى عبيد الله بن الحر فدعاه ثم قال: يا بن الحر! دعوناك بالأمس إلى قتال رجل قد سار إلينا يريد بوارنا و استئصالنا فلم تجبنا و لم تقاتل معنا، و الآن فقد كفانا الله تبارك و تعالى أمر على و صار إلى الكوفه، غير أنه بلغنى أن جماعه من العرب يصيرون إليك فى جوف الليل فيكونون عندك، فإذا أصبحوا تفرقوا، فمن هؤلاء بابن الحر؟ فقال: هؤلاء أصحابى الذين قدموا معى من بلدى فيشاورونى فى أمورهم و أشاورهم فى أمرى و مقامى بأرض الشام! فقال له معاويه: أ تظن نفسك قد تطلعت إلى الكوفه و الكينونه مع على بن أبى طالب؟ فقال ابن الحر: إنه و الله لعلى ما ظننت، و إن بلدى أحب إلى من غيره، و إنه لقبىح بى أن أترك قومى و عشيرتى و أقيم بالشام غريبا فى غير دارى و وطنى، و أما ما ذكرت من على فو الله ما أشك أنه على الحق و أنه إمام هدى.

فقال رجل من جلساء معاويه: كذبت يا بن الحر بل نحن على الحق و من أو مات إليه على الباطل، و ما قاتلناه إلا ديانه. فقال ابن الحر: أنت و الله أكذب و أألم و لقد قاتلت أخوا رسول الله (ص) و ابن عمه ظلما و عدوانا. ثم وثب ابن الحر فخرج من عند معاويه مغضبا حتى صار إلى منزله، و التفت معاويه إلى ذلك الرجل فقال: بس ما صنعت، نحن أحوج إلى أن ترضى رجلا مثل هذا من أن تسخطه.

قال: و أرسل ابن الحر فى جوف الليل إلى أصحابه و بنى عمه فأمرهم بالخروج معه فى وقتهم ذلك، فخرج نحو الكوفه فى أصحابه هؤلاء و بنى عمه و هم خمسه و ثلاثون نفرا، فجعل يسير حتى إذا أصبح مر ببعض مشايخ معاويه فقاموا إليه و قالوا: من أنت أيها الرجل؟ فقال أنا عبيد الله بن الحر، قالوا:

فأين تريد؟ قال: فى حاجه، قالوا: فاننا نخاف أن تكون مخالفا لأمر المؤمنين و تريد الخروج عليه، و لسنا بتاركيك أو يأتينا فيك الخبر من عند أمير المؤمنين، فالتفت ابن الحر إلى أصحابه فقال: دونكم القوم، فهذه أول الغنيمه، فشد أصحاب عبيد الله بن الحر على هؤلاء القوم، فقتلوا منهم من قتلوا، و هرب الباقين على وجوههم، و أخذت دوابهم و أسلحتهم.

و سار ابن الحر فجعل لا يمر بقريه من قرى الشام إلا أغار عليها هو و أصحابه، فلم يزل كذلك حتى قدم الكوفه، و بها يومئذ على بن أبي طالب، فصار ابن الحر إلى منزله فإذا قد زوجت امرأته برجل من العرب، فهم ابن الحر أن يخاصم أولياء المرأه إلى على بن أبي طالب، فقال له بعض بني عمه:

أ تخاصم إلى رجل كنت بالأمس عليه مع معاويه؟ فقال ابن الحر: و الله ما كنت عليه ساعه قط، و لو كنت عليه ما خفت أن يجور على في الحكم. ثم اختصم ابن الحر مع أولياء المرأه إلى على بن أبي طالب ففضى على بالمرأه لابن الحر، فانترعت المرأه من ذلك الرجل و ردت إلى ابن الحر. و أقام ابن الحر بالكوفه مع على بن أبي طالب يغدو إليه و يروح. فلم يزل كذلك إلى أن قتل

ص: ١٦٤

١- الدكتور عبد الهادي الفضلي.

٢- على أن ناشري الكتاب يقولون: إنه ورد في الطبرى و ابن الأثير و جمهره أنساب العرب: إنه شهد مع معاويه في صفين. و لم يتيسر لنا الآن مراجعه تلك الكتب، لذلك فاننا نحيل القارئ عليها (ح).

علي، و مات الحسن بن علي، و مات زياد بن أبيه، و ولي عبيد الله بن زياد البصره و الكوفه من قبل يزيد بن معاويه، فانف عبيد الله بن الحر أن يناله القوم بسوء، فخرج عن الكوفه فنزل بقصر بنى مقاتل بن سليمان الحميري، فلم يزل هنالك مقيما إلى أن قتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب، و إلى أن وافى الحسين بن علي فنزل بقصر بنى مقاتل ثم بعث إلى ابن الحر يسأله نصره فأبى عليه، فتركه الحسين و مضى إلى كربلاء فقتل هنالك، و بلغ ذلك ابن الحر فندم على تركه الحسين ندامه شديده، و قال في ذلك أبياتا. (1)

ثم أقبل ابن الحر حتى دخل الكوفه بعد مقتل الحسين بثلاثة أيام، و بها يومئذ عبيد الله بن زياد فهو يفتقد أشراف الناس إذا دخلوا عليه فلا يرى فيهم عبيد الله بن الحر، فلما دخل و نظر إليه ابن زياد و قال: أين كنت يا بن الحر؟ قال: كنت مريضا أصلح الله الأمير، فقال: مريض القلب أم مريض الجسد، فقال ابن الحر: أما قلبي فإنه لم يمرض قط و الحمد لله، و أما جسدي فقد كان مريضا و قد من الله علي بالعافيه فقال: أبطلت يا بن الحر! ما كنت مع عدونا الحسين بن علي؟ فقال: إنني لو كنت مع الحسين لم يخف عليك مكاني أيها الأمير! فقال ابن زياد: أما معنا فلم تكن، فقال: صدقت أيها الأمير لا أكون معك و لا عليك. قال ابن زياد: و ما منعك من نصره أمير المؤمنين يزيد؟ فقال منعه من ذلك قول الله تعالى: (وَ لَا تَزَكُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ) . فغضب ابن زياد و هم بقتل عبيد الله بن الحر في ذلك الوقت، ثم إنه خاف أن يشوش عليه أهل الكوفه فسكت، و خرج عبيد الله بن الحر فصار إلى منزله ثم جمع أصحابه و خرج من الكوفه ليلا و معه أصحابه و بنو عمه، و طلبه عبيد الله بن زياد لكي يرضيه و يعتذر إليه فلم يظفر به.

و مضى عبيد الله بن الحر نحو السواد، و جعل يقول أبياتا مطلعها:

يقول أمير غادر و ابن غادر أ لا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمه

(2) إلى آخرها. ثم جعل عبيد الله بن الحر يغير على أطراف السواد و أصحابه، و يفعل ما يفعل، و ليس أحد يطلبه إلى أن مات معاويه، و إلى أن مات مروان بن الحكم، و إلى أن مات عبد الملك بن مروان، و إلى أن قتل سليمان بن صرد و أصحابه بعين الورد، و إلى أن صار المختار بن أبي عبيد إلى الكوفه و بايعه من أهلها من بايع، و بلغ ذلك ابن الحر فاقبل حتى دخل الكوفه، ثم صار إلى المختار فبايعه و نصره في حروبه: الأول، و في جبانه السبيع، ثم خرج مع إبراهيم بن الأشتر، فلما صار معه إلى تكريت و كان منه إليه ما كان عزم على مخالفته و مخالفه المختار، فهذا أول خبره.

ثم أرسل إلى وجوه أهل العسكر فاختدعهم ثم مناهم و وعدهم الغنائم، ثم قال: ما تصنعون بمحاربه عبيد الله بن زياد و أنتم لا تدرون ما يكون الأمر غدا، اتبعوني فاني أغنيكم و أغني عاقبتكم من بعدكم. فأجابوه إلى ذلك.

فخرج بهم من العسكر في جوف الليل، الواحد بعد الواحد، و الاثنين بعد الاثنين، و الثلاثاء بعد الثلاثاء، حتى اجتمع ثلاثمائة رجل، فسار بهم عبيد الله بن الحر، فما أصبح إلا على عشرين فرسخا من تكريت، ثم أنشا يقول أبياتا مطلعها:

عجبت سليمي أن رأنتي ساحبخلق القميص بساعدي خدوش

إلى آخرها. و أصبح ابن الأشتر و قد فقد عبيد الله بن الحر، فاعتم لذلك و لم يدر أي طريق سلك و ظن أنه قد مضى مستأمنا

إلى عبيد الله بن زياد.

و جعل ابن الحر لا يمر ببلد إلا أغار على أهله حتى جمع مالا عظيما، قال لأصحابه: أقسموا هذا المال بينكم، فلا حاجة لى إلى شىء منه. فاقتموا ذلك المال بقلنسوه رجل منهم، فأنشأ ابن الحر يقول أبياتا مطلعها:

أنا الحر و ابن الحر يحمل منكبي طوال الهوادى مشرفات الحوارك

إلى آخرها. قال: و جعل كل من كان مبغضا للمختار يصير إلى عبيد الله بن الحر، حتى صار ابن الحر فى خمسمائه فارس، و بلغ ذلك إبراهيم بن الأشتر فكتب إلى المختار يعلمه بذلك و قد كان ابن الأشتر أعرف به منى، و لكنى لم أقبل منه.

و أقبل ابن الحر حتى صار إلى هيت و بها يومئذ نائب المختار، فكبسها ابن الحر و قتل نائبها و أخذ أموالها. ثم سار إلى الأنبار و بها يومئذ نائب للمختار، فكبسها و قتل نائبها، و احتوى على بيت المال فأصاب فيه مالا جزيلا. فقال لأصحابه: اقسّموا هذا المال بينكم! قال: فاقتموه ثم أنشأ ابن الحر يقول أبياتا مطلعها:

أنا الحر و ابن الحر يحمل منكبي شديد القصيرى فى العباد رحيل

إلى آخرها. و بلغ ذلك المختار فضاقت عليه الأرض بما رحبت، و لم يدر ما يصنع، و المختار يومئذ بين جمرتين: جمره عن يمينه مصعب بن الزبير يومئذ بالبصره، و الجمره العظمى عبيد الله بن زياد بالموصل فى ثلاث و ثمانين ألفا.

قال: فدعا المختار برجل من ثقاته يقال له عبيد الله بن كامل الهمداني، فقال له: اركب الساعة فى مائه رجل من أصحابك، و صر إلى دار عبيد الله بن الحر فاهدمها، و خذ امرأته فضعها فى السجن. فسار عبيد الله بن كامل إلى دار ابن الحر فهدمها، و لم يمنعها مانع خوفا من المختار، و أخذ امرأته - و يقال لها أم توبه، و اسمها سلمى بنت خالد الجعفيه - فحبسها. و بلغ ذلك عبيد الله بن الحر، فقال لأصحابه: أبلغكم ما صنع المختار، إنه هدم دارى و حبس أهلى فى السجن، فقالوا: قد بلغنا فأمرنا بأمرك فقال: لا تعجلوا و أنشأ يقول:

ألم تعلمى يا أم توبه أننى على حدثان الدهر غير بليد

أشد حيازيمى لكل كريهه و أنى على ما نالنى لجليد

هم هدموا دارى و ساقوا حليلتى إلى سجنهم و المسلمون شهودى

و هم أعجلوها أن تشد خمارها فىا عجا على الزمان مقيدى

فلست بابن الحر إن لم أرعهم تعادى بالكماه اسود

و إن لم أصبح شاكرا بكتيبه فعالجت بالكفين غل حديدى

ثم جمع أصحابه و سار بهم نحو الكوفه حتى كيسها غلسا و الناس فى الصلاه، فلم يكذب أن أقبل إلى باب السجن فكسره و أخرج امرأته عنوه و كل من كان فى السجن من النساء.

و وقعت الضجه فى الكوفه بان عبيد الله بن الحر قد كبس السجن و أخرج امرأته، ففزع الناس و بلغ ذلك المختار فوجه إليه بعبد الله بن كامل الهمدانى .

ص: ١٦٥

١- مرت هذه الأبيات فيما ذكر عنه فى (الأعيان) و (المستدركات) فلا نعيدها هنا "ح" .

٢- مرت الأبيات فيما ذكر عنه فيما تقدم من ذكره من قبل "ح" .

و أحمر بن شميظ البجلي. و نظر إليهم عبيد الله بن الحر فحمل عليهم بأصحابه، فجعل يقاتلهم و يسوق امرأته بين يديه و لم يتبعه أحد من أصحاب المختار، فأنشأ يقول أبياتا مطلعها:

ألم تعلمي يا أم توبه أننى أنا الفارس الحامى حقيقه مذحج

إلى آخرها.

ثم نزل عبيد الله بن الحر على ميلين من الكوفة، و المختار يظن أنه قد رحل و مضى، حتى إذا كان الليل عبا أصحابه و أقبل رويدا حتى كبس الكوفة من ناحيه قبائل همدان، فوقع بحى منهم يقال لهم بنو شبام. فقاتلهم و قاتلوه ساعه، ثم قصده مولى لهم يقال له الأحمق، و التقيا بضربتين بادره عبيد الله بن الحر بضربه أبدى عن دماغه فسقط قتيلًا، ثم حمل عليهم ففرقهم يمنه و يسره، ثم قال لأصحابه: انصرفوا عنهم الآن فقد أدركت من حى شبام ما أردت ليلتى هذه. ثم أنشأ عبيد الله بن الحر يقول أبياتا مطلعها:

صبحت شباما غاره مشمعله و أخرى نشاهدها صباحا لشاكر

إلى آخرها. و أرسل المختار إلى قبائل همدان من أرحب و شبام و شاكر و السبيع و يام، فقال: شوه لكم يا معشر همدان! أن يكون رجل منكم ياتى فى نفر من هؤلاء المتلصصه فيكبس دياركم، ثم يقتل و يفعل و يخرج عنكم سالما، أما لكم أنفه؟ أما فيكم من يخاف أن يعير بهذا آخر الدهر؟ فقال القوم: كفيت أيها الأمير! و إن ذلك لعار علينا كما ذكرت، غير أننا عزمنا على المسير إليه حيث كان، و ليس نرجع إليك إلا برأسه، فأبشر لذلك و قر عينًا.

ثم اجتمعت قبائل همدان فى ثلاثمائه فارس، حتى وافوا الكوفة فى روتق الضحى، و همدان يومئذ فى ثلاثمائه من قبائلهم و ثلاثمائه من أصحاب المختار، فلم يشعروا إلا و عبيد الله بن الحر قد وافاهم حاسر الرأس و هو يرتجز و يقول:

إنى أنا الحر و ابن الحر ذو حسب مذحج و فخر

و قادح لكم غداه الذعر بالضرب أحيانا و طعن شزر

و تنادت همدان من كل ناحيه، و حملوا عليه و حمل عليه السبيع، و يقول له عمرو بن نفيل: إلى يا بن الحر! ودع الناس جانبا! فحمل عليه ابن الحر، و التقيا بضربتين ضربه ألزمته الحضيض، ثم ولى و ولى القوم الأدبار، فكف عنهم ابن الحر و قال لأصحابه: لا تتبعوهم! فحسبهم ما نالهم عارا، و كفاهم ما نالهم به ذلا و شنارا، إنهم أصبحوا فى ديارهم فما حموا كريما، و لا منعوا حريما.

قال: ثم خشى عبيد الله بن الحر أن تدهمه خيل المختار بأجمعها أو تجتمع عليه أهل الكوفة فلا- يكون له بهم طاقة، فصاح بأصحابه و مضى حتى خرج من الكوفة، فأنشأ يقول أبياتا مطلعها:

لقيت (شباما) عند مسجد مخنف و قبل شبام (شاكرا) و (سبيعا)

إلى آخرها ثم جعل عبيد الله بن الحر يغير على سواد الكوفه، و يقتل نواب المختار، و يمثل بهم، و يكبس المدن و القرى، و يأخذ الأموال حتى إذا علم أنه قد استقل بالأموال و اكتفى من الرجال و الآله و السلاح سار إلى البصره، و بها يومئذ مصعب بن الزبير فى وجوه الأزارقه، فاستامن إليه عبيد الله بن الحر.

قال: فقربه مصعب و أدناه و أجلسه معه على سريره و أكرمه كرامه لم يكرم مثلها أحدا قبله ممن قصده، و جعل ابن الحر يحدث مصعبا بما كان من أمره و أمر المختار و إبراهيم بن الأشتر و بلغ ذلك المختار، فكأنه سر بمسير عبيد الله بن الحر إلى مصعب بن الزبير.

و كان مصعب قد ولى رجلا سخيا يقال له زحر بن قيس الجعفى جميع سواد الكوفه، و كان زحر بن قيس هذا رجلا سخيا، لا يبقى على شىء، فأتلف مال السواد، حتى كسر على مصعب سبعون ألف درهم، فأخذه مصعب فحبسه، فلم يكن عنده ما يؤدى.

و جاء عبيد الله بن الحر حتى دخل على مصعب بن الزبير و ساله فى زحر بن قيس، فأبى عليه أن يشفعه فيه، فقال ابن الحر: أيها الأمير! المال على من دونه! فاطلقه. فلما كان بعد ذلك بمدته يسيره بعث مصعب إلى عبيد الله بن الحر يقتضيه المال، فقال ابن الحر للرسول: ارجع إلى الأمير فقل له: يقول لك عبيد الله بن الحر: أيها الأمير! أما ما كان لك علينا فانك تقتضيه منا، و ما كان لنا عليك فلا تؤديه! أيها الأمير! إنما سرت إليك إلى البصره معونه و تقويه لك! و قدمت معك إلى بلدى فاعتتك بنفسى و عشائرى حتى قتلت المختار و ظفرت بما تريد، لنصير منك إلى ما صار غيرنا من الولايه و الحبا و الكرامه، و كان ما وعدتنا قديما و رجونا هباء منثورا. فسار الرسول إلى مصعب بن الزبير فأخبره بذلك، فأمسك عنه مصعب و فى قلبه منه ما فى قلبه، فأنشأ عبيد الله بن الحر فى ذلك يقول:

سيف بن هانئ إلى مصعب فأخبره بذلك، فأنشأ عبيد الله بن الحر يقول في ذلك أبياتا مطلعها:

أرجوا ابن الزبير اليوم نصرى لعاقبه و لم أنصر حسينا

إلى آخرها.

فأرسل مصعب بن الزبير إلى وجوه أهل الكوفة فأحضرهم إلى مجلسه و أخبرهم بقصه عبيد الله بن الحر، فقال له رجل منهم: أصلح الله الأمير، إنى أخبرك عنه بامر! فقال مصعب: و ما ذلك؟ فقال: إنه جاء يوما من الأيام فاستأذن عليكم فلم يأذن له الحاجب، و جاء مسلم بن عمرو الباهلى فدخل، و جاء المهلب بن أبى صفره فدخل، و جاء إليك الناس واحدا بعد واحد، ثم دخل بعد ذلك عبيد الله بن الحر، فلما خرج سمعته يقول أبياتا حفظتها(1) منه و هى هذه الأبيات:

باى بلاء أم بايه نعمه بمسلم قبلى يبتدى و المهلب

و يدعى ابن منجوف أمامى كأنه يطاعن قلبى بالوشيح المغلب

بسوء بلاء أم لقتل عشيرتى أذل و أقصى عن حجابات مصعب

(2) فقال له مصعب: دع هذا! هذا شىء ما لنا به علم، و لكن هاتوا آراءكم و أشيروا على بمشوره يعم صلاحها! فقال له بعض جلسائه: أصلح الله الأمير! إن عبيد الله بن الحر رجل صعلوك يأكل خبزه بسيفه، و هو مع ذلك رجل مطاع فى قومه و عشيرته لما يعلمون من بأسه و شدته، و لقد كان خالف على المختار بن أبى عبيد و قاتله غير مره، و قد خالف أيضا على معاويه بن أبى سفيان و ابنه يزيد و عبيد الله بن زياد، و هو رجل لا يرى لأحد عليه طاعه، و يوشك أن يثور فى هذا السواد، فيقتل و يفسد و يجلب الأموال كما فعل من قبل، و الرأى فى ذلك أن يبعث إليه الأمير بالبر و الألفاف و يعده و يمينه حتى يقع فى يده، ثم يخلده السجن، فقال مصعب: هذا هين يسير إن قبل ذلك منا.

قال: ثم جعل مصعب يتلطف له و يعرض عليه الولايه و يهدى إليه الهدايا. فلم يزل كذلك حتى رجع إلى الكوفه، فلما دخل و سلم على مصعب لم يرد عليه السلام ثم قال: يا بن الحر! كيف صنعت؟ فقال: صنعت ما قد علمت و كذا يصنع الرجال الذين فيهم خير إذا لم يعطوا الرضا. قال مصعب! فأين أصحابك الذين معك؟ قال: خلفتهم ورائى و جئتك وحدى، فان كان منك ما أريد و ما ضمنته لهم فذاك، و إن أسأت إلى و خالفت ما قرأت عنك فى كتابك كان أصحابى من ورائى يفعلون ما أمر. ثم أمر به مصعب فقيد بقيد ثقيل، و دعا بسجان يقال له واصل، فقال له: خذ هذا إليك و ضيق عليه فى السجن ما استطعت.

فدعا واصل السجن باعوانه و أمرهم فحملوا عبيد الله بن الحر من بين يدى مصعب حملا حتى انطلقوا به إلى السجن، فلما رآه أهل السجن كبروا و شتموا. و أقبل السجن فاخذ رداء كان على عاتق عبيد الله بن الحر و قال له:

يا بن الحر! أريد أن تكسونى هذا الرداء فإنه رداء نفيس و قلما رأيت مثله! فتبسم ابن الحر و قال: و الله إن هذا ما أنت له بأهل، و لكن خذه و لا تلبسه، و بعه لغيرك و انتفع بثمانه فاخذ واصل السجن رداء عبيد الله بن الحر فتردى به، و جعل يخطر فيه ليغيظه ذلك، فأنشأ عبيد الله بن الحر يقول فى ذلك أبياتا مطلعها:

فلم أر يوماً مثل يوم شهادته أبت شمسها مع غيمه أن تغيباً

إلى آخرها. قال: فأقام ابن الحر في السجن شهراً كاملاً، ثم كتب بعد ذلك إلى مصعب بكتاب يتهدده فيه بقومه و عشيرته و يخوفه من نفسه إن هو انفلت من السجن أن تجتمع إليه الجموع فيناويه في عزه و سلطانه، ثم كتب في كتابه أبياتاً مطلعها:

لنعم ابن أخت المرء يسجن مصعب لطارق ليل خائف أو لنائل

إلى آخرها.

قال: فلما نظر مصعب بن الزبير في كتاب ابن الحر و شعره غضب لذلك و زبد و تمعر، ثم أرسل إلى وجوه أهل الكوفة فدعاهم، ثم قال: هذا ابن عمكم عبيد الله بن الحر يتوعدني بالقتال إن هو أفلت من يدي، و الله لأطيلن حبسه و لأزيدن في حديده، و لأذيقنه طعم الذل و الهوان. ثم أمر مصعب فزيد في حديده، و أمر فضيق عليه في السجن أشد الضيق.

فلما بلغ ابن الحر ما هو فيه من ثقل الحديد و ضيق الحبس كتب إلى بنى عمه يشكو إليهم و يقول أبياتاً مطلعها:

و من مبلغ الفتیان أن ابن عمهم أتى دونهم باب منيع و حاجبه

(٣) إلى آخرها. قال: فلما وصلت هذه القصيدة إلى بنى عمه كأنهم تحركوا لذلك، و قال بعضهم لبعض: لا و الله ما هذا بحسن أن يكون أخونا و ابن عمنا محبوساً يقاسى ثقل الحديد و ضيق السجن و نحن آمنون. ثم وثب رجل منهم يقال له عطية بن عمر الجعفي فقال: يا هؤلاء! قوموا بنا إلى هذا الأمير حتى نكلمه في صاحبنا، فان هو شفّعنا فيه و إلا ثرنا عليه فقاتلناه، فما هو أعز علينا و لا أعظم في عيوننا من المختار بن أبي عبيد الذي قتلناه في ساعه من النهار.

و بلغ ذلك مصعب بن الزبير، فسكت عن القوم كأنه لم يعلم بشيء من ذلك، فلما كان الليل بعث إلى عطية بن عمر الجعفي فأتى به في منزله، ثم أمر به مصعب فبطح بين يديه فضربه ثلاثمائة قضيب، ثم أمر به فقيد و حمل إلى السجن، فحبس مع عبيد الله بن الحر. و أصبحت قبائل الأزدي و مذحج الكوفة و قد بلغهم ذلك، فكأنهم هموا بالمصعب، ثم إنهم كفوا يومهم ذلك.

و نظر عبيد الله بن الحر إلى عطية بن عمر و جزعه من ذلك الضرب و الحبس، فقال: لا- تجزع يا عطية! فان الدهر يومان: يوم نعيم و يوم بؤس، و الله يا عطية لأخرجن أنا و أنت من هذا السجن، و لأنغصن عليك.

ص: ١٦٧

- ١- في الطبري ١٧٣/٧ أن ابن الحر قال الأبيات الآتية يعاتب مصعباً في ذلك و يذكر له تقريره سويد بن منجوف.
- ٢- بدل البيت في الطبري: و شيخ تميم كالثغامه رأسه عيلان عنا خائف مترقب جعلت قصور الأزدي ما بين منبج إلى الغاف من وادي عمان تصوب بلاد نفى عنها العدو سيوفنا و صفره عنها نازح الدار أجنب
- ٣- وردت الأبيات في الطبري و ابن الأثير.

مصعب بن الزبير عيشه، و لأدعون أهل السواد و الناحيتين إلى المشمرخ(١) و لأحتوين على الفرات إلى هيت و عانات، و لآخذن خراج الشوش و ما يليها من الرساتيق و القرى، و لأكرمن من جاءنى من الفتيان و الصعاليك بالأموال و الخيل و الأثاث الفاخر إن شاء الله و لا قوه إلا بالله العلى العظيم، فلا تجزع يا بن عمر، فما أقرب الفرج لأنه لم تكن شدة قط إلا جعل الله من بعدها فرجا و رخاء، ثم أنشا فى ذلك يقول أبياتا مطلعها:

أقول له صبرا عطى فإنما هو السجن حتى يجعل الله مخرجا

إلى آخرها.(٢)

فلما بلغ قومه هذه القصيده كأنها حركتهم، و قال بعضهم لبعض: إن كان غدا فاجتمعوا بنا حتى ندخل على هذا الأمير نكلمه فى صاحبنا، فان هو شفعا فيه و أخرجه من سجنه و إلا عاودناه فى ذلك. ثم بعثوا إلى عبيد الله بن الحر إننا عزمنا على أننا نسير إليه و نكلمه فى أمرك، و قد أحببنا أن يكون معنا أبو النعمان إبراهيم بن الأشر، فلا عليك أن تبعث إليه رسولا و تسأله أن يركب معنا، فإنه عظيم القدر عند الأمير، و لعله أن يستحى منه فيشفعه فيك. فكتب عبيد الله بن الحر إلى إبراهيم بن الأشر، ثم أثبت فى رقعة هذه الأبيات:

بان الملامه لا تبقى و لا تدع و لا يزيدك إلا أنها جزع

لم يبق معذره سعد فاعذرهما و لا مزاد و كانوا بئس ما صنعوا

و الحارثيون لم أرض الذى نطقوا عند الأمير و شر المنطق الشنع

تبادروا أنهم ناتى أميرهم و للمذله فى أعناقهم خضعوا

فقد وردتم فذوقوا غب مصدركم لا يهنكم بعده رى و لا شع

ما ذا يقولون و ابن الحر محتبس همت به مذحج و الأنف مجتدع

قد جللت مذحج ما ليس يغسله ماء الفرات لأن لم يشهد النجع

الضاربون من الأقوام هامهم بحيث يقرع عن هاماتها الصلع

شم العرائن سادات كأنهم بيض السيوف التى لم يعلها الطبع

أرجو قيام أبى النعمان إذ وهبوا و مثله بجسيم الأمر يضطلع

فان يفك عبيد الله من كبل فليس بعدك فى إخراجه طمع

فاجهد فدى لك و الأقوام كلهم ما بعدها من مساعى الخير متبع

فأبسط يديك فان الخير مبتدر عليك و حدود القوم تصطرع

قد قدمت لك مسعاه و ماثره من مالك و كذاك الخير منتجع

و الأمن و الخوف أيام مداوله بين الرجاء و بين الضيق متسع

فلما وردت هذه الأبيات على إبراهيم بن الأشتر كأنه تحرك لذلك، ثم بعث إلى قومه و عشيرته فجمعهم. قال: و اجتمعت أيضا وجوه اليمن، و أقبل بهم حتى دخل على مصعب بن الزبير، فلما قضى التسليم قال: أعز الله الأمير! إنه لو وجد أحد على عبيد الله بن الحر كوجدى عليه لما كلمه أبدا من أجل الفعل الذى فعله بى فى أيام المختار، و أما فى وقته هذا فلا أعلم ذنبا يجب عليه الحبس، و و الله أعز الله الأمير! لقد وجهت إليه و أنت بالبصره، فقدم عليك فى أربعمائه فارس لا يرى منهم إلا الحدق فى تعبيه حسنه من الآله و السلاح الكامل، و لقد بلغنى أنه تجهز إليك يوم تجهز بنيف على مائتى ألف درهم، ثم قدم معك هذه البلده فقاتل المختار قتالا عجيبا فعجب منه أهل بلده و لن يروك إلى هذه الغايه، و ليس يجب على الأمير أصلحه الله أن يجمع عليه أمرين: ذهاب مال و ضيق حبس - و السلام.

قال: فلما سمع مصعب بن الزبير كلام إبراهيم بن الأشتر و رأى من معه من بنى عمه و عشيرته كأنه استحى و لم يجب أن يردهم بغير قضاء حاجه، فقال: إني قد سمعت كلامك و مقاتلك أبا النعمان، و أنا نازل عند ما تحب.

قال: فجزاه ابن الأشتر و من معه خيرا و أثنوا عليه جميلا، و انصرفوا إلى منازلهم. ثم بعثوا إلى عبيد الله بن الحر أن قد صرنا إلى الأمير - أصلحه الله، و كلمناه فى أمرك، فأجابنا إلى كل ما نحب و لكن لا عليك أن تكتب إليه كتابا لطيفا تعتذر إليه فيه مما فرقت به عنده و السلام. قال: فعندها كتب عبيد الله بن الحر إلى مصعب بن الزبير هذه الأبيات:

تذكرت قبل اليوم أيه خله أضرت بحقى عندكم و هو واجب

و ما فى قناتى من وصوم تعييبها و لازم رحلى فيكم من أصحاب

و تعلم إن كاتمته الناس أننى عليك و لم أظلم بذلك عاتب

و ما أنا راض بالذى غيره الرضا فلا تكذبنك ابن الزبير الكواذب

رأيتك تعصينى و تشمت شانيا كانى بما لم اجترم لك رائب

فان كان من عندى فيين فانى لصرمكم يا بن الزبير لهائب

و إن كان من غيرى فلا تشمت العدى بنا و تدارك دفع ما أنت قارب

و إن كان هذا الصرم منك لعله فصرح و لا تخفى الذى أنت رابك

ففى كل مصر قاسط تعلمونه حريص على ما سرنى لك راهب

أرى الحرب قد درت عليك و فتنه تضرم فى الحافات منها المحاطب

فحسبك قد جربتنى و بلوتنى و قد ينفع المرء الكريم التجارب

ألم تعلموا أنى عدو عدوكم و تشفى بنا فى حربكم من تحارب

أناضل عنكم فى المغيب عشيرتى و أما بنفسى دونكم فأضارب

لكم بارد الدنيا و يصلى بحرهما إذا اعصى بالهباب السيوف القواضب

فلسنا كراما إن رضينا بذاكم و لم تتأهب فى الحديد الكتائب

و لو لا أمير المؤمنين و بيعتى لقد كثرت حولى عليك الجلائب

قال: فلما وصلت هذه الأبيات إلى مصعب بن الزبير و نظر فيها، أرسل إلى عبيد الله بن الحر فأخرجه من محبسه و خلع عليه و حملة على فرس، و أمر له بمال. و سأل ابن الحر فى ابن عمه عطيه فاطلقه. قال: فصار ابن الحر إلى منزله.

فلما كان من الغد بعث إليه مصعب أنى قد جعلت لك خراج بادوريا و نواحيها فهو لك و لمن أحببت من أهل بيتك أبدا ما دام لآل الزبير سلطان بالعراق. قال: ثم أرسل مصعب إلى عماله فصرفهم عن بادوريا، فاخذ(٣)خراجها و قسمه فى أصحابه و بنى عمه، ثم قال: انظروا لا- أذعو بأحد منكم فى وقت من الأوقات إلا جاءنى على فرس فاره و سلاح شاك، فانى قد عزم على الخروج على مصعب بن الزبير، و على الغاره على البلاد، و لا أموت إلا كريما.ر.

ص: ١٦٨

١- كذا فى الأصل، و لم نجده فى المراجع التى بين أيدينا.

٢- وردت الأبيات فى الطبرى.

٣- أى أخذ عبيد الله بن الحر.

ثم خرج من الكوفه ليلا- فلحق به الناس من كل ناحيه حتى صار فى خمسمائه رجل ما فيهم أحد إلا و عليه درع سابغ و بيضه محكمه. فعندها عزم عبيد الله بن الحر على الغاره، ثم كتب إلى مصعب بن الزبير بهذه الأبيات:

فلا كوفه أمى و لا بصره أبى و لا أنا يثينى عن الرحله الكسل

فلا تحسبنى ابن الزبير كناعس إذا حل أغفى أو يقال له ارتحل

فان لم أزررك الخيل تردى عوابسا بفرسانها حولى فما أنا بالبطل

و إن لم تر الغارات من كل جانب عليك و تندم عاجلا أيها الرجل

فلا وضعت عندى حصان قناعها و لا عشت إلا بالأمانى و العلل

فانك لو أعطيتنى خرج فارس و أرض سواد كلها و قرى الجبل

و جدك لم أقبل و لم آت خطه تسرك فأيس من رجوعى لك الهبل

بل الدهر أو تأتيك خيل عوابس شواذب قب تحمل البيض و الأسل

بفتيان صدق لا ضغائن بينهم يواسون من أقوى و يعطون من سال

أ لم يأتكم يوم العذيب تجالدى به شيعه المختار بالمفصل الأقل

و بالقصر قد جربتمنى فلم أحم و لم أك وقافا و لا طائشا فشل

و يا رزأ أقوام بقصر مقاتل و ضاربت فرسانا و نازلت من نزل

ثم سار عبيد الله بن الحر فى أصحابه حتى صار إلى موضع يقال له نفر، فأغار على البلاد و أخذ الأموال ففرقها على أصحابه، ثم سار إلى موضع يقال له كسكر ففعل مثل ذلك. قال: فلم يزل ابن الحر على ذلك من شأنه يغير على البلاد و يقتل الرجال و يحوى الأموال، و بلغ ذلك مصعب بن الزبير فأرسل إلى إبراهيم بن الأشتر و وجوه أهل الكوفه فدعاهم، ثم قال: هذا عبيد الله بن الحر الذى كلمتمونى فيه حتى أخرجته من السجن و أكرمته بغايه الإكرام، فخرج من الكوفه سرا و اجتمع إليه من اجتمع، فالآن هو يفعل ما يفعل. فقال القوم: أصلح الله الأمير! نحن إنما كلمناك فى أمره لأننا رأينا أهل المصر قد فسدت قلوبهم عليك من أجله، و لم نعلم الذى فى قلبه، و الآن فالأمير - أصلحه الله - أعلى به عينا.

فعندها دعا مصعب بن الزبير برجل من فرسانه يقال له كريب بن زيد المازنى، فضم إليه ألف رجل من فرسان أهل الكوفه و البصره، و وجه بهم نحو عبيد الله بن الحر.

فخرجت الخيل من الكوفه، و بلغ ذلك ابن الحر، فسار إليهم فى أصحابه، حتى إذا هو وافى بهم بموضع يقال له الزنين، فقاتلهم

هنالك قتالا شديدا، فقتل من أصحابه نفر يسير، و قتل من أصحاب مصعب بن الزبير جماعه، و ولى الباقون أدبارهم هرابا نحو الكوفه، فأنشأ ابن الحر يقول أبياتا مطلعها:

أقول لفتيانى الصعاليك أخرجوا عنا جريح أذنى سيرهن وجيف

إلى آخرها.

ثم أقبل عبيد الله بن الحر على أصحابه فقال: أخبرونى عنكم يا معاشر العرب لما ذا نعقد لآل الزبير بيعه فى أعناقنا؟ فوالله ما هو بأشجع منا لقاء، و لا- أعظم منا غنى، و لقد عهد رسول الله (ص) إلى آبائنا من قبل بان الأئمه من قريش، فاستقيموا لهم ما استقاموا لكم، فإذا نكثوا أو غدروا فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم سيروا إليهم قدما قدما حتى تبيدوا خضراءهم، و بعد فان هذا الأمر لا يصلح إلا لمثل خلفائكم الماضين مثل أبى بكر و عمر و عثمان و على، فوالله لا نرى لهؤلاء فينا يدا فنكافتهم عليها، و لا نبذل لهم نصحا، و لا نلقى إليهم أزممتنا، لأننا ما رأينا بعد الأئمه الماضين إلى وقتنا هذا إماما صالحا، و قد علمتم أن قوى الدنيا ضعيف الآخره، و نحن أصحاب القادسيه و المدائن و جلولاء و حلوان و نهاوند، و ما كان بعد ذلك نلقى الأسنه بنحورنا، و السهام بصدورنا [بصدورنا]، و السيوف بجباهنا، و حر و جوهنا، و إلا فليس يعرف لنا فضل و لا يعطى حقنا، و لا يلتفت إلينا، فقاتلوا عن حريمكم و ذودوا عن فيئكم، فان ظفرنا بما نريد فذاك حتى يرجع الحق إلى أهله، و إن قتلنا شهداء دون حريمنا و أموالنا و أهالينا، فإى الأمرين كان لكم فيه الفضل؟ ألا! إنى قد أظهرت لهؤلاء العداوه و الشحناء و قلبت لهم ظهر المجن، و قد أتيتهم بمكه و البصره ناصرا و معينا، فما شكروا و لا حفظوا و لا رعوا إلى حقا، لكنهم سجنونى و قيدونى فضيقوا على جهدهم و طاقتهم - و السلام. قال ثم أنشأ يقول:

و قدما أبينا أن يقر ظلومه و قدما رتقنا كل فتق من الأمر

و كم من أبى قد سلبناه و قره بأسيفنا حتى أقام على العسر

بضرب يزيل الهام عن سكناته و طعن بأطراف المثقفه السمر

و من شيعه المختار قبل سقيتها بضرب على هاماتهم مبطل السحر

ثم سار ابن الحر إلى موضع يقال له عين التمر، و عين التمر يومئذ رجل يقال له بسطام بن مصقله بن هبيرة الشيبانى فى خمسمائه فارس، فلما علم أن ابن الحر قد وافاه خرج إليه فى أصحابه و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعه، فقتل من أصحاب بسطام ثلاثون رجلا و انهزم بسطام فى باقى أصحابه، و دخل عبيد الله بن الحر إلى عين التمر فاخذ أموالها و قسمها فى أصحابه. و بلغ ذلك بسطام بن مصقله فرجع إلى حرب ابن الحر ثانيه، فلما توافى الجيشان و دنا بعضهم من بعض نادى بسطام بأعلى صوته: يا بن الحر! هل لك فى مبارزتى؟ قال: فتبسم ابن الحر ثم قال: شر دهرك آخره، و الله ما ظننت أن مثلك يسالنى المبارزه أيام حياتى. ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فاعتنقا جميعا و خرا عن فرسيهما إلى الأرض، فاستوى عبيد الله بن الحر على صدر بسطام فأخذه أسيرا، و ولى أصحاب بسطام منهزمين و قد قتل منهم جماعه، و أسر منهم جماعه و هى مائه و عشرون رجلا، فنظر إليهم ابن الحر فإذا عامتهم من بنى عمه من الأنزد و مذحج و قبائل اليمن، فقال: سواء لكم يا معشر اليمن! إذ كنتم قومي و

عشيرتى و تضربون فى وجهى بالسيف مع مصعب بن الزبير، أما و الله لو لا أن أخشى العرب أن تحدث عنى أنى قتلت قومى و عشائرى صبرا لما نجا منكم أحد، و لكن امضوا إلى قومكم فانى قد مننت عليكم بأرواحكم. فاطلقهم عبيد الله بن الحر عن آخرهم، و لم يقتل منهم أحدا إلا من قتل فى المعركة، ثم أنشا يقول أبياتا مطلعها:

ألا هل أتى الفتیان بالمصر إننى أسرت بعين التمر أروع ماجدا

إلى آخرها.

ص: ١٦٩

يفعلها. فقال له بعضهم: أيها الأمير! إن الله عز وجل يقول (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) فإن كان عبيد الله ابن الحر فعل ما فعل، فما ذنب القرباب و ما ذنب النساء أن يحبسن بلا جرم كان منهن؟ ثم تكلم إبراهيم بن الأشتر فقال: أصلح الله الأمير! إنه وإن كان عبيد الله بن الحر قد فعل هذا الفعل فقد فعل كذلك بالمختار، وذلك أن المختار عمد إلى امرأته أم تويه الجعفيه فحبسها في السجن، فلعله قد بلغك ما كان منه أنه كبس الكوفه صباحا في أصحابه و كسر باب السجن و أخرج امرأته قسرا، ثم لم يرض بذلك حتى أخرج كل من كان في السجن من النساء و هو في ذلك يقاتل أصحاب المختار، حتى تخلص سالما هو و أصحابه. فقال ابن الزبير: قاتله الله من رجل فما أشجع قلبه، و الله! ما رأيت و لا سمعت برجل في دهرنا هذا اجتمع فيه ما في ابن الحر، من كرم نفس و شجاعه قلب و صباحه وجه و عفه فرج، غير أنه لا يحتمل على هذه الأفاعيل التي يفعلها.

و عزم مصعب على أن يوجه إليه بجيش كثير من الكوفه، و علمت بذلك بنو عمه فكتبوا إليه، فلما نظر في كتب بنى عمه تبسم لذلك و أنشا يقول:

يخوفني بالقتل قومي و إنما أموت إذا حان الكتاب المؤجل

لعل القنا تدني بأطرافها الغنى فنجيا كراما أو نكر فنقتل

ألم تر أن الفقر يزرى بأهله و أن الغنى فيه العلى و التجمل

إذا كنت ذا رمح و سيف مصمم على سابح أدناك مما تؤمل

و إنك إن لم تركب الهول لم تنل من المال ما يرضى الصديق و يفضل

إذا المرء لاقاني و مل حياته فلست أبالي أينا كان أول

ثم إن مصعبا كتب إليه كتابا: أما بعد، يا بن الحر! فان حلمي هو الذى يردعنى من أن أعجل عليك، و لو أردت ذلك لما عظم على أمرك و لو كنت فى جيش بعدد خوص العراقين، فالله الله فى نفسك انظر لها غيرك، و اقبل إلى العاقبه، و اكفف عما أنت عليه، و سلنى أى عمل شئت و أحببت حتى أوليك إياه، لا يعترض عليك معترض، و إن أبيت سرت إليك بنفسى و خيلى و رجلى، و استعنت الله عليه - و السلام.

قال: فكتب إليه ابن الحر: أما بعد، يا بن الزبير! فان كتابك ورد على فقرأته، و فهمت ما فيه و ما دعوتنى إليه من طاعتك و الكف عن محاربتك، و و الله لقد دعانى إلى نصره من هو خير منك أما و أبا و أصلا و حسبا و فرعا و حسبا الحسين بن على و فاطمه الزهراء فلم أنصره، و إنى على ذلك لمن النادمين، و أظن أنى لمن الخاسرين، إلا أن تداركنى رحمه رب العالمين، و أما وعيدك إياى المسير إلى بخيلك و رجلك فأنت و أصحابك أهون على من جرامقه الجزيره على عرب الحجاز - و السلام. ثم أثبت فى أسفل كتابه أبياتا مطلعها:

أتانى وعيد ابن الزبير فلم أرع و ما مثل قلبى بالوعيد مروع

إلى آخرها.

ثم مضى عبيد الله بن الحر فجعل يغير على السواد يمنه و يسره، فيهزم الرجال و يحوى الأموال فيقسمها فى أصحابه، ثم أمر فجعل يقطع البلاد، حتى صار إلى مدينه يقال لها تكريت على شاطئ الدجله، و بها يومئذ عامل المهلب بن أبى صفره فأخذه عبيد الله بن الحر فضرب عنقه صبراً،⁽¹⁾ ثم دخل إلى مدينه تكريت فاحتوى على أموالها. ثم سار منها يريد الموصل، و بها يومئذ المهلب بن أبى صفره من قبل مصعب بن الزبير، فلما بلغه خبر عبيد الله بن الحر سار إليه فى أربعة آلاف فارس. و بلغ ذلك عبيد الله بن الحر، فرجع إلى تكريت فنزلها، ثم أرسل إلى من كان مع المهلب من بنى عمه أن اكفونى أمركم و دعونى و المهلب، فانى أقوم به و بحربه إن شاء الله تعالى.

ثم يذكر ابن أعثم وقعه لعبيد الله مع المهلب بن أبى صفره، لم يذكرها أحد غيره من المؤرخين اكتفينا بالاشارة إليها.

ثم يقول ابن أعثم:

ثم أقبل راجعا نحو الكوفه و هو يقول:

و أبيض قد نبهته بعد هجعه فقام يشد السرج و المرء ناعس

عليه دلاص كالاضاه و بيضه تضىء كما يذكى من النار قابس

ثم أقبل حتى نزل قريبا من الكوفه، و بلغ ذلك مصعب بن الزبير فدعا بحجار بن أبجر العجلي فضم إليه خمسه آلاف فارس و وجه بهم نحو عبيد الله بن الحر، فسارت الخيل من الكوفه حتى وافته بموضع يقال له دير الأعور، و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتلوا، فقتل من أصحاب عبيد الله بن الحر جماعه و فشت فيهم الجراحات، و ذلك فى أول النهار، ثم وقعت الهزيمه بعد ذلك على أصحاب مصعب بن الزبير، فانهزموا حتى تقاربوا من الكوفه و قد قتل منهم من قتل، و احتوى عبيد الله بن الحر على ما قدر عليه من دواب القوم و أسلحتهم و أسلابهم.

ثم أقبل ابن الحر حتى نزل بموضع يقال له صرصر فعسكر هنالك، و جعل مصعب بن الزبير يجمع له الجموع حتى اجتمع إليه نيف عن سبعة آلاف فارس، فضمهم مصعب بن الزبير إلى مسلم بن عمرو الباهلى و الحجاج بن حارثه الخثعمى. و سارت العساكر من الكوفه نحو عبيد الله بن الحر حتى وافوه على نهر صرصر، و قد التام إليه الناس فصار فى ألف و ثلاثمائه فارس ما منهم إلا فارس مذكور. و دنا القوم بعضهم من بعض، و استامن قوم من أصحاب مصعب بن الزبير إلى عبيد الله بن الحر، فلما رأى أصحاب مصعب ذلك وقع فيهم الفشل، فانهزموا متفرقين فى البلاد، و غنم ابن الحر و أصحابه ما كان لهم من مال و دواب و سلاح، ثم أنشا و جعل يقول أبياتا مطلعها:

نفيت لصوص الأرض ما بين عانه إلى جازر حتى مدينه دسترا

إلى آخرها.

ثم كتب مصعب بن الزبير إلى يزيد بن رؤيم الشيباني يأمره بالمسير إلى عبيد الله بن الحر، و كان يزيد بن رؤيم يومئذ بالمدائن من قبل مصعب بن الزبير، فلما ورد عليه كتاب مصعب سار إلى عبيد الله بن الحر حتى وافاه في موضع يقال له باجسرى و التقى القوم هنالك، فاقتتلوا ساعه، فقتل من أصحاب يزيد بن رؤيم جماعه، و انهزم الباقون، و أتبعه عبيد الله بن الحر حتى وافاه بالمدائن. و تحصن يزيد بن رؤيم في قصر المدائن، و أحرق عبيد الله بن الحر و أصحابه بالقصر حتى أصبحوا، ثم إنهم استمدوا بأهل مدينه الروميه فاجتمع أهل المدينتين جميعا على عبيد الله بن الحر و أصحابه، فقاتلهم ساعه فعلم أنه لا طاقة له بهم، فجعل يقاتلهم هو و أصحابه حتى تخلص من المدائن سالمات.

ص: ١٧٠

١- و فى الطبرى و ابن الأثير: فهرب عامل المهلب عن تكريت.

ثم تقدم إلى سورا و بها يومئذ عبد الرحمن العجلي من قبل مصعب بن الزبير، فخرج إلى محاربه عبيد الله بن الحر و أصحابه، فقال ابن الحر لأصحابه: فداكم أبى و أمى! احمولوا عليهم حملة صادقه، فلعلى أن أغنمكم مال سورا! قال: فصبر القوم بعضهم لبعض ساعه، ثم انهزم أهل سورا حتى دخلوا إلى المدينه، و احتوى ابن الحر و أصحابه على أسلابهم و أموالهم و دوابهم، ثم أنشا ابن الحر يقول أبياتا مطلعها:

سل ابن رؤيم عن جلادى و موقفى بياوان كسرى لا أوليهم ظهري

إلى آخرها.(1)

ثم سار عبيد الله بن الحر حتى نزل مدينه الأنبار، فلما رآه أهلها كأنهم اتقوه و هموا بالهرب من المدينه، فنادى فيهم ابن الحر: ليس عليكم من بأس! أقيموا بمدينتكم أنتم آمنون! فتراجع القوم إلى منازلهم و أسواقهم، ثم أنهم حملوا إليه الميره و الهدايا، فقبلها منهم و قال: إن كانت لكم حاجه فاسالونى إياها! قال: فتقدم إليه جماعه منهم من أهل الأنبار فقالوا: نعم، أيها الأمير! إن حاجتنا إليك حاجه لله فيما يرضى الله، و لك فيها ثواب عظيم. قال: و ما ذاك؟ قالوا: هاهنا حبشى يقال له الغداف يقطع الطريق وحده ما بين مدينتنا هذه إلى مدينه هيت، ثم إنه ياتى مدينتنا هذه ليلا و نهارا، فلا يقدم عليه أحد لما يعلمون من بأسه و شدته، فإذا بلغه أن امرأه حسناء فى موضع من المواضع هجم على تلك الدار فيأخذ المرأه و يكتف زوجها ثم يفجر بها، فان تكلم زوجها قتله ثم يخرج، فلا يقدر أحد عليه، فان رأيت أن تريحنا منه و أهل هذه البلده يقرون لك بالعبوديه إلى آخر الدهر! قال: فتغير وجه عبيد الله بن الحر و أدركته الغيره و الأنفه، ثم أقبل على أهل الأنبار فقال: و أين يكون هذا الأسود؟ فقالوا: فى وادى كذا و كذا قريبا من شاطئ الفرات. فدعا عبيد الله بن الحر بفرسه فاستوى عليه و أخذ سيفه و تقلد رمحه، ثم أقسم على أصحابه أنه لا يتبعه أحد منهم، ثم خرج من الأنبار فى جوف الليل و هو يقول:

و أبيض قد نبهته بعد هجمه و قد لبس الليل القميص الأرنديجا(2)

وجدت عليه مغرما فقبضته و فرجت ما يرجا به أن يفرجا

و كنت إذا قومي دعونى لنجده شددت نطاقى حيث أدمى و أسرجا

فاكشف غماها و أكسب مغنما و أطفى الذى قد كان فيها مؤججا

ثم سار حتى صبح الوادى الذى فيه الغداف، فنزل عن فرسه إلى ماء يجرى فى أول الوادى، فتوضأ ثم وثب فصلى الفجر و عنان فرسه فى يده. ثم وثب فاستوى على فرسه و جعل يتلفت يمنه و يسره فلا يرى أحدا حتى إذا بزغت الشمس و إذا هو بالغداف و قد خرج من شعب من شعاب ذلك الوادى على فرس له أدهم أغر محجل، و فى يده رمح له طويل، و على رأسه عمامه له حمراء، و إذا هو أسود آدم، مشرف عظيم من الرجال. فوقف له ابن الحر حتى حاذاه و صار قبالتة، فقال له الغداف أيها الرجل! من أين أقبلت؟ قال: من الأنبار، قال: فأين تريد؟ قال: أريد إلى هيت، قال الغداف:

بلغنى أن عبيد الله بن الحر قد نزل بالأنبار، فأين يريد؟ قال: لا علم لى بذلك، فقال الغداف: لقد بلغنى عنه شده و فروسيه و

إقدام على الرجال، و لعله ما نازل بطلا، و لقد كنت أحب أن أزوره و أراه، و انظر إلى جلادته و منازلته للرجال! قال: ثم جعل يساير عبيد الله و يسأله عن حاله، حتى إذا أصحر عن الوادى قال له الغداف: انزل عن فرسك و انج! فقال له ابن الحر أ و تعرفنى؟ قال: لا، قال: فانا ابن الحر و إياك أردت يا كلب! ثم حمل عليه و اختلفا بطعنتين، فطعنه ابن الحر طعنه نكسه عن فرسه، ثم نزل إليه فذبحه و احتز رأسه و وضعه فى مخلاه، و أخذ سلاحه و أقبل يريد الأنبار، و أنشا يقول:

إنى رأيت بواد غابر رجلا مثل الهزبر إذا ما ساور البطلا

ضحخم الفريسه لو أبصرت قامته وسط الرجال إذا شبهته جملا

سايرته ساعه ما بى مخافته إلا التلفت حولى هل أرى دغلا

أنشا يسائلنى عنه و أطعنه فخر يهوى على الخيشوم منجدلا

دهدهته بين أحجار و أوديه لا يعلم الناس غيرى علم ما فعلا

يدعى الغداف و قد مالت علاوته إن الغداف و ربه وافق الأجلا

ثم وافى عبيد الله حتى دخل الأنبار و أمر برأس الغداف فنصب على باب المدينة. و فرح أهل الأنبار بذلك فرحا شديدا ثم حملوا إليه هدايا كثيره من الأطمعه و الأشربه و غير ذلك، فقبلها منهم.

و أقبل رجل من الأنبار و قال: أيها الأمير هل تعلم بالعراق من يدانيك أو يقوم مقامك؟ فقال: نعم، رجلا واحدا يقال له جرير بن مشجعه الجعفى، و هو اليوم مع بنى عمه بالكوفه، و لو أنه معى أو فى أصحابه أربعه مثله لكبست الكوفه فقتلت مصعبا و احتويت على ماله، و عسى أن يكون ذلك إن شاء الله. ثم جعل يقول:

لو أن لى مثل جرير أربعه صبحت بيت المال حتى أجمعه

و لم يهلنى مصعب و من معه نعم الفتى ذلكم ابن مشجعه

ثم أقبل عبيد الله بن الحر على أصحابه و قال: تهيئوا الآن! فانى قد عزمت أن أسير بكم إلى الشام إلى عبد الملك بن مروان و أسأله المعونه على مصعب بن الزبير، فلعلى أشفى بنفسى منه و من أصحابه قبل الموت. ثم نادى فى أصحابه و ترحل نحو الشام، و أنشا يقول أبياتا مطلعها:

و بالشام إخوانى و جل عشيرتى و قد جعلت نفسى إليك تطلع

إلى آخرها.

ثم سار حتى صار إلى دمشق و بها يومئذ عبد الملك بن مروان، فوقف ببابه ثم استأذن له، و دخل فسلم، فرد عليه عبد الملك

السلام، ثم أدناه و أقعده معه على سريريه، ثم دعا بالخلع فخلع عليه، و أمر له بمائه ألف درهم، فقال له عبيد الله: يا أمير المؤمنين! لم أزرک للمال، إنما أريد أن توجه معى رجلا أقاتل بهم مصعب بن الزبير، فلست بآيس من أخذ العراق لك يا أمير المؤمنين! فأجابه عبد الملك بن مروان إلى ذلك، ثم أمر له بمائه ألف درهم أخرى، و أمر له ولأصحابه بالمنازل و الأنزال، و أجرى عليهم الأرزاق. ثم أمر له باربعه آلاف رجل من أهل الشام، فأعطاهم الأرزاق و ضمهم إليه و أمرهم بالمسير معه.

فسار القوم مع عبيد الله حتى صاروا إلى الرقة، ثم انحدروا على الفراتد.

ص: ١٧١

١- انظر الأبيات فى الطبرى، و ليست فى ابن الأثير.

٢- الأرنجد هو السواد.

حتى صاروا إلى الأنبار. فنزل عبيد الله بن الحر و من معه من الأنبار يوما ثانيا، ثم إنهم تذاكروا شيئا من أمر صفيين و ما كان من محاربه أهل العراق لهم، فوثب بعضهم على بعض فاقتتلوا هنالك حتى تفانى الفريقان جميعا من أهل الشام و أصحاب عبيد الله بن الحر على غير شىء. قال: و انفلت نفر من أهل الشام، ففروا هاربين على وجوههم، و بقى عبيد الله بن الحر فى نفر يسير من أصحابه.

و كان مصعب بن الزبير يومئذ بالبصره و خليفته الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعه بالكوفه. فلما بلغه ما فيه عبيد الله بن الحر من قله أصحابه اغتنم ذلك، فدعا برجل من بنى سليم يقال له عبيد بن العباس، فضم إليه خمسمائه فارس و أمره بالمسير إلى عبيد الله بن الحر.

فسارت الخيل نحو عبيد الله بن الحر، فلما نظر الخيل و قد وافته التفت إلى من بقى من أصحابه فقال: يا بنى الأحرار! اركبوا خيولكم و موتوا كراما! و إلا أخذتم أسارى فعرضتم على السيف كما عرض أصحاب المختار من قبلكم. فركب أصحابه و هم يومئذ أقل من خمسين رجلا، و ركب عبيد الله و جعل يقول:

يا لك يوما قل فيه ثقتى و غاب عنى معشرى و أسرته

و مذحج طرا و جل إخوتى و صحبتى الحامون لى فى كربتى

يا قيس غيلان أصبتم فرصتى و ما أبالى إن أت منيتى

ثم حمل عليهم فى أصحابه على قلتهم، فقاتل ساعه فقتل من أصحابه نيف على ثلاثين رجلا و بقى فى بضعه عشر رجلا، فقاتل حتى بقى خمسه، فجعل يرتجز و يقول:

لو أن لى من شيعتى رجلا مساعرا أعرفهم أبطالا

لأحسنوا من دونى القتالا و لم يهابوا فى الوغى الآجالا

و قتل أصحابه الخمسه فبقى عبيد الله بن الحر يقاتل وحده و أحاطت به الخيل من كل جانب، فطعنه رجل من بنى محارب يكنى أبا كديه، فصرعه عن فرسه على شاطئ الفرات و غار فرسه، فوثب قائما و بقى يقاتلهم راجلا فى جوف الماء، و القوم يرمونه بالسهم، و لا يدنو أحد منه غير أنهم يقولون:

كيف ترى هذه السهام يا بن الحر! فقال لهم: إن كنتم رجلا كما تزعمون فابرزوا إلى واحدا بعد واحد حتى تعلموا أيننا بن الحر! و أثنى بالجراحات فلم يستطع أن يقاتل القوم، فعمد إلى زورق من تلك الزوارق، فجلس فيه و قال لصاحبه: عبرنى إلى ذلك الجانب من الفرات و سلبنى لك! قال: فجعل صاحب الزورق يقذف به حتى صار إلى نصف الفرات و أصحاب مصعب ينادون صاحب الزورق: ويحك أيها الملاح! إن الذى معك هو طلب أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير و طلب مصعب بن الزبير، فاحذر على نفسك و رد الزورق إلينا و لك عشره آلاف درهم! فهم الملاح أن يرده إليهم. فلما حول رأس الزورق قام إليه عبيد الله بن الحر ليمنعه من ذلك، فقبض عليه الملاح و كان قويا فى بدنه فاعتنقا جميعا و اضطربا فى الزورق ثم سقطا جميعا فى الفرات

فغرقا.

ثم دعا أصحاب مصعب بن الزبير بالغواصين، فغاصوا في الفرات حتى أخرجوا عبيد الله بن الحر من الماء، فاحتزوا رأسه و صلبوه على شاطئ لفرات، ثم بعثوا برأسه إلى أمير الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، فوجه الحارث بالرأس إلى مصعب بن الزبير بالبصرة، و وجه مصعب بالرأس إلى أخيه عبد الله بن الزبير.

قال: و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فجزع عليه جزعا شديدا، ثم قال: لله درك يا بن الحر! قد كنت فارس حرب، و كاشف كرب و فارس همه، و سداد ثغر، فلأسعدنك الله حيا و ميتا، فلعمري لقد بلوك فما وجدوك خوارا و لا فرارا، لكنهم ألقوك كرارا نفاعا ضرارا، و بالله يحلف عبد الملك ليأخذن بئارك و ثار غيرك إن شاء الله و لا قوه إلا بالله. قال: فأنشأ أنس بن معاوية البكري يقول أبياتا مطلعها:

يا عين ابكى عبيد الله ما طلعت شمس النهار و أذرى الدمع تسكابا

إلى آخرها. (انتهى ما ذكره ابن أعمش).

و قد نقلنا قصه عبيد الله - على طولها - لما فيها من العبر و الرجل على كل حال مشوش الفكره، مضطرب العقيدة، و لا يمكن اعتباره حتما من موضوع هذا الكتاب، و لكن له صله بموضوعه تبرر ذكره فيه.

و لا بد لاستكمال قصته من مراجعه ما مر عنها في الجزء الأول من (المستدركات)، و قبل ذلك في (الأعيان) نفسه.

عبيده بن سفيان.

كان ممن خرج مع التوابين للطلب بئار الحسين (ع)، فلما عاد رفاعه بن شداد بمن بقي حيا في معركة عين الورد، كان عبد الله هذا ممن عاد معه، و ساروا ليلتهم تلك حتى الصباح، فلما أصبحوا إذا عبد الله في نحو عشرين رجلا قد أرادوا الرجوع إلى العدو مستقتلين، فجاء رفاعه و أصحابه و ناشدوهم الله أن يفعلوا، فلم يزالوا يناشدونهم حتى ردوهم إلا رجلا من مزينه يسمى عبيده بن سفيان، فإنه انسل من بين الناس و رجع بدون أن يعلم به أحد، حتى لقي أهل الشام فشد عليهم بسيفه يضاربهم حتى عقر فرسه فجعل يقاتل راجلا و هو يقول:

إني من الله إلى الله أفر رضوانك اللهم أبدى و أسر

ف قيل له: من أنت؟ فقال: من بنى آدم لا- أحب أن أعرفكم و لا- أن تعرفوني يا مخربى البيت الحرام، و شد الناس عليه من كل جانب فقتلوه.

السيد عدنان الغريفي.

(١) ولد سنة ١٢٨٣ في مدينه المحمره و توفي في الكاظميه بالعراق سنة ١٣٤٠ و دفن في النجف. نشا و ترعرع في المحمره، توفي عنه والده و هو صغير ثم أرسل إلى النجف الأشرف للدراسه فيها على نفقه أحد التجار، فحضر في دراسه السطوح على ابن

عمه السيد على بن السيد محمد الغريفي المتوفى سنة ١٣٠٢ هـ، وفي درس الخارج على الميرزا حبيب الله الرشتي، و الشيخ محمد طه نجف، و هبط سامراء فحضر على السيد الشيرازي حتى نال درجة الاجتهاد فقد أجاز بالاجتهاد من الثلاثة المذكورين.

ص: ١٧٢

١- غريفه بالتصغير قريه من قرى البحرين قد اندثرت آثارها و امحت رسومها، ينسب إليها آل الغريفي المعروفون في الأوساط العلميه. و هذه الترجمة بقلم السيد على العدناني الغريفي حفيد المترجم. و قد مرت للمترجم ترجمه في (الأعيان) و نعيد ذكره هنا لبعض التصحيحات.

ثم بعد ذلك عاد إلى مدينه المحمره بامر السيد الشيرازى، وبقى فيها مرجعا لنواحي الجنوب و البصره و بعض مناطق الخليج إلى أن اعتراه مرض شديد نقل على أثره إلى مدينه الكاظميه فى العراق للمعالجه، فأدرکه أجله هناك. كان فقيها أصوليا نسابه أديبا شاعرا له من الآثار: مناسك الحج، كتاب أنساب العرب مخطوط، ميزان المقادير، كتاب فى علم الجفر، حاشيه على العروه الوثقى مطبوع، حاشيه على القوانين، منظومه فى الحج و أسرارہ تقرب من ألف بيت، شرح شواهد المغنى، أجوبه المسائل و هى جواب لمسائل بعثها إليه استاذہ الميرزا حبيب الله الرشتى، شرحان على منظومه الهيئه لأستاذہ السيد على الغريفى، رسالته العمليه المسماه بقبسه العجلان و غيرها من الحواشى و الرسائل. و قد وقع اشتباه فى ترجمته فى أعيان الشيعة إذ ذكر أنه يروى عنه ابنه السيد على والد السيد رضا النسابه الصائغ البحرانى النجفى و الحال أن السيد على و الذى هو ابنه غير السيد على والد السيد رضا، لأن السيد على النسابه هو ابن السيد محمد بن السيد على الغريفى بن السيد إسماعيل، و هو أخو السيد على جد المرحوم السيد عدنان، فبين السيد على المذكور و السيد عدنان عمومه لا بنوه، و إن كان صح القول إن السيد على النسابه هو تلميذ السيد عدنان.

ثم ذكر فى أعيان الشيعة أيضا أنه رأى السيد عدنان فى حجه الثانى سنه ١٣٤٣ هـ فى مكه المكرمه، و الحال أن السيد عدنان توفى سنه ١٣٤٠ و لعله من سهو القلم.

هذا و يروى المرحوم السيد عدنان عن الشيخ محمد رضا المعزى التستري، و عن الميرزا حسن الشيرازى، و عن الشيخ محمد طه نجف، و عن الميرزا حبيب الله الرشتى، و عن الشيخ على البهبهانى، كما يروى عنه كثيرون من العلماء و الفضلاء.

الشيخ على الأحسائى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

و هو من تلامذه الشيخ أحمد الأحسائى، و مجاز عنه، و له كتاب فى الخطب و الأشعار. مات قدس سره سنه ١٢١١ الحادى و العشرين بعد المائتين و الألف.

الشيخ على بن الشيخ حسن بن يوسف البحرانى البلادى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال فى اللؤلؤه:

(كان الشيخ على المذكور فاضلا جليلا لا سيما فى العريه و المعقولات، مدرسا إماما فى الجمعه و الجماعة إلى أن قال:.. و كان الوالد الشيخ على المذكور فاضلا أيضا. و كذلك جدہ الشيخ يوسف قد ذكره فى كتاب أمل الآمل فقال الشيخ يوسف بن حسن البلادى فاضل متبحر شاعر أديب من المعاصرين.) انتهى.

و حكى والدى قدس سره: إنه لما توفى الشيخ يوسف المذكور و دفن فى مقبره المشهد اتفق أن إحدى منارتى المشهد انهدم رأسها فسقط على قبر الشيخ المذكور.

و كان الشيخ عيسى بن صالح أحد أعمام جدى الشيخ إبراهيم متوجها إلى قريه البلاد لتعزيه الشيخ بموت أبيه الشيخ يوسف، فمر بامرأه عجوز جالسه عند رأس المناره تتعجب من سقوطها و انهدامها، فلما وصل إلى بيت الشيخ حسن فى مجلس التعزيه أخبرهم بذلك فأنشأ فى ذلك فقال:

مررت بامرأه قاعده تحولق فى صوره العابده

و تسترجع الله فى ذا المنار فما بالها فى الثرى راقده

فقلت لها يا ابنه الأكرمين رأيت أمورا بلا فائده

ثوى تحتها يوسفى الكمال فخرت لهيبته ساجده

فقال له الشيخ حسن ما جزاء هذه الأبيات إلا أن يملأ فمك لؤلؤا. هذا آخر ما نقلناه من كلام الجد.

السيد على بن السيد محسن المقابى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

سيد المشايخ و المحققين، و سند المجتهدين و المحدثين، أخذ العلوم عن معدنه و لم يوجد من تحقيقاته شىء سوى رساله فى حجيته الظن فى نفس الأحكام.

و توفى قدس سره سنه ١١٣٥ و دفن فى المصلى إحدى قرى البحرين عند قبور الزهاد.

الشيخ على بن سليمان بن درويش بن حاتم القدمى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو أول من نشر الحديث فى البحرين و قد كان قبله لا أثر له و لا عين، و روجه و هذبه و كتب الحواشى و القيود على كتابى التهذيب و الاستبصار لشده ملازمته الحديث و ممارسته، اشتهر فى ديار العجم بام الحديث و كان رئيسا فى بلاد البحرين و مشارا إليه.

تولى الأمور الحسينيه، و قام بها أحسن القيام، و قمع أيدي الحكام، و بسط بساط العدل بين الأنام، و كانت وفاته فى السنه الرابعه و الستين بعد الألف.

الشيخ على بن الشيخ جعفر.

قال فى كتاب تاريخ البحرين المخطوط:

قال جدى فى اللؤلؤه:

كان زاهدا ورعا شديد التصلب فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا تأخذه فى الله لومه لائم، غير مدهن للأمرء و الكبراء. و قد تولى الأمور الحسينيه فى بلاد البحرين مده، إلا- أنه لما هو عليه مما ذكرناه حسده بعض أمرائها، فكاتبوا عليه السلطان سليمان و رموه بما هو برىء منه، فأرسل له من أخرجه مقيدا إلى أن وصل إلى كازران فحصل من بلغ حقيقه الأمر إلى السلطان و أخبروه بحقيقه حال الشيخ المزبور، فأرسل عاجلا أن يخلى عنه و يطلق، فجلس فى كازران و توطن بها مده مديده، و ربما رجع إلى البحرين بعض الأوقات بعد مضى مده مديده من تلك الوقعه المتقدمه ثم رجع إلى العجم.

و توفى فى كازران فى السنه الحاديه و الثلاثين بعد المائه و الألف.

الشيخ على الدمستانى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

ص: ١٧٣

كان من علماء البحرين و فضلائها، فقيها، متكلماً، و عبره علماء عصره في مصره بشيخ المتكلمين، له كتاب في الجواهر و الأعراض، و كتاب في وجوب غسل الجمعة، و كتاب في تحليل التتن، و رساله في البرزخ و غير ذلك مات سنه ١١٥٥.

الشيخ علي بن محمد بن علي بن يوسف المالحي البحراني.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هكذا وجدت بخطه، كان محدثاً أصولياً، نحويًا، عروضياً، له رساله لطيفه في إثبات أن الإضافه المحضه إما بمعنى اللام التي تفيد الاختصاص الكامل، أو بمعنى من البيانه فورودها على خلاف ذلك على ضرب من المجاز، و كتاب في رد علي من قال بحجيه القياس حتى بطريق الأولويه، مات سنه ١٢٤٧.

ابن الشرفه كافي الدين – أو فخر الدين – أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن بن أبي نزار الليثي الواسطي.

قال السيد عبد العزيز الطباطبائي:

من أعلام الاماميه في أواخر القرن السادس، و لعله أدرك السابع أيضا، و هو يلقب عندهم كافي الدين، و ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٢٥٩/٣ رقم ٢٢٤٩ بلقبه فخر الدين، فقال: أبو الحسن علي بن محمد بن نزار الواسطي الأديب، أنشد... فأورد له أبياتا.

و في ترجمه ابن أبي طي الحلبي يحيى بن حميده، المتوفى سنه ٦٣٠، في إنسان العيون في شعراء سادس القرون، قال: قرأ يحيى بن حميده المذكور على الشيخ شمس الدين يحيى بن الحسن بن البطريق، و على الشريف جمال الدين أبي القاسم عبد الله بن زهره الحسيني الحلبي، و على الشيخ فخر الدين علي بن محمد بن نزار ابن الشرفيه الواسطي...

أقول: و ممن يروى عن ابن الشرفيه السيد علاء الدين حسين بن علي بن مهدي الحسيني السبزواري، (١) روى عنه بمدينه الموصل في ١٧ شوال سنه ٥٩٣.

و يروى ابن الشرفيه عن الشيخ رشيد الدين أبي الفضل شاذان بن جبرائيل القمي، و يعرف عند أصحابنا بعلي بن محمد الليثي الواسطي، ترجم له ميرزا عبد الله أفندي في رياض العلماء، فقال في ٢٥١/٤: الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، فاضل جليل، و عالم كبير نبيل، و هو من عظماء علماء الاماميه، و له كتاب عيون الحكم و المواعظ...

و ترجم له في ج ٤ ص ١٨٦ فقال: "الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي نزار [ابن] الشرفيه الواسطي.

كان من أكابر العلماء...، و هذا الشيخ كافي الدين المذكور يروى عن الشيخ الفقيه رشيد الدين أبي الفضل شاذان بن جبرائيل القمي، كما يظهر من مطاوي كتاب مناهج النهج (٢) لقطب الدين المذكور، و قد قال قطب الدين المذكور في الكتاب المزبور، عند ذكر اسم هذا الشيخ في مدحه هكذا: الشيخ الأجل العالم، كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي نزار [ابن] الشرفيه الواسطي "...

و لابن الشرفيه هذا قصه مثبتة فى نهايه مخطوطه مناقب أمير المؤمنين (ع): لابن المغازلى، و هى:

قال أبو الحسن على بن محمد بن الشرفيه: حضر عندى فى دكانى بالوراقين بواسطه، يوم الجمعة خامس ذى القعدة، من سنه ثمانين و خمسمائه، القاضى العدل، جمال الدين نعمه الله بن على بن أحمد بن العطار، و حضر أيضا شرف الدين أبو شجاع بن العنبرى الشاعر، فسأل شرف الدين القاضى جمال الدين أن يسمعه المناقب، فابتدأ بالقراءه عليه من نسختى، التى بخطى، فى دكانى يومئذ، و هو يرويها عن جده لأمه العدل المعمر محمد بن على المغازلى، عن أبيه المصنف فهما فى القراءه، و قد اجتمع عليهما جماعه إذ اجتاز أبو نصر قاضى العراق، و أبو العباس بن زنبقه، و هما ينبزان بالعداله، فوقفا يغوغان و ينكران عليه قراءه المناقب، و أظن أبو نصر قاضى العراق فى التهزى و المجون...، فعجز القاضى نعمه الله بن العطار، و قال بمحضر جماعه كانوا و قوفًا: اللهم إن كان لأهل بيت نبيك عندك حرمه و منزله، فاحسف به داره و عجل نكايته، فبات ليلته تلك، و فى صبيحه يوم السبت، سادس ذى القعدة، من سنه ثمانين و خمسمائه، خسف الله تعالى بداره، فوقعت هى و القنطره و جميع المسناه إلى دجله، و تلف منه فيها جميع ما كان يملكك، من مال و أثاث و قماش.

فكانت هذه المنقبه من أطرف ما شوهد يومئذ من مناقب آل محمد صلوات الله عليهم.

فقال على بن محمد بن الشرفيه: و قلت فى ذلك اليوم فى هذا المعنى:

يا أيها العدل الذى هو عن طريق الحق عادل

متجنبًا سبل الهدى و إلى سبيل الغى مائل

أ بمثل أهل البيت يا مغرور ويحك أنت هازل!

بالأمس حين جحدت من إفضالهم بعض الفضائل

و جريت فى سنن التمرد لست تسمع عدل عادل

نزل القضاء على ديارك فى صباحك شر نازل

أضحت ديارك سائحات فى الشرى خسف الزلازل

قال على بن محمد بن الشرفيه: و قرأت المناقب التى صنفها ابن المغازلى، بمسجد الجامع بواسطه، الذى بناه الحجاج بن يوسف الثقفى فى مجالس ستة أولها الأحد رابع صفر، و آخرهن عاشر صفر من سنه ثلاث و ثمانين

ص: ١٧٤

٢- الصحيح فيه: مباحج المهج في مباحج الحجج لقطب الدين الكيدري، و هو أبو الحسن محمد بن الحسين البيهقي النيسابوري، من أعلام القرن السادس، له شرح نهج البلاغه سماه حدائق الحقائق في فسر دقائق أفصح الخلائق، فرغ منه سنه ٥٧٦، طبع في الهند في ثلاث مجلدات، بتحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي، و له الحديقه الأنيقه، و أنوار العقول في أشعار وصي الرسول، جمع فيهما أشعار أمير المؤمنين (ع). و مباحج المهج فارسي في سير النبي و الأئمه من عترته ص، منه نسخه في مكتبه آيه الله الكلبيكاني في قم، ٢١٢٥، ذكرت في فهرسها ١٦٩/٣، و نسخه في مكتبه المسجد الأعظم في قم، رقم ٢، ذكرت في فهرسها ص ٣٨٦، و قد لخصه و زاد عليه أبو سعيد الحسن بن الحسين الشيعي السبزواري، من أعلام القرن الثامن، و سماه بهجه المباحج، و نسخه شائعه منها نسخه في جامعه طهران، رقم ٩٦٨، كتبت سنه ٩٣٥، و منها في بوهار، و كمبريج، و بودليان، و المكتب الهندي في لندن، و غيرها، راجع فهرس المنزوي للمخطوطات الفارسيه ج ٦ ص ٤٤٢٠.

و خمسائه، فى أمم لا يحصى عديدهم، و كانت مجالس ينبغى أن تؤرخ.

و كتب قارئوها بالمسجد الجامع: على بن محمد بن الشريفه.

و ربما خلطه بعضهم بسميه و بلديه ابن المغازلى، مؤلف كتاب مناقب أمير المؤمنين (ع)، المتوفى سنة ٤٨٣، فإنه أيضا أبو الحسن على بن محمد، و من أهل واسط فاشتبه الأمر على بعضهم، ففى رياض العلماء ٢٠٩/٤: "على بن محمد بن شاعر المؤدب، من أهل واسط، من أصحابنا، و له كتاب فى الأخبار فى فضائل أهل البيت (ع)، و تاريخ تأليفه سنة سبع و خمسين و أربعمائمه..." فلاحظ فإنه من بعض الاشتباهات.

و فى تأسيس الشيعه ص ٤٢٠: الشيخ الربانى على بن محمد بن شاعر المؤدب الليثى الواسطى، صاحب كتاب عيون الحكم و المواعظ و ذخيره المتعظ و الواعظ، كان فراغه من تأليف الكتاب سنة ٤٥٧.

و هو من أصحابنا بنص صاحب الرياض، و له كتاب فى فضائل أهل البيت (ع)...

بقى هنا شىء: و هو أن الشريفه فيما وجدناه على الأكثر بالفاء، و لكن بالقاف اسم محله فى واسط، و هو واسطى، فلعل الصحيح ابن الشريقه بالقاف، و لكن أكثر ما وجدناه بالفاء، و أكثر ما وجدناه الشريفه بدون ابن.

و أما كتابه عيون الحكم و المواعظ فهو أوسع و أجمع كتاب لحكم أمير المؤمنين (ع)، يشتمل على ١٣٦٢٨ كلمه، قال المؤلف:

الحمد لله فائق الحبه بارئ النسم... أما بعد، فان الذى حدانى على جمع فوائد هذا الكتاب، من حكم أمير المؤمنين أبى تراب، ما بلغنى من افتخار أبى عثمان الجاحظ، حين جمع المائه حكمه الشارده عن الأسماع الجامعه، أنواع الانتفاع... فكثر تعجبى منه... كيف رضى لنفسه أن يقنع من البحر بالوشل... فألزمت نفسى أن أجمع قليلا من حكمه... و سميته بكتاب عيون الحكم و المواعظ و ذخيره المتعظ و الواعظ، اقتضبته من كتب متبده... مثل كتاب نهج البلاغه جمع الرضى... و ما كان جمعه أبو عثمان الجاحظ، و من كتاب دستور الحكم... و من كتاب غرر الحكم و درر الكلم جمع القاضى أبى الفتح... و من كتاب مناقب الخطيب (الموفق بن) أحمد... و من كتاب منثور الحكم، و من كتاب الفرائد و القلائد تأليف القاضى أبى يوسف يعقوب بن سليمان الأستفراينى، و من كتاب الخصال... و قد وضعته ثلاثين بابا، واحد و تسعين فصلا، ثلاثه عشر ألفا و ستمائه و ثمانيه و عشرين حكمه، منها على حروف المعجم تسعه و عشرون بابا، و الباب الثلاثون أوردت فيه مختصرات من التوحيد، و الوصايا...

أقول: و كل مخطوطات الكتاب فاقده للباب الثلاثين، حتى المخطوطات التى رآها صاحب رياض العلماء فى القرن الحادى عشر كانت ناقصه، قال فى ترجمته فى الرياض ٢٥٣/٤: و اعلم أن كتابه هذا مشتمل على ثلاثين بابا، و لكن الموجود فى النسخ التى رأيناها تسعه و عشرون بابا، على ترتيب حروف التهجى، و قد سقط من آخره الباب الثلاثون...

أقول: و هذا الكتاب من مصادر علامه المجلسى - رحمه الله - فى موسوعته الحديثيه القيمه "بحار الأنوار" و إن سماه بادئ الأمر بالعيون و المحاسن، فقد ذكر عند عد المصادر فى ج ١ ص ١٦ قائلا: و كتاب العيون و المحاسن للشيخ على بن محمد الواسطى.

وقال عنه في ج ١ ص ٣٤: و عندنا منه نسخه مصححه قديمه، ثم وقع على اسمه الصحيح، فقال في ج ٧٣ ص ١٠٨: من كتاب عيون الحكم و المواعظ لعلی بن محمد الواسطی كتبناه من أصل قديم.

و ذكره - رحمه الله - أيضا في ج ٧٨ ص ٣٦ في باب (ما جمع من جوامع كلم أمير المؤمنين صلى الله عليه و على ذريته) فعدد جملة ممن دونوا كلامه (ع)، و بدأ بالجاحظ، إلى أن قال: و كذا الشيخ علی بن محمد الليثي الواسطی في كتاب عيون الحكم و المواعظ و ذخيره المتعظ و الواعظ، الذي قد سميناه بكتاب العيون و المحاسن.

و يبدو أنه - رحمه الله - عثر على نسخه قديمه تامه تحوى الباب الثلاثين، الذي هو في الخطب و الوصايا، حيث أورد الخطبه الأولى من نهج البلاغه عن النهج، و عن هذا الكتاب، فقال في ج ٧٧ ص ٣٠٠: نهج البلاغه، و من كتاب عيون الحكمه و المواعظ لعلی بن محمد الواسطی، من خطبه صلوات الله عليه: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون...

و للكتاب تلخيص لأحمد بن محمد بن خلف سماه: المحكم المنتخب من عيون الحكم، أوله: الحمد لله الملك القادر، العزيز الفاطر.

توجد نسخه منه في مكتبه جامعه القرويين في فاس، كتبت سنة ١١٥٢ كما في فهرسها ج ٢ ص ٤٠٥.

و راجع عن كتاب عيون الحكم [و] فهرست مكتبه سبهسالار ٢٨٣/١ و ٧٤/٢ و ٧٦ و ١٤٦ و ٣٤٥/٥، و الذريعه ٣٧٩/١٥، و كشف الحجب، و فهرست المكتبه المركزيه لجامعه طهران للمنزوي ١٥٨/٢، و قد ذكر فيه ص ١٦٠. (١) أن مخطوطه جامعه طهران مكتوبه سنة ١٢٧٩، عن نسخه كتبت سنة ٨٦٧، عن نسخه كتبت سنة ٧٠٩، عن نسخه كتبت سنة ٦١٤، و قد جاء في مقدمه عيون الحكم النقل عن ابن الجوزي، فيظهر أن تاليفه كان بين التاريخين (٦١٤ -)، أي بين تاريخي وفاه ابن الجوزي، و تاريخ تلك النسخه.

أقول: و قد أوردت نص المقدمه ليعلم أنه ليس فيه عن ابن الجوزي أثر! نعم ذكر المؤلف من جمله مصادر كتاب منشور الحكم، و لم يذكر مؤلفه فتخيل أنه لابن الجوزي، و ليس له. فقد ذكر حاجي خليفه كتاب منشور الحكم، في كشف الظنون ١٨٥٨، و لم يذكر مؤلفه، و لم يسمه، بل قال: مختصر على ثمانية أبواب في الكلمات الحكيمه... فأورد فهرس أبوابه.

و ذكر قبله بفاصل كتاب آخر، كتاب ابن الجوزي باسم (المنثور) فقال:

المنثور لأبي الفرج بن الجوزي، مختصر أوله...

و ذكر في هديه العارفين، و كتاب مؤلفات ابن الجوزي ص ١٨٥، أيضا باسم "المنثور"، و فيه: إن منه نسخه مخطوطه في جامع الفاتح، برقم ٥٥٢٩٥.

ص: ١٧٥

علي بن المؤيد.

هو الذي ارتبط اسمه باسم الشهيد الأول محمد بن مكي، إذ استدعاه إلى خراسان ليقوم فيها هاديا و مرشدا، و لكن الشهيد اعتذر و لم يجب الدعوه، بل ألف له كتاب (اللمعه) في الفقه لتكون دليلا للناس هناك.

ثم كان من أمر الشهيد بعد ذلك ما كان من استشهاده على أيدي الطغاه بسعي فقهاء السوء. و ظل مصير (اللمعه) مجهولا، كما أن شخصيه علي بن المؤيد و موقعه كانا غامضين، فلم يعرف الناس عنه سوى أنه ملك خراسان، و فيما يلي تفاصيل مكتوبه بقلم الشيخ علي الدواني منقوله من الفارسيه إلى العربية:

السريديريون

هم سلاله من قاده الشيعة حكمت منطقته خراسان ما يقارب السبعين سنه.

فقد توفي آخر قائد من المغول من سلاله جنكيز كان يحكم إيران و هو أبو سعيد بن محمد خدابنده في سنه ٧٣٦ هجرية. و لم يخلف أحدا بعده، فاجتاحت الفوضى جميع أنحاء إيران و انقسمت إلى دويلات صغيره و أخذت كل أسره من أسر القاده المغول الايلخانيين تحكم جانبا من إيران و العراق و أرمينيا. و بالرغم من أنهم كانوا مسلمين فقد كان تأثير الشرائع المغوليه بارزا فيهم. ففي سنه ٧٤١ كانت الدويلات التاليه قائمه في أمبراطوريه المغول السابقه:

١ - دوله الرعا (جويانيان) في أراك و آذربيجان و أرمينيا.

٢ - دوله الجلائريين في العراق. و قد سيطرت هذه الدوله فيما بعد على دوله الرعا.

٣ - دوله طوغاي تيمور في خراسان الغربيه و جرجان التي كانت تدار في الحقيقه من جانب أمراء طائفه جاني قرباني.

٤ - دوله ملوك كرت (أو كرت) في هرات و خراسان الشرقيه و أفغانستان.

٥ - دوله ملك سيستان في منطقته نهر هامون.

٦ - دوله آل مظفر في كرمان و يزد.

٧ - دوله الأنجويين في فارس و أصفهان. ثم في الفتره من سنه ٧٥٤ هجرية إلى ٧٥٩ هجرية استولت دوله آل مظفر على أراضيهم.

٨ - أراضي الأتابكيين اللر.

٩ - ما لا يقل عن عشر دويلات صغيره مستقله محليه في كيلان و مازندران.

١٠ - دوله البحر في هرمز.

و عدا هذه الأجهزة الحكوميه الكبيره و المحليه فكان هناك الكثير من الأمراء و الملوك الصغار و الكبار قد أعلنوا استقلالهم و حاولوا الاستيلاء على المزيد من القلاع و المدن و الولايات و إلحاقها بحكوماتهم.

و من الجدير بالذكر أن اضمحلال حكمه سلاله هولوكو المغوليه سياسيا (و كانت آخر حكمه من هذه السلاله هي حكمه طوغاي تيمور خان قد حكمت حتى عام ٧٥٤ في كركان) لم يسفر عن اضمحلال سلطه المغول في إيران و الأراضي المجاوره نهائيا، بل إن كبار قاده الجيش و المغول و الأتراك الذين كانوا يعيشون في الباديه قد حافظوا على سلطتهم السياسيه، و إن هيمنه الشريعه المغوليه و أساليب إداره البلاد و الأساليب الإقطاعيه الجريئه بقيت و استمرت ساريه المفعول لا في الدول التي كانت تحكمها السلالات المغوليه العنصر (كدوله الرعا و الجلائريين و طوغاي تيمور) فحسب بل إنها كانت ساريه المفعول في الدول التي كان يهيمن فيها الكبار من الإقطاعيين من إيرانيين و تاجيك (آل مظفر و ملوك كرت). و خلال هذه السنوات و نتيجة لتمرّد أهالي خراسان الغربيه و انتفاضتهم فقد وضعت أسس حكمه (السربداريين)(١).

ميزات حركه السربداريين

كانت انتفاضه السربداريين في خراسان في القرن الرابع عشر الميلادي أكبر و أهم انتفاضه تحريره في الشرق الأوسط من الناحيتين الاقليميه و التاريخيه و كان لها و لا شك الدور الكبير في الحركات و الانتفاضات الأخرى.

ففي المرحله الأولى من حركات التحرر في القرن الرابع عشر كانت عامه طبقات الشعب و معهم الإقطاعيون الايرانيون و التاجيك يخوضون أرض معركة.

و أن سبب مشاركته الإقطاعيين الأنفي الذكر هو أنهم كانوا قد ضاقوا بسرقات و اعتداءات و أنانيات كبار قاده الجيش و المغول و الأتراك الذين كانوا يعيشون في الباديه خاصه و أنهم كانوا متالمين من كبار المغول الذين كانوا قد استولوا على أراضي و أملاك صغار الملاكين المحليين. و لهذا السبب فإنهم شاركوا المضطهدين أي القرويين و أصحاب المهن الايرانيين في نضالهم. و أن الهدف المشترك الذي كان يجمع شمل هذه العناصر المتناثره و غير المتجانسه هو الاطاحه بهيمنه المغول و القضاء على سلطه هؤلاء الفاتحين و معهم كبار قاده الجيش من المغول و الأتراك الذين كانوا يعيشون في الباديه و إلغاء الشريعه المغوليه و جميع أنظمه المغول الحكوميه و لا- شك أن حقد المنتفضين و استيائهم لم يقتصر على المغول و الأتراك فحسب، بل شمل هذا الحقد القاده و الكبار الايرانيين المستوطنين و الجباه و علماء الدين غير الشيعه و غيرهم الذين كانوا يخدمون المنتصرين و كانوا قد التحموا معهم بشده، و كانوا قد استسلموا للأنظمه المغوليه و تألفوا معها.

فأينما انتصرت حركات التحرر، ظهرت حكومات جديده، و أكثر هذه الحركات أهميه هي انتفاضه السربداريين، و على غرارها كانت بقية الحكومات الجديده فعلى سبيل المثال فان حكومات السربداريين في خراسان الغربيه (٧٨٣ -) و حكومات سادات مازندران (٧٩٥ -) و كيلان (من سنه ٧٧٢) و حكومات السربداريين في سمرقند (لفترة قصيره) و في كرمان () كانت من هذا الطراز. و ربما كانت الدوله التي تأسست فيما بعد على أيدي أنصار محمد المشعشع في خوزستان (حوالي سنه ٨٤٤) من هذا الطراز أيضا.

و كان السربداريون، يعتبرون الشريعة الإسلاميه القطب المضاد للشريعة المغوليه المنبوذه منهم و يعتبرونها هي الهدف المقصود.
ففي الحكومات التي

ص: ١٧٦

١- كتاب حركة السربداريه في خراسان تأليف أي - ب - بتروشفسكى "المستشرق و المحقق الروسى المعاصر. و يعتبر هذا الكتاب أول تأليف كامل حول حركة السربداريه. كما أشار هذا العالم المستشرق إلى حركة السربداريه في كتابه الثانى (الإسلام فى إيران) و يبدو أن هذا الكتاب قد ألفه بعد كتابه الأول.

كانت على طراز السربداريين لا محل للبلاطات الملكيه و ما تمتاز به من عظمه و جلال و أبهه

التشيع، الحجر الأساس للحركات الشيعيه

لقد كتب العالم المستشرق الروسى فى فصل " عقائد هذه الحركات " قائلا: " إن و. و بارتولد " يؤكد أن مذهب الشيعه كان عاما بين القرويين فى القرون الوسطى فى إيران، و كان فى الكثير من الحالات يشكل أساس عقائد الحركات الشيعيه " ثم يقول العالم الروسى: " إن الحركات القرويه فى إيران فى القرون الوسطى توسعت و تنامت مرارا و تكرارا تحت رايه الشيعه الخضراء. حيث أن بعض عقائد الشيعه و أفكارهم كانت متناسقه مع نفسه القرويين المعارضه. أولا لأن مذهب السنه كان هو الحاكم تقريبا على جميع الحكومات الإقطاعيه فى إيران فى القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين، و أن الشيعه كانوا هم المطاردين و هم الذين يعانون العذاب و التعذيب.

إن احترام الشهداء (على و الحسين و بقيه الأئمه الشهداء) كان يحتل مكانه بارزه و مهمه فى عقائد الشيعه، و هذا الأمر كان يريح القرويين المضطهدين. و لكن الأمر الذى كان يلائم عامه طبقات الشعب أكثر من أى شىء آخر هو عقيدتهم بظهور المهدي الذى سيعيد الدين الإسلامى إلى ما كان عليه فى صدر الإسلام و سيقضى بالسيف على الشريعه المغوليه و الأنظمه الظالمه التى تداولها السنه و المغول المنتصرون و لهذا السبب فان "انتظار المهدي" يحتل مركزا مرموقا و هاما فى عقائد الشعوب التى قامت بالانتفاضات فى إيران فى القرن الثالث عشر. كما ازداد ذلك رسوخا فى القرنين الرابع عشر و الخامس عشر الميلاديين.

الشيخ خليفه العالم الدينى الشيعى مؤسس حركه السربداريين الفكرية

لقد بلغ الاستياء من الطغيان فى رأى العام و مختلف طبقات الشعب فى قرى و مدن خراسان ذروته فى السنوات الأخيره من حكمه الايلخان أبى سعيد.

كما ظهر آنذاك واعظ دينى حاول التنظيم فى حركه المضطهدين و انتفاضتهم و قياده الحركه و الانتفاضه بنفسه من الناحيه الفكرية. و يعتقد المؤرخون فى القرن الخامس عشر الميلادى المعاصرون لتاريخ " السربداريين " المفقود، أن الواعظ المذكور كان من كبار الصوفيه و من أهالى مازندران و يدعى الشيخ خليفه لقد درس العلم فى أيام شبابه و حفظ القرآن و تعلم المنطق و علم الفراسه (1) ثم درس مبادئ التصوف و أصبح من مريدى " بالو الزاهد " من شيوخ الدراويش الذى كان يعيش فى مدينه آمل بمازندران و لكن خليفه لم يجد فى كلام الشيخ الاجابه على القضايا و المسائل التى كانت قد أزعجته و لهذا سافر إلى سمنان عند علاء الدوله السمنانى الذى كان فى عصره من أشهر الشيوخ الدراويش فى إيران.

فسأله الشيخ يوما عن اعتقاده باى واحد من مذاهب السنه الأربعة الحقه؟ فأجابه خليفه قائلا: بان الذى أسعى إليه و أبحث عنه أعلى من هذه المذاهب، و لما كان الشيخ المؤمن لا يقدر أن يسمع كلام الكفر من هذا الملحد، فقد حطم دواته على رأس خليفه. و من هنا توجه خليفه إلى بحرآباد عند شيخ الإسلام غياث الدين عبد الله الحموى، و لكنه لم يحصل هناك أيضا على مراده فانفصل عنه. و لكن عن ما ذا كان يبحث خليفه؟ هل كانت ضالته القضايا و الأمور الخاصه بالعداله الاجتماعيه و مكافحه الظلم و الجور - التى مارسها فيما بعد؟ لقد سكت المؤرخون حول هذا الموضوع و ربما كان هذا الصمت متعمدا. و لكن ثبت

أن خليفه لم يكن راضيا و مقتنعا بتعليمات و إرشادات أكبر شيوخ الصوفيه و كان يختلف معهم فى وجهات النظر. و لم يمض على ذلك وقت طويل حتى سافر إلى سبزوار و سمى نفسه شيخا. و يبدو أن خليفه لم يكن صوفيا بمعناه الحقيقى. و ربما كان يستخدم عبارات و مصطلحات الصوفيين و جماعه إخوان الصفا للدعايه و التمهد للتمرد ضد الظالمين. و كانت مدينه سبزوار و ناحيه بيهق الواقعه غرب مدينه نيسابور التى اختارها للدعايه، خير مكان لهذا الأمر حيث كان القرويون فى منطقته سبزوار و الفئه الدنيا من أهالى المدينه هم من الشيعه المتعصبين و من المعارضين للسلطه القائمه.

كانت سبزوار من أهم مراكز الشيعه فى إيران، و فى نفس الوقت كانت فى مراكز القوميه فى البلاد. فعلى سبيل المثال كان فى ساحه المدينه مكان تقول الأساطير القديمه جدا عنه بأنه مكان الصراع بين رستم و سهراب (من أبطال ملحمة الشاهنامه). و يقول المؤرخون أن الشيخ خليفه أقام فى المسجد الجامع فى مدينه سبزوار بعد دخوله إلى هذه المدينه و كان يتلو القرآن بصوت عال و يعظ الناس و كان يلتفت حوله عدد كبير من الطلبة و المريدين و لم تمض فتره من الزمن حتى أصبحت أغلبيه القرويين فى تلك المنطقه من مريدى الشيخ خليفه. و بعدها كما يروى "حافظابرو" فى كتابه: كانت جماعه من فقهاء (السنه) تمنعه من الإقامه فى المسجد، و لكنه لم يهتم بكلامهم، و قد استفتى هؤلاء بما يلى: "شخص أقام فى المسجد لينشر فيه البدع و لما منع من ذلك رفض، و أصر على ما هو عليه، و لم يغضب هل مثل هذا الشخص يجب قتله أم لا؟".

و جاء فى كتب مير خواند و خواند مير (روضه الصفا و حبيب السير) و لكن بصوره غامضه: أن الشيخ كان يدعو الناس إلى الأمور "الدنيويه".

و المقصود من كلمه "الأمور الدنيويه" حسب ما صرح به تلاميذه و أنصاره فيما بعد، العداله العامه و الصمود أمام الظلم و الجور. و يقول "حافظابرو" فى كتابه حول هذه الفتوى ما يلى: "كتب الكثير من الفقهاء (فقهاء السنه) أن هذا الأمر غير مشروع و لما كان يصر على اللامشروع و لا- يغضب للنصح فيجب قتله، و أرسلوا هذا الجواب مع كتاب إلى السلطان سعيد أنار الله برهانه..".

و لما كان هذا السلطان المغولى رجلا خرافيا و بعيدا عن المنطق، و يخاف من الدراويش: "... أجاب على الكتاب قائلا: أنا لا أعترض على دم الدراويش، فعلى حكام خراسان أن يفصحوا عن هذا الموضوع و يعملوا حسب الشريعه النبويه الطاهره على صاحبها أفضل الصلوات. فلما وصلت هذه الاجابه من السلطان، أخذ الفقهاء يسعون لسفك دم الشيخ خليفه و كانوا يقولون إنه مبدع و يجب قتله... " و حاول فقهاء سبزوار بعد استلامهم لجواب السلطان أن يعتقلوا الشيخ خليفه، و لكن سعيهم ذهب هباء فى "؟"

ص: ١٧٧

١- لسنا ندرى ما ذا يقصد العالم الروسى من "علم الفراسه"؟

معركتهم مع أنصار الشيخ. إلا أن أعداء الشيخ خليفه قرروا اغتياله سرا.

و فى صباح أحد الأيام حين دخل تلاميذ الشيخ خليفه إلى المسجد الجامع شاهدوا أستاذهم مشنوقا على أحد أعمده ساحه المسجد. و لا شك أن الشيخ كان قد قتل. إلا أن المسؤولين المحليين أشاعوا أن الشيخ قد انتحر. و كان تاريخ هذا الحادث فى الثانى و العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٧٣٦.

الشيخ حسن الجورى تلميذ الشيخ خليفه يسير فى نهجه

يستفاد من الأقوال المذكوره، أن الشيخ خليفه مؤسس فكره حركه السربداريين كان عالما دينيا شيعيا متفتح الضمير، مدافعا عن حقوق الطبقة المضطهده المظلومه و مجاهدا ضد الاضطهاد و التمييز. و لم يكن صوفيا، بل إنه اتخذ التصوف لتسيير أموره و كان يريد أن يستغل حاله القائمه لصالح برنامجه الرئيسى و هو الانتفاضه ضد النظام الطاغوتى المغولى الحاكم، و ضد التمييز الطبقي. و بالرغم من أنه استشهد قبل أن يبلغ هدفه و قبل أن يجد ضالته، إلا أن البذره التى زرعها أعطت ثمارها بعده.

و كان أحد تلاميذ الشيخ خليفه المسمى حسن جورى يمتاز بالقدره و العقل و الدهاء. كان شابا قرويا من قريه جور(١) أنهى دراسته بنجاح و حظى بلقب (المدرس). و كان مولعا بمواعظ الشيخ خليفه و ترك الألقاب و التعليمات السنيه. و كان الشيخ خليفه قد انتخبه خليفه له. و بعد وفاه الأستاذ الأليمه ذهب حسن جورى إلى مدينه نيسابور و بادر بنشر تعاليم الشيخ. و نال تقدما كبيرا، و كما يقول ير [مير] خواند فى كتابه: "فان أغلبيه سكان منطقته نيسابور الجليليه انخرطوا فى صفوف أنصاره".

نقل الكثيرون من المؤرخين (حافظابرو، ير [مير] خواند، ظهير الدين المرعشى) نص الرساله التى بعث بها الشيخ حسن الجورى إلى الأمير محمد بك بن أرغون شاه. و أشار الشيخ حسن فى رسالته إلى أسماء المدن و المناطق التى تفقدها و نشر فيها تعاليم أستاذه.

لقد هرب الشيخ حسن الجورى غداه يوم وفاه أستاذه (٢٢ ربيع الأول سنة ٧٣٦) من سبزوار إلى مدينه نيسابور و اختفى عن الأنظار مده شهرين.

و بعد أن كشفوا محل إقامته سافر إلى مشهد الامام على بن موسى الرضا، و منها إلى أبيورد و خبوشان. و كان ينتقل من مكان إلى آخر طوال خمسده أشهر. و لكن و كما يقول بنفسه " و مع ذلك فأينما كان يقيم أسبوعا واحدا كان يبدأ توافد الأهالى عليه إلى درجه الازدحام ". و فى اليوم الأول من شهر شوال سنة ٧٣٦ غادر الشيخ حسن الجورى إقليم خراسان و انتقل إلى إقليم أراك. و بقى فيها عاما و نصف عام، ثم عاد إلى خراسان. و كان قد لحقه بعض تلاميذه إلى أراك. و عادوا من هناك إلى خراسان، و أقام حسن الجورى فى خراسان مده شهرين، و لكن و بسبب كثرة ازدحام الخاص و العام حوله فى ولايتين أو ثلاث ولايات لم يتمكن من الإقامة فيها.

و فى شهر محرم سنة ٧٣٩ توجه الشيخ حسن الجورى إلى مدينه بلخ، و منها إلى مدينه ترمذ (على ساحل نهر جيحون) و من ثم إلى هرات و قهستان، و منها توجه إلى مدينه كرمان " و لكن الطريق كان محفوف بالمخاطر ". مرض الشيخ حسن و عاد ثانيه إلى مدينه مشهد، و منها إلى نيسابور، و اختفى فى الجبال المجاوره ما يقارب الشهرين. و كان يختار مكانا جديدا بين الحين و

الآخر. ولكنه يقول " و خلال هذه المده التف حولى الكثير من الناس. "

مما لا شك فيه أن الشيخ حسن الجورى كان شيعيا و لكن كونه شيعيا لا يكفى بان يطالب الشيوخ و الفقهاء السنه بموته. و يظهر من نص الرساله المذكوره أن علماء الدين و أعيان (السنه) طالبوا عده مرات و بإلحاح بقتل الشيخ حسن الجورى. و كان ذنب الشيخ حسن الجورى إضافه إلى كونه شيعيا، عقائده الثوريه التى كانت تجمع حوله المضطهدين و المحرومين و الكادحين أينما يذهب، و كان يستنفرهم و يحرضهم ضد مظالم الاقطاعيين و الهيمنه المغوليه، حتى يحين الوقت المناسب للانتفاضه فيحطموا أغلال الذل و العبوديه و يتحرروا من هيمنه المغول و الإقطاعيين الكافرين كليا.

" و اضطر الشيخ حسن الجورى أن يهاجر إلى أراك (عراق العجم) عبر طريق قهستان، و أن يقيم فى دستجردان. و لم يكن الشيخ وحيدا فى هذه الرحله بل رافقه جمع كبير من مرديه، و كما يقول هو: "كانت جمعيه كبيره معى". تعرضنا إلى المخاطر فى الطريق " و كانت الصحراء غير آمنه. " و عاد الشيخ إلى مشهد. و أقام فيها أياما معدوده، و لكن الأعداء وجدوه..

فبعث أرغون شاه جاني قرباني، رسولا إلى مدينه مشهد لاعتقال الشيخ حسن و لكن و لاسباب مجهوله فقد دخل الرسول فى مفاوضات مع الشيخ.

و بعد شهرين تم اعتقال الشيخ حسن الجورى بامر من أرغون شاه و هو فى طريقه من نيسابور إلى قهستان و سجن فى أحد القلاع. "

إن تصريحات الشيخ حسن الجورى هذه تؤكد أنه قام برحله فى أقاليم واسعه، و مما لا شك فيه أنه نشر دعوته فى هذه الأقاليم. و أغلب الظن حسب ما جاء فى الرساله أن الشيخ حسن لم يعتقل قبل منتصف سنه ٧٣٩. و كان قد تجول قبل اعتقاله فى جميع أنحاء إيران لمدته ثلاث سنوات، و هذا أمر ملفت للنظر. علما بان حركه أنصاره بدأت فى ولايه بيهق فى سنه ٧٣٧ أو .

و قد تم فيما بعد الإفراج عن الشيخ حسن الجورى و استأنف أعماله و نشاطاته.

بدء حركه السربداريين انتفاضه فى ولايه بيهق

لقد ذكرنا أن الانتفاضه فى خراسان الغربيه بدأت من تلقاء نفسها و دون أن يشير بها الشيخ حسن الجورى. فان حادثا بسيطا عبرا فى منطقه القاده الأتراك و المغول، و هو أن أسلوبا غير لائق بدر من أحد المغول فى إحدى القرى قد أدى إلى نفاذ صبر القرويين و أثار عاصفه كان قد مهد لها منذ مده.

و يختلف المؤرخون الذين ينقلون أبناء هذه الحركه فى المبادئ، و لكنهم يتفقون فى الرأى و القول: بان الحركه بدأت من قريه باشتين من قرى بيهق بالقرب من سبزوار.

و يروى "المجمل الفصيحي" حادث قريه باشتين أكثر تفصيلا من المصادر الأخرى و يقول: إن خمسه من أفراد طائفه المغول نزلوا فى دار حسين حمزه و حسن حمزه - من أهالى قريه باشتين - و طلبوا منهما الخمر و الوجه الحسن، و أصروا على طلبهم و أساءوا إليهما. فجاء أحد الأخوين بكميه من الخمر و بعدر.

١- جور - محله من أعمال مدينة نيسابور.

أن شرب المغول الخمر سكروا و طلبوا الوجه الحسن، و بلغت الفضيحة إلى درجة أن طلبوا عورتيهما. فقال الإخوان: يكفى ما تحملناه من العار، فلترفع رءوسنا فوق المشنقه فسلا سيفهما و قتلنا- المغول الخمسه و خرجا من البيت و قالوا إننا نسلم رأسينا للمشنقه و هكذا بدأت الانتفاضه.(1)

و يقول حافظابرو في كتابه... كان الأغلبيه من الأهالى فى قريه باشتين من أعمال ولايه بيهق قد أصبحوا من مريدى الشيخ حسن، و لهذا كانوا منذ مده قد استعدوا للانتفاضه... و من أجل أن نعرف مدى أهميه عمله هذين الأخوين الشيعيين مريدى الشيخ حسن الجورى فى قتل الأفراد المغول الفاسدين الظالمين، و خروجهما من البيت بفخر و اعتزاز، و الإعلان بصوت عال " أننا نسلم رأسينا للمشنقه "، يحسن بنا أن نقرأ الأسطر أدناه الذى أشار إليها العالم الروسى فى ذيل كتابه: " يشير رشيد الدين فى كتابه جامع التواريخ إلى اعتداءات أفراد المغول المتكرره (الذين كانوا يدخلون القرى و يقيمون فيها) على نواميس و أعراض النساء، و يقول على لسان عمده إحدى القرى " إنه بعد مرور عده أعوام سوف لا نجد طفلا حلالا و إن ما سيقى سيكون من اللقطاء و أبناء الحرام أولاد الأتراك و الهجناء.

أول أمير فى سلالة السربداريينعبد الرزاق العلوى السبزوارى

تلقى الخواجه علاء الدين هندو وزير حاكم خراسان نبا مقتل خمسه من أفراد طائفه المغول على أيدي شقيقين من مدينه سبزواري، بتلك البساله و الجرأه اللتين لا مثيل لهما فى ذلك العصر و فى هذه الأيام وصل إلى قريه باشتين المدعو عبد الرزاق و هو نجل أحد الملاكين المحليين، و قد تزامن مجيئه مع قدوم رسول من جانب الخواجه علاء الدين هندو، لاستدعاء حسن حمزه و حسين حمزه.

فطلب الموفد المذكور الأخوين المذكورين لمعاقبتهما بسبب قتلها خمسه من المغول. فرد عليه عبد الرزاق عمده القريه قائلا: قل للخواجه إن أفراد طائفه المغول قتلوا لأنهم ارتكبوا الفضائح.

فلما عاد الرسول إلى علاء الدين هندو و أبلغه بالجواب، غضب علاء الدين و أرسل مائه من أفراده لاستدعاء الشقيقين و اعتقالهما. فراجعوا عبد الرزاق لهذا الأمر، فخرج عبد الرزاق من القريه و حارب أفراد علاء الدين و هزمهم ثم أخذ يستعد للحرب فجمع أهالى قريه باشتين و ثار بهم.

كما شوهد مرارا فى القرون الوسطى، فان هذه الانتفاضه التى قام بها القرويون لم يكن يتزعمها أو يقودها زعيم وطنى حقيقى، بل تزعم الحركه شاب كان ابن ملاك القريه - الخواجه جلال الدين فضل الله الباشتينى - كان من عائله غنيه عريقه و يصل نسبه الأبوى إلى الامام الحسين بن على. ففى القرن الرابع عشر الميلادى لم يتم ساده باشتين إلى طبقه الإقطاعيين و لكن كانت لهم مكانتهم بين أعيان المنطقه فى ولايه بيهق.

و يقول دولت شاه فى كتابه حول عبد الرزاق ما يلى:

" كان عبد الرزاق فى البدايه من جماعه السربداريين و هو ابن الخواجه فضل الله الباشتينى الذى كان فى الحقيقه من حاشيه ملك جوين. و باشتين قريه من أعمال مدينه سبزواري.. و كان عبد الرزاق شابا شجاعا طويل القامه حسن المنظر "

و على هذا فان سلالة جماعه السربداريين هي من سلالة الامام الحسين (ع).. فانضم عبد الرزاق إلى جانب القرويين بعزم راسخ بعد أن اطلع على الأحداث التي مرت على مسقط رأسه و دعاهم إلى الانتفاضه على رجال المغول. إن هذا القرار كان هينا و بسيطاً على عبد الرزاق، لأنه لم تكن تربطه بعد هذا مع الايلخان أيه صله، و لم يكن يفقد شيئاً. إن هذا الشاب كان يأمل أن يقوم بحركته بالتعاون مع القرويين فيستولى على إقليم واسع.

و يقول المؤرخون: إن جماعه من القرويين الأبطال المسلمين اختاروا عبد الرزاق قائدا عليهم بسبب قدرته البدنيه و شجاعته اللتين اشتهر بهما. و قد اختار المنتفضون كلمه "السربداريين" لأنفسهم، إن روايه المؤرخين التي تشير إلى تاريخ جماعه السربداريين تقول إن هذه العبارة تعنى "المحكومين عليهم بالشنق"، "اليائسين" غير المعفو عنهم" (٢) و يبررون ذلك بقولهم: إن المنتفضين كانوا يقولون: "إن جماعه من المفسدين الذين سيطروا على الناس يظلمون الأهالي، فإذا وفقنا الله فسنتضى على الظالمين و ظلمهم، و فى غير هذه الحاله نفضل أن نشنق لأننا لا نتحمل الظلم و العدوان أكثر من هذا".

و تعتقد أغلبه المصادر الموجوده أن انتفاضه باشتين قامت فى الثانى عشر من شهر شعبان سنه ٧٣٧. و أن علاء الدين محمد هندو وزير حاكم خراسان أرسل ألفا من فرسانه المسلحين للقضاء على الانتفاضه إلا أن القرويين سحقوا قوات علاء الدين و أرغموها على الهزيمه، و أن المنتفضين قرروا القضاء على علاء الدين محمد هندو نفسه.

فهرب مع ثلاثمائة من رجاله من "فريومد" إلى أسترآباد التي كانت مقر الأمير الشيخ على حاكم خراسان، إلا- أن جماعه السربداريين لا-حقوه و وصلوا إليه و اعتقلوه و قتلوه بالقرب من منطقه كبود جامه الجبلية فى كركان. ثم استولت جماعه السربداريين على أموال و خزائن علاء الدين محمد هندو و تقاسموها بينهم. و كانت قوات جماعه السربداريين تتألف آنذاك من سبعمائه رجل مسلح. و يقول ظهير الدين المرعشى فى كتابه: إن جميع الأحرار انخرطوا فى جماعه السربداريين و كانت نشاطات هذه الجماعه تقتصر فى البدايه على حروب غير نظاميه ضد الإقطاعيين المغول الكبار أو أنصارهم. و يقول ابن بطوطه الذى كان قد سمع الكثير من الحكايات عن جماعه السربداريين من معارضيتهم، كان سبعة قادة أبطال على رأس جماعه السربداريين فى البدايه:

مسعود (وجه الدين مسعود، شقيق عبد الرزاق) محمد (ربما المقصود هو أى تيمور محمد، مملوك مسعود) و خمسة من رفاقهما.

و كانت وجهه نظر ابن بطوطه حول جماعه السربداريين الشيعه غير طبيعيه بسبب تعصبه للسنه إلا أنه يقول عنهم "إن نظام العداله كان ساريا عندهم إلى درجه كانت النقود الذهبيه و الفضييه ملقاه على الأرض فى مخيماتهم و لا يمد أحد منهم يده لالتقاطها حتى ياتى صاحبها و يلتقطها...".

إن جماعه السربداريين سيطرت على بقية المدن المجاوره أيضا، و يقول خواند مير لم يكن فى جميع أنحاء ولايه بيهق من يجرؤ على الوقوف بوجه جماعهم.

١- من هنا أطلق اسم (السربداريين)، و معناه: المشنوقون.

٢- أى المستضعفين حسب ما جاء فى القرآن الكريم.

السربداريين. لقد سيطرت الجماعه على مدينه سيزوار دون أن تواجه أيه مقاومه. و يقول مير خواند في كتابه: إن قاده الجيش في سيزوار سلموا أنفسهم إلى جماعه السربداريين، و كان في مدينه سيزوار حصن منيع اتخذته هذه الجماعه مركزا لقيادتها و قاعده لدولتها الجديده، لقد سيطرت الجماعه على مدن جوين و أسفراين و جاجرم و بيارجمند. و أطلق عبد الرزاق كلمه الأمير على نفسه. و كما يقول خواند مير في كتابه "تربيع على كرسى الحكم و قرئت الخطبه باسمه و ضربت له النقود". و ساد مذهب الشيعه.

وجيه الدين مسعود

توفى عبد الرزاق أول أمراء السربداريين سنه ٧٣٨ و خلفه شقيقه وجيه الدين مسعود أميرا على الجماعه. فتمكنت الجماعه بقياده وجيه الدين مسعود من القضاء على عساكر كبار قاده المغول و الأتراك و أقطاب الإقطاعيين المحليين، الذين كانوا قد التحقوا بالمغول و ذلك في الفتره من سنه ٧٣٩ إلى سنه ٧٤٥، فعقد أمراء خراسان الذين كان يترأسهم أرغون شاه جاني قرباني اجتماعا أقنعهم فيه أرغون شاه بضروره القضاء على جماعه السربداريين، و في غير هذه الحاله فان الحياه ستكون محرمه عليهم، خاصه و أن مريدى و أنصار الشيخ حسن الجورى قد ازدادوا كثيرا. و قد قرر الأمراء إرسال ثلاث فرق من العسكر إلى ضواحي مدينه نيسابور على أن تصل هذه الفرق الثلاث في اليوم و الساعه المحددتين إلى هناك و تتلاحق معا، و تهاجم أفراد جماعه السربداريين و لكنهم لم يطبقوا هذا القرار نظرا للغيره الموجوده بينهم و بالرغم من أن هذه الفرق وصلت في يوم واحد إلى نيسابور، إلا أن ساعات وصولها كانت مختلفه مما سهل على جماعه السربداريين القضاء عليهم، و الحصول على غنائم كثيره.

لقد حاول الأمير أرغون شاه عبثا أن يخرج الخوف و الرعب من جيوشه، و يمنعهم من الهزيمه. و لكن في النهايه اضطر هو أيضا إلى الهرب. و تعتبر المصادر الإيرانيه هذا اليوم، بيوم انتصار الايرانيين على الأتراك، يعنى سكان الباديه من المغول و الأتراك.

يبدو أن رئيسين كانا يحكمان في حكومه جماعه السربداريين: أحدهم عالم دينى أى الشيخ حسن الجورى، و الآخر سياسى أى السلطان وجيه الدين مسعود. و لا شك أن هذا الأمر كان بسبب صيت الشيخ و اشتهاره.

و كان الشيخ حسن الجورى و وجيه الدين مسعود يعملان معا في البدايه و لكن سرعان ما حصل الخلاف بينهما كما كان متوقعا... و لم يخف الخلاف الداخلى على أعدائهم. فأرسل الأمير محمد بيك بن الأمير أرغون شاه رساله إلى الشيخ حسن الجورى تنبأ فيها بسقوط الأمير مسعود العاجل، و طلب من الشيخ عدم مساعدته جماعه السربداريين.. إلا أن الخلافات الداخليه في هذه الجماعه لم تمنعهم من العمل المشترك. و أرسل طوغاى تيمور آخر رؤساء المغول موفدا إلى الشيخ حسن و وجيه الدين مسعود و أمرهم بالانقياد إليه..

فبعث الشيخ رساله إلى طوغاى تيمور جاء فيها:

"يجب على الملك و علينا أن نطيع الله عز و علا- و أن نعمل حسب آيات القرآن المجيد. و كل من يخالف هذا الأمر يكون متمردا و عاصيا، و يجب على الآخرين محاربتة و القضاء عليه. إذا عاش الملك حسب ما أمره الله و رسوله (ص) فاننا سنتبعه و في غير هذه الحاله فالسيف يكون الفاصل بيننا و بينه..." و لا ننسى أن جماعه السربداريين كانت تعتبر أمراء المغول و رؤساءهم

ظالمين بالرغم من قبولهم الإسلام. لأن الشريعة المغولية كانت لا تزال سارية المفعول بينهم ولأنهم كانوا يقومون بجباية الضرائب و الرسوم خلافا للقرآن و الشريعة الإسلامية، و أن هؤلاء كانوا قد غضبوا رئاسه المجتمع الإسلامى بغير حق.

و أن مقاومه هؤلاء كانت جائزه حسب قوانين الشرع الإسلامى.

توجه طوغاى تيمور خان مع عساكره من مغول الباديه لمحاربه جماعه السربداريين و ذكر مير خواند فى كتابه أن عدد عسكر طوغاى تيمور كان يقدر بسبعين ألف رجل، و يبدو أن هذا العدد كان مبالغا فيه.

"توجه الشيخ حسن و الأمير مسعود على رأس جيش من ثلاثه آلاف و سبعمائه رجل، و كل واحد منهم يعتبر نفسه بطلا أسطوريا، توجهوا إلى مازندران و جعلوا من ضفاف نهر كركان مخيما لعسكرهم. و أرسلوا مبعوثا مؤكدا ل طوغاى تيمور ضروره العمل بما أمر الله سبحانه و تعالى، لانهاء الحرب و حقن الدماء، و من تمرد و طغى فسيرى نتيجته سوء عمله.."

فأجاب طوغاى تيمور قائلا:

"...أنتم جماعه من القرويين تريدون التامر علينا و خداع الشعب.. و انتهت الحرب بانتصار السربداريين الكامل.. فتشتت عساكر المغول، و هزموا مع طوغاى تيمور نفسه.. و قد ذكر المؤرخون تاريخ هذا الانتصار سنه ٧٤٢ أو سنه ٧٤٣ و بعد هذا الانتصار الباهر حاولت جماعه السربداريين بسط هيمنتها على جميع أنحاء خراسان.

كان المفروض على الشيخ حسن و الأمير مسعود تلبية طلبات عامه الشعب و الدخول فى الحرب مع أكبر أمراء الاقطاع فى خراسان و هو معز الدين حسين كرت ملك هرات. و كان معز الدين آنذاك مستقلا و حليفا و صديقا ل طوغاى تيمور خان المغولى. فجهزت جماعه السربداريين جيشا مؤلفا من عشره آلاف مقاتل. و كان هذا الهجوم مهما جدا لمستقبل الجماعه إذ كان الهدف منه تحرير جميع أنحاء خراسان من هيمنه المغول.

استشهاد الشيخ حسن الجورى

إلا أن آمال السربداريين لم تتحقق ففى الثالث عشر من شهر صفر سنه ٧٤٣ و على مسافه فرسخين من مدينه "زاوه" اندلعت الحرب بينهم و بين عسكر الملك معز الدين حسين كرت. و كان ملك هرات قد جهز جيشا يقدر بثلاثين ألف مقاتل من التاجيك و الغور و المغول و الخلج و البلوش.

و كان الانتصار حليف السربداريين فى بدايه الحرب، إلا أن الشيخ حسن الجورى قتل فى الحرب فجاه. فألقت وفاته الرعب بين الجماعه و تناثرت صفوفهم و فشلوا و انهزموا. فأسر رجال ملك هرات عددا من أفراد جماعه السربداريين و أمر بقتلهم جميعا عدا الشاعر ابن يمين. و يبدو أن عدد الأسرى كان أربعه آلاف رجل. و يقول ابن بطوطه: إن السمنانيين، أى أمير سمنان قد هاجم جماعه السربداريين من الغرب مما سهل انتصار ملك هرات عليهم.

و يقول حافظابرو: إن الدراويش و أنصار الشيخ حسن يعتقدون أن الأمير مسعود كان له الضلع فى اغتيال الشيخ حسن الجورى و كان هذا الأمر بتأييد منه.

١" و فى تلك الحرب بينهم و بين الملك، استشهد الشيخ حسن بامر من الأمير مسعود و بسيف أحد أفراد جماعه السربداريين".

و يقول دولت شاه فى كتابه: "إن الخواجه مسعود أمر شخصا بانزال ضربه على الشيخ حسن" و فى كتاب - نكارستان غفارى - الذى تم تأليفه بعد مده طويله من اغتيال الشيخ حسن، جاءت هذه الروايه و أن مؤلف الكتاب ادعى بان الرجل الذى أنزل ضربه على الشيخ حسن هو من جماعه السربداريين و يدعى نصر الله الجونى...

يعترف المؤرخون جميعهم بان جماعه السربداريين كانوا هم المنتصرين، إلا أن وفاه الشيخ حسن أسفرت عن ارتباكهم و بالتالى هزيمتهم. و تعذر على السربداريين بعد هذه الهزيمه جمع شملهم فى خراسان الشرقيه فكانوا دائما فى خوف و ارتباك من عدو قادر و هو ملك هرات من سلاله كرت، فى شرق أراضيهم.

و وقع الشاعر الايرانى المعروف ابن يمين الذى كان قد انخرط فى جماعه السربداريين أسيرا بايدى ملك هرات.. و لكنه انتهز بعض الفرص و هرب من السجن و التحق ثانيه بجماعه السربداريين.. و توفى فى الثامن من جمادى الثانيه سنه ٧٦٩. ثم جهز وجيه الدين مسعود فى الأيام الأخيره من حكومته جيشا لغزو مازندران.. و تمكنت جماعه السربداريين من احتلال مدينه آمل أكبر مدن مازندران. إلا أن أحد الأمراء الإقطاعيين فى منطقه رستمدار نصب لهم كمينا داخل غابات المنطقه و حاصرهم و قتل عددا منهم و اعتقل عددا آخر بما فيهم وجيه الدين مسعود. ثم أمر حاكم ولايه رستمدار بقتل وجيه الدين مسعود. و كانت هذه الهزيمه فى شهر ربيع الثانى سنه ٧٤٥. إلا- أن هاتين الهزيمتين العسكريتين لم تقضيا على حكومه السربداريين. و استلم زمام الحكم بعد موت وجيه الدين مسعود عشره من كبار الجماعه واحدا تلو الآخر كان بعضهم ينتسب إلى الجناح الاعتدالى و البعض الآخر إلى الجناح المتطرف.

شمس الدين على

هو أول حاكم يتزعم السربداريين بعد وفاه وجيه الدين مسعود و لا يحمل لقب السلطان لأن لطف الله بن وجيه الدين مسعود الذى كان صغيرا حين وفاه والده هو الذى يجب أن يخلف أباه، و كانوا يعرفونه بأنه ولى العهد و كانوا يلقبونه ب - ميرزا.. و كان الخواجه شمس الدين على أكبر و أبرز الحكام فى جماعه السربداريين.. يقول دولت شاه فى كتابه: "... إن الناس كانوا مرفهين و كانوا يعيشون بسعاده و كفاف.. و يقال إنه كان يدفع الديون نقدا و فى الحال..." كانت حياته بسيطه جدا.. و كان يسير فى الطرقات و معه واحد أو اثنين من الملازمين له، و كان بإمكان جميع الناس الاجتماع به و مقابلته.

و بالرغم من الأوهام التى كانت موجوده بين الايرانيين، فإنه لم يكن يستنكف من الجلوس مع غسالى الأموات و معاشرتهم، و هم كانوا من طبقه البؤساء و المحرومين و البائسين فى المدن. كان يلاحق الذين كانوا يعيشون بالبذخ و يبدو أن هذا الأمر كان من أجل الدراويش. لقد منع شرب الخمر و استعمال الأفيون. بحيث أصبح فى مدينه سبزوار: "لا يجرؤ أحد أن يذكر كلمه الخمر و الأفيون..."

و كانت حكومه السربداريين فى عهد شمس الدين على فى غايه من القوه بحيث اكتفت حكومه طوغاى تيمور باقليمها فى كركان و مازندران، و كان الملك معز الدين حسين كرت فى هرات يخاف منهم.

خاضت جماعه السربداريين حربا مع أرغون شاه جاني قرباني في عهد الخواجه شمس الدين على و حاصرت مدينه طوس و كانت على وشك الاستيلاء على المدينه، إلا أن هذه الجماعه عدلت عن محاصره طوس من أجل مواجهه الهجوم الذى كان قد عزم الملك معز الدين حسين كرت ملك هرات عليه: قتل الخواجه شمس الدين على بعد حكم دام خمسه أعوام على أيدي خادمه المدعو حيدر القصاب، و كان جابيا للضرائب.

يحيى الكرابى و انهيار سلاله طائفه هولاکو

كان يحيى الكرابى من أهالى قريه كراب من أعمال بيهق و هو خادم وجيه الدين مسعود و من ملازميه الأقربين.. و لكنه كان أكثر حزما و احتياطا من وجيه الدين مسعود. و كان يجلس حول بساط كرمه الغنى و الفقير معا، و لما كانت منطقه طوس و مشهد و ضواحيهما قد دمرت تماما بسبب الاجراءات الوحشيه التى كان قد مارسها أمراء جاني قرباني، فقد قامت جماعه السربداريين بمشاريع عمرانيه فى تلك المناطق بعد تحريرها.

و يقول دولت شاه فى كتابه: "بدأت جماعه السربداريين باعاده بناء ما كان قد دمره عسكر جاني قرباني فى طوس و أعادت تعمير القنوات فى ولايتى طوس و مشهد..".

إن من أهم الخدمات التاريخيه التى قامت بها جماعه السربداريين و التى لا تنكر: هى القضاء على ما تبقى من حكمه سلاله طائفه هولاکو، و كان ذلك فى عهد حكمه يحيى الكرابى.. بتاريخ السادس عشر من شهر ذى القعدة سنه ٧٥٤ و بذلك ثم القضاء على آخر معقل لحكمه المغول سلاله طائفه هولاکو و ذلك على أيدي هذه الجماعه و مما لا شك فيه أن السربداريين بتدميرهم و كسر الوحوش و معقل قطاع الطرق و السارقين قد قاموا بعمل بطولى كبير بارز. فقد أصبحت ولايه كركان و مدينه أسترآباد فى حيازتهم، و امتدت دولتهم من سواحل جنوب شرق بحر الخزر حتى مدينتى طوس و مشهد.

إلا- أن انهيار حكمه الايلخان لم يؤد إلى انهيار سلطه المغول فى جميع أنحاء إيران و الدول المجاوره، حيث كانت الآداب و أساليب الاداره المغولييه ما زالت قائمه فى الحكومات الاقطاعيه فى الشرق الأوسط.

على بن المؤيد

استمرت حكمه على بن المؤيد أكثر من غيره من أمراء جماعه السربداريين و يقول عنه دولت شاه فى كتابه " كان متعصبا فى مذهب الشيعه أكثر من أسلافه.. " و قد أمر بضرب النقود " باسم أئمه الشيعه الاثنى عشر. و كان يحترم الساده و رجال الدين احتراما خاصا.. و يقول دولت شاه فى كتابه أيضا:

"كان الناس مرتاحين فى عصره و كانت الضرائب التى يأخذها من الناس لا تزيد عن ثلاثه فى العشره و كان يعتبر نفسه عمده القرية و كانت ملابسه التى يلبسها بسيطه كان يجلس حول بساطه الخاص و العام متساويين و كان يوزع ما فى داره فى رأس كل سنه جديده، و كان يتجول فى الليالى فى الأزقه و المحلات و يعطى النساء الأرامل المال و الطعام.

منتصرا و قد استقبله على المؤيد فابقاه تيمور، في بلاطه و أكرمه، و اعترف بسطانه و لكن لم يسمح له بالعودة إلى سبزوار، إلى أن أمر بقتله سنة ٧٨٨.

و بعد وفاه على بن المؤيد قام أهالي مدينه سبزوار الأبطال الذين صعب عليهم قبول سلطه الملك و الأتراك بدلا من حكمه أمراء جماعه السربداريين، فقاموا في سنة ٧٨٥ بانتفاضه عامه بقياده الشيخ داود السبزواری لإحياء حكمه جماعه السربداريين، إلا أن تيمور توجه إلى سبزوار حالا و حاصر المدينه، و تعذر على الأهالي مجابهه حكمه تيمور المقترده، و انتهت الانتفاضه بالفشل و الهزيمة.

و بالرغم من الدفاع البطولي عن المدينه، إلا أن مدينه سبزوار استسلمت في بدايه شهر رمضان سنة ٧٨٥ و دخلت عساكر تيمور إلى المدينه. و قام تيمور بمذبحه رهيبه و أمر بدفن ما يقارب من ألفين من المشاركين في الانتفاضه أحياء في جدار أحد الأبراج.. إلا أن هذه المذبحه لم تؤثر في معنويه أهالي مدينه سبزوار، و لم تقلل من عزيمه هؤلاء الناس، الذين كانوا يطالبون بالاستقلال، و كانوا مفعمين بمعنويه ممتازه عليه.

و بعد وفاه تيمور (ينه [سنة] ٨٠٧) ثارت جماعه السربداريين في سبزوار و ضواحيها ضد السلطان شاه رخ بن تيمور، و انتخبت أحد أحفاد وجيه الدين مسعود سلطانا لها. و لكن تمكنت عساكر شاه رخ بصعوبه من القضاء على هذه الثوره.

إن انتفاضات و ثورات جماعه السربداريين ضد تيمور و أولاده قد تكون مواضيع لدراسات منفصله لا مجال للبحث فيها هنا.

نتيجه حركه السربداريين و خلفيات هذه الحركه

كانت حركه السربداريين أول ثوره أو انتفاضه سياسيه و عسكريه شيعيه في نطاق حكمه الايلخان المغول و أتراك البادية.

و الأمر الآخر هو أن جماعه السربداريين أرادوا استغلال [استقلال] نفوذ الصوفيه لتمشيه أمورهم. و هذا ما فعله الشيخ خليفه و الشيخ حسن الجورى و بعض قادة الجماعه ذلك الأمر الذى فعله الصفويون فيما بعد إن على بن المؤيد بعد تثبيت دعائم حكومته. وجد أن الصوفيين و الدراويش يريدون السيطرة على الأمور، و أن هذا العمل قد يزعزع أسس المدرسه الشيعيه، و من أجل ذلك فقد أراد الاستفاده من فقهاء الشيعه لقياده الشيعه و إرشادهم في بلاده و توسيع نطاق التشيع الحقيقى الذى كان مذهب أبناء الإقليم.

حول رساله على بن المؤيد

لم يعرف متى حرر على بن المؤيد رسالته و متى أرسلها إلى الشهيد الأول، فقد تسلم على بن المؤيد السلطه في سنة ٧٦٦ و عزل سنة ٧٨٣ بامر من تيمور.. و كانت مده حكمه سبعة عشر عاما.

إن الشهيد الأول رفض دعوه على بن المؤيد، و ربما كان الرفض بسبب عدم رغبته في ملازمه البلاط و الجهاز الحكومى. (١) و لكنه و كما سنشرح فقد ألف كتاب (اللمعه) و هو من أشهر كتب الفقه لدى الشيعه، و أرسله إلى على بن المؤيد إلى سبزوار ليعمل به أهل العلم من الشيعه و يدرسون على أساسه و يفتون بموجبه و يربون شيعه خراسان على أساس نظريه التشيع الأصيله و

المدرسه الجعفریه العریقه لقد استشهد الشہید الأول سنه ٧٨٦، و كان علی بن المؤید ما زال حیا حیث قتل سنه ٧٨٨ بامر من تیمور. و یقول الشہید فی بدایه کتاب (اللمعه) فی سبب تألیفه "لقد کتبه تللیه لطلب أحد المتدینین".

و بعد مرور مائه و خمسین سنه علی تألیف کتاب " (اللمعه) ألف زین الدین علی بن أحمد العاملی الجعی مواطن الشہید الأول و المعروف بالشہید الثانی کتابا فی شرح کتاب اللمعه أسماء "شرح اللمعه" یدرس منذ ذلك التاريخ و حتی یومنا هذا فی جمیع حوزات الشیعہ العلمیه. و هو کتاب یحتوی علی دوره کامله من فقه الشیعہ. تم تألیفه من قبل اثنین من فقهاء الشیعہ الکبار و هما من أهالی جبل عامل و استشهدا بتهمه التشیع و فی سبیل اعتقادهما.

أما الشہید الثانی المقتول فی سنه ٩٦٦ فیقول فی شرح کلمه الشہید الأول: "کتبه تللیه لطلب من أحد المتدینین" أن المقصود بذلك هو شمس الدین محمد الآوی من أصحاب السلطان علی بن المؤید سلطان خراسان و ضواحیها آنذاک. إلى أن استولی تیمور لنک علی دوله علی بن المؤید فأخذه معه قسرا إلى أن توفي حوالی سنه ٧٩٥ أى بعد تسع سنوات من استشهاده الشہید الأول.

كانت الصداقه و المراسله قائمه بین شمس الدین محمد الآوی و المصنف (الشہید الأول) و كان شمس الدین محمد الآوی یرسل الرسائل و الطرود أولا إلى العراق، ثم من هناک ترسل إلى الشہید فی بلاد الشام.

و قد احتفظ شمس الدین محمد الآوی بالنسخه الأصلیه لکتاب "اللمعه" لأنها كانت بخط الشہید نفسه و بما أن أحدا لم یر کتاب و لم یرضه شمس الدین محمد الآوی علی أحد، لم یتمکن أحد من أن یرسخ نسخه منه.

و لكن أحد الطلاب (و کتب علی هامش اللمعه أن هذا الشخص اسمه شمس الدین الزابلی) أخذ الکتاب من حامله فی الطريق و استسخ منه نسخه. و لما علم بأنه کتاب ثمین، لم تکن لده (أی لدى شمس الدین الزابلی) الفرصه الکافیه لمطابقته مع النسخه الأصلیه، حیث كان علی سفر. و لهذا السبب توجد فی بعض الأغلاط. و لما كان شمس الدین الزابلی قد سافر إلى جانب المؤلف (الشہید الأول)، فان الشہید صحح الأغلاط الموجوده. و لهذا السبب قد تكون النسخه الثانیه تختلف فی عباراتها مع النسخه الأصلیه التي كانت عند شمس الدین محمد الآوی.

كان تألیف الکتاب و إرساله إلى محمد الآوی فی سنه ٧٨٢.

بعض الملاحظات:

نستنتج بعض الملاحظات مما کتبه الشہید الثانی.. و هی: ی.

ص: ١٨٢

١- یقول حسن الأمين تعلیقا علی ما کتبه الکاتب عن سبب امتناع الشہید عن تللیه دعوه علی بن المؤید: إن السبب الأساسی هو أن بلاده نفسها كانت بأشد الحاجه إلیه، إذ لم تکن بعیده العهد عن الاحتلال الصلیبی، و لم یرکن قد مضى زمن طویل علی

جلاء الصليبيين عن جبل عامل، بالرغم من ان العاملين خلال الاحتلال الصليبي لبلادهم لم يتقطعوا عن طلب العلم، بل كان لهم تدريسهم، و لكنه كان تدريساً محدوداً لا يمكن أن يخرج علماء. فكان على الشهيد أن ينصرف أولاً للعناية بوطنه، و لم يكن يستطيع أن يترك وطنه المحتاج إليه ليذهب إلى المكان القصي.

١ - من المحتمل جدا أن رساله على بن المؤيد كانت بخط شمس الدين محمد الآوى، و هو من رجال الدين و من أدباء الشيعة، و كانت له منزلته لدى على بن المؤيد.

٢ - إن الشهيد كان مولعا بشمس الدين محمد الآوى، أكثر مما كان عليه بالنسبه لعلى بن المؤيد، لأن شمس الدين الآوى كان رجلا عالما و متقيا و لم يكن كذلك على بن المؤيد الذى كان أميرا، لأن الأمراء مهما كانوا مسلمين و مؤمنين، فإنهم فى النهايه حكام. و أن الحاكم يفعل أعمالا بعيدة عن الالتزام الدينى.

٣ - الحقيقه هى أن الشهيد ألف كتاب (اللمعه) من أجل شمس الدين محمد الآوى، ليستنسخ منه و يقوم بتدريسه و يوزعه بين أبناء الشيعة فى منطقه خراسان و لم يؤلفه من أجل على بن المؤيد.

٥ - بالرغم من أن على بن المؤيد هو الذى وقع ذيل الرساله المرسله إلى الشهيد، إلا أنه يبدو أن الدافع لارسالها و كتابتها هو شمس الدين محمد الآوى، لأنه كان يريد أن يأتى بأكبر فقهاء الشيعة فى ذلك العصر إلى خراسان لنشر المذهب الشيعى بعلمه و ثقافته و تقواه و فضيلته فى دوله جماعه السربداريين.

٦ - إن السبب فى عدم الاستنساخ من كتاب "اللمعه" من قبل شمس الدين محمد الآوى أو على بن المؤيد و توزيعه فى منطقه خراسان و دوله جماعه السربداريين هو أن الكتاب وصل إلى على بن المؤيد عشيه انهيار حكومته و لم تمض أيام حتى استولى تيمور لىك على دولته و تغير كل شىء، حيث قلنا عن لسان الشهيد الثانى، إن تأليف كتاب "اللمعه" كان فى سنه ٧٨٢ و إن انهيار دوله جماعه السربداريين على أيدي تيمور كان فى سنه ٧٨٣، أى بعد سنه واحده. و لسنا ندرى كم شهرا و كم يوما استغرق وصول الكتاب إلى شمس الدين الآوى و على بن المؤيد، و كم من الزمن بقى الكتاب عندهما.

السيد على باليل الحسينى الجزائرى الدورى.

اشاره

(١) قال حفيده السيد هادى بن السيد ياسين:

توفى سنه ١١٠٠ و نيف: كان الأمير باليل والد السيد على من أجل أمراء السيد مبارك بن السيد مطلب الحويزى المشعشى حاكم الحويزه المتوفى (١٠٢٦ هـ)، و له مواقف مشهوره فى أحداث و وقائع حكومه السيد مبارك. و بعد وفاه السيد مبارك اضطربت الأحوال فى الحويزه و اختلت الأمور و تفرق الساده و الأمراء و المشعشعون، فأم حسن آغا حاكم العرجه و الجوازر(٢) سبعين فارسا من مشعشى الحويزه أحدهم الأمير باليل. (نقلا عن كتاب الرحله الحجازيه مع التلخيص).

و هكذا انتقل الأمير باليل والد السيد على من الحويزه إلى منطقه العرجه و الجوازر فى عشره الثلاثين بعد الألف للهجره و على هذا يكون السيد على قد نشأ فى تلك المنطقه (الجوازر و الجزائر) ثم إننا نجده مقيما أيام كهولته فى الجزائر معاصرا للسيد أبى معتوق شهاب الدين الموسوى الحويزى، و من أعيان حكومه حسين باشا بن على باشا الديرى حاكم البصره و الجزائر (١٠٧٨ - ١٠٥٧ هـ)، و فى سنه ألف و ست و سبعين هجره لما تظاهر حسين باشا المذكور بالعصيان على الدوله العثمانيه سيروا عليه جيشا قوامه ثمانون ألف مقاتل بقيادة إبراهيم باشا، فحاصروا البصره و الجزائر سته أشهر، و كان حسين باشا صامدا حتى ضاق صدر

إبراهيم باشا، و أخذ يوجه المدافع إلى القلعه المتحصن بها حسين باشا، و شرع بالرمى من طلوع الشمس إلى وقت الزوال فلم تعمل فى تلك القلعه فرأى إبراهيم باشا المصلحه بالصلح فأرسل إلى حسين باشا بذلك، فوجه حسين باشا جماعه من أعيانه و فى جملتهم السيد على بن باليل إلى إبراهيم باشا للمذاركه [للمذاكره] فى الصلح، و انتهى الأمر بفك الحصار و عوده الجيش العثمانى إلى اسطنبول، و فى سنه (١٠٧٨ هـ) حاصر الجيش العثمانى البصره و الجزائر مره أخرى و أدى الحصار إلى هزيمه حسين باشا و فرار الأهالى. (عن كتاب الرحله الحجازيه للمولى على خان بن عبد الله

ص: ١٨٣

١- الجزائرى نسبه إلى الجزائر بالجيم و الزاء المعجمتين المفتوحتين ثم الألف ثم الراء المهمله، كانت تسمى فى صدر الإسلام البطائح و هو جمع - بطيح و بطحاء، قال الحموى: يقال تبطح السيل إذا اتسع فى الأرض و بذلك سميت بطائح واسط، لأن الماء تبطحت فيها أى سالت و اتسعت و هى أرض واسعه بين البصره و واسط كانت قديما قرى متصله و أرضا واسعه. قال العلامة الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى القبانى فى كتابه (شرح زاد المسافر و المقيم) الخطى الموجود فى مكتبه سبها لار بطهران قال فى تعريف الجزائر: هى علم لمواضع كثيره منها قريه بنى منصور و بئر حميد و نهر عنتر و هو أكبر مواضعها و قيل يشتمل على ثلاثمائه نهر، و منها نهر صالح و ديار بنى أسد و الفتحيه و القلاع و نهر السبع و الباطنه و المنصوريه و الإسكندريه و مواضع أخرى غير ما ذكرنا، و تنتهى شمالا إلى كوت معمر. و الجزائر تشتمل على عده طوائف و قرى معمره، و كان أهلها ممن حارب دوله سلطان الروم فانتصروا عليه (فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى) و عصى حاكم البصره و حاكم الحويه فاستقلوا بأنفسهم لوعوره مسالكها و كثره مياهها و شكوه أهلها و الدورقى نسبه إلى الدورق، و هو أحد بلاد خوزستان كان يعرف قديما بدورق الفرس، و هو بفتح أوله و سكون ثانيه و راء مفتوحه بعدها قاف، و فى اللغه (الدورق) إبرىق كبير له عروتان و لا بلبله له، و هو مكيال للشراب، و هى فارسىه معربه) و النسبه هنا إلى الأول قال مسعر بن المهلهل فى رسالته و من رامهرمز إلى الدورق تمر على بيوت نار فى مفازه مقفره، فيها أبنيه عجيبه، و المعادن فى أعمالها كثيره و بدورق آثار قديمه لقباد بن دارا، و بها صيد كثير إلا أنه يتجنب الرعى فى أماكن منها، لا يدخلها بوجه و لا بسبب، و فيه هوام قتاله لا يبرأ سليمها، و بها الكبريت الأصفر و هو يسرج الليل كله، و إذا أوتى بالنار من غير دورق و اشتعل فى ذلك المكان أحرقتة أصلا. و أما نارها فإنها لا تحرقه و هذا من ظرائف الأشياء و عجيبها و قد نسب إليها جماعه من الرواه منهم: أبو الفضل الدورقى و أخوه أبو على الدورقى، و أبو عقيل الدورقى و اسمه بشر بن عقبه (معجم البلدان بالاختصار). أقول و قد اشتهر عن ابن السكيت العالم المنطقى الشهير أنه دورقى أيضا. و الدورق القديم هذا يعرف اليوم ب (شادكان) و يقع على بعد عده أميال من (شادكان) الذى يعرف بالفلاحيه أيضا.

٢- الجوازر يطلق على ما انحسر عنه المد و الجزر و منها بطيحه الغراف التى تسمى اليوم بلاد الجوازر. و فى (الرحله الحجازيه) أن الجوازر - المسماه بالجواهر هى أرض واسعه و قرى عامره و عربان عظيمه، يحدها من ناحيه البصره الدكه و الحمار. أما العرجه فهى من أراضى المنتفق، و السماوه وحدها (الدراجى) و تعد من العرجه. و العرجه هى أرض واسعه بين المنتفق و السماوه، و تعد من قضاء السماوه. (عشائر العراق للزاوى). و حسن آغا حاكم العرجه و الجوازر قال عنه فى (الرحله الحجازيه) هو المعروف برجل جوخه و هو رومى الأصل بلغ من الحاليتين غايتهن و نهايتهن، و هو السخاء الذى لا يقاس و الشجاعه التى لا توصف، تملكك من الديار من حد الباطنه إلى باب الحله و الجوازر بأجمعها، و كان عنده ثلاثمائه خيال منهم من مشعشى الحويه سبعون خيالا - أحدهم الأمير باليل. و من مراجله أنه ركب عليه كخيه بغداد بعشره آلاف و على باشا (حاكم البصره و

الجزائر) بجميع عساكره و السيد منصور خان (حاكم الحويزه) مددا لعلی باشا و حاصروه بالعرجه أربعين يوما فلم يبلغوا منه شيئا و بعدها قتلته الروم خديعه عام (١٠٤٩هـ).

الحويزي حاكم الحويزه ١١٢٥ - ١١٢٨ هـ).

و بعد تفرق أهل الجزائر أثر الهجوم الذي مر ذكره نجد السيد على بن باليل يسكن الدورق القديمه، فهي وطنه الثاني و ظل يقطنها حتى توفي. و ظنه السيد شهاب الدين النجفي المرعشي معاصرا لفتيه الشيعه غارس الحدائق الناضره في فقه العتره الطاهره الشيخ يوسف البحراني، و لكنه توفي قبل أن يولد الشيخ يوسف البحراني رحمهما الله. فهو من علماء القرن الحادي عشر لا القرن الثاني عشر.

آثاره العلميه و الأدبيه

له آثار علميه و أدبيه كثيره منها ما لم نعر عليه في الكتب و منها ما لم يطبع.

فمن آثاره الخطيه الموجوده نذكر بعضها:

١ - كتاب المستطاب. قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني في (ج ٢١ صفحه ١٠ تحت رقم ٣٦٩١) من موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه كما يلي:

المستطاب (أو شرح كتاب سيويه) الملقب بالكتاب المستطاب في علم النحو مبسوطا للسيد على بن باليل الحسيني الجزائري المتوفى حدود نيف و مائه بعد الألف للهجره فرغ منه قبل سنه ١٠٩٥ هـ و النسخه موجوده في خزانه كتب السيد الحسن الصدر بخط عبد الرضا بن أحمد الجزائري إلى آخر ما ذكره المحقق الطهراني.

٢ - نبذه بنود. تحتوى هذه المنظومه على مائه و ثلاثه و خمسين بنداً (١)، و توجد لدى عده نسخ خطيه منها، كما طبعت برمتها في كشكول الشيخ يوسف البحراني المتوفى ١١٨٦ هـ.

٣ - قصيده في الحكم اسمها (القلاده):

ذكر المحقق آقا بزرگ الطهراني في موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه في جزء ١٧ صفحه ١٦٠ تحت رقم ٨٤٢ ما يلي:

(القلاده) قصيده في الحكم للسيد على بن باليل الحسيني الجزائري - الدورقي مطلعها:

ردى على رقادى أيها الرود على أراك به و الين مفقود

شرحها معاصره الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي القبانى (٢) فسمى شرحها (الاجاده في شرح القلاده) سلك فيه مسلك الصفدى في شرح لاميه العجم للطغرائى.

٤ - قلاند الغيد:

و قد أشار إليه السيد محمد الجزائري في كتابه (نابغه فقه و حديث) الذي مر ذكره، و لعله أول من عرف قراء كتابه المذكور عن

قلائد الغيد للسيد على بن باليل، لأنه ما كان أحد من أعقاب الناظم يعلم شيئا عن هذه القصائد، و حتى الشيخ آقا بزرك الطهراني الذي بذل جهدا كبيرا في سبيل التعرف على مؤلفات الشيعة و آثارهم، فاته أن يذكر شيئا عن هذه القلائد في موسوعته (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) بينما أشار إلى القصيدة الموسومة بالقلاده التي مر ذكرها، و كنت منهمكا في التفتيش عن آثار علمائنا السلف، و خاصة آثار أولئك الذين يمتون إلينا بصله في النسب، فكاتب أكثر خزائن الكتب الحديثه و القديمه مستفسرا عن تأليف السيد على بن باليل فلم أعثر لها على أثر، و بعد أن حصل لي الياس في شان العثور عليها اتفق لي أن زرت السيد محمد الجزائري في جمادى الثانيه عام ١٣٩٢ في بيته في الأهواز و سألته عما إذا كان قد عثر على قصيده القلاده للسيد بن باليل، فعبّر عن أسفه لعدم عثوره عليها. لكنه أخبرني أنه يحتفظ بكتاب من آثار السيد بن باليل اسمه (قلائد الغيد) و ما إن سمعت منه هذا حتى كدت أطير فرحا لشده اشتياقي إلى مطالعته و تصفحه، فحمدت الله و شكرته على أني كنت أبحث عن قلاده واحده، فمحنى الله سبع قلائد.

نموذج من قلائد الغيد

إلى متى أنت باللذات في شغل أ ما سمعت بفعل الدهر بالأول

أين النجاء من الأرزاء فاغره و الموت يفتر عن أنيابها العصل

ما بال سعيك للدنيا على عجل ملاً الفروج و للأخرى على مهل

قم سابق الموت و اعكس ما منيت به و انهض إلى عمل الأخرى على عجل

ما أعجل النائم المضحى انتباهته و الدهر عجلان قد يدعو على عجل

و ما تصاحي نزيف الجهل من سفه و ما تناهض رب العجز من كسل

و ما أفاق بنو الأيام يوم علا رأس الحسين على الخطيه الذبل

و سار ذو الثغفات الحبر يتبعه مكبلا عمته من على البزل

ما كر أشام من يوم تخوض به بنات أحمد منه في دم هطل

أضحت عيالا عيال السبط بارزه على عيال يزيد في ذرى الكلل

و ما رحلن بامر من يزيد إلى نادي يزيد على قتب و لا رحل

ما كان أقوى أعالي الدهر حين سطى بالطاهرين و لم يرجع على فشل

و كيف ينسى صريع الطف منجدلا تعلق عليه عواتي الخيل و الذلل

أو كيف يسلى شريف النعل منعفرا بين الخمين شلوا غير منتعل

و تسعه من على حوله ذبحوا و خمسه من عقيل ذبحه الإبل

وا ضيعه الدين و الدنيا بما صنعت بنو أميه بابنى خيره الرسل

ص: ١٨٤

١- البند نوع من الشعر بين النظم و النثر. قال فى (معادن الجواهر و نزهه الخواطر) الجزء الثالث صفحه ٥٨٥ فى تعريف البند: و هو منوال غريب قد يخرج عن أوزان الشعر و قد يوافقها. اخترعه أهل الحويه و فيه قصائد. و فى ما يخص بنود السيد على بن باليل قال الأستاذ عبد الكريم الدجيلى فى كتابه (البند فى الأدب العربى) المطبوع عام ١٣٧٨ هجرى فى بغداد قال: هذه البنود جاءت على وزن مخالف لأكثرية البنود التى جاءت على وزن الهزج، و هى من الأدب العرفانى الذى يقل نظيره، و لم أقف مع تتبعى و استقرائى على مثلها جوده و صناعه و عمقا، كما لم أقف على ترجمه صاحبها مع إحصائى السؤال، و أغلب الظن أن ناظمها من أدباء القرن الثانى عشر و قد يكون قبل هذا الزمن.

٢- الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى الدورقى القبانى أحد علماء القرن الحادى عشر، كان معاصرا للسيد على بن باليل، ترجم له جماعه من العلماء و فى كتابه (شرح زاد المسافر و المقيم) الموجود خطيا فى مكتبه سبها سالار بطهران: هو فتح الله بن علوان بن بشاره بن محمد بن عبد الحسين الكعبى نسبا و القبانى مولدا و منشا، ولد سنه (١٠٥٣) و توفى سنه (١١٣٠)، قال السيد عبد الله الجزائرى فى الإجازات الكبيره فى ترجمه الشيخ الكعبى: هو ذو باع فى الأدب مديد، و نظر فى إدراك اللطائف حديد، و فهم من موارد النكات سديد، و كد فى اقتناص المعارف شديد، و يد تلعب بالمعانى لعب الراح بالعقول، و ذهن انطبع فيه فنون المعقول و المنقول، له كتب منها كتاب زاد المسافر و المقيم. (و هذا الكتاب وضعه [وضعه] كمقامه فى شرح الأحداث التى جرت على حسين باشا عام ١٠٧٨ هـ، فأدت إلى هزيمة حسين باشا). و منها كتاب الاجاده فى شرح القلاده، و له الفتوحات فى المنطق و غيرها. و كان الشيخ الكعبى قد ولى قضاء البصره فتره.

لم تال جهدا إلى أن كل لهدمها و نازعتها بنو الدنيا على الدول
و ما لمروان ما حالت كياسته من دونه عند ركض الخيل بالأجل
قد أغفل الحزم مروان و عصبته و حازم الدهر لم يغفل عن الغفل
يا خاتم الأمويين الذين غدا في المجد يتلو خطأها كل منتحل
قد حاق مكركم فيكم على غرر منكم و ربك لم يهمل على المهمل
و فيها يقول:

حد في سراك و لا تشغل حشى شغلت يا أيها البرق أنى عنك في شغل
بى من ظباء نجيل أعين فنيت منها الحشاشه بين النجل و النجل
أغرى الهوى بى و أغريت الفؤاد به و لم أضق عنه لو ضاقت به سبلى
و الطرف جار على ضعفى بقوته و رب ذى كسل يقوى على الكسل
و بدل الدهر منى فاحما سبطا تعنو له نظرات الأعين النجل
و ما يريد الهوى منى و ذى حججى فى الرأس بيض و لا أقوى على الجدل
و ليس لى حاجه فى دار عاتكه كلا و لا ناقتى فيها و لا جملى
و أن عندى أحاديث الهوى كملا فان وجدت محلا للسؤال سل
و لى على الخبر عند الدهر مسأله عن حال سلمى على الأحوال و الحول
و فيها يقول:

و مستطيلا على وهم البقاء سفها قم و اقصدن الفنا المحتوم و انتقل
و أنت يا طالب الدنيا لغرته دع عنك خوانه أن تصفها تحل
هذى بحار المنايا بالردى اعترضت فاسيح إلى ساحل الأخرى على العمل
عمر الشيبه ولى فاغتنم عملا ينجيك فى الشيب عند الله من زلل

خطو الحمام بوخط الشيب متفق مثل اتفاق غرور القلب بالأمل
إذا أتاك نذير الموت منك و لم تشعر به فاتركن العقل للخطل
وإفاك خطبك منقادا إليك ضحى بشعره فأعد الزاد و ارتحل
و ليتعظ رب شيب بالشباب فقد ولى الشباب من الدنيا على وجل
لا بارك الله بالآمال تطمعنا طول الحياه فنسى عاجل الأجل
و ندحض العمل المنجى نسوفه إلى غد و غد ياتى بلا عمل
و لا يزال غد لو قلت بعد غد أو قلت قبل غد فاعمل و لا تقل
كآلآل يحسبه الرائي على غرر ماء فيهريق ماء بارد النهل
شكى الزمان أناس قبلنا درجوا و الشمس فى الأوج لا كالشمس فى الطفل
يا جهلنا كم وجدنا منزلا خربا لم يخل من قبل فى حين عن النزول
و ما اعتبرنا بمعمور و لا خرب و لا بفقدان أهلى منزل نزل
ناديت دهرى بما طال النداء به من الشباب إلى أن شبت فى قذلى
فلم يجبنى و لكن الصدى بدلا منه أجاب بصوت أيما صحل
تأتى النوائب كالأمواج تضربها هوج الرياح و كالأرياح و الطفل
و الخير يمشى الهوينا لو دعوت به يوما كان به قيدين من وثل
و الدهر ان جاء باليسرى أتاك على العسرى كان به ضربا من القزل
و إن أتاك بشر جاء يقدم ما ياتى به و يحث السير فى عجل
يا ويح نفسى كفانى الله صولتها قد ضيقت بى إلى إرشادها سبلى
بذلت نصحى و ما قصدى سوى به و النفس أولى بلوم النفس و العدل
و خذ إليك عروس الشعر ما عرفت بحسنها كيف تجلى خله العطل

تميس و العالم التحرير ملبسها قلائد الدر لفظا غير مبتذل
و كلما أنشدت للسمع صيرها للعين بثنه تحت الحلى و الحلل
نظمت سبع قواف و هى واحده و رب واحده عن سبعها الطول
كررت فيها قوافيها لقلتها كالمسك لو كررته ربه الكل
سميتها عند ما نظمتها دررا (قلائد الغيد) فأعرفها و لا تسل
كأنها الكوكب الدرى منقسما لسبعه هزأت بالسرج و الشعل
زان القريض بخود منه جاء بها للمجتلين لها بالسمع فكر (على)
أنى و أنى (ابن باليل) برزت بها كالرود لو أبرزت بالحجل من حجل
و ليغلون بها غرا محجله و ليزهدن بذات الحجل و الحجل
و ليقبلن إليها السمع مرتشفا و قبله القلب بعد الضم بالقبل
و لم يشنها بما عندى منظمه فى بعضها جعل ذى فعل على فعل
خذها إليك يهز التيه قامتها كالرمح و الغصن أن يهزز و أن يمل
و ليكف قائلها فخرا و منشدها من كل مستمع قولان (زد) و (قبل)

على بن حمدان سيف الدوله الحمدانى.

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان)، و مرت كلمه عنه فى المستدركات.

و ننشر هنا عنه هذه المكرمه التى تدل على مدى عطفه على الضعفاء و استجابته لاستغاثه المعوزين، و على انه كان ملجأ أبناء الشعب فى محنتهم حتى و هم بعيدون عنه فى بغداد:

قال الذهبى فى كتابه (سير اعلام النبلاء) و هو يترجم للفقيه الحنفى عبيد الله بن الحسن البغدادى الكرخى:

لما أصاب أبا الحسن الكرخى الفالج فى آخر عمره، حضر أصحابه: أبو بكر الدامغانى، و أبو على الشاشى، و أبو عبد الله البصرى، فقالوا: هذا مرض يحتاج إلى نفقه و علاج، و الشيخ مقل و لا ينبغى أن نبذله للناس، فكتبوا إلى سيف الدوله بن حمدان، فأحس الشيخ بما هم فيه، فبكى، و قال: اللهم لا تجعل رزقى إلا من حيث عودتنى، فمات قبل أن يحمل إليه شىء. ثم جاء من سيف الدوله عشره آلاف درهم، فتصدق بها عنه.

منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن بابويه

صاحب الفهرست.

مرت ترجمته في الصفحة ٢٨٦ من المجلد الثامن و نشر هنا تفصيلات أخرى مكتوبه بقلم السيد عبد العزيز الطباطبائي:

مولده و وفاته:

أما ولادته فقد أرخها تلميذه الرافعي في التدوين بسنه ٥٠٤، و أما وفاته فلم أر من أرخها و ضبطها غير أنه كان حيا إلى سنه ستمائه، ففي تلخيص مجمع الآداب في ترجمه منتجب الدين نقل عن كتاب الجمع المبارك و النفع المشارك لابن الغزال الأصفهاني في ترجمته لمنتجب الدين أنه أجازه سنه ٦٠٠.

فيظهر أنه كان حيا إلى هذا التاريخ و أنه توفي في مطلع القرن السابع.

أسرته:

و أسره "آل بابويه" أسره علميه عريقه في قم و الري، أنجبت كثيرا من العلماء و مشاهير الحفاظ و الفقهاء و المحدثين.

ص: ١٨٥

فأول من نبغ منهم و اشتهر صيته هو أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه المتوفى سنة ٣٢٩، و آخرهم ممن برز و نبغ و اشتهر منهم هو منتجب الدين. و لم نعرف بعده أحدا ظهر و اشتهر من هذه الأسره.

و لكن فى خلال هذه الفتره فىهم كثره مرموقه من أعلام نابيين و فقهاء و محدثين قل نظيرها فى سائر الأسر العلميه، فىهم يضرب المثل فى كثره الأعلام، فترى الشهيد الثانى مثل بهم فى كتاب "الرعايه فى شرح الدرايه" ص ١٢٥ للروايه عن خمس آباء بروايه الشيخ الجليل بابويه بن سعد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن على بن الحسين بن بابويه عن أبيه سعد عن أبيه محمد عن أبيه الحسن عن أبيه الحسين.

و حكى ابن حجر فى ترجمته من لسان الميزان قال، عن ابن أبى طى أنه قال عن أسرته: كان بيته بيت العلم و الجلاله، و مثل أيضا للروايه عن سته آباء بروايه الشيخ منتجب الدين عن سته من آباءه يروى كل منهم عن أبيه نسقا إلى سته آباء، ثم قال:

و هذا الشيخ منتجب الدين كثير الروايه واسع الطرق عن آباءه و أقاربه و أسلافه، و يروى عن ابن عمه الشيخ بابويه المتقدم بغير واسطه، و أنا لى الروايه عن الشيخ منتجب الدين بعده طرق مذكوره فيما صنعته من الطرق و الإجازات.

و قال ميرزا عبد الله أفندى فى رياض العلماء ١٤٠/٤ فى ترجمه الحسين بن على بن بابويه، الجد الأعلى لمنتجب الدين: و هو و أخوه و ابن هذا الشيخ و سبطه و أحفاده نازلا إلى زمن الشيخ منتجب الدين كلهم كانوا من أكابر العلماء.

و قال السيد محمد صادق بحر العلوم النجفى فى دليل القضاء الشرعى ١٥٧/٣: يظهر من فهرس الشيوخ و معاجم التراجم فضل آل بابويه بين أعلام الطائفه و مشايخ الأصحاب، حيث كانوا من سدنه العلم، و حمله الحديث، و أعيان فقهاء الاماميه، و قد خدموا كثيرا و ساهموا فى حفظ آثار أهل البيت (ع) بمؤلفاتهم و مروياتهم.

و لكثره رجالات الأسره (بنى بابويه) و توفر العلماء فيها ألف الشيخ سليمان البحرانى رساله مفرده فى تراجم أعلام آل بابويه نقل عنه الشيخ أبو على الحائرى فى منتهى المقال فى ترجمه منتجب الدين.

و الأسره أصلها من قم ثم نرح كثير منهم إلى الرى و استوطنوها و لا-ندرى متى كان ذلك و لا الأول منهم، فترى أن الشيخ منتجب الدين ينسبونه رازيا و لا ينسبونه قميا، و قد وصف هو فى الفهرست: جده شمس الإسلام حسكا فقال: القمى نزيل الرى. و يبدو أن انتقالهم إلى الرى كان أسبق من هذا، و ربما كان منذ عهد الشيخ أبى جعفر الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ و هو عم جد جد منتجب الدين، فلعله هو أول من انتقل منهم إلى الرى. لصلاته الوثيقه بحاكمها ركن الدوله البويهى، و هو قد توفى بالرى و قبره بها يزار.

نشاته:

نشا فى أسره علميه دينيه و فى أحضان أبيه موفق الدين و سائر أعلام أسرته، ففتح عينه على طلب العلم و استماع الحديث و إملائه، فولع بذلك منذ نعومه أظفاره و أولاه والده رعايه خاصه و عنايه بالغه، فلا غرو أن ينشأ حريصا على الطلب جادا فيه دأبا عليه.

طلب الحديث منذ سن مبكرة في بلده الري على مشايخها و الطارئين عليها، فقد كانت الري في طريق قاصدي خراسان، كما كانت في طريق حاج خراسان، فإنهم كانوا يذهبون إلى الحج من العراق على طريق الكوفة، فأدرك المنتجب مشايخ كثيرين و سمع الحديث الكثير، و كان حريصا على ذلك أشد الحرص. قال عنه تلميذه الرافعي في التدوين:

و لم يزل كان يتربص بالري و يسمع ممن دب و درج و دخل و خرج و جمع الجموع... و قال قبل ذلك كما ياتي نصه: يكتب ما يجد و يسمع ممن يجد، و يقل من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع و السماع و الشيوخ الذين سمع منهم و أجازوا له..

الثناء عليه:

تجد الإطراء له و الثناء البالغ عليه في كتب الطبقات و معاجم الرجال، و في غضون الإجازات منذ عصره حتى الآن من أعلام الخاصة و العامه يذكرونه بكل تبجيل و يصفونه بالحفظ و الامامه [الامانه] و الوثاقه. و إليك نماذج من كلمات الفريقين فمن الفريق الأول:

١ - تلميذه برهان الدين محمد بن محمد بن علي الحمداني و هو أول من نسخ كتاب الفهرست و رواه عن مؤلفه، فكتب في وصف أستاذه المؤلف:

الشيخ الامام الحافظ السعيد موفق الإسلام سيد الحفاظ رئيس النقلة سيد الأئمه و المشايخ خادم حديث رسول الله (ص).

٢ - الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي المستشهد سنة ٩٦٦، قال في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي:

و أجزت له - أدام الله تعالى معاليه - أن يروى عنى جميع ما رواه الشيخ الامام الحافظ منتجب الدين... و كان هذا الرجل حسن الضبط كثير الروايه عن مشايخ عديده..

٣ - و قال المجلسي:

و الشيخ منتجب الدين من مشاهير الثقات و المحدثين، و فهرسته في غايه الشهره... فحكى كلام الشهيد الثاني.

٤ - ميرزا عبد الله أفندي الأصفهاني، قال في كتابه رياض العلماء و حياض الفضلاء في ترجمه منتجب الدين ١٤٠/٤: كان قدس الله روحه بحرا من العلوم لا ينزف، و هو الشيخ السعيد الفاضل العالم الفقيه المحدث الكامل شيخ الأصحاب.

٥ - و قال الشيخ سليمان البحراني في رسالته التي أفردها لتراجم آل بابويه في ترجمه منتجب الدين: قدس الله روحه من مشاهير الثقات و فحول المحدثين.

٧- وقال الشيخ أسد الله الدزفولي في مقابس الأنوار ص ١٦ في ترجمه منتجب الدين:

الشيخ الفاضل الكامل العلامة الصدوق المحدث الحفظه الثقة الروايه منتجب الدين..

و أما الفريق الثاني:

فإليك نماذج مما ظفرنا به من ثناء أعلام غير الشيعة عليه:

١ - فأولهم معاصره الحافظ بن عساكر الدمشقي المتوفى سنه ٥٧١ قال:

قرأت بخط أبي الحسن علي بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه الرازي شاب كان يسمع معنا الحديث بالرى سنه ٥٢٩. (١)

٢ - و ترجم له ابن الصابوني المتوفى سنه ٦٨٠ في تكمله إكمال الإكمال ص ١٧ و وصفه بالإمام أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه الرازي، و ذكر من مؤلفاته كتاب الأربعين.

٣ - و ترجم له ابن الفوطى المتوفى سنه ٧٢٣ (٢) في تلخيص مجمع الآداب ٧٧٥/٥ في حرف الميم بلقبه منتجب الدين و قال: أبو الحسن علي... ابن بابويه القمي الرازي المحدث المقرئ..

٤ - و ترجم له تلميذه أبو القاسم الرافعي المتوفى سنه ٦٢٣ في كتاب التدوين في ذكر أهل العلم بقروين، و أثنى عليه ثناء بالغاً، و إليك نصه قال:

علي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه، أبو الحسن بن أبي القاسم بن أبي الحسين الرازي الحافظ.

شيخ ريان من علم الحديث سماعاً و ضبطاً و حفظاً و جمعاً، يكتب ما يجد و يسمع ممن يجد، و يقل من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع و السماع و الشيوخ الذين سمع منهم و أجازوا له، و ذلك على قله رحلته و سفره.

أجاز له من أئمه بغداد: محمد بن ناصر بن محمد البغدادي، و هبه الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الشيباني، و أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي، و أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى بن سعدون، و محمد ابن إبراهيم بن محمد بن سعدويه أبو سهل، و محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء، و محمد بن الحسن بن علي الماوردي، و أحمد بن عبد الله بن أحمد بن رضوان، و أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب النحوي البارع، و محمد بن أحمد بن يحيى الدياجي العثماني، و محمد عبد الباقي بن محمد بن عبد الله، و أحمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الله السكن، و هبه الله بن أحمد بن عمر الحريري، و ثعلب بن جعفر بن أحمد السراج، و عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز، و أبو محمد عبد الله بن محمد بن نجا بن محمد بن علي المعروف بابن شاتيل، و علي بن عبيد الله بن الزاغوني، و أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي.

أجازوا له مسموعاتهم و إجازاتهم فى سنه اثنتين و ثلاث و عشرين و خمسمائه.

و أجاز له المسموعات وحدها منصور بن محمد بن الحسن أبو المظفر الطالقانى، و هبه الله بن عبد الله الواسطى، و عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى.

و من غيرهم (٣) أبو القاسم زاهر بن طاهر بن الشحامى - أجاز له روايته سماعا و إجازة - و أخوه وجيه بن طاهر، و القاضى عبد الكريم بن إسحاق بن سهلويه، و أبو جعفر محمد بن زيد بن محمد الهارونى الحسنى، و أبو نصر الفضل بن محمد النصرى مسموعاتهم.

و إسماعيل بن أبى الفضل الناصحى، و أبو القاسم سعد بن أميرك بن عبد الملك، و أبو ثابت صالح بن الخليل الرويانى، و أبو الحسين بن ذكوان بن أحمد بن الحسن الخطيب، و أبو هاشم أحمد بن أبى مسلم بن أبى هاشم الأنصارى، و ملكه بنت الامام أبى الفرج محمد بن محمود القزوينى، و أبو بكر لاحق بن بندار بن أبى بكر الخياط، و أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأخبارى، و على بن أبى صادق السعدى، و سعد بن الحسن بن محمد الخطيب. (٤)

و ضعفا من سمينا من شيوخ طبرستان مسموعاتهم و إجازاتهم.

و كذلك محمد بن على بن محمد بن ياسر الجناتى، و الحافظ أبو جعفر محمد بن أبى على الحسن بن محمد بن الحسن الحمدانى المرودى، و عبد الخلاق بن عبد الواسع بن عبد الهادى الأنصارى، و عبد الغفار بن محمد بن عثمان القومسانى، و الحسن بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن بيدان، و محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الخطيب الكشميهنى، و عبد الله بن أحمد بن محمد البراز، و محمد بن أبى نصر شجاع بن أبى بكر اللفتوانى الحافظ.

و أجاز له المسموع و المجاز (٥) محمد بن حمد بن عبد الله الكبريتى الفواكهى، و أم إبراهيم فاطمه بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانيه، و إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ، و أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم، و أبو الوفاء أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن أبى ذر الصالحانى، و الحسن بن الفضل بن الحسن الأدمى، ثم الخلق الجم من الطبقة الذين بعدهم من أئمه أصبهان، كإسماعيل الحمامى، و محمد بن الهيثم، و أبى عاصم قيس بن محمد المؤذن و أقرانهم.

و قس بالمذكورين أئمه سائر البلاد الذين أدرك زمانهم.

و سمع الكثير بأصبهان و قزوين، و ممن سمع منه بقزوين أبو المحاسن عبد الرحيم بن الشافعى الرعوى و أبو الفضل الكرجى و غيرهما.

و لم يزل كان يترقب بالرى و يسمع ممن دب و درج و دخل و خرج، و جمع الجموع، و كان يسود تاريخا كبيرا للرى فلم يقض له نقله إلى البياض و أظن أن مسودته ضاعت بموته.

و من مجموعته كتاب الأربعين الذى بناه على حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه المترجم لأربعين حديثا، و قد قرأته عليه بالرى لسنه أربع و ثمانين و خمسمائه...

و قرأت عليه الأربعة بتمامه و أيضا الغيلانيات بروايته عن الحافظن.

ص: ١٨٧

١- نقله عنه الحافظ المزي في تهذيب الكمال ١/١٧٣.

٢- ابن الفوطى من الشيعة.

٣- أى غير البغداديين، فإلى هنا كلهم كانوا مشايخ بغداد.

٤- هؤلاء مشايخه فى طبرستان.

٥- هؤلاء من مشايخه الأصهبانيين.

محمد بن علي بن ياسر عن ابن الحصين و إجازته عن ابن الحصين، و فضائل الخلفاء الراشدين للحافظ علي بن شجاع المصقلی بروايته عن عبد الكريم بن سهلويه، إجازته عن القاضي أبي معمر الوزان عن المصقلی.

و بطرق أخر الأربعين المنخرجه من مسموعات الرئيس أبي عبد الله الثقفي(1) المتوفى سنة ٤٨٩. بروايته عن محمد بن الهيثم، و أبي المظفر الصيدلانی، و أبي عمرو الخليلی البصير بروايتهم عن الرئيس.

و جزء محمد بن سليمان المصيصی لوين بروايته عن عبد المنعم بن سعدويه و أبي الوفاء المميز، و بنيمان بن الحسن بن ميله، و أم الشمس مباركه بنت أبي الفضل بن ماشاذه، و أم الضياء لامعه بنت الحسن بن أحمد الوراق بروايتهم عن أبي بكر محمد بن أحمد بن ماجه، عن أبي جعفر بن المرزبان عن الحروري عن لوين.

و كان ابن بابويه ينسب إلى التشيع، و قد كان ذلك في آباءه و أصلهم من قم، لكنی وجدت الشيخ بعيدا منه... و قد قرأت عليه في شوال سنة ٥٨٥: أخبركم السيد أبو تراب المرتضى بن الداعي بن القاسم الحسنی و أبو علي بنيمان بن حيدر بن الحسن الكاتب، و أبو الفتوح أحمد بن عبد الوهاب بن الحسن الصراف قالوا أنبا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين الحافظ، ثنا قاضي القضاة الكافي أبو خلف منصور بن أحمد بن القاسم... فذكر حديثا.

و سمع منه الحديث بالرى أهلها و الطارئون عليها، و رأيت الحافظ أبا موسى المديني روى عنه حديثا.

و كانت ولادته سنة أربع و خمسمائه، و توفي بعد سنه خمس و ثمانين و خمسمائه.

و لئن أطلت عند ذكره بعض الاطاله فقد كثر انتفاعى بمكتوباته و تعاليقه، فقضيت بعض حقه باشاعه ذكره و أحواله رحمه الله تعالى.

رحلاته العلميه

و الشيخ منتجب الدين و إن وصفه الرافعي بقله الرحله إلا أن الذى علمنا به من رحلاته إلى العواصم الدينيه و الحواضر العلميه و بلدان كانت يوم ذاك مراكز الثقافه الإسلاميه هو عدد لا يستهان به، و لعل الذى خفى علينا أكثر و أكثر، و ها نحن نذكر البلاد التى رحل إليها على ما بلغه علمنا حسب الحروف الهجائيه:

١ - أصبهان.

صرح الرافعي فى التدوين فى ترجمه المنتجب: أنه سمع الكثير بأصبهان و قزوین، ثم عدد جماعه من شيوخه الأصبهانيين. و صرح هو فى كتاب الأربعين فى عده من شيوخه الأصبهانيين أنه سمع منهم بأصبهان.

٢ - بغداد صرح الرافعي أنه أجيز من علماء بغداد فى سنتي و ، و عدد جماعه كثيره من شيوخه البغداديين، و لو لم يصرح الرافعي بالتأريخ المتقدم لعلمنا ذلك من وفيات شيوخه، فان بعضهم ممن توفى سنة ٥٢٣ و بعضهم من المتوفين عام ٥٢٤ كما ياتى عند عد شيوخه، فكنا نعلم أن رحلته إليهم كانت قبل ذلك التاريخ.

ثم نقرأ في كتابه الفهرست في ترجمه محمد بن إدريس الحلبي أنه قال:

شاهدته بحله.

و حيث نعلم أن ابن إدريس ولد عام ٥٤٣ دلنا ذلك على اجتماعه به في الحلبي، لا بد و أن يكون في عشر السنين بعد الخمسمائه حيث كان بلغ ابن إدريس مبلغ الرجال المرموقين و الفقهاء المعروفين.

و على ذلك فلا- بد أن يكون قد رحل إلى العراق مرتين مره في عام ٥٢٢ و أخرى حيث التقى بابن إدريس، أو نقول إنه لم يرحل إلى بغداد سوى هذه الرحله الأخيره، و إن إجازته مشايخ بغداد له في عامي و كانت بالمكاتبه و هو خلاف الظاهر.

٣- الحلبي تقدم أنه اجتمع بالحله بابن إدريس المولود ٥٤٣ و المتوفى ٥٩٨، و كذلك صرح المنتجب في الفهرست في ترجمه الأمير الزاهد ورام بن أبي فراس أنه التقى به في الحلبي.

و الحلبي يومئذ من الحواضر العلميه الكبرى للشيعة و من مراكز الثقافه لها تزخر باعلام العلماء من فقهاء و أدباء و شعراء، فلا بد أن يكون قد اجتمع بكثير منهم أو أكثرهم و أفاد و استفاد، و لكن لم يسجل لنا التاريخ أكثر مما قدمناه.

و ذكر المنتجب في ترجمه سديد الدين الحمصي بعد عد كتبه أنه قرأ عليه أكثر هذه الكتب، و لا ندرى أقرأها عليه في الحلبي، أم في الري، أم في كليهما، فان الحمصي كان في البلدين جميعا.

و ليس من شك في أن منتجب الدين قد ذهب في النوبتين إلى الكوفه و اجتمع باعلامها و محدثيها، و هي يومئذ مدرسه حديث و فقه للشيعة إماميه و زيديه، و كانت الكوفه يومئذ يقصدها الرحالون في طلب العلم لسماح الحديث حتى من غير الشيعة كالحافظ بن عساكر و أبي سعد السمعاني و الحافظ أبي طاهر السلفي، فكان من رحل إلى العراق من البلدان النائيه في طلب الحديث يقصد الكوفه و يقرأ على مشايخها.

و قد ظلت الكوفه من البلدان المقصوده بالرحله في طلب الحديث، فهذا الحافظ الصوري قصد الكوفه و سمع بها من أربعمائيه شيخ. و هذا أبو سعد السمعاني قد دخل الكوفه ثلاث مرات، و سمع بها الحديث، و قرأ على مشايخها، و زار مشهد أمير المؤمنين (ع) في النجف الأشرف و سمع الحديث بها. (٢).

فمما لا- شك فيه أن منتجب الدين دخل الكوفه و اجتمع باعلامها و أفاد و استفاد، كما أنه مما لا شك فيه أنه قصد النجف الأشرف و كربلاء، و زار المشهدين الشريفين مشهد أمير المؤمنين و ابنه الحسين سيد الشهداء (ع). ٢.

ص: ١٨٨

١- القاسم بن الفضل الثقفي الأصبهاني

٢- التحبير ٣٦١/٢، ٣٦٢.

فلا- يحتمل أن يكون المنتجب وصل إلى الحله و لم يزر الإمامين (ع)، فمن المقطوع به أنه ذهب إلى كربلاء و إلى النجف الأشرف، و اجتمع بمن فيهما من أعلام الطائفة و النجف الأشرف يوم ذاك عاصمه العلم للطائفة، و بها أبو نصر محمد بن الحسن الطوسي حفيد شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠، و عدد لا يستهان بهم من تلامذه أبيه أبي علي الطوسي.

٤ - خوارزم علمنا من ترجمه شيخه منير الدين الأصبهاني نزيل خوارزم أنه رحل إليها و سماع الحديث بها و قرأ علي مشايخها، حيث يقول في ترجمه المذكور: شاهده بخوارزم و قرأت عليه.

و الظاهر أنه في طريقه من الري إلى خوارزم قد تجول في كل مدن خراسان الزاخره بالأعلام و المحدثين، فقد كانت مدن خراسان في تلك المرحله من الزمن تقصد من البلاد النائية لطلب العلم يقصدها الرحالون و المحدثون من خارج إيران لاستماع الحديث بها، فلا بد أن يكون المنتجب قد دخل سبزوار و قومن و بسطام، و لعله قرأ علي شيخه الطبرسي في سبزوار أو في مشهد، و كذلك شيخ أبو البركات المشهدي فالظاهر أنه قرأ عليه في مشهد و زار الامام الرضا (ع) بها، و كذلك هراه و مرو و بخارا و بلخ و نحوها من المدن التي يمر بها أو يقصدها و القرى المجاوره لها. و أما نيسابور فقد صرح بقراءته بها و سذكرها.

٥ - طبرستان قد عدد الرافي في التدوين في ترجمه منتجب الدين - كما تقدم - عده من شيوخه الطبريين ثم قال: و ضعفا من سمينا من شيوخ طبرستان مسموعاتهم و إجازاتهم.

و كلامه ظاهر في أنه رحل إلى طبرستان لطلب العلم، و تجول في مدنها و قراها، و قرأ علي مشايخها، و سماع من أعلامها، و أجازوا له في الروايه عنهم، و هم من الكثره بحيث لم يحصهم الرافعين بل عدد بعضا و ترك أضعافا.

٦ - قزوين تقدم في أصبهان قول الرافي أنه سمع الكثير بأصبهان و قزوين، و ممن سمع منه بقزوين أبو المحاسن عبد الرحيم بن الشافعي الرعوي، و أبو الفضل الكرجي...

٧ - كاشان صرح المنتجب في ترجمه ضياء الدين أبي الرضا الراوندي أنه قرأ عليه.

و السيد أبو الرضا يومئذ زعيم كاشان و فقيها و مفتيها، يقصده الرحالون لطلب العلم و سماع الحديث، و قد قصده أبو سعد السمعاني و رحل إليه و قرأ عليه كما ياتي في التعليق على ترجمته.

٨ - نيسابور صرح المنتجب في ترجمه السيد لطف الله النيسابوري أنه قرأ عليه كتب نيسابور.

و نيسابور يومئذ (قبل غزو التتر لها) حاضره كبيره من حواضر دنيا الإسلام، و عاصمه لها أهميتها من بين عواصم العلم و الحديث و الثقافات الإسلاميه، و لكن لا نعلم تاريخ رحلته إليها و لا مدته بقائه بها، و الظاهر أنه كان ذلك في أثناء رحلته إلى خوارزم و في طريقه إليها.

و مهما كان فهي لا تبعد كثيرا من الري، فربما دخلها أكثر من مره.

هذا ما توصلنا إليه من بلاد رحل إليها في سبيل العلم، وابتغاء سماع الحديث، وربما كان الذي خفى علينا أكثر مما ذكرنا.

مشايخه:

قال الرافعي في ترجمه المنتجب: الحافظ، شيخ ريان من علم الحديث سماعا و ضبطا و حفظا و جمعا، يكتب ما يجد، و يسمع ممن يجد، و يقل من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع و السماع، و الشيوخ الذين سمع منهم و أجازوا له...

ثم سمي بعض مشايخه البغداديين و الخراسانيين و الطبريين و الأصبهانيين (كما تقدم نصه الكامل) و قال: ثم الخلق الجم من الطبقة الذين بعدهم من أئمة أصبهان كإسماعيل الحمامي... و أقرانهم، و قس بالمذكورين أئمة سائر البلاد الذين أدرك زمانهم، و سمع الكثير بأصبهان و قزوين... و لم يزل كان يترقب بالرى و يسمع ممن دب و درج و دخل و خرج و جمع الجموع...

و قول: قل من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع... شهاده عظيمه من مثل الرافعي في شان المنتجب، فان تلك الأعصار هي فتره كان فيها مثل الحافظ ابن عساكر، و أبي سعد السمعاني، و الحافظ أبي طاهر السلفي و أضرابهم.

و قال ميرزا عبد الله أفندي في رياض العلماء ١٤٧/٤ في ترجمه منتجب الدين: و اعلم أن هذا الشيخ كثير الروايه عن المشايخ جدا، بحيث يزيد على مائه شيخ، بل يعسر حصرهم و جمعهم و إيرادهم...

و ها و نحن نذكر من ظفرنا به من شيوخه و ما خفى علينا منهم و لم تتمكن من الحصول عليهم أكثر:

١ - أحمد بن إبراهيم أبو العباس الأخباري.

٢ - أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن أبي ذر، أبو الوفاء الصالحاني الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٥، من أولاد المحدثين. ترجم السمعاني في الأنساب ٢٥٥/٨ لجده أبي ذر و غير واحد من أسرته، و ترجم ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد له و لابنه أبي طاهر عبد المنعم، و ترجم له الصفدي في الوافي بالوفيات.

٣ - أحمد بن الحسين بن بابا الأذوني، روى عنه المنتجب الحديث السابع من الأربعين قراءه عليه. ترجم له في مطلع البدور و قال: أحمد بن الحسن بن أبي القاسم بابا الأذوني من تلامذه الامام المرشد بالله و هو شيخ الكنى المتقدم.

أقول: روى عنه في كتاب الأربعين في الحديث السابع، و روى هو عن أبي الحسين.

ص: ١٨٩

قراها، و كان شيخا من مشايخ الزيديه صالحا... و كان مولده باذون سنه ٤٩٥، روى عنه السمعانى باذون.

و ذكره فى (أذون) موجزا و فيه اسم أبيه فى كلا الموضوعين "الحسين".

٤ - أحمد بن عبد الصمد، أبو عبد الرحمن بن حمويه الحموي الجوينى روى فى كتاب الأربعين فى الحديث ٢١ عنه قراءه عليه قدم علينا الرى.

٥ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن رضوان، أبو نصر الرضوانى البغدادى المتوفى سنه ٥٢٤، من شيوخ ابن عساكر.

٦ - أحمد بن عبد الوهاب بن الحسن الصراف أبو الفتوح البردينى، روى عنه فى الحديث ٢٨ من كتاب الأربعين قراءه عليه فى داره.

٧ - أحمد بن على بن أميركا القوسينى، مترجم فى الفهرست.

٨ - أحمد بن على بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السكن (السبكي)؟ ٩ - أحمد بن محمد بن أحمد القمى الشاهد الفقيه العدل من تلامذه ابن الوراق الطرابلسى المترجم فى الفهرست، روى المنتجب عنه عن ابن الوراق.

١٠ - أحمد بن محمد بن عبد العزيز أبو جعفر العباسى نقيب العباسيينمكه (٤٦٨ - ٥٥٤).

١١ - أحمد بن محمد بن عبد القاهر أبو نصر الطوسى سنه ٥٢٥، روى عنه فى كتاب الأربعين الحديث.

١٢ - أحمد بن أبى مسلم بن أبى هاشم، أبو هاشم الأنصارى.

١٣ - إسماعيل بن على بن الحسين النيسابورى ثم الأصبهانى أبو القاسم الحمامى نزيل أصبهان المتوفى سنه ٥٥١ عن أكثر من مائه سنه، من شيوخ ابن عساكر و السمعانى و السلفى، قرأ عليه المنتجب فى داره بأصبهان كما فى الحديث ٣٥ من كتاب الأربعين.

١٤ - إسماعيل بن أبى الفضل بن محمد الناصحى أبو القاسم التميمى.

١٥ - إسماعيل بن محمد بن الفضل، الحافظ أبو القاسم التيمى الطلحى الأصبهانى (٤٥٧ - ٥٣٥)، من شيوخ السمعانى و ابن عساكر.

١٦ - بابويه بن سعد بن محمد بن الحسن بن بابويه المترجم فى الفهرست.

١٧ - بدر بن سيف بن بدر العربى المترجم فى الفهرست.

١٨ - بينمان بن الحسن بن ميله.

- ١٩ - توران شاه بن خسرو شاه أبو الفوارس الجيلي الزيدى الميلاقجى العراقى. ترجم له فى مطلع البدور و قال: هو شيخ الزيديه حافظ علوم الأئمه مرجع الاسناد، و هو شيخ أبى العباس الكنى.
- ٢٠ - تيمان بن حيدر بن الحسن بن أبى عدى الكاتب أبو على البيع، من تلامذه الحافظ عبد الرحمن النيسابورى، روى عنه المنتجب قراءه عليه فى الحديث ١١ من كتاب الأربعين و الحكاياه الأولى منه و الرابعه.
- ٢١ - ثعلب بن جعفر بن أحمد بن الحسين، أبو المعالى السراج المتوفى سنه ٥٢٤، من شيوخ ابن عساكر.
- ٢٢ - جعفر بن إسحاق بن الحسن بن أبى طالب بن حربويه أبو الفضل المعلم، قرأ عليه المنتجب و روى عنه كما فى الحديث ٢٠ من كتاب الأربعين.
- ٢٣ - الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد، صدر الحفاظ أبو العلاء العطار الهمدانى (٤٨٨ - ٥٦٩) مترجم فى الفهرست. قرأ عليه ابن عساكر بهمدان كما فى معجم شيوخه.
- ٢٤ - الحسن بن العباس بن على، أبو عبد الله الرستمى الأصبهانى (٤٧٨ - ٥٦١) روى عنه قراءه عليه فى أصبهان.
- ٢٥ - الحسن بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن بندار.
- ٢٦ - الحسن بن على بن أبى طالب إسحاق، أبو على الفرزادى الزيدى المعروف بهاموسه (هموسه) ترجم له فى مطلع البدور و وصفه بالعلامه الكبير و الامام الخطير... و هو الذى صلى على المرشد بالله يحيى بن الموفق.
- أقول: روى عنه المنتجب فى الحديث ٢٣ من كتاب الأربعين، و ابنه على بن الحسن الفرزادى أيضا من شيوخ المنتجب ياتى.
- ٢٧ - الحسن بن على بن أحمد أفضل الدين المهابادى، مترجم فى الفهرست، روى عنه المنتجب فى ترجمه جده أحمد المهابادى.
- ٢٨ - الحسن بن الفضل بن الحسن بن الفضل أبو على الأدمى.
- ٢٩ - الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو نصير اليونارتى الأصبهانى (٤٦٦ - ٥٢٧) و يونارت قريه بباب أصفهان.
- ٣٠ - الحسن بن محمد بن أحمد بن على قاضى القضاة عماد الدين، أبو محمد الأسترآبادى، الفقيه الحنفى، قاضى الرى كما فى معجم شيوخ ابن عساكر، روى عنه المنتجب الحديث ٣١ من كتاب الأربعين.
- ٣١ - الحسن بن محمد بن الحسن، السيد نجيب الساده و نجيب الدين أبو محمد العلوى الموسوى.
- ٣٢ - الحسين بن على جمال الدين أبو الفتوح الخزاعى المفسر الرازى ترجم له فى الفهرست.
- ٣٣ - الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، أبو عبد الله البارع الدباس المقرئ الأديب النحوى البغدادى (٤٤٣ - ٥٢٤) من شيوخ

ابن الجوزى و ابن عساكر.

٣٤ - خمارتاش بن عبد الله الرومى أبو منصور العمادى، ترجم السمعاني لخمارتاش بن عبد الله الرومى فى التحبير ٢٧٢/١، و قال: توفى بنيسابور بعد سنه ٥٣١، و أظنه هو هذا و إن كناه أبا حفص و لقبه بالكاغذى. معجم شيوخ ابن عساكر، قرأ عليه ابن عساكر بنيسابور.

٣٥ - ذو الفقار بن محمد بن معبد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن حميدان الحسنى، عماد الدين أبو الصمصام العلوى الحسنى المروزى المتوفى ٥٦٣.

ص: ١٩٠

٣٦ - زاهر بن طاهر الشحامى أبو القاسم المستملى النيسابورى الشروطى مسند خراسان المتوفى سنة ٥٣٣.

٣٧ - زيد بن الحسن بن محمد أبو الحسين البيهقى الزيدى فخر الدين البروقنى، لعله توفى سنة ٥٥١. مترجم فى الفهرست.

٣٨ - زيد بن على بن منصور بن على أبو العلى (أبو العلاء) الأديب المعدل الراوندى الرازى (٤٧٢ - ٥٢٩).

روى عنه المنتجب قراءه عليه فى الحديث الرابع و الحكاية الخامسة من كتاب الأربعين.

من شيوخ السمعانى.

٣٩ - سعد بن أمير بن عبد الملك أبو القاسم.

٤٠ - سعد بن الحسن بن محمد الخطيب.

٤١ - سعد بن سعيد بن مسعود أبو الفتوح البزاز الحنفى الرازى.

روى عنه المنتجب فى الحديث الثالث من كتابه الأربعين.

٤٢ - سعد بن محمد بن محمود بن محمد بن أحمد أبو الفضائل المشاط الرازى (٤٧٩ - ٥٤٦).

ترجم له أبو سعد السمعانى فى التحيير ٢٩٠/١ و قال: كانت له يد باسطه فى علم الكلام، و معرفه تامه بذاك النوع من العلم... سمع أباه أبا جعفر المشاط.. لقيته بالرى يوما بالطريق.. و سمعت أن طريقته ليست بمرضيه، و لما دخلت داره لم أر به سمت الصالحين!.. و دفن فى مدرسته بالرى.

و ترجم له السبكى فى طبقات الشافعية ٩٠/٧ و قال: ذكره على بن عبيد الله بن الحسن منتجب الدين صاحب تاريخ الرى فى كتابه، و ذكر أنه سمع القاضى أبا المحاسن الرويانى، و أباه أبا جعفر محمد بن محمود المشاط، و أبا الفرج محمد بن محمود بن الحسن القزوينى الطبرى و غيرهم، قال: و توفى ليله الثلاثاء رابع عشر رمضان سنة ٥٤٦ و روى عنه حديثا قرأه عليه.

و لابنه أبى جعفر محمد بن سعد المولود سنة ٥٠٦ ترجمه فى ذيل تاريخ بغداد ٢٧٧/١، و المختصر المحتاج إليه ٢٨٩/٢، و فى طبقات السبكى ١٠٤/٦.

و عنه يقول ابن الجوزى فى المنتظم فى حوادث سنة ٥٥٥ (١٩٤/١٠):

و ظهر أقوام يتكلمون بالبدع و يتعصبون فى المذاهب... و أذن لرجل يقال له أبو جعفر بن سعيد (كذا) ابن المشاط فجلس فى الجامع فكان يسأل فيقال له: (الم ذلك الكتاب) كلام الله؟ فيقول: لا! و يقول فى القصص: هذا كلام موسى و هذا كلام النملة، فأفسد عقائد الناس و خرج فمات عن قريب.

و قال أيضا فى حوادث سنة ٥٦١ (ص ٢١٨): و كان ابن المشاط فى بغداد و كان يجلس فى الجامع فيقال له: ألم كلام الله؟

يقول: لا. فليل له: التين و الزيتون؟ فقال: التين فى الریحانيين و الزيتون یباع فى الأسواق.

و نقل فى تعليقه عن كتاب مرآه الزمان فى حوادث سنه ٥٦٠: و فيها عاد المشاط الواعظ إلى بغداد و تعصبوا له بجامع القصر، و أظهر البدع و كثرت الفتن بین الحنابلة و الأشاعره، و كان يقول هذا كلام الهدهد، هذا كلام بلقيس.. ما قال الله هذا...

أقول: و لا أدرى أى بنى المشاط یلقب بشهاب الدين صاحب كتاب زله الأنبياء! أ هو أبو الفضائل، أو أبوه، أو ابنه، فتراهم كلهم من هذا النمط و نسأل الله العصمه.

٤٣ - سعيد بن محمد بن أبى بكر أبو النجيب الحمامى الرازى، روى عنه قراءه عليه المنتجب فى الحديث ٥ من كتاب الأربعين.

من شیوخ السمعانى ترجم له فى التحيير ٣٠٩/١ و قال: فقيه صالح دين خير... و هو ثقة صدوق.. توفى بعد سنه ٥٣٧.

٤٤ - سعيد بن هبه الله أبو الحسين قطب الدين الراوندى المتوفى ٥٧٣.

٤٥ - سهل بن عبد الرحمن بن محمد أبو محمد السراج النيسابورى الزاهد المتوفى سنه ٥٤٧.

روى عنه منتجب الدين فى الحديث ١٦ من الأحاديث الأربعين قراءه عليه حين قدم الرى.

٤٦ - شرف بن عبد المطلب بن جعفر، أبو على الحسينى الأفضسى الأصبهانى، مترجم فى الفهرست.

حدث عنه ابن عساكر فى معجم شیوخه و سرد نسبه بأصبهان عن خال أبيه أبى الحسين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر الذكوانى بإسناده عن أبى هريره: أن فاطمه (ع) جاءت إلى أبى بكر و عمر تطلب ميراثها.

٤٧ - شمس الشرف بن على بن عبيد الله، أبو محمد الحسينى السيلقى، مترجم فى الفهرست روى عنه الحديث ٢٤ من الأربعين.

٤٨ - شميله بن محمد بن أبى هاشم فخر الدين الحسنى، مترجم فى الفهرست.

٤٩ - صالح بن الخليل أبو ثابت الرويانى.

٥٠ - طاهر بن أحمد بهاء الدين أبو محمد القزوينى النحوى.

روى عنه المنتجب فى الفهرست.

٥١ - طاهر بن محمد النحوى القزوينى.

ترجم ابن حجر فى لسان الميزان ١٠٦/١ فى ترجمه إبراهيم بن محمد بن على أبو المعالى الأنصارى و قال: هكذا قرأت فى تاريخ الرى لأبى الحسن بن بابويه و قال: روى لنا عنه عمر بن على بن الحسن البلخى و طاهر بن محمد النحوى القزوينى و غيرهما..

أقول: و لعله الذى قبله فصحف أحمد فى لسان الميزان إلى محمد.

٥٢ - عبد الباقي بن عبد الجبار بن عبد الملك القزوينى أبو نصر الجرجانى ترجم له الرافعى فى التدوين ثم روى عن منتجب الدين عنه بإسناده حديثاً.

٥٣ - عبد الجبار بن عبد الباقي بن عبد الجبار بن عبد الملك الجرجانى أبو الفرج بن أبى نصر القزوينى.

ص: ١٩١

بابويه مسموعاته و إجازاته، توفي سنة ٥٤٥.

٥٤ - عبد الجليل بن مسعود بن عيسى، الشيخ رشيد الدين أبو سعيد بن أبي الفتح الرازي المتكلم المحقق.

٥٥ - عبد الخلاق بن عبد الواسع بن عبد الهادي أبو الفتوح بن أبي رفاعه الأنصاري المتوفى سنة ٥٢٨.

٥٦ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد أبو سعد الحصري البصير الرازي، المتوفى سنة ٥٤٦ من شيوخ السمعاني و ابن عساكر.

روى عنه المنتجب قراءه عليه في الحديث ٥ و ٢٦ و ٢٧ من أحاديث كتابه الأربعين، و قرأ عليه ابن عساكر بالرى كما في معجم شيوخه.

٥٧ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن منازل أبو منصور بن زريق القزاز الشيباني البغدادى المتوفى سنة ٥٣٥، من شيوخ ابن عساكر و ابن الجوزى و السمعاني.

٥٨ - عبد الرحيم بن الشافعي بن محمد أبو المحاسن الرعوى القزوينى ترجم له الرافعى فى التدوين و أرخ ولادته بسنه ٤٥٨، و ذكر أنه أجاز لأحمد بن إسماعيل سنة ٥٤٨ و هو مستلق على فراشه لكبر سنه. و قال الرافعى: قرأت على بن عبيد الله منتجب الدين أنبا أبو المحاسن عبد الرحيم بن الشافعى سنة ٥٤٧ بقزوين، حدثنا القاضى أبو عبد الله حمد بن محمد بن الزبيرى قراءه عليه سنة ٤٦٨.

٥٩ - عبد الرحيم بن المظفر بن عبد الرحيم بن على، أبو منصور بن أبى سعد الحمدونى الرازى الحنيفى المعدل الشروطى، قرأ عليه ابن عساكر بالرى كما فى معجم شيوخه.

روى عنه منتجب الدين قراءه عليه الحديث ٣٨ من كتاب الأربعين.

و ترجم له الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة فقال: عبد الرحيم بن أبى سعد المظفر بن عبد الرحيم القاضى أبو منصور الحمدونى الراوى لصحيفه الرضا عن شيخه الذى قرأها عليه القاضى أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرويانى الشهيد فى سنة ٥٠٢.

ترجم السمعاني فى التحبير ٢١٤/١ لأخيه أبى طاهر الحسن و قال: كان من بيت الحديث سمع الكثير من أبيه أبى سعد... و أبى الفضل ظفر بن الداعى ابن مهدي العلوى.. و ترجم ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٤٤٧/٤ لأبيهما قوام الدين المظفر الحمدونى..

٦٠ - عبد الغفار بن محمد بن عثمان القومسانى.

٦١ - عبد الكريم بن إسحاق بن سهلويه أبو زرعه.

روى عنه الحديث ١٩ من كتاب الأربعين قراءه عليه.

٦٢ - عبد الله بن أحمد بن محمد البزاز.

٦٣ - عبد الله بن علي بن عبد الله أبو محمد الطامذي المقرئ الأصبهاني المتوفى سنة ٥٦٣.

قرأ عليه الشيخ منتجب الدين بأصبهان، وروى عنه كما في كتاب الأربعين في الحديث ١٢ - و طامذ من قرى أصبهان. ٦٤ - عبد الله بن محمد بن نجا بن محمد بن علي بن محمد بن شاتيل الدباس أبو محمد الضرير.

٦٥ - عبد الملك بن أحمد بن سعد، وجيه الدين الداودي الزيدى روى عنه في الفهرست.

٦٦ - عبد المنعم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد أبو الفتوح بن سعدويه الأصبهاني المعدل المتوفى سنة ٥٥٦.

من شيوخ السمعاني، ترجم له في التجميع ١/٤٩٠ و ياتى أبوه أبو سهل أيضا، وقرأ عليه ابن عساكر في أصبهان كما في معجم شيوخه ٦٧ - عبد الوهاب بن المبارك، الحافظ أبو البركات الأنماطي البغدادي (٤٦٢ - ٥٣٨)، من شيوخ ابن عساكر و ابن الجوزي.

٦٨ - عبيد الله بن الحسن بن الحسين، موفق الدين أبو القاسم بن بابويه والد المنتجب. مترجم في الفهرست.

٦٩ - علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن اللباد الأصبهاني المتوفى ٥٦٠، قرأ عليه بأصبهان في داره، وروى عنه في كتاب الأربعين، الحديث ٣٤، وقرأ عليه أبو سعد السمعاني أيضا.

٧٠ - علي بن أحمد بن محمود أبو الحسن الصحاف الأصفهاني، ذكره صاحب الروضات ٤/٣٢٠.

٧١ - علي بن الحسين بن علي أبو الحسن الحاستي.

مترجم في الفهرست، روى في كتاب الأربعين في الحديث ٢٢ و الحكاياه العاشره و وصفه فيها بقوله: شيخنا الفقيه الدين.

٧٢ - علي بن أبي صادق السعدي.

٧٣ - علي بن أبي طالب أبو الحسن هموسه الفرزادي، روى الحكاياه الأخيره في كتاب الأربعين.

٧٤ - علي بن عبد الجليل زين الدين البياضي.

مترجم في الفهرست.

٧٥ - علي بن عبيد الله أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي البغدادي (٤٥٥ - ٥٢٧).

٧٦ - علي بن القاسم بن الرضا أبو الحسين العلوي الحسنى، روى عنه الحديث الثامن و الحكاية ١١ من كتاب الأربعين قراءه عليه، و وصفه بالسيد الزاهد ترجم له فى الفهرست.

٧٧ - علي بن محمد زين الدين أبو الحسن الرازى، ترجم له فى الفهرست.

٧٨ - علي بن مسعود بن محمود بن الحكم أبو سعيد بن الفرخان، ترجم له فى الفهرست.

٧٩ - عمر بن أحمد بن منصور أبو حفص الصفار النيسابورى المتوفى سنه ٥٣٥. قرأ عليه و روى عنه حين قدم الرى كما فى كتاب الأربعين فى الحديث ١٥.

ص: ١٩٢

محمد بن محمود بن الحسن أبي الفرج الأنصاري عن منتجب الدين عنه.

٨١ - عمر بن علي بن الحسين البلخي القاضي أبو سعد المحمودي المتوفى سنة ٥٤٦هـ.

٨٢ - عمر بن الفضل بن أحمد بن عبد الله أبو الوفاء المميز الأصبهاني من شيوخ الحافظ ابن عساكر.

٨٣ - الفضل بن الحسن بن الفضل أبو علي أمين الدين الطبرسي المتوفى ٥٤٨هـ.

ترجم له في الفهرست.

٨٤ - فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسنی، السيد ضياء الدين أبو الرضا الراوندي، ترجم له في الفهرست.

٨٥ - الفضل بن محمد، أبو نصر النصري الحسنی.

٨٦ - القاسم بن الفضل بن عبد الواحد أبو المطهر الصيدلاني الأصبهاني المتوفى سنة ٥٦٧هـ.

قرأ عليه بأصبهان، وروى عنه في الحديث ٣٩ و ٤٠ من كتاب الأربعين، وروى عنه السمعاني أيضا.

٨٧ - قيس بن محمد، أبو عاصم المؤذن السويقي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ.

٨٨ - كيكاووس بن دشمن زيار الديلمي الطبري الأمير الشهيد.

٨٩ - لاحق بن بندار بن أبي بكر، أبو بكر الخياط.

٩٠ - لاحق بن الحصيب بن محمد بن علي أبو غالب الصيدلاني الكاغدي الأصبهاني. روى عنه الحديث الأربعين من كتابه

الأربعين ٩١ - لطف الله بن عطاء الله بن أحمد الحسنی الشجري النيسابوري.

٩٢ - أبو اللطيف بن أحمد بن أحمد بن أبي اللطيف رزقويه الأصبهاني نزيل خوارزم. ترجم له في الفهرست قرأ عليه بخوارزم.

٩٣ - مبشر بن أحمد بن محمود أبو الفتوح الصحاف الأصبهاني قرأ عليه بأصبهان وروى عنه في الحديث ٢٧ من كتاب

الأربعين.

٩٤ - المجتبي بن الداعي بن القاسم، السيد أصيل الدين أبو حرب الحسنی الرازي. ترجم له في الفهرست، روى عنه الحديث ١٨

و الحكايه الثانيه من كتاب الأربعين.

٩٥ - محمد بن إبراهيم أبو البركات الخليلي.

٩٦ - محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو سهل بن سعدويه المزكي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٠هـ.

٩٧ - محمد بن أحمد بن رجاء بن إبراهيم بن عمر بن يونس، أبو الحسين (أبو الخير خ ل) الأصبهاني. روى عنه في الحديث ٣٧ من كتاب الأربعين قراءه عليه بأصبهان.

٩٨ - محمد بن أحمد بن محمد بن عمر، أبو بكر بن الباغبان الأصبهاني المتوفى سنة ٥٤٠. قرأ عليه المنتجب و روى عنه في الحديث ٣٦ من كتاب الأربعين. ٩٩ - محمد بن أحمد بن يحيى، أبو عبد الله الديباجي العثماني المقدسي النابلسي المتوفى ببغداد في سنة ٥٢٧.

١٠٠ - محمد بن إسماعيل، أبو البركات المشهدى. ترجم له في الفهرست و روى عنه.

١٠١ - محمد بن حامد بن أبي القاسم الطويل القصاب الأصبهاني، قرأ عليه بأصبهان، و روى عنه في الحديث ١٣ من كتاب الأربعين.

١٠٢ - محمد بن الحسن بن علي، أبو غالب الماوردي (٤٥٠ - ٥٢٥).

١٠٣ - محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن، أبو جعفر بن أبي علي الهمداني المرودى.

١٠٤ - محمد بن الحسين الدينارى الآبى ترجمته فى الفهرست.

١٠٥ - محمد بن الحسين المحتسب ترجمته فى الفهرست.

١٠٦ - محمد بن حمد بن عبد الله، أبو شكر الصفار المستوفى الأصبهاني، قرأ عليه فى داره بأصبهان، و روى عنه فى الحديث ٢٥ من كتاب الأربعين.

١٠٧ - محمد بن حمد بن عبد الله، أبو نصر الكبريتى الفواكهى الوزان الأصبهاني. من شيوخ ابن عساكر.

١٠٨ - محمد بن حمويه بن محمد الجوينى الحموى الصوفى البحير آبادى المتوفى سنة ٥٣٠. روى عنه مكاتبه كما فى الحديث ٢١ من الأربعين.

١٠٩ - محمد بن رجاء بن إبراهيم بن عمر بن يونس، أبو الحسين، أبو الخير الأصبهاني، قرأ عليه فى أصبهان، و روى عنه فى الحديث ٣٧ من كتاب الأربعين.

١١٠ - محمد بن زيد بن محمد، أبو جعفر الهارونى الحسنى.

١١١ - محمد بن سعدون بن مرجى بن سعدون، أبو عامر العبدري الميورقى الفقيه الظاهرى نزيل بغداد سنة ٥٢٤. من شيوخ ابن عساكر و قال: أحفظ شيخ لقيته.

١١٢ - محمد بن شجاع بن أحمد، أبو بكر بن أبي نصر اللفتوانى الأصبهاني، من شيوخ السمعانى و ابن عساكر. و لفتوان إحدى

قراها.

١١٣ - محمد بن عبد الباقي، أبو بكر الأنصاري، قاضي المارستان، البزاز البغدادي مسند العراق و مسند الدنيا، ابن صهر هبه الحنبلي (٤٤٢ - ٥٣٥).

١١٤ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب، أبو الفتح الكشميهني المروزي (٤٦١ - ٥٤٨).

١١٥ - محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بحاطر (كذا) أبو حاتم الساوي. قرأ عليه و روى عنه في الحديث ٣٣ من كتاب الأربعين.

١١٦ - محمد بن عبد الكريم بن محمد، أبو بكر القلانسي العدل، روى عنه إجازة الحكاياه ١٢ من كتاب الأربعين.

ص: ١٩٣

١١٨ - محمد بن عبيد الله الحنفى، أبو جعفر القزوينى.

ترجم له الرافعى فى التدوين و قال: روى عن القاضى أبى المعالى أحمد بن قدامه كتاب الغرر و الدرر للمرتضى المعروف بعلم الهدى، بروايته عن المصنف. و رواه عن أبى جعفر على بن عبيد الله بن بابويه الرازى الحافظ.

١١٩ - محمد بن على بن محمد بن المطهر شرف الدين أبو الفضل العلوى الأجل المرتضى النقيب. ترجم له فى الفهرست و روى عنه فى الحكاياه ١٣ من الحكايات الملحقه بكتابه الأربعين.

١٢٠ - محمد بن على الموصلى،.

ترجم ابن حجر فى لسان الميزان ج ٢ ص ١٢٤ لجعفر بن محمد بن المظفر المترجم ناقلا عن فهرست ابن بابويه (منتجب الدين) و حكى عنه أنه قال:

حدثنى عنه الشيخ محمد بن على الموصلى. و كرهه فى ص ١٢٥ و إن أخطأ فى الأول فقال: ذكره أبو جعفر بن بابويه فى مصنفى الشيعة، و الصحيح أبو الحسن.

١٢١ - محمد بن على بن ياسر الجناتى.

١٢٢ - محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء، أبو الحسين بن أبى يعلى البغدادى الحنبلى (٤٥١ - ٥٢٦).

١٢٣ - محمد بن محمد بن محمد، أبو عبد الله العوفى البلخى.

ترجم له الرافعين [الرافعى] فى التدوين و روى عن المنتخب عنه.

١٢٤ - محمد بن ناصر بن محمد البغدادى، أبو الفضل السلامى الدار، الفارسى الأصل (٤٦٧ - ٥٥٠).

١٢٥ - محمد بن الهيثم بن محمد، أبو سعد الأصبهانى.

قرأ عليه فى داره بأصبهان، و روى عنه فى الحديث ١٧ و ٢٥ من كتاب الأربعين.

١٢٦ - محمود بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد، أبو الفتح الطالقانى الشاهد روى عنه الحديث الأول من كتاب الأربعين قراءه عليه.

١٢٧ - محمود بن على بن الحسن، سديد الدين الحمصى الرازى ترجم له فى الفهرست.

١٢٨ - محمود بن محمد بن عبد الجبار، أبو الفتوح المذكر الهرمزديارى السروى ثم الجرجانى. روى عنه الحديث الثانى من كتاب الأربعين قراءه عليه و قال: قدم علينا الرى.

١٢٩ - المرتضى بن الداعي بن القاسم، السيد صفى الدين أبو تراب الحسنى، روى عنه الحديث ١٤ فى الأربعين و الحكايه الثالثه منه و الخامسه.

١٣٠ - المرتضى بن المجتبى بن محمد السيد أصيل الدين العلوى العمري روى عنه فى الفهرست.

١٣١ - المرتضى بن المنتهى بن الحسين السيد كمال الدين الحسينى المرعشى ترجم له فى الفهرست.

١٣٢ - مسعود بن على بن منصور، أبو المحاسن الأديب روى عنه فى الحديث ٢٩ من كتابه الأربعين.

١٣٣ - منصور بن محمد بن الحسن، أبو المظفر الطالقانى.

١٣٤ - هبه الله بن أحمد بن عمر الحريرى البغدادى، المعروف بان [بابن] الطبر أبو القاسم المقرئ (٤٣٥ - ٥٣١).

١٣٥ - هبه الله بن جعفر بن أحمد السراج.

١٣٦ - هبه الله بن داود بن محمد، أبو المكارم تقى الدين، أو ثقه الدين الأصبهانى روى عنه فى الفهرست.

١٣٧ - هبه الله بن عبد الله بن أحمد، أبو القاسم الشروطى الواسطى المتوفى سنه ٥٢٨.

١٣٨ - هبه الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد، أبو القاسم بن الحصين الشيبانى البغدادى (٤٣٢ - ٥٢٥).

١٣٩ - يحيى بن طاهر بن الحسين، أبو سعد الأديب السمان المؤدب الرازى توفى بعد سنه ٥٣٧.

و هو ابن أخى أبى سعد السمان الرازى المترجم فى الفهرست.

روى عنه المنتجب فى أربعينه، الحديث العاشر منه قراءه عليه، و الحكايه السادسه و السابعه و الثامنه و التاسعه.

١٤٠ - أبو الحسن بن سعدويه القمى، روى عنه فى الفهرست.

١٤١ - أبو الحسين بن ذكوان بن أحمد بن الحسن الخطيب.

١٤٢ - أبو عمرو الخليلى البصير.

أبو الفضل الكرجى: محمد بن عبد الكريم.

١٤٣ - أم إبراهيم فاطمه بنت عبد الله الجوزدانيه الأصفهانیه توفيت سنه ٥٢٤.

١٤٤ - أم الضياء لامعه بنت الحسن بن أحمد الوراق.

١٤٥ - أم الشمس مباركة بنت أبي الفضل بن ماشاده.

١٤٦ - ملكة بنت الامام أبي الفرج محمد بن محمود القزويني.

تلامذته:

قال تلميذه الرافي في ترجمته من التدوين: وسمع منه الحديث بالرى أهلها و الطارئون عليها، و رأيت الحافظ أبا موسى المدني روى عنه حديثاً...

و هذا التصريح من الرافي مع كثره شيوخ منتجب الدين و رحلاته العلميه، و جده في الطلب، و طول عمره كل ذلك يوجب أن تكون في تلامذته، و الراوين عنه، و القارئين عليه، و مستجيزيه، و المجازين منه كثره هائله و عدد لا يحصون، و لكن التاريخ أهمل ضبط ذلك كله، و لم يلق الضوء على كثير منه و لا قليل، و ها نحن نذكر من عرفناه من تلامذته كنموذج لذلك، لثلا يبقى العنوان بغير معنون، و عسى في المستقبل يكشف لنا عن أسامى كثير ممن نهلوا من نميره، و اغترفوا من بحر فضله:

١ - أبو موسى المدني، و هو الحافظ محمد بن عمر الأصبهاني المتوفى سنه ٥٨١.

ص: ١٩٤

القزوينى المتوفى بالموصل فى شعبان سنة ٦٢٢.

٣ - الرافعى أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزوينى المولود سنة ٥٥٧ و المتوفى سنة ٦٢٣.

٤ - برهان الدين محمد بن محمد بن على بن ظفر الحمدانى القزوينى الذى روى الفهرست و الأربعين عن مؤلفهما استاذه منتجب الدين و كتبهما سنة ٦١٣، و هو مترجم فى الفهرست.

مؤلفاته

١ - كتاب الأربعين عن الأربعين من الأربعين:

جمع فيه أربعين حديثا فى فضائل أمير المؤمنين (ع)، عن أربعين شيئا من مشايخه باسنادهم عن أربعين صحابيا، و بدأ بالخلفاء ثم سعد بن أبى وقاص، ثم عبد الرحمن بن عوف، ثم سائر الصحابه.

ألفه بعد ما عرض عليه النقيب عز الدين يحيى الشهيد عام ٥٩١ بالرى كتاب "الأربعين عن الأربعين" للشيخ أبى سعيد محمد بن أحمد بن الحسين النيسابورى، فعزم على جمع ما يشبهه و يزيد عليه، فألف هذا الأربعين، و صدره باسم النقيب عز الدين يحيى و ألحق بآخره أربع عشره حكاية غريبه فى شأنه و فضله (ع)، كل ذلك بالاسناد يرويه عن مشايخه. (١)

و قرأه عليه فيما نعلم ثلاثه من تلامذته:

أحدهم: الرافعى، قال فى ترجمته فى التدوين: و من مجموعته كتاب الأربعين الذى بناه على حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه المترجم لأربعين حديثا، و قد قرأته عليه بالرى لسنة أربع و ثمانين و خمسمائه... و قرأت عليه الأربعين بتمامه.

و ثانيهم: مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القزوينى المتوفى ٦٢٢، قال ابن الصابونى المتوفى سنة ٦٨٠ فى تكمله إكمال الإكمال ص ١٧ فى ترجمه ابن بابويه منتجب الدين: روى لنا عنه الشيخ أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزوينى الصوفى أربعين حديثا فى الرباعى عن الأربعين من تخريجه بسماعه منه.

و ذكره ابن ناصر الدين المتوفى ٨٤٢، فى كتاب التوضيح و هو شرح على مشتبه الذهبى، فى ترجمه ابن بابويه منتجب الدين قال: و الامام أبو الحسن على بن الحسين بن بابويه الرازى خرج لنفسه أربعين حديثا، رواها عنه أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزوينى. (٢)

و قال ابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣ فى تلخيص مجمع الآداب فى ترجمه الشيخ منتجب الدين: ذكره الشيخ الحافظ صائن الدين أبو رشيد محمد بن أبى القاسم بن الغزال الأصبهانى فى كتاب الجمع المبارك و النفع المشارك من تصنيفه و قال: أجاز عامه سنة ٦٠٠، و له كتاب الأربعين عن الأربعين رواه عنه مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القزوينى. و قوله: "و له كتاب الأربعين... مردد بين أن يكون من تتمه كلام ابن الغزال، أو من كلام ابن الفوطى نفسه.

و ثالث من روى كتاب الأربيعين عن المؤلف من تلامذته هو برهان الدين محمد بن محمد بن علي الحمداني القزويني كما ذكره شيخنا الطهراني في الأنوار الساطعه ص ١٧١، و كما هو موجود على نسخ الأربيعين، و ذكر أنه نسخه لنفسه سنه ٦١٣ عن نسخه الأصل بخط شيخه المؤلف.

و قال ميرزا عبد الله أفندي في ترجمه المنتجب من رياض العلماء ١٤٦/٤ عند الكلام على أربيعينه: قد روى كتابه جماعه من العلماء، و قد وجد بخط جماعه من العلماء أيضا... و في هذا المورد بالهامش بخطه:

ثم قد رأيت في أول كتاب الأربيعين المذكور له نقلا عن خطوط العلماء..

روايه المفتقر إلى عفو ربه محمد بن محمد بن علي الحمداني القزويني عنه.

أقول: و الأسف أنه لم يصل إلينا حرف الميم من كتاب رياض العلماء سهل الله السبيل إليه.

و وعد في آخر الأربيعين أن يؤلف أربيعينا آخر، و لا- ندرى هل تيسر له إنجازه أم لا، فقد عمر بعد فراغه من الأربيعين نحو العشرين عاما.

٢ - تاريخ الري:

قال الرافعي في ترجمه المنتجب في التدوين: و كان يسود تاريخا كبيرا للري فلم يقض له نقله إلى اليباض، و أظن مسودته ضاعت بموته؟.

أقول: بل، لم تضع بموته و لا- بعد موته، و لعله بيضه أيضا و كان موجودا في القرن الثامن، فقد نقل عنه السبكي المتوفى سنه ٧٧١ في طبقات الشافعيه الكبرى ج ٧ ص ٩٠ ترجمه أبي الفضائل سعد بن محمد المشاط كما ذكرناه في شيوخه.

و بقي أيضا إلى القرن التاسع، و حصل عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنه ٨٥٢، و نقل عنه في لسان الميزان كثيرا من تراجم أعلام السنه و الشيعة، بل نقل عنه من تراجم أعلام الشيعة جماعه لم يذكرهم المنتجب في فهرسته، كما نقل ابن حجر في لسان الميزان عن فهرست المنتجب أيضا كثيرا، و ربما أطلق و قال: ذكره ابن بابويه.

قال: ذكره ابن بابويه في تاريخ الري، مما يظهر أن النسخه التي ظفر بها ابن حجر كانت ناقصه الآخر و الموجود فيها إلى حرف الميم، و إن كان المنتجب قد بدأ في تاريخه بالمحمدين كالخطيب و غيره، فنسخته كانت إلى أواخر حرف العين، حيث أن آخر ترجمه نقل منها ابن حجر ما عدا المحمدين هو عمر بن محمد بن إسحاق العطار الرازي و لم ينقل عن تاريخ الري فيما بعده شيئا.

و الأسف إننا إلى الآن لم نظفر بتاريخ الري لابن بابويه، و لا بتاريخ الريلابي سعد منصور بن الحسين الآبي المتوفى سنه ٤٢١.

و يبدو أن تلميذه الرافعي تبع أثر شيخه المنتجب و اقتدى فألف هو أيضا تاريخا كبيرا لوطنه قزوین و سماه " التدوين " .

هي رساله في المواسعه و المضايقه في وقت قضاء الصلاه الفائته، أو الصلوات الفائته، ذكرها شيخنا الطهراني في الذريعه ٢٧١/١٥ و قال: إنهه.

ص: ١٩٥

-
- ١- نسخه من أربعين منتجب الدين من نسخ القرن العاشر ضمن مجموعه رقم ٩٣٨٤ في مكتبه المجلس بطهران.
 - ٢- نسخه من كتاب التوضيح لابن ناصر الدين في دار الكتب الظاهريه بدمشق. و لكنى نقلت عنه من تعليقات الإكمال لابن مأكولا ج ١ ص ١٦٥ فقد أورده المعلق هناك عنه.

صدره باسم السيد عز الدين يحيى الذى صدر الفهرس باسمه أيضا...

و ذكر أنه يوجد عند السيد شهاب الدين و عليها شهاده صاحب رياض العلماء و ذكره لجمع آخر من المؤلفين فى المسأله...

و يظهر أن هذه المسأله كانت موضع نقاش و أخذ ورد فى أواخر القرن السادس، حيث أن ابن إدريس المتوفى سنه ٥٩٨ كان يذهب إلى التضييق فى وقت الفائته، و ألف فيه رساله سماها "خلاصه الاستدلال"، و ألف ورام بن أبى فراس المتوفى ٦٠٥ رساله فى الموضوع و انتصر فيها لابن إدريس، و منهم الشيخ على بن منصور بن تقى الدين الحلبي حفيد أبى الصلاح، ألف رساله فى ذلك و اختار التضييق و رد فيها على معاصره القائل بالتوسعه، أبى على الحسن بن طاهر الصورى و منهم السيد عبد الكريم بن طاوس ألف فى ذلك أكثر من رساله.

و لكن الشيخ أسد الله المحقق الدزفولى شكك فى صحه نسبه هذه الرساله لمنتجب الدين، قال فى المقابس ص ١٦ فى ترجمه منتجب الدين: و ربما يعزى إليه الرساله الموسومه بالعصره فى أحكام صلاه القضاء، و لعلها ليست كذلك كما بيناه فى منهج التحقيق.

أقول: منهج التحقيق فى التوسعه و التضييق ألفه المحقق الكاظمى فى الموضوع نفسه.

٤ - فهرست أسامى علماء الشيعة و مصنفاتهم.

هكذا وجد اسم هذا الكتاب بخط الحمدانى تلميذ المؤلف، و راويه عنه فيما كتبه من نسخته عن نسخه الأصل بخط المؤلف، و فرغ منه أواسط رجب سنه ٦١٣، و كل الروايات تنتهى إلى الحمدانى، و كل النسخ تنتهى فى النقل إلى نسخته.

و عبر المؤلف فى أول كتابه الأربعين عن كتابه هذا بقوله: فلما فرغت من جمع ما عندى من (أسامى علماء الشيعة و مصنفيهم)، و عبر عنه باسمه الكامل مع إضافه كلمه "الفهرست" حيث كرر ذكره فى نهايه كتاب الأربعين فقال: و لو سهل الله تعالى و أعطانى المهل و آخر الأجل أضفت إلى كتابى (فهرست أسماء علماء الشيعة) ما شذ عنى بحيث يصير مجلدا ضخما.

سبب تاليفه:

أما السبب المحفز له على تصدى جمع الفهرست فقد ذكره هو فى خطبه الكتاب، و أنه كان يوما عند السيد عز الدين يحيى النقيب الشهيد سنه ٥٩٢، فذكر فى خلال حديثه أن شيخ الطائفه أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى ٤٦٠ رحمه الله قد صنف كتابا فى أسامى مشايخ الشيعة و مصنفيهم، و لم يصنف بعده شىء، كالأسف المتألم من ذلك، ففهم منه المنتجب أنه يعرض عليه التصدى له و يطلب منه القيام به، فلبى طلبته و أجابه إلى رغبته و قال: لو أخر الله أجلي أضفت إليه ما عندى من أسماء مشايخ الشيعة و مصنفيهم...

تاريخ تاليفه:

و بصدد تحديد الفتره التى ألف فيها هذا الفهرست (حيث لم يؤرخ المنتجب فراغه من تاليفه) نقول: إنا قد علمنا من جهه أن

تأليف الفهرست كان قبل تأليف الأربعين حديثا، وهذا شيء مصرح به في خطبه كل من الكتائبين، و علمنا من جهة أخرى أن الرافعي قرأ على المنتجب كتابه الأربعين حديثا بالرى في سنة ٥٨٤، فيلزم أن يكون الفهرست قد أُلّف قبل هذا التاريخ.

و العجب أن يتصدى رجلان في عصر واحد لتتيمم فهرست شيخ الطائفة تأليف ذيل له، و كلا المتعاصرين من كبار رجالات الطائفة و عمد أعلامها، أحدهما الشيخ منتجب الدين في الرى، و الآخر الحافظ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المتوفى ٥٨٨ في حلب، و لم يعلم كل منهما بعمل الآخر و لا ذكر أحدهما الآخر في كتابه.

و كان المنتجب أنجحهما في عمله حيث كان في إيران و تجول في ربوعها، و كان ذا صلة بأبناء الطائفة في أرجائها، فسجل أسماء، و أحيا ذكر رجال تفرد هو بتدوينهم، و لو لا أنه سجل ذكرهم لم نهتد إلى شيء من ذلك، فأصحاب التراجم و المعاجم الذين ألفوا في هذا المعنى آخذون منه ناقلون عنه، كالشيخ المحدث الحر العاملي، و ميرزا عبد الله أفندي في رياض العلماء، و الخوانساري في الروضات، و المحدث النوري في المستدرک على الوسائل، و المحدث القمي في الكنى و الألقاب، و سيد الأعيان السيد الأمين، و شيخ الأعلام شيخنا العلامة الطهراني في أعلام الشيعة قدس الله أرواحهم الزكية و حشرهم مع مواليتهم أئمة العتره الطاهره (ع)، تراهم عبر القرون و اردین منهلہ و ناسکین منهجه مقتصرين في التراجم التي نقلوها عن فهرست المنتجب على ما ورد في الفهرست و لم يضيفوا إلى كثير منها كثير معلومات، و هذا يدلنا على أهميه هذا الفهرست و أصالته فيما سجل و قيد و جمع و خلد بحيث لو لم يتصد لها لحرمتنا منها.

السيد علي الغريفي بن السيد عدنان.

إشارة

ولد في اليوم التاسع و العشرين من شهر ذى الحجة الحرام من سنة ١٣٢٦ هـ في مدينة المحمرة، و توفي فيها سنة ١٣٥٩ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيه.

نشا و ترعرع في بيت زاخر بالمجد و الشرف و المعارف الالهيه، فأبوه السيد عدنان كان مرجعا لتلك الأطراف و مدرسا لجمع من الطلاب. حيث كان منزله ملتقى للضيوف و ذوى الحاجات.

تعلم القرآن الكريم و القراءة و الكتابة في المكتب على الطريقة القديمه المرسومه حين ذاك، فاخذ بالحضور على الملا حسين المؤذن، الذي كان من المعلمين المشهورين في ذلك الوقت في بلدته المحمرة، ثم بعد ذلك حضر في المقدمات (العلوم اللسانية) على أبيه السيد عدنان، و بعد وفاه أبيه سنة ١٣٤٠ هـ و كان عمره أربع عشره سنه أخذ بالحضور على الشيخ عيسى بن صالح الجزائري، الذي كان وصى أبيه، و القيم على أطفاله القصر، حيث بقى يواصل الدرس عنده إلى أن توفي الشيخ عيسى سنة ١٣٥١ هـ.

مؤلفاته:

ترك ديوانا شعريا ضاع أكثره، و طبع بعد وفاته ما بقى منه. و له الرضى من شعر المرتضى، و هو كتاب يضم مختارات من شعر الشريف المرتضى في أكثر من ٣٠٠ صفحة من القطع الصغير، و له: حواشى على دواوين كثيره، من جملتها ديوان الشريف

الرضى، و ديوان المتنبي يبين فيها السرقات أو يفسر

ص: ١٩٦

بعض أبياتها أو يبين معاني بعض لغاتها و بعض التعليقات على منظومه السبزواری فی الفلسفه.

و مختارات كثيره من شعراء جاهليين و إسلاميين تبلغ عده دفاتر.

و منظومه فصيح ثعلب، فقد نظم هذا الكتاب بكامله على شكل أرجوزه تبلغ أبيات المنظومه (١٣١١) بيتا و أبحاث و فوائد في علم الهيئه.

و كتابه عده دفاتر في اللغة و صيغها و مشتقاتها.

شعره:

قال مادحا أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين (ع):

تظن غصونا بالأراك موائلا تزر على شمس النهار الغلائلا

إذا عطفتها روعه الدل رنحت معاطف يدعوها الجهول ذوابلا

تدافع كالمخمور مالت به الصبا و قد كافحت فيه الجنوب الشمائلا

إذا نظرت خلت اللواظ أمطرت سهامها و كل العالمين مقاتلا

عرفت بها صدق الغرام و بطله و ما كنت أدري أن في الحب باطلا

عسى دوله الأيام تجمع نائيا و تسعف مشتاقا و تسعد واصلا

فقد تصحب الدنيا و تعطى قيادها أوانا و إن كانت غريما مماطلا

ألم تر أن الدهر قلد جيده بمولد (عباس) و قد كان عاطلا

فتى دب في حجر النبي محمد و أورثه عاداته و الشمائلا

تفرع مجدا من ذؤابه هاشم أثيلا و معروفًا و بأسا و نائلا

إذا ابتدر الرءون من حر وجهه سناه رأوا منه عليه دلائلا

لقد ولدت أم العلى منه أروعا جوادا على العلات شهما حلالا

لعمري لنعم النجل عنه تمخضت جنينا و كانت قبل جداء حائلا

غلام يعد الأتحميات خثره ثلاث عليه و القمماط حمائلا

يهش إذا هلهلن بشرا كأنه يخال صليل المرهفات الهلاهلا

و ما يرتضى بالمهد إلا و خاله سناما إلى أوج الفخار و كاهلا

يسود الورى - و هو ابن عامين - جمعا إذا ساد عمروا لقييل بكرا و وائلا

أ أحمد يا بن الأكرمين و من به غدا مجمع الإحسان و الفضل شاملا

ليهنيك مولود به الأرض نورت كان قد همت يمناه طلا و وابللا

فعاش حميدا فى الأنام مؤملا قتولا لدى النادى و فى الأزم فاعلا

و قال مادحا سيد الشهداء أبا عبد الله الحسين ع:

عصر الشباب كبرت عن أضلاله و نجوت حر الجيد من أغلاله

كان الصبا بردا خلعت جديده قبل المشيب و رحى فى أسماه

و المرء يرشده بياض فؤاده بسنا الهدايه لا بياض قذاله

أرخت حين بدا بخدى برقه ستر العذار مخافه أستر ساه

ضحكت إلى مباسم من فجره فدفعت مختارا إلى آصاله

عقلى الذى يزن الجبال فهل ترى يضحى غريق الكأس من جرياله

و لقد رمانى الشيب لكن جاوزت رأسى إلى قلبى سهام نضاله

أنا من حملت فتى تكاليف الحجى و لقد يضح الشيب من أحماه

تشكو الصبا ثقل الغبار و باطل أن تشكى رضوى من استثقاله

لا غرو أن أخط الغنى فالدر قد سكن الأجاج و عاف عذب زلاله

و لربما هان الفتى فى حيه كهوان قدر المسك عند غزاله

و الحظ قد يشتط ثمه يرعوى مثل الغريم يثيب بعد مطاله

لقى الهوان السيف أذهو زيره لكن أفاد العز يوم صقاله
كالدهر بالأشباح عز و إنما ولد (الحسين) فنال سن كماله
يوم كان الدهر - و هو أمامه - سلك الدياجى يهتدى بذباله
يوم على خد الزمان كبارق لو لا سناه لقلت كان كخاله
زان العصور كان يمنى الله قد عقدته إكليلا على أجياله
و جرى بميدان الدهور فمذ أتى شعبان كان به انتهاء مجاله
فليهنى الزهراء أن سليلها فى بحر هذا الكون من سلساله
من صفو نور محمد و وصيه فيمينه فى مجده كشماله
سر المهيمن روحه متجسدا فى لفظ كن فيكون لا صلصاله
هو من فيوضات الإله رضاعه أبدا فليس يحين يوم فصاله
و الله قلده بصارم بطشه نبلا و جليبه بيرد جلاله
من كان رأس الكون موطئ رجله أ ترى الهلال يكون شسع نعاله
أ و لا ترى الأفلاك لما تابعت حر كاتها طلبا لنيل نواله
و كان مرآه السما صقلت له فنجومها من عكس ظل خصاله
قد مد رضوان الإله رواقه فى الحشر تاوى الرسل برد ظلاله
سعد الهدى الأعلى فكل الأنبياء نالت سعادتها من استقباله
حكم القضاء مكنم حتى أتى فأبان سر مقاله بفعاله
أومى إليه بفجعه لو قالها علنا لدك الكون من زلاله
ركب البروق إلى العلى لم تعتلق كف من الأوهام فى أذياله
رامت أميه أن تحول بزعمها ما بين مطلبه و بين مناله

أو هل يبالي الليث أن قد جمعت زمر العناكب نسجها لعقاله

يهدى إلى الأذان بأس زئيره فيذكر الأكباد بأس صياله

لا تعط خدك للحسام إذا ابتغى تقبيله و احذر بياض جماله

ما للقريض و نعته من بعد ما صلى الإله على النبي و آله

و ارتجل هذه الأبيات فى رثاء أستاذه و مربيه الشيخ عيسى بن صالح عند ما ذهب إلى زياره قبره:

أبا صالح جئنا نؤدى زياره بها الكل من لقيا المزور على يأس

و ما كان بدعا أن ترد سلامنا علينا و لكن ليس يدرك بالحس

أتيناك نشفى الهم باللم ساعه لقبرك أو نستدفع الحزن باللمس

و ما كنت أدرى قبلها أن كوكبا يزار و روح القدس تودع فى رسم

على جسد فيه صلاه و رحمه و قدست من روح على و من نفس

و قال يريته:

أبا صالح أى نحب بقى و أى جديديك لم يخلق

أبتك زفره وجد متى يفض مدمعى أثرها يحرق

و عبره شجو متى يختلس من الجفن كامنها أشرق

أضل إذا جار دمعى على أعارضه بحشى مشفق

و أضرب فيك حنايا الضلوع بقلب إلى الحزن لم يسبق

أقيس على الياس منك الرجا قياسا بعقباك لم يصدق

و أنطق عن حكمه الله فى شفاك إذا هى لم تنطق

و أزجى الظنون بان ينجلى دجى الليل عن صبحه المشرق

و أستنجد الصبر و الحادثات تكرر على الصبر فى فيلق

و كم أتقى فيك ريب المنون فقد جاء من حيث لا أتقى

فليتك خلدت عمر الزمان أو ليت ذا الدهر لم يخلق

أفق فالمواكب ترنو إليك بطرف من الدمع لم يرمق

و تلك المآثم في مغرب تعج نواحا و في مشرق

يد قد لظمت وجوه الضلال بها تستجد من المرفق

و سيف رفعت به ساعدا هوى فأصابك في المفرق

أ تشكو إلى الله من داءك العضال و من جوره المطبق

و تترك ابناك و المسلمين ضياعا بلماعه سملق

و مما يهون وجدى عليك أنى ملاقى الذى تلتقى

و أن دموعى تذيب الفؤاد و أن زفيرى غدا محرقى

سيجزيك ربك في موقف يميز الخدوع من الملقى

و عذرا إذا نضب الشعر فيك فذا جهد ذى مقول موثق

و قال مراسلا صديقه السيد عباس شبر بتاريخ السابع من شهر شوال سنة ١٣٤٥:

تحن إلى نجد و قد يمتت نجدا ذمول أبت إلا السراب لها وردا

إذا استبقت للسير تحسب صارما يسلم على متن الربى و الدجى غمدا

إذا هبت النكباء كانت لها ردا و إن أرخت الظلماء كانت لها بردا

تخال هلالا ما ترى من نحولها و نجم الثريا فى مقلدها عقدا

تؤلف بين الشرق و الغرب إن سرت ذميلا فلا غورا تعانى و لا نجدا

تؤم رشا بالبيض و السمر خادر و ليس هما إلا اللواظ و القدا

أصادقه ودا فيعقبني جفا و أساله وصلا فيجبهني ردا

خليلي عوجا باركك الله فيكما على طلل عشنا به زمنا رغدا

أناخ بمغناه بكلكله البلا و ألبسه الأعصار ضافيه حصدا

و عهدى به للغير ملهى و للدمى مراح و لم يلو الزمان له وعدا

فما باله و الوحش فى عرصاته عكوف و قد أبدى له الدهر ما أبدى

و أسحم غريب الجبين كأنما أعارته طولاً من ذوائبها سعدى

كان به الشهب الدرارى أسنه تمزق من جسم الدجى بالسنا جلدا

كان به يصف الهلال مهند يسل على جيش الدجى مرهف حدا

كان سهيلاً حين يبدو و يختفى غريق ببحر الليل حيث طمى مدا

كان الثريا كف عاف يمدّها إلى كرم (العباس) مستجدياً رفدا

فتى أخرجلت غر السحائب كفه كما قد غدا حر الكلام له عبدا

فتى شاد بيت المجد بعد انهدامه و شد من العلياء حيث انثنت زندا

نماه إلى المجد المؤثل هاشم فأكرم به نسلاً و أكرم به جددا

إذا ما شكى العافون محلاً فكفه تجود ندى كالقطر حاشاه بل أندى

و أما دجا ليل الضلال فرأيه يضىء هدى كالبدر حاشاه بل أهدى

همام لو البدر استضاء بنوره لما ناله خسف و لا فارق السعدا

له خلق كالروض باكره الحيا تضوع مسكا لا خزامى و لا رندا

فيهدى لنا فى كل يوم شقائقا سقاها من الآداب ماء و لا صدا

فتى عاقر العلياء قد نتجت به و قد عقت عن أن تجىء له ندا

فيا أيها البحر العباب الذى طمى على الخلق إلا أنه سائغ وردا

ألا فاعذرن صبا يروم ثناءكم و هيهات أن يحصى ثناءكم عبدا

فدم رافلا فى ملبس العز ما شدا هزار و ما هام الفؤاد بكم وجدا

قال و قد أرسلها إلى أخيه السيد حسن يتشكى فيها من الزمان و يظهر ملله من الحياه:

ألا أبلغ أبا عدنان أنى بعثت القلب ينتشط القلاصا

عداك الهم أن أخاك أمسى أسير الهم لا يجد الخلاصا

بقلبي للزمان جراح ضيم و لم أملك من الجانى قصاصا

و كنت قنعت منه بنزر عيش فأصبح لا ينى إلا اعتياصا

و فضله مهجه فيها أغالى و يأبى جهده إلا ارتخاصا

ترامقنى الخطوب و قد دهنتى و أحسبها على رمقى توامى

ملالا للحياه لو أن حتفا يصاد لكنت آخذه اقتناصا

دعوت لقبض ملك الموت روحى فعاصى أو دعا أجلي فعاصى

و لما أن رأيت العقل دائى لبست الجهل سابغه دلاصا

فمن يرنى يجد ظهرا ثقيلًا من البلوى و أحشاء خماصا

إذا طرق البلاء فما سؤالى أعم سواى أم كان اختصاصا

و قال و أرسلها إلى أخيه السيد حسن يتشوق فيها إليه، و ذلك بتاريخ اليوم الثالث من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٨:

بقايا دموع أسارتها العواذل يرقق مسراها الصبا و الشمائل

يجاذبها الوجد الملح فتنكفى سراعا كما يهوى حصى متخاذل

تبين ما أخفى من الشوق و الهوى بتهماله حتى كانى بأقل

أدارى الهوى كيلا يروح بعزتى و إن وضحت منه على المخائل

إذا خطرت منه على القلب خطره تقاعس حتى شخصه متخاذل

على بان يلقى من الدهر صرفه و ليس عليه أن تغول الغوائل

عسى زمن أودی بریعان لذتی و غادر نجمی و هو خزیان آفل
یقرب داری من علا حسن العلی فینعم مشتاق و یسعد واصل
أخو الفضل محبوب إلى كل عاقل لیب و محسود لمن یتعاقل
سمیع و لو أن النداء رسائل قنول و لو أن اللسان الأنامل
شمائل لو أن الشمال تعطرت بارواحها لاستنشقتها الأصائل
خلیلی أن ضن الخلیل بوده و خدنی آیا قلته فهو فاعل
و قد یتلقى القلبان و الدار غربه و یجتمع الشمالان و البعد حائل
و قال:

أ نسیت عند هواکم التبریحا فظللت أرقب من سناه لموحا
أم أثقلتني فی المآقی دمعہ لم أرفعها فسفحتها ترویحا
أ أطعت فیک من العیون کواشحا و عصیت فیک من الفؤاد نصوحا
إن ضقت ذرعا فی العزاء فقد غدا أمد البکاء علی العزاء فسیحا
و نفضت کفی من سلوی إذ بدا و لهی و ضوحا و الجیین و ضوحا
ما أنذرتنیہ المحاسن مضمرا قد أنذرتنیہ العیون صریحا
أ علمت لحظک إذ یفاجئ لحظتی أدنی قضاء بالحمام أتیحا
أ یظنه ربح السلو بزعمه هیهات بل وجد الهیام رییحا

ما ضر طرفى أن طرفك ينثنى منى قريرا إذ يعود قريحا

خفض شجونك يا فؤاد فلن ترى من بعدها نحو الحسان طموحا

تركتك تعدو إثرها فى غايه يغدو بها الأمل القموص طليحا(١)

قلبي كعهدك يا جميله لا يرى إلا التجمل فى الغرام قبيحا

و قال سنه ١٣٤٦:

يوم أنس عددته بدهور نلت فى لهوه أتم سرورى

يوم سرنا إلى رياض تجلت فى ثياب من سندس و حرير

جمعت بين زنبق و أفاح كخدود دنت للثم ثغور

دبجتها يد الربيع بوشى خلعت فوقه غلائل نور

و كان الغمام قد ألبس الجو رداء يزر من كافور

و ترى الغيم فى الشقيق يبكى بدموع المقيم المهجور

كحباب على صفيحه راح فى كتوس أو لؤلؤ منشور

فقضينا بين لهو و قصف و نعيم صفا بلا تكدير

ثم سرنا على ظهور مطايا عائمات فى لبح ماء نمير

من بنات المياه لا وردها الثمد و لا رعيها لعاع البريد

تتهادى مع النسيم اختيالا كاختيال النشوان و المخمور

فقطعنا تلك الغمار بجهد و مسير تعسا له من مسير

و إذا بالأمها تبدت علينا فحمدنا عواقب التأخير

سافرات كأنهن بدور تتجلى فى جنح ليل الشعور

فيهم غاده تغشى سنا الطرف بجسم قد صيغ من بلور

إن في ذلك المحيا لمعنى عز عن كل ذى نهى و شعور

وجهها جنه المحاسن حفت من لماها بسلسيل غدیر

نظرت عن كمثل مقله ریم و عطف عن سوائف الیعفور

هی إن أقبلت فغصن نضیر و هی إن أدبرت فطود ثیر

حار ماء الشباب فی صحن خد يتلظى به ضرام السعیر

و كان الأصداع فی الوجنات البيض لیل علی جوانب نور

لو رأى بابك بن ساسان خديها فداها بنجله أردشير

لم تغيب شمس النهار و لكن كسفت من جمال شمس القصور

و قال:

إذا بت أستدنيكم بالتذكر علفت بصدق الوصل عن قول مفتر

سقى الله دهرًا أن سریت علی المنى سریت إلى اللذات غير معذر

تحسيت كاس الحب غير مصدر علی و صفو اللهو غير مكدر

إذا أنا باغت الحسان بنظره مشى بيننا حب طويل التحير

و إذا أنا من دل الثريا بمسمع و من فتن في مقلتيها بمنظر

إذا أمكنت من رقبه الهجر غره تجلى التصابي عن غريم و معسر

و شكوى متى يوكل إلى اللفظ بثها يطل و متى يوكل إلى اللحظ يقصر

و ما أنصفت جارت علی القلب فانبرى يجور علی دمعى لها المتحدر

أفانين وجد كل يوم يثيرها علی مدمعى من خلقه المتنكر

لعمرك ما حب الثريا بنافعي فتيلًا و لا وجدى عليها بمقصر

و ما نفعي إن قدر الحب بيننا إذا كان يوم الوصل غير مقدر

أزجى الظنون الحائمت فتشنى بأمثالها من مطمع أثر محذر
و ما أنكر الدمع الهتون و إنه لشاهد صدق عن جوى فيك مضمهر
سلى غير الأيام عنى لتخبرى مقيما على الأيام لم يتغير
ألفت الرزايا بل توهمت أن من عدته دعى فى نصابى و عنصرى
و ما ربحت لى صفقه بعد صفقه بها بعث روح القلب و الدهر مشترى
عثرت بامالى فأسرت فانبرت لتمسك أذيالى فشمزت مثرى
و منها:

و لله قلب إن أطلت عظيمه رسا و متى يعرض له الدم يذعر
و منها:

فيكذب فى ثلبى العدو بغيبتى و يصدق فى مدحى الحسود بمحضرى
أبيت على الحادى و قد عن موردى على القرب لما لم يضح لى مصدرى (٢)
و ما أنا بالساعى لأزجى ركائبى إلى منهج عنه تنكب معشرى
و قال من قصيده:

شرف لحبك يا نوار ظلم النفوس به تنار
أ يضل نهج الحب من ضوء الجبين له منار
وجه لو البدر اجتلاه غدا عليه له مدار
تنزو لمرآه القلوب كان نور الحسن نار
شكر اللسان مصرحا و القلب شكواه سرار
يا نظره خفت وراء الحسن دعوتها اغترار
شردت و لم يقصر خطأها عنه من حزم أسار

ظنوا الهوى طوع النهى ينقاد و الحب اضطرار

و قال أيضا:

صوره حسن أن تغب عن ناظري فلم تغب بالفكر عن تصوري

أ تدعوني عاشقا و إنما عرفت كنه الحسن بالتدبر

إن قلت لو لم تنظري أين الهوى تقول أين الحب لو لم تنظر

و قال:

ساهمت في الجمال أعيننا إنها أثرت به حمرة

ضل من أعمد الفؤاد و من عن فنون الهوى زوى فكره

لذه الدهر ثم لوعته عنونها بفعلها نظره

حرقه طي فتره أخذت منه لله درها فتره

و قال من قصيده:

غضبي نزا ألق الجمال الثائر في لحظها فاهتز قلب الناظر

نور الجمال طغت عليه ناره موجا عواصفه وراء سرائر

شبت لوامعه فخلت وميضها شرارا تطاير من خضم زاخر

في نضره الفردوس لون جحيمه كالبؤس يسطع في محيا الشاكر

سحر الهوى الغافى وراء جفونها يقظان ثار يمد خطوه عاثر

و منى جرت و النور في نظراتها عكست وعيدا حام حول محاجر

و تموج النشوات في أعطافها خمدت باسر دم الشباب الغائر

و ترنم سطع الضمير بعطره فضفا الخلود على نهى و ضمائر.

١- القموص: الدابه التي قمص بصاحبها أى تثب و تنفر. الطليح: التعب و المعيب.

٢- يضح: ينكشف. عن: ظهر.

خنقت بمكظوم الشجى أوتاره فتبدلت نبضاته بزوافر

ضحكاته كيف استحلن صواعقا تجتث أفنان الرجاء الناظر

و منها:

صاح الأسى فتبددت ألاحظها كالخمر أنت تحت ضغط العاصر

شفق عبوس قد تنفس من دم فى القلب يمشى فى ظلام داجر

يا قوه ريح الفناء شممتها منها تفوح من الحراك الفاتر

و قال:

أودعت آخره الحمول بمسمى ثم انثيت أودع التوديعا

قال:

لا تنكرى وجدى و لا لهفى فهواك أسلمنى إلى حتفى

ما زال يدعونى لبيعته حتى مددت له بها كفى

ناهيك من دمعى و من حرقى إن الفؤاد على شفا جرف

أ ما ترينى خاشعا أبدا لك فالهوى قد غض من طرف

أنا و الهوى إلفان ما افترقا و الالف قد بناى عن الالف

لكننى بالرفق أصبحبه و يسومنى التعذيب بالعنف

لا تطلبى منى سوى خلقى إن الذى أبدى الذى أخفى

أهوى الملاح و كل مخطفه ترنو إلى بمقلتى خشف

تبدو فتختطف العيون سنا و تعيب تحت الشعر فى سجعف

تجلو محاسنها فتحسبها قمرا على غضن على حقف

ويلى على أصداعها فلقد رويت من التقيبيل و الرشف

بيضاء ما ناطت قلائدها في جيدها حذرا من القرف

و تروقني الحسناء تملكني بدلالها و بعطفه العطف

تفتري في قرب و في بعد و تعن في ملل و في عطف

لا تنجز الوعد الذي وعدت إلا إذا وعدتك بالخلف

ترتاح بالهجران لاهيه و تفر من جور إلى عسف

قد كنت أستشفى بذكركم لو أن غير وصالكم يشفى

و قال:

هذا الغليل و ذا مناط شفافي ينحاز عنه القلب كالمتجافي

أنذرت قلبي أن حبا غازيا لك من ثنانيا طرفي العراف

إني و لي قلب يرى ما حجبت سجف العواقب من وراء سجاف

و قال:

تخالين بالإعراض عني و بالنوى دواما لأسباب الهوى و هو لي هلك

أرى الناس كل الناس لي من هواهم يقين و أما من هواك فلي شك

بكيتهك إشفافا من البين مره و أخرى له حين استقرت بك الفلك

و يوما لعيش عز عني مناله و آخر من نار على كبدي تذكو

أقول و قالوا آخر القرب أول السلو مقالا فيك زوره الافك

أجمع سلواني بها و تولهي عليها ألا أن السلو هو الشرك

و قال:

قامت عليه منادب العذال يسقونه السلوى و ليس بسال

عفرت جباههم لأن يتخالسوا منه علاله حبه المتغالي

تستجلب الأنواء و هي بكيه أن يدع يا للغيث للأطلال
ما دعوه العذال و هي نصيحه معني بأهون من شماته قال
لو كان يبصر موطننا في شاهق للحب واطن فيه أم رئال
عزت على أشياعه أمنيته حلت بحيث معاقد الأوجال
من دون أن يرمى لها حل الحبي و مهب عاديه و لفتح نصال
يا ليل جيرون أضاءك شارق حتى مناخك كله متلالى
قصرت من نومى فعندك بالهنا و بحاجر بالشجو و الإعوال
يا للأفيكه إنها معديه زعمت هواها لا يمر ببالي
ما كان عرقوب يضمن بوعدده و ضننت أن تعدى و لو بمحال
أولى لقلبك لو يصاب بلفحه لعلمت كيف تعارض الأحوال
و عذوله تستن فى مرح الصبا مشبويه بنضاره و جمال
أمست تغالطنى و تهتف ماله لا تزدهيه قوارع الأتوال
فأجبت هاتا أربه ممدوقه لا تقتضى إلا بطيف خيال(1)
يا هذه إن المرافق منهل خص المقيم منه بالأوشال
و الحب فوضى حكمه لكنه قد يتبع الحرمان بالأفضال
لانت أعاليه فهن مخاصر و عصت أسافله فهن الآلى
تقوى على حر المصاب حشاشه قويت على الاعراض و الإقبال
و قال:

ردى على من الوصال خيالا إن لم تنل منك العيون منالا
و دعى الحشا يلعب بها مكذوبه إن كان كذب الوعد منك نوالا

أما و قد حجبوا جمالك فاجعلى فى النوم من صور الخيال جمالا
أشكو إلى طيف الكرى طول الجفا شكوى الخضوع و ما شكوت ملالا
دلى فوادى كيف يرسم خاطرى صوراً تمر على الضمير عجالى
لما تفلت من جفونى حاولت إمساكه كفى ففر و زالاً
قال:

لعمر أبيها بين باك و باسم لقد بعثت منى صبابه عارم
ترقت إلى صعب المقاده مقرم أبى على مستحصدات الشكائم
أ هيفاء ما يدريك ما عله الجوى إذا اضطرمت بين الحشا و الحيازم
أ عرضت بالسقيا لمن ليس ظامئاً و أ عرضت عن ظام على الورد حائم
كعراضه مرت على المحل معرضاً و حلت عزاليها بغمر الخضارم(٢)
رميت و لما تعلمى من أصبته و أقتل رام صائب غير عالم
و يوم تجاذبنا الهوى لنت جانبا فاعرض و استخذى إلى ضبع حازم
و خف فوادى يسال النصف ضله فصار إلى جزل من اللهف جاحم(٣)
و نظره لاه أرسلتها غراره فما نزعته إلا بعض الأباهم
و موقف لهو لو نحاه ابن عاصم شرى حلمه بالجهل قيس بن عاصم
كلا طريقه بين ناه و أمر بوصل الهوى أو بين بو و رائم
يصد الفتى قصد التقى فيرده إلى الحب و مض من بروق المباسم
على أياد للقناع كريمه يبرح بى تقليدها آل هاشم
تزرخ عن رسل الغدائر وارد أثيث الأعالى واضح الفرق فاحم
أ هيفاء لم تلو البنان لحاجه و لكن لنشدان الدموع السواجمحر

١- أربه: حاجه.

٢- العراصه: السحابه ذات الرعد و البرق. عزاليها: يقال أنزلت السماء عزاليها إشاره إلى شده وقع المطر. الغمر: الماء الكثير.

الخضارم: جمع الخضرم، البحر الخضم.

٣- الجزل: الكثير. جاحم: يقال نار جاحمه أى شديده الحر

أ هيفاء ليت القلب ألفى طريقه فمر على الأصداغ مر النعائم (١)
أ هيفاء لو خلّيت عقلى فى يدى نزعّت عن البيض النحور النواعم
أ هجرا و قد نم الوشاه بوصلنا فىا ليت حقا قول أهل النمائم
لأن كان حكم الدهر أعلقنى بكم بقصد فان الدهر أعدل حاكم
وقال:

أ زائر مثنوى حيدر و هو ناصب و من ذا لأعمال النواصب يقبل
أبى الله أن يهدى سواء سبيله عتلا متى يهلك فللنار يعتل
أ تحسبى أذعوك شيخ ضلاله فعقلك عن فهم الضلاله يسفل
فدونك فاخذع تابعيك فكلهم حمار عليه حملة متوحل
رحلت إلى كوفان لا الأجر تبتغى و هل راغب فى الأجر من يتسول
و لكن لسر قد عرفنا خفيه و يدرك بعض الغيب من كان يعقل
و ما ذاك إلا أن ربح موائد من الغرب أهدتها لأنفك شمال
فطرت إليها راكبا كل صعبه تقود خميسا حيث تحمل يحمل
إذا ما هبطتم قريه فتعالب تعادى على أثر الدجاج و تعسل
عجبت لأجلاف عليك تطفلوا مع العلم منهم أنك المتطفل
أ لم يكف أن تلقى إلى الكلب كسره فىأكلها حتى لأهليه يحمل

السيد على نقى الحيدرى بن السيد أحمد:

ولد فى الكاظميه سنه ١٣٢٥، و نشأ فى بيت العلم و الصلاح، و سار على سنن آباءه و أجداده، و ترعرع فى ظل والده، و تتلمذ عليه، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، و درس على أبيه أيضا، و على الشيخ حسين الرشتى، و حضر أبحاث، الميرزا حسين النائنى، و السيد أبى الحسن الأصفهانى، و الشيخ عبد الله المامقانى، و الميرزا أبى الحسن المشكينى، و السيد محمود الشاهرودى و غيرهم.

ثم أقام في بغداد فكان من أبرز علمائها.

له من المؤلفات المطبوعه: أصول الاستنباط، و قد ترجم إلى الفارسيه، مذهب أهل البيت.

و من المخطوط: الدوحه الحيدريه. الأمثال القرآنيه.

و من أحفاده: الشهيد السيد فائز الذي أعدمه النظام العراقي سنه ١٩٨٧ و عمره عشرون سنه.

علي بن أسباط بن سالم الكندي، بياع الزطى،

كوفى من أصحاب الإمامين الرضا و الجواد (ع)، يروى عنهما، كان فطحيًا ثم رجع بعد مراسلات جرت بينه و بين علي بن مهزيار، كان ثقه صادق اللهجه، له كتاب الدلائل، و التفسير، و المزار، و النوادر و غيرها، روى عنه جمع منهم موسى بن جعفر البغدادي، و محمد بن الحسن بن أبي الخطاب، و محمد بن أيوب الدهاق، و ابن فضال، و أحمد بن محمد بن عيسى و غيرهم.

الشيخ علي الصحاف بن الشيخ محمد.

توفى في مدينه قم بايران سنه ١٣٢١. قال الشيخ جعفر الهلالي:

آل الصحاف من الأسر العلميه و الأديبه في مدينه الأحساء، توطن بعض أفرادها في العراق في كل من البصره و سوق الشيوخ. كما توطن قسم منها الكويت، و لا يزال فيها. و تقطن غالبية هذه الأسره في الأحساء ووطنهم الأصلي.

ولد المترجم في مدينه الهفوف عاصمه الأحساء آنذاك، و لم نقف على تاريخ ولادته. و نشأ في مدينه الهفوف مسقط رأسه، و بها أخذ دراسته العلميه على يد رجال من أسرته، منهم والده الشيخ محمد الصحاف، كما أخذ عن غيره من علماء بلده، و لم ندر هل سافر إلى النجف للدراسه العلميه أم لا، و إن كان الغالب من علماء بلده [بلده] قد درسوا فيها.

له ديوان شعر في مختلف الأغراض و المناسبات، و هو يشتمل على القصائد و التخاميس، و هو الآن عند بعض أحفاده في مدينه الأحساء أو الكويت، و قد ذكر ولد المترجم الشيخ كاظم الصحاف (٢) في ترجمته لوالده ديوانه هذا، و لكننا لم يتسن لنا الاطلاع عليه، و ما نقله من شعره هنا فقد نقلناه عن بعض المجاميع الخطيه في الأحساء، و قد ذكر بعض أشعار المترجم له السيد هاشم الشخص في مؤلفه عن علماء و أدباء الأحساء.

و يظهر أن الظروف القاسيه التي مرت بها بلاد الشاعر دعتة إلى مغادره وطنه و الهجره إلى إيران، و هناك الكثير من علماء هذه المنطقه و ما يجاورها قد تركوا أوطانهم و هاجروا بعد أن تعرضوا إلى الامتهان و الخوف من كيد الأعداء المتربصين، يجد ذلك كل من تتبع تراجم مجموعه من علماء الأحساء و القطيف و البحرين، الذين عاشوا هذه الظروف القاسيه.

و قد خلف أربعة من الأولاد، و هم: الشيخ أحمد، و الشيخ حسين، و الشيخ كاظم، و الملا ناصر، و قد امتهن هذا الأخير الأعمال

الحره، ثم تفرغ أخيرا للخطابه عن طريق المنبر الحسينى.

شعره

قال يستنهض الامام المهدي و يرثى الحسين.

ما بال تارك عن مارك نازح و لكم شجاه من الصبايه صادق

و إلى م لم تنهض به متطلبا و السيف فى كف انتصارك لائح

و شباه يقذف بالشواظ إذا انجلى كالصبح إلا أنه هو ذابح

يا من له الشرف الذى لا يرتقى من دونه انحط السماك الراح

هلا دريت بان أوج قبابكم هدمت و قوض من علاها الصالح

و شرائع الايمان غير حكمها مع محكم القرآن جل الفادح

فلئن تطل فى الغيب غيبتك التى كبرت و أنت بها خفى واضح

فالحق ما فى الدار غيرك مطلباً للطالين له يد و منائح (٣)

أنت الرجا و المرتجى و الغوث إذ عز النصير و قل فيه الناصح

حتى م حتى م النوى ابن العسكرى فمتى يلوح لك اللواء اللائح

ص: ٢٠١

١- النعائم: مفردة النعامى، ربح الجنوب.

٢- الشيخ كاظم الصحاف هو أيضا أحد شعراء الأحساء.

٣- المنائح جمع منحه: العطيه.

ضاق الخناق أبا الفتوح فلم نجد إلاك فاتحها فأنت الفاتح
أ و لم تهجك من الحوادث أسهم لم يخط عن أوتارها لك سانح
حتى فرت من جسم جدك مهجه بصفاحها، الله كيف تصافح
و تقاسمت أعضائه شفر الظبا فتضعضت من جانبيه جوانح
يا صاحب الأمر القديم إغاره فيها الذوابل و الصقال لوامح
أصقالكم أكدت سواعد غربها أو عربكم ضئلت و هن ضوايح
أم غلبكم وهنت و أنت مشيمها أم ضاع و ترك و هو عندك واضح
أ تغض طرفك عن طلابك طرفه كلا و منهم ساده و ججاجح
و السبط جدك فى الطفوف ضريبه و به هنالك فاجاتك جوانح
و بعين ربات الحجال محاميا دون الحجال و للصفاح يصفاح
فكأنه و السيف فى لجج الوغى رعد و برق فى السحاب قادح
لو لا القضا ما اعتاق فى شرك الردى يوما و لا صاحت عليه صوائح
و حموله الأرزاء عمتهك التى لا غاب عنها فى الحياه الفادح
هى فى النوى مقرونه بفوادح تدعو وقانى الدمع هام سانح
و تقول عاتبه و تردد الأسى بين الجوارح و الجوانح جائح
يا راكبا يطوى السباسب مرقلا فى كور هيمما للرياح تراوح
عج بالغرى على مليك عنده علم المنايا و البلايا طافح
هو من حوى علم الكتاب و حكمه نعم الخبير و من حوته ضرائح
و متى تجئه مفردا و يلوح من آيات مثواه المعظم لائح
فعليه سلم بل و قل: حلال كلل المشكلات و من لهن الفاتح

يا أيها أَلْتَبَّاءُ الْعَظِيمِ و من به الرحمن فى السبع المئانى مادح
يا ليت عينك و الحسين بنينوى و عليه ضاق من الفسيح الفاسح
يحمى الحرىم و مهره فى لجه الهيجا على مجرى المهند سابح
ما زال فى مهج العريكة موقدا لهب الوطيس و فى الكفاح يكافح
و الروس تحت شباه تهوى سجدا و عليهم أجسادهن طوائح
فى معرك حاذى به فلك السما حيث استقامت بالجسوم صحاصح
و بنات أحمد بعد فقد عزيزها أضحى يعنفها العدو الكاشح
و ضلوعهن من الأسى محنيه كالقوس أنحلها المسير النازح
يقتادها فى التير أسر مثقل لكنه هو للجوارح جارح
و بكل حى شهرت و مدينه فبذاك تمسى ثم ذاك تصابح
حتى أتين الشام يا لك ساعه فيها لهن صوائح و نوائح
و الكوكب الدرى من عم الورى من راحتيه مواهب و مصالح
بسلاسل الأقياد مطوى الحشا و من الضنى أوهى قواه الفادح
و هو الذى لو لا بقاه لما بقى للساجدين مساجد و مصابح
علام أسرار النبوه من له عقد الولايه زينته و شائع
أنتم لعمرى آل بيت محمد حجى و نسكى و الوجود الراجح
و بجاهكم فى الله آمل أنه عن سيئاتى و الخطايا صافح
و تقبلوا منى و شيحا زانه و شى الثناء و عن (على) سامحوا
بل فاشفعوا للوالدين بيوم إذ تنشق عنهم للمعاد ضرائح
هذى (صحافيه) بصحفى أثبتت و بها المتاجر فى الولايه رابح

صلى الإله عليكم ما هب من نفحات قدسكم نسيم فائح

و له قصيده يرثى بها الحسين - ع - منها قوله:

أ فهل أضنا نجم بثاقب فجلى ضياه دجى الغياهب

أم نور قبه كربلاء القدس قد فاقت بجانب

و سما بها بسما العلى سام كبت عنه الكواكب

و علت بها فوق الجنان مراتبا أعلى المراتب

و جاء فيها:

فاخضع لرفع مقامها و اسجد و قبل كل جانب

و اقرا سلاما للشهيد بكر بلا مثوى الكواكب

الحججه الكبرى على كل الأعاجم و الأعراب

و يقول فى آخرها:

لهفى عليه بكر بلا لما قضى عطشان ساغب

و بكت له الأفلاك و الأملاك ضجت فى المحارب

و بكت عليه الكائنات بادمع منها سواكب

و له من قصيده مطلعها:

أ لم يان للبتار لا يألف الغمدا يروى شباه من دما مهج الأعدا

و منها:

سراه بنى عدنان من لوليهم حسين بأرض الطف صاروا له جندا

و باعوا على الله العلى نفوسهم لكى يحفظوه فاشتراها له نقدا

رجال لعمرى لا يضمام نزيلها و إن نزلوا يوم الحروب تخل سدا

هم الصادقون الراشدون لأنهم قضوا ما عليهم فى سجل القضا رسدا
و حيث اجتباهم ذو الجلال و خصهم بمن كان خير المرسلين له جدا
قد اتخذوا السمر الرماح معارجا إلى الله حتى أنهم قارنوا السعدا
و زانوا جنان الخلد حين حوتهم و نالوا بها الرضوان و الفوز و الخلدا
فصار حسين يستغيث و لا يرى مغيثا سوى رن الحسام على الأعدا
يديهم فى دوائر من الردى دواهى لا تنتج إلا لهم وردا
و منها:

تروح عليه العاديات و تغتدى ترضض منه الظهر و الصدر و الزندا
باهلى و بى من جسمه عطر الثرى ففاق شذاها المسك و الند و الورد
و من عجب الأشياء أن كريمه على رأس رمح يكثر الشكر و الحمدا
و زينب ما بين النساء من الأسى تكابد ما أوهى حشاها و ما أودى
فله من خطب دهى قلب زينب تكاد تخر الشم من عظمه هدا

على بن محمد الحمانى.

مرت ترجمته فى الصفحة ٣١٦ من المجلد الثامن و نشر هنا هذه الدراسة عنه مكتوبه بقلم محمد حسين الأعرجى:

ص: ٢٠٢

و كان لهذين السببين أن يحبياه إلى أكثر فأكثر، فليس أعز على من أن أجد - و أدبنا العربي زاخر في أغلبه بالتلون و التملق - شاعرا يلتزم خطأ واضحا لا يكاد يحيد عنه، و ليس أقرب إلى نفسى من أن أجد شاعرا يخرج عن دائره الكذب على نفسه و على عصره فلا يمدح هذا الخليفه أملا بصلته، و لا يهجو ذاك الأمير ياسا من نواله.

و إزاء هذا وجدت في نفسى رغبه جامحه في جمع شعر هذا الشاعر و محاوله التعريف به، و الإشاره إلى مفاتيح دراسته قدر الإمكان، لأنى قد درستة دراسه مفصله في ثنايا رساله المذكوره و لا أريد هنا أن أكرر ما قلته هناك.

- ١ -

اسمه و نسبه و مولده:

هو على بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع) (١). يكنى أبا الحسن و ربما الحسين، و لكن ليس في ولده من اسمه الحسن أو الحسين، و يلقب بالعلوى الكوفى، و الأفوه، و الحمانى، و الأخير من أشهر ألقابه، و إنما عرف به لأنه "كان ينزل بالكوفه في بنى حمان فنسب إليهم..." (٢).

و أغلب الظن أن الشاعر ولد في الكوفه في سنه لم تؤرخها المصادر التى بين أيدينا و لم تورد ما يعين على تحديدها. و رغم هذا فمن المعاصرين من يرى أنه "كان من المعمرين أدرك القرن الثالث من أوله إلى آخره" و هو وهم مرده إلى أن الأمينى يرى أن وفاه أبيه كان سنه ٢٠٦ هـ، و إلى ما شع بين المتأخرين من خلط بين شاعرنا و بين على بن محمد بن جعفر الصادق المعروف بالديباجه. (٣)

و إزاء هذا فالإشاره الوحيدة التى وصلت إلينا إلى عمره قوله:

أعد سبعين و لو جملت نعمائها عادت إلى عام

و إذا أخذنا بأنه أدرك آخر القرن الثالث أخذ ترجيح، قلنا إنه ولد في العقد الثانى أو الثالث من القرن الثالث.

- ٢ -

نشاته و منزلته و وفاته:

نشا الحمانى في بيت معرق في الشعر فقد كان يقول: "أنا شاعر، و أبى شاعر، و جدى شاعر، و أبو جدى شاعر إلى أبى طالب" و ليس في قوله ادعاء أو مبالغه فقد وصل إلينا من شعر أبيه محمد بن جعفر مقاطيع، و عرف جده جعفر بالشاعر. و لكن هذه البيئه لم تدفعه إلى أن يأخذ علم العريبه في صباه عمن يعرفه في الكوفه، إذ ظل يشكو ضعف ملكته في النحو و اللغه و حتى الخط فاضطره هذا الضعف أحيانا إلى أن يهجر معانى مليحه تجيئه لأنه يشك في لغتها و فى اعرابها. و لا بد أن يكون في أسباب جهله هذا فقد الكوفه الحلقات العلميه في هذا القرن فنحن لا نعرف عالما كبيرا عاش فيها خلاله.

حظى محمد بن جعفر بمنزله كبيره فى الكوفه ورثها عنه - فيما يبدو - ابنه على الحماني، إذ كان - كما يقول المسعودى عن مكانته بين العلويين فى الكوفه -: "نقيهم... و شاعرهم، و مدرسههم، و لسانهم، و لم يكن أحد بالكوفه من آل على بن أبى طالب يتقدمه فى ذلك الوقت". و مما يدلنا على هذه المكانه الرفيعه أن صاحب الجيش الذى لقي يحيى بن عمر العلوى الثائر بالكوفه فقتله، قعد الحماني عن السلام عليه و لم يلقه على حين "لم يتخلف عن سلامه أحد من آل على بن أبى طالب... فتفقدته الحسن (صاحب الجيش) و سال عنه و بعث بجماعه فاحضروه، فأنكر الحسن تخلفه عن سلامه، فأجابه على بن محمد بجواب آيس من الحياه فقال: أردت أن آتيك مهنتا بالفتح، و داعيا بالظفر؟ و أنشد شعرا لا يقوم على مثله من يرغب فى الحياه...". و لعل الموفق قد أدرك أن هذه المنزله مما يؤمله لأن يجمع الأنصار و أن يثور بهم، فحبسه مدته طويله "لأمر شنع به عليه من أنه يريد الظهور" فلم يطلقه حتى كتب إليه:

قد كان جدك عبد الله خير أب لابنى على حسين الخير و الحسن

فالكف يوهن منها كل أنمله ما كان من أختها الأخرى من الوهن

فعاد إلى الكوفه و ظل بها إلى أن توفى فى سنه ٣٠١ هـ على ما يرجح الأمينى.

- ٣

شعره:

كان شعر الحماني مجموعا فى ديوان حتى القرن التاسع، فقد قال ابن عنبه المتوفى سنه ٨٢٨ هـ: "له ديوان مشهور و شعر مذكور" و ذكر إسماعيل البغدادي هذا الديوان و لكننا اليوم لا نعرف من أمره شيئا.

و شعر الحماني الذى وصل إلينا موزع على أغراض عديده منها:

الشكوى، و الفخر، و الغزل، و الرثاء، و الإخوانيات، و السياسه، و العقيده. و الاتجاهان الأخيران أغلب على شعره، بل إنك لتجد العقيده غالبه حتى على بعض إخوانياته. و من هنا رأينا العلويين يعتزون بشعره فيقول فيه الامام على الهادى (ع) إنه أشعر العرب، و يقول فيه الناصر الأطروش:

"لو جاز قراءه شعر فى الصلاه لكان شعر الحماني". و لا بد أن يكون فى أسباب اتجاه الحماني إلى السياسه و العقيده، منزلته الكبيره، و نسبه العلوى، و تشييعه. زد على ذلك ما اضطلعت به الكوفه من دور سياسى بارز فى هذا القرن و قبله، فقد شهدت خلال القرن الثالث وحده ما يقرب من خمس ثورات كان آخرها ثوره القرامطه.

و شعر الحماني صدى أمين لعصره من الناحيه الفنيه فضلا عن الناحيه التاريخيه. فهو حافل - على غير إسراف - بمذهب البديع، ابتداء بالتشخيص و انتهاء بحسن التعليل. كما أن ما شاع فى عصره من تحلل من بعض قيود العربيه موجود فى شعره ابتداء برفع الحال و انتهاء بتصريف الأفعال.

و الثقافة الشعريه و الأثريه التي حفل بها شعر القرن الثالث كان لها صدى فى شعره أيضا، ففي بعضه تضمين لأبيات مشهوره، و اقتباسات من الحديث النبوى الشريف. أما شيوع استعمال البحور النادره و القصيره فى شعر هذا القرن، فقد وجد له مكانا فى شعره أيضا فنظم فى مجازئ البحور و البحور القصيره.ق.

ص: ٢٠٣

١- تكرر بعض المصادر اسم جده محمد فتقول: على بن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن زيد... ينظر عمده الطالب: ٣٠٠، الغدير ٣: ٥٧.

٢- سمط اللآلى ١: ٤٣٩ و ينظر بشأن قبيله "حمان" الأنساب ٤: ٢٣٥-٢٣٦.

٣- خلط بينهما نفر من المعاصرين فأحالوا فى ترجمه الحمانى على حوادث سنه ٢٠٠ هـ فى تاريخ الطبرى، و هذه الحوادث تخص الديباجه و ليس الحمانى. و نذكر من هؤلاء على سبيل المثال المرحوم الدكتور مصطفى جواد فى تلخيص مجمع الآداب ١٠٤: ٤ حاشيه، و المستشرق يوهان فك فى كتابه العربيه: ١٣٧ إذ قال عنه: "لقد كان حفيدا لجعفر الصادق، و ابنا لمحمد الديباجه، الذى دعا لنفسه بالخلافه فى مكه سنه ٢٠٠ هـ..." و ليس الحمانى بحفيد لجعفر الصادق.

و بعد، فقد جمعت من شعر الحماني ما وقعت عيني عليه، و رتبته على القوافي، مقسما إياه إلى قسمين: أحدهما في شعر الحماني الذي لم يشاركه أحد في نسبته، و ثانيها في المنسوب. ثم قسمت هذا المنسوب إلى قسمين: أحدهما في الشعر الذي رجحت نسبته إليه، و ثانيها في الذي لم ترجح نسبته إليه. و قد كان الترجيح مبنيًا على دواعٍ عديدة منها: قدم المصدر، و تيره الشعر (نفس الشاعر)، و ما يشبه الإجماع. و إذ رتبت المقاطيع أثبت اختلاف الروايات في الحاشية، و دافعي إلى ذلك أنني أرى في عزلها آخر الديوان ما يشق على الباحث، و قد أكون مخطئًا في هذا إلا أنني توخيت السهولة التي أرجوها لنفسى - على الأقل - فيما أقرأه من دواوين. و إزاء كل هذا لا أدعى أنني قمت بكل ما يجب أن أقوم به، و أنني أتيت بكل ما ينبغي أن يؤتى به، فقد تكون هناك أبيات فاتتني، أو تصحيفات في أبيات لم أهدئ إليها، أو آراء جانبية الصواب في إثباتها، أو ترجيحات لم يقدّم الدليل المقنع عليها. فعسى أن يقوم المعنيون من أمر هذا العمل ما أعوج خدمه للتراث و حبا بالعلم.

(١) - الهمزة

عصيت الهوى و هجرت النساء و كنت دواء فأصبحت داء

و ما أنس لا أنس حتى المما تزيب الظباء تجيب الظباء

دعيني و صبرى على النائبات (٢) فبالصبر نلت الثراء (٣) و الثواء

و إن يك دهرى لوى رأسه فقد لقي الدهر منى الثواء

ليالى أروى صدور القناو أروى بهن الصدور الظماء

و نحن إذا كان شرب المدام شربنا على الصافنات الدماء

بلغنا السماء بانسابناو لو لا السماء لجزنا السماء

فحسبك من سؤدد أنابحسن البلاء كشفنا البلاء

يطيب الثناء لآبائناو ذكر " على " يزين الثناء

إذا ذكر الناس كنا ملوكا و كانوا عبيدا و كانوا إماء

هجاني قوم و لم أهجمأبى الله لى أن أقول الهجاء

ساع بكأس بين ندما نيكالغصن المنعصر الماء

كأنما يسعى لوجدى بهما بينهم فى ثنى أحشائي

أغار من وقفته كلما قال لحاسى الكأس: مولائى

حتى لقد صاروا و هم اخوتيمن شده الغيره أعدائى

لنا من هاشم هضبات عزمطنبه بابراج السماء

تطيف بنا الملائك كل يومو نكفل فى حجور الأنبياء

و يهتر المقام لنا ارتياحاو يلقانا صفاه بالصفاء

(٤) - ألباء

ابن الذى ردت عليهاشمس فى يوم الحجاب

و ابن القسم النار فيوم المواقف و الحساب

مولاهم يوم الغديربرغم مرتاب و أبى

(٥)

و ليل مثل خافيه الغرابعى مذاهب و خفى باب

دلقت له بأسود مستمر كما نظر الغضاب إلى الغضاب

أجش كأنما قابلت منتهبىق(٤) لجه و حريق غاب

تراه كان عينك لا تراها إذا وصل الوثاب إلى الوثاب

كان لدى مغابنه(٤) التماعاتتهارش(٥) عنده بقع الكلاب

يخالس بينها رفعا و وضعاكما خفقت بنانك بالحساب

هبنى حننت إلى الشباب(٦) فطمست شيبى باختصابى

و نفقت عند الغانيا تبحيلتى و جهاز مابى

من لى بما وقف المشيبعليه من ذل الخضاب؟

و لقد تاملت الحياهبعيد فقدان التصابى

فإذا المصبيه بالحياههى المصبيه بالشباب

بكى للشيب ثم بكى عليه فكان أعز من فقد الشباب

٢ - فقل للشيب لا تبرح حميدا إذا نادى شبابك بالذهاب

بأبى فم شهد الضمير لهقبل المذاق بأنه عذب

٢ - كشهادتى لله خالصهقبل العيان بأنه الرب

٣ - والعين لا تغنى بنظرتهاحتى يكون دليلها القلب

سقيا لمنزله و طيبين الخورنق و الكثيب

بمدافع الجرعات منأكناف قصر أبى الخصيب

دار تخيرها الملو كفهتكت رأى اللبيب

واها لأيام الشبايعدن عن عهد قريب

أيام غصن شيبتيريان معتدل القضيب

أيام كنت من الطروبهللصبا و من الطروب

أيام كنت من الغوانيفى السواد من القلوب

لو يستطعن خباننبيين المخاتق و الجيوب

أيام كنت و كن لامتخرجين من الذنوب

غرين يشتكيان مايجدان بالدمع السروب

لم يعرفا نكدا سويصد الحبيب عن الحبيب

قالوا [قالوا] له: ما ذا رزقتا؟ فاصاخ، ثمه قال: بنتا

و أجل من ولد النساء أبو البنات فلم جزعتا؟

إن الذين تود منبين الخلائق ما استطعتا

نالوا بفضل البنت ما كتبوا به الأعداء كبتا).

ص: ٢٠٤

١- المغابن: الآباط.

٢- في الأصل: نائبات.

٣- في الأصل: الثرى.

٤- في الأصل: نهادس.

٥- إشاره إلى النبي محمد (ص).

٦- التبعق: الاندفاع فجاه.

أن صدر النهار أنضر شطريهكما نضره الفتى فى فتاته
 لعمر ك للمشيب على مما فقدت من الشباب أشد فوتا
 تمليت الشباب فصار شيبا و أبلت المشيب فكان موتا

الحاء (١٢) ١ -

فيا أسفى على النجف المعربو أوديه منوره الأقاح

٢ - و ما بسط الخورنق من رياضمفجره بافنيه فساح

٣ - و وا أسفا على القناص تغدوخرائطها على مجرى الوشاح

(١٣)

و إذ بيتى على رغم الملاحيهو البيت المقابل للضراح(١)

و والدى المشار به(٢) إذا مادعا الداعى ب "حى على الفلاح"

(١٤)

مررت بدور بنى مصعبيدور السرور و دور الفرح

٢ - فشبته سرعه أيامهمبسرعه قوس يسمى قزح

٣ - تلون معترضا فى السماء فلما تمكن منها نرح

(١٥) قال يرثى يحيى بن عمر العلوى:

يا بقايا السلف الصالح و التجر الرياح

نحن للأيام ما بين قتيل و جريح

خاب وجه الأرض كم غيب من وجه صبيح

آه من يومك ما أوداه للقلب القريح

الدال (١٦) قال يرثى أخاه لأمه إسماعيل:

هذا ابن أمى عدیل الروح فى جسدی شق الزمان به قلبى إلى كبدى

فاليوم لم يبق شىء أستريح به إلا تفتت أعضائى من الكمد

أو مقله بخفى الهم باكيه أو بيت مرثيه تبقى على الأبد

ترى أناجيك فيها بالدموع وقد نام الخلى و لم أهجع و لم أكد

من لى بمثلک يا نور الحياه و يا يمنى يدى التى شلت من العضد؟

من لى بمثلک أدعوه لحادثه يشكى إليه و لا يشكو إلى أحد؟

قد ذقت أنواع تكل كنت أبلغها على القلوب و أجانها على كبدى

قل للردى: لا تغادر بعده أحدا و للمنيه: من أحببت فاعتمدى

إن الزمان تقضى بعد فرقته و العيش آذن بالتفريق و النكد

(١٧)

هبنى بقيت على الأيام و الأبدو نلت ما شئت من مال و من ولد

من لى برؤيه من كنت آلفهو بالشباب الذى ولى و لم يعد

لا فارق الحزن قلبى بعد فرقتهمحتى يفرق بين الروح و الجسد

(١٨) ١ -

قالوا: تمن ما هيوت و اجتهد ٢ - فقلت قول المتشكى المقتصد:

٣ - لقاء من غاب و فقد من شهد

(١٩)

فلما ورد الشيبينوعين من الورد

تصديت فصدت خلوهمن ألم الصد

كما صدت عن الشمس سراعاً أعين الرمد

رفعناه على أعمدهم من قضب الهند

على حقف نقا مثلتد اريج قفا جعد

(٢٠)

و بيت قد بنينا فارد كالكوكب الفرد

رفعناه على أعمدهم من قضب الهند

على حقف نقا مثلتد اريج قفا جعد

(٢١)

و من سلم جبريل عليه ليله الجد

(٢٢)

كان هموم الناس في الأرض كلها كلى و قلبى بينهم قلب واحد

و لى شاهدا عدل: سهاد و عبر هو كم مدع للحق من غير شاهد؟

(٢٣)

فان تسالينى ما الخضاب فانيليبست على فقد الشباب حدادا

(٢٤)

إذا كنت، لم أفقد الغائبينو إن غبت كنت فريدا وحيدا

تباعد نفسى إذا ما بعدتفليست تعاود حتى تعاودا

[و] أشبهك البدر حسنا فماتناقص حسنك حتى يزيديا

محا حسن وجهك عنى الملامو أسكت طرفك عنى الحسودا

(٢٥) قال يطعن فى نسب الشاعر على بن الجهم مخاطبا إياه:

لو اكتنفت النضر أو معدا أو اتخذت البيت كهفا و مهدا

و زمزما شريعا و وردا و الأخشيين(٣) محضرا و مبدا

ما ازددت إلا من قریش بعدا أو كنت إلا مصقليا(٤) و غدا

(٢٤)

أجالس معشرا لا شكل فيهمو أشكالي قد اعتنقوا اللجودا

(٢٧)

أعاده من عقابيل الصبا عيدو عاد للوم فيه اليوم تفنيد؟!

ص: ٢٠٥

١- الضراح: بيت في السماء.

٢- ربما هي: المشار له، أو المشار به، من الإشاده، و يبدو أن المقطوعتين من قصيده واحده.

٣- الأخشبان: جبلان بمكه، أبو قبيس و الأحمر و جبلا منى.

٤- ربما هي صقليا.

هذا و حرف إذا ماتت مفاصله عن راكب وصلت أكفاله بيد

يهماء لا يتخطاها الدليل سرى إلا و ناظره بالنجم معقود

جاوزتها و الردى رحب معالمة فيها و مسلكتها بالخوف مسدود

(٢٨)

حسب العواذل أن الوجد أو حشهمن نومه فكان النوم تسهيد

أبقى الهوى منه جسما كالهواء ضنيتنسم الريح فيه و هو مفقود

كان مدمعه تجرى أوائلهكما يفيض على أخراه مردود

أنست بالذكر منها و السهاد لهاعجب به من مسيء و هو مورود(١)

أبعتها نفسا تدمى مسالكهكأنه من حمى الأحشاء مقودود

ما زلت أعرف أيامى و أنكرهاحتى انبرت و هى لا بيض و لا سود

خاضت بى الشك حتى قال قائلها: لا القرب قرب و لا التباعد تباعد

(٢٩)

دان مسف فى كل ناحيهمن قطره طنب فى الأرض مشدود

ظلت مناكبه فى الأرض لاصقهكأنه بتلاع الأرض مصفود

(٣٠)(٢)

بين الوصى و بين المصطفى نسبتختال فيه المعالى و المحاميد

كانا كشمس نهار فى البروج كما أدارها ثم أحكام و تجويد

كسيراها انتقلا من طاهر علمالى مطهره آباؤها صيد

تفرقا عند عبد الله و اقترنا بعد النبوه، توفيق و تسديد

و ذر ذو العرش ذرا طاب بينهما فانبت نور له فى الأرض تخليد

نور تفرع عند البعث و انشعبتمنه شعوب لها فى الدين تمهيد

هم فتيه كسيوف الهند طال بهمعلى المطاول آباء مناجيد

قوم لماء المعالى فى وجوههمعند التكرم تصويب و تصعيد

يدعون أحمد أن عد الفخار أبوا العود ينبت فى أفنانه العود

المنعمون إذا ما لم تكن نعمو الذائدون إذا قل المذاويد

أوفوا من المجد و العلياء فى قللشم قواعدهن البأس و الجود

ما سود الناس إلا من تمكن فىأحشائه لهم ود و تسويد

سبط الأكف إذا شيمت مخايلهماسد اللقاء إذا صد الصناديد

يزهى المطاف إذا طافوا بكعبتهو تشرئب لهم منها القواعيد

فى كل يوم لهم بأس يعاش بهو للمكارم من أفعالهم عيد

محسدون و من يعقد بحبهمجبل الموده يضحى (كذا) و هو محسود

لا ينكر الدهر أن ألوى بحقهمفالدهر - مذ كان - مذموم و محمود

(٣١) قال يخاطب صاحب الزنج و قد ادعى أنه علوى:

يقول لك ابن عمك من بعيد لتبت(٣٢) أو لنوح أو لهود؟

لهجت بنا بلا نسب إلينا و لو نسب اليهود إلى القروود

لحقت بنا على عجل كانا على وطن و أنت على بريد

فهبنا قد رضيناك ابن عم فمن يرضى بافعال اليهود؟

الراء (٣٢)

و قائله و السكب منها مبادرو قد قرحت بالدمع منها المحاجر

و قد أبصرت "حمان" من بعد أنسهابنا و هى منا مقفرات دواثر

" كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكه سامر "

فقلت لها و القلب منى كأنما تخلبه بين الجناحين طائر

" بلى نحن كنا أهلها فالناصر وف الليالى، و الجدود العواثر "

أرقت، و ما ليل المضام بنائموا قد ترقد العينان و القلب ساهر

فيا نفس لا تفنى أسى و اذكرى الأسيفيوشك يوما أن تدور الدوائر

(٣٣) - ١

إنما الدار بالحلول فان همفارقوها، فحيث حلوا الديار

(٣٤) قال يجيب الوضاح الكوفى و قد اعتذر إليه.

ليس جود الربيع راشف وجه الأرض عن مبسم من الأنوار

لا و لا العاشقان ضمهما الشوق على غايه الضنى فى إزار

فهما ملصقان كالساعد البيضاء عضضتها بضيق السوار

كاخ عهدده و هدى فى الود كعهد الأنواء و الأمطار

رق معناهما فلم يلبسا الأيام إلا على اقتراب المزار

لج فى الاعتذار من شفق الوجد و أجلته عن الاعتذار

(٣٥)

ليالى يالفك الغانياتو كن و كنت صغيرا صغارا

و قد كنت تملك الحاظهنفصرت يعرنك لحظا معارا

فاصبحن أعقبن بعد الودادبعادا و بعد السكون النفارا

فلا غرنى غرر الحادثانو قد كنت أوسعهن اغترارا

(٣٦)

كم نظره منها شجيت لهاقامت مقام الفقد للنظر

ولى (٤) باوطارى و لست أريعيشا يهش له بلا وطر

(٣٧) قال يرثى يحيى بن عمر العلوى:

قد كان حين بدا الشباب به يقق السوالف حالك الشعر

و كأنه قمر تمنطق فى أفق السماء بداره البدر (كذا؟)

يا بن الذى جعلت فضائله فللك العلا و قلائد السور

من أسره جعلت مخايلهم للعالمين مخايل النظر

تتهيب الأقدار قدرهم فكأنهم قدر على قدر

و الموت لا تشوى رميته فللك العلا و مواضع الغرلت

ص: ٢٠٦

١- ربما هي: مردود.

٢- يبدو أن المقطوعات ٢٨، ٢٩، ٣٠، من قصيده واحده.

٣- ربما هي إشاره إلى الآيه الكريمة: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّتْ)، و كان الحمانى يريد أن يقول له ساخرا: إذا صحت نسبتك إلينا فانت من أبى لهب.

٤- ربما هي: ولت

و أنزله منه على رغبة العديكهارون من موسى على قدم الدهر(١)
 فمن كان فى أصحاب موسى و قومهمكهارون؟ لا زلتم على زلل الكفر
 و آخاهم مثلا لمثل فأصبحتاخوته كالشمس ضمت إلى البدر
 فاخى عليا دونكم و أصارهلكم علما بين الهدايه و الكفر
 و أنزله منه النبى كنفسهروايه أبرار تادت إلى البر
 فمن نفسه منكم كنفس محمدا؟ ألا بأبى نفس المطهر و الطهر

(٣٩) ١ -

و نحن سننا الصبر فى كل موطنو حطت مساعينا على خطط الفخر

(٤٠) ١ -

الفاصل الخطب الذى باسمهيمتحن الايمان و الكفر

(٤١)

لا تكتسى النور الرياض إذالم يروهن مخايل المطر

و الغيث لا يجدى إذا ذرقتآماق مدمعه على حجر

و كذاك لو نيل الغنى بيدلم تجتذب بسواعد القدر

(٤٢)

كان نجوم الليل سارت نهارهاو وافت عشاء و هى أنضاء أسفار

فخيمن حتى يستريح ركابها فلا فلك جار و لا كوكب سارى

(٤٣)

و ركب ثلاث كالأثافي تعاودوا دجى الليل حتى أومضت سنه البدر

إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحدو إن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

(٤٤)

وجه هو البدر إلا أن بينهما فضلا تلاً عن حافته النور

فى وجه ذاك أخاطيط مسودهو فى مضاحك هذا الدر منثور

(٤٥) قال يصف سرعه فرس:

١ -

يبادر الناظر و هو بيدرهكان من يبصره لا يبصره

(٢)السين (٤٦) ١ -

ليس لبس الطيالسمن لباس الفوارس

٢ - لا و لا حومه الوغيكصدور المجالس

الضاد (٤٧)

يا شادنا أفرغ من فضهفى خده تفاحه عضه

كأنما القبله فى خدهللحسن من رفته عضه

يهتز أعلاه إذا ما مشيو كله فى لينه قبضه

ارحم فتى لما تملكتهأقر بالرق فلم ترضه

العين (٤٨)

لقد فاخرتنا من قريش عصابهمط خدود و امتداد أصابع

فلما تنازعنا الفخار قضى لناعليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتا و الشهيد بفضلناعليهم جهير لصوت فى كل جامع

بان رسول الله لا شكك جدناو نحن بنوه كالنجوم الطوالع

(٤٩)

و ليل تراه و أقطارهما أدرع الشملة الأسفع
كان الفجاج على سالكيهسدت فليس لها مطلع

(٥٠)

تري ضبها مطالعا رأسهكما مد ساعده الأقطع
له ظاهر مثل برد الوشيو بطن كما حسر الأصلع
هو الضب ما مد سكانهو إن ضمه فهو الضفدع

(٥١)

تضوع مسكا جانب القبر أن ثويو ما كان لو لا شلوه يتضوع
مصارع أقوام كرام أعزها يبح ليحيى الخير فى القوم مصرع

الفاء (٥٢)

كم وقفه لك بالخورنقما توازى بالمواقف

بين الغدير إلى السدير إلى ديارات الأساقف

فمواقف الرهبان فيأطمار خائفه و خائف

دمن كان رياضهايكسين أعلام المطارف

و كأنما غدرانها فيها عشور فى المصاحف

تلقى أوائلها أو اخرها بألوان الرفارف

بحريه شتواتها بريه فيها المصايف

دريه الحصباء كافوريه منها المشارف

باتت سواريهما تمخضفى رواعدها القواصف

و كان لمع بروقهافى الجو أسياف المثاقف

ثم انبرت سحا كباكيهباربعه ذوارف

فإنما أنوارها تهتز فى الدرج العواصف

طرر الوصائف يلتقينها إلى طرر الوصائف

دافعتها عن دجها بالقلب البيض الغطارف

- ١٥ -

يعقب (٣) يوم البأسشرايين فى يوم المتارفل.

ص: ٢٠٧

١- فى البيت إشاره إلى حديث النبى الكريم (ص) يخاطب الامام عليا (ع): " أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى من بعدى "

٢- اكتفى صاحب المحاضرات بقوله إنها للعلوى، و إنما أثبتناها هنا لأنه يفرق بينه و بين الرضى بان يسمى الرضى: الموسوى، و بينه و بين ابن طباطبا العلوى بان يسميه: ابن طباطبا، و معنى هذا أنه لا- يصف بالعلوى غير الحمانى، و اطلعت مؤخرا - و أنا أصحح تجارب الطبع - على ديوان أبى سعد المخزومى صنعه الدكتور رزوق فرج رزوق فوجدتها له، و على هذا فهى مما ينسب للحمانى.

٣- كذا هى، و يرى الدكتور مصطفى جواد أنها: " تثقين " و التثق: الممتلى غيضا، و تصويبه معقول.

سمح بحر المال وقافون فى يوم المتالف
واها لأيام الشباب و ما لبسن من الزخارف
و زوالهن بما عرفت من المناكر و المعارف
أيام ذكرك فى دواوين الصبا صدر الصحائف
واها لأيامى و أيام النقيات المراشف
و الغارسات البان قضباننا على كذب الروادف
و الجاعلات البدر ما بين الحواجب و السوالف
أيام يظهرن الخلاف بغير نيات المخالف
وقف النعيم على الصبا و زللت عن تلك المواقف

(٥٣)

بنا يستثار العز عن مستقرهو عن سخطنا تدمى أنوف المخالف
تقول قريش و هى تفخر: إنناخلائف أشبهنا كرام الخلائف
و هل خلفوا إلا أبانا ففخرهمعلينا به نكراء من وجه عارف
بنو هاشم سادوكم جاهليهو جاءوكم عند الهدى بالجوارف
لها دونكم سقى الحجيج و ندرهاالندى و أموكم غداه المواقف
هم الثقلان الداعيان إلى الهدىمقام(١) وصى أو بيان مصاحف
فان تشكروا لله نعماه فيكمو إلا أتتكم حمير بالعجارف
بتبعها و سيفها و ذوينها(٢)و كل ابن مجد تالد غير طارف
و جاستكم عليا ربيعه بالقناو ساقى لكم قيس متون المراهف
فهل لكم من ذائد عن فخارهمسوى أسره الزاكى الكرام الغطارف

إني و قومي من أنساب قومهمكمسجد الخيف من بجوحه الخيف

ما علق السيف منا بابتن عاشرهاإلا و همته أمضى من السيف

(٥٥) قال يرثى يحيى بن عمر العلوى:

لعمرى لئن سرت قريش بهلكه لما كان وقافا غداه التوقف

فان مات تلقاء الرماح فإنه لمن معشر يشنون موت التترف

فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم على سنن منهم مقام المخلف

لهم معكم أ ما جدعتم أنوفكم مقامات ما بين الصفا و المعرف

تراث لهم من آدم و محمد إلى الثقلين من وصايا و مصحف

فجازوا أباهم عنهم كيف شئتم تلاقوا لديه النصف من خير منصف

إني سألتك باختلاسأللحظ من تحت السيوف

و بما جنت تلك العيونعلى القلوب من الحتوف

و بسطوه المولى إذاأزرى على العبد الضعيف

لا تجمعى ضن البخيلو سطوه المولى العسوف

يا آل أحمد أنتم خير مشتملبالمكرمات و أنتم خير معترف

خلافه الله فيكم غير خافيهيفضى بها سلف منكم إلى خلف

طبتم فطاب مواليكم لطيبتكمو باء أعداؤكم بالخبث فى النطف

رأيت نفعى و ضرى عندكم فإذاما كان ذاك فعنك أين منصرفى؟

قد ألبس الليل حتى يثنى خلقوا أركب الهول بالغر الغرائق

و أنتحى لنعام الدو ملههكأنها بعض أحجار المجانيق

تسدى الرياح لها ثوبا و تلحمهكما تلبس من نسج الخداريق (٣)

كأنما ريشها و الرياح تفرقها أسمال راهبه شيبت بتشقيق

كأنها حين مدت رءوسها فرقاسود الرجال تعادى (٤) بالمزاريق

كان أعناقها و هنا إذا خفقتبها البلاقع أدقال (٥) الزواريق

فما استلذ بلحظ العين ناظرهاحتى تغصص أعلاهن بالريق

اللام (٥٩)

سادتى عدتى عمادى ملاذخمسه عندهم تحط رحال

سادتى ساده بهم ينزل الغيثعلينا و تقبل الأعمال

ساده جهم يحط الخطاياو لديهم تصدق الآمال

ساده قاده إليهم إذا ما ذكر الفضل تضرب الأمثال

و بهم تدفع المكاره و الخيفهعنا و تكشف الأهوال

و بهم طابت المواليد و امتازلنا الحق و الهدى و الضلال

و بهم حرم الحرام و زال الشكفى ديننا و حل الحلال

(٦٠)

سائلا عنا قريشاو ليالينا الأول

نحن أصحاب حنينو المنايا تنتضل

و يبدر حين ولو اقللا بعد قلل

و لنا يوم بصفينو يوم بجمل

هبلت أم قريشجين تدعون الهبل

حين ناطوا بكتابالله أطراف الأسل

(٦١) - ١

اعدد ثلاث خلال قد جمعن لههل سب من أحد أم سب أو بخلا

(٦٢)

من قصر الليل إذا زرتنيا بكى و تبكين من الطول

عدو عينيك و شانيهما أصبح مشغولا بمشغول

(٦٣)

كأنما الطرف يرمى فى جوانبهعن العمى و كان النجم قنديلع.

ص: ٢٠٨

-
- ١- ربما هى: مقال. و فى قوله: (هم الثقلان) إشاره إلى قول النبى (ص): إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا.
 - ٢- فى صدر البيت زحاف واضح.
 - ٣- الخداريق: العناكب.
 - ٤- تعادى: تتعادى من العدو.
 - ٥- أدقال: جمع دقل بالتحريك، و هو خشبه طويله تشد وسط السفينه، يمد عليها الشراع.

و لقد نظرت إلى الفراق فلم أجد للموت لو فقد الفراق سيلا

إن المصائب لو تصور ما عدت مسترحلا بالبين أو مرحولا

يا ساعه البين انبرى فكأنما واصلت ساعات القيامه طولا

(٦٤) - ١

لم تشك خيلهم الوجى من روحهالا انتعلن من الدماء قتيلا

(٦٥)

يا آل حم الذين بحبهمحكم الكتاب منزل تنزيلا

كان المديح حلى الملوك و كنتمحلل المدائح غره و حجولا

بيت إذا عد المآثر أهلعدوا النبي و ثانيا جبريلا

قوم إذا اعتدلوا الحمائل أصبحوامتقسمين خليفه و رسولا

نشأوا بآيات الكتاب فما اثنواحتى صدرن كهوله و كهولا

ثقلان لن يتفرقا أو يطفئنا بالحوض من ظما الصدور غليلا

و خليفتان على الأنام بقولهاالحق أصدق من تكلم قيلا

فأتوا أكف الآيسين فأصبحواما يعدلون سوى الكتاب عديلا

(٦٦) - ١

هم صفوه الله التى ليس مثلهاو ما مثلهم فى العالمين بديل

٢ - خيار خيار الناس من لا يحبهمفليس له إلا الجحيم مقيل

الميم (٦٧)

قالت: عييت عن الشكوى. فقلت لها: جهد الشكايه أن أعيأ عن الكلم

أشكو إلى الله قلبا لو كحلت بهعينيك لاخضبت من حره بدم

لا ترمى فاقد الدنيا و بهجتهاو ما يسر به منها، بلا و لم

(٦٨) و قال يطعن فى نسب على بن الجهم معرضا باضطراب الناس فى عقب سامه بن لؤى بن غالب الذى يزعم ابن الجهم أنه منه:

و سامه منا فاما بنوه فأمرهم عندنا مظلم

أناس أتونا بانسابهم خرافه مضطجع يحلم

و قلت لهم مثل قول النبى و كل أفاويله محكم:

إذا ما سئلت و لم تدر ما تقول، فقل: ربنا أعلم

(٦٩)

لا و الذى عاذ بإحرامهركب يلبون بإحرام

أعد سبعين و لو جملمتنعماؤها عادت إلى عام

(٧٠) قال يخاطب صاحب الجيش الذى قضى على ثوره يحيى بن عمر العلوى و قتله:

قتلت أعز من ركب المطايا و جئتك أستلينك فى الكلام

و عز على أن ألقاك إلا و فيما بيننا حد الحسام

و لكن الجناح إذا أهيضت قوادمه يرف على الآكام

(٧١) قال يرثى يحيى بن عمر العلوى:

فان يك يحيى أدرك الحتف يومه فما مات حتى مات و هو كريم

و ما مات حتى قال طلاب نفسه: سقى الله يحيى أنه لصميم

فتى آنست بالروع و البأس نفسه و ليس كمن لاقاه و هو سنوم

فتى غره لليوم و هو بهيم و وجه لوجه الجمع و هو عظيم

لعمر و ابنه الطيار إذ نتجت به له شيم لا تجتوى و نسيم

لقد بيضت وجه الزمان بوجهه و سرت به الإسلام و هو كظيم

فما انتجت من مثله هاشميه و لا قلبته الكف و هو فطيم

النون (٧٢)

شاك الزمان بكر الزمانو أفناك من كره كل فان

اساءه دهر ك محفوفههما لم يكن للصبا فى ضمان

ليالى لا يشيع الناظرانما قابلاك و لا يرويان

ليالى لم يكتس العارضانشيا و لم يقصص الشاربان

فان يك هذا الزمان انقضيو بدلت أخباره بالعيان

فلا بالقلى تتناسى الصباو لا بالرضا رضى العاذلان

و نازله كنت من حدهاعلى غرر مثل حد السنان

و من نكبات خطوب الزمانألا حظها بجنان الجبان

ألا هل سبيل إلى نظرهبكوفان يحيى بها الناظران

يقلبها الصب دون السدير حيث أقام بها القائمان(١)

و حيث أناف بأرواقهمحل الخورنق و الماديان

و هل ابكرن و كتبناها تلوح كاوديه الشاه جان

و أنوارها مثل برد النبى(٢)ردع بالمسك و الزعفران

و هل أدنون من وجوه ناتو هن من النفس دون الدوانى

أناس هم الأنس دون الأيسو جنات عيشك دون الجنان

(٧٣)

شجاك الوميض و لذع المضيضبنار الهوى و ببرق يمانى

كان تالقه فى السماء رجح حساب خفيف البنان
كانى لهم أدر أن الرديلهتك ستور الضنى قد رآنى
أخلاى أحفيكم طائعاو أنتم منى النفس دون الأمانى
٥ - و لكن يد الدهر رهن بما سيرمى باسهمة الفرقدان
٦ - عسى الدهر أن يثنى لى عطفهبعطف الهوى و يعيش ليان

(٧٤)

و هيفاء تلحظ عن شادنو تبسم عن زهر الأتحوان
و كالغصن بان و جدل العنانو مياده القضب الخيزان
ترى الشمس و البدر، معناهما بها واحدا، و هما معنيان
إذا أطلعت وجهها أشرقا بطلعتها، و هما آفلانى.

ص: ٢٠٩

١- القائمان: هما قائما الغرى.

٢- ربما هى الوشى.

(٧٥)

هواك هو الدنيا و نيلك ملكهاو هجر ك مقرون بكل هوان
كذبتك، ما قلت الذى أنت أهلهلى، لم يجد ما فوق ذاك لسانى

(٧٦)

فى مجلس جعل السرور جناهظلالنا من طارق الحدثان
لا تسمع الآذان فى جنباؤها لا ترنم ألسن العيدان
أو صوت تصفيق الجليس و نقرهو بكاء راووق و ضحك قنانى

(٧٧) - ١

كان يبكىنى الغناء سرورافارانى أبكى له اليوم حزنا
قد مضى ما مضى فليس يرجو بقى ما بقى فما فيه معنى
آه من خطره الكبير إذا ما خطر الياس دون ما يتمنى

(٧٨)

ربما سرنى صدودك عنيو تنائيك و امتناعك عنى
ذاك ألا أكون مفتاح غيريو إذا ما خلوت كنت التمنى

(٧٩)

إذا رضيت فما ألقى أخوا سخطو أن سخطت فكل الناس ذو دمن(٨٠)

لييك، دعوه من أن شئت عز و أنأبديت سخطك لم يجتن بالجنن

(٨٠) و كتب إلى الموفق بالله حين حبسه:

- ١

قد كان جدك عبد الله(٢) خير أبلابنى على حسين الخير و الحسن

٢ - فالكف يوهن منها كل أنملهما كان من أختها الأخرى من الوهن

(٨١)

أشكو إلى الله خطأ لا يبلغني خط البليغ و لا خط المرجينا

إذا هممت بامر لى أزخر فهسدت سماحته عنى التحاسينا

و يوم قد ظللت قرير عينه فى مثل نعمه ذى رعين

تفكهنى أحاديث النداميو تطربنى مثقفه اليدين

فلو لا خوف ما تجنى الليال يقبضت على الفتوه باليدين (٣)

(٨٢)

لقد أبقى مكانك فى لؤيو آل محمد خلا مينا

و ليل قد دأبت له بايمن الفرقان بين الساجدنا

فانس شخصك الجدث المعفيو أوحش قبرك المتهدجينا

(٨٣)

يا بن من بيته من الدين و الإسلاميين المقام و المنبرين

لك خير البيتين من مسجدى جدكو المنشأين و المسكين

و المساعى من لدن جدك إسماعيلحتى أدرجت فى الريطتين

حين نيطت بك التمام ذات الريشمن جبرئيل فى المنكبين

(٨٤)

أنتما سيدا شباب جنان الخلديوم الفوزين و الروعتين (٤)

يا عديل القرآن من بين ذى الخلقو يا واحدا من الثقلين

أنتما و القرآن فى الأرض مذ أنزل مثل السماء و الفرقدين

قمتما من خلافه الله فى الأرضىحق مقام مستخلفىن

قاله الصادق الحدىث و لنىفترقا دون حوضه واردين

(٨٥)

و أوقع يوم أحد بهم جلادايزايل بين أعضاد الشئون

فلم يترك لعبد الدار قدما(٥) يقيم لواء طاغيه لعين

فأفضوا باللواء إلى صواب (؟) [فعانقه معانقه الوضين

فخدمه أبو حسن فأهوىصرىعا للىدين و للجبين

و نودوا: لا فتى إلا علىو لىس لذى الفقار حثا جفون

(كذا)(٤)الهاء (٨٤)

قالوا: أبو بكر له فضلهمقلنا لهم: هياه الله

نسىتم خطه خم و هلىشثبه العبد بمولاه

إن علىا كان مولى لمنكان رسول الله مولاه

الشعر المنسوب - أ - [ما رجحت نسبه للحماني - أ -

ألباء (١)

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا إذا كان جانيه على طىبى

و لى عائدات صفتهن فجنن فىلباس سواد(٧) فى الظلام قشيب

نجوم أراعى طول لىلى بروجهاو هن لبعء السىر ذات لغوب

خوافق فى جنح الظلام كأنهاقلوب معناه بطول و جيب

ترى حوتها فى الشرق ذات سباحهو عقربها فى الغرب ذات دىب

إذا ما هوى الإكليل منها حسبتتههدل غصن فى الرىاض رطىب

كان التي حول المجره أوردتلكرع في ماء هناك صيب

كان رسول الصبح يخلط في الدجيشجاعه مقدام بجن هيب

كان اخضرار البحر صرح ممردو فيه لآل لم تش بثقوب

كان سواد الليل في ضوء صبحهسواد شباب في بياض مشيب

كان نذير الشمس يحكى ببشرهعلى بن داود أخى و نسيبى

و لو لا اتقائى عته قلت: سيديو لكن يراها من أجل ذنوبيق.

ص: ٢١٠

١-الدمن: جمع دمنه، و الدمنه: الحقد.

٢- عبد الله هو الخليفه المأمون، و يريد الشاعر بالبيت تذكير الموفق بحسن معاملة المأمون للعلويين.

٣- فى البيت إطاء.

٤- فى البيت إشاره إلى الحديث الشريف: "الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة".

٥- هكذا هى و لا يستقيم المعنى، و لعل الأنسب أن تكون كفا.

٦- لم اهد إلى ما صحفت عنه الكلمه، و لعل البيت يستقيم على هذه الصوره: و نودوا.. و ليس لذى الفقار من قرين.

٧- ربما هى: بياض إذ هى أنسب للسياق.

جواد بما تحوى يده مهذب أديب غدا خلا لكل أديب

نسيب إخاء و هو غير مناسب قريب صفاء و هو غير قريب

و نسبه ما بين الأقارب وحشه إذا لم يؤلفها انتساب قلوب

الفاء (٢)

يسترسل الضيف فى أبياتنا أنسافليس يعلم خلق أينا الضيف

و السيف أن قسته يوما بنا شهافى الروع، لم تدر عزما أينا السيف

الكاف (٣)

و إنا لتصبح أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سفوك

منابرهن بطون الأكفو أعمادهن رؤوس الملوك

و ما لى فى الخلق من مشبهو لا فى اكتساب العلى من شريك

ما لم ترجح نسبه إليه

ألباء (٤)

بكيث على الشباب بدمع عينيفلم يغن البكاء و لا النحيب

فيا أسفا أسفت على شابنعاه الشيب و الرأس الخضيب

عريت من الشباب و كان غضا كما يعرى من الورق القضيب

فيا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما صنع المشيب

الحاء (٥)

عندكن الفؤاد و القلب رهنفى يدي ذات دملج و وشاح

ذات خدين ناعمين ضنينينما فيهما من التفاح

و ثنايا و ريقه كغدير من مدام و روضه من أفاح

فمساويكها بها كل يومفي رياض من اصطباح الراح

الراء (٤)

كم قد نماني من رئيس قسوردامى الأنامل من خميس ممطر

خلقت أنامله لقائم مرهفو لدفع معضله و ذروه منبر

ما أن يريد إذا الرماح شجرنهدرعا سوى سربال طيب العنصر

يلقى السيوف بنحره و بوجههو يقيم هامته مقام المغفر

و يقول للطرف اصطبر لشبا القنافهدمت ركن المجد أن لم تعقر

و إذا تأمل شخص ضيف مقبلمتسربل سربال ليل أغبر

أومى إلى الكوماء هذا طارقنحرتنى الأعداء أن لم تنحرى

اللام (٧) ١ -

لا تبك إثر مول عنك منحرفتحت السماء و فوق الأرض أبدال

٢ - الناس أكثر من أن لا ترى خلفامن زوى وجهه عن وجهك المال

٣ - ما أقبح الود يدينه و يبعدهيين الصديقين إكثار و إقلال

أبو الحسن على بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات

ولد سنة ٢٤١ و قتل سنة ٣١٢ و بنو الفرات اسره شيعيه.

قال في وفيات الأعيان:

وزير المقتدر بالله بن المعتضد بالله، وزر له ثلاث دفعات، فالأولى منهن لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وقيل: لسبع بقين منه، سنة ست و تسعين و مائتين، و لم يزل وزيره إلى أن قبض عليه لأربع خلون من ذى الحجة سنة تسع و تسعين و مائتين، و نكبه و نهب داره و أمواله، و استغل من أملاكه إلى أن عاد إلى الوزاره الثانيه سبعة آلاف ألف دينار، و ذكروا عنه أنه كتب إلى الأعراب أن يكبسوا بغداد، و الله أعلم، ثم عاد إلى الوزاره يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع و ثلاثمائه، و خلع عليه سبع خلع، و حمل إليه ثلاثمائه ألف درهم لغلمانه و خمسون بغلا لثقله و عشرون خادما و غير ذلك من الآلات، و زاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع في كل من قيراط ذهب لكثره استعماله إياه، و كان ذلك النهار شديد الحر، فسقى في ذلك اليوم و

تلك الليلة في داره أربعون ألف رطل من الثلج، و لم يزل على وزارته إلى أن قبض عليه يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ست و ثلاثمائة، ثم عاد إلى الوزارة يوم الخميس لسبع ليال بقين من ربيع الآخر سنة إحدى عشرة و ثلاثمائة، و كان يوم خرج من الحبس مغتاضا، فصادر الناس، و أطلق يد ابنه المحسن فقتل حامد بن العباس الوزير الذي كان قبل أبيه، و سفك الدماء، و لم يزل على وزارته إلى أن قبض عليه لتسع ليال خلون من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة و ثلاثمائة، و قيل: قبض عليه يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول.

و كان يملك أموالا كثيرة تزيد على عشرة آلاف ألف دينار، و كان يستغل من ضياعه في كل سنة ألفي ألف دينار، و ينفقها، قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: مدحته بقصيده، فحصل لي في ذلك اليوم ستمائة دينار.

و كان كاتباً كافياً خبيراً، قال المعتضد بالله لعبيد الله بن سليمان: قد دفعت إلى ملك مختل و بلاد خراب، و مال قليل و أريد أن أعرف ارتفاع الدنيا لتجرى النفقات عليه، فطلب ذلك عبيد الله من جماعه من الكتاب، فاستمهلوه أشهراً، و كان أبو الحسن بن الفرات و أخوه العباس محبوسين منكوبين، فاعلما بذلك، فعملاه في يومين و أنفذهاه، فعلم عبيد الله أن ذلك لا يخفى عن المعتضد، فكلمه فيهما، و وصفهما، فاصطنعهما.

و كانت في دار أبي الحسن بن الفرات حجره شراب يوجه الناس على اختلاف طبقاتهم إليها غلمانهم يأخذون منها الأشربه و الفقاع و الجلاب إلى دورهم.

و كان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم و السدين و البيوت و الفقراء أكثرهم مائة دينار في الشهر، و أقلهم خمسة دراهم، و ما بين ذلك.

قال الصولي: قام من مرضه - وقد اجتمعت الكتب و الرقاع عنده - فنظر في ألف كتاب، و وقع على ألف رقعته، فقلنا: بالله لا يسمع بهذا أحد، خوفا من العين عليه.

قال الصولي: و رأيت من أدبه أنه دعا خاتم الخليفه ليختم به كتابا، فلما رآه قام على رجله تعظيما للخلافه، قال: و رأيت جالسا للمظالم، فتقدم إليه خصمان في دكاكين بالكرخ، فقال لأحدهما: رفعت إلى قصه في سنه اثنتين و ثمانين و مائتين في هذه الدكاكين، ثم قال: سنك يقصر عن هذا، فقال له: ذاك كان أبي، قال: نعم وقعت له على قصه رفعها.

و كان إذا مشى الناس بين يديه غضب و قال: أنا لا أكلف هذا غلmani فكيف أكلف أحرارا لا إحسان لي عليهم.

و قتل نازوك صاحب الشرطه أبا الحسن بن الفرات المذكور و ابنه المحسن يوم الثلاث عشره ليله خلت من شهر ربيع الآخر، سنه اثنتي عشره و ثلاثمائه.

و كان عمر ابنه المحسن يوم قتل ثلاثا و ثلاثين سنه.

قال صاحب أبو القاسم بن عباد: أنشدني أبو الحسن بن أبي بكر العلاف قصائد أبيه أبي بكر في الهر و قال: إنما كنى بالهر عن المحسن بن أبي الحسن بن الفرات أيام محتهم، لأنه لم يجسر أن يذكره و يرثيه.

و كان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أخو أبي الحسن المذكور أكتب أهل زمانه، و أضبطهم للعلوم و الأدب، و للبحري فيه القصيده المشهوره التي أولها:

بت أبدى وجدا و أكرم وجدا لخيال قد بات لي منك يهدى

و توفي أبو العباس المذكور ليله السبت منتصف شهر رمضان سنه إحدى و تسعين و مائتين.

و أما أخوه أبو الخطاب جعفر بن محمد فإنه عرضت عليه الوزاره، فاباها، و تولاه ابنه أبو الفتح الفضل بن جعفر، و كان كاتبا مجودا، و هو المعروف بابن حنزابه، و هي أمه، و كانت جاريه روميه، قلده المقتدر بالله الوزاره يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الآخر سنه عشرين و ثلاثمائه، و قيل:

خلع عليه في أول شهر ربيع الآخر سنه عشرين و ثلاثمائه، و الله أعلم، و لم يزل وزيره إلى أن قتل المقتدر لأربع بقين من شوال سنه عشرين و ثلاثمائه، و تولى الخلافه أخوه القاهر بالله، فاستتر أبو الفتح بن حنزابه، فولى القاهر أبا على محمد بن على بن مقله الكاتب الوزاره، ثم تولى أبو الفتح الدواوين في أيام القاهر أيضا، و خلع القاهر و سملت عيناه في يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنه اثنتين و عشرين و ثلاثمائه.

و ولي الخلافه الراضى بالله بن المقتدر بالله المقدم ذكره، فقلد أبا الفتح بن حنزابه الشام، فتوجه إليها، ثم إن الراضى بالله ولاه الوزاره، و هو يومئذ مقيم بحلب، و عقد له الأمر فيها يوم الأحد لثلاث عشره ليله خلت من شعبان من سنه خمس و عشرين و ثلاثمائه، و كوتب بالمسير إلى الحضرة، فوصل إلى بغداد يوم الخميس لست خلون من شوال من السنه، فأقام ببغداد قليلا، فرأى

الأمر مضطربه، و قد استولى الأمير أبو بكر محمد بن رائق على الحضرة، فتحدث أبو الفتح مع ابن رائق فى أنه يعود إلى الشام، و أطعمه فى حمل الأموال إليه من مصر و الشام، فعاد إليها فى الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ست و عشرين، فأدرکه أجله بغزه، و قيل: بالرملة، و جاءت الكتب إلى الحضرة بموته فى يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة، و كان مولده فى ليلة السبت لسبع ليال بقين من شعبان سنة تسع و سبعين و مائتين (١)، و كانت الكتب تصدر باسمه فى الشام.

و ترجمه ابن الفرات تترتب على قضيه ابن المعتز فلا بد من ذكر شىء من أحوالها، و أصح التواريخ نقلا تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، فنذكر ما قاله فى حوادث سنة ست و تسعين و مائتين: إن القواد و الكتاب اجتمعوا على خلع الخليفة المقتدر، و تناظروا فىمن يجعلونه موضعه، فاجتمع رأيهم على عبد الله بن المعتز، و ناظروه فى ذلك، فأجابهم إليه أنه لا- يكون فى ذلك سفك دم و لا- حرب، فأخبروه أن الأمر يسلم إليه عفوا، و أن جميع من وراءهم من الجند و القواد و الكتاب قد رضوا، فبايعهم. على ذلك، و كان الرأس فى ذلك محمد بن داود بن الجراح و أبا المثنى أحمد بن يعقوب القاضى، و واطا محمد بن داود جماعه من القواد على الفتك بالمقتدر و العباس بن الحسن.

قلت: و كان وزير المقتدر يومئذ - قال الطبرى: و كان العباس بن الحسن على ذلك قد واطا جماعه من القواد على خلع المقتدر و البيعه لعبد الله بن المعتز، فلما رأى أمره مستوثقا له مع المقتدر على ما يجب بدا له فيما كان عزم عليه من ذاك، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه، يعنى الوزير المذكور، قال الطبرى: و كان الذى تولى قتله الحسين بن حمدان و وصيف بن صوارتكين، و ذلك يوم السبت لإحدى عشره ليلة بقيت من شهر ربيع الأول، و لما كان من غد هذا اليوم، و ذلك يوم الأحد، خلع المقتدر الكتاب و القواد و قضاه بغداد، و بايعوا عبد الله بن المعتز، و لقبوه بالراضى بالله، و كان الذى يأخذ البيعه له على القواد و يلى استحلافهم و الدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش، و فى هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان و بين غلمان الدار حرب شديده من غدوه إلى انتصاف النهار، و فى هذا اليوم انفضت الجموع التى كان قد جمعها محمد بن داود لبيعه ابن المعتز عنه، و ذلك أن الخادم الذى يدعى مؤنسا حمل غلمانا من غلمان الدار فى الشذوات - قلت: و هى عندهم المراكب - قال: فصاعد بها و هم فيها فى دجله، فلما جاوزوا الدار التى فيها ابن المعتز و محمد بن داود صاحوا بهم و رشقوهم بالنشاب، فترفقا و هرب من كان فى الدار من الجند و القواد و الكتاب و هرب ابن المعتز، و لحق بعض الذين بايعوا ابن المعتز بالمقتدر، فاعتذروا إليه بأنه منع من المصير إليه، و استخفى بعضهم، فطلبوا و أخذوا و قتلوا، و انتهت العامه دور ابن داود، و أخذ ابن المعتز فىمن أخذ، (انتهى ما ذكره الطبرى فى ذلك).

فنذكر ما قاله غيره، جمعته من مواضع متفرقه، حاصله أن عبد الله بن المعتز رتب للوزاره فى ذلك اليوم محمد بن داود المذكور، و للقضاء أبا المثنى المذكور، فلما انتقض أمره و أخذ ابن المعتز استتر ابن داود، و كان من فضلاء.

ص: ٢١٢

أهل عصره و له عدده تصانيف منها كتاب "الورقه فى أخبار الشعراء" و كتاب "الوزراء" و غير ذلك، ثم ظهر لمؤنس الخادم المذكور، و خافه أبو الحسن على بن الفرات المذكور، فأشار على مؤنس بقتله، فقتل و أخرج و طرح فى سقايه عند المأمونيه، فحمل إلى منزله، و كان قتله فى شهر ربيع الآخر من السنه، و مولده فى سنه ثلاث و أربعين و مائتين فى الليله التى توفى فيها إبراهيم بن العباس الصولى المقدم ذكره.

و لما عاد أمر المقتدر إلى ما كان عليه، و قد قتل وزيره العباس بن الحسن فى التاريخ الذى ذكره الطبرى، استوزر أبا الحسن على بن الفرات المذكور، فأول ما ظهر للناس من محاسنه أنه حمل إليه من دار ابن المعتز صندوقان عظيمان، فقال: أ علمتم ما فيهما؟ قيل: نعم، جرائد بأسماء من بايعه، فقال: لا تفتحوهما، و دعا بنار فطرح الصندوقين فيها، فلما احترقا قال: لو فتحتهما و قرأت ما فيهما فسدت نيات الناس بأجمعهم علينا، و استشعروا منا، و مع ما فعلناه قد هدأت القلوب و سكنت النفوس.

و مما يتعلق بهذه الترجمة أن القاهر بالله لما خلع و سملت عيناه كما ذكرناه آل به الحال إلى أن خرج إلى جامع المنصور ببغداد، فعرف الناس بنفسه، و سالهم التصديق عليه، فقام إليه ابن أبى موسى الهاشمى فأعطاه ألف درهم، و فى ذلك عبره لأولى الألباب.

و نقلت من كتاب "الأعيان و الأماثل" تأليف الرئيس أبى الحسن هلال بن المحسن بن أبى إسحاق إبراهيم الصابى: و حدث القاضى أبو الحسين عبيد الله بن عباس أن رجلا اتصلت عطلته، و انقطعت مادته، فزور كتابا من أبى الحسن بن الفرات إلى أبى زنبور الماردانى عامل مصر فى معناه يتضمن الوصاه به و التأكيد فى الإقبال عليه و الإحسان إليه، و خرج إلى مصر، فلقبه به، فارتاب أبو زنبور فى أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العاده و كون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله، فراعاه مراعاة قريبه، و وصله بصله قليله، و احتبسه عنده على وعد وعده به، و كتب إلى أبى الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه، و أنفذه بعينه إليه، و استتبته فيه، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزور، فوجد فيه ذكر الرجل، و أنه من ذوى الحرمات و الحقوق الواجبه عليه، و ما يقال فى ذلك مما قد استوفى الخطاب فيه، و عرضه على كتابه، و عرفهم الصوره فيه، و عجب إليهم منها، و مما أقدم عليه الرجل، و قال لهم: ما رأى فى أمر هذا الرجل عندكم؟ فقال بعضهم: تأديبه أو حبسه، و قال آخر: قطع إبهامه لئلا يعاود مثل هذا و لئلا يقتدى به غيره فيما هو أكثر من هذا، و قال أجملهم محضرا: يكشف لأبى زنبور قصته و يرسم له طرده و حرمانه، فقال ابن الفرات: ما أبعدكم من الحريره و الخيريه و أنفر طباعكم عنها! رجل توسل بنا، و تحمل المشقه إلى مصر فى تأميل الصلاح بجاهنا، و استمداد صنع الله عز و جل بالانتساب إلينا، و يكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضرا تكذيب ظنه و تخيب سعيه، و الله لا كان هذا أبدا، ثم إنه أخذ القلم من دواته و وقع على الكتاب المزور "هذا كتابى، و لست أعلم لم أنكرت أمره، و اعترضتكم شبهه فيه، و ليس كل من خدمنا و أوجب حقا علينا تعرفه، و هذا رجل خدمنى فى أيام نكبتى، و ما أعتقده فى قضاء حقه أكثر مما كلفتك فى أمره من القيام به، فأحسن تفقده، و وفر رفته، و صرفه فيما يعود عليه نفعه، و يصل إلينا فيما تحقق ظنه و تبين موقعه" و رده إلى أبى زنبور من يومه، فلما مضت على ذلك مده طويله دخل على أبى الحسن بن الفرات رجل ذو هيئه مقبوله و بزه جميله، و أقبل يدعو له، و يثنى عليه، و يبكى، و يقبل الأرض، فقال له ابن الفرات: من أنت بارك الله فيك؟! و كانت هذه كلمته، فقال: صاحب الكتاب المزور إلى أبى زنبور الذى صححه كرم الوزير و تفضله، فعل الله به و صنع، فضحك ابن الفرات و قال: كم وصل إليك منه؟ قال: وصل إلى من ماله و تقسط قسطه على عماله و معامليه و عمل صرفنى فيه عشرون ألف دينار، فقال ابن الفرات: الحمد لله، الزمنا، فانا نعرضك لما يزداد به صلاح حالك، ثم اختبره فوجده كاتباً شديداً،

فاستخدمه و أكسبه مالا جزيلا، رحمه الله تعالى و رضى عنه!.

أبو الحسن على بن محمد التهامي.

ذكره في (تكملة أمل الآمل) باعتباره شيعيا و أضاف إلى اسمه لقب العاملى الشامى. ثم قال: ذكره في أمل الآمل و ذكره في كتاب (نسمه السحر فيمن تشيع و شعر).

و نحن لا- ندرى هل إن إضافه (العاملى) من صاحب التكملة أم من صاحب الأمل. و سواء أ كانت من الأول أم الثانى فلا شك أنها خطأ، فليس الرجل عامليا. كما أننا لا ندرى على ما ذا استند صاحب الأمل فى نسبته إلى التشيع و كذلك لا ندرى على ما ذا استند صاحب (نسمه السحر) فى هذه النسبه إليه.

و يبدو أن صاحب (التكملة) استند فى ذلك إلى ما ورد فى (الأمل) و (نسمه السحر)،.

أما صاحب (وفيات الأعيان) فلم يشر إلى ذلك، مع أنه قد يذكر تشيع من اشتهر بالتشيع.

و المترجم هو صاحب القصيده الرائيه فى رثاء ولده التى مطلعها:

حكم المنيه فى البريه جارى ما هذه الدنيا بدار قرار

و يقول ابن خلكان: إنه وصل إلى الديار المصريه مستخفيا و معه كتب كثيره من حسان بن مفرج، و هو متوجه إلى بنى قره، فظفروا به، فقال: أنا من تميم، فلما انكشف حاله عرف أنه التهامى الشاعر، فاعتقل فى خزانه البنود، و هو سجن بالقاهره و ذلك لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنه ست عشره و أربعمائه، ثم قتل سرا فى سجنه فى تاسع جمادى الأولى من السنه المذكوره (انتهى).

و حسان بن مفرج الطائى هو صاحب (الرملة) فى فلسطين الذى تحالف مع صالح بن مرداس و سنان بن عليان على اقتسام الشام و الجزيره فيما بينهم، و الانفصال عن الدوله الفاطميه، على أن تكون حلب إلى عانه لصالح بن مرداس، و الرملة إلى مصر لحسان بن مفرج الطائى، و دمشق و أعمالها إلى سنان بن عليان.

و لم يسكت الخليفه الفاطمى (الظاهر) على ذلك فأرسل جيشا لقمع الحركه الانفصاليه، فأسرع صالح بن مرداس لانجاد حسان بن مفرج فالتقى بالجيش الفاطمى فى الخامس و العشرين من ربيع الآخر سنه ٤٢٠ فى الأقحوانه

قريبا من بحيره طبريا بفلسطين، و جرى من الأحداث مما ليس هنا مكان تفصيله.

و لكن لا بد من القول أن حسان بن مفرج قد توسل بعد ذلك لتحقيق ماره الانفصاليه، بالاستنجد بالبيزنطيين على الفاطميين.

و يبدو جليا أن التهامي حين اعتقل في القاهره كان يحمل رسائل من حسان لتحريض بنى قره على مشاركته في الثوره، كما يبدو من وصف ابن خلكان للرسائل بأنها كثيره، أن تلك الرسائل كانت موجهه إلى غير بنى قره أيضا ممن يأمل حسان بن مفرج مشاركتهم و بالرغم من استخفاء التهامي فقد كشفت عيون الانفصاليه، بالاستنجد بالبيزنطيين على الفاطميين.

و (التهامي) منسوب إلى تهامه الواقعه بين الحجاز و اليمن، و تطلق أيضا على مكه، و يتساءل ابن خلكان عما إذا كان الشاعر منسوبا إلى المكان الأول أم إلى المكان الثاني.

و نحن حين ننشر ترجمته هنا، فلأمن صاحب (الأمل) و صاحب (نسمه السحر) ذكرا تشيعه، و تبعهما صاحب تكمله الأمل، و عليهم و حدهم العهده في ذلك.

و فيما يلي ما كتبه عنه الدكتور عمر تدمري:

في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) قام "أبو الحسن على بن محمد بن فهد التهامي" من أهل تهامه الواقعه بين الحجاز و اليمن، برحله زار فيها الشام و العراق و فارس، و نزل فلسطين مدته حيث ولى الخطابه في المسجد الجامع بمدينة الرمله، ثم دخل في آخر رحلته مصر مستخفيا و هو يحمل كتبا كثيره من "حسان بن مفرج بن دغفل" أمير بنى طيب الخارج على الدوله الفاطميه إلى بنى قره، فظفر به الفاطميون و أودعوه السجن "خزانه البنود" بتهمه التامر و العمل على طلب الملك لنفسه، ثم قتل سرا داخل سجنه في التاسع من جمادى الأولى سنه ٤١٦ هـ. (١٠٢٥ م) (١) و يكاد "التهامي" أن يكون الشاعر الحجازي الوحيد الذي قام برحله من بلاده و طوف في العراق و الشام و فارس و غيرها، و تكسب بشعره، فمدح الأمراء و الأعيان المعاصرين له في المدن التي دخلها، على طريقه غيره من غالب شعراء العصر الوسيط.

و نحن في هذه الدراره للشاعر التهامي لا تستوقفنا حياته و لا أغراض شعره، و لا إظهار محاسنه أو مواطن ضعفه، فهذا لا يدخل في اختصاصنا، فقد كفانا الباحثون مئونه هذا النوع من الدراره. و لكن الذي يعيننا هو المعلومات التاريخيه التي تتوفر، و لو في نقاط موجزه، أو إشارات عابره، في دواوين الشعراء، و غالبا ما تكون تلك المعلومات نادره المثال، و خاصه ما يتعلق منها بتاريخ ساحل الشام في العصر الإسلامي. و هذه حقيقه يجب على كل باحث لتاريخ هذه المنطقه أن يأخذها باعتبارها، فلا يسقط من مصادره الأساسيه دواوين الشعراء، خصوصا إذا كان أولئك الشعراء من الرحاله، حيث يوضع شعرهم في خدمه التاريخ. فالشاعر "التهامي" تنقل في رحلته بين مكه، و دمشق، و بغداد، و الرى، و الموصل، و آمد، و ميافارقين، و الكوفه، و الأنبار، و حلب، و طرابلس الشام، و صور، و الرمله، و القاهره، في وقت كان فيه الشرق العربى يخضع لنفوذ دولتين هما: الدوله الفاطميه في مصر، و الدوله السلجوقيه في العراق، و هما تتجاذبان السيطره و النفوذ على بلاد الشام، فيما الدوله البيزنطيه تتحين الفرص للوثوب على سواحل الشام و أطرافها الشماليه المتاخمه لممتلكاتها في آسيه الصغرى، حيث دوله بنى حمدان.

كان هذا هو الواقع السياسى "العام" في المشرق العربى. أما الواقع السياسى "الخاص" في ساحل الشام، و بشكل أخص ما يطلق

عليه الآن اسم "لبنان"، فقد كان بكل مدنه و قراه الساحليه خاضعا للخلافه الفاطميه، بينما كانت دمشق و المناطق الداخليه خاضعه للنفوذ السلجوقي.

و كان البيزنطيون يعملون على استغلال ذلك الصراع بين الدولتين ليمدوا نفوذهم إلى بلاد الشام الشماليه، و بعض المدن الساحليه، و يؤلبوا أمراءها و ولايتها على الخلافه الفاطميه، و هذا ما فعلته مع كل من مدن: حلب، و طرابلس، و صور.

و فى "ديوان أبى الحسن التهامى" إشارات و لمحات يمكن أن تخدم بعض المعلومات التاريخيه و غيرها، أو تؤكدها. و بما أن دراستنا تقتصر على نطاق "ساحل الشام" الذى يشتمل "جغرافيا" على "لبنان"، فاننا يمكن أن نضع تاريخا تقريبا لدخول التهامى مدينه طرابلس، و هو يقع فى الفتره بين سنتى ٣٨٥ - ٤٠٢ هـ. ٩٩٥/ - ١٠١١ م. و هى الفتره التى برز فيها على مسرح الأحداث دور قاض من أهل مدينه طرابلس يدعى "أبو الحسين على بن عبد الواحد بن حيدر"، و كان هذا القاضى من أهم شخصيات المدينه الذين التقاهم التهامى و مدحهم بشعره.

ففى الديوان:

- قصيدتان فى مدح القاضى أبى الحسن على بن حيدر (صفحه ١٠).

- و قصيده واحده فى مدح أبى يحيى محمد بن حيدر (صفحه ١٥).

- و قصيده واحده فى مدح أبى محمد حسين بن حيدر (صفحه ١١١).

- و ثلاث قصائد فى مدح أبى القاسم هبه الله بن حيدر (صفحه ١٦٠ و ١٧٥ و ١٨٣).

و من الواضح أن القصائد اقتصرت فقط على بعض أفراد أسرته بنى حيدر الطرابلسيين، و ليس فى الديوان أى قصيده أخرى بحق غيرهم من أهل طرابلس.

و هناك قصيده واحده بحق أحد الشخصيات فى مدينه صور، هو "محمد بن سلامه"، حتى أن هذه المعلومه كاد يعتريها الشك، لو لا ما جاء فى أبيات القصيده. فقد جاء فى الديوان (صفحه ١١١٥) هذا العنوان:

"و قال يمدح أبا محمد بن الحسن بن الجواد فى الكوفه، و يقال فى محمد بن سلامه بصور".

و جاء فى بعض أبيات القصيده (صفحه ١١٧):

حسن الشمائل أوحد فى حسنه كمحمد بن سلامه فى جوده

البحر بعض حدوده و الفضل بعض شهوده و النصر بعض جنوده).

١- لم يكن يطلب الملك لنفسه، بل هو رسول حسان بن مفرج، كما يذكر الكاتب نفسه (ح).

تبدو أمارات الكريم بوجهه من بشره و حيائه و سجوده

فالقصيده تؤكد أن الممدوح هو "محمد بن سلامه"، و لكن الديوان لا يعرف به، و هو غير وارد فى "ديوان عبد المحسن الصورى" المعاصر للتهامى.

فمن هو إذا؟ - للجواب على ذلك، نقول:

هناك شخص واحد يحتمل أن يكون المقصود فى الديوان هو "محمد بن سلامه بن جعفر.. أبو عبد الله القاضى القضاعى المصرى" الفقيه الشافعى، قاضى الديار المصريه فى الدوله الفاطميه، و كان قد نزل صور و طرابلس، فسمع بطرابلس من أبى القاسم حمزه بن عبد الله الشامى الأذربلسى. و أبى الحسن لبيب بن عبد الله الأذربلسى. و جلس هو للحديث، فحدث بكتاب "الشهاب" من تصنيفه، فسمعه بها شيخ من أهل جيبيل هو "مكى بن الحسن المعافى السلمى الجيبلى".

و كان القاضى القضاعى قد ذهب رسولا إلى القسطنطينيه من قبل الخليفه الفاطمى، و جاء فى "تاريخ دمشق" لابن عساكر ما نصه:

" و قال أبو الفتح نصر الله بن محمد الفقيه: سمعت أبا الفتح نصر بن إبراهيم الزاهد يقول: قدم علينا القاضى أبو عبد الله القضاعى صور رسولا للمصريين إلى الروم، فذهب و لم أسمع منه، ثم إنى رويت عنه بالاجازة، يعنى أنه لم يرضه فى أول الأمر لدخوله فى الولاية من قبل المصريين...".

فلعل "التهامى" التقى بالقضاعى فى صور و هو فى رحلته رسولا إلى القسطنطينيه، و هذا ما نرجحه.

و نعود مع "التهامى" إلى طرابلس حيث يمدح قاضيهما أبا الحسين بن عبد الواحد، و يعطينا - من خلال شعره - بعض المعلومات التى يمكن أن نضيفها إلى ما نعرفه عن سيرته من المصادر التاريخيه الأخرى.

فمن هو قاضى طرابلس؟.

- هو: "أبو الحسين على بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن الحر (حيدره) بن سليمان بن هزان بن سليمان بن حيان بن وبره المرى الطرابلسى الكتامى" و هو مغربى من قبيله كتامه، أشهر القبائل المغربيه التى قامت على أكتافها الدعوه الفاطميه. و كان محدثا، أخذ عن محدث طرابلس و مسندها الكبير "خيثمه بن سليمان بن حيدره" و هو من بنى حيدره، و غيره. و له كتاب روى فيه عن أبيه عبد الواحد. و أسره حيدره من الأسر المشهوره بطرابلس فى ذلك العصر، و منها أبناء حيدره الذين كانوا فيها حين نزلها "أبو الطيب المتنبى" حول سنه ٣٣٦ هـ.

و قد لعب القاضى أبو الحسين دورا مهما فى تاريخ طرابلس، و أسهم فى هزيمة الامبراطور البيزنطى "باسيل الثانى" مرتين، و كان هو "المستولى على النظر فى طرابلس و فى سائر الحصون"، من نواحي جونه و جبال العاقوره و المنيطره فى الجنوب، حتى نواحي مدينه حلب و إعزاز فى الشمال. كما كان له دوره فى القضاء على حركه "العلاقه" فى مدينه صور، و تشييت النفوذ الفاطمى فى سواحل الشام. كما أن منصبه الدينى كقاض، و هو بمثابة داعيه فاطمى، كان يجعله متمتعا بصلاحيات واسعاه، بحيث

تفوق صلاحيات والى المدينه، و قائد جيشها.

و تبدأ المصادر التاريخيه بذكره فى معرض الحمله الأولى للإمبراطور "باسيل" إلى بلاد الشام، فى سنه ٣٨٥ هـ. (٩٩٥ م) فقد أخرج الخليفه الفاطمى "العزیز" قائده منجوتكين" إلى حلب لينتزعها من "سعيد الدوله"، فأرسل سعيد الدوله يستنجد بالإمبراطور قائلًا فى رسالته إليه: "متى أخذت حلب أخذت أنطاكيه، و متى أخذت أنطاكيه أخذت قسطنطينيه".

و على الرغم من أنه كان مشغولًا بالقتال فى الجبهه البلغاريه فقد قرر "باسيل" المضى بنفسه إلى حلب، فعاد إلى عاصمته القسطنطينيه و خرج منها على رأس جيش ضخم قوامه ٤٠ ألفًا، عبر به إقليم الثغور، حيث انضمت إليه مجموعات كبيره من عساكرها، و وصل إلى أنطاكيه، فصحبه "ميخائيل البرجى" بعساكره، و معه قائده "مليسينوس".

و لما وصل "باسيل" إلى حلب، خرج إليه "سعيد الدوله" و جدد معه معاهده التحالف بين القسطنطينيه و حلب، التى تضمنت شروطًا فى صالح التجار المسيحيين المقيمين فى حلب. و أقام "باسيل" يومين عند حلب، ثم رحل فى اليوم الثالث، فنزل على شيزر و استولى على حصنها بعد مقاومه صاحبه "منصور بن كراديس"، التى لم تدم سوى يوم واحد. و قرر له مالا و ثيابا مقابل تسليم الحصن، و وضع فيه نوابه و ثقاته. و تحول بعد ذلك إلى حمص ففتحها، و كذلك رفيه. و نهب و سبى منها سببا كثيرا، و أحرق و غنم. و فى طريقه إلى طرابلس أغار على عسكره جماعه من العرب، فأسر عددا منهم، و واصل سيره حتى نزل على طرابلس و حاصرها. فراسله و إليها "ابن نزال" فى جمع من أهلها لإبرام الاتفاق مع الإمبراطور.

و هنا يبرز دور قاضى طرابلس "ابن حيدر" على مسرح الأحداث، فيتزعم حركه الصمود فى وجه البيزنطيين، و يقود حمله مناهضه ضد والى المدينه و من معه، و ينضم إليه العسكر و الأهالى منادين بالجهاد و قتال العدو، و طرد و إليهم المتخاذل من بين ظهرايهم. و اتخذوا قرارا بتعيين آخر مكانه، و لما أراد الوالى العوده إلى البلد، أغلق أهلها الباب فى وجهه و منعه من دخولها، ثم أخرجوا أفراد أسرته إليه، و استعدادا للقتال. فأقام "باسيل" محاصرا لطرابلس "نيفا و أربعين يوما". و بذل قصارى جهده لفتحها، و لكنه واجه مقاومه عنيده من المدافعين عنها، و لم يستطع أن ينقب ثغره فى أسوارها أو ينل من تحصيناتها. و وصف المؤرخ "ابن القلانسى" مناعه ثغر طرابلس بقوله: "و هو برى بحرى، متين القوه و الحصانه، شديد الامتناع على منازل..".

" و كبسها ليلا، و أخذ ربضها، و أسر كثيرا ". ثم غزاها ثانيه بعد ثلاثه أشهر فوصل إلى عرقه و سبى منها جماعه، و عاد في السنه التاليه فغزاها للمره الثالثه و سبى من بلادها كثيرا. و إزاء هذا، عزم الخليفه الفاطمي " العزيز " أن يخرج بنفسه لقتال البيزنطيين، و أمر بتجهيز حملته بريه بقياده " جيش بن الصمصامه " فدخلت طرابلس، كما أمر بإنشاء أسطول بحري ليسير معه بحرا إلى طرابلس. و فيما كان " العزيز " يحشد العساكر في القاهره، ورد عليه رسول " سعيد الدوله بن حمدان " يطلب الصفح، فأجيب إلى ذلك، و اعترف ابن حمدان بخلافه العزيز.

و بعد طرد " ابن نزال " من طرابلس، عين " جيش بن الصمصامه " واليا عليها في سنه ٣٨٥ هـ. و بضعه أشهر من سنه ٣٨٦ هـ. ثم " على بن جعفر بن فلاح "، ثم الأمير " تميم التنوخي "، ثم " ميسور الصقلبي "، فيما كان " ابن حيدر " يتولى قضاءها و حكمها. و ظل دوره بارزا أكثر من خمسة عشر عاما.

و حدث في سنه ٣٨٧ هـ. (٩٩٧ م) أن ثار أهل دمشق ضد القائد " سليمان بن جعفر " و الحكم الفاطمي، و تغلب الأحداث عليها برئاسه رجل منهم يعرف ب " الدهيقين ". و قامت في السنه ذاتها ثوره في مدينه صور، و عصى أحداثها و راعها على " الحاكم بامر الله "، و أمروا عليهم رجلا - ملاحا من رجال البحرية يعرف ب " العلاقه " و قتلوا أصحاب الخليفه و موظفيه. و قام " العلاقه " بضرب السكه باسمه، و نقش عليها: " عز بعد فاقه، و شطاره بلباقه، للأمير علاقه ".

و اتفق أن " المفرج بن دغفل بن الجراح " الذي كان متواطئا مع " هفتكين " السلجوقي المتولى على دمشق نزل في ذلك الوقت على مدينه الرمله، و نهب ما كان في السواد، و أطلق يد العيث في البلاد. فاستغل الامبراطور " باسيل " هذه الاضطرابات التي تشهدها الشام، و انحسار النفوذ الفاطمي، لتحقيق أطماعه التوسعيه، و راح يبذل جهده لتأليب أصحاب مدن الشام على الخليفه الفاطمي ليث الفرقة بين القوى الإسلاميه، و أمر قائده على أنطاكيه " داميانوس " ليقوم بالغاره على أراضي المسلمين. إلا أن أطماع " باسيل " لم تتحقق، إذ غادر " الدهيقين " دمشق إلى مصر طائعا، و عادت دمشق للفاطميين، و سحقت حركه العلاقه في صور، و استسلم ابن الجراح للقوات الفاطميه، و لقي " داميانوس " - أخيرا - مصرعه، و انهزمت قواته.

و قد أسهم القاضي " ابن حيدر " بشكل مباشر في:

١ - القضاء على حركه العلاقه بصور في شهر جمادى الآخره سنه ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م.

٢ - مقاتله " داميانوس " عند " أفاميه "، و إلحاق الهزيمة بالبيزنطيين بعد مصرع قائدهم، في السنه نفسها.

٣ - هزيمه الامبراطور " باسيل " للمره الثانيه عند أسوار طرابلس في أول سنه ٣٩٠ هـ. (٩٩٩ م).

فعلى جبهه صور، خرج " ابن حيدر " بأسطول طرابلس البحري و تصدى لمراكب البيزنطيين التي أتت لمساعدته " العلاقه " في ثورته ضد الفاطميين، كما خرج أسطول فاطمي من صيدا، و تمكنت المراكب الإسلاميه من الانتصار على الأسطول البيزنطي، و استولى المسلمون على مركب من مراكبهم، و قتلوا جميع رجاله، و عدتهم ١٥٠ رجلا، و قيل ٢٠٠ رجل.

و على جبهه " أفاميه " عند نهر العاصي، خرج " ابن حيدر " بجند طرابلس و المتطوعه من عامتها، و معه و إليها " ميسور

الصقلبي"، و انضموا إلى "جيش بن الصمصامه" الذي كان يقود جيش الشام، فقاتلوا "داميانوس" و هزموا قواته بعد أن كاد يهزمهم، و صرعه أحد المقاتلين الأكراد.

و إزاء خيبه آمال "باسيل" في إضعاف النفوذ الفاطمي، و لما كان مشغولا في ذلك الوقت بمقاتله البلغار، فقد حرص على تأمين حدود امبراطوريته الشرقية، و لذا أرسل يطلب عقد هدنه مع الحاكم بامر الله، و لكن الخليفه لم يجبه إلى رغبته بعد أن أحرزت عساكره الانتصارات المتتاليه، فعقد "باسيل" العزم على الخروج بحمله جديده إلى الشام لاسترداد هيئته بعد مقتل قائده و هزيمة قواته.

خرج الامبراطور إلى الشام، بعد أن عين قائدا لقواته في بلغاريا، و نزل بجسر الجديد في شوال سنه ٣٨٩ هـ. (٩٩٩ م) و سار إلى أفاميه فمر بسهولة حيث قتل "داميانوس"، و أمر بتشيد كنيسه هناك تخليدا لذاكره. ثم توجه إلى شيزر فحاصرها حتى اضطر صاحبها "ابن كراديس" لتسليمها له - للمره الثانيه - بعد أن قطع عن حصنها الماء، و خرج منها بعساكره، و صحبه عدد كبير من سكانها، و توجهوا إلى حماه و حلب و بعلبك، فشحنها "باسيل" بالأرمن و انتقل منها إلى حصن أبي قبيس، فأخذه بالأمان، ثم راح بعد ذلك يخرب و يحرق و يدمر، فخرّب حصن مصياف و نزل على رفيه فأحرقها و سبي أهلها، و استمر يحرق و يسبي و يخرب، إلى أن بلغ حمص فنزلها، و أحرق جنوده جماعه من أهلها اعتصموا بكنيسه "مار قسطنطين". ثم انحدر إلى الساحل، فهاجم عرقه و أحرقها، و هدم حصنها، ثم نزل على طرابلس في شهر ذي الحجه آخر سنه ٣٨٩ هـ. /كانون الأول آخر سنه ٩٩٩ م. و زحف عسكره على حصنها في اليوم الثالث لتزوله، فكانوا كناطح صخره.

و يبدو أن الامبراطور طلب أثناء زحفه من أسطوله البحري أن يأتيه بالمدد، و يساعده على حصار طرابلس، حيث وصل إليه في البحر و هو نازل على طرابلس "شلنديان" يحملان لدوابه المؤن و العلف، فتقوى بها عسكره، إذ كانت دواب عسكره قد مات أكثرها في الطريق من حمص لشده البرد، و قام بيث بعض سراياه على طول الساحل، فاتجه بعضها إلى جبله في الشمال، و بعضها إلى جيبيل و بيروت في الجنوب، فوقع في أيديها كثير من السبي و الأسرى المسلمين، و جرى بهم إلى الامبراطور فشحنهم في الشلنديان، و سيرهما إلى بلاده لبيعهم رقيقا في أسواق إزمير، و سالونيك و القسطنطينيه.

و يرحل يوم السبت فى الخامس من المحرم ٣٩٠هـ. / ٢٢ كانون الأول ٩٩٩م. منكنفنا إلى بلادده.

و حول دور "ابن حيدر" فى النكايه بالبيزنطيين، و توليه قياده طرابلس، يقول "التهامى" فى قصيده مدحه بها:

و إلى ابن عبد الواحد القاضى ارتمت بلدا كساحه صدره فيساحا..

ما زال هذا الثغر ليلا دامسا حتى طلعت ليله إصباحا

فجلت له الأيام بعد عبوسها وجها كوجهك مشرقا وضاحا

و حكمت فى مهج العدو بحكمه قرنت برأيك غدوه و رواحا

فسفكت ما كان الصلاح بسفكه و حقنت بعض دمائه استصلاحا

فوفود شكر المسلمين و غيرهم تأتى إليك أعاجما و فصاحا

و فى هذه القصيده إشاره إلى أن "ابن حيدر" قام بحمله أحمد فيها حركه لبني كلاب، و هى إحدى أهم القبائل المناوئه

للدوله الفاطميه فى فلسطين و جنوب "لبنان"، و هذه معلومه لم نجدها فى المصادر التاريخيه البحثه، حيث يقول "التهامى":

غادرت أسد بنى كلاب أكلبا إذ زرتهم و زيرهن نباحا

فسوا النساء و دمروا ما دبروا و رأوا بقا أرواحهم أرباحا

يتلو هزيمهم السنان كأنه حران يطلب فى قراه قراحا

و السمر قد لفتهم أطرافها لفا كما اكتنف البنان الراحا

فمعفر حسد الحياه و هارب حسد الرفات القبر و الصفاحا

حتى إذا اقتنت القنا أرواحهم قتلا و فرقت الصفاح صفاحا

رفعوا أصابعهم إليك و نكسوا أرماحهم فثنين منك جماحا

و تركت أعينهم ب "صور" فى الوغى صورا و قد جاح الورى ما جاحا

إلى أن يقول:

أنى تروم الروم حربك بعد ما صليت بحربك محربا ملحاحا

لم يرم قط بك الامام مراده إلا جلوت عن الفلاح فلاحا

و لقد غدوت أبا الحسين لجيشه للقلب قلبا و الجناح جناحا..

و يبرز دور "ابن حيدر" مجددا في تثبيت النفوذ الفاطمي في بلاد الشام الشماليه، حين يلجا "أبو الهيجاء الحمداني" إلى الامبراطور "باسيل" فيما يستنجد مرتضى الدوله منصور بن لؤلؤ الجراحي بالخليفه الحاكم بامر الله، و يتعهد بان يقيم على حلب واليا فاطميا من قبله. فرأى الحاكم في ذلك فرصه مناسبه لتدعيم نفوذه في حلب. و كان يرى أن عوده "أبي الهيجاء" إليها بمثابة عوده النفوذ البيزنطي إلى أهم مدن الشام الشماليه، و لذا سارع فأنفذ إلى قاضي طرابلس "ابن حيدر" و واليه القائد "أبي سعاده" بالتوجه نحو حلب، فخرجا في عسكر كثيف إليها، فاتفقت موافاه عسكر طرابلس إلى حلب مع نزول أبي الهيجاء بالقرب منها، و فتح "مرتضى الدوله" باب حلب للقاضي "ابن حيدر" و أطلعه إلى القلعه، و سأله أن يكتب إلى الحاكم بواقع الحال بوساطه الحمام الزاجل، و لكن القاضي بادر فورا إلى الخروج للقاء أبي الهيجاء و من معه من العرب، و وافاهم و قد عولوا على الجلوس إلى الطعام، ففاجأهم بالهجوم، و ما لبث القبائل العربيه أن تخلت عن أبي الهيجاء، بعد أن كان "مرتضى الدوله" قد بذل لهم الوعود، فانهمز أبو الهيجاء راجعا إلى بلاد الروم، و نهب جميع ما كان معه.

و كان في قلعه "إعزاز" غلام من غلمان مرتضى الدوله، متهم بأنه كان يميل إلى أبي الهيجاء، فطلب منه مرتضى الدوله التنازل عن القلعه، فلم يجبه الغلام إلى ذلك، و تملكه الخوف منه، و لما شدد مرتضى الدوله طلبه، أجابه الغلام بأنه لا يسلم القلعه إلا إلى قاضي طرابلس. و لما كان "ابن حيدر" ما يزال عند حلب فقد ذهب إلى القلعه و تسلمها من الغلام، ثم قام بتسليمها إلى مرتضى الدوله. و كتب إلى الخليفه الحاكم يطلعه على ذلك. و عاد إلى مرتضى الدوله يطلب منه إنجاز وعده الذي قطعه للخليفه باقامه وال فاطمي على حلب، و لكن مرتضى الدوله دافعه و لم يبر بوعده. و اضطر "ابن حيدر" أن يعود إلى طرابلس دون أن يحقق ما كان يرغب به الخليفه.

و في هذه الأثناء - أي سنه ٤٠٠ هـ. (١٠٠٩ م) - كان "التهامي" بطرابلس، فقال يذكر خروج "ابن حيدر" إلى حلب و عودته منها في القصيده التي مر بعض أبياتها:

شاء المهيمن أن تسير مشرفا حلبا فقيض ما جرى و أتاحا

و أردت إصلاح الأمور فافسدت فنهضت حتى استحكمت إصلاحا

كانوا يرونك مفردا في جحفل و وراء سور إن نزلت براحا

و لا شك أن هذه القصيده و أخرى غيرها، كانتا قبل مقتل "ابن حيدر" بوقت قصير، حيث نقم الخليفه الحاكم على القاضي لكونه سلم قلعه إعزاز لمرتضى الدوله، فبعث إلى طرابلس قائدا و خادمين له فقطعوا رأسه و حملوه إلى مصر في أول سنه ٤٠٢ هـ.

و هكذا خسرت طرابلس قاضيا من أعظم قضاتها الذين أثبتوا صدق ولائهم للخلافه الفاطميه، و كان مثالا- للقضاء العلماء العاملين، و المجاهدين المنافحين عن كرامه طرابلس الإسلاميه ضد الغزاه الطامعين، و الخونه المستسلمين.

و فى قصيده ثانيه للتهامى بحق القاضى "ابن حيدر" نقف على معلومه مفادها أن نفوذها كان يصل إلى مدينه صور، و أنه كان يحسن لأهلها رغم أنهم كانوا يتمرّدون على الخلافه من حين لآخر، و لعله كان ينتدب من طرابلس من يتولى تصريف أمورها حين تكون خاليه من الولاة، حيث يقول "التهامى":

ص: ٢١٧

المصادر الأخرى، و يكنيه "أبا القاسم"، و يتضح أنه أوسط أبناء القاضي، و أن التهامي مدحه بعد وفاه أبيه، أى بعد سنه ٤٠٢ هـ.
(١٠١١ م.) فيقول من قصيده (صفحه ١٩):

فتى يفعل المكرمات الجسام و يسترهن كستر الريب
توسط مجد بنى المغربى كما وسط القلب بين الحجب
هم أورثوا الفضل أبناءهم و غابوا و فضلهم لم يغب
.. أبا قاسم حزت صفو الكلام و غادرت ما بعده للعرب
فليس كلامك إلا النجوم علوت فناثرتها من كذب

كما يؤكد "التهامى" معرفتنا بآبنا آخر لقاضى طرابلس، هو "أبو محمد الحسين بن على بن حيدر"، و نحن لا نعرف عنه شيئا من المصادر الأخرى، حتى أن "ابن عساكر" الذى يترجم لجيمع الشاميين فى عصره و ما قبله لم يورد عنه شيئا، بل ذكره فى معرض ترجمه أبيه فحسب، دون ترجمه، و نتيين من قصيده "التهامى" بحقه أنه كان رئيسا لطرابلس، فلعله خلف أباه فى منصبه، حيث يقول:

يا صاح إن الدهر قدم بالغنى وعدا فما أدناك من ميعاده
هذى طرابلس و ما دون الغنى إلا نداؤك بالحسين فناده
شفع ابن حيدر على ثانيه فى هذا الزمان و كان من أفراد
بأبى محمد الذى تاوى العلى ما بين قائم سيفه و نجاده
.. متجللا ثوب الرئاسه معلما ببهائه و وفائه و سداده
حاز العلاء بجده و بجده فاختال بين طريفه و تلاده
لم يجعل الآباء متكلا و لا آباؤه اتكلوا على أجداده
و منها:

كم جحفل غادرت فيه وديعه قصبنا من الخطى فى أجساده
أما الامام(١) فشاكر لك أنعمت جميع عبادته و بلاده

كم طرزت أرض العدو دما إذا طرزت طرسك نحوهم بمداده

خففت بالأقلام عن أرماحه و بمحكم الآراء عن أجناده

لما علوت الناس جدت عليهم و الطود يقذف ماء لوهاده

حياك من ذى سؤدد و رعاك من أحيائك و استرعاك أمر عباده

و أخيرا، يؤكد "التهامى" معرفتنا بأبى القاسم هبه الله بن على بن حيدر، و هو أيضا من أبناء قاضى طرابلس، و لم يرد ذكره فى المصادر التاريخيه، بل ورد فقط فى ديوان عبد المحسن الصورى، و فى ديوان التهامى. و قد أنشد فيه "الصورى" قصيده واحده، و لم نعرف منه المنصب الذى كان يشغله "هبه الله" أما "التهامى" فينشد فيه ثلاث قصائد، نفهم من بعض أبياتها أنه كان يتولى الحكم و القضاء فى عهد الحاكم بامر الله مثل أبيه و أخيه، فيقول من قصيده (صفحه ١٧٥):

ما بال طرفك لا تنجو رميته كأنما هو رام من بنى ثعل

صدت بنجد و زارت فى طرابلس و بيننا عنق للسفن و الإبل

تنقاد نحو هواهن القلوب كما إذ قادت إلى هبه الله العلى بن على

يزين الدوله الغراء موضعه إذا تزينت الأملاك بالدول

يقضى بحكم الهدى فى المشكلات كما يقضى بحكم الطبى فى ساعه الوهل

قد حالف الفضل فى أحكامه أبدا و العدل خير اقتناء الفارس البطل

قد أحكم الحاكم المنصور دولته بال حيدر فى السهل و الجبل

تاهت بهم دوله الإسلام و اعتدلت بعزمهم كاعتدال الشمس فى الحمل

شادوا و سادوا بما بينون من كرم أساس مجدهم المستحکم الأزلى

تشابهوا فى اختلاف من زمانهم عند اللهى و النهى و القول و العمل

و يفهم من بقيه أبيات القصيده أن "التهامى" أنشدها قبل مقتل القاضى "ابن حيدر"، حيث يقول فى ابنه "هبه الله":

تبعث فى الجود و العلىا أباك و لم تكذب كما تبع الوسمى صوب ولى

حليتما الدين و الدنيا بعز كما فلا أذلهما الرحمن بالعطل

و لا رأينا بعيني دهرنا رمدا فأنتما في ماقيه من الكحل

و "عشتما" أبدا في ظل مملكه قد استعادت من التغيير و الدول

و يختصر "التهامي" الأنعام التي أنعم بها عليه "هبه الله" بهذا البيت من قصيده (صفحه ١٦٠):

منه مالي و رحلتي و عدادى و جوادى و حلتى و سلاحى

السيد علوى بن إسماعيل البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال السيد الصدر فى سلافه العصر ما لفظه:

(فاضل فى النسب و الأدب معرق و كامل، تهدل فرع مجده و أعرق، و هو اليوم شاعر هجر و منطيقها الذى واصله المنطق الفضل و ما هجر يفسح للبيان مجالا- و يوضح منه غرارا و احجالا- و يطلع فى آفاقه بدورا و شموسا، و يروض من صعابه جموحا و شموسا، و يشتر من جناه عسلا، و يهز من قناه أسلا) ثم ذكر ما سنح له من القصائد و ما خرج عنه من الفوائد.

كمال الدين عمر بن العديم.

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٧٧ من المجلد الثامن و نشر هنا كلمه عن كتاب له خطى، مكتوبه بقلم دريه الخطيب:

كتاب "الوصله إلى الحبيب فى وصف الطيبات و الطيب" لكمال الدين عمر بن العديم واحد من أهم الكتب المؤلفه فى الفن المطبخى فى العصر الوسيط، إنه كتاب فى الأَطعمه و الأغذيه و طريقه صناعتها، و فى الطب و العطور و المياہ و الصابون، و بعض الاستعمالات الطبيه للأطعمه و غيرها، و كيفيه تركيب بعض الأدوية منها.

و تأتي أهميه الكتاب:

أولا: من غزاره مادته و تنوعها، و شموله على أكبر قدر من الوصفات. (٢)

ثانيا: ذكر المؤلف بعض الفوائد الصحيه و الاستطباقات الدوائيه لبعض

ص: ٢١٨

١- يقصد به الخليفه الفاطمى.

٢- آثرنا استعمال كلمه " و صفه "على كلمه " طبق " التى تستعمل فى مثل هذه الحالات لأن ما فى الكتاب ليس أطباقا تقدم فحسب، و إنما فيه من الأشربه و المخللات و البخور و المياہ مما لا ينطبق عليه كلمه " طبق " .

الأطعمه و المواد الغذائيه، و أهميتها فى شفاء بعض الأمراض، و هذه ظاهره جديره باهتمامنا، و لا سيما أن الطب الحديث اليوم يتجه إلى التراث، و يعود إلى الأغذيه و الأعشاب لمعرفة خواصها، و فوائدها، و طرق الاستفاده منها للمعالجه بها، على أنها وسائل طبيعيه بديله تستغنى عن العقاقير، التى إن أفادت فى شفاء مرض ما، فإنها تترك أثرها السام فى أعضاء أخرى من الجسم.

ثالثا: يعطى الاطلاع على الأطعمه و الأغذيه و أنواعها، و مدى اهتمام الناس بها فى فتره زمنيها ما، و فى عصر معين صورها عن الحياه الاجتماعيه لهذا العصر، و الكتاب يكشف لنا عن تفنن أهل القرنين السادس و السابع الهجريين، و لا سيما فى مدينه حلب، فى فن الطهى، و أفانين الطعام، ما كان منه أساسيا كالحبز و المعجنات، و ما كان كماليا كالمخللات و المقبلات و غيرها، و يصور مطبخا عربيا غنيا مسرفا فى البذخ و الإنفاق، و تناول المطيبات من المأكولات و التعطر بالفاخر من الطيب، و لا شك أن المطبخ الذى يصفه المؤلف أو ذلك المعمل الذى كان ينتج تلك الأنواع من اللحوم و الأطعمه المعجونه بالفستق و اللوز، و القطائف التى تتسائل جوذاباتها سمننا و عسلا، ليس معملا عاما لفئات الشعب كافه بل هو لفئه خاصه ثريه مما يدل على سمه من سمات ذاك المجتمع.

رابعا: يشير الكتاب إلى الأدوات المستعمله فى الطهى و المواد الداخله فى تركيب أصناف الأغذيه و العطور و الصابون، و غير ذلك، مما يمكن أن يعطينا لمحه عن تاريخ التكنولوجيا فى ذلك العصر، و قد تكون لها فائده غير مباشره لدراسه تاريخ التكنولوجيا فى العصر الوسيط فى بعض المجالات التى لم تصلنا فيها المعلومات الوافيه.

خامسا: يتيح الكتاب للمرأه المعاصره خصوصا و للقارئ عموما أن يطلع على مهاره المرأه العربيه فى هذا المجال و مدى تفننها فى إعداد أنواع من الأغذيه و الأطعمه، و توصلها إلى أجدى الطرق الصحيحه و الصحيه فى حفظ أنواعها و ادخارها و خاصه خلال القرنين السادس و السابع الهجريين، و يمثل هذا خلاصه القرون السابقه لها فى مجالها.

إذن فهذا الكتاب فى الفن المطبخى يشمل لمحات من الطب و الصيدله و الصناعه و الفن.

مخطوطاته:

المخطوطات المعروفه لهذا الكتاب حتى الآن عشر و هى:

١ - الأحمديه (فى مدينه حلب).

٢ - الظاهريه (فى مدينه دمشق).

٣ - المتحف البريطانى (فى لندن).

٤ - إستانبول (فى تركيا، مكتبه أحمد الثالث).

٥ - برلين (فى ألمانيا).

٦ - بتنه (في الهند).

٧ - بنكيور (في الهند).

٨ - القاهرة (في مصر).

٩ - الموصل (في العراق). ٢١٩ - ١٠ - حسين جلبي (في بروسه أو بورسه في تركيا).

و ذكر الدكتور محمد عيسى صالحيه في رساله خاصه وجود مخطوطه أخرى برقم / ٤٤٥ معهد الدراسات الشرقيه!؟ /.

ورد ذكر هذا الكتاب عند حاجي خليفه في كتابه "كشف الظنون" (١) مكتبه المثنى - بغداد عن طبعه إستانبول ١٩٤١ م.، دون ذكر اسم المؤلف، و عرفه بأنه: "مختصر في المعاجين"، ثم أورد فاتحته و قسما من المقدمة، على طريقته في ذكر الكتب، حيث قال: "أوله الحمد لله الواحد القهار... إلى آخره. (٢) قال صاحبه و لم أضع فيه شيئا إلا بعد أن ركبته مرارا و تناولته مدارا، بدأ فيه بالطيب لشرف قدره".

و ذكره بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" في الأصل (٣) (الطبعه الألمانية).، و في الذيل:

فأورده أولا في الأصل باسم "الوسيله إلى الحبيب في وصف الطيبات و الطيب"، و وضع بين قوسين اسم "الوصله" و نسبه إلى ابن العديم الحلبي، و ذكر مخطوطتي برلين و بتنه، و أشار إلى وروده عند حاجي خليفه.

ثم ذكره ثانيه (٤) باسم "وصله الحبيب في وصف الطيبات و الطيب" و نسبه إلى من اسمه كمال الدين أبو القاسم عبد الدائم العقيلي الحبيب، و ذكر مخطوطه بروسه و عاد فذكر مخطوطه بتنه.

و قد أضاف في الذيل (٥) إلى مخطوطاته المذكوره عند ابن العديم مخطوطات المتحف البريطاني و بنكيور و الموصل، و ذكر أن مخطوطه الموصل تنسبه إلى يحيى بن العظيم بن الجزار المتوفى سنة (٦٧٩هـ / ١٢٨١ م).

و ذكره ككتاب مستقل (٦) آخر منسوب إلى ابن أخ مجهول للملك الأشرف المملوكي (٦٨٩ - ٦٩٣هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٤ م)، استنادا إلى مخطوطه القاهرة الوحيدة (٧)، و لم يذكر مخطوطه حلب و لا مخطوطتي دمشق و إستانبول.

و تحدث الدكتور سامي الدهان عن مخطوطاته فقال (٨): "رأيناه في مكتبه برلين برقم ٥٤٦٣ و تاريخ ١٠٠٠ للهجره سنة ١٩٤٦... و رأينا نسخه منه كذلك في القاهرة و دار الكتب المصريه (رقم ٧٤ علوم صناعيه و تاريخه ٥٧٠٣هـ)، وضعه المفهرس في باب العلوم الصناعيه. و من هذا الكتاب نسخه في المكتبه الظاهريه بدمشق و منه نسخه في الآستانه... كما أننا لم نجد على نسخه دار الكتب المصريه و نسخه الظاهريه نسبه إلى أحد".

يتالف الكتاب من مقدمه صغيره و عشره أبواب، و يبين المؤلف في مقدمه).

١- ج ٢/٢٠١٤

٢- لم ترد كلمه "القهار" فى أى من مخطوطات الكتاب، و لو لا أن ما ورد بعدها يطابق ما فى الكتاب لقلنا إنها مقدمه كتاب لأبى محمد المظفر بن نصر بن ستار الوراق (كان موجودا سنه ٦٩٦ هـ) اسمه: "الوصله إلى الحبيب ليغتنى به عن جهل الطيب". فهرس المخطوطات المصوره لمعهد المخطوطات العربيه التابع لجامعه الدول العربيه، تصنيف فؤاد سيد، المعارف العامه و الفنون المتنوعه ج ٤ ص ١٧٧، القاهره ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م.

٣- ج ١/٤٠٥

٤- ج ١/٦٥٢ رقم ٦ (الطبعه - الألمانيه).

٥- ذيل ١/٥٦٩ (الطبعه الألمانيه).

٦- ذيل ١/٩٠٤ رقم ٩ (الطبعه الألمانيه).

٧- "أبحاث حول الوثائق العربيه المتعلقه بالطبخ" للمستشرق رودنسون فى مجله الدراسات الإسلاميه / ١٩٤٩ / ص ١٢٢.

٨- "زبده الحلب من تاريخ حلب" تحقيق، الدكتور سامى الدهان، منشورات المعهد الفرنسى بدمشق ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م مقدمه الناشر ص (م ٤٨، ٤٩).

سبب تأليفه للكتاب و سبب تسميته فيقول: (١) " فإنه لما كان معظم اللذات الدنيوية و الأخرويه فى تناول شهى المآكل و المشارب، و كان تطيب البدن و الثياب مما يقرب إلى الأحباب و الحباب.. و فى تناول الطيبات تقويه على العباده للعبد، و هى تستخرج من القلب خالصه الحمد.. فلهذا جمعت هذا الكتاب و سميته كتاب الوصله إلى الحبيب فى وصف الطيبات و الطيب.. " ثم يقول: إنه اعتمد فيه على تجربته الشخصيه، و إنه لم يضع فيه شيئاً " إلا بعد أن ركبته مرارا و ناولته مدارارا، و استخلصته لنفسى و باشرته بذوقى و لمسى " . و يبدأ فيه بالطيب " لشرف قدره و طيب عرفه و انتشار ذكره " . ثم يورد أبواب الكتاب العشره و هى:

١ - باب الطيب.

٢ - الباب الثانى: فى الأشربه.

٣ - الباب الثالث: فى المياہ و صفتها و كيفية العمل بها و الخل و استقطاره.

٤ - الباب الرابع: فى صفه سلى الأليه.

٥ - الباب الخامس: فى أنواع الدجاج المحلى و الممتزج و ما يجرى مجراها.

٦ - الباب السادس: فى الأطعمه المنشفات و السنوسك و ما يجرى مجراها.

٧ - الباب السابع: فى الحلوات و المخبوزات و ما يجرى مجراها.

٨ - الباب الثامن: فى المخلاتات و الملوحات و صفه صنعتها.

٩ - الباب التاسع: فى أنواع الأشنان و الصابون المطيب.

١٠ - الباب العاشر: فى تصعيد المياہ و تطيب رائحه الفم.

و هناك قسم آخر أضيف إلى الكتاب بعنوان: " زيادات ليست من الكتاب " و ردت فى ثانيا الباب السابع.

الشيخ عيسى بن صالح آل عمفور الدرازى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فاضلا صالحا عارفا بالتواريخ و السير له كتاب ضخيم فى حاله الشعراء من المتقدمين و المتأخرين و له كتاب قصائد منها قصيده بديعه يمدح بها الشيخ العلامة الشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى يوم كان فى الهند و قد وفد عليه فأجازه جائزه سنیه.

قيس بن عمرو بن مالك

المعروف بالنجاشى.

مرت ترجمته في الصفحة ٤٥٧ من المجلد الثامن و مرت إشاره إليه في الجزء الأول من المستدركات و نضيف على ذلك ما ياتي عن كتاب الغارات لابن هلال الثقفي:

كان شاعر علي (ع) بصفين فشرب الخمر في الكوفة فحده أمير المؤمنين (ع) فغضب و لحق بمعاويه و هجا عليا (ع).

خرج النجاشي في أول يوم من رمضان فمر بأبي سمال الأسدي (٢) و هو قاعد بفناء داره، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد الكناسه. قال: هل لك في رؤوس و أليات (٣) قد وضعت في التنور من أول الليل فأصبحت قد أينعت و تهرأت؟ قال: ويحك في أول يوم من رمضان؟! قال: دعنا مما لا نعرف قال: ثم مه؟ قال: ثم أسقيك من شراب كالورس، (٤) يطيب النفس، و يجرى في العرق، و يزيد في الطرق (٥)، يهضم الطعام و يسهل للفم (٦) الكلام، فنزل فتغديا ثم أتاه بنبيذ فشرباه، فلما كان من آخر النهار علت أصواتهما. و لهما جار يتشيع من أصحاب علي (ع)، فاتي عليا (ع) فأخبره بقصتهما، فأرسل إليهما قوما فأحاطوا بالدار، فاما أبو سمال فوثب إلى دور بني أسد فأفلت، و أما النجاشي فاتي به عليا (ع)، فلما أصبح أقامه في سراويل فضربه ثمانين ثم زاده عشرين سوطا، فقال: يا أمير المؤمنين أما الحد فقد عرفته فما هذه العلاوه التي لا نعرف؟ قال: لجرأتك علي ربك و إفطارك في شهر رمضان، ثم أقامه في سراويله للناس فجعل الصبيان يصيحون به: فجعل يقول: كلا و الله إنها يمانيه و كاؤها شعر (٧) فمر به هند بن عاصم السلولي فطرح عليه مطرفا (٨) ثم جعل الناس يمرون به فيطرحون عليه المطارف حتى اجتمعت عليه مطارف كثيرة ثم أنشا يقول:

إذا الله حيا صالحا من عباده تقيا فحيا الله هند بن عاصم

و كل سلولي إذا ما دعوته سريع إلى داعي العلي و المكارم

ثم لحق بمعاويه و هجا عليا (ع) فقال:

ألا من مبلغ عنى عليا باني قد أمنت فلا أخاف

عمدت لمستقر الحق لما رأيت قضيه فيها اختلاف

(٩) عن أبي الزناد (١٠) قال: دخل النجاشي على معاويه و قد أذن معاويه للناس عامه فقال لحاجبه: ادع النجاشي، قال: و النجاشي بين يديه، و لكن اقتحمته عينه (١١) و لعل معاويه تعمد ذلك، فقال: ها أنا ذا النجاشي بين يديك يا أمير المؤمنين، إن الرجال ليست بأجسامها إنما لك من الرجل أصغراه قلبه و لسانه، قال: ويحك أنت القائل:

و نجى ابن حرب سابح ذو علاله أجش هزيم و الرماح دوان

ص: ٢٢٠

١- ص ٣ من مخطوطه إستانبول.

٢- هو سماعيل بن هبيرة الأسدي الشاعر، قال ابن حجر: "له إدراك و نزل الكوفة... عاش مائه و سبعا و ستين سنه.. و كان مع

- طليحه فى الرده... كان لا يغلق باب داره و كان له مناد ينادى من ليس له خطه فمنزله على أبى السمال، شرب الخمر فى رمضان مع النجاشى الحارثى فأقام على الحد على النجاشى و هرب أبو السمال (انظر الاصابه حرف السين ق ٣).
- ٣- أليات جمع أليه - بالفتح - أى أليه الشاه و لا يقال إليه بالكسر و لا ليه بدون همزه.
- ٤- الورس: نبت أصفر يكون باليمن و مراده الصفاء.
- ٥- الطرق - بالكسر -: القوه و الشحم، و إذا كان بالفتح فالمراد الإتيان بالليل كناية عن الملامسه.
- ٦- القدم: العيبى.
- ٧- وكاؤها شعر: كناية عن القوه و عدم الانفلات فهو استعاره كالأستعاره فى الحديث (العين وكاء السه).
- ٨- المطرف - بتثليث الميم و سكون الطاء - ثوب من خز مربع فى طرفيه علمان.
- ٩- جاء فى نسخه الظاهريه هكذا: ألا من مبلغ عنى عليابانى قد أخذت على رواف عمدت لمستقر الحق لمارأيت قضيه فيها اختلافى
- ١٠- أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، قال الذهبي: "الامام الثبت... كان سفيان يسمى أبا الزناد: أمير المؤمنين فى الحديث" كان كاتباً لبنى أميه، و كان ربيعه الرأى قال فيه "ليس بثقه و لا رضى" و هو الذى روى الحديث: (إن الله خلق آدم على صورته) توفى فجاه فى شهر رمضان سنه ١٣٠ (انظر المعارف لابن قتيبه ص ٢٠٤ و ميزان الاعتدال ٤/٤١٨).
- ١١- أى احتقرته

إذا قلت: أطراف الرماح تنوشه مرثه له الساقان و القدمان

(١) ثم ضرب بيده إلى ثديه و قال: ويحك إنما مثلى لا تعدو به الخيل، فقال:

إني لم أقل هذا لك إنما قلته لعتبه بن أبي سفيان.

و لما حد علي (ع) النجاشي غضب لذلك من كان مع علي من اليمانيه و كان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب بن أسامه النهدي فدخل علي أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين ما كنا نرى أن أهل المعصيه و الطاعه، و أهل الفرقة و الجماعه عند ولاه العدل، و معادن الفضل سيان في الجزاء، حتى رأيت ما كان من صنيعك باخي الحارث، فأوغرت صدورنا، (٢) و شتت أمورنا، و حملتنا على الجاده التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار، فقال علي (ع): (إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) يا أخا بني نهدي، و هل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حدا كان كفارته، يا أخا بني نهدي إن الله تعالى يقول: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ).

فخرج طارق من عند علي و هو مظهر بعذره قابل له، فلقيه الأشر النخعي فقال له: يا طارق أنت القائل لأمير المؤمنين: إنك أوغرت صدورنا و شتت أمورنا؟ - قال طارق: نعم، أنا قائلها. قال له الأشر: و الله ما ذاك كما قلت، و إن صدورنا له لسامعه، و إن أمورنا له لجامعه. قال: فغضب طارق، و قال: ستعلم يا أشر أنه غير ما قلت، فلما جنه الليل همس (٣) هو و النجاشي إلى معاويه، فلما قدما عليه دخل آذنه فأخبره بقدمهما و عنده و جوه أهل الشام منهم عمرو بن مره الجهني (٤) و عمرو بن صيفي (٥) و غيرهما، قال:

فدخلنا عليه، فلما نظر معاويه إليه قال: مرحبا بالمورق غصنه، المعرق أصله، المسود غير المسود، في أرومه (٦) لا- ترام، و محل يقصر عنه الرامي، من رجل كانت منه هفوه و نبوه (٧) باتباعه صاحب الفتنة، و رأس الضلاله و الشبهه، التي اغترز (٨) في ركاب الفتنة حتى استوى على رحلها ثم أوجف في عشوه ظلمتها و تيه ضلالتها، (٩) و اتبعه رجرجه من الناس، (١٠) و هنون من الحثاله (١١)، أما و الله ما لهم أفئده (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا). فقام طارق فقال: يا معاويه إنى متكلم فلا يسخطك أول دون آخر، ثم قال و هو متكئ على سيفه: إن المحمود على كل حال رب علا فوق عبادته فهم منه بمنظر و مسمع، بعث فيهم رسولا- منهم لم يكن يتلو من قبله كتابا و لا يخطه يمينه إذا لارتاب المبطلون، فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين برا رحيمًا.

أما بعد فانا كنا نوضع (١٢) فيما أوضعنا فيه بين يدي إمام تقى عادل في رجال من أصحاب رسول الله (ص) أتقياء مرشدين، ما زالوا منارا للهدى و معالم (١٣) الدين خلفا عن سلف مهتدين، أهل دين لا- دنيا، و أهل الآخرة كل الخير فيهم، و اتبعهم من الناس ملوك و أقيال، و أهل بيوتات و شرف، ليسوا بناكتين و لا قاسطين، فلم تك رغبه من رغب عنهم و عن صحبتهم إلا لمراره الحق حيث جرعوها، و لو عورته حيث سلوكها، و غلبت عليهم دنيا مؤثره، و هوى متبع (وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا) و قد فارق الإسلام قبلنا جبله بن الأيهم (١٤) فرارا من الضيم و أنفا من الذله فلا تفخرن يا معاويه أن قد شددنا إليك الرحال و أوضعنا نحوك الركاب، فتعلم و تنكر. أقول قولى هذا و أستغفر الله العظيم لى و لجميع المسلمين.

ثم التفت إلى النجاشي وقال: ليس بعشك فادرجي (١٥) فشق على معاوية ذلك و غضب و لكنه أمسك فقال: يا عبد الله ما أردنا أن نوردك مشرع ظما، و لا أن نصدرك عن مكرع رواء، و لكن القول قد يجري بصاحبه إلى غير الذي ينطوى عليه من الفعل، ثم أجلسه معه على سريره، و دعا له بمقطعات (١٦) و برود فصبها عليه، ثم أقبل عليه بوجهه يحدثه حتى قام.

فلما قام طارق خرج و خرج معه عمرو بن مره، و عمرو بن صيفي الجهنيان فأقبلا- عليه يلومانه في خطبته إياه و فيما عرض لمعاوية.

فقال طارق لهما: و الله ما قمت بما سمعتماه حتى خيل لي أن بطن الأرض أحب إلى من ظهرها عند إظهاره ما أظهر من البغي و العيب و النقص لأصحاب محمد (ص) و لمن هو خير منه في العاجله و الآجله و ما زهت به نفسه، و ملكه عجبه و عاب أصحاب رسول الله (ص) و استنقصهم و لقد قمت مقاما عنده أوجب الله على فيه أن لا أقول إلا حقا، و أى خير فيمن لا ينظر ما يصير إليه غدا؟! و أنشا يتمثل بشعر لبيد بن عطار التميمي:

لا تكونوا على الخطيب مع الدهر فاني فيما مضى لخطيبه.

ص: ٢٢١

١- هذان البيتان من قصيده للنجاشي يهجو بها معاوية يوم صفين من قصيده روى منها نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٦٠١ واحدا و ثلاثين بيتا و كان معاوية يعير بها بعد ذلك و يعرض بها، و السابح الجواد و جمعه سوابح، و الأجدش: الغليظ الصوت من الإنسان و الخيل، و الهزيم: الفرس الشديد الصوت و مرثه - بالمثلثه -: حر كته.

٢- أوغرت صدورنا: جعلتها تتوقد من شدة الغيظ.

٣- الهمس - هنا -: السير ليلا بلا فتور.

٤- عمرو بن مره الجهني صحابي يكنى أبا مريم شهد مع النبي (ص) أكثر المشاهد مات في أيام معاوية و قيل أيام عبد الملك (انظر الاستيعاب ٥١٩/٢ و الاصابه حرف العين ق ١).

٥- عمرو بن صيفي، قال السيد المحدث رحمه الله: "لم أجد ذكره في كتب التراجم".

٦- الأرومه - بفتح الهمزة و بضمها -: الأصل.

٧- الهفوه: الزله، و النبوه - هنا -: التقصير كأنها ماخوذه من قولهم نبا السهم إذا قصر عن الهدف، و نبا السيف إذا كل عن الضريبه.

٨- اغترز: وضع رجله في الغرز و هو ركاب من جلد.

٩- أوجف: أسرع، و العشوه - بتثيثة العين المهمله -: ركوب الأمر على غير بيان، و التيه - بكسر التاء هنا - الضلال.

١٠- الرجرجه من الناس: الأراذل و من لا عقول لهم.

١١- هنون جمع هين و هو الحقير المهان، و الحثاله: الردىء من كل شىء.

١٢- وضع و أوضع: أسرع في سيره و منه قوله تعالى: (لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ).

١٣- المعالم جمع معلم و هو الأثر الذي يستدل به على الطريق.

- ١٤- جبله بن الأيهم آخر ملوك غسان، أسلم في زمن عمر و قدم المدينة في أهبه الملك و فرح المسلمون في قدومه و إسلامه و حضر الموسم من عامه فينما هو يطوف في البيت إذ وطئ على إزاره رجل من بني فزاره فحله فلطمه فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزاري عمر و طلب إليه عمر أن يرضى الفزاري أو يقيده فأخذته العزه بالإثم و اجتمع قوم جبله و بنو فزاره، فكادت تكون فتنه، فقال جبله: امهلني إلى غد يا أمير المؤمنين، قال: ذاك لك فلما كان جنح الليل خرج هو و أصحابه فلم يئن حتى دخل القسطنطينيه على هرقل فتنصر و أعظم هرقل قدومه و سر به انظر تفصيل القصة في العقد الفريد لابن عبد ربه ٥٦/٢.
- ١٥- مثل يضرب و معناه ليس هذا مكانك فاتركه و عش الطائر موضعه و هو الذي يكون في أفنان الأشجار يجمعه من دقاق العيدان و غيرها فإذا كان في جبل أو جدار أو نحوهما فهو و كر و كن، و الدرج: المشى بتقارب خطو.
- ١٦- المقطعات برود قصار موشاه و لا واحدا له من لفظه.

أصدع الناس فى المحافل بالخطبه يعبى بها الخطيب الأريب

و إذا قالت الملووك من الحاسم للداء؟ قيل: ذاك الطيب

غير أنى إذ قمت كاربنى الكربه لا يستطيعها المكروب

و كذاك الفجور يصرعه البغى و فى الناس مخطئ و مصيب

و خطيب النبى أقول بالحق و ما فى مقاله عرقوب(١)

إن من جرب الأمور من الناس و قد ينفع الفتى التجريب

لحقيق بان يكون هواه و تقاه فيما إليه يثوب

فبلغ عليا (ع) مقاله طارق و ما قال لمعاويه فقال: لو قتل أخو بنى نهد يومئذ لقتل شهيدا.

و زعم بعض الناس أن طارق بن عبد الله رجع إلى علي (ع) و معه النجاشى.

و عمل معاويه فى إطراء طارق و تعظيم أمره حتى تسلل ما كان فى نفسه.

و طارق هو القائل:

هل الدهر إلا ليله و صباحها و إلا طلوع الشمس ثم رواحها

يقرب ما ينأى و يبعد ما دنا إلى أجل يقضى إليه انسراحها

و يسعى الفتى فيها و ليس بمدرك هواه سوى ما ضر نفسا طماحها(٢)

و من يسع منا فى هوى النفس يلقتها سرىعا إلى الغى المقيم جماحها(٣)

و عاذله قامت تلوم مدله على فلم يرجع قتيلا صياحها(٤)

و تزعم أن اللوم منها نصيحه و حرم فى الدنيا على انتصاحها

إذا كان أمر العاذلات ملامه فاولى أمور العاذلات اطراحها(٥)

و قد حنكتنى السن و اشتد حنكتى و جانبى لهو الغوانى و راحها(٦)

و قد كنت ذا نفس تراح إلى الصبا فاضحت إلى غير التصابى ارتياحها(٧)

، و الصبا: جهل الفتوه، و التصابي: تعاطى الصبا.

و إني لمن قوم بنى المجد فيهم بيوتا فأمست ما تنال براحها(٨)

مطاعيم في القحط الجديب زمانهم إذا أقوت الأنواء هاجت رياحها(٩)

و أخلف إيماض البروق و عطلت بها الشول و استولت و قل فصاحها(١٠)

و قر قرار الأرض إما ملوكهم و ساداتهم ما بل عشا نصاحها

(١١)

كريب بن زيد الحميري

خرج مع التوابين الذين خرجوا بقياده سليمان بن صرد الخزاعي للطلب بشار الحسين، و لما علم كريب ما عزم عليه رفاعه بن شداد من الرجوع جمع إليه رجالا من حمير و همدان و قال: عباد الله روحوا إلي ربكم و الله ما في شيء من الدنيا خلف من رضا الله و قد بلغني أن طائفه منكم يريدون الرجوع فاما أنا فو الله لا أولى هذا العدو ظهري حتى أرد مورد أخواني، فأجابوه و قالوا:

رأينا مثل رأيك، فتقدم عند المساء في مائه من أصحابه فقاتلهم أشد القتال، فعرض ابن ذى الكلاع الحميري عليه و على أصحابه الأمان، فقال: قد كنا آمنين في الدنيا و إنما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوهم حتى قتلوا.

الشيخ كمال الدين بن سعادة الستري البحراني.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من مشايخ زين الملّه و الدين الشيخ علي بن سليمان الستري البحراني.

قال الشيخ ميثم البحراني في كتابه: النجاه في القيامه في تحقيق الامامه:

و لاثبات ذلك - أي الامامه - دليل عقلي لمولانا كمال الدين بن سعادة البحراني. و ذكره العلامة فائني عليه. و توفي قدس سره سنه ٥٥٥ الخامس و الخمسين و الخمسمائه.

السيد مال الله بن السيد محمد الخطي.

قال في تاريخ البحرين المخطوط بمبالغاتة:

زيدة الأوائل و الأواخر الذي لا يكون لعلمه أول و آخر، فخر المحققين و زبده المجتهدين سيد العلماء المتأخرين، انتهت إليه رئاسه الخط و الأحساء، و الأمر باحكام الشريعة في الصباح و المساء و هو مجاز عن شيخه الشيخ أحمد الأحسائي و له معه أجوبه

مات سنة ١٢٢٢ و قبره الشريف فى القطيف يزار و يتبرك به.

ماه شرف خانم بنت الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم الطالقانيه القزوينيه.

عالمه فاضله، أديبه، شاعره، خطيبه، متكلمه، عارفه.

قرأت على أخيها الشيخ محمد البرغانى، ثم هاجرت إلى أصفهان، و أخذت من أجلاء علمائها و منها نزحت إلى كربلاء و النجف ثم استقرت فى قزوین فاخترها فتح على الشاه القاجارى لمنصب كبير فى البلاط الشاهنشاهى و كان لها خط جميل للغايه و أسلوب أدبى رائع فى الإنشاء و كانت ترسل عن لسان البلاط علماء الإسلام و تجيب على رسائلهم. قال الأمير عضد الدوله سلطان أحمد الميرزا فى كتابه (تاريخ عضدى) (... ماه شرف عمه المرحوم الحاج الملا محمد صالح المجتهد البرغانى الملقبه بمنشيه (سكرتيره) كان لها خط جميل لا سيما فى خط الشكسته بشكل رائع للغايه و كانت مسئوله عن الرسائل

ص: ٢٢٢

- ١- عرقوب: أى ليس فيه التواء.
- ٢- الطماح: هنا كالجماح وزنا و معنى.
- ٣- الجماح: ركوب الهوى.
- ٤- المدله: التى ترى زوجها جراه فى تغنج و تشكل كأنها تخالفه و ما بها من خلاف، و احتمال السيد المحدث أنه ربما كان "فلم ينجع فتيلاً" و ذلك أن يقال: " ما أغنى عنك فتيلاً أى شيئاً بقدر الفتيل " و الفتيل ما يكون فى شق النواه.
- ٥- الإطراح: الابعاد.
- ٦- حنكته السن: أحكمته التجارب، و الحنكه: التجربه و الفهم، و الغوانى جمع غانيه و هى المرأه التى تطلب و لا- تطلب لأنها استغنت بحسنها، و قيل: هى الشابه العفيفه ذات زوج أولاً، و الراح: الخمر، أو يريد الارتياح بلهوه معهن.
- ٧- يراح: تأخذه خفه و أريحيه
- ٨- البراح: المتسع من الأرض و يريد أفنيتهها.
- ٩- مطاعيم جمع مطعام و هو كثير الإطعام و القرى، و القحط: الجذب، و الجديب: بين الجدوبه، و أقوت: خلت، و الأنواء جمع نوء و هو النجم الذى يستمطرون به، و هاجت رياحها: هبت و هو كناية عن الكرم.
- ١٠- البروق جمع برق و إيماضها: لمعانها، و الشول جمع شائله و هى الناقه التى يجف لبنها و عطلت: لا- راعى لها لأن الرعاه تركوها لهزالها و عدم فائدتها" استولت "نقص لبنها من ولت يلت، أو هو تصحيف. و الفصاح جمع فصيح و المراد هنا اللبن الخالص يقال: أفصح اللبن أى ذهب رغوته و انقطع اللبا عنه و اشولت أى جفت ألبانها و لحقت بطونها بظهورها من الهزال.
- ١١- النصاح: السقى يقال: نصحه الغيث أى سقاه حتى اتصل نبتة فلم يكن فيه فضاء.

و الإنشاء فى البلاط الایرانى... (١) و كانت مشاوره للشاه القاجارى فتح على شاه فى أمور إداره البلاد و كان يأخذ الشاه برأیها. (٢)

الشیخ محسن بن الشیخ محمد بن الشیخ یوسف صاحب الحدائق

من آل عصفور.

قال فى تاریخ البحرین المخطوط:

و هذا الشیخ من فضلاء هذه الطائفه و أعیانها أخذ عن أخیه الشیخ موسیالمتقدم ذكره و برز فى الفنون و كان إماما بعد أخیه الشیخ موسی.

یضرب به المثل فى الفقه، عارفا بالأصولین و النحو و القرآن، زکیا فصیحا، ولد فى فسا سنه ثمانی عشره و مائتین بعد الألف. و مات قدس سره سنه تسع و خمستین و مائتین بعد الألف، و له کتاب الأربعین فى فضائل أمیر المؤمنین. و شرح المغنی و کتاب الإجازات. و حاشیه على المطول. و رساله فى الشکیات. و رساله فى معنى قوله (ص): "الحسن و الحسین سیدا شباب أهل الجنة". و رساله فى قوله (ص): (ستدفن بضعه منى بخراسان).

و حاشیه على الشرائع. و رساله المحاکمه بین من قال باستحباب فصل الشهاده لعلى بالولایه فى الأذان و من قال بعدمه.

و غیر ذلك من الرسائل و له من الأولاد الشیخ موسی و هو الآن من أكابر علماء فسا. و له من المصنفات کتاب العمده.

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدى.

إشاره

كتب الشیخ محمد حسن آل یاسین ما یلى:

عثرت فى المکتبه الرضویه بمدینه "مشهد" الإیرانیه على مخطوط نفیس قیم یعنى بالحديث عن مکة المکرمه، و الطرق الموصله إليها من جهه المدینه المنوره و الکوفه و البصره و سائر الحواضر الإسلامیه المشهوره يوم ذاک مع تتبع بالغ، و وصف دقیق لما تضمنته تلك الطرق من بواد و قفار، و برك و آبار، و أبنیه و قصور، و أمیال و آثار، و زروع و علامات برید، بحيث لم یغادر صغیره و لا کبیره إلا أحصاها. و بهذا كان الكتاب مثیرا للعجاب جالبا للاهتمام قمینا بالبحث و الدراسه و النشر.

و أهم ما یبعث على الأسف عند مطالعه هذه النسخه نقصانها من أولها بمقدار لا نستطیع تحدیده، و إن كان نرأى سیرا على الأ-کثر، و لکنه - على قلته المحتمل - أفقدنا اسم هذا العالم الجغرافى المحقق فبقی مجهولا خلال هذه الأعوام المتماذیه التى مرت على الكتاب و هو ناقص مبثور.

ثم أشکل الأمر ثانیه بواسطه المجلد الذى قدم و آخر بعض الأوراق أثناء التجلید فتداخل فىه الحديث عن هذا المكان بالحديث

عن ذاك، فالتبست بعض مطالبه على أكثر مطالعيه.

و النسخه التي نحن بصددھا قديمه النسخ كثيره التصحيف و التحريف قليله النقط، تتالف من ١١٦ ورقه بحجم ١٨.٢٣ سم، و رقمھا العام في المكتبه ٥٧٥١، و الواقف لها علامه عصره الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنه ١٠٣١ هـ، و في أولھا ختم باسم "حسن بن علي بن عبد العالی" مؤرخ سنه ٩٥٧ هـ.

أما آخر الكتاب فتام، و جاء في ختامه ما نصه:

"تم الكتاب بعون الله و حسن توفيقه، و الحمد لله حق حمده، و صلواته على خير خلقه سيدنا محمد النبي و عترته الطاهرين و سلم، و حسبنا الله و نعم الوكيل".

ثم ورد في ذيل الصفحه الأخيره ما لفظه:

"من عواری الزمن علی يد أضعف عباد الله... في تاريخ غره محرم الحرام سنه ٨٩٩" و قد اعتدت يد جاهله علی هذا التملك فحككت اسم المالك فلم نعرفه.

و بالنظر إلى أهميه موضوع الكتاب و نفاسه معلوماته فقد بذلت جهدا كبيرا في سبيل معرفه مؤلفه و في تنظيم أوراقه حسب تسلسلھا الواقعي، فانكشف الغطاء، و اتضح الحقيقه، و الحمد لله رب العالمين.

إن أول حقيقه تسوقنا إليها روايات الكتاب أن مؤلفه من رجال القرن الثالث الهجري، لأن كل الرواه الذين يروى عنهم المؤلف هم من أعلام هذا القرن و مشاهيره، و نذكر في أدناه طائفه منهم علی سبيل التمثيل:

١ - أحمد بن إسماعيل السهمي المدني، أبو حذافه، المتوفى ببغداد سنه ٢٥٩ هـ.

٢ - أحمد بن عبد الجبار العطاردي الكوفي، المتوفى ببغداد سنه ٢٧٢ هـ.

٣ - أحمد بن منصور بن سيار الرمادي، أبو بكر، المتوفى ببغداد سنه ٢٦٥ هـ.

٤ - جعفر بن محمد بن شاكر الصايغ، المتوفى ببغداد سنه ٢٧٩ هـ.

٥ - الحرث بن محمد بن أبي أسامه التميمي البغدادي، أبو محمد، المتوفى ببغداد سنه ٢٨٢ هـ.

٦ - الحسن بن مكرم بن حسان، أبو علي، المتوفى ببغداد سنه ٢٧٤ هـ.

٧ - عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال، أبو محمد الأنصاري الوراق البلخي، المعروف بابن أبي سعد، المتوفى ببغداد سنه ٢٧٤ هـ و يعبر عنه المؤلف تاره ب "عبد الله بن عمرو" و تاره ب "عبد الله بن أبي سعد" و أخرى ب "أبي محمد الوراق".

٨ - عبد الملك بن محمد الرقاشى البصرى، أبو قلابه، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٦ هـ.

٩ - محمد بن الجهم بن هارون السمرى الكاتب النحوى، أبو عبد الله، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٧ هـ.

١٠ - محمد بن خلف بن عبد السلام الأعور المروزى، أبو عبد الله، المتوفى ببغداد سنة ٢٨١ هـ.

١١ - محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى الحافظ، أبو جعفر، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٤ هـ.

١٢ - محمد بن عبد الملك بن زنجويه البغدادى، أبو بكر، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٨ هـ.

ص: ٢٢٣

١- الأمير عضد الدوله سلطان أحمد ميرزا: تاريخ عضدى ص ١٩: تحقيق الدكتور عبد الحسين النوائى طهران منشورات بابك.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

١٣ - محمد بن علي بن حمزه العلوي، المتوفى سنة ٢٨٧ هـ.

١٤ - محمد بن يزيد المبرد الشمالي، المتوفى ببغداد سنة ٢٨٥ هـ.

١٥ - يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله العلوي، أبو الحسين، المتوفى سنة ٢٧٧ هـ.

و هكذا يتضح من معرفه حال المذكورين في أعلاه أن الراوى عنهم من رجال المائة الثالثة بلا شك، و أنه ممن سكن بغداد فتره غير قصيره، استطاع خلالها أن يحضر مجالس عدد كبير من المحدثين و الرواه فيتحدث معهم و يروى عنهم.

أما تعيين اسم المؤلف فقد بقى عندى مجهولا إلى حين، و على الرغم من أن صديقى الباحث الدكتور حسين على محفوظ قد افترضه ابن الكوفى (٢٥٤ - ٣٤٨ هـ) و رجح نسبه المخطوط إليه، فانى لم أقتنع بذلك بل كنت قاطعا بأنه غيره، لأن مؤلف المخطوط يروى عن أشخاص لم يكن باستطاعه ابن الكوفى الروايه عنهم مشافهه كمحمد بن عبد الله المخرمى المتوفى سنه ولاده ابن الكوفى ٢٥٤ هـ و محمد بن عبد الملك بن زنجويه المتوفى سنه ٢٥٨ هـ أى بعد ولاده ابن الكوفى باربعه أعوام و أحمد بن إسماعيل السهمى المتوفى بعد ولاده ابن الكوفى بخمسه أعوام ٢٥٩ هـ.

ثم اطلعت في أثناء كتاب "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى" للسمهودى المتوفى سنه ٩١١ هـ على نقول عن كتاب - لم يسمه - يعنى بذكر منازل مكه و الطرق الموصله إليها، و المناسك التى ينتفع بها الحاج، و ذكر السمهودى أن هذا الكتاب تأليف أبى عبد الله محمد بن أحمد الأسدى، كما ذكر أن هذا المؤلف من المتقدمين، و يؤخذ من كلامه أنه كان فى المائة الثالثه. فرجح فى ظنى أن يكون هذا الأسدى ضالتي المنشوده و أن يكون المخطوط - موضوع البحث - هو كتابه الذى ينقل عنه السمهودى.

و بعد القيام بمقارنه النصوص التى وردت فى "وفاء الوفا" منقوله عن كتاب الأسدى بما تضمنه المخطوط كانت النتيجة المؤكده أن هذا المخطوط للأسدى، و أنه هو كتابه الذى كان يقطع كثير من الباحثين بفقدانه و ضياعه.

و المستفاد من الكتب العربيه الباحثه فى الشئون البلدانيه - على كثرتها و وفرتها و فى طليعتها معجم البلدان - أن كتاب الأسدى كان نادر النسخه على مر القرون فلم يره هؤلاء المؤلفون و لم يطلعوا عليه، و لذلك لم يذكروه و لم يشيروا إليه، بل ربما يخيل لى أن النسخه التى وقف عليها السمهودى و نقل عنها هى بعينها هذه النسخه الفريده الباقية إلى اليوم، من دون أن يكون لها - فى الأمس و اليوم - أخت ثانيه فى الدنيا مطلقا.

كذلك يستفاد من المصادر الضخمه الكثيره التى عنيت بالتأريخ و التراجم أن أبا عبد الله الأسدى رجل مجهول الحال كامل الذكر غير معروف لأحد، و لذلك لم يذكر و لم يترجم على الرغم من علمه و فضله و سعه اطلاعه و غزاره معلوماته.

و على أى حال، فهذا هو الأسدى و كتابه على وجه القطع و اليقين، و أرجو أن أوفق فى الأعداد القادمه إلى نشر النصوص التى وردت فى مخطوطنا هذا و ورد مثلها فى نقول السمهودى عنه لتتجلى الحقيقه أكثر و أكثر، فإلى اللقاء إن شاء الله.

تعليق الدكتور محفوظ.

و قد علق الدكتور حسين على محفوظ على هذه الكلمه بما يلي:

اطلعت فى (دار الكتب الرضويه) بمدينه مشهد مركز خراسان فى إيران، أوائل خريف سنه ١٩٥٧ على نسخه خطيه قديمه نادره، لعلها وحيدته، كان خازن المخطوطات الفاضل يظن أنها كتاب "أخبار مكه" للأزرقي. وقد استطلع رأيبى فيها، لأنه لم يطلع عليه.

فأعجبت بالكتاب، و نبهت طائفه من أفاضل الباحثين إلى الاستفاده منه، و صورته و أعلنت نبا عثورى عليه، و ظللت مستمرا على تصفحه و تحقيقه.

رقم هذا المخطوط "٥٧٥١/تاريخ) و عدده أوراقه ١١٦، طول كل ورقه ٢٣ سنتيمترا، فى عرض ١٨ سم. و فى كل صفحه ١٩ سطرا، مكتوبه بخط نسخى قديم.

و هو ناقص من أوله بضع أوراق، و المظنون أنه تام الآخر.

و النسخه غير مؤرخه، و لكن يخيل إلى أنها اكتتبت فى أوائل القرن السادس الهجرى تقريبا، أى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى. و على ظهرها ختم مؤرخ فى ٩٥٧ هـ/١٥٥٠ م. و كانت ملك بعضهم فى القرن التاسع، فقد ملكتها يده سنه ٨٩٩ هـ/١٤٩٤ م.

اهتمت منذ سبع سنين بهذا المخطوط القيم، و فضلته على كثير من النوادر، التى كنت أطلعت عليها - حينئذ - فى إيران، و منها كتب و رسائل بخط حنين بن إسحاق، المتوفى سنه ٢٦٠ هـ/٨٧٤ م، و منظومه فى صور الكواكب لابن (ابن الصوفى) المعروف، المتوفى سنه ٣٧٦ هـ/٩٨٦ م.

ثم أتيح لى الاطلاع على أوراق بخط شيخنا علامه الفهرسى "البيلغرافى" الكبير (آقا بزرك الطهرانى) نزىل النجف، مصنف كتاب (الذريعه إلى تصانيف الشيعه) دون فيها أسماء بعض الكتب كمسوده لكتاب الذريعه المذكور. و منها كتاب (منازل مكه).

و كان الشيخ آقا بزرك الطهرانى عشر على هذا الاسم، فى كتاب (المنقذ من التقليد و المرشد إلى التوحيد) المعروف ب (التعليق العراقى)، تأليف سيد الدين أبى الثناء محمود بن على بن الحسن الرازى الحمصى، المتوفى فى حدود سنه ٥٩٠ هـ/١١٩٤ م، الذى فرغ من تأليفه سنه ٥٨١ هـ/١١٨٥ م، فقد نقل الحمصى من كتاب (غرر الأدله) تأليف أبى الحسين محمد بن على بن الطيب البصرى المعتزلى المتوفى سنه ٤٣٦ هـ//١٠٤٤، أنه قال: "قرأت بخط ابن الكوفى فى كتاب منازل مكه" و هذه الكلمه، هى التى دعت (آقا بزرك) أن يثبت اسم كتاب منازل مكه، و ينسبه إلى ابن الكوفى، فى كتابه (الذريعه) - فقلت: ربما كان هذا المخطوط "منازل مكه" و لعل مؤلفه "ابن الكوفى".

و قد أشرت إلى ذلك فى فهرست تأليفاتى المطبوع على ظهر كتابى "تاريخ الشيعه المنشور سنه ١٩٥٧" و وضعت تجاه اسم الكتاب و المؤلف حرف (ظ) علامه الظن.

سيرته ظهرت في سلسلة مطبوعات كلية الآداب، بجامعة بغداد سنة ١٣٨٠ هـ/١٩٦١ م. كما دعوت إلى إحياء (ذكرى ابن الكوفي) الألفية، و أعلننا مهرجانه الألفي، في كلية الآداب بجامعة بغداد، في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٦٠، و عرفت به في راديو بغداد، عشية ٢٢ حزيران سنة ١٩٦٠، و وصفت النسخة الخطية في مؤتمر المستشرقين الخامس و العشرين بموسكو في صيف العام المذكور، و في (الندوة الثقافية) بتلفزيون بغداد عشية ٣ تشرين الأول سنة ١٩٦٤، و عرفت بابن الكوفي - أيضا - في العدد ال ١٤ و ١٥ من مجله بغداد.

أما ابن الكوفي - و هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد بن الزبير، الأسدي، القرشي، المعروف بابن الكوفي، و ابن الزبير، فقد ولد بمدينة الكوفة سنة ٢٥٤ هـ/٨٦٨ م، و استوطن بغداد، و توفي بها سنة ٣٤٨ هـ/٩٦٠ م، فاكتفى - الآن - بالإشارة إلى أنني أكاد أعد هذا النابغة العراقي من أوائل المحققين العرب، الذين اتبعوا الطريقة العلمية الصحيحة في التأليف و الكتابة، و النقل و الجمع. و كان خطه معروفا بالصحة و الجوده، و الإتقان و الضبط. و كانت تأليفاته غايه في الدقه. و قد رتب خزائنه على العلوم ترتيبا خاصا بارعا، مع تعيين أمكتتها. كما أنه سبقنا إلى استعمال البطاقات و الجزازات - و هي الرقاع و الوريقات التي تعلق فيها الفوائد، التي نسميها اليوم (Fiche فيش) - في التأليف و الجمع.

و قد بيعت رقاعه - بعد وفاته - كل بطاقه بدرهم. و الدرهم يساوي ٢١٥ فلسا عراقيا، بحسب عملتنا، وفق تكسير سعر الدينار الذهب العراقي القديم، في زمن ابن الكوفي، على عشره دراهم.

و قد اعتمد ابن النديم على مباحث ابن الكوفي. و لقد أحصيت ماخذ ابن النديم في كتابه (الفهرست) من خط ابن الكوفي، فوجدته نقل فصولا طويلا في ٢٩ موضعا من الكتاب، ربما أوشكت أن تبلغ مقدار عشر الفهرست تقريبا.

و مما يزيد أهميه ابن الكوفي، أنه كان واسطه نقل التراث العلمي، الذي تم طوال القرون الأربعة الأولى من تاريخ الثقافه الإسلاميه. و قد حسبت ما وصلت إلينا أسماؤه، مما رواه عنه واحد من تلاميذه فقط، و هو أبو عبد الله أحمد بن عبدون المعروف ب (ابن الحاشر)، المتوفى سنة ٤٢٣ هـ/١٠٣٢ م فوجدته ٦٠٠ كتاب في اللغه، و الأدب، و الخطب، و التاريخ، و الأنساب، و التفسير، و الفقه، و الشعر، و سائر العلوم الإسلاميه. فقد أوصل إلينا ٤٠٠ أصل من كتب الحديث، كما أوصل إلينا آثار ١٩ عالما من رجال الفكر الإسلامى، و الثقافه الفقهيه.

أما هذا الكتاب، الذي أتكلم عليه، فأكاد لا أشك أن اسمه "منازل مکه" فان مؤلفه صنفه في صفه منازل مکه. و قد صرح بالاسم عدّه مرات.

و لقد وصف الطريق غايه في الدقه من الكوفه إلى مکه، ثم طريق المدينه. ثم ذكر مسجد النبي - ص - الذي بناه حين قدم من مکه، و المسجد الذي بناه لما قدم من خيبر. و قد وصف مسجده في المدينه، و بين زيادات الخلفاء، و ذكر القبر، و اختلاف الناس فيه، و أشار إلى مساحته. و ذكر - أيضا - الكتابه التي حول المسجد، و زينته، و توسيعه أيام الخلفاء و الولاه. ثم ذكر حد جدار النبي، و مساجده في المدينه، و مساحتها، و ذكر المنبر.

ثم بين حد المدينه، و جبالها، و مياهها، و ما حولها من الجبال، و أقسامها، و قبور الشهداء بأحد و أسماءهم.

ثم ذكر طريق بدر، و الطريق بين المدينة و مكة، و وصف المنازل إلى مكة، و ذكر آداب الحج.

و ذكر - من بعد - مكة، و أسماءها، و سبب تسميتها. و المسجد الحرام، و الصفا، و المروه، و الكعبة، و بنيانها، و زمزم، و مساحه المسجد الحرام و الكعبة.

و ذكر الطريق إلى منى، و المشاعر، و مسافاتها، و الطريق القديمه بين خيبر و المدينة، و مسافاتها، و طريق سلمان.

و أفرد فصلا جغرافيا لوصف الحجاز، و جزيره العرب، و نجد، و تهامه.

ثم أثبت منظومه طويله فى ذكر المنازل على طريق مكة لأحمد بن عمرو - الذى كان مع أم جعفر سنه حجها، و وصف سفرها من بغداد إلى الكوفه. ثم إلى مكة، ثم الخروج فى الطريق الأول إلى مدينة السلام بغداد. و منظومه أخرى فى وصف الطريق - أيضا - و منظومه ثالثه، أنشدها أبو جعفر، أحمد بن محمد بن الضحاك بن عمر، الجمانى الكوفى.

و منظومه رابعه للمؤلف فى وصف طريق العوده إلى الكوفه.

ثم ذكر طريق البصره و مياها، و الطريق التى يسلكها الناس فى عصره، و طريق البحرين.

و أثبت قصيده وهب بن جرير بن حازم الجهضمى فى الطريق و المناسك.

و أورد أخيرا الطريق إلى مكة من اليمن، و تهامه، و حضرموت، و مصر، و الساحل، و الشام، و الطائف، و جده.

و هو يروى كل ما ياتى به، عن الرواه الثقات باسنادهم. و يصف الأمكنه و المنازل، و من ينزلها من القبائل، و أسماءها، و أسباب تسميتها و يعين مسافاتها، و بعدها عن البقاع المحيطة بها، و ما فيها من قصور و مساجد، و برك، و أحواض، و مشارب، و مصافى، و مسایل، و مجارى، و آبار.

و كذلك الهضاب، و العقبات، و الرمال، و الرياض، و البساتين و الحدائق. و يعين أنواع الأرضين، و ارتفاعها، و الآبار المظموه، و المعطله و العذبه، و المالحه. و لم ينس إثبات ما قيل فى ذلك كله من الشعر، و ما ورد فيه من الأخبار.

فالكتاب - إذن - مجموع أدبى، تاريخى، نسبى، جغرافى، طبغرافى، فقهى. و قد روى المؤلف فى كتابه هذا عن جماعه زادوا على مائه من العلماء و الأخباريين، كلهم ممن كان يعيش فى بغداد [بغداد] فى أواسط القرن الثالث و أواخره، و أوائل القرن الرابع الهجرى (٩ و ١٠ م) و هو عصر ابن الكوفى.

مفصلاً، وقد أوجز في الكلام على الطرق الأخرى، و اكتفى أحياناً بالأسماء.

كما نستطيع أن نقول: إنه عاش في القرنين الثالث و الرابع (٩ و ١٠ م) لأنه روى عن رجال من أهل ذينك القرنين. و ربما صح أن نقول أيضاً: إنه كوفي، لأنه اهتم بالكوفة و خصها بكثير من العناية و الكلام في قصيدته التي وصف بها الطريق، و كانت آخر مراحل سفره، و هو بغدادى المنزل (ظ) لأنه روى عن علماء كانوا جميعاً ببغداد.

و لا- أدرى كيف دلت كلمتى - التى تلى هذه الأسطر - بعض الأفاضل على "افتراض المؤلف ابن الكوفى، و ترجيح نسبه المخطوط إليه" فقد نسب ذلك إلى - مثلاً - بلدنا الأخ الشيخ الجليل محمد حسن آل ياسين (أطال الله بقاءه و أدام تأييده).

لقد قلت فى ص ٢٠ ع ٣ من مجله كلية الآداب: "... و ظننتها [أى النسخه الخطيه] [منازل مكه] و لكن نسبتها إلى ابن الكوفى أمر ما أزال أتظناه. فالرجل كثير الاستنساخ، و النقل من منتسخاته شىء معروف.

و مهما يكن من شىء، فان مصنف منازل مكه هذا؟ رجل كوفى، قريب من عهد ابن الكوفى - ان لا يكنه - فأكثر الرواه الذين روى عنهم من طبقه مشايخه، و ممن يوافق زمانهم عصره."

و أنا أشكر لمجله الأعلام استطلاع رأيى، و لا أنسى الثناء على الشيخ الفاضل الذى رأى أن ينعم على فيذكرنى - استطراداً - فى مقاله النفيس، و هو عجاب من أهل العصر فقد تعودت أن يغمطنى حتى كثير ممن نقل عنى، و استفاد من آثارى. و إليه (حفظه الله) يعود فضل دلالتى على مقاله الدكتور صالح أحمد العلى - فى مجله المجمع العلمى العراقى - التى هدته إلى إضافه الكتاب إلى أبى عبد الله محمد بن أحمد الأسدى و هو أمر أوسعته بحثاً و تبعاً فى مقالتي "أثر جغرافى طبغرافى قديم فى صفه بلاد العرب لمؤلف عراقى قبل عشره قرون، فى العدد القابل من مجله كلية الآداب - إن شاء الله -".

محمد بن أحمد بن جعفر الكنانى المصرى

المعروف بابن الحداد.

ولد سنه ٢٦٤.

ترجم الله الذهبى فى سير اعلام النبلاء و وصفه بالشافعى و قال:

سمع أبا الزنباغ روح بن الفرج، و أبا يزيد يوسف بن يزيد القراطيسى، و محمد بن عقيل الفريابى، و محمد بن جعفر بن الامام، و أبا عبد الرحمن النسائى، و أبا يعقوب المنجنيقى، و خلقاً سواهم.

و لازم النسائى كثيراً، و تخرج به، و عول عليه، و اكتفى به، و قال:

جعلته حجه فيما بينى و بين الله تعالى، و كان فى العلم بحراً لا- تكدره الدلاء، و له لسن و بلاغه و بصر بالحديث و رجاله، و عربيه متقنه، و باع مديد فى الفقه لا يجارى فيه مع التأله و العباده و النوافل، و بعد الصيت، و العظمه فى النفوس.

ذكره ابن زولاق - و كان من أصحابه - فقال: كان تقيا متعبدا، يحسن علوما كثيرة: علم القرآن و علم الحديث، و الرجال، و الكنى، و اختلاف العلماء و النحو و اللغة و الشعر، و أيام الناس، و يختم القرآن فى كل يوم، و يصوم يوما و يفطر يوما. كان من محاسن مصر. إلى أن قال: و كان طويل اللسان، حسن الثياب و المركوب، غير مطعون عليه فى لفظ و لا فعل، و كان حاذقا بالقضاء. صنف كتاب "أدب القاضى" (1) فى أربعين جزءا، و كتاب "الفرائض" فى نحو من مائه جزء.

نقلت فى "تاريخ الإسلام": أن مولد ابن الحداد يوم موت المزنى، و أنه جالس أبا إسحاق المروزى لما قدم عليهم، و ناظره. و كتابه فى "الفروع" مختصر دقيق مسائله، شرحه القفال، و القاضى أبو الطيب، و أبو على السنجى، و هو صاحب وجه فى المذهب.

قال أبو عبد الرحمن السلمى: سمعت الدارقطنى، سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد النسوى المعدل بمصر، يقول: سمعت أبا بكر بن الحداد، يقول: أخذت نفسى بما رواه الربيع عن الشافعى، أنه كان يختم فى رمضان ستين ختمه، سوى ما يقرأ فى الصلاة، فأكثر ما قدرت عليه تسعا و خمسين ختمه، و أتيت فى غير رمضان بثلاثين ختمه.

قال الدارقطنى: كان ابن الحداد كثير الحديث، لم يحدث عن غير النسائى، و قال: رضيت به حجه بينى و بين الله.

و قال ابن يونس: كان ابن الحداد يحسن النحو و الفرائض، و يدخل على السلاطين، و كان حافظا للفقهاء على مذهب الشافعى و كان كثير الصلاة متعبدا، ولى القضاء بمصر نيابه لابن هروان الرملى.

و قال المسبحى: كان فقيها عالما كثير الصلاة و الصيام، يصوم يوما، و يفطر يوما، و يختم القرآن فى كل يوم و ليله قائما مصليا.

قال: و مات و صلى عليه يوم الأربعاء، و دفن بسفح المقطم عند قبر والدته، و حضر جنازته الملك أبو القاسم بن الاخشيد، و أبو المسك كافور، و الأعيان، و كان نسيج وحده فى حفظ القرآن و اللغة، و التوسع فى علم الفقه. و كانت له حلقة من سنين كثيرة يغشاها المسلمون. و كان جدا كله رحمه الله. فما خلف بمصر بعده مثله.

قال: و كان عالما أيضا بالحديث و الأسماء و الرجال و التاريخ.

و قال ابن زولاق فى "قضاء مصر": فى سنة أربع و عشرين سلم الاخشيد قضاء مصر إلى ابن الحداد، و كان أيضا ينظر فى المضالم، و يوقع فيها، فنظر فى الحكم خلافة عن الحسين بن محمد بن أبى زرعه الدمشقى، و كان يجلس فى الجامع، و فى داره، و كان فقيها متعبدا، يحسن علوما كثيرة، منها علم القرآن، و قول الشافعى، و علم الحديث، و الأسماء و الكنى و النحو و اللغة، و اختلاف العلماء، و أيام الناس، و سير الجاهليه، و النسب و الشعر، و يحفظ شعرا كثيرا، و يجيد الشعر، و يختم فى كل يوم و ليله، و يصوم يوما و يفطر يوما، و يختم يوم الجمعة ختمه أخرى فى ركعتين فى الجامع قبل صلاة الجمعة، حسن الثياب رفيفها، حسن المركوب، فصيح غير مطعون عليه فى لفظ و لا فصل [فعل] ثقه فى اليد و الفرج و اللسان، مجموعا على صيانتته و طهارته حاذقا بعلم القضاء. أخذ ذلك عن أبى عبيد القاضى.

و أخذ علم الحديث عن النسائى، و الفقه عن محمد بن عقيل الفريابى،

و عن بشر بن نصر، و عن منصور بن إسماعيل، و ابن بحر، و أخذ العريبي عن ابن ولاد، و كان لوجه الحديث لا يدع المذاكره، و كان يلزمه محمد بن سعد الباوردي الحافظ، فأكثر عنه من مصنفاته، فذاكره يوما بأحاديث، فاستحسنها ابن الحداد، و قال: أكتبها لي، فكتبها له، فجلس بين يديه، و سمعها منه و قال: هكذا يؤخذ العلم، فاستحسن الناس ذلك منه، و كان تتبع ألفاظه، و تجمع أحكامه. و له كتاب "الباهر"، في الفقه نحو مائه جزء، و "كتاب الجامع".

و في ابن الحداد، يقول أحمد بن محمد الكحال:

الشافعي تفقها و الأصمعي تفننا و التابعين تزهدا

قال ابن زولاق: حدثنا ابن الحداد بكتاب "خصائص علي" رضي الله عنه، عن النسائي، فبلغه عن بعضهم شيء في علي، فقال: لقد هممت أن أملئ الكتاب في الجامع.

قال ابن زولاق: و حدثني علي بن حسن، قال: سمعت ابن الحداد، يقول: كنت في مجلس ابن الاخشيد، يعني: ملك مصر، فلما قمنا أمسكني وحدثني، فقال: أيما أفضل أبو بكر، و عمر، أو علي؟ فقلت: اثنين حذاء واحد، قال: فأيما أفضل أبو بكر، أو علي؟ قلت: إن كان عندك فعلي، و إن كان برا (1) فأبو بكر، فضحك.

قال: و هذا يشبه ما بلغني عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنه سأل رجل: أيما أفضل أبو بكر، أو علي؟ فقال: عد إلى بعد ثلاث، فجاءه، فقال: تقدمني إلى مؤخر الجامع، فتقدمه، فنهض إليه، و استعفاه، فأبى، فقال: علي، و تالله لئن أخبرت بهذا أحدا عنى لأقولن للأمير أحمد بن طولون، فيضربك بالسياط.

و قد ولي القضاء من قبل ابن الاخشيد ثم بعد ستة أشهر، ورد العهد بالقضاء من قاضي العراق ابن أبي الشوارب لابن أبي زرعه، فركب بالسواد.

و لم يزل ابن الحداد يخلفه إلى آخر أيامه.

و كان ابن أبي زرعه يتأدب معه، و يعظمه، و لا يخالفه في شيء، ثم عزل عن بغداد ابن أبي الشوارب بأبي نصر يوسف بن عمر، فبعث بالعهد إلى ابن أبي زرعه.

قال ابن خلكان: صنف أبو بكر بن الحداد كتاب "الفروع" في المذهب، و هو صغير الحجم، دقق مسائله، و شرحه جماعه من الأئمة. منهم: القفال المروزي، و القاضي أبو الطيب، و أبو علي السنجي إلى أن قال: أخذ عن أبي إسحاق المروزي.

و مولده يوم مات المزنبي. و كان غواصا على المعاني محققا.

توفي سنة خمس و أربعين و ثلاث مائه. و قيل: سنة أربع.

قلت: حج، و مرض في رجوعه، فأدركه الأجل عند البئر و الجميزه يوم الثلاثاء لأربع بقين من المحرم سنة أربع، و هو يوم دخول

الركب إلى مصر، و عاش تسعا و سبعين سنه و أشهر، و دفن يوم الأربعاء عند قبر أمه. أرخه المسيحي. (انتهى).

هذا ما ذكره الذهبي في كتابه. و في هذه الترجمة أمور تلفت النظر و تبث على التفكير.

١: - يبدو جليا أن صاحب هذه الترجمة كان شيعيا في حقيقته، و هل اصرح في تشيعه من تصريحه بتفضيل على من فضله.

٢: - يبدو كذلك أن ملك مصر أبا القاسم بن الإخشيد كان كذلك شيعيا، و هل من شيء أدل على تشيعه من أنه لما سال المترجم أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فأجابه المترجم أما عندك فعلى، و إن كان برا فابو بكر.

و هذا يستدعي دراسه واسعه عن الدوله الاخشديه بعامه و عن أبي القاسم بخاصه، كذلك دراسه الوسط المصرى فى ذلك الوقت الذى جعل عالما كبيرا كالمترجم يتبنى الفكر الشيعى بهذه الصوره، و يجهر بهذا الفكر أمام صاحب السلطه الموافق له فيه، ثم يتجنب الجهر به خارج أبواب صاحب السلطه.

ثم عنايته هذه العنايه بكتاب (خصائص على) للنسائى، و ارتباطه بشخص النسائى هذا الارتباط الوثيق و تتلمذه عليه. ثم غضبه لما بلغه عن بعضهم شيء فى على (ع) حتى لقد هم أن يخرج عن تحفظه و يملئ الكتاب فى الجامع.

ثم لا ننسى له هذا الظرف الذى يشاركه فيه ابن الإخشيد، حين قال الأول للثانى إن كان عندك فعلى و إن كان برا فابو بكر.

٣: - القول نفسه يقال عن الرجل الآخر الذى ورد اسمه فى هذه الترجمة: محمد بن عبد الله بن الحكم.

أبو نصر الفارابي محمد بن أحمد بن طرخان.

مرت ترجمته فى الصفحه ١٠٣ من المجلد التاسع. و قد حقق الدكتور جعفر آل ياسين كتابه التنبيه على سبيل السعاده، فكتب عنه ما يلى:

١ - التعريف العام بالكتاب و غاياته:

إن المصطلح السائر لدلاله (التنبيه) هو كون الشيء الذى لا يحتاج إلى برهان زائد على ما تقدم عليه من إيضاحات - و المتقدم هنا هو كتاب (تحصيل السعاده) كما أوضحنا فى تحقيقنا له.

أما فى هذا الكتاب فاننا نجد أن الفارابى (ت ٣٣٩ هـ). يقرر أن الكمال هو الغايه الأصيله التى يتشوقها الإنسان فى تطلعه نحو حياه أكثر سعاده و سلامه، لأن السعاده الحقيقه هى آثر الخيرات طرا، باعتبار أنها تطلب لذاتها لا لشيء آخر يتوسل به إليها.

و هذه السعاده - فى ضوء تطبيقاتها العمليه - تتصف أفعالها بحالين: إما حال مذمه، أو حال محمده، و هى فى الحالين لا تتعدى كونها أحد ثلاثه:

(أ) - أفعال يحتاج الإنسان فيها إلى استعمال أعضاء بدنه و آلاته، كالقيام و القعود و النظر و السماع.

(ب) - أفعال مصدرها عوارض النفس، كاللذة و الغضب و الشوق و الفرح و الخوف.

ص: ٢٢٧

١- برا: كلمه مولده بمعنى علانيه، و منه: "من أصلح جوانيه، أصلح الله برانيه" أى: من أصلح سريره أصلح الله علانيته.

(ج) - أفعال تخضع فى قيامها لعامل التمييز الذهنى عند الإنسان.

و جميع هذه الأفعال - إذا قيست من وجهه نظر أخلاقيه - تخضع لما يسميه الفيلسوف الفارابى بوجوده التمييز أو رداءته. و لكن من أين لنا قنيه هذه الجوده فى التمييز؟ - ذلك هو الأصل و هو الغايه فى مبحث التنبيه على سبيل السعاده التى قصدها الحكيم.

فنحن لا- ننال السعاده بالأفعال الجميله ما لم تكن تلك الأفعال قاصده هادفه من جهه، و متحققه بصناعه معينه من جهه أخرى، بحيث يعود الكائن الناطق يمتلك قدره على التمييز فى أفعاله المختاره طيله حياته بأسرها. و ذلك لأنه فى فطرته يمتلك استعدادا لها يستطيع - فى حال التطبيق الذاتى و التعلم - أن يميز بين الصواب و الخطأ، و بين الجميل و القبيح، فى تعادل تفرضه أحيانا إمكانيه أحدهما على الآخر، أو غلبه أحدهما على الآخر.

و على الرغم من هذا، فان القوه التى يفطر عليها الإنسان غير مكتسبه، بينما حال التمييز تتصف بالاكتساب. و الأخيره منهما تنقسم إلى صنفين:

أحدهما به يكون التمييز، إما جيدا و إما رديئا... و الآخر به تكون الأفعال و عوارض النفس إما جميله و إما قبيحه. و الأخير من الصنفين يدعوه الفيلسوف بالخلق - و يحده "بأنه الذى تصدر به عن الإنسان الأفعال القبيحه و الحسنه" على أن تخضع الأفعال و يخضع التمييز للثواب التى تلزم الإنسان بان تكون أفعاله و تمييزه فى كل شىء، كى يمكن عندئذ إدامه فعل الجميل و جودته معا، بحيث تصير "لنا قوه الذهن ملكه لا يمكن زوالها" باعتبار أن "الخلق الجميل و قوه الذهن هما الفضيله الإنسانيه".

و فى سبيل تحقيق هذه الغايه التى قصدها الفيلسوف، ينبغى أن نسلك طريقين لنقف منهما على مقاصد أبى نصر بالذات.

الأول: محاوله أن تصير الأخلاق الجميله ملكه لنا، بحيث لا يمكن للصواب أن يزول إلا بعسر و مشقه.

الثانى: أن تكون لدينا القدره على إدراك الصواب إدراكا سليما لا عوج فيه و لا ضلال.

فما هى الوسيله التى تحقق لنا الوصول إلى المهيع الأول من هذين الطريقتين؟ إنها، و قبل كل شىء، وسيله الاعتقاد، و المقصود به "تكرير فعل الشىء الواحد مرارا كثيره زمانا طويلا فى أوقات متقاربه" من حيث أن الفعل الجميل هو ممكن للإنسان بالقوه قبل حصوله، و ممكن بالفعل بعد حصوله، فهو إذن بالتعود يتحقق، و بالتطبيق يظهر و ينمو.

و لكن ما هى الآله التى ينبغى أن نستعين بها كى تقودنا إلى الفعل الجميل حقا؟.. يؤكد الفيلسوف هنا إنها آله "الوسط الأخلاقى" - فالأفعال متى كانت متوسطه حصل الخلق الجميل.. و ما يقوله الفارابى عن "الوسط الأخلاقى" هو ذاته الذى تبناه من قبل المعلم الأول أرسطوطاليس فى كتابه المعروف (الأخلاق إلى نيقوماخوس).

فنحن حين نهدف إلى الوقوف على الوسط فى الأفعال الخلقيه، علينا أولا التعرف على زمان الفعل و مكانه "و من منه الفعل، و من إليه الفعل، و ما منه الفعل، و ما به الفعل، و ما من أجله و له الفعل، و جعلنا الفعل على مقدا [مقدار] كل واحد من هذه. فحينئذ نكون قد أصبنا الفعل المتوسط". و نظر لاختلاف مستويات الأفعال الخلقيه، لذا نجد أن الوسط الأخلاقى يختلف قوه و ضعفا، سلبا و إيجابا، حسب أفعاله و غاياتها.

و يحاول الفارابي هاهنا سوق نماذج لأفعال الوسط الأخلاقي، محتذيا بها إلى حد كبير حذو أرسطوطاليس في كتابه المشار إليه سابقا... فمثلا: "إن الشجاعه خلق جميل يحصل بتوسط في الاقدام على الأشياء المفزعه و الاحجام عنها. و الزيادة في الاقدام تكسب التهور، و النقصان في الاقدام يكسب الجبن، و هو خلق قبيح... و السخاء يحدث بتوسط في حفظ التقتير، و هو قبيح. و الزيادة في الإنفاق و النقصان في الحفظ يكسب التبذير". و من ثمة يشير إلى أوساط أفعال أخرى كالعهه و الظرف و الهزل و المجون و التودد و غيرها، منتهيا إلى أن "تحديد هذه الأشياء على الاستقصاء ليس يحتمله هذا الكتاب، و قد أستقصى في موضع آخر" - لعل الفارابي يعنى في هذا الاستقصاء كتابه الذى ألفه شرحا على كتاب أرسطوطاليس "الأخلاق إلى نيقوماخوس" الذى أشار إليه فى مؤلفه: "الجمع بين رأبى الحكيمين أفلاطون و أرسطوطاليس".

و الميزان الحق فى الحكم على الفعل الخلقى هو أن "نحصى الأخلاق خلقا خلقا، و نحصى الأفعال الكائنه عن خلق خلق، و من بعد ذلك ينبغى أن نتامل و ننظر أى خلق نجد أنفسنا عليه" بحيث يكون للإنسان السوى آله يسبر بها غور أفعاله، فما وجده منها يتصف بأنه جميل و ملذ و غير مؤذ، اعتبره خلقا سليما، و العكس بالعكس. فكان مراقبه النفس لكل فعل تقوم به و اختيار الوسط من تلك الأفعال، هى عمليه يتميز بها الإنسان فى تطبيقاته الخلقيه، بموازنه دقيقه بين إفراط و تفريط، أو نقصان و زياده، و تجنب الوقوع فى أحد طرفى المعادله، لأن الحدين المستقطبين يتصفان معا بالذيله. بينا الفضيله منهما وسط، لا يميل إلى هذه و لا إلى تلك - بل هو صراط مستقيم لا عوج فيه و لا التواء، ينبغى أن لا تزل قدم الإنسان عنه، فيهوى عندئذ فى ضلال الغى و الفعل السيئ الذى يتصف بالقبح و السلب و الفدامه!...

و على الرغم مما يراه الفارابي فى قضيه الوسط الأخلاقي و ضروره الأخذ به، فهو - فى الوقت ذاته - لا يخفى عنا صعوبه عمليه الكشف عنه، لأن الوقوف على الوسط، كما يقول الفيلسوف، "عسير جدا"! - و لكن الحكيم يبقى مؤكدا أن (التعود) سبيل لا حب فى اقتناص هذا الوسط حيثما كان، سلبا أو إيجابا... و تلك شنشنه تمسك بها المعلم الأول، و حذا حذوه جميع الذين ساروا على الطريق ذاته من أنصار الأخلاق المعياريه ذات "الحكم" الذى لا يخضع للتغير الوضعى فى كل زمان و فى كل مكان!...

بأحدهما و لا تناذى بالآخر، أو كان الأذى عنه يسيرا جدا، علمنا أنهما فى السهولة على السواء و متقاربين - و لما كان الوسط بين طرفين، و كان قد يمكن أن يوجد فى الأطراف ما هو شبيه بالوسط، و جب أن نتحرز من الوقوع فى الطرف الشبيه بالوسط".

و فات الفارابى أن الأحكام العقليه هنا، سواء على الفعل أو وسطه الأخلاقى، قد لا تستوى لدى جميع الأفراد فى إشكالاتهم على الوسط مهما تفاوتت درجاته و تباينت أوضاعه. و من هنا فليس للإنسان، من الناحية النظرية على أقل تقدير، إلا أن يحسم القول بان الوسط فعل اختيارى، و كل فعل اختيارى لا يتم - فى ظل المدرسه المعيارية فى علم الأخلاق - إلا بسبيل العقل، بعيدا عن تأثيرات المحسوسات و ما تقود إليه من ضلالات! و ليس فى موقف الفارابى هذا ما يصاد الرأى الذى نراه، و لكننا نعود لنؤكد ثانياه أن الإنسان لا يمكن له أن يستحيل إلى عقل خالص فحسب، دون أن تحتويه تكاملية النفسانية فى اختيار الفعل الذى يريد - و تلك مشكله قامت فى الأخلاق و الفلسفه، تنازعتها التكاملية من جهه، و الثنائيه من جهه أخرى، و بقيت حتى عصرنا الحاضر تمثل " موقفا " من مواقف الفكر الإنسانى بكل صورته و مفارقاته.. و نحن أميل إلى التكاملية منا إلى الرأى الآخر!...

و عود على بدء، فالناس - فى رأى الحكيم - يختلفون فيما بينهم: فهناك من له جوده الرويه و قوه العزيمه، و يمثل هذا الجانب الإنسان الحر. أما من افتقر إليهما أو إلى العزيمه بالذات، فهو الإنسان العبد بطبعه!... و يتميز الأحرار هنا بأنهم: " متى أرادوا أن يسهلوا على أنفسهم فعل الجميل - و ترك القبيح باستعمال اللذه و الأذى، فان الأخرى منها و الأظهر عندهم بمنزله واحده " باعتبار أن بعض اللذات أعرف لنا، و نحن أشد إدراكا لها، و بعضها الآخر أخفى و نحن أقل إدراكا لها، سواء فى الطبع أو العاقبه.

و جوده التمييز تتفرع فى هذه المرحله إلى صنفين: صنف ينبغى أن يعلم و ليس شأنه أن يفعل إنسان فى الوجود، و صنف شأنه أن يعلم و يفعل مع تلازم فيه بين العلم و العمل معا - و هذا الأخير يحصل لنا بصنائع تكسبه علم ما يعمل و القوه على عمله، و يتصف بان له قصده الإنسانى الذى يتمثل بثلاث شعب هى: اللذيد و النافع و الجميل - و النافع، إما ينفع فى اللذه و إما ينفع فى الجميل. فالصنائع إذن صنفان أيضا: صنف مقصوده تحصيل الجميل، و صنف مقصوده تحصيل النافع.

و يقرر الفارابى هنا أن الصناعات التى مقصودها تحصيل الجميل فقط هى التى تسمى (الفلسفه) أو الحكمه على الإطلاق - و أن الجميل هذا يتفرع إلى قسمين:

(أ) - علم فقط، و هو الفلسفه النظرية و تشمل موضوعات التعاليم و الطبيعه و ما بعد الطبيعه.

(ب) - علم و عمل، و هو الفلسفه العمليه و المدنيه و السياسيه.

و يمسك الفيلسوف، فى ضوء هذا التقسيم، بالصنف الذى تصدر عنه الأفعال الجميله و القدره على أسبابها، بحيث تعود هى قيه لنا، و ينعته الفارابى بـ " الصناعات الخلقية " مؤكدا أن الطريق إليها يمر عبر الفلسفه، و الفلسفه تحصل بوجوده التمييز، و جوده التمييز تحصل بقوه الذهن على إدراك الصواب. و لا- يتحقق الأمر الأخير إلا بوسيله أخرى تتخذ آله لهذا الغرض، و تسمى صناعات المنطق.

فعلم المنطق، فى هذا التنظير، صناعاته تتقدم على غيرها من العلوم بالأولويه، لأنها سلاح للتمييز بين ما هو صادق و كاذب. و

العقل الإنسانى آلتها و سبيلها، و بها ينال كماله المطلوب و المرغوب فيه، باعتبار " أنها تفيده الحكم بصواب ما يعقل، و القدره على اقتناء الصواب فيما يعقل " .

و المنهج السالك هنا يفرض على دارس الفلسفه (أعنى الباحث عن سعاده الحقه) أن يتسلم مقدمات قبل البدء بصناعه المنطق، لأن بين هذه المقدمات و علم المنطق علاقه شبهه. و يقصد الفيلسوف بهذه المقدمات صناعه النحو من حيث " أنه يفيد العلم بصواب ما يلفظ به، و القوه على الصواب منه بحسب عاده أهل لسان ما " .لذا يجب أن تتحقق فى المنهج الكفايه من التنبيه على أوائل هذه الصناعه، و من ثمه الولوج إلى دراسه هذا العلم الذى يقوم الذهن، و يقود فى النهايه إلى اقتناء الفلسفه الصادقه التى هى الهدف الأصيل للإنسان السعيد!..

يقول الفارابى: " و لما كانت صناعه المنطق هى أول شىء يشرع فيه بطريق صناعى، لزم أن تكون الأوائل التى يشرع فيها أمورا معلومه سبقت معرفتها للإنسان، فلا يعرى من معرفتها أحد، و هى أشياء كثيره. و ليس أى شىء اتفق منها يستعمل فى أى شىء اتفق من الصنائع، لكن صنف منها يستعمل فى صناعه، و صنف آخر فى صناعه أخرى - فلذلك ينبغى أن نحصل من تلك الأشياء ما يصلح لصناعه المنطق فقط " . و الذى يصلح لهذه الصناعه، فى رأى الفيلسوف، هو "الألفاظ المنطقيه الداله " .لذا و جب أن نأخذ من صناعه النحو مقدار الكفايه لغرض الإفاده من تلك الصناعه فحسب.

و فى مثل هذه المرحله نكون قد بلغنا السبيل التى ستقودنا إلى السعاده المرغوبه التى " من أول مراتبها تحصيل صناعه المنطق " و آخر غاياتها بلوغ القدره على تأمل الخير المطلق، و تلك هى نهايه شوط العقول فى اقتناصها المعرفه العرفانيه التى تريد!.

٢ - هويه الكتاب:

فى تحقيق هويه (التنبيه على سبيل السعاده) نحو من الاطمئنان، حيث أشار إليه ابن أبى أصيبعه (ت ٦٦٨ هـ) فى كتابه الموسوم عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحت عنوان: (رساله فى التنبيه على أسباب السعاده)...

و يذكره صلاح الدين الصفدى (ت ٧٦٤ هـ) فى كتابه الوافى بالوفيات تحت عنوان (التنبيه على أسباب السعاده). و أقدم إشاره إليه أوردها عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ) فى إملاء سيرته الموسوم (الإفاده و الاعتبار) حيث نعت به (التنبيه على سبيل السعاده)... و أورد القفطى (ت ٦٤٦ هـ) فى كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء اسم كتاب (فى السعاده الموجوده) لعل المقصود منه كتاب "التنبيه " - و يرد بذات الاسم كذلك فى فهرست مكتبه الأسكوريال باسبانيا.

ص: ٢٢٩

الفارابي)، من جهه أخرى. و أنه ليلفت النظر حقا ما وجدنا عليه أكثر مخطوطاته في التزامها بلفظه (سبيل) بدل (أسباب) رغم أنها غير متاخره النسخ و التدوين!...

أما وضعنا لفظه (كتاب) في بدء عنوان (التنبيه)، فقد اعتمدنا في ذلك على تنظير المؤلف بالذات الذى يقول فيه: " بحسب الوسط المحدود في هذا الكتاب " - لذا أجزنا لأنفسنا هذه الإضافه، بدل لفظه (رساله) التى اصطنعها بعض الناسخين.

و أعود ثانيه إلى ما سبق لنا تقريره عند تحقيقنا لكتاب (تحصيل السعاده) للفارابي حيث قلنا " إن (التحصيل) يعتبر مفتاحا لما يجب أن يسلكه طالب الفلسفه كفرد أو عضو في مجتمع متكامل، و تكافله و تكامله هذا لا يتم إلا بشكل مرحلى يتدرج فيه من الأعم إلى الأخص، و عندئذ يتلو كتاب (تحصيل السعاده) كتاب (التنبيه على سبيل السعاده)، لأن الغرض منه - كما بسطنا من قبل - هو أن تتقوم النفوس بسلوك جميل نافع ينهض على أساس من الإدراك المعرفى عند الإنسان، كى تتحقق لديه قوه إدراك الوسط الأخلاقى " ...و في هذا المجال تسير الفلسفه العمليه اقتناء الفعل الجميل، و ذلك بارتباطها بالتطبيق المدنى لهذه الأفعال، أو بالأحرى بالسياسه، خاصه في مفهومها الأخلاقى.. و فى حال التقاء المرحله الأولى مع المرحله الثانيه و التحامهما معا، تتحقق لهذا الإنسان و لهذا المجتمع سعاده التى يتطلع إليها.

و الذى نريد التأكيد عليه هو أن كتاب تحصيل السعاده يعتبر فى رأينا الأول فى البناء السياسى و الاجتماعى، و كتاب التنبيه على سبيل السعاده - الذى بين أيدينا - هو الثانى. و لعل فى دراستنا و تحقيقنا لبعض رسائل الفارابي الفلسفيه التى نعدها للنشر قريبا، ما يوضح للقارئ هذا الموقف الذى اخترنا.

و جدير بالذكر هاهنا، أننا نميل، كما ذكرنا فى نشرتنا لكتاب تحصيل السعاده، إلى أن مؤلفات الفارابي السياسيه و الاجتماعيه تأتى بعد مجموعته المنطقيه المعروفه (أعنى شروحه المطوله) - فهى إذن لا تبدأ بظهوره الفلسفى، بل هى متاخره، فى تصورنا، عن بواكيره الأولى، و قد يرتفع بعضها إلى مرحله شموخه الفلسفى... و رأينا هذا متات من أننا نبتنى أصلا الفكره التى ترى أن محاوله الفارابي فى الإصلاح السياسى و الاجتماعى ظهرت عند ما لمس الفيلسوف انهيار القاعده الإسلاميه و وسائل الحكم فيها، مما جعله يربط بين تأثيراته العامه بالانجاز الأفلاطونى و الأرسطوطالى فى هذا السياق، و قيم التعاليم الإسلاميه التى لم يسبق تطبيقها فعلا، و إنما احتواها الحكام من الناحيه النظرية فحسب.

و أيا ما كان، فحذار أن نقع بما وقع فيه بعض الباحثين العرب من أمثال د. محسن مهدى - حين اعتبر كتاب التنبيه على سبيل السعاده هو الجزء الأول من مجموعه ثلاثيه هى:

١ - التنبيه على سبيل السعاده.

٢ - الألفاظ المستعمله فى المنطق.

٣ - كتاب المقولات.

و جميع هذه الكتب تكون ما يسمى ب (الأوسط الكبير) أو (المختصر الكبير)!... و كان السبب الرئيس فى الانزلاق إلى هذا

الرأى هو أن الفارابى فى الربع الأخير من كتابه (التنبيه) يتحدث عن الوسيله التى ينبغى أن يميز فيها الإنسان بين الحق و الباطل، و الخطا و الصواب (كما أوضحنا ذلك فى فقره سابقه)، و يعنى بها صناعه المنطق و ألفاظه التى تسبقها صناعه النحو - كدليل يسوقه لتحديد طرائق المنهج التى تسبق الشروع بدراسه الفلسفه و موضوعاتها، لذا عد هذا وسيله لتلك... بينا نجد الفيلسوف فى تنظيره المعرفى يؤكد، و بوضوح تام، أن المنطق الحق هو (البرهان) لأنه السبيل الحقيقى لهذه الصناعه، الذى يقود إلى التصديق اليقينى من حيث أنه يؤدى إلى قوانين ثابتة يمكن الاستعانه بها فى جميع موضوعات الفلسفه.

فى ضوء هذا الذى ذكرناه، لا نجد ما يبرر صحه الرأى الذى يذهب إلى أن كتاب التنبيه على سبيل السعاده هو الجزء الأول من مجموعته الفارابى المنطقيه، لأن الكتاب المذكور - كما نرى - لا يعد وسيله لصناعه المنطق، باعتبار أنه ينهض أساسا على محاوله تحقيق السعاده الإنسانيه المرغوبه فى ظل دراسه الفلسفه كمنظومه قائمه على منهج محدد. و أن كثيرا من فقراته ترتبط أصلا فى البحث عن مفاهيم و أصول أخلاقيه و اجتماعيه.

فهل يصح - بعد الذى قلناه - اعتبار التنبيه على سبيل السعاده كأنه (المقدمه) التى قدمها الفارابى لكتاب الألفاظ المستعمله فى المنطق؟... إنه أمر لا يمكن الركون إليه، و لا يحسن الأخذ به منهجيا، على أقل تقدير!...

فما المقصود إذن بعباره الفارابى التى يقول فيها " و نجعل ما لنا لهذا الكتاب " التى قرأها د. مهدى " و نجعله <تاليا> " - حسب ما ورد فى بعض نسخ (التنبيه).

و فات د. محسن مهدى أن مخطوطه المكتبه البريطانيه المرقمه ٧٥١٨. ADD Rich ترد فيها النهايه واضحه كما ذكرنا فى أعلاه، أى " و نجعل ما لنا لهذا الكتاب " - و يعنى بذلك كتاب التنبيه. و من هنا فان القراءه الخاطئه لمحسن مهدى أوقعته، من حيث يعلم أو لا يعلم، فى الحكم المبتسر حول كتاب (التنبيه)!

إننى لا أتردد فى أن أبا نصر الفارابى قصد بعبارته تلك الإشاره إلى أن السعاده لا تتم للإنسان إلا بوسائلها العقلانيه المتميزه، و لا بد لنا من دراسه ما يؤدى إلى اقتناء هذه الملكه المتميزه - فاذن ينبغى أن "نفتح كتابا من كتب الأوائل" متخذين إياه مدخلا إلى دراسه ألفاظ المنطق و موضوعاته، كما يقول الفيلسوف... و ليس فى هذا ما يدعو إلى اعتبار (التنبيه على سبيل السعاده) هو الجزء الأول الذى يسبق كتاب الألفاظ المستعمله فى المنطق، كما بسطنا من قبل... إن (التنبيه) كتاب يرتبط، من حيث التنظيم، بدلاله المفهوم الذى يصح به الفارابى دائما و هو (تحصيل السعاده).

أما الإشاره الوارده فى كتاب (الألفاظ المستعمله فى المنطق) و التى تقول: " و قد قيل فى الكتاب الذى قدم على هذا الكتاب أى قوه يفيدها صناعه المنطق و أى كمال يكسبه الإنسان بها... و بالجملة فإنها تكسب القوه أو الكمال الذى ذكرناه فى الكتاب الذى قبل هذا " و التى اعتبرها د. محسن مهدى تأكيدا لما ذهب إليه بخصوص كتاب التنبيه على سبيل السعاده!...

الذى يرد فى كتاب الألفاظ المستعمله فى المنطق، حيث لا- مجال للقول بان المقصود هو كتاب التنبيه، لأن الأخير يخلو من ذلك تماما، فالمقصود إذن كتاب إحصاء العلوم.

يضاف إلى هذا أن الفارابى حين أشار إلى فكره تقسيم العلوم و طرائق مناهجها الفلسفيه فى كتاب التنبيه على سبيل السعاده، جاءت إشارته مرسله بدون تفصيل، لذا لم نجد لها تطبيقا عمليا إلا فى كتابه إحصاء العلوم، فلا مشاحه إذن فى القول إن كتاب إحصاء العلوم يأتى فى الترتيب الزمنى بعد كتاب التنبيه من ناحيه التأليف.

و نعود إلى ما بدأنا به، لنقرر أن كتاب التنبيه على سبيل السعاده يتميز باستقلاليته عن منظومه كتب المنطق الفارابيه، و نقترح فى هذا المجال ضمه إلى مجموعه مؤلفات الفيلسوف الأخلاقيه و السياسيه و الاجتماعيه.

٣ - منهج التحقيق:

أحسبني على حق حين أوكد هنا السبيل ذاته الذى سلكناه فى تحقيقنا لكتاب "تحصيل السعاده" - حيث انصب اهتمامنا على أمرين فى منهجيه التحقيق النقدى:

أولهما، الحرص الشديد على اختيار القراءات التى فى تصورنا تعكس نحوا من القرابه مع النسخه الأم Archetype و محاوله التغيير التى يستدعيها النص عند الضروره لبعض كلماته التى قد تكون من هنات الناسخين، و ما أكثرها خاصه فى المخطوطات المتاخره. متجاوزين طريقتهم فى النسخ الخاطئ لبعض كلمات اللغه العربيه التى ينبغى الأخذ بما هو متفق عليه منها، لأننا لسنا من دعاه الأخذ بطرائق النسخ القديم، كما فعل مثلا الأب بويج اليسوعى فى تحقيقاته لكتب ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) حيث نجد فى الصفحه الواحده: (حتى، حتى.. إلى، إلى.. مبدأ، مبدأ.. عصا، عصى..

و هكذا) لأن الغرض من التحقيق فى رأينا هو إيجاد وسيله سليمه تقرب إلى روح النص بدلالته التى ترتفع أحيانا إلى حد المطابقه مع الأصل، دون الإخلال بالأمانه العلميه التى يفرضها الجهاز النقدى. و هذا بحد ذاته مما يجعل المحقق يعمل على اعتبار نسخه المؤلف مثلا خاضعه لهذا الجهاز أيضا، لأن المؤلف هنا - من الناحيه الشكلي - ناسخ فحسب على أقل تقدير!...

فإذا دون لفظه (حتى) مع نقطتين تحت الألف المقصوره، أبحنا لأنفسنا إصلاحها، بشرط أن لا نغير من المضمون شيئا - تلك هى الطريقه التى سلكناها، و للباحثين حريه الاختيار فيما يحققون!...

و ثانيهما، إننا لم نعتد نصا معينا من المخطوطتين، بل تم تحقيق النص على قاعده (التكامل) بينهما، حيث يساعد بعضها بعضا فى كشف الشكل الحقيقى الذى أراده الفيلسوف - مع بذل البصيره الاجتهاديه، قدر المستطاع، فى تنقيه النص من الشوائب الأخرى.

و قد أجزنا لأنفسنا، فى ضوء ما ذكرنا فى أعلاه، أن نعيد المختصرات إلى أصولها فى الرسم السليم للكلمه، فمثلا (مح محال، ح حينئذ، فح فحينئذ، أيض أيضا، مط مطلوب، ظ ظاهرا، كك كذلك، يق يقال، ثلثه ثلاثه، مهيه ماهيه). و كذلك أصلحنا إملاء بعض الكلمات، فمثلا: (مبدا مبدأ، حياته حياته، الجزء الجزء، جزويه جزئيه) - و أصلحنا أمر التنقيط، حيث يلتزم الناسخ (خاصه

فى نسله م) بوضف النقطه أو النقطتين فف الفرف؁ سواء كانت فاء أو فاء أو نونا ابتداءفه أو وسطفه دون مراعاة لقواعد الإملاء؁ مع الوقوع فى أخطاء التأنيث و التذكير؁ و ذلك حسب أمزجه الناسخين!...

و كذلك فان النسختين خاليه من حركات الضم و الفتح و الكسر؁ و غير ملتزمه بقواعد النص؁ باستثناء النسخه المطبوعه فى حيدرآباد. و من هنا فان علامات الوقف و تقسيم النص إلى فقر هو من عملنا الخاص؁ و فى ضوء فهمنا للنص المحقق.

و قد اعتبرنا نشره حيدرآباد لكتاب التنبيه على سبيل السعاده رقما ثالثا يضاف إلى المخطوطتين اللتين استعملتا فى التحقيق؁ على الرغم من أن نشره الهند مفتقره إلى التحقيق العلمى الدقيق.

و مما تجدر الإشارة إليه أن كتاب التنبيه على سبيل السعاده ترجم إلى عده لغات أجنبية كاللأ-تينية و الألمانية و الروسيه و الفارسيه و التركيّه؁ و لا يخلو بعضها من التعليق و التحقيق.

و فى أدناه وصف للمخطوطتين؁ مع اجراء مقارنه بينهما؁ كما أوردناهما فى تحقيقنا لكتاب (تحصيل السعاده).

٤ - المخطوطتان:

(أ) - نسخه المكتبه البريطانيه (المتحف البريطاني سابقا):

يقع كتاب (التنبيه على سبيل السعاده) ضمن المجموع المرقم ٧٥١٨. Add Rich و تسلسله العاشر بين الرسائل الفاراييه؁ و يبدأ من ورقه ١٢٥ ظ - ١٣٦ و... و يحتوى المخطوط على الرسائل الفلسفيه التاليه:

١ - مقاله فى معانى العقل؁ تبدأ من ورقه (١ ظ - ٥ ظ).

٢ - مقاله فى أغراض ما بعد الطبيعه؁ تبدأ من ورقه (٦ و - ١٠ ظ).

٣ - كتاب فى مبادئ آراء أهل المدينه الفاضله؁ يبدأ من ورقه (١٠ و - ٥٣ و).

٤ - كتاب فصوص الحكم؁ يبدأ من ورقه (٥٣ ظ - ٦٢ ظ).

٥ - مقاله فى الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون و أرسطو؁ تبدأ من (٦٣ و - ٨١ و).

٦ - رساله فيما يصح و ما لا يصح من أحكام النجوم؁ تبدأ من ورقه (٨١ ظ - ٨٧ ظ).

٧ - كتاب تحصيل السعاده؁ يبدأ من ورقه (٨٨ ظ - ١١٠ ظ).

٨ - فى جواب مسائل سئل عنها؁ تبدأ من ورقه (١١١ و - ١٢٢ و).

٩ - رساله فى إثبات المفارقات؁ تبدأ من ورقه (١٢٢ و - ١٢٥ و).

١٠ - كتاب التنبيه على سبيل السعاده، يبدأ من ورقه (١٢٥ ظ - ١٣٦ و).

١١ - كتاب السياسه المدنيه، يبدأ من ورقه (١٣٦ ظ - ١٧١ ظ).

و مجموع أوراق المخطوط يبلغ (١٧١) ورقه، و حجمه ١٢.٢١ سم (٣.١٥، ٦ سم)، و مسطرتة (١٩) سطرا فى الصفحه الواحده.

ص: ٢٣١

" تم فى يوم الاثنين من أواخر شهر الشوال (كذا) فى بلده أصفهان صينت عن الحدثن، فى السنه الخامسه من العشر الأول من المائه الثانيه (كتب الناسخ لفظه الأولى، ثم أصلحها إلى الثانيه) من الألف الثاني من الهجره النبويه على هاجرها ألف ألف تحيه و على آله خير الورى تحيه، على يدى العبد محمد يوسف بن محمد على، عفى عنهما بالنجاه الرضى".

فتاريخ نسخ المخطوط إذن هو ١١٠٥ للهجره. أما كتاب التنبيه على سبيل السعاده فى هذه النسخه ففيه استدراقات على الهامش، و تصحيحات قليله على السطور، و لا يخلو من أخطاء إملائيّه. و يستعمل الناسخ طريقه الاختصار لبعض الكلمات، كما أشرنا من قبل.

(ب) - نسخه مكتبه مشكاه:

و هى المجموعه التى أهديت إلى المكتبه المركزيه لجامعه طهران. و كتاب (التنبيه على سبيل السعاده) يقع ضمن المجموع المرقم (٢٤٠ - كتابخانه مشكاه) و يبدأ من الورقه (٧٣ ظ - ٨٠ ظ). و لأهميه المخطوط يستحسن تقديم وصف كامل له.

يضم المجموع (٢٠٠ ورقه) يرد فى الورقه الأولى منه (١ ظ) برنامج ما فى المخطوط من رسائل تحت عنوان: (مجموعه الرسائل لأبى نصر الفارابى) - و كتب هذا العنوان بخط مخالف لخط البرنامج، و يبدو أنه أحدث منه، و تحت العنوان رقم (٢٣) و المقصود به عدد الرسائل و فى أدناه ذكر لهذه الرسائل.

١ - أغراض أرسطو فى مقالات كتابه الموسوم بالحروف: هو تحقيق غرضه فى كتاب ما بعد الطبيعه.

٢ - أسماء العقل حسب ما ذكره أرسطو.

٣ - فى إثبات المفارقات.

٤ - الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون و أرسطو.

٥ - عيون المسائل على رأى أرسطو، و هى ١٦٠ مسأله (كذا).

٦ - كتاب الفصوص.

٧ - جوابات لمسائل متفرقه، و هى ٤١ مسأله (كذا).

٨ - نكت فيما يصح و ما لا يصح من أحكام النجوم.

٩ - المبادئ التى بها قوام الأجسام و الأغراض (أصلحتها يد متاخره إلى: السياسه المدنيه).

١٠ - فضائل الإنسانيه (أصلحتها يد متاخره إلى: تحصيل السعاده).

١١ - التنبيه على أسباب السعاده.

١٢ - إحصاء الأبواب التي في مختصر كتاب المدني.

١٣ - مبادئ آراء أهل المدينة الفاضله.

١٤ - فصول تشتمل على ما يضطر إلى معرفته من أراد الشروع في صناعه المنطق.

١٥ - المختصر الصغير في المنطق على طريقه المتكلمين.

١٦ - مقاله صدر بها كتابه المنطق.

١٧ - مقاله في الكليات الخمس.

١٨ - كتاب الأوسط الكبير في المنطق (سته أجزاء).

و نجد في الورقه التاليه ذكر لهذا الأوسط الكبير على الوجه الآتي: " مقاله الفارابي صدر بها كتابه في المنطق، مع مقاله في الكليات الخمس. و المقالتان مع ما يليهما هو كتاب الأوسط الكبير في المنطق لأبي نصر.

تفصيل ما اشتمل عليه هذا الكتاب:

الأول: إيساغوجي، و هو المدخل <إحصاء الأشياء التي عنها تأتلف القضايا>. و الثاني: قاطيغورياس و هو المقولات. الثالث: بارمنياس و هو العبارة. الرابع: أنولوطيقا الأول و هو القياس. الخامس: أنولوطيقا الثانيه و هو البرهان. السادس: طوبيقا و هو الجدل. السابع: سوفسطيقا و هو المغالطه. الثامن: ريطوريقا و هو الخطابه. التاسع: بيطوريقى و هو الشعر.

و كما أشار مدون البرنامج عند ما ذكر أن كتاب (الأوسط الكبير) سته أجزاء، فان المجموع يقف عند السادس و هو الجدل.

و عود إلى وصف المخطوط، ففي الصفحه (٢ و) من الجبهه العليا عباره حديثه الخط تقول: "رساله جمع بين الرأيين" - و في وسط الصفحه ترد أسماء الأشهر الهجريه، و تحت كل شهر ترد عباره باللغه الفارسيه تدل على أرقام معينه!. و الخط بالنسبه لهذه المدونات فارسي دقيق متأخر. و في أسفل الصفحه نجد عباره بخط نسخ حديث تقول: "أشترت في النسي و أنا الراجي (كلمه غير مقروءه) عفو ربه الغنى... عبد الغفار عبد الوهاب الرضوى عفى عنهما".

و هناك تعليقات و تصحيحات على هوامش بعض الرسائل بخط الناسخ، بعضها يتكون من عبارات، و بعضها الآخر كلمات مفرده. و يبدو أن النسخه مقارنه مع أخرى، و تم التصحيح في ضوئها.

أما كتاب التنبيه على سبيل السعاده، فيقع في (٧) ورقات، و تسلسله الحادى عشر، و حجمه (٥، ٥.٢٢، ١٣ سم) و مسطرتة (٢١) سطرا (٨.١٥ سم) و خطه نستعليق حديث كسائر خط المجموع، و تاريخ نسخه الحادى عشر للهجره (ظاهرا).

و تتصف نسخه (التنبيه على سبيل السعاده) هنا بنفس الصفات تقريبا التي مرت من حيث الإملاء و المختصرات و التنقيط و

خلوها من التقطيع الجملى. و هناك بعض التصحيحات القليله على الهامش مدونه بخط الناسخ، و لعلها قورنت مع نسخه أخرى، لأن الناسخ يضع علامه (ص) فى نهايه الكلمه أو الجملة.

فى ضوء هذه الصوره التى وصفنا فيها المخطوطتين، يمكن القول أن هناك وشائج قبرى بينهما - و لكن ليس من السهل أبدا الادعاء بان أحدا منهما نقل عن الآخر، فدرجه القربى تظهر أكثر وضوحا فى مخطوط دون آخر.

محمد بن أحمد البيرونى

مرت ترجمته فى الصفحه ٦٥ من المجلد التاسع و نشر عنه هنا هذا البحث بصفته عالما من علماء التاريخ الطبيعى، و هو بقلم سامى خلف حمارنه نشره فى إحدى المجلات.

ص: ٢٣٢

يعجبه ذلك، فقال عن سارتون أنه أخطأ بظنه أن البيروني كان شيعيا معاديا للعرب والعروبه فقد كان بعكس ذلك!! ونحن لا ندري من أى شىء نعجب، أ من تصور (الحمارنه) بأنه مجرد أن ينفى حقيقه واقعيه، فهى ستتفتى، أم من فهمه للتشيع هذا الفهم (الحمارنى) و قوله عنه بأنه معاده للعرييه و العروبه!! إننا نقول للحمارنه إن التشيع هو العربى الأصيل الذى نشأ فى ظلال العرب و فى رعايتهم و استماتوا فى حمايته و الدفاع عنه، و لكن عرب التشيع الاصلاء فى عروبتهم لا يفهمون العروبه (نازيه) عنصريه اعتدائيه تحتقر غيرها من الشعوب و تستعدها و لا تحترم إسلامها و لا تراعى إيمانها، بل يفهمون العروبه حبا و تسامحا و تقديرا لغيرها من الشعوب التى تستحق التقدير.

و إذا كانت الأمثال العرييه قد قالت بان لكل مسمى نصيبا من اسمه فلا شك بان رأى (الحمارنه) فى التشيع هو من نصيبه فى لقبه...

من أكثر العلماء المسلمين أصاله و إنتاجا فى زمنه بلغه القرآن فى العلوم و المعارف كان أبو الريحان البيرونى (٣٦٢ - ٤٤٣ هـ/٩٧٣ - ١٠٥١ م) (١) و هو معاصر الشيخ الرئيس ابن سينا بايران و الحسن بن الهيثم فى العراق و مصر. و من بين كتب البيرونى فى التاريخ الطبيعى اثنان فى غايه الأهميه:

أولهما الصيدنه فى الطب (٢) و الثانى كتاب الجماهر فى معرفه الجواهر ألفهما فى السنين الأخيره فى حياته فاحتويا على الكثير من غنى خبرته فى العلوم الحياتيه و البحتة و التقنيه و الاجتماعيه. (٣) و فى هذه مقاله يهمننا كتابه هذا فى الجواهر و بالذات مقدمته للكتاب الذى يعتبر من أهم تصانيفه و أكثرها أصاله (٤) و يتبين من هذه المقدمه أن البيرونى قد نسق مقالاته و أتمها زمن السلطان مودود بن مسعود بن محمود الغزنوى (٤٣٢ - ٤٤١ هـ/١٠٤٠ - ١٠٤٨ م) و ربما فى مطلع ملكه (حوالى سنه ١٠٤٤ م) و عمر المؤلف آنذاك سبعون عاما و نيف، و يقول فيها: "نريد الآن نخوض فى تعديد الجواهر و الأعلاق النفيسه المذخوره فى الخزائن و نفردها لها مقاله تتلوها ثانيه فى أثمان المثمانات و ما يجانسها من الفلزات فكلاهما رضيعا لبان فى بطن الأم و فرسا رهان فى الزينه و النفع (٥) و يكون مجموعها تذكره لى فى خزانه الملك الأجل المعظم شهاب الدوله أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود قرن الله بشبابه اغتباطا و زاد يده بالنصر تطاولا- و انبساطا فإنه لما فوض الله تعالى أمره تولى إعزازه و نصره و حين نصب حب الله بين عينيه عفا عن من استغاث باسمه و أمن من استامن بذكره و أخفى صدقاته بعد صلاته الباديه ليفوز بما هو خير له فى السر و العلانيه". ثم إن النصوص و المقدمه نفسها تفيدنا بان تأليف الكتاب قد تم أيضا فى مدينه غزنه حاضره السلطنه (فى جمهوريه افغانستان اليوم). (٦)

يستهل المؤلف كتابه الجماهر فى معرفه الجواهر فى مقدمه مستفيضه تحتوى على فصلين قصيرين و افتتاحيه ثم خمس عشره ترويحه كأنها مراحل توقف للتفكير و التأمل الروحى و الاستجمام الفكرى و الإيحاء (٧) و فى هذه المقدمه يستودع البيرونى خلاصه تفكيره فى أمور فلسفيه و علميه و اقتصاديه و دينيه و اجتماعيه فى غايه الأهميه و الأصاله و الروعه. و ما هذه مقاله إلا محاوله متواضعه و جديه لتقييم ما أراد البيرونى أو ما كان يجول بخاطره لنقله إلى القارئ من أفكار و آراء و توجيهات من خلال مقدمه الكتاب و التى تثير فى النفس تساؤلات عديده نبينها و نشرها باختصار بالطريقه التاليه:

١ - هل كانت المناقشات و الأفكار و المبادئ التى خطتها يد الشيخ العالم أبى الريحان البيرونى و هو يدب بخطى وئيده إلى نهايه مسيره هذه الحياه الدنيا أفكارا عابره متفرقه و خواطر ثائره أو شارده لا تربط بينها أوصال و لا تنتظم منها رؤيه واضحه أو

١- هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ١٠٥١/٤٤٣) من أعظم علماء المسلمين وأكثرهم أصالة، كتب في علوم الفلك و التنجيم و الرياضيات و العلوم الطبيعيه و الجغرافيا و التاريخ و الأنساب و الفلسفه الاجتماعيه و قد ولد في ٣ ذى الحجه ٣٦٢ هـ / ٤-١٠-٩٧٣ م في (Khivaorkath) مدينه خوارزم أو ضواحيها على الأرجح (كان في دلتا آمو داريا السوفياتيه اليوم على الشاطئ الجنوبي لبحر خزر أو قزوين آرال)، ثم تتلمذ على أبي نصر الجيلاني و كانت له علاقته صداقه و مراسلات مع معاصريه ابن سينا و عيسى المسيحي و خدم السلطان منصور بن نوح الساماني (٣٨٧ - ٣٨٩ هـ / ٩٩٧ - ٩٩٩ م) ثم أبي الحسن قابوس شمس المعالي في جرجان، و السلطان أبي الحسن علي بن مأمون و أخيه الخوارزمشاه أبي العباس مأمون قبل أن ينخرط في خدمه الغزنويين و معهم زار الهند و سكن غزنه (في الأفغانستان اليوم) حيث بقى يؤلف و يكتب حتى وفاته و عمره حوالي ٧٨ سنه مملوءه بالانتاج القيم و الخدمه للعلم و تقدم الإنسانيه الفكرية:

٢- إن كتاب البيروني، الصيدنه في الطب قد تم تحقيقه و نشره مع تقديم و تقييم مختصر في كراتشي - الباكستان تحت إشراف مؤسسه همدرد الوطنيه و رئيسها الحكيم محمد سعيد، في جزئين سنه ١٩٧٣ م، و قد ترجم إلى الروسيه مع شرح و تعليقات بقلم عبيد الله كريموف، طشقند، ١٩٧٤ م. هذا آخر كتاب للبيروني و قد توفي قبل أن تتاح له فرصه تبويض المسوده التي أعدها للمقارنه بين صيدنه البيروني و مفردات الطب للغافقي.

٣- مقدمتا كتابي البيروني في الصيدنه و في الجواهر يمكن اعتبارهما من أروع ما كتب بالعربيه في العصر الوسيط في موضوعهما فهما حافظتان بالأفكار الجديده النيره عن حياه المؤلف الشخصي و آرائه الأصليه في العلوم و الاجتماع و الاقتصاد حتى أن إدورد سخاو يعتبره أعظم عقليه عرفها التاريخ.

٤- كتاب الجماهر في معرفه الجواهر للبيروني تم طبعه و تحقيقه في حيدرآباد، دائره المعارف العثمانيه، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م بواسطه المستشرق فريتز كرنكو و قد اعتمد في عمله على ثلاث نسخ: الأستانه بمكتبه طوب كاباي و الآن مكتبه أحمد الثالث تحت رقم طب ٢٠٤٧ في ١٩٣ ق تم نقلها سنه ١٩٢٦ هـ و هي أصح النسخ بخط أحمد بن صديق بن محمد الطيب و نسخه راشد بالقيصريه و نسخه الاسكوريال رقم ٩٠٥ عربي (الطبعه جيده ما - خلا أخطاء قليله). أما كاتب هذه المقاله فقد اعتمد بالاضافه لهذا على نسخه جامعه هارفارد و التي ربما هي نسخه عن مخطوط الأستانه السابق ذكره كما و قد فحص نسخه في مكتبه البودليان بجامعه أكسفورد بانكلترا (ناقصه) ذكرها أيضا E.B.Puscy في فهرست مخطوطات بودليان العربيه الشرقيه طبع أكسفورد، ١٨٣٥، ص ١٢٦، و توجد نسخه بالقاهره، المكتبه التيموريه، رقم ١٥٣ طبيعيات.

٥- الجواهر في العربيه هو كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به و هنا أطلق على الأعلاق النفيسه من الجواهر (المجوهرات)، و الجوهري هو صانع و بائع الجواهر. و الفلز بكسر الفاء و اللام و شد الزاي هو أصلا نوع من النحاس الأبيض تجعل منه القدور المفرغه أو خبث الحديد أو الحجاره أو جواهر الأرض كلها أو ما ينقيه الكير من كل ما يذاب منها و هنا يشتمل على الذهب و الفضة و الحديد و النحاس و الرصاص و إن نفعها بالتداول و ليس بالخرن في باطن الأرض إذ لم تكن آنذاك متاحف عامه بعد لعرضها على الجماهير. انظر القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعه الثانيه، القاهره، البابي الحلبي، ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م، ج ١: ٤١٠ و مجلد ٢: ٥١٩٣.

٦- البيروني، في الجواهر، طبعه ١٩٣٦ م السابق ذكرها ص ٣١، ٤٩. بلغت مدينه غزنه زمن المؤلف أعلى درجات الأهميه و العظمه و النفوذ و امتدت سلطه ملوكها من أواسط الهند إلى إيران و في ذلك الباكستان و الأفغانستان و البلاد المجاوره لهما و يعتبر الأمير محمود الغزنوي مؤسسها الحقيقي انظر محمد ناظم، حياه السلطان محمود الغزنوي و زمنه، كمبردج إنكلترا، ١٩٣١ م.

٧- كلمه الترويحه استعملت في شهر رمضان المبارك لاستراحه العابدين بعد كل أربع ركعات فسميت صلاه التراويح لأنهم كانوا يستريحون بين كل تسليمتين (مفردها ترويحه) ثم أطلقت على الجلسه مطلقا للترويح عن النفس. انظر لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري بن منظور، طبعه القاهره، بولاق، ج ٣: ٢٨٧-٢٨٩.

٢ - أو كانت تعابير روح ثائره على مجتمع مادي يعتوره الفساد و الظلم و التكالب و الأنانيه و انتقادا ساخرا لأنظمه باليه فيزيح بقلمه الغطاء عن عوراتها و يكشف أستار محتوياتها و مكوناتها سافره أمام نور الحقيقه و جمال الفضيله و مكارم الأخلاق و مجد الخلود.(١)

٣ - أو أنه يقدم فيها نظاما اجتماعيا شاملا و صالحا يتماشى مع روح عصر سداته الايمان و المروءه و لحمته الدين الصحيح الحنيف كاشفا فيه عن أهداف و آراء اقتصاديه و أخلاقيه بناءه شافيه لأسقامه الكثيره؟.

٤ - أو هل هي تصدير مبدئي و تقديم مقصود و تمهيد متسلسل ليرينا علاقته هذه الأحجار الكريمة و الفلزات النفيسه و الأعلاق المفضله التي هي موضوع الكتاب نفسه بما لها من صلوات و تأثيرات و ملابسات في مجتمع مشعب الأهداف متباين في ماربه و مشاربه معقد في أطماعه و أحلامه و معاملاتة، كثيره تياراته الفكرية و الماديه؟ أو هل هذه هي الأسئلة الأربعة مجتمعه مترابطه؟ و أن هناك خيطا غير منظور يجمع هذه الدرر المتناثره في قلاده أو عقد متصل الحلقات جميل الرونق نادر الثمن؟.

في مقدمه الجماهر هنا الأول و هله نجد أماننا أفكارا جديده نقاده في الفقه(٢) و التشريع و العلوم العامه و التاريخ الطبيعى و الأدب و الاجتماع و التجاره و العمران متبعثره حيناً و حيناً في اتساق و تخطيط مرسوم ربما يراد الوصول به إلى غايه الكتاب نفسه و مادته أو إنها طفره مقصوده تعبر عن تبرم المؤلف من المجتمع البشرى كليه أو تأسفه على أحلام و أمان رقيقه لم تتحقق فانطلقت هنا معبره عن إرادتها بحريه رقيقه و بساطه جريئه.

للاجابه بوضوح و دقه لا بد من تقييم هذه الفصول و تعيين اتجاهاتها واحدا واحدا مع تحليل مقتضب لمحتوياتها و مقاصدها و أسبابها القريبه و البعيده و لا بد لنا من القول قبل البدء في التعليق و الشرح بان هذه المقدمه بجملتها تقدم لنا حقا قطعه أدبيه رائعه و درسا اجتماعيا قيما و نبذه علميه نادره و شرحا موضوعيا بديعا لأحوال الدين و الدنيا للمجتمع الإسلامى فى العصر الوسيط و كل ذلك فى نظر ثاقب رصين مؤمن بالحياه و يهزأ بالاخفاق و الانهزاميه و الإذعان. الافتتاحيه:

يهمل البيرونى فى افتتاحيه كتاب الجماهر هذا ذكر اسم الكتاب و عنوانه من ناحيه أو مقصده و أهدافه و أغراضه من ناحيه أخرى كما نجد فى كثير غيره من تأليف هذا العصر الهامه فى شتى العلوم(٣)، فلعل المؤلف اكتفى بذكر تصدير مقتضب معبر بكلتا الحالتين عن فاتحه قصيره فيها يحمد رب العالمين "الذى لما توحد بالأزل و الأبد و تفرد بالدوام و السرمد جعل البقاء فى الدنيا عله الفناء و السلامه و الصحه داعيه الآفات و الأدواء"، كل هذا - فى لهجه فلسفيه - يوضح بان خوف الإنسان من الفناء يدفعه للتمسك أكثر بالحياه الدنيا و تلهفه على طلب السلامه مهما كلف الأمر مع تأييد بعزم و ثبات أمر محاربه الأسقام و الآلام و الطريق لاستعادته العافيه و لكن هذا لا يكون إلا بذاك و أما نوال السعاده فهو رهين القبول و الرضى بحقيقه هذا التضاد فى الحالتين.

و يشير البيرونى إلى أهميه قبول قضاء الله و قدره الذى "قسم الأرزاق و وفق الآجال و صير سببها الاشاحه فى الأعمال"، مؤكدا ضروره الجهد و الاجتهاد لنيل المراد، ثم يتحول المؤلف للإشاره إلى ظاهره طبيعه هامه من عمل الخالق الذى "سخر الشمس و القمر دائبين على رفع الماء إلى السحاب حتى إذا أقلت الثقال ساققتها الرياح إلى ميت التراب و أنزلت إلى الأرض ماء مباركا فأخرجت به خيرا متداركا متاعا للأنام و الأنعام إلى أن يعود بحريته إلى البحار و الاستقرار" موضحا بذلك ما للقمر و الشمس

من تأثير في تبخر المياه و تكون السحب و تراكمها في الجو ثم نزول الأمطار و استقبالها مما يؤول إلى ارتواء الأرض المتلفه العطشى و إعطائها الخصب و الحياه فتزهر البريه و تبتهج و تسقى الأرض و تكتسى المراعى فيفرح قلب الإنسان بجود النبات و الحيوان فيعود النمو و الازدهار للبريه بأسرها ثم تعود زياده الماء مره أخرى إلى البحار و الأنهار من حيث جاءت أولا و هلم دواليك. " يَعلَمُ ما يَلتَجُ في الأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها " و في ذلك إشارة إلى ما في باطن الأرض من خير و كنوز من أحجار كريمه و معادن تخرج بالكشف و الحرث و التعدين و الزرع و ما تهبه السماء من ريح و شمس و مطر و من جاذبيه و إشعاع و دفء لازدهار المسكونه و ظهورها في حاله جديده قشيبه فنرى أنه حتى في هذه الافتتاحيه المقتضبه حقا إشاره واضحه إلى الجواهر و الفلزات المخزونه و المدخره في باطن الأرض رهينه الكشف لنفع الإنسان.(٤)

و يستغرب القارئ أن يرى مصادر هذا الكتاب قليله جدا و محصوره لأن المؤلف يذكر اسم كاتبين فقط نقل عنهما إذ يقول: " و لم يقع إلى من هذا الفن غير كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي في الجواهر و الأشباه و قد .

ص: ٢٣٤

١- المقدمه لكتاب البيروني في الجواهر تتضمن مبادئ و خواطر و اتجاهات لا بد أنها كانت تحوم في فكر هذا العالم الفديرو الباحث المدقق و الاجتماعى الخبير العارف بأحوال الطبيعه البشريه و الآن قد حانت له الفرصه للمشاركة بل و المساهمه بها و الكشف عنها كافكار متواتره في كتاب علمى لا ينتظر أن تثير أيه ضجه أو معارضه من أعدائه و أولئك الذين يحاربون كل اكتشاف و يناوئون كل فكر جديد محدث انظر مقدمه أ. م. بلنسكى، في علم المعدينيات، موسكو، ١٩٦٣ م، و الجمعيه الإيرانيه، كتاب تذكاري البيروني (٣٦٢ - ١٣٦٢ هـ) كلكتا الهند، ١٩٥١ م، بول كراوس، "البيروني عالم القرون الوسطى الايراني"، مجله الإسلام الألمانيه، ٢٦ (١٩٤٠ م) ص ١٥، و ما كتبه أيلهارد فيديمان في أعمال البيروني في العلوم الطبيعه، ارلانجن، ألمانيا، و بنوع خاص أطروحه صديقنا المرحوم الدكتور محمد يحيى الهاشمي في كتاب البيروني في الجواهر، بون، ألمانيا، ١٩٣٥ م (بالألمانيه).

٢- عبقرية البيروني تبدو أيضا في سعه اطلاعه و قوه ملاحظته فهو يتكلم في العلوم الطبيعه و الاقتصاديه و الدين و الاجتماع و السياسه بهدوء و ثقه العارف بموضوع بحثه و باصاله الباحث فيما يعرفه عن اختبار شخصى بدون تكلف أو مراوغه لذا يطلع علينا بنظريات مقبوله و آراء هامه و تعقيبات تلقى ضوءا كاشفا لنا الكثير عن تلك الحقبه التى عاش بها في تاريخ الأمه الإسلاميه لذلك نجد جورج سارتون في مقدمته لتاريخ العلوم، المجلد الأول ص ٦٩٣-٧٣٧ يطلق على النصف الأول من القرن الحادى عشر، م، عصر البيرونيو لكنه أخطأ بظنه أنه شيعى معاد للعربيه و العربيه فقد كان بعكس ذلك.

٣- كان أبو زيد حنين بن إسحاق العبادى (٨٠٩ - ٨٧٣ هـ)، و على بن العباس المجوسى (ت ٩٩٤ هـ) و غيرهما بعدهما قد ذكرا حول ثمانيه رؤوس ينبغى أن تعلم قبل قراءه كل كتاب كغرضه و منفعتيه و سمعته و جهه تعليمه و مرتبته و اسم الواضع و صحه و قسمه الكتاب. و قد تبع نصحهم كثير من مؤلفي هذه الحقبه انظر كامل الصناعه الطبيه للمجوسى، طبع بولاق ج ٩:١-١٢، و الخطط المقريزيه، بولاق ج ٣:١، و المسائل فى الطب للمتعلمين لحنين بن إسحاق العبادى، تحقيق محمد أبو ريان و مرسى عرب و جلال موسى، دار الجامعه المصريه، ١٩٧٨.

٤- كتاب الجماهر، انظر طبعه ١٩٣٦ م، ص ٢، و أيضا ايلهارد فيديمان، حول حركات الشمس و القمر، مجله الإسلام، ج ٤

(١٩١٣) ص ٥-١٣، وفاضل الطائي، "مع البيروني في كتابه الجماهر في معرفه الجواهر، مجله المجمع العلمي العراقي، ج ٢٤-٢٥
(١٩٧٤ م) ص ٥٢-٥٨، و محمد جمال فندی [أفندی] و إمام إبراهيم أحمد، البيروني، دار الكتاب العربي، .

اقترع فيها عذرتة و أظهر ذروته كاختراع البدائع فى كل ما وصلت يده من سائر الفنون فهو إمام المجتهدين و أسوه الباقيين. (١)

ثم مقاله لنصر بن يعقوب الدينورى الكاتب عملها بالفارسيه لمن لم يهتد لغيرها و هو تابع للكندى فى أكثرها و سأجتهد فى أن لا- يشذ عنى شىء مما فى مقالتيهما مع مسموع لى من غيرهما ". فالبيرونى إذا يشير إلى أنه استفاد كثيرا من كتاب الكندى المذكور أعلاه أولا، و قليلا من مقاله الدينورى بالاضافه إلى ما كان قد سمعه و خبره البيرونى نفسه من متعاطى مهنة العمل و الاحتراف و التجاره فى الجواهر و أشباهها مع أنه يشك فى ثقتهم و ينتقد ساخرا من نزاهتهم و صدق نيتهم فيما يعملون و يقولون، " و إن كانت طبقه الجوهريين فى أخبارهم المتداوله بينهم غير بعيده عن طبقه القناص و البازياريين (صيادى الجوارح و أنواع الطير) فى أكاذيبهم و كبائرهم التى لو انفطرت السموات و الأرض لشىء غير أمر الله لكائته. و لنا بيطليموس أسوه فى تألمه من تخريصات التجار الذين لم يكن يجد بدا من الاستماع منهم لتصحيح أطوال البلاد و عروضها من أخبارهم بالمسافات و العلامات".

لذلك لا- بد أن البيرونى قد اعتمد فى الكثير من المعلومات التى قدمها فى كتابه حول الجواهر على مشاهداته الشخصيه و تجاربه و اختباراته و تقييم الأمور التى سمعها و نقلها حسب ما رآه فتكون أكثر قبولا و واقعيه و نقدر أن نتحقق صدق هذا من الأفكار الأصلية الهامه النيره و الصبر و النظريات التى احتماها كتابه هذا. (٢)

فصل ١: يقدم لنا هنا البيرونى بحثا ذا أهميه قصوى فى تاريخ طريقه نمو النبات و الحيوان و تطور هذه الطريقه و ما تتميز به كل من هاتين المملكتين الطبيعيتين و كيف بذلك أزاح لنا الله الغطاء لمعرفه " علل جميع المخلوقات بكنه حاجاتها و بقدر، لا إسراف فيه و لا تقتير، و جعل النمو الذى هو زياده فى جميع أقطار القابلى له طارئه عليه و مستحيله إليه سببا هو الاغذاء و صير النبات مكتفيا بالقليل من الغذاء ماسكا له، لا ينهضم بسرعه، فافتتحت و ثبت مكانه يأتيه رزقه من كل مكان فيجذبه بعروق دقاق فى دقه الماء ساريا إلى جرتومته ". فالغذاء ياتى إلى النبات و هو فى مكانه ثابت فتجذب به الجذور الممتده فى عمق الأرض و تهضمه ثم كيفيه تغذى النبات بمرور النسغ ببطء من الجذور صاعدا إلى فوق من خلال الجذع و الأغصان فإلى أجزائه العالیه مقدا نظريه طريقه هامه إذ فيها يبين بوضوح فيقول: " و ترفع سخونه الجو بالشمس من أغصانه رطوباته " الأمر الذى من أجله يحدث فراغ و الذى لا بد من ملئه " فينجذب ما حصل (من الجذور) فى الأسافل إلى أعالي أفنانه و ينمو به ".

و غايه هذا التطور و النمو ليبلغ ذروته لاستمرار الجنس " ثم يجرى إلى ما خلق له بالايراق و الازهار و الاثمار ". (٣)

و بعد ذلك يشير البيرونى إلى الفارق الواقع بين طريقه نمو النباتات و بين كيفيه تغذى الحيوان و سرعه الانهضام و أهميته، و ضروره تنقل الحيوان بالآلات الحركه لطلبه و احتياجه " إلى القضم و الخضم " و للتقوت من هنا و هناك. من أجل ذلك أعطى الحيوان بالطبيعه موهبه الحواس الخمسه ليميز بها بين ما يضر و ما ينفع و بين الممكن و غير الممكن معبرا عنها فى النقاط التاليه:

١ - " من بصر يدرك به المرغوب فيه من بعيد فيسرع إلى اقتنائه و المرهوب حتى يهرب منه و يستعد لاجتنابه و اتقائه ".

٢ - " و من سمع يدرك به الأصوات من حيث لا يدركها البصر فيتأهب لها ".

٣ - " و من شم يدل عليها من خواص فيها " فيقتفيها أو يتقيها. "

٤ - و من ذوق يظهر له به الموافق من الغذاء و غير الموافق منه فينجو بذلك مما هو سام و يتعد عما هو تافه أو غير مستحب.

٥ - و أخيرا من لمس يميز به بين الحار و البارد و الرطب و اليابس و الصلب و اللدن و الخشن و اللين " فينتظم بها في الدنيا معاشه و يدوم انتعاشه "، و هي ميزه للحيوان فوق النبات، أحسن المؤلف توضيحها و تبيانها بدقه و حذاقه و صدق. (٤)

ترويحه ١: يتابع البيروني في الترويحه الأولى حديثه عن الحواس التي تنفعل بمحسوساتها أعضاء البدن الحيوانى و أفعاله و قواه فيعطينا أفكارا أخرى هامه و أصيله بالاستمرار في تعريف الحواس و كيفية أدائها أفعالها بالنسبه لعلمى التشريح و وظائف الأعضاء فيضيف قائلا:

" فالبصر محسوسه النور الحامل في الهواء ألوان الأجسام خاصه و إن حمل أيضا غيرها من الأشكال و الهيئات حتى يعرف بها كميّه المعدودات (و المرثياتص).

ص: ٢٣٥

١- لقد استفاد البيروني مما كتبه فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندى (ت حوالى سنه ٨٧١ م فى العاصمه العباسيه) حول خواص الجواهر و نعوت الأحجار و وصفها و لكننى شخصيا لم أجد أيه نسخ مخطوطه بعد للتأكد و للتعريف بالكندى و أعماله فى هذا الباب، انظر الكندى فيلسوف العرب الأول لمحمد كاظم الطريحي، بغداد، مكتبه المعارف، ١٩٦٢ م، و فؤاد سيد، فهرس المخطوطات المصوره، القاهره، معهد المخطوطات العربيه، ١٩٦٣ م، ص ٢-٣، و الأب ج. مكارثي، التصانيف المنسوبه إلى فيلسوف العرب، بغداد، ١٩٦٣، و يذكر ابن النديم فى الفهرست (طبعه القاهره، ١٩٢٩ م) ص ٣٧١-٧٩ رسالتين للكندى فى أنواع الجواهر الثمينه و فى أنواع الحجاره المعدنيه (الفلزات).

٢- البيروني، فى الجواهر، طبعه ١٩٣٦ م ص ٣١-٣٢، ٤٠٩ و نسخه هارفارد ص ٤٤-٤٦، و إننا نجد فى الواقع اقتباسات و إشارات إلى كتب و مؤلفين آخر كارسطوطاليس و جالينوس و جابر بن حيان و الرازى و أحمد بن على و ابن الحسن الترنجى و المسالكللجيهانى و المالك و المسالك للمسعودى و منافع الأحجار لعطارد بن محمد و الموازنه لأبى القاسم الآمدى و النبات لأبى حنيفه الدينورى و أسفار مختلفه من التوراه تبحث فى هذا المجال.

٣- البيروني قدم آراء أصيله فى العلوم الطبيعیه و نظرات صائبه فى مظاهر و طبائع الممالك الطبيعیه الثلاثه كما نجد هنا فى نظريته فى تغذى النبات و صعود النسغ من جذوره إلى بقيه أجزائه العالیه. يان ولكزنسكى فى استنتاجاته حول نظريات البيروني فى انتخاب الأنواع و فكره التطور: يعتبر البيروني بأنها أفكار عابره غير مقصوده، مع أن هذا المفكر المسلم العبرى حاول أن يضع أعظم آرائه أصله و جديده بهذا الأسلوب، كما نجد فى مقدمته لكتاب الجواهر و ذلك حتى لا يثير ضجه حوله ممن لا يقيمون وزنا للتفكير الحر و الذين يحاربون التجديد و الأصاله فى البحث العلمى و الملاحظات الشخصيه المتحرره. و هنا مثلا نجد تعليقا هاما بالنسبه لتاريخ علم النبات يثبت مقدره البيروني فى العلوم الطبيعیه. انظر فى تحقيق معالم الهند، حيدرآباد، العثمانيه، المجلدان ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م و تحقيق إدورد ساخو، لندن، ١٨٨٥ م (و طبع ١٩١٠ م)، ج ١: ص ٤٠٠ بالانكليزيه (ص ٢٠٠ النص العربى).

٤- يعطينا البيروني تحليلا علميا لأحوال الحواس الخمس و وظائفها و نفعها للجسم، ككل و قد تكلم فى ذلك علماء الاغريق

مثل ثيوفراستس و كتب عنه الكثيرون في العصر العربي الإسلامي كالمجوسى الأنف الذكر و غيره، انظر عبد اللطيف موفق الدين البغدادى، مقالتان في الحواس و مسائل طبيعیه دراسه و تحقيق بقلم بول غليونجى و سعيد عبده، الكويت، وزاره الاعلام، ١٩٧٢ م فى ٢٠٥ ص.

إلى الشبكيه فالعصب البصرى فإلى الدماغ للحصول على الرؤيه الكامله).

و أما السمع فمحسوسه الأصوات، و الهواء حاملها إليه، و الشم محسوسه الروائح، و الهواء يوصل حواملها إلى الخياشيم إذا انفصلت من المشموم كإفصال البخار من الماء باختلاط أجزائه المتبدده فى الهواء.

و الذوق محسوسه الطعوم و الرطوبه تحملها و توصلها إلى الذائق و تولجها فى خلله. فان آلاته من اللسان و الحنك و اللهوات متى كانت يابسه لم تحس بشىء من الطعوم و هذه الحواس الأربع متفرقه فى البدن مختصه باماكن لها لا تعدوها ^(١) و نستطيع فى عصرنا الحاضر أن نشير لتلك الأماكن المعينه التى هى المراكز الأساسيه لهذه الحواس فى الدماغ و خلافه.

و البيرونى من ثم يتطرق إلى الحاسه الخامسه و الأخيره و التى تتميز عن الأربع السابقه فيقول: " و أما خامسها ألا و هى حاسه اللمس فإنها بعكس الأربع الأخرى عمت جميع البدن فى أعضائه و فى آلات سائر حواسه و لم تنفرد بها دونها. و أول ما نلاقى من ذلك محسوساته بواسطه الكيفيات التى هى فى ظاهر البدن و لهذا كان الجلد بحس اللمس أولى و إليه أسبق ثم ما وراءه أولا- فأولا- و طبقه طبقه بحسب اللين و اللطف إلى أن يبلغ الأغلظ الأ- كثف من دعائم البدن فيزول به حس اللمس عند العظام ". فواضح برأى المؤلف إذا أن حاسه اللمس أقوى ما تكون فى سطح الجلد ثم بعد ذلك تضعف تدريجيا اتجاها إلى العمق حتى وصول العظام حيث حاسه اللمس تكاد تكون معدومه. ^(٢)

ترويحه ٢: ينتقل البيرونى هنا للحديث حول تفوق العنصر البشرى على سائر المخلوقات لأن الله منحه شيئا آخر بالاضافه إلى الحواس الحيوانيه الخمس و هى " بما شرف به من قوه العقل " الذى تسلط به على المخلوقات و قدر على سياسه الأرض و تعميرها و تفهم أسرار الكون و تدبيره (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاءٍ عَمَلْتَ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ وَ لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ مَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ) سوره يس ٧٠-٧٢.

و لو لا هذا الإحسان الإلهى لما استطاع الإنسان مقاومه الحيوانات و هو بالنسبه لها فى القوه الجسمانيه أضعف من الكثير منها و لا يملك ما تملكه " من آلات الدفاع و النزاع ". و البيرونى هنا أيضا يقتبس ما جاء فى سوره الزخرف: ١٢ (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ). فنعمه العقل و التمييز للتسلط على سائر المخلوقات ما هى إلا إكرام سماوى و التى يأمل المرء من خلالها خير الجزاء بعد المنيه. و يضيف المؤلف قوله: " إذ الرغائب بالمتاعب و نيل البر بالإنفاق من الجباب " إذ لا بد من " احتمال قرص النحل حتى يجتنى العسل " و ليكن العطاء مما يخترنه الإنسان لعمل الخير و الإحسان للآخرين أجرا و احتسابا.

و يضيف المؤلف و هنا أيضا حول أهميه ذكر حاستى السمع و البصر حيث " جعلتا لهما مراقى من المحسوسات إلى المعقولات. أما البصر فلاعتبار بما يشاهد آثار الحكمه فى المخلوقات و الاستدلال على (عظمه) الصانع من المصنوعات " و يستشهد بسوره فصلت: ٥٢ (سَيُنزِئُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ). هذا ما يختص فى أمر البصر " و أما السمع فليسمع به كلام الله بأوامره و نواهيه و يعتصم فيها بحبله فيصل إلى جواره " و يستشهد بقول أعشى بنى أبى ربيعه إذ يقول:

كان فؤادى بين جنبى عالم بما أبصرت عينى و ما سمعت أذنى

فالبيروني إذا يؤكد بان هناك مصدرا أكيدا للحصول على العلم ألا و هو هاتان الحاستان، البصر و السمع و يضيف إليهما الفؤاد (و ليس الدماغ) مشيرا إلى آيه من سوره الأسرائ: ١٠٤ (إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) . موضحا بأنه من فضله القلب يتكلم اللسان مقتبسا قول أبى تمام:

و مما قالت الحكماء طرا لسان المرء من خدم الفؤاد

لأن السمع و البصر حسب رأى البيرونى و باسلوبه البليغ الرفيع يعتبرهما " آلتا الرقيب " بهما يكتشف المرء نفسه و بيئته و يرى ما هو خفى عنه غير ظاهر له و لا يعرف أبدا حق قدرهما إلا عند فقدهما لكل ما يخصهما فى الحياه من متعه و سلوى و جمال و أنس.

أما الحواس الأخرى فإنها برأى المؤلف أليق بالبدن منها بالنفس من مذاق و تحسس و استنشاق ما حولها. و هى أقرب إلى الحيوانيه الجسديه منها إلى الإنسانيه الفضلى بالرغم من أنها مبدئيا تتطور و ترقى و تهذب من منطلق أوضاع الإنسان الفكرية و أحلامه و تفاعله و استنباطاته حتى تبلغ بهذه المشاعر و الأحاسيس إلى أقصى غايتها البشريه النافعه. (٤)

ترويحه ٣: هنا يتكلم البيرونى عن الاستئناس كنتيجته إلى التجانس مقتبسا المثل القائل " إن الشكل إلى الشكل ينزع و الطير مع الألفها تقع " أو كالتقول الشائع فى يومنا هذا " إن الطيور على أشكالها تقع ". و المؤلف مثلا يشبه كيف أن الأخرس ينجذب و يستأنس بالأخرس نظيره يخاطبه بالإشارات التى يفهمها كل منهما أو بالإيماء بالأعضاء مقتبسا سوره الروم: ٢٠ (وَمِنْ م.

ص: ٢٣٦

١- يوضح البيرونى كمعاصره ابن الهيثم أن البصر يحدث بضوء ترسله الأجسام فى الهواء إلى العين فترى الأشكال و الهيئات و كيف أن الهواء أيضا يحمل الأصوات إلى الآذان و أن الهواء يحمل كذلك حوامل الروائح و يوصلها إلى الأنف حيث تنفصل مثل انفصال البخار عن الماء الغالى. و ما أصدق قوله إن الرطوبه من لعاب الفهم هى التى توصل طعم ما نأكل أو نشرب لحاسه الذوق من مسام فى فجوات الفم و اللسان و اللهاة و إنه بدون هذه الرطوبه لا تحس الطعوم. و جدير بالذكر أن المؤلف يشير إلى مراكز لهذه الحواس و إن تفرقت مواضعها فى البدن و يستنتج أنه كان يشير إلى مراكز فى الدماغ لبعض الحواس كالْبَصَرِ و السمع. انظر عبد اللطيف البغدادى، مقالاتان فى الحواس، تحقيق غليونجى، ١٩٧٢ م، ص ٧٧-٨٨.

٢- فى الجواهر طبعه ١٩٣٦ م ص ٤، يؤكد البيرونى بان العظام (و ليس الطعام كما فى النص خطأ) لا حس لها فى حين يوجد حس فى الأسنان بسبب وجود عروق دمويه فيها و أن الجلد أكثر الأعضاء حسا و تعرضا للاحساس. أبو بكر الرازى، الحاوى، مطبعه العثمانية، حيدرآباد - الهند، (١٩٥٥ م) ص ٣-٤.

٣- يقتبس المؤلف آيات من القرآن الكريم حول إدراك عظمه الخالق من مصنوعاته، و هذا يتفق مع سفر المزمير فى الآيه ١٩:١ " السموات تحدث بمجد الله و الفلك يخبر بعمل يديه " و كذا رساله روميه ١:٢ " لأن أمور الله غير المنظوره ترى منذ خلق العالم مدركه بالمصنوعات قدرته السرمدية و لاهوته " انظر. كمال اليازجى معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط، طبعه رابعه منقحه، بيروت، ص، ٣٢٢-٣٣٠.

٤- تدل هذه المناقشات على إنسانيه البيرونى و سمو نفسه، فحواس الشم و الذوق و اللمس برأيه تخدم نمو الجسد و لذاته و

رغائبه لذا بالإمكان السمو بها إلى درجات عالية و مثاليه بواسطه ضبط النفس و قمع رغبات الجسد و بالتفكير بالأمر الجليله الطاهره و العيشه النقيه، و كان أبو بكر الرازي في كتابه الطب الروحاني ينزع هذه النزعه ذاتها، حقق الكتاب و له ترجمه بالانكليزيه أيضا عام ١٩٥٠ م.

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) و من هنا يستدل على إمكانيه و دواعي التقارب بين الناس للتعارف و التأخي من جهة واحده و السعى في طلب الأمان من الشر و الخطر و التفرق و الدمار من جهة أخرى حتى يتضاعف الأُنس و يزول النفار بين الشعوب و يعتبر المؤلف أن فضيله الاستئناس هذا إن هي إلا أسباب تدفع بالناس إلى التعاون و التقارب الواحد من الآخر و الاجتماع لتأسيس القرى و نشوء المدن و الدساكر و تطورها. (1)

ترويحه ٤: و مع كون الإنسان اجتماعيا بطبعه إلا أن المؤلف هنا يعالج أمور الناس بالنسبة لبنيه أبدانهم و جبلتهم الجسمانيه و ما تتركب منه من أمشاج و أخلاط متضاده و شهوات متعارضه و أمزجه مختلفه فتباين نتيجه لذلك أخلاقهم و طبائعهم و أهوائهم حتى أن يقهر أحدهم الآخر و يظلمه و يغمط حقه فينتج عن ذلك أن الشخص المظلوم يصبح دائم النزوح لازاله القهر عنه فينشأ عنده حب الافتراق و الابتعاد طالبا للهجره إلى أوطان أخرى و حتى مع هذا نجد في غربته عرضه للأخطار الخارجيه و مداهمه البلايا و المحن أضف إلى ذلك ضعفه و عجزه مما يجعل المرء دوما في حالة القلق و في حاجه للعون و الاسعاف و الأمان و من هنا جاءت رغبته الملحه و الأكيده ينشد حياه الوئام و التمدن و السعى للتجمع في القرى و المدن العامره ليقترب من أخيه الإنسان و يستقر.

و في تجمع الناس ضمن المدن نجد أنهم لو تساواوا بالاختبار و الهمم، حسب رأى المؤلف، لضاعت عليهم منافع كثيره و أدى تساويهم في نهايه الأمر إلى هلاكهم جميعا. فلا بد إذا من اختلاف المقاصد و الإرادات و المواهب و الكفاءات و بذلك تتعدد أنواع الحرف و الصناعات و تزداد المآرب و تتعقد الخدمات و يصير الإنسان في حاجه لأخيه الإنسان على المستويات و الكفاءات أو أن ذلك يؤول به لطلب و استخدام لمقايضه أو مقابل سلعه أو أجره يتفق عليها و يتقاضاها الواحد من الآخر إما لحاجته الضروريه أو لاستغنائه عنه كان تقدم سكه معينه أو أثمان عامه و عمله تقدر بدل خدمات معينه، "فاختاروا لها ما راق منظره و رواؤه و عز وجوده و طال بقاؤه"، من أنواع العملات و المسكوكات و المعادن و حتى الجواهر الثمينه التي كثر انتشارها و ازداد و تأيد تداولها بين الناس في المبيعات و لأن استخدامها يصبح سببا لبقائها و ندرتها و عظم قيمتها. و من أجل ذلك نرى أن المؤلف يبحث في فلسفه قيام العملات و السكه بأنواعها و تاريخها و ما آل إليه الأمر من انقياد الناس لتعظيمها و تقييمها " بالتوحيد و التصغير بالتجزئه و التبديد و التختم بالتنقيش و التصوير مترددا بين صنوف الهيئات و الصور مع ثبات هيولاه و مادته" من نفيس الجواهر و العملات و ما إليها. (٢) إن هذه الجواهر المتداوله بين الناس و المخزونه في باطن الأرض و ما هو مستور منها عن الأعين إن هي إلا-ودائع صالحه أعدها الله تعالى مزوده بالآلات التي بها أزاح علل الخلق و مجريات الكون و تقييم آثارها و قد هدى الإنسان بالعقل المنبه إلى الآيات الكريمة بواسطة الرسل و الأنبياء المرشدين إلى صلاح العقبي و قد وكل الأمر في الورى للملوكة خلفائهم ليعملوا على نشر العدل و إعلاء الحق لما هو في صالح الناس جميعا و رأفه بهم و إحسانا إليهم و منفعه لهم قد سبق مخبا لهم قبل خلقه إياهم جميعا الموزونات في أرحام الأرضين تحت الرواسى الشامخات للانتفاع بها في الاجتلاب و الدفاع الصيانه و الاعتدال كما جاء في سورة الحجر: ١٨ (وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أُنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) (٣) و يعتقد البيروني أن الترتيب الإلهي قدر بان تكون مصالح الناس و معاملاتهم التجاريه الاقتصاديه و الخدمات التي يقوم بها أحدهم تجاه الآخر يجب أن تكون على حساب التقييد و المعامله بالفضه و الذهب و تقدير قيمها نقديا و معنويا و على مقتضاه إذ هو أيضا هدى الإنسان لاستخراجها من معادنها التي اخترنت في أعماق الأرض ألوف السنين و قد منح هؤلاء الملوك الخلفاء السلطه و الرئاسة و وكل لهم السياسه و الأمر و النهى لاستخراج هذه المعادن الثمينه و ليصنعوا منها العمله

و النقود و يحفظوها من تمويه الخونه الخادعين و تزييفهم أولئك الذين يروجون أشباه الفضة و الذهب المغايره لهما فى الجوده و النقاء و الدقه و يهدبونهما عن الأدناس و الغش و ذلك بالسبك الأصيل و الطبع فى السكه المضمونه لاحقاق الحق و إزهاق الباطل و تامين مصالح العباد و للحيلولة دون ترويح ما هو مغشوش مزيف من معدنهما، " و هذا و أمثاله هو المحوج لولى الرئاسة إلى مراعاة شروط السياسه ليستحقوا اسم الخلافه فى الخلق و سمه الظل فى الأرض عند التقبل بأفعاله سبحانه فى التعديل بين الرفيع و الوضع و التسويه بين الشريف و الضعيف من خلائقه و وفق الله للخير كل مستوثق به " (٤).

ترويحه ٥: يتابع البيرونى فى حديثه هنا حول أهميه الذهب و الفضة فى اقتصاد الشعوب و اتجاهاتها السياسيه و حياتها الاجتماعيه و ما يتبع ذلك من أمر ٧.

ص: ٢٣٧

١- يرى البيرونى ميل الإنسان لانشاء مجتمع كأمر طبيعى تمليه الغريزه و الحاجه للأمن و توفير أسباب العيش المختلفه، و من قبل تكلم ابن خلدون فى مقدمته عن العمران و النظم الاجتماعيه و الاقتصاد.

٢- لقد عالج البيرونى تاريخ استعمال النقود و المسكوكات و صناعه الأختام و أسباب انتشارها و أوزانها و أشكالها و ندره الأحجار الكريمه و المقايضه بها و أثمانها معادن الذهب و السكه فى الإسلام و المعاملات التجاريه. ثم إن الدكتور محمد يحيى الهاشمى فى "نظريات الاقتصاد عند البيرونى" فى مجله المجمع العلمى العربى، دمشق، مطبعه ابن زيدون، ١٩٣٧ م، ج ١٥، ص ٤٥٦-٤٦٥، و فى مجلد العالم أبو ريحان البيرونى، أسبوع العلم الرابع عشر، دمشق، مطبعه الجامعه، ١٩٧٤ م، ص ١٨١-١٨٩، يعتبر البيرونى رائدا فى علم الاقتصاد و إن "الأزمات مهما تراءت لنا بمظهر مادى هى فى الحقيقه أزمه روحيه" انظر السكه فى الإسلام لعبد الرحمن محمد، القاهره، مطبعه المكتبه المصريه، ١٩٥٧ م، و أيضا صبح الأعشى، لأبى العباس أحمد القلقشندى، القاهره، ٣: ٤٣٦-٤١، ٤٦١-٤٦٣ و قد اكتشف هذه النظرية الاقتصاديه فى مقدمه البيرونى فى شرحها.

٣- اعتبر البيرونى التطور و نظريه النمو ضمن إطار إيمانه بالله كخالق العالمين و رأى أن كل ما خلقه الله كان حسنا و كاملا و مع تمجيده لقوه العقل و المنطق إلا- أنه كمؤمن رأى أن أهميه العقل أولا- هى فى فهم كلمه الحق و الإصغاء لقول الأنبياء و المرسلين، و بقى أمينا فى اعتقاده بشرعيه الحكم للخلفاء العباسيين مدافعا عن كيانهم ضد المقاومين و الفاتنين عليهم معترفا بولائته لهم حتى الرmq الأخير من حياته، فهم الأصل و لهم الاختيار و الشرع ليجروا عدلا كامراء المؤمنين و قد منحهم الله حتى الكنوز فى باطن الأرض و تحت الجبال الثوابت و من كل بمقدار و بكل حكمه و فطنه. انظر جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، القاهره، ج ١: ص ١٤٠-١٤٦.

٤- كما كانت الأدوية و العطور و الأطايب تغش بما هو دون من مفردات الطب كذلك كانت الجواهر تغش بالنحاس و غيره. انظر أحمد القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٢: ٩٧-١١٨: و حول المعاملات بالسكه انظر مقاله صالح الحمارنه، "العمله العربيه الإسلاميه فى بلاد شمال و شرقى أوربا و دلالتها فى العلاقات التجاريه"، دراسات (عمان، الجامعه الأردنيه)، ج ٢ (أيار ١٩٧٥ م) ص ٣٩-٥٧.

الجشع البشرى و تكالب الناس على الماديه لتعلقهم بهديها فيقول، "لما سهل الله على الناس تكاليف الحياه و تصارييف المعاش بالصفراء و البيضاء (يعنى الذهب و الفضة) انطوت الأفئده على حبهما و مالت القلوب إليهما كميلهما فى الأيدى من يد واحده إلى أخرى و اشتداد الحرص و الشح على ادخارهما و الطمع و الاستكثار منهما و جل محلهما من الشرف و الأبهى وضعاً لا طبعا و اصطلاحاً فيما بين الناس لا شرعاً بل اتفاقاً لأنهما ما هما إلا حجران لا يشبعان بذاتهما من جوع و لا يرويان من صدق و لا يدفعان بأساً و لا يقيان من أذى"، و ما أصدق هذا منذ زمن المؤلف و حتى وقتنا الحاضر أو أكثر.

و يتابع البيرونى المنطق ذاته فيقول: "و كل ما لم ينتفع به من غذاء يقيم الشخص و يبقى النوع، و من ملبوس يدفع بأس البائس و يقى أذى الحر و البرد و من كن (مسكن) يعين على ذلك و يقبض يد الشر فليس بمحمود طبعا".

فالبيرونى يؤكد الناحيه العمليه فى المجتمع البشرى فيرى أن الذهب و الفضة بحد ذاتهما ليس فيهما غنى فى قضاء حاجه من ماكل أو ملبس أو مأوى و إنما هما ممدوحان بالعرض وضعاً إذ بهما يمكن الحصول على سد حاجات الناس و تأمين أعوازهم لذلك هم سموا المال خيراً و كذا من وجود الدرهم فإنه جائد بجميع الخير لأنه و إن لم يكن ذلك فى طبعه فإنما يكون فى ضمنه لاحتوائه على المناهج و القدره فى نيل المآرب و الوصول إلى ميناء السلامه و غبطه العيش. (1)

و لاعطاء مثل من الأمثال حول هذا الموضوع ما يرويه المؤلف فى قالب قصصى كالاتى:

"إن قوما أرسى بهم السفينه فى جزيره منعزله عن الطرق التجاريه البحريه الهامه، فخطر على بال أحدهم إذ أراد شراء حاجه عرضت له (فلنقل إنها من ماكل أو ملبس) و بمقابل ذلك فإنه دفع ديناراً (على سبيل المثال) كثمان جيد لرجل من أهل تلك الجزيره و ما كان من أمر هذا الرجل (من سكان تلك الجزيره) أن أخذ هذا الدينار يقبله و يشمه و يذوقه فلما لم يؤثر منه شيئاً فى هذه الحواس أثر نفع أو لذه رده إليه إذ لم يستجز دفع ما ينتفع به بما لا نفع فيه" فى عرفه و عادته. هكذا فان العبره فى هذه المثال أو تلك القصة أن المقايضه الصحيحه هى التى ينتفع منها لكلا الطرفين و أن المعامله الطبيعه المباشره بين النظراء هى التى تتم من حيث المبدأ فى إبرام الصفقات التجاريه المتبادله و التى تصبح حقيقه و أسساً و منبعاً لنظام المعيشه و لمداولاته بين الناس فى الحضارات الإنسانيه و بين الشعوب الراقيه المتحضره و التى يمكن الاستفاده منها فى النظم و الخدمات الاداريه العصريه (2) أما المعامله الوضعيه المحليه فقد جاءت على الأعم حسبما ورد ذكره من الشعوب المتمدنه الماضيه و الأعم المعاصره، فى أمر ما تسمى بالفلزات (و هى كلمه تطلق على جواهر الأرض كلها من معدن و حجاره كريمه) و تعريفها و أهميتها و اصطلاحاتها و استعمالاتها. و بسبب انتشارها و شيوعها فقد كانت و ما زالت تزدان و تزدهى فى أعين البشر حتى شغفت بها الأفئده و صارت متعارفه بين غنى أو فقير متداوله بين ذوى الجاه و المتواضعى السمعه ليس من أجل قيمه حقيقه بها ذاتها و إنما بما هو متعارف به مصطلح عليه حتى صارت مرغوباً فيها لدى الجميع و يحلو لهم امتلاكها. و قد أبان القرآن الكريم كيف أنه قد زين للناس صلاح المعيشه بالنساء و قره العين بالأولاد و قوه القلب و بهجته و ميوله باحتكار الأموال و كنز قناطر الذهب و الفضة غريزه عزيزه لديهم. (3)

إنه حقا من سخره القدر ليس فى عصر البيرونى فحسب بل و حتى فى زماننا الحاضر الواقعى أن نرى وجود طبقتين من الناس هما الصعالكه و رجال السلطنه شغلها الشاغل كمأرب رئيسى فى الحياه إنما هو تكديس الأموال باى شكل ثم إن ظروفهما الخاصه كما يبدو تقودهما إلى مثل هذا التصرف الشاذ و كل من هاتين الطبقتين قد أساء استعمال ما لديه من الثراء من ذهب و

فضه و ذلك بكنزهما بدلا من إنفاقهما ليتسنى تداولهما فى أيدى الناس و يتحقق من أجل النفع الأعم و الأفضل. و يخيل إلى بان كنز الأموال و حبسها هكذا مسأله تدعو للاستهجان و أمر مخالف لقصد الله تعالى الذى من فضل نعمته و حسن مشيئته سمح باكتشافها و استعمالها و إبدال أثمانها لمصالح عباده و خيرهم و قضاء حاجاتهم فى المعاملات التجاربه المشروعه.(٤)

و بطريقه فلسفيه مفحمه يوضح البيرونى كيف أن الله خلق الجواهر و المعادن النفيسه و بحكمته قد خزنها فى باطن الأرض أجيالا طويله و أتاح للناس اكتشافها و استخراجها و إعدادها تسهيلا للمعامله و المداوله بين جميع الناس و فى كل مرافق الحياه. فأمر اكتنازها إذا إنما هو مخالف لاراده الله و مشيئته فى مقدرات الناس و غمط لمنتته و إحسانه بردها إلى باطن الأرض إلى مثل حالتها الأولى التى كانت فيها قبلا- و هذا أمر يتنافى مع غاياته الفضلى و حسن تدبيره فى الكون فى هذه النظرية الاقتصاديه المبدئيه و الاجتماعيه البناء و التى هى فى غايه الأهميه حتى فى عصرنا هذا، حتى أن البيرونى يشبه كون خزن الذهب و الفضه و حجزها عن التداول مثلا بمفهوم رد الأجنه إلى الأرحام التى فيها تكونت و منها خرجت ما هى إلا رجعه عقيمه و عود يائس لا نفع منه ٥.

ص: ٢٣٨

١- يوضح البيرونى أن الذهب و الفضه و الأعللق النفيسه الأخرى هى هبات إلهيه أعطيت لسد إعواز الناس للمتاجر و لكن الإنسان مفطور على الطمع و محبه المال التى هى أصل لكل الشرور فراغ من غباوته عن الايمان و طعن نفسه باوجاع كثيره، مع ذلك يعظم الناس و يبجلون مالكها حتى تعاطيها باليد له جاذبيه خاصه فكنزها الكثيرون للمتع و طلبا فى تامين عيش رغيد. أما قيمه المال الحقيقيه فهى وضع لا طبع، لم تمدح بالشرع بل اصطلاح عليها فى المعاملات التجاربه فيه لا تروى من ظما و لا تدفع أذى إنما "دعى المال خيرا" لأن من وجود به يؤمن حاجات الناس الضروريه مع أن هذا ليس من طبعه، فى الجواهر، طبعه ١٩٣٦ م ص ٧-٩، و يحيى الهاشمى "نظريات الاقتصاد" ص ١٨٦-١٨٩.

٢- لويس معلوف، المنجد فى اللغه، طبعه ١٥ بيروت، المطبعه الكاثوليكيه، ١٩٥٦ م ص ٦٢٥، و انظر على أحمد الشحات، أبو الريحان البيرونى، القايره، دار المعارف، ١٩٦٨ م ص ١٣٥-١٤٥.

٣- لقد اقتبس المؤلف الآيات التاليه: سوره الحديد: ١٩ (اعلموا أنّما الحياه الدُّنيا لعبٌ و لهوٌ و زينَةٌ و تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ و تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ و الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا و فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ و مَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ و رِضْوَانٌ و مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)، و من سوره آل عمران: ١٣ (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ و النِّبْنِ و الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ و الْفِضَّةِ و الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ و الْأَنْعَامِ و الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا و اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) و للتفسير اعتمدنا كتاب الشيخ حسين محمد مخلوف، كلمات القرآن تفسير و بيان، القايره، البابى الحلبي، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

٤- فى سوره التوبه: ٣٣ نجد أيضا كشفا لحاله روحه كئيبه حول أحبار اليهود و رهبان النصارى الذين كانوا يتكالبون على جمع الأموال و كنز الدرهم طامعين فى عطايا الفقراء و المساكين مع أنه كان يجدر بهم الإنفاق و تقديم يد العون لهؤلاء الناس (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ و الرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ و يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ و الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ و الْفِضَّةَ و لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فصاروا بذلك عثره بدل أن يكونوا بركة انظر سفر ارميا، فصل ٢٣: ١-٤ و إنجيل متى، فصل ٢٤: ٦-٣٥.

و لا بركه فيه و لا سداد.

لذلك يضيف المؤلف مفسرا بقوله إن الذهب و الفضة إذا أخرجا من معادنهما الأصليه فى جوف الأعماق تصبح آنذاك كالزروع المحصوره فى الفلاحه و الأنعام المذبوحه لمربى المواشى لا يسوغ غير جنيها و أكلها و إنفاقها و الاستعاضه منها حيث يهيا المعدن بامر ذى سلطان كما تصنع نقود العمله فى السكه بعد سبكها و طبعها دراهم و سواها "عينا و ورقا (لأجل) ترديده فى الأيدى على حسبه تجاره أو إيتاء فى حقوقه". (١).

ترويحه ٦: ينتقل المؤلف هنا للحديث فى موضوع طريف ذى شقين الأ- و هو التعريف بالمرء و الفتوه و معناهما الحقيقى ضمن النظام و العرف الاجتماعيين. و هنا نقول إن المرءه تقتصر فقط فى مفهومها على الرجل فى نفسه و ذويه و حاله فالمرء مبدئيا لا يملك غير نفسه و قنيتة و أملاكه لا ينازعه فيها أحد فهى لذلك تدفع به لأن يظهر السعه لدى الآخرين و يخفى الضيق على نفسه ما أمكن فيصدق فى ذلك القول: "المرءه الظاهره فى الثياب الطاهره" و هى ما يمكن تأويله "بان لا يعمل المرء سرا ما يستحى منه فى العلن"، و أن يكون فى ذلك شعاره هو أن نفس الإنسان أقرب قريب منه و أولى ما تقدم فى طلبه إنما هو للخير لها أولا ثم ما هو دان منها و هكذا. أما الفتوه فتتعدى الحدود المرسومه فى المرءه و تتخطاها إذ بها يحتمل المرء مغارم الآخرين و سائر المشاق لتأمين إراحه و إسعاد الغير فلا يضمن بما أحل الله له و حرمه على سواه ليجود به طبعاً، فهو الفتى الذى اشتهر بعدم تمسكه بالماده و عرف بالحلم و العفو و الرزانه و الاحتمال صابرا نائلا تعظيم الناس فى تواضعه فرقى بذلك إلى أعلى المراتب رغم اعترافه بعدم استحقاقه نائلا نتيجة لذلك خير الثواب.

فهى إذا "بشر مقبول و نائل مبذول و عفاف معروف و أذى مكفوف". فالمرءه كل هذا من حسن الوفاء و كرم المحتد.

و يروى المؤلف قصه رجل كان يلبس كل يوم أحسن الثياب و يركب أفره الدواب و يسعى فى تلبيه حاجات الناس و شيكا فليل له لتعليل السبب فى ذلك فأجاب بأنه قبلا كان قد انغمس فى جميع شهوات الحياه و ملاذها من سكر و بطر و منكر و لكن هذه كلها لم تشبع نفسه بل تركته تعيسا، و أما الآن فليس أدعى لنفسه من مسره و لا أكثر متعه و بهجه من رؤيه إنسان أنعم إليه و أسعفه فشكره ممتنا عند الاخوان. من أجل هذا فهو فى نشوه روحيه دائمه و غبطه لا توصف حتى أن المؤلف يسترسل فى توجيه أطيب الثناء فى مدح النفس العصاميه التى لا تنهمك بمتاع الدنيا و ملذاتها و شهواتها فتخسر الآخره بل ينصرف نحو المنطلق الأفضل بالقناعه و كرم الأخلاق لسعاده الروح فى الدنيا و الآخره.

و من وجهه أخرى يوصى المؤلف بان يكون فضل الإنسان مرهونا بأعماله الشخصيه و ليس بالافتخار بالأجداد و جاه الآباء و الأقرباء السالفين و إلا "فهو الميت و هم الأحياء كما قال الشاعر:

إذا المرء لم ينهض بنفس إلى العلا فليس العظام الباليات بمفخر

" و ربما أفرط الفتى فتجاوز "لذا ينبه المؤلف من مغبه الإفراط فى إثثار الغير على النفس ببذلها" أنفه من تحمل العار أو دفعا للظلم و حفظا لحق الجوار"، أو فى سبيل إكرام الضيف و الحفاظ على الأمانه كما يروى عن سيره الشاعر الجاهلى حاتم الطائى الذى اشتهر بشجاعته و سخائه حتى قيل عنه "أجود من حاتم" (توفى سنة ٦٠٥ م) و كعب بن مامه الايدى الذى يضرب المثل

فى جوده لأنه فى ساعه العطش الشديده سقى صاحبه مما لديه من الماء و مات عطشان فاعطيا كل ما تملك اليد من دون مقابل (فالجود بالنفس أقصى غاية الجود).

إذا لا يتمكن المرء من تحقيق الفتوه إلا متى نال هانئ العيش و رغيده و اتساع النعمه ليقوى بذلك على مساعده الآخرين بالكد و الاجتهاد و لا- ملامه على من لم تساعده الأقدار على الوفاء بالغرض، ما دام قد كرس نفسه لإيذاء العدو و نفع الصديق و إشراك غيره فى رزقه.

ثم أنه لا يرائى لغرض تافه مذموم بل يقوم بواجبه احتساباً.

ترويحه ٧: هنا يقارن البيرونى بين العاقل الحكيم الذى يجد لذته فى الأمور النفسانية الروحانية و المثل العليا التى يلاحظها بعين البصيره و الاعتبار و بين الجاهل الغبى المنغمس فى اللذات الحسيه و المنجذب إلى صنوف الزينه (بما فيها المجوهرات) و زخارف الحياه التى تستهوى الغريزه الحيوانيه فترقص أضلاعه لها طرباً و لكن ما هذه برأى المؤلف، إلا لذائذ سريعاً ما تزول و تعقب بعدها الحسره و الندم و تبدل نضاره الشباب و جماله إلى حطام الانحلال و فناء القوه و ذبول القوام. "لكن هذه التذاكير لما كانت أعراضاً محموله فى أشخاص محدوده الأعمار باليه على تعاود الليل و النهار لم تخلد فهى من عالم الفساد و العناء فأقيم لهم بدلها من الجواهر المخزونه تحت الثرى فى الأحجار المنعده و فى المكنونه المصونه فى أعماق البحار المسحوره ما كان أبقى على قرون تمضى و أحقاب تمر و تنقضى و كانت منه عليهم"، من خالق الكون الذى هو عالم بما لا نعلمه و قد أودع و جعل هذه الكنوز جاهزه فى حينها من صنوف الأحجار الكريمه مثل اللؤلؤ و المرجان و الياقوت و الزبرجد و الماس و ما إليها. (٢)

و لو لا- أهميه الزينه فى عداد المجوهرات و الأعلاق النفيسه لما انفصلت مبدئياً عن الذهب و الفضة فان سبيلها كلها فى عدم الفناء و عند الضرورات سبيلهما إذ برأى المؤلف لا منفعه مباشره تجنى منها فى قضاء الحاجات الضروريه المنشوده لذا و إن كانت مختلفه عن نفيس المعادن فى تامين الحوائج و مستلزمات العيش، "فإنها كذلك مثمته بهما و ربما كانت على وجه التعويض مزيجه العليل و هى جواهر جسمانيه (يعمم بهذا على الياقوت و المرجان و اللؤلؤ و الزبرجد و غيرها من الأحجار الكريمه) و نفاستها بما يحس الحس منها (فحاسه البصر ترى ألوانها الرائعه و جمالها البديع و تنسيقها و انعكاس الضوء عليها) فيمدح بحسب ذلك ما دامت مستبده به (لأنه ما دامت أهواء الناظر مغرمه و منجذبه نحو المظاهر الجسديه الخلابه و المغريه) فإذا قورنت بالجواهر النفسانيه انكشفت (حقيقتها) ٤.

ص: ٢٣٩

١- العين هو الذهب المضروب للمعامله التجاريه و هو النقد المتداول بين الناس و العتيد من المال و العينه هى خيار المال فى حين أن الورق (ج أوراق) هى الدراهم المضروبه انظر معلوف، المنجد فى اللغه. و حول الصعاليك انظر العصر الجاهلى لشوقى ضيف، القاهره، دار المعارف، ط ٥، ١٩٧١ م ص، ٣٧٥-٣٨٥.

٢- سورة الرحمن: ٢٠:٢١ (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) و سورة النحل: ١٣ و فاطر: ١١ (وَ تَرَى الْمُلْكَ مَيَّوَاخِرَ فِيهِ وَ لِيَبْتَغُوا مِنِّ فَضْلِهِ وَ تَسِيءَ تَخْرُجُونَ حَلِيَّةً لِّتَبْسُوْنَهَا) سورة الرحمن: ٥٦-٥٧ أيضاً (كَأَنَّهِنَّ الِياقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ) انظر

حمارنه، فهرس الظاهريه الطب و الصيدله، دمشق، مجمع اللغه العربيه، ١٩٦٩ م ص ١١٠-١١٤.

و ذم منها ما كان يحمد على مثال وصف أبي بكر الخوارزمي: إن رجلا (قيل فيه) إنه دره من درر الشرف لا من درر الصدف و ياقوته من يواقيت الأحرار لا من يواقيت الأحجار". (١)

ترويحه ٨: هنا يقابل البيروني بين لذة الروح الساميه و لذة الجسد الأرضيه مقررًا أن اللذة بالحقيقه إنما هي مسأله مرهونه بلزوم ما ازداد الحرص عليه إذا دام اقتناؤه له، و هذه هي حاله النفس الإنسانيه التي تستمتع بحياتها للمعرفه النافعه و التعمق و الغوص في المجهول و كشف أسرارها و غوامضه " إلى أن يغلبها عند طلب الراحة من تعب المساعي و يلهيها عما كانت فيه بسبب العجز عن الاستمتاع "، بما يشتهي من رغبات أو فيما تطلبه من الحكمة و الفهم.

و أما اللذات البدنيه فإنها على النقيض إذ هي معقبه للآلام و جالبه للأسقام و الأحزان تنبذ و تمل إذا دامت و تودي إذا أسىء أو أفرط في استعمالها الأمر الذي يؤدي بها إلى العبوديه و الشقاء و الانحطاط عقليا و روحيا و جسديا مثلها كمثل الطعام الذي يحلو للجائع ثم تقل لذته بمقدار ما يؤخذ منه حتى إذا أكثر المرء منه و أتخم " أدى إلى الغثيان و التهوع و القذف " فاطاب الدنيا كلها خبائث و محاسنها قبائح فهي لا تشبع قلب الإنسان من جوع إنما تغريه فينقاد إليها فتأسره ليعود إلى طلبها مجبورًا فاقد الإراده. و الأمر الطريف حقا، و هو من الأهميه بمكان في تاريخ الطب و المعالجات، أن المؤلف يشبه الشخص المسترسل و المستهتر في شهواته الجسديه " كمثل المخمور في العقارات " المسببه للهوسه و الاعتیاد و التي بعد فقدان تأثيراتها يعود مره أخرى راجعا إليها و يالحاح يطلبها. و في هذا نجد أيضا دليلا آخرًا على تمكن استعمال مثل هذه الأدوية المخدره و انتشارها و علائم و مجريات الاعتیاد عليها في عصره و الذي كان شاهد عيان لأثرها و ما تورث متعاطيها من سلب الإراده للمقاومه و الانصياع (٢) و لا يغفل المؤلف عن الجزم بان في وجود اللذة الجسديه و نشاطها و طلبها يكون دوام النوع و إبقاء للشخصيه البشريه و مميزاتها في تعمير الكون حتى أن بني الإنسان ينمون و يكثرون و يملئون الأرض و لتكن خشيتهم و رهبتهم على كل حيوانات الأرض و كل طيور السماء. (٣)

ترويحه ٩: يشرح البيروني هنا كيف أن للناس أحوالا مختلفه في دنياهم يتقبلون فيها و يتعايشون معها فبعض منها يمرح و بعضها الآخر يذم و يرذل لا سيما ما هو مخالف للخلق القويم و النظافه و كرم النفس فالمحامد المشكوره فقطبها المروءه، و إن مدار النظافه روحا و جسدا هو على الطهاره و النقاء و إنه مغبوط و سعيد حقا لذلك الشخص الذي له صديق مخلص ينفر مما لا يرضاه لصديقه و يحب له ما يريده لنفسه. ثم إن البيروني بالرغم من تقديره للصدافه و حسن العشره إلا أنه يحذر من كثره الأصدقاء و بلا حدود و الذين يكثرون مع اتساع الحال و الغنى و ما أقلهم حين تشح ذات اليد مع أن في تكاثرهم الرقى إلى مراتب الرئاسه و الملك فيمن تعلق بهم الهمم و من يطلبون الخير للجميع لا سيما لمن حولهم " تمنيا عند العجز و فعلا - لدى القدره " يوم تتول إليهم الرئاسه، و طبعي أن الجمال في الصوره و حسن الخلق محبوبان مرغوب فيهما " و لكن الصور عطايا في الأرحام لا سبيل إلى تغييرها لأحد من الأنام " إنما نراه النفس و الدماثه هي في الأخلاق و حسن السيره و مالك هواه هو القادر على نقلها من المذام و العار إلى المحامد و أعلى الرتب و ما هذا إلا بمقدار ما يعمل المرء على تهذيب نفسه بالحسن و صالح الأفعال و معالجه أسقامها بالطب الروحاني للتحلي بالفضائل و التقى و الابتعاد عن الغضب و الهموم. في هذا المجال أيضا يذكر البيروني بعض الأمور العمليه التي بها المرء يستطيع أن يحسن خلقه و إن عجز عن تبديل صورته وجهه مع الإشاره لما هو معروف و بديهي أن الاهتمام إنما هو في المرتبه الأولى بالبشره و التي هي أول ما يلقى من جسم الإنسان فينبغي إذا تنظيفها بالماء الطهور و ليس ذلك أدبيا و حسب العرف و العاده فحسب و لكن دينيا أيضا (٤)، حتى أن السنانيير الأهليه هي أحسن مثال في

عالم الطيور فى طلبها و سعيها فى مراعاة نظافه جسمها و البيئه التى فيها تعيش على خير منهج.

ثم إن المؤلف يحدد بعض ما أوصى به رجال العرب و نساؤهم بناتهم من وجوب المحافظه على نظافه أجسادهن و بيوتهن طلبا فى الإبقاء على السعاده الزوجيه و اعتبارهم بان الماء وحده هو أصل الطيب و رأسه. (٥)

لذلك بعد الاغتسال بالماء الطهور يوصى المؤلف أولا التزين بالأصبغه و الألوان و التى بمعونه الضياء سرعان ما تلتف إليها الأنظار بواسطه حاسه البصر. فمثلا فان تبيض البشره و توريدها بالغمر ثم تسويك الأسنان و تنظيفها و تنقيه الاشجار و تكحيل العين و صبغ الشعر و تمشيته و قص ما يحتاج إلى القص و نتف بعضها و تقليم الأظفار و تسويتها كل ذلك لأجل تحسين مظهر الإنسان و تجميل منظره مع النظافه و الذوق السليم. يتبع ذلك ذكر الثياب الملاصقه و المحيطه بالبدن لا سيما الماسه للجلد و التى يجب تنظيفها ليدو لونها الأبيض المحمود زاهيا مصقولا و لامعا للتخلص من الغبار و الدخان و ما يعلق بها من الشوائب أو ما يعكر صفو لونها. و من البداهه أن من ينظف ثيابه لا بد أنه.

ص: ٢٤٠

١- هو أبو بكر الخوارزمى (٣٢٥ - ٣٨٣ هـ / ٩٣٥ - ٩٩٣ م) و يبدو أن البيرونى لم يجذب كثيرا لزيه الجواهر و رونقها و لم يحسبها صالحه للسكه و المقايضات إذ كان يرى جمالا أخرى فى جواهر الأخلاق و درر الحكمه التى انجذبت نفسه إليها.

٢- كان البيرونى قد لاحظ سوء استعمال العقاقير المخدره و التى تسبب اعتيادا يصعب التخلص منه إذ أن الكثيرين من الصوفيه و من عامه الشعب أخذوا بتعاطى الأفيون و الحشيش ليس لأجل المداواه و الشفاء فحسب بل كمخدرات.

٣- هى الحكمه القديمه فى قوله تعالى (أثمروا و أكثروا و املئوا الأرض و أخضعوها و تسلطوا على سمك البحر و على طير السماء و على كل حيوان يدب على الأرض) سفر التكوين ١: ٢٨ و أيضا ٩: ٢ و لكن البيرونى فجاء ينتقل للحديث عن أهميه نظافه الفم و البدن اجتماعيا و صحيا و يشرح كيف أن التعرق يزدحم قليلا قليلا لسد مسام الجلد لذا وجبت النظافه و الاستحمام مشبها بريح النفس الطيب بالمسك و العنبر.

٤- يقتبس المؤلف سوره المائده: ٥ (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) و فى الحديث الشريف: "النظافه من الايمان".

٥- يقتبس المؤلف هنا عدده روايات نقل بعضا منها لطرافتها و أهميتها فى علمى الاجتماع و النفس كقول أم توصى ابنتها عند زواجها: "إياك و غيرهه فإنها مفتاح الطلاق و أنهاك من إكثار العتاب فإنه يورث البغضاء و عليك بالزينه و أزينها الكحل و بالطيب و أطيبه الماء". و قول أخرى "كونى لزوجك أمه يكن لك عبدا و عليك باللطف فإنه أبلغ من السحر و الماء فإنه رأس الطيب". و أخرى أيضا "كونى لزوجك فراشا يكن [لك] معاشا و كوني له وطاء يكن لك غطاء و إياك و الاكتئاب إذا كان فرحا و الفرح إذا كان مكتوبا و لا يطلعن منك على قبيح و لا يشمن منك إلا أطيّب الريح و لا تفشين له سرا لثلا تسقطين من عينيه و عليك بالماء و الدهن و الكحل فإنه أطيّب الطيب". و مع أننا لا نعرف شيئا يذكر عن حياه البيرونى الخاصه إلا أننا من هذا نميل للظن بأنه كان متزوجا فما ألهمته علومه و أبحاثه عن التأمل بما يجعل الحياه الزوجيه طيبه هنيئه.

يبدأ أولاً بتنظيف بدنه لئلا يندس وسخ البدن و درنه هذه الثياب البيضاء النقيه التي يتدثر بها، و من بعد ذلك لا بد له أن يهتم بنظافته البيت الذى يسكنه و المجلس الذى يأوى إليه ليحافظ على نظافته ثيابه و هندامه من الداخل و الخارج فيتم بذلك المراد. و طالما عبر الناس فى الماضى عن طهاره النفس و القلب معا و شبهوها بنقاء الثوب و بياض الإزار و الحبيب و غير هذه الأمثله و العبر التي تدلنا على الاهتمام بنقاوه الإنسان و بيئته و حفظه جسديا و روحيا و رفع مستواه أخلاقيا و اجتماعيا.(1)

ثم إن الجواهر تتلو الثياب رتبه من جهه الاهتمام حسب العاده فى أكثر البلدان فيتحلّى الذكور بالخواتم و التيجان" و ما رصع من الوشم (الوشح) و المناطق و القلائس و القفازات و القضبان و الأعمده لهم و لمن مثل بين أيديهم و للإناث ما لهن من المدارى و الأكاليل و الأسوره و الخلاخيل و الجبيرات و المعاضد و العقود و القلائد". و هناك من هم فى طبقه المسرفين المبذرين و المترفين حتى إنهم يتعدون استعمال الحلى و المجوهرات بالامتداد و التطاول إلى تزيين ما هو خارج عن البدن نفسه إلى تزيين الحيطان و سقوف الدور و أبوابها و رواشنها قصد إظهار التفاخر و العظمه الإنسانيه مع أن هذا الاقتدار يكون غالبا " بالتمويه لا بالتحقيق" مع العلم أنه بلا شك يستحب للإنسان أن يعنى على الدوام بامر النظافه و الكياسه خارجا و داخلا.

ترويحه ١٠: يتابع المؤلف حديثه مشيدا هنا باهميه الرياحين فى التجميل و الصحه العامه و روعه البيئه و لربما ترينا فكره هذا الانسجام و الشغف بجمال الطبيعه بعض تعلق البيرونى بها كما قد تبين أيضا فى كتابه الصيدنه فى الطب، و مع أنه ليس لدينا أى برهان أو حتى حدس قطعى و لكن ربما كان هنا مجال للتكهن بان تسميه المؤلف بأبى الريحان كانت وليده هذا الاهتمام الذى لاحظه معاصروه فيه و شجعوه عليه فأعطوه هذا اللقب المميز لذلك نسمعه هنا يقول:

" إن من أظهر الأدله على كمال المروءه (و قد مر التعريف بها و الحديث عنها) تكميل النظافه بالأرائح الأرجه التي تتعدى إلى الغير فتلذه و ترغبه فى الاقتراب إليه و المناسمه (معه) و تخفى ما فى الإنسان من العوار و الوصمه". و أن المروءه اجتناب المحرمات و الكف عن أذى الناس و من ثم فهى الاعتصام بأصول الدين الحنيف الذى يوجب العدل و المساواه و قمع الظلم و إعانه المظلوم و البائس و من ثم على خلاف من قيل فيه " إنه يمنع رفده و يأكل وحده و يضرب عبده و أن من حسن خلقه بتحسين خلقه و هيا مطعمه بالطيب من الحلال و أشرك فيه غيره بالتسويه "فهو العاقل و الجواد و صاحب الفضل كما أنه يكون قد حافظ على النظافه و الكياسه و قد زاد على ذلك باستعمال الطيب الممدوح العطر" فقد سر أكيهه و آنس جليسه و أكرم نديمه و كف أذاه" و بذلك فعل لغيره ما أراد أن يفعله له غيره.(2)

ترويحه ١١: هنا يصل البيرونى الذروه فى تقدير القيم الإنسانيه الرفيعه و طلب الخير و المساواه للجميع و دفاعه عن الخلافه الإسلاميه كما أنه يقترب رويدا رويدا، كما نطن إلى صلب الموضوع، فى بحثه عن الجواهر معنى و مبنى فى نطاق تاريخى و علمى و منطقى فيقول، " الناس كلهم بنو أب (واحد) و أشباه فى الصوره (لا سيما من ناحيه علمى التشريح و وظائف الأعضاء) و لا يخلون فيما بينهم عن التنافس و التحاسد الذى فى غرائزهم بتضاد أمشاجهم و أمزجتهم و طبائعهم (بالاضافه إلى) الاشتمال على ما تعين منذ عهد ابني آدم(هابيل و قابيل) المقدمين قربانين مقبولا من أحدهما مردودا على الآخر"، لأنه عصى صوت الله و ثار ضد أخيه و مع ذلك صرخ فاجرا ناكرا للجميل و عديم الود: " أحارس أنا لأخى" و لما لا حتى صار هذا البلاء الموثس منذ فجر تاريخ البشريه و عم هذا الويل المرير. و إن مما يحد من طمع الإنسان و شره هو، " خوف آجل من الله أو عاجل من السلطان و ما لم يكن السلطان قويا نافذ الأمر صادق الوعد و الوعيد لم تتم له سياسه من تحت يده. فكل واحد منهم يرى أنه مثله و أنه

أحق بماله و مكانه و لهذا قصر الملك على قبيله لتتقبض أيدي سائر القبائل عنها ثم على شخص أفضل أشخاصها ثم على نسل له (يكون) ولي عهده فصار الحكم ملكا لهم".

نرى هنا تحليلا فلسفيا علميا لنزعات النفس البشرية إلى السلطه الحكم، كما يراها المؤلف، بدافع أنانيه قهاره مخيفه لذا يجب التحكم بها و ضبطها ثم تسييرها في أقيه خاصه مع وجوب الحزم و الارتباط العائلي و الحق الوراثي لذلك يقول المؤلف شارحا: " ثم أضيف إلى ذلك حال معجز بلغ في غايه القوه (و هو التأييد السماوي و الأمر الالهي) بالنص على نسب لا يتعدى عموده كما كانت عليه الفرس زمن الأكاسره و كما كان عليه الأمر في الإسلام من قصور الامامه على قريش و من وجبت له الموده لهم بالقربي و كما اعتقد أهل التبت في خاقانهم الأول بأنه "ابن الشمس الذي نزل من السماء" و أهل كابل أيام الجاهليه في برهمكين أول ملوكهم من الأتراك و أنه خلق في غار هناك يسمى بغره (و لعله بغرا خان أحد سلاطينهم) فخرج منه متقلسيا و أمثال ذلك من أساطير الأمم الصادره عن حكمه تجمع الناس طوعا على الطواعيه و تحسم الأطماع في نيل كل واحد رتبه الملك"، مبعثه عنصر تقليدي ديني حسب البلاد و جغرافيتها و التاريخ. (٣) ثم يشير البيروني إلى ظاهره اجتماعيه و سياسيه هامه موضحا فيها كيف أن الملوك يلجئون إلى بناء القصور و القلاع و تزيين مجالسهم و إظهار الأبهه و الأمجاد لاكساب مركزهم و تزويده بهالات من التعظيم و الإكبار في عيون الرعايا و الأتباع، فيضيف: " و كما يميز الملوك عن غيرهم بهذه الخصال كذلك تمموا التمييز بإعلاء الايوانات و توسيع القصور و ترحيب الرحب و الميادين و رفع المجالس على السرر، كل ذلك سموا إلى السماء و إشرافا على الخاص و العام من المأ و إليه "ذهب البحترى في قوله:

و ليس للبدر إلا ما حبيت به أن يستنير و أن تعلق منازل

و لم تكن للزيادة في قدره حيله فجعلوها بالتيجان و القلانس و استطالوا بالأيدى حتى وصفت ببلوغ الركب كما سمي أهل الهند أحد ملوكهم مهاباها أي طويل العضد و الفرس بهمن أردشير ريونردشت لأن ريونرد هو أصل نبات الرياس.

و ما لم يبلغ الماء في العمق لم ينبت و إن كان رأسه في ذرى الجبال"، و هذه.

ص: ٢٤١

١- من المواضيع الهامه في عصرنا هذا بالنسبه للصحه العامه هي تامين بيئه صالحه صحيا مع نظافه الجسم و الثياب للمحافظه على الصحه البدنيه و النفسيه.

٢- و برأى البيروني فان نظافه الهندام تعنى أيضا حسن الطويه الداعيه للطاعه و عز القناعه و الأخذ بالأصوب لخير الإنسان في الحياتين العاجله و الآجله و نرى في ذلك اهتمام علماء المسلمين بالطيوب و أدويه الزينه.

٣- في غايه الأهميه ما يذكره البيروني عن الحكم في الأفغانستان قبل انتشار الدين الإسلامي فيها و لعل العاصمه كانت آنذاك كابل (ربما هي كابل عاصمه البلاد الحاليه) معبرا عن الأسباب التقليديه و الدينيه في قيام نظم الحكم و استمرار الملكيه.

تصف بدقه المغالاه فى تزيين القصور و إظهار الأببه و العجاه عند الملوك ذوى لأمجاد [الأمجاد] إلى حد فاق الحسابان.(1)

و كعالم اجتماعى و اقتصادى و كمؤرخ عارف بالأحداث و الأزمان، يعود البيرونى مره أخرى ليوضح بثاقب بصره اهتمام الناس بالأحجار و الأعلاق النفيسه و أثرها فى كسب الوجاهه و تأييد السلطان مع العوامل السلوكيه و الاجتماعيه و أسبابها المنوه إليها فى هذا الباب فاسمعه مثلا موصيا و ناصحا:

"كل ذلك علامات لعلو الهمة و انبساط اليد بالقدره. ثم تترينوا بصنوف الزينه المثمنه لتحلوا فى القلوب و جلاله الأموال فى العيون فتتوجه إليهم الأطماع و تناط بهم الآمال"، و الأحلام مشيرا هنا إلى الدور الذى تلعبه الجواهر فى التأثير بآراء الناس و طرقهم المنهجيه. و إن الأمر لا يقف عند هذا الحد فى طلب الأمجاد و السلطان بل يتعداها إلى المخبرات الجاسوسيه و حيل السياسيه و أحابيلها إذ يضيف قائلا: "و احتالوا بحيل تفاضلت فى البدعه و الحسن و الغرابه للغوص على سرائر الخاص من البطانه و أفعال العام من الرعيه و مقابلتها بواجبها و فى إسراع ذلك على تنازح الديار بالفتوح المتناقله و البرد المرتبه و السفن المطيره و الحمامات الهاديه الطاويه للمسافات حامله للأوامر و الأمثله فى المدد اليسيره حتى خيفوا فى السر و العلن و اجتنبت خيانتهم فيها و توقف على ذلك من أخبار دهاه الملوك و جبايرتهم"، و فى هذا ذكر لاستخدام الحمام الزاجل من نقل البريد المستعجل آنذاك بين بلد و آخر و غيرها من وسائل التنقلات و الرحلات فى العالم الإسلامى قاطبه.

ترويحه ١٢: و مما سبق الإشاره إليه من تأكيد أهميه الغنى الماديه بالذهب أو الفضة و الجواهر و أثرها فى المجتمع يستنتج المؤلف مدى القوه الخفيه للمال فى تسيير سياسه الملوك و سلطان الرؤساء كما يرى الدور الهام الذى يلعبه فى تأييد الحكومات و تنفيذ ماربها مع تبرير مثل هذه التصرفات حيث يضيف:

"الملوك أحوج الناس إلى جمع الأموال لأنهم بها يملكون الأزمه و يسيرون بمكانها الأعنه". و قد أوضح السبب الذى من أجله مثلا- كان الخليفه أبو جعفر المنصور العباسى يجمع الأموال و يخزنها حتى وصمه الناس بالبخل و هو براء من ذلك لعدم إدراكهم لما كان يهدف من هذه النقود المخزونه و ما يعمل من أجلها و قد شرح أمره لحاجبه مره مفسرا كيف أنه بالمال يستطيع السلطان التحكم بمقدرات الناس لأنهم جميعا بحاجه إليه و يتشوقون لاقتنائه فمن معه المال معه السلطان و له اليد الطولى فى الحكم. ثم يقول المؤلف فى الأمير يمين الدوله محمود الغزنوى (٣٨٩ - ٤٢١هـ/٩٩٩ - ١٠٣٠ م) إنه ما كان "يفرغ من فريسه قصدها و ظفر بها إلا و يجيل بصره بعدها لأخرى يزحف إليها و يحوزها"، حتى لا يكون مجال للتوقف أو التغيير ثم إنه إذ كان قد وكل أمره للمنجمين سنه و هو عائد منصرفا من مدينه خوارزم حيث أخبروه بامتداد حكمه لما ينيف على عشره سنين أنه عندها أجاب: "إن قلاعى مشحونه من الأموال بما لو قسم على أيام تلك الأعوام لحاجتها بما لا يعجزه إنفاق مرتب أو مسرف فيه".

و عند سماع ذلك حملت البيرونى المشوه، و كانت لا- تزال بينهما بعض جفوه لقسوه السلطان و تفاخره و شده بطشه، على الاجابه قائلا: "اشكر ربك و أساله و استحفظه رأس المال و هو الدوله و الإقبال فما اجتمعت تلك الذخائر إلا بهما و لن تقاوم بأسرها خرج يوم واحد غير منتظم بزوالها"، فأمسك الأمير لأنه رأى فى نصيحه البيرونى بالاهتمام فى رعيته و الإنفاق على مصالحهم و توفير السعاده لهم و المساواه بينهم لما فيه بقاء الملك يكون ذلك أبقى مآثره و أخلد ثروه.(2) و تستمر علاقته البيرونى بامراء غزنه بعد وفاه محمود فيخدم أيضا الأمير مسعود (٤٢١ - ٤٣٣هـ/١٠٣٠ - ١٠٤١ م) ابنه الأكبر و يغدق عليه النصح

فلم يعتبر حتى مات شهيدا و تبذرت أمواله الدثره، المكتسبه منها و الموروثة عن أبيه في يوم واحدا [واحد]. (٣) و قد تلاشت كما يتلاشى الدخان في مهب الريح و ذهبت هباء منثورا، " و لم يكشف عن غادر به مقرا و لم يظهر في كسير جبرا "، لأن قاتله لم يعرف و كان نصيبه الهلاك و بئس المصير لكثرة غروره و إثمه.

ترويحه ١٣: يعطينا البيروني في هذه الترويحه خلاصه فلسفته في الاقتصاد و الحياه الاجتماعيه و يركز حديثه مره أخرى على طبقه الصعاليكه و طبقه الحكام و هما في طرفي النقيض و القاسم المشترك بينهما اجتماعهما على جمع المال المستخلص من باطن الأرض بسبب أحوالهم الخاصه و حاجاتهم الملحه إليه فيقول، "الدفائن الباقية تحت الثرى ضائعه في بطن الأرض و هي تكون في الأغلب الطبقتين من الناس شديدي التباين متباعدتين في الطرفين الأقصين و هما أهل السلطنه و أهل المسكنه نصفهما على النحو التالي:

أولا- المساكين أو الصعاليكه، " فإنهم تعودوا الاستماحه (و التسول) و اعتمدوها في تحصيل القوت علما منهم بأنها هي رأس المال لا- ينقص (منه شيء) و خاصه مع الالحاف في السؤال و الإلحاح في الطلب (فالشحاذ لا يضع رأس مال غير الشحذه و الاستعطاء و كلام التوسل لاستجداء المحسنين فمهما حصل في يومه فهو مربحه لذلك اليوم). فإذا استغنوا بها عن شراء مطعم أو مشرب (لأنهم يحصلون على هذه في الغالب بطريقه الاستجداء أيضا) أخذوا في جمع الفلوس و الحبات و القراريط ذودا إلى ذود يصرفون الفلوس بالدرهم و الدرهم بالدنانير و ليس لهم أمين غير الأرض لأنها تؤدي ما تستودع و بامانتها، جرى المثل فقيل آمن من الأرض (فهذا كان بنك الاستيداع لهم آنذاك). ثم يموت أكثرهم إما فجاه من خشونه التدبير و إفراط التقدير (و السكته القلبيه) و إما من سوء حال لا ييأس فيه مع الحرص من الإقبال و الابلال و لا تسمح نفسه فيما شقى في جمعه أن يكون لغيره حتى يتفوه بالإيضاء به فيبقى مدفونا (في الأعماق) قل أو كثر " و بذلك مع الأسف عاشوا آنذاك أخساء و ماتوا غير ما سوف عليهم و لا على مالهم الرخيص..

ص: ٢٤٢

١- في سخرية لاذعه يقارن البيروني بين نفع الماء للأرض و النبت و نفع الجواهر للزينة و في معاملات الناس التجاريه فمهما علا مصدر الماء لا بد أن يصل الأرض الواطئه ليسقى البذور و ينبت النبات و هكذا يوضح المؤلف أهميه الإصلاح الاجتماعى حتى تحظى طبقات الشعب الكادحه بقسطها من ثراء الدوله لتأمين رفاه العيش و هي نظره إصلاحيه إنسانيه تدل على مشاعر المؤلف تجاه طبقات الشعب الفقيره و وجوب الاهتمام برخائها أكثر من الاهتمام بالزينة و الأببه الملكيه الخارجيه، و التيجان المرصعه بالجواهر، انظر الوصف في كتاب الخطط لتقى الدين أحمد المقريزى، طبعه بولاق، القايره، ١٢٧٠ هـ، ج ١: ٤١٣-٤١٦: و الذخائر و التحف، للقاضى الرشيد بن الزبير، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، وزاره الاعلام، ١٩٥٩ م، و جرجى زيدان تاريخ التمدن الإسلامى، ج ٥، القايره، بدون تاريخ، ص ١٢٨-١٣٤.

٢- يمين الدوله محمود الغزنوى (٣٨٨ - ٤٢١ هـ / ٩٩٨ - ١٠٣٠ م) غزا الهند و أسقط الدوله السامانيه و خطب للخليفه القادر، و لما استولى على مدينه خوارزم قبض على البيروني و أستاذه عبد الصمد فقتل الآخر و استبقى البيروني لمعرفة بعلم النجوم.

٣- لقد هزم السلاجقه مسعوا [مسعودا] سنه ٤٣١ هـ هزيمة منكره و بعد أن أفلت من الأسر ثار مواليه عليه و نهبوا خزائنه و ناصروا أخاه محمدا الذى قتل أنصاره مسعودا في حرب أهليه سنه ٤٣٢ هـ.

ثانيا: "فان الملوك فلكثره نوابئهم يعدون الذخائر للعدد و يحصنون (و يكتزون) الأموال فى القلاع و المعازل و أن يكون حمل ذلك إليها مستورا لتوسط النقلة و الحفظه بينهم و بينها فيحتاجون معها إلى خبايا (مخابئ و مستودعات) لا يطلع عليها غيرهم فمنهم من لا- يراقب الله تعالى فى الإتيان على ناقلها إلى المدافن (فيتخلص منهم)، و منهم من يحتاط فى ذلك و يحتال بإبداع الفعله (ضمن) صناديق فارغه و يتولى سوق البغال معهم إلى الموضع فإذا أخرج القوم بالليل من تلك الصناديق لم يعرفوا أثرهم من العالم و إذا فرغوا من الدفن أعيدوا إليها و ردوا فحصل المرام و بعد عنه الآثام و لهذا شريطه هى أن لا تحمل منهم نفرا مرتين (و قد أهملها بعضهم و احتاط لها بعضهم الآخر) إذ قد جعل (أحدهم) فى أسفل الصندوق ثقبه و أعد مع نفسه كيسا من أرز أخذ ينثرها قليلا قليلا و اقتفاها بالغد ففازوا بالمدخور و لم يقف صاحبه على الحال إلا بعد عشرين سنه لما احتاج إليها و لم يجد فى المدافن غير حساب بهلول.(1)

ثم أخذ بعدها يتابع المؤلف تحليله لمثل هذه الحالات و الأحداث السياسيه و الاجتماعيه و التى معها طالما تتعرض مثل هذه المدخرات للدفن فى باطن الأرض مره أخرى كما كانت فى طى النسيان فلا تكتشف إلا اتفاقا أو نتيجه طوفانات و سيول عارمه تكشف عنها و تدل عليها. فكم من غنى مدخر للأموال توفى تاركا من بعده كنوزه دون أن يعرف بوجودها أو مكانها أحد غيره فتفقد، أو ملكك يخزنها لحين الحاجه فيهرب أمام عدو مهاجم و يتركها خلفه مدفونه فى الأرض و ليس من يجمع أو يحصى عليه ما أودع.(2)

ترويحه ١٤: و يستمر البيرونى فى توضيح نظريته فى الأمه و سياسه الاقتصاد بين الناس فى المعاملات و استحسان استعمال النقود الورقيه أو المعدنيه و من بينها الجواهر فيقول: "لما احتاج الملوك فى حركاتهم و انتقالا-تهم الاختياريه و الاضطراريه إلى أصحاب أموال تصحبهم من أجلها خدمهم و يتزاح بهم العلل فى إخراجاتهم و عوارضهم و كان الورق أخف محملا من المثلثن به فى المصالح (كالفلس و الدراهم و الدنانير مثلا) نظروا إلى الفاضل عليه فى ذلك فوجدوه العين (خيار الشىء و نفيسه و ما ضرب نقدا من الدنانير) فان المثلثن من المطالب (الأخرى) يكون عشره أضعاف ما يحصل بالورق على الأصل القديم المعين فى الديات و الزكوات و إن تغير بعد ذلك لعزازه الوجود و نزارته فى بعض الأحيان دون بعض أو لفساد النقود (و صدئها) و إما فى أصل الجبله فى كل عالم". ثم إن البيرونى يعمل مقارنه بين ما سبق ذكره من أهميه العمله الورقيه و بين الجواهر و الأعلاق النفيسه و ما لها من القيم و إمكانيه وجودها و محتوياتها و أفضلية استعمالها بالنسبه لأوزانها و أثمانها. بعد ذلك يأخذ بيد القار بصوره غير مباشره إلى صلب موضوع بحثه فى أصل الجواهر الكريمه و نفعها و علو قدرها ماديا و معنويا و النواحي النفسيه و الاجتماعيه التى أدت إلى انتشارها و أهميه تداولها و سهولته و خفته ثم يصرح قائلا: "فان الذهب أعز وجودا من الفضة و الفضة أقل وجودا من النحاس و يناسبها صغر الحجم و عظمه و رجحان الوزن و نقصانه". و هو يذكر أحد المناجم الذى يعطى من بين معادنه، "هذه الأجناس الثلاثه بتفاضل مقارب لهذه النسبه و ذلك أن عطيه الوقر فيه من الذهب عشره دراهم و من الفضة وزن خمسون (إلى خمسه أضعاف) و من النحاس خمسه عشر منا (أكثر من مائه ضعف) فلهذا آثروا العين على الورق فى الاصطحاب مما خف عليهم حملة و حين لم يأمنوا الواقعات النائبه سجالا و قد عرف أن النجاء فيها بالقله و الخفه مالوا إلى الجواهر إذ كان حجمها عند حجم الذهب أقل قدرا من حجم الذهب عند الفضة و حجم الفضة عند ما يشتري بها من المصالح فاصطحبوها معهم و قرنوها بأنفسهم"، و إن هذه الجواهر نفسها التى يعتر و يتباهى باقتنائها الملوك و العظماء تكون وبالا عليهم إن شاءوا التنكر و الاختفاء عن عيون المراقبين و فى يد العامه تصبح سببا فى اتهامهم بسرقتها أو بالشك فى أمانتهم إذ ليس من المنتظر

أن أمثالهم يملكون مثل هذه الجواهر النفيسة الثمن فيصرح قائلاً: " و لكنها عند إلقاء تلك الحوادث إلى التنكر ربما صارت ساعيه (فتكتشف بسرعه) داله عليهم كما نم بفتيه الكهف عتق السكه فى الورق حتى اتجهت عليهم التهمه بوجود ذخيرته عتيقه "، ثم يضيف المؤلف قائلاً: " إن الجواهر خاصه من آلات الملوك (و هذا مدار حديثه) فإذا كانت عند غيرهم ممن لا يليق بحاله تلونت الظنون فيه بأنها إما مسروقه (و هذا منطبق اجتماعى و قانونى متبع حتى فى عصرنا هذا) و السارق (حينئذ) مطلوب، و إما ممتلكه حقاً لمتنكر من الكبار و مثله مرصود "، و فى كليهما خساره.

ثم يعبر البيرونى عن التطورات الاجتماعيه و الأخلاقيه و العمرانيه المترتبه على جمع الكنوز الأرضيه كالجواهر فيقول: " و قد كان فضلاء الملوك يجمعون الأموال فى بيوتها و فى المساجد و يجلبونها من أجمل و جوهها ثم يكتزونها بالتفرقه فى أيدي حماه الحريم ثم المدافعين مضار العدو عن الحوذته إذ كانت أول فكرتهم آخر عملهم و هم كالخلفاء الراشدين و من يشبه بهم مقتديا مثل الخليفه عمر بن عبد العزيز و الكثير من المرانيه و القليل من العباسيه إذ كانوا يرون ما قلدهه عبثاً ثقيلاً- قد حملوه و يحتسبونه محنه ابتلوا بها فكانوا يجتهدون فى نقص إصرها و يتخرجون عن التردى فى وزرها "، فهؤلاء الخلفاء الصالحون إذا لمسوا أهميه المسئوليه الواقعه على عواتقهم تجاه رعاياهم لم يستبدلوها بطلب القوه فى المال و الجواهر و الممتلكات بل بإجراء العدل و المساواه و الحفاظ على مصالح الشعب و رفايته بالرفق و حسم الظلم و عون البائس.

و يروى هنا المؤلف خبراً تاريخياً مفاده أن قاطنى إحدى النواحي فى بلاد المغرب كانت الاماره تدور فيما بين أعيانها و شاتهم على نوب يقوم بها من يأتيه دوره لمدته ثلاثه أشهر ثم ينزل عنها بنفسه عند انقضاء أمدتها فيقدم الهبات و الصدقات شكراً على عمل قام به و انتهى حتى تتاح له فرصه العوده إلى أهله مسروراً كأنما قد حل من عقاب حتى ينصرف لشؤنه و يزاول أعماله الخاصه بينما يأخذ وظيفته آخر لثلاثه أشهر و هكذا.

و فى هذا نرى صورته رائعه لتطبيق مبدأ العدله فى الحكم مع النزاهه و التضحيه فى خدمه البلد و التفانى فى المبادئ الإنسانيه و الديمقراطيه الحقيقيه فأين هذا فى عصرنا حيث نجد التكالب على الكراسى و الحرص على حفظ الألقاب و المراكز. و يفسر المؤلف هذا التصرف على الوجه التالى: " و ذلك لأن حقيقه الاماره و الرئاسه هى هجر الراحه لراحه المسوسين فى إنصاف مظلومهم من ظالمهم و إعتاب البدن فى الذود عنهم و حمايتهم فى أهليهم و أموالهم و دمائهم.

ص: ٢٤٣

١- البهلول " السيد الجامع لكل خير أو الضحاك " و لكن صار مثلاً لما لا نفع مما جمعه من الخيرات.

٢- يروى لنا البيرونى قصص بعض من دفنوا كنوزهم فى الأرض ففقدت.

و إنصاب النفس فى إنشاء التدابير "، لأنه بذلك يوقف نفسه على خدمة البلد و الدفاع عن حياضه و تأمين مصالح أفراد الرعيه بكل ما أوتى من قوه و حكمه التدبير و حب العدالة و كرم الأخلاق و رفع الضيم و صيانه الكرامه فى الأمه. (1)

ترويه 15: هذه آخر التراويح التى تخطها يد المؤلف فى هذه المقدمه لكتابه الجماهر فى معرفه الجواهر، و هنا نجد مره أخرى معالجه جذريه لقضايا اقتصاديه و اجتماعيه خاصه بالمعادن المتداوله كالعمله فى أيدي الناس و وجوب وقايتها من الغش و حكم الشرع فى ذلك فيقول: "إنما حرم شرب الماء فى أوانى الذهب و الفضة لما تقدم ذكره من انقطاع النفع العام بها و اتجاه قول الشيطان عليه (سوره النساء: ١١٩) وَ لَمَّا مَرَّئَهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ) و لنكته ربما قصدت فيه و هى أن هذه الأوانى لا تكون إلا للملوك دون السوقه و للأنام بين الأيام من الضيق و السعه دول تدول و أحوال تحول و تجول فإذا صرف ما حقه أن يبيث فى الأوعوان إلى تلك الأوانى اتكالا على كثره القنيه أيام الرخاء (من دون أن يهتم بالإنفاق على أتباعه) ثم دار الزمان و أتى بعده (فافتقر)، أحوج إلى سكبها و طبعها دراهم و دنانير ففترت النيات بظهور الضيقه و طمع الأعداء بانتشار خبر الضعف و الإفلاس بين الناس، فهم عبيد الطمع و مانعو الحقوق إذا أمكن، و هو المعنى المظنون به أنه محشو تحت التحريم فلن يخلو السرح من مصلحه عامه أو خاصه دنياويه أو آخرايه". هذه دروس و مواظ من الماضى البعيد يدرجها المؤلف مع إيضاح و ثاقب بصيره لينقل لقارئه موعظه فى معنى القناعه و الفطنه و ينصح القارئ من مغبه الشر و الانحراف و السير فى طريق السلامه "من الغاشين و الدعار" مما يؤدى إلى الخيبه و الدمار.

و ينهى البيرونى مقدمته فى فصل أخير يعبر فيه عن محاولته لبحث "الجواهر و الأعلاق النفيسه المذخوره فى الخزائن" عند الملوك و النبلاء و يبدى رغبته فى دراسه كل جوهر أو معدن فى فصل مستقل به متسلسلا من مقاله إلى أخرى ذاكرة أصل الجواهر أو المعدن و منبته فى الأرض و أشكاله و ألوانه و أحواله و كثافته النوعيه و أوصافه الظاهره و الخفيه و أثمانه المعروفه أو المنسوبه و إقبال الورى فى طلبها للزينه و لقيمتها الماديه أيضا.

هذه هى مساقات و مواد الكتاب فى مقاليتين: مقاله الأولى فى الجواهر:

الياقوت مع أشباهه من الجواهر كاللعل البدخشى و البيجاذى، و الألماس، و السبازج و اللؤلؤ، و المرجان، و الزمرد و أشباهه، و الفيروزج، و العقيق، و الجزع، و البلور، و البسد و الجمشت، و اللازورد، و الدهنج، و اليشم، و السبج، و البادزهر و حجر التيس (الترياق الفارسى أو البادزهر) و المومياء، و خرز الحيات، و الختق، و الكهرباء، و المغناطيس، و حجر الخماهن و الكرك، و الشاذنج، و الزجاج، و المينا و القصاع الصينيه، و الأذرك. و مقاله الثانيه فى الفلزات: الزئبق، و الذهب و الفضة و النحاس و الحديد، و الأسرب، و الخارصينى و أشباهه، و الطاليقون. فهذا التقسيم يعطينا فكره عن كيفيه نظر البيرونى إلى هذه المواد الطبيعيه و تمييز الجواهر و الأحجار منها بالوانها و صفاتها الطبيعيه عن المعادن المستخرجه من المناجم بما فى ذلك أنواع الأتربه و الطباشير و سواها. (2)

استنتاجات ختاميه:

بعد مراجعه قول البيرونى فى مقدمه كتاب الجماهر يميل كاتب هذه المقاله إلى ترجيح الاستنتاجات و الاقتراحات و التعليقات الآتيه:

١ - كانت لدى البيروني، بشاقب نظره و عمق اختباره و سعه اطلاعه، نظرات و آراء فى الدين و الاجتماع و الاقتصاد و العمران وجد فى هذه المقدمه لها مخرجا لتسجيلها و معالجتها و شرحها فجاءت سهله المأخذ ضمن فكره تأملاته الهادئه العميقه.

٢ - كانت فى نفس البيروني ثوره جديده و اعينه ضد الانحراف الاجتماعى و المظالم و الانخداع بمظاهر الأبهر و التسلط الزائف فأراد محاربتها و كشف خداعها بأسلوبه الواقعى المقنع اللطيف دون إثارة النعرات و الضوضاء حوله.

٣ - كان مدار حديثه من بعيد و حتى من قريب، أن يقود القارئ إلى تركيز نظره و فكره فى القيمه الحقيقيه و التقليديه للجواهر و الأعلاق النفيسه و كان البيروني نفسه يود أن يعث الطمأنينه و الثقه إلى نفس القارئ و الإتيان بالقيمه الحقيقيه لهذه المنتجات الطبيعيه و أنه يعطيها حقا من الاهتمام بلا- زياده و لا- نقصان لثلاثى المرء بالوانها الزاهيه البراقه و ما يتبع ذلك من تهالك الناس على اقتناء الذهب و المجوهرات فيهمل أهميه ما يمكن تحقيقه بواسطتها فى الصناعه و الحيل و المعاملات التجاريه بين الناس من خدمه جلى لسهوله تداولها و جمال تكوينها و بديع صنعها سواء أ كانت فى باطن الأرض أم بعد اكتشافها و استعمالها المتباينه.

٤ - يقدم المؤلف أيضا آراء أصيله فى غايه الأهميه بما يختص بتاريخ الاقتصاد و السياسه و المجتمع الإنسانى مشيرا إلى ما للناحيه الدينيه من الأثر البعيد فى إشاده بناء صرح متين من الخلق الحسن و الفضائل بالتمسك باهداب الدين الحنيف ياخلاص و إيمان قويم صادق بعيد عن المظاهر الزائفه و الرياء الكاذب الذى أصبح كسوس ينخر فى جسم الأمه كلها حتى صار التدين ثوبا خارجيا ليس إلا.

٥ - بأسلوب رائع منهجى صحيح و واقعى يعطى البيروني رصيذا و افرا فى الاصطلاحات اللغويه القيمه فى العلوم و الحيل و الفنون و الآداب مؤكدا بذلك مره أخرى غنى لغه القرآن الكريم و مقدرتها على استيعاب العلوم و المعارف كلها فى عصره و مسيره التقدم فيها فأجاد بذلك أيما إجاده مما يجعل هذه المقدمه آيه فى الإبداع و الاعجاز و فريده أدبيا و علميا من نوعها فى الحضاره الإنسانيه.

٦ - كان المؤلف نفسه من ناحيه عالما بانتشار طرق الغش و الخداع من قبل عدد كبير من جواهرى (جواهرجى) عصره و مهارتهم فى أساليبهم الكاذبه،ه.

ص: ٢٤٤

١- يعطينا البيروني هنا آراء جديده فى صلاح الحكم العادل و الشورى مع أنها تحمل معانى مثاليه غير متوفره فى العالم السياسى على حقيقته، و لا شك أن المبادئ الدينيه كان لها الأثر الكبير فى ذلك الاتجاه عند المؤلف.

٢- قسم البيروني كتابه فى الجواهر إلى مقدمه عرفناها مع تعليقات و شرح باختصار ثم مقاليتين فصل فيهما بين الجواهر ذات الألوان البراقه و الصفات الطبيعيه الجذابه كالياقوت و اللؤلؤ و بين المعادن ذات الوزن النوعى و الصفات الخاصه بها و منها الصلب كالنحاس و الفضة و منها اللين الرجراج كالزئبق و الهش كالتاليقون مما له أهميه فى تاريخ علمى الكيمياء غير العضويه و الطبيعيه.

و من ناحيه أخرى بحقيقه ندره ما كتب حول موضوع الجواهر و الفلزات لا سيما من يعين على تعريف أصلها و منابعها و معرفه الجيد منها و الردىء و أوزانها النوعيه و ألوانها و صفاتها الطبيعيه و الكيمياءيه فأراد بتأليف هذا الكتاب أن يملأ فراغا في هذا الموضوع الهام فآثرى بذلك الخزانة العربيه الإسلاميه التراثيه بسفر نفيس في بابه و نسيج وحده في فصوله و أبوابه فحق له تخليد الذكر.

٧- و أخيرا يؤكد المؤلف في حراره الفردى و مناقشته و مناظراته الشخصيه بان مشكله الإنسان الحقيقه ليست هي في أساسها اقتصاديه أو سياسيه فحسب إنما هي معضله روحيه أخلاقيه و أن المال و الثراء و الجواهر التي يعتبرها الأغلبه الساحقه بأنها هي زينته الحياه الدنيا إنما هي في الواقع ليست كذلك و لا هي شرطا لتكون عوننا في رغد الحياه الأخرى و أن هذا الإغراء و التكالب إن هو إلا- مظاهر خلابه تبهر العيون لطلب القوه و السؤدد و الغنى الفانى و لكن الغنى الحقيقى الباقي هو غنى النفس بالفضائل الإنسانيه و مكارم الأخلاق و القناعه مع التواضع في العيش و العمل للغير ما يريد المرء لنفسه و بذلك السعاده المنشوده.

الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني:

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هذا الشيخ كان فقيها أصوليا جليلا له مقام بين علماء البحرين و لم أجد من تأليفه إلا رساله في كشف الآيات قال قدس سره في عنوانها الحمد لله الذى من علينا بكشف ديجور الضلال بنور الحق من آيات الكتاب و عرفنا كيفيه استنباطها برموز تستحسن و تستطاب إلى أن قال أما بعد فيقول العبد الخاطئ الجانى محمد بن أحمد بن حسن الدمستاني البحرانى أنه غير خفى على ذوى الافهام و التميز كثره احتياج الناس إلى معرفه تفسير كل آيه من كتاب الله العزيز و أن الكثير منهم لا يكادون يحيطون بحفظ كل الآيات و أنى لهم ذلك هيهات هيهات لذلك غاص نفر من العلماء الأخيار ذلك البحر الخصم الزخار إلى أن قال و سميته بالجواهر العاليات في كشف الآيات و قال في آخر رساله و كان إتمامه عند زوال الشمس يوم الأحد الثالث من شهر رمضان المبارك سنه ١٢٠٢ الثانيه و المائتين بعد الألف، و مات قدس سره سنه ١٢٠٩.

الشيخ محمد بن حسين السبعى البحرانى:

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

ذكره العلامة الشيخ ياسين البحرانى في كشكوله فعظمه و اثنى عليه و نظمه في سلك العلماء و أما الشيخ سليمان الماحورى [الماحوزى] فذكره في رسالته المعموله في وجوب الجمعه و نظمه في سلك الشعراء و بالجمله كان قدس سره فاضلا مدققا له كتاب في وجوب الجمعه تخيرا بل استحبابا و رساله في شرح الأحاديث النبويه و له ديوان كبير مشتمل على خطب و أشعار منه قدس سره و توفي سنه ١٠١١ من الهجره.

الشيخ محمد بن حسين السبعى البحرانى.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو أفضل شعراء المولدين جمع مع الشعر بعض العلوم الادبيه له رساله فى غرائب اللغات و رساله فى العروض و له كتاب فى المسائل المتفرقه و هذه رساله تدل على طول باعه و كثره اطلاعه و كتاب فى القصائد و من قصائده البديعه:

اهاجك فى جنح من الليل فاحمحمام بكى فوق الغصون النواعم

تذكر ألفا نازحا فبكى لهو اسهر جفنى و هو ليس بنائم

بكى شجوه فوق الغصون و إنما بكيت لشجوى لا لشجو الحمام

إلى أن قال:

وسما بنى طه نظام فريده يدين لها فى سبكها كل ناظم

و لا عيب فيها غير انى لم أجد لها من ذوى الافهام اصفاء فاهم

و لو شاهد الفحل الفرزدق نظمها لعاف الذى قد قال فى مدح دارم

إلى أن قال:

يحاكى بها السبعى ما قال جده سليم الحشا من لذعه غير سالم

و صلى إله العرش ما لاح بارق عليكم و ما سحت عيون الغمائم

الشيخ محمد بن الشيخ حسين الشويكى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو الامام الفاضل و التحرير الكامل اشتغل بالفنون و أقبل على الفقه و صار فريد زمانه فى استحضر النصوص و سمع من شيوخ عصره و دخل المصر، و مات فيه سنة ١١١١ و لم أجد من تصانيفه الا رساله فى مناسك الحج و هو من شيوخ الإجازة كما يعلم من إجازة شيخنا العلامة صاحب الإحياء و ذكره الشيخ أحمد فائضى عليه.

الشيخ محمد بن عبد الله أبو عزيز الخطى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من أكابر المشايخ و له تأليفات فائقه منها كتاب النوادر و منها كتاب الفوائد و منها كتاب فى مقتل إمامنا أبى محمد الحسن بن على العسكرى (ع) و منها رساله فى علم العروض و له ديوان معروف، مات سنة ١١٨٦.

السيد محمد تقى السبزواري الباشتنى الفشتنى.

توفى سنه ١٣١٢ فى شاهرود و دفن فيها و له مزار معروف، و ذلك عند رجوعه من زياره العتبات المقدسه فى العراق. (السبزواری): نسبه إلى مدینه سبزواری و (الباشتینی) نسبه إلى قریه باشتین من قرى سبزواری، و هی المشهوره سابقا باسم: السربداریه. و (الفشتنقی) نسبه إلى فشتنق من قرى سبزواری.

كان من تلامیذ الشیخ الأنصارى مده طویله كتب فیها أربع مجلدات من تقریرات بحثه فقها و أصولا ففى الأصول مجلد تام فى مباحث الألفاظ و الاجتهاد و التقليد و بعض حجیه الظن و الاستصحاب و فى الفقه ثلاث مجلدات أولها الصلاه إلى آخر السجود و صلاه الجماعه و الصوم إلى كفاراته و ثانیها خلل الصلاه و صلاه المسافر و الوقف و الاجاره و الرهن و ثالثها أحياء الموات و التجاره كلها عند ولده المیرزا حسین كوجك السبزواری. و أكبر أولاده: السيد محمد على كان - كما یعبر عنه الشیخ آغا بزرگ:

من الأجله و أعلام الفضل شارک فى المعقول و المنقول، برع فى الفقه و الأصول و الطب و الرياضیات و الحكمه و غیرها، و كان على جانب كبير من التقوى و الزهد و الاحتیاط و الصلاح، و بلغ من ورعه أنه اتخذ بیع الكتب مهنة یعتاش بها للاستغناء عن الحقوق الشرعیه. و ألف فى الفقه كتابا جمع فیه

الفروع التي استنبطها خلال المذاكرات في كتاب (الوسائل) وقد احترق مع غيره من كتب ولده [والده] السيد محمد تقى في ناصريه الأهواز.

ولد السيد محمد على سنة ١٢٩٠ و جاء مع والده في صغره إلى سبزوار و في سنة ١٣١٠ سافر إلى العراق و تلمذ على شيخ الشريعة الاصفهاني و الشيخ محمد كاظم الخراساني و في سنة ١٣١٩ عاد إلى سبزوار و ظل فيها حتى سنة ١٣٢٥ حيث عاد إلى العراق و اقام في الكاظميه و فيها توفي سنة ١٣٣٨ و خلف ثلاثة أولاد صلحاء أتقياء: أكبرهم السيد محمد تقى ولد في النجف سنة ١٣١٥ و توفي سنة ١٣٨٣ في طهران و هو عائد من زياره الرضا (ع) و نقل جثمانه بالطائره إلى العراق حيث دفن في الكاظميه.(١)

و الثاني السيد هاشم ولد في سبزوار سنة ١٣٢١ و له كتاب منتخب من تاريخ بغداد اسمه (انتخاب الأمجاد من تاريخ بغداد) توفي حدود سنة ١٣٩٦ بالكاظميه. و الثالث منهم السيد محمد سعيد من أهل الفضل ولد في الكاظميه سنة ١٣٣٣ و تلمذ في النجف على الشيخ باقر الزنجاني و السيد أبي القاسم الخوئي ثم سكن طهران سنة ١٣٦٥ و فيها توفي سنة ١٣٩٢ و دفن في قم.

و الثاني من أولاد السيد محمد تقى هو السيد محمد حسين ولد سنة ١٢٩٦ في سبزوار. ثم هاجر مع أخيه الأكبر إلى النجف و فيها تلمذ على الشيخ علي المازندراني و شيخ الشريعة الاصفهاني و الشيخ كاظم الخراساني و في سنة ١٣٤٤ رجع إلى سبزوار فكان من أئمة الجماعة و مرجعا للترافع إلى أن توفي سنة ١٣٦٨ في سبزوار و دفن فيها في مكان معروف باسم يحيى ابن الامام الكاظم (ع).

و هو معروف في سبزوار بالصغير لان له سميا عرف بالكبير، كان من تلاميذ الميرزا الشيرازي و الشيخ هادي السبزواري.

و الثالث من أولاد السيد محمد تقى هو السيد محمد كاظم و يعرف بالسيد الميرزا محمد ولد سنة ١٣٠٨ و كان من علماء سبزوار و أئمة الجماعة فيها و مشرفا على المدرسه الفخرية فيها، المنسوبه إلى فخر الدوله الديلمي و هي من أقدم مدارس سبزوار. و يبدو أنه كان تلميذا لأخيه السيد حسين. توفي في سبزوار سنة ١٣٥٢.

أبو علي، محمد بن الحسن بن علي القتال النيسابوري الفارسي.

متكلم جليل القدر، فقيه ثقة، عالم زاهد، حافظ ورع، له روضه الواعظين، و التنوير في معاني التفسير.

روى عن أبيه الشيخ حسن، و الشيخ الطوسي، و الشيخ عبد الجبار بن عبد [الله المقري]، و السيد المرتضى. و روى عنه الحافظ بن شهر آشوب، و علي بن الحسن النيسابوري.

استشهد على يد أبي المحاسن عبد الرزاق وزير سنجر و الملقب بشهاب الإسلام، سنة ٥٠٨هـ، و مرقده بنيسابور يتبرك به.

محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، أبو جعفر الأعرج.

مولى عيسى بن موسى الأشعري، يعد من أصحاب الامام العسكري، و من وجوه الأصحاب، عظيم الشأن كبير المنزله، وثقه كل

من ترجم له، له أكثر من ٣٠ كتاباً، منها: مسائله للإمام العسكري، الزهد، المناقب، المثالب، بصائر الدرجات، روى عن أكثر من مائه وخمسين شيخاً، وعنه روى جمع كثير منهم ابن بابويه، والأشعري وابن الوليد والكليني وغيرهم مات سنة ٢٩٠.

الشريف الرضى محمد بن الحسين.

إشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٢١٦ من المجلد التاسع و ننشر عنه هنا دراسه بعنوان: (الاغتراب فى حياه الشريف الرضى و شعره) بقلم: عزيز السيد جاسم:

الشعر و الاغتراب

إن فهم ثنائيه الاغتراب فى شعر الشريف الرضى يرتبط - بالضروره - بالتشخيص القرآنى للشعر و الشعراء، و الذى كان فى جوهره حسماً إسلامياً واضحاً لحقيقه الشعر بوجه الجاهليه و الوثنيات الشائعه منذ عصور ما قبل الإسلام.

و قد كانت الاتجاهات الجاهليه ثقيله الوطأه فى التصدى للدعوه المحمديه العظيمة، و كان فى مقدمه الافتراءات الجاهليه إنكار النبوه و الرساله المحمديه، و الادعاء أن الآى الكريم شعر أو نوع من الشعر، و أن النبى الكريم شاعر.

و حيث أن المحيط العربى كان محيط شعر و شعراء فان مجرد القول بشاعريه النبى العظيم كان يعنى تخفيض قداسه الرساله إلى مستوى الشعر الذائع فى المحيط العربى، و لذلك كان رد القرآن الكريم حازماً و صارماً: (وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ، وَ مَا يَتَّبِعِ لَهٗ، إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ).

و (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ).

و (وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ).

و فى سوره "الشعراء" عرض القرآن الكريم فهماً صائباً، عميقاً، شاملاً- عن الشعراء، محدداً مكانه الشاعر فى الهدايه، أو فى الغوايه، و قيمته فى الحالىين، ذاكراً (وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً، وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا).

إن القرآن الكريم فى دفاعه التام عن النبوه، و الرساله الالهيه، و التغيير الاجتماعى الشامل القائم على الايمان الالهى و العدل، قدم إدانته واضحاً للشعراء الغوايه، و المتقلبين، و المداحين، و المتكسبين، و الثرثارين، و الذين يقولون ما لا يفعلون، منها صورته الشاعر الجاهلى، القبلى، المتأله، المغرور، و داعياً إلى تبنى الصوره الحقيقه للشاعر، و التى استثناه بقوله:

(... إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً، وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا...).

من هذا المنطلق القرآنى تأكدت الفكره الجوهرية التى تنص على علاقه

١- هو والد الشقيقين التقيين البارين السيد صادق و السيد محمد على المقيمين اليوم فى طهران و الذين عملا بمنطوق قول أمير المؤمنين (ع): اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداء، و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا فكانا نصيرى كل خير و معينى كل حق.

الشعر بالايمان، و التى يمكن إدراك مدى صدق الشاعر، و جديته، أو حقيقته بتعبير أدق.

و فى واقع الأمر أن العوده إلى المنطلق القرآنى ضروريه تماما، و خاصه بالنسبه إلى شاعر هو الشريف الرضى، المسلم أولا، و من سلاله النبى الكريم ثانيا إضافة إلى ذلك، أن المنطلق القرآنى يقدم تصورا شاملا عن اغتراب الشاعر و معاناته العجيبه، التى لا حل لها إلا فى الايمان، و الالتزام، و النظر بعين الحق.

فحيث يرتبط الشاعر بأسباب الحياه و المعيشه و العلاقات الاجتماعيه، و هى أسباب ماديه فإنه، شان أى إنسان آخر، يخضع لقوانين الحياه، و متطلبات العيش، و الضرورات الاجتماعيه، و حيث ينتمى الشاعر إلى الشعر فإنه يحلق فى فضاءات الأخيله و الرؤى بعيدا عن القوانين و العلل الماديه للحياه.

و ما من ضروره، فى أن يؤدى ذلك التناقض بين أسباب الحياه و دواعى الشعر و سياحاته إلى الازدواجيه، ما دام الشاعر متمسكا بيقينه الفكرى، و هداه الروحى، إلا أن من المؤكد أن اغتراب الشاعر هو حقيقه كل شاعر بالنهايه.

إن مسار القدمين شىء، و هوى رأس الشاعر شىء آخر.

فهوى رأس الشاعر هو الذى يستصفى واقع الحياه على النحو الذى يتخيله. فهو يعيد رسم العالم بصوره شفافه، متنبئا بالمستقبل، أو حالما بالجديد، و ذلك - بالتحديد - هو ميدان تعريفه، و لقبه، و شهرته.

إثر ذلك، يبدو من الصعب رد الشاعر إلى الواقع المادى، بكل متشابكاته الأرضيه التى لا تفسح المجال أمام الأخيله و الأحلام، إلا من خلال برزخ واحد، هو برزخ "القضيه" التى يؤمن بها إن كان مؤمنا.

و فيما عدا القضيه التى ينتسب إليها الشاعر، و يؤمن بها، فان هواه هو الذى يقوده فى عشرات الطرق، و شيطان شعره أقوى من عقله.

و قد انتبه أفلاطون إلى قداسه الشعر لدى الشاعر الحقيقى، فالشاعر كائن مقدس، مثير للاعجاب، يخلب الألباب، إلا أنه لا مكان له فى جمهوريه أفلاطون، و لا بد من إرساله إلى دوله أخرى مكرما، معززا.

و يذكر أفلاطون ذلك قائلا فى المحاورات: ".الأمر الذى تختص به دولتنا أن الإسكافى فيها إسكافى و ليس ملاحا و إسكافيا فى الوقت نفسه، و الفلاح فلاح و ليس قاضيا و فلاحا فى الوقت نفسه، و رجل الحرب رجل حرب، و ليس تاجرا و رجل حرب فى الوقت نفسه. و ذلك هو شان الجميع.

قال: هذا صحيح!

يبدو إذن أنه إذا مثل فى دولتنا رجل بارع فى اتخاذ جميع القوالب، و تقليد جميع المظاهر لينتج قصائده و ينشدها للجمهور، فلنا أن نشنى عليه كما نفعل مع كائن مقدس، مثير للاعجاب، يخلب الألباب، و لكننا نقول له: ليس فى دولتنا من يشبهه، و لا يمكن أن يكون فيها. ثم نرسله إلى دوله أخرى، بعد أن ننثر العطور على رأسه و نضفر له الأكاليل...".

لكن أفلاطون و هو يقصى الشاعر عن جمهوريته، يبعد فى الوقت ذاته أنصاره، فالشعراء فى حالات الوجد الشعرى و الانخفاف، هم أقرب الناس إلى عالم المثل، و إلى المثاليه الأفلاطونيه. إلا أن خشيته من الشعراء ليست فلسفيه بالدرجه الأولى، بل هى خشيه تتصل بتنظيم المدينه الأفلاطونيه، التى تحتاج إلى تلاحم العقول المفكره مع الأيدى العامله و المحاربه.

و رغم أن الشاعر يغتنى من الحياه، و تتعمق تجربته فى الصراع السياسى و الاجتماعى و الحياتى بعامه، إلا أن عالمه ليس العالم المادى للناس الآخرين، عند ما يستولى عليه الشعر. بعبارة ثانيه إن عالم الرؤى، و الأخيله، و الأحلام، و التأملات، هو غير العالم الواقعى المعاش.

و فى العلاقه بين العالمين: المادى و الرؤوى، يبدأ اغتراب الشاعر الذى لا يستطيع الشاعر - ذاته - التحكم بحدوده، مهما نضجت تجربته الشعريه، و مهما امتدت به خبره الزمن. لأن أخيله الشاعر الفتيه، و المتجدده لا تعترف بالزمن. و بطبيعته الحال إن الاغتراب الشعرى و الحياتى للشاعر يعود إلى عوامل ذاتيه و موضوعيه، و عوامل روحيه و ماديه متداخله، كما أن قهر الاغتراب، كإمكانيه، يرتبط - أيضا - بسلسله من العوامل الذاتيه و الاجتماعيه و الاقتصاديه و الثقافيه.

و يمكن إجمال عوامل الاغتراب فى عاملين متميزين:

الأول: الاغتراب الناجم عن طبيعته الشعر، لأن كل شعر هو تدفقات صوريه، لا محدوده، و تخليقات شعوريه و لا شعوريه تأتى فى لحظه غياب الشاعر عن واقعه الحسى.

فكل شعر - إذن - نوع من (العلو) المغترب فى وقت الخلق الشعرى.

أما العامل الثانى فهو يوجد جميع الظروف الماديه و الأسباب الشخصيه و العامه المؤديه إلى الغربه و المعاناه الدائمه، و بلا شك، إن هذه الظروف و الأسباب تلعب دورا كبيرا فى تغذيه مضامين الشعر، و تحديد اتجاه الشعر، أو تغييره و تتداخل العوامل تداخلا معقدا، إلى الحد الذى تصبح فيه عمليه فرز الأسباب الرئيسيه عن الثانويه فى تحديد نوع المؤثرات (المغربه) من أشق العمليات التحليليه. لأن نفس الشاعر المرهفه، و الشديده الحساسيه، تكبر فيها الانفعالات أو تصغر، خارج إمكانات القياس الاعتياديه. فاستجابات الشاعر، و ردود فعله، ليست بالأمر الذى يسهل تعيين حدوده.

لذلك يمكن القول إن ثمة عوامل صغيره جدا، أو غير معروفه، أو لا شعوريه (غير معروفه حتى من قبل الشاعر نفسه) قد تكون محرزا فعلا فى تقرير اختيارات الشاعر، و انتهاجاته السريعه أو طويله الأمد.

و من الثابت أن الأسباب اللاشعوريه تسهم إسهاما كبيرا فى تكوين جانب كبير من جوانب العالم الشعرى، سواء أ كان ذلك فى المضمون أو فى الشكل.

و مع أن (الشعر) يأتى من (الشعور)، إلا أن (اللاشعور) يتعهد بصياغته أهم ما فى الشعر، إذا ما فهمنا الشعر بمعناه الحقيقى كشعر.

و يعتبر منطلق الاغتراب، و أساسه العميق فى نفسه و حياه و شعر السيد الرضى ثنائى المجد و الفجيعه، الذى اكتسب بعده التاريخى فى قطاع طويل من المسلمين، هو قطاع الطالبين، و الذى أصبح بامتداده عبر الحقب الزمنيه ذا سمات ايديولوجيه، و اجتماعيه راسخه.

و يقوم الثنائى المذكور على حقيقتين تنطويان على مفارقة ما ساويه: الحقيقه الأولى مجد الشريف الرضى، و أسرته الذى ينطلق فى الحسب و النسب من الامام على بن أبى طالب (ع) و أهل بيت النبى (ص).

أما الحقيقه الثانيه فهى مقاتل الطالبين، و الفجيعه الحسينيه الكبرى.

و تكمن المفارقة الداميه فى أن النسب المجد، بدلا من أن يقود إلى احتياز مكانه الحق و القياده و تصريف أمور الناس من قبل سلاله أهل بيت النبى، فإنه قادهم إلى حتوفهم، و إلى مواضع الاضطهاد العاتى.

و شعر الشريف الرضى ملئ بافتخار الحسب و النسب، فالنبى جده، و الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب والده.

فمن قوله يفتخر و يذم الزمان فى قصيده مطلعها:

أ تذكراى طلب الطوائل أ يقظتما منى غير غافل

قوما فقد مللت من إقامتى و البيد أولى بى من المعائل

إن أمير المؤمنين والدى حز الرقاب بالقضاء الفاصل

و جدى النبى فى آبائه علا ذرى العلياء و الكواهل

فمن كاجدادى إذا نسبتنى أم من كاحيائى أو قبائلى

من هاشم أكرم من حج و من جلال بيت الله بالوصائل

قوم لا يديهم على كل يد فضل سجال من ردى و نائل

فوارس الغارات لا يطربهم إلا نوازى نغم الصواهل

أرى ملوكا كالبهام غفله فى مثل طيش النعم الجوافل

و قال و هو يفتخر بآبائه عموما:

لنا الدوله الغراء ما زال عندها من الجور واق أو من الظلم منصف

بعيده صوت فى العلى غير رافع بها صوته المظلوم و المتحيف

و نحن أعز الناس شرقا و مغربا و أكرم أبصار على الأرض تطرف

و كل محيا بالسلام معظم كثير إليه الناظر المتشوف

و أبيض بسام كان جبينه سنا قمر أو بارق متكشف

حيى فان سيم الهوان رأيته يشد و لا ماضى الغرارين مرهف

بنا الجبهات المستنيرات فى العلى إذا التثم الأقسام زلا و أغدفا

و من قبل ما أبلى بيدر و غيرها و لا موقف إلا له فيه موقف

ورثنا رسول الله علوى مجده و معظم ما ضم الصفا و المعرف

و عند رجال أن جل تراثه قضيب محلى أو رداء مفوف

يريدون أن نلقى إليهم أكفنا و من دمنا أيديهم الدهر تنطف

فله ما أقسى ضمائر قومنا لقد جاوزوا حد الحقوق و أسرفوا

و رغم أن القصيده تصل إلى هدف محدد يتعلق بوالده السيد (أبى أحمد الموسوى)، إلا أن الابتداء الفخارى بالحسب و النسب و اللقب و بالتاج النبوى الأكبر، سرعان ما يتدرج إلى لازمته الضرورىه التى لا مناص منها، و هى التفجع، و مراره التأسى و من الناحيه التاريخيه، إن الطعنه الغادره التى أنهت حياه الدنيا لعلى ابن أبى طالب كانت قد وضعت أهل البيت فى نقطه المفترق، فى حين جاء استشهاد الحسين بن على يوم الجمعه العاشر من المحرم سنه إحدى و ستين ذروه المأساه، التى تتردد صيحتها بين جنبات العالم الإسلامى بهدير لم يهدأ أبدا بل هو فى ازدياد.

و إذا ما كان التفجع لاستشهاد الحسين تظاهرة تاريخيه كبرى يشترك فيها ملايين المسلمين، و يشاركهم العزاء العديده من غير المسلمين، فكيف الحال و الشريف الرضى من أحفاد الحسين، و هو: أبو الحسن، الشريف الأجل، الملقب بالرضى، ذو الحسين، محمد بن الحسين (أو محمد بن أبى أحمد) بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب.

لقد جاء اغتراب الشريف الرضى و غربته من الفجيعة الأليمه، و المأساه التى لا-مثل لها، من تلك البدايه الجليله، فى يوم عاشوراء، حينما استشهاد الحسين، و معه الكوكبه الطاهره من شهداء أهل البيت: العباس، و جعفر، و عثمان، و محمد، و أبو بكر (أولاد على بن أبى طالب)، و على، و عبد الله (ولدا الحسين)، و أبو بكر، و عبد الله، و القاسم (أولاد الحسن)، و عون الأكبر و محمد (ولدا عبد الله بن جعفر)، و جعفر و عبد الرحمن، و عبد الله، و مسلم (أولاد عقيل بن أبى طالب)، و عبد الله بن مسلم بن

عقيل، و محمد بن أبى سعيد بن عقيل.

لقد جرى قتل أهل بيت الرسول بايدي أناس كانوا يدعون الإسلام، و هذا ما أعطى للماساه بعدا فجائعا لم يتكرر فى التاريخ.
فلم يرو أحد فى جميع مراحل التاريخ أن بشرا يقتلون أهل بيت نبيهم، و باسم خلافه الدين (!) إلا فى مناسبة واحده هى ملحمة
عاشوراء.

كان النبي يقول: " استوصوا بأهل بيتى خيرا، فانى أخاصمكم عنهم غدا، و من أكن خصمه أخصمه، و من أخصمه دخل النار".

و كان

يقول: " أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن ياتى رسول ربي فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله: فيه
الهدى و النور. فخذوا بكتاب الله، و استمسكوا به. ثم أهل بيتى... أذكركم الله فى أهل بيتى.. أذكركم الله فى أهل بيتى..
أذكركم فى أهل بيتى "

و كانت أحداث عاشوراء أكبر من خيانه (نبي)، لأنها كانت محاوله لامحاء ذريه النبي، لكن الله أحبط مساعى الظالمين، فجعل
البلاء الذى مر به أهل البيت قوه للدين، و نصره لأفكار الشهداء الخالدين، و إنما البلاء على قدر صدق الصادقين. و فى

حديث نبوى: " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على حسب دينه، فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه، و إن
كان فى دينه رقه ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض و ما عليه خطيئه "

ص: ٢٤٨

راحل أنت و الليالى تزول و مضر بك البقاء الطويل
لا شجاع يبقى فيعتق البيض و لا أمل و لا مأمول
غايه الناس فى الزمان فناء و كذا غايه الغصون الذبول
إنما المرء للمنيه مخبوء و للطعن تستجم الخيول
من مقيل بين الضلوع إلى طول عناء و فى التراب مقيل
فهو كالغيم ألقته جنوب يوم دجن و مزقته قبول
عاده للزمان فى كل يوم يتناهى خل و تبكى طول
فالليالى عون عليك مع البين كما ساعد الذوابل طول
ربما وافق الفتى من زمان فرح غيره به متبول
هى دنيا إن واصلت ذا جفت هذا ملالا كأنها عطبول
كل باك يبكى عليه و إن طال بقاء و الثاكل المشكول
و الأمانى حسره و عناء للذى ظن أنها تعليل
ما يبالى الحمام أين ترقى بعد ما غالت ابن فاطم غول
أى يوم أدمى المدامع فيه حادث رائع و خطب جليل
يوم عاشوراء الذى لا أعان الصحب فيه و لا أجار القبيل
يا ابن بنت الرسول ضيعت العهد رجال و الحافظون قليل
ما أطاعوا النبى فيك و قد مالت بارماهم إليك الذحول
و أحالوا على المقادير فى حربك لو أن عذرهم مقبول
و استقالوا من بعد ما أجلبوا فيها أ الآن أيها المستقيل
إن أمر قنعت من دونه السيف لمن حازه لمرعى و ييل

يا حساما فلت مضاربه الهام و قد فله الحسام الصقيل

يا جوادا أدمى الجواد من الطعن و ولى و نحره مبلول

حجل الخيل من دماء الأعادى يوم يبدو ظعن و تخفى حجول

يوم طاحت أيدى السوابق فى النقع و فاض الونى و غاض الصهيل

أ ترانى أغير وجهى صونا و على وجهه تجول الخيول

أ ترانى أذ ماء و لما يرو من مهجه الامام الغليل

قبلته الرماح و انتضلت فيه المنايا و عانفته الفصول

و السبايا على النجائب تستاق و قد نالت الجيوب الذبول

من قلوب يدمى بها ناظر الوجد و من أدمع مراها الهمول

قد سلبن القناع عن كل وجه فيه للصون من قناع بديل

و تنقبن بالأنامل و الدمع على كل ذى نقاب دليل

و تشاكين و الشكاه بكاء و تنادين و النداء عويل

يا غريب الديار صبرى غريب و قتيل الأعداء نومى ثقيل

بى نزاع يطغى إليك و شوق و غرام و زفره و عويل

ليت أنى ضجيع قبرك أو أن ثراه بمدمعى مطلول

لا أغب الطفوف فى كل يوم من طراق الأنواء غيث هطول

مطر ناعم و ريح شمال و نسيم غض و ظل ظليل

يا بنى أحمد إلى كم سنانى غائب عن طعانه ممطول

و جيادى مربوطه و المطايا و مقامى يروع عنه الدخيل

كم إلى كم تعلقو الطغاه و كم يحكم فى كل فاضل مفضول

إن نداء الشريف الرضى الذى امتد حرف النداء فيه (يا) مع المنادى (الغريب) إلى ما لا محطه له، ولا نهايه، عبر الزمن، هو الصوت الذى يسكن أعماقه الموحشه، و يركب لسانه الذى لا يكف عن اللهج و التحسس، فتظل المناداه الصارخه:

يا غريب الديار صبرى عجيب

مدخلا لتفسير اغتراب الشاعر و غربته التى تتجاوز فى المعنى كل شقاء.

ذو التعاستين

ورث الشريف الرضى فى روحه و دمه روح الفجيعة الحسينيه، لكن الدهر لم يترفق به فى حدود ذلك، بل ادخر له أمرا عظيما و تعاستين بالغتين:

الأولى سجن أبيه الذى كان سنده الكبير و الشخصيه العظيمة التى حملت قبسا من نور أهل البيت و حكمتهم و عدالتهم.

لقد: " كان أبوه النقيب أبو أحمد، جليل القدر، عظيم المنزله فى دوله بنى العباس و دوله بنى بويه، و لقب بالطاهر ذى المناقب، و خاطبه بهاء الدوله أبو نصر بن بويه بالطاهر الأوحده، و ولى نقابه الطالبين خمس دفعات، كما ولى النظر فى المظالم، و حج بالناس مرارا. أميرا على الموسم ". لقد كان الشريف الرضى فى العاشره من عمره، حينما سجنه عضد الدوله، ففقد بذلك ولى الأمر، و السند، و النصير، و لم يكن أبوه مجرد أب، بل كان يرى فيه تجسيدا لموضوع فخاره و افتخاره، و كان يعلق الآمال على أن يحتاز أبوه المكانه التى يستحقها، و التى لا تقل شانا عن الخلافه. و قد كانت آمال الصبا كبيره و ملونه، حينما كان أبوه سيدا مطاعا، و مصلحا كبيرا، و بسجنه تطايرت الآمال و خيمت ظلمه الأسى على روح الشريف الرضى.

لقد كان الاغتراب التاريخى الذى ورثه الشاعر يحث على الثوره، و قبل أن يبلغ الشباب كان يحتاج إلى حمايه و رعايه و جدتهما فى أبيه، و فى لحظه واحده وجد الشاعر نفسه أمام الحقيقه القاسيه، سجن أبيه و عمه، و تهدم بناء الحمايه و العز فى لحظه غريبه.

و فى ذلك يقول زكى مبارك: " و ما ظنكم بطفل يتوقد غيره و حماسه، و يقبل على الدرس إقبال الرجال، فيصل النهار بالليل فى درس العلوم العقليه و النقليه، و ياوى إلى بيت عامر بالكرم و الجود تعج أرجاؤه بأصوات الخدم و الحاشيه، و يرى أباه فى الصباح و المساء و هو عماد المكرويين، و غياث الملهوفين، و يرى أساتذته يبالغون فى إكرامه لأنه ابن النقيب، ما ظنكم بطفل هذه أحواله يمسى بعافيه ثم يصبح فيرى ذاهل العقل أن أباه جرد من الحول و الطول و ألقى به فى غياهب الاعتقال ".

و يضيف: " إن من العسير أن تتصوروا النبوغ الشعرى فى طفل غرير، لأنكم تعيشون فى أزمان لا تعرف الشقاء، أزمان يكون فيها من النبوغ أن يحفظ الطفل قصيده و هو ابن عشر سنين، و لكن يسهل عليكم تخيل ذلك حين تتذكرون كيف كان حال الشريف الرضى حين نقل أبوه منفيا إلى فارس، حين تتصورون كيف أمسى ذلك الطفل فقيرا ذليلا بعد الغنى و العزه، حتى صح لبعض أساتذته أن يهبه دارا يسكنها!.

من حق أبيك، لأنى حفظتك كتاب الله تعالى، فقبلها".

إن فتره سجن السيد أبى أحمد الموسوى فى قلعه فارس امتدت من سنة ٣٦٩ إلى سنة ٣٧٦ و كانت التعاسه الأولى التى أوجت كل ما هو كامن من شعور فجائعى، و تمردى فى نفس الرضى، و أضيف إليها التعاسه الثانيه و هى مصادره أملاك والده و تعريض العائله للعوز و الحرمان.

و لعل إهداء الدار إليه من قبل أستاذة إبراهيم بن أحمد الطبرى خير بلاغ عن الفاقه التى آل إليها الشريف الرضى، على ما عرف عليه الشاعر من إباء، و ترفع، و كبرياء رافقته منذ الصغر، و لم تخنه على الكبر. و فى ذلك يقول ابن أبى الحديد: "أما ترفع الشريف و أنفته و ارتفاعه فوق المطامح الماديه فمشهور، و قد عرف عنه أنه لم يقبل هديه من أحد". و لم ينس الشريف الرضى استفزاز المطهر بن عبد الله وزير عضد الدوله لوالده حين القبض عليه، إذ قال له: "كم تدل علينا بالعظام النخره" مستهينا بذلك بالسلاله الطاهره الشريفه، و أصلها الكريم. و قد كان للافاهه طعم خارق، لاذع، لم يتمكن الشاعر من نسيانه أبدا.

و تفعل المأساه فعلها الكبير فى نفس الشاعر، و سنه فوق العاشره بقليل، فيذكر أباه فى قصيده يقول فيها:

نصافى المعالى و الزمان معاند و ننهض بالآمال و الجد قاعد

تمر بنا الأيام غير رواجع كما صافحت مر السيول الجلامد

و تمكنا من مائها كل مزنه و تمنعنا فضل السحاب المزود

و ما مرضت لى فى المطالب همه و أحداثه فى كل يوم عوائد

عوائد هم لا يحيين غبطه بهن و لا تلقى لهن الوسائد

و لله ليل يملأ القلب هولاه و قد قلقت بالنائمين المراقد

و تعز فما كل المصائب قادم عليك و لا كل النوائب عائد

ينال الفتى من دهره قدر نفسه و تأتى على قدر الرجال المكاييد

فدى لك يا مجد المعالى و بأسها فعال جبان شجعته الحقايد

فما تركت منك الصوارم و القنا و لا أخذت منك الحسان الخرائد

عزلت و لكن ما عزلت عن الندى وجودك فى جيد العلى لك شاهد

بوجهك ماء العز فى العزل ذائب و وجه الذى ولى من الماء جامد

فأنت ترجى الملك و هو زواله بغير جلال فيه و هو مجالد

فلا يفرح الأعداء فالعزل معرض إذا راح عنه صادر جاء وارد

و ما كنت إلا السيف يمضى ذبابه و لا ينصر العلياء من لا يجالد

ثم يحمل على المستفز الشاتم وزير عضد الدوله:

يدل بغير الله عضدا و ناصرا و ناصر ك الرحمن و المجد عاضد

تعير رب الخير بالى عظامه ألا نزهت تلك العظام البوائد

و لكن رأى سب النبى غنيمه و ما حوله إلا مريب و جاحد

و لو كان بين الفاطميين رفرقت عليه العوالى و الظبى و السواعد

إن جرح الالهانه أثار فيه سخطا على الدوله و وزيرها، و لذلك انطلق التحدى شعرا، و "عرض بالخليفه العباسى، و لوح له بعظمه الفاطميين فى مصر، و كان ذلك يومئذ من المحظورات".

و أضاف فى قصيدته:

و ما والد مثل ابن موسى لمولدقريب تجافاه الرجال الأبعاد

حمى الحج و احتل المظالم رتبهعلى أن ريعان النقابه زائد

فاقبل و الدنيا مشوق و شايقو أعرض و الدنيا طريد و طارد

و ساعده يوم استقل ركابهاخوه و قال البين نعم المساعد

هما صبورا و الحق يركب رأسهعشيه زالت بالفروع القواعد

تفرد بالعلياء عن أهل بيتهو كل يهاديه إلى المجد والد

و تختلف الآمال فى ثمراتهاإذا أشرقت بالرى و الماء واحد

إن حب الشاعر لأبيه تجسيد مكثف لعدده أشكال و درجات من الحب، فهو حب الابن للأب، و حب التلميذ للأستاذ، و حب المؤمن بزعامه الزعيم للزعيم، و حب الذات للأنموذج الذى تسعى إلى أن تسير على هده و تكون بصورته. ففى قراره نفس الشريف الرضى ترعرع طموح مشروع فى أن يكون زعيما كايه. فتفتق الحب عن أكثر من أربعين قصيده مدح لأبيه.

و يشير زكى مبارك إلى أن أشعار الشريف الرضى فى مدح أبيه تنقسم إلى ثلاث طوائف: "الطائفه الأولى فى التوجع لأبيه و هو سجين، و الطائفه الثانيه فى تهنته أبيه بالخلاص و رد أملاكه إليه، و الطائفه الثالثه فى تهنته بالأعياد بعد أن لان الزمان. و لكل طائفه من هذه الأشعار خصائص: فالطائفه الأولى تصور الحزن و الجزع و التفجع، و الثانيه يغلب عليها الابتسام و لكنها تفيض بالسّم الزعاف فى الثوره على الناس، و الثالثه تخلع على أبيه رداء الملوّك. فهو يدخل عليه فى كل عيد بقصيده كما يصنع الشعراء فى تحيه الخلفاء و الملوّك".

إن حب الشريف الرضى لوالده كان انتماء عظيمًا للأب و للقضية و للنفس فى آن واحد.

و حينما أطلق سراح والده (و معه عمه)، و قدم من فارس إلى بغداد، فإن روح الشاعر كانت ترافق الوالد فى عودته مرحله مرحله، و لكل مرحله كان يعد لها شعرا و كلمات. و ذلك يدل على الغصص التى حبست فى صدره، و التى أخذ يطلقها حيناً بعد حين، مع مسيره عوده أبيه من المنفى و السجن.

فمثلا هناك قصيده وجهها إلى أبيه و أنفذها إليه قبل دخوله بغداد بأيام يسيره على يد بعض أصحابه، "فهو كان يعرف معنى التحيه، تحيه الراجع إلى وطنه و هو فى الطريق، كما نرسل برقيات التحيه فى هذه الأيام ليفرح بها القادمون و هم على متون البواخر، و هذه القصيده ليست من الطوال، و لكنها على قصرها تصور شوقه إلى أبيه و هو نبت ضعيف، و يشير إلى ما صنعت به الأيام، فيقول فى آخر القصيده:

ص: ٢٥٠

العملاق، لكن بآيه صورته؟!.

" رآه شاحب اللون، هزيل الجسم، قد نالت ظلمات الاعتقال منه"، و" لا يعلم إلا الله كيف خفق قلب ذلك الفتى حين رأى أباه، فقد كان لا يزال طفلاً، و كانت المعانى السود و البيض تلذع قلبه لدعا عنيفا، و العواطف العاصفه لا يعرفها غير الأطفال".

فكانت قصيده الاستقبال مشوبه بكل الانفعالات المتعارضه:

طلوع هداه إلينا المغيب و يوم تمزق عنه الخطوب

لقيتك فى صدره شاحبا و من جليه العربى الشحوب

إليه تحج النفوس الصدور و فيه تهنى العيون القلوب

تعزيت مستأنسا بالعباد و الليث فى كل أرض غريب

و أحرزت صبرك للنائبات و للداء يوما يراذ الطيب

لحا الله يوما أرانا الديار يندب فيها البعيد القريب

و ما كان موتا و لكنه فراق تشق عليه الجيوب

لئن كنت لم تسترب بالزمان فقد كان من فعله ما يريب

رمى بك و الأمر ذاوى النبات فال و غصن المعالى رطيب

و لما جذبت زمام الزمان أطاع و لكن عصاك الحبيب

و لما استطال عليك الزمام و ذلل فيك المطى اللغوب

رجوت البعاد على أنه كفيل طلوع البدور الغروب

رحلت و فى كل جفن دم عليك و فى كل قلب وجيب

و لا نطق إلا و من دونه عزاء يغور و دمع ريب

و أنت تعلقنا بالإياب و الصبر مرتحل لا يثوب

و سر العدا فيك نقص العقول و أعلم أن لا يسر اللبيب

أما علم الحاسد المستغر أن الزمان عليه رقيب

قدمت قدوم رفاق السحاب تخطر و الربع ربع جديب

فما ضحك الدهر إلا إليك مذ بان في حاجيه القطوب

إن الألم في حياه الرضى، و الذى يعكسه شعره بجلاء تام، أصبح أكثر من حالات نفسه حزينه، بسبب حوادث مؤلمه، لقد أصبح خبره متميزه، لها خطوطها الطويله و العريضه، و جذورها العميقه، و آثارها البارزه.

و رغم الأوقات السعيده التى كانت تعقب فترات العناء و الشده و الحزن الممض، فقد أصبحت للألم فى حياه الشريف الرضى فلسفه متناثره فى شعره.

و لم تكن أوقات الفرح بقادره على خداعه، مع أنه لا يخفى سعادته، و كانت فرصه رد الأعمال القديمه إلى والده و هى النقابه و إماره الحج و النظر فى المظالم، و ذلك فى جمادى الأولى سنه ٣٨٠ مناسبه لتهنئه والده و إبداء الفرحه، فقال:

انظر إلى الأيام كيف تعود و إلى المعالى الغر كيف تزيد

و إلى الزمان نبا و عاود عطفه فارتاح ظمآن و أورق عود

قد عاود الأيام ماء شبابها فالعيش غض و الليالى غيد

لكن الحكمه المبنوثة فى أبيات القصيده، هى نتاج الألم و خبرته، و هى التعبير عن النهج النقدى المرير الذى لازم شعر الشريف الرضى، و زوده بعناصر الثوره، لذلك فهو يذكر:

ما السؤدد المطلوب إلا دون ما يرمى إليه السؤدد المولود

فإذا هما اتفقا تكسرت القنا إن غالباً و تضعض الجلمود

و أجل ما ضرب الرجال بحده الأعداء مجد طارف و تليد

و بلا- شك أن طريق السؤدد المولود ملئ بالأحزان، و المتاعب، و هى أكبر بكثير من مشقات و تضحيات السؤدد المطلوب، بمعنى أن الآلام القادمه و التى تنتظر حياه الشاعر هى قدره المحتوم، و ما دام غير قانع بالمكاسب المحدوده، فهو مقتنع بالعذاب الذى لا بد منه.

إن التعاسات أفضت بالشريف الرضى إلى اغتراب يتفجر حكمه و بعد نظر.

الاغتراب الروحى فى حياه و شعر الشريف الرضى

إن العناصر الأساسية المكونة للاغتراب الروحي في تجربته الحياتيه و الشعريه للشريف الرضى هي أولاً: الأصل الفجائعي للسلاله الهاشميه، و أهل بيت النبي بالذات، و الذى يشكل خلفيه تاريخيه ماساويه تهطل منها معطيات أدبيه و فلسفيه فى البلاء، و العزاء، و الإصرار الدائم على تلمس الجذور الداميه للماساه.

و تشاء الخلفيه التاريخيه هذه أن تكون تأثيراتها قبل الولاده، لأنها تجرى فى الدم و فى حركه الأعصاب، و فى الموروثات العضويه، قبل التوارث الروحي و الثقافى الذى تنقله الطقوس و التقاليد الدينيه و الاجتماعيه.

ثانياً: الزهد و المعرفه الدينيه، و هما من سمات السلاله و من إرثهما المنقول من الآباء إلى الأبناء.

و قد بينت صحف التاريخ الإسلامى أن آباء و أجداد الشريف الرضى كانوا أوعيه للعلم و المعرفه الربانيه، و كانوا زهاداً، عابدين، قانتين، شغلتهم مناجاه الله عن المطامع الدنيويه الرخيصه، و لم يكن لأحدهم إعراضاً عن حقهم فى السعى من أجل نشر العدل فى الحياه الدنيا، بل هو تعبير عن وحده ذلك الحق مع الفقر، لأن العدل لا ينشأ إلا من القاع الاجتماعى، و البساطه، و التواضع، و رفض الثراء و الجاه و الغرور الزائف.

و مما زاد و يزيد فى زهد العارفين، القانتين، و الأئمه الأعلام، الطهورين، تفاقم الفساد و الاحتيال و الغدر، و هدر الأخلاق، و سياده منطق القوه و القهر و الابتزاز و الارشاء، و كل المبادل التى تهوى بالمجتمع إلى الحضيض. فكلما تزداد كفه الميزان ميلان لصالح الفساد، فان العلماء يزدادون زهداً و احتفاءً بالدين و القيم الروحيه.

كل ذلك ساعد على الانحلال الاجتماعي، بحيث صارت محلات القيان والغلمان أمرا معتادا يتردد عليها الناس، و يرتادها الكثيرون، و تطرح فيها الحشمه. و كانت مجالس الأشراف و الوزراء "تألف هذا النوع من الحياه التي أصبح فيها المجون و الخلاعه نوعا من الترف الحضارى، و التظرف الاجتماعى".

و كان الوجه الآخر للترف و المجون انتشار البؤس و الفاقه، فى القاعده الاجتماعيه العريضه، و عيش العلماء البعيدين عن السلطه فى حرمان و فاقه.

فكان أن هجر بغداد - مثلا - عبد الوهاب المالكي، و قذف فى وجه عصره باشنع و صمه، و هو يقول لمودعيه: "لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداه و عشيه، ما عدلت عن بلدكم لبلوغ أمنيّه".

إن اجتماع الفقر و الفساد الأخلاقى و الثراء الفاحش خلق وسطا صالحا للتاثيرات المنافيه للدين الإسلامى و للتقاليد العربيه الإسلاميه.

فكان الزهد موقف الرفض التام للانحرافات الشاذه التى طعنت الإسلام و العروبه فى الصميم. و كان على مراتب و درجات. و هى فى مجموعها تهتدى بسلوك النبى الكريم المعروف بزهده و تقشفه. و قد كان الحديث النبوى:

"اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا" هو المقياس الذى حدده الإسلام، و هو "التقوى على أساس العمل للدارين لا تقوى المترهين المستغرقين فى التأمل و العباده. و قد استطاع الإسلام أن يحقق المثل الأعلى الذى صوره نظريا للشخصيه المسلمه. فتجلى فى كثير من صحابه رسول الله (ص) ذلك الطراز العامل لدنياه و آخرته، المتعاون فى سبيل خلق الحياه الصالحه لأفراد مجتمعه".

و قد استلهم الشريف الرضى نظرتة إلى الدنيا من القرآن الكريم: (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَ اخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالْتِدَّ عَنْ وَلَدِهِ، وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا. إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ).

فقال الرضى فى شعره

ما لى إلى الدنيا الغروره حاجهفليخز ساحر كيدها النفاث

طلقتها ألفا لأحسم داءها و طلاق من عزم الطلاق ثلاث

سكناتها محذوره و عهودها منقوضه و حبالها أنكاث

أم المصائب لا يزال يرو عنانها ذكور نواب و إناث

إنى لأعجب من رجال أمسكوا بجبال الدنيا و هن رثاث

كنزوا الكنوز و أغفلوا شهواتهم فالأرض تشيع و البطون غراث

أ تراهم لم يعلموا أن التقيأزوادنا و ديارنا الأجداث

أما ثالث العناصر المكونه للاغتراب الروحي للشريف الرضى فهو تفوقه العقلى، و تمتعه بمؤهلات و مزايا شخصيه كبيره تتناسب مع دوره الطليعى و رسالته الدينيه و الاجتماعيه.

و قد تجلت الجدارات العقليه و الأدبيه، و رهافه الشعور، و شجاعه الطبع فى الشريف الرضى منذ طفولته، فكانت غربه الذكاء النادر من سماته الأولى، فقد قال من أحسن الشعر و هو فى العاشره من عمره، و كانت غربه الاحساس الصقيل، الانفعالى المرهف قد بكرت معه منذ طفولته، فلا عجب أن زار الشيب شعر رأسه فى العشرين، و

"شيب الرأس من شيب الفؤاد"

فإذا ما جاز تشبيه الناس بالمعادن، فان الشريف الرضى كان من أكرمها و أغناها،

و فى حديث نبوى: "الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة، فخيرهم فى الجاهليه، خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا".

و قد توفرت فى الشريف الرضى صفات "ذهبيه" متكامله من ذكاء، و شجاعه، و كرم و سخاء و رهافه حس، و حب للناس، و قد شملته عاطفه غامره، كان وجود بها على الأصدقاء و الأقربين ففاض بها شعره مثلما فاضت بها نفسه.

و كما فى كل العصور فان الشخص المتفوق، المرهف، المبدع، يجد نفسه غريبا بين أوساط من الناس الذين تتجاذبهم الأطماع و الأهواء، الذين ينعمون مع كل ناعق، و لا يعرفون للحق سبيلا.

و يشهد التاريخ أن العوام الذين لم تشملهم الهدايه و عوامل التغيير الثقافى الإنسانى، هم الذين حاربوا و طاردوا الرسل و الأنبياء و الصالحين و ذوى الكرامات و المتقدمين المبرزين على طريق الفلاح.

و لم يكن الشريف الرضى فى غربته الروحيه أقل بلاء من الذين امتحنهم البلاء فما ازدادوا إلا صلابه و إيمانا.

و أول غربه فى طريق الاغتراب الروحي الطويل كانت غربه النفس، و التى قال فيها الشاعر الرضى:

النفس أدنى عدو أنت حاذره و القلب أعظم ما يبلى به الرجل

و كانت قصيده هذا البيت تدم الزمان، الذى لم تنقض فيه الحاجات فى حين كان الشباب يولى مسرعا:

ولى الشباب و هذا الشيب يطرده يفدى الطريده ذاك الطارد العجل

ما غازل الشيب في رأسى بمرتحل عنى و أعلم أنى عنه مرتحل
من لم يعظه بياض الشعر أدركه فى غره حتفه المقدور و الأجل
من أخطاته سهام الموت قيده طول السنين فلا لهو و لا جدل
و ضاق من نفسه ما كان متسعا حتى الرجاء و حتى العزم و الأمل
إن نفس الشريف الرضى المشدوده بالأيام الأولى التى لا عوده لها، لم تجد فى بقاء الحياه أى أمل:

و كيف نامل أن تبقى الحياه لنا و غير راجعه أيامنا الأول

و تبعاً لثقافته الشريف الرضى فان أفكاره عن " النفس " متصله اتصالاً وثيقاً بثقافته القرآنيه، أولاً، و بتجربته الشخصيه ثانياً.

و يعد

قول الرسول: " أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك " هى المؤشر الرئيسى الذى تلقفه الثقات، الذين وضعوا نصب أعينهم هدفاً كبيراً و هو تطهير النفس، و تحريرها من كل الموبقات و الشوائب و السلييات. فالتطهير هو الطريق إلى معرفه النفس، و أن الجهل بالنفس هو - فى واقعه - اتباع هواها و الانخداع برغباتها.

ص: ٢٥٢

أروم انتصافي من رجال أباعد و نفسى أعدى لى من الناس أجمعا

إذا لم تكن نفس الفتى من صديقه فلا يحدثن فى خله الدهر مطمعا

و لا ينخدع الشريف الرضى بما يصيب النفس من حالات صفاء مؤقتة، لأن نظراته كانت تترد إلى أغوار النفس البعيده، مدركا صلتها بالزمن و بالموت.

فعلى هاتين الصلتين انبت أفكاره عن النفس. و هو يختلف فى نظرتة إلى الزمن عن نظره (أبى العلاء المعرى)، فقد كان المعرى ذا نظره وجوديه، و عقليه، مشتركه، لا تلقى باللاتهام على الزمن، و إنما على البشر الذين حق على الزمان أن يشكوهم لو استطاع تكلمًا.

قال المعرى:

نبكى و نضحك و القضاء مسلط ما الدهر أضحكنا و لا أبكنا

نشكو الزمان و ما أتى بجنايه و لو استطاع تكلمًا لشكنا

و تنطلق نظرات المعرى الوجوديه و العقليه من إيمانه بقضاء الله الذى لا راد له، و بقدره، فهو يقول:

قضى الله فينا بالذى هو كائن فتم و ضاعت حكمه الحكماء

و هل يابق الإنسان من ملك ربه فيخرج من أرض له و سماء

و يقول:

رددت إلى مليك الحق أمرى فلم أسال متى يقع الكسوف

لكم سلم الجهول من المنايا و عوجل بالحمام الفيلسوف

أما الشريف الرضى فقد كان يرى فى الزمن خصما لدودًا..

لأنه الزمن الذى آل إلى فجيعة أهل البيت و شهد دماءهم المتناثره على أرض كرب و بلاء، و هو الزمن الذى شهد سجن و نفى أبيه، و مصادره أملاكه، و هو الزمن الذى يسوس فيه الأمور العلوج و السفهاء، فيما يتعرض فيه أهل الرئاسه الحقيقيه إلى المحن و المصائد.

و رغم أن الزمن مزدوج تاره، كما يقول:

كل شىء من الزمان طريف و الليالى مغانم و حتوف

إلا أن لعبه الزمن ثابتة:

عاده للزمان فى كل يوم يتناهى خل و تبكى طول

فالىالى عون عليك مع البين كما ساعد الذوا بل طول

و هو فى هذه اللعبة مغترب كبير مهدور الطموحات، كثير الشقاء، شديد التحسس بالماضى، بذهاب أقوام، و بحتميه ذهاب آخرين. و هو يرى الدهر وسط الاغتراب، فهو لم ينصره يوما ما، بل أحاطه بالخذلان، فقال:

فما لى طول الدهر أمشى كأنتى لفضلى فى هذا الزمان غريب

إذا قلت علقت كفى بصاحب تعود عواد بيننا و خطوط

و يقول:

يقولون نم فى هدنه الدهر آمنة فقلت و من لى أن يهادنى الدهر

هل الحرب إلا ما ترون نقيصه من العمر أو عدم من المال أو عسر

فلا صلح حتى لا يكون لواجد ثراء و لا يبقى على وافر وفر

و يستجيب الشاعر - أحيانا - إلى دعوه العقلاء الداعين إلى مسايه الدنيا، و لكنه يرى أن الدنيا، مهما دخل فى مداراتها، فإنها مخادعه، حتى فى زخرفها العلنى، و متاعها اللذيد، و هو يشد على عدم الانخداع بها ف:

هيهات يا دنيا و برقك صادق أرجو فكيف إذا و برقك كاذب

و مهما أوتى من قوه لارغام نفسه على مسالمة تصارييف الزمان، فان النجاحات لم تكن بمستوى المأمول، بل دون ذلك بكثير.

و كثيرا ما حمل شعره ردا على نفسه، و هو فى مونولوج الحوار الداخلى، و تذكير نفسه بضروره توفر الناصر و المعين، فيما لا يجنى من محاربه الزمان شيئا، لأنه فى تلك المحاربه يبقى قليل الناصر، فيقول:

سالم تصارييف الزمان فمن يرم حرب الزمان يعد قليل الناصر

كذلك حمل شعره ردودا على الذين قالوا له بضروره مماشاه الدهر، لخصها قوله:

يقولون ماش الدهر من حيث ما مشى فكيف بماش يستقيم و أطلع

و ما واثق بالدهر إلا كراقد على فضل ثوب الظل و الظل يسرع

وقالوا تعلق إنما العيش نومه يقض و يمضى طارق الهم أجمع

و لو كان نوما ساكنا لحمدته و لكنه نوم مروع مفزع

إن الوطيس الحامى بينه و بين الدهر، قد عززه سوء الحظ الذى حالفه، مثلما حالف ذوى الفضل الذين أذرت بهم الدنيا. و لم يستطع الشاعر أن يتوقف عن مهاجمه سوء الحظ و نكد الدنيا، محملا الدنيا، نفسها - مسئوليه سوء الحظ الذى انتظمه الزمان له و لأسرته خرز، خرز، حتى صار تراثا ماساويا ضخما، قال الشاعر:

و من عجب صدود الحظ عنا إلى المتعممين على الخزايا

أسف بمن يطير إلى المعالى و طار بمن يسف إلى الدنيايا

و يرن سوء الحظ فى شعر الشاعر كثيرا ف:

ما الذنب للمزن جازتنى مواطره و إنما الذنب للأرزاق و القسم

لكنه يخلص - دوما - إلى النتيجة المعلومه، إلى عهر الدنيا و ابتدالها، و انعدام العدالة فيها:

و خلائق الدنيا خلائق مومس للمنع آونه و للاعطاء

طورا تبادلك الصفاء و تاره تلقاك تنكرها من البغضاء

و تداول الأيام يبلينا كما يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء

و ترتبط أفكار الشريف الرضى عن (الزمن) و ما ساويته ارتباطا قويا بافكاره عن (الموت).

غنى الحياه، شخصوا الحياه كحقيقه، لكنهم بالعقل و الاحساس شخصوا الموت كحقيقه الحقائق.

و قد استخلص الأنبياء من الموت تصورات عظيمه عن الحياه و البعث، و أعطوا لوائح خالده فى الوعظ و التريه و رسم صور مثاليه للسلوك الإنسانى، للفرد و الجماعه.

و لم يهرب الشعراء من حقيقه الحقائق: الموت، بل واجهوه بمستويات مختلفه من النظر و الرؤيه.

على أن حكمه الموت الأساسيه هى: ما دام الموت حتما محتوما، و قدرا ثابتا، إذن على المرء أن يكون حقيقيا مع نفسه و مع سواه. و عليه أن يحسم تناقضه الداخلى باتجاه التحرر من أى نفاق فكرى و سياسى و اجتماعى، لأنه لا يعلم متى يحين أجله.

فالموت يدعو إلى التتابع مع النفس، و يدعو إلى الشجاعه أمام ما هو دون الموت. بمعنى آخر أن الموت هذا السيد المطاع الذى لا يدع مجالاً لأى إنسان للركوع أمام سلطان آخر دونه.

و قد أمد الموت الشعراء بأصناف رفيعه من الحكمه، لأنهم و هم يفتحون عيونهم عليه كانوا يرون التفاهات الدنيويه الصغيره، و يقفون عندها باستهانته مثلما وقف الخليفه بأصحابه يوما على مزبله.. فأطال الوقوف حتى أضجرهم فقالوا: ما لك حبستنا هنا فقال: هذه دنياكم التى تتنافسون عليها.

و إن كل الممارسات و الأساليب التى يلجا إليها الإنسان فى تهالكه على السلطه و المال و المطامع الدنيويه، من قتل، و غدر، و نفاق، و وشايه، و تشويه، و إذلال، و كذب، تبدو إزاء حقيقه الموت الحاتمه مجرد نذالات صغيره، تدمغ صاحبها بالتفاهه و الخسران المبين.

و لقد رأى الشاعر العربى القديم حكمه الموت فى بطلان النعيم الباطل لأنه زائل لا محاله، و ليس البقاء إلا لوجه الله تعالى.

فقال لبيد بن ربيعه فى البقاء الالهى:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل و كل نعيم لا محاله زائل

و الموت - أصلا - يدفع الإنسان إلى تعزيز اتجاهاته الأصيله، و سماته الحقيقه، فى التمسك بالحق، فقال زهير بن أبى سلمى:

بدا لى أن الله حق فزادنى إلى الحق تقوى الله ما قد بدا ليا

و مثلما رأى الشعراء بقاء الله و أزليته، فقد رأوا أيضا بقاء البلاد بجمالها و وديانها و أنهارها، بأرضها و بسمائها، فادخلوا الحس الوطنى فى شعرهم، من خلال حكمه الموت و دلالاته فى الفناء و البقاء.

و فى ذلك قال زهير بن أبى سلمى:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا و لا خالدا إلا الجبال الرواسيا

و ألا السماء و البلاد و ربنا و أيامنا معدوده و الليالي

و أضاف الشعراء إلى البقاء الإلهي الأزلي، و بقاء البلاد، و قيمه العمل الصالح منطلقا نظريا و دليل عمل و سلوك لدى الشعراء المؤمنين بوجود الله تعالى.

و أغنت الثقافة الإسلامية تصورات الشعراء، و خاصه في مجال الأفكار الأساسية التي شرحت البعث و الحساب، و البدء و المعاد. فتطورات تصورات الشعر العربي القديم بعد نشوء الإسلام، و أصبحت الآيات القرآنيه ملهما أساسيا في التأكيد على الدلالات الروحيه و الأخلاقيه في البعث و النشور و أصبحت للعمل الصالح أهميه استثنائية مرموقه في تحديد هويه المسلم المؤمن.

و من الآيات البينات التي تذكر الإنسان بالمعاد:

(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعِدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ).

(إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ).

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ).

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ).

(إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ).

و أصبحت هدايه الشعراء متمثله بمعرفه حكمه الموت، فيقول أبو نواس:

الموت ضيف فاستعد له قبل النزول بأفضل العدد

و اعمل لدار أنت جاعلها دار المقامه آخر الأمد

يا نفس موردك الصراط غدا فتاهبي من قبل أن تردى

و قال:

إن للموت لسهما واقعا دونك أو بك

فعلى الله توكل و بتقواه تمسك

و حيث إن الشريف الرضى عالم ضليع في الديانه الإسلاميه و الروحانيات، جمع العلم الوهبي بالعلم الكسبي، فقد كانت له من المفاهيم الإسلاميه عده كبيره لتقويم شعره بأفكار ثريه بالحكمه و المعرفه و الموعظه و السداد. و كانت للشاعر المتنبى تأثيراته

الواضحه فى بدايه التجربه الشعريه للشريف الرضى، سواء أ كان ذلك فى أغراض الشعر، أو فى تركيبه.

و قد كان للمتنبى مع الموت حوار ناب، صارخ، غنى بالتصورات و المفاهيم الراسخه.

و كان وصف المتنبى للموت مزيجا من الذكاء و الطرافه فى التشبيه. فهو يقول:

و ما الموت إلا سارق دق شخصه يصول بلا كف و يسعى بلا رجل

و يشير المتنبى إلى أن الموت معروف الطباع بالصفات، لا بالتجربه الشخصيه، لأن ليس هناك من آب بعد موت، حتى يشرح ما لاقى و ما رأى، فيقول:

ص: ٢٥٤

و تقترن حتميه الموت لدى المتنبي بالشجاعه و ضروره الموقف الحازم الحاسم، فهو يقول:

نحن بنو الموتى فما بالننا نعا ف ما لا بد من شربه

تبخل أيدينا باروا حنا على زمان هى من كسبه

يموت راعى الضأن فى جهله ميته جالينوس فى طبه

فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

و يقول أيضا:

و إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

أما الشريف الرضى فقد أودع فكره الموت و حكمته فى العديد من قصائده منطلقا من عذاب الروح الذى ساقه فى دروب الاغتراب الطويل، فاغتراب الروح هو الاغتراب الأكبر، الذى كان الشاعر ينظر - من داخله - إلى وضعه الشخصى، و حياته، و مماته.

فلقد رأى فى سجن الروح فى جسده السجن الذى تتضاءل دونه العذابات الأخرى. فقال الشريف الرضى:

كل حبس يهون عند الليالى بعد حبس الأرواح فى الأجساد

و هو بيت شعر من قصيده جاء فيها:

كل حى يغالط العيش بالدهر و كل تعدو عليه العوادى

لو رجعنا إلى العقول يقينا لرأينا الممات فى الميلاد

كيف لا يطلب الحمام عليل حكم الدهر فيه رأى المعاد

و يسمو الرضى فى ذكر الموت، و فى وعظ الناس، و التذكر بالقيم الإنسانيه المجيده (الحرية، و الشجاعه، و رفض الذل، إلخ)، و يأخذ الرثاء عنده مهمه توجيه العزاء بواسطه الحكمة.

فقال يرثى بنت صديق له:

عجزنا عن مراغمه الحمام و داء الموت مغرى بالأنام

و ما جزع الجزوع و إن تناهى بمنتصف من الداء العقام

و أين نحور عن طرق المنايا و فى أيدي الردى طرف الزمام

هى الأيام تأكل كل حى و تعصف بالكرام و باللثام

و كل مفارق للعيش يلقي كمالقى الرضيع من الفطام

و كم ليد النوائب من صريع بداء السيف أو داء السقام

و ما يغتر بالدنيا لبيب يفتر من الحياه إلى الحمام

تنافر ثم ترجع بعد وهن رجوع القوس ترمح بالسهام

خطوب لا أجم لها جوادى و عزم لا أحط له لثامى

رأيت الموت يبلغ كل نفس على بعد المسافه و المرام

سواء إن شددت له حزيمى زماعا أو حلت له حزامى

عزاءك ما استطعت فكل حزن يؤول به الغلو إلى الآثام

و عمر المرء ينقص كل يوم و لا عمر يقر على التمام

و تختلف فلسفه الشريف الرضى فى الموت، عن فلسفه أبى العلاء المعرى، و ذلك فى قضيه رئيسيه و هى أن الشريف الرضى صاحب رساله، و كانت رساله لا تمثل طموحه فقط، بل و تمثل طموح نسبه كبيره من الموالين و الأشياع. كان قائدا له أتباع أوفياء رغم قتلهم.

و من موقعه ذاك، كانت رؤيته للموت مليئه بالأفكار الايجابيه التى كانت تعبر أفضل تعبير عن (الموقف) فى حياه الشريف الرضى.

فى حين كانت رؤيه أبى العلاء المعرى للموت تشاؤميه، بالغه التشاؤم، كما نرى فى هذه المقتطفات من شعره:

أنا صائم طول الحياه و إنما فطرى الحمام و يوم ذاك أعيد

و:

نصحتك فاعمل له دائما و إن جاء موت فقل مرحبا

و:

ما أوسع الموت يستريح به الجسم المعنى و يخفت اللجب

و:

يدل على فضل الممات و كونه إراحه جسم أن مسلكه صعب

و:

إذا غدوت ببطن الأرض مضطجعا فثم أفقد أوصابي و أمراضى

و:

الموت جنس ما تميز واحد كتل الجسوم إلى التراب تنسب

و ترتفع نزعته التشاؤم بقوله:

يحطمننا ريب الزمان كأننا زجاج و لكن لا يعاد له سبك

و إذا كانت القضية التي رفع لواءها الشريف و هي (قضية سياسيه و إيديولوجيه و أخلاقيه)، هي التي عصمتها من الوقوع في تشاؤميه مفرطه، فإنها لم تفلح - من جانب آخر - في إخفاء الحزن العتيد، حزن الشريف.

و تشهد بكائيات و رثائيات الشريف الرضى على مدى تغلغل الحزن في أعماقه، و كذلك مدى تجاوبه مع الحزاني و المنكوبين.

و يذكر د. زكى مبارك " أن الرضى كان يجد من نوائبه الوجدانيه ينابيع للحزن لا تنضب و لا تغيض " و عن بكائه يقول: " و ما كان الشريف يبكى أحبابه مره واحده ثم يلوذ بالصمت. لا، و إنما كان يصل أحبابه بالذكرى و الحنين فلا يفقد منهم غير الوجود الملموس. فطريق الحج على طوله في تلك العهود كان يمثل للشريف دائما أمما كثيره من عوالم الأحياء و الأموات. و لعل ظهور الخيل لم تعرف فتى أقوى شاعريه من ذلك الفتى البكاء. و الفرح و الترح يفيضان من ينبوع واحد لو تعلمون".

من ناحيه سيكولوجيه إن البكائين الاصلاء هم - غالبا - من الذين تجمعت في نفوسهم شمائل جمه هي شده الحب، و شده الصدق، و قوه رهافه الاحساس.

و من المظاهر السلبيه للثقافات الشائعه في عصور الاستبداد و التحجر، أنها صورت البكاء تعبيرا عن الضعف البشرى، و الحال أنه تعبیر عن عاطفه بشريه حقيقه لا يستطيع كبتها إلا أكثر الناس قساوه و تجبرا.

و كان الشريف الرضى الإنسان، و الرائد المصلح، شديد العبره، قوى التعاطف مع المشكولين. و هو فى ذلك يشبه آباءه الأولين الذين كانوا يكون الليل من خشيه الله حتى ذبلت عيونهم.

و يقول د. زكى مبارك: " و من عجائب ما وقفت عليه أن الناس كانوا يسألون الشريف أن يبكى موتاهم فيجيب: و الشجى يبعث الشجى، و الدنيا عند الحزين كلها " قبر مالک " أليس من العجيب أن يسأل الشريف بكاء ميت لا يعنيه فيقول:

ألا مخبر فيما يقول جليه يزيل بها الشك المريب يقين

اسائله عن غائب كيف حاله و من نزل الغبراء كيف يكون

و ما كنت أخشى من زمانى أننى أرق على ضرائه و ألين

إلى أن رمانى بالتى لا شوى لها فاعقب من بعد الرنين أنين

و إن أحق المجهشين بعبره و وجد قرين بان عنه قرين

و ما تنفع المرء الشمال وحيدته إذا فارقتها بالمنون يمين

تجرم عام لم أنل منك نظره و حان و لم يقدر لقاؤك حين

أمر بقبر قد طواك جديده فأبلس حتى ما أكاد أبين

و تنفض بالوجد الأليم أضالع و ترفض بالدمع الغزير شئون

و معاذ الأدب أن يكون الشريف فى هذه القصيده كالنائحه المستأجره، و هل كانت النائحه المستأجره تعنى حقا من دعيت للبكاء عليه؟ إنها تبكى ودائعها فى التراب فهى نائحه ثكلى مفطوره الفؤاد".

و يضيف: " فالشريف يجسم معانى الأخوه و هو يبكى أصدقاءه المجهولين و هو أيضا يشرح للناس مذاهب الوفاء".

و من شواهد شعره فى بكاء المغمورين ما قاله:

ما لى أودع كل يوم ظاعنا لو كنت آمل للوداع لقاء

و أروح أذكر ما أكون لعهدته فكاننى استودعته الأحشاء

فرغت يدي منه و قد رجعت به أيدي النوائب و الخطوب ملاء

أحبابى الأذنين كم ألقى بكم داء يمض فلا أداوى الداء

أحيا إخوانكم الممات و غيركم جربتكم فثكلتكم أحياءا

إلا يكن جسدى أصيب فاننى فرقته فدفنته أعضاء

و قال فى قصيده ثانيه:

أقول و قد قالوا مضى لسبيله مضى غير رعديد الجنان و لا نكس

كان حداد الليل زاد سواده عليك ورد الضوء من مطلع الشمس

أرى كل رزء دون رزئك قدره فليس يلاقينى ليومك ما ينسى

و قال من قصيده ثالثه و هى فى رجل كانت له شخصيه، و لا نعرف السبب فى طى اسمه عن الناس:

ما بعد يومك ما يسلو به السالى و مثل يومك لم يخطر على بالى

و كيف يسلو فؤاد هاض جانبه قوارع من جوى هم و بلبال

يا قلب صبيرا فان الصبر منزله بعد الغلو إليها يرجع الغالى

نقص الجديدين من عمرى يزيد على ما ينقصان على الأيام من حالى

مضى الذى كنت فى الأيام آمله من الرجال فيا بعدا لآمالى

قد كان شغلى من الدنيا فمذ فرغت منه يدى زاد طول الوجد أشغالى

تركته لذبول الريح مدرجه و رحت أسحب عنه فضل أذبالى

ما بالى اليوم لم ألحق به كمدا أو أنزع الصبر و السلوان من بالى

و يربط د. زكى مبارك الطبيعه البكائيه للشريف الرضى بظاهره هى من غرائب الوفاء عند الشريف و هى بكاء النساء قائلا: "و

هناك جانب من غرائب الوفاء عند الشريف هو بكاء النساء، و هذا أغرب الجوانب، و هو يحتاج إلى تأمل و درس، و لا نعرف

بالضبط كيف نشأ الاحساس عند الشريف، فقد كان المؤلف فى التقاليد العربيه أن لا يبكى من النساء غير المعشوقات، و بكاء

الأمهات و الحلائل باب من النبل، و لكنه فى شعر العرب قليل، فقد لا يساوى واحدا من خمسين إذا أحصينا ما قيل فى الرثاء،

فكيف اتفق للشريف الرضى أن يكثر من تعزیه الناس فى أمهاتهم، و بناتهم، و أخواتهم؟. إن هذه الظاهره ليس لها عندى غير

تعليل واحد، هو أن الشريف الرضى كان (ابن أمه) كما يعبر المصريون حين يداعبون من يغضبون لامهاتهم من الأطفال.

و نحن نعرف أن أيام البؤس فى حياه الشريف مضت و هو فى رعايه أمه الرءوم التى باعت أملاكها و حليها لتقيه و تقى أخاه ذل

و الأم الرؤوم لم تجد من يؤرخ فضلها فى اللغة العربيه. و يندر بين كتاب العرب من يقول حدثنى امى و أنباتنى اختى و أخبرتنى حليلتى، و إن كان فى شعرائهم من يقبل النعال فى أقدام الملاح.

و ما أريد أن أطيل القول فيما أثر عن العرب و الهنود من بغض البنات، فذلك معروف، و انما أريد أن أقف عند هذه النزعه النبيله من نزعات الشريف، و أنا أجزم بأنه كان يرى المرأه فى صوره أمه تلك الأم التى وقته مكاره الحياه فى السنين العجاف يوم أودع أبوه غياهب الاعتقال.

و ما يهم من ذكر استطراد د. زكى مبارك، هنا، هو أن بكائيه الشريف الرضى كانت تسع الأصدقاء المعروفين و المجهولين، و الأحبه المفقودين، و الناس المحزونين، لأنه فى ذلك كان يجسد طبيعته البكاء، و ما لم يعطه د.

زكى حقه فى تحليل الظاهره البكائيه للرضى مغزى العلاقه بين الزهد و البكاء، و فيض تلك العلاقه على جوانب الحزن و التأسى و التفجع لكل محزون أو مفجوع.

و يمتد جذر العلاقه بين الزهد و البكاء فى حياه الشريف الرضى إلى آباءه الزهاد المعروفين بكثره البكاء، و بخاصه زين العابدين بن الحسين، الباقر بن زين العابدين و سواهما.

و قد أورد لنا أبو نعيم نصاب بين فيه جوهر زهد على بن الحسين (زين العابدين)،

و ذلك أنه سئل عن كثره بكائه فقال: " لا تلومونى فان يعقوب فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه و لم يعلم أنه مات. و قد نظرت إلى أربعه عشر رجلا من أهل بيتى يقتلون فى غزاه واحده. أفترون حزنهم يذهب من قلبى ".

بل إن محمدا الباقر (ع) يقسم البكاء كما قسم المعرفة (وقد حفل أبوه كذلك من قبل)

فقال: "فإن سألت على الخدين لم يرهق وجهه قطر ولا ذله، وما من شيء إلا له جزاء إلا الدمعه، فإن الله يكفر بها بحور الخطايا، ولو أن باكيا بكى في أمه لحرم الله تلك الأمه على النار".

وقد ربط محمد الباقر (ع) البكاء بالذكر صراحه

فقال:

"الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكِر".

أى أن البكاء هو علامه متميزه من علامات الزهد، وهو يصفى القلوب، و يطهر النفس من الذنوب، وهو فى إطلاق عنانه فى المناسبات الإنسانيه، الفجائعيه فيض رحمه.

وهكذا كان الشريف الرضى تفيض نفسه عطا و رقه و حنانا فى كل مشهد انساني ماساوى، و فى كل ذكرى مؤلمه. لقد سمت نفسه بالتفجع، و تحررت من الغلظه و القساوه، فأصبحت تطير و تحط عند كل ذكرى، و قرب كل طلل.

و لم تكن روحه المتفجعه، لتستغرق فى الانفعال الحزين المجرد، و الذى قد يصيب البسطاء الطيبين من الناس، رقيقى الاحساس، بل كانت تغتذى من الحس التاريخى، لأن كل ظاهره مرثيه تحت بصر الشريف الرضى كانت تثير فيه الذكريات، و الحدثان، و ما جرى للناس، و للحواضر، و للأمكنه، من تغيير.

لقد انتبه بعمق إلى حركة الزمن فى جدليه البقاء و الزوال، مكتنها تلك الجدليه من أعمق أعماقها، و من أول نقطه فيها، فعظمت نفسه، و تغربت، لأن الأمكنه ما بين نشوء و زوال، لم تكن قادره على أن تستوعب جسمه الذى حمل روحا تطير - دوما - نحو العلى و الأعلى، لكنها تسكب الدموع عطا و رحمه، حتى محيت العيون من البكاء، كما قال:

محا بعدكم تلك العيون بكاؤها و غال بكم تلك الأضالع غولها

فمن ناظر لم تبق إلا دموعه و من مهجه لم يبق إلا غليلها

دعوا لى قلبا بالغرام أذيبه عليكم و عينا فى الطلول أجيلها

الاغتراب السياسى:

وسط الأحداث المروعه عاش الشريف الرضى، و شهد النزاع الدامى الطويل و امتلأت نفسه بالصور المرعبه، فمن خليفه يخلع و يسمل، إلى أمير يحتز رأسه، و من والد تصادر أملاكه و يسجن، إلى صديق ينكب.

فما هى ردود فعل الشريف الرضى، و هو ما عليه من حسب و نسب؟.

فالشريف الرضى المولود فى جانب الكرخ من بغداد، و الذى ينتمى إلى أسره عريقه فى الحسب و النسب، و فى المجد. كان يرقب السلطه، و هو يحمل على هامه مجدا عتيدا راسخا. كما أنه كان يرقب البلبه بعين انتمائه العربى الأصيل.

إنما بسبب مجده التاريخى، و عروبه نشا اغترابه السياسى، و هو اغتراب الثورى الذى سئم الزمان المخادع، و أحابيله و غرائبه، محتفظا بروح التحدى و المقارعه، على ما هو عليه من قلق، و قد أبان عن ذلك مبكرا فى قوله:

سئمت زمانا تنتحينى صروفه و ثوب الأفاعى أو ديب العقارب

مقام الفتى عجز على ما يضيّمه و ذل الجرىء القلب إحدى العجائب

سأركبها بزلاء إما لمادح يعدد أفعالى و إما لنادب

إذا قل عزم المرء قل انتصاره و أقلع عنه الضيم دامى المخالب

و ما بلغ المرمى البعيد سوى امرئ يروح و يغدو عرضه للجواذب

و ما جر ذلا مثل نفس جزوعه و لا عاق عزما مثل خوف العواقب

ألا ليت شعرى هل تسالمنى النوى و تخبو همومى من قراع المصائب

إلى كم أذود العين أن يستفزها و مبيض الأمانى و الظنون الكواذب

حسدت على أنى قنعت فكيف بى إذا ما رمى عزمى مجال الكواكب

و ما زال للإنسان حاسد نعمه على ظاهر منها قليل رغائب

و أبتقت لى الأيام حزما و فظنه و وقرن جاشى بالأموال الغرائب

توزع لحمى فى عواجم جمه و بان على جنبى و سم التجارب

إن تطلع الشريف الرضى إلى مجال الكواكب يعبر عن آماله الكبرى، التى لم تكن مجرد كشف حال بسموه و عزه، بل كانت تطلعا سياسيا خدمه بكل طاقاته الروحيه و الشعريه، و بكل مزاياه السياسيه و الاجتماعيه.

فى البدء ثمه حقيقه شاخصه فى شعر الرضى و هى اعتزازه بعلو مكانته و شرفه، و ما المصائب و الهموم التى حلت به إلا الثمن الذى لا بد للشرف [للشريف] من تقديمه، و قال فى أبدع تعبير:

و ضيوف الهموم مذ كن لا ينزلن إلا على العظيم الشريف

و لم تكن افتخارات الشريف الرضى معزوله على الأخلاقيات الاجتماعيه، بمعنى أنه لم يتناول افتخاره على نحو شخصى فقط، بل هو يقرنه دوما بالقضيه السياسيه و الأخلاقيه التي استحوذت على ذهنه و نفسه استحوذا تاما.

فهو إذ يعتز بكرامته و كبريائه و حرите و عزته، يعلم الآخريين - أيضا - الاعتزاز بالكرامه، و رفض الذل. و تأخذ أشعاره فى ميدان مكافحه الذل و عاره مكانه الحكم و المآثورات الغاليه.

فهو يقول:

و موت الفتى خير له من حياته إذا جاور الأيام و هو ذليل

و كذلك يقول:

و كل فتى لا يطلب المجد أعزل و كل عزيز لا يوجد ذليل

و:

لا تخلدن إلى أرض تهون بها بالدار دار و بالجيران جيران

و:

ص: ٢٥٧

ما مقامى على الجداول أرجوها لنيل و قد رأيت البحارا

و كان يشدد على نفسه الحساب، عند ما يتذكر علو رسالته، و قداسه هدفه. و إذا ما كانت للشريف الرضى فى الشعر صبوات هائله لكونه شاعرا عظيما، فان مطالب رسالته السياسيه كانت أهم لديه من الشعر، بل إنه أخبر عن أنه قال الشعر ذريعه إلى أمل كبير، ما إن يتحقق حتى يهجر الشعر:

و ما قولى الأشعار إلا ذريعه إلى أمل قد آن قود جنبيه

و إنى إذا ما بلغ الله غايه ضمنت له هجر القريض و حوبه

و إن يستصغر أحيانا حرفه الشعر، بسبب قداسه رسالته، و طموحه الدينى و السياسى الكبير فيقول:

و ما الشعر فخرى و لكنما أطول به همه الفاخر

أنزهه عن لقاء الرجال و أجعله تحفه الزائر

فما يتهدى إليه الملوك إلا من المثل السائر

و إنى و إن كنت من أهله لتنكرنى حرفه الشاعر

و كذلك قال:

ما لك ترضى أن يقال شاعر بعدا لها من عدد الفضائل

كفاك ما أورك من أغصانه و طال من أعلامه الأطاول

فكم تكون ناظما و قائلا و أنت غب القول غير فاعل

و لم يعلن - فقط - اعتذاره عن حرفه الشعر و استعداده لهجر نظم القصائد، و هو شاعر الحب و الهوى لأن شعاره هو:

من يعشق العز لا يرنو لغانيه فى رونق الصفو ما يغنى عن الكدر

و هو فى انتمائه لقضيته الكبرى، كان يشدد على حاجته إلى الحزم، و الحزم يستبعد الهوى:

أضعت الهوى حفظا لحزمى و إنما يصاب الهوى فى قلب من ضاع حزمه

ترى، أيه قضيه تلك التى تتمحور حولها أفكار و أشعار الشريف الرضى، و التى يدور حولها مسار حياته؟ أيه قضيه تلك التى يعلن أن الشعر و الحب دونها بكثير، و أنه مستعد للإضراب عن الشعر و الحب من أجل تحقيقها؟.

هل هي المنصب الذى يتولى من خلاله تاديه مسئوليه معينه، فى زمن البويهيين الذين استمالوا عددا من الشعراء و الكتاب و استوزروهم أو قلدوهم بعض المناصب العاليه؟.

فى الواقع كان للشريف الرضى منصبه المرموق فقد شغل منصب نقابه الطالبين، و نظر فى المظالم، و حج بالناس مرارا، و أنه تسلم هذه الأعمال فى أوقات مختلفه نائبا عن والده أبى أحمد الموسوى أو مستقلا بالمنصب.

أما إماره الحج فكانت هى الأخرى من المناصب التى تدل على نفوذ الشريف الرضى و قوه شخصيته، فقد كانت تحتاج إلى رجل يفرض زعامته و هيئته و احترامه على جمهور المسلمين، و يستطيع حمايتهم فى صحراء واسعه يتعدون فيها عن مركز السلطه، و يتعرضون لمخاطر الغزو و السلب، و قد حج الشريف بالناس مرارا، و خالط البدو، و عاش حياه الصحراء، و عانى متاعبها و مخاطرها، فأثرت فى نفسه، و حمل منها ذكريات.

ففى سنه (٣٨٩هـ) حج الشريف بركب العراق مع أخيه المرتضى و اعتقلهما ابن الجراح فاقتديا نفسيهما بتسعه آلاف دينار.

و فى سنه (٣٩٦هـ) تولى نقابه الطالبين بالعراق، و ذكر البعض أنه تقلد النقابه و إماره الحج، و لكن فى السنه التى تلت.

أما فى سنه (٤٠٣هـ) فقد قلد الشريف نقابه الطالبين فى سائر الممالك، و قرئ تقليده فى دار الوزير فخر الملك، و خلع عليه السواد، و قيل إنه أول طالبى يخلع عليه السواد.

و لم يكن الشريف الرضى يرى فى (النقابه) هدفه النهائى، غير أنه كان يراها حقا موروثا، فقال:

قل للعدا موتوا بغيطكم فان الغيظ مردى

و دعوا على أحرزتها يا وادعين بطول جهد

كم بين أيديكم و بين النجم من قرب و بعد

ولى النقابه خال أمى قبل ثم أبى و جدى

وليتها طفلا فهل مجد يعدد مثل مجدى

و أظن نفسى سوف تحملنى على الأمر الأشد

حتى أرى متملكا شرق العلى و الغرب وحدى

و فى قصيده أخرى يرد فيها على قلق بعض أعدائه من تقلده النقابه، أفصح فيها عن هدفه الأكبر فقال:

قلق العدو و قد حظيت برتبه تعلقو عن النظراء و الأمثال

لو كنت أقنع بالنقابه وحدها لغضضت حين بلغتها آمالي

(لكن لي نفسا) تتوق إلى التي ما بعد أعلاها مقام عال

إن الشاعر الهادر الذي ينطوى صدره على شرف رفيع و كرامه عظيمه، كان يعرف مقامه جيدا، و كان يسير في الزمن و كأنه يخفى مقامه الحقيقي عنه، لأنه متوجه نحو غايته الكبرى، و رسالته التي لا يستطيع نسيانها.

فقال:

تعرفني بأنفسها الليالي و آنف أن أعرفها مكاني

لكن مكانه ليس في منصب، أو وظيفه، بل في العلى الذي لم يكن بالنسبه إليه ترجمه عاديه للتباهي، بل كان العلى بمعنى قياده السلطه، فقد كان الرضى يرى نفسه جديرا بالخلافه.

و في غالبه شعر الشريف يبدو ذلك الاحساس الغامر الذي يستولى عليه، و هو الاحساس بأنه منذور للسلطه، و مهيا لدور قيادى عظيم، لا بد أن ياتى حينه.

و منذ حدثته عبر عن ذلك، لا بالتلميح، بل بالجهر المدوى:

ص: ٢٥٨

أحصل من عزمى على التمنى و ليتنى أفعّل أو لو أنى
راض بما يضوى الفتى و يضنى أسس آبائى و سوف أبنى
قد عز أصلى و يعز غصنى غنيت بالوجود و لم أستغن
إن الغنى مجلبه للضن و للعود و الرضا بالوهن
الفقر ينثى و التراء يدنى و الحرص يشقى و القنوع يغنى
إن كنت غير قارح فانى أبذ جرى القارح المسن
تشهد لى أن الزمان قرنى سوف ترى غبارها كالدجن
و يواصل:

من قبل أن يغلق يوما رهنى متى ترانى و الجواد خدنى
و النصل عينى و السنان أذنى و أمى الدرع و لم تلدنى

و كان و هو يرنو إلى المعالى، يعلم جيدا و عوره الطريق و كثره الأعداء و قله الناصرين، لكنه هتف فى داخله الهاتف فأصغى
إليه، فقال و هو فى السادسة عشره:

أ من شوق تعانقنى الأمانى و عن ود يخادعنى زمانى
و ما أهوى مصافحه العوانى إذا اشتغلت بنانى بالعنان
عدمت الدهر كيف يصون وجهها يعرض للضراب و للطعان
و يقول:

نشرت على الزمان و شاح عز ترنح دونه المقل الروانى
ساطع من ثنايا الدهر عزما يسيل بهمه الحرب العوان
و لا أنسى المسير إلى المعالى و لو نسيته أخفاف الحوانى
و كنا لا يروعنا زمان بما يعدى البعاد على التدانى

و ليس هناك اغتراب سياسى، مثل اغتراب الشريف الرضى فى نضاله من أجل تحقيق غايته و تنفيذ رسالته، فقد كانت بمواجهته ظروف قاسيه، و شروط سياسيه أقسى.

و تطلب هدفه السامى منه إبداء المرونه فى علاقاته مع الخلفاء و الملووك و الوزراء، بالقدر الذى رآه مجديا لتمشيه أمور المسلمين، و تحقيق غايات محدده، ترتبط بغايته الكبرى التى أنشد لها و دعا إليها بلا توقف.

لكن مرونته تلك سرعان ما تتحول إلى غضب عات، عند حصول أى استفزاز صغير أو تعريض به، أو بواحد من أهله، أو عند حصول أى إهمال أو تجاوز أو تطاول عليه من أى سلطان كان.

و عند ما يغضب، يدع المرونه جانبا، و يعلو صوت حماسته و هو يذكر أصله و معدنه الكريمين، فينتفض كملك، أو كخليفه، و يكتسب التحدى فى شعره طعم التقرع، تقرع الخليفه الذى يخاطبه، دون ما خشيه منه.

و فى تلك الفرص النادره التى يغضبه الخليفه تبرز روح الشريف الرضى، الغنيه بكل معانى السيادة العربيه، و الحق، و الكبرياء التى لا تنحنى أمام السلطان مهما كانت قوه سطوته و شده بطشه.

و رغم أن الخليفه الطائع لله كانت بينه و بين الرضى موده، إلا أن إثارته له عند ما قرب بعض أعدائه إليه، جعلته يزمجر غيظا فى قصيده، مطلعها:

و نمى إلى من العجائب أنه لعبت بعقلك حيله الخوان

و تملككتك خديعه من قوله غراره الأقسام و الأيمان

حقا سمعت و رب عيني ناظر يقظ تقوم مقامها الأذنان

أين الذى أضمرته من بغضه و عقدته بالسر و الإعلان

أم أين ذاك رأى فى إبعاده حنقا و أين حميه الغضبان

سبحان خالق كل شىء معجب ما فيكم من كثره الألوان

يوم لذا و غد لذاك و هذه شيم مقطعه قوى الأقران

فالآن منك الياس ينقع غلتى و الياس يقطع غله الظمان

ثم يبلغ فى نقده الذروه فيصيح:

لى مثل ملكك لو أطعت تقنعى و ذوو العمائم من ذوى التيجان

و لعل حالى أن يصير إلى على فالدوح منبتها من القضبان

فاحذر عواقب ما جنيت فربما رمت الجنايه عرض قلب الجانى

أعطيتك الرأى الصريح و غيره تنساب رغوته بغير بيان

و عرضت نصحى و القبول إجازة فإذا أبيت لويت عنك عنانى

و لقد يطول عليك أن أصغى إلى ذكراك أو يثنى عليك لسانى

و يعد افتخاره بنفسه و هو يمدح الخليفه القادر بالله خير بيان عن اغترابه السياسى من موقع المجد، فقد ختم قصيدته التى كان مطلعها:

لمن الحدوج تهزهن الأينق و الركب يطفو فى السراب و يغرق

بثلاثه أبيات تلخص عظمه نفس الشاعر الرضى و شاعريته المجيده، و هى:

عطفًا أمير المؤمنين فاننا فى دوحه العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدا كالانا فى المعالى معرق

إلا الخلافه ميزتك فاننى أنا عاطل منها و أنت مطوق

و توضح العلاقة بين الشاعر الشريف الرضى و أبى إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى الكاتب و الشاعر عن مدى تمكن هدف الخلافه من نفس الشاعر الرضى، و من نفوس المريدين و الموالىن و الأنصار.

فالخلافه لم تكن مجرد رغبه، أو نزوه، أو حلم عابر لشاعر ذى صبوات و رغبات و آمال، بل كانت دعوه علنيه و سريه، شغلت اهتمام الشاعر طوال حياته، و شغلت العديد من الأتباع و المؤيدين.

و كان تأييد أبى إسحاق الصابى، لخلافه الشريف الرضى، رغم التباين فى الديانه، دليلا على رسوخ حق الشريف الرضى فى الخلافه و اقتناع بعض الناس بهذا الحق، لا سيما المرموقين منهم.

و لم يكن إعجاب الشريف الرضى بأبى إسحاق الصابى، ناجما عن تجاوب عاطفى لدعوه الصابى إلى حقه فى الخلافه، بل هو إعجاب متصل بروح الدعوه، و بمراحل انطلاقتها، و تطورها، و استمرارها، و تغلغلها فى نفوس الأنصار.

أبا حسن لى فى الرجال فراسه تعودت منها أن تقول فتصدقا
و قد خبرتتى عنك أنك ماجد سترقى من العلياء أبعد مرتقى
فوفيتك التعظيم قبل أوانه و قلت أطال الله للسيد البقاء
و أضمرت منه لفظ لم أبح بها إلى أن أرى إطلاقها لى مطلقا
فان عشت أو إن مت فاذكر بشارتى و أوجب بها حقا عليك محققا
و كن لى فى الأولاد و الأهل حافظا إذا ما اطمأن الجنب فى موضع النقا
و كان جواب الشريف الرضى:

سنتت لهذا الرمح غربا مذلقا و أجريت فى ذا الهندوانى رونقا
و سومت ذا الطرف الجواد و إنما شرعت له نهجا فخب و أعنقا
فليس بساق قبل ربعك مربعا و ليس براق قبل جرك مرتقى
و إن صدقت منه الليلالى مخيله تكن بجديد الماء أول من سقى
إلى أن يقول:

فان راشنى دهرى أكن لك بازيا يسرك محصورا و يرضيك مطلقا
أشاطرك العز الذى أستفيده بصفقه راض إن غنيت و أملقا
فتذهب بالشطر الذى كله غنى و أذهب بالشطر الذى كله شقا
و تأخذ منه ما أنام و ما حلا و آخذ منه ما أمر و أرقا

...

إلخ.

إن الحقيقه الماثله فى بشاره الصابى تشير إلى ما هو أبعد من حق الشريف الرضى، من حيث الجداره و التأهيل للخلافه
الإسلاميه، أى أنها تشير إلى حق الشريف الرضى الموروث، و الثابت، إضافة إلى الأهليه و الجداره.

بكلمه أخرى أن الصابى و هو شيخ الكتاب، و الشاعر المعروف، كان يؤمن بحق اسره الشريف الرضى، (أبا عن جد) فى الخلافه، و إن هذا الايمان يمتد فى حياه الصابى، و فى تاريخ علاقته بوالد الشريف الرضى، السيد الموسوى، بجذور قديمه.

فالبشاره لم تكن وليده التفرس، كما يرى البعض، بل كانت وليده الايمان بالحق الموروث سواء أ كان الرضى طفلا (فى عمره) أو مراهقا، أو فى ما بعد العقد الثانى من العمر.

إن تحليل البشاره بالايمان بحق الشريف الرضى فى الخلافه، حتى قبل أن يكون الرضى نفسه شخصا مرموقا، أكثر دقه من تحليل البشاره بالفراسه، و بخاصه من قبل شخص صابئى لا تشغله أمور الخلافه الإسلاميه، كثيرا.

و يتصل ذلك بقضيه أخرى ذات أهميه، و هى أن كرامات الأبرار من أهل البيت، كثيرا ما فعلت الأعاجيب فى تغيير أفكار و عواطف أناس غير مسلمين، بعد الاحتكاك بهم، و الاطلاع على صفاتهم الشريفه، فانتقلوا إلى حظيره الإسلام بسبب التأثر بالقدوه الصالحه. و أصبح انتماؤهم الإسلامى ضربا من الايمان الكبير بامامه الأئمه الأبرار و الولاء لهم.

و مع أن الدكتور زكى مبارك يرجع بالعلاقه إلى بدايتها، و هى صداقه الصابى لأبى أحمد الموسوى والد الشريف، و قبل أن يولد الشريف بأكثر من أربع سنوات، إلا أنه لم يعرض العمق الروحى للعلاقه. فظهرت و كأنها صداقه قويه، أثرت على عواطف الشريف الرضى و تعززت أكثر بسبب اعتقال الصابى مثلما اعتقل والده من قبله أيضا.

فالصداقه و المأساه المشتركه و الرابطه الأديهى هى جملته العوامل التى وقف عندها د. زكى مبارك فى تفسير الرابطه بين الصابى و الرضى. إلا- أن هذه العوامل ليست قويه التأثير إلى الدرجه التى يندفع فيها شيخ صابئى مهم الشخصيه، حاد الموهبه، إلى الانحياز التام إلى الشريف الرضى، و الدعوه إلى حقه فى الخلافه الإسلاميه مع صعوبه هذه الدعوه بالنسبه إلى الصابئى [الصابى] فى وسط إسلامى يمور بالصراعات المذهبيه.

و فى الحق، أن دعوه الصابى إلى خلافه الشريف كان يمكن أن تكون عبئا على الرضى نفسه بسبب مكانته الخاصه بين المسلمين، و حساسيه موقفه و دعوته إلى الخلافه، كما أنها كانت عبئا على الصابئى الذى كان يمكن أن يكتفى بإبداء الود و المحبه، دون المجاهره بحق الشريف الرضى فى الخلافه الإسلاميه، ذلك الحق الذى كان يناصبه العدا، الخليفه و السلطه و أناس آخرون. غير أن الايمان إلى درجه الولاء هو الذى قاد الصابى إلى المجاهره، و هو الذى أفاض أعماق الشريف الرضى بالعرفان و الحب الشديد لأبى إسحاق الصابئى [الصابئى]، دون حذر أو تحسب.

و كانت قصيده الشريف الرضى فى رثاء أبى إسحاق الصابى من روائع المراثى المشحونه بالمغازى:

أعلمت من حملوا على الأعواد أ رأيت كيف خبا ضياء النادى

جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى من وقعه متتابع الأرباد

ما كنت أعلم قبل حطك فى الثرى أن الثرى يعلو على الأطواد

بعدا ليومك فى الزمان فإنه أقذى العيون وفت فى الأعضاء

لا ينفد الدمع الذى يبكى به إن القلوب له من الامداد

كيف انمحي ذاك الجناب و عطلت تلك الفجاج و ظل ذاك الهادى

طاحت بتلك المكرمات طوائح و عدت على ذاك الجواد عوادى

قالوا أطاع و قيد فى شطن الردى أيدى المنون ملكت أى قياد

من مصعب لو لم يقده إلهه بقضائه ما كان بالمنقاد

و يقول:

اعزز على بان يفارق ناظرى لمعان ذاك الكوكب الوقاد

اعزز على بان نزلت بمنزل متشابه الأمجاد و الأوغاد

و يقول:

ص: ٢٦٠

ما ذا الذى فجع الهمام بوثبه و عدا على دمه و كان العادى

قل للنوائب عددى أيامه يغنى عن التعديد بالتعداد

حمال ألويه العلاء بنجده كالسيف يغنى عن مناط نجاد

لقضى لسانك مذ ذوت ثمراته أن لا دوام لنصره الأعواد

و قضى جنانك مذ قضت وقداته أن لا بقاء لقدح كل زناد

بقيت أعيجاز يضل تبعها و مضت هواد للرجال هواد

يا ليت أنى ما اقتنتك صاحباً كم قنيه جلبت أسى لفؤادى

برد القلوب لمن تحب بقاءه مما يجر حراره الأكباد

ليس الفجائع بالذخائر مثلها باماجد الأعيان و الأفراد

و يقول من لم يدر كنهك أنهم نقصوا به عددا من الأعداد

هيهات أدرج بين برديك الردى رجل الرجال و أوحده الآحاد

لا تطلبى يا نفس خلا بعده فلمثله أعياء على المرتاد

فقدت ملاءمه الشكول بفقده و بقيت بين تباين الأضداد

ما مطعم الدنيا بحلو بعده أبدا و لا ماء الحيا ببراد

الفضل ناسب بيننا إن لم يكن شرفى مناسبه و لا ميلادى

إن لم تكن من أسرتى و عشيرتى فلأنت أعلقهم يدا بودادى

لو لم يكن عالى الأصول فقد وفى شرف الجدود بسؤدد الأجداد

لا در درى إن مطلتك ذمه فى باطن متغيب أو باد

إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن حيا إذن ما كنت بالمزداد

ليس التنافث بيننا بمعاود أبدا و ليس زماننا بمعاد

ضاقَت على الأرض بعدك كلها و تركت أضيقتها على بلادى

لك في الحشا قبر و إن لم تاوه و من الدموع روائح و غواد

سلوا من الإبراد جسمك و انثنى جسمى يسل عليك في الإبراد

كم من طويل العمر بعد وفاته بالذكر يصحب حاضرا أو بادي

ما مات من جعل الزمان لسانه يتلو مناقب عودا و بوادى

فاذهب كما ذهب الربيع و اثره باق بكل خمائل و نجاد

لا تبعدن و أين قربك بعدها إن المنايا غايه الأبعاد

صفح الثرى عن حر وجهك إنه مغرى بطى محاسن الأمجاد

و تماسكت تلك البنان فطالما عبث البلى بانامل الأجواد

و سقاك فضلك أنه أروى حيا من رائح متعرس أو غاد

جدث على أن لا نبات بأرضه وقفت عليه مطالب الرواد

فى هذه القصيده يتفرد الشريف الرضى فى طبيعته النجيبه العالیه، فهو يوجه أصدق الرثاء (و هو ما تطفح به القصيده) إلى أبى إسحاق الصابى، رغم المكانه الإسلاميه المرموقه للشاعر الرضى، و التى تجعله فى موضع النقد و اللوم، و بالأخص من قبل الغرماء و الحاقدين و حاسدى الشريف الرضى على مكانه و سمعته.

و لم تكن الرثايه على هذا المستوى من التأسى و التفطر ألما و حسره، لو لم تكن لأبى إسحاق فى نفس الشاعر الرضى مكانه خاصه، هى مكانه المريد، و الموالى، و المخلص، و الداعيه الذى لم تقعه ديانته المعروف بها، و ظروفه المحرجه عن الإفصاح عن دعوته و الجهر بها، و العمل على إذاعتها.

و ظل الشريف الرضى يذكر ولاء أبى إسحاق الصابى لاسرته و له، فظل يوافيه بالشعر الرثائى، كلما رأى قبره، معبرا بذلك عن أصاله الطبع، و علو النفس التى كانت فواره بالآمال و الأمانى. و ثمه ما يضاف إلى الأصاله و النجابه فى طبيعه الشريف الرضى و هو يرثى أبا إسحاق الصابى، و هو صفته القياديه غير الملموسه فى رثائياته، و لكنها مستشفه من خلال رعايته لأشخاص معينين، لم يذكر أسماء بعضهم، و هى رعايه القائد للجندى، و تعاطفه معه، و حذبه عليه، و ترحمه على ذكره.

و قد أصاب الصابى من رثاء الشريف الرضى من صدق الوجد ما يحمل أكثر من دلالة على قوه الآصره و مضمون الروحى و السياسى.

و بعد أعوام من موت الصابى، مر الرضى على قبره، فقال:

أ يعلم قبر بالجنيه أننا أقمنا به نعى الندى و المعاليا

مررنا به فاستشرفتنا رسومه كما استشرف الروض الطباء الجوازيا

و ما لاح ذاك الترب حتى تحلبت من الدمع أو شال ملأن الأماقيا

نزلنا إليه عن ظهور جيانا نكفكف بالأيدى الدموع الجواريا

و لما تجاهشنا البكاء و لم نطق عن الوجد إقلاعا عذرنا البواكيا

أقول لركب رائحين تعرجوا أريكم به فرعا من المجد ذاويا

ألما عليه عاقرين فاننا إذا لم نجد عقرا عقرا القوافيا

و لو أنصفوا شقوا عليه ضمائرا و جزوا رقابا بالظبا لا نواصيا

وقفنا فارخصنا الدموع و ربما تكون على سوم الغرام غواليا

ألا أيها القبر الذى ضم لحده قضييا على هام النوائب ماضيا

هل ابن هلال منذ أودى كعهدنا هلالا على ضوء المطالع باقيا

و تلك البنان المورقات من الندى نواضب ماء أم بواق كما هيا

و ما كنت أبى طول لبث بقبره لو انى إذا استعديته كان عاديا

و أضاف:

خلا بعدك الوادى الذى كنت أنسه و أصبح تعرفوه النوائب واديا

أراحت علينا ثله الوجد ترتعى ضمائرا أيامها و اللياليا

رضيت بحكم الدهر فيك ضروره و من ذا الذى يغدو بما ساء راضيا

و طاوعت من رام انتزاعك من يدى و لو أجد الأعوان أصبحت عاصيا

و طامت كيما يعبر الخطب جانبى فالقى على ظهري و جر زاميا

رثيتك كى أسلوبك فازددت لوعه لأن المراثى لا تسد المراريا

و أعلم أن ليس البكاء بنافع عليك و لكنى أمنى الأمانيا

و ترد المعانى الوافره للحب و التقدير، و هى ترعى للصابى مجدا، لم يكن مقصودا، لو لم يكن للصابى من أكثر الدعاه تحمسا
لحق الشريف الرضى فى الخلافه.

و بعد موت الصابى بنحو تسع سنين مر الشريف الرضى على قبره فقال:

ص: ٢٤١

إن تمض فالمجد المرجب خالد أو تفن فالكلم العظام بواقى

حذور الاغتراب

ارتكز الاغتراب السياسى للشريف الرضى على أصل قومى إسلامى للاغتراب فهو من حيث الهويه القوميه عربى الأصل و النشأه، و كذلك عربى النزعه و الاتجاه، و هو ابن أرومه عربيه قحّه، حملت لواء المجد العربى. أى أن عروبه الشريف ليست انتماء قوميا تقليديا، بل هو انتماء إسلامى ثورى، متجذر فى أرضيه عربيه متينه، و فى تاريخ عربى إسلامى مجيد و عريق.

و هو فى أغلب شعره الافتخارى كان ييئ أفكاره، لا بصوره افتخار شخصى منعزل، و إنما فى موقف موحد: فردى و قومى. فهو إذ يفتخر بنفسه و بأهله، فإنما يرمى بكل ثقله التاريخى لصالح أمته، كما أنه فى الوقت عينه يذكر مجد العشائر العربيه و بطولاتها فى معرض الافتخار الذاتى.

فقصائد شعره التى تتضمن أفكاره، و نداءاته، و استطراداته التاريخيه، و أمانيه تربط الذاتى و القومى ربطا محكما، و طبيعيا تماما.

فترد أشعاره عن شجاعه قبائل عربيه بالقوه الافتخاريه نفسها التى يرد فيها ذكر شجاعته، و شجاعه قومه، أو بالاسترسال نفسه. و غالبا ما تنمو القصيده و هى تنتقل من شجاعه الأهل و القوم إلى شجاعته الشخصيه، أو بالعكس، لأن الرابطه بين الذات و الأهل و العروبه، هى رابطه موحد، تشكل ركيزه عضويه واحده فى حياه الشريف الرضى. و يأخذ الافتخار، فى هذا المنظور، قيمته الخاصه منزها عن تمجيد الذات المرضى، الذى وقع صرعى فيه، و به، شعراء تياهون بأنفسهم عجا، أصابهم مس من جنون العظمه، فأطار صوابهم، و أضلهم، و أفقدهم القضيه الجوهريه للانتماء إلى شعوبهم و أوطانهم.

إن روح التحدى التى ترعرعت فى جسده، كانت تأخذ من حقه فى المسئوليه قوه متتاميه، فكان شعره يزداد حماسه و فخرا و شعورا بالرئاسه، فيقول و هو فى العشرين تقريبا:

و عن قرب سيشغلنى زمانى برعى الناس عن رعى القروم

و ما لى من لقاء الموت بد فما لى لا أشد له حزيمى

و يقول:

ما أنا للعلياء إن لم يكن من ولدى ما كان من والدى

و لا مشت بى الخيل إن لم أطا سرير هذا الأغلب الماجد

و "يلاحظ فى البيت الأخير أنه يعرض بالخليفه..".

إن حقيقه العربى، فى تصورات الشريف الرضى، عميقه المعنى، قويه الدلاله، و راسخه الحضور، مما يمكن الاستنتاج منه، و بسهوله تامه، أن تعامل الشاعر مع هذه الحقيقه، ليس مرحليا أو مرهونا بازمان شخصيه تتصل بالمطامح، و إنما هى ركن

جوهرى فى منظومه أفكاره، كما أنها موجه و منظم لسلوكه و لكثير من الأفعال التى أقدم عليها، أو كان فى نيته الاقدام عليها. و بالنسبه لكثير من الشعراء قد ترد النزعه العربيه الإسلاميه بصوره كلمات مفرده، أو أبيات شعر محدوده، لمناسبه معينه، لكنها عند الشريف الرضى ذات أولويه فكريه و مصيريه تكتسح كثيرا من الأحيان الاهتمامات العاطفيه الأخرى، لتظل سيده الموقف فى القصيده.

و يقود التطابق مع القضييه إلى إبداعيه متقنه، تقوم على وحده المعنى و المبنى. فالصدق الفكرى و النفسى يؤدى إلى الصدق الفنى، و كل صدق لأكثر جديه يولد صدقا آخر، و هكذا تفتتح الطرق سلسله الولادات الجديده، و المتاخييه.

و كيف يستطيع الشاعر (و الفنان عموما) ضبط العلاقه بين الموصوف و الصفه، إذا لم يكن هو موصوفا بصفه؟!.

و بما لا يقبل الشك، إن التوصل إلى معرفه صفات الأشياء هو من ثمرات الواقعيه، أى قدره الرئى على استنتاج المرئى بمجموع أو ببعض صفاته.

غير أن الوصول إلى التشبيهاً و الاستعارات يدل على ما هو أبعد و أهم من الواقعيه الالتقاطيه التى تأخذ بجماع المنظورات، و تعيد طرحها فى الفن و الأدب. ذلك لأن التشبيهاً تنبثق من الأصاله الحقيقيه للشاعر و الفنان.

و على صعيد السياسه (فى الشعر و الأدب و الفن) لا يتأتى للسطحيين و الانتهازيين، و التوفيقيين، و صيادى الفرص النفعيه، أن يقدموا تشبيهاً و استعارات رشيقه، أمينه، عذراء، باهره الاختصار، و الصياغه و التدليل. قد يقدرّون على تنميق أكاذيب معسوله، لكنهم هيهات، هيهات، أن يستطيعوا التشبيه و الاستعاره بنقاوه اشعاعات الشمس الفجرية و هى تعانق الأرض التى أنعمت على الشمس بفضيله الشروق و الغروب، فمنح الناس الجمالين فى الفجر و المساء للشمس و نسوا أن فدائيه الأرض الدائرته وراء كل ذلك.

تتصل إذن - نقاوه التشبيه و الاستعاره، بنقاوه القائل و صفاء انتساباته إلى نفسه و إلى مجتمعه، و إلى قضيته.

هكذا يمكن أن نفهم بيت شعر واحد، يساوى أكثر من عشرات المقالات و الأشعار، و حتى الدواوين. قاله الشريف الرضى و هو يجسد عروبتة الإسلاميه، و المضمون الذى يجب أن تكون عليه:

إذا عربى لم يكن مثل سيفه مضاء على الأعداء أنكره الجد

فى هذا البيت تضمين أكبر من المطابقه بين العربى و السيف، و هو ليس اختراعا، إنما هو من وحى الفطره العجيبه، فطره عربيه الشريف الرضى الإسلاميه المزكاه بالعرفانيه التاريخيه و السياسيه.

ثمه التصاقات جميله لو قلنا إن العربى كالسيف، و أجمل منها لو قلنا إن السيف كالعربى، لكن قوله الشريف الرضى: "إذا عربى لم يكن مثل سيفه" خرجت عن نطاق البلاغه الشعريه، الوصفيه، أو الاستعاريه، خرجت من المعرفه المتدبره، و دخلت فى عظمه الفطره النبيله، التى هى المصدر الأول لكل معرفه منزّهه.

و بالصوره الواحده، و بالأجل الواحد الذى لا مبدل له.

فالعربى سيف، و السيف عربى، و هما منذ الأزل العربى كائن واحد، لا يصلح هذا بغير (ذا) و لا (ذا) بغير هذا. و ان مجرد القول ب (هذا) و (ذاك) يعنى المباعده التى لا تقبل.

و إنها لحقيقه تاريخيه مؤكده أن العرب حينما (و كلما) نسوا و تناسوا معنى القوه فى هذه المطابقه بين العربى و سيفه، كان السقوط مصيرهم المداهم.

ففترة الازدهار العربى هى فتره تطبيق المقوله التى جلجل بها الشاعر الشريف ابن الشريف. أما فترات الانحطاط، و الانهيار، فهى التى افترق فيها العربى عن سيفه، فى تياه الغفله.

أما: ما ذا قالت القصيده قبل أن تصل إلى حكمه البيت المذكور، فذلك ما يعنيه التدرج العزيز لمرفى الحب المفجوع الذى يبتدئ بقوه حكمه المطلع، فتاتى الأبيات المتلاحقه و كأنها مطالع و خواتيم زاهره و مضربه حيثما توصلت مظنه العبقرية للشاعر الملهوف الذى وضعه (العز) الطرب و الخذلان مثل زيت يحترق:

لأى حبيب يحسن الرأى و الود و أكثر هذا الناس ليس له عهد

أرى ذمى الأيام ما لا يضرها فهل دافع عنى نوائبها الحمد

و ما هذه الدنيا لنا بمطيعه و ليس لخلق من مداراتها بد

تحوز المعالى و العبيد لعاجز و يخدم فيها نفسه البطل الفرد

أكل غريب لى بعيد بوده و كل صديق بين أضلعه حقد

و لله قلب لا يبيل غليله و صال و لا يلهيه عن خله وعد

يكلفنى أن أطلب العز بالمنى و أين العلى إن لم يساعدنى الجد

أحن و ما أهواه رمح و صارم و سابغه زغف و ذو ميعه نهد

و ليس فتى من عاق عن حمل سيفه أسار و حلاه عن الطلب القد

إذا كان لا يمضى الحسام بنفسه فللضارب الماضى بقائمه الحد

و حولى من هذا الأنام عصابه توددها يخفى و أضغانها تبدو

يسر الفتى دهر و قد كان ساءه و تخدمه الأيام و هو لها عبد

و لا مال إلا ما كسبت بنيله ثناء و لا مال لمن لا له مجد
و ما العيش إلا أن تصاحب فتيه طواعن لا يعينهم النحس و السعد
إذا طربوا يوما إلى العز شمروا و إن ندبوا يوما إلى غاره جدوا
و كم لى فى يوم الثويه رقهه يضاجعنى فيها المهند و الغمد
و لو شاء رمحى سد كل ثنيه تطالعنى فيها المغاوير و الجرد
ألا ليت شعرى هل تبلغنى المنى و تلقى بى الأعداء أحسنه جرد
جواد و قد سد الغبار فوجهها تروح إلى طعن القبائل أو تغدو
خفاف على إثر الطريده فى الفلا إذا ماجت الرمضاء و اختلط الطرد
كان نجوم الليل تحت سروجها تهاوى على الظلماء و الليل مسود
يعيد عليها الطعن كل ابن همه كان دم الأعداء فى فمه شهد
يضارب حتى ما لصارمه قوى و يطعن حتى ما لذابله جهد
تقرب لا مستحقبا غير قوته و لا قائلا إلا لما يهب المجد
و لا خائفا إلا جريره رمحه و لا طالبا إلا الذى تطلب الأسد
إذا عربى لم يكن مثل سيفه مضاء على الأعداء أنكره الجد
و يأخذ التصعيد مداه فى البيت الأخير، و يلحقه بصوره ثانيه:

و ما ضاق عنه كل شرق و مغرب من الأرض إلا ضاق عن نفسه الجلد

ثم يبدأ ذكر الإحباط، و تترد الصور الشعريه إلى الحزن الشخصى، و الغربه التى لا تفارق:

إذا قل مال المرء قل صديقه و فارقه ذاك التحنن و الود

و أصبح يغضى الطرف عن كل منظر أنيق و يلهيه التغرب و البعد

فما لى و للأيام أرضى بجورها و تعلم أنى لا جبان و لا وغد

تغاضى عيون الناس عنى مهابه كما تتقى شمس الضحى الأعين الرمد

فائده: (المال ماده الشهوات)

إن قضيه الخلافه التى سيرت الشريف الرضى فى دروب الاغتراب، و الاحباطات القويه، تختلف - من حيث المطالبه بها أو الاعتقاد بالحق فيها - من راغب إلى طالب، و من شخص إلى آخر. فهى قد تكون لدى البعض نمطا من شهوه السلطه التى تحرك المطالبه بها بقوه الدوافع و التطلعات السياسيه الذاتيه، و هى - فى الغالب - تجمع عدده شهوات و رغبات تسلطيه و تملكه متعدده، تكون بؤرتها الكبرى و الأساسيه شهوه السلطه، و الرغبه بالاماره، و ترافقها شهوه تملك المال و الثروات الماديه بأنواعها لكى تخدم الأموال و الأملاك مشروع الاماره، و تجسد الرغبات الذاتيه السرطانيه المتمثله فى الاحتياز و السيطرة و تملك الرقاب و الأموال على حدى سواء.

و بلا- شك إن الموقف من المال يعكس إلى درجه كبيره طبيعه السياسيه و الأخلاقيه لدعاه السلطه، و الاماره. لأن فهم فائده المال و مكانته و حدوده يكشف عن طبيعه الشخص و مواقفه، و آرائه، و نوع علاقاته بالبشر و بالحياء.

و بتعبير عام إن الأفكار التى تتعلق بالمال و سبل اقتنائه و زيادته، و سبل استخدامه و توظيفه أصبحت تشكل منذ القدم نظريه محدده. لذلك حفلت الكتب المقدسه و أحاديث الأنبياء و المصلحين بمفاهيم و تحليلات و تعليمات عديده حول المال.

و الخلافه فى فكر و تطلب الشريف الرضى، رغم تكتمه الشديد فى موضوع المناداه بها، و رغم أنها أخذت أسلوب (التوريه) أكثر من الإفصاح، هى أقرب إلى الرساله منها إلى رغبه الحكم، و ذلك لأنها متجرده - إلى حد بعيد - من شهوه السلطه. و يدعم الرأى المذكور موقف الشريف الرضى من المال و المنافع الماديه، و هو موقف تعلن عنه قصائده فى العديد من المرات، مما يوحي بوجود رؤيه محدده ثابتة للشريف الرضى فى هذا الخصوص. و تتوحد مع الرؤيه ممارسه تطبيقه تعلن عن تجرد الشريف الرضى من كثير من الشهوات التسلطيه و التملكيه، النابغه - حكما - من أنانيه مفرطه التضخم و العدوانييه.

و تستلهم أفكار الشريف الرضى، الوارده فى شعره، عن المال، الكثير من أفكار (على بن أبى طالب)، إن لم تكن كلها فى هذا الميدان.

و تأخذ حكمه

ص: ٢٦٣

فى تشكيله الآراء و الحكم الأخرى، لأنها تربط ربطا دقيقا بين ضغط المال من أجل المراكمة و زياده الثراء، و بين الاستثثار التملكى المتفاقم، الذى تتضخم فيه الأثره، و يضع الإيثار.

و ما أراه

(على بن أبى طالب) فى قوله: "فما جاع فقير إلا- بما متع به غنى" إيجاد رابطة عدل و شراكه فى الحق، لأن المال مال الله و العيال عيال الله بالنتيجه، و كل مال ليس محمودا إذا لم يكن فيه حق للفقير و المحتاج و المحروم و السائل.

و لا يتوقف الشريف الرضى عن الإعلان بان الفقر ليس عيبا، و إنما العار فى المال غير المحمود.

فيقول:

ما الفقر عار و إن كشفت عورته و إنما العار مال غير محمود

و يكرر الشريف الرضى قناعته بان المال وجد للسخاء و الجود، و أن الشجاعه التى لا تعنى غير الجود بالنفس ترتبط بصفه الجود بالمال، و بذلك يتحلى المرء بأحسن الصفات و أجملها.

و هو يقول:

لقد عاف أمواله من وجود و قد طلق النفس من يشجع

و هو يدين الشخص الثرى الذى لا يجود:

وجدوا و ما جادوا و محتقب للوم من أثرى و لم يجد

و يستوحى الشاعر من حكمه

على بن أبى طالب القائله:

"لكل امرئ فى ماله شريكان: الوارث و الحوادث"، ما يتوصل به إلى إدانه جمع المال خارج الشرط الإنسانى الصحيح، فالمال وسيله و ليس غايه، أو صنما يسجد له الإنسان و يخدمه، و هو يرتبط بحق الإنسان فى العمل، و بحريته، و بحق الرزق المكفول من الله تعالى لابن آدم، فيقول:

و ما جمعى الأموال إلا غنيمه لمن عاش بعدى و اتهام لرازقى

و ما يمنع الشرفاء و الكرام من جمع المال إلا- التعفف، و الحق، فإذا جاءت الأموال بين أيديهم، فإنهم يخرجون سلطانها من أفئدتهم، و يجرون تصريفها بما فيه الخير و الفائدة. و هم يعلمون خطر المال أكثر من سواهم، مهتدين

بكلمه على بن أبي طالب: " المال ماله الشهوات"، لكن سلطانه بعيد الشأو، و كما قال الرضى:

قد يبلغ الرجل الجبان بماله ما ليس يبلغه الشجاع المعدم

لا تخدعن عنه فرب ضريبه ينبو الحسام بها و يمضى الدرهم

و لا تغيب عن الشاعر الحكمة التليده:

إذا قل مالى قل صحبى و إن نما فلى من جميع الناس أهل و مرحب

و خاتمه الأمر إن ذم المال لا يعنى امتداح الفقر، فالفقر هو الموت الأكبر و "الفقر فى الوطن غربه".

و إنما يعنى رفض توثيق المال و حسبانها غايه الغايات، فما هو إلا وسيله، و أداءه، تصليح إن وضعت فى موضع خدمه الناس، و تفسد إن وضعت فى موضع إذلال الناس، و خلق العداوات، و تاجيح الإحن و المحن.

الغربه الاجتماعيه غربه الناس أولا

تحسب الغربه الاجتماعيه وجها مباشرا من وجوه الاغتراب السياسى، لأنها تتصل اتصالا- وثيقا بالظروف السياسيه، و تقلبات الأحداث، و مصائر الأشخاص الفعالين فى جهاز الدوله أو فى صفوف المجتمع. و تسهم العوامل الموضوعيه، و النفسيه، فى إبراز الجوانب الاجتماعيه للظاهره السياسيه، و الوجوه السياسيه للظاهره الاجتماعيه.

و فى جميع الحالات المتغيره، تكون الوضعيات و العلاقات الاجتماعيه، من نتائج الأمر السياسى، و لكنها - فى الوقت ذاته - تصبح من أسبابه، و عوامله المحركه، سلبا أو إيجابا.

و تتعرض سيكولوجيه الجماعات إلى تغييرات مهمه، تبعا لنوع المراحل السياسيه التى تجتازها، و كذلك، تبعا لمدى جثوم التاريخ القريب على زمنها لمدى أطول أو أقصر. لأن اعتياد الجماعه البشريه على العيش فى ظل مرحله معينه لفترة طويله، (بالقوه أو بإرادتها) يؤدى إلى تعودها على صفات جماعيه، أو شبه جماعيه، قد لا تكون من خصائصها الثابته، و إن كانت - بالنتيجه - تقرب منها.

و تختلف الجماعات البشريه فيما بينها من الناحيه السيكلوجيه، و كذلك تختلف الجماعه البشريه الواحده فى ما يسمى ب " السمات و الخصائص " باختلاف مراحلها التاريخيه، حيث لا توجد سمات و خصائص نهائيه، و أبديه. و أن قانون (التفاعل) لا يسمح بوجود خصائص مطلقه. لكن بعض الخصائص النسبيه تبدو و كأنها خصائص مطلقه من طول استمراريتها.

و من هنا يقال فى بعض التحليلات السياسيه و الانطباعات الثقافيه عن بعض المجتمعات و الشعوب إنها غافله، أو كسوله، و عن بعضها الآخر إنها متمرده، و ثابه.

و أول خذلان فاجا الشريف الرضى، هو خذلان العوام، الذين ورد ذكرهم فى شعره باسم (الناس). إنهم - أصلا - مستلبون، و

هم فى حالتهم تلك غير قادرين على إعانه بطل متفحم فى كفاحه العادل. و تبلغ الغرابه مبلغا مدهشا، فى سيكولوجيه الجماعات، إنها - أى الجماعات - تندفع - أحيانا - بهوجائيه عمياء ضد أبنائها و مفكريها و أبطالها، استجابته لأوامر سياسيه صادرة عن السلطه، فتتكلم بهم، ثم تندم متأخرا.

يمكن أن نعثر على مثل هذا السلوك، فى مراحل عديده من أزمته الانحطاط فى التاريخ العربى، بعد أن عفا الزمن على عصر الازدهار العربى الإسلامى.

فأول غربه، و اغتراب، بالمعنى الاجتماعى، عند ما وجد الشريف الرضى انعدام (الناصر) بالدلاله الاجتماعيه.

ص: ٢٦٤

انعدام العهد فى أكثرىه الناس، منذ البيت الأول، و هو القائل:

لأى حبيب يحسن الرأى و الود و أكثر هذا الناس ليس له عهد

ثم:

أكل قريب لى بعيد بوده و كل صديق بين أضلعه حقد

و تصعد عنده حده التشخيص و الادانه، درجه عاليه فيعلن:

الناس حولك غربان على جيف بله عن المجد إن طاروا و إن وقعوا

فما لنا فيهم إن أقبلوا طمع و لا عليهم إذا ما أدبروا جزع

و يرى بنفسه أن الناس هم الداء، و أن الصراع بين العاقر و المعقور، صراع المفترس و الفريسه، هو الذى يطغى على ما عداه، فىا لضيعه من يرنو إلى القضيه: فقال:

يطيب النفس عن قطعى علائقها إنى أفارق من فارقت معذورا

كن فى الأنام بلا عين و لا أذن أو لا فعش أبد الأيام مصدورا

غيب الرجال ظنون قبل مبحثه فما طلابك أن تلقاه موفورا

فما نلائم إلا عاد منصدعا و لا نثقف إلا عاد ماطورا

محل البلاد و لا جار تغص به يضىوى الفتى و يكون العام ممطورا

و الناس أسد تحامى عن فرائسها إما عقرت و إما كنت معقورا

كم وحده هى خير من مصاحبه ينسى الجميع و يغدو الفذ مذكورا

من كشف الناس لم يسلم له أحد الناس داء فخل الداء مستورا

و لقد كان ما ناله من الناس أسوأ جزاء، و هو الذى جبل على حب الناس، فهو فى شجاعته، و كرمه، و كفاحه، و فى مسئولياته التى تولاهها، و صارع، و ضحى فيها، لم يكن إلا منافحا عن الناس.

و كان ذلك، من قبله، قضيه و مسئوليته و واجبا، و ليس مجرد عواطف إيجابيه بسيطه، لكن كم هم أولئك الذين يقرون بشجاعه الشجاع، و توضحيه المضحى، و جود السخى، و هو يفعل ما يفعل من أجل الناس.

لا شك إن العدد لضئيل، لأن غالبية الناس فيما إذا خيم عليها الجهل، و غشت ضمائرهما غشاوات الكذب و التدليس، و أجبنت عن قول الحق، فإنها تسمى الشجاعه تهورا، و الكرم تذييرا و سذاجه، و التضحيه خبالا.

و رغم أنها تعلم فى قراره النفس، ما هو الصحيح، إلا أن الجبن الطاغى، الذى لا تعترف به (و متى اعترف إنسان بجنبه؟! يسوغ لها اتهام الغريب عنها، فتضيف إلى السهام و الرماح التى تتناوشه رماحا جديده.

فيصبح أكله السهام، و أكله المغتاب... فالذى شكا تبذل الشاعر صحا به، و الناس الذين أبعد الهوى من أجلهم، فقال:

أنا أكله المغتاب إن لم أجنها شعواء يحضرها العقاب الغائب

و كأنما فيها الرماح أراقم و كأنما فيها القسى عقارب

قد عز من ضنت يدها بوجهه إن الذليل من الرجال الطالب

إن كان فقر فالقريب مباعد أو كان مال فالبعيد مقارب

و أرى الغنى مطاعنا بثرائه أعدائه و المال قرن غالب

يشكو تبذلى الصحاب و عاذر أن ينبذ الماء المرنق شارب

من أجل هذا الناس أبعدت الهوى و رضيت أن أبقى و ما لى صاحب

و أى الليالى إن غدرن فإنه ما سن أحباب لنا و حباب

غربه الأصدقاء ثانيا

و يرتفع مستوى الغربه الاجتماعيه فى نفس الشريف الرضى، إلى حاله اغترابيه أكثر ما ساويه، من تلك التى لفها به خذلان أكثر الناس، و هى خذلان الأصدقاء، و هى الحالنه الثانيه من الاغتراب الخائق الذى يسد أبواب التضامن الأخوى و الروحى بوجهه.

إن الصديق هو قوه المسانده فى السراء و الضراء، فى الفرح و الترح، و هو الحبيب الذى تشترك نبضات قلبه مع نبضات قلب صديقه، و "الغريب من لم يكن له حبيب" كما قال على بن أبى طالب (ع)، و أناس مثل الشريف الرضى الذى يتسمون بالسخاء و السماحه و طهاره النفس، يجدون أصدقاء كثيرا، و هم يحمون الصداقه، و يسهرون عليها، لكنهم سيئو الحظ، لأن أصدقاءهم (يضيعون) صداقتهم. و ليس أكثر عذابا للنفس الشريفه الحساسه من هجر الصديق، أو ابتعاده، أو نسيانه حق الصداقه، و حق الصداقه هو التلازم، و التذاكر بالموده، و التشارك أمام تصاريه الزمان.

و الإنسان مثل طيف عابر، و كذلك زمنه، فلا غنى له - و الحالنه هذه - عن معاضده الصديق، الذى يحفظه فى غيبته، و نكبتة، و وفاته.

قاله على بن أبى طالب: (ع) "أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، و أعجز منه من ضيع من ظفر به منهم". لكن الشريف الرضى و هو (الأشجع)، كسب الاخوان، فخره، و كم ضيع أناس خيره الناس، و أفضل الصداقات لأسباب تافهه، لا يعدو بعضها الغرور، أو لسمع القال و القيل، أو قبول مصاحبه أهل السوء أو سوى ذلك، لكن الذين هجروا الشريف الرضى، كانوا يتهيبون من علو همته، و عظمه مسعاه، و لا يحلق مع الباز إلا الباز، فأشفقوا على أنفسهم من طول الرحله، و أشفق عليهم الرضى أيضا، لكنه ظل يشكو غدر الخلان و الأصدقاء، و هذا أسوأ ما يناله امرؤ فى حياته.

و يحار الإنسان فى تفسير ظاهره تعرض الشرفاء لغدر و خيانه الأصدقاء، هل هو سوء الحظ أم البلاء؟ و هو - كما ذكرنا - بدرجات، و باشكال؟ و هل الشريف يغرى الصديق بخيائه، بسبب شرف طبعه، و نبل نفسيته، و ترفعه عن العقاب؟ أم أن الحسد يحرك ذيله فى نفس الصديق؟ الذى يبر بنفسه علو مكانه صديقه الشريف، فيغار، و يحقد، و ينتقم؟ قد تكون الصوره هنا أكثر وضوحا. فالصديق يرى صفات صاحبه النبيله، مثلما فى مرآه، يرى تفوقه، و جدارته، و نفاسه معدنه، و هو يرى نفسه - أيضا - يرى عجزه عن اللحاق بتلك السمات الساميه، و لأن نوازع الشر موجوده فى الصدر، فإنه بدلا من أن يعتبر تلك السمات قدوه يهتدى بها، فان نوازع الضحاله تخبط خبطتها، فتخلق الحسد و الغيره، و الكراهيه المتدرجه، ثم الانتقام اللثيم.

و أبدأ، ظلت خيانات الأصدقاء مروعه، و مهينه و إنسان مثل الشريف الرضى يعرف الناس، و يعرف اختياراته جيدا، لأنه القائل:

لا- يمكن أن لا يعرف وجوه أصدقائه، و أكفهم، لكن هل يكفي ذلك لمعرفة ما وراء الدخائل؟ و أيا ما كانت معرفه الشريف الرضى بالأصدقاء و الخلان، فان غدرهم يجرحه جرحا لا مثيل له، دائم النزف، لأن معرفته المخدوله تطرق أوتار نفسه الحساسه المرهفه، فيكون الأنين مثل صوت ريح الباديه: حزينا، حزينا، حزينا، كروح مسمره فى النكبه! هل كانت معادله الشريف الرضى، معادله الناس الذين هم مثله فى صفاء الاحساس و الذكاء النادر؟ و لعل سمات المحب العظيم، غير هذه السمات: الحب الخارق للأم، و الحب العنيف للأصدقاء، و حب البشر، و الحياه، و السمو بالنفس نحو المثل و المبادئ و نحو أخلاقيات الشرف؟ و هل مى [هى] غير الرهافه، و السخاء، و الشجاعه، و الموهبه، فلما ذا، إذا تجمعت لدى امرئ تعرض لغدر الصديق، غدر الجبان، فينام الجبان على وساده جنبه، و يظل هو شاكيا للزمان اغترابه؟ و يربط الشريف الرضى، كل شىء بالأصول، فان أوضح ذلك، فى شعره بالسبييه، فقد فعل، و إن أوضح ذلك بالتجاوز فقد أوما، و قد قال:

و أول لؤم المرء لؤم أصوله و أول غدر المرء غدر خليل

فالله، الله، لمن توحدت فى نفسه أيكه الأصل الشريف، و محبه الخلان! و لله، ما يلقي من غدر من لؤمت أصوله، و من يضع السم فى كاس صاحبه و صديقه و خليله! فطارت شكوى الرضى إلى الجوزاء، و إلى جميع محطات ذاكره الزمن، فتشاكل الشجو و الشجن و الشكر فى ناموس البلاء، و الله الحى الشاهد:

أشكو النوائب ثم أشكر فعلها لعظيم ما ألقى من الخلان

و إذا أمنت من الزمان فلا تكن إلا على حذر من الاخوان

و كذلك قال عن معاناته من نفاق الأصحاب:

فكم صاحب تدمى على بنانه و يظهر أن العز لثم بنانى

يضم حشا البغضاء عند تغيبي و يجلو جبين الود حين يرانى

مسحت بحلمى ضغنه عن جناه فلما أبى مسحته بسنانى

سبقت برمى قلبه فأصبته و لو لم أصبه عاجلا لرمانى

و قال:

لحا الله دهرنا خاننى فيه أهله و أحشمنى حتى احتشمت الأعاديا

فلست أرى إلا عدوا مكاشفا و لست أرى إلا صديقا مداجيا

و فى وحشه الوحده، و هو يحتاج الأرض بهمهته و مجده و علو شانته، و آماله الكبيره، يصدحه الخذلان فيرى نفسه وحيدا ليس له صديق، إذن ليس له منزل أو سكن! لكن: متى كانت لكبار النفوس مساكن؟ و ظل الشريف الرضى، شاعر القلب و الحكمه،

يحل ثنائه التفجع بين حاجته إلى الصديق، و بين حرمانه من وفاء الأصدقاء (إلا- من قلبه نابهيين أجلاء) في شكوى الدهر و الزمان، و كان يتساهل في فجائع و أزمات كثيرة، لكن انعدام وفاء الأصدقاء كان ينقله فورا إلى مخاطبه الدهر الخائن، لأن الصداقه حلت في قلبه و عقله محلا لا أعلى منه و لا أرقى، فان قل الصديق كان الدهر مسئولا عن ذلك:

توقعي أن يقال قد ظعنا ما أنت لى منزلا و لا سكنا

يا دار قل الصديق فيك فما أحس ودا و لا أرى سكنا

ما لى مثل المذود عن أربى و لى عرام يجرنى الرسنا

ألين عن ذله و مثلى من و لى المقادير جانبا خشنا

معطلا بعد طول ملبته منازللا قد عمرتها زما

تلعب بين النائبات واغله كما تهز الزعازع الغصنا

أيقظن منى مهندا ذكرا إلى المعالى و سائقا أرنا

كيف يهاب الحمام منصلت مذخاف غدر الزمان ما أمتنا

لم يلبث الثوب من توقعه للأمر إلا و ظنه كفنا

أعطشه الدهر من مطالبه فراح يستمطر القنا اللدنا

لى مهجه لا أرى لها عوضا غير بلوغ العلى و لا ثمتنا

و كيف ترجو البقاء نفس فتى و دأبها أن تضعضع البدنا

أكر طرفى فلا أرى أحدا إلا مغیظا على مضطغنا

ينبض لى من لسانه أبدا نصال ذم تمزق الجننا

إن الصراع يشتد، و تضاف إلى أسبابه أسباب جديدة.

و سيرى الشريف الرضى نفسه شاردا فى البلاد دائما، منكورا، محروما، جريحا لأن جبل الوفاء، أنى ذهب و توجه، يتصرم كاللعنه:

أنه يذكر عن نفسه أنه تحفه للصدى قائلًا:

على أنى تحفه للصدى يروح بنجوى أو يفتدى

و إنى لىأنس بى الزائرون أنس النواظر بالائتمد

تغمض لى أعين الحاسدين كالشمس فى ناظر الأرمد

فلا دخل البعد ما بيننا و لا فكك منا يدا عن يد

و طول أيامنا بالمقام فى ظل عيش رقيق ندى

لكن قدره أنه و هو الصدى و الصادق لى له صدى، فىقول:

كفى حزنا أنى صدى و صادق و ما لى من بين الأنام صدى

فكيف أرىغ الأبعدين لخله و هذا قريب غادر و شقى

و ظلت حسرته على الصدى تنتهى دوما بمقاله حكيمه:

من لى بغيره صاحب لا يستطيل عليه عاب

ما حار الأيام إلا كان لى و له الغلاب

هيهات أطلب ما يطول به بعاد و اقتراب

قل الصحاب فان ظفرت بنعمه كثر الصحاب

من لى به سمحا إذا صفرت من القوم الوطاب

من لى به يا دهر و الأيام كالحه غضاب

غربه المتفرد

لا- يمكن قصر الاغتراب على شروط الموضوعيه، من حيث كونه تغريبا سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا، إذ أن العوامل الذاتيه للاغتراب تشكل أساسا قويا لفعاليه الثروه و المؤثرات الموضوعيه. و بالنسبه إلى الشريف الرضى لعبت طبيعته الشخصيه دورا كبيرا فى اغترابه المأساوى. و استنادا إلى أشعار الشاعر، و إلى المعروف عن حياته، فان طبيعته تتسم بمزيتين واضحتين تماما:

الأولى قوه طبعه، و حديثه التى لا يستطيع حياها الأقدام على أيه مراوغه شخصيه. و لعل وضوحه القاسى كان سببا كبيرا لكثير

من المتاعب التي مر بها، و كثيرا تحدث عن السيف، بل هو يرى أن السيف لا معنى له، (و ليس سيفا) إذا ظل مغمدا، فهو سيف في وظيفه الاستعمال، و ليس في إطار الغمد و الحفظ فقال:

"أنا السيف إلا أننى فى معاشر أرى كل سيف عندهم لا يجرب"

و مثلما بدأ جليا فى العديد من الاستشهادات الشعريه المذكوره، و سواها مما لم نذكره - و هو أكثر! - كان الشاعر متجها صوب أهدافه التي اجملتها كلمه (المعالى) تعبيرا عن قضيه سياسيه و إيديولوجيه، و طموح متحصن بدلاله دينيه و تاريخيه.

و أكسبته طبيعته الشخصيه العنيد، واقعيه مباشره، و تعامله حسيا مع الأحداث بالمستوى الذى حتمه كفاحه من أجل تحقيق بعض أهدافه.

و إن (العلى) الذى كان يتوق إلى الوصول إليه باستمرار، لم يكن مقطوعا عن تلك الطبيعه نفسها، لأنها بالذات، طبيعه تحمل فى داخلها شعورا بالعلو لم يفارقه لحظه. و إنسان، هو الشريف الرضى، ذو نفس عاليه، لا يمكن إلا أن يكون صادقا فى حياته، حقيقيا، واضحا، مباشرا، مفصحا عن أهدافه، و أغراضه، و عواطفه، بشاعريه صافيه.

و من موقع العلو النفسى، يأنف الشاعر و أى إنسان مشابه له، من التدنى، و التلوث، و الارتباط بالشبهات و من باب أولى، فإنه يترفع عن الكذب، و الالتواء، و الاحتيال، و التخابث، و سنرى - فيما بعد - كيف أن هذه الصفه من صفات الشريف الرضى متعلقه بخوض غمار حرب صعبه مع الناس و الأقرباء و الأصدقاء بسبب صدقه فى عشقه، و تعففه عن النفاق، باسم دواعى نقابته و إمارته بالحج.

و إذا كانت صفه القوه الطاغيه فى طبيعه الشريف الرضى قد برزت فى مضامين كثيره من شعره، و الشعر ترجمان الأفكار و الأحوال، فإن الصفه الثانيه برزت فى حياته الواقعيه، و فى شعره أيضا، هى صفه السماحه، التي يمكن حسابها نوعا من الديموقراطيه الفطريه، و المناقبه الإنسانيه السمحاء. و هى - أيضا - الوجه الآخر لعظمه الروح. فالقوه الحقيقيه للشخصيه هى التي توفر أوسع الإمكانيات، و الاستعدادات لخوض الحوار الديمقراطى، و التعايش مع المذاهب و الأفكار بثقه.

إن الضعفاء، حين ذاك، و فى أى وقت آخر، فى ميدان السياسه و الفكر هم الذين يخشون الحوار و التعايش مع الآخرين من مختلف المستويات المذهبيه و الايديولوجيه، ذلك لأن التزعزع الذى يلم بنفس الضعيف فكريا و أخلاقيا يعجزه عن المعايشه، و المجابهه المشروعه، و مقارعه الحجه بالحجه.

و على امتداد حقب التاريخ كان المتعصبون، المتطرفون أضعف الناس، لذلك فقد استخدموا النار و الحديد للإجهاز على اجتهادات الفكر و السياسه و لم تكن ظاهره قوه بعض رؤوس التعصب، التي لا يمكن إنكار وجودها فى مراحل تاريخيه معينه و فى بلدان مختلفه، داله على قوه حقيقيه، بالمعنى الإنسانى، بل هى نوع من شذوذ القوه، أو القوه الشاذه.

و حينما تحاول ماكينه السياسه طى السجلات و الأوراق، و كم الأفواه، و التكتم على الأخبار و الاختباء فى ليل السريه، فإن قوه التاريخ تفتح كل ما طوته السياسه، و تسلط الضوء على مخفياتها و طلاسماها.

و لأن السياسه (بنت) التاريخ، فإنها تسلّم الأحكام النهائيه إلى التاريخ الذى يقرر مدى الضعف و القوه، و الكذب و الصدق فى حيوات البشر الفعالين، من سياسيين و مفكرين، و شعراء و مقاتلين.. إلخ.

و قد انتصر التاريخ للقيم السمحاء، و أدار ظهره للتعصب، و بذلك أصبح تاريخا.

و يبدو أن الشريف الرضى و رث سماحه الأخلاق و ديمقراطيه الرأى و رفضه للتحجر و التعصب و الانعزاليه و تصنيف البشر باسم المعتقدات و سواها، من أبيه السيد أبى أحمد الموسوى، الذى كان الرجل الهمام، و الرأس المقدم، فى حل مشكلات الصراع الذى كان يؤججه الطامعون و عملاؤهم المنتفعون.

و قد تشرب الشريف الرضى من أخلاق أبيه كل السماحه النجيبه التى جعلته ينظر إلى البشر بمنظار المحبه، لا بمنظار التعصب الضيق، الذى يصطنع الفوارق بين البشر، بعنصريه مقبته، ذات منحى مذهبي، ادعائى، شكلى بالنتيجه.

ص: ٢٦٧

إلى كم الرحم البلهاء شاكيه لها من النعى إعوالم و إرنان
حيرى يضلونها ما بيننا و لها و نا على عدواء الداء نشوان
النجر متفق و الرأى مختلف فالدار واحده و الدين أديان
و ثم أوعيه الإحسان مكفأه فوارغ و وعاء الشر ملثان
إننا نجرهم أعراضنا طمعا فى أن يعودوا إلى البقيا كما كانوا
أنى يتاه بكم فى كل مظلمه و للرشاد امارات و عنوان
ميلوا إلى السلم أن السلم واسع و استوضحوا الحق أن الحق عريان
ثم قال:

يا قوم إن طويل الحلم مفسده و ربما ضر إبقاء و إحسان
ما لى أرى حوضكم تعفو نضائبه و ذودكم ليله الأوراد ظمان
مدفعين عن الأحواض من ضرع ينضوا بهامكم ظلم و عدوان
لا يرهب المرء منكم عند حفظته و لا يراقب يوما و هو غضبان
إن الأولى لا يعز الجار بينهم و لا تهان عواليهم لذلان
كم اصطبار على ضيم و منقصه و كم على الذل إقرار و إذعان
و فيكم الحامل الهمهام مسرحه داج و من حلق الماذى أبدان
و الخيل مخطفه الأوساط ضافره كأنهن ععلى [على] الأطواد ذؤبان
الله الله أن يبتز أمركم راع رعيته المعزى و الضأن

ثوروا لها و لتهن فيها نفوسكم إن المناقب للأرواح أثمان

و لعب أساتذه الشريف الرضى دورا كبيرا فى تعزيز سماحه روحه، و أصاله نظرتة الاصلاحية الإنسانيه، فهو لم يتلمذ على
أساتذه من مدرسه مذهبيه واحده، بل كانوا من مذاهب و طوائف فكرية مختلفه، فخلق ذلك انسجاما و افرا بين طبيعته الحره و
بين حريه الفكر التى كانت رائده و مناخه الذى ترعرع فيه.

و كان أشهر من أخذ عنهم الشريف الرضى هم:

١ - أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ): وقد ذكره الرضى فى كتابه (المجازات النبويه) و هو أستاذة الأكبر فى علم النحو، صاحبه كثيرا، و أعجب الرضى بأرائه، و أعجب هو بشعر الرضى، فشرح بعض قصائده، و مدحه الرضى بقصيده يشكره فيها و يصفه الأنبارى بأنه كان من حذاق أهل الأدب و أعلمهم بعلم النحو و التصريف، فصنف فى النحو و التصريف كتبا ابدع فيها كالخصائص و المنصف، و سر الصناعات و صنف كتاب [كتابا] فى شرح القوافى و فى العروض، و فى الذكر و المؤنث.

٢ - أبو الحسن على بن عيسى الربعى (ت ٤٢٠ هـ): و هو أستاذ فى النحو قبل ابن جنى، قرأ عليه مختصر الجرمى و قطعه من كتاب الإيضاح لأبى على، و العروض للزجاج و القوافى للأخفش... و ذكر عنه القفطى أنه صاحب (أبا على) و درس عليه و كان يقول له "لو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أنحى منك".

٣ - قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد الشافعى المعتزلى (ت ٤١٥ هـ):

ذكره الشريف فى المجازات أيضا. و قرأ عليه (تقريب الأصول) و كتاب (العمدة) فى أصول الفقه.

٤ - أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى (ت ٤٠٣ هـ): ذكره الشريف فى المجازات و درس أبوابا فى الفقه، و يعد شيخ الحنفية و فقيههم.

٥ - أبو عبد الله بن عمران المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ):

و كان أديبا فذا و راويه بارعا. قرأ عليه الشريف الفقه و الحديث. و كان يقال عنه فى زمنه إنه أحسن تصنيفا من الجاحظ. و هو معتزلى صنف كتابا فى أخبار المعتزله كبيراً.

٦ - أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى (ت ٣٩٣ هـ):

و كان فقيها مالكيا، و يعد شيخ القراءات. تتلمذ عليه الشريف فى عنفوان شبابه و قرأ عليه القرآن.

٧ - الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ):

أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان قرأ عليه الشريف مع أخيه المترضى [المترضى] و قد انتهت إليه رئاسه الاماميه فى وقته، و كان مقدما فى العلم و صناعاته الكلام و الفقه، و له ما يقرب من مائتى مصنف.

٨ - أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى بن داود بن الجراح (ت ٣٩١ هـ):

و هو شيخه فى الحديث، ذكره فى المجازات، و ترجم له ابن الجوزى، و وصفه بأنه كان عارفا بالمنطق و الحديث، روى عنه الأزهري و الصيمرى، و كان بالاضافه إلى ذلك شاعرا.

٩ - أبو حفص عمر بن إبراهيم الكنانى (ت ٣٩٠هـ):

يروى عنه الحديث، وقد ذكره فى المجازات، أثناء حديثه عن (الخمير أم الخبائث)، وهو الكنانى (بنونين) كما ورد فى المجازات لا (الكتانى) بالتاء كما ورد فى المنتظم والشذرات.

١٠ - أبو سعيد السيرافى (ت ٣٦٨هـ):

الحسن بن عبد الله بن المرزبان، كان عالماً فى الفقه واللغة والنحو والفرائض والعروض. تتلمذ عليه الشريف فى التاسعة من عمره.

١١ - أبو على الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧هـ):

وهو أحد أئمة العربية، أجازته فى كتابه (الإيضاح) و كان من تلامذته المشهورين عثمان بن جنى، و على بن عيسى الشيرازى، و قد تقدم عند عضد الدولة الذى كان يقول: أنا غلام أبى على النحوى فى النحو، كما أقام بحلب عند سيف الدولة مده، و جرت بينه و بين أبى الطيب المتنبى مجالس.

١٢ - أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدى الأصفهاني (ت ٤٠٥هـ):

يذكره صاحب الغدير، و كان عالماً، ولى قضاء مدينه المنصور و باب الطاق، ثم جمع له قضاء بغداد.

١٣ - أبو محمد هارون بن موسى التلعكبرى (ت ٣٨٥هـ):

ذكره الأمينى فى الغدير، و لن تسعفى مصادرى فى العثور عليه.

١٤ - سهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجى (ت ٣٨٥هـ):

ص: ٢٦٨

إن انطواء شخصيه الشريف الرضى على قوه الطبع، و على السماحه، أضفى عليها تفردا متميزا، و من خلال ذلك كان التفرد العقلى و الأدبى و السياسى ينمو نموا طبيعيا من تربه النفس الغنيه بالانفعال الصادق. ففي ميزه قوه الطبع ترعرعت قوه الإراده، و المطلبية السياسيه، و القدره الكفاحيه و فن قياده الناس (سواء فى نقابه الطالبين، أو فى مواسم الحج، أو فى النظر فى المظالم).

و فى ميزه السماحه، نمت النزعه الديمقراطيه، و روح التعايش المذهبى و أخذت ذهنيه الشاعر المتفتحه مداها الوافر فى المعرفه، و الحوار، و الإبداع، و الإنتاج الأدبى و العلمى، إضافة إلى الشعر.

و من وحده المصدرين اللذين شكلا أساس النفس و تربتها، تكونت للقريحه الشعريه بصمات قويه لا تخص أحدا غير الشريف الرضى. كما أن العشق الذى كان رحله طويله فى حياه الشاعر الرضى، استقى من ذينك المصدرين العلامات المميزه فى تجربته الخاصه فجانب السماحه، و هو الجانب العاطفى، و الإنسانى كان يستقبل (الهوى) بسرعه، فيما كان جانب قوه الطبع يجعله متشبثا بالعلاقه العاطفيه بقوه، و هكذا كان، الأمر - و سيظل دوما - يبتدئ الحب بنظره خاطفه، أو بلمسه يد غير مقصوده، أو بتبادل بضع كلمات فى فرصه غير متوقعه ثم ينيخ بركابه على النفس إناخه المستقر الذى لا يريم.

و امتدت شجره المعرفه فى نفس الشريف الرضى بجذرين متوحدين كضفيره واحده (قوه الطبع، و السماحه) فكانت ثمار الشجره منوعه فى الشعر و الأدب و العلم و السياسه، لأن نبوغ الشاعر وجد فى السمات المتفرده للشخصيه امدادات قويه: عقليه و عاطفيه.

أى أن اتحاد العقل و القلب فى السفر الطويل للشريف الرضى كان قد أوجد الاغتراب الكبير فى وسط بشرى اتخذ ازدواجيه العقل و القلب مصطلحا له، و إذا ما حصل أن توفر أنموذج بشرى يعطى للقلب حقه، مثلما يعطى للعقل صلاحيته، فإن ذاك الأنموذج - فى أحسن الأحوال - يعطى للقلب بعض حقه، و للعقل بعض صلاحيته لكنما الشريف الرضى فتح بوابات الجسد أمام الشهبه التامه للقلب، و أمام طلقات العقل التى لم تنقطع.

لقد رفع الحجاب بين العقل و القلب، فى داخل نفسه، فكانت لهما رياضه مشتركه، و رفع الحاجب خارج نفسه، أمام الناس، فكان للقلب و العقل مهرجان كبير لم يشترك فيه أحد سواه هو! أليس هو واحدا متكثرا بما حباه الله به من موهبه و نبوغ و مؤهلات؟ و رغم تناقض السمات عند سواه، فإنها تضايقت فيه، فكانت فيه خياليه الشاعر، و واقعيه السياسى، و موسوعيه العقلانى و جديه العالم و رقه العاشق، و عناد المغامر.

و كان فيه طبع الرئاسه، و نزعه الجواب، و هكذا ولد فى الشريف الرضى أنموذج العالم إلى جانب أنموذج الشاعر، و كانت مؤلفاته العلميه فى الأدب و النحو و الفقه لا تقل شهره عن شاعريته الرفيعه.

إن العلم و هو يتعامل مع الوقائع و مع التواريخ، و مع خلاصه الخبرات البشريه، يتطلب نقيض ما يتطلبه الشعر فحيث يعنى الشعر الهجره وراء الخيال و الرؤيا، فإن العلم يعنى المكوث ندا لمختبر، و فى داره البحث و المواصله، و التسجيل، و الجرد، و تثبيت الحقائق.

إن الحقيقه العلميه، و هى غير الحقيقه الشعريه تحتاج إلى مجهود بشرى مكرس لها، فى انقطاع العالم و مكوثه فى ميدان العمل

العلمى، فكيف استطاع الشاعر الحر الشريف الرضى أن يفى بمستلزمات الحقيقه العلميه، و هو بطبيعته الشاعريه، الغراميه، المتجوله؟ إن جواب ذلك وارد فى فراده طبعه و طبيعته، فكان العالم الوجه الثانى لشخصيه الشريف الرضى الشاعر المجيد، فاستطاع أن يكون مبرزاً فى ميادين العلوم اللغويه و الشرعيه، و فى الدراسات الأدبيه، فصدرت له مؤلفات ثمينه من بينها: "المجازات النبويه" و "حقائق التأويل" و "أخبار قضاه بغداد" و "انتخاب الحسن من شعر الحسن" و "انتخاب شعر ابن الحجاج" و "تعليق خلاف الفقهاء" و "طيف الخيال" و "المتشابه فى القرآن" و "مجاز القرآن" و "خصائص الأمه" و "انشرح الصدر فى مختارات من الشعر" و "انشرح الصدور" و "سيره الوالد الطاهر" و "مختصر أمثال الشريف الرضى" و قدم المختارات من عبقرية على بن أبى طالب ممثله فى الكتاب النادر: "نهج البلاغه" إضافه إلى العديد من المؤلفات و الرسائل التى تفصح، أيما إفصاح، عن توقد الذهن، و غنى التجربه، و اتساع الأفق عند الشريف الرضى.

و كان الجانب العلمى - الدراسى - من حياه الشريف الرضى مناسباً لمكانته الدينيه، و مسئوليته فى اماره الحج، بعكسه الشعر الذى كان يثير حفيظه الخصوم، و يؤلم المريدين الذين راهنوا على السياسه فقط.

لكن الشخصيه الفذه، شخصيه الشريف الرضى، سارت مشتمله بكل جوانب الإبداع فى الشعر و فى علوم الأدب و الفقه و الشرع، مثلما سارت مشتمله برداء الرئاسه الذى اكتساه بفضل تاريخه العربى الأشم و إمكاناته النادره، و علو محتده.

غير أن ما من ضروره تجعل تفرد شخصيه الشريف الرضى نوعاً من التغرب المثير لو لا الجانب المهم فى حياته، فقد شاءت الدنيا، دنياه، و دنيا منطقته العربيه و دائرته الاجتماعيه، أن يكون أميراً فى العشق، مثلما هو أمير فى موسم الحج، و فى السياسه.

و كثيره هى الفعاليات النظرية التى قد لا- ترتبط بفعاليات عمليه، لأنها مجرد أفكار و تصورات، و أخيله، و قد يتخيل الإنسان ما شاء له الخيال، فى الشعر، و فى السياسه لكن العشق هو واقع كالخيال، صله بين عاشق و معشوق ضمن مناخ اجتماعى، و طبيعى. فهى حسيه رغم كل جوانبها اللاحسيه، و هى مفضوحه، رغم كل السريه، و هى ابدية رغم (الأنيه).

قومه و أهله، يدخل عصره و بانتظاره المريدون الذين يريدونه متشقا سيفه فقط، إلا أنه يقتحم العصر بابتسامه القلب، عاشقا كبيرا، ظل في الحب غلاما تتقصاه الجميلات.

كان للشريف الرضى مذهب في العشق، و في أنشطه سياسيه و فكريه كثيره تتوفر إمكانيه صياغه المذهب، أما في العشق، فان صياغه مذهب للعشق عمل مذهل.

و قد توصل الشريف الرضى إلى رسم مذهبه في العشق من خلال تجربته الواقعيه المثيره. و يبدو أن ثراء شخصيته كان يدفع به في كل اهتمام إلى أقصاه ففي الشعر يصبح أشعر قريش و من أشهر شعراء العرب، و في السياسه يصبح نائب الخليفه، أمير الحج، نقيب الطالبين، و في الأدب و الفقه و النحو يصبح عالما لا يشق له غبار، ثم في العشق يصبح أمير العشاق، و معجم العشق.

لقد برز عمر بن أبى ربيعه في الغرام فكان شعره ديوان حياته و غرامياته إلا أنه لم يطرح مذهباً، لأنه كان يتبع إحساساته اللذيه، و برز الشعراء العرب الذين أعطى كل واحد منهم قلبه لفاتنه واحده، (قيس ليلى، و جميل لبثينه، و كثير لعزه... إلى آخره) فابدعوا و أجادوا، لكنهم أعطوا طرازا من الحب، رائعاً، و متميزاً، إنما لم يصل إلى مستوى المذهب في العشق.

كان الشريف الرضى لوحده تجربه متكامله، فقد اندفع في العشق إلى النقطه البعيده، إلى حبه القلب، و ما أبعداها! فأى واحد ذلك الذى استطاع أن يصل إلى حبه قلبه، (و من الحبه، حبه القلب، جاء الحب!) فيناغيها، و يشاورها، و يستجيب لهفتتها! و أى واحد ذلك الذى يستطيع الوصول إلى حبه قلب محبوبه، فيقدم لها صلاه الروح، و أذعان الولاء، و مناجاه التدليل، و واجب الحراسه العشق هو جسر الغيب ما بين حبات القلوب المتألفه.

و في ملكوت العشق، كان الشريف الرضى عذريا في عالم الرغبه، و راغبا في عالم العذراويه، و مزيجا رائقا من الزهد، و الرغبه، مع كائنات بشريه جميله، مترعه بفيض الجمال، المطل من العيون و الخدود، و الشفاه، و فى مواسم الحج، التى يحضرها أميرا شهيرا كان كل شىء يلتمع بسرعه، مثل برق. عين البدويه التى تومض إيماضه الدنف، و خدها الذى يتضرج بحمره الاشتهاه الخجول، و ينشق الهوى من صندوق الجسم كزلزال، لا يتجاوز عمره عمر موسم الحج، ثم ينقضى كل شىء، و كان نبضه القلب التى يتعلق بها مصير حياه باكملها، ليست إلا نغمه، حائره، تائهه، غريبه، سرعان ما يرميها اعصار الكون فى وديان العدم.

كان الشعراء العشاق يطاردون نساءهم الفاتنات، و الشعر فضيحه.

و حتى لو لم تكن للشاعر قصه غراميه، فإنه يتناول قصه الآخر محيلا إياها فى شعره إلى موضوع، و تجربه، فكيف إذا كان الشاعر يكتوى بنار الحب إنه يستصرخ الزمان، و يستنطق الموتى، و يشهد الأحياء و الأموات و الأشياء و الكتبان و الجداول و الأباقر على فرحه أو على حزنه.

و لقد شهدت جزيره العرب عشرات الشعراء، الذين كانوا فى الغرام مثل "دون جوان" و "كازانوف" لكن اماره العشق ظلت معقوده من نواصيها، إلى الشريف الرضى. ففي صلب طبعه كان جماليا كبيرا. يقتنص سرحات الإشراق الفاتن على الوجوه، لأنه كان يراها بعين القلب التى لا تخطئ. فكان غير محتاج إلى مقاييس الاحساس، لادراك جمال الجميل، لأن الوتر واحد بين (الناظر) و (المنظور)، فرنه (هنا) تنشى ألفتها النغميه (هناك)! الشعور بالجمال كان لدى الشريف الرضى أكبر من شعور الشعراء

الآخرين، الذين وصلوا إلى الحب من خلال جذبات الاحساس. لقد عشقوا من خلال تأثير العيون الحوراء، و الحواجب الزجاء، و الشفاه اللمياء، و الأعناق المسبوكة، و الصدور الناهده، و غير ذلك مما نطقت بهم قصائد الغزل، أى أنهم عشقوا الحسى، و الجزئى، ثم استوطنوا الحسى و الجزئى أيضا، و عجزوا - بسبب الطبيعه البشريه و الثقافيه، طبيعتهم - عن رفع الحسى إلى مستوى الأبدى، و الجزئى إلى مستوى الكلى، فجاءت قصائد الغزل متشابهه إلا من فروق بسيطه، فهذا شاعر يحب امرأه سمراء، و ذاك يحب امرأه شقراء. هذا يحب امرأه قصيره، و ذاك يحب امرأه طويله، و اخضعوا تسميه (القلب) إن جاءت فى أشعارهم، إلى سيطره الرغبه و نداء اللذه، فكان القلب بريد الشهوه، أو قناعها المحترم الذى تستخدمه للتضليل، و التخلص من الفضائح و التعفيف الشعر من الاستخدامات العضويه الأخرى المحرجه غير ذلك، تماما، كان الشريف الرضى، لأن مفاهيمه عن الجمال كانت من معطيات نفسه الشريفه، المتساميه.. فهو فى علاقته بالناس، و بالطبيعه، و كان يتصل بالأعمال المشتركه، مبرهنا بتجربته الحياتيه. إنه و الناس و الطبيعه من عمق واحد و ينبوع واحد.

و حين كان الناس لا يرون إلا الظواهر الخارجيه، كان هو مدركا أن فى داخله تضطرم دفعات ينباع الجوفيه للطبيعه و الكون، فكان يصغى إليها أتم إصغاء، و كانت هى التى تهديه، و تقوده، و تجعله صادقا مع نفسه و مع سواه، فالذى يدرك حركه الأعماق فى الكون الهائل و يصيخ سمعا لإيقاعها المستضاف فى جسده، هو - وحده - الذى لا تغره المظاهر و هو وحده الذى تتفتح عينه متعرفه على المدى الأ-كبر، فيعود يرى ما لا يراه الآخرون، و يبتدئ بالكلى مترحلا من خلاله إلى ملاحظه الجزئى، فالعين، عين المرأه الفاتنه، أو عين الغزال، ليست جميله بذاتها، بل هى جميله فى علاقتها ب (كليه) الطيف الشمسى للجمال.

فالشعور بالجمال، هو تصور بالكليه، و الأبدية الجماليه، هو انتساب إلى جلال الكون المتوحد فى الجمالات التى يهرع إليها المتولهون، هرع العطشان إلى الماء الزلال.

و فى كل عشق تمثل العين مركز التأثير الذى يسرع بإرسال برقيته إلى القلب، و لم يفت المفكرين و الشعراء تشبيه العين بالشمس، فى تأثيرها على الأحياء، فيما تعطى و فيما تميت، و كذلك فى شكلها.

و كما سترى، فان الشريف الرضى أعطى للعين رساله كونه، لأن العيون المقدسه هى التى تزيح الحجب السميكه، فترى ما ليس يرى، و تقرب ما هو متباعد و تدمج ما هو متعارض، و تلغى اضطراب الأشكال الخارجيه فى فنيه و جماليه النسق.

هى شرط العشق الصحيح، و الوله الذى تقضى الأيام و لا ينقضى.

و الشاعر الجمالى، و أى جمالى آخر، شاعرا كان أو غير شاعر، يحمل فى داخله معزوفات الكون الجميله التى يستدل بها على كل جميل. و من ذلك (العلو) الذى تتوحد فيه كليات الجمال و الجلال و الخير، يعاين النظر كل ما هو جميل فيفرد له مكانه الخصوص، و فى وحده الأفق الجمالى الكونى تتضاييف و تتجاوز الأشياء الجميله مثلما تتضاييف و تتعايش و تتكامل مويجات و أمواج البحر فى الإيقاع الأزلى لها فى الصخب و فى الهدوء.

لقد أتاحت الرؤيه الجماليه الشموليه للشاعر الشريف الرضى استيعاب الجميل بدلالات الجلال خلافا لما حصل لدى الشعراء الغزليين، الحسينيين الذين اطنبوا فى ذكر المفاتن الجسديه.

إن عين الشريف الرضى، هى عين الجمال التى رأت بروح الجلال، لذلك ما كان له كبير مغنم فى الأوصاف الحسيه المباشره، و حسبه أنه كان عفيفا قوى المروءه.

و هو القائل:

و يمعنى العفاف كان بينى و بين ماربى منه هضابا

و القائل أيضا:

أرى برد العفاف أغض حسنا على رجل من البرد القشيب

و مذهب الشريف الرضى فى العشق، يرقى بتغرد السمات الشخصيه له إلى مستوى غربه و اغتراب المحبين الكبار، الذين عصفت بحيواتهم تنهيده الشوق فى كونه سريعه التبديل لأجزائها المعطوبه، أو المقطوعه، أو التى حان أو يحين أجلها.

اغتراب الحب

إن الرؤيه الشموليه للشريف الرضى فى الحب و الجمال هى لسان حاله، و صفته المائله فى طبيعته، و طبعه.

و لمعرفه خصوصيه تجربه الشريف الرضى فى العشق، ينبغى إحاله العشق إلى الحب و هو الدائره الكبرى للقلب.

و سبب الإقرار بشموليه الحب على العشق، فذلك لأن العشق مرتبه من مراتب الحب، التى أولها الهوى، ثم العلاقه، ثم الكلف، ثم العشق، ثم الشغف، ثم التتميم، ثم الشوق.

و إذا كانت تلك هى مراتب الحب و درجته فان الحب يتسع و يتنوع بعده أنواع، فهناك حب الأهل، و حب الأصدقاء، و حب المرأه، و حب الأشياء، و حب الطبيعه، و هناك الحب الروحى، إلخ..

و أحسن عشق العاشقين إذا كانوا محبين، تطهرت نفوسهم من البغضاء، و تسامت بالحنان و الموده و الحب.

و يظهر فى مجمل شعر الشريف الرضى أنه محب كبير يخفق قلبه بحب الأهل و الأصدقاء و الناس و الأماكن، أى أن حبه للمرأه كان من نور جنس مشع بالحب، ممتلىء بالعاطفه. و البشر فى طبائعهم، يتباينون، فبعضهم خلق ألوفا، محبا، و البعض الآخر خلق مبعضا، لئىما، و البعض الثالث موزع بين الاثنين يحب حىنا، و يبغض حىنا، تسوقه دواعى المصلحه و الرغبه فلا يستجيب لغيرها. أى أن عقله و قلبه يخدمان تيار غريزته غير المشدبه.

و كانت نفس الشريف الرضى المتطهره بالشرف و الاستقامه و السخاء، قد ألفت الحب، فلا عجب إن كان ذلك عاملا مهما من عوامل غربته، بل فى المقدمه منها. و لا بد من الإشاره إلى عام تغريبي كبير، كان له أثره البالغ فى نفس الشاعر الحساسه، و تجربته فى الحب، ذلك هو وفاه الأم.

فكما كانت نكبه الشاعر بسجن والده نكبه الحب الأولى، فان نكبه الكبرى حلت بموت أمه كانت بعد سجن أبيه التعويض العاطفى الكبير له.

لقد اهتزت أركان حياته اهتزازا عنيفا، حىن فقد محبوبته المقدسه أمه (فاطمه بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الأصم) التى أسبغت عليه نعم الحب، و الرعايه، و الحمايه، فكانت له خيمه، و سندا، و أى سندا! فكانت أول غربه هى فقدانه لها، و قبل ذلك قال جده

(زين العابدين): "فقد الأ-حبه غربه!" و تبوح قصائد الرثاء - عاده - بتلك الغربه بوحا بعيدا، عند موت الأم خاصه، فكانت قصيده (المتنبى) فى رثاء جدته التى أحبها حبا شديدا، لأنها كانت له أما و أباء، تفجىعا كبيرا، فصاح طعينا، و هو يحن إلى الكأس التى شربت بها، و يهوى لمثواها التراب:

ألا لا أرى الأحداث حمدا و لا ذما فما بطشها جهلا و لا كفها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدى و يكرى كما أرمى

لك الله من مفعوجه بحبيبها قتيله شوق غير ملحقها و صما

أحن إلى الكأس التى شربت بها و أهوى لمثواها التراب و ما ضما

و يقول:

و ما انسدت الدنيا على لضيقها و لكن طرفا لا أراك به أعمى

كذلك كانت رثائيه أبى العلاء (المعرى) حىنا دهمته مصيبه أمه، فى سنه ٤٠٠ و كان فى السابعه و الثلاثين من عمره:

دعا الله أما ليت أنى أمامها دعيت و لو أن الهواجر آصال

مضت و كانى مرضع و قد ارتقت بى السن حتى أشكل الفود أشكال

وقال أيضا:

مضت وقد اكنهلت فخلت أنى رضيع ما بلغت مدى الفطام

كما كان يقول فى رساله له إلى خاله:

" و حزنى لفقدها كنعيم أهل الجنة، كلما نفذ جدد".

فكيف يكون الرثاء، و كيف تكون الغربه، و الشريف الرضى تطوح به الفادحه الفدحاء، بموت الأم التى تجسدت فيها كل ضروب المحبه، و العون، و الحنان، فكان له فى " همزيتة " جئير، يتناوح فيه كل الباكين الذين فقدوا فى أنفسهم شيئا لا يسترجع بعد فقد الأم:

ص: ٢٧١

أبدى التجلد للعدو و لو درى بتلملى لقد اشتفى أعدائى

ما كنت أذخر فى فداك رغبه لو كان يرجع ميت بفداء

فارقت فيك تماسكى و تجملى و نسيت فيك تعزى و إبانى

و صنعت ما ثلم الوقار صنيعه مما عرانى من جوى البرحاء

كم زفره ضعفت فصارت أنه تممتها بتنفس الصعداء

لهفان أنزو فى حبال كبه ملكت على جلادتى و غنائى

و جرى الزمان على عوائد كيده فى قلب آمالى و عكس رجائى

قد كنت آمل أن أكون لك الفدا مما ألم فكنت أنت فدائى

لو كان مثلك كل أم بره غنى البنون بها عن الآباء

كيف السلو و كل موقع لحظه أثر لفضلك خالد بازائى

فعلات معروف تقر نواظرى فتكون أجلب جالب لبكائى

و يختم القصيده:

صلى عليك و ما فقدت صلاته قبل الردى و جزاك أى جزاء

لو كان يبلغك الصفيح رسائلى أو كن يسمعك التراب ندائى

لسمعت طول تاوهى و تفجعى و علمت حسن رعايتى و وفائى

كان ارتكاضى فى حشاك مسببا ركض الغليل عليك فى أحشائى

و فى جميع قلوب الشريفة الرضى، تدور العين، فيستشعر الشريف الرضى الجمال فيراه بميزان العين ثم يختمه بختم القلب، فما

كان يدرى الحب إلا بعد أن تعرضت العين إلى العين فقال:

و ما كنت أدرى الحب حتى تعرضت عيون ظباء بالمدينه عين

فو الله ما أدرى الغداه رميننا عن النبع أم عن أعين و جفون

بكل حشى منا رميه نابل قوى على الأحشاء غير أمين
فررت بطرفى من سهام لحاظها و هل تتلقى أسهم بعيون
و قالوا انتجع رعى الهوى من بلاده فهذا معاذ من جوى و حنين
جلون الحداق النجل و هى سقامنا و وارين أجيادا و سود قرون
و لو لا العيون النجل ما قادنا الهوى لكل لبان واضح و جبين
يلجلجن قضبان البشام عشيهِ على ثغب من ريقهن معين
ترى بردا يعدى إلى القلب برده فينقع من قبل المذاق بحين
تماسكت لما خالط اللب لحظها و قد جن منه القلب أى جنون
و ما كان إلا وقفه ثم لم تدع دواعى الهوى منهن غير ظنوني
نصصت المطايا أبتغى رشد مذهبي فاقلعن عنى و الغوايه دونى
و قوله فى واحده من لواحق الحجازيات، ذاكرا فعل اللحظ:
يا رفيقى قفا نضويكما بين أعلام النقا و المنحنى
و انشدا قلبى فقد ضيعته باختيارى بين جمع و منى
عارضضا السرب فان كان فتى بالعيون النجل يقضى فانا
إن من شاط على ألاحظها ضعف من شاط على طول القنا
و قوله:

يا صاحبي تروحا بمطيتى إن الظباء بذى الأراك سلبنى
سيرا فقد وقف الطعين لما به مستسلما و نجا الذى لم يطعن
ما سرنى وقنا اللحاظ تنوشنى أنى هناك قتيل غير الأعين

و قد كان عشق الشريف الرضى معاشه رضيه بين الحب و الزهد.. ورث الزهد وراثه روحيه، كما ورثه وراثه ثقافيه. و فى تاريخ

الشعر العربي، كان الشعراء الزهاد موجودين منذ القرون الهجرية الأولى، و هم أسبق من الشعراء العذريين، و منهم عبد الرحمن بن أبي عمار الشهير بالتعس، و عروه بن أذينة، و يحيى بن مالك و غيرهم.

بعبارة أخرى إن الشعر العربي نقل خطأ بيانياً لأفكار الزهد من خلال الشعراء الأتقياء، ثم تطورت المؤثرات الزهديه فى الشعر فأخذت تعبير العشق القلبى الذى عرف به الشعراء العذريون، فكان الشريف الرضى امتداداً أصيلاً للزاهدين و مستوعباً استيعاباً عميقاً لحكمه الموت التى نبع منها كل زهد إسلامى أو غير إسلامى.

و قد قال:

قد آن أن يسمعك الصوت أ نائم قلبك أم ميت

يا بانى البيت على غره أمامك المنزل و البيت

أ يجزع المرء لما فاته و كل ما يدركه فوت

و إنما الدنيا على طولها ثنيه مطلعها الموت

و لكن زهديه الشريف الرضى ليست تنسكا و رهبانية، بل هى معرفه بالموت من خلال الحياه، فكانت روحه المشدوده بين قطبى الحياه و الموت، تنبض بالحياه، بأعلى أصواتها الحره، و تستجيب لحكمه الموت، بصوره مبادئ أخلاقيه صارمه، و القلب هو القادر على تلبية نداءات الحياه الحره، و التعرى أمام الموت بقانون الحره.

فالقلب هو ال (أنا) بكل علنيته و استبطاناتها. و هو - بالنتيجه - يصطفى الروحى و الحسى اصطفاً شفافاً فيؤلفهما خير مؤالفه.

و القلب، قلب الشريف الرضى، كالميزان العادل الذى يتحسس بأوزان الجمال، فهو يلهب التهاباً شديداً، و يضيق، عند ما يدرك أنه لا يتحمل الحبس الطويل فى داخل صدره، و المحبوب خارج أسوار الصدر يتلألاً، و لكن كنجم قطبى ما أبعد، و إن ذلك التناقض الذى كان يتجرعه القلب، يظل - دائماً - عنوان تجربه الزهد و العشق، فالقلب فى بسط و قبض، فى عطاء و أخذ، فى امتلاء و فروغ، فى جذب و طرد، إنه مشدود بين العلوى و الأرضى، و بين الروحى و الحسى انشداداً لا تفلت منه.

إن هجرات الروح ليس لها مستودع غير القلب، الذى يضيف عند الامتلاء بالحب و الحسره فيتسع اللسان بالعباره.

و تلك المناوبه، و المبادله التى لجأ إليها للتعبير عن أشواقهم و مكابدهم، وجدت عند الشريف الرضى واحداً من أمثلتها المهمه، و هو القائل عن صدق شعره:

ص: ٢٧٢

الرمز المقدس في جبههم و في علاقاتهم.

و ربما استعار العديد من المتصوفه و شعراء الغزل من الشريف الرضى "قلبياته" التي ازدان بها شعره، فلطالما كان (القلب) ملهمه، و مرشده، و منبع إحساسه. و قد شكّا إلى الله ذلك القلب (قلبه!) الذي كان يناضل من أجل الوصال، فإذا ما وصل كان انقطاعا. لقد كان قلبه مشنوقا بين قطبي التوتر، و كانت نفسه تعرج بين الارتواء و العطش، بين البرد و الهجير، بين الخميلاه و الرمضاء، فصرخت:

أشكو إلى الله قلبا لا قرار له قامت قيامته و الناس أحياء

إن نال منكم وصالا زاده سقما كان كل دواء عنده داء

كان قلبي يوم البين طار به من الرفاع نجيب الساق عداء

إن سلطان القلب على الجسم و النفس يقوم عند ما تتحقق العبوديه.

فحينما يكون القلب مملوكا للمحجوب، فإنه مستعبد له - بفتح ألباء - لكنه مستعبد - بكسر ألباء - لجسم صاحبه، فيفقد العقل سلطته، و تصبح وظيفه الحواس مبهمه خارج نطاق المحجوب.

و مسأله القلب، إنه معذب في الوصل و في الهجر، إنه يحمل وجهي المرآه اللذين يرى فيهما الحاضر و الغائب، الممكن و المستحيل، البهجه و الخوف.

و سواء أ كان الحبيب قريبا أو بعيدا فان الشوق يحجز قلب الشاعر كما ذكر:

أقول و قد أرسلت أول نظره و لم أر من أهوى قريبا إلى جنبى

لئن كنت أخليت المكان الذى أرى فهيئات أن يخلو مكانك من قلبى

و كنت أظن الشوق للبعد وحده و لم أدر أن الشوق للبعد و القرب

خلا منك طرفى و امتلا منك خاطرى كأنك من عيني نقلت إلى قلبى

إن صله العين بالقلب، أعقد من أن يدرك بعدها الحقيقى، و "طوبى لمن كان له عين فى قلبه" كما أورد (الشلبى).

فعين المحجوب تسكر قلب المحب، و يحار المحب بين سكره قلبه و انكسار عينه أمام سطوه جمال المحجوب، فيصبح قابلا للعبوديه، مكتشفا بذلك أسرار الحريه، فقال فى بعض قلبياته:

هل ناشد لى بعقيق الحمى غزيبلا مر على الركب

أفلت من قانصه غره و عاد بالقلب إلى السرب

و أظماً القلب إلى مالك لا يحسن العدل على القلب

يعجب من عجبى به فى الهوى وا عجبى منه و من عجبى

أقرب بالود و ينأى به و يلى على بعدك من قرب

منعم يعطف منه الصبا لعب الصبا بالغصن الرطب

بلاده النعمه فى طبعه و ربما ناقش فى الحب

أما اتقى الله على ضعفه معذب القلب بلا ذنب

يا ماطلا لى بديون الهوى من دل عينيك على قلبى

و يختار القلب عبوديه الحب، فيقلد المحبوب و سام الاماره، و يمنحه حق التصرف، واجدا فى الطاعه سعاده الكبيره. إن العبوديه فى حضره المحبوب هى حريه المحب، أو طريقه لاكتشاف حريته التى معنى لها بحروفها ككلمه، بل هى معروفه بمضمونها، بمقدار ما يتهيأ للقلب من استبشار، و رضا، و سرور، فقال فى بعض غزله:

رمانى كالعذو يريد قتلى فغالطنى و قال أنا الحبيب

و أنكرنى فعرفى إليه لظى الأنفاس و النظر المريب

و قالوا أطعت [أطعت] و كيف أعصى أميرا من رعيته القلوب

و لأن الهموم الطائله تناوشت نفس الشريف الرضى، فان قلبه أضحى مثل طير كريم أضناه العطش، يبحث عن عين ماء، ما أن يريد الارتواء منها حتى يغيض ماؤها، أو تجف، أو تطمرها الكتبان الهائجه.

و لم يحظ تساؤل بتلك النبره الطولانيه التاسعه مثل تساؤل الشريف الرضى عن هموم قلبه، و هو يتخاطب:

ما للهموم كأنها نار على قلبى تشب

أ لأجل ما حمل القلب من الحب، أصبح وجيبه شعرا؟ و أصبحت ناره أكبر من نار الغضا حتى أضحى الاستعاره بين القلب و النار إشعارا بان الجسم - كله! - فى حاله احتراق، و حكم بالإعدام ينفذ يوما بعد يوم، ترى أى قلب ذاك الذى كان يطلب الاقتداح به بدل الزناد:

يا قادحا بالزناد مر فاقتدح بفؤادى

نار الغضا دون نار القلوب و الأكباد

و قال الشريف الرضى العديد من القصائد المشبعه بالاغتراب المكنى المرافق للاشتياق الباكي و منها هذه القصيده التى قالها فى شهر ربيع الآخر سنه ٣٩٢ هـ:

ص: ٢٧٣

المنع، القيظ، التجرع، الغصص، الملام، التقرع، البكاء، الدجى، الخضوع، التوديع، الفراق، الهون، اللسع، الصدود، الكمد.. وها هو المثال:

يا صاحب القلب الصحيح أما اشتفى ألم الجوى من قلبى المصدوع

أ أسأت بالمشتاق حين ملكته و جزيت فرط نزاعه بنزوع

هيهات لا تتكلفن لى الهوى فضح التطبع شيمه المطبوع

كم قد نصبت لك الجبائل طامعا فنجوت بعد تعرض لوقوع

و تركنتى ظمآن أشرب غلتى أسفا على ذاك اللمى الممنوع

قلبى و طرفى منك هذا فى حمى قيظ و هذا فى رياض ربيع

كم ليله جرعته فى طولها غصص الملام و مؤلم التقرع

أبكى و يبسم و الدجى ما بيننا حتى أضاء بثغره و دموعى

تفلى أنامله التراب تعللا و أناملى فى سنى المقروع

قمر إذا استخجلته بعبابه لبس الغروب و لم يعد لطلوع

لو حيث يستمع السرار وقفتما لعجبتما من عزه و خضوعى

أبغى هواه بشافع من غيره شرى الهوى ما نلته بشفيح

ما كان إلا قبله التسليم أرفها الفراق بضمه التوديع

كمدى قديم فى هواك و إنما تاريخ و صلك كان مذ أسبوع

أهون عليك إذا امتلأت من الكرى أنى أبيت بليله الملسوع

قد كنت أجزيك الصدود بمثله لو أن قلبك كان بين ضلوعى

و من مفعول (ذكرى الذكرى)، كان الشريف الرضى ينظر إلى الآثار و الأمكنه بجذليه الرغبه و الإشفاق، الرغبه فى أن يرى الطلول، و الإشفاق على نفسه من الأسى، فهو مسوق بدعوه المرور على آثار الأحباب، و حذر - فى الوقت نفسه - من المرور عليها، إنه مقسوم بين نداءين متعارضين، هما نداء القلب، الأبديان، و لا خلاص له من ضغطها إلا بالشهقه التى يسجد لها البكاء،

و كل حزن:

أ من ذكر دار بالمصلى إلى منى تعاد كما عيد السليم المؤرق

حيننا إليها و التواء من الجوى كأنك فى الحى الولود المطرق

أ الله أنى إن مررت بأرضها فؤادى مأسور و دمعى مطلق

أكر إليها الطرف ثم أرده بإنسان عينى فى صرى الدمع يغرق

هواى يمان كيف لا كيف نلتقى و ركبى منقاد القرينه معرق

فواها من الربع الذى غير البلى و آها على القوم الذين تفرقوا

أصون تراب الأرض كانوا حلولها و أحذر من مرى عليها و أشفق

و لم يبق عندى للهوى غير أننى إذا الركب مروا بى على الدار أشهق

لكن ما ذا تستطيع الأمكنه أن تفعل للقلب المدمى؟ و ما ذا تستطيع اللقاءات المتواتره، أو العابره، فى القرب، أو فى البعد، أن توفر لنفس متساميه فى مذهب الحب؟ لا شىء، لأن مذهب الحب الذى اعتنقته روح الشريف الرضى كان يأخذ زيتة و وقوده من (الجوى)، و العذاب الطويل، فقال:

علق القلب من أطال عذابى و رواحى على الجوى و غدوى

و افترقنا فى مذهب الحب شتى بين تقصيره و بين غلوى

كان عندى أن الحبيب شقيقى فى التصافى فكان عين عدوى

ساءنى مذ نابت نسيان ذكرى فاذكرونى و لو ذكرت بسوء

إن التستر هو ملمح مميز من ملامح شخصيه الشريف الرضى على شدة ما تنطوى عليه شاعريته من انتهاك للصمت الكبير بعباره الشعر، إنه تستر العفه و الاستقامه.

و فى متقابلات الثنائيه المريره، كان عشقه آليه ضوئيه تومض و تنطفئ، تقترب و تبتعد، و على نار الجوى كان يحرق فؤاده، و الحبيب قريب، فكيف إذا ما تنائى؟! و هكذا ارتكز عشق الشريف الرضى على اندفاعه الشوق، التى كان يسلبها قوتها، و يردها على عقبها أعراض المتستر، فتنتال الذكريات فيقول:

يقر بعينى أن أرى لك منزلا بنعمان يزكو تربه و يطيب

و أرضا بنوار الأفاحى صقيله تردد فيها شمال و جنوب
و أى حبيب غيب النأى شخصه و حال زمان دونه و خطوب
تطاولت الأعلام بينى و بينه و أصبح نأى الدار و هو قريب
لك الله من مطلوله القلب بالهوى قتيله شوق و الحبيب غريب
أقل سلامى إن رأيتك خيفه و أعرض كيما لا يقال مريب
و أطرق و العينان يومض لحظها إليك و ما بين الضلوع و جيب
يقولون مشغوف الفؤاد مروع و مشغوفه تدعو به فيجيب
و ما علموا أنا إلى غير ريبه يقاء الليالى نغتندى و نثوب
عفاى من دون التقيه زاجر و صونك من دون الرقيب رقيب
عشقت و ما لى يعلم الله حاجه سوى نظرى و العاشقون ضروب
و ما لى يا لمياء بالشعر طائل سوى أن أشعارى عليك نسيب
أحبك حبا لو جزيت ببعضه أطاعك منى قائد و جنيب
و فى القلب داء فى يديك دواؤه ألا رب داء لا يراه طيب

إن عفه الشريف الرضى، هى عفه رجل اختار التحريم اختيار المؤمن الثابت، فلم يصل إلا إلى التسليم برغبه اللثم، فى تقليد شعرى، و رغم التأوهات التى انشق عنا صدره بين (اللقاء) و (الفراق) فان أقصى ما تسعفه به حكمه الزمن، هو لثم القرينه، فكأنه فى مذهبه العشقى يرى الجمال فى تناسخ دائم، أو فى حلوليه متوزعه بين الفتيات و الغزلان، فقال فى واحده من حجازياته و هو يذكر أيامه بمنى:

إن العفه رفعت الشريف الرضى الزاهد إلى مكانه الرجل المحرم لا فى مناسبات (الحرام) وحدها، بل فى جميع عشقياته التى سىح فيها للجمال مستنبطاً منه الأزليه الالهيه و أناشيد الشوق الكونيه، و كيف لا و هو القائل:

"أنا مولى لشهوتى و سواى عبد لها"

و يلعب (الرقيب) الأخلاقى، الذى لم يكن إلا- "ضمير" الشريف الرضى، دوراً حاسماً فى تقرير شكل العلاقه المتبادله مع المحبوب. و التى تحتويها - أصلاً و ابتداء - روحيه جماليه مفرطه التناقض.

كان الشريف الرضى، بدافع رقيه الداخلى يتعفف، و كان بدافع عين الرقيب الخارجى المتلصص، يختار التجنب و الصدود، رغم اللوعه، فكان يقول:

ألا أيها الركب اليمانون عهدكم على ما أرى بالأبرقين قريب

و إن غزالاً جزتم بكناسه على الناي عندى و المطال حبيب

و لما التقينا دل قلبى على الجوى دليلاً حسن فى العيون و طيب

و لى نظره لا تملك العين أختها مخافه يثنوها على رقيب

و هل ينفعننى اليوم دعوى براءه لقلبي و لحظى يا أميم مريب

و ما يراه جمهور الوشاه، و المنافقين، و الصغار، من معايب فى الكبار السامقين، المعاميد فى العشق و الحكمه و الحياه، يتضخم، لأن الشخص الكبير بعقله، و شجاعته، و كرمه، حيث يكون مرموقاً، فإنه يكون محط افتراء المفترين و تشويه المشوهين، فيكثر الاختلاق، و تناوشه سهام المتعرض، فيلجأ الشاعر إلى سلاحه، و هو القصيده، فيوجه الهجو إلى من ينتقص منه، أما السياسى فيلجأ إلى سلاح الحكمه، و تختلف الأسلحه عند الشعراء، و السياسيين، و الحكماء، و الفرسان، غير أنها تنوع و تتلازم عند الشريف الرضى، لأنه الشاعر، و السياسى، و الحكيم، و الفارس، فقال حكيماً:

نزل المسيل و بات يشكو سيله إلا علوت فبت غير مراقب

جمع المثالب ثم جاء تعرضاً بالمخزيات يدق باب الثالب

و إذا اجتمعت على معايب جمه ففتح جهدك عن طريق العايب

أو يكيل الصاع صاعين بالحكمه نفسها، و من مقامه الرفيع قائلاً:

و إن مقام مثلى فى الأعادى مقام البدر تنبجه الكلاب

رمونى بالعيوب ملفقات و قد علموا بانى لا أعاب

و أنى لا تدنسى المخازى و أنى لا يروعنى السباب

و لما لم يلاقوا فى عيبا كسونى من عيوبهم و عابوا

و كذلك:

و جاهل نال من عرضى بلا سبب أمسكت عنه بلا عى و لا حصر

حمته عنى المخازى أن أعاقبه كذاك تحمى لحوم الذود بالدبر

و كان إذا انفعل فيه روح الشاعر شديد الهجاء، قوى التعرض، يهجم هجمه الفارس، الأنوف، المتعالى على الأردياء، كقوله:

لعل الدهر أمضى منك غربا و أقوى فى الأمور يدا و قلبا

و مقلته إذا لحظت حسامى تغض مهابه و تفيض رعبا

فكيف و أنت أعمى عن مقالى و لو عاينته لرأيت شهبأ

عذرتك أنت أردى الناس أصلا و أخبث منصبا و أذل جنبا

و أنت أقل فى عينى من أن أروعك أو أشن عليك حربا

أ أعجب من خصامك لى و جدى رسول الله يوسع منك سبا

و من رجم السماء فلا عجيب يقال حثا بوجه البدر تربا

فانك إن هجوت ليثا و إنى هجوت هجوت كلبا

السيرافيان

إشاره

و قال الشيخ محمد رضا الجعفرى معلقا على بعض ما نشر عن الشريف الرضى:

من هو ابن السيرافى هذا؟ و السيرافيان اللذان عاصرهما الشريف، هما:

(الأب): الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد السيرافى، ثم البغدادى، المعتزلى، الحنفى (٢٨٤/٨٩٧ - ٣٦٨/٩٧٩) أحد أعلام العلم و الأدب و اللغه.

كان أبوه مجوسيا اسمه (بهزاد) فأسلم و سماه أبو سعيد (عبد الله). ولد أبو سعيد بسيراف، وفيها نشأ، ثم هاجر إلى بغداد فسكنها حتى توفي عن أربع وثمانين سنة، كان يدرس - كما قال عنه المترجمون له - القرآن، وعلومه، والقراءات، والنحو، واللغة، و الفقه، والفرائض والكلام، والشعر، والعروض، والحساب، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، معتزلي العقيدة، حنفي المذهب، ولى قضاء بغداد و كان نزيها، عفيفا، جميل الأمر، حسن الأخلاق، لم يأكل إلا من كسب يده، ينسخ و يأكل منه، حتى أيام قضائه، و له كتب كثيرة في القراءات، و النحو، و غيرها.(١)

و (الابن): يوسف بن الحسن، أبو محمد، بن السيرافي، البغدادي (٣٣٠/٩٤١ - ٣٨٥/٩٩٥) و كان عالما بالنحو، و الأدب، و اللغة، أخذ عن والده، فخلفه في جميع علومه، و تصدر مجلسه بعد موته، و أكمل كتبه التي مات و لم يكملها، و ألف كتبا عدة، و كان يرجع إلى علم و دين، رأسا في العربية.(٢)

فأيهما الذى حضر عليه الشريف؟ يقول الدكتور الحلو أنه الأب، أبو سعيد نفسه، لا ابنه أبو محمد، ابن السيرافي(٣) ثم يتناوله بتفصيل أكثر فيقول:

و يرى الدكتور إحسان عباس أنه: (ربما كان من الوهم أن نعد أبا سعيد السيرافي واحدا من أساتذة الرضى (...)) لأن السيرافي أبا سعيد توفي و عمر الرضى يقل عن ثمان سنوات (...)) و ابن السيرافي المشار إليه - فيما أعتقد هو: ابن أبي سعيد يوسف و قد توفي (...)) و رثاه الرضى (...)) و قد خلف يوسف أباه في علومه(٤) و قد رد الأستاذ محمد عبد الغنى حسن هذا الرأى،

ص: ٢٧٥

- ١- تاريخ بغداد: ٣٤١/٧-٣٤٢، (ابن) النديم/ ٦٨، المنتظم: ٩٥/٧، الأنساب: ٣٣٩/٧-٣٤٠، إنباه الرواه: ٣١٣/١-٣١٥، ابن خلكان: ٧٨/٢ - ٧٩، ياقوت: ٨٤/٣-١٢٥، سير أعلام النبلاء: ٢٤٧/١٦-٢٤٨ و مصادر كثيرة أخرى.
- ٢- المنتظم: ١٨٧/٧، إنباه الرواه: ٦١/٤-٦٣، ياقوت: ٣٠٧/٧، ابن خلكان: ٧٢/٧-٧٤، سير أعلام النبلاء: ٢٤٨/١٦-٢٤٩، و غيرها.
- ٣- ديوان الشريف الرضى: ٨٢/١.
- ٤- الدكتور إحسان عباس، الشريف الرضى / ٣٩-٤٠.

و قال: أنه (لا حاجة للإنكار، و لا موضع للغرابه، لأن الشريف كان شديد الذكاء، و إذا ذهبنا مع الدكتور إحسان عباس إلى أن المراد هو ابن أبي سعيد السيرافي، لا أبو سعيد نفسه، فهل يحل هذه القضية و ينفي تعلمه النحو، و هو دون العاشره؟!)(1).

و لست أرى مجالاً للخلاف في هذه القضية، فان ابن جنى يذكر أن الرضى أحضر إلى مجلس ابن السيرافي، و واضح أن المراد هنا أبو سعيد، لا ولده، فهو الذى كان صاحب المجلس و أستاذا لابن جنى، و كان ابن جنى يتلقى عنه، فهو شاهد عيان، و لم تذكر الروايه أن الرضى قرأ عليه شيئاً، و إنما لقنه النحو فى جملة من يلقن من حضور الحلقة، ثم ذاكروه بشيء من الاعراب ليختبر تقدمه، و قد كان يوسف ولده يفيد الطلبه فى حياه أبيه - كما يذكر ابن خلكان - و لعله كان يعنى بالمبتدئين فى العلم من حضور حلقة والده كالرضى.

فالرضى إذا حضر حلقة أبي سعيد، و هو صاحب القصه معه، و هذا لا يدفع أنه ربما استفاد من علم ولده يوسف الذى كان يفيد الطلبه فى حياه أبيه، و إن كان لا يشعر نحوه بما يشعر به الطالب نحو أستاذه، فقصيدته فى رثائه لا تدل على أنه يرثى أستاذا له، و لم يقلها الرضى فيه إلا ليحافظ على ما ضيعه الناس من الوفاء و ما هكذا يفعل الرضى فى رثاء أساتذته.(2)

و قد سبقه إلى عد أبي سعيد السيرافي نفسه أستاذا للشريف، السيد الأمينى فى الغدير: ١٨٣/٤، و سبقهما السيد الخوانسارى فى روضات الجنات فى ترجمه (أبى سعيد السيرافي): ٧٣/٣، و ذكر: أن الثعالبي ذكر فى ترجمه الشريف: أنه له فى أبى سعيد مرثيه - و ذكر ثلاثه أبيات منها - ثم ترجم لابنه يوسف، و تبعه فى هذا الشيخ عباس القمى فى الكنى و الألقاب: ٣٤٠/٢ و لا أدرى كيف وقع له مثل هذا مع أن الثعالبي يصرح بان المرثى هو أبو محمد بن أبى سعيد(3) و هكذا صدرت القصيده فى ديوان الشريف.

(4) و هذه إحدى المشكلتين. و هناك مشكله أخرى، و هى أن الشريف قد ذكر من قرأ عليهم و هم:

١ - على بن عيسى بن الفرغ، أبو الحسن الربعى، الشيرازى، ثم البغدادى (٣٢٨/٩٤٠ - ٤٢٠/١٠٢٩) و توفى الشريف، و الربعى كان لا يزال حيا.

٢ - أبو الفتح عثمان بن جنى، الموصلى، ثم البغدادى (ح ٣٢٧/٩٣٩ - ٣٩٢/١٠٠٢).

و قال الشريف نفسه: (و قال لى شيخنا أبو الحسن على بن عيسى النحوى، صاحب أبى على الفارسى، و هذا الشيخ كنت بدأت بقراءه النحو عليه قبل شيخنا أبى الفتح عثمان بن جنى، فقرأت عليه (مختصر الجرمى) و قطعه من (كتاب الإيضاح) لأبى على الفارسى، و (مقدمه) أملاها على كالمدخل إلى النحو...)(5).

و وجه المشكله أن الشريف إن كان قد قرأ على السيرافي، الأب، أو الابن، أيا كان، فلما ذا لم يشر إليه؟ و قال شيخنا النورى: (و ظاهره أنه لم يقرأ على السيرافي، و إلا لأشار إليه، مع أنه عند وفاه السيرافي [الأب، و هكذا فسره بالأب] كان ابن تسع سنين، كما يظهر من تاريخ ولاده الأول و وفاه الثانى) ثم حكى ما حكاه ابن خلكان، فقال: (و فى قوله: فلقنه النحو مسامحه)(6).

و الذى أراه فى حل المشكله الأولى التأكيد على مدلول (ابن) السيرافي! فان إضافه (ابن) إنما جىء بها للتعريف، و التعريف

بالإضافة إلى الأب (السيرافي) لا يصح إلا إذا كان الأب قد بلغ من الشهره المبلغ الذي يعد أشهر من يحمل العنوان، فيعرف به من يضاف إليه (ابنا) كان أو (أخا) أو غيرهما، وهذا يعني: أن المشتهر يوم ذاك بالسيرافي كان هو الأب، لا الابن الذي حضر الشريف مجلسه، وهذا لا يصح إلا إذا كان الأب أبو سعيد السيرافي نفسه، لا أبوه بهزاد المجوسى الذي عاش فى سيراف، و الذى أسلم و سماه ابنه عبد الله، عاش مغمورا و مات مغمورا، و لو لم يبلغ ابنه أبو سعيد ما بلغه لم يسمع بذكره أحد. و بهذا يكون الذى حضر عنده الشريف ابن أبى سعيد السيرافي أبا محمد، لا هو نفسه. و ليست المشكله تدور حول قصر السن أو قله الذكاء، فإنه لا مناقشه فى شدة ذكاء الشريف و حده فطنته، و قصر سنه لم يمنعه من الحضور على الشيخ المفيد - كما سيأتى - و سيأتى أن عمره كان يوم ذاك فى حدود السادسة.

و لم أجد فيما أملك من المصادر قراءه ابن جنى على أبى سعيد السيرافي، و إنما الذى تتفق المصادر كلها عليه أنه قرأ على أبى على الفارسى، فى صحبه دامت أربعين سنه، صحبه فى أسفاره، و خلا به فى مقامه (٧)، و يذكر ابن مأكولا أن ابن جنى (سمع جماعه من المواصله و البغداديين) (٨)، إلا أن أحدا لم يذكر أنه كان فيهم أبو سعيد السيرافي.

و لا نملك أى حجه تدلنا على قراءه الشريف على السيرافي، سواء أ كان الأب أم الابن، سوى ما تدل عليه النادره المرويه عنه فى علامه النصب فى كلمه عمر، و هى لا- تدل إلا على أنه حضر مجلس الابن دون الأب، و بهذا لا أجد أى مبرر لما أحتاط الدكتور الحلو فى رأيه حينما ارتأى أن الشريف قرأ على الأب، و أضاف: (و هذا لا يدفع أنه ربما استفاد من علم ولده يوسف).

و لا- يلزم أن تكون القراءه على الابن أنها كانت بعد وفاه الأب بل أرجح أنها وقعت فى حياه الأب، و فيما يقرب من تاريخ حضوره على شيخنا المفيد - كما سيأتى - و إنما اختير له الابن (و كان يفيد الطلبه فى حياه أبيه) (٩)، أن الأب يوم ذاك كان قد بلغ من العمر عتيا، و من الشخصيه العلميه ما ارتفع بها .

ص: ٢٧٦

١- محمد عبد الغنى حسن، الشريف الرضى / ٢٤.

٢- الشريف الرضى، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، معهد المخطوطات العربيه، جامعه الدول العربيه، القاهره، ١٩٧٦/١٣٩٦/١٠٤-١٠٦، و هى مكتوبه بالآله الطابعه.

٣- يتيمه الدهر: ١٤٩/٣.

٤- ط. بيروت: ١/٤٩٠-٤٩١.

٥- حقائق التأويل: ٨٧-٨٨.

٦- مستدرک الوسائل: ٣/٥١٤.

٧- إنباه الرواه: ٣٣٦/٢، ياقوت: ١٨/٥-١٩، ابن خلكان: ٢٤٦/٣ البلغه فى تاريخ أئمه اللغه / ١٣٧، نزهه الألباء / ٣١٥، ٣٣٣، سير أعلام النبلاء: ٣٨٨٠/١٦، ١٨/١٧، بغيه الوعاة: ١٣٢/٢، روضات الجنات: ١٧٦/٥، ١٧٧، ١٨٠.

٨- الإكمال: ٢/٢٨٥، الأنساب: ٣/٣٦١.

٩- إنباه الرواه: ٤/٦١، ابن خلكان: ٧/٧٢، اليافعى: ٢/٤٢٩-٤٣٠.

عن الاشتغال بمبادئ النحو و العربية، و تلقين الصغار تلك المبادئ، دون الابن و خاصة في حياه الأب، و هو بعد لم يشغل مجلس أبيه.

و الذى كان من ابن السيرافى أنه لقن الشريف النحو، و يقصد منه التعليم الشفهى، و التحفيظ و تقويم اللسان، و لا تدل القصة على أن الشريف قرأ عليه شيئاً من الكتب الموضوعه فى النحو، لا- صغيرها و لا- كبيرها، بل و أن (مختصر الجرمى) و ما كان كالمدخل إلى النحو قرأهما على الربعى فيما بعد.

و لعل لهذه الجبهه، و لأن التلقين انتهى بتلك النادره سبب ذلك انقطاع الشريف عن أبى محمد السيرافى، بعد أن لقنه أوليات النحو.

و أرى أن ما ذكرته كاف لتعليل تلك الظاهره التى أشار إليها الدكتور الحلو، و التى تبدو من رثاء الشريف لأبى محمد السيرافى، و أظن قويا أن موقف أبى محمد السيرافى من نادره الشريف كان موقف غضب و امتعاض، و لعل ذلك الموقف، أو ما تعقبه من ملاحظات و تعليقات خلف ذلك كله فى نفس التلميذ الصغير و خاصة إن كان يمثل الشريف الرضى آثار سوء ظلت حيه، حتى و بعد أن مات أبو محمد.

و أرى أيضا أن هذا كاف لتفسير تغافل الشريف عن الأيام المعدودات التى حضر فيها عند ابن السيرافى، و عدم الاهتمام بتلك الأيام و تغافلها، عند ما ذكر الشريف من قرأ عليه النحو و الأدب.

المقصوره الحسينيه

و قال الشيخ محمد رضا الجعفرى معلقا على حذف المقصوره الحسينيه الشهيره

(كربلاء لا زلت كربا و بلا)

من الطبعه التى صدرت فى بغداد باشراف الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو زاعما أنها ليست للشريف الرضى:

إن مقصوره الشريف الرضى:

(كربلاء لا زلت كربا و بلا)

لأشهر ما نظمه على الإطلاق، فان كان شعره على كثرته، و سعه أغراضه، و سمو معانيه، و رفعه منزلته الأدبيه، معروفا عند الأدباء، معينين بها، فان مقصورته تداولتها الأجيال الواسعه قراءه و سماعا منذ عصره إلى عصرنا الحاضر، بل و أن الكثير منهم قرءوها أو سمعوها و إن لم يعرفوا القائل.

إن ما قاله الدكتور الحلو حول المقصوره يرجع إلى مصدرين:

١ - ما وجده من التعليقات حول المقصوره فى بعض مخطوطات الديوان التى استعرض الكثير منها و وصفه فى تصديره للديوان.

٢ - ما ارتاه هو، و إن كان من الطبيعي أنه كان بوحي من تلك التعاليق.

فقد حكى الدكتور (التصدير/ ١٦٤) أنه جاء فى الأصل و (ك) (يقال: أنها آخر ما قاله من الشعر، و أنها ربما كانت منحوله) و يقصد بالأصل: مخطوطه دار الكتب المصريه و هى انتساخ لديوان الشريف الرضيصنعه أبى حكيم الخبرى، و قد وصفها الدكتور فى التصدر [التصدير/ ١٣١-١٣٣، و من (ك): نسخه كوبريلى (التصدير/ ١٤٧-١٤٨)، و جاء فى (س):

(لم توجد فى ديوانه، بل هى منحوله، لكونها لينه لا- تشبه شعره، و هو الصحيح) و (س) رمز لمخطوطه فى المكتبه الأهليه بباريس (التصدير/ ١٥٧ - ١٥٨) و جاء فى هامش (ى): (إن هذه القصيده لا يمكن أن تكون من شعره، و إنما دسها عليه أغمات الاماميه، لما فيها من العقائد، و الليونه التى لا تلائم نفس الشريف) و علق الدكتور: (و واضح أن كاتب هذه الحاشيه زيدى يجتوى الاماميه) و (ى) رمز للنسخه اليمنيه، و هى نسخه كتبها زيدى، و تداولتها أيد زيديه كثيره (التصدير/ ١٣٣-١٣٨).

و من هذه التعاليق يظهر أن التشكيك، أو النفى يعتمد على أمرين:

١ - أنها لينه لا تشبه شعر الرضى.

٢ - ما فيها من العقائد (و يقصدون بها: التصريح بالأئمه الاثنى عشر) التى لا يعتقد بها المعلق فلم يستسغها للشريف! يضاف إليهما ثالث، و هو ما ارتاه الدكتور نفسه حول المقصوره، و أنها تختلف عن منهج الشريف فى حسنياته الأربع الأخرى! و قبل الدخول فى مناقشه هذه النقاط الثلاثه لا بد لى من أن أقدم تاريخا موجزا لهذه المقصوره، بل لشعر الشريف، و أنه كيف جمع، و ما موقع المقصوره من ديوانه، و أكتفى هنا بما قاله الدكتور الحلو نفسه فى التصدير، و ملخصه:

إن شعر الشريف كان مجموعا - بصوره أو بأخرى - فى حياته، و أنه هو كان يتولى ذلك بنفسه، و قد اهتم عدنان ابنه بشعر أبيه بعده، فاخرج من مسوداته أوراقا قليله نحو كراسه، زادها على شعر أبيه، ثم جاء أبو حكيم الخبرى فاخذ هذه الكراسه، و ضم إليها الأقطاع و الأبيات التى وجدها، و صنع من ذلك كله بابا ألحقه بالديوان سماه باب الزيادات، و قد ذكر فى خاتمه الباب أن ما اجتمع له أضعاف ما جمعه ابنه عدنان.

(و باب الزيادات الذى صنعه أبو حكيم الخبرى يضم خمس و ثلاثين و تسعمائه بيت، زادها على صنعه الرضى لديوانه، و ليس كل هذا الشعر من قبيل الأبيات المفرده، أو المقطوعه ذات البيتين، أو الثلاثه، أو الخمسه، و إنما بعض هذا الشعر قصائد، منها قصيدته التى تضم الأبيات (٥٧٧-٦٠٧) و هى التى خاطب فيها سلطان الدوله و عرض بدم أعدائه، و منها قصيدته التى تضم الأبيات (١-٦٢) و هى فى رثاء الحسين بن على) (١) و لم يرقمها الدكتور متسلسله لأنه تفضل فحذفها! و لا بد من بعض التعريف بأبى حكيم الخبرى هذا، فهو: أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن الخبرى، البغدادى، الشافعى (- ١٠٨٤/٤٧٦).

إمام الفرضيين، العلامه - كما بقول [يقول] الذهبى و عامه المترجمين له - كانت له معرفه تامه بالحساب و الفرائض، و له معرفه بالأدب و اللغه، و كان متمكنا من علم العرييه. تفقه على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى، الفقيه الشافعى الشهير، و سمع الحديث الكثير من جماعه. و كان مرضى الطريقه، خيرا، دينا صدوقا، انتهت إليه الامامه فى الفرائض، و الأدب، و كان يكتب الحظ [الخط] الحسن، و يضبط [الضبط] الصحيح. شرح الحماسه، و ديوان البحترى، و المتنبى، و الرضى، و كان ينسخ المصحف

الكريم، و مات و هو ينسخ مصحفا، و كانت له بنتان، الكبرى رابعه، و أم الخير فاطمه، و كانتا من رواه الحديث و الأدب. و
(الخبري) نسبه إلى (خبر)، و كانت قريه بنواحي

ص: ٢٧٧

١- التصدير / ١٢٧-١٣٠.

شيراز، بها قبر سعيد أخى الحسن بن أبى الحسن البصرى، كان أصله منها. (١)

و قد عنى بجمع ديوان الشريف الرضى جماعه، و أجود ما جمع الذى جمعه أبو حكيم الخبرى. (٢)

و مما تقدم يبدو بوضوح: أن الخبرى لم يكن بالجاهل الذى لا يميز الأصيل من المنحول، و لا بالغر الذى ينخدع بقول هذا أو ذاك، و لا يتفق مع الشريف فى المذهب أو العاطفه حتى ينساق مذهبياً أو عاطفياً، و هو عند المترجمين له - و كلهم ممن تثق بهم الأمومه، و يطمئن إليهم الاعلام الصدامى - من الثقه و الصدق و الأمانه فى المحل الذى يأبى عن الكذب و الافتعال، و لم يبعد به الزمن عن عصر الشريف، حتى يحول بينهما عبث الأيام! و أنا لا أملك صورته من الأصل الذى اعتمد عليه الدكتور، و لا النسخ التى جعلها مراجع لتحقيق الديوان، لكن اختلاف التعبير فى تلك التعاليق من جهه، و اختلاف الحجج فيها من جهه أخرى يدل على [على] أنها ليست من جامع الديوان (الخبرى) نفسه، بل هى كلها إما من النساخ أو القراء، لم يقلها الخبرى، حتى الذى جاء فى الأصل و نسخه (ك) منها. و لم يفصح الدكتور الحلو: أن ما جاء فى (الأصل) أو (ك) إنما جاء فى الهامش أم فى المتن، كما أفصح فيما جاء فى (ى)، و إن أحسنت الظن بالدكتور، أو بالاعلام الصدامى، فأرى أن هذا الإبهام قد يكون متعمدا مقصودا، كى يوحى إلى القارئ أن التعليق إنما هو من صلب الديوان! و لى مما تقدم شواهد تؤكد لى حسن ظنى هذا! بل و إن كلام الدكتور نفسه عند ما بحث حول الزيادات التى أفردتها الخبرى، و تساءل: فما الذى صرف الرضى عنها فلم يدعها فيما أذاعه من شعره؟ ذكر أن الخبرى قدم توجيهها لها، و مدلول ذلك: أن الخبرى نفسه كان جازما بصحة انتسابها إلى الرضى! و إن لم يقبل الدكتور بتوجيه الخبرى فى بعضها و فى المقدمه المقصوره الحسينيه! (التصدير / ١٦٣-١٦٤) و هذا كله.

يدلنا دلالة قاطعه على أن هذه التعاليق ليست، و لا واحده منها من الخبرى نفسه! و نعود إلى النقاط الثلاث التى قلت أنها هى الأساس للتشكيك أو النفي:

١ - فالليونه التى قيل أنها توجد فى المقصوره بما لا يتناسب و شعر الشريف، فقد قال عنها الدكتور الحلو نفسه:

أما بناء القصيده فان وصف جميعه بالليونه أمر مبالغ فيه، و لكن بعض أبياتها لين لا يشبه شعر الرضى - مثل قوله:

يا رسول الله فاطمه يا أمير المؤمنين المرتضى

كيف لم يستعجل الله لهم بانقلاب الأرض أو رجم السما

لو بسببى قيصر أو هرقل فعلوا فعل يزيد ما عدا

و قوله:

ميت تبكى له فاطمه و أبوها و على ذو العلا

لو رسول الله يحيا بعده قعد اليوم عليه للعزا

إن هؤلاء النقاد غفلوا - أو تغافلوا عامدين - عن أمر يختص به أدب الرثاء الحسيني، و هو: أن الرثاء الحسيني ينقسم إلى قسمين: رثاء فني أدبي، و هذا ما يشترك فيه الرثاء الحسيني و أى رثاء آخر - و رثاء ماتمى شعبي. و لكل منهما خصائصه و ميزاته، قد تجتمع و قد تفترق. و ليست قصائد الشريف الأربع (٤) شعر المآتم، و إن كانت رثاء أدبيا! و من عاش المآتم الحسينيه [الحسينيه] - و مع الأسف أن الدكتور الحلو لم يعيشها و إن حضرها لا أثق بأنه يفعل نفسيا بها، و السر واضح - علم أن شعر المآتم لا بد و أن يكون شعرا و صفا ماساويا، يصف المأساه و صفا شعريا يمزج الحقيقه بالعاطفه، و الواقع بالاحساس النفسى، كى يكسب فى نفوس السامعين - و هم عامه الناس، أى مختلف طبقاتهم، الأدباء و غير الأدباء، و ذو الثقافه العالیه، و السواد الأعظم - الرقه و الخشوع، و يستدر منهم الدموع، بل و أكثر من الدموع! و لا تكفى هنا الإشاره العابره، و الكنايه الأدبيه، و اللغه الفنیه.

و يكفى فى هذا الرجوع إلى " الدر النضيد " تأليف سيدنا الأمين، رحمه الله، و إلى المقاطع التى حشى بها الشيخ ابن شهر آشوب كتابه (مناقب آل أبى طالب) و التى هى نماذج لأدب الرثاء يوم ذاك، و منها مقصوره الشريف، دون غيرها من حسينياته.

و من هذا أقول بكل تأكيد: إن الشريف لم ينظم حسينياته الأربع تلك كى تقرأ فى المآتم، و ينوح بها النائحون و النائحات، و هو من أعلم الناس بشعر المآتم، شعر دعبل، و العونى، و الناشئ، و أضرابهم مما كان يناح به يوم ذاك، نعم، إن مقصورته تمتاز عنها بأنه قالها فى كربلاء و يوم عاشوراء، و قالها ارتجالا، و من المحتمل الراجح أنه قالها و هو يحضر المآتم هناك، و فى ذلك اليوم، و لا- يمكن لأحد أن يلمس جو كربلاء، و جو عاشوراء، و جوها معا إن اتفقا، و جو المآتم الحسينى، و خاصه إن كان يوم عاشوراء، و فى كربلاء، فى الحائر الحسنى، إلا إذا كان شيعيا حسينيا، و خاصه إن كان علويا - نسبا و روحا - كالشريف! فمقصوره الشريف شعر المآتم هناك، يوم ذاك، لا- شعر المهرجانات أو المباريات الأدبيه! شعر البكاء و الدموع، لا شعر الاعجاب الأدبى، و المقدره الفنیه، شعر النوح و اللطم، لا شعر (أمسيات الشعر)! و هذا هو الفارق الأساس بين روح المقصوره و بين طابع حسينياته الأخرى، فطابعها أدبى فنى، و طابع المقصوره حسينى، و هى فن شعرى، و المقصوره ولاء حسينى، كربلائى عاشورائى! و سم هذا ما شئت! سمه ليونه، أو سمه مطابقه لمقتضى الحال! ٦.

ص: ٢٧٨

١- المنتظم: ٩٩/٩-١٠٠، معجم الأدباء: ٢٨٥/٤، الإكمال: ٥١/٣، الأنساب: ٣٨/٥-٤٠، اللباب: ٤١٨٨/١-٤١٩، معجم البلدان: ٣٤٤/٢، إنباه الرواه: ٩٨/٢، سير أعلام النبلاء: ٥٥٨/١٨، ابن كثير: ١٥٣/١٢ - و قد أخطا فى تعيين سنه الوفاه، فذكر فى غير محله - الأسنوى، طبقات الشافعيه: ٤٧١/١-٤٧٢، ابن هدايه الله، طبقات الشافعيه / ١٧٢-١٧٣ السبكي، طبقات الشافعيه: ٦٢/٥-٦٣، بغيه الوعا: ٢٩/٢، شذرات الذهب: ٣٥٣/٣.

٢- إنباه الرواه: ١١٥/٣، ابن خلكان: ٤١٦/٤، شذرات الذهب: ١٨٣/٣.

٣- التصدير / ١٧١-١٧٢.

٤- راجع (الأولى) الديوان - ط بيروت ٢٧٨/١-٢٨١، و (الثانيه) ٢٨١/١-٢٨٣، و (الثالثه) ٣٧٦/١-٣٧٨، و (الرابعه) ٦٥٨/٢-٦٦١، و قارن بالمقصوره و هى فى ط بيروت، ٣٣/١، ٣٦.

و الحق أقول: إن الشريف وفق في مقصوره هذه قدر ما وفق في حسنياته تلك، بل و لعله برز في المقصوره ما لم يبرز في غيرها! و بعد، فالقصيده التي تبلغ اثنين و ستين بيتا، إن وجد فيها أبيات معدوده لم ترتفع إلى المستوى العام للقصيده نفسها، أم لم تبلغ المستوى التام لشعر شاعرنا، متى كان هذا دليلا يعتمد عليه على نفي القصيده و حذفها بتامها، إلا بالنسبه إلى الرضى، و في مقصوره الحسينيه خاصه، و عند الاعلام الصدامي!!.

فمن من الشعراء، من تقدم على الشريف منهم، من جاهليين، و مخضرمين، و إسلاميين، من أمويين أو عباسيين، أو الذين عاصروه أو جاءوا بعده، و إلى عصرنا الحاضر، لا- في الأدب العربي فحسب بل في الآداب الإنسانيه كلها بمختلف عصورها و لغاتها من أمكنه أن يحتفظ بمستوى واحد لا يقصر عنه أبدا، في كل ما نظم أو كتب؟! و لا أجدنى بحاجه إلى إيراد الأمثله، فالتهديب و الانتفاء سمه عامه لكل شاعر و أديب، و شعر المناسبات يختلف عن الآثار الأديبه المقصود منها التبرز و الظهور، و بعد التهديب و الانتفاء لا يزال هناك فارق كبير في شعر أى شاعر، و فى أدب أى أديب، بين هذا الشعر و ذاك و بين هذا القول و ذاك! و الرضى نفسه كان يعمد إلى مثل هذا، و تجد مثلا لذلك فى ديوان الرضى: ٨١٦/٢، و للدكتور الحلو إشارات إلى هذا الأمر، و لعل الشريف أراد لمقصوره أن يعيد النظر فيها و يهدبها أو ينتقى منها، و لكن المنيه لم تمهله - فى سن مبكر نسبيا - و هى من آخر ما قاله، و أمانه الخبرى لم تسمح له أن يصنع شيئا لم يفعله الشاعر نفسه.

و بهذا أكون قد ناقشت ما قرره الدكتور الحلو: (و لعل أفضل وسيله للحكم عليها (أى المقصوره) هى الرجوع إلى قصائد الرضى الأخرى فى رثاء الحسين بن على (س) على قله شعره فى هذا الباب بالقياس إلى شعراء الشيعة فيه) ثم يستعرض سماتها العامه و يميزها عما جاء فى المقصوره فيقول: (و قد استبان من هذا العرض للمعانى التي وردت فى القصائد الأربع الأولى، و القصيده الأخيره: أنه لا نسب بين هذه الأربع و بينها، فهذه الشكاه التي تنضح بها القصيده الأخيره، و الاستغاثه بالرسول (ص) و خصومته لبنى أميه فى الدار الآخره، و وقوفه موقف المظلوم، و تعداد الأئمه، و اعتبارهم الشافين من العمى، و الشفعا مع الرسول يوم القيامه) (و التأكيد على مقاطع معينه، إنما هو منا، لا من الدكتور نفسه) كل هذا لم نعهده من الرضى فى رثائه لأبى عبد الله الحسين، و إنما عهدناه ثائرا تلمع نصول السيوف فى شعره، و تتناول لها ذم الأسنه، مهددا بيوم يجرده فيه الخيل للوغى، لا بالعقاب و الحساب فى يوم القيامه). (١)

و تتلخص المناقشه: نعم هناك فارق و لكن، لا بين شخصين، و لكن بين روحيين: فان ما نلمسه فى تلك القصائد الأربع، إنما هو روح الشريف نفسه، و ما نلمسه فى المقصوره إنما هو الوجدان الشيعى المتمثل فى الشيعة و منهم الشريف، فالشريف فى تلك يكشف عن نفسه و نفسياته الخاصه به، و فيها يعبر عن روح الولاء الذى يحمله كل شيعى حسينى! ٢ - و أما الزيديه و الاماميه و عقيدته الشريف، فأرى أن البحث فيه من لغو القول! فلم يكن الشريف بالرجل المغمور الذى يجهل أصله، و أهله، و الوسط الذى كان يعيش فيه، و الذين كان يتصل بهم، أو يتصلون به، حتى يجهل مذهبه، و يكون مجال شك، ثم مجال بحث و استدلال! فهو إمامى معروف، معروف بأسرته و أهله، و من يتصل بهم من الاماميه، لم يشك فى ذلك أهله و لا أصحابه الاماميه! و لكن لاعتبارات لا تخفى، أحكى كلاما لأحد علماء الزيديه حول الموضوع:

قال يوسف بن يحيى بن الحسين بن (الامام المؤيد بالله) محمد بن (الامام المنصور بالله) القاسم بن محمد بن على الحسنى الصنعانى الزيدى (١٠٧٨/١٦٦٧ - ١١٢١/١٧٠٩) بعد أن ذكر جملة من قصيده الرضى البائيه فى الأئمه الاثنى عشر (ع)، و منها:

سقى الله المدينة من محل لباب الماء و النطف العذاب

و جاد على البقيع و ساكنيه رخی الذيل ملثان الوطاب

و أعلام الغرى و ما استباحت معالمها من الحسب اللباب

و قبرا بالطوف يضم شلوا قضى ظما إلى برد الشراب

و سامراء و بغدادا و طوسا هطول الودق منخرق العباب

(٢) قال: هذه الأبيات من القصيدة أردت بإيرادها تبين معتقد الرضى، رحمه الله تعالى، فان جماعه ممن قصر فهمهم من المؤلفين يتهمون أنه على مذهب الامام أبى الحسين زيد بن زين العابدين، قدس الله روحه، و نعم ذلك المذهب الفاضل! و من العجب أن منهم القاضى أحمد بن سعد الدين، مع وفور علمه و اطلاعه، و يحتجون بأنه كان يريد الأمر الذى كان فى يد الخليفه ذلك الزمان، بدليل أبياته القافيه الشهيره، التى كتبها إلى الطائع، و لأن ابن عنبه قال فى عمده الطالب: و قيل: أن الرضى كان زيديا. و لم يعلموا أنه أراد الملك لأنه أحق به، و لو أراد الخلافه لم تنتقض عقيدته على مذهب الاماميه، و يلزم من هذا أن المرتضى أخاه، حيث كان أول من بايع الخليفه هو، كان عباسيا، و ليس كل من شهر السيف دعى زيديا! و إلا لكان الخوارج زيديه! و هذا شعر الرضى و روايات العلماء عنه تأبى ذلك، و كل تابع لأهل البيت البرره الأتقياء موفق، إن شاء الله تعالى، و تابع جعفر الصادق و زيد بن على لم يتبع إلا البر التقى المجمع على فضله.(٣)

٣ - و أما ما ذكره الدكتور الحلو أخيرا: (و ظنى الغالب أن هذه القصيده مصنوعه و منسوبه إلى الشريف الرضى، أراد صاحبها لها الذيوع و الانتشار فى محافل عاشوراء، فاجتهد ما وسعه الاجتهاد فى أن يضع عليها ميسم الرضى، و خانه التوفيق فى بناء بعض أبياتها، كما فضحه حشو القصيده بعقائد لم يمرن).

ص: ٢٧٩

١- التصدير / ١٧٠-١٧١.

٢- ديوان الرضى: ٩١/١.

٣- نسمة السحر فى ذكر من تشيع و شعر، ترجمه الشريف الرضى، مخطوط - المصوره التى أملكها، ج ٢، الورقه (٤٦١) ب - (٤٦٢) أ).

عليها الرضى شعره و لم ينضح بها قريضه). (١)

و أقول:

إن الشريف قد جعل من شعره وسيله للتعريف بنفسه، خاصة فيما يريد له الاذاعه و الظهور، و لأجل هذا لا نجد فى شعره ما نجده فى شعر كثير من شعراء الشيعة الذين وقفوا شعرهم لبيان عواطفهم و أحاسيسهم المذهبيه - أو جعلوا ذلك أحد أهدافهم الرئيسه، و لم يكتفوا بالافصاح عن ذاتياتهم الخاصه - فلا نجد فى شعره مديحا خالصا لرسول الله (ص)، و لا لأبيه أمير المؤمنين، و أمه الصديقه الطاهره (ع)، و هو فى هذا يختلف عن العونى، و ابن حماد، و الناشئ، و قبلهم الكميت، و دعلج، و أضرابهم، فنجد شعرهم شيعيا بل و يختلف عن أخيه الشريف المرتضى أيضا، فهؤلاء شيعة، و التزموا أن يكشف شعرهم عن عقيدتهم، و أن يكون معبرا عن تشيعهم، فى حين أن الشريف كان شاعرا شيعيا، كأبى تمام، و ابن الرومى، و أمثالهما.

و لم يشتهر الشريف بالأدب المذهبى، و خاصة فى أدب الرثاء الحسينى، الشهره التى تجعل المغمورين يحاولون أن يلصقوا آثارهم به فينحلون شعر غيره إياه، كى يرتضيه السامعون إذا تلى عليهم منسوبا إلى الرضى فيروج عندهم! و النائحون و النائحات، و قراء المآتم، و منشد و مجالس العزاء الحسينى إنما يهتمون بمضمون الشعر و مدى تأثيره على السامع أكثر ما يهتمهم الشاعر نفسه، بل إن الشاعر يغفل عنه غالبا عندهم و عند السامعين على سواء، فلا يسمونه إلا نادرا، و لأغراض خارجه عن إطار القراءه و إقامة المآتم.

و لا يسعنى أن أتجاوز هذا الموضوع إلا و أن أذكر واحدا من هؤلاء، و قد أدرك عصره الشريف، و سمع الكثير من شعره، و هو الناشئ البغدادى، على بن عبد الله بن وصيف (٢٧١/٨٨٤ - ٣٦٦/٩٧٦) (صاحب المراثى الكثيره فى أهل البيت) (٢) قال معاصره و صديقه و حاكى سيرته و قضاياه، الحسين بن محمد الخالع، الأموى نسابا، البغدادى، (٣٣٣/٩٤٥ - ٤٢٢/١٠٣١): (و كان الناشئ قنوما بالكلام و الجدل، يعتقد الامامه و يناظر عليها بأجود عباره، فاستنفد عمره فى مديح أهل البيت حتى عرف بهم، و أشعاره فيهم لا تحصى كثره) (٣) و راجع قضاياه، بل و كراماته فى النوح بشعره فى ياقوت: ٢٤٠/٥-٢٤١، لسان الميزان:

٢٤٠/٢٣٩/٤، و إذا أردت نموذجا لما كان يناح به يوم ذاك فى المآتم، بل و إلى قرابه قرنين بعد ذلك العصر، و هو عصر الخطيب الخوارزمى، الموفق بن أحمد الحنفى (٤٨٤/١٠٩١ - ٥٦٨/١١٧٢)، و نموذجا أيضا لشعر الناشئ، فارجع إلى ما حكاه الخطيب الخوارزمى من شعره فى مقتل الحسين (ع): ١٤٥/٢-١٤٧ صدره بقوله: (و للناشئ على بن وصيف، مما يناح به فى المآتم).

و أنا أعجب من الدكتور أنه يعمد إلى أبعد الاحتمالات من الواقع، و أقربها إلى عالم الخيال و الوهم، فيختاره، و يغلب ظنه عليه، و هو أن شاعرا مغمورا له القدره على مجاراه الشريف الرضى، و لكنه ينسى نفسه و لا يشيد بمقدرته الشخصيه، بل يتقمص الشريف الرضى، و يقلده فى قصيده عدد أبياتها اثنان و ستون بيتا، يوفق فى ذلك، إلا فى عده أبيات!! فلم لم يسلم الدكتور بان الرضى نفسه هو القائل، و أنه هو الذى خانه التوفيق - إن كان الدكتور مصرا على هذه الخيانه!!.

و لا تفسير لهذا الاختيار الشاذ عندى سوى أن الاعلام الصدامى يرضيه هذا الاختيار، مهما كان بعيدا متكلفا فيه، و يغضبه إذاعه

الواقع، و إن دلت عليه الحججه، و كان هو التفسير الطبيعى و المعقول المقبول.

و أنا أعجب أكثر من قوله: (و فضحه حشو القصيده بعقائد لم يمرن عليها الرضى...) كيف لم يمرن عليها الشريف، و قد مر قبيل هذا نموذج من قول الشريف، و لا أظن أن الدكتور لم يقرأ بائيه الشريف التى حكينا أبياتا منها قبيل! و الدكتور نفسه قد قرأ ما قاله صاحب نسمة السحر، و يحكى عنه جمله من قوله فى هامش / ٥١-٥٢ من التصدير.

و آخر ما أقوله: إن الاعلام الصدامى لم يرد لنفسه أن يكون ناشرا للمقصوره، و لا للشريف أن يعرف بأنه القائل لها، فحذفها من الديوان ثم أوحى إلى من أوحى بان يضع المعاذير لذلك!! (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ). (٤)

و الكلمه الأخيره: أنا إن سلمنا جدلا بان ما قاله الدكتور الحلو حول المقصوره كله صحيح لا مطعن فيه لطاعن، و لكنه بحذفه المقصوره قد فتح الباب لنوع من التحريف السافر، و التلاعب المعلن به بالكتب و الآثار، لم يسبق أن فتحه قبله أحد! فان القاعده الأساسيه المتبعه فى نشر النصوص - و الدكتور نفسه من أمس من يتصل بها و يعرفها، بحكم عمله فى قسم المخطوطات فى جامعه الدول العربيه - الاحتفاظ بالنص فى صورته الأصلية التى أرادها المؤلف له، و عمل المحقق و الناشر لا يعدو تقويم النص و إعطاء أقرب صورته و أوثقها إلى التى اختارها المؤلف.

و الدكتور قد تولى نشر ديوان الرضى لا على أساس أنه هو الذى جمعه، فله أن يختار ما وثق بنسبته إلى الشريف، و يحذف ما كان على ريب من ذلك، بل على أساس أنه ناشر لعمل جامع آخر، و هو الخبرى الذى تولى الجمع، و الطبعه نفسها تحمل هذا العنوان: (صنعه أبى حكيم الخبرى)، و التزاما منه بالأمانه العلميه احتفظ الدكتور بنظام الخبرى القائم على أساس الأغراض، لا التنظيم على أساس حروف القوافى، الذى حول الديوان إليه فى كثير من مخطوطاته - كما يذكر الدكتور فى التصدير - و هكذا فى طبعاته السابقه، و منها الطبعه البيروتية الأولى. و لا شك أن الخبرى - و يسلم بذلك الدكتور - قد أثبت المقصوره فى الزيادات التى ألحقها بالديوان.

فاقصى ما هو المسموح به للدكتور أن يبدى ريبه من نسبه المقصوره إلى الشريف، فى التصدير أو عند ما تأتى فى صلب الديوان، كما صنعه بعض النساخ أو القراء، و حكى الدكتور صنيعهم فى التصدير. و صنيع الدكتور قد تجاوز كل هذه الاعتبارات، و خرق السنه المتبعه فى الاحتفاظ بالنصوص - على ١٥

ص: ٢٨٠

١- التصدير / ٧٢.

٢- ابن الأثير: ٦٨٨/٨، ابن خلكان: ٣٦٩/٣، لسان الميزان: ٢٣٨/٤.

٣- معجم الأدباء: ٢٣٥/٥.

٤- القيامه ٧٥:١٤-١٥

ما هي عليه، و كما هي - و ليس لنا إلا الحكم بأنه خيانه واضحه للأمانه العلميه، و نقض فاضح لقواعد نشر النصوص، و سنه سيئه قد سنهها الدكتور لتبرير التحريف و التلاعب، فعليه وزرها و وزر من عمل بها (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) (النحل، ٢٥/١٦) - نسأل الله سبحانه أن يجنبنا و يجنب الناشرين الاستنان بها -.

الرضى المؤلف

قال السيد صدر الدين شرف الدين:

عالج "الشريف" الحظ في بعض شعره، و رآه "يمشى بأقوام و أن وقفوا" و لكنه ما ارتضاه - و أن تمناه أحيانا - لنفسه التي شداها شدا واعيا إلى الحقائق و القيم رغم تكييلها إياه بالمقاييس، و تقديمها عليه فاقدتها من الجهال المحظوظين.

هو - إذن - يقحم نفسه المعركة الرهيبة ببطوله ترفض (الجبر) و تتحمل مسئوليته الحريه و الاختيار في كفاح لا- تزيدده مظاهر النجاحات المصطنعه إلا تمسكا بحقائق الأمور، و احتمالا لهموم الواقع الثقال.

و مهما تكن هذه المشكله في ذاتها، و مهما يكن موقف "الشريف" منها، فالشريف ممتحن بها امتحانا يسلكه في عداد الكبار من ضحاياها، و ما نهتم به في هذه الكلمه هو العبور من هذه الحكايه إلى إبراز محتته في جوهرها، و تشخيصها في كيفها و نوعها، معنيين بالبرمجيه و التنهيج، لا بالنصوص و الأحداث.

يحسب الكثيرون امتحان الشريف بالنقاد و المقيمين امتحانا بسيطا لا يعدو إهماله و إعطاء غيره عناية أشد، و اهتماما أكبر.

هذا خطأ فامتحانه مركب يتعدى أمر إهماله المجمال إلى إزاحته عما به يكون، إلى التحدث عن أضعف ما به كان، في تفصيل إليك بيانه:

باحثو الشريف و المتحدثون عنه لا يحفلون منه بغير "الشاعر" فان تجاوزوا تقييمه، أو ضعفت مقاييسهم عن تحديده، ضاعفوا القول فيه بخصال من خصائصه، كطموحه و إباءه و ترفعه.

و البحث يقول لنا شيئا كثيرا عن جوانبه هذه، و لكنه يقول لنا شيئا أكثر و أمق عن عمل المؤسس في الشريف و محاولاته المجديه في تطويع الحضاره للثقافه القرآنيه و الفكر الإسلامى.

نستطيع أن نفهم الشريف على حقيقته لا في ديوانه، و لا في طموحه فقط، بل في أعماله التاليه:

١ - حقائق التنزيل و دقائق التأويل.

٢ - تلخيص البيان في مجاز القرآن.

٣ - معانى القرآن.

٤ - مجازات الآثار النبويه.

٥ - نهج البلاغه.

٦ - خصائص الأئمه.

٧ - تعليق خلاف الفقهاء.

ودع غيرها من أعماله الأدبيه فى رسائله و مختاراته.

نحن نرى فى اعماله هذه تطبيقا لمخطط رسمه غب دراسه و تأمل، و نراه فيها مخططا يطبق منهجه لحمايه الإسلام و العربيه، فى إيمان بهما و اندماج أعاناه على الوصول إلى ما فيهما من قوى الثبات و التكيف، فهو إذ يفتح للثقافات المختلفه يجد موضع الأمان بالقياده القرآنيه القادره على الاستيعاب و التكيف بوسائل نظامها العالمى الخالد، و إمكانات لغتها الواسعه المرنه، و واضح أن أعماله هذه تركز (الثبات) فى القرآن و الحديث و كلام على و الأئمه من بنيه، ثم تترك التطور للاجتهد يؤدلجه حسب التغيرات بفلسفه الإسلام و ثقافته.

و يلاحظ بتقدير و إكبار أن عمل الشريف الضخم هذا موضوعى لا أثر فيه للعصبيات التى كانت تمزق العالم آنذاك.

لا- يدخل فى منهج هذه الكلمه نقد مؤلفات الشريف هذه، كما لا- يدخل فى منهجها عقد مقارنه بينه و بين من كتب فى موضوعاتها من معاصريه أو ممن سبقهم، فما نريد قوله هو بالضبط: أن الفن الشعري أصغر ما يقاس به بقاء الشريف، و أن لا محيد لقادر الشريف حق قدره عن الرجوع فيه إلى شخصيه المؤسس، فمؤلفاته المنهجيه تربط ما قبلها بما بعدها ربطا يمنحه درجه قياده مستمره، و ذلك ما لا يحققه ديوانه و لا رسائله كيفما كان تقدير موهبته و فنه.

فمؤلفاته المنهجيه أنشأتها حاجه مرحله قوى فيها العقل و ضعف الحكم، و خيف من خلال التوازن بينهما أن يختل منهج التاريخ، ثم هى فى صميم هذا الظرف، تربط ما قبلها بما بعدها ربطا يمنح الشريف درجه قياده مستمره.

و ذلك ما لا يحققه ديوانه و لا رسائله كيفما كان تقدير موهبته و فنه.

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكركز كاني.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فقيها عالما بصيرا عارفا شاعرا له كتاب اليواقيت و ديوان فى الغزليات مات فى المدينه الطيبه سنه ١٢٣٠.

الشيخ محمد بن الشيخ على بن الشيخ عبد النبي بن محمد بن سليمان المقابى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هكذا قرر شيخنا الأمام الشيخ أحمد فى جوامع الكلم و هو فقيه عصره و متكلم مصره و له من المؤلفات كتاب: العمده فى الفقه. مات سنه ١١١٤.

الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحرانى.

قال فى كتاب تاريخ البحرين المخطوط نقلا عن اللؤلؤه، و نحن نأخذها عنه لأن فيها صورته عن الحياه فى تلك الأزمنه:

كان فقيها مجتهدا محققا مدققا دقيق النظر من أعيان علماء البحرين، إماما فى الجمعه و الجماعه، و له الرساله المسماه بالصفويه و رساله فى الصلاه صنفها فى شيراز للسيد البهى ميرزا صفى بن الميرزا محمد مهدي النسابه و سماها الروضه الصفويه فى فقه الصلاه اليوميه، و الميرزا محمد مهدي المذكور كان شيخ الإسلام فى شيراز بعد الشيخ صالح بن عبد الكريم الآتى ذكره، و له أيضا: شكل فى مسائل المنطق، قال شيخنا المحدث الصالح الآتى ذكره:

ص: ٢٨١

و ادعى الشيخ المذكور أنه غير جزء و أن الاستمرار كاف و ادعى عليه الإجماع و خالفه الأستاذ و قال: بل يجب عليه الرفع ثم الوضع.

و وقعت بينهما مشاجره عظيمه فانتهى أمرهما إلى أن قال: شيخنا (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ) ..

يريد أن هذا اعتقادك لأنك مجتهد لا يجوز لك تقليدي و هذا اعتقادي لأنني مجتهد أيضا لا يجوز لي تقليدك، فقال الشيخ بكلام فيه نفره و هنا كلام جهل لأنه التفت إلى أصل ورود الآية فإنها خطاب النبي (ص) للمشركين فقال شيخنا إنما هو بالحجج لا بالتشنيع و لم يمكنه أن يرد عليه أكثر من ذلك لأن الشيخ كان مشارا إليه و شيخنا بعد لم يشتهر و افترقا و انقضى المجلس و كل منهما مملوء غيظا على الآخر فبقى لمدته قليله تقرب من أربعين يوما و صنف شيخنا رساله في الرد عليه و عرض للشيخ محمد مرض عظيم و عاده شيخنا في مرضه و توفي في ذلك المرض رحمه الله و سنه يقارب من سبعين سنه في حدود السنه الخامسة و المائه و الألف و هو عام جلوس الملك الأعظم سلطان عصرنا اليوم السلطان حسين بن الشاه سليمان و قبره في مقبره المشهد و بنى على قبره فانتهد رئاسه البلد بعده إلى السيد هاشم التوبلى... (انتهى).

أقول: قد كانت هذه الرساله التي صنفها شيخنا الأستاذ الشيخ سليمان في هذه المسأله عندي ثم ذهبت فيما وقع على كتيبي من حوادث الأيام و التي لا تنيم و لا تنام، و لما مات الشيخ محمد المذكور رثاه الشيخ سليمان المذكور بقصيده جيده أطراه فيها و مدحه.

الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي:

إشارة

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن الشيخ حسام الدين إبراهيم بن حسن بن إبراهيم (٢)...".
بن أبي جمهور الشيباني الأحسائي، من مشاهير علماء الاماميه، فقيه مجتهد و راويه شهير و فيلسوف كبير و أديب شاعر.

والده و جده

أما والده الشيخ علي - المتوفى قبل عام ٨٩٥ هـ - فقد كان من كبار العلماء، و هو أستاذ ابنه و شيخه في الروايه، و يروى عن قاضى قضاة الإسلام ناصر الدين الشيخ إبراهيم بن نزار الأحسائي عن الشيخ حسن المطوع الأحسائي عن ابن فهد الأحسائي عن ابن المتوج البحراني - كما هو مذكور في أول "عوالي اللئالي" -.

و جده الشيخ إبراهيم ابن أبي جمهور أيضا كان من كبار علمائنا، و قد ذكرهما العلماء في كتب التراجم و أثنوا عليهما ثناء جميلا.

قال الشيخ عبد الله الأفندي في "رياض العلماء": "الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن الشيخ حسام الدين إبراهيم بن... أبي جمهور الأحساوى، الفاضل العالم الجليل والد الشيخ محمد... المعروف بابن أبي جمهور الأحساوى، و كان "قده" - يعنى على ابن أبي جمهور - و والده الشيخ حسام الدين إبراهيم المذكور و ولده الشيخ محمد المذكور من مشاهير علماء الاماميه...". (٣)

وقال الشيخ عباس القمى فى "الفوائد الرضويه": "على بن إبراهيم بن أبى جمهور الأحسائى... فاضل أديب عالم زاهد عابد..."
(٤).

وقال الشيخ على البحرانى فى "أنوار البدرين" - بعد أن ترجم المصنف -: "وكان والده الشيخ على و جده الشيخ إبراهيم من العلماء الفضلاء..."
(٥).

وقال الشيخ محمد بن أبى جمهور - صاحب الترجمة - فى الثناء على والده و جده: "الشيخ الزاهد العابد الكامل زين المله و الدين أبو الحسن على بن الشيخ المولى الفاضل المتقى من بين أنسابه و أضرابه حسام الدين إبراهيم بن... أبى جمهور الأحساوى..."
(٦).

وقال أيضا: "حدثنى أبى و أستاذى الشيخ العالم الزاهد الورع زين الدين أبو الحسن على بن الشيخ العلامة المحقق حسام الدين إبراهيم بن أبى جمهور الأحساوى.

مولده و نشأته

ولد المترجم فى "الأحساء" حدود سنة ٨٤٠هـ، يظهر ذاك من مناظرته مع العالم الهروى - التى جرت فى "مشهد خراسان" سنة ٨٧٨هـ - حيث قال فى آخر المجلس الثانى من المناظره: "فان عمرى اليوم يقارب الأربعين سنة..."
(٧).

و فى بلده "الأحساء" نشأ و ترعرع، و كان محل سكناه فيها قريه "التيمة" (٨) و مسجده فيها كان قائما إلى عهد قريب.

ص: ٢٨٢

١- بقلم السيد هاشم الشخص الموسوى. و هى منتزعه من كتاب له مخطوط اسمه أعلام هجر.

٢- كذا ذكر المصنف نسبه فى "العوالى" و فى "ريحانه الأدب" أضاف إلى ما ذكرنا: "بن حسين بن إبراهيم بن أبى جمهور

٣- رياض العلماء: ج ٣ ص ٣٢٦.

٤- الفوائد الرضويه: ص ٢٦٤.

٥- أنوار البدرين: ص ٣٩٩.

٦- عوالى اللآلى: ج ١ ص ٥-٦ و ٢١، باختصار.

٧- المناظره: ص ٤٣.

٨- قال الشيخ فرج العمران القطيفى فى "الأزهار الأريجيه" ج ١٤ ص ٢١١ ما ملخصه: "التيمة من قرى "الأحساء" كانت فى

القديم تضم طائفه من الفقهاء و المجتهدين و ثله من الحكماء الراسخين مما يبلغ عددهم أربعين عالما - كما قيل - منهم

الفيلسوف الشهير الشيخ محمد بن أبى جمهور و الشيخ محمد البويهى قدس الله أسرارهم... ثم أنشأ القطيفى أبياتا فى مدح

هذه البلده الطيبه فقال: قدسوها مدينه "التيمة" فهى من خيره القرى الهجرية قد سوا تلکم الربوع اللواتيهى بالأمس مشرقات

مضيه هى بالأمس مشرقات زواهابالتقى و المعارف الدينيه مشرقات بالحكمتين تسميتلك علميه و ذى عمليه جمعت أربعين من

علماء الدين ممن نالوا المراقى العليه منهم الفيلسوف "ابن أبى جمهور" رب اللطيفه القدسيه هو ذا كاتب "العوالى اللآلى" و

"المجلى" فى الحكمة النظرية منهم العالم البويهى من أدرك أسمى المراتب العلمية هؤلاء الأعلام كانوا مصايحبيهم قد أضاءت
"التيمية" فعليهم من ربهم رحمتاً أبد الدهر بكره و عشيه

درسته و أساتيده

تلقى العلوم الأوليه فى بلده "الأحساء" على يد علمائها الأعلام، و فى مده قليله تفوق على جمع أقرانه و نال قصب السبق فى كثير من العلوم و الفنون.

ثم هاجر إلى العراق و حل عاصمه العلم و العلماء "النجف الأشرف" و راح يواصل درسته على علمائها العظام خصوصا استاذه الكبير الشيخ عبد الكريم الفتال.

و بعد مده طويله قضاها فى النجف للترود من العلم عزم على حج بيت الله الحرام و ذلك سنه ٨٧٧ ه فتوجه إلى الحجاز عن طريق الشام و نزل مدينه "كرك نوح" و فيها التقى بالشيخ الجليل على بن هلال الجزائرى و أقام عنده شهرا كاملا مستفيدا من علومه.

و أما أساتيده فقد ذكر المصنف أربعه منهم فى مقدمه كتابه "العوالى" و هم:

١ - والده الشيخ زين الدين على بن أبى جمهور الأحسائى.

٢ - السيد شمس الدين محمد بن كمال الدين موسى الموسوى الحسينى الأحسائى (١)، و الظاهر أنه تلمذ عليهما فى "الأحساء".

٣ - الشيخ حسن بن عبد الكريم الفتال.

٤ - الشيخ على بن هلال الجزائرى.

مشايخه فى الروايه

و يروى عن جماعه من العلماء الأعلام ذكرهم المصنف فى مقدمه هذا الكتاب و هم:

١-٤ - أساتيده الأربعة المتقدم ذكرهم.

٥ - الشيخ حرز الدين الأوائلى (الأوالى) البحرانى.

٦ - السيد شمس الدين محمد بن السيد أحمد الموسوى الحسينى.

٧ - الشيخ عبد الله بن فتح الله بن عبد الملك الفتاحن الواعظ القمى القاسانى.

تلاميذه و الراوون عنه

يروى عن المصنف جماعه من العلماء و فيهم من كان من تلاميذته [تلاميذته] و هم:

١ - تلميذه المقرب إليه السيد محسن بن السيد محمد الرضوى القمى و تاريخ الإجازة له "منتصف ذى القعدة ٨٩٧ ه".

٢ - تلميذه الشيخ ربيعه (ربيع) بن جمعه العبري العبادي الجزائري.

٣ - السيد شرف الدين محمود بن السيد علاء الدين الطالقاني.

٤ - الشيخ محمد صالح الغروي الحلبي أجازه بثلاث إجازات:

الأولى: مختصره تاريخها "٢٤ ربيع الثاني ٨٩٦هـ".

الثانية: مبسوطه ذكر فيها المجيز "٢٤ كتابا" من تصانيفه، و تاريخها "أول جمادى الأولى ٨٩٦هـ".

الثالثة: متوسطه كتبها في قريه "فلقان" بأسترآباد و تاريخها "منتصف جمادى الأولى ٨٩٨هـ". ٥ - الشيخ علي بن عبد العالى المشتهر بالمحقق الكركي الثاني، ذكر ذلك في "روضات الجنات" (٢).

أسفاره

بعد الحج عاد إلى وطنه "الأحساء" و أقام بها قليلا ثم غادرها إلى زياره أئمه العراق (ع)، و بعد الزياره قصد "خراسان" لزياره الامام الرضا (ع) و فى الطريق ألف كتابه "زاد المسافرين فى أصول الدين".

و لما نزل المشهد الرضوى تعرف عليه السيد محسن بن السيد محمد الرضوى - من وجهاء "مشهد" و فضلائها - و حل المصنف ضيفا عنده، و أصبح السيد من تلاميذه و المصاحبين له، و ذلك سنه "٨٧٨هـ"، و فى هذا العام حدثت المناظره العلميه المعروفه بين ابن ابي جمهور و العالم الهروى - من أهل السنه - فى ثلاث مجالس خرج فيها ابن ابي جمهور منتصرا.

ثم عزم على الإقامه فى "مشهد" مجاورا للإمام الرضا (ع)، و فى حوالى سنه "٨٩٣هـ" عزم على الحج مره ثانيه، و بعد أداء المناسك توجه إلى العراق للمره الثالثه و ذلك فى أوائل سنه "٨٩٤هـ" و نزل "النجف الأشرف" للاشتغال بالعلم و التأليف و بها ألف كتابه "المجلى لمرآه المنجى".

و فى أواخر سنه "٨٩٥هـ" غادر النجف عائدا إلى وطنه الثانى "مشهد خراسان".

و الظاهر أنه بقى مجاورا للرضا (ع) حتى وافاه الأجل المحتوم.

مناظرته مع العالم الهروى

و لما استقر ابن ابي جمهور فى مدينه "مشهد" اشتهر أمره و عظم صيته فقصدته عالم سننى من أهل "هرات" - إحدى مدن "أفغانستان" - و طلب منه المناظره فى أمر الخلافه و بعض المسائل الخلافيه فأجابه المصنف إلى ذلك.

فعقدت الجلسه الأولى للمناظره فى منزل السيد محسن الرضوى و حضرها جمع من العلماء و الفضلاء.

ثم عقدت جلسه أخرى فى إحدى المدارس العلميه و بحضور جماعه من أهل السنه، و بعدها عقدت جلسه ثالثه فى مكان آخر

و دار فيها الحوار حول موارد من المسائل الخلافية. و ازداد بذلك صيتا و سمعه، و أعجب به علماء "خراسان"، و طلب منه تسجيل ما حدث في كتاب مستقل، فأجابهم إلى ذلك فكان كتابه المعروف "مناظره بين الغروي و الهروي".

و من أراد تفاصيل هذه المناظرات فليرجع إلى الكتاب المذكور المطبوع مرارا.

أقوال العلماء فيه

قال في "مجالس المؤمنين" - ما ترجمته -: "الشيخ محمد بن علي... بن أبي جمهور، صيت فضائله بين الجمهور مشهور و في سلك مجتهدى الاماميه المذكور، مولده الشريف "لحصا" - الأحساء -، و فنون كمالاته خارج عن حد الإحصاء".

ص: ٢٨٣

١- قرأ عليه في الفقه كما في "العوالي".

٢- ج ٧ ص ٣٣-٣٤.

وقال في "روضات الجنات": "الشيخ الفاضل المحقق و الحبر الكامل المدقق خلاصه المتأخرين محمد بن... أبي جمهور الأحسائي".

وقال الشيخ عباس القمي في "الفوائد الرضويه": "محمد بن أبي جمهور الأحسائي... عالم عارف حكيم متكلم محقق مدقق فاضل محدث خبير متجر ماهر...". (١).

وقال في موضع آخر من "الفوائد الرضويه": "الشيخ الممجد و الفاضل المسدد قدوه العلماء الراسخين و فخر الحكماء و المتكلمين الشيخ محمد بن...".

أبي جمهور الأحسائي". (٢).

وقال أيضا في "الكنى و الألقاب": "محمد بن... أبي جمهور الأحسائي... العالم الفاضل الحكيم المتكلم المحقق المحدث الماهر...".

وقال في "لؤلؤة البحرين": "و الشيخ محمد بن أبي جمهور المذكور كان فاضلا مجتهدا متكلمًا...".

وقال في "أمل الآمل": "الشيخ محمد بن جمهور الأحسائي كان عالما فاضلا راويه".

وقال في موضع آخر من "الآمل": "الشيخ محمد بن علي... بن أبي جمهور الأحسائي فاضل محدث...".

وقال المحدث النيسابوري - في رجاله -: "محمد بن علي... بن أبي جمهور الأحسائي متكلم فقيه محدث عارف...". (٣).

وقال السيد حسين القزويني في مقدمات "شرح الشرائع":

"محمد بن... أبي جمهور الأحساوي فاضل جامع بين المعقول و المنقول راويه للأخبار...".

وقال المحقق الكاظمي في أول كتاب "المقاييس": "العالم العلم الفقيه النبيل المحدث الحكيم المتكلم الجليل محمد بن... أبي جمهور سقاه الله يوم النشور من الشراب الطهور...". (٤).

وقال السيد نعمه الله الجزائري في شرحه على "العوالي": "العالم الرباني و العلامة الثاني محمد بن... أبي جمهور الأحسائي أسكنه الله تعالى غرف الجنان و أفاض على تربته سجال الرضوان".

وقال الجزائري أيضا - معللا رجوع شيخه إلى الرغبة في "عوالي اللآلي": "لأن جماعه من متأخري أهل الرجال و غيرهم من ثقات أصحابنا و ثقوه و أطنبوا في الثناء عليه - ابن أبي جمهور - و نصوا على احاطه علمه بالمعقول و المنقول...".

وقال في "ريحانة الأدب": "محمد بن... أبي جمهور الأحسائي الهجري من أكابر علماء الاماميه في القرن العاشر للهجره عالم عارف رباني محقق مدقق حكيم كامل متكلم فاضل محدث متجر ماهر...". (٥) و قال الشيخ علي البحراني في "أنوار

البدرين": "الشيخ الفاضل المحقق الكامل المشهور الشيخ محمد بن... أبي جمهور الأحسائي و هو من العلماء المشهورين و الفقهاء المتبحرين المذكورين - إلى أن قال - فهو من العلماء الفضلاء الأتقياء النبلاء...".

مؤلفاته

- ١ - (أسرار الحج)، فرغ من تبيضه "٩٠١هـ" و طبع عام "١٣٢٤هـ" ضمن كتاب "المجلى" للمصنف أيضا.
 - ٢ - (الأقطاب الفقيهيه و الوظائف الدينيه على مذهب الاماميه)، شرح فيه قواعد الأحكام الفقيهيه نظير قواعد الشهيد ألا أنه أوجز منه.
 - ٣ - (الأنوار المشهديه فى شرح "الرساله البرمكيه")، فى فقه الصلاه اليوميه.
 - ٤ - (بدايه النهايه)، فى الحكمه الاشرافيه.
 - ٥ - (التحفه الحسينيه) فى شرح "الرساله الألفيه")، التى ألفها الشهيد الأول فى الفقه.
 - ٦ - (تحفه القاصدين فى معرفه اصطلاح المحدثين).
 - ٧ - (التعليقه) على "أصول الكافى".
 - ٨ - (التعليقه) على "من لا يحضره الفقيه"، ذكرهما المرعشى فى مقدمه (العوالى).
 - ٩ - (جمع الجمع) نسبه إلى المصنف فى "مجالس المؤمنين".
 - ١٠ - (الحاشيه) على "تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول" للعلامه الحلبي.
 - ١١ - (الحاشيه) على كتابه "عوالى اللآلى" و هى كبيره. (٤)
 - ١٢ - الدرره المستخرجه من "اللمعه فى الحكمه"، قال فى "الذريعه":
"و لعل المراد من (اللمعه فى الحكمه) هو (اللمعه الجوينيه) فى الحكمه تأليف ابن كمونه المتوفى ٦٨٣هـ... و عليه يكون هذا الكتاب تلخيصا و زبده لكتاب "اللمعه الجوينيه".
 - ١٣ - (درر اللآلى العماديه فى الأحاديث الفقيهيه)، فرغ من تاليه "٨٩٩هـ" و فرغ من تبيضه "٩٠١هـ"، رتبه على مقدمه فى أخبار الترغيب على العبادات و خاتمه فى الأخلاقيات بينهما ثلاثه أقسام فى أبواب الفقه كلها.
- و جاء اسم هذا الكتاب فى "أمل الآمل" (الأحاديث الفقيهيه) و فى "البحار" و "الرياض" و "المقاييس" (نثر اللآلى) و فى "الروضات" (اللآلى العزيزيه) و الكل كتاب واحد.

١٤ - (الرساله الابراهيميه فى المعارف الالهيه).

١٥ - (الرساله البرمكيه فى فقه الصلاه اليوميه)، و مر شرحه "الأنوار المشهديه".

١٦ - (الرساله الجمهوريه).

١٧ - (زاد المسافرين فى أصول الدين) كتبه فى طريقه إلى زياره الرضا (ع) بعد أداء فريضه الحج عام "١٨٧٧ه".

ص: ٢٨٤

١- الفوائد الرضويه: ص ٣٨٢.

٢- روضات الجنات: ج ٧ ص ٣٢.

٣- مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٦٢ و ٣٦٤

٤- ريحانه الأدب: ج ٧ ص ٣٣١.

٥- مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٦٢ و ٣٦٤

٦- فرغ منها فى مدينه مشهد بخراسان ٢٣ صفر أو ٢٦ شوال سنه ١٨٩٧ ه و طبع بعضها أخيرا مع (عوالى اللآلى).

١٨ - (الطوابع المحسنه فى شرح "الرساله الجمهوريه") المذكوره قريبا، سمي "الرساله" باسم نفسه ابن أبى جمهور و سمي الشرح باسم تلميذه السيد محسن الرضوى.

١٩ - (عوالى اللآلى العزيزيه فى الأحاديث الدينيه) و قد يقال له "غوالى اللآلى" - بالغين المعجمه - و لا أصل له، ألفه فى أربعه أشهر مده إقامته فى دار السيد محسن الرضوى فى "مشهد خراسان" و فرغ منه ليله الأحد ٢٣ صفر و قد شرح هذا الكتاب شرحا مبسطا السيد نعمه الله الموسوى الجزائرى و سمي شرحه "الجواهر الغوالى فى شرح عوالى اللآلى".

٢٠ - (الفصول الموسويه فى العبادات الشرعيه).

٢١ - (قبس الاقتداء - أو الاهتداء - فى شرائط الإفتاء و الاستفتاء)، قال فى "الذريعه": "فيه مباحث الاجتهاد و التقليد... و هو كتاب كبير مفيد".

٢٢ - (كاشفه الحال عن أحوال الاستدلال)، فى بيان طريق الاستدلال على التكاليف الشرعيه و كيفيه أخذها من الأصول الدينيه، فرغ منه فى "مشهد خراسان" ضحى يوم الجمعه "٣ ذو القعده ٨٨٨ هـ" و هو من كتب أصول الفقه مرتب على مقدمه و خمسسه فصول و خاتمه. و قد يسمي "رساله فى طريق الاستدلال" أو "رساله فى لزوم العمل بأخبار الأصحاب فى هذا الزمان" و الكل كتاب واحد.

٢٣ - (كشف البراهين فى شرح "زاد المسافرين" فى أصول الدين، ألفه ب "مشهد خراسان" بالتماس تلميذه السيد محسن الرضوى فى عام "٨٧٨ هـ").

٢٤ - (المجلى لمرآه المنجى)، هو شرح لكتابه "مسالك الأفهام فى علم الكلام" و لحاشيته على "المسالك" المسماه ب "النور المنجى من الظلام" لأن المصنف كتب أولا "مسالك الأفهام" ثم علق عليه حواشى سماها "النور المنجى من الظلام" و بعد رجوعه إلى "النجف الأشرف" عام "٨٩٤ هـ" ألف كتابه "المجلى" كشرح ل "مسالك الأفهام" و حاشيته و فرغ من تأليف "المجلى" فى "النجف" أو آخر جمادى الثانيه ٨٩٥ هـ و طبع "١٣٢٤ هـ".

٢٥ - (مجموعه الأخبار و المسائل)، التى جمعها من كتب شتى.

٢٦ - (مجموعه المواعظ و النصائح و الحكم)، و فيه أغاز و مرثى و مدائح و مراسلات شعريه بينه و بين الشعراء، ذكر هذين الكتابين فى "الذريعه".

٢٧ - (مدخل الطالبين فى أصول الدين).

٢٨ - (مسالك الأفهام فى علم الكلام)، ألفه قبل عام "٨٩٤ هـ" و طبع - كما تقدم - ضمن كتاب "المجلى" عام "١٣٢٤ هـ".

٢٩ - (المسالك الجامعيه) فى شرح "الرساله الألفيه" فى الفقه للشهيد الأول، و هو غير "التحفه الحسينيه" المتقدم، و قد كتبه المصنف أيام اعتكافه فى "جامع الكوفه" سنه "٨٩٥ هـ" و طبع فى إيران مع "شرح الشهيد" و "شرح صاحب المدارك" و

شرح الكركي "سنة ١٣١٢ هـ".

٣٠ - (المعالم السنابسيه) في شرح "الرساله الجوينيه" في أصول الفقه.

٣١ - (معين الفكر) في شرح "الباب الحادى عشر".

٣٢ - (معين المعين فى أصول الدين)، و هو شرح ل "معين الفكر" - المتقدم -، قال صاحب "رياض العلماء": "كبير جدا رأيته فى بلده (مازندران)...". (١).

٣٣ - (مفتاح الفكر) لفتح "الباب الحادى عشر". و هو غير "معين الفكر" - المتقدم -.

٣٤ - (كتاب المقتل)، قال فى "الروضات": "وقد ينسب إليه - ابن أبى جمهور - رحمه الله أيضا كتاب فى "المقتل" كبير، مشتمل من الأخبار الغريبه على كثير...".

٣٥ - مناظره بين الغروى و الهروى، طبع للمره الثالثه سنة ١٣٩٧، و طبع أيضا بعنوان "المناظرات مع العالم الهروى"، و هى ثلاث مناظرات وقعت بين المصنف و عالم سنى من أهل "هرات" - و قد سبق الحديث عنها -.

و قد ترجمت هذه "المناظرات" إلى الفارسيه عدده مرات، منها ترجمه الكامله المدرجه ضمن كتاب "فردوس التواريخ" المطبوع ١٣١٥ هـ، و أدرجت ترجمه كامله أيضا فى "نامه دانشوران" المطبوع ١٣١٨ هـ، كما أدرج قسم كبير منها ضمن "مجالس المؤمنين".

٣٦ - (موضح الدرليه لشرح باب "البدايه"، فى الحكمه، و لعله شرح لكتابه المتقدم "بدايه النهايه فى الحكمه الاشراقية".

٣٧ - (موضح المشكلات لأوائل الاجتهادات) فى الفقه.

٣٨ - (النور المنجى من الظلام)، فى حاشيه "مسالك الأفهام" طبع - كما تقدم - ضمن كتاب "المجلى" عام "١٣٢٤ هـ".

وفاته

توفى المصنف فى حوالى العشر الأولى من القرن العاشر الهجرى و له من العمر قرابه سبعين عاما، و الظاهر أن وفاته كانت فى مدينه "مشهد" بخراسان لأنها المقر الأخير لسكانه.

و لم يعلم له مزار، كما لم ينص أحد ممن ترجمه على تاريخ وفاته غير أنه كان حيا عام "٩٠١ هـ" حيث فرغ من بعض كتبه فى هذا التاريخ و لم يعهد له بعد التاريخ المزبور أى كتاب أو خط أو إجازة، و معلوم أنه لو بقى كثيرا بعد عام "٩٠١" لألف و كتب و لذكره المؤرخون لأن مثله لا يهمل، و مما ذكر يعلم أن ابن أبى جمهور مات بعد التاريخ المذكور بقليل و قد أشار إلى ذلك فى "الذريعة" حيث قال: "ابن أبى جمهور الشيبانى الأحسانى المتوفى أوائل القرن العاشر". (٢).

و جاء فى " ربحانه الأدب" (٣) و غيره أن المصنف كان معاصرا للمحقق الكركى - الذى توفى عام " ٩٤٠ هـ -". و قد اشتبه الأمر على السيد المرعشى النجفى حيث جعل هذا التاريخ - " ٩٤٠" - عام وفاه المصنف - كما ذكر ذلك فى مقدمه الجزء الأول من (عوالى اللآلى) - و هو خطأ واضح.

أدبه و شعره

لقد كان المترجم أديبا شاعرا إلى جانب كونه عالما فقيها مجتهدا، و قد جمع هو بعض أدبه و شعره فى كتابه "مجموعه المواعظ و النصائح و الحكم" - المذكور آنفا -، و ليس بأيدينا الآن هذا الكتاب كما لم نعثر على شىء من شعره سوى

ص: ٢٨٥

١- رياض العلماء: ج ٥ ص ٥٠.

٢- الذريعة: ج ١٦ ص ٧١.

٣- ج ٧ ص ٣٣١.

الآيات التي ذكرها هو في مقدمه كتابه (العوالي) و التي مدح بها تلميذه السيد محسن الرضوى، و نكتفى هنا بنقل هذه الآيات كأمودج لشاعريته:

يا فريدا في الفضل غير مشارك عز باريك في الوري و تبارك

يا هلال الأنام قد كتب الأيام (1) في دفتر العلى آثارك

و لسان الزمان يدرس في كل مكان على الوري أخبارك

سيدي أنت من يشق غبارك بأبي أنت من يروم فخارك

ما نرى في مناسب لك إلا دائب صار دأبه تذكارك

شوقته إليك أوصافك الغر فجاب البلاد حتى زارك

يا كريما خفت عليه المعالى فادرعها فاشدد بها آزارك

و اسحب الفخر و امض في الخير قدما و اقض في طاعه الندى أوطارك

شبه و مؤاخذات

رغم عظمه المصنف و سمو مكانته فقد دارت حوله بعض الشبه و وجه إليه القدح و الانتقاد فاتهم بالتصوف المفرط و قالوا إنه أخبارى و نسب إليه الغلو، و شاع عنه أنه غير مثبت في نقل الأخبار و متساهل في روايتها، و زاد في "الروضات" حيث قال: "بل الكلام في توثيق نفس الرجل - يعنى ابن أبى جمهور - و التعويل على رواياته و مؤلفاته". (2)

و لسنا الآن بحاجة إلى البحث عن مدى صحه هذه التهم أو بطلانها بعد ما ردها و أجاب عنها بالتفصيل الشيخ النورى في "مستدرک الوسائل" و السيد المرعشى النجفى في مقدمه الجزء الأول من (عوالى اللآلى).

و نظره واحده فيما قاله جمله من خيره علمائنا في مدح هذا العالم الجليل و تعظيمه - و قد مر نقلها - تكفى ردا لهذه الشبه و جوابا عنها.. و الذى نقوله هنا أن مثل هذه التهم و جهت إلى كثير من كبار علمائنا كالشيخ الصدوق و الملا صدرا الشيرازى و تلميذه الفيض الكاشانى و السيد حيدر الآملى و غيرهم من علمائنا الأعلام الذين لا يشك أحد في نزاهتهم و علو شأنهم و مع ذلك رموهم بالإلحاد و التصوف و الغلو و غير ذلك مما هم منه براء.

السيد محمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبى شابه الحسينى البحرانى.

قال في سلافه العصر على عادته في الاسجاع و المبالغات: علم العلم و مناره و مقبس الفضل و مستناره فرع دوحه الشرف الناصر المقر بسمو قدره كل مناضل و مناظر أضاءت أنوار مجده ماثر و مناقب إلى أن قال: و كان قد دخل الديار الهنديه فاجتمع

بالوالد و مدحه بمدائح نقضت عزل الحارث بن خالد فعرف له حقه و قابله من الإكرام بما استوجبه و استحفه و ذكره عند مولانا السلطان بما قدمه لديه و ملأ من المواهب الجليلة يديه و لما قضى آماله من مطالبتها ارتحل إلى الديار العجميه و قطن بها فلقي بها تحيه و سلاما و تنقل في المراتب حتى ولى شيخ الإسلام و هو اليوم نازل بأصبهان و رافع من قدر الأدب. و من نشره ما كتبه إلى من ديار العجم سنه سبعين و ألف (و لم نر ضروره لنقل الرساله): ثم قال: و من شعره قوله مادحا الوالد و هي من فرائد القصائد:

أرى علما ما زال يخفق بالنصر به فوق أوج المجد تعلق يد الفخر

مضى العمر لا دنيا بلغت بها المنى و لا عمل أرجو به الفوز في الحشر

و لا كسب علم في القيامة نافع و لا ظفرت كفى بمغن من الوفير

فأصبحت بعد الدرس في الهند تاجرا و أن لم أفر منها بفائده التجر

طويت دواوين الفضائل و التقى و صرت إلى طي الأمانى و النشر

و بعث نفيس العمر و الدين صفقه فيا ليت شعري ما الذى بهما أشرى

إذا جننى الليل البهيم تفجرت على عيون الهم فيها إلى الفجر

إلى أن قال:

مضت في حروب الدهر غايه قوتي فأصبحت ذا ضعف عن الكر و الفر

إلى أن قال:

إذا لم تكن في (الهند) أصناف نعمه ففى (هجر) أحظى بنصف من التمر

على أن لى فيها حماه عهدتهم بناه المعالى بالمتقفه السمر

إذا ما أصاب الدهر أكنان عزهم رأيت لهم غارات تغلب فى بكر

و لى والد فيها إذا ما رأيته رأيت بها الخنساء تبكى على صخر

و لكننى أنسيت فى الهند ذكرهم بإحسان من يسلى عن الوالد البر

إذا ذعرتنى فى الزمان صروفه وجدت لديه الأمن من ذلك الذعر

و فى بيته فى كل يوم و ليله ارى العيد مقرونا إلى ليله القدر
و لا يدرك المطرى نهايه مدحه و لو أنه قد مد من عمر النسر
و فى كل مضممار أرى كل غايه من الشرف الأوفى له سائق يجرى
إذا ما بدت فى أول الصبح نعمه ترى فرجا قد جاء فى آخر العصر
إلى أن قال:

و أنى لأرجو من جميلك عزمه تبلغنى الأوطان فى آخر العمر
إلى أن قال:

و ما زلت مشتاقا إليهم و عاجزا كما أشتاق الجناح إلى الوكر
و لكنما حسبى وجودك سالما و لو أننى أصبحت فى بلد قفر
فمن كان موصولا بجبل ولانكم فليس بمحتاج إلى صلته البر

الشيخ محمد الشهير بالملائكة البرغانى ابن الشيخ محمد تقى الشهير بالفريشته ابن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم

أخذ الفقه و الأصول عن والده الشيخ محمد تقى الطالقانى القزوينى و السيد نصر الله الحائرى الشهيد فى اسطنبول سنه ١١٥٨ و
تخرج فى الحكمة و الكلام على الشيخ إسماعيل المعروف بالخواجوى المتوفى سنه ١١٧٣، و غيرهم، و كان يلقب بالملائكة
لشده ورعه و قداسه نفسه و تقواه تولى التدريس فى كربلاء، ثم هاجر إلى قزوين فرأس فيها، و هو الذى ناظر الشيخ يوسف
البحرانى صاحب الحدائق المتوفى سنه ١١٨٤ بقزوين بمحضر علماء الفريقين فأفحمه و أدى هذا النقاش إلى عدول صاحب
الحدائق عن رأيه و أصبح من العلماء الأخباريين المعتدلين بعد ما كان من الأخباريين المتطرفين و انتهت هذه المناظره إلى بلبه
عظيمه فى قزوين و أخذ يتوسع مداها و يتصاعد حتى عمت سواد الناس من الطائفتين و انتهت إلى هجوم الفرقة الأخباريه على
دار المترجم له لاغتيااله فلم يظفروا به و أحرقوا داره و مكتبته النفيسه ثم تدخل رجال الحكومه و حكموا بتسفير المترجم له عن
مدينه

ص: ٢٨٦

١- فى الجزء الأول من "العوالى" المطبوع وردت فقره الأولى من هذا البيت هكذا يا هلال الأيام قد كتب الأنام... و الصحيح
ما أثبتناه.

قزوين إلى برغان و هو أول من اشتهر من رجال هذه الأسره بالبرغانى و له آثار و ماثر خالده حتى اليوم و من آثاره فى برغان توسيع و تجديد بناء المسجد الجامع فى برغان و كان يقيم فيه صلاه الجمعة. و قد دون تاريخ هذا الجامع من القرن السابع الهجرى و ما أضيف إليه من التعميرات و التوسيع حتى العصر الحاضر فى كتيبه من القاشانى بخط جميل عند مدخل الباب الرئيسيه ما ترجمته (... تم بناء و توسيع عماره الجامع بحكم و فتوى سماحه العلامة الفقيه آقا محمد الطالقانى نزيل برغان المشهور بالملائكه والد الشهيد الثالث أعلى الله مقامه و ذلك لاقامه صلاه الجمعة و ازدياد عدد مصلى هذه الفريضة الدينيه فى عصره). و تم البناء بفن معمارى أنيق و نصب له شباييك مزينه بالزجاج الملون و كان سقف الجامع من الخشب المنبت المصنوع من الخاتم و هو من الأبنيه الضخمه العظيمه التى لا مثيل لها...

توفى المترجم له فى برغان سنه ١٢٠٠ و قبره مزار معروف يتبرك به أهالى تلك النواحي و المصطافون و الزائرون.

من مؤلفاته تحفه الأبرار فى تفسير القرآن فى مجلدين كبيرين، كتاب الدار الثمين فى الامامه(١)

الشيخ محمد تقى الفشندى بن الشيخ محمد على بن الشيخ حمزه بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم.

ولد حدود سنه ١٢٤٢ فى قريه فشند(٢) و توفى حدود سنه ٣٢٨ هجرية.

تخرج على الشيخ محمد صالح البرغانى و الشيخ حسن البرغانى و الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى و غيرهم. صرح فى آخر كتابه إرشاد العاملين الذى انتهى من تاليفه فى سنه ١٣٢١ أنه بلغ من العمر ٧٨ عاما.

و صرح فى كتابه الآخر المسمى بصراط العارفين و نجاه العاشقين الذى ألفه فى سنه ١٢٩٣ أنه بلغ من العمر نحو ثمانى و أربعين سنه.

و على الرغم من مؤلفاته الكثيره فهو من علمائنا المنسيين و لم أر له ذكرا فى الفهارس و كتب التراجم.

من مؤلفاته موسوعه كبيره مسماه بذخائر المحبين فى شرح ديوان أمير المؤمنين فى واحد و عشرين مجلدا ضخما و جعل لكل مجلد منها اسما خاصا و جميع المجلدات بخط المؤلف من مخطوطات مكتبه كاتب هذه السطور فى قزوين عبد الحسين الصالحى.

و هو والد الشيخ حمزه المعروف باسم جده الشيخ محمد على أو حمزه على(٣)

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم

من آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط: هو الامام العلامة الهمام الفهامة شيخ الإسلام، ملجا الأنام كشاف مشكلات العلوم حلال معضلات المفهوم أمام الفقه و الحديث و كان من أعيان هذه الطائفة و انتهت إليه رئاسه البحرين بعد رحله أبيه و مهاجره أخيه

صاحب الحدائق إلى الديار العجميه.

ثم اشتغل بالتدريس و التأليف إلى أن قام باعباء الفتوى فله فى الفقه كتاب فى أحكام المسافرين و آدابهم كامل فى الفن المذكور المسمى بمرآه الأخبار و له رساله فى صلاه الجمعة و أعمال ليلها و يومها و له أجوبه مسائل متفرقه. و له فى المراثى كتاب الضرام الثاقب فى مقتل سيدنا و إمامنا على بن أبى طالب.

و خصائص الجمعة. و له ديوان شعر فى الرثاء و له من الأولاد الشيخ على و الشيخ أحمد و الشيخ حسين و أعلم أولاده الشيخ حسين طيب الله مضجعهم.

مات قدس سره الشريف سنه ١١٨٢.

الشيخ محمد بن الشيخ غوث الحجرى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من مشايخ البحرين و أعلامها. و إمام العلوم العربيه و علامها صوفى المشرب له كتاب فى الأذكار لم يكمل. مات سنه ١٢٠٥.

السيد محمد جمال الهاشمى

إشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ١٥٥ من المجلد الأول من المستدركات و نعيدها هنا بتفصيل أكثر مع نشر شىء من شعره مضافا إلى ما نشر من قبل:

ولد عام ١٣٣٢ فى مدينه النجف الأشرف و توفى فيها عام ١٣٩٧.

درس الفقه و الأصول و غيرهما من العلوم المتداوله فى حوزة النجف الأشرف، على يد علماء كبار، من أمثال والده، و الشيخ ضياء الدين العراقى، و السيد أبو الحسن الأصفهانى و غيرهم.

و قد طبع من مؤلفاته الكتب الآتية:

١ - الزهراء (ع). ٢ - أصول الدين الإسلامى. ٣ - الأدب الجديد. ٤ - مشكله الامام الغائب. ٥ - هكذا عرفت نفسى. ٦ - المرأه و حقوق الإنسان. ٧ - الإسلام فى صلاته و زكاته.

و قد شارك فى عضويه جمعيه منتدى النشر.

كما ألقى الكثير من المحاضرات التوجيهيه و رعى العديد من الاجتماعات.

قال يناجى ربه:

مبدأ الكون، لك الكون و ما فيه يعود
أنت ما أنت وجود منه قد فاض الوجود
تنطوى فى رسم معناك، رسوم و حدود
و لالأوك فى العالم أطف وجود
حيث لولاها لما أخضر من التكوين عود
و لما قام لهذا الفلك السامى عمود
منهل ما زال بالرحمه و اللطف وجود
و نظام فيه روح الحق و العدل يسود
أيها السرمد.. من تاه بمعناه الخلود

ص: ٢٨٧

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- فشند قريه من ضواحي مدينه كرج التابعه للعاصمه طهران و تقع على الشرق من الطريق العام لطهران - قزوین.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

فى سماواتك للفكر نزول و نهود
و لألحانك فى الذكر اضطراب و همود
نورك الظاهر عن ظاهره النور يذود
هو معنى جل أن يدركه الفكر الشرود
أنك الله.. و ما لله غيب و شهود
صمد فرد قديم لا وليد لا ولود
و ثب العلم لنجواك فأعياء الجمود
و سما الدين لدنياك فعاقته القيود
فنأى آدم بالوصل و أدناه الصدود
و التوى (صالح) بالناقه مذ زاغت (ثمود)
و انزوى (يونس) فى اللج، و مل الناس (هود)
و لإبراهيم فى النار.. هدوء و صمود
و إلى الطور سعى موسى تزجيه اليهود
و لروح الله فى المههد بروق و رعود
و لظه فى السماوات عروج و صعود
ها هو الماضى و ثوب و اضطراب و ركود
و من الحاضر لا يفزعنى إلا الجحود
و لروحي فى شواطيك صدور و ورود
فسالقاك، و ان خابت بمسعاها الجدود
لى من روحي و عود سالفات و عهود

و قال فى المولد النبوى:

عادت الذكرى لنا فاحتفلى و اعرضى الماضى على المستقبل

و أعيدي باسم طه موسما للتهانى حافلا بالجدل

و اسالى التاريخ عن معجزه فهو عنوان كتاب الأزل

هبب الصحراء من رقدتها و تهادت فى الصراط الأمثل

ولدت للحق ناموس الهدى و هى غير الظلم لم تحتمل

مولد الثوره ما أقدمه أنه تاريخ و عى الملل

سائلى البطحاء ما ذا راعها و هى فى عالمها المنعزل

و اسالى الأصنام من عليائها من رماها للحضيض الأسفل

و اسالى فارس كيف انخمدت نارها، هل جف زيت المشعل؟

و ادخلى البيت ففى جانبه امه مجموعه فى رجل

شبيه الحمد و ما أعظمه قائدا حاز و سام البطل

كم له دون العلا من موقف سار فى الدهر مسير المثل

و انظرى الوفاة تسعى حوله و تحيى كفه بالقبل

و اسمعى الشاعر يشدو راويا فنه عن نغمات البلبل

يلفظ المعنى بما ينشده و المعانى معجزات الجمل

ينثر الدمعه فى بسمته هل تذوقت الرثا فى الغزل؟

ثمل المحفل من ألحانه و انتشى من شعره المرتجل

انظريه ثوره هادئه و أمانا باعنا للوجل

يبعث الأفراح فى أنغامه هاتفا باسم الوليد المقبل

فمشت فى الحفل من ذكر اسمه نشوه هزت وقار المحفل

ليت شعرى هل وعى باطنه أن هذا اسم النبى المرسل

ترك الأمه فى عاداتها و انزوى فى غاره المنعزل

برمق الأجواء فى منظاره خارقا حجب الظلام المسدل

ما هى الأصنام ما تأثيرها فى نظام العالم المكتمل؟

لم يسرى الفكر فى منحرف عن صراط الواقع المعتدل؟

هذه العادات امضى فتكه بالورى من فتكات الأسل

يزل الوحى عليه فانبرى يمحق الياس بنور الأمل

يحمل المشعل باليمنى و قد خص يسراه لحمل المعول

فى سبيل الحق كم من مشكل حله درسا و كم من معضل

جاهد الأطماع حتى انهزمت تستر العار بذيل الفشل

فإذا الدنيا بصبح مشرق بعد ما باتت بليل أليل

و قال متحدثا عن القرآن:

يا نشيدا صاغه الله و غناه الرسول

فيك أكوان بها تاهت قلوب و عقول

و معان يقف العلم بها و هو جهول

عالم لم يحوه عرض و لم يسبره طول

واضح المنهج ما ضل بمجراها الدليل

مشرق الغايه ما فيها قشور و فضول

غامض الاعجاز عن إدراكه الفكر كليل

أ تراه و هو فى منطقہ اللفظ يجول؟

و لدنيا اللفظ أبواب نعيها و فصول

أم تراه و هو فى منطقہ المعنى نزيل؟

و من الفكر إلى المعنى و أن دق سبيل

أيها اللحن الذى هلهل فيه جبرئيل

فإذا نغمته خمر بها الدنيا تميل

و إذا الأفق شمس و إذا الأرض حقول

و إذا التاريخ يستقبله عهد جميل

فيه تنزاح عن الفكر سجون و كبول

هجم الفجر على الآفاق بالنور يصول

و أبل البث جيلا زاره و هو عليل

أوجز البحث به و اختصر الدرب الطويل

و مشى الإنسان فى درب إلى الحق يؤول

ما يقول الشعر فى حقك قل لى: ما يقول؟

أنت بحر يتقى موجك فعل و فعول

و قال مناجيا يوم غدير خم:

يحتفى الخلد فيك مجدا و فخرا فتناول على السماكين قدرا

و اقتحم ساحه الحياه بعزم يهرب الموت منه خوفا و ذعرا

لك من روحك العظيمه جيش يهزم الحادثات كرا و فرا
و الذى يغمر الليالى أظافا سيحى فى صفحه الأفق فجرا
يا نجوم الظلام فيضى هناء و املئى الأرض و السماوات سحرا
و اسكبى النور خمرة تسكر الحب فتصحو به العواطف سكرى
و اقبضى دفة النسيم ليجرى هادئا يغمر العوالم بشرا
و ابعثى فى السكون روحا رقيقا يتندى و حيا و ينطف شعرا
و احمليها لمن أعارك من معناه مجدا على الشمس اشمخرا
حلقت نفسه الكبيره تبغى فى مجاليك عالما مستقرا
عشقت وجهك الضحوك فباتت عينه فى الهوى كعينيك سهرى
فاستراحت فى ظل صمتك لما وجدته للفكر أهنى و أمرى
و مضت توقظ الخيال بلحن ذهبي يحيى به الميت نشرا
حفزتها إلى النضال دروس تستثير الأحرار علما و خبرا
انفت أن تثور كالوحش بالسيف فألقته للمجانين سحرا
و انبرت ترهف اليراع و تبرى حده للجهاد بحثا و سبرا
و إذا صلصل اليراع حماسا اين منه الحسام جارا و زارا
قلم ينثر النجوم لتهدى موكب الفكر و هو يجتاز وعرا
يخرق الحجب فى البيان فيبدو منه سر الحياه للعين جهرا
و يشق العصور بطنا و جهرا و يذوق الظروف حلوا و مرا
فيحيل الضباب فى العين نورا تجتليه، و الشوك فى الكف زهرا
الغدير الغدير ذاك نشيد رددته العصور سجعا و زمرا

لحنته قيثاره الله صخابا فهاجت منه الكوامن حرى
هددهته السماء للأرض روحا ملكيا يفيض قدسا و طهرا
فاحتسته الأذان خمرا، و إن السمع قد يغتدى بدنياه ثغرا
صور تسحر الخيال فيسمو صاعدا فى معارج النور سكرا
و إلى أين حيث ينبثق الفجر ليكسو الوجود نورا و عطرا
فهناك الوحي الالهى يبدى منه شطرا يرى، و يضم شطرا
تترامى من حوله عبقریات مشت تطلب الخلود مقرا
ذاك سر هيهات يدركه الوعى و إن غاب منه دهرا و دهرا
الغدیر الغدير، لحن تلاشى فى خضم الحياه مدا و جزرا
لم يطقه الزمان هضمًا فأمسى خبرا فى ضميره مستسرا
الزمان الحقود هيهات يرضى أن يرى الحب فيه ينثر بذرا
فأحال الشعاع منه ضبابا و أعاد الروض المنمنم قفرا
و الذى يدرس الحوادث يلقي الشر خيرا هناك و الخير شرا
كم هزار تفنى لتحيى غرابا و هزير تضوى لتنفخ هرا
منهج تقصر الموازين عنه فاترك البحث فيه، فالترك أحرى
الغدیر الغدير، ذلك طيف ساحر داعب الخيال وفرا
فانتشى الحب من ملامحه الزهر و ماس الجمال تيهها و كبرا
حاول الفن أن يصوره فى لوحه تبهر الأخاييل بهرا
فاستعار الألوان من وضح الشمس و خط الضحى على اللوح طغرا
و مضى يرسم المناظر حتى أجهده قوى و أضنته صهرا

كلما قاس سحره بسواه لاح اسمى معنى و أبعد سرا

فرمى الريشه الكليله أسوان و عاف الألوان غيظا و قهرا

و ارتمى ساهما يحدق فى الأفق كطير أضاع فى الأفق و كرا

الغددير، الغدير، ذلك يوم خلدته العصور للحق ذكرى

صرع الحقد منه غيظا، و رفت رايه الحب فيه فتحا و نصرا

نحن فى ضحوه النهار، و نور الشمس قد طبق المفاوز طرا

دفقات الرياح يلهبها الصيف فتصلى السماء و الأرض حرا

و الرمال الحمراء موجها النور فلاحت نهرا له الأفق مجرى

و السكون العميق يبعث فى الصحراء روحا منها الفضاء اقشعرا

يتعالى الغبار من كبد البر تماويج تجعل البر بحرا

إنه من قوافل تقطع الصحراء فيها لم ترع حرا و قرا

إنه مشهد الحجيج إلى الأوطان يسعى فى سيره مستمرا

إنه موكب النبوه يجتاز الصحارى فتحتفى فيه فخرا

هذه هاله الجلال و هذا خاتم الرسل لاح فى الركب بدرا

هؤلاء الأصحاب كالشهب حفت و استدارت عليه يمنى و يسرى

منظر يغمر الصحارى جلالا و يحيل الرمال فى العين تبرأ

لم تشاهد هذى الفدافد ركبا عربيا يعنو لعلياه كسرى

يقف الموقف العظيم، فما ذا عاقه عن مسيره فاستقرا؟

الثغاء الرنان يخترق السمع فيمسى به من الضغط و قرا

و نداء الحداه موجه الجو نشيدا يلذ للروح نبرا

و يعم السكوت حتى على النبي فمنها لم تصغ جعرا و نعرا
من حدوج النياق قد نصب المنبر فى الشمس و هى تنفث سعرا
جلست حوله الجماهير، و الصمت عليها القى من السحر سترا
ها هو القائد العظيم على المنبر عنه العيون ترجع حسرى
يتعالى خطابه و هو إعجاز يهز العصور عصرا فعصرا
و ارتقى نحوه فتى، فحسبت النجم فى المنبر المشرف خرا
آه، هذا ابن عمه، بطل الإسلام من يرجف الميادين ذعرا
و يمد النبي يمينه للصهر فيعلو على الجماهير طرا
أفتدرى ما رام من فعله هذا و إن كان فيه ربي أدرى
إنه شاء أن يبين أن المرتضى من سواه ارفع قدرا
مهد الوضع فيه للوحى حتى لا يرى الناس أمره فيه إمرا
ثم نادى: من كنت مولاه حقا فعلى مولاه، دنيا و أخرى
موقف أزعج الزمان فأمسى و هو ينوى شرا و يضمم غدرا
بايعته الأيام بالحكم لكن نقضت عهده المقدس كفرا
هكذا تنمحي الحقائق حتى يصبح العرف فى الشرائع نكرا
و قال فى مولد على أمير المؤمنين (ع):

يحتفل التاريخ باليوم الأغر يا شعر أبداع فى المعانى أو فذر

هذا مجال يعثر الفكر به و يخفق القلب و يحسر النظر

صف كلما تشاء، و اترك صوره علقها بالعرش بارئ الصور

ما ذا تقول فى هيولى نقطه تضيق فى عالمها دنيا الفكر

: إن قلت هذا بشر، قال الحجى : استغفر الوجدان، ما هذا بشر

أو قلت فيها: ملك، أجانى : هل ملك يحكيه عينا و أثر

حارت به الشعوب، شعب منكر له، و شعب فيه غالى فكفر

هذا مقام يقف العقل به مرددا بين الورود و الصدر

قدمت قلبى لكم فى يومه و العقل أزويه لأيام آخر

يا قلب هذا مسرح الحب فنل جائزه الخلد بدورك الأغر

و اختصر الحديث فيه إنما رساله الشوق حديث مختصر

وسائل الكعبه عن وليدها : من شرف البيت و قدس الحجر

و استرق السمع بنادى مضر فالخبر الموثوق فى نادى مضر

و انظر أبا طالب فى مجلسه يمتلك القلب، و يملأ النظر

و حوله من هاشم عصابه ينمى لها المجد و ينسب الخطر

تصغى إلى أسماره مرتاحه فى الليله القمراء ما أحلى السمر

قد سحر الأسماع فى حديثه فلم تفق حتى تجاوز السحر

لا غرو إن اسكره منطقته فمنطق الشاعر شهد و سكر

يدور فى الحديث حول حادث قد حير البدو و أذهل الحضر

فى البيت حيث الطير لا يعبره قدسا، و حيث الوحش لا يرعى الحذر

قد وضعت فاطمه وليدها منزها من كل رجس و كدر

و أقبلت به إلينا باسمه و قبله لم نر بسمه القمر

أنى أرى لابنى شانا تنطوى فيه شئون غيره إذا انتشر

سيدهش التاريخ فى أعماله و يملأ الدنيا عظه و عبر

يهنى أبو طالب فيه، إنه معجزه الدهر و آيه القدر

لولاه ما قام لدين أحمد ركن، و ما أنهد الضلال و اندثر

لا غرو إما احتفل الإسلام فى ميلاده، فإنه ذكرى الظفر

و يا وليد البيت هذى نفحه فاض بها القلب سرورا و انهمر

جئت بها مبتكرا طريقه فى المدح، فامنحنى عطاء مبتكر

و انظر لدنيا الدين و العلم فقد امست تعالج الخطوب و الغير

و انصر رجالا جاهدوا دون الحمى و هاجموا الخطب و قاوموا الخطر

مولاي و اغفر لى ما زل بى شعرى، فزلات الأديب تغتفر

و قال فى على أمير المؤمنين (ع) و ألقىت فى احتفال بذكراه أقيم فى مدينه كربلاء:

تبقى و تفنى حولك الآثار مجدا به تتفاخر الأحرار

بك يرفع الحق المضام لواءه و يرف باسمك للجهاد شعار

و لأنت للنهضات فجر تمنحى بشعاعه الآثام و الأوزار

عبدت للتاريخ نهجا لا حبا يجرى به الإيمان و الإيثار

و أريته كيف العقيدة إن طغت و هت الخطوب و هانت الأخطار

فرد يناضل دوله، و سلاحه فى وجهها ايمانها القهار

كيف الاباء إذا تشظى جمره منه تطاير للخلود شرار

كيف الشهاده تغتدى أمثوله بجلالها تستشهد الأعصار

تحبى أبا الأبرار أنك جنه فى ظلها تتنعم الأبرار

وفدت يسوق بها الولاء مواكب لك ملؤها الإعظام و الإكبار

فى ليله تحكى النهار وضاءه و ترق فى أطرافها الأسمار

و تقدمت بالتهنيات بمحفل بهر العيون جماله السحار

حفل أقيم على اسم أكرم مولد فيه ازدهى فھر و طال نزار

فى البيت أشرق فجره فتلاآت فيه المناسك فهى منه تثار

ولد الوصى أخو النبى و صهره و لسانه و حسامه البتار

و أبو النجوم الغر من لسمائهم تنمى الشموس و تنسب الأقمار

و فتى المواقف ماج منها خير نورا، و رف على حنين الغار

من فى مناقبه و غر صفاته تتجاوب الأبرار و الأشرار

الله قد صلى عليه، فما ترى تضى عليه بحمدها الأشعار

فاهنا أبا الشهداء فى عيد به لأبيك طال على الخلود منار

و قد احتفى الإسلام باسمك ناشرا لك صفحه ماجت بها الأنوار

فلكربلاء مكانه قدسيه بك لا تراحم مجدها الأمصار

ها هم بنوك بنو المفاخر يزدهى بهم الندى و يعمر المضممار

الكابحون السيل فى عزم له خشع الأبي و أذعن التيار

و المؤمنون الصادقون بموقف ينهار فيه الفارس المغوار

وقفوا و بركان الحوادث نائر هز الزمان دويه الهدار

و قال فى حفل افتتاح الباب الذهبى لمقام أمير المؤمنين (ع) فى شعبان سنه ١٣٧٣:

عجت ببابك تحتفى الأفراح و شدت بحمدك تزدهى أرواح

و تماوجت تلك الألوف كأنها بحر تلاطم موجه المجتاح

ما ذا أثار شعورها فاحاله و هجا يفح زيره اللفاح

هل كان ألا من ولاك هياجه و ولاك روح للنضال و راح
تحى العقيده، فالعقيده لم تزل يمحو الظلام شعاعها اللماح

قل للعصور المنتنات ألا ارقبى عصرا تماوج عطره الفواح
جرفت حوادثك الضخام بموجه غمر الحياه هجومها المكساح
إن الذين تعاهدوك، و أذعنت لقضائها الأفراح و الأتراح
و تكفلوا التاريخ حيث بوحهم يتنزل الإبهام و الإيضاح
فمحوا كما شاء المرام و اثبتوا و بنوا نظاما للزمان و راحوا
و جرت على ما خططته حوادث نحر الضمير نظامها السفاح
حتى إذا صهر الثقافه منهج يحكى الضحى أسلوبه الوضاح
أدب الحياه، و قد تغلغل جذره فى النفس منه حجابها ينزاح
فترى الملامح رغم كل تغير أجراه فى تشريحها الجراح
فضح المدائح ضوؤه، فإذا بها عار عليه من الخنوع وشاح
و إذا السفينه فى الخضم تلفها لجج و قد أعبا بها الملاح
و إذا بتاريخ الحياه روايه مكذوبه عنها تجل سجاج

ص: ٢٩٠

و إذا العمالقه الضخام هياكل و إذا بابطال الوغى أشباح
عصفت ببابك يا على عواطف هز الزمان دويها الصداح
زحفت كما ثار الخضم بموكب جرف المبادئ سيله الطواح
هى ثوره الايمان تنشر نورها روح لها بين النجوم مراح
رامت تلوثها فخابت عصبه عمياء، شائنه الوجوه وقاح
عاشت بحبك يا على، و من يعيش فى ظل حبك ما عليه جناح
قد حفزتها وثبه - لمقدم - فى الفضل مسرحه علا و طماح
الفارس الجحجاح فى امجاده للدين عاش الفارس الجحجاح
وافاك يعرب عن ولاه بايه عصماء يسكر وحيها المسماح
فى عصبه كالورد يارج حبها لك ملء برديها تقى و صلاح
و - محمد - رام الخلود بسيره فسعت به قدم و طار جناح
قوم فنوا فى حب آل محمد فزكا بهم قصد و طاب كفاح
لاذوا ببابك يطلبون القرب من حرم تلوذ بقدسه الأرواح
حرم به للأنبياء حفاوه و الروح من بركاته يمتاح
و قال فى رثاء أمير المؤمنين (ع):

ذكرى لها نفس الشريعة تجزع واسى له عين الهدايه تدمع
تتقادم الأعوام و هى جديده تمضى مع الأبد الفتى و ترجع
كالشهب لم تذهب نضارتها و ان كانت علينا بالمصائب تطلع
تأتى فتندبها قلوب روعت حزنا و تربيها عيون همع
نكراء أدهشت العصور بهولها نكباء منها كل جيل يجزع

رزة له الإسلام ضجج، و حادث من وقعه قلب الهدى يتصدع

الله أكبر، أى جرم، ذكره يدمى القلوب فتستهل الأدمع

يا ليله القدر اذهبى مفجوعه فلقد قضى فيك الامام الأنزع

ما كان لو لا سره لك حرمة روحه منها العواطف تخشع

هو كنه ذاك القدر، والمعنى الذى يخفى، و أفق ظهوره متشعشع

عودى لنا ليلاء لا يبدو لها نور، و لا فيها شهاب يسطع

قد غاب نور الله فيك فلا زها من بعده أفق و أشرق مطلع

أدرى ابن ملجم حين سل حسامه للفتك بالايمان، ما ذا يصنع؟

أردى به التوحيد فى ملكوته فالعرش مما قد جنى متفجع

أردى به الإسلام فى توجيهه فشعاعه بدمائه متبرقع

يا فتكه جباره لم تندمل أبدا، و غله واجد لا تنقع

الدين من جرائها متزلزل و الحق من نكباتها مترزعزع

صمت لها أذن الحوادث دهشه و تلجلج التاريخ و هو المصقع

جرح أصاب الطهر فى محرابه من وقعه قلب الهدى يتوجع

لاقى الإله و ذكره بلسانه و مضى إليه ساجدا يتضرع

بين الصلاة، و تلك أرفع شاره يقضى شهيدا بالدماء يلفع

سر التقرب فى الصلاة، و من به تسمو العباده للاله و ترفع

قد كان ما بين الأنام وديعه رجعت، و أى وديعه لا ترجع

و نعاه للملا المقدس صارخا جبريل: قد مات الامام الأورع

و تهدمت فى الأرض أركان الهدى فكيانه من بعده متضعع

قد فل سيف للحقيقه صارم و انهد حصن للشريعه أمنع
سهم الضلاله لا برحت مسددا لم يبق فى قوس الهدايه منزع
لو لا الزكى لقلت قد سدت به طرق إلى الرحمن كانت تشرع
لا زالت الذكرى تحز قلوبنا ما عاودت، و تفيض منها الأدمع
يا حضره قد شرفت برقاته أعلمت إنك للهدى مستودع
لا غرو إن طاولت فى عليائه هام السما فيك الامام الأرفع
و قال برثيه [يرثيه]

طبق الأفق ظلام أتمخمدت فى ضفتيه الأنجم
ظلمه موحشه قاتله محممت أمواجهها تلتطم
يتحامى الذئب من أشباحها فهو فى مكنه مكنتم
و يخاف اللص منها، فهو عنغزوات الليل ذعرا يحجم
أيها الليل الذى أوصافه فوق ما يرسم منا القلم
ما الذى تخفيه يا ليل ففيوجهك الكالح رعب مؤلم
و إذا الصرخه تعلقو بغتهو إذا المحراب يغشاه دم
أيها المجرم هل تعلم ما ارتكبت نفسك أو لا تعلم
هل درى سيفك فى ضربتههدم الطود الذى لا يهدم
وجم الايمان منها فزعاو تلاشى فى لهاه النغم
و هوى الإسلام منها خائرا و انبرى موكبه يستسلم
و الصلاه انهدمت أركانها بعد ما طاح العماد الأعظم
و الجهاد انغلقت أبوابه بعد ما فل الحسام المخدم

و الكتاب التبت آياتهبعد ما جف البيان المحكم

و الضمير انهار لما سقطتقيم فيها تقوم الشيم

أيها الفجر الذي آلاؤهلهم تزل فى كل جو تبسم

عميت عنك عيون كحلتضوؤها فى مروديه الظلم

زحفت أوغارها ناقمهو من الفجر انبرت تنتقم

أطفات شعلته فى ضربهفى ضمير الحق منها ضرم

سفكت فيها دما لما يزلماثرا تياره محتدم

صرعت تاريخ جيل ركبمحفظته للصعود القمم

ضربه المجرم رمز ملهيو شعار فيه رف العلم

أيها الدمع انسجم فى ليلهمدمع الحق بها منسجم

فالإمام المرتضى محرابهماثج فى دمه ملتطم

و أمين الله فى لاهوتهنادب يقطر منه الألم

هدمت و الله أركان الهديو عرى الحق غدت تنفصم

و قال يرثيه:

راح و الليل رهيب مرعب ضيع المسرح فيه الكوكب

يتخطى الدرب روحا هائما شبح كالليل داج مرهب

يتخطاه و فى أحشائه ثوره كان بها يلتهب

و له تمتمه حاله روحه كانت بها تنسكب
يرمق الأفق بعين نورها يخرق الحجب به إذ يرقب
هل ترى قد غار في الأفق له كوكب، أو هاله تحتجب
هائم يعبر لم تعثر به هوه في دربه تنسرب
هذه الظلمه كالنور فلا فارق بينهما يحتسب
هل له من مارب في السير أو ما له في السير هذا مارب
حارت الكوفه ما ذا يبتغى رجل في سيره مستغرب
من يك السائر هذا أنه لغز تحليله مستصعب
و مشى التاريخ في آثاره فهو عن مسلكه لا يعزب
و إذا السالك و التاريخ من خلفه، و الليل ساج معجب
يقصد المسجد، إذ في جوه عالم من كل كون أرحب
عالم يوصل بالأرض السما فله كل بعيد يقرب
يعرج الإنسان لله به في قوى عنها تماط الحجب
يصهر الجسم بروحانيه كل ما فيها لذيد عذب
فصلاه الجسم شكر خاشع و صلاه الروح لحن مطرب
لغه يفهمها الذوق، فلا عجب لو لم يذقها الأدب
أدب الفردوس ذوق و هوى لا تعابير حوتها الكتب
و طريق الله لا يسلكه غير نجم للسما ينتسب
دخل المسجد نشوانا له نغمه ترقص منها الشهب
يوقظ النور و في جانحه أى أفق شمسه لا تغرب

ينفض النوم بلمس مسكر عن جفون الكرى تعتصب
و تجلى الفجر خيطا أبيضاً في فضاء بالدجى ينتقب
و تعالى صوته فاضطربت شهب الليل و ماج الغيـهب
و أذان الفجر، كالفجر له كل حس نابض يستعذب
جلجل الصوت رهيباً فالفضا منه أمسى خاشعاً يرتهب
و جرى اسم الله مجرى الروح في عالم من فيضه يكتسب
و استفاق البشر الغافى، و من نومه الجافى كسيح متعب
و إلى المسجد وافى خاشعاً كى تؤدي روحه ما يجب
و صلاه الصبح نور و شذى لهما دنيا الهدى تنجذب
و على غمرت اجواءه بالسنا طاعاته و القرب
رجف المحراب من خشعته فهو من أذكاره منقلب
عرج الحق به عن عالم باطل قد لوثته الريب
و أقام الفرض فائتم به مجمع فيه أقيم الموكب
و هوى يسجد، فاهتز به من مراد مجرم يرتقب
رفع السيف و أهواه على عالم آلاؤه لا تنضب
و أراق الكفر للدين دما كان فيه رمزه ينتصب
و هوى فيه على قائلًا (فزت) و انسقت إلى الارب
في سجودى رحمت لله، و لى أزر من رأسى قشب
و قال فى الزهراء (ع):

مولد الزهراء للايمان عيد كل شيعى بذكراه سعيد

ذكريات الفجر فى مطلعته تتجلى، و لنا فيه عهد
يوم كان الدين فى منهاجه نغمه كل معانيها جديد
يتوخى السير بالتأريخ فى أبحر مرفاها الأذنى بعيد
و الفضاضا معصوب، و الأرض قد زلزلتها عاصفات و رعود
التقاليد و ما أفتكها وقفت من دونه فهى سدود
و المرامى و هى فى أطماعها كالغفاريت ترامت و هى سود
و رسول الله فى دعوته يفرع الأحلام و الناس هجود
يقظه الفطره و حى رائع صاغه الله لنا فهو نشيد
مولد الزهراء فى موكبه يتهادى، و به الماضى يعود
يهزم الأوهام فى الطافه فالنفاى من معانيه ورود
و رمال البيد سالت عسجدا و الحصى فيه لثال و عقود
و استطالت قمم المجد بها فهى فى الشرق رواب و نجوم
ولد الإنسان فى أكنافها فهى أم للكرامات ولود
لم يكن من قبلها فى ظلها للهدى عين، و للحق وجود
عجبا للصخر كيف انبثقت جانباه، فهما فضل و جود
قدس الإسلام فى دستوره يورق الصخر و ينشق الحديد
مولد الزهراء هذا فابسمى أيها الشيعة، فالموسم عيد
و دعى عنك الأسى و احتفلى فيه، فالعيد به الحزن يبيد
و اتركى الأمر إلى رب السما فهو بالوضع خبير و شهيد
سوف ينجاب الدجى منهزما من سنا الفجر، فللفجر جنود

فإذا وجهها الله إلى أفق باد به الليل المبيد

و قال فى الحسين (ع)

أعنى بوحى منك إن خاننى الشعرو هيهات أن يسمو إلى سرى الفكر

تحجبت حتى قيل أنك غامضو أسفرت حتى انجاب عن لبه القشر

تطوف حواليك القرائح خشعاو تسعى لك الأفلام يكيو بها الذعر

أعنى عسى أن المس السر فالحجيتعصى عليه الرأى و التبس الأمر

يناجيك غيرى بالدموع، و إننيأراك تناجينى متى ابتسم الثغر

عليك سلام الله أى روايهعلى مسرح التاريخ يعرضها الدهر

أعدها على الجيل الجديد رسالهتشع على الايمان آياتها الغر

أعدها على دنيا الزوابع نسمهترقق فيها الحب و انتشر العطر

أعدها أعدها نغمه سرمديهتجمد منها البحر و انفلق الصخر

أعدها دمء يسكر المجد لونها أعدها إباء باسمه يهتف الفخر

أبا الشهداء الأصفياء تحيهيقدمها عن روجه شاعر حر

هو الشعر لا يرضى بمقياس غير هفلى فيه إما زل بى مقولى عذر

نظرتك ما بين السيوف فراعنيجلال عليه رفرى الحزن و البشر

تقدست من فرد يهاجم دولهلسلطانها قد أذعن البر و البحر

فيا وقفه الايمان فى ساحه الوغيتضعضع منها الشرك و انخذل الكفر

على رسلكم يا عاذلين فلهويمقاييس يابى فهمها الماجن الغر

فلا تلحقوها بالمواقف إنهاأنشوده غنى بها الأدب البكر

هى الثورة الحمراء عن فكر مصلح ترفع أن يهتاجه النفع و الضر
أراد لكى تحبى الحقيقه فانبرى إلى الموت لا يلوى به السهل و الوعر
كذاك حياه المصلحين شهاده يجد بها عصر، و يلبى بها عصر
إذا الروض لم تنفح أزاهره الشذى و لم تبهج الأرواح أدواحه الخضر
و إن عجز الصداح عن وحى لحنه و غاض و لم يلعب بأمواجه النهر
و إن فقد الوجه الجميل فتونه و لم يكشف الظلماء فى نوره البدر
فكل عناوين الحياه ضلاله و كل ثراء فى متاجرها فقر
و ما الدين إلا قائد العقل للهدى له النهى فى دنيا العقائد و الأمر
إذا هجرت أحكامه أو تغيرت فكل حديث حول تأثيره هجر
أ يغدو ابن ميسون خليفه أحمد و فى عرفه ما قاله أحمد نكر
و يحرم شرب الخمر فى أمه لها إمام به يمسى و يصطبج الخمر
و تؤمن فى يوم الحساب و لم يرع خليفتها يوما حساب و لا حشر
و تسكت عن هذى المهازل أنفس يلوذ الحمى فيها و يعتصم الثغر
ألا. لا. فان الحق يأنف أن يرى مواكبه يقتادها الغى و الغدر
و أن لم تساعده الحياه على المنى فلا بد أن ياتى بها الموت و القبر
سلام على يوم الحسين، فإنه أرى عالم الظلماء ما يصنع الفجر
و سجل للأحرار منهجه الذى تهيج دم الثوار أسطره الحمر
تموت و تنسى الذكريات، و ذكره سيبقى مع الأحقاب ما بقى الذكر
أحاول أن لا اسكب الدمع غيره بان لا يقولوا شاعر خانه الصبر
و لكننى لا أملك النفس حينما أراه و قد حفت به البيض و السمر

بنفسى أفيديه، و قد هذه الظما و أجهده فقد الأحبه و الكر
و لم يبق من أصحابه غير نسوه تراءى لها فى قتله الشكل و الأسر
يطالعهها من برقع الدمع حسره و فى قلبه من فقد أحبابه جمر
فتطنى عليه سوره علويه بها يتساوى عنده الحلو و المر
و فى حضنه طفل يطوق نحره من الظلم سهم ناء عن مثله النحر
و حاشاه لم تلو الحوادث عزمه و لا راعه فى زحفه العسكر المجر
ففى ذمه الايمان أقدس موقف له تخشع الدنيا و يرتجف الدهر
و يطعن قلب الدين بالرمح مالک - و يخمد نور الله فى سيفه - شمر -
إلى أن قضى فى ساحه المجد فانقضى بذلك عهد للهدى، و انطوى سفر
لئن قام شطر الدين فى صبر حيدر فقد قام فى قتل ابنه بعده شطر
و لم أر من قبل الحسين مجاهدا لمصرعه وافى يشيعه النصر
و قال فى نساء الحسين (ع) مسوقات من كربلاء إلى الكوفه:
فى رمال يموج فيها السراب و فضاء يمتد فيه الضباب
و لعاب كالجمر ترسله الشمس ليغلى كالموج منه التراب
و على الأرض يحفر الدم نهرا يلهب الروح موجه الصخاب
و ترامت حول الدماء انتشارا جثث كورت عليها الحراب
و تراءت من البعيد خيام يبعث الحزن ظلها المنساب
جلست تحتها نساء و أطفال و قد سادها أذى و اكتئاب
نظر الأفق و هى ترسل دمعا صاحبه مناخه و انتحاب
إنها الثاكلات من آل طه من بالائها أهاب الكتاب

نزلت فى الطفوف فى منعه قد سورت عزها أسود غضاب
و استدار الزمان فابتز منها مجدها، و أستبيح منها الجناب
حينما استشهد الجميع، و لم يبق لديها أهل، و لا أحباب
و غدت فى الخيام و هى حيارى لا حمى تلتجى به لا حجاب
و علت ضجه فهبت من الخوف و قد هز جانحها اضطراب
فإذا الجيش جاء للسلب و النهب كما تنهب الخراف الذئاب
فتراكضن فى البوادي، و للعين انسكاب، و للفؤاد التهاب
و وراها الذئاب تعدو، فللحلى انتهاب، و للبرود استلاب
أين يلجان، و الحماء على الأرض عليها من الدماء ثياب
فى محيط تموج فيه الأعادى ما لها جيره به أو صحاب
رجعت للخيام، و النار فيها تتهاوى من وقدها الأطناب
و الكفيل العليل يرقب وضعا مؤسفا منه تلتظى الأعصاب
و أته أم المصائب تستوضح منه وضعا عراه ارتياب
و هناك الامام قال: (عليكن) فلاح الهدى، و بان الجواب
فترامت ثواكل الطف فى البيداء تعدو و قد دهاها المصاب
بقيت زينب لترعى عليلا صرعته الأوجاع و الأوصاب
أقبلوا بالنياق كى يركب الأسرى عليها، و ما لها أقتاب
أ بنات الهدى على النيب ما بين الأعادى، و لا يقيها النقاب
حادث يقرح القلوب، و خطب منه تبكى الأجيال و الأحقاب
يشتكى الشعر حين يعرض لمحا منه و صفا، و يستحير الخطاب

هكذا ركبت بنات على و إلى الكوفة استحث الخطاب

ليراها في مجلس ابن زياد شامت قوله شجى و سباب

يا سماء أكسفى نجومك حزنا و اخسفى الأرض رجفه يا هضاب

و قال في العباس (ع):

أبا الفضل باسمك غنى الإخاء و هلهل قيثاره المبدع

فموقفك الفذ يوم الطفوف به كل مكرمه تنبع

غداه استفزت بك الحادثات فرحت لأواجها تصرع

و هزلواك أنين الصغار يصعده عطش موجه

فخضت الفرات و جيش الطغاه به غص شاطئه الممرع

و كظ الظما قلبك المستشيط و قد ضمك المنهل المترع

و حاولت عبا و لكنما أصاب بك المنظر المنفجع

نساء تلوب و قد رفرفت باحضانها كالقطا رضع

تطوف به و تراعى الحسين بعين تغص بها الأدمع

هنالك فى عذبات الخيام عطاشى بحر الثرى صرع

فأوحى لوعيك موج الفرات : كما جئتنى ظامئا ترجع

فكانت رسالتك المنتقاه سقاء رجعت بها تسرع

تخب بها، و جيوش الطغاه ذباب تمزقها زرع

و راحت تلوذ بظل النخيل سيوف بها ترجف الأذرع

لتقطع منك اليمين التى لها السيف من كفها أطوع

و تبتز منك الشمال التى لها كل ذى حاجه يضرع

و یخسف بدر بنی هاشم عمود بأجرامها یصدع

ص: ۲۹۳

فتهوى و تندب أدرك أخاك فيهرع كالليث إذ يهرع

رآك و جسمك نهب السيوف فما شذ عنها به موضع

فراحت تعبر عنه الدموع بلحن يضيق به المصقع

و عاد ليستقبل الطاهرات بقلب به ضاقت الأضلع

و لم يبق روح بهذى الحياه فكل عناوينها تخدع

فلا الشمس تبهج ألوانها و لا البدر يزهو له مطلع

و لا الفجر تحلو به يقظه و لا الليل يهنى به المضجع

فقد كنت روح حياه الحسين فبعدك واحاتها بلقع

و قال أيضا فى العباس (ع):

يطلب الاذن و الصراع رهيب و صليل السيوف لحن طروب

بطل تعرف الميادين مرماه ففيها له مجال رحيب

كسر الجفن كى يغطى دمعا نثه الحزم، و الاباء المهيب

سائلا من أخيه فى الصمت أذنا للوغى، و هو مطرق مستريب

رفع الطرف نحوه السبط إشفاقا و فى القلب وجده مشوب

ثم مرت عليهما فتره يقصر عن وصفها الأديب الأريب

و أجاب الحسين و الألم القاتل معنى فى لفظه مصبوب

كيف تمضى عنى، و هذا لوائى بك قد رف مجده المرهوب

أن جيشى إذا مضيت سينهار عليه رواقه المطنوب

أنت للنصر رمزه، فإذا فارقتنى زال رمزه المحبوب

أنت سيفى يوم الجهاد، فان بنت سينبو حسامى المخضوب

كيف أحيا من بعد موتك، و النور إذا غبت عن حياتي يغيب

فأجاب العباس و الألم الصارخ قبل الجواب كان يجيب

: كيف أحیی و من دمء أحبائی عفر الثرى ندى خضيب

إخوتى كلهم على الأرض أشلاء عليهم عصف الرياح هبوب

أفيبقى فى الغمد سيفى، و هذى زعقات الوغى بسيفى تهب

أنت بين العدا غريب، و أبقى ساكنا، أن ذاك و هم غريب

لك رمز الفداء عشت لأفدى لك نفسا إلى الفداء تثوب

يا أخى منك أطلب الاذن للموت و بالحرب يدرك المطلوب

و تعالى من العطاشى نشيد مستثير تذوب منه القلوب

و هناك الحسين قال، و فى عينه دمع من الفؤاد صيب

يا أخى هدنى بكاء اليتامى و بكاء اليتيم لحن مذب

فأنت بالماء للصغار فقد أذواهم الحزن، و الظما، و اللهب

منع الماء عن حریم رسول الله رهط لدينه منسوب

عطش قاتل، و ضغط مييد و هتاف مرد، و فتك عجيب

و الذى حز فى فؤادى صراخ لرضيع فؤاده مشعوب

فابغ نهر الفرات، و املاً سقاء فعسى فيه للصغار نصيب

و مضى يحمل السقاء إلى النهرو و للجيش فى الشواطئ و ثوب

و دع السبط صنوه ببكاء منه حتى صم الصخور تذوب

كلما هم أن يفارقه نازعه فيه قلبه المجذوب

كيف يبقى حيا، و يمضى أبو الفضل إلى الموت إن ذاك غريب

و رأى الجيش صوله الحب فى الحرب فللسيف ثوره و هبوب
تتلاشى الصفوف، ذاك شمال يتهاوى ضعفا، و ذاك جنوب
فيبيد الحسين صفا، و صفا بأبى الفضل ضائع منكوب
طاقه ترجف الجبال، و زحف كل جيش أمامه مغلوب
فراى نغل سعد أن يرجع السبط و يبقى العباس و هو حريب
أمر الجيش أن يؤم خباء فيه يعلو للثاكلات نحيب
و رآه الحسين فارتد كى يحمى حريم الإله و هو كئيب
و مضى يهزم الجموع أبو الفضل وحيدا و قلبه ملهوب
قاصدا شاطئ الفرات بعزم تتلاشى من شفرتيه الخطوب
فيبيد الألوف لا سيفه ينبو و لا وعى عزمه مخلوب
عنده الضرب عاده، و لقاء الموت عيد به الفؤاد طروب
سيفه ثوره على البغى منه أخذت درسها العتيد الشعوب
علم المستضام كيف يرد الضيم و هو المظفر الموهوب
بطل عن قواه تعيى البطولات و ينهار حدها المضروب
ورث السيف عن أب، باسمه السيف تسامى له جلال رهيب
أخلق الوضع عهد حيدر، لكن بأبى الفضل عاد و هو قشيب
بطل يزحم الفيالق كالليث يلاقى الأغنام و هو غضوب
زاحف يقصد المسناه، و الجيش عليها لواؤه منصوب
فأباد الجموع عنها، و باتت و هى ملك لسيفه مكسوب
قحم الماء فارسا بفؤاد لاهب، كظه الظما و الوجيب

ملاً الكف، كى يبيل شفاها جف حرا منها الأديم الرطيب
فتراى له الحسين و أطفال ظماء، حول الحسين تلوب
فرمى الماء من يديه، و قد شاطره فى الوفا الجواد النجيب
و مضى يملأ السقاء لتروى منه أم قد جف منها الحليب
و انثنى للخيام يزحف، و الجيش به سدت الربى و السهوب
فظواه بسيفه، و هو غيران و قد فاض غيظه المحجوب
هزم الجانبين فانخذل القلب و ضاع النظام و الترتيب
و توارت فلوله و هى تخفى نفسها، و هو كالعفرنى و ثوب
فضلال النخيل أضحت مكننا لوجوه، فيها تعيث العيوب
بينها - ابن الطفيل - و هو شقى كل جرم منه إليه يثوب
شهر السيف يرقب الليث، و الليث بعيد عما يروم الرقيب
جذ منه اليمين، فالتقط السيف يسراه، و الدماء تصوب
منشدا: أن يكن قطعتم يمينى فهو أمر مقدر مكتوب
سوف أحمى دين الهدى بيسارى فيسارى لها الجهاد يطيب
و إذا باليسار يجتذها نذل فيهوى منها الحسام الخضيب
و رمى عينه لعين، فغطى نورها الجرح و الدم المسكوب
لم يرعه الذى جرى، حيث أن الماء ما زال يحتويه الذنوب
لهف نفسى عليه، لما رأى الماء على الأرض من سقاه يسيب
هزه منظر السقاء، و فيه مزق من سهامهم و ثقوب
غار فى الرمل مأؤه، فانتظار الطفل للماء منه حلم كذوب

أيها الموت أين أنت؟ فما لي بعده في الحياه عيش رغب

و إذا بالعمود يفلق منه رأسه، و هو ساهم مكروب

فهوى للثرى، و نادى أخاه : الوداع الوداع، حان المغيب

فعدا نحوه الحسين، و فى العين اندفاق، و فى الفؤاد شبوب

ص: ٢٩٤

و رمى نفسه عليه، و للجيش اضطراب من وضعه و وجيب

ساعه توقف الزمان عن السير و يوم على الحياه عصيب

ذاك سبط النبی يحضن صنوا وزعت جسمه الطبا و الكعوب

يا سماء اصعقى.. فهذا مصاب فيه أودى الإسلام سهم مصيب

ثم كانت مناظر لوداع من شجاها وجه الزمان قطوب

و رثاء من الحسين، و وضع من أبي الفضل عنه يعبى الخطيب

مصراع الليث فى الطفوف سيبقى مدهشا حوله تطوف الحقوب

و قال فى رثاء زينب (ع):

يا ابنه الفجر أرسلى آيه النور فى الظلم

روضه أنت أنبتتها يد الله فى الرمم

إيه روح الزهراء صونى الاباء و اجعلى الأرض فى علاك سماء

و أطللى كالفجر فى ظلم الأجيال كى تنشرى بها الأضواء

و تحدى يزيد فى بؤره الظلم بعدل يعطر الأجواء

و اغمرى المجلس الخليع جلالا يغمر الحفل عفه و حياء

و انشرى روحك النديه فى طى خطاب يحفز الضعفاء

و أريهم أن الحياه أفانين و كم أعقب الصباح مساء

و ابعثى فى السجون من عزمك الجبار روحا يهدد الأقوياء

و احملى رايه الشهيد بجو مظلم كى تفيض فى ضياء

و أشيرى لنا من الغيب كى نجرى فى ساحه الوغى شهداء

نحن عدنا إلى يزيد فعودى بيننا، و انشرى علينا اللواء

فعى أن تجف منا دموع سوف تجرى على السيوف دماء

و عسى أن نرد عهدا تقضى فطوى الحب و الصفا و الوفاء

أبعثى نغمه بها يبعث المجد و الشمم

و أهيبى بعالم يهضم الذل و الألم

يا ابنه المرتضى أبى القمم الشم تقدست رفعه و اعتلاء

قمت و السبط فى جهاد تهاوى دونه الفكر رجفه و عياء

ذاك بالنفس قد فدى الحق، أما أنت بالصبر قد رفعت النداء

أن ما شدتما به من كيان قد تعالى على السماء علاء

تتهاوى القرون حول مبانيه و ما زال مشمخرا بناء

لك فى كربلاء أى مقام رفع الحق باسمه كربلاء

فعلى كل قطره من دم خلدت للمجد دمعه حمراء

أن يك السبط بالشهادة قد عاش، فقد عشت بالإسار بقاء

ذاك أدى شطرا، و أديت شطرا من نشيد، هز القرون غناء

لم يكن قتله بأكثر من سييك فى نظره الخلود جزاء

بكما بثت الرسالة روح العزم فى أمه تضيع احتذاء

و أبادت و كر الفساد لتعلى فوقه للصالح أفقا مضاء

طاولى الشمس بالسنا و اطردي الموت بالعظم

نغمه الحق أنت عطرت بالنور كل فم

أطلى الفجر فى دمشق ابنه الظلماء، كى تمحقى به الظلماء

و ارفعى الحق قبه تصدع الأفق جلالا و روعه و بهاء

و ضريح للحق حام عليه حلم الشرق عزه و ازدهاء
ضم منك الرفاه رمز جهاد يتباهى به الهدى خيلاء
تخذ الدين منه كعبه إيمان تحج الدنيا إليه ولاء
معبد للعواطف الخرس تشدو باسمه العذب لذه و انتشاء
صهرت فيه كل آمالها حتى أحالته فتنه غراء
تتباهى إيران فيه، ففيه قد تجلى إيمانها و تراءى
بقعه لم تزل توالى عليا منذ كانت، و آله الأصفياء
كشفت في دمشق منه جلالات يكسف الشمس بهجه و سناء
فاتته تسعى و مقصدها الحق وضحت له الحياه افتداء
و قال في أنصار الحسين (ع)

أرسل الدمع هذه كربلاء ترتعى في رمالها الشهداء
فهنا يضرب الحسين خباء ترتعى الأرض تحته و السماء
في نجوم من آله، و نجوم من رجال تزهو بها العلياء
بايعوه على الشهاده كيما تحتفى في دمائها الأجواء
عارضوا البغى و هو كالليل قد مدرواقا، دجت به الأرجاء
و تنادوا باسم العقيدة فاهترتبها الروح حين ماج النداء
تركوا عالم الفناء، و راحوا الوجود يشف منه البقاء
ركضوا للفداء مذ طلب الدينو كل يقول: أنى الفداء
صفوه الله في الوجود، و للهو وجود تحيى به الأصفياء
هم من الله كالشعاع من البدر فهم في سمائه أحياء

منهم الأنبياء، قد أنزل الوحي عليهم، و منهم الأولياء
و من الأولياء من ينصر الحقا مثالا لم تغره الأهواء
و سيوف الطفوف سلت لأمر أصدرته الشريعة الغراء
فحسين سبط النبي، إمام العصر يعنو، لما يريد، القضاء
يصدر الحكم بالجهاد لتمحيسلطه تعتلى بها الأدياء
سمعوا دعوه الحسين فلبوها و ماجت بركبها الصحراء
و تهادوا فى كربلاء كبرياء فتهاذت بمجدها الكبرياء
فته فى الحساب تبلغ سبعينو فى الروح أمه شماء
هاجمت بالسيوف حكم ابن ميسونو قد سلها عليه الاباء
سائلوا كربلاء عنها، ففى كلمكان، منها بها أبناء
جهزوا عسكريا يقود (حبيب) رتله يزدهى به الخيلاء
أى شيخ فات الثمانين، لكنروحه، يستشيط منها الفتاء
هاجم الجيش مفردا بحسامأرهفته الأحداث و الأرزاء
و قضى بعد ما قضى واجب السيفو غنت بياسه الهيحاء
و أتاه (زهير) و هو صريعفى الثرى عنه سائلا: ما يشاء
قال: أوصيك بالحسين، فدافعنه، فهو الوديعه العصماء
هكذا كان كل فرد يرى قمتهان تسيل منه الدماء
و انظروا عابسا و قد هاجم الجيشففرت أمامه الأكفاء
فهو ليث، و الحرب غاب، و أبطالالوغى حينما يهاجم، شاء
فلذا عنه أحجمت فرق الجيشو طاشت غاراته الشعواء

وقف القرم ينزع الدرع كى ترجعشوقا لقتله الأعداء

و هنا صاح فيه من عسكر القومجبان، هاجت به السوداء

ص: ٢٩٥

: عابس جن، قال: حب حسين منه جنت أنصاره الأوفياء

فاتته السيوف تخمد نورا لم يزل، و هو لاهب لألاء

شهداء عاشوا مع الخلد، كى تنشر منها الظلال و الأنداء

تتهادى الأحرار فى طرق قد رف منهم على الحياه اللواء

فعلهم تحيه الروح، تندی من شعور يفيض منه الولاء

و قال فيهم أيضا:

نهضه شع نورها مستطيلا يرجع الطرف عن سناها كليلا

شرعت منهج الخلود، و سنت فى خطأها إلى الرشاد سيلا

ضربت للاباء أبعد مقياس يهز القرون جيلا فجيلا

آيه للولاء رتلها الدين افتخارا بذكرها ترتيلا

خرجت للخلود قافله الايمان تطوى على الحزون السهولا

ودعت بالدموع عاصمه الدين و سارت عنها تجد الرحلا

حضنتها الصحراء أما رءوما و احتوتها الرمال ضيفا جليلا

قدستها الوحوش فابتعدت عن طرق قد سرت بها تبجيلا

و عليها الطيور ألقى عن الشمس بمد الجناح ظلا ظليلا

درجت فى القفار تبغى مقرا تبغيه لركبها و مقيلا

لم تجد موطننا سوى بقعه الطف لأسد الكفاح يصلح غيلا

موكب الحق حط فاهزت الأرض تعيد التكبير و التهليلا

نزلت صفوه الوجود لتعلو شرفا باذخا، و مجدا أثيلا

تركت ذله الحياه، و عنها اتخذت عزه الخلود بديلا

شرف النفس قد أبى أن يعيش الحر فى موطن اللثام ذليلا

فنه قادهما الحسين إماما سحبت فى ذرى النجوم ذيولا

لبست لامه الثياب، و سلت صارما من إبائها مصقولا

و مضت تطلب الممات أو العيش كما تبتغيه غضا جميلا

وقفت، و هى عده تبلغ السبعين ليثا من الكماه صئولا

دون جيش كأنه السيل قد صب فسد القفار عرضا و طولا

ظامئات نفوسها فهى تذكو من لظاها حماسه و غليلا

وقفت موقفا سيبقى إلى الحشر على مفرق الابا إكليلا

فته بايعت على الموت لما وجدت مر طعمه سلسيلا

كل حر يأبى الخضوع لغير الله قرم يرضى الحسام الصقيلا

يقلق الجيش ذكره حيث كان الموت ظلا بذكره موصولا

يتحامى ماضيه عن كل نذل فلذا يطلب الشجاع المهولا

تلقى الرقاب ضربته إذ أصبحت للفتى الكمى دليلا

و قضت بعد ما قضت واجب السيف و أرضت عنها القنا و النصولا

شهداء الابا لمصرعها التاريخ قد عاد واجما مذهولا

و قال فيهم أيضا:

أحدثوا فى منهج الحرب انقلابا حينما خفوا إلى الموت غضا

هتف الدين بهم فابتدروا يتهادون شيوخا و شبابا

أفرغوا الإيمان درعا دونه يرجف السيف ارتياعا و ارتيابا

عقدوا الحق لواء خافقا و مشوا فى ظله أسدا غلابا

لم ترعهم سلطه البغى التى تملأ الدنيا حروبا و حرابا
زحفوا و الجيش فى أفواجه مائج تحسبه بحرا عابا
أسكرتهم فكره النصر فلم يبصروا آلافة إلا ذابا
حولوا الأرض سماء حينما عقدوا منها على الأفق سحابا
كل فرد أمه فى بأسه يهزم الجيش إذا صال ارتهابا
أن تانى فهو ليث رابض و إذا ما انقض ينقض عقابا
أيها التاريخ حدث عنهم و أغمر الحفل بذكراهم ملابا
شهداء الحق قد شاد لهم بأسهم فى أفق المجد قبابا
وثبوا للخلد أحرارا فما وهنوا جبنا، و لا خاروا اضطرابا
نزعوا الأدرع شوقا للردى و اكتسوا من حلل المجد ثيابا
و جروا فى حلبة الطف إلى جنبه المأوى ذهابا و إيابا
بايعوا السبط حسينا و اشتروا منه تاريخا له الدهر أنابا
قاوموا الطغيان إيمانا إلى أن ذوى كابوسه العاتى و ذابا
هكذا المبدأ فى طاقاته يكسب النصر و أن عز اكتسابا
وقفت دون ابن طه موقفا وجد الدهر به شيئا عجبا
فته بايعت الله فما راعها الموت و قد كشر نابا
قابلت عشرين ألفا، و هى لم تبرح السبعين عدا و حسابا
هجمت باسمه فى معرك قطبت فيه المغاوير ارتعابا
هزت الجيش و قد ضاقت به عرصه الطف سهولا و هضابا
زحفت ظامئه، و الشمس من حرها تلتهب الأرض التهابا

ما لواها الموقف الدامى و ما صدها الجيش ابتعادا و اقترابا

سائل الميدان عنها، سترى كيف أرضته طعانا و ضربا

كيف حامت حرم الله فما خدشت عزاء، و لا ذلت جنابا

كيف دون السبط راحت تدرى بهواديهما سهاما و كعابا

فى جحيم الحرب حيث اشتبكت أسيف الشوس اصطداما و اصطخابا

وقف السبط يصلى، و اقتدت بصلاه السبط حبا و انجذابا

أ صلاه الخوف، حاشاها فما روعت، و الموت منها كان قابا

عرجت لله حتى لم تدع رتبه إلا و جازتها وثابا

رشقتها أسهم البغى فكم من صريع واجه الموت احتسابا

صور فى معرض الخلد بها جاوز الفن من السحر النصابا

تلك أم وقفت ترعى ابنها و هو ينصب على الموت انصبابا

و فتى يهتر بشرا بينما عرسه تبكى شجوننا و اكنئابا

و عجوز كافح الدهر إلى أن ذوى عودا، كما ذاب اهابا

رفرفت رايته، و اختال فى ظلها تحسبه ليثا مهايا

و كمى روع الجيش فما زال يدعوه، و لم يسمع جوابا

فرمى الدرع، و ابدى صدره للعدا، و أنساب للموت انسيابا

صور حار بها الفن فما رام أن يرسمها إلا و خابا

بدر الدين محمد بن زهره الحسينى.

قال أبو الفداء فى تاريخه و هو يتحدث عن احداث سنه ٧٣٩:

فيها فى العشر الأوسط من ربيع الآخر توفى السيد الشريف بدر الدين محمد بن زهره الحسينى نقيب الاشراف وكيل بيت المال بحلب. و من الاتفاق أنه مات يوم ورود الخبر بعزل ملك الأمراء علاء الدين الطنغا عن نيابه حلب و كان بينهما شحناء فى الباطن. كان السيد رحمه الله حسن الشكل وافر النعمه معظما عند الناس شهما ذكيا. و جده الشريف أبو إبراهيم هو ممدوح أبو العلاء المعرى. كتب إلى أبى العلاء القصيده التى أولها:

غير مستحسن وصال الغوانى بعد ستين حجه و ثمان

و منها:

كل علم مفرق فى البرايا جمعته معره النعمان

فأجابه أبو العلاء بالقصيده التى أولها:

علانى فان بيض الأمانى فنىت و الظلام ليس بفانى

و منها:

يا أبا إبراهيم قصر عنك الشعر لما وصفت بالقرآن

محمد جواد دبوق ابن الحاج حسن.

ولد فى صور سنه ١٨٩٩ م و توفى فى بيروت و دفن فيها سنه ١٩٧٦ م كان من ضباط الدرك اللبنانى و بلغ فيه رتبه عميد و كان ينظم الشعر فمن ذلك قوله:

من للمحب ناى حبيبه و اشتد من وجد نحيبه

هل للدموع مكفكف و القلب هل يطفى لهيبه

قلب يقلبه الأسى و الشوق من حر يذيبه

يمسى و يصبح و الجوى و الهم و البلوى نصيبه

عز الدواء لدائه هيهات يسعفه طبيبه

و قوله:

إذا عضدك الدهر الخئون بنابه و ضاقت بك الدنيا و فاتك ما ترجو

فاحمد المبعوث و الليث حيدر و فاطم و ابناها تمسك بهم تنج

الشيخ محمد بن محسن المقابى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان هذا الشيخ فاضلا فقيها، إماما فى الجمعه و الجماعه و هو أول من صلى الجمعه فى البحرين بعد افتتاحها فى الدوله الصفويه، و له كتاب فى الخطب لم يعمل مثله، قاله الحر فى أمل الآمل.

الشيخ محمد بن سعيد المقابى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

أصلا و منشا و الخطى فرعا و مولدا كان من المتكلمين له كتاب فى المنطق كبير لم يعمل مثله و له شرح على دعاء الصباح و له حاشيه على التجريد و غير ذلك من الرسائل أخذ العلم عن شيخنا نوح بن هاشل و عن الشيخ الكامل صلاح الدين الشيخ ياسين البحرانى مات سنه ١١٢٥.

الشيخ محمد بن يوسف البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط: قال جدى فى اللؤلؤه عند ذكر هذا الشيخ ما نصه:

ماهر فى العلوم العقليه و الفلكيه و الرياضيه و الهيئه و الهندسه و الحساب و العربيه و عليه قرأ والدى أكثر العلوم العربيه و الرياضيه و قرأ عليه خلاصه الحساب و أكثر شرح المطالع و تمم الباقي من المطالع بعد الشيخ المزبور على أستاذه الشيخ سليمان بن عبد الله المتقدم ذكره ثم لانزم بقيه عمره فى باقى العلوم من الحكمه و الفقه و الحديث و الرجال و لم ينقل الشيخ محمد المذكور شيئا من المصنفات، توفى فى ٧٥٨ هـ.

الشيخ محمد بن الحاج يوسف الأمير زيدى البحرانى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

و كان من أدباء البحرين و شعرائها له رساله فى البديع و رساله فى العروض له كتب فى القصائد و المراثى و من قصائده الفاخره فى وفاه على (ع):

مدامع عينى سكبها لا يفتر و أحزان قلبى نارها تتسعر

و حزنى طويل دائم و مؤيد و دمعى مدى الأيام يهمى و يقطر

فلا مدمعى يطفى لنيران لوعتى و لا حزنى يفنى و لا الوجد يفتتر

بكيت و أحييت البكاء لا لمعشر أصابهم للبين سهم يدمر

و لكن بكت عينى لمولاي حيدر و مصرعه منه الجبال تفتطر

إلى أن قال:

فها أنا ارثيه و أبكى لشجوه و قلبى حليف الحزن و العين تسهر

و أنى بتوفيق ألا له منظم لمقتله و هو الحليم المدبر

و بالجمله فمدائحہ كثيره و أشعاره بين أرباب المراثى شهيره و لا يحضرنى الآن تاريخ وفاته (رحمه الله عليه).

الشيخ محمد بن الشيخ يوسف صاحب الحدائق

من آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال صدر الدين الحسينى فى تاريخ فارس فى حالات علماء آل عصفور الذين جاوزوا "الفسا" و "شيراز" قال: و منهم العلامة الأوحد الشيخ محمد البحرانى من آل عصفور نجل المرحوم المبرور الشيخ يوسف صاحب الحدائق و هو أحد المجتهدين فى علوم الدين و غيرها من فنون العلوم خصوصا فى الفقه و الأصلين حتى لقبه علماء عصره بابن الفقيه.

و كان تولده فى البحرين. و مات قدس سره سنة ١٢٢٠.

فأقول: و هذا الشيخ كان من أعيان هذه الطائفة و فضلائها أخذ عن أبيه صاحب الحدائق ثم رحل من البحرين إلى (فسا) مع أبيه بعد الوقعه التى قد ذكرناها آنفا و وصل فيها إلى درجة الاجتهاد و انتهت إليه رئاسه العلم فى زمانه فى تلك النواحي و شدت إليه الرحال و كان أعجوبه زمانه فى استحضار النصوص و كلام الأصحاب و له المصنفات الفائقة التى حقها أن تكتب بماء الذهب لما فيها من النفائس البديعه و التدقيقات النفيسه. و له فتاوى كثيره جمعها ولده الشيخ محسن فى ثلاثه مجلدات. و من تأليفاته كتاب: السر المكتوم و كتاب شرح البلغه فى الرجال و خائص [خصائص] الجمع و رساله فى معنى قوله (ع): الحقيقه نور أشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره. و رساله فى بيان: أن الأعمال بالنيات. و رساله فى العدالة. و رساله

فى الجرح و التعديل. و رساله فى عدد الكبائر. و كتاب الرعايه فى علم الدرليه. قاله الميرزا محمد النيشابورى فى حاشيه قلع الأساس و رثاه الكامل الأديب و العالم الأريب و حيد عصره و الأوان شيخنا الحاج هاشم بن حردان (الكعبى):

كيف تبقى لنا و أنت العماد و توفى و تكمد الحساد

أو يعود الزمان مغتبط العيش و تقضى بغیظها الأصداد

و سجایا زمانك النقص فمن أين يرجى من عنده الازدياد

تبتغى فى الزمان ذخرا و فخرا و القصارى القبور و الإلحاد

لم يعطى النداء و تسعى المساعى و يؤم العلا بها و يساد

لم تبني القصور محكمه الأركان يعلى لها البنا و يساد

إلى أن قال:

لم ينتاب ماجد لعطاء لم تحبى برفده الوقاد

لم يستكف الأبى من الذل و تأبى الدناءه الأمجاد

إلى أن قال:

كل يوم يخر للأرض طود لا تدانى جلاله الأطواد

طال حمل الثرى بأهل المعالى ليت شعرى متى يكون الولاد

إلى أن قال:

زين أهل التقى و ركن المعالى و عماد الورى و نعم العماد

إلى أن قال:

أن تكن فى الثرى غربت فلم يغرب عن الكون نورك المستفاد

إلى أن قال:

أو طواك الردى ففى كل يوم لك من فعلك الجميل معاد

كنت شمسا للمساكين و بدرا بك يجلى العمى و يهدى الرشد

فملأت الهدى سرورا كما قد بات يطوى بحزنه الإلحاد

لبكتك العلوم تغرق فيها شهيم فكر لم يخط منه المراد

و المباني تجيدها بمقال زانه الانتقاد و الافتقاد

و فروع شريفه و أصول قررتها أدله و اعتقاد

و قضايا قد أشكل الحكم فيها و أبى طرف ناظرها الرقاد

يا لقومى لحادث عم دين الله فانهد ركنه و العماد

لرزايا حلت بدار المعالى فالمعالى لباسهن سواد

كيف قرت شقائق الفحل قسرا و هو ذاك المزمجر المرعاد

و على الحمله فهذه القصيده طويله أخذنا منها موضع الحاجه.

السيد محمد عباس الموسوى الجزائرى اللكهنوى.

مرت ترجمته فى الصفحه ٤١١ من المجلد السابع و نزيد عليها ما يلى مكتوبا بقلم حفيده السيد طيب آقا الموسوى الجزائرى:
خلف سبعة أولادهم:

السيد محمد، السيد حسن، السيد حسين، السيد أمير حسين، السيد نور الدين، السيد محمد على، السيد أحمد على. و توفى السيد أمير حسين شابا بلا عقب، و كان السيد محمد أكبرهم و هو عالم شاعر، كان أولا إمام الجمعة و الجماعه فى أكبر آباد (آكره) ثم انتقل إلى عظيم آباد (بتنه) مشغلا فى ترويح الدين و إمامه جماعه المؤمنين و كان له خبره فى الطب أيضا. له من المؤلفات:

١ - الشريعه السهله (عربى). ٢ - رساله راحت رسا. ٣ - زاد عقبي، مثنوى فارسى. ٤ - باغ مؤمنين، مثنوى. ٥ - رقعات فارسى. ٦ - نان و كباب، مثنوى. ٧ - شمس الضحى، مثنوى. ٨ - حالات أنبياء. ٩ - مجموعه القصائد. ١٠ - كتاب المسائل. ١١ - جوهر شب جراغ، مثنوى.

١٢ - رشك بوستان، مثنوى. ١٣ - گلشن هدايت، مثنوى. توفى فيعظيم آباد (بهار) عام ١٣١٣ هـ.

و خلف ولده زين العابدين. و كان عالما، أدبيا فاضلا، ولد عام ١٢٨٠.

تلمذ لأبيه، و لتاج العلماء السيد على محمد، و ألف كتبها منها: منابع الإفاضات فى الجهر و الإخفات، فقه استدلالى توفى شابا بعد

مدته من وفاه أبيه.

و السيد حسن هو الولد الثاني، تولى منصب إمامه الجماعة من راجه أمير حسن خان، توفى سنة ١٣٣٠ في مدينه فتح پور بسوان (الهند).

و السيد حسين صابر نور العلماء هو الولد الثالث ولد في كبر سن أبيه ففرح بميلاده و قال:

بشرت على كبر سنى بوليد أنسى الأحزانا

فأقر الله به عيني إذ كنت هجرت الأوطانا

أرخت له فى مصراع هو مولود فى رمضان

توفى غريقا قرب مدينه "كلكته" سنة ١٣٠٦ و بعد شهور من وفاته توفى أبوه محزوناً عليه.

و السيد نور الدين هو الولد الرابع. كان عالماً شاعراً أقام مدته فى مدينه "حيدرآباد الهند" له عقب فيها - توفى بمدينه لكهنؤ " عام ١٣٣٠.

و السيد محمد على الجزائرى هو الولد السادس ولد يوم ١٣ رجب سنة ١٢٩٨ هـ كان عالماً، فقيهاً، شاعراً، أديباً. درس المقدمات فى مدرسه مشارع الشرائع فى لكهنؤ، و حضر مجالس درس أساتيد و علماء وقته كالسيد نجم الحسن، و جعفر حسين، و رضا حسين، و محمد مهدي، حتى فرغ من السطوح و هو فى السادسة و العشرين. ثم سافر إلى العراق فبقى هناك ست سنين و حضر دروس العلمين الكاظمين الخراسانى، و اليزدى، و أبى القاسم التبريزى بن محمد رضا، و الشيخ حسين، و السيد محمد باقر حجه الإسلام، و الشيخ على المازندراني، و الشيخ ضياء الدين العراقى، ثم رجع إلى لكهنؤ (الهند) و صار فيها مرجعاً للتقليد، و اشتغل فى التدريس أعواماً حتى خرج من حوزة درسه أعلام، منهم:

١ - السيد على نقى النقوى. ٢ - السيد مجتبى حسن الكامون فورى.

٣ - السيد أصغر حسين مؤلف "نقد الشعر". ٤ - الشيخ محمد بشير الأنصارى. ٥ - الميرزا يوسف حسين. ٦ - السيد ثمر حسن. و من تأليفه رساله فى الأصول الفها فى النجف الأشرف، و التحفه الرضويه فى الأدب.

كانت له قريحه فى نظم الشعر العربى و الفارسى و الأردوى (مرت له ترجمه مستقلة فى المجلد الأول).

و السيد أحمد علي هو الولد السابع ولد سنة ١٣٠٣ و سافر إلى العراق سنة ١٣١٨ درس السطوح على الشيخ ضياء الدين العراقي و حضر الدروس الخارجيه للميرزا محمد حسين الخليلي، و العلمين الكاظمين الخراساني و اليزدي، ثم رجع إلى الهند فكان مرجعا للتقليد و رئيسا لمدرسه "مشارع الشرائع" التي تخرج منها و كان شاعرا بالعريه كوالده.

طبعت له: موعظه فاخره و رساله عمليه. توفي سنة ١٣٨٨ في لكهنؤ و لم يخلف غير بنت و ترك تلامذه كثيرين منتشرين في البلاد.

هذا ما كتبه لنا حفيد المترجم و نضيف نحن إليه ما يلي:

أن أشهر أحفاد المفتي محمد عباس اليوم هو: السيد طيب بن محمد علي بن محمد عباس.

ولد عام ١٣٤٤. درس العلوم العربيه و الفارسيه على أبيه و عمه ثم سافر إلى العراق عام ١٣٦٧، فدرس السطوح على السيد أبي القاسم الرشتي و الشيخ محمد الأردبيلي و السيد محمد جعفر الجزائري و حضر خارجا عند السيد حسين الحمامي و الميرزا عبد الهادي الشيرازي و السيد محسن الحكيم و السيد أبي القاسم الخوئي و السيد محمود الشاهرودي و السيد محمد جواد التبريزي.

و في النجف الأشرف ألف كتاب "اللمعه الساطعه في تحقيق صلاه الجمعه الجامعه" طبع هناك سنة ١٣٧٤، و اشتغل في النجف الأشرف بتدريس الطلاب سطحا و خارجا فتخرجوا عليه فقها و أدبا و هم ما بين عرب و فرس و باكستانيين. ثم سافر إلى "كراتشي" سنة ١٣٦٨ و أنشأ هناك "مدرسه الواعظين" ثم سافر إلى "لاهور" و صار هناك "إمام الجمعه" و أسس مؤسسات كثيره في أنحاء البلاد، منها:

"مؤسسه داعيان الخير" في كراتشي، و "مؤسسه علوم آل محمد" في لاهور ثم انتقل إلى مدينه قم في إيران فتوطنها و لا يزال فيها. و زرنه هناك سنة ١٤٠٨، كما كنا زرنه في مدينه لاهور.

له من المؤلفات:

١ - إسلام كى آواز (اردو). ٢ - اللمعه الساطعه في تحقيق صلاه الجمعه الجامعه، (عربي). ٣ - أبو تراب در نظر أم المؤمنين و أصحاب (اردو). ٤ - أبو تراب بر مسند قضا و فصل خطاب (اردو). ٥ - آفتاب شهادات (اردو). ٦ - تاريخ كربلاء و نجف (اردو). ٧ - ميراث بيوه (اردو). ٨ - خطبه معاويه بن يزيد (عربي و اردو). ٩ - زينت جا نماز (عربي و اردو). ١٠ - ترجمه بحار الأنوار (سوانح كربلاء - اردو). ١١ - ترجمه بحار الأنوار (سوانح الشام - اردو). ١٢ - ترجمه بحار الأنوار (سوانح الزهراء - اردو). ١٣ - خدائي تلوار در حالات مختار (اردو). ١٤ - ترجمه منتخب الرسائل (اردو). ١٥ - تحفه الأطفال (اردو). ١٦ - مقصد حسين (اردو). ١٧ - سفير حسيني (اردو). ١٨ - وجوب اجتهاد (اردو). ١٩ - صحايت كا صحيح تصور (اردو). ٢٠ - المقدمه و الحواشي على تفسير القمي (عربي).

أما غير المطبوعه فهى: ٢١ - دروس النهايه في شرح الكفايه (عربي).

٢٢ - عمدته المطالب في شرح المكاسب (عربي). ٢٣ - قانون إسلام (اردو). ٢٤ - تفسير القرآن (عربي). ٢٥ - تفسير القرآن

(اردو). ٢٦ - تفسير القرآن (فارسي). ٢٧ - آداب أكل و شرب (اردو). ٢٨ - حكمت كى موتى (اردو). ٢٩ - شمس المشرقين در شهاده إمام حسين (اردو).

٣٠ - أحسن المقالات (اردو). ٣١ - أحكام شريعت (اردو). ٣٢ - الكشكول (عربي فارسي). ٣٣ - شهاب ثاقب، فى رد " القاديانيه " (اردو). ٣٤ - كتاب انجليسى اسمه: - ALI-THE GREATEST JUSTICE OF THE WORLD مشايخه فى الإجازة: السيد محسن الحكيم، السيد أبو القاسم الخوئي، السيد أحمد على، السيد شهاب الدين المرعشى.

الشيخ محمد على الشهير بالملأ على البرغانى بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم.

عالم حكيم متكلم شاعر مؤلف مكثراً، ولد فى برغان سنه ١١٧٥ و توفى فيما بين الطلوعين من يوم الأحد ١٢ ربيع الثانى أدرك الآغا باقر البهبهانى ثم تخرج على الشيخ جعفر النجفى صاحب كشف الغطاء و الشيخ الميرزا أبو القاسم القمى صاحب القوانين و الشيخ أحمد الأحسائى، و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآخوند ملا على النورى المتوفى سنه ١٢٤٦ و أخذ الحديث و العلوم الغريبه من الميرزا محمد الأخبارى و لازم استاذة الأحسائى سنين و أجز منه باجازه مفصله و الإجازة، بخط المجيز موجوده عندنا.

ثم تولع بالفلسفه و العرفان فجد فيها و أتقنها و تولى التدريس و الفتوى فى كل من كربلاء و النجف و كرمانشاه و قزوین و رأس.

و قد ترك مؤلفات أشار إلى بعض منها شيخنا الأستاذ فى أبواب الذريعه و ذكر الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه المآثر و الآثار ص ١٤٤ الطبعه الحجرية معبراً عنه بأنه من أعظم علماء الشيعة فى العصر القاجارى.

مؤلفاته:

- ١ - أسرار الحج. ٢ - أسرار الصلاة. ٣ - الاعتقادات. ٤ - تذكره العارفين. ٥ - الحق اليقين. ٦ - حياه الايمان فى العرفان. ٧ - رموزات العارفين. ٨ - روضه الأصول. ٩ - رياض الأحزان فى ١٢ مجلداً. ١٠ - رياض الكونين. ١١ - الصراط المستقيم. ١٢ - صوت الايمان. ١٣ - ضوابط الأصول. ١٤ - طور سينا. ١٥ - عدم جواز تقليد الميت. ١٦ - غرائب الأسرار. ١٧ - غنائم العارفين فى تفسير القرآن المبين. ١٨ - فردوس العارفين فى بيان أسرار آل طاها و ياسين. ١٩ - لسان العارفين مطبوع. ٢٠ - گلزار أسرار. ٢١ - مشكاه العارفين فى معرفه أصول الدين. ٢٢ - معراج العارفين. ٢٣ - منهج السالكين. ٢٤ - إشارات عبد الله. ٢٥ - جنه الرضوان: و هو ثامن مجلدات الكتاب رياض الأحزان. ٢٦ - زاد العابدين ليوم الدين. ٢٧ - مصباح السالكين و مرقاه المتقين. ٢٨ - مصباح المؤمنين فى سنن أهل البيت الطاهرين. ٢٩ - هموم العارفين و إكسير الصادقين. ٣٠ - مجمع المسائل فى شرح المختصر النافع (١)

الشيخ محمد الفاضل القائنى.

ولد فى قرية من أعمال مدينه (قائن) حوالى عام ١٣٠٥ و توفى فى مدينه

ص: ٢٩٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

قم سنه ١٤٠٥ و كان والده الشيخ عبد الكريم من أهل العلم و الفضل. و بعد أن أكمل الدروس الابتدائية في قريته، و تعلم القرآن و بعض ما لا بد منه حضر عند أحد العلماء في قريه مجاوره لقريته.

ثم سافر إلى مدينه قائن حيث كان يوجد فيها مدرسه علميه تسمى المدرسه الجعفريه فانتمى إليها و في هذه الأثناء كان الحاكم لتلك المنطقه يتصرف في الأوقات [الأوقاف] على غير وجهها المشروع فاعترض عليه علماء البلده و منهم المترجم، فأمر الحاكم بجلبه إلى مدينه بيرجند حيث يسكن الحاكم، و عند ما واجهه و عرف أن الاستنكار كان بفعل إيمان الشيخ اعتذر إليه و قدم له مبلغا و هديه رفضهما.

و بعد هذا لم يستقر في بلده قائن فسافر إلى مشهد الرضا (ع) و بقي مده قليله ثم سافر منها إلى مدينه طهران و حل فيها عده أشهر. ثم هاجر إلى النجف الأشرف.

و في النجف حضر لدى عده من أعلامها منهم: الميرزا حسين النائيني و السيد أبو الحسن الأصفهاني.

و حضر السطوح العاليه لدى السيد إبراهيم الشهير بميرزا آغا الإصطهباناتي الشيرازي (١٢٩٧ - ١٣٧٨ هـ) كما أنه حضر لديه خارجا في الفقه و الأصول، ثم استقل بالتدريس فكان من مدرسي النجف البارزين و تخرج عليه من تولوا بعد ذلك التدريس في النجف و قم. و ترك مؤلفات منها:

الدرر النجفيه، و الوجيزه، و كتاب في المتاجر من البيع إلى أحكام الربا، و كتاب في الحج، و كتاب في الوصيه، و كتاب النكاح، و كتاب في القضاء و الشهادات، و رساله في الرضاع، و رساله في الإرث، و شرح استدلالی مختصر على العروه الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي و شرح استدلالی مختصر على تبصره العلامة الحلّي و كتاب جامع في علم الأصول يقع في أربع مجلدات و هذه لا تزال مخطوطه.

أما مؤلفاته المطبوعه فوجيزه في علم الأصول في مسأله الترتب، و كتاب الدرر النجفيه في الخمس و الزكاه، و حاشيه على تبصره المتعلمين للعلامة الحلّي، و مختصر الدر الثمين في معرفه أصول الدين و غيرها.

تخلف بولده الشيخ على المقيم في قم و قد درس في النجف ثم في قم. له كتاب معجم مؤلفي الشيعة، و كتاب علم الأصول تاريخا و تطورا، و هما باللغه العربيه، و كتاب تدوين القرآن و الحديث باللغه الفارسيه و غيرها من الكتب المطبوعه. و له بعض المؤلفات المخطوطه.

الشيخ محمد صالح البرغاني.

(١) ولد في ٢٥ ذي القعدة سنه ١١٦٧ في مدينه برغان بايران و توفي سنه ١٢٧١ في كربلاء و دفن في مقبره خاصه في الرواق الغربي من الروضه الحسينيه جنب الشباك المحاذي للرأس.

هو ابن الشيخ محمد الشهير بملائكه ابن الشيخ محمد تقى بن الشيخ جعفر الطالقاني الموصوف بفرشته ابن الشيخ محمد كاظم الطالقاني.

هم من أقدم الأسر العلمية و أشهرها. نبغ منهم العديد من العلماء و الفضلاء في مختلف العلوم الإسلامية. و يقال أنهم فرع من آل بويه.

و اشتهر هذا البيت في القرن العاشر و حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بال الطالقاني، و قد زار أحد أفاضل أحفادهم الأستاذ عبد الحسين الصالحي طالقان منذ عهد قريب فوجد على ألواح قبور رجال هذا البيت. و علمائهم منقوش (... البويهى الطالقاني)، و قد هدم قسم من هذه القبور في قزوین و طالقان، و لا يزال بعضها و موقوفاتهم في طالقان و ديلمان موجودا، و عند أحفادهم بعض صكوك هذه الأوقاف. و ينتشر أفراد هذا البيت اليوم في كل من العراق و إيران و أوروبا و أمريكا.

و اشتهرت هذه الأسرة بال البرغاني في أواخر القرن الثاني عشر و مطلع القرن الثالث عشر الهجري، و أول من اشتهر منهم بالبرغاني هو الشيخ محمد المعروف بالملائكة المتوفى سنة ١٢٠٠، بعد تسفيره إلى قريه برغان و فرض الإقامة الاجباريه عليه فيها ثم أصبح هذا الاسم عنوانا للأسره و اشتهروا به حين ذاعت أسماء الأشقاء الثلاثة: الشيخ محمد تقى و الشيخ محمد صالح و الشيخ ملا على البرغانيين في المحافل الأدبيه العلميه في العراق و إيران.

و في عام ١٢٦٣ عند ما استشهد الشيخ محمد تقى البرغاني، و هو أكبر الإخوه في المحراب أثناء أداء صلاه الصبح اشتهر هذا البيت بال الشهيد و آل شهيدى، ثم تفرعت هذه الأسرة إلى الفروع الثلاثة: آل الصالحي انتسابا إلى المترجم الشيخ محمد صالح، و آل الشهيدى انتسابا إلى الشيخ محمد تقى، و آل العلوى انتسابا إلى الأخ الثالث على، و احتفظ بعضهم إلى جانب لقبه الشهيدى بالشهيدى الصالحي، و الشهيدى العلوى تفاخرا بعمهم الشهيد.

و قد قال عنهم الشيخ آغا بزرك في كتابه (طبقات أعلام الشيعه):

(... و هذه الأسرة من أشرف بيوت العلم، و من السلاسل الذهبية،...

التي ظهر فيها غير واحد من أعظم الفقهاء و أساطين الدين... في العلم و الزعامه و الورع و القداسه...)(٢)

و قال الدكتور حسين على محفوظ في كتابه مجموعه تراجم العلماء، عن هذه الأسرة: (آل البرغاني من البيوت العلميه العظيمه القديمه في العراق و إيران، التي خدمت العلم و الدين اثني عشر جيلا، و هم ينتسبون إلى آل بويه). أ. ه.

و قد أنجبت فروع هذا البيت الثلاثة: آل صالحى، و آل الشهيدى، و آل العلوى، في كربلاء و قزوین عددا من العلماء، فصلت تراجمهم كتب الرجال المطبوعه و المخطوطه.

و قد أحصى جمعا من أعلام هذا البيت بقيتهم الأستاذ عبد الحسين الصالحي و ذكرهم في كتابه المسمى (الشموس المضيئه). و أشار إلى أكثر من

١- تقدمت ترجمته فى الصفحه ٢٦٩ من المجلد التاسع و نعيدها هنا بتفاصيل أخرى ملخصه عما كتبه أحد أحفاد المترجم الأستاذ عبد الحسين الصالحى، و هو الذى حقق كتاب جده المترجم فى الفقه و أخرجه باسم (موسوعه البرغانى فى فقه الشيعة) فى عدة مجلدات. كذلك نذكر هنا موجزا لتاريخ الأسره العلمى بذكر أشهر رجالها، ملخصا ذلك كله عما كتبه الأستاذ الصالحى.

٢- الشيخ آغا بزرك الطهرانى: نباء البشر: ج ٢ ص ٨٦٥ و الكرام البرره: ج ٢ ص ٦٦ و ج ١ ص ٣٢٧.

خمسين منهم شيخ الذريعه فى كتابه (الظليله). و نعرض هنا لبعض مشاهيرهم:

١ - الشيخ محمد كاظم الطالقانى، تخرج على فحول علماء عصره منهم الشيخ البهائى، و المير باقر الداماد، و المير فندرسكى، ثم انتهى إليه التدريس و الفتوى فى قزوین و له آثار باقيه حتى اليوم منها تأسيس و بناء مدرسه النواب الواقعه فى شارع بيغمبريه و يعرف فى العصر الحاضر بمدرسه الامام الصادق (ع) و من مؤلفاته التكميل فى بيان الترتيل، و تفسير كبير.

عاصر الشيخ محمد تقى المجلسى الأول و الشيخ الحر العاملى كما صرح بذلك فى كتابه (أمل الآمل) قائلا: (مولانا محمد كاظم الطالقانى أصلا القزوينى مسكنا من الأفاضل المعاصرين، كان مدرسا فى مدرسه نواب فى قزوین، مات فى المحرم سنه ١٠٩٤) و استدرک صاحب الذريعه فى كتابه سيره آل البرغانى المخطوط قائلا: (... أقول أن لفت النظر إلى سيره الشيخ الحر المولود (١٠٣٣) و المتوفى (١١٠٤) فى القسم الثانى من كتابه (أمل الآمل) الذى ألفه (١٠٩٧) عند ترجمته للأشخاص المعاصرين له، يرشدنا إلى أنه لا يصف أحدا منهم بكلمه (مولانا) إلا من كان أكبر سنا منه، و أعظم شانا و أجل قدرا، و أشهر سمعه، مثل المولى محمد تقى المجلسى، و المولى محمد باقر السبزواری، و المولى خليل القزوينى، و أخاه المولى محمد باقر القزوينى، و الآقا رضى القزوينى، و المولى محمد أمين الأسترآبادى، و المولى حسن على التستري، و غير هؤلاء فأول ما علمنا من حال المولى محمد كاظم من توصيفه بمولانا أنه كان واحد تلك الخصوصيات و كان فى طبقه هؤلاء الذين أدركوا عصر الشيخ البهائى الذى توفى (١٠٣٠) و كانوا معاصرين للمولى محمد تقى المجلسى المتوفى (١٠٧٠) و لعله كان مجازا منه كما أن ولده المولى محمد جعفر كان مجازا من ولده المجلسى الصغير ثم أنه صرح بأنه طالقانى الأصل من طرف آباءه و أنه أول من نزل منهم إلى قزوین و لم يصفه بأنه فاضل بل صرح بأنه كان من الأفاضل و كان مشغولا بالتدريس و تربيته الطلاب فى مدرسه النواب إلى آخر عمره و وفاته فى (١٠٩٤). (١)

و ذكره الميرزا عبد الله افندى فى كتابه رياض العلماء، الجزء الخامس صفحه ١٥٣، و الشيخ الطهرانى فى كتابه الروضه النضره فى علماء المائة الحاديه عشر و كتابه الظليله المخطوطين.

٢ - الشيخ محمد جعفر المعروف بالفرشته بن الشيخ محمد كاظم الطالقانى.

تخرج على العلامة محمد باقر المجلسى و حاز منه إجازة مؤرخه فى جمادى الآخره سنه ١٠٩٥ و أشار إلى الإجازة المذكوره فى الذريعه و عبر عنه فى كتابه الآخر سيره آل البرغانى قائلا: (... و أما جده الثانى فهو المولى محمد جعفر الطالقانى بن المولى محمد كاظم صرح به العلامة المجلسى المتوفى (١١١٠) فيما كتب له من الإجازة المتوسطه التى ذكر فيها جملة من تصانيفه بقلمه الشريف، كما ذكرناها فى ج ١ من الذريعه ص ١٥٠.

و قد نقل صورتها عن خط المجلسى الشيخ الميرزا محمد بن رجب على الطهرانى العسكرى، و أدرجها فى كتابه مستدرک إجازات البحار.

و يظهر من بعض القرائن أن صدور تلك الإجازة كان فى أوائل أمر المولى محمد جعفر.

و أنه بقى بعد هذا التاريخ سنين كثيره حتى ولد له ابنه المولى محمد تقى الآتى ذكره فإنه توفى (١١٦١) و كان يلقب المولى

محمد جعفر (بالفرشته) و هو دفين طالقان يزوره و يتبرك به أهلها... (٢) له مؤلفات و منها: كتاب فقه استدلالى معروف بفقهِ الفرشته، و كتاب اشتراط الحس فى الشهاده.

٣- و منهم الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر.

تخرج على والده، و أخذ الحكمة و الكلام عن الميرزا حسن بن المولى عبد الرزاق اللاهيجى القمى المتوفى سنة ١١٢١. و غيرهما من الأعلام ثم هاجر إلى العراق، و سكن النجف الأشرف.

ثم انتقل إلى الكاظمين و منها إلى كربلاء، و سكنها مدة تصدى خلالها للتدريس.

ثم اتخذ قزوین موطناً له، و قام بالوظائف الشرعيه من الامامه و التحكيم، و قد حضر مؤتمر النجف الذى عقده نادر شاه الأفشارى لتحقيق مشروعه فى التأليف بين المذاهب الإسلاميه ذكره شيخ الذريعه فى كتابه سيره آل البرغانى قاتلاً.

(... أما جده الأول فهو المولى محمد تقى بن المولى محمد جعفر بن المولى محمد كاظم الطالقانى البرغانى القزوینى المتوفى (١١٦١) (٣) و خلف ولدين أحدهما المولى محمد الملائكه، و الآخر هو الذى سماه باسم والده محمد جعفر (٤) و لم نظفر بآثار علميه لهذا الولد لكننا ظفرنا بأثر باق لولده محمد على المذكور فى حرف الميم من الذريعه هكذا (مصباح المؤمنین) فى سنن أهل البيت الطاهرين، و بيان أسرار العبادات الشرعيه.

و الولد الآخر للشيخ محمد تقى، هو الشيخ محمد الملقب بالملائكه... (٥)

٤- و منهم الشيخ محمد نعيم - الشهير بملا نعيما - بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر.

قرأ على والده فى قزوین ثم هاجر إلى أصفهان و التحق بالحوزه العلميه هناك و حضر على أكابر أساتيدها منهم الملا محمد صادق الأردستانى المتوفى سنة ١١٣٤ و بهاء الدين محمد المعروف بالفاضل الهندى المتوفى سنة ١١٣٧ و مال إلى الحكمة و العرفان فبرع فى ذلك.

هاجر فى فتنه الأفاغنه إلى قم، ثم رجع إلى أصفهان و منها انتقل إلى قزوین فرأس فيها).

ص: ٣٠١

١- الشيخ آغا بزرگ الطهرانى سيره آل البرغانى المخطوطه.

٢- الشيخ آغا بزرگ الطهرانى سيره آل البرغانى المخطوطه.

٣- يقول الأستاذ الصالحى: عند عودتى من سفر الحج راجعت مرقده الشريف فى موقوفات الصدر بقزوین خلف الشاه زاده حسين فلاحظت أن صخره قبره المطهر القديمه كان منقوشاً عليها سنه وفاته هكذا (رمضان ١١٨٦) هجرية و لا- أدرى من أين نقل شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى عام وفاته.

٤- و له ولده ثالث باسم محمد نعيم المعروف بملا نعيما و سياتى ذكره.

٥- راجع له ترجمه مستقله في (المستدرک).

و وصف حاله في فتنه الأفاغنه في مقدمه كتابه أصل الأصول قائلا (... هذا مع تشتت الحال و توزع البال إذ قد وقع هذا السؤال حين جرد الزمان على أهاليه سيف العدوان، و ذلك بغلبه عساكر الأفغان على بلده أصفهان، و إهلاك من كان فيها من معظم المتوطنين و السكان، و إباده ما كان فيها و في حوايلها من البلدان، و إفناء أكثر المؤمنين، و لا سيما العشائر و الأقارب و الإخوان، و فرارى منها إلى بلده قم بلده أمن و أمان - حماها الله تعالى من طوارق الحدثان و آفات الأفغان، و اغترابي فيها، و بعدى عن الأهل و الأوطان...) و توفي بعد سنه ١١٨٠.

و له مؤلفات منها: كتاب أصل الأصول الطبعة الأولى ضمن المجلد الثالث من كتاب (منتخباتى از آثار حكماء الهى إيران) سنه ١٩٧٦ م، و الطبعة الثانيه فى كتاب مستقل يقع فى ١٧٨ صفحه (العروه الوثقى فى امامه أئمه الهدى) فى مجلد كبير فى الكلام منها، حاشيه على الحاشيه الجليله الجلاليه و على الحاشيه الشريفه و على شرح المطالع، الجبر و التفويض، كتاب القضاء و القدر، رساله فى قاعده الواحد، تعليقات على شرح جديد التجريد، كتاب شرح الإشارات، شرح أصول الكافى، رساله فى تشكيك الوجود.

قال عنه السيد جلال الآشتيانى فى مقدمه أصل الأصول أنه من مشاهير المدرسين فى الحوزه العلميه باصفهان فى القرن الثانى عشر من الهجره النبويه الشريفه...

و ذكر فى أعيان الشيعه و فى الذريعه و طبقات أعلام الشيعه.

٥ - و منهم الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد تقى.

تخرج على والده و على السيد نصر الله الحائرى الشهيد فى القسطنطينيه سنه ١١٥٨ و يروى عنه، ثم استقر فى قزوین و رأس فيها.

٦ - و منهم الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد نعيم الشهير بملا نعيما ابن الشيخ محمد تقى.

تخرج على والده ملا نعيما، و انتهى إليه تدريس الفلسفه فى قزوین.

٧ - و منهم الشيخ يوسف الحكمى ابن المولى الشيخ محمد تقى بن المولى ملا نعيما.

تخرج على والده و الشيخ محمد البيدآبادى المتوفى سنه ١١٩٧، و الشيخ على النورى المتوفى سنه ١٢٤٦ و غيرهم، ثم رجع إلى موطنه قزوین و قام بتدريس الفلسفه بالمدرسه الصالحيه فى قزوین.

ترك مؤلفات و تحقیقات منها: حواشى على الأسفار، رساله فى حدود العالم، رساله فى القضاء و القدر، حواشى على العرشيه، حواشى على المشاعر و غيرها، توفي حدود سنه ١٢٧٦ عن عمر طويل.

٨ - و منهم الشيخ الحكمى القزوينى ابن الشيخ جعفر بن المولى الشيخ محمد تقى.

تخرج فى الحكمه و الفلسفه على الشيخ على النورى و الشيخ إسماعيل الأصفهانى و أخذ العرفان من السيد رضى و غيرهم، ثم

رجع إلى موطنه قزوین و قام بتدريس الفلسفه، بالمدرسه الصالحیه لأكثر من نصف قرن. و هو الذى ناقش الشيخ أحمد الأحسائي فى المسائل العقلیه فى المجلس الذى حضره جمع من علماء الفریقین و هو المجلس الذى انتهى بتكفير الشيخ أحمد الأحسائي.

و ذكره السيد جلال الدين الآشتياني قائلا أنه كان من المتبحرين فى أفكار مدرسه ملا صدرا الشيرازي، و أن الأستاذين الآقا على و الآقا محمد رضا كانا يرجحانه على الحاج ملا هادي السبزواری. و سكن قزوین و كف بصره فى أواخر عمره. توفي سنة ١٢٨٥ عن عمر يقارب المائة العام، و ترك حواشى مهمه على الاسفار و له رساله فى العرفان و حواشى على العرشيه و غيرها.

و كان ولده الشيخ أحمد آل الحكمی من خواص الشيخ ميرزا حسين الخليلی فى النجف.

ثم استقر فى قزوین، و كان من أئمه الجماعه فى مسجد الشاه، و شارك فى الانقلاب الدستوري فى إيران.

٩ - و منهم الشيخ على أصغر بن الشيخ محمد يوسف القزويني و هو ابن أخ الشيخ محمد كاظم الطالقاني.

تخرج على الشيخ خليلا القزويني و أخيه الشيخ محمد باقر القزويني و آقا رضى القزويني ثم تصدى للتدريس، له مؤلفات منها شرح (عده الأصول) لأستاذه ملا خليلا. و حواشى على نهج البلاغه و كتاب سفينه النجاه فى الأدعيه، و رموزا التفاسير، و تنقيح المرام. ذكره الحر العاملي فى كتابه أمل الآمل توفي سنة ١١١٧.

خلف ولدين هما: الشيخ محمد مهدي صاحب المؤلفات منها شرح مغنى اللبيب و غنيه الطالب، و عين الحياه فى الأدعيه و غيرها.

و الثانى الشيخ محمد مؤمن، له مؤلفات منها شرح الزبده للشيخ البهائي.

١٠ - و منهم الشيخ محمد بن الشيخ محمد تقى.

أخذ الفقه و الأصول من والده الشيخ محمد تقى و عمه الشيخ محمد صالح و شريف العلماء و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و غيرهم.

و تخرج فى الفلسفه على ملا آغا و ملا يوسف الحكيمين القزوينيين.

و هو صهر عمه الشيخ محمد صالح البرغانى المترجم على ابنته (قره العين). و رزق منها ثلاثه أولاد ذكور هم الشيخ إسماعيل و الشيخ إبراهيم و الشيخ إسحاق.

١١ - و منهم الشيخ إسماعيل بن الشيخ آقا محمد بن الشيخ محمد تقى آل قره العين كان عالما أدبيا شاعرا متكلمًا.

تخرج على والده و والدته قره العين، و جده لأبيه، و جده لأمه الشيخ محمد صالح البرغانى، و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و الشيخ مرتضى الأنصارى، و السيد حسين الكوه كمره إى.

و أخذ الحكمة و الفلسفه من ملا آغا و ملا يوسف الحكيمين القزوينيين، و الميرزا عبد الوهاب البرغانى.

استقر فى قزوين و سكن زمانا فى طهران.

ص: ٣٠٢

١٣٠٢ و مر ذكره فى محله من (أعيان الشيعة).

١٢ - و منهم الشيخ إبراهيم بن الآقا محمد ابن الشيخ محمد تقى آل قره العين.

تخرج على الشيخ مرتضى الأنصارى و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآخوند ملا- آقا الحكمى و ميرزا عبد الوهاب البرغانى، تصدى للتدريس فى كربلاء، و سكن فى أواخر عمره فى قزوين و من مؤلفاته مفتاح الفقاهه.

١٣ - و منهم الشيخ عبد الحسين بن الشيخ ملا على بن الشيخ محمد البرغانى القزوينى الحائرى آل العلوى الشهيدى.

أخذ الفقه و الأصول و التفسير عن والده و عمه الشيخ محمد تقى و الشيخ محمد صالح البرغانى و السيد على الطباطبائى صاحب الرياض، و السيد محمد المجاهد و شريف العلماء.

و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ ملا- آغا الحكمى و الملا- يوسف الحكمى القزوينى و تولى التدريس فى كربلاء و النجف الأشرف، و استقر فى قزوين.

و تصدى فيها لتدريس الفقه و الأصول و الحكمة و الفلسفه فى المدرسه الصالحيه، حتى توفى بها سنه ١٢٩٢ و له مؤلفات منها نفحات الإلهام فى شرح شرايع الإسلام، و شرح القواعد و غيرها.

١٤ - و منهم الشيخ محمد تقى الفشندى ابن الشيخ محمد على (١).

١٥ - المولى الشيخ حمزه على بن الشيخ محمد تقى الفشندى.

ولد فى قريه فشند سنه ١٢٦٧، و قرأ على والده.

و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ علامه آل الصالحى، و الشيخ على نقى الصالحى، و الميرزا حسين الخليلى، و الآخوند محمد كاظم الخراسانى و السيد محمد كاظم اليزدى.

و أخذ الفلسفه و الحكمة عن الميرزا عبد الوهاب البرغانى.

و فى سنه ١٣٢٥ رجع من النجف إلى موطنه قزوين و رأس هناك.

له مؤلفات منها، كتاب (وقائع الأيام و حوادث الإسلام)، و رساله فى النظام الدستورى الإسلامى، و تقريرات درسه فى الفقه و الأصول، و ديوان شعر و غيرها.

و هو والد الشيخ حسن و الشيخ حسين، و كانت لهم مكتبه ضخمة فى قزوين، ثم تبعثت و من نوادر مخطوطاتها الشاهنامه المصوره المؤرخه سنه ٥٠٠.

١٦ - و منهم الشيخ أبو القاسم بن الشيخ محمد تقى.

تخرج على والده و عمه المترجم، ثم سافر إلى النجف الأشرف و قرأ على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و غيره.

و أخذ الحكمة و الفلسفه عن ملا آقا الحكمی، و استقر في قزوین. من مؤلفاته الحق المبين، و شرح على الشرائع في مجلدين كبيرين و كانت وفاته سنة ۱۳۱۰، و مر ذكره في أعيان الشيعة.

۱۷ - و منهم الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد تقی.

تخرج في الفقه و الأصول و الحديث على والده و عمه المترجم، و الشيخ أحمد الأحسائي، و أخذ الحكمة و الفلسفه على الآخوند الملا- آغا الحكمی القزوينی، و هو من مشايخ محمد خان بن كريم خان الكرمانی من أقطاب الشيخيه الابراهيميه في کرمان، و يروى عنه، كما صرح في أول (الكتاب المبين).

من مؤلفاته تعديل العقيدة و القراءه في القراءات السبع و أسماء القراء، ميزان التلاوه فارسی ملخص كتابه تعديل العقيدة و القراءه ألفه بعد سنة ۱۲۶۳.

توفي في كربلاء سنة ۱۳۰۶ و دفن بها.

و كان مولده في قرية برغان سنة ۱۱۶۷. (۲)

و بعد هذا الاستعراض لأبرز رجال الأسره نعود إلى مواصله مسيره المترجم الشيخ محمد صالح.

دراسته

درس أولاً في برغان ثم في قزوین ثم في أصفهان فكان من اساتذته في أصفهان: كل من الشيخ محمد البيدآبادی و الشيخ على النورى و السيد محمد مهدى الأصفهانی. ثم انتقل إلى كربلاء و النجف و الكاظميه فكان من أساتذته فيها: الشيخ باقر البهبهانی [البهبهانی] و السيد حسين المعصومی و السيد مهدى بحر العلوم و الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء و الشيخ عبد الغنى القزوينی و السيد مهدى الشهرستاني و السيد على الطباطبائي صاحب الرياض و السيد عبد الله شبر و السيد محمد المجاهد و النراقی.

استقراره في كربلاء

تنقل بين كربلاء و النجف و قم و خراسان و طهران. ثم نفاه فتح على شاه من إيران إلى العراق، و منه قصد الحج فسكن الحجاز سنين ثم رجع إلى العراق فأقام في النجف ثم رافق الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء إلى إيران حيث تشفع له الشيخ عند الشاه فوافق على بقاءه في إيران على أن لا يسكن طهران فأقام في قزوین. و على أثر أحداث سنة ۱۲۶۳ عاد إلى كربلاء و استقر فيها حتى وفاته.

قزوین بين الأخباريين و الأصوليين

و بمناسبة الحديث عن المترجم و ذكر مدينة قزوین نشیر هنا إلى ما ورد فی سیره المترجم فی کتاب (موسوعه البرغانی الفقهیه) عن الخلاف بین.

ص: ۳۰۳

۱- راجع له ترجمه مستقله.

۲- برغان: قصبه من ضواحي مدينة كرج التابعه للعاصمه طهران و لها طريق خاص من كرج عبر كمال آباد حوالی ۱۷ كيلومتر و من الطريق العام لطهران قزوین ۲۴۴ كيلو مترا من جهه الشرق للشارع العام و تقع فی سفح جبال سلسله ألبرز الشامخه، و هی مركز لأربعه عشر قريه و عدد سكان برغان ۲۰۰۰ عائله أي حوالی عشره آلاف نسمة تقريبا و يزداد عدد سكانها فی الصيف إلى أكثر من ثلاثه و أربعة أضعاف هذا العدد، و تعتبر من أحسن مصايف العاصمه طهران.

الأخباريين و الأصوليين فى قزوين، فقد ذكر محقق الكتاب أن قزوين فى القرن الثانى عشر كانت منقسمه إلى فريقين: اخباريين و أصوليين و أنه كانت للأخباريين قوتهم، و كان يفصل بين الفريقين نهر السوق (رودخانه يازار)، فالقسم الغربى من المدينه كان للأخباريين، و القسم الشرقى كان للأصوليين.

و أن الصراع بين الفريقين كان عنيفا حتى أن الطالب الأخبارى كان لا يحمل مؤلفات الأصوليين إلا بمنديل حتى لا تتنجس يده من ملامسه جلد الكتاب اليابس. و أن الأخباريين كانوا من تلامذه و أنصار الشيخ خليل القزوينى المتوفى سنه ١٠٨٩ و كان أخباريا متطرفا.

و يرى الكاتب أن رجوع الشيخ يوسف البحرانى عن اخباريته، أو على الأقل اعتداله فيها يعود إلى أنه زار قزوين و جرى بينه و بين الشيخ محمد الملائكة والد المترجم مناظره فى اجتماع كبير بمحضر من علماء الفريقين اشترك فيها الجميع. و أنه كان من نتيجة هذا الاجتماع و ما جرى فيه حدوث بلبله عظيمه فى قزوين، أخذت تتوسع و تتصاعد حتى عمت سواد الناس من الفريقين. و قد أدت إلى هجوم الأخباريين على دار الشيخ محمد الملائكة لاغتياله فلم يظفروا به، و لكن احترقت داره و فيها مكتبته، و أدى الأمر إلى أن نفت الحكومه الشيخ محمد من قزوين إلى برغان. و كان البرد قارسا فى الطريق فمات أطفال الشيخ دنقا، ثم رزقه الله غيرهم فى برغان كان منهم المترجم الشيخ محمد صالح.

و أن انقسام آخر حصل فى قزوين بعد ذلك بين أنصار الشيخ أحمد الأحسائى و خصومه انشطرت فيه المدينه شطرين و حاول المترجم فى أول الأمر أن يكون محايدا و أن يصلح بين الفريقين، و لكن جرفه التيار أثر انعقاد اجتماع عام فى منزل شقيقه الشيخ محمد تقى، تكلم فيه باسم الأحسائيينالشيخ أحمد نفسه، و باسم خصومهم الشيخ آغا الحكمى و الشيخ يوسف الحكمى، و انتهى الاجتماع بتكفير الشيخ أحمد.

أولاده

ترك من الأولاد ١: - الشيخ محمد ولد فى كربلاء حدود سنه ١٢٠٥، و تخرج على والده و عمه الشيخ محمد تقى، و السيد على الطباطبائى الحائرى، صاحب (الرياض)، و السيد محمد المجاهد، و شريف العلماء، و قتل فى ساحات القتال، فى أوائل الحرب الإيرانيه الروسيه سنه ١٢٤٠، و نقل جثمانه إلى قزوين، و دفن فيها.

و هو غير شقيقه و سميه الشيخ محمد الملقب بكاشف الأسرار الآتى ذكره.

٢: - الشيخ عبد الوهاب تخرج فى الفقه و الأصول على والده، و عمه الشيخ محمد تقى، و قرأ أيضا على السيد محمد المجاهد، و شريف العلماء، و صاحب (الجواهر). و حضر فى الحكمه و الفلسفه درس الملا على النورى المتوفى سنه ١٢٤٦ و بعد وفاته التحق بحوزه الملا آقا الحكمى القزوينى و يعد من الطبقة الأولى من تلامذته.

توفى فى ٢٥ ذى الحجه الحرام سنه ١٢٩٤، و دفن فى المقبره العائليه قرب والده.

له مؤلفات منها: ١ - (خصائص الأعلام فى شرح شرائع الإسلام): فى خمس عشره جزءا ضخما.

٢ - مخازن الأصول: في عشرين مجلدا ضخما في علم أصول الفقه.

٣ - ديوان شعر.

٤ - شرح على (العرشيه) لصدر المتألهين الشيرازي.

هبط طهران في الأواخر فكان من كبار المراجع إلى أن توفي فيها.

٣: - الشيخ حسن تخرج في العقلیات على المولى على النورى، و المولى ملا آقا الحكمی القزوينی، و حضر في الفقه و الأصول على والده، و عمه الشيخ محمد تقی و صاحب الجواهر، و اختص بالشيخ مرتضى الأنصاری، ثم هاجر إلى الحجاز، و بعد مناظره بينه و بين بعض الشيوخ في المدينة، فاجاه من ضربه على رأسه ليلا فتوفي في اليوم الثاني، و ذلك سنة ١٢٨١.

له مؤلفات في الفقه و الأصول، و مناسك الحج، و حاشيه على رسائل و مكاسب استاذه، في أربع مجلدات ضخمة.

٤: - الشيخ حسين تخرج في الفقه و الأصول على والده، و عمه، و حضر في كربلاء على السيد إبراهيم القزويني، صاحب (الضوابط)، و في النجف على صاحب (الجواهر)، و الشيخ مرتضى الأنصاري، و تتلمذ في الحكمة و الفلسفه على ملا آقا الحكمی القزويني، ثم استقر في قزوین و تصدى للتدريس في المدرسه الصالحيه، له مؤلفات في الفقه و الأصول، منها: منهج الرشاد في شرح الإرشاد.

٥: - الشيخ رضا: تخرج على والده، و عمه، و صاحب (الضوابط)، و صاحب (الجواهر)، و الشيخ مرتضى الأنصاري.

من مؤلفاته: مصباح الأصول، رساله في الرضاع، رساله في النذر، روح النجاه في الكلام و الامامه. توفي بكربلاء سنة ١٣٠٨.

٦: - الشيخ محمد الملقب بكاشف الأسرار.

ولد في قزوین سنة ١٢٤٠ و توفي حدود سنة ١٢٩٤.

تخرج على والده و عمه الشيخ محمد تقی و هاجر إلى العراق فالتحق في كربلاء بحوزه السيد إبراهيم صاحب (الضوابط) و في النجف بحوزه الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) و غيرهم، و أخذ الحكمة و الفلسفه من الملا آغا الحكمی القزويني.

له رسائل في الفلسفه، و تفسير آيه الكرسي.

٧: - الشيخ موسى: تخرج في الفقه و الأصول على والده، و عمه الشيخ محمد تقی و الشيخ مرتضى الأنصاري في النجف، و تتلمذ في الحكمة و الفلسفه على المولى ملا آقا الحكمی القزويني و تولى التدريس في المدرسه الصالحيه في قزوین.

من مؤلفاته: أسرار التنزيل في تفسير القرآن في مجلدين ضخمين. توفي سنة ١٢٩٨.

الأسدآبادى المعروف بالأفغانى، فى المدرسه الصالحيه، و كان بينهما علاقات وثيقه، ثم التحق بالأفغانى حينما كان فى الهند.

من مؤلفاته: أصول الفقه فى مجلد واحد. توفى سنه ١٣١٥.

هؤلاء أولاد المترجم الذكور، أما بناته فاشتهرت منهن:

زرين تاج المكناه بام سلمه و الشهيره ب (قره العين) و هذه تحتاج إلى دراسه مستقله مستفيضه لما كان من شأنها فى حوادث البايه و علاقتها بدعوتهم و انتسابها إليهم. و يصفها الأستاذ عبد الحسين الصالحى أحد أحفاد المترجم بأنها كانت عالمه فاضله، محدثه فقيهه أديبه كبيره، حافظه للقرآن عالمه بتفسيره و تأويله متكلمه خطيبه. و نقول: انها اضاعت ذلك كله بانتسابها إلى البايه.

تزوجها ابن عمها الشيخ محمد إمام الجمعه، و رزقت منه ثلاثه أولاد ذكور كلهم من العلماء و هم الشيخ إبراهيم، الشيخ إسماعيل، الشيخ إسحاق.

و يقول الأستاذ الصالحى عن بقيه بناته الأخريات:

الحاجه نركس: فقيهه محدثه حافظه للقرآن، أديبه شاعره.

و الحاجه زهراء: محدثه، حافظه للقرآن أديبه شاعره فقيهه مفسره.

و الحاجه فاطمه: مفسره محدثه حافظه للقرآن فقيهه أديبه كبيره.

الشيخ محمد قاسم الحسينى العاملى.

قال فى تكمله أمل الآمل: عالم فاضل جليل من المعاصرين للسيد نصر الله الحائرى الشهيد، و يوجد فى ديوان السيد المذكور قصيده فى مدح صاحب الترجمة يذكر ما أصابه فى وقعه ذهب فيها ماله و كلم وجهه و ساءت أحواله.

ثم يقول صاحب التكملة أنه ربما كان ذلك فى فتنه الجزائر.

الشيخ محمد بن على البغلى.

(١) أحد شعراء القرن الثالث عشر الذين نبغوا فى الأحساء، و كان عالما فاضلا أديبا شاعرا، كما أن له يدا فى الطب، و كانت له به شهره.

ولد فى مدينه الهفوف عاصمه الأحساء، و لم نقف على تاريخ لولادته كما لم يؤرخ لوفاته، و المستفاد من شعره أنه كان حيا سنه ١٢٤٥، فقد حملت بعض قصائده هذا التاريخ لسنه النظم كما هو مثبت فى ديوانه المخطوط الذى عثرنا عليه فى الأحساء. كانت دراسته الأولى فى الأحساء و فى شعره ما يدل على إقامته فى النجف الأشرف فلا بد أنه قصد لها للدراسه، و لكن ليس

لدينا تفاصيل عن ذلك.

قال و هو يشير إلى توجهه إلى زياره الامام أمير المؤمنين (ع):

أمير المؤمنين إليك أشكو و ليس عليك يخفى ما عراني

أتيتك أقطع البيداء ركضا و حاشى أن يخيب لديك عاني

فكن لى سيدى غوثا و عوننا و خذ بيدى من نوب الزمان

و له أبيات أخرى يشير بها إلى تغربه عن وطنه و قصده زياره الامام (ع)، قال:

لقد تغربت عن أهلى و عن وطنيالى زياره مولانا أبى حسن

لعله عند رب العرش يشفع ليوم الحساب و عند الموت يحضرنى

هذا اعتقادى فى سرى و فى علنيو إن رجوت فشىء لست عنه ونى

و له قصيده يخاطب بها الامام أمير المؤمنين (ع) و يذكر زيارته له، فمنها قوله:

عبيدك المذنب جاء زائرا و لا ئذا و مستجيرا بالنجف

فامنن عليه سيدى بعطفه فأنت خير من عفا و من عطف

كما صرح فى بعض قصائده أنه نظمها و هو واقف على قبر الامام الحسين (ع).

و صرح أيضا فى قصيده أخرى فى رثاء العباس بن أمير المؤمنين (ع) أنه نظمها فى كربلاء، جاء فى مستهلها قوله:

لمن الطلول خواشعا أعلامها قفراء كالحه الوجوه إكامها

و يقول فى آخرها:

و إليكما يا ابن الوصى خريده مثل الدرارى لا يرام نظامها

جاءتك باسطه إليك يد الرجا و على جنابك واجب إكرامها

ألبيستها حلل الكمال و لم أقل (أمن المعرف مكه فمقامها)

و نظمتها فى كربلاء فأصبحت أذكى من المسك الفتيق ختامها

(٢) و كانت له علاقات وديه و مساجلات شعريه مع بعض العلماء و الأدباء فى النجف، فقد وردت له فى ديوانه قصيده يقرظ بها أرجوزه الشيخ عبد الله الحويزى المسماه ب "الكوكب الدرى" قال:

لقد جل هذا النظم عن صفه الشعر و لكنه الحلو الحلال من السحر

و يقول فى آخرها:

فلا زال عبد الله شيخا مهذبا و همته تعلقو على هامه النسر

و لا زال شمسا يستضاء بنوره و بدر علا يجلى به حندس الكفر

و لا برحت أرض العراق بذكره معطره الآفاق باسمه الثغر

و هذه أبيات جاءت فى ديوانه أيضا يمدح بها أحد شعراء النجف، و هو الشيخ عبد الحسين الأعسم، بما يؤكد وجود علاقته وديه بينهما، قال:

ملكتم قلوب أرباب الكمال بتعريض من السحر الحلال

أتيت بكل بكر ذات حسن على أعطافها شبه اللآلى

لأنت و إن جعلت الأرض مثنوى فشأنك فى سماء المجد عالى

شهرته الأديبه:

لقد اكتسب شاعرنا البغلى شهره أديبه، فبالرغم من منزلته العلميه فقد كان الجانب الأدبى فى حياته هو الأبرز ظهورا، ذكره جملته من العلماء و الأدباء الذين عاصروه و أطروا أدبه، منهم الشيخ على آل الرضا، المتولد سنة ١٢٥٣ هـ، و المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ، و كان أحد علماء الأحساء و شعرائها، له ديوان شعر لا يزال موجودا عند بعض أحفاده فى الأحساء، فقد كانت لشاعرنا

ص: ٣٠٥

١- كتبها الشيخ جعفر الهاللى.

٢- ديوان الشاعر - مخطوط -، و قد جارى فيها قصيده الشيخ محمد رضا الأزرى فى رثاء العباس بن أمير المؤمنين (ع).

البغلي معه علاقة وديه و أدبيه، فهذه أبيات للشيخ على المذكور - كما في ديوانه - أرسلها إلى البغلي يذكر فيها ما بينه و بينه من صله و موده:

سلام جلا محض الوداد و أغربا و بين صدق الاتحاد و أعربا

و فاح بساحات الصداقه عنبرا و لاح بأفاق العلاقه كو كبا

محمد البغلي من شاع ذكره باقطار أرض الله شرقا و مغربا

كما ورد ذكره في غير موضع من ديوان الشيخ على حيث قال: كان لمحمد بن على البغلي مرات، فترك القراء قراءتها، فنظم أبياتا يشكو فيها و طلب منى نصرته فقلت:

يا من أتى من شعره بعزائم سجدت لهن مفالق الشعراء

و تيقنوا أن لا سواك فوحدوا لك مخلصين بغير شوب رياء

قسما بنظمك ذلك النظم الذى ضاعت لديه كواكب الجوزاء

(١) و قد كانت لشاعرنا البغلي علاقه أدبيه مع آخرين من شعراء قطره - الأحساء - منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان الأحسائي، و هما بدورهما كانت تربطهما علاقه وديه مع شاعر آخر من أهل العراق في مدينه البصره، هو السيد عبد الجليل البصرى، و لم نتأكد من أسباب هذه العلاقه التى ربطت بينهما و بين الشاعر البصرى، فهل زار هو بدوره الأحساء و تعرف على الشعارين؟ أم أنه كان قد سكن الأحساء؟ أم أنهما زارا الشاعر فى مدينه البصره فتعرفا عليه...؟ و السيد عبد الجليل البصرى من مواليد سنه ١٧٧٦ م، و توفى سنه ١٨٢٧ م، و قد وردت فى ديوان البصرى قصيده أرسلها إلى كل من الشيخ البغلي و الشيخ عبد الله الأحسائي جوابا عن رسائل شعريه وردت منهما إليه و هى تؤكد تلك الصله بين هؤلاء الشعراء الثلاثة، قال:

إلى طيب ملهى للعدارى و ملعب يحن فؤاد المستهام المعذب

و قد امتدح كلا منهما و أشاد بمواهبهما، فبعد أن ذكر الشيخ عبد الله قال يذكر الشيخ محمدا البغلي:

ففاق بنظم لا يباريه شاعر سوى ما أتى من نظم واف مهذب

كسمط من العقيان و الدر فصلت فرائده من كل غال مثقب

نظام فريد فى القريض مبرز فلم يرض من بكر المعانى بشيب

و هو هنا يشير إلى ما اشتهر به شاعرنا البغلي من امتهان الطب باستعمال العقاقير، كما يشير إلى ظاهره الولاء لأهل البيت (ع) عند البغلي فيقول:

ذكى به علم العقاقير نير فأصبح جالينوس فى جنبه غبى

هو ابن على ذو الوفاء محمد محب لآل المصطفى عتره النبى

غدا نظمه وشى الربيع و كافلا بصدق و داد بالولاء مطنب

كما أرسل السيد عبد الجليل الجواب نثرا لكل من الشعارين المذكورين، فقال فى جوابه للشيخ البغلى:

إن ألطف ما اكتنحت به الأحداق، رسائل الأشواق، إذا تكفلت بما رق و راق، مما تتحلى به الأوراق، كرساله وردت إلينا آنفا، غدوت منها لأنوار الربيع قاطفا، رساله من نسجت البلاغه مطارف نظامه، و تقاطرت شآبيب البراعه من شق أعلامه، صاحبنا صادق الوعد الجلى، محمد بن على، لا زال ربيع الآداب به أهلا عامرا، يقتطف من أفنان فنونه ثمرات أفكار الأكابر...[\(٢\)](#)

كما جاء ذكر شاعرنا البغلى فى كل من كشكول [\(٣\)](#) الصائغ الأحسائىو كتاب محمد [\(٤\)](#) بن عبد المحسن الغريب، فقد وردت له فى الكتابين أبيات قالها فى القهوه و الغليون، قال فى البن:

بزغت شמוש البن ذات تشعشع كدم الغزال تضىء فى الأقداح

قتلت فاحيت ميت كل مسره بشميم طيب عرفها النفاح

جليت كما تجلى العروس لزوجها و يديرها ذو عفه و سماح

و سعى بها كالبدر فى غلس الدجى و الصبح مستغن عن المصباح

كتب الجمال بخده من حبرها كالمسك خالا ما له من ماح

فاشرب كتوس البن أنى شئت إن البن للشهوات كالمفتاح

و منها فى الغليون:

و عليك بالنتن الندى فإنه معها لعمر ك راحه الأرواح

طرقتك بعد الكأس لامعه الطلا كالزند تقدح فى يد القداح

عجميه تركيه عرييه خود خدلجه و أى رداح

مالت لنشوتها النفوس لأنها حلت هناك محله الأرواح

منها ١ - أبيات يجمع فيها أحكام المبتدأ والخبر، و يظهر أنها من أرجوزه له ضاعت، قال:

مذهب سيبويه رفع المبتدا مجردا يعمل فيه الابتدا

و بعضهم يرفعه مع الخبر به و بعض للذى قال حضر

و بعضهم قال هما ترافعا و الأول المختار عند من دعا

و هذه أبيات أخرى فى الطب، و يظهر أنها من أرجوزه له فى هذا الفن، قال:

اجعل على الحزاز أنى أجهدك حنا و صبرا يعجنان بالودك

و المر و الترياق مع دهن البقر للبطن و الزحير و الدم أن قطر

أما آثاره الأدبيه: فهى ديوانه الذى عثر عليه مؤخرا، و أغلبه فى أهل البيت (ع)، و الباقي منه فى مواضيع أخرى، و يبلغ عدد أبياته ١٠٣٥ بيتا الشعر العمودى و المربعات، و التخاميس، و الرجز، و وجدت فى ديوانه ما يشبه البند قاله مستسقيا، و ها أنا أعرض أمام القارى بعض النماذج من قصائده، فهذه قصيده قالها فى الغزل، و تخلص فيها إلى مدح النبيح.

ص: ٣٠٦

١- ديوان الشيخ على الرمضان.

٢- ديوان السيد عبد الجليل البصرى: ٢٢٨ ط دمشق (المكتب الإسلامى) الطبعة الثانية.

٣- هذا الكشكول شاهدت ما بقى منه فى الأحساء و هو عده أوراق مبعثره، قد تلف أكثره.

٤- هو الشيخ محمد بن عبد المحسن بن محمد بن خلف الغريب الهمداني العاملى الأحسائى، كذا جاء اسمه فى الكتاب، و الكتاب المذكور رأيتة أيضا فى الأحساء عند بعض عشاق الأدب و الحريصين على جمعه هناك، و هو كالكتاب السابق لم يبق منه إلا أوراق امتدت إليه يد التلف، و يظهر أنه كتاب تاريخى أدبى مزين بكثير من الشواهد الأدبيه، و تتخلله تراجم جماعه من العلماء و الأدباء.

٥- الأرواح هنا جمع روح: و هو نسيم الريح.

(ص) و أمير المؤمنين (ع) و أهل البيت (ع) قال:

سكرنا بكأس الراح فى روضه غنا بها بلبل الأفراح و الورق قد غنى

و مهما سرت بين الخمائل نسمة و هزت غصون البان و الآس هزتنا

و ساق كمثل الطيبى فينا يديرها و يسعى بها صرفا مشعشه دكنا

سقانا و غنانا فهمنا بحبه غراما و خلى القلب فى يده رهنا

فبت مع الأحباب ما بين بأنها فاطربنى المعنى و طاب لى المغنى

و أحور معسول المراشف لو رنا بمقلته رضوى لذاق كما ذقنا

يسل علينا من لحاظ جفونه سيوفا أماتتنا و إن شاء أحيتنا

و شاد لو أن الراسيات سمعنه لخرت على الأذقان شوقا لما اشتقنا

يميل بنا فى كل واد من الهوى فيتر كنا نشوى و لا غرو لو متنا

و يتلو علينا و الغرام يهزنا أحاديث لهو أضحككتنا و أبكتنا

و ينشد مهما إن رأى الركب منجدا (قفوا قبل وشكك البين يبعدكم عنا)

فيا حبذا لو نالنا فيهم الأذى من الضد لو أنا شرقنا بما ذقنا

تعيرنا قوم بحب هداتنا و لو لا رسول الله و الآل ما كنا

بنى الوحى يا من بالقلوب لهم جوى مدى الدهر باق لا يبيد و لا يفنى

يمينا بكم انا نحب محبكم و نبغض قاليكم و إن غبتم عنا

و إن ضلت الأقوام عن منهج الهدى فانا بكم و الحمد لله أرشدنا

و إن عدلت عنكم أناس فانا على العهد كنا لا عدلنا و لا ملنا

و إن خاب من عاداكم يوم حشره فنحن بكم دون البريه قد فزنا

و إن نكثوا أيماهم بعد عهدهم فنحن على العهد القديم كما كنا

فقل لرسول الله و الحق أبلج و برهانه أسنى من القمر الأسنى

محمد يا من جاء للناس رحمه و علمنا من دينه فتعلمنا

أغثنى و أنجز سيدي ما وعدتني و خذ بيدي يا ذا الكرامه و الحسنى

رويدا و لو لوث الإزار لعلنا نودعكم فالقلب من أجلكم مضنى

تراه إذا ما قام فى القوم منشدا يدير كئوس اللفظ مملوءه معنى

و بتنا على فرش المسره و الهنا إلى أن قطعنا من ليلتنا و هنا

و حوراء تصطاد القلوب بمقله هى السحر إلا أنها لم تزل و سنا

إذا أقبلت تمشى الهوينا تعطفت كما الغصن من هنا تميل و من هنا

أتت تسحب الأذيال و الفجر ظاهر فتمشى فرادى و هو من خلفها مثنى

بدت من خلال السجف بيضاء طفله و من لحظها سيفا و من قدها لدنا

مهاه أعارت ظيه البان جيدها و علمت الميل المثقف و الغصنا

تعلقها قلبى فخالط حبها دمي فجرى دمعى عليها دما أقنى

فيا عاذلى لو ذقت بعض صبايتى عذرت و ما خلو الحشاشه كالمضنى

و لكننى أرجو الخلاص من الهوى بمدح رسول الله شمس الهدى الأسنى

و مدح أمير المؤمنين وزيره و أبنائهم أكرم بهم ساده أبنا

فيا سائق الوجناء تعنق فى البرى رويدا - رعاك الله - يا سائق الوجنا

على قبر خير الرسل قف بى لعلى أعلل قلبا بالجوى و النوى معنى

و ما ذا على ريح الصبا لو تحملت رساله مشتاق إلى ذلك المغنى

لأكرم مبعوث إلى خير أمه بخير كتاب واضح اللفظ و المعنى

إلى المرسل الهادى البشير محمد أجل الورى شاننا و أثبتها ركنا

إلى خير خلق الله أحملها و من دنا فتدلى قاب قوسين أو أدنى

نبى الورى الأمى أفضل من مشى و أشرف من لى و طاف و من... (1)

فتى جاء بالقرآن من عند ربه إلينا فأمنا هناك و صدقنا

و علمنا خير الورى أمر ديننا و أدبنا حبا لنا فتادبنا

و لما مضى عنا تخلف بعده علينا على و هو أولى بنا منا

على أمير المؤمنين و سيد الوصيين و الساقى على الكوثر الأهنى

إمام هدى تحيى القلوب بذكره و يجلى العمى عنا بأسمائه الحسنى

فتى لم تزل من زهده و عفافه سجيته فى الله لینه خشنا

فتى لم يخف فى الله لومه لائم و جاهد حتى قاتل الإنس و الجن

يمينا به لولاه لم ندر ما الهدى و لكن دعانا للرشاد فأمنا

فطرت على حب النبى و آله فألفيته فرضا و ألفتيه حصنا

جزى الله بالخيرات آباءنا على محبتهم من حيث أوصت بها الابنا

و من أمهات طاهرات من الخنا تؤدبنا فى حبههم فتادبنا

و إنى لمشتاق لتقبيل تربه حوت منك ذاك النور أو يدك اليمنى

و قال يمدح أمير المؤمنين (ع):

لله صب بات ساهر و الدمع من عينيه هامر

لعبت بمهيجته الصبابه و الهوى الداء المخامر

ما جن فى معشوقه كجنونه مجنون عامر

كتم الغرام و دمه مبد لما تخفى السرائر

من لى باغيد لؤلؤى الثغر مسكى الغدائر

و مطرز الوجنات بالنعيمات مكحول النواظر

ذى غره مثل النهار و طره كالليل عاكر

و مجرد من لحظه ماضى المضارب و هو فاتر

قمر على غصن يميمس مهفهف الأعطاف ناضر

و نحيل خصر يشتكى من ردفه و الردف وافر

رام النهوض فعاقه و العجز بين الناس ظاهر

ظبى مراتعه مدى الأيام أوديه الخواطر

ألف التوحش و النفور و لا يزال الظبى نافر

و جفا فما هو مانحى وصلا و لا أنا عنه صابر

أخذ الفؤاد وليته أخذ البقيه و هو قادر

يا قلب صادق جؤذر يا حبذا صيد الجاذر

يا أيها الليث المدرع لا تلاق الظبى حاسر

سطواته لم تغن عنهن الدروع و لا المغافر

يا قاعه الوعساء ما فعلت ظباؤك بالقساور

تركتهم صرعى و ما لهم بحكم الحب ناصر

هذى سجيته كل معشوق و رب العشق صاغر

جاروا على و لم يزل قاضى الهوى فى الحكم جائر

قسما بكأظمه و رامة و العذيب و بطن حاجر

ما مال قلبى عنهم أبدا إلى باد و حاضر

إلا لحب أبى تراب قطب دائره المفاجر

نور النبوه و الامامه و الهدايه و البصائر.

ص: ٣٠٧

١- سقطت القافيه: كذا في الأصل.

و منزله الأعراض و الأمثال عن شبه الجواهر
قل لابن مكه و ابن زمزم و الصفا و ابن المشاعر
و ابن الهداه الأولياء المصطفين من العشائر
و ابن المصونات النقيات النقيات الحرائر
من آل عبد مناف أطهرهم و أطيبهم عناصر
و أخى المساجد و المدارس و المحابر و المنابر
و فتى الفضائل و المعاجز و الدلالات البواهر
زوج البتول أخو رسول الله أصفاهم سرائر
التارك الأسد ابن ود فاحصا فى الترب عافر
و مقصر خطو النمارده الفراعنه القياصر
و مكسر أيدي الغطارفه الجبابره الأكاسر
يا صاحب الأعراف و الأنفال و الشورى و غافر
أنت السفينه و الصراط المستقيم لكل عابر
لولاك دارت فى الوغى بالمسلمين رحى الدوائر
أيام أسد قريش جاءت و العتاه من العشائر
حتى إذا بلغت قلوب المسلمين إلى الحناجر
و تقدمت أسد العريكة بالأسنه و البواتر
و غدا الجبان مشمرا نحو الهزيمة ذيل صاغر
و غدا النبى مناديا و الدمع من عينيه هامر
أين الفوارس و الضراغم من لدين الله ناصر

و دعا بمقداد و سلمان و عمار بن ياسر
قال أدر كوني بالوصى فجاء حيدر مبادر
قال امض منصورا إلى الميدان و اقتل كل كافر
فمضى يهز حسامه شغفا و نقع الحرب نائر
فتراه و الهيجاء شب لهيها كالبحر زاخر
و كأنه أسد الفريسه لم يزل دامى الأظافر
يلقى الأسنه باسم طربا و ناب الموت كاشر
أسد يمر به جواد من جياذ الخيل ضامر
فكأنه من تحته فلكك من الأفلاك دائر
فهناك كم من دارع من بأسه قد ظل حاسر
و كتيبه منكوسه الأعلام كالبقر النوافر
و أتى إلى نحو النبي محمد بالفتح ظافر
خذاها أمير المؤمنين هديه من كف شاعر
و إذا قبلت فان حظ (محمد) لا شك وافر
صلى الإله عليك ما سار الحجيج إلى المشاعر

الميرزا محمد على الحسيني الأصفهاني.

توفي سنه ١٣٠٢، و دفن في طهران، و هو ابن الميرزا محمد إسماعيل الأصفهاني القائني الأصل. و هو أحد العلماء و كبار الرياضيين في عهد ناصر الدين شاه، و من تلاميذ الملا على محمد الأصفهاني البارزين. و كان متمكنا في مجال الرياضيات القديمه و الحديثه، كما كان مجيدا لخط التعليق، و بارعا في رسم الأشكال الهندسيه. و لقد تتلمذ على يديه كثير من الفضلاء و الأمراء في زمانه في الرياضيات. و في مكتبه مجلس الشورى الوطني عدد من كتبه بخط يده.

كان أهله من ساده قايين الأجلاء، و هاجروا إلى أصفهان و توطنوا هناك، و مهروا في الطب. كما عرف في أسرته الشاعر و الأديب و الخطاط. و قد ترجم له - باختصار - الميرزا على محمد صاحب (المآثر و الآثار). و من مؤلفاته الخطيه الموجوده:

١ - رساله الصبح و الشفق، بالفارسيه.

٢ - نهايه الإيضاح فى شرح باب المساحه من المفتاح، و المقصود هو (مفتاح الحساب) لغياث الدين جمشيد الكاشانى، بالعريه.

٣ - مشارق الأضواء، فى الهيئه. و قد كتبه بالعريه فى ثمانيه أبواب.

٤ - رساله الجيب و الظل.

٥ - رساله المسئولات، و تشتمل على ١٦٣ مسأله صعبه من المسائل الرياضيه. و يروى أن أغلبها من اسئله تلامذته.

٦ - استخراج أعمال الليل و النهار.

و كان من بين تلامذته النابهين الميرزا عبد الله الرياضى، و هو ابن الميرزا محمد، و الذى كان كذلك من أساتذه الرياضيات، و قد توفى سنه ١٣١١.

و كان للميرزا عبد الله كذلك تلميذ ممتاز هو الميرزا أسد الله المنجم الهزارجربى، و كان خطاطا حسن الخط بالاضافه إلى براعته فى فنون الرياضيات و استخراج التقويم.

الشيخ محمد كاظم بن عبد العلى التنكابنى

الملقب بعبد الكاظم.

ولد فى تنكابن، و درس فى أصفهان على كبار العلماء، و اختص بالشيخ البهائى و درس عليه بعض الكتب (كما سيأتى فى الإجازاتين).

له مباحثات علميه مع السيد مير الداماد، ذكرها بعض المؤلفين.

زار العتبات المقدسه قبل سنه ١٠٠٨ هـ، ثم سكن مشهد الرضا (ع) و توفى بعد ١٠٣٣ هـ.

له من المؤلفات:

١ - اللوح المحفوظ لأسرار كتاب الله المفوظ - فى الكلام. ٢ - اثنا عشره - فى معضلات العلوم. ٣ - العشره الكامله. ٤ - قانون الإدراك أو برهان الإدراك فى شرح تشريح الأفلاك. ٥ - الحاشيه على كتاب المحصول للفخر الدين الرازى. ٦ - شرح تذكره نظام الدين. ٧ - شبه الطفره. ٨ - حاشيه على تفسير فخر الدين الرازى. ٩ - رساله فى حقائق سوره الفتح.

١٠ - رساله فى أصول الدين.

و كتب له أساتذه الشيخ البهائى - فى نهايه "رساله فى أصول الدين" و "رساله فى حقائق سوره الفتح" إجازاتين: الأولى مؤرخه

فى سنة ١٠٠٨ هـ، و الثانفه فى ١٠١٠ هـ، و حررت الرسالتان فى مشهد الرضا (ع).

و النسخه فى مكتبه السفد المرعشى العامه فى قم، مذكوره فى فهرسها ٢٤٨/١١ ضمن مجموعه برقم ٤٢٥٠.

محمد محسن بن مرتضى بن محمود الملقب بالفىض الكاشانى

ولد عام ١٠٠٧، و نشأ أول أمره فى مدينه قم، ثم انتقل إلى مدينه

ص: ٣٠٨

كاشان، ثم إلى شيراز حيث درس على السيد ماجد البحراني و الملا صدرا الشيرازي صاحب الأسفار، و تزوج ابنته. و عاد إلى كاشان و بقي فيها إلى أن توفي سنة ١٠٩١.

افترق الناس في مدحه و قدحه و التعصب له و عليه فرقا.

يصفه صاحب المقابس بقوله: "الشيخ المحدث الأديب، و المفسر الباهر، و الحكيم المتبحر الماهر، الجامع لشتات المفاخر و المآثر".

و يصفه صاحب جامع الرواه بقوله: المحقق المدقق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزله، فاضل كامل، أديب متبحر في جميع العلوم.

الشيخ محمد محسن بن الشيخ علي العاملي.

قال عنه في تكمله أمل الآمل:

عالم عامل فاضل محدث رجالي فقيه. عندي من مؤلفاته كتاب (مجمع الإجازات) جمع فيه ثلاث عشره إجازة من إجازات الكبار المشهوره، كإجازة العلامة لبي زهره الكبرى و إجازة الشيخ الشهيد الثاني لابن الخازن و إجازة الشهيد الثاني الكبرى للشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي و إجازة الشيخ حسن بن زين الدين صاحب المعالم الكبرى للسيد نجم الدين، و أمثال هذه الإجازات. جزاه الله خير جزاء المحسنين، و قد فرغ من تأليفه سنة ١١٢٥ في النجف الأشرف، و هي بخطه الشريف، و هو خط في غاية الحسن و الجوده و لا أعرف باقي تأليفاته و وفاته. (انتهى).

و هو كما ترى واحد من متقدمي العلماء العاملين الذين ضاعت آثارهم و فقدت أخبارهم، و ما أكثر أمثاله من الضائعين المفقودين... و لا ندري إلى أيه قريه من قري هذا الجبل ينتمي هذا العاملي.

الدكتور محمد مهدي البصير.

مرت ترجمته في موضعها من الجزء الأول من المستدركات و نزيد عليها هنا شيئاً من شعره:

قال من قصيده:

يا صاحبي و هذى الضاد قد جمعت أبناءها و العلى فيهم على كتب

أ يقدمون و هم أحمى الرجال حمى أم يحجمون و هذا أكبر العجب

فلا صغار إذا هم دونها ثبتوا و لا فخار إذا ألوا على رغب

و لن يسان ليلث الغاب مريضه من الذئاب لو أن الليث لم يشب

و لا ألوم قويا فى تنكره إن قال لا حكم إلا فى يد الغلب
لكنما كل ذمى للضعيف إذا رام الحياه بلا كد و لا تعب
و لا حياه لنفس لا يحركها إلى الحماسه يوما باعث الغضب
لا حق للمرء فى مجد يحاوله إن شح بالنفس أو إن ضن بالنشب

و قال فى أعقاب مظاهرات عراقيه تحدث الإنكليز سنه ١٣٣٨ (١٩٢٠ م) و أطلق فيها الإنكليز الرصاص على المتظاهرين:

غضبنا فتهنا نأثرين لغايه تهون المنافى عندها و المشانق
و رددت الأجواء قصيف زئيرنا فردت عليه يا لدوى البنادق
فهل تنطق الزوراء و هى أسيره و تسكت عما تبتغيه المناطق
أ تمنع أبناء العمومه نصرها و ها هى كادت أن تضيق المخائق
أ ما لهم من حكمه الرأى قائد و ما لهم من قوه العزم سائق
و قال من قصيده:

كذبتك أقطاب السياسه عهدها فلتضمنن لك الحياه ظباكا
نقضت مطامعهم صداقتك التى من أجلها عقدت لهم اعداكا
لو أنصفوك وفوا بعهدك أنهم ربحوا قضيتهم بظل لواكا
أ فيطلبون لك الوصايه ضله ما كان أقصرهم و ما أحجاكا
و قال من قصيده:

خطب تهز الشعب هاتفه به ليهب هبه ناهض سباق
و يثور مشبوب العزيمه معلما و النصر فوق لوائه الخفاق
متطلعا للحق مفتديا له أزكى النفوس و أنفس الأعلاق
مستبسلا و الهام تحصدها الظبا حصد الخريف ذوابل الأوراق

يبغى الحياه بثوره فى ظلها يلقي الحمام بفرحه المشتاق

متكاتفاً رغم المكاييد واثقا بعزيز نصر الواحد الخلاق

و قال من قصيده يصف بها الثوره العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠:

بين الأسنه و القواضب شرف المبادئ و العواقب

فاض الفرات جحافلا و جرى (ديالى) بالمقانب

و احتلت المدن العديده فهى فى حكم المضارب

أهلا بخافقه البنود تظل زاحفه المواكب

أهلا بلامعه السيوف كأنها الشهب الثواقب

أهلا بابطال البلاد حماتها عند النوايب

دوا لنا الحق الذى ما أن نزال به نطالب

ردوه أن سيوفكم عوذ له من كل غاضب

ظنوا العراق فريسه و قد التقت فيها المخالب

و رأوه حر الرأى عف القصد محترم المذاهب

فتسلحوا لرجاله بمكائد الخصم الموارب

و سعوا لشق صفوفه مكررا فكان السعى خائب

حتى إذا ما جاش كالتيار ملتطم الغوارب

كانوا كناكصه الذئاب يشلها الأسد المغاضب

و تراجعوا من بين مقتول و مأسور و هارب

و قال من قصيده:

بكيث لما انتاب البلاد و راعها من الشكل إذ فات أحرارها النصر

أ ما كنت تدري أن ذلك واقع إذا فشلت في قومك الوثبه البكر
فكفكف دموعا لست ممن يزيلها لتطفئ أشجانا يضيق بها الصدر
و عد بجميل الصبر أنك أهله فما لك من شكوى يتوج بها عذر
و إن أنت لم تملك دموعك صابرا فما أنت عندي ذلك الباسله الحر
و قال:

هون عليك فلا تفزعك إن طرقت دهم الخطوب و إن جل الذي دهما
فما استطالت إلى المجد الأثيل يد لا تنتضى السيف أو لا تحمل القلما

الشيخ محمد النمر بن ناصر.

إشاره

ولد سنه ١٢٧٧ في مدينه العواميه و توفي فيها سنه ١٣٤٨.

هو الشيخ محمد بن الحاج ناصر المتوفى سنه ١٣١٣ ابن الحاج على بن

ص: ٣٠٩

على بن أحمد بن علي بن حسين بن عبد الله بن نمر بن عائد آل عفيصان من سكنه الأسلميه من قرى الخرج من نجد بالجزيره العربيه.

و أسرته هي إحدى الأسر الثلاث المنتميه إلى الإخوه الثلاثة نمر و فرج و زاهر أبناء نمر بن عائد بن عفيصان و كان جدهم عائد يتردد كثيرا بين نجد و الأحساء و القطيف و اتفق أنه ورد العواميه من قرى القطيف فطلب من أهالي العواميه أن يزوجه بامرأه منهم و أخبرهم أنه كان شيعيا متكتما فزوجه الشيخ محمد العرجان بنتا له فأولدها ولدا سماه نمر ثم أولد نمر هذا ثلاثة أولاد و هم نمر و فرج و زاهر و إليهم انتسبت الأسر الثلاث المشهوره هناك حتى اليوم و قد نبغ من هذه الأسر علماء و فضلاء أعلمهم و أشهرهم الشيخ محمد النمر و منهم أخوه الشيخ حسن المتوفى في شهر ذى الحجه الحرام سنه (١٣٢٧) و دفن في البحرين و منهم ابن أخيه الأديب محمد بن الشيخ حسن آل نمر نزيل مدينه الكاظميه المتوفى (١٣٩٧) " و هو أول رائد قطيفي للقصه أصدر جريده سياسيه (بهلول) في العراق و نشر له مجموعات قصصيه " و منهم الشيخ سعود بن محمد بن سلمان بن محمد بن حسين بن صالح آل فرج المتوفى سنه (١٣٣٥) و منهم الشيخ محمد بن أحمد بن محسن آل فرج كان قد تتلمذ عند الشيخ النمر أيضا مده من الزمن توفى سنه (١٣٦٦) و منهم الشيخ عبد الكريم بن حسين بن علي بن فرج بن نمر.

بلدته

تقع العواميه على بعد (٤) كم شمال غربى مدينه القطيف و تجاورها كل من القديح جنوبا و صفوى شمالا و الأوجام غربا و يحدها البحر من جهه الشرق حيث تفصل منطقه الرامس الزراعيه بين البحر و البلده. و يقدر عدد سكانها ب (٣٥٠٠٠) نسمة.

و أشهر أحيائها التاريخيه هو فريق الزاره الواقع في الجنوب الشرقى من البلاد و هو فريق مشهور في التاريخ الإسلامى و الجاهلى و قد أحرقها أبو سعيد الجنابى القرمطى عام (٢٨٣) في بدايه حركته حينما استعصت عليه.

و يذكر الشيخ البلادى في كتابه أنوار البدرين ص ٢٧٧:

أن القرامطه أغاروا على الزاره التى فيها ملك البلاد و حاصروها و غادوها الحرب صباحا و مساء و قد ضعف حاكم البلد عن قتالهم خارج البلد فحاصروها أربعة أشهر حتى افتتحوها عنوه فاشعلوا فيها النار جميعا فخربت البلد و هجمت بيوتها و تملكوا البلاد، و كان حاكمها من قبل من بنى عبد القيس من تميم و هم أهل البحرين (أعنى الأحساء و القطيف و أوال) فعمدت القرامطه إلى فريق من بنى عبد القيس فحرقوهم بالنار و صارت الزاره خرابا ثم حدثت بعد خرابها القرية المعروفة بالعواميه أول من سكنها و عمرها أبو بهلول العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج أحد بنى عبد القيس و هو الذى أخذ جزيره أوال من القرامطه و استولى عليها بعد ضعفهم و أدبار دولتهم فنسبت إليه و بقيت الزاره خرابا، ثم صارت نخيلا و أشجارا و أنهارا تبعا للعواميه.

و يذكر صاحب كتاب (ساحل الذهب الأسود ص ٥٢) أن أول من عمر العواميه (بهذا الاسم) هو العوام بن محمد بن يوسف الزجاج فى أوائل القرن الخامس الهجرى فنسبت إليه، أو لعلها نسبت فى الأصل إلى أبى الحسن بن العوام زعيم الأزدي و أمير

الزاره. و يحدثنا (المسعودى) عن كيفية إسلام هذه المنطقه و يذكر (الزاره) فيقول أن (رباب السبتى) و (بحيره الراهب) من بنى عبد القيس كانا على دين النصرانية، و قد لقي المنذر بن ساوى رباب السبتى بسوق الزاره فأخبره عن قرب موعد خروج نبي من العرب بمكه المكرمه و أخبره بالعلامات الوارده فى الكتب المقدسه، فلما سمع بمبعث الرسول (ص) بعث ابن أخته إلى مكه للتأكد من صحه هذه العلامات... فأسلم ابن أخته و عاد إلى خاله و أخبره فأسلم هو الآخر، ثم عمل الاثنان على استماله قومهما إلى الدخول فى الإسلام حتى ورد إليها العلاء بن الحضرمى مبعوث الرسول (ص) سنة (٦) فدخل أهلها فى الإسلام و كان على رأسهم المنذر بن ساوى ملك العرب، ثم أوفد أهلها وفدا التقى برسول الله (ص) و دعا لهم و وجههم فى أمور دينهم.

و لهذه البلده تاريخ من البطوله و التحدى فلقد رضع ابناؤها حليب الرض للظلم السعودى و كانت و ما زالت قلعه الرض لطغيان آل سعود.

و يمكن القول أن ثوره العواميه التى قادها الشيخ النمر من أبرز الأحداث السياسيه التى ترجمت عمليا الرض المقدس.

و حادثه اخرى حدثت فى محرم (١٣٩٩) حينما منع الأهالى سيارات الإرهاب السعودى من الدخول إلى البلده و هاجموا كل السيارات التى دخلت بالعصى و الحجاره. فكان أن اعتقل أكثر من (٦٠) شخصا لمدته تزيد عن الأربعة أشهر.

و تكررت المواقف البطوليه فى محرم (١٤٠٠ هـ) حيث كانت انتفاضة المنطقه الشرقيه البطله فسيطر المتظاهرون على مركز الشرطه الموجود فى منطقه الرامس (شرق البلاد). و قطعوا الامدادات و التموين العسكرى للنظام عن مدينه صفوى. و العواميه هى المدينه التى لم يتجرأ جندى من جنود الحرس الدخول إليها أيام الانتفاضة إلا بعد الاستعانه بالطائرات الهليكوبتر العسكريه.

نشاته العلميه

تربى الشيخ النمر فى حجر والده الذى غرس فى نفس ولده الالتزام بالدين و التحلى بالأخلاق الحميده الفاضله و الملكات الرشيده و قد زارهم ذات مره الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طعان البحرانى (المتوفى يوم عيد الفطر سنة ١٣١٥ هـ). فتوسم فيه الصلاح و النجاح و اللياقه لتحصيل العلوم و الاستعداد التام لادراك المعارف الدينيه فأشار على والده أن يفرغه لطلب العلم الدينى و قد كان هذا الشيخ المذكور نازلا فى قريه القديح بجوار قريه العواميه (التى يسكنها الشيخ نمر و أبوه) فهياً له أبوه دابه و خادما يصحبه لأنه كان مكفوف البصر من صغره.

و لعل الجزء الأكبر من الفضل يعود إلى أبيه الذى شجعه على طلب العلم و قبله يعود إلى الشيخ آل طعان.

و هكذا أخذ يحضر كل يوم عند ذلك الشيخ الجليل و يتلقى على يديه مقدمات للعلوم الدينيه فقرأ عنده النحو و الصرف و المنطق و البيان كما تلقى بعض هذه الدروس أيضا عند الشيخ على بن الشيخ حسن آل الشيخ سليمان

البحراني و بعد أن انهى هذه الدروس. شد الرحال من وطنه إلى النجف الأشرف.

و بقى فى النجف الأشرف قرابه خمسہ عشر عاما يطلب العلم على يد كبار العلماء و اجلائهم، منهم الشيخ محمد طه نجف النجفى، الذى أجاز له روايه الحديث و الشيخ محمود ذهب و الشيخ ملا هادى الطهرانى، و له إجازة فى روايه الحديث - أيضا - من السيد محمد الهندى النجفى المتوفى سنه (١٣٢٢).

و غيره من العلماء.

كما درس الفقه و الأصول و الحكمه و الكلام و سائر العلوم الرياضيه و منها علم الهندسه على يد الشيخ أبى المجد المعروف بآغا رضا الأصفهاني و قد ألف الشيخ بعدها كتاب التعليقات الكافيه على القوانين و الكفايه. و تعليق على كتاب الإشارات لابن سينا فى مقام الاستدلال على بطلان وجود ما لا يتناهى من الامتداد الجسماني.

و قد درس الطب القديم أيضا عند الميرزا محمد باقر بن الميرزا خليل بن الميرزا حبيب الله الطهرانى النجفى طيله المده التى كان متواجدا فيها فى النجف و هى خمسہ عشر عاما.

ثم عاد إلى البلاد فافتتح مدرسه للعلوم الإسلاميه أخذ يدرس فيها البحث الخارج، انضم إليها الكثير من الطلاب الذين أصبحوا فيما بعد من أرباب العلم و الفضيله، فيهم الخطيب و الكاتب و الطالب. (١)

و قد أوقف أكثر الأموال التى بين يديه لطلاب العلم من أهل بلاده و قد اختلست ظلما بعد وفاته من قبل سلطات الجور الباغيه و لا يزال أهالى العواميه يعرفون و يذكرون بعضا من ذلك. و قد قاوم الاضطهاد السعودى لأهل القطيف مقاومه عفيفه.

تلاميذه

اشاره

تتلمذ على يديه الكثيرون منهم:

١ - الشيخ حسن على بن الشيخ عبد الله البدر (المتوفى سنه ١٣٣٤) فى الكاظميه.

٢ - الشيخ منصور ابن الحاج على المرهون (المولود سنه ١٢٩٤ هـ - المتوفى ١٣٦٢).

درس عند الشيخ النمر و الشيخ البدر ثم هاجر إلى النجف الأشرف و بقى (١٥) سنه ثم عاد إلى القطيف و هو أحد الخطباء المشهورين فى ذلك الوقت.

له الكثير من القصائد فى رثاء الرسول (ص).

٣ - الخطيب الشيخ عيسى بن الحاج محمد السنى التاروتى (المولود سنه ١٣٠٥ هـ و المتوفى سنه ١٣٥٥).

٤ - الشيخ الملا حسن بن الحاج عبد الله بن حسن ربيع الخطي توفي سنة ١٣٦٢.

له ديوان مطبوع بعنوان الزهور الربيعيه فيه قصائد فى رثاء آل البيت.

٥ - الشيخ محمد حسين بن الشيخ حسين آل عبد الجبار البحرانى القطيفى (المولود سنة ١٣٠٠ و المتوفى سنة ١٣٨١).

درس فى القطيف لدى الشيخ ناصر نصر الله و الشيخ أحمد بن على بن عطيه و الشيخ النمر ثم درس فى النجف على يد السيد مهدي آل بحر العلوم و الشيخ جعفر السودانى و السيد رضا الهندى و الشيخ الأنصارى و الشيخ عبد الهادى كاشف الغطاء و الشيخ ملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه.

له شرح واسع على أصول الكافى فى (١٤) مجلدا.

٦ - الشيخ حسين بن الشيخ على بن الشيخ حسين القديحى البحرانى (المولود ١٣٠٢ و المتوفى سنة ١٣٨٧).

ولد فى النجف الأشرف و هو ابن الشيخ على صاحب كتاب أنوار البدرين فى تراجم علماء القطيف و الأحساء و البحرين.

درس العلوم الدينيه على يد والده و الشيخ النمر و علماء آخرين.

له مؤلفات منها: كنز الدرر - رياض المدح - الرثاء - نزهه الناظر - معاده الدارين فى أحوال مولانا الحسين - المجموعه الحسينيه - مجمع الفؤاد - و مؤلفات دينيه أخرى.

و له شعر فى رثاء أهل البيت عليهم الصلاه و السلام.

له إجازات من كبار العلماء منهم:

السيد أبو تراب الخوانسارى النجفى، السيد حسن الصدر الكاظمى، الشيخ محسن الطهرانى المعروف بأغا بزرگ الطهرانى و إجازات أخرى عديده.

دفن فى مقبره بلاده القديح.

٧ - الشيخ سعود بن محمد سلمان الفرج المتوفى فى سنة ١٣٣٥.

درس عند الشيخ النمر بعد ما تجاوز عمره الثلاثين ثم هاجر إلى النجف و مكث قرابه العشرين عاما، توفى و دفن فى مقبره بلاده العواميه.

٨ - الشيخ محمد أحمد الفرج المتوفى سنة ١٣٦٦ من خطباء المنبر الحسينى. و كان يعرف بالشيخ محمد المؤمن.

قال من قصيده فى رثاء الامام الحسين (ع):

لهاشم يوم الطف ثار مضيع و فى أرضه للمجد جسم موزع
هجمت فلا ثار لك اليوم مدرك و نمت فلا مجد لك اليوم يرفع
و هذى بنو حرب أدارت لك الردى كئوسا و لا كاس بك اليوم تجرع
و تلك الظبا اللاتى شحذت حدادها لأنف الإبا من مجدك اليوم تجدع
و تلك القنا اللاتى أقمت كعابها بصدر العلى من عزك اليوم تفرع
فنهضا فان العز أن تنهضوا لها و إلا فان الكف للنفس أنفع
سنتم بيوم الفتح صفحا فأصبحت نساء بنى حرب من السبى تمنع
فتلك بها اللاتى أشادت بها الظبا مضارب من هام السماكين أرفع
برغم الهدى أمست و لا دون خدرها قريع و غى عنها يذب و يدفع
لقد هجمت حرب عليها خباءها فكم برقع عنها يماط و يرفع
و كم حره كالشمس تدمى بوكزها و كم طفله كالبدر بالضرب توجع
و كم تاكل عزت ثكولا و رضع لها انتحبت عن بله الثدى أدمع
و كم من خبا أمسى إلى النار موقدا بحيث غدت فى وجه عزك تسفع

ص: ٣١١

١- فى تلك الفترة كانت القطيف تسمى "النجف الصغرى" لكثرة من فيها من علماء و مجتهدين و مراجع كبار.

بقفر به لم يحجب الشمس حاجب فوجه الثرى كالشمس ما الشمس تطلع

و عاطشه وددت بان دموعها تبل بها حر الغليل و تنقع

و مدهشه بالخطب حتى عن البكاء أذيب به منها فؤاد موزع

و مزعجه من هجمه الخيل خدرها تضم الحشا بالراحتين و تجمع

و موحشه باتت على فقد قومها تنوح كما ناح الحمام و تسجع

"ملخصه عن دراسته لمحمد العوامى "

محمود بن الحسين المعروف بكشاجم.

مرت ترجمته فى الصفحه ١٠٣ و ما بعدها من المجلد العاشر. و نزيد عليها هنا الدراسات الآتية مكتوبه بقلم الدكتور ثريا ملحس، و هى بعض ما كتبه عنه فى رسالتها الجامعيه النفيسه التى نالت بها شهاده الدكتوراه فى الآداب و التى كانت من أفضل ما صدر من دراسات ادبيه.

اسمه، و كنيته و لقبه

لقد اتفق جميع نساخ ديوان كشاجم و مؤلفاته التى استطعنا أن نطلع عليها، من أقدمها نسخا إلى أحدثها، على أن اسم كشاجم هو محمود بن الحسين، و أن كنيته هى أبو الفتح، و أنه الكاتب المعروف بلقبه كشاجم الذى أصبح علما له، و أنه، كما تبين لنا، منتسب إلى السندى بن شاهك.

كذلك اتفق جميع الذين التقاهم من الأصدقاء الشعراء و الأدباء و المؤرخين على اسمه و كنيته و لقبه العلم المعروف به. و لعل الشاعر الأنطاكى الحلبي الصنوبرى الذى قامت بينه و بين كشاجم المطارحات، و المساجلات، و المعارضات، و المعاتبات، و المهادات، هو أول من عرفنا بكنيته "أبى الفتح"، فى إحدى معاتباته الشعريه، كذلك بلقبه كشاجم. و قد يكون المسعودى المؤرخ أقدم من عرفنا بكشاجم، ممن التقوه، تعريفا حسنا، فقال: هو "أبو الفتح، محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك، الكاتب المعروف بكشاجم، و كان من أهل العلم و الروايه و المعرفه و الأدب"، و قد أخذ عنه الروايه. كما روى له من لطائفه الشعريه مما يناسب المقال. و قد تبين لنا أن أبا محمد المظفر بن نصر بن سيار الوراق، روى لكشاجم نحو ١٣٣ بيتا فى كتابه الطبخ مما يناسب المطبوعات، و المأكولات، ذاكرنا كنيته و اسمه، و أحيانا لقبه، و أن بعض المرويات سمعها من كشاجم نفسه. أما أبو بكر الزبيدى فقد سمع منه خبرا عن أبى الحسن الأَخفش النحوى، أستاذ كشاجم، فرواه فى طبقاته. و نرجح أنه التقى السرى الرفاء الموصلى الشاعر بالموصل، أو ببغداد، أو بحلب. و كان السرى أحد المعجبين بشعر كشاجم، إنما لم يشر السرى الرفاء فى ديوانه إلى ما يوحى بذلك، غير أن روايه الثعالبي فى يتيتمته، عن علاقه السرى الرفاء بكشاجم، قد تناقلها الرواه، و المؤرخون، و كتاب السير حين كانوا يكتبون عن السرى، فكان السرى فى طريق كشاجم يذهب، و على قلبه يضرب، على حد قول الثعالبي، كما نرجح أن السرى الرفاء، بعد موت كشاجم، راح ينسخ ديوانه، و يورقه، و يرتزق به،" و هو إذ ذاك ريحان

أهل الأدب بتلك البلاد". أما لقاء الثعالبي كشاجم فقد تبين لنا عدم صحته. و لعل الناسخ أضاف حرفي " النون و الياء "في" أنسدني"، أو لعله أسقط لفظه " ابن"، فالمعروف أن ابن أبي الفتح كشاجم، أبا الفرج، كان يروى أشعار أبيه و ينشدها. أما الأدباء و النقاد و المؤرخون القدماء الذين عاشوا في أواسط القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي)، حتى أواخره، ممن لم يلتقوا كشاجم، فقد اتفقوا جميعا كذلك على كنيته، أبي الفتح، و على اسمه، محمود بن الحسين، و على لقبه العلم، كشاجم. و قد ذكره في سياق ما روه له من شعره. و لعل أقدمهم الناقد أبو الحسن الجرجاني في وساطته، و قد أشار إلى بعض استعارات كشاجم الحسنه، مفضلا إياها على استعارات المتنبي في مثلها، في صفه السحاب، و في وصف الكمال، و قد اتهم الجرجاني المتنبي بسرقة معناه.

ثم روى شعر كشاجم أبو الحسن الشمشاطي في أنواره، و أبو عبد الله الحسن بن الحسين بازيار العزيز الفاطمي (ظنا) في بيزرته، و أبو علي الحاتمي في رسالته، و الشابشتي في دياراته، و أبو هلال العسكري في معانيه.

أما أبو بكر الخوارزمي فكان من المعجبين بشعر كشاجم و لطائفه، و كان يرى أنه لا بد للمتخرج في الشعر من معرفه " لطائف كشاجم"، و قد جعله أحد الفحول الشعراء، حين عددهم، بجملته المشهوره التي شاعت بين الرواه، و هي: "إن من روى حوليات زهير. و اعتذارات النابغه، و أهاجي الحطيئه، و هاشميات الكميت، و نقائض جرير و الفرزدق، و خمريات أبي نواس، و تشبيهات ابن المعتز، و زهديات أبي العتاهيه، و مراثي أبي تمام، و مدائح البحتری، و روضيات الصنوبري، و لطائف كشاجم، و قلائد المتنبي، و لم يتخرج في الشعر، فلا أشب الله قرنه!" أما النديم(1) في فهرسته فترجم له باختصار شديد، مشيرا إلى بعض مؤلفاته، بقوله: أن كشاجم " هو أبو الفتح، محمود بن الحسين، و أدبه و شعره مشهور، و هو من ولد السندي بن شاهك".

تحدثوا عن كشاجم

أما الأدباء و المؤرخون و الباحثون، من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، إلى القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، فقد لهجوا بذكر كشاجم الشاعر، و تناقلوا شعره، و روه في مؤلفاتهم مما يناسب المقال، فبلغ أشده، كما تجاوز عند بعضهم المئات. فالعمرى، على سبيل المثل، جمع شعرا لكشاجم في مسالكة نحو ٣٤٣ بيتا، و قد قال: و هي "من جيد ما وقع لي من صالح أشعاره". أما الحصري القيرواني في زهره و ذيله، فبلغ ما رواه نحو ٣٤٠ بيتا، كما بلغ في كتب الثعالبي المختلفه ما يقارب ١٨٧ بيتا، و في قطب السرور للرقيق النديم ما يقارب ١٠٩ أبيات، و في محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ما يقارب ١١٤ بيتا.

و قد راح الرواه يتناقلون شعر كشاجم، مشيدين بوصفه و بلطائفه، و جميعهم اتفقوا كذلك على أنه محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك، المعروف بأبي الفتح كشاجم، و أنه من أكابر الشعراء المحدثين.

فإذا كان النديم أقدم مترجم لكشاجم في القرن الرابع الهجري، فلما ذا لم يترجم له الثعالبي؟ و بناء عليه نرجح أن ترجمته قد سقطت من اليتيمه

١- من المفيد أن نذكر أن بيار دودج قد صوب الخطأ الشائع في حقيقه اسم صاحب الفهرست بعد أن عشر على مخطوط بيتي (Beatty) للفهرست، و الصحيح هو النديم، و ليس ابن النديم.

المنشوره. و لعل سقوط ترجمه كشاجم من مخطوط (بيتي) للفهرست، و ثبوتها في المخطوط الذي اعتمده (فلو غل)، ما يعزز قولنا. كذلك يعزز قولنا موقف الثعالبي من كشاجم في كتبه الكثيره، و إعجابه الشديد به، و استحسان معانيه و أوصافه و لطائفه، و كثره استشهاده بشعره. و لم يستدرک ترجمته بعد الثعالبي أحد من المؤرخين القدماء، و كتاب السير في أمهات كتبهم، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، و معجم الأدباء لياقوت الحموي، و وفيات الأعيان لابن خلكان، و فوات الوفيات للكتبي، و الوافي بالوفيات للصفدي.

و نرجح أن الترجمة قد سقطت في القرن الخامس أو السادس، قبل معجمي الخطيب البغدادي و ياقوت الحموي، لذلك لم يصف كتاب القرن الخامس كثيرا إلى ما عرفناه من قبل. و ظل الرواه يروون شعره، و يذكرون لقبه، و يعرفون ذلك اللقب بقولهم، كما قال الحصري القيرواني في جواهره:

" هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندی"، "الكاتب المعروف بكشاجم".

و في القرن السابع، حيث ألف ياقوت الحموي، و ابن خلكان معجميهما في سير المشاهير، لم يدون له أحد سيره، و لم ينتبه أحد إلى إسقاط ترجمته من اليتيمه، إنما حين أشار ياقوت في معجم الأدباء إلى كشاجم في سياق حديثه عن السرى الرفاء، نقل ما قاله الثعالبي في اليتيمه. أما في معجم البلدان فروى لكشاجم شعرا في حلب، و مصر، و في بعض أديره بلاد الشام و العراق و مصر. أما ابن خلكان فنقل كذلك روايه صاحب اليتيمه، أو ياقوت الحموي، في سياق حديثهما عن السرى الرفاء، كذلك نقل ابن خلكان في وفياته أخبار الصيد عن كشاجم في مصايده.

بهذا راح المؤرخون يرددون ما قاله كل من صاحب اليتيمه، أو صاحب معجم الأدباء أو صاحب الوفيات، أو صاحب [صاحب] شذرات الذهب منذ القرن الثامن الهجري حتى الحادي عشر الهجري.

فالذهبي اكتفى في عبره بقوله أنه أحد فحول الشعراء، و أن اسمه محمود بن الحسين، كما أن الكتبي لم يستدرک في فواته على ما فات ابن خلكان في وفياته.

أما ابن خلدون في تاريخه، فقد قلب اسم كشاجم، و جعله الحسين بن محمود المعروف بأبي الفتح كشاجم، و لم يشر أحد إلى تصويبه.

و لعل الجملة التي أطلقها الغزولي في القرن التاسع الهجري قد شغلت الباحثين، و الكتاب، فتناقلها المؤرخون لسيف الدوله، و لبلاطه، و اشتهرت عبر القرون، و ذاعت، مما جعل الكثيرين يتوهمون أن كشاجم كان طباح سيف الدوله! قال الغزولي في بدوره، أنه اجتمع لسيف الدوله " ما لم يجتمع لغيره من الملوك، فكان خطيبه ابن نباته الفارقي، و معلمه ابن خالويه، و مطربه الفارابي، و طباحه كشاجم، و خزان كتبه الخالديان، و الصنوبري، و مداحه المتنبى و السلامي، و الوأواء الدمشقي، و الببغاء، و النامي، و ابن نباته السعدي، و الصنوبري، إلى غير ذلك".

أما السيوطي فهو أول من كنى كشاجم أبا نصر، نقلا عن روايه التيفاشي في هديله. و لعل التيفاشي توهم ذلك، فالمعروف عن كنيه كشاجم أنها أبو الفتح، و أن كنيه جده الأكبر، و جده، و ابنه، أبو نصر، مما جعل بعض الباحثين المحدثين يقفون في حيره،

و يشيرون إلى غير كنيه لكشاجم، أما الصواب فكان لكشاجم كنيه واحده، و هي أبو الفتح. و السيوطى كذلك أول من نسب كشاجم إلى محمد، و جعله والده، نقلاً عن روايه التيفاشى، فقال: كشاجم هو محمود بن محمد بن الحسين بن السندى بن شاهك، يكنى أبا نصر"، أو لعل التيفاشى أشار إلى كنيه السندى بن شاهك، فنقله السيوطى، و وضع لفظه "يكنى"، و لم نطلع على سجع الهديل، لعدم وجوده، مرجحين أنه لا يزال مخطوطاً.

أما حاجى خليفه فى كشفه، فذكر لكشاجم مؤلفاته مكرراً كنيته، و اسمه، و لقبه كالاتى: "هو أبو الفتح، محمود بن الحسين المعروف بكشاجم".

و لعل ابن العماد شاء أن يروى ما قاله جميع الرواه فى سيره كشاجم، دون حسم أى خبر أو روايه. و لعله أول من أشار إلى كنيه أخرى له و هي أبو الحسين، فأضافها إلى أبى الفتح المعروفه، إنما بقى اسمه محمود بن الحسين بن السندى، أحد فحول الشعراء. و فى حديثه عن السرى الرفاء نقل، كغيره، ما قاله الثعالبي فى يتيمة، أو ياقوت الحموى فى معجمه، أو ابن خلكان فى وفياته، بان السرى كان مغرى بنسخ ديوان كشاجم الشاعر المشهور، ربحان الأدب بتلك البلاد.

و أول من كناه أبا الفتوح (بالجمع)، هو محمد بن الحسن الحر العاملى فى أمله، و لعله تكريم لتشيع الشاعر كشاجم! و لم ينقله عنه فيما بعد سوى مصدر شيعى آخر هو السيد حسن الصدر فى تأسيسه.

و لم نستطع أن نعرف عن كشاجم من المصادر التى أطلعنا عليها، التاريخيه، منها، و الموسوعيه، و المعجميه، و الأدبيه، من القرن الرابع الهجرى حتى الثانى عشر الهجرى، سوى ما حسمنا حوله الخلاف فى اسمه، و هو محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك، و أن كنيته هي أبو الفتح، و أن لقبه العلم هو كشاجم، بالاضافه إلى ما عرفناه فى الفصل السابق بان شاهك هو ابن زادن بن شهريار الرازى الفارسى الساسانى.

و لعل أول من أشار إلى مهاراته و عددها هو الحصرى القيروانى فى جواهره، و ابن مكى فى تثقيفه(١). ١١٧٤٤ - ١١٧٨ و لعل ابن مكى أول من أشار إلى أن كشاجم طلب علم الطب بعد ذلك، حتى مهر فيه، و "صار أكبر علمه، فزيد فى اسمه طاء من طيب. و قدمت على سائر الحروف (من كاتب، شاعر، أديب، منجم، مغن)، لغبه الطب عليه، فقيل طكشاجم، و لكنه لم يسر كما سار كشاجم". أما أول من أشار إلى أنه كان مجاهرا فى شيعيته فهو ابن شهر آشوب فى معالمه، و أول من روى أن ديوان كشاجم كان مصدر ارتزاق لدى النساخ هو الثعالبي فى يتيمة، كما كان شعره مصدرا للتعزیه و الترفيه(٢)! عن النفس، حسب ما قاله أحد أهل العصر، و قد يكون الثعالبي أول من أخرج من شعره ما نسب إلى الخالدين الشعراء..

و لعل الثعالبي كذلك كان أول من أشار إلى أنه كان لكشاجم ولدان أبو نصر، و أبو الفتح.

أما أول من ذكر مؤلفات كشاجم فكان النديم فى فهرسته، و قد أشار إلى الديوان الذى بلغ مائه ورقه، و كتاب أدب النديم، و كتاب الرسائل، و أول من أشار إلى كتاب كشاجم فى الغناء و الطرب هو الحصرى القيروانى فى جواهره، بقوله: "و له فى الغناء كتاب مليح". و لعل ابن خلكان أول من أشار إلى كتابه المصايد و المطارد حين روى عنه. أما القلقشندى فهو أول من أشار إلى كتاب "كنز الكتاب"، و فى القرن الحادى عشر الهجرى جمع حاجى خليفه لكشاجم مؤلفاته المعروفه فى عصره، و ذكرها جميعا، ما عدا كتاب الرسائل، و كنز الكتاب، مضيفا إلى مؤلفاته كتاب خصائص الطرب، كتاب الطيخ (الذى ورد مصحفا بالصحيح)؛ كتاب الطرديات فى القصائد و الأشعار.

مولده و وفاته

و تبين لنا بعد التنقيب، و البحث، و التحقيق، أن كشاجم ولد ببغداد فى حدود سنة ٢٨٠ هـ، و توفى فى حدود سنة ٣٤٨ هـ بمصر، حيث استقر فى أواخر حياته.

و من المفيد أن نشير إلى أن كشاجم ظل يرحل متنقلا بين بلاد العراق و الشام و مصر، يستقر فى إحداها مده من الزمن، ثم يتركها، ليعود إليها مره أخرى. إنما من الواضح أن كشاجم كان قد انطلق من بغداد، حاضره الخلافه، حيث كانت له دار، على شط دجله، على حد تعبيره(٣)، و يبدو أنه كان يعيش ببغداد فى الجانب الشرقى حيث دور الخلافه، و دور رجالها(٤). و من المفيد أن نشير إلى تفرد سامى الدهان بتحديد سنة ٣٤٠ هـ، تاريخا لوفاته، و بتحديد مكانها بحلب، حيث استقر. أما محمد أسعد طلس فقد تفرد كذلك بتعيين تاريخ لولاده كشاجم، و أخرى لوفاته، فذكر فى ابحاثه أن كشاجم ولد فى حدود سنة ٢٩٥ هـ، دون أن يدلى بالأسباب المقنعه، و أنه توفى سنة ٣٥٨ هـ، أو ما بعدها، كذلك دون أن يقنعنا بالسبب الذى اعتمده، ففى رأيه أن كشاجم هجا كافورا، و أن كافورا لم يتول السلطه المطلقه إلا قبل وفاته بقليل، و قد توهم الكاتب حين أشار إلى هجاء كافور الإخشيدى، أما الصواب فهو هجاء لأحد غلمان كشاجم، و كان يدعى كافورا، و يبقى سؤالنا قائما: أ فلا يستطيع كشاجم أن يهجو كافورا قبل استقلاله المطلق بالملك سنة ٣٥٥ هـ؟! على أننا نعلم أن الإخشيد محمد بن طغج قد عهد إلى كافور بالوصايه على ولديه أنوجور (محمود)، و على، لأنهما كانا قاصرين، و كان كافور، كما يخبرنا التاريخ، قد استأثر بالملك منذ موت الإخشيد سنة ٣٣٤ هـ! و من المفيد كذلك أن نذكر أن المؤرخين و الباحثين، ممن اختاروا سنة ٣٦٠ هـ تاريخا لوفاته، إنما فعلوا ذلك توهمًا منهم أن ابن كشاجم هو كشاجم، فاختلط عليهم الأب و ابنه، و قد ذكر الثعالبي أبا نصر بن أبى الفتح كشاجم، و روى له ما يقارب ٦٦ بيتا، كما روى أخباره أبو على التنوخى فى نشواره فى الستين بعد الثلاث مائه، حين كان كاتبا لأبى على

الأعصم القرمطى فى بلاد الشام، و فى رمله فلسطين خاصه.

و أخيراً، نشير إلى إعجاب كشاجم بحلب، حيث بنى فيها داراً، و امتلك أرضاً و بستاناً، كما جاء فى شعره. (٥) و كان كشاجم يصف طبيعه حلب (٦) فى جميع فصولها، و يصف ربيعها، و هو فى غايه من الفرح و الانشراح النفسى، و يصف نهرها قويق، و يتغنى بجمال طبيعتها، مما جعل بعض المؤرخين يرددون قصيدته فى حلب، و يعتبرون ما قاله فيها و فى طبيعتها من أروع ما قيل فى حلب. فلو عاش كشاجم حتى الخمسين بعد الثلاث مائه، و علم بخراب حلب حين دخل إليها نقفور فوكاس الرومانى سنه ٣٥١هـ، و دمر قصورها، و نهب محتويات خزائنها، و أثاثها، و تحفها، و ذخائرها، و استباحها، بحيث لم ينج منها إلا من صعد القلعه، ثم تركها ركاما من خراب، أما كان قد ناح كشاجم على البلده التى أحب، و التى غنى بساكنها و أشجارها، و نهرها، و زهورها، و ربيعها، أو رثاها باكيا، و هو الذى رثى و بكى قمريه الذى مات، و طاوسه الذى هلك، و منديله الذى سرق! فانى له أن يسكت عن دمار حلب الحبيبه، عاصمه الشعراء و الأدباء!!؟

ص: ٣١٤

١- ابن مكى، تثقيف اللسان و تليح الجنان (ط القاهره، ١٩٦٦ م)، ١٣٨ (قال أن كشاجم " لقب له، جمعت أحرفه من صناعته، أخذ الكاف من كاتب، و الشين من الشاعر، و الألف من أديب، و الجيم من منجم، و الميم من مغن ". كذلك كان أول من صوب أقوال الرواه فى حركه الكاف، فقال إن الصواب فتح الكاف، لا ضمه.

٢- قال بعضهم: يا بؤس من يمنى بدمع ساجميهى على حجب الفؤاد الواجم لو لا تغلله بكأس مدامهو رسائل الصابى و شعر كشاجم

٣- ديوان كشاجم (ط بغداد)، قط ٣٨٨، البيت ٦٧، يخاطب فيه الوزير ابن مقله: و قيل كن جار بحر أو قنا ملكو أنت جارى و مثوانا على دجله

٤- ابن حوقل، كتاب صوره الأرض، ٢١٦، قال أن الجانب الغربى من بغداد كان لأهل اليسار، و معظم مساكن التجار، أما الجانب الشرقى فكان لدور الخلافه، و لمن بيده حال من اسم المملكه. (م. ن.، ٢١٦ و ٢١٧).

٥- ديوان كشاجم (ط بغداد)، قط ٢٢١ (٢٦ بيتاً)، يمدح صديقه أبا بكر الصنوبرى و هو بحلب، و فيها يقول: و لى أرض و بستانو نهر فيه ما يجرى

٦- م. ن.، قط ١٧٨ (١٧ بيتاً)، يصف مدينه حلب بالمطلع: أرتك يد الغيث آثارها و أعلنت الأرض أسرارها و فى البيتين ١٠ و ١١، قال: و ما أمتعت جارها بلدهكما أمتعت حلب جارها هى الخلد تجمع ما تشتهىفرها فطوبى لمن زارها!

ولدا كشاجم أبو الفرج و أبو نصر

لم يذكر كشاجم فى شعره من أولاده مباشرة سوى ولد واحد دون أن يسميه، لعله أبو الفرج، و لعله كان بكره. و من المفيد أن نذكر أن كشاجم أشار إلى "أصبيه كزغب الأفرخ" كانوا سببا عائقا فى طلابه المجد و الرتب، و الارتحال فى سبيلها. و قد تبين لنا أنه لم يبق منهم سوى اثنين، و قد شكا الزمان، و ندب حظه، و عدم وصوله إلى الرتب العاليه التى يستحقها، إذ فضل أن يبقى مع صغاره مشفقاً عليهم، حدبا بهم:

و عاقنى عن طلابها أصيبه أبى فراقهم الإشفاق و الحذب

و لى قوادم لو أنى خدمت بها لأنهضتنى و لكن أفرخى زغب

! على أن كشاجم مدرك أنه استعجل الأولد قبل المال، و كان عليه أن يوفر لهم المال و الجاه قبل أن يروا النور، و يرى فى ذلك خروجاً و مخالفه لما جاء نصه فى القرآن الكريم، و قد بدئ بالمال قبل البنين: و إنما "أَلْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا".

و نرجح أن كشاجم رزق بأبى الفرج أولاً، و قد تبين لنا أن المقطوعه التى شاء النساخ أن يسموها فى مدح بعض أصدقائه، هى فى الحقيقه فى ولده أبى الفرج، من هذه المقطوعه اتضح لنا أيضا أنه أول ولد، إذ فرج كربه، و جعله يستقر مده من الزمن، لولاه لظل كشاجم يرتحل من مكان إلى آخر، لكنه اختار أن ينعم بمجىء الولد الجديد، و كان بوده لو يجول الآفاق، و يجمع الأموال قبل مجىء الولد، لكنه تعجله، فخالف بذلك نص الكتاب كما مر بنا:

لولا أبو الفرج الذى فرجت به كبرى لما جفت لبود جيادى

و لجلت آفاق البلاد و جبتها حتى أكثر بالغنى حسادى

لكن سبقت به الثراء ففانتى و عجلت قبل المال بالأولاد!

خالفت ما جاء الكتاب بنصه فلذاك قد ملك الزمان قيادى

! و لعل ما فى البيت الثالث لدليل قاطع على أن أبا الفرج هذا هو ابنه المولود، و ليس صديقا كما ادعى النساخ! ثم يكبر أبو الفرج، و يرعاه أبوه، كما يرعى الأب الحنون الصالح ولده، و يرييه أحسن تربيته، متوسما فيه ما كان أبوه من قبل قد توسم فيه. و قد اختار لابنه أما حره، فاضله، كريمه الحسب، "ابنه النجباء"، فتقبله قبولا حسنا، و شكر الله على عطيته الكبيره، و رزقه العظيم، و نعمه الكثيره:

ربيته متوسما فى وجهه ما قبل، فى توسمت آبائى

و رزفته حسن القبول مهنيا فيه عطاء الله ذى الآلاء

و غدوت مقتنيا له من أمه و هى النجبيه و ابنه النجباء

و قد وضع كشاجم لابنه منهجا يسير عليه، فكان له المربي، و المرشد، و المعلم، و قد عمرت مجالسه به، فكان يبهج به نهارا، و يريه أسباب العلياء، و كيف يصلها المرء، و يحدثه، ثم يزيه العلماء ليأخذ عنهم، فيتفوق على جميع طلاب العلم، حتى إذا أجن الليل، راح يسامر، و يحاوره، و حين ينتهيان من برنامجهما اليومي يعودان إلى البيت، فيدنيه إليه و يضمه، فكأنه يدني مهجته إلى مهجته، و احشاه إلى أحشائه، فيصبح كلاهما واحدا:

و عمرت منه مجالسي و مسالكي و جمعت فيه ماري و هوائي

فأظل أبهج في النهار بقربه و أريه كيف تناقل العلياء

و أزيه العلماء يأخذ عنهم فيبذ من يغدو إلى العلماء

و إذا أجن الليل بات مسامري و محاورى و ممثلا بازائي

فأبيت أدنى مهجتي من مهجتي و أضم أحشائي إلى أحشائي

و خوفا من أن يؤخذ عليه إعجابه بولده، و افتتانه به، أسرع ليقول أن إعجابه به مثل إعجابه بشعره، إذ كلاهما بعض منه. و ما الاعجاب هذا إلا صادر عن تعقل، و رزانه، لا عن خفه أو تهور:

و المرء يفتن بابنه و بشعره لكن هذا فتنه العقلاء!

و الوالد كشاجم يعتبر وجود ولده شفاء لما يصيبه من الجروح و الأسي، آملا أن يكون قربه في شدته و في رخائه:

روحي الفداء لمن إذا جرح الأسي قلبي أسوت به جروح أسائي

كبدى و تامورى (1) و حبه ناظري و مؤملى في شدتي و رخائي

على أن كشاجم، كما أشرنا إليه سابقا، لم يذكر في شعره سوى ولد واحد، إنما ذكر له الثعالبي في يتيمة، و هي أقدم نص، ابنين، هما أبو نصر و أبو الفرج، و كان الثعالبي يروي شعرا لمحمد بن هارون بن الأ-كتمي المصري فقال: " و له يهجو ابني كشاجم أبا النصر، و أبا الفرج "، و نرجح أنهما كانا بمصر بعد موت أبيهما، و لم ترقهما الأ-حوال، فرحل أبو الفرج إلى الرى (2) حيث التقى أبا بكر الحمدوني جامع ديوان والده، فأنشده لأبيه ٩٩ بيتا، ألحقها الجامع فيما بعد بالديوان، أما أبو نصر فرحل إلى الشام، و أصبح كاتب الأعصم أبي على القرمطى بالرمله.

أما المقرئ في مخطوطه المقفي فقد عرفنا بأبي الفرج الذي تحدث عنه كشاجم في شعره، كما ذكرنا سابقا، و قال أنه أحمد بن محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك بن زادن بن شهريار أبو الفرج بن أبي الفتح كشاجم. و ليس هناك ما يدعو إلى الشك في أن أبا الفرج هو أحمد بن أبي الفتح كشاجم. و كان أبو الفرج هذا بمصر أيام كافور، و أيام القاضي محمد بن عبد الله بن الخصيب و والده، و حين عرف أبو الفرج ما يتمتع به القاضي محمد من قوة الاحساس باللمس، و كان إذا صفع عرف من

يصفعه بوقع يده على رقبته، من غير أن يبصره، عمل فيه شعرا ليقول له أنه أيضا "يقرأ نقش فص الخاتم باللمس خاصة دون الرؤية"، فاتفق الاثنان في قضيه "بهرت عقول العالم" وقام بينهما نسب في تلك القضيه، فقال:

إني إلى القاضى أمت بحرمه هي بيننا نسب كفرض لازم

حس لطيف في قفاه و في يدي هو آيه بهرت عقول العالم!

فقفاه يفتقد الأكف بحسه و يداى تقرأ نقش فص الخاتم!

فإذا أخذنا بتلك الروايه، أخرجنا المقطوعتين اللتين نسبتا إلى كشاجم خطأ و سهوا، إذ إنهما لأحد ابنيه، لعله أبو نصر، و نرجح أن أبا الفرج الذين.

ص: ٣١٥

١- تامور لفظه فارسيه معربه معناها: روح، أو نفس، أو دم (ستانغس، فرهنك جامع، ٢٧٧ أ). و في الكنز المدفون، قال السيوطي: "يقال حرف في تامورك خير من عشره في وعائك". التامور القلب" (ص ٣٦٠). أما الخفاجي فقال أن لفظه تامور معناها "صبغ أحمر، و دم القلب، و أصل معناه موضع السر"، و هي لفظه غير عربيه.. (ص ٥١).

٢- هي في موقع طهران الآن.

افتخر بنسبه إلى محمد بن عبد الله القاضى، لا يهجو والده القاضى عبد الله، و أن أبا الفرج هذا هو أحمد بن محمود بن الحسين ولد كشاجم البكر.

أبو نصر بن أبى الفتح كشاجم، أو أبو النصر

ذكرنا سابقا أن كشاجم لم يذكر فى ديوانه سوى ولد واحد، و إن أشار إلى أنه كان له "أصيبه". و نرجح أنه لم يعش منهم سوى اثنين أبى الفرج بكره، و أبى نصر. و أول مصدر ورد فيه ذكر أبى نصر هو نشوار المحاضره لأبى على التنوخى، و هو أيضا أقدم نص جاء على ذكره فيما عرفناه، و كان أبو نصر بن كشاجم، كاتب أبى على الحسن بن أحمد القرمطى المعروف بالأعصم(1). و حين عاد الأعصم إلى دمشق غازيا سنة ٣٦٠ هـ استولى عليها، و قتل نائبها الفاطمى جعفر بن فلاح، ثم توجه إلى مصر سنة ٣٦١ هـ. ثم عاد إلى بلاد الشام حيث استقر بالرملة حتى وافته المنيه سنة ٣٦٦ هـ. و نرجح أن الأعصم الذى كان شاعرا، محبا للأدباء و الشعراء، كان يقيم فى داره بالرملة مجالس أدبيه، و كان الشعراء يجيزون ما يقول، و كان ابن كشاجم، أبو نصر قد التحق به، فقربه و أدناه، و جعله كاتبه منذ عاد إلى بلاد الشام. ففى سنة ٣٦٥ هـ حسب روايه أبى على التنوخى، كان أبو نصر بالرملة، يلازم الأعصم، كاتبه و نديمه أيضا. و كان للأعصم مجالس أدب يحضرها الأدباء و الفقهاء و الشعراء. و كان أبو نصر شاعرا، و كاتبا للأعصم، مما جعل بعض المؤرخين يخلطون بينه و بين أبيه كشاجم، فجعلوا كشاجم من وفيات عشر السنين، كما جعلوه كاتبا للقرمطى! و لأهميه روايه أبى على التنوخى (٣٨٤ هـ)، و قربها من العصر الذى عاش فيه أبو نصر بن كشاجم، نقلها كما وردت على لسان محمد بن عثمان الخرقى الفارقى الذى رواها بنفسه لأبى على التنوخى فى احدى زياراته. قال محمد بن عثمان:

"كنت بالرملة سنة ثلاثمائه و خمس و ستين، و قد ورد إليها القرمطى أبو على القصير الثياب، فاستدانى منه، و قربنى إلى خدمته. فكنت ليله عنده إذ حضر الفراشون بالشموع. فقال لأبى نصر بن كشاجم، و كان كاتبه: يا أبا نصر، ما يحضرك فى صفه هذه الشموع؟، فقال: إنما نحضر مجلس السيد، لنسمع كلامه، و نستفيد من أدبه، فقال أبو على القرمطى فى الحال بديها:

و مجدوله مثل صدر القنا تعرت، و باطنها مكنتسى

لها مقله هى روح لها و تاج على الرأس كالبرنس

إذا غازلتها الصبا حركت لسانا من الذهب الأملس

و إن رنقت لنعاس عرا و قطت من الرأس لم تنعس

و تنتج فى وقت تلقيحها ضياء يجلى دجى الحندس

فنحن من النور فى أسعد و تلك من النار فى أنحس

"فقام أبو نصر بن كشاجم، و قبل الأرض بين يديه، و ساله أن يأذن له فى إجازة الأبيات، فاذن له فقال:

و ليلتنا هذه ليله تشاكل أشكال أقليدس

فيا ربه العود غنى لنا و يا حامل الكأس لا تجلس

" فتقدم بان يخلع عليه، و حملت إليه صله سنه، و إلى كل الحاضرين "

و تناقل المؤرخون و الباحثون القدماء هذه الروايه، فرواها ابن عساكر فى تاريخه الكبير، و ابن ظافر الأزدى فى بدائعهم، و الكتبى فى فواتهم، و المقرزى فى نحلهم. أما ابن خلدون فقد أشار فى تاريخه إلى أن كشاجم كان كاتباً للأعصم القرمطى، و قد اشتهر بخدمته للقرامطه، و قد خلط بينه و بين أبيه.

لعل أقدم من ذكر ولدى كشاجم، أو ذكر أن له ولدين هو الثعالبى فى يتيمة الدهر كما ذكرنا سابقاً.

و كان أبو نصر، مثل أبيه كشاجم، يرتحل فى ربوع الشام و مصر، و لعل أبو نصر و أبو الفرج كانا مع والدهما كشاجم بمصر أيام القاضى عبد الله بن محمد بن الخصب، قاضى الإخشيديه و كافور. و قد روى ابن حجر العسقلانى فى كتابه " رفع الإصر عن قضاه مصر "، مقطوعتين لابن كشاجم، دون أن يسميه فى هجاء القاضى عبد الله بن محمد بن الخصب. و قد رجعنا سابقاً أن يكون أبو نصر هو الذى هجا القاضى، لا أخوه أبو الفرج، إذ كان أبو الفرج معجبا بابن عبد الله محمد القاضى بعد أبيه، و كان بينهما تشابه سماه أبو الفرج نسباً. أما الجامع المشترك بينهما، أو النسب فهو فى شدة الاحساس فى اللمس لذلك استبعدنا هجاءه لأبى زميله.

و فى مصر، التقى أبو نصر وزير كافور أبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابه، و حين علم أن أبى الفضل يهجم فى الخروج إلى متزهمه بالمقس (٢)، كتب إليه بيتين بماء الذهب على تفاحه حمراء! و أنفذها إلى الوزير المذكور، جاء فيهما:

إذا الوزير تجلى للنيل فى الأوقات

فقد أتاه سمياه جعفر بن الفرات

و تبين لنا أن الوالد كشاجم مات بمصر، و لما مات هجاه محمد بن هارون بن الأكتمى المصرى، كما هجا ابنه أبو نصر و أبى الفرج، بقوله:

يا ابنى كشاجم أنتما مستعملان مجربان!

مات المشوم أبو كما فخلفتماه على المكان

و قرنتما فى عصرنا ففعلتما فعل القران

لغلاء أسعار الطعام و ميته الملك الهجان! ين

١- هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، أبو علي، وقيل أبو محمد، المعروف بالأعصم، ولد بالأحساء، و توفي بالرملة سنة ٣٦٦ هـ. تغلب على الشام سنة ٣٥٧ هـ، ثم عاد إلى الأحساء. و في سنة ٣٦٠ عاد إلى دمشق، و كسر جيش جعفر بن فلاح، أول نائب فاطمي بالشام، و قتله. ثم توجه إلى مصر، فحاصرها سنة ٣٦١ هـ. ثم عاد إلى الأحساء، ثم رحل إلى الرملة حيث توفي سنة ٣٦٦ هـ. و كان يظهر الطاعة للطائع لله العباسي ببغداد، و كان شاعرا، فصيحاً على حد قول ابن تغري بردى (النجوم الزاهرة، ١٢٨:٤). و كان شعره من أفحل الشعراء، على حد تعبير ابن كثير (البدايه و النهايه، ٢٨٧:١١). و كان أبو نصر، ابن كشاجم، كاتبه بالرملة.

٢- المقس قرية قرب الفسطاط (القاهره)، تقع على النيل، كان اسمها قبل الإسلام أم دنين

و كان لا بد لابنى كشاجم من مغادره مصر بعد وفاه الوالد، و تهجم الشاعر عليهما. و قد اتجه أبو نصر إلى بلاد الشام حيث التقى على بن محمد الشاشى "بصيداء الشام"^(١)، فأنشده من شعره. و حين التقى الشاشى الثعالبيميافارقين أنشده شعر أبى نصر، إذ كان الثعالبي حين ذاك يجمع شعر الشعراء الذين لا دواوين لهم من شعراء الشام.

و تبين لنا أيضا أن أبا نصر التقى الطيب عيسى الرقى ببلاد الشام، بحلب أو غيرها، ببلاط سيف الدوله أو خارجه. و كان عيسى الرقى أحد الأطباء المقربين فى بلاط سيف الدوله، إنما كان على خلاف مع أبى نصر، و لم يكن أبو نصر معجبا به، و لا بطبه، فذمه، و هجاه، إما عن تجربه أو سماع، فقال يهجو، مقارنة بينه و بين عيسى المسيح، لاشترائه بالاسم، فقال:

عيسى الطيب ترفق فأنت طوفان نوح

يأبى علاجك إلا فراق جسم لروح!

شتان ما بين عيسى و بين عيسى المسيح

فذاك محبى موات و ذا مميت صحيح!

شعر أبى نصر بن كشاجم

و من المفيد أن نثبت شعر أبى نصر كما جمعه له الثعالبي. فابو نصر كان مثل أبيه كشاجم شاعرا، متأثرا بمنهجه، منهج المدرسه الشاميه، متظرفا بظرفه، متانقا فى خطه بتانقه. و لم يذكره النديم فى فهرسته. و قد قال الثعالبي أنه جمع أشعاره و أشعار غيره ممن لم يجد لأصحابها دوواين [دواوين]، فأثبت كل ما رواه له المنشدون من جلسائه. و قد أنشدوا له من شعر أبى نصر فى وصف الكتاب، و الشمعه، و الصديق البخيل، و كان قد دعاه إلى الطعام، فجاء وصفه له وصفا بارعا، مضحكا، و فى الطيب عيسى الذى يعجل فى تفريق الروح عن الجسد، و فى جونه الطعام، القصيده الطويله المزدوجه، و فى الخط، و فصد إسحاق بن كيغلق. أما تظرفه فقد بلغ مداه حين كتب شعره على تفاحه حمراء بالذهب، و أنفذها إلى وزير كافور، ابن حنزابه! أما العسقلانى فقد روى له مقطوعتين فى هجاء القاضى عبد الله بن الخصيب، قاضى الإخشيد و كافور. و ارتائنا أن نجمع للشاعر أبى نصر، ابن أبى الفتح كشاجم ما جاء فى اليتيمه، و فى غيرها، على ترتيب الحروف. لعلنا بذلك نشير إلى ما نسب إلى أبيه كشاجم من شعره، و لتأثره مذهب أبيه الشعرى فى لطائفه.

و لأبى نصر، ابن أبى الفتح كشاجم فى شمعته:

بركه صفر عمودها شمع تفيض نارا من موضع الماء

تبكى إذا ما المقصص خمشها فرط حياء من الأخلاء

كأنها عاشق مخايله فيه بواد لمقله الرائي

صفرة لون و ذوب معنبه و دفع حزن، و نار أحشاء

و له فى الكتابه:

غبط الناس بالكتابه قوما حرموا حظهم بحسن الكتابه

و إذا أخطا الكتابه خط سقطت تاؤها فصارت كابه

" و كتب على تفاحه حمراء بالذهب إلى الوزير أبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات و أنفذاها إليه، و قد خرج إلى متزهه بالمقس:

إذا الوزير تجلى للنيل فى الأوقات

فقد أتاه سمياه جعفر بن الفرات

و له فى وصف الكتاب:

و صاحب مؤنس إذا حضرا جالسنى بالملوك و الكبرا

جسم موات تحيا النفوس به يجلى معنى و إن دنا خطرا

ملكته منه كتر غنيت به فما أبالى ما قل أو كتر

أظلم منه فى مجلس حفل بالناس طرا و لا أرى بشرا

و إن أظلم به فى لك من مستحسن منظرا و مختبرا

أعجب به جامعا و لو جعلت عليه كف المجلس لاستترا

و له يهجو القاضى عبد الله بن محمد بن الخصب:

قبح الله الخصيبى فما أقبح أمره!

اشترى الدار التى كانت قديما لابن شعره

و هى الدار التى يتر فيها الله عمره

لا يتم الحول حتى يجعل المجلس قبره

و له أيضا فيه:

اشترى الدار الكبيره و دعا فيها الوكيره

صغر الباب و فى تصغيره أشام طيره

قبره لا شك فيه بعد أيام يسيره [يسيره]

و له فى فصد إسحاق بن كيغلغ:

يا فاصدا شق عرق إسحاق أى دم لو علمت مهراق؟

سفكته من يد معوده لنيل مال و ضرب أعناق

لو يوم حرب أصبت من دمه إذا أقام الدنيا على ساق

و له فى صديق بخيل:

صديق لنا من أبرع الناس فى البخل و أفضلهم فيه، و ليس بنى فضل

دعانى كما يدعو الصديق صديقه فجئت كما ياتى إلى مثله مثلى

فلما جلسنا للطعام رأيتته يرى أنه من بعض أعضائه أكلى

و يغتاظ أحيانا، و يشتم عبده و أعلم أن الغيظ و الشتم من أجلى!

فأقبلت أستل الغذاء مخافه و ألحاظ عينيه رقيب على فعلى

أمد يدي سرا لأسرق لقمه فيلحظنى شزرا فاعبث بالبقل!

إلى أن جنت كفى لحتفى جنايه و ذلك أن الجوع أعدمنى عقلى

فجرت يدي للحين رجل دجاجه فجرت، كما جرت يدي رجلها، رجلى

و قدم من بعد الطعام حلاوه فلم أستطع فيها أمر و لا أحلى

و قمت لو أنى كنت بيت نيه ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

و له فى جونه الطعام، قصيده مزدوجه:

و جاءنا فيها بباذنجان مثل قدود أكر الميدان ١.

ص: ٣١٧

١- الثعالبي، يتيمه الدهر، ٣٠١:١.

قد قارن الهليون بالممازجه تقارن الكرات بالصوالجه

ثم أتت سكارج الكوامخ كمثل أنوار من اللخالخ

ما بين طرخون و بين صعتر و فيجن غض و بين كزبر

و بين بن عده المشطور كأنه تعليه البخور

ثم أتى براضع لم يعتلف كان فى جنبه قطنا قد ندف

و حمل مبرز مشبر كأنه مضمخ بعنبر

يتلوه جدى فارس بخل كأنه بالزعفران مطلى

تخاله فى خله المزعفر مركبا تحت عقيق أحمر

قد عملت أطرافه سلاقه عجيبه الصنعه و المذاقه

زيدت من الخردل و الصباغ و كشفت القحف عن الدماغ

وصف فيه فلق الرمان مثل رصيغ خرز المرجان

ثم أتى بناطق هياج بحر طبع البارد المزاج

كأنه فى العين و القياس سبائكك جاءت من الروباس

و جونه موصوفه من الجون قد جمع الطباخ فيها كل فن

من كل سخن منضج و بارد ما بين ألوان إلى بوارد

فمن رفاق ناعم رفاق يحمد فى المنظر و المذاق

و أرغف تشف للصفاء كما تشف أوجه المرئى

و من مصوص من مخاليف الحجل كأنما كانت ترف فى الحبل

و من فراريح بماء الحصرم تصلح للمخمور أو للمحتمى

قد شوشت أكبادها بيض فهى كمثل نرجس فى روض

و جاءنا فيها بيض أحمر كأنه العقيق ما لم يقشر
حتى إذا قدمه مقشرا أبرز من تحت عقيق دررا
حتى إذا ما قطع البيض فلق رأيت منه ذهبا تحت ورق
يخال أن الشطر منه من لمح أعاره تلوينه قوس قزح
ما بين أوساط لطاف القد مقدوده كمثل قد الند
من صدر دراج و صدر حجله بملحها و بقلها متبله
فيها جبن صادق الحرافه مقطع باللطف و النظافه
قد ألبست قضبان طلع غضه كأنها سلاسل من فضه
ثم أتانا بعده لوزينج كأنه من الأتحى مدرج
تنسله من دهنه العميق كما أخذت بيد الغريق
و جاءنا الغلمه بالمدام و نحن لم ننهض من الطعام
بغير ترتيب و لا صوانى و غير أنقال و لا ريحان
لأن فى الجونه أنواع الإرب و عوضا من كل شىء يطلب
هذا هو النوع الذى أختاره ليس الذى عذبنا انتظاره

نتائج

و هكذا فان (كشاجم) اسم مرتجل، مبتكر (مخترع) للعلميه، شاء صاحبه أن يركبه، أو يؤلفه، أو يجمع أحرفا من أوائل كلمات
خمس، تشير إلى صناعاته أو مهاراته أو صفاته، فكان له (كشاجم) اسما علما، عرف به و اشتهر. و تبين لنا كذلك أن كشاجم
علم بوزن مفاعل مفتوح الكاف، و مكسور الجيم، شبيه بصيغه منتهى الجموع، ممنوع من الصرف. و تبين لنا أن حركة الكاف
الفتحه، بالرغم من الأكثرية التى شاءت أن تضم الكاف فى مؤلفاتها منذ القرن التاسع الهجرى حتى أواخر السبعينات من القرن
العشرين، و لا سيما المستغربون الذين ذكروا كشاجم فى تحقيقاتهم، أو ترجماتهم، أو أبحاثهم.

و تبين لنا أن كشاجم كان كاتبا، و له مذهب فى الكتابه يحتذى، و قد ألف كتاب "كنز الكتاب"، و جعله القلقشندى أحد
الكتب الثلاثة التى لا يستغنى عنها الكاتب. و كان شاعرا، و له ديوان شعر مشهور و معروف، كان مصدرا لارتزاق النساخ، كما

كان عامرا باللطائف التي تميز بها على زملائه، و كان أدبيا، و له كتاب الرسائل، و كتاب أدب النديم، و كتاب الطرديات في القصائد و الأشعار، و كان منجما، و له كتاب المصايد و المطارد، فيه ما يدل على ثقافته الفلكية، كذلك في شعره حيث وصف النجوم، و آلاتها. و كان مغنيا بالأوتار(١)، على حد تعبيره، و له كتاب خصائص الطرب، و قد أجاد الضرب على العود، و في شعره قصائد كثيرة تشير إلى ذلك، و إلى وصف آلات الطرب.

و كان يجيد بعض أصناف الطبخ، و يصفها شعرا، كما كان يجيده بعض الخلفاء، و الأمراء، و الأدباء في ذلك العصر.

فبالرغم من كثره طبائخه، على حد قوله، كان يباكر الطبخ حين يشاء(٢)، و كان طبيبا، يهتم بالطب البشري، و الحيواني، كما اتضح لنا من كتابيه المصايد و المطارد، و البزيره.

و تبين لنا أن المصادر الشيعيه أشارت إلى أن حرف الجيم مستل من "جامع أو جدلي"، و أن حرف الميم مستل من "منجم أو متكلم".

و قد اعتمدت هذه المصادر على روايتي ابن شهر آشوب في معالمه، و ابن طاوس في كتابه علماء النجوم. أما السيد محسن الأمين، فقد انفرد بلفظه معارف، فجعل الميم مستلا منها.

و إذا كان لنا أن ندلى برأينا نقول أن الحروف في "كشاجم"، مستله من كاتب، و شاعر، و أديب، و منجم و ملحن (مغن بالأوتار)، أو لعل الحرفين الجيم و الميم مستلان من جواد، و كان لكشاجم مذهب معروف في الجود، يضرب به المثل، و من منجم أو ملحن.

اختلاط كنى الوالد و ابنه على المؤرخين و الباحثين

لعل أول من اختلط عليه كنى الثلاثه، الوالد و ابنه، هو السيوطي في محاضراته، بقوله: أن "محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك، يكنى أبا نصر". فنقل عنه يوسف اليان سر كيس في معجمه، مضيفا إليه كنيته أبا الفتح و حين نسب محمد كامل حسين هجاء القاضي عبد الله بن محمد بن الخصيب إلى كشاجم، اعتبر أبا نصر أحد كنى كشاجم! أما محمد أسعد طلس فخلط بين الأخوين و جعلهما واحدا، معتبرا أن كشاجم لم يخلف سوى ولد واحد، بارع في الأدب كايه، و هو "أبو نصر (أبو الفرج)"، ثم أضاف كنيته

ص: ٣١٨

١- ديوان كشاجم (ط بغداد)، قط ١٧، البيت ٤، و هو: فغنيت بالأوتار حتى لم أدعنغما، و لم أغفل لهن حساب

٢- م. ن. قط ٦٤، البيت ٩، و هو: طعام إذا ما شئت باكرت طبخه على كثره من غلمتي و طهاتي

ثالثه لهذا الولد، و هي أبو الفتح، مستشهدا بالثعالبي. فكيف أصبح ابن كشاجم "أبا النصر و أبا الفرج و أبا الفتح؟! فان اعتمد الثعالبي، كما ادعى، فقد أخطأ الروايه فى قراءه النصوص، أما الشيخ عبد الحسين الأمينى فذكر ولدى كشاجم أبا الفرج و أبا نصر أحمد، و عقب على ذلك بقوله أن كشاجم كان يكنى نفسه بالثانى. و فى معجم المؤلفين، قال عمر رضا كحاله أن لكشاجم كنيته:

"أبا الفتح و أبا النصر!"

أحواله

ولد ببغداد و نشأ، و تلقى علومه الأولى الأديبه، و اللغويه، و العلميه، على كبار أساتذه الفقه و الأدب و الروايه و الطب و التنجيم، منهم الفقيهان المروزيان موسى بن إبراهيم، و إبراهيم بن أحمد، و على بن سليمان الأخفش النحوى، و المنجم يحيى بن على، و الشطرنجى الأخبارى أبو بكر الصولى، و الطبيبان إسحاق بن حنين و ثابت بن سنان و غيرهم. كما تأكد لنا أن خروجه الأول من بغداد إلى بلاد الشام كان فى حدود سنه ٣٠٠هـ، كما أنه كان يتردد إلى العراق عائدا إلى مسكنه و أملاكه ببغداد، ثم ينطلق منها ليزور مدن العراق، و قراها، و أمكنتها النزاهه، و يرتاد أديرتها، منها الأكيراح، و الأهواز، و البصره، و الكوفه، و الموصل و غيرها، كذلك تبين لنا أن كشاجم قد شهد ما حل من نكبات بالقهرمانتين فاطمه و أم موسى الهاشميه (٢٩٩هـ، ٣١٠هـ)، كما شهد محنه أساتذه الأخفش (٣١٥هـ)، و مقتل أميره أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان (٣١٧هـ)، و محنه ابن مقله، و قد امتدت من ٣١٨هـ، ٣٢٨هـ.

و قد مدح شاعرنا بعض الوزراء، و الرؤساء، و الأشراف، و الأمراء، و السلاطين، كابن مقله، و أحمد بن إسماعيل الإسكافى، و إبراهيم بن عيسى الهاشمى، و أبى القاسم التنوخى، و معز الدوله البويهى و غيرهم.

و جملة القول أن كشاجم قد سكن حلب مدته من الزمن، قد تكون فى حدود سنه ٣٠٠هـ حتى سنه ٣١٣هـ، و تعرف فيها إلى الشاعر الصنوبرى، فتأثر شعره الشامى، و حذا حذو مدرسته فى الروضيات. ثم عاد إليها مرات قبل مجيء سيف الدوله إليها سنه ٣٣٣هـ، و فى أيامه، و كان لكشاجم فى حلب دار و أملاك، و قد تغنى شعرا بحلب، و بنهرها قويق، و بساتينها النضره، و أزهارها الرائعه، و أشجارها الباسقه. و كان يزور ضواحيها المعروفه بمتنزهاتها، فيزور بانقوس، و بطياس، و دير البريج. ثم يغرب منها إلى أنطاكيه، فينعم بنهرها الأرنند، و إلى اللاذقيه حيث أصدقاؤه الأمراء التنوخيون، ثم ينحدر من حلب إلى دمشق، فيزور حمص، و ينعم بنهرها الميماس، و ديرها على شط النهر. ثم يزور (قاره)، مصطفى الهاشميين، و دمشق حيث التقى صديقه الهاشمى على بن حمزه، و ينعم بغوطه دمشق، و بديرها مران فى سفح جبل قاسيون.

و تبين لنا أن كشاجم كان يقوم بتلك الرحلات النزاهه، و الزيارات للقرى و البلدان مع جماعه من الأصدقاء، و الندماء، على رأسهم الصنوبرى الشاعر، الأنطاكى الحلبي، الذى نمت بينهما صداقه و ود عميقان، نعم كشاجم بهما مدته طويله من الزمن، فكان إذا أحس بالفتور يدب فى قلب الصديق، أسرع، فكتب له معاتبا، متسائلا، معتذرا، باذلا نفسه عن ود و أحب. و تبين لنا أن الصديقين كانا يصفان الأمكنه نفسها، و يمدحان الشخصيات نفسها، كالهاشميين على بن حمزه، و عبد الملك بن محمد، و محمد بن أحمد الرشيدى. على أن كشاجم التقى فى حلب بعض الذين أخذ عنهم الشعر، و اللغه، و الفقه، كالصنوبرى، و أبى

بكر الدقيشى، و إبراهيم بن جابر. و التقى بعض الرواه الذين أخذوا عنه كالمسعودى، و أبى بكر الزبيدى، و المظفر بن نصر بن سيار الوراق، و السرى الرفاء.

و التقى كشاجم بعض الأمراء القاده فمدحهم كالحسن بن الحسن بن رجاء، و على بن أحمد بن بسطام. و التقى من الأمراء التنوخيين عبيد الله بن إبراهيم، و الحسين بن على، فمدحهما، كذلك التقى بعض الأشراف الهاشميين و مدحهم كعبد الملك بن محمد، و على بن حمزه، و محمد بن أحمد الرشيدى.

و لعله التقى كذلك سيف الدوله فى الموصل و بغداد، قبل أن يلتقيه فى حلب، حيث انضم إلى رجال الفكر، و الأدب، و الشعر، مجتمعين فى بلاط سيف الدوله الحمدانى، مؤلفين عصبه امتازت بشعرها الشامى الذى عده الثعالبى أكثر تفوقا من أى شعر آخر. و أصبح كشاجم أحد كبار شعراء المدرسه الشاميه الوافده إلى بلاد الشام، يحتذيه الشعراء، و يضربون على قلبه.

و نرجح أن كشاجم بقى فى بلاط سيف الدوله مده قصيره، حيث نادمه، و كتب له، و ألف، ثم انسحب من البلاط الذى كان يعج بكبار الشعراء، و المفكرين، و المداحين، فانسحب متنقلا كعادته، مشرقا إلى العراق، و مغربا إلى مصر، حيث أكب على لذاذات الحياه، و هو يقول:

و ما اللذاذات إلا لمن صبا و تمردا!

و يقول أيضا:

و لا تك ألفا إلا أديبا و بستانا و ماخورا و دير

كان ينتقل بين الشام و مصر، كما كان ينتقل أيضا بين الشام و العراق. و قد سكن بغداد حيث ولد، و امتلك فيها دارا على شط دجله، لعله ورثها عن آبائه، كما سكن حلب، و يخيل لنا أنه استقر فى أواخر عمره بمصر حيث امتلك دارا بالفسطاط. و من الفسطاط كان ينتقل بين ربوع مصر، فيزور مدنها، و قراها، و أمكنتها، و محلاتها، و متنزهاتها العامره بالبساتين و الزهور، و كان ينعم بالنيل، فينتقل بواسطته من قريه إلى أخرى، فتاره يركب الخيول المضممرات، و أخرى يركب البحر، حيث يجمع بين صيد البر و صيد البحر.

ص: ٣١٩

و القصف، و لعل المرض بدأ يدب فى أعضائه و عظامه، مما جعل ابن مرحب الطيب ينصحه فى أن يكف عن العبث، و كان قد شكأ أمره إلى الطيب. و قد انتهى كشاجم بعلل كثيره، و أسقام مضنيه، عبر عنها بقوله ناديا:

حان أن تستحى الأسقام من جسمى و تخزى!

لم تدع لى منه ما فى مثله لى متعزى

حزت الأعضاء منه كلها بالضر حزا

فانا الجزء الذى من لطفه لا يتجزا

و تبين لنا أن كشاجم ندم على شبابه الذى ضاع بين العبث و القصف، فقال ناصحا الشباب:

حلل الشبيه مستعاره فدع الصبا و اهجر دياره!

لا يشغلنك عن العلى خود تمنيك الزياره

ما الفخر أن يغدو الفتى متشبعاً ضخم الجزاره

كلفا بشرب الراح، مشغوفا بغزلان الستاره!

الفخر أن يشجى الفتى أعداءه و يعز جاره!

و يروح إما للاماره سعيه، أو للوزاره!

آثار كشاجم

اتفق المؤرخون و كتاب السير، و جامعو الأشعار و الأخبار على أنه كان كاتباً يجيد الكتابه و أصولها، و الخط و أصوله. و قد ترك وراءه منهجا للكتاب يحتذى كما قال:

و لقد سنت من الكتابه للورى طرقا فسيحه

و فضضت من عذر المعانى الغر فى اللغه الفصيحه

و جعلت من كفى نصيباً لليراعه و الصفيحه

و قال أيضا:

و كم سنت رسوما غير مشكله كانت لمن أمها مسترشدا قبله

و كان شاعرا، مفتخرا بشعره:

على أنى نبى الشعر قد جئت على فتره!

فلو أنصف حسادى رأونى فوقهم قطره!

بغوا شاوى فى الشعر فما أن قطعوا شعره

و قال أيضا:

فاستمع لى - بقيت - شاميه الألفاظ حسنا، نجديه الأعراب بنت فكر كسوتها حلل الصدق فكادت تكون أم الكتاب! و كان يقول الشعر، لأنه يجد فيه ترجمه فصيحه عن النفس، و لا يقوله تكسبا، و لا تعمدا:

و لئن شعرت لما تعمدت الهجاء و لا المديحه لكن وجدت الشعر للآداب ترجمه فصيحه و ترك كشاجم وراءه كتاب ديوان شعر بمائه ورقه، كما حسبه النديم فى فهرسته، و كان أديبا باحثا، فألف كتاب أدب النديم، و كتاب خصائص الطرب و كتاب الرسائل، و كتاب الطرديات فى القصائد و الأشعار، و كتاب كنز الكتاب.

و كان عالما باحثا، فترك وراءه كتبا منها كتاب البزيره المعروف بكتاب النزه، و كتاب الطيخ، و كتاب المصايد و المطارد. و كان جامعا، راويا، كثير الحفظ و الروايه، أخذنا بتلابيب الجدل و علم الكلام. و قد ظهر راويه جدليا فى كل مؤلفاته المذكوره. و كان منجما، كثير الاهتمام بالنجوم، و طوالعها، و أبراجها، و آلاتها المستحدثه، و قياساتها، و طبائعها. ففى معرض أبحاثه و أشعاره جاء على ذكرها، فوصفها، و تحدث عنها. و كان موسيقيا، مرهف الحس، يضرب على العود، و يجيد اللحن، و قد ألف فى الطرب كتابا كما أشرنا إليه سابقا، و كان يلحن أشعاره ليغنيها المغنون و القيان، فمن قوله:

و نظمنا شعرا مليحا فغناه بلحن يحيى به الأمواتا

و قوله:

فغنيت بالأوتار حتى لم أدع نغما و لم أغفل لهن حسابا

و ألفتها فأغار ذاك على يدي قلمى، و عاتبها عليه عتابا

و قوله أيضا:

ثم استهلت فغنت و هى محسنه فى بعض أبيات قلته فيها

و لم أزل دون ندمانى مقترحا شعرى عليها، تغينى و أسقيها

و جمله القول كان كشاجم واسع المعرفه، كثير الاطلاع على علوم متعدده، أجاد التأليف فى بعضها، و كان قد تعلم العرييه على

على بن سليمان الأـخفش الصغير النحوى، و أخذ الغريب عن أبى بكر الدقيشى، و الفقه على الشافعيين الابراهيميين ابن أحمد المروزى، و ابن جابر، و تـاثر بالمدرسه الغنائيه الحجازيه، فاخذ لحن معبد، و ابن سريـج، و الغريـض، و جالس المنجمين، و نادهم كيحيى بن على المنجم، و تـاثر بمذهب النوبختيين فى التنجيم، فاخذ عن أبى سهل إسماعيل بن على النوبختى، و اهتم بآلات النجوم، و أبراجها، و درس علم الطيـخ، و التغذيه و فوائدها و مضارها، متأثرا بالأطباء الذين ألفوا فيهما.

و أخذ الطب البشرى عن جالس من الأطباء المعروفين كإسحاق بن حنين، و ثابت بن سنان و غيرهما من غير المشهورين كابن مرحب. و قرأ كتبهم الطبيه، و كتب غيرهم ككتب بقراط، و يوحنا بن ماسويه، و ابن الجزار و لا-سيما زاد المسافر. على أن اهتمام كشاجم بالصيد و الجوارح و الحيوان، جعله يعنى بالطب الحيوانى، فكتب فى البيطره، و أشار إلى أمراض الطيور و علاجها، و غير ذلك.

و قد جمع كشاجم علومه المتعدده، و مهاراته الكثيره فى كتب، منها معروف منشور، و منها مجهول أو مفقود. أما الكتب المنشوره التى فى حوزتنا فهى كتاب ديوان شعره(١)، كتاب المصايد و المطارد(٢)، كتاب أدب النديم. (٣) و فى حوزتنا نسخه مصوره من مخطوط كتاب البزيره المعروف بكتاب النزه(٤).١.

ص: ٣٢٠

١- نشر الديوان مرتين، سنه ١٣١٣ هـ/١٨٩٥ م، فى المطبعه الإنسيه ببيروت، و سنه ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م، فى مطبعه دار الجمهوريه ببغداد.

٢- نشر كتاب المصايد و المطارد سنه ١٩٥٤ م، فى مطبعه دار المعرفه ببغداد، تحقيق محمد أسعد طلس.

٣- نشر كتاب أدب النديم سنه ١٢٩٨ هـ/١٨٨٠ م، فى المطبعه [المطبعه] الأميريه ببولاق.

٤- مخطوطه غوطا، رقم ٢٠٩.١.

أما الكتب الباقية، المجهولة أو المفقودة، فهي: كتاب الرسائل، وقد ذكره النديم في فهرسته، كتاب كنز الكتاب، وقد ذكره القلقشندی في صبحه.

أما حاجي خليفة فقد ذكر في كشفه بالاضافه إلى أدب النديم، و الديوان، و المصايد و المطارد، كتاب خصائص الطرب، و كتاب الطبخ، و كتاب الطرديات في القصائد و الأشعار.

كتاب ديوان شعره

أن أول من أشار إليه من المؤرخين هو النديم في فهرسته، ثم الثعالبي في يتيمة، و ياقوت الحموي في معجمه، و ابن خلكان في وفياته، و حاجي خليفة في كشفه، ثم تناقله المؤرخون القدماء و المحدثون. و قد غلب على كشاجم الشعر، فلهج المؤرخون، و الباحثون، و الرواه في الأخذ من شعره في مواضيع شتى.

أما المخطوط الذي اعتمده النديم فيقع في مائه ورقه. و قد حصلنا على مخطوطات مصوره للديوان، فوجدنا أن مخطوط برنستون (١) (نسخ ٥١٤هـ)، يقع في ١١٧ ورقه، و عدده أبياته ٢٧٦٢ (٢)، و مخطوط دار الكتب المصريه (٣) (نسخ ١٦٠٣هـ)، عن أقدم مخطوط، جمعه أبو بكر الحمدوني في القرن الرابع الهجري، أيام ابن كشاجم، أبي الفرج أحمد، يقع في ١٧٥ ورقه، و عدده أبياته ٣٣٢٢، و مخطوط بكرى شيخ أمين (نسخ القرن السادس أو السابع هـ ظنا)، و هو مخطوط نادر، غير مسجل في أى دار أو مكتبه، يقع في ١٥٦ ورقه، و عدده أبياته ٣١٦٣، و مخطوط المتحف البريطاني (نسخ ١٠٥٤هـ)، يقع في ٩٤ ورقه، و عدده أبياته ٣٠٦٣، و مخطوط لينغراد (نسخ ١٠٥٥هـ)، يقع في ٨٠ ورقه، و عدده على أن النديم و الثعالبي و من بعدهما تنبهوا لما دخل ديوان كشاجم من شعر غيره، و لا سيما الخالديين.

كان السرى الرفاء مغرى بنسخ ديوان أستاذه كشاجم، لإعجابه به، و للارتقاق أيضا، فكان يدس فيه ما حسن من شعر الخالديين ليكبر حجمه، و يغلى سعره من ناحيه، و من ناحيه أخرى ليثبت ما كان شائعا عن الخالديين بأنهما كانا إذا استحسنا شيئا غصبا صاحبه حيا أو ميتا، لا عجزا منهما عن قول الشعر، و لكن كذا كانت طباعهما! على حد قول النديم.

كتاب أدب النديم

و قد ذكر النديم في فهرسته كتاب أدب النديم، و ذكره حاجي خليفة أيضا في كشفه، ثم تناقله المؤرخون و الكتاب.

نشر هذا الكتاب مرتين، مره ببولاق سنة ١٢٩٨هـ، و ثانيه بالاسكندريه سنة ١٣٢٩هـ بعنوان "آداب الندماء و لطائف الظرفاء". و نرجح أن الطبعين هما للمخطوط نفسه، لكن ناشر الطبعه الثانيه ألحق به قصيده لأبى فراس الحمدانى. على أن بروكلمان حين أشار إلى كتاب أدب النديم، لم يذكر أنه طبع، إنما ذكره مخطوطا ببرلين و القاهره، و قال عنه أنه "مجموعه من الحكايات و الأشعار"، يوجد "في برلين، ١٠٩٤، و فى القاهره أول ٢٠:٤، القاهره ثانى: ٩:٣".

ثم ذكر بروكلمان كتاب آداب الندماء و لطائف الظرفاء المنشور بالاسكندريه، كأنه كتاب آخر، يختلف عن كتاب أدب النديم. أما أبو ذؤيب و لفسون فقد أشار إلى أن أدب النديم طبع مرتين، مره ببولاق، و مره أخرى بالاسكندريه بعنوان أدب الندماء و

لطائف الظرفاء، و أشار بروكلمان إلى أن عدده صفحاته ٦٢، و يليه قصيده لأبي فراس الحمداني.

و كتاب أدب النديم يحتوي على مقدمه، و ثلاثه عشر بابا، و هي: "باب مدح النديم و ذكر فضائله، باب أخلاق النديم و صفاته، باب التداوى للمنادمه، باب الشرب و كثرتهم و قلتهم، باب السماع، باب المحادثه، باب غسل اليد، باب إداره الكأس، باب الإكثار و الإقلال، باب طلب الحاجه و الاستماحه على النبيذ، باب هيئه النديم و ما يلزم لرئيسه، باب ما يلزم الرئيس لنديمه، باب الأدب فى الشطرنج".

كتاب المصايد و المطارد

لم يذكر النديم فى فهرسته كتاب المصايد و المطارد، و لم يذكره بين الكتب التى أشار إليها فى البيطره و الجوارح.

و نرجح أن النساخ خلطوا كثيرا بين مؤلفات كشاجم التى تناولت موضوع الصيد و الطرد، كما ادعى بعض الكتاب لأنفسهم بعضها. فالكتب: المصايد و المطارد، و البيزره، و البزيره المعروف بكتاب النزه، و نزهه الملوك (الصيد و الطرد عند العرب)، و الطرديات، جميعها تدور حول موضوع واحد و هو الصيد و الطرد، و ما يتبعهما. و من المحتمل أن يكون النساخ قد غيروا عناوينها أو استبدلوها فى سياق نسخهم لها، أو تلخيصها. و من المحتمل أيضا أن الذين ادعوا بعض كتبه، أو اختلسوها، هم الذين غيروا عناوينها و مقدماتها! على أن الغموض لا يزال قائما، و الظنون لا تزال أيضا حائمه حول بعضها، و ستبقى حتى يتبين ما يعيدها إلى مؤلفها كشاجم، أو يعيد بعضها.

إن أقدم من أشار إلى كتاب المصايد و المطارد هو ابن خلكان فى وفياته.

حيث نقل عنه فى مواضع مختلفه.

و أول من اهتم بمراجعته مخطوط المصايد و المطارد هو ولفنسون، و كان قد عهد إليه الأمير عبد الله بن الحسين بمراجعته من نسخه مصوره فى جامع الفاتح بالآستانه، ففعل.ف.

ص: ٣٢١

١- رقم مخ برنستون [(٢٣ (١٧ H)، نسخ ابن المقرون، الخط نسخى كبير واضح مشكول جزئيا. فى ورقه العنوان أما يلى: "ديوان أبى الفتح محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم" .. و فى آخر المخطوط ما يلى: "تم جميع شعر كشاجم و الحمد لله، و صلواته على سيدنا محمد النبى، و آله الطاهرين الأخيار، وقع الفراغ منه فى يوم السبت، تاسع عشر من صفر، من أربع عشر و خمسمائه، كتبه ابن المقرون" (ورقه ١١٧ أ - ب).. القصائد غير مرتبه على الحروف.

٢- خيريه محفوظ، محققه ديوان كشاجم، م ١٤، ناجى هلال، هوامش تراثيه ١١٦.

٣- رقم مخطوطه دار، الكتب المصريه، ٤٥٧٩ أدب، الناسخ مجهول، نسخه عن أبى بكر محمد بن عبد الله الحمدونى، معاصر أبى الفرج، ابن كشاجم. الخط نسخى، واضح، مشكول. ورقه العنوان غير موجوده. فى آخر المخطوط "قال أبو بكر محمد بن عبد الله الحمدونى: هذا جميع ما وقع إلينا من شعر أبى الفتح محمود بن الحسين، الكاتب المعروف بكشاجم، و ما صح عنه قد

جمعتة، و ألفته على حروف المعجم ليكون أقرب مأخذا، و أنجح مطلباً لمن رامه. و بعد ما اتفق تأليفه على هذا الحد لقيت (ورقه ١٦٨٨ ب)، أبا الفرج بن كشاجم بالرى فانشدنى لوالده ". (ورقه ١٦٩ أ). ثم روى له ٩٩ بيتاً.. و فى آخر المخطوط ما يلى: " آخر ما وجدنا من شعر أبى الفتح كشاجم الحمد لله على نعمه، و صلى الله على سيدنا محمد النبى و على آله و سلم، و حسبنا الله و نعم الوكيل. فرغ كاتبه من نقله فى الحادى و العشرين من ربيع الأول سنة ثلث و ستمائة بحلب المحروسه " (ورقه ١٧٥ أ). قصائده مرتبه على الحروف.

و نرجح أن كتاب نزهه الملوك، الذى نشره محققه بعنوان "كتاب الصيد و الطرد عند العرب"، ما هو إلا- تلخيص ذكى، و اختصار مفيد، و تفرغ مقصود من الشعر لكتاب المصايد و المطارد، و كتاب البزيره المعروف بكتاب النزه!

الكتب المفقوده أو المخطوطه

أما المؤلفات الأخرى فلا نعرف عنها كثيرا، و لا نعرف هل هى مخطوطات، أو مفقودات، منها كتاب خصائص الطرب، و كتاب الرسائل، و كتاب الطرديات فى القصائد و الأشعار، و كتاب كنز الكتاب، و كتاب الطيخ.

السيد مرتضى العلوى البحرانى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان شاعرا بليغا فصيحاً و كان أروع فضلاء زمانه و له كتاب (القصائد و المراثى) مات سنه ١١١١ و من جمله قصائده الفاخره فى رثاء أهل البيت منها:

إذا لم يكن بد من الحزن و البكاء فلا تجزعن الا لآل محمد

أصابتهم أيدي المصائب فاغتموا بأسوا! حال فى الزمان و انكد

رمتهم بنبل الحقد آل أميه فمن بين مسموم و بين مشرد

إلى أن قال:

بكم آل طه همتى و مدائحى و حزنى و تذكارى و حسن توددى

أنا العلوى المرتضى عبد عبدكم و أنتم حماتى فى حياتى و فى غد

الشيخ مغامس الحجرى البحرانى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو أحد الأدباء، و واحد النجباء جمع مع الأدب علوما كثيرا و له ديوان معروف فى الرثاء مشتمل على أشعاره البديعه و عباراته المنيعه و من قصائده:

تذكر ما احصى الكتاب فتابا و حاذره من مس العذاب فدابا

بكى ذنبه و استغفر الله ربه و نادى منادى رشده فأجابا

تذكر أوزارا جناها بجهله و أشفق من أوزاره فانابا

رأى السعى فى الدنيا خلا سعى بلغه ضلالا و للأخرى نراه صوابا

فلأم على التفریط فى السعى نفسه فقال لها عدلا لها و عتابا

إذا كانت الدنيا غرورا لطالب فكيف تخيرت الغرور طلابا

إلا فاستقبلى و ارجعى مطمئنه إذا شئت فوزا أو خشيت عقابا

إلى أن قال:

و لو دام عيش فى الزمان لأهله لدام لأولاد النبى و طابا

أ ما سمعت أذناك ما قد جرى لهم غداه أناخوا فى الطفوف ركابا

لقد ضربوا فى جانب الكرب و البلا و قد ضربوا فى كربلاء قبابا

إلى أن قال:

و حاشا و كلاً أن يخيب مغامس و قد شب فى مدح الهداه و شابا

الدكتور مصطفى جواد

مرت كلمه عنه فى الجزء الأول من المستدركات و نضيف إليها هنا ترجمه ماخوذه مما كتبه هو بنفسه:

ولد فى العقد الأول من القرن العشرين فى محله القشله من الرصافه فى بغداد من والد خياط كان دكانه فى سوق الخياطين قرب خان مرجان الذى أصبح الآن متحف الآثار العربيه فى شارع السموأل من محله باب الآغا، و لفقد والده بصره غادر بغداد محل عمله و مقر سكنه إلى دلتاوه التى تعرف الآن بالخالص حيث اشترى بساتين يعيش من غلتها.

و لما بلغ سن المدرس سلمه والده إلى معلمه أطفال لقتته بعض القرآن الكريم، ثم نقله والده إلى مدرسه دلتاوه الابتدائيه، و من معلميه فيها عبد المجيد الأعظمى الذى تدرب عليه فى خط الرقع، و فى هذه المدرسه نجح إلى الصف الثالث، و فى شتاء السنه الدراسيه فى هذا الصف، أى فى سنه ١٩١٧، احتل الجيش الانكليزى دلتاوه معقبا الجيش العثمانى المنسحب نحو الشمال، و كان والده قد توفى قبل ذلك بقليل فلم يتسن له الاستمرار على الدراسه و انصرف إلى العنايه بالبساتين التى خلفها والده له و لأخيه

الأكبر ولأخواته الست من زوجي أبيه: أمه وضررتها، ثم حدث نزاع بين والدته وأخيه من أجل الوصيه عليه والاشراف على أموره، لأنه كان حينئذ قاصراً، فنقله أخوه إلى بغداد وأدخله المدرسه الجعفرية الأهليه، و لتلكؤ أخيه عن تسديد أجره المدرسه ضنا بالنفقه عليه انتقل إلى مدرسه باب الشيخ الابتدائيه، ثم ترك هذه المدرسه و التحق بوالدته بعد أن حصلت على حكم الوصايه عليه، وقد قاسى من الفقر والحرمات والضنك وشطف العيش ما يحزن ويؤلم.

ص: ٣٢٢

هجومها، و وضع الإنكليز شرذمه من الرجال بأيديهم آلات من الخشب تدار فتحدث أصواتا كأصوات الرصاص المنطلق من الأسلحة النارية، فلما خرج الثوار إلى مكان الأصوات كان الجيش الانكليزي يترصدهم و قد كمن لهم في طريقهم وراء أشجار الصفصاف القائمه على ضفاف الأنهار، فلما صار الثوار على مقربة من الجيش الانكليزي أمطروهم بوابل من الرصاص، فقتل من قتل و جرح من جرح و تشتت الباقون، و دخل الجيش الانكليزي دلتاوه و فعل بأهلها الأفاعيل من قتل الرجال و تشريد العيال و قطع الأشجار و حرق الديار، و كان هو فيمن خرج لمشاهده الطياره التي قيل أنها أسقطت فلم يجد سوى الخراطيش الفارغه، و لما رأى دلتاوه قد صارت في قبضه الجيش الانكليزي يصنع بها ما يشاء أشفق من الرجوع إلى داره و لاذ هو و صبيه آخرون بالبساتين التي قضوا فيها ليله ليلاء ثقيله السحاب ماطره شديده الريح.. و بعد أن عادت الأمور إلى مجاريها و استتب الأمن في دلتاوه أمر الإنكليز بفتح مدارسها، أما هو فقد انصرف إلى العمل في بساينه عاقدا العزم على المضى في عمله هذا، و لكن ذات يوم رآه ابن مدير المدرسه الذي حبب إليه دخول المدرسه فدخلها على قلبه ما يصيبه من الغله و ضيق ذات يده و شدة حاجته حتى أنه لم يكن في وسعه أن يشتري حذاء له بدلا من حذائه القديم البالي المتهرى، و لما صار في الصف الخامس علم أن في بغداد " دار المعلمين الابتدائية " تقبل الطلاب فيها بعد الامتحان، فغادر دلتاوه إلى بغداد و بعد أن نجح في الامتحان قبل في هذه المدرسه التي قوى فيها ميله إلى دراسه العرييه و ظهرت رغبته في نظم الشعر حتى أنه أخذ يكتب مواضيع الإنشاء نظما و نثرا مما جعل مدرس الإنشاء يعجب به و يثنى عليه، و عند تخرجه من هذه المدرسه عين معلما في مدرسه الناصريه الابتدائية التي بعد أن قضى فيها نحو سنه و نصف السنه نقل إلى مدرسه السيف الابتدائية في البصره، و منها إلى مدرسه الكاظميه الابتدائية، و منها إلى مدرسه دلتاوه الابتدائية، ثم اختير للتحرير في وزاره التربيه و التعليم التي كانت تدعى حينئذ وزاره المعارف، ثم أصبح معلم اللغه العرييه في المدرسه المأمونيه الابتدائية. و عند ما كان معلما في هذه المدرسه نشر كتاب (الحوادث الجامعه) و بحوثا علميه في مجله (لغه العرب)، و في سنه ١٩٣٢ صار مدرس اللغه العرييه في المدرسه المتوسطة الشرقيه، و استمر على نشر آثاره نثرا و شعرا و نظما في مجله (لغه العرب) و مساعده صاحبها اللغوي الشهير الأب انستاس ماري الكرملى في تحريرها مجانا.

و في سنه ١٩٣٤ سافر إلى باريس و دخل كليه السوربون لنيل شهاده (الدكتوراه) في الأدب في موضوع (سياسه الدوله العباسيه في أواخر عصورها)، فظفر بما أراد، و بعد رجوعه إلى العراق في سنه ١٩٣٩ عين أستاذا في دار المعلمين العاليه، ثم نقل منها إلى مديريه الآثار القديمه العامه التي عين ملاحظا فنيا فيها، ثم رجع إلى التدريس في دار المعلمين العاليه التي صارت تسمى كليه التربيه بعد إنشاء جامعته بغداد، و في عمله هذا بقي إلى آخر أيامه و أن أقعده المرض العضال في داره و حال بينه و بين النهوض بعمله الرسمي.

و قد انتخب عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي في دمشق، ثم عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي، و نشر كثيرا من شعره في المجلات و الصحف، و نقل إلى العرييه رباعيات الشاعر الرياضى الفيلسوف عمر الخيام و رباعيات الأديب الايراني حسين قدسى نخعى، و ترجم و شارك في ترجمه الكثير من الكتب و التعقيب عليها، و له فصول مستفيضه في التراث الشعبى العراقي و معلومات واسععه عن المقام العراقي و أشهر الذين أتقنوه و برعوا فيه. و قد جمع شعره بخطه (الرقعه) في دفتر أراد أن يخرج ديوانا يسمى (الشعور المنسجم في الكلام المنتظم)، بيد أن المنيه أدركته قبل أن يحقق أمنيته، فما زال هذا الديوان مخطوطا و من شعره قصيدته (باريس قبل الحرب) التي نظمها سنه ١٩٣٩ و فيها يقول:

رمت حسره بالفجر فارتعب الفجر و آهت لآتى البين فاضطرب الصدر

وددت لو الدنيا يزول انتظامها و بالليله الليلاء يستنفد العمر
تجلدت حتى حطم الكظم أضلعي و كاد من العينين ينشر الجمر
فيا حسره طال اکتثابي بذكرها و يا آهه ما زال يعقبها البهر
لئن مزقت قلبي و أوهت حشاشتي لقد تركت عزما يدين له الدهر
أرى بارق الآمال يدعو عزيمتي إلى خطه خشناء يعقبها النصر
حللت بباريس و بباريس جنه على غير حكم الله يجرى بها الأمر
حدائقها غلب تناهى جمالها ففاح بها روح الطبيعه و العطر
و فيها ذوات الحسن من كل كاعب بهاله شعر و المحيا هو البدر
تكللها سود الشعور و شقرها فاسودها و حف و أشقرها تبر
يكاد يطير القلب أما تباغمت بانغام صوت حشوه السحر و الشعر
فمن شاء حسنا فهو فيها موفر و من شاء علما فهي فى علمها بحر
و من شاء آدابا رأى خيرها بها فان الفرنسيين ما فيهم كبر
و من شاء إيمانا فللدين حرمه و من شاء إلحادا فما عدم الكفر
و قصيدته (ولدى):

يقول: بابا، إذا ما مضه الألم أو يذرف الدمع و هو الشاهد العلم

بابا و ماما و لا منطوق غيرهما هما لعمرى لديه المنطق الخدم

بابا فدى لك يا روحى و عاقبتى إذا بقيت و أفنى جسمى العدم

لا تحرجوه فبابا عنده وزر أو تؤلموه فدمع العين يحتدم

كان بابا هو الدنيا بأجمعها و أن ماما اله رازق لهم

يقولها راضيا أو غاضبا حرذا فالخير بالشر فى باباه ملتئم

يقول: بابا و يومئ لى فاحمله كما يشاء فانا عنده خدم

و أن خرجت ينادينى بلهجته بابا فتثبت من تلقائها القدم

أن يحتكم فهو حكم لا يعقبه نقض و إنفاذه فرض و ملتزم

يجمع الصوت فى تبيان ماره من غير ميز و لكننا له فهم

و طالما كنت استصبى فارقصه فإنما أنسه الترقيص و الرنم

و قصيدته (الشاعر) التى منها:

من بنى الأرض و اصطفته السماء فتجلى فيما يقول البهاء

عاشق للكمال صب برشد ضاق عن بعض ما يريد الفضاء

يتحرى الجمال فى كل ليلى فهو مجنونها و ليلى الشفاء

كان أحرى بان يكون نبيا فى سجايه ما يرى الأنبياء

و من آخر شعره البيتان الحزينان المؤلمان التاليان اللذان يفيضان أسى و لوعه لطول ما عانى من الآلام و فرط ما تجرع من

العذاب و الأحزان و ليقينه بدنو منيته و قرب نهايته:

ص: ٣٢٣

و أننا لننشر مع هذه الترجمة مقالا له بعنوان (اللغة العربية و العصر) لنعطى صورته عن تفكيره و أسلوبه، مما يكمل ترجمته:

بدأ عصر يقظه اللغة العربية الأخير في أواسط القرن الثالث عشر للهجرة النبويه الجليله، و كان عصر يقظه هذه موافقا للثلث الأول من القرن التاسع عشر للميلاد، بدأ ذلكم العصر في مصر بترجمه الكتب الإفرنجيه العلميه و التاريخيه و الاجتماعيه و الفلسفيه إلى اللغة العربية ككتاب "منتهى الأغراض في علم شفاء الأمراض" من تأليف بروسيه و سانسون الطبيين الفرنسيين الكبيرين، و ترجمه يوحنا عنحوري، و قد طبع ببولاق سنه ١٢٥٠ هـ ، ١٨٣٥ م. و كتاب "ضياء النيرين في مداواه العينين" من تأليف لورانس أحد أطباء العيون الإنكليز، و ترجمه أحمد حسن الرشيدى، و كتاب "مطلع شمس السير في كرلوس الثانى عشر" من تأليف فولتير الكاتب الفرنسى الكبير الشهير و ترجمه محمد أفندى مصطفى البياع أحد خريجي مدرسه الألسن، و قد طبع ببولاق سنه ١٢٥٧ هـ ١٨٤٢ م و هو تاريخ كرلوس الثانى عشر ملك السويد "١٦٩٧ - ١٧١٨" و كتاب "الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر" تأليف فولتير أيضا، و نقل أحمد عبيد الطهطاوى، و "إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى أوروبا" من تأليف روبرتسون أحد المؤرخين الإنكليز، نقله من الفرنسيه إلى العربية خليفه محمود، أحد خريجي مدرسه الألسن أيضا، و "الدراسه الأوليه فى الجغرافيه الطبيعيه" من تأليف فيلكس لامروس، أحد العلماء الفرنسيين، نقله من الفرنسيه إلى العربية أحمد حسن الرشيدى المقدم ذكره آنفا، و "الجغرافيه العموميه" من تأليف مالت برن من العلماء الفرنسيين، نقله من الفرنسيه إلى العربية رفاعه رافع الطهطاوى، و "تنوير المشرق بعلم المنطق" من تصنيف دومارسيه، و نقل خليفه محمود المذكور فى الكلام على إتحاف الملوك.

و لا أود أن أرسل عنان القلم لذكر أسماء الكتب المترجمه غير التى ذكرت خشيه الاسام و الإملا، ففى كتاب تاريخ ترجمه و الحركه الثقافيه "تبيان لها و لموضوعاتها المختلفه(١)، فقد شمل النقل عامه العلوم حتى الطب البيطرى، و قد سماه المترجم "علم البيطريه". و كان المترجمون من الشاميين و المصريين، و لم تكن الثقه بعباراتهم كامله، فندب لتصحيح ترجمتهم و تحريرها، شيوخ أزهريون، و لم نعلم كيف كان هؤلاء الشيوخ الفضلاء يزاولون التصحيح و التحرير، فان الإصلاح اللغوى لترجمه الكتب العلميه و الكتب الفنيه ينبغى له أن يكون مبنا على حفظ مقاصد المؤلف و معانيه، قبل كل شىء، يقول الشيخ مصطفى حسن كساب محرر الكتب المترجمه فى مدرسه الطب البيطرى، فى تصدير أحدها: "و قد سميت هذا الكتاب روضه الأذكياء فى علم الفسيولوجيا". و يقول فى تقديم كتاب آخر فى هذا العلم: "فجاءت - يعنى رساله - بعون الله مرتبه المباني، مهذبه المعانى و سميتها البهجه السنيه فى أعمار الحيوانات الأهليه".(٢)

و منذ ذلكم العصر اتصل الغرب بالشرق، اتصلا- علميا و كانت النهضه العلميه الغربيه قويه كالغاره الشعواء، و التقدم العلمى كالسيل الجارف، فكثرت المخترعات كثره هائله، و وفرت المبتدعات و فاره طائله(٣)، و تنوع نتاج العقول، و اختلفت ألوان المعقول، و تفتقت الأذهان عن علوم و فنون عجيبه غريبه، نظريه و علميه، و الشرقيون و خاصه العرب غارون غافلون عنها، و مشغولون بما مناهم الدهر به من سلطان جائر، و جد عاثر، و تشتت و تفرقت، و ارتكاس و انتكاس فى العلم و الفن و الأدب و الثقافه عامه، ما عدا الذى أشرنا إليه من نهضه الترجمة فى مصر، و نضيف إليه استيقاظا فى لبنان، لا يعيننا ذكر مصدره.

و كانت الدوله العثمانيه هى المهيمنه على عامه أصقاع العرب و أقطارهم و بلدانهم حتى الحرمين الشريفين مكه و المدينه، و كانت أقرب الدول الشرقيه إلى أوروبا، فقد امتدت فتوحها إلى أواسط أوروبا، و لكنها بقيت متخلفه فى الحضاره و العلوم و

الفنون سوى الخط و الرسم، و لما بهرتها النهضه العلميه الأورويه و النهضه الفنيه لم تجد في لغتها التركيه ما يوازيها فعمدت إلى اللغه العربيه كما عمدت قديما إلى الإسلام و فقهه و حديثه و آدابه فاختارت منها أسماء للمسميات الأورويه على حسب إدراكها لمعاني تلكم الأسماء، و على نحو ما فهمته من استعمالها قديما عند العرب، فاختارت "التفتيش" و المفتش و المدير و الاداره و المباشر و المستنطق و الضابط و الملازم و قائم المقام و المتصرف و اللواء و مير لواء "أمير اللواء" و الفريق و الصنف و للمدرسه و الجيش، و المراتب و السفاره، و الممتاز و الافتخار و المرصع و المشير و المشيريه و المستشار، و العزه و الرفعه و السعاده و الفخامه و الفضيله و الخزينه بدلا من "الخزانه"، و الوكاله للمحاماه، و الوكيل للمحامى، و التمايز من الرتب، و المدعى العمومى، و العضو و معاون، و المقيد و القيد، و الواردات و المصرف و المصارفات، و الأوراق و التحريرات و المعارف، و المعلومات و الإملاء، و اللسان "للغه" و الإعلام، و الإعلانات، و الإخطار و الإخطارات، و الطبع، و المرتب و الترتيب للحروف، و الاستئناف و التمييز، و البدايه، و الجزء و الاجراء، و الضبط "لكتابه المحكمه"، و المنحل "للشاغر"، و الكشف، و المخابره أى المناباه، و الشعبه، و المكتب "لمدرسه الصبيان و الصبايا"، و الموزع، و الرسوم و الرسومات، و التحقيقات، و المركز، و الصحه، و الولايه و القضاء و الناحيه، و الهيئه و الضابطه "و النفر" للواحد"، و الـ"يكون" للحساب"، و القلم و الدائره "للكتابه ديوانها"، و الاعدادى "للدرس"، و الرؤساء الروحانيون، و علم الثروه "للاقتصاد" و الأدبيات "لعلم الأدب"، و المبصر "لمرشد المدرسه"، و الإناث "للطالبات"، و الذكور "للطلاب" - أعنى البنات و البنين -، و الشهاده، و أركان الحرب و الرديف و الاحتياط و اللوازم، و الجراح، و البيطر "لخيل الجيش"، و الفرقة "لعدد معين من الجند"، و الصندوق "لبيت المال" فى مدينه أو بلد، و أمين "لخازن بيت المال"، و النفوس "لإحصاء السكان"، و البحريه، و الموازنه "بين الواردات و المصروفات"، و الحاصلات للجبايه، و المعاش، و غيرها.

و اشتقوا "المحكمه" و الأمر و المحاسب و المحاسبه و المطبعه و اللياقه و المتحيز للمتميز و ابتدعوا الابتدائيه و الرشديه و الألفيه و البلديه و الداخليه و الخارجيه و الماليه و العدليه و الضبطيه و الرسميه و القرطاسيه و اليوميه و الأمرىه و المأموريه، "؟

ص: ٣٢٤

١- تاريخ الترجمة و الحركة الثقافيه، تأليف جمال الدين الشيال " ص ٤٩ و ما بعدها "نشرته دار الفكر العربى سنه ١٩٥١ و طبع فى مطبعه الاعتماد بالقاهره.

٢- المرجع المذكور.

٣- اشترط اللغويون فى استعمال " الطائل " للكثيره و الفائده أن يكون فى منفيه كان يقال: هذا لا طائل فيه و لم يحل منه لطائل. و مع ذلك لم يلتزم المولدون قولهم، فكيف نلتزم ذلك من " الطائله "؟

و الجزائيه و غيرها، و ما لم يهتدوا إلى اسم له فى العربيه نقلوه بلفظه كالتلغراف و لغزته "للجريده" و الفابريقه "للمعمل" و المداليه "للوسام" و القنال (١) "للنهر الصغير غير الطبيعى" و الماكنه و الماكنيست "لصاحبها"، و الجاندرمه و الشيفره "للمترجم"، و البوسته و القونسل و الجناستيق و الاستاتيستيق "للاحصاء" و البانق "للمصرف" و الترامواى و القوزموغرافيا و القرانته "لدار العزل الصحى" و غيرها مما لا يحضرنا الآن.

أن التعليم و الترجمه و ما سمي "الصحافه" نهضت فى البلاد العربيه فى نصف القرن الأخير نهوضا سريعا، فترجمت الكتب العلميه و الكتب الفنيه و الكتب الأدبيه للتعليم و التدريس، و انتشرت الصحافه فى البلدان العربيه بجرائدها و مجلاتها و نشراتها الأخرى، فنقلت ألوان المعارف، و مختلف الفنون حتى الشئون العسكريه و البلاغات الحربيه، فضلا عن الأخبار السياسيه و الأنباء العالميه و الحوادث البشريه، و كان من غريب ما حدث فى هذا الأمر أن كثيرا من النقله و المترجمين اغتروا بمعرفتهم اللغات الأعمجيه كالفرنسيه و الإنكليزيه و الألمانيه و الايطاليه، و لم يتقنوا اللغه العربيه و لا- تبجروا فى علم مصطلحاتها و مولدها، فترجموا الكلمات العلميه و الألفاظ الفنيه كيفما اتفق لهم، إلا أفرادا أفلأ كجمعهم (٢)، لا- يجوز لنا أن ننكر إحسانهم للنقل و فضلهم فيه، و كان واجبا على المسيئين للترجمه و النقل أن يتقنوا العربيه كما أتقنوا اللغه الأعمجيه، و لكنهم استهانوا بالعربيه - قاتلهم الله - مع اعتماد شطر من أرزاقهم عليها، فجاءت ترجمتهم شوهاء و رهاء مرهء.

و تسمح أهل الصحافه و تساهلوا فى كثير مما ينشرونه، فى نحو العربيه و صرفها و بيانها، لأن من عادتهم السرعة، فضلا عن إسراعهم النقل و ترجمه، فشاعت تراكيب ركيكه و مصطلحات فجه، ان جاز أن تسمى مصطلحات (٣) و فشا الفساد فى العربيه، و خصوصا ما ترجم إليها مما يسمى "الروايات" أى القصص و الحكايات، و شاع استعمال الناشئه للفساد من التراكيب و المساء استعماله من الكلم، كقولهم "كم هو جميل و كم هى جميله؟" بدلا من "ما أجمله و أجمل به و ما أجملها و أجمل بها، و ما كان أجملها!" و "الرتل الخامس" بدلا من "الرسل الخامس" و "هدف إلى الغايه" بدلا من "رمى إليها و استهدفها" (٤) و توخاها و قصد إليها" و "استهتر بالقانون" بدلا من استهان و تهاون به، و خالفه و خرج عنه و تعدى حدوده، مع أن الاستهتار بالقانون هو العنايه به و التمسك به كل العنايه و التمسك، و لا يزال هذا الفساد مستداما، حتى أصبحنا نسمع من يقول "فلان يسافر أمس و فلان يجتمع أمس هو و فلان" أو يقول عصرا "الرئيس يؤدى صلاه الجمعه فى المسجد الفلانى" مع أن صلاه الجمعه تصلى قبل العصر، باستعمال المضارع الذى لا صلح له بالماضى، للزمن الماضى البحت، كان المضارع إذا جاز استعماله لهذا المعنى فى لغه أعمجيه و جب أن يستعمل كذلك فى العربيه، و كذلك القول فى "عكس رغبات الشعب" و يراد به "أعرب عنها و صورها و مثلها و أبانها و أوضحها و حكاها" مع أن العكس هو القلب و النكس و رد الأول على الآخر و الجذب يضغظ إلى الأرض و الصرف، فهذا من التعابير الإفرنجيه التى لا نسيغها و لا تسوغها العربيه، أ رأيت لو تعلم الناشئ أن "عكس مقصده" يعنى أعرب عنه و صوره ثم قرأ قول جمال الدين محمد بن سالم الحموى القاضى الفيلسوف: "و فى المحرم من هذه السنه (٥٧٢هـ) توفى القاضى كمال الدين الشهرزورى و عمره ثمانون سنه، و كان فى الأيام النوريه إليه قضاء القضاء و التحكم فى الدوله، و كان السلطان الملك الناصر (صلاح الدين يوسف بن أيوب) متولى الشحنيه بدمشق أيام نور الدين (فكان كمال الدين يعكس مقاصده و يكسر أغراضه و يعترض عليه فى أموره) لتوخى كمال الدين الأحكام الشرعيه فلما صار الملك الناصر إلى ما صار إليه من الملك و افتتح دمشق صار كمال الدين أحد قضاء بلاده، و لم يؤاخذ على ما صدر منه فى حقه بل أكرمه و أحترمه، و استشاره و عظمه" (٥). فإنه يفهم من قوله "يعكس مقاصده و يكسر أغراضه" عكس ما أرادوا، و ضد ما قصدوا، فما

ذا يفعل؟ و من ذلك قولهم، "كان يحارب ضد العدو" يريد أنه "كان يحارب العدو" فاستعملوا كلمة "ضد" التي ظنوها جائزه في اللغة الأعجميه، فأدت الجمله ضد معناها، لأن من معانى الضد "العدو" فإذا حارب عدو العدو، صار مصافيا و مسالما للعدو و موافقا و موائما لا مقاوما له. و ما من أحد ينكر أن "باب المجاز و الاستعاره" مفتوح في اللغة العربيه قديما و حديثا، و لا يضيرها أن تستعير من اللغات الأخرى مجازات جليله و استعارات جميله، على شريطه أن لا تكون نايه منافيه لطبيعتها، مباينه لأذواق أهلها، عسيره على مداركهم. و لقد اقتبست عربيه العصر جمله مجازات و استعارات من عدو لغات، و شاعت فيها لكونها سائغه، جميله الخيال، رشيقه المعنى.

و في أثناء ركود العربيه و ضمورها و تخلف العرب في العلوم و الفنون و الآداب، استحدثت في الغرب ألوف آلايت و مئات أدوات و آلاف اختراعات، و عشرات ابتداعات، و بعثت الغربيين على وجدان أسماء لطائفه منها و اشتقاق أسماء لطائفه أخرى أو تركيبها، و من الواجب أن يذكر هنا أن اللغات الأعجميه تركيب و شبهه و هو النحت، و النحت هو أخذ اسم واحد من كلمتين بعد المستحدثات الغربيه الأخرى يغلب على أسمائها التركيب و شبهه و هو النحت، و النحت هو أخذ اسم واحد من كلمتين بعد طرح ما يمكن طرحه منهما للتخفيف، و ما وجد من النحت في العربيه نزر جدالا يتعدى ما ورد في النسب و قلما يخرج عن الشعر كقولهم

"فلان العبشمي و فلان العبسقي"

نسبه إلى عبد شمس و عبد القيس، و قد جاء العبشمي في قول الشاعر:

و تضحك مني شيخه عبشميه كان لم ترى قبلي أسيرا يمانيا!

و من الباحثين من لم يعلم أن اللغة العربيه اشتقاقيه فيلوى بلسانه، و يتشدد ببيانه، هازئا بمن لا يعد النحت من خصائص العربيه، و إنما حملة على هزئه جهله لطبيعه اللغة العربيه(٤)، و كل ما ثبت عندنا من النحت عدو رموز".

ص: ٣٢٥

- ١- فاتهم أن يضعوا له كلمه "القناه" العربيه فإنها جاء في أحد معانيها بمعنى القنال الفرنجيه.
- ٢- الأفراد جمع قله للفرد، و إن كان مخالفا للقياس الذي وضعوه، من كون "فعل" الصحيح الأحرف لا يجمع على أفعال، إلا ما شذ كفرخ و أفراخ [أفراخ] و زند و أزناد، إلا أن واقع الاستعمال و كثره الأمثال نقضا هذه القاعده.
- ٣- يشترط في المصطلح أن يتفق عليه عارفان أو أكثر منهما، و لا يجوز للواحد وحده أن يسمى ما يستعمله هو نفسه مصطلحا
- ٤- ورد "استهدفه" في نهج البلاغه على روايه قياسا على وجود "مستهدف" اسم مفعول، في الكتاب المذكور، راجع مجمع البحرين للطريحي.
- ٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب "٢: ٤٩-٥٠" نشر الدكتور جمال الدين الشيال بالمطبعه الأميريه المصريه بالقاهره سنه ١٩٥٧.
- ٦- راجع كتاب "دراسات في فقه اللغة العربيه ص ٣٠٧".

جمليه مستحدثه ترمز إلى العبارات كرمز الحروف إلى المواد الكيمائية كقولهم "سبحل فلان أى قال سبحان الله، و حوقل: قال لا- حول و لا- قوه إلا- بالله، و طلبق: قال أطال الله بقاءه، و دمعز: قال أدام الله عزك"، و لو لا أن هذه الجمل الرمزيه كانت من الشهره و التكرار بالمكان المعلوم ما استجازوا لها هذا الاختصار، فالنحت من خصائص اللغات الآريه الهنديه - الأوروييه، و مخترعه فى العرييه هو ابن فارس العالم اللغوى المشهور مؤلف كتاب مقاييس اللغه العرييه و المجل فى اللغه و الصاحبى فى فقه اللغه، و غيرهن، و هو فارسى الأصل، و اللغه الفارسيه نحتيه تركيبيه كسائر اللغات الآريه، و قد حدثه لغته الأصلية على أن يلصق أهم خصائصها باللغه العرييه، من غير أن يعلم أن اللغات فى العالمين أجناس، متباينه كتابين أهليها، فاصل الفرس غير أصل العرب، و اللغه العرييه من جمهره اللغات الساميه لا- من جمهره اللغات الهنديه الأوروييه، و لكل جمهره خصائص و صفات، و نعوت و علامات، و حروف و أصوات خاصه بها.

و هذا ابن جنى أبو الفتح عالم الدنيا فى الصرف و غيره من علوم العرييه قد ألف كتاب الخصائص فى خصائص العرييه و تكلم على عامه أحوالها و مجالاتها و نحوها و إعرابها و أدواتها و مناحيها و دقائقها و نكتها و بداعتها و براعتها و أسرارها و عجائبها و صفاتها و نزعاتها الطبيعيه، و لم يذكر أن "النحت" و التركيب من أصولها و لا- من خصائصها، و كان معاصرا لابن فارس الفارسى حق المعاصره و كلاهما من أهل القرن الرابع للهجره، ابن جنى فى بلاد العرب و ابن فارس فى بلاد الفرس.

و لو كان التركيب المزجى و النحت من خصائص اللغه العرييه ما ألفينا التنزيل العزيز يميل بالمركب المزجى إلى أوزان عرييه رشيقه فاصار "ميكائيل" إلى ميكال، و "جبرائيل" إلى "جبريل" و حمل الزنجيل على السلسيل، و السجيل على الشريب، و هى من المركبات المزجيه فى لغاتها، و الخصيصه فى اللغه تعنى قاعده عامه مطرده فى كثير من مفردات اللغه و تراكيبيها و لا تعنى كلمات معدوده أو تسميات محدوده أو مستعاره مقصوده، و ينبغى لنا أن نذكر فى هذا المقام أن للعرييه خصيصه الكسع و إضافه الكواسع و هى الحاق حرف أو حرفين أو ثلاثه بآخر الكلمه، كالفعم و الفعل، و الحلق و الحلقوم، و الضيف و الضيفن و الابن و الابنم، و العندليب و الزمهير، و الشقحطب(1)، و هو كما فى القاموس للفيروزآبادى "كسفرجل (فى الوزن): الكبش له قرنان أو أربعة كل منها كشق حطب جمعه شقحاط و شقاطب". و جاء فى لسان العرب "شقحطب: كبش شقحطب ذو قرنين منكبين كأنه شق حطب. أبو عمرو:

الشقحطب: الكبش الذى له أربعة قرون. الأزهرى: هذا حرف صحيح"، و أصله فى الصحاح للجوهري "كبش شقحطب أى ذو قرنين منكبين كأنه شق حطب". فهذا التأويل البعيد هو الذى أطمعهم فى اعتداد النحت موجودا فى اللغه العرييه، أعجبهم التأويل "شق حطب" و لم تعنهم سخافه المعنى، كان الحطب مألوف الشق و كان الشق يشبه القرن دائما مع أن الحطب هو ما أعد من الشجر شبوبا للنار و وقودا، و منه الشوك على اختلاف أنواعه، فمن الحطب ما يجوز أن يشبه القرن، فلما ذا لم يقولوا "قرن شقحطب" و "قرون شقاطب أو شقحاط"؟ بل قالوا: "كبش شقحطب" فوصفوا الكبش لا القرن؟ لا شك فى أن تأويلهم و تحليلهم متهافتان، فيجوز أن تكون كلمه شقحطب مكسوعه بحرف أو أكثر كما كسع لفظ "العندليب" و "العندليل" بمعنى واحد، جاء فى لسان العرب "و العندليل: طائر يصوت ألوانا، و البليل يعندل أى يصوت، و عندل الهدهد: إذا صوت عندله.. العندليب: طائر أصغر من العصفور، قال ابن الأعرابى: هو البليل، و قال الجوهري: هو الهزار(2)، و روى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال: عليكم بشعر الأعشى فإنه بمنزله البازى يصيد ما بين الكركى و العندليب، و هو طائر أصغر من العصفور، و قال الليث: هو طائر يصوت ألوانا. قال الأزهرى: و جعلته رباعيا لأن أصله (العندل) ثم مد بياء و كسعت بلام مكرره ثم قلبت باء، و أنشد لبعض

و العندليل إذا زقا في جنه خير و أحسن من زقاء الدخل

و الجمع العنادل " فان لم يكن الشقحطب مكسوعا كالعندليل و العندليب فهو مأخوذ من لغه أخرى و كان كلمتين فجعله العرب كلمه واحده كالسلحفاه و الزمرده و الزغرده و البرنسا و البرنساء(٣)، ورد في لسان العرب " و البرنسا و البرنساء: ابن آدم، يقال: ما أدري أى البرنساء هو؟ و يقال: ما أدري أى برنساء هو و أى برنساء هو و أى البرنساء هو؟ معناه: ما أدري أى الناس هو؟ و البرنساء: الناس... و الولد بالنبطيه برونسا " فاللغويون العرب اعتدوا " البرنسا " و " البرنساء " كلمه واحده مع أنها فى الأصل كلمتان هما " بر " السريانيه الآراميه بمعنى " الابن " و " ناشا " السريانيه الآراميه بمعنى الناس،(٤) فالمعنى " ابن الناس " أو ابن الإنسان. و الحمد لله على أنهم لم يجعلوها منحوته من " بر النساء " أى أحسن إلهن و رعاهن على تأويل أن الرجل يرمى المرأه فى الغالب فهو بار النساء!!.

و إنما بسطنا الكلام هنا على " النحت " تمهيدا لكلامنا على مشكلات لغه العصر المحتاجه إلى التوسع و التحرر و الانطلاق لتقوم بما عليها من مصطلحات فى العلوم و الفنون و الآداب لا تحصى كثره، و لا تستقصى، لأن الحضاره الغربيه لا تزال تسرع الخطا و تطوى مسافات الاختراع و الإبداع و الابتداع طيا، فمئات الكتب العلميه و عشرات الكتب الفنيه على اختلاف العلوم و الفنون قد أوجب التعليم الحديث و التحضر و التمدن دراستها و تعلم ما فيها و تدريسها و تعليم ما بين

ص: ٣٢٦

١- ممن أخذ بمذهب ابن جنى فى وجود النحت فى الكلم العربى ظهير الدين أبو على الحسن بن الحظير الفارسى المتوفى بالقاهره سنه ٥٩٨ و هو فارسى الأصل أيضا و إن ادعى أنه من ولد النعمان بن المنذر، سألته البلطى عما وقع فى ألفاظ العرب على مثال شقحطب فقال: هذا يسمى فى كلام العرب " المنحوت " و معناه أن الكلمه منحوته من كلمتين كما ينحب النجار خشبتين و يجعلها واحدا، فشقحطب منحوت من (شق) و (حطب). فسأله البلطى أن يثبت له ما وقع له على هذا مثال إليه، ليعول فى معرفتها عليه، فأملاها عليه فى نحو عشرين ورقه من حفظه و سماها (كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب). "معجم الأدباء ج ٣ ص ٦٦".

٢- البلب مثل العصفور فى الحجم و يختلف عنه فى اللون و طول الذيل، و الهزار معروف فى العراق و هو أكبر من العصفور و لا يختلف عنه فى اللون و يصوت ألوانا و ألحانا شبيه إلى السمع.

٣- فى المعرب لابن الجوالقى طائفه من المركبات المزجيه الأعجميه، كالإبريق و السكرجه و الإصطفيلينه و البرسام و البستان و البندرقه و البرطله و البارحاه و البازيار و التجفاف.

٤- المعرب " ص ٤٥ " و غيره. و جاء فى الصفحه ٦٨ من المعرب " قال أبو حاتم قال الأصمعى: بر: ابن

فيها، في الكليات و المعاهد و المدارس في جميع الأقطار العربية، و عامتها ذوات مصطلحات جديدته بالنسبه إلى مسمياتها، و كان المعلمون و المدرسون و الأساتذه يترجمون تلك المصطلحات كل على حده و بتفرد و استقلال، و كان قليل منهم يرى صعوبه الترجمة لاستلزامها إتقان اللغه العربيه و العلم بمفرداتها، و هو ما لا يطيقونه فكانوا يعربون المصطلحات العلميه و المصطلحات الفنيه، و المصطلحات الأدبيه أيضا، و يتهمون العربيه بالعجز و التقصير، و التخلف في المسير، فحدثت من كل ذلك بلبه في المصطلحات و الآراء و في مستقبل اللغه العربيه، و نشأت فكره أن اللغه العربيه عاجزه عن القيام بما يستوجبه العصر العلمى الحديث من الآراء و الأسماء و كثر في اللغه العربيه السقط و الغلط لما ذكرنا آنفا من أن المتقنين للغات الأعجميه للشعوب المتمدنه لم يلزموا أنفسهم إتقان اللغه العربيه تهاونا بها و استهانته بأهلها مع أنها كانت - و لا تزال كذلك - مرآه الحضاره و سناد الأمم العربيه، و عماد القوميه، و حفاظ التراث العلمى القديم و الآداب العربيه على تباين موضوعاتها، و ضروبها و أنواعها، و ظهرت في الصحف و المجلات و كتب القصص " و الروايات " لغه عربيه جديدته، فيها مجاز مقتبس جديد، و استعاره مقتبسه جديدته، و ألوان من التعابير، كان فيها الغث و السمين، و الخطا و الصحيح، و الجميل و القبيح، فضلا عن المصطلحات التي اتحدت معانيها و مقاصدها و اختلفت ألفاظها و الدلالات عليها في اللغه العربيه.

و حملت الغيره على الأمم العربيه و لغتها آحادا من العلماء و الأدباء الفوقه على نقد المصطلحات الركيكه و المعربه و اقتراح الاستبدال بها مع ذكر البدل، و على نقد التعابير الفاسده، و الكلمات المستعمله في غير مواضعها، و الاشتقاقات [الاشتقاقات] المبانيه لطبيعه اللغه العربيه و نشرت في ذلك مقالات في الصحف و المجلات و ألفت رسائل و كتب، و نشأ جدال بين العلماء و الأدباء أنفسهم في الموضوع بعينه، و رأى أولو الأمر في الدول العربيه أن إنشاء مجامع للغه العربيه قد أصبح ضروره و حاجه ماسه لا بد منها، و لا ندحه عن قضائها، فأنشئ المجمع العلمى العربى بدمشق، ثم أنشئ المجمع العلمى العراقى، و نشر كل مجمع لنفسه مجله تعالج مشكلات اللغه، و تقترح مصطلحات جديدته، و تقوم ما فسد من التعابير، و تدعو إلى أن اللغه العربيه مليئه (١) بما يراد منها في أداء المعانى الحديثه على اختلافها، و كثرتها، و تسميه ما تحتويه الحضاره الجديده و الاختراعات و الابتداعات من ألوف أسماء، في مختلف العلوم و الفنون و الآداب، و قد ألفت و نشرت كتب في ذلك و رسائل مشهوره متداوله، و كانت أقطار من البلاد العربيه متخلفه كثيرا عن هذه النهضه اللغويه لشده وطاه الاستعباد المسمى خداعا بالاستعمار (٢) الذى هو شبيه بالاستثمار في أصل اللغه، و من تلك الأقطار "المغرب"، و ما كادت تشم رائحه الاستقلال السياسى حتى أخذت تنشئ مراكز للتعريب و تريد بها جعل المصطلحات الأعجميه عربيه الألفاظ، و عقدت مؤتمرات له، و نشرت معجمات للمصطلحات منها معجم الكيمياء و معجم الفيزياء و معجم الرياضياتو "الأصول العربيه و الأجنبيه للعاميه المغربيه"، و قد نشرت فيما نشرته بالطبع "المستدرک في التعريب" و هو معجم فرنسى عربى، للكلمه المستعمله في مختلف الأمور و الشئون، و قد كتبت عليه "مصلحه التعريب التابعه للمكتب المغربى للمراقبه و التصدير" بالدار البيضاء.

و أطرف ما ألفت في معالجه اللغه العربيه العصريه كتاب فرنسى اللغه جامع شامل، ألفة الأستاذ فنسنت مونتى VincintMonteil الفرنسى و نشره سنه "١٩٦٠" و سماه "العربيه الحديثه" Larabemodrne و قد رجع في تاليفه إلى مائه (٣) و ثلاثه و ستين مرجعا عربيا و مائه و واحد و ستين مرجعا أعجمى اللغه فجاء الكتاب في ثلاث مائه و ست و ثمانين صفحه من القطع الوسط، فهو أوسع كتاب في هذا الباب منذ ظهور مشكله اللغه العربيه العصريه حتى اليوم، و قد تكلم فيه على الكلمات المولده و الانبعث اللغوى و القوميه العربيه و صعوبه الكتابه العربيه بحروفها المعلومه و الطباعه و التجديد و التيسير، و

الأصوات العربية و أحرف العله و الاعراب و النطق و المستعار و الأغلاط و الأوهام و النصوص اللغويه و تأثير اللهجات و الأدب الشعبي و السبيل الأقوم، و الثقافه العربيه المزدوجه و النقل و الترجمة و التعليم و التدريس للعرب و باللغه العربيه و الاشتقاق و مجاله، و تخصيص الهيكل اللغوى فى العبارة و الصفات الناشئه عن النسبه و التأنيث و الازدواج و الجمع و النحت و الأصول و الحدود و الدواخل و الكواسع و التعريب أى نقل الكلمات الأعجميه إلى أوزان عربيه فى الغالب و الدلالات و المعانى و الإصلاح اللغوى و الرمزيه و الإيماء، و الكواسع اللاتينيه " اللطينيه " للمصطلحات و خاصه الكيمياء، و الوضع و التسجيل و المجامع العلميه و المجامع اللغويه العربيه و المؤسسات الثقافيه و " الصحافه "، و المؤتمرات العلميه العربيه، و المعجمات، و اضطراب الدلالات، و إحصاء الحدود و اعتبار التحديد، و الترادف، و التعدد المعنوى و أسماء الألوان و تأليف الكلام و تركيبه، و التصريح و التلميح و التعريض و الجواز و الحدس و التساهل و الاتساع و النفى و الحصر و الزمان و الصوره و المظهر، إلى غير ذلك مما يطول تعدادده و خصوصاً الأساليب و منها أسلوب الخطابه و أسلوب " المحاضرات " و أسلوب الصحافه و أسلوب النشر و أسلوب القضاء، و أسلوب الاقتصاد و أسلوب الجدل و أسلوب التأديب و التهذيب و أسلوب النقد الأدبى و الأسلوب العلمى و الأسلوب الفلسفى و أسلوب الاقتصاد و أسلوب الخطاب و الأسلوب الفنى و الأسلوب الحكائى و الأسلوب الشعرى.

و لعل أن أهتبل فرصه لاقتباس شىء من الكتاب و نشره مع التعليل أو التعقيب، فان هذا الموضوع المهم الخاص بمستقبل العربيه لا يعالج بمقاله واحده، و من الله تعالى التوفيق.

الشيخ معتوق بن الشيخ عمران الأحسانى

قال الشيخ جعفر الهلالى:

ولد فى مدينه الأحساء سنه ١٣١٥ و توفى فيها سنه ١٣٧٨ كان أحد علماء

ص: ٣٢٧

١- المليه: القديره و المستطيعه و الوافيه الكافيه، و مذكرها الملىء، فليس معناها " الملىء " كما يستعمله كتاب العصر، و كذلك " الملىء " فليس معناه " الملىء " .

٢- الاستعمار كلمه قرآنيه فى فعلها و قد دنس استعمالها هؤلاء الغرييون فوضعوها فى غير موضعها، قال تعالى فى سوره هود (وَ إِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَكْبَرُوا ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) الآيه ٦١.

٣- دأبت مجله المجمع العلمى العراقى على كتابه المائه بهذه الصوره أخذنا بالتجديد المفيد و نبذا للقديم الباعث على اللبس فى القراءه مع خلوه من الفائده.

الأحساء المشهورين، كما كان من ادبائها، يقيم في قريه (العمران الشماليه).

أخذ مبادئ دراسته في مدينه المبرز احدى مدن الأحساء، ثم رحل بعدها إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته هناك، و كان عمره حين ذاك ٢٥ سنه، و أقام في النجف ما يزيد على ٢٠ سنه، رجع بعدها إلى الأحساء، و كانت له عدده مؤلفات إلا أنها تلفت.

لم نعر من شعره إلا على هذه الأبيات الأربعة في مدح الإمام أمير المؤمنين (ع):

حسد دب في النفوس و همس و عيون في حيره و ازورار

لعلى الفخار زين المعانى أسد الله حيدر الكرار

حسدوه و أظهروا النقص فيه و عصوا أمر أحمد المختار

و أساءوا إلى نبيه فاضحوا نهب أيدي الطغاه في كل دار

النقيب معد الموسوى

قال الدكتور مصطفى جواد:

هو شرف الدين أبو تميم معد بن الحسين الموسوى النقيب، كان قد تولى سنة ٦٠٥ إشراف المخزن و ذلك في يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة، و خلع عليه بالبدرية المعروف اليوم انه منها درب الرواق و جامع مرجان، و ركب من هناك إلى المخزن ثم تولى بلاد واسط، و فى سنة ٦١٦ امره الخليفه الناصر لدين الله ان يسير إلى قتال بنى معروف فى البطائح فتجهز و جمع معه من الرجاله من تكريت و هيت و الحديثه و الأنبار و الحله و الكوفه و واسط و البصره و غيرها خلقا كثيرا و سار إليهم و مقدمهم حينئذ معلى بن معروف و هم قوم من ربيعه، و كانت بيوتهم غربى الفرات تحت سورا و ما يتصل بذلك من البطائح، و كان قد كثر فسادهم و أذاهم لما قاربهم من القرى، و قطعوا الطريق و أفسدوا فى النواحي المقاربه لبطيحه الغراف، فشكا أهل تلك البلاد إلى الديوان منهم فأمر الخليفه معدا ان يسير إليهم فى الجموع - كما قدمنا - فسار إليهم فاستعد بنو معروف لقتاله، فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقير و لا يزال معروفا بذلك و هو عند المدينه الأزليه المسماه (أور) و فيها اليوم مستشار للآثار، و المقير تل كبير بالبطيحه بقرب الغراف و كثر القتل بين الفريقين ثم انهزم بنو معروف و كثر فيهم القتل و الأسر و الغرق و أخذت أموالهم و حملت رؤوس كثيره من القتلى إلى بغداد فى ذى الحجه من سنة ٦١٦ المذكوره، و كان شمس الدين أبو المظفر باتكين بن عبد الله الرومى والى البصره حاضرا هذه الوقعه مع عسكر البصره و فى ذلك قال:

يا وقعه شفت النفوس و غادرت تل المقير ما به من غابر

و سقت بنى المجهول(١) كأسا مره تركت مواردهم بغير مصادر

جحدوا أيادى للخليفه جمه فأراهم عقبى الجحود الكافر

و توهموا ان المقير معقل متمنع من كل ليث خادر

فرماهم القدر المتاح بأسهم تركت ربوعهم كرسم دائر

و كان ينوب عن الشريف أبي تميم معد فى أشراف المخزن ابنه أبو على الحسن، و توفى هو بعد وقعه المقير المذكور بسنه واحده أى سنه ٦١٧هـ، و مضى موكب الديوان إليه فى جمع من الحجاب و الدعاه و فى صدرهم عارض الجيش سعيد بن عسكر الأنبارى إلى داره بالمحله المقتديه و كان ما فى شرقى محله قنبر على اليوم يعرف بالمحله المقتديه نسبه إلى المقتدى بالله العباسى، و الدار تعرف بدار معد الموسوى و هى التى انزل المستنصر فيها الملك الناصر داود بن المعظم عيسى فى وفوده عليه سنه ٦٣٣هـ لفخامتها، و كان مضى الموكب فى اليوم الثالث من وفاه الشريف معد، فأقاموه من العزاء و عرفوه ان الخليفه الناصر لدين الله قلده ما كان أبوه قد تقلده من النقابه و أشراف المخزن، فركب إلى دار الوزاره و خلع عليه خلعه نقابه الطالبين و كان عمره يومئذ خمسا و عشرين سنه.

و من أبناء الشريف أبي تميم معد هذا فخار الموسوى العلامه المشهور المتوفى سنه ٦٣٠هـ.

معقل بن قيس الرياحى

مر ذكره فى الصفحه ١٣١ من المجلد العاشر، و نضيف هنا ما يلى:

كان على (ع) استخلف رجلا يقال له الخريت بن راشد على بلاد الأهواز قبل خروجه إلى صفين، فلما كان بعد رجوع على من صفين خالف عليه هذا الخريت و جعل يجمع الجنود و يدعو إلى خلع على و البراءه منه، حتى أجابه إلى ذلك خلق كثير، ثم إنه احتوى على البلاد و جيب الأموال، و بلغ ذلك عليا فدعا معقل بن قيس الرياحى، فضم إليه أربعة آلاف رجل و وجهه إلى الخريت.

فسار الخريت فى عشره آلاف رجل من أهل الأهواز و من بنى ناجيه و مواليهم.

و دنا القوم بعضهم من بعض، فقال معقل بن قيس:

أيها الناس! أين الخريت بن راشد؟ فليخرج إلى فانى أريد كلامه، قال: فخرج إليه الخريت حتى واقفه، ثم قال: أنا الخريت فهات ما الذى تريد! فقال له معقل: ويحك لم خرجت على أمير المؤمنين و دعوت الناس إلى خلعه و البراءه منه و قد كنت من خيار أصحابه و أوثق الناس عنده؟ فقال:

لأنه حكم فى حق هو له، فقال له معقل: ويحك! أ من أهل الإسلام أنت؟ قال: نعم، أنا من أهل الإسلام، فقل ما بدا لك فقال له معقل: خبرنى لو أنك خرجت حاجا فقتلت شيئا من الصيد مما قد نهى الله عز و جل عنه، ثم أتيت عليا فاستفتيته فى ذلك فافتاك، هل كان عندك رضى؟ فقال: بلى، لعمرى إنه عندى لرضى،

و قد قال النبى (ص):

أقضاكم على، فقال له معقل بن قيس: فكيف ترضى به في علمه و لا- ترضى فيما حكم؟ فقال: لأنى لا أعلم أحدا من الناس حكم فى شىء هو له.

فقال: يا هذا! إن الذى لا تعلمه أنت هو أكثر من الذى علمته، إنا وجدنا عليا يحكم فى جميع ما اختلفنا فيه و قد رضينا بحكمه، فاتق الله و إياك و شق العصا! و ارجع إلى ما كنت عليه من السمع و الطاعة، فأمر المؤمنين أعلم بما ياتى و يذر، فقال الخريت: لا و الله لا يكون ذلك و لا تحدثت العرب به أبدا، و ما لكم عندى و لصاحبكم إلا السيف.

ثم صاح بأصحابه و حمل على معقل بن قيس، و حمل عليهم معقل فى

ص: ٣٢٨

١- ذمهم بتعكيس اسمهم لأنه بنو معروف فصاروا بين المجهول.

أصحابه و اختلط القوم بعضهم من بعض فقصدته معقل من بين أصحابه، فضربه ضربه على أم رأسه فجذله قتيلا. و حمل أهل الكوفة على أهل الأهواز من بنى ناجيه، فقتل منهم من قتل و هرب من هرب و أسر من أسر من بنى ناجيه، و أمر معقل بن قيس بهؤلاء الأسارى فجمعوا ثم أمر برأس الخريت ابن راشد فاخذ و احتوى على أمواله، و سار إلى على بالأسارى و الأموال.

و كان مصقله بن هبيرة الشيباني أيضا عاملا لعلى بن أبى طالب (ع) على بلد من بلاد الأهواز، فنظر إلى هؤلاء الأسارى الذين قد أتى بهم معقل بن قيس، كأنه اتقى عليهم أن يقتلوا، فقال لمعقل:

ويحك يا معقل! هل لك أن تبيعنى هؤلاء الأسارى و لا تمضى بهم إلى أمير المؤمنين؟ فانى خائف أن يعجل عليهم بالقتل. قال معقل: قد فعلت فاشترهم منى إذا حتى أبيعك. قال له مصقله: قد اشترتهم منك بخمسمائه ألف درهم، قال: قد بعثك فهات المال! فقال مصقله: غدا أعطيك المال، فسلم إليه معقل بن قيس الأسارى، فأعتقهم مصقله بأجمعهم، فمضوا حتى لحقوا ببلادهم.

فلما كان الليل هرب مصقله إلى البصرة إلى عبد الله بن العباس، و كتب معقل بن قيس إلى عبد الله بن عباس يخبره بخبر مصقله و ما فعل. فدعا ابن عباس مصقله فقال: هات المال! فقال: نعم و كرامه، إن معقل بن قيس أراد أن يأخذ المال منى و أنا فلم أحب أن أعطيه ذلك، و لكن أدفع هذا المال إليك لأنك ابن عم أمير المؤمنين و عامله على البلاد، قال ابن عباس: فقد أحسنت إذا و أصبت فهات المال.

و انصرف مصقله إلى منزله، فلما كان الليل هرب إلى الكوفة إلى على بن أبى طالب، قال: و كتب معقل بن قيس إلى على يخبره بذلك، و كتب أيضا عبد الله بن عباس إلى على بذلك. قال: فدعا به على و قال: هات المال يا مصقله! فقال: نعم يا أمير المؤمنين! إن معقل بن قيس و عبد الله بن عباس أرادا منى أن أدفع المال إليهما و أنت أولى بحقك منهما، قال على: قد أحسنت إذا و أصبت فهات المال! فقال: وجه من يحمل المال، فدفع إليه فى ذلك اليوم مائه ألف درهم و بقيت عليه أربعمائة ألف درهم.

فلما كان الليل هرب إلى معاويه، و طلبه على فلم يقدر عليه، و كان نعيم بن هبيرة أخو مصقله عند على بن أبى طالب و من خيار أصحابه، فكتب إلى أخيه مصقله بهذين البيتين يقول:

تركت نساء الحى بكر بن وائل و أعتقت سبيا من لؤى بن غالب

و فارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محاله ذاهب

و لم يبق بالعراق أحد من ربيعه إلا و ذكر مصقله بن هبيرة بكل قبيح إذ فارق عليا و صار إلى معاويه.

فلما فرغ نعيم من شعره أقبل إلى جماعه من بنى عمه من بنى بكر بن وائل فقال: إنه قد وردت على أبيات من عند أخى مصقله، و قد علمت أنه يحب الرجوع إلى العراق، و أنا و الله مستح من أمير المؤمنين أن أكلمه فيه، و لكن أحب أن تكتبوا إليه كتابا عن جميعكم، و ليكن ذلك عن رأى أمير المؤمنين.

فاجتمع نفر من ربيعه إلى على فقالوا: يا أمير المؤمنين! إن نعيم بن هبيرة مستح منك لما فعل مصقله أخوه، وقد أتانا الخبر اليقين بأن مصقله ليس يمنعه من الرجوع إلى العراق إلا الحياء، ولم يبسط منذ خرج من العراق علينا لسانا ولا يدا، ولا نحب أن يكون رجلا منا مثل مصقله عند معاويه، فان أذنت لنا كتبنا إليه كتابا من جماعتنا وبعثنا إليه رسولا فلعله أن يرجع! فقال على:

اكتبوا ما بدا لكم و ما أراكم تنتفعون بالكتاب. فقال الحضيض بن منذر السدوسي: يا معشر بنى بكر بن وائل! إن أمير المؤمنين قد أذن لكم فى الكتاب فقلدونى كتابكم، فقالوا: قد فعلنا ذلك فاكتب ما بدا لك.

فكتب إليه الحضيض بن المنذر: أما بعد، يا مصقله! فان كتابنا هذا إليك من جماعه بنى بكر بن وائل، و قد علمنا بانك لم تلحق بمعاويه رضى منك بدينه و لا رغبه فى دنياه، و لم يقطعك عن على طعن فيه و لا رغبه عنه، و لكنك توسطت أمرا قويت فيه بديا ثم ضعفت عنه أخيرا، و كان أول أمرك أنك قلت أفوز بالمال و ألحق بمعاويه، و لعمرى ما استبدلت الشام بالعراق، و لا السكاسك بريعه، و لا معاويه بعلى، و لا أصبت دنيا بهما، و إن أبعد ما يكون من الله أقرب ما يكون من معاويه، فارجع إلى مصرك فقد غفر لك الذنب و حمل عنك الثقل، و اعلم بان رجعتك اليوم خير منها غدا، و كانت أمس خير منها اليوم، و إن كان قد غلب عليك الحياء من أمير المؤمنين فما أنت فيه أعظم من الحياء، فقبح الله امرأ ليس فيه دنيا و لا آخره - و السلام.

قال: ثم أثبت فى أسفل الكتاب هذه الأبيات:

أ مصقل لا تعدم من الله مرشدا و لا زلت فى خفض من العيش أرغدا

و إن كنت قد فارقت قومك خزيه يمد بها الشانئ إلى رهطك اليدا

و كنت إذا ما ناب أمر كفيته ربيعه طرا غائبين و شهدا

تدافع عنها كل يوم كريبه صدور العوالى و الصفيح المهندا

يناديك للعلياء بكر بن وائل فتثنى لها فى كل جارحه يدا

فكنت أقل الناس فى الناس لائما و أكثرهم فى الناس خيرا معددا

تخف إلى صعلوكنا فتجيبه فكنت بهذا فى ربيعه سيدا

ففارقت من قد يحسر الطرف دونه جهارا و عاديت النبى محمدا

فان تكن الأيام لاقتك غيره قم الآن فارجع لا تقولن غدا غدا

و لا ترض بالأمر الذى هو صائر فقد جعل الله القيامه موعدا

فلما ورد هذا الكتاب على مصقله بن هبيرة و قرأه و نظر فى الشعر، أقبل على الرسول فقال: هذا كلام الحضيض بن المنذر، و شعره

لم يشبه كلام أحد من الناس، فقال له الرسول: صدقت هذا كلام الحضين، فاتق الله يا مصقله! وانظر فيما خرجت منه و فيما صرت إليه، وانظر من تركت و من أخذت، ثم اقض بعد ذلك على هواك، أين الشام من العراق! و أين معاويه من علي! و أين المهاجرون و الأنصار من أبناء الطلقاء و الأحزاب! و أنت بالعراق تتبع و أنت بالشام تتبع.

فسكت مصقله عن الرسول فلم يجبه بشيء، ثم أخذ الكتاب فأتى به معاويه و أسمعه الشعر، فقال له معاويه: يا مصقله! أنت عندي غير ظنين، فإذا أتاك شيء من هذا فاخفه عن أهل الشام، فقال: أفعل ذلك إن شاء الله.

ثم رجع مصقله و أقبل على الرسول فقال له: يا أخا بني بكر! إنى إنما هربت بنفسى من على خوفا منه، و لا و الله ما ينطق لسانى بعيبه و لا ذمه و لا قلت قط فيه حرفا أعلم أنه يسوءه ذلك، و قد أتيتنى بهذا الكتاب فخذ الجواب

إلى قومك. فقال الرسول: أفعل ذلك و اكتب ما بدا لك، فكتب أما بعد، فقد جاءني كتابكم فقرأته و فهمته، فأخبركم أنه من لم ينفعه القليل يضره الأ-كث، و إن الذى قطعنى من على و أمالنى إلى معاويه ليس يخفى عليكم، و قد علمت أنى لو رجعت إليكم لكان ذنبى مغفورا و ثقلى محمولا- و لكنى أذنبت إلى على ذنبا و صحبت معاويه، فلو رجعت إلى على لأبديت غير و احتملت عارا، و كنت بين لومتين أولها خيانه و آخرها غدر، و لكنى قلت أقيم بالشام، فان غلب معاويه و استوى له هذا الأمر فدارى العراق، و إن غلب على فدارى الروم، و فراقى عليا على بعض العذر أحب إلى من فراق معاويه و لا عذر لى، و القلب منى إليكم طائر و السلام، ثم كتب فى أسفل الكتاب بهذه الأبيات:

أ يا راكب الأدماء أسلم خفها و غاربها حتى تردد ارض بابل

ألكنى إلى أهل العراق رساله و خص بها حيتت بكر بن وائل

و عم بها عليا ربيعه اننى تركت عليا خير حاف و ناعل

على عمد غير عائب ذنبه و لا سامع فيه مقاله قائل

و لا طالبا بالشام أدنى معيشه و ما الجوع من جوع العراق بقاتل

فكيف بقائى بعد سبعين حجه و ما ذا عسى غير الليالى القلائل

أقول إذا أهدى له الله نعمه بدا الدهر زده من مزيد الفضائل

و لكننى كنت امرأ من ثقاته أقدم فى الشورى و أهل الوسائل

فاذنبت ذنبا لم يكن ليقيله بعلمى و قلت الليث لا شك آجلى

و لم أدر ما قدر العقوبه عنده سوى القتل قد أيقنت ان ليس قاتلى

و أفردت محزونا و خليت مفردا و قد خدمت نارى و رثت حبانلى

و لم يك إلا الشام دار و انه لموطئها بالخيل من دون قابل

فسرت إليه هاربا بحشاشه من النفس مغموما كثير البلايل

و لم يسمع السامون [السامعون] منى نقيصه و لا فشلت من يمن يمنى أناملى

ثم دفع الكتاب إلى الرسول و قال: عليك يا ابن أخ أن تسأل أهل الشام عن قولى فى على، فقال له الرسول: نعم - إنى قد سألت عن ذلك فما حكموا إلا جميلا، فقال مصقله: فانى و الله على ذلك حتى أموت.

ثم رجع الرسول بالكتاب إلى الكوفه فدفعه إلى الحضين بن المنذر فقرأه ثم أتى به عليا فقرأه إياه، فقال علي: كفوا عن صاحبكم فإنه ليس براجع إليكم أبدا حتى يموت، فقال الحضين: يا أمير المؤمنين! والله ما به الحياء ولكن الرجوع، قد كفنا عنه و أبعد الله (راجع: نعيم بن هبيرة)

السيد مهدي الحكيم

مرت ترجمته في الصفحة ١٥٢ من المجلد العاشر و قد ترجم له الشيخ محمد حرز الدين صاحب كتاب (معارف الرجال)، و كان صديقه و رفيقه، و قال أنه حدثه عن أهل جبل عامل قائلا: "و كان يحدثنا عن أنه لم يكن يعجبه أخلاق تلك النواحي و لا عاداتهم، و يقول: أن فيهم غلظه و جفافا في الأخلاق..."

و يعقب الشيخ محمد علي ذلك قائلا: "و لا- لوم عليه حيث تربي في بلد العلم و الأخلاق النجف الأشرف التي هي موطن الصفات الجميله و العادات الطيبه..." . نقول: ولده السيد هاشم كان فاضلا تقيا ورعا محبوبا ظل بعد أبيه في بنت جيل و توفي فيها فكان منه فرع لآل الحكيم في جبل عامل، أنجب عددا من العاملين في الخير العام ابرزهم ولده السيد علي الذي هو اليوم خطيب جبل عامل و الذي أصبح منبره الحسيني مدرسه سياره يعم نفعها الجماهير و الأفراد في كل مكان تصل إليه. و للسيد علي أولاد نجباء جمع بعضهم إلى الدراسات الإسلاميه العريقه، الدراسات الحديثه العاليه فكانوا في مقدمه المثقفين العاملين المفيدين.

السيد مهدي بحر العلوم

مرت ترجمته في الصفحة ١٥٨ من المجلد العاشر و مما لم ينشر له هناك هذه القصيده:

قال يرد علي مروان بن أبي حفصه شاعر الرشيد حيث يقول في قصيدته اللاميه التي أولها:

سلام علي جمل و هيهات من جمل و يا حبذا جمل و إن صرمت حبلى

و منها:

علي أبوكم كان أفضل منكم أباه ذوو الشورى و كانوا ذوى فضل

و ساء رسول الله إذ ساء بنته بخطبته بنت اللعين أبي جهل

فدم رسول الله صهر أبيكم علي منبر بالمنطق الصادع الفصل

و حكم فيها حاكمين أبوكم هما خلعاہ خلع ذى النعل للنعل
و قد باعها من بعده الحسن ابنه فقد أبطلا دعواكم الرثه الجبل
و ضيعتموها و هى فى غير أهلها و طالبتموها حين صارت إلى الأهل
فقال السيد مهدي یرد علیه:

الا عد عن ذكرى بثينه أو جمل فما ذكرها عندى يمر و لا يحلى
و لا اطربتنى البيض غير صحائف محبره بالفضل ما برحت شغلى
و عوج يقيم الاعوجاج انسلالها إذا حان منها الحين حنت إلى السل
و عد للأولى هم أصل كل فضيله و يمم منار الفضل من ربه الأصلى
و عرج على الأطهار من آل هاشم فهم شرفى و الفخر فيهم و هم اصلى
و سلم على خير الأنام محمد و عترته الغر الكرام أولى الفضل
و خص عليا ذا المناقب و العلى وصى النبى المرتضى خيره الأهل
و بث لهم بثى فانى فيهم أكابر أقواما مراجلهم تغلى
و قل للذى خاض الضلاله و العمى و من خبط العشواء فى ظلمه الجهل
و من باع بالأثمان جوهره الهدى كما باع بالخسران جوهره العقل
هجوت أناسا فى الكتاب مديحهم و فى العقل بان الفضل منهم و فى النقل
و لفقت ذورا كادت السبع تنطوى له و الجبال الشم تهوى إلى السفلى
علوا حسبا من أن يصابوا بوصمه فيدفع عن أحسابهم أنا أو مثلى
و لكن أبت صبيرا نفوس ابيه و أنف حمى لا يقر على الذل
فاصغ إلى قولى و هل أنا مسمع غداه أنادى الهائمين مع الوعل
على أبونا كان كالطهر جدنا له ما له إلا النبوه من فضل

و ذو الفضل محسود لدى الجهل و العمى لذا حسد الهادى النبى أبو جهل

و عادى عليا كل أرذل أسفل و ضولع مدخول الهوى ذاهب العقل

لئن كانت الشورى أبته و قبلها سقيفتهم أصل المفاسد و الختل

فقد أنكرت خير البريه ندوه و ضلت رجال الرحلتين عن السبل

و حاربه أهل الكتاب ببغيهم و كانوا يستفتحون لدى الوهل

ص: ٣٣٠

و أصحاب موسى السامري أضلهم بعجل فظلوا عاكفين على العجل
و قد كذب الرسل الكرام و قوتلوا فما ضرهم خذلان قوم ذوى جهل
و لو كانت الشورى لقوم ذوى فضل لما عدلوا بالأمر يوماً إلى الرذل
أبوا حيدرا إذ لم يكونوا كمثلته و ما الناس إلا مائلون إلى المثل
أبوه و يأبى الله إلا الذى أبوا و هل بعد حكم الله حكم لذى عدل
له فى العقود العاقبات له الولا من الله عقد مبرم غير منحل
و كم فى كتاب الله من حجه له و آيات فضل شهادات على الفضل
كشاهد هود ثم يتلوه شاهد من الرعد و الأحزاب و النمل و النحل
أمام أتى فيه من الله ما أتى و هل قد أتى فى غيره هل أتى قل لى
و بلغ فيه المصطفى أمر ربه على منبر بالمنطق الصادع الفصل
فقال أستم تعلمون باننى أحق و أولى الناس بالناس فى الكل
فقالوا بلى قال النبى فأنت يا أبا حسن أولى الورى بالورى مثلى
و أنزله منه بمنزله مضت لهارون من موسى بن عمران من قبل
و شبهه بالأنبياء لجمعه جميع الذى فيهم من الفخر و النبيل
له حكم داود و زهد ابن مريم و مجد خليل الله ذى الفضل و البذل
و تسليم إسماعيل عند ميته و عزم كلیم الله فى شدة الأزل
و حكمه إدريس و أسماء آدم و شكر نجى الله فى عهد ذى الكفل
و خطب شعيب فى خطابه قومه و خشيه يحيى البر فى هيبه المحل
و كان عدیل المصطفى و مثيله و هل لعدیل الطهر أحمد بن مثل
و كان الأخ البر المواسى بنفسه و من لم يخالفه بقول و لا فعل

و أول من صلى و آمن و اتقى و أعلم خلق الله بالفرض و النقل
و أشجعهم قلبا و أبسطهم يدا و أرحاهم عهدا و أحفظهم لئال
و أكرمهم نفسا و أعظمهم تقى و أسخاهم كفا و إن كان ذا قل
حبيب حبيب الله نفس رسوله و نور مجلى النور فى العلو و السفلى
رقى فارتقى فى القدس مرقى ممنعا تجاوز فيه الوهم عن مبلغ العقل
تحيرت الألباب فى ذات ممكن تعالى عن الإمكان فى الوصف و الفعل
تجمعت الأضداد فيه من العلى فعز عن الأنداد و الشبه و المثل
أ ذلك أم من للمعائب عيبه تفرع كل العيب عن كفره الأصلى
تطأ من للات الخبيثه اعصرا و زاد نفاقا حين أسلم عن ختل
و مصطنع ربا بكفيه لأكه بفكيه لما جاع و اضطر للأكل
و من جهل الأب الذى كل سائم به غارف راع فصيل إلى عجل
و من كل عن فهم الكلاله فهمه مقرا بكل العجز عن ذاك و الكل
أ من هو باب للعلوم كمن غدا يفضل ربات الحجال من الجهل
و من هو أقضاهم كمن جد جده ليقضى فى جد قضيه ذى فصل
فاحصوا قضاياه ثمانين وجهه تلون ألوانا و أخطأ فى الكل
و كم بين من قال اسالونى جهره و من يستقيل الناس فى المحفل الحفل
و من هو كرار إلى الحرب يصطلى بنيرانها حتى تبوخ بما يصلى
له الرايه العظمى يطير بها إلى قلوب اطيرت منه بالرعب و النصل
و من لا يرى فى الحرب إلا مشمرا بذل ذبول الفر فى المعشر الفل
أبو حسن ليث الوغى أسد الشرى مقدمها عند الهزاهز و الوهل

أقام عماد الدين من بعد ميله و ثل عروش المشركين أولى المحل
و قاتل فى التأويل من بعد من بغى كما كان فى التنزيل قاتل من قبل
فروى من الكفار بالدم سيفه و ثنى به الباغين علا على نهل
و زوجه المختار بضعته و ما لها غيره فى الناس من كفو عدل
و قال لها زوجتك اليوم سيدا تقيا نقيا طاهر الفرع و الأصل
و أنت أحب الناس عندى و أنه أعز و أولى الكل بعدى بالكل
و أن إله العرش رب العلى قضى بذنا و تولى الأمر و العقد من قبلى
فأبدت رضاها و استجابت لربها و والدها رب المكارم و الفضل
و كم خاطب قد رد فيها و لم يجب و كم طالب صهرا و ما كان بالأهل
و لو لا على ما استجيب لخاطب و لا كانت الزهراء ترف إلى بعل
و أكرم بمن يعلى النبى بشأنها و اسمع بما قد قال من قوله الفصل
الافاطم منى و من هى بضعه و من قطعها قطعى و من وصلها وصلى
و من لرضاها الله يرضى و سخطها له سخط أعظم بذلك من فضل
لذا اختارها المختار للمرتضى الذى رضاها رضاه فى العزيمه و الفعل
و من لا يزال الحق معه و لم يزل مع الحق لا ينفك كل عن الكل
فأعظم بزوجين الاله ارتضاها جليلين جلا عن شبيهه و عن مثل
فكل لكل صالح غير صالح له غيره و الشكل يأبى سوى الشكل
لذلك ما هم الوصى بخطبه حياه البتول الطهر فاقده المثل
بذا خبر المختار و الصدق قوله أبو حسن ذاك المصدق فى النقل
فاضحى بريئا و الرسول مبرئا (و قد أبطلا دعوا كما الرثه الحبل)

بذلك فاعلم جهل قوم تحدثوا (بخطبته بنت اللعين أبى جهل)
نعم رغبت مخزوم فيه و حاولت بذلك فضلا لو أجيت إلى الفضل
فلما أبى الظهر الوصى و لم يجب رتمه بما رامت و مالت إلى العذل
فبرأه المختار مما تحدثت و ما أظهر الرجسان من كامن الغل
و قد طوقا إذ ذاك منه بلعنه فسامتهما خسفا و ذلا على ذل
و قد جاء تحريم النكاح لحيدر على فاطم فيما الرواه له تملى
فان كان حقا فالوصى أحق من تجنب محظورا من القول و الفعل
و كيف يظن السوء بالظهر حيدر و رب العلى فى ذكره فضله يعلى
و كيف يحوم الوهم حول مطهر من الرجس فى فصل من القول لا هزل
و مثل على هل يروم دينه كفى حاجزا عن مثلها حاجز العقل
و ليس يشاء المستحيل الذى شأى جميع الورى فى العقل و الفضل و النبيل
و إن لم يكن حقا و كان محللا له كل ما قد حل من ذاك للكل
فما كانت الزهراء ليسخطها الذى به الله راض حاكم فيه بالعدل
و لا كان خير الخلق من لا يهيجه سوى غضب الله يغضب من جهل
و ليس على حاش الله بالذى يسوء أخاه أو يسىء إلى الأهل
و هل ساء نفسا نفسها و سرورها إذا سرها مر المساءه من محل
و ما ساء خير الناس غير شرارهم كعجل بنى (شر) و صاحبه الرذل
بهم سيئت الزهراء و أودى أحمد و صنو النبى المصطفى خاتم الرسل
و ما ضر مجد المرتضى ظلمهم له و لا فلتة منهم و شورى ذوى خذل
و لا ضره جهل ابن قيس و قد هوى و دللاه جرو العاص فى المدحض الزل

وقد بان عجز الأشعري وعزه وما كان بالمرضى والحكم العدل

ص: ٣٣١

نهاهم عن التحكيم و الحكم بالهوى فلم ينتهوا حتى رأوا سبه الجهل
و حاولت نقصا من على و انما نقصت العلى فى ذاك إن كنت ذا عقل
فما علت العلياء إلا بمجده و لو خلع العلياء خرت إلى السفلى
و أما التى قد خصه ربه بها فليست برغم منك تدفع بالعزل
أ يعزل منصوب الإله بعزلهم إذا فلهم عزل النبيين و الرسل
و قست العلى بالنعل و هى بقلبها مواقعها جيد اللعينين و العجل
فبشراكم بالنعل تتبع لعنه مضاعفه من تابعى خاصف النعل
و ما شان شان المجتبى سبط أحمد مصالحه الباغى الغوى على دخل
فقد صالح المختار من صالح ابنه و صد عن البيت الحرام إلى الحل
و قال خطيبا فيه ابنى سيد يكف به الله الأكف عن القتل
كما كف أيديكم بمكه عنهم لما كان فى الأصلاب من طيب النسل
و قد قال فى السبطين قولاً جهلتم معانيه لكن قد وعاه ذوو العقل
امامان إن قاما و إن قعدا فما يضرهما خذلان من هم بالخذل
فصيرتموا صلح الزكى مسبه و أكثر فيه العاذلون من العذل
و تلك شكاه ظاهر عنه عارها و ما هى إلا عصمه رثه الحبل
لئن كنتم أنكرتم حسن ما أتى به الحسن الأخلاق و الخيم و الفعل
لفى مثلها لام الذى لام احمدا على صلحه كفار مكه من قبل
إلى أن يقول:

هما أسسا ظلم الهداه و قد بنى غواتهم بغيا على ذلك الأصل
و لولاهم ما كان شورى و نعثل و لا جمل و القاسطون ذوو الدخل

و لا كان تحكيم و لا كان مارق و لا رمى الإسلام بالحادث الجبل
و لا كان مخضوبا على بضربه لأشقى الأنام الكافر الفاجر الوغل
و لا سيئت الزهراء و لا ابتز حقها و لا دفنت سرا بمحلوكك الطفل
و لا عمى القبر الشريف و قرب البعيد إلى الهادى و بوعد بالأهل
و لا جنح السبط الزكى ابن أحمد لسلم ابن حرب حرب كل أخى فضل
و لا كان فى الطف الحسين مجدلا و لا رأسه للشام يهدى إلى النذل
و لا سييت يوما بنات محمد و لا آله أضحت أضاحى على الرمل
و لا طمعت فيها علوج أميه و لا حكمت أبناء مثله فى النسل
جعلتم تراث الأقربين لمن ناى و أدنيتم الأقصين عدلا عن العدل
و أخرتم من قد علا كعبهم على حدود الأولى مالوا و ملتتم إلى المثل
على أننى مستغفر من مقاتلى و ذكرى شرودا سار فى مثل قبلى
فما خد من قسم به صالحا لأن يكون لعمري موطئ الرجل و النعل
و أين سماء المجد من مهبط الثرى و أين سنام العلم من مدحض الجهل
و أين السهى من بهجه الشمس فى الضحى و أين العلى من منتهى البعد فى السفلى
زعمتم بنى العباس عقده أمرها و ما صلحوا للعقد يوما و لا الحل
و جدتهم قد كان أفضل منهم و ما أدخل الشورى و لا عد للفضل
و قد قدموا اليتيمى قدما لسنه و ما قدموا الشيخ الشريف أبا الفضل
لقد ظلموا العباس إن كان أهلها و إن لم يكن أهلا فما الولد بالأهل
فما بالكم صيرتموها لولده و أثبتموا للفرع ما ليس للأصل
و قد بذل العباس نصره حيدر و بيعته بعد النبى بلا فصل

و كان بحق الطهر كالحبر نجله عليما و أكرم بابن عباس من نجل
و لكن ابى الأحفاد سيره جدهم فجدوا بظلم الطيبين من النسل
و غرهم الملك العقيم و عزهم فبعدا لعز عاد بالخزى و الذل
و قد قطعوا الأرحام بعد قيامهم بظلم مقام الأقربين من الأهل
بحبس و تشريد و بغى و غيلة و حرب و إرضاء و خذل إلى قتل
لأن قتلت آل النبي أميه فقتلهم أوفى عديدا من الرمل
و إن منعتها الماء تشفى غليلها فقد أرسلوه للقبور من الغل
و إن حبست عنها الفرات فإنهم باجرائه اجرى فقبح من فعل
و قد حيل فيما بين ذاك و بينهم فحاروا و حار العقل من كل ذى عقل
و حاولت الأرجاس إطفاء نورهم بأفواههم و النور يسمو و يستعلى
فعلمهم المنشور فى كل مشهد و حكمهم المشهور بالنصف و العدل
و اسمائهم تلو لأسماء ربهم و جدهم خير الورى سيد الرسل
و يرفعهم فى وقت كل فريضه نداء صلاه و الصلاه من الكل
مشاهدتهم مشهوده و بيوتهم تراها كبيت الله شارع السبل
تشد الورى من كل فج رحالها إليها و تطوى البيد حزنا إلى سهل
على كل عداء من السير ضامر يغول الفلا فى كل هاجرته تغلى
تؤم التى فيها النجاه و عندها مناخ ذوى الحاجات للفوز بالسؤل
بيوت باذن الله قد رفعت فما لها غير بيت الله فى الفضل من مثل
و فيها رجال ليس يلهيهم بها عن الله بيع أو سوى البيع من شغل
أولئك أهلوها و أهلا بأهلها و لا مرحبا بالغير إذ ليس بالأهل

أولئك لا نوكى أميه و التي قفتها فزادت فى الضلاله و الجهل
أساءت إلى الأهلين فاجتث أصلها و بادت كما بادت أميه من قبل
فسل عنهم الزوراء كم باد أهلها فأمست لفقد الأهل باديه الشكل
أبيدت بها خضراء ذات سوادها فاضحت بها حمراء من حلب النصل
و إن شئت سل أبناء يافث عنهم فعندهم أبناء صدق عن الكل
فكم ترك الأتراك كل خليفه بيغداد خلفا لا يمر و لا يحلى
و كم قلبوا ظهر المجن لهم بها و كم خلعواهم خلع ذى النعل للنعل
و كم قطع الجبار دابر ظالمى أو لى عدله و الحمد لله ذى العدل
و قلتهم أضاعوها كذبتهم و إنما أضيعت بكم لما انطويتم على الغل
و هل يطلبون الأمر من غير ناصر أو النصر ممن لا يقيم على إل
كنصره أنصار النبى ابن عمه فلم يبق منهم غير ذى عدد قل
و نصر عبيد الله فى يوم مسكن لسبط رسول الله ذى الشرف الأصل
إذا انسل من جند عليهم مؤمر بجنح ظلام و الدجى ستر منسل
و لم يرع حق المصطفى و وصيه و لا حرمة القربى الحريه بالوصل
و نصره كوفان حسينا على العدى فلما أتاهم حل ما حل بالنسل
و بيعه أشراف القبائل مسلما و قد أسلموه بعد ذلك للقتل
و نصرتهم زيادا و اعطائهم يدا و تركهم إياه فردا لدى الوهل
و لو قام فى نصر الوصى و ولده حماه مصاديق اللقا صادقوا الفعل
لقام بنصر الدين من هو أهله و زيد بهم من ليس للأمر بالأهل
و لو كان فى يوم السقيفه جعفر أو الحمزه الليث الصئول أو شبل

لما وجدت (أخرى) سبيلا إلى العلى و لا هبط الأمر العلى إلى السفلى
و لكن قضى فيما قضى الله عنده و ما خطت الأقلام فى اللوح من قبل

ص: ٣٣٢

بإمهالهم حتى يميز به الذى يطبع من العاصى المكب على الجهل

إلى أن يقوم القائم المرتجى الذى يقوم بأمر الله يطلب بالذحل

و يشفى صدور المؤمنين بنصره و يملأ وجه الأرض بالقسط و العدل

و يسقى العدى كأساً مصبره إذا بها نهلوا علوا بيحوم و المهل

فمهلاً فان الله منجز وعده و موهن كيد الكافرين على مهل

و خاذل جمع الماردين و من سعى لإطفاء نور الله بالخيل و الرجل

فديتك يا ابن العسكرى إلى متى نعانى العنا من كل ذى تره رذل

فقم يا ولى الله و انهض بعزمه من الله منصوراً على كل مستعلى

لأن ظن بالنصر المؤزر معشر فانى معد النصر من عالم الظل

ولائى دليلى و المهيمن شاهدى و علمك بى حسبى من القول و الفعل

فدونك نصرى باللسان طليعه لنصرى إذا طالعت نورك يستعلى

أت من عبيد مت اسما و نسبه له منك جبل غير منقطع الوصل

فمن علينا بالقبول فإنها أشق على الأعدا من الرشق بالنبل

عليك سلام الله مبلغ فضله و ما لك من فضل على كل ذى فضل

الشيخ محمد مهدى بن الشيخ عبد الهادى بن الشيخ أبى الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادى المازندرانى الهزارجربى الحائرى

ولد فى كربلاء سنة ١٢٩٣ و توفى سنة ١٣٨٤، و دفن فى مقبرته الخاصة الواقعة فى حسينيه المازندرانى.

أسرته

و آل المازندرانى من بيوتات العلم المعروفة فى كربلاء و كان نبوغ هذه الأسره فى كربلاء فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى حين هاجر جدهم الشيخ أبو الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادى الهزارجربى المازندرانى المتوفى سنة ١٣٠٦ من

طهران مع زميله الشيخ مرتضى الأنصاري إلى كربلاء و استوطننا بها.

مؤسس هذه الاسره الشيخ أبو الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادي الهزارجربي المازندراني من اجلاء علماء الشيعة و قد مر ذكره في محله من (الأعيان) في المجلد الثاني. و قد نبغ من هذه الأسره علماء، و خطباء مشاهير.

منهم الشيخ عبد الجواد بن الشيخ أبو الحسن من فقهاء كربلاء كان يقيم الجماعه في الحرم الحسيني المطهر من جانب الرأس الشريف و قد كف بصره في أواخر عمره، و هو أحد نماذج السلف الصالح في تبحره في الفقه و خشونته في ذات الله، عابد زاهد كان ارشد إخوانه توفي في ليله الجمعه ثالث من شهر رجب سنه ١٣٦١ و أعقب ولده الشيخ علي.

اساتذته

أخذ الفقه و الأصول عن والده، ثم تخرج على الشيخ ميرزا علي نقى البرغانى الصالحى المتوفى سنه ١٣١٠ ثم تخصص في الخطابه و نبغ بها و كان من أكابر خطباء المنبر الحسيني في العراق، و كان يرقى السيد حتى في أواخر أيام عمره على رغم الضعف المفرط في مزاجه و كبر سنه.

مؤلفاته

١ - شجره طوبى يقع في جزئين أولهما في سبعة و ستين مجلسا في أحوال بعض الصحابه و التابعين و بعض الملوك، و الجزء الثانى في أحوال الخمسه الطاهرين و بعض المواعظ و الأخلاق في ثلاثه و خمسين مجلسا.

٢ - الكوكب الدرى في ثلاثه اجزاء كل منها ذو مجالس ذكر فيها أحوال النبى و البتول و الوصى.

٣ - معالى السبطين في أحوال السيدين الإمامين الحسن و الحسين (ع).

٤ - نور الابصار في أحوال الائمة التسعه الأبرار.

٥ - هديه الأبرار.

٦ - تقريرات استاذه الشيخ ميرزا علي نقى البرغانى الصالحى في الفقه و الأصول. (١)

السيد مهدي الحيدري:

مرت ترجمته في الصفحه ١٤٣ من المجلد العاشر و أشير هناك إلى موقفه الجهادى مع إخوانه العلماء خلال الحرب العالميه الأولى. و نضيف هنا بعض المعلومات عن احداث تلك الفتره:

في الحرب العالميه الأولى، سنه ١٣٣٢، داهمت الجيوش الإنكليزيهالعراق من جهه البصره، فأرسل بعض البصريين برقيات إلى مختلف أنحاء العراق يستجدون لدفع الإنكليز عن البصره. و كان نص البرقيه التي وصلت إلى علماء الكاظميه كما يلي:

"نغر البصره، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقى بلاد الإسلام، ساعدونا بامر العشائر بالدفاع".

و جاء على الأثر من علماء النجف إلى الكاظميه - قبل سفره بيوم واحد :-

شيخ الشريعه الاصفهاني، و السيد مصطفى الكاشاني، و السيد على الداماد - و غيرهم من العلماء و المجاهدين.

ثم تواردت على الكاظميه وفود العلماء الزاحفين نحو المعركه من النجف الأشرف و كربلاء، و كانت البلده تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب و التكريم، و تودعه بمثل ذلك".

أما الميرزا محمد تقى الشيرازى فإنه لما بلغه الأمر و هو فى سامراء أرسل ولده الأكبر.

و لما عزم السيد مهدي على المسير إلى "القرنه" أبرق إلى جميع زعماء القبائل و رؤساء العشائر الواقعه على ضفتى نهر دجله يخبرهم بتوجهه إلى ساحه الحرب، و أمرهم بالتعبئه و الاستعداد ليكونوا فى صفوف المجاهدين.

و فى عصر يوم الثلاثاء، الثانى عشر من محرم الحرام سنه ١٣٣٣، تحرك من الكاظميه و معه الشيخ مهدي الخالصى و الشيخ عبد الحميد الكلیدار و جماعه من المجاهدين، و خرجت الكاظميه بأسرها لتشيع ركب الجهاد الزاحف.

و وصل الموكب الكبير إلى ساحل النهر فى بغداد، حيث أعدت لهم هناك السفن و المراكب، ثم سارت بهم متجهه - نحو "العماره". و كان كلما يصل

ص: ٣٣٣

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الموكب احدى المدن أو القبائل العربية التي تنزل على ضفاف النهر يأمر بالوقوف، و ينزل هو و أصحابه، و يجمع الناس، و يحثهم على الجهاد، حتى وصلوا العماره. و هناك أمر بالاجتماع العام فى مسجدھا الجامع و ألقى الخطب الحماسيه من قبل بعض المجاهدين. ثم قام بنفسه و رقى المنبر و حث الناس على الجهاد، و حرضهم على التضحيه و الثبات، و أمرهم برص الصفوف، و توحيد الجهود أمام العدو المتربص و رغبتهم فى الشهاده و السعاده، و حذرهم مغبه الفرقة و التخاذل، و شوقهم إلى ثواب الله و رضاه، فاستجابوا للنداء، و التحق به خلق كثير.

ثم سار مع جموع المجاهدين إلى منطقہ "العزيز" و اجتمع هناك بالقائد العسكري "جاويد باشا"، و تفاوض معه حول القضايا الهامه التي تتعلق بخطط الحرب و شئون القتال.

و كانت الحرب فى ذلك الوقت قائمه فى "القرنه" و هى القلب، فقصد بمن معه ساحه الحرب، و فى أثناء الطريق صادف اندحار الجيش العثماني و انسحابه من منطقہ القتال، و رجوع بعض القبائل التي كانت تحارب معه، و سقوط القرنه بيد العدو. فأشار بعضهم عليه بالرجوع إلى العماره لأنها مركز القوه و موطن العشائر، فوافق على ذلك و عاد إلى العماره.

و بقى فى العماره يكتاب القبائل، و يحرض العشائر، و يبعث الرسل و الدعاه إلى سائر الأطراف يأمرون الناس بالخروج، فكان الناس يقدون على العماره زرافات و وحدانا مليون نداء الواجب، و عازمين على لقاء العدو، ثم يتوجهون إلى الميدان.

و بعد أن أعد العده، و هيا الجو، أبرق إلى العلماء: شيخ الشريعه و الكاشاني و الداماد و غيرهم و كانوا حتى هذا الوقت مقيمين فى الكاظميه - و طلب منهم التوجه إلى العماره مع أصحابهم المجاهدين، كما أبرق إلى أهالي بغداد و علمائها - الذين تاخروا عنه بسبب انشغالهم بفيضان دجله و انكسار بعض سدودها - يحثهم على التوجه إلى سوح الجهاد.

و بعد اثني عشر يوما من قدومه العماره ورد العلماء و من معهم إليها.

و فى تلك الآونه عزل القائد الأول "جاويد باشا" و عين مكانه القائد "سليمان عسكري بك".

و لما تكاملت جموع المجاهدين فى العماره، و عبثت القبائل تحرك إلى ساحه الحرب - و كانت قريبه من القرنه قبل بقيه العلماء، و نزل فى مقر القيادة العسكريه.

ثم أبرق إلى العلماء الذين تركهم فى العماره، و طلب منهم اللحق به فلبوا طلبه.

و قد توزع المجاهدون بقيادة العلماء على الجبهات المتعدده:

أما القلب و هو "القرنه" فقد رابط فيه السيد مهدي مع العلماء: شيخ الشريعه الاصفهاني، و السيد مصطفى الكاشاني، و السيد على الداماد، و السيد عبد الرزاق الحلو و غيرهم، و معهم جموع غفيره من المجاهدين و القبائل المرابطه.

و أما الجناح الأيمن و هو "الشعيه" فقد رابط فيه السيد محمد سعيد الجوبى، و الشيخ باقر حيدر، و السيد محسن الحكيم و غيرهم و معهم خلق كثير من المجاهدين و القبائل المقاتله.

و أما الجناح الأيسر و هو "الحويزه" فقد رابط فيه الشيخ مهدي الخالصي، و معه ولده الكبير الشيخ محمد، و الشيخ جعفر [و الشيخ راضي، و السيد محمد نجل السيد كاظم اليزدي، و السيد عيسى كمال الدين و غيرهم، و معهم عدد غفير من المجاهدين. ثم قرر ان يتقدم إلى الخطوط الأولى فركب سفينه أعدت لذلك، و سارت معه بعض القبائل كربيعة و بنى لام بسفنهم، و تخلفت عنه بعض القبائل الأخرى ريثما تنهياً للسفر ثم تلتحق به في اليوم الثاني.

و لما أدركهم الليل رست السفينه، على الساحل، و أمر أصحابه بالنزول، في ارض تسمى "حريه" و هي من الاراضي الوعره. فنزلوا فيها، و ضربوا خيامهم على حافه النهر من جانب القرنه، و باتوا تلك الليله و هم لا يعلمون موقعهم من الجيش العثماني، هل أنهم متاخرون عنه أم متقدمون عليه، و أما قبيلتا "ربيعة و بنى لام" فإنهم قد حطوا رحالهم قبل أرض "حريه" حيث أدركهم الليل هناك.

و لما أسفر الصبح خرج ولداه السيد أسد الله و السيد أحمد ليستكشفا حقيقه المكان. فبينما هما كذلك إذ لاحت لهما طلائع العدو، و ظهرت لهما بواخره النهريه و مدافعه و معداته الحريه، و قد بدأ - بقوه هائله - بهجوم عنيف مفاجئ على بشكل رهيب لا قبل للجيش العثماني بصدده.

ثم اشتبك الجيشان، و احتدم القتال من قبل طلوع الشمس إلى ما بعد زوالها. و قد رست بواخر الإنكليز بإزاء سد كان قد صنعه القائد السابق "جاويد باشا" و قطع به نهر دجله.

و كانت خيام السيد مهدي و أصحابه متقدمه على الجيش العثماني بنصف فرسخ بحيث كانت قريه من العدو، و بمراى منه و مشهد و صمد و من معه و اشتبكوا مع الإنكليز و صدوهم في ٥ ربيع الثاني سنه ١٣٣٣ في المعركه التي عرفت باسم معركه (نهر الروطه).

و بقى السيد مهدي و باقى العلماء و جموع القبائل مرابطين في تلك الجبهات مده أشهر و كان الإنكليز في هذه المده يعدون العده للهجوم ثانيا على تلك المراكز في جميع الجبهات، بقوه هائله لا قبل لهم بها.

فركزوا هجومهم أولاً على الجناح الأيمن في الشعبيه و انتصروا فيه.

ثم وجه الإنكليز قوتهم الكبيره إلى الجناح الأيسر في الحويزه و انتصروا هناك.

و لما فرغوا من الجناحين توجهوا إلى القلب، حيث يربط السيد مهدي، و جماعه من العلماء، و جموع من المجاهدين، و معهم القوات العسكريه العثمانيه، فهاجمهم الإنكليز و انتصروا عليهم ثم انسحب القائد العثماني العام نور الدين بك بجيشه.

و أعدت للسيد مهدي و بقيه العلماء و أصحابهم باخره خاصه من بواخر الجيش، و قد ضم إليها مركبان، أحدهما في اليمين و الآخر في اليسار و لم يكن فيها من الوقود ما يكفي لمثل هذه الرحله الشاقه، و ما يوصلهم إلى مأمنهم،

لذلك كانت تقف كثيرا و تسير قليلا. فكان ذلك كله سببا في ادراك العدو لهم و هم في النهر، و قد صوب نحوهم قذائفه، و حلقت فوقهم طائراته. فرأوا أن يتفرقوا في الباخرة و المركبين و لا يجتمعوا في مكان واحد، لئلا يرموا رمية واحده فيستشهدوا جميعا في وقت واحد. فنزل السيد مهدي و أنجاله الثلاثة، و ابن أخيه السيد عبد الكريم، و ابن عمه السيد عبد الحسين في مركب اليمين، و نزل السيد مصطفى الكاشاني و من معه في مركب اليسار، و بقي شيخ الشريعة و من معه في الباخرة نفسها.

و لما علم زعماء القبائل الواقعه على ضفاف النهر بوجود السيد مهدي في المركب و رأوا العدو قد قارب منه، أرسلوا زورقا صغيرا ليقله إلى الساحل، و بعد التردد الطويل نزل في الزورق مع أولاده و ابن عمه. و قد طرحوا في المراكب جل أسلحتهم إلا السيد عبد الحسين الحيدري فبقى على أهبته و استعداده و قد لبس لأمه حرب كامله، فلما استقر بهم الزورق، و هم بالسير، رمى اثنان من الجنود و واحد من المجاهدين بأنفسهم إلى ذلك الزورق من شده خوفهم و فرعهم، لينجوا من الموت، فانقلب الزورق بمن فيه و بينهم السيد مهدي نفسه و بعد جهد جهيد أمكن إنقاذه و من معه و الخروج بهم إلى الشاطئ قبيل المغرب.

و أما السيد عبد الحسين الحيدري و قد كان مدججا بالسلاح فعاص في الماء و لم يجدوا له أثرا.

أما السيد مهدي و انجاله فإنهم بعد أن استراحوا قليلا من عناء هذه المشقات و الأهوال، دخلوا في قلعه هناك و أقاموا فيها صلاه المغرب و العشاء، ثم رأوا أن المصلحه في مواصلة السير لأن العدو يجد السرى في طلبهم، و يأسر كل من يصادفه منهم.

و كان الطريق وعرا موحلا، و كله مياه و جداول، و السيد مهدي شيخ كبير، و قد هدت الحرب قواه، و انهكت الأحداث جسمه. و كان معهم في ساحه الحرب "السيد هاشم الشوشتري النجفي" و عنده زورق جاء به مع أصحابه حين الانسحاب فمر زورقه بتلك القلعه في ذلك الوقت، فأخبره رجل من الاعراب بما جرى على السيد و من معه في النهر، و نزوله في هذا الساحل، و دخوله في القلعه. و أنه الآن فيها مع انجاله يريدون السير، و يمنعهم من ذلك شدة الوحل و كثرة المياه، فوصل إلى السيد و اركبه و انجاله في زورقه، ثم أخبرهم بان السيد مصطفى الكاشاني قد انفصل مركبه من الباخرة و انحدر به مع الماء إلى جهة العدو، و التقى زورقي به عن طريق الصدفة، فنقلته إلى احدى السفن التي تقل [نقل] عددا كبيرا من المجاهدين. فقال له السيد راضى " ان هذه البواخر معرضه للاسر لأنها بطيئه السير، و العدو جاد في طلبها و لكن الرأى أن ناتي به معنا في هذا الزورق، فإنه أقرب إلى النجاه لخفته و سرعته " فاستصوبوا هذا الرأى و ذهبوا إلى السفينه و نقلوا السيد الكاشاني معهم، و جدوا في السير حتى وصلوا إلى منطقته اسمها "أبو روبه" قبيل الفجر، و هي تبعد عن "قلعه صالح" ثلاثه فراسخ.

اما شيخ الشريعة الاصفهاني - فإنه بقي في الباخرة مع أصحابه إلى الساعه الرابعه - غرويه - من الليل، و هي بطيئه السير، كثيره الوقوف، فخافوا أن يدر كههم العدو، فانتقلوا منها إلى الساحل، و ساروا على حافه النهر إلى قريب الفجر، فمروا بأحد الأهوار فأرادوا عبور النهر إلى الجانب الآخر حيث يوجد السيد مهدي و أصحابه، فصادفوا زورقا صغيرا لا يسعهم مره واحده، فقرروا التناوب في العبور، فاركبوا - في النوبه الأولى - شيخ الشريعة، و الميرزا محمد رضا نجل الشيرازي و رجلين آخرين من أهل العلم. و بينما هو يسير بهم و قد قاربوا الجانب الآخر إذ نفذ فيه الماء و غرق بمن فيه. و من المصادفات العجيبه ان يكون السيد راضى نجل السيد مهدي واقفا هناك في تلك اللحظه و قد سبق أصحابه إلى هذا المكان ليستريح فيه هنيهه، فلما رأى الحادث بعينه، و علم ان فيه شيخ الشريعة، القى بنفسه في الماء و استنقذ الشيخ و أصحابه و جاء بهم إلى الساحل، و كان الشيخ يلقيه بعد هذه الحادثه بمحبي الشريعة. و بينما هو كذلك إذ وصل إليه والده و اخوته، فلما رأوه بهذه الحال ظنوا أنه سقط في الماء مره

ثانيه، فأخبرهم بالخبر فشكروا الله على السلامه. و هناك اجتمع الاقطاب الثلاثه: "السيد المهدي، و شيخ الشريعه، و السيد الكاشاني" و جلسوا جميعا للاستراحه برهه من الزمن، ثم ركبوا زورقهم و ساروا حتى طلعت الشمس و أسفر الصباح، فأوا العدو قريبا منهم، و أنه سيدخل "قلعه صالح" و شيكا، فعدلوا عن مواصله السير إلى القلعه - و كانوا على مقربه منها - و جعلوا سيرهم على منازل القبائل فى الاهوار يتنقلون بين شيوخها و رؤسائها، من "خريبط بن فالح الصيهود" إلى "عبد الكريم بن صيهود" و منه إلى "مطلق الخليفه" ثم إلى "مجيد الخليفه" ثم إلى أخيه "حمود الخليفه" و منه إلى "محمد وشواى" و هما من شيوخ "آل ازيرج". و ما زالوا يتنقلون بين تلك المنازل و القبائل حتى وصلوا إلى "آل دراج"، ثم دخلوا فى "الجزيره" التى تفصل بينهم و بين "مياح" و هى قبيله "محمد الياسين" و قد اجتازوها ليلا بكل مشقه، و طولها يقارب الاثنى عشر فرسخا. و قد التحق بالسيد مهدي عند اجتيازه هذا الطريق كثير من المجاهدين، و بعض الضباط و الجنود العثمانيين الذين لاذوا بالسيد خوفا من القتل و الأسر و السلب، و بينهم قائم مقام "قلعه صالح" مع عائلته. و كانت سيره السيد مهدي فى هذه المسيره و لا سيما فى تلك الجزيره أن يركب ساعه و ينزل اخرى حتى يتلاحق به المجاهدون.

و هكذا قطع و صحبه ذلك الطريق الوعر حتى وصلوا إلى أول قبيله "مياح" بعد طلوع الشمس بساعتين، و نزلوا وقت العصر عند "كريم" أحد رجال هذه القبيله، و باتوا عنده تلك الليله. و فى الصباح الباكر ساروا حتى وصلوا إلى "محمد الياسين" شيخ مياح، و تاخروا عنده ذلك النهار و تلك الليله.

أما باقى العلماء الذين كانوا مع السيد مهدي فقد توجهوا إلى "قضاء الحى" و يبعد عن منطقه مياح نصف فرسخ تقريبا، و قد كان - حتى ذلك الوقت - تحت تصرف الحكومه العثمانيه.

و لما علم محمد صالح شكاره أحد وجهاء الحى بنزول السيد مهدي و أصحابه عند محمد الياسين جاء من الحى و زار السيد، و طلب منه أن يرحل معه إلى الحى، و ينزل عنده فى ضيافته، فأجابه إلى ذلك بشرط أن يمهل ذلك اليوم ليستقر و يستريح ثم يأتيه فى اليوم الثانى.

و فى اليوم الثانى مضوا، و معهم الميرزا محمد رضا الشيرازى و بقوا فى الحى عنده سبعة أيام.

و كان من نيه السيد و عزمه أن يذهب بعد ذلك إلى "الكوت" ليرابط فيها مع الجيش العثماني.

و فى عصر اليوم الثالث من شعبان سنة ١٣٣٣ تحرك، و أصحابه و معهم السيد مصطفى الكاشانى و ساروا إلى "الكوت" و وصلوا ليله الخامس منه إلى منطقته "وادي الحبيب" أحد أمراء ربيعه، و باتوا ليلتهم عنده. و فى صبيحه اليوم الخامس منه دخلوا الكوت و نزل السيد مهدي و أولاده و أصحابه عند "الحاج حسن الحاج جودى السعيدى" بطلب منه. و نزل السيد الكاشانى و من معه فى مكان آخر، و بقى الكاشانى هناك أياما ثم عاد إلى وطنه.

أما شيخ الشريعة فقد عاد إلى وطنه من قضاء الحى، و لم يصل إلى الكوت.

و أما السيد مهدي فقد لبث فى الكوت مرابطا مده أربعة أشهر كامله، مع أولاده و جمع من العلماء و المجاهدين. و قد أصابه هناك مرض شديد.

و رابط فى الكوت معه أيضا من العلماء الشيخ مهدي الخالصى و السيد عبد الرزاق الحلو.

و كان مركز الجيش العثماني الذى جمعه القائد العام "نور الدين بك" فى شرق الكوت فى منطقتين (الفلاحيه) و (السن) و هما استحكامات طبيعیه فى طرفى دجله. و كان العدو قد أعد العده للهجوم على هذه القوه العسكريه الكبيره. و فى أوائل ذى الحجه هجم بقوه هائله على مراكز الجيش العثماني، فاضطره إلى الانسحاب ليلا من الكوت بعد مقاومه عنيفه. فأرسل السيد مهدي إلى الشيخ الخالصى و السيد الحلو و أشار عليهما بلزوم الانسحاب قبل مدهامه العدو، و ان يكون الخروج عن طريق البر فى نفس الليله التى يخرج فيها الجيش. و بدءوا فعلا- بالانسحاب فى الساعه السابعه غروبىه من الليل، و عبروا إلى الجانب الآخر حتى لا يدرکهم العدو. و فى تلك الليله أصاب السيد مهدي رمد شديد فى عينه، فاضطر إلى البقاء ليلتين عند قبيله ربيعه، و فى اليوم الثانى مرت عليهم بواخر العدو قاصده مدينه (النعمانيه) و هى تبعد عن الكوت بمقدار سته فراسخ تقريبا، فاضطر السيد مهدي و أصحابه إلى السفر عن طريق (عفك و الدغار) و قد أحضرت له و لأصحابه الخيول و هناك كان لا بد من أن يقطع - على شيخوخته و ضعفه و مرضه - جزيره عفك الطويله راكبا على فرس و هو مشدود العينين، و معه رجل من ربيعه يقود الفرس.

و فى الليله الثانيه من ركوبه بلغ أول عفك، فنزل عند (مناحى آل الحاج طرفه)، ثم واصل السير إلى محل (الحاج مهدي الفاضل) و أخيه (الحاج صلال)، ثم واصل السير إلى محل (الحاج مخيف) و أقام عنده تلك الليله، و أمر بإحضار سفينه له و لأصحابه عند الصباح للتوجه إلى وطنه.

و فى الصباح تحرك موكبه و قطعت السفينه ليلتين حتى وصلت إلى محل (السيد حسين) نجل الشاعر الكبير السيد حيدر الحلى فأقام السيد عنده ليله واحده، ثم توجه فى صبيحتها إلى (الحله) و وصلها عصرا، و حل ضيفا مكرما عند (الحاج حمزه الشهربانلى) و بقى عنده ليله واحده.

و فى الصباح توجه بأصحابه إلى وطنه، فوصل الكاظميه فى اليوم الثامن و العشرين من شهر ذى الحجه سنة ١٣٣٣. و قد دامت رحلته سنه كامله الا- أياما قليله. و نحن نرؤى هذه التفاصيل التى رواها من شاهدها لنعطى القارئ ملامح عما عاناه أولئك الشيوخ و هم فى أسنانهم العالیه من البلاء دفاعا عن الإسلام فى ظل [الدوله العثمانيه التى كانت لا ترحمهم فى حكمها

و مع ذلك فعند ما رأوها تواجه اخطار الاحتلال الأجنبي وقفوا إلى جانبها باسم الإسلام لأنها كانت فى نظرهم تمثله فى ذلك العصر.

هذا هو التاريخ الشيعى الناصع و هذه هى مواقف رحاله و قاداته.

السيد منصور كمونه النجفى

قال الشيخ محمد هادى الأمينى:

الشيء الكثير من تراث النجف الفكرى ضاع و لفه التلف و النسيان و الإهمال بحيث لم يحفظ التاريخ لنا منه أى ذكر. و من هؤلاء شاعر نجفى عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى، و خرج من عند أسرته و لم يعد إليها إلى أن توفى، حتى أن أسرته لم تعرف وجود شاعر كهذا فى أبنائها هو السيد منصور كمونه الحسينى النجفى.

أما ولادته و نشأته و دراسته و عام وفاته و آثاره الادبيه فلم تعرف و كل هذا مجهول و مبهم و المعروف انه من اسره آل كمونه النجفيه الشهيره بالفضل و الأدب.. و ديوانه يدل على شاعريه و قاده و عبقرية فذه و تضلع بالغ فى فنون الشعر و أبوابه.

لقد عاش الشاعر فى القرن الحادى عشر و مات و لم يعرف عنه أى أثر و مضت السنون و القرون إلى أن ظهرت فى إحدى مكتبات ايران مخطوطه شعريه كتب عليها ما يلى: هذا الديوان للسيد منصور كمونه الحسينى النجفى سلمه الله تعالى.

يقع فى جزءين صغيرين بقطع الربع ١٨.١٣ ورق خشن كتابه واضحه مجموع صفحاتها ١٥٤ و قد رتب الجزء الأول على حروف الهجاء من الالف إلى الياء و يحتوى على قصائد فيها المدح و الحماسه و البث و الشكوى و الوصف و المثل و الرثاء.. اما الجزء الثانى فيشتمل على مواليات و عددها ٢٥٠ مواليه مرتبه أيضا على الحروف و سماها الشاعر بالحسينيه و لقبها بابكار الأفكار و أنوار الأنوار و فيها الحمد و الحماسه و التشبيب و الرثاء و الوصف و الوعظ و الشكوى و المثل.

جاء فى أوله بعد الحمد: أما بعد فيقول العبد المذنب السيد منصور كمونه الحسينى النجفى على ساكنه ألف تحيه و سلام لما ساقنى القضاء و القدر من الوطن المألوف و المنشأ الذى كنت به مشغوف و كان سفرى فى أول عنفوان شبابى قطعت القفار و خضت البحار شرقا و غربا و صحبت كل ذى عقل و لما أمعنت نظرى و صرفت فكرى فى تتبع إشهار [أشعار] العرب و عن لى بان انشد ما تيسر لى به عن مفارقه الأهل و الأوطان..

الجزء الثاني منه جاء فى الهامش: لمالكه سليمان بن داود الحسينى.

هذه الصورة مصغره عن ديوان السيد منصور كمونه النجفى و لعل التاريخ يكشف لنا صفحات مشرقه من حياته الاجتماعيه و الأدبيه.. و اسال المولى سبحانه أن يوفقنى فى تحقيق الديوان و إخراجہ للناس و الله ولى التوفيق.

الشيخ مهدي الكلكاوى

آل الكلكاوى: - من الأسر المشهوره فى كربلاء و هم ينتسبون إلى قبيله زبيد نبغ منهم اعلام فى الفقه و الأصول و الأدب و الشعر. و لهم تراجم فى كتب السيره و معاجم الرجال.. و قد انجبا فروعاً كثيره و بطون متعدده. أما آل الكلكاوى الذين نزحوا إلى كربلاء من احدى قرى الحله المسماه (قليح)(١) و (قناقيه)(٢) و هم أهل علم و فضل و تقوى و صلاح فلم يبق فيهم من يشتغل بالعلوم الدينيه فى الوقت الحاضر حيث انصرفوا جميعاً إلى الدراسات الحديثه و التجاره و السياسه كما انهم شاركوا فى الحركات السياسيه منها ثوره العشرين حيث انهم بذلوا كل غال و نفيس لاجل توطيد أركان الثوره و حملوا السلاح بوجه المستعمرين.

و من أشهر رجال هذا البيت فى كربلاء.

١ - الشيخ مهدي بن تعب بن حمدان بن مسعود الكلكاوى الحائرى من رجال العلم و أرباب الفضيله اصولى محقق، خطاط مبدع. ولد فى كربلاء، حدود سنه ١٠٩٦ هجرية و نشأ نشأه صالحه فتلقى مبادئ العلوم على جملة من الأفاضل و أدرك السيد نصر الله الحائرى المستشهد فى القسطنطينيه سنه ١١٦٨ هجرية.

و قد اجمع علماء عصره على انتخابه للاشراف على صنع ضريح العباس (ع) سنه ١١٨٠ و قد خط بقلمه آيات من القرآن الحكيم على جوانب الضريح غايه الإبداع بالفن الإسلامى و التراث الفكرى الحضارى و قد انتهى صنعه سنه ١١٨٣ و هو الآن موجود فى خزانه الروضه العباسيه المقدسه.

توفى المترجم له بعد سنه ١١٨٥ هجرية و دفن فى الروضه الحسينيه المطهره فى الرواق الشرقى.

٢ - الشيخ صالح بن الشيخ مهدي الكلكاوى الحائرى من علماء كربلاء الاجلاء فقيه جليل اصولى بارع. ولد فى كربلاء سنه ١١٦٣ فتلقى أوليات العلوم على والده و جملة من العلماء و أدرك الوحيد الآغا باقر البهبهانى المتوفى سنه ١٢٠٥ و نبغ فى الخط العربى. و قد كتب بخط الثلث سوره الدهر على الصندوق الخاتم الذى هو الآن على مرقد الامام الحسين (ع) و هو يدل على براعته فى فنه و يده الطولى فى هذا الباب.

و للمترجم بعض الحواشى على الكتب الفقيهيه و النحويه لم يخرج من السواد إلى البياض كما حدثنى أحد أحفاده. توفى بعد سنه ١٢٢٥ و دفن عند والده فى الرواق الشرقى من الحرم الحسينى المطهر(٣).

السيد محمد طاهر الحيدري ابن السيد احمد:

ولد في الكاظميه سنة ١٣٢٧، و نشأ في ظل أبيه و هاجر معه إلى النجف الأشرف، ثم هاجر إليها مره أخرى بعد رجوع والده إلى الكاظميه، فحضر أبحاث السيد أبي الحسن الاصفهاني، و السيد حسين الحمامي و السيد أبي القاسم الخوئي، و السيد حيدر الصدر و غيرهم.

و هاجر إلى سامراء، و انصرف إلى المدرس و التدريس، و تتلمذ فيها على الميرزا محمود الشيرازي و الميرزا حبيب الله، ثم عاد إلى الكاظميه، فحضر درس السيد احمد الكشوان و الميرزا على الزنجاني.

ثم انتقل إلى بغداد اماما للجماعه في جامع المصلوب.

له كتاب في الأصول، و كتاب في مناسك الحج، و كتاب في أحكام و آداب الزواج.

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القريشي الزهري، أبو بكر

الحافظ الفقيه، عالم الحجاز و الشام، من أصحاب الامام زين العابدين، و روى عنه، و عن علي بن عبد الله بن عباس، و عبد الله بن جعفر، و عبد الله بن عمر، و ربيعه بن عباد، و المسور بن مخرمه، و خلق كثير، و عنه روى عطاء، و أبو الزبير المكي، و عمر بن عبد العزيز، و كثير [خلق] كثير، يعد من أوائل من دون الحديث مات بشعب سنة ١٢٤.

الشيخ محمد مؤمن أسد الله

الشهير بابن خاتون:

الساكن في (المشهد). رأيت في مكتبه الامام الرضاع مخطوطه لكتاب سيبويه موقوفه منه سنة ١٠٦٧.

و على الجزء الثاني خطه و توقيعه، اما على الجزء الأول فيوجد ختم ينص على الوقف.

و لما تحدثت عن ذلك خارج المكتبه قال لي أحد الحضور ان هناك كتبا أخرى من موقوفاته، كما قيل لي ان موقوفاته من الكتب كانت هي نواه مكتبه الرضا التي توسعت بعد ذلك و صارت إلى ما صارت إليه.

معمر بن خلاد البغدادي:

من أصحاب الامام الرضا (ع)، ثق له كتاب الزهد، روى عن الامام، و معاويه بن وهب، و عنه روى الصفار، و محمد بن عيسى، و أحمد بن أبي عبد الله، و موسى بن عمر، و علي بن الحسن بن فضال، و إبراهيم بن هاشم، و سهل بن زياد و غيرهم.

الشيخ محسن بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب كتاب جواهر الكلام:

ولد فى النجف الأشرف سنة ١٢٩٥ و نشأ بها، توفى عنه والده و هو فى

ص: ٣٣٧

١- قليح: قريه كانت فى ضواحي الحله ثم اتصلت بها

٢- قناقيه: احدى قرى الحله.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

التاسعة عشره من عمره: و أصل دراسته على الميرزا النائيني و شيخ الشريعة الاصفهاني و غيرهما ثم رحل إلى البحرين ثم إلى الدورق (الفلاحيه) في مقاطعه خوزستان.

اشترك في الحرب العالميه الأولى مع السيد محمد سعيد الجبوبي [الجبوبي] في محاربه الإنكليز ثم انتقل إلى الأهواز بعد حدوث اختلاف بين عشائر كعب في الدورق و بقي في الأهواز سبع سنين و على أثر مرض عضال ألم به صمم على العوده إلى النجف الأشرف و في طريقه إليها توفي في البصره ليله الخميس ١٥ من شهر ذى القعدة سنه ١٣٥٥.

الشيخ ناصر الخطي الجارودي:

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

كان من علماء البحرين و فضلائها صالحا عابدا أخذ الفقه عن علامه عصره الشيخ احمد والد صاحب الحدائق، و أخذ الحديث و الرجال عن شيخنا الشيخ عبد الله السماهيجي و مجاز عنه. مات قدس سره سنه ١١٦٤. و قبره ببهبهان مشهور إلى الآن.

السيد ناصر حسين:

مرت ترجمته في الصفحه ٢٠٠ من المجلد العاشر و نزيد عليها هنا ما يلي:

١: - كتابه: نفحات الأزهار عدد مجلداته ١٦.

٢: - كتابه: إسباغ النائل عدد مجلداته ٩.

٣: - يضاف إلى مؤلفاته كتاب سبائك الذهبان في أسماء الرجال و النسوان عدد مجلداته ٤٨.

٤: - من تلاميذه الزعيم الهندي الشهير أبو الكلام آزاد الذي كان فتره طويله رئيسا لحزب المؤتمر الهندي و كان أحد الرجال الثلاثة الذي يؤلفون لجنه القمه لتحرير الهند و هم (جواهر لآل نهرو) و (ديلبه باتيل) و أبو الكلام آزاد.

ثم كان بعد استقلال الهند وزيرا للمعارف. فقد درس عليه كتاب نهج البلاغه في سنتين كاملتين.

و من هنا تشيع [تشيع] أبو الكلام بالروح الشيعيه الصحيحه التي برزت في كثير من مؤلفاته مثل كتابه (على بن أبي طالب القرآن الناطق) و غيره، كما برزت في أعداد مجلته (الهلال) التي كان يصدرها في كلكتا و التي لم يخل عدد من اعدادها من ذكر الأئمه لا سيما الحسين بن علي (ع) الذي له فيه أقوال خالده.

و قد تخلف المترجم بكل من السيد محمد نصير و هو أكبر أولاده و قد انهى دراسته في النجف الأشرف و عاد إلى لكهنو و السيد محمد سعيد و قد انهى دراسته في النجف أيضا و هو كان القائم مقام والده في كل شئونه لا سيما في الاشراف على

مكتبته الكبرى.

و من مزايا المترجم محاربه للروايات غير الموثوقه التي كان يتلوها الخطباء و الواعظون على المنابر استهواء للعامه. فكان هو يحارب ذلك فلا يحضر مجلسا لا يثق بخطيبه. و بهذا اقتدى به جيل من الخطباء فتحروا جهدهم صحه الأحاديث.

و من مآثره انه أول من فكر بتأسيس معهد (شيعه كالج) في لكهنو ليجمع شباب الشيعة بين الدراسات الحديثه و الروح الإسلاميه و عاونه في ذلك زميله السيد نجم الحسن فاستطاعا بتوحيد جهودهما أن يقيما ذاك المعهد الكبير بعد أن جمعا له مالا يقل عن مليون ربيه.

نصر بن علي الحلبي النحوي:

هو أبو الفتوح نصر بن علي بن منصور النحوي الحلبي المعروف بابن الخازن، كان حافظا للقرآن المجيد، عارفا بالنحو و اللغه العربيه، قدم بغداد و استوطنها مده و قرأ على ابن عبيده و غيره، و سمع الحديث على أبي الفرج بن كليب و غيره و لم يبلغ أوان الروايه، توفي شابا بالحله في الثالث و العشرين من جمادى الآخره من سنه ٦٠٠ و دفن في مشهد الحسين بن علي (ع).

نصر بن ناصر المدائني

هو قوام الدين أبو الفوارس نصر بن ناصر بن ليث بن مكي الكاتب المدائني، انتقل من المدائن إلى بغداد و أقام بها و استوطنها و تقدم في خدمه الديوان و علت منزلته و رتب مشرف "دار التشريعات" للناصر لدين الله، ثم مشرفا بالديوان المفرد، ثم تولى صدرية المخزن و خلع عليه في دار الوزير ناصر بن مهدي العلوي و أضيف إليه النظر في اعمال السواد سواد بغداد و و كله الخليفه الناصر عنه و أشهد له عدلين كبيرين بالوكاله، و لم يزل في علو من شأنه و إقبال من سلطانه إلى أن اخترمته المنيه شابا، و كان فاضلا كاتبا أديبا يقول الشعر و يورد في الهنئات مع الشعراء مدائح للخليفه الناصر و ذلك قبل توليه الولايات المذكوره، و من شعره قوله في رثاء زمرد خاتون أم الناصر.

قلبي لوقع النأي و البين يضطرب و غايه البين ان الدمع ينسكب

دعه عسى دمه يطفى لحرقته فمله الماء منها يخمد اللهب

و المرثيه طويله - على ما قاله المؤرخ الثقه، كانت وفاته في ليله الأربعاء تاسع شعبان من سنه ٦٠٥ عن مرض أيام قلائل و صلى عليه بجامع القصر المعروف اليوم بعضه بجامع سوق الغزل ببغداد، و حضر جنازته جميع أرباب الدوله و وجوه الناس كافه و دفن في حضره موسى بن جعفر - (ع).

القاضي أبو حنيفه النعمان بن محمد

مرت ترجمته في الصفحه ٢٢٣ من المجلد العاشر. و نقل المؤلف هناك قول ابن خلكان انه كان مالكيًا ثم عاد إلى مذهب الاماميه و بذلك استدلل المؤلف على أنه اثنا عشرى لا اسماعيلي، إذ أن كلمه (الاماميه) تعنى الشيعة الاثني عشرية.

و لكننا لم نجد فى سيره المترجم و لا فى كتبه ما يدل على انه اثنا عشرى.

و ربما كان ما عنى به ابن خلكان من كلمه (الاماميه) هو مطلق الشيعه.

و ننشر فيما يلى بحثا للدكتور محمد كامل حسين عن النعمان و بنيه و فيه تفصيل لما أجمل فى الترجمة:

- ١

بنو النعمان

ص: ٣٣٨

لدى طائفه البهره الإسماعيليه، هذا الرجل هو القاضى أبو حنيفه النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن حيون التميمى المغربى، و يعرف فى تاريخ الدعوه الفاطميه باسم القاضى النعمان تميزا له عن سميهِ أبى حنيفه النعمان صاحب المذهب السنى المعروف. اختلف الناس فى تاريخ مولده فذهب بعضهم مثل الأستاذ جوثيل إلى أنه ولد سنه ٢٥٩ و تبعه الأستاذ ماسينيون فى ذلك الرأى، و لكن الأستاذ آصف فيضى خالفهما و ذهب إلى أنه ولد فى العشر الأخير من القرن الثالث و ليس لدينا ما يرجح أحد الرأين. بل نصرح بأنه لم يصلنا شىء عن نشاته الأولى و لا عن آبائه و أسرته إلا ما رواه ابن خلكان: أن والده أبى عبد الله محمد قد عمر طويلا، و أنه كان يحكى أخبارا كثيره نفيسه حفظها فى كبره، و توفى فى رجب سنه ٣٥١ و صلى عليه ولده أبو حنيفه النعمان و دفن بأحد أبواب القيروان فحياه الأسره غامضه أشد الغموض و لم يحفظ التاريخ شيئا عنها، و لا أدرى من أين استقى الأستاذ جوثيل ما رواه من أن والد النعمان كان من رجال الأدب، إلا إذا كان قد فهم من نص ابن خلكان ذلك.

و ليس لدينا شىء عن حياه النعمان قبل قيام الدوله الفاطميه سنه ٢٩٦ هـ و قبل اتصاله بعبيد الله المهدي الفاطمى مؤسس الدوله الفاطميه، إلا أنه كان مالكي المذهب و تحول إلى المذهب الفاطمى، و لكن مؤرخى الشيعة الاثنى عشرية قالوا إن النعمان كان مالكي المذهب ثم تحول إلى الشيعة الاثنى عشرية ثم انتقل إلى الإسماعيليه الفاطميه و يذهب أبو المحاسن إلى أنه كان حنفى المذهب قبل أن يعتنق المذهب الفاطمى. و لكن إذا أمعنا النظر فى هذه الخلافات وجدنا أن الأرجح هو ما رواه ابن خلكان، فالمذهب المالكي هو المذهب الذى كان يسود شمال إفريقيا و الأندلس، على أن المذهب الحنفى كان قليل الانتشار بين المسلمين فى إفريقيا و فى مصر أيضا، و أن خلاصه تلاميذ مالك كانوا مصريين، و عن مصر انتقل هذا المذهب المالكي إلى شمال إفريقيا و الأندلس و ساد هذه البلاد حتى قل أن نجد فيها مذهبا آخر من مذاهب أهل السنه، فمن المرجح أن النعمان كان على مذهب أهل بلاده، أما ما يدعيه الأستاذ آصف فيضى أن النعمان كان إسماعيلى المذهب منذ نعومه أظفاره و أنه اتخذ التقيه و الستر خوفا على نفسه و على مذهبه فهو كلام يحتاج إلى ما يؤيده، و كذلك لم يتحدث أحد من المؤرخين الذين ذكروا النعمان عن إسماعيليته إلا بعد صلته بالمهدى سنه ٣١٣ هـ أى بعد أن أظهر المهدي نفسه فى المغرب و هزم الأغالبه و احتل ديارهم. دخل النعمان فى خدمه المهدي و اتصل به، و لا ندري نوع الخدمه التى كان يؤديها و لا الصله التى اتصلها به، و لكن بعد وفاه المهدي اتصل النعمان بالقائم بامر الله طوال مده حكمه.

و فى أواخر أيام القائم ولى النعمان قضاء مدينه طرابلس الغرب، أما قبل ولايته قضاء طرابلس فلا نكاد نعرف عنه شيئا. و لما بنى المنصور مدينه المنصوريه كان النعمان أول من ولى قضاءها بل و لاه المنصور القضاء على سائر مدن إفريقيا.

و أصبح النعمان شديد الصله بالإمام الفاطمى مقربا منه، و ظل قاضى قضاء هذه المدن و من تحته قضاتها، إلى أن ولى المعز لدين الله الامامه فاشتدت صله النعمان به حتى إنه كان يجالسه و يسايره و قل أن يفارقه بعد أن كان مستوحشا منه عقب ولايته. و لكن المعز طلب إليه أن يكون فى عهده كما كان فى عهد أبيه المنصور بالله، ثم قربت الصله بين المعز و النعمان حتى أصبح النعمان جليسه و مسايره، و وضع النعمان كتابه المجالس و المسابير جمع فيه كل ما رآه و ما سمعه من إمامه المعز. و لما رحل المعز من إفريقيا إلى مصر سنه ٣٦٢ هـ اصطحب معه بنى النعمان، و كان النعمان إذ ذاك قاضى الجيش، و كان من الطبيعى أن يقلد النعمان قضاء مصر، و لكن المعز بعد أن استقر بمصر ترك القضاء لآبى طاهر الذهلى محمد بن أحمد الذى كان على قضاء مصر منذ سنه ٣٤٨ هـ و طلب إلى أبى طاهر أن يحكم بفقهِه الفاطميين، فكان لا بد للقاضى من أن يسترشد فى أحكامه بالقاضى النعمان، و ما زال كذلك حتى توفى النعمان سنه ٣٦٣ هـ.

و يقول ابن حجر: إن النعمان كان يسكن مصر أى الفسطاط و يغدو منها إلى القاهره فى كل يوم و يروى ابن خلكان عن المسيحي أن النعمان كان من أهل العلم و الفقه و الدين و النبيل ما لا مزيد عليه، و نقل ابن خلكان عن ابن زولاق أن النعمان بن محمد القاضى كان فى غاية الفضل من أهل القرآن و العلم بمعانيه. و عالما بوجوه الفقه و علم اختلاف الفقهاء و اللغه و الشعر الفحل و المعرفه بأيام الناس مع عقل و إنصاف. و كل من تحدث عن النعمان من المؤرخين يذكر فضله و علمه و سعه ثقافته، فلا غرابه إذن أن نرى هذه الكتب الكثيره التى ألفها النعمان و التى أصبحت عمده كل باحث فى المذهب الفاطمى بل أصبحت الأصل الذى يستقى منه علماء المذهب: فلا أكاد أعرف عالما من علماء..... الدعوه الفاطميه لم ينهج نهج النعمان فى فقهه أو اختلف معه فى رأى فى المسائل الفقيهيه، و قد يكون ذلك لأن النعمان قال فى كتابه المجالس و المسائرات: إن الامام المعز لدين الله طلب إليه أن يلقي على الناس شيئا من علم أهل البيت، فألف النعمان كتبه، و كان يعرضها على المعز فضلا فضلا و بابا بابا حتى أتمها، فهو يقول مثلا:

أمرنى المعز لدين الله (صلى الله عليه وسلم) بجمع شىء لخصه لى و جمعه و فتح لى معانيه و بسط لى جملته فابتدأت منه شيئا ثم رفعتة إليه، و اعتذرت من الإبطاء فيه لما أردته من إحكامه و رجوته من وقوع ما جمعتة منه بموافقته (ص) فطالعتة فى مقداره، فوقع إلى: يا نعمان لا- تبال كيف كان القدر مع إشباع فى إيجاز، فكلما أوجزت فى القول و استقصيت المعنى فهو أوفق و أحسن، و الذى خشيت من أن يستبطأ فى تاليفه فو الله لو لا توفيق الله عز و جل إياك و عونك لك لما تعتقده من النيه و محض الولايه لما كنت تستطيع أن تأتى على باب منه فى أيام كثيره، و لكن النيه يصحبها التوفيق.

المؤلفين و الكتب الإسماعيلية، و أمامي فهرست ابن النديم، و مجموعه خطيه قديمه لمؤلف مجهول جمع فيها أسماء الكتب التي ألفت منذ أوائل الدعوه الإسماعيليه، فلم أعثر في هذه الكتب كلها على كتاب واحد في الفقه الإسماعيلي قبل القاضي النعمان بن محمد. فلا غرو أن يعرف المعز فضل هذا العالم و أن يرفعه إلى أعلى الدرجات، و لا سيما أن النعمان ذكر في كتبه أنه اقتبس هذه العلوم عن الامام و يحدثنا المؤيد في الدين في سيرته أن الوزير اليازوري قال له: إن النعمان بنى هذا الأمر و إن أحق الناس بمكانه أبناؤه فالنعمان إذن قد أدى للدعوه الفاطميه هذا الفضل الذي عرفوه له، إذ لا يزال علماء الدعوه يعيشون على الفقه الذي وضعه لهم النعمان، و ربما على التأويل الذي ذكره في كتبه.

لننظر الآن إلى هذه الكتب التي وضعها النعمان لأهل الدعوه، فيقول ابن خلكان: إن النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف و أملى سجع، و عمل في المناقب و المثالب كتابا حسنا، و له ردود على المخالفين، له رد على أبي حنيفه و على مالك و الشافعي و على ابن سريج، و كتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت، و له القصيده الفقيهيه التي لقبها بالمنتخبه و سرد الأستاذ إيفانوف مؤلفات القاضي النعمان فإذا بها نحو أربعة و أربعين كتابا بعضها لا يزال يحتفظ به أتباع المذهب و هم طائفه البهره.

و منها كتب عثر على بعض أجزاءها، و منها ما فقد و لم يعرف إلا أسماؤه، و لا تعرف مكتبات أوربه إلا ستة كتب من كتب النعمان و هي:

(١) جزء من كتاب شرح الأخبار بمكتبه برلين، و أحضرت دار الكتب المصريه صورته فتوغرافيه منه.

(٢) كتاب دعائم الإسلام بمكتبه مدرسه اللغات الشرقيه بلندن، و في دار الكتب المصريه صورته فتوغرافيه منه.

(٣) تأويل دعائم الإسلام بمكتبه مدرسه اللغات الشرقيه بلندن، و في مكتبه جامعه القاهره صورته فتوغرافيه منه.

(٤) أساس التأويل بمكتبه مدرسه اللغات الشرقيه بلندن.

(٥) جزء من كتاب المجالس و المسامير بمكتبه مدرسه اللغات الشرقيه بلندن، و في مكتبه جامعه القاهره.

(٦) كتاب الهمه في اتباع الأئمه بمكتبه مكتب الهند بلندن، و عندي نسخه خطيه منه.

و يحتفظ أصحاب الدعوه الآن في مكتباتهم الخاصه بالكتب الآتية:

(١) إفتاح الدعوه، و عندي نسخه خطيه منه كما تحتفظ مكتبه جامعه القاهره بصوره منه (٢) كتاب الإيضاح (٣) كتاب الينوع

(٤) مختصر الآثار (٥) كتاب الطهاره (٦) القصيده المختاره (٧) القصيده المنتخبه (٨) منهج الفرائض (٩) الرساله ذات البيان في

الرد على ابن قتيبه (١٠) اختلاف أصول المذاهب (١١) كتاب التوحيد و الامامه (١٢) مناقب بنى هاشم (١٣) تأويل الرؤيا (١٤)

مفاتيح النعمه.

أما كتبه التي لم يعثر عليها و عرفت أسماؤها فهي:

(١) مختصر الإيضاح (٢) كتاب الأخبار (٣) كتاب الاقتصار (٤) كتاب الانفاق و الافتراق (٥) كتاب المقتصر (٦) كتاب يوم و ليله (٧) كتاب كيفية الصلاة (٨) الرسالة المصرية فى الرد على الشافعى (٩) كتاب فى الرد على أحمد بن سريج البغدادى (١٠) دامغ الموجز فى الرد على العتكى (١١) نهج السبيل إلى معرفه علم التأويل (١٢) حدود المعرفه فى تفسير القرآن و التنبيه على التأويل (١٣) كتاب إثبات الحقائق فى معرفه توحيد الخالق (١٤) كتاب فى الامامه فى أربعة أجزاء (١٥) كتاب التعاقب و الانتقاد (١٦) كتاب الدعاه (١٧) كتاب الحلى و الثياب (١٨) كتاب الشروط (١٩) أرجوزه ذات المتن و هى فى سيره الامام المعز (٢٠) أرجوزه ذات المحن و هى فى تاريخ ثوره أبى يزيد مخلد بن كيداد (٢١) كتاب معالم المهدي (٢٢) كتاب منامات الأئمه (٢٣) كتاب التقريع و التعنيف.

هذه هى الكتب التى تركها النعمان بن محمد، و لعل أهم كتاب خالد له هو كتاب "دعائم الإسلام، فى ذكر الحلال و الحرام، و القضايا و الأحكام" و هو الكتاب الذى أمر الظاهر بان يحفظه الناس، و جعل لمن يحفظه مالا جزيلا، و يشتمل هذا الكتاب على جميع فقه الفاطميين. فدعائم الإسلام عندهم الولايه و الطهاره و الصلاه و الزكاه و الصوم و الحج و الجهاد، و كل فريضه من هذه الفرائض لها أصولها و فروعها و آدابها فهو يتحدث عن ذلك كله بشىء من الاطناب، و يروى عن كل فريضه ما ورد عنها فى القرآن الكريم و فى الأحاديث النبويه و ما جاء عن الأئمه، و من يقرأ هذا الكتاب و يقارن بين الفقه فيه و بين فقه مالك لا يكاد يجد اختلافا إلا فى بعض أمور لا تمس الدين فى شىء، اللهم ما ورد فى القسم الخاص بالولايه.

و الفصل الخاص الذى فى أول الكتاب تحدث فيه عن الايمان و جعل الولايه شرطا أساسيا للمؤمن، أما ما سوى ذلك من أحكام فرائض الدين و سنته و المعاملات و غيرها فلا تختلف عن الأحكام الشرعيه عند المالكيه.

و تظهر قيمه هذا الكتاب عند علماء المذهب - منذ عرف هذا الكتاب - إذا عرفنا أن عالمين من أكبر علمائهم ذكراه فى كتبهما و اعتمدا عليه و نوها به، أما العالم الأول فهو أحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمد الكرمانى المتوفى سنه ٤١٢ هـ فقد ذكر فى مقدمه كتابه "راحه العقل" الكتب التى يجب أن تقرأ قبل قراءه راحه العقل، و من هذه الكتب كتاب "دعائم الإسلام"، و أما العالم الثانى فهو المؤيد فى الدين هبه الله بن موسى الشيرازى المتوفى سنه ٤٧٠ هـ فقد ذكر فى السيره المؤيديه " أنه كان يعقد مجلسا خاصا كل يوم خميس يقرأ فيه على السلطان أبى كاليجار البويهى فصول كتاب دعائم الإسلام، و يعتبر هذا الكتاب الآن من كتب الإسماعيليه على الرغم من أنه فى علم الظاهر، و يعد من كتبهم السريه التى لا يقر بها إلا علماء المذهب فقط.

و قد أتبعه القاضى النعمان بكتاب تأويل دعائم الإسلام و اسمه الكامل:

كتاب تربيته المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين فى تأويل دعائم الإسلام، و هو فى ذكر التأويل الباطنى للأحكام و الفرائض التى وردت فى كتاب دعائم الإسلام، و هو من أهم كتب التأويل عند الإسماعيليه، و عليه اعتمد الدعاه بعد النعمان، و قد توفى النعمان قبل أن يتم هذا الكتاب.

و مهما يكن من شىء فالقاضى النعمان يعد من أكبر علماء الدعوه و فقيهاها الأعظم، و توفى هذا الرجل بمصر سنه ٣٦٣ هـ.

٢ - ولد ابنه الأكبر أبو الحسين علي بن النعمان بالقيروان في رجب سنة ٣٢٨ هـ و قدم مصر مع باقى أفراد الأسره فى صحبه المعز لدين الله، و لما مات النعمان اشترك على بن النعمان فى قضاء مصر مع أبى طاهر الذهلى فظلا يقضيان حتى توفى المعز و ولى العزيز و عرض لأبى طاهر القاضى مرض الفالج، ففوض العزيز الحكم إلى على بن النعمان و ذلك فى صفر سنة ٣٦٦. و ظل منفردا بالقضاء وافر الحرمة عند الامام العزيز حتى أصابته الحمى و هو بالجامع يقضى بين الناس. فقام من وقته و مضى إلى داره و أقام عليلا. أربعة عشر يوما، و توفى يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة ٣٧٤ هـ و صلى عليه العزيز، و هو أول من لقب بقاضى القضاء فى مصر، و كان عالما فقيها مثل أبيه، و كان شاعرا أورد له الثعالبى شيئا من شعره، مثل قوله:

و لى صديق ما مسنى عدم مذ وقعت عينه على عدمى

أغنى و أفى فما يكلفنى تقيل كف له و لا قدم

قام بأمرى لما قعدت به و نمت عن حاجتى و لم ينم

و من شعره، و قيل بل من شعر أخيه محمد بن النعمان:

رب خود عرفت فى عرفات سلبتنى بحسنها حسناتى

حرمت حين أحرمت نوم عينى و استباححت دمى بذى اللحظات

و أفاضت مع الحجيج ففاضت من جفونى سوابق العبرات

لم أنل من منى منى النفس حتى خفت بالخيف أن تكون وفاتى

و من شعره أيضا:

صديق لى له أدب صداقه مثله نسب

رعى لى فوق ما يرعى و أوجب فوق ما يجب

فلو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذهب

و من سوء الحظ أن شعره لم يصل إلينا كاملا حتى نستطيع أن نكون رأيا دقيقا فى شاعريته.

و لا أدرى أيضا من أين استقى الأستاذ آصف فيضى أن أبا الحسن على بن النعمان كان فى مرتبه داعى الدعاه، فليس لدى من النصوص ما يؤيد ذلك، بل الذى ذكره المؤرخون أن أول من أضيفت إليه الدعوه من قضاه الفاطميين هو ولده الحسين بن على بن النعمان على نحو ما سندكره بعد.

٣ - و لما توفى على بن النعمان أرسل الامام العزيز بالله إلى أبى عبد الله محمد بن النعمان يقول، إن القضاء لك من بعد أخيك

و لا نخرجه عن هذا البيت و هكذا ولى مرتبه قاضى القضاء بعد أخيه، و كان فى حياه أخيه ينوب عنه فى القضاء. فإنه لما سافر العزيز بالله إلى حرب القرامطه سنة ٣٦٨ و سار على فى صحبته استخلف أخاه محمدا فى القضاء: ولد محمد بالمغرب سنة ٣٤٥ هـ و قدم القاهره مع أفراد الأسره، و ما زال بها حتى ولى القضاء و كان جيد المعرفه بالأحكام، متفننا فى علوم كثيره، حسن الأدب و الدرايه بالأخبار و الشعر و أيام الناس. و قد مدحه الشاعر عبد الله بن الحسن الجعفرى السمرقندى بقوله:

تعادلت القضاء على أما أبو عبد الإله فلا عديل

و حيد فى فضائله غريب خطير فى مفاخره جليل

تالتق بهجه و مضى اعتزما كما يتالتق السيف الصقيل

و يقضى و السداد له حليف و يعطى و الغمام له زميل

لو اختبرت قضاياه لقالوا يؤيده عليها جبرئيل

إذا رقى المنابر فهو قس و إن حضر المشاهد فالخليل

فلما قرأ محمد بن النعمان هذه القصيده كتب إلى الشاعر:

قرأنا من قريضك ما يروق بدائع حاكها طبع رقيق

كان سطورها روض أنيق تزوع بينها مسك فتيق

إذا ما أنشدت أرجت و طابت منازلها بها حتى الطريق

و إنا تائقون إليك فاعلم و أنت إلى زيارتنا تتوق

فواصلنا بها فى كل يوم فأنت بكل مكرمه حقيق

و مما يروى له أيضا قوله:

أيا مشبه البدر بدر السماء لسبع و خمس مضت و اثنتين

و يا كامل الحسن فى نعته شغلت فؤادى و أسهرت عيني

فهل لى من مطمع أرتجيه و إلا انصرفت بخفى حنين

و يشمت بى شامت فى هواك و يفصح لى ظلت صفر اليدين

و فى سنة ٣٧٥ عقد لابنه عبد العزيز بن محمد بن النعمان على ابنه القائد جوهر الصقلى فى مجلس العزيز، ثم قرر ابنه هذا فى نيابته عنه فى الأحكام بالقاهرة و مصر.

و علت منزله محمد بن النعمان عند الامام العزيز بالله حتى إنه كان يصعد معه على المنبر و كان مهيبا محترما. حتى إن أحدا لم يكن يخاطبه إلا بسيدنا و يروى ابن خلكان عن ابن زولاق المؤرخ المصرى: " و لم نشاهد بمصر لقاض من القضاء من الرئاسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان و لا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق و وافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم و الصيانة و التحفظ و إقامة الحق و الهيبة فكانت هذه المكانة التى حظى بها هذا القاضى سببا فى أن ينقم عليه الوزير يعقوب بن كلس، و يخيل إلى أن الوزير كان يخشى اتساع نفوذ بنى النعمان فحاول ما استطاع أن يكسر شوكتهم و ينقص من قدرهم، فكان يعمد إلى أن ينقض أحكام القاضى، و يروى ابن حجر العسقلانى عن المسبحى أن الوزير ابن كلس كان كثير المعارضه لبنى النعمان فى أحكامهم، و روى قصه تدل على مدى خوف الوزير من اتساع سلطانهم و نفوذهم و ما كان يضمه لهم، و بعد أن توفى العزيز بالله سنة ٣٨٥ و ولى الحاكم بامر الله، أقر القاضى محمد بن النعمان على ما بيده من القضاء. و زادت منزلته عنده رفعة، و لكن محمدا تزاحمت عليه العلل، فتوفى ليله الثلاثاء رابع صفر سنة ٣٩٩ و صلى عليه الحاكم و وقف على دفنه، و حزن الحاكم لوفاته فلم يول أحدا مرتبه القضاء إلا بعد شهر، فقلد القضاء أبا عبد الله الحسين بن على بن النعمان.

رأسه و وجهه، فحمل القاضى جريحا إلى داره، و ظل حتى اندمل جرحه، فصار من ذلك اليوم يحرسه عشرون رجلا بالسلاح، و كان إذا صلى وقف خلفه الحرس بالسيوف حتى يفرغ من الصلاة ثم يصلى حرسه، و لا تكاد نسمع أن قاضيا من قضاة المسلمين فى التاريخ الإسلامى كله كان يصلى و الشرطه تحرسه غير الحسين بن على بن النعمان، و زاد الحاكم فى إكرامه حتى أمر أن يضاف له أرزاق عمه و صلاته و إقطاعاته، و فوض إليه الخطابه و الامامه بالمساجد الجامعه، و ولاه الدعوه و قراءه مجالس الحكمه التأويليه بالقصر و كتابتها، و هو أول قاض أضيفت إليه الدعوه من قضاة الفاطميين و يظهر أنه فى ذلك الوقت دب ديب الشقاق بين أبناء هذه الأسره فهذا القاضى طالب ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان ببعض ودائع كانت فى الديوان أيام ولايه محمد بن النعمان على القضاء، و تشدد القاضى فى مطالبه ابن عمه بهذه الودائع حتى ألزمه أن يبيع كل ما خلفه أبوه سدا لهذه المطالبه، و لست فى مركز يسمح لى أن أقول: أ كان تشدد القاضى عن ورع و دين أم عن حسد و غيره و شقاق بين بنى الأعمام. و مهما يكن من شىء فقد صرف هذا القاضى عن رتبه القضاء و الدعوه فى رمضان سنه ٣٩٤هـ، و أمر الحاكم بحبسها ثم ضربت عنقه فى مطلع سنه ٣٩٥هـ و هكذا لقي حتفه بيد الحاكم، بعد أن كان مكرما لديه مقربا إليه.

٥- و ولى القضاء بعده ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان المولود فى أوائل ربيع الأول سنه ٣٥٥هـ و هو الذى كان ينوب عن أبيه فى القضاء، و كان عالما من علماء الدعوه الفاطميه ينسب إليه كتاب البلاغ الأكبر و الناموس الأعظم فى أصول الدين، و هو الكتاب الذى رد عليه القاضى أبو بكر الباقلانى و قيل: إن هذا الكتاب من تصنيف عمه على بن النعمان، و مهما يكن من شىء فالقاضى عبد العزيز بن محمد هو أول من ولى النظر على دار العلم و كان يجلس فى الجامع و يقرأ على الناس كتاب جده النعمان "اختلاف أصول المذاهب" و على الرغم من أنه خص بمجالسه الحاكم و مسيرته فإنه لم ينج من نزوات الحاكم و تقلباته، فعزله عن القضاء سنه ٣٩٨هـ ثم اعتقله فى السنه التاليه ثم عفا عنه و أعاد إليه النظر فى المظالم و خلع عليه، و فى سنه ٤٠١ اضطر هذا القاضى إلى أن يهرب من وجه الحاكم هو و القائد الحسين بن جوهر الصقلى، فصادر الحاكم بيوتهما و حمل كل ما كان فيها، ثم كتب الحاكم لهما بالأمان و خلع عليهما، و لكنه أمر بعد ذلك بقتلهما فى ثانى عشر جمادى الآخره سنه ٤٠١هـ.

و بعد هذه المأساه ضعف أمر بنى النعمان و ساءت حالهم. و لم تبق لهم تلك السطوه و لا ذلك النفوذ، حتى إن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان ولى القضاء سنه ٤١٨هـ و لكنه لم يمكث فى هذه المرتبه سوى عام و شهرين، و أعيد مره أخرى إلى القضاء سنه ٤٢٧هـ و أضيفت إليه الدعوه، و يقول عنه المؤيد فى الدين: "و توجهت إلى الموسم بالقضاء و الدعوه، و هو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان رحمه الله و إيانا، فرأيت رجلا يصول بلسان نسبه فى الصناعه التى و سم بها دون لسان سبيه، فارغا مثل فؤاد أم موسى (ع)، و فيه جنون يلوح من حركاته و سكناته(١)" و عزل القاسم عن هذه المراتب سنه ٤٤١هـ و يحدثنا المؤيد أن نساء بنى النعمان تشفعن للقاسم عند أم المستنصر و ألحفن عليها بالسؤال لإعادته، فعينه الوزير اليازورى سنه ٤٤٢هـ نائبا له فى الدعوه، فقبل القاسم أن يكون تابعا لداعى الدعاه بعد أن كان أصلا فى هذه الخدمه، و استمر القاسم بن عبد العزيز نائبا لليازورى فى مرتبه الدعوه حتى أقعده المرض، فأناج ابنه محمد بن القاسم فى الدعوه بدله، و استمر محمد، نائبا عن والده فى نيابه الدعوه حتى سنه ٤٥٠هـ ثم لم نعد نسمع شيئا عن هذه الأسره التى ظلت زهاء قرن فى مكانه رفيعه عاليه و فى اتصال بالأئمه الفاطميين، كما كان لهذه الأسره أثرها فى بعث العقائد الفاطميه فى نفوس الناس بما ألفوه من كتب و ما ألفوه من مجالس الدعوه و بما كانوا يحكمون به فى القضايا على حسب فقه المذهب الفاطمى الذى وضعه لهم النعمان بن محمد مؤسس

هذه الأسره.

السيد نعمه الله الجزائري ابن السيد محمد جعفر

المتصل نسبه بالسيد نعمه الله صاحب الأنوار النعمانيه.

ولد في كربلاء سنة ١٣٢٦ و توفي سنة ١٣٦٢ في شوشتر أثناء سفره إلى ايران صحب والده إلى الأهواز و اقام فيها، ثم حضر عند الأنصارى فاخذ عنه علوم اللغة العربيه، ثم ذهب إلى دزفول و أخذ الفقه و أصوله عن الشيخ محمد رضا الدزفولي و لازمه. و بعد وفاه استاذة سنة ١٣٥٢ هاجر إلى النجف الأشرف و حضر دروس الميرزا أبي الحسن المشكيني و الشيخ ضياء الدين الراكى و السيد أبو الحسن الاصفاني [الاصفهانى] و غيرهم.

ترك آثارا بقيت في المسودات، و نظما بالفارسيه و العربيه، فقد أكثرها.

منها: كتاب في النحو. شرح التهذيب في المنطق للتفتازانى، رساله في حجية اخبار الآحاد. منتخب الاخبار في الاخبار الصحيحه في مختلف المواضيع.

و كان والده و أجداده من العلماء. و ولده السيد محمد المولود سنة ١٣٥٠ اشتغل بالعلم في النجف الأشرف و هاجر إلى الأهواز سنة ١٣٧٧ و هو اليوم يسكن طهران و له مؤلفات مطبوعه و مخطوطه، فمن المطبوع: نابغه فقه و حديث و هو ترجمه جده الأعلى المحدث الجزائري. شجره مباركه في تراجم آل السيد نعمه الله الجزائري و هو عده مجلدات طبع منها المجلد الأول.

و من المخطوط: حاشيه على شرح التجريد للعلامه الحلبي الموسوم بكشف المراد. بقيه مجلدات (شجره مباركه).

كما ان له عده دراسات عن مؤلفين نشرت مقدمات لكتبهم. و مصادر ترجمه الشيخ الطوسى نشرت مع أبحاث ذكرى الطوسى الألفيه.

نعيم بن هبيرة الشيباني.

التحق مصقله بن هبيرة الشيباني بمعاويه بعد ان كتب إليه أمير المؤمنين على (ع) - و كان عامله على أردشير خره - بهذا الكتاب:

أما بعد فان من أعظم الخيانه خيانه الأمه و أعظم الغش على أهل المصر غش الامام، و عندك من حق المسلمين خمسمائه ألف درهم فابعث بها إلى حين يأتيك رسولى و الا- فاقبل إلى حين تنظر في كتابى فانى قد تقدمت إلى رسولى الا يدعك ساعه واحده تقيم بعد قدومه عليك الا ان تبعث بالمال، و السلام.

مع تفاصيل اخرى ليس هنا مكان ذكرها (راجع: معقل بن قيس).

و كان أخوه نعيم شيعيا و لعلى (ع) مناصحا، فكتب إليه

مصقله من الشام مع رجل يقال له: حلوان اما بعد فاني كلمت معاويه فيك فوعدك الكرامه و مناك الاماره فاقبل ساعه تلقى رسولى إن شاء الله و السلام.

فكتب نعيم إلى أخيه مصقله جواب كتابه شعرا:

لا ترميني هداك الله معترضا بالظن منك فما بالى و حلوانا

ذاك الحريص على ما نال من طمع و هو البعيد فلا يورثك أحزانا

ما ذا أردت إلى إرساله سفها ترجو سقاط امرئ لم يلف و سنانا

عرضته لعلى انه أسد يمشى العرضه من آساد خفانا

قد كنت فى منظر عن ذا و مستمع تحمى العراق و تدعى خير شيبانا

حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه للراكيين له سرا و إعلانا

لو كنت أديت مال الله مصطبرا للحق أحييت أحيانا و موتانا

لكن لحقت بأهل الشام ملتتمسا فضل ابن هند و ذاك الرأى أشجانا

فاليوم تفرع سن العجز من ندم ما ذا تقول و قد كان الذى كانا

أصبحت تبغضك الأحياء قاطبه لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا

الشيخ نوح بن الشيخ هاشل بن الشيخ أحمد بن صالح بن عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو أحد أجداد المشايخ رحمه الله عليه و لم يذكره جدى فى اللؤلؤه بالبحرين لأنه لم يكن من مشايخ الإجازة أخذ بالأدب عن فخر المشايخ سليمان الماحوزى البحرانى و عن تلميذه الشيخ عبد الله السماهيجى و عن جد جدى الشيخ أحمد والد صاحب الحدائق و هو شيخ النحاه و سيد المعانى و له كتاب الجامع و كتاب التبيان و هو شرح كبير على كتابين كتاب الحدود و كتاب الحروف كلاهما تصنيف أبى الحسن على، بن عيسى بن على الرمانى و من مؤلفاته كتاب الاعراب و كتاب الأسماء و كتاب الألقاب و هو فى علم الرجال توفى قدس سره سنه ١١٥٠.

الشيخ نور الدين بن الشيخ عبد الجبار القطيفى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

تتلمذ على يد العلامة المجلسي و مجاز منه تصدر للافتاء في كيلان مده ثم استوطن تبريز فصار من العلماء الاعلام و فوض إليه زمام الكلام.

و له مباحثات مع الملا خليل القزويني جمعها الشهيد الثالث في كتاب تحفه الحبيب.

مات سنه ١١٠٥

هبه الله بن علي

المعروف بابن الشجري.

مرت ترجمته في. الصفحه ٢٦٢ من المجلد العاشر، و نشر هنا كلمه عن كتابه (الأمالي) بقلم حاتم صالح الضامن:

مقدمه

الامالي الشجريه من الكتب المهمه التي جمعت أقوال كثير من النحاه و اللغويين و الأدباء، و قد املاها ابن الشجري في أربعة و ثمانين مجلسا الا ان طبعه حيدرآباد لا تضم الا ثمانية و سبعين مجلسا، و يجدر بي هنا ان أشير إلى بعض الملاحظات التي عنت لي أثناء تحقيقي لهذه المجالس و هي:

١ - كان ابن الشجري عيالا على الهروي إذ نقل فصلين كاملين من كتابه: الازهيه في علم الحروف، و لا بأس في أن يتاثره ابن الشجري أو يتابعه أو ينقل نصوصا كامله من كتابه الا أن عرض هذه الأقوال غفلا و عدم نسبتها إليه مما لا يقره العلم.

٢ - و نقل أيضا عن ثعلب في شرحه لديوان زهير و عن الجرجاني في الوساطه و عن ابن جنى و الواحدى و أبى القاسم الاصفهاني و ابن فورجه في شروحه لشعر المتنبي و لم يشر لذلك.

٣ - خص ابن الشجري المجلس الموفى الثمانين و معظم المجلس الحادى و الثمانين في ذكر زلاّت مكى بن أبى طالب المغربى (١) في كتابه (مشكل اعراب القرآن) و قد اهتم ابن الشجري بهذا الكتاب و نقل عنه كثيرا في أماليه و تابعه في بعض أوهامه إلا- أن الذى يلفت النظر هو اهتمامه البالغ بذكر زلاّته و سقطاته. و يغلب على الظن ان هجوم مكى على المعتزله و وصمهم بالإلحاد في كتابه كان هو الدافع الذى حفز ابن الشجري إلى تتبع زلاّته إذ نرى ابن الشجري قد استشهد كثيرا بآراء الرماني المعتزلى. و إذا لم يكن هذا هو الدافع، فلم هذا الاهتمام بكتاب مكى و التحامل عليه بدون مبرر؟ و لم لم يرد على أبى جعفر النحاس الذى تابعه مكى في نقله لهذه الأقوال؟ و لم لم يرد على أبى عبيده صاحب الرأى الذى نقله مكى؟ و ربما أثار ابن الشجري أيضا أن مكيا كان ناشرا للمالكيه في الأندلس.

٤ - يبدو لي ان ابن الشجري كانت تنقصه الدقه فقد تعقبه ابن هشام في عده مواضع من كتابه المغنى مغلطا له و مثبتا عليه عدم التحرى في نقل آراء سيويه و الكسائى و الأخفش و أبى على الفارسى.

مخطوطنا الكتاب:

١ - مخطوطه مكتبه الدراسات العليا ببغداد المرقمه ٢٦٩، و هي نسخه جيده كتبت سنه ٦١٤ هـ و الموجود منها الجزء الثالث فقط و يبدأ من المجلس السادس و الخمسين إلى آخر الكتاب.

٢ - مخطوطه الخزانة التيموريه المرقمه ٦٧٢ (أدب تيمور) و قد كتبت سنه ١٩٢٠ بخط واضح مقروء و في أولها فهرس مفصل لمجالس الكتاب.

وهيب بن زمعه الجعفي

لما سار التوابون بقياده سليمان بن صرد الخزاعي للطلب بثار الحسين، وصلوا إلى كربلاء و زاروا قبر الحسين (ع). و كان فيهم وهيب بن زمعه و هو من خيار أهل الكوفه فوقف على القبر باكيا، ثم قال: و الله لقد جعله الأعداء للنبل عرضا و للسباع مطعما! فله حسين و لله يوم حسين! لقد غادروا منه يوم وافوه ذا وفاء و صبر و عفاف و بأس و شده و أمانه و نجده ابن أول المؤمنين و ابن بنت نبى رب العالمين، قلت حماته و كثرت عداته، فويل للقاتل، و ملامه للخاذل! إن الله تبارك و تعالى لم يجعل للقاتل حجه و لا للخاذل معذره، إلا أن يناصح الله فى التوبه فيجاهد الفاسقين، فعسى الله عند ذلك يقبل التوبه و يقبل العثره، ثم أنشا يقول:

ص: ٣٤٣

١- ولد سنه ٣٥٥ هـ و توفى سنه ٤٣٧ هـ. كان محبا للعلم يكثر السعى و الرحله فى سبيله، واسع الاطلاع و تظهر لنا سعه ثقافته فى مؤلفاته الكثيره و ما تتصف به من تنوع، و كان عالما بالقراءات ساعيا فى نشرها فى الأندلس، طبع من كتبه: الابانه عن معانى القراءات و الوقف على كلا و بلى فى القرآن.

تبيت نساء من أميه نوما و بالطف قتلى ما ينام حميمها
و ما ضيع الإسلام إلا قبيله بامر فزكاها و دام نعيمها
و عادت قناه الدين فى كف ظالم إذا مال منها جانب لا يقيمها
فأقسم لا تنفك نفسى حزينه و عينى سفوحا لا يجف سجومها
حياتى أو تلقى أميه وقعه ينال بها حتى الممات قرومها
لقد كان فى أم الكتاب و فى الهدى و فى الوحى لم ينسخ لقوم علومها
فرائض فى الميراث قد تعلمونها يلوح لذى اللب البصير أرومها
بها دان من قبل المسيح بن مريم و من بعده لما أمر بريمها
فاما لكل غير آل محمد فيقضى بها حكامها و زعيمها
و أما لميراث الرسول و أهله فكل براهم رمها و جسيمها
فكيف و ضلوا بعد خمسين حجه يلام على هلك الشراه أديمها

أبو محمد هشام بن سالم الجواليقى الجعفى، العلاف الكوفى

مولى بشر بن مروان، كان من سبى الجوزجان، عد من أصحاب الامام الصادق و الامام الكاظم، و روى عنهما (ع)، له كتاب الحج، التفسير، المعراج، وثقه كل من ترجم له. روى عنه جمع منهم ابن أبى عمير، صفوان بن يحيى، على بن الحكم، النضر بن سويد، و غيرهم روى الكشى فى مدحه روايات.

و مر فى الصفحه ٢٦٦ من المجلد العاشر: هاشم بن سالم من أصحاب الصادق، و لعلهما واحد.

يحيى بن زياد الفراء

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٢٠ من المجلد العاشر و نشر هنا هذه الدراسه عنه مكتوبه بقلم: عبد المنعم محمد جاسم:

من هو الفراء؟.

أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء عالم لغوى فذ، نحوى بارع، تقى ورع، مفسر للقرآن عظيم، تلميذ على بن حمزه الكسائى، أستاذ

احمد بن يحيى ثعلب.

كوفى النشأه، معتزلى المذهب، كوفى الرأى - فى الغالب - بصرى - فى النادر -، يأخذ من وجوه الاعراب أقربها للعقل، و أحلاها للذوق، و أسلمها للغة. لا يلجا إلى التأويل و التعيير و التعقيد و الالتواء - الا نادرا - و لعل هذا النادر ناتج عن تأثره - بعض الشئ - بمنهج أصحاب الكلام.

لم يعرف التاريخ عن صباه شيئا سوى ابن خالته القاضى الفقيه محمد بن الحسن الشيبانى بالولاء صاحب الامام الأعظم أبى حنيفه النعمان، و ولده الشاطر صاحب السكاكين الذى لم يخلد به ذكر أبيه، انما خلد بكتبه التى لا تحصى، و فيض علمه الذى لم ينضب، و شغفه بتفسير القرآن الكتاب السماوى البلاغى العظيم، و غزاره لغته التى حوتها بطون الكتب و حفظها أمات المصادر، و خلدتها ضخام المجلدات على صفحاتها الطويله.

تضاربت الروايات فى مولده فروايه تؤرخه بعام (١٤٠ هـ) و اخرى تلمح له بعام (١٤٤ هـ) و ثالثة تشير له بعام (١٤٥ هـ) و رابعه تثبته بعام (١٢٤ هـ).

كما اختلفت فى وفاته - زمانا و مكانا - فروايه تقول انه توفى فى عام (٢٠٧) و اخرى تذكر انه عام (٢٠٩) و ثالثة تنص على انه (٢٠٤) و رابعه تصرح بأنه عام (١٨٧). و لقد رجح الدكتور احمد مكى الأنصارى عام (١٤٤ هـ) ميلادا له، و عام (٢٠٧) وفاه و على هذا يكون عمره ثلاثا و ستين سنه. و هو رأى لا يتعدى الصواب.

تجواله فى البلدان طويل سريع، فقد نشا فى الكوفه، و ذهب إلى البصره للعلم، و سافر إلى بغداد للمال، و رحل إلى مكه للحج. ناظر و حاجج و ناقش. ناظر سيبويه فى البصره فبزه و فاقه، و ناقش الكسائى فى بغداد فغلبه. و هذا هو الذى ميزه عن شيخه الكسائى كما قال له أبو جعفر الرواسى العالم اللغوى الكوفى الكبير "خرج الكسائى إلى بغداد و أنت أميز منه".

اتخذ من الاعتزال مذهبا قربه إلى المأمون فى وقت كان للمعتزله الباع الأطول و الشأن الأعظم و المكان الأسمى. فدعاه إلى تأليف كتابه العظيم الذى اسماه "الحدود" دون لنا فيه حدود النحو جميعا. (١)

و يتمثل النحو الكوفى - فى أغلبه - بكتب الفراء كما يتمثل النحو البصرى ب (كتاب) سيبويه، إذ لم نكد نعر على كتاب جامع مفصل يدون فى طياته النحو الكوفى كما قام سيبويه بعمله الجليل حين جمع نحو البصره فى (كتابه)، و هذا هو الاختلاف الحقيقى بين المدرستين، الا أن الفراء يمثل لقطه نادره من النحو الكوفى بعد شيخه الكسائى و يتمثل ذلك فيما وصل إلينا من آثاره الموجوده، و فيما يتحدث لنا عن آثاره المفقوده. فكتبه (معانى القرآن) و (الأيام و الليالى و الشهور) و (المذكر و المؤنث) و (المقصود و الممدود) تمثل لنا فيضا غزيرا من الدراسات اللغويه و النحويه و القرآنيه يقدم للقارئ دررا من فرائد العربيه الغوالى، و أنماطا من كلام مرصع بالماس و اللآلى تغنيه عن حوشى اللغة و غريبها و فاسد الألفاظ و رديئها تلك التى تجعل ذوق القارئ ينبو عنها، و ذهنه ينفر منها.

و اعترافا منا بفضل سبق البحث للباحثين المتقدمين و تفضيلا لعرض الحقيقه على نصاعتها يجدر بنا القول ان هذا الموضوع قد درسه و بحث فيه - تفصيلا لا- اجمالا- - باحثون فضلاء و علماء اكفاء و أساتذه ثقات لا يرتقى الشك إليهم و منهم الدكتور

مهدي المخزومي و الدكتور احمد مكى الأنصارى و الدكتور إبراهيم السامرائى، غير أن للفراء آراء اخرى مختلفه لم يتحدثوا فيها بل اكتفوا بذكر المصادر التي تجمعها، و قد جمعت منها هذه الماده الطويله مستعينا ببعض المصادر هي من أمات كتب النحو و اللغه، متوخيا الدقه و الامانه فى البحث، راجيا إرضاء القارئ الكريم باضافه بعض من آراء هذا النحوى الشهير مما لم يطلع عليه.

ما هي آراء الفراء فى النحو

؟.

(باب المبتدأ و الخبر)

ذهب الفراء إلى أن العائد المنصوب يجوز حذفه بشرط أن يكون المبتدأ لفظ " كل " و ان يكون ناصبه فعلا نحو قوله تعالى (وَ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) فى قراءه من رفع " كل و تقديره: و كل وعده الله الحسنى.

كما ذهب إلى ان الاسم المرفوع بعد لو لا ارتفع بها نفسها أصاله، لا لأنها نائبه عن الفعل، و علل ذلك بان (لو لا) حرف مختص بالأسماء و الحرف المختص يعمل.

ص: ٣٤٤

١- بسبب موافقه الشيعة للمعتزله فى بعض الأمور كان الكثيرون ينسبون بعض كبار رجال الشيعة إلى الاعتزال كالسيد المرتضى و الصاحب بن عباد و غيرهما. و من ذلك نسبه الفراء إلى الاعتزال (ح).

و يجيز الفراء اقتران الخبر بالفاء إذا كان الخبر أمرا أو نهيا سواء أ كان المبتدأ عاما أم لم يكن بدليل وروده في فصيح الكلام نثرا و شعرا فمن ذلك قوله تعالى (هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَ عَسَاقٌ) و قوله سبحانه: (وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) و قوله: (الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) و قول الشاعر عدى بن زيد: -

أرواح مودع أم بكور؟ أنت فانظر لاي ذاك تصير

و منع الفراء وقوع الحال فعلا مضارعا فى قوله:

و رأى عيني الفتى أبابا يعطى الجزيل فعليك ذاكا

ف (يعطى) ذهب الفراء إلى عدم جواز كونها حالا ساد مسد الخبر جمله فعليه.

(باب كان و أخواتها)

يرى الفراء انه لا- يجوز تقديم خبر كان و أخواتها عليها إذا كان النفى بغير (ما) فلا يجوز ان يقال (قائما لم يزل زيد، منطلقا لم يكن عمرو).

(باب الحال)

أجاز الفراء تقديم الحال على عاملها مطلقا سواء كان صفة نحو (مسرعا ذا راحل) و (مجردا زيد مضروب) و (هذا تحمليين طليق) فتحمليين فى موضع نصب على الحال و عاملها طليق و هو صفة مشبهة أو كان عاملها فعلا- نحو (مخلصا زيد دعا) و (خشعا أبصارهم يخرجون) و الظرف و المجرور الخبر بهما نحو (تلك هند مجردة) و (ليت زيدا أميرا أخوك) و أما نحو (أما علما فعالم) فى هذه الامثلة كلها يجيز الفراء تقديم الحال على عاملها.

و يقول الفراء بأنه لا بد فى ربط الجملة الاسمية إذا وقعت حالا من الواو اما وحدها و اما مع الضمير و لا يجوز أن يكون الرابط هو الضمير وحده. و أما بيت الشاهد

(ثم راحوا عقب المسك بهم)

فيعتبره شاذ لا يقاس عليه. إذ أن الشاهد فى هذا البيت هو مجيء الجملة الاسمية المكونه من المبتدأ و الخبر

(عقب المسك بهم)

حالا من الواو فى (راحو) و الضمير (هم) هو الرابط فقط و لم تربط بالواو. و يعتبر الفراء ذلك شاذ.

(باب التمييز)

يجيز الفراء تقديم عامل التمييز مطلقا لأن الغالب فى التمييز المنصوب بفعل متصرف كونه فاعلا فى الأصل و قد حول الاسناد

عنه إلى غيره لقصد المبالغة فلا يغير عما كان يستحقه من وجوب التأخير لما فيه من الإخلال بالأصل.

(باب الإضافة)

يرى الفراء كغيره من النحاه انه قد تحذف تاء التأنيث للاضافه عند امن من اللبس، و جعل منه "وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ" "وَأَقَامَ الصَّلَاةَ" بناء على أنه لا يقال دون إضافه فى الإقامة: اقام و لا فى الغلبه: غلب.

كما يرى أنه يجوز إضافه اسم الفاعل المحلى بال إلى المعارف مطلقا نحو:

الضارب زيد، و الضارب هذا، بخلاف: الضارب رجل.

كما أجاز إضافه الشىء إلى ما بمعناه لاختلاف اللفظين نحو "وَلَمَدَارُ الْمَآخِرِ" و "حَقُّ الْيَقِينِ" و "حَبِيلِ الْوَرِيدِ" و "حَبِّ الْخَصِيدِ". و يرى كذلك - خلافا لسيبويه و المبرد - فى قولهم "قطع الله يد و رجل من قالها" ان الاسمين مضافان إلى "من قالها" و لا حذف فى الكلام.

كما يرى أن ياء المتكلم المدغم فيها تكسر كما فى قراءه حمزه "مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِيَّ" و قد فسرها بان الياء من مصرخى منصوبه لان الياء من المتكلم تسكن إذا تحرك ما قبلها، و تنصب إرادته الهاء، كما قرئ (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ) بنصب الياء و جزمها. فإذا سكن ما قبلها ما قبلها ردت إلى الفتح الذى كان لها، فالياء من مصرخى ساكنه و الياء بعدها من المتكلم ساكنه، فحركت إلى حركه قد كانت لها فهذا مطرد فى الكلام.

(باب الفاعل)

ذهب الفراء إلى أن الفاعل المحصور بالا يمتنع تقديمه فلا يجوز "ما ضرب الا زيد عمرا" و هو مذهب أكثر البصريين و ابن الأنبارى.

(باب نائب الفاعل)

إذا كان نائب الفاعل مجرورا بحرف جر غير زائد نحو سير يزيد أو مر بعمر و فذهب الفراء إلى أن الناصب حرف الجر وحده فى محل رفع، كما يقول: انه وحده بعد الفعل المبنى للفاعل - (الفعل المبنى للمعلوم) - فى محل نصب.

(باب الأسماء الخمسه)

الفراء يقول: من أنتم الأب فقال هذا أبوك فأضاف إلى نفسه قال: هذا أبى، خفف. قال: و القياس قول العرب: هذا أبوك و هذا أبى فاعلم و هو الاختيار و انشد: -.

فلا و أبى لا آتيك حتى ينسى الواله الصب الحزينا

(باب ان النافيه المشبهه بليس)

ذهب الفراء إلى منع اعمال ان النافيه عمل ليس من رفع للاسم و نصب للخبر.

(باب التعجب)

يرى الفراء فى "ما" التعجبيه انها استفهاميه و ليست تعجبيه. كما قال فى صيغه التعجب (افعل به): لفظه و معناه الأمر و فيه ضمير و ألباء للتعديه.

(باب افعل التفضيل)

يرى الفراء أن صيغه افعل لا تخلو قط من الدلاله على التفضيل فإذا كانت الصيغه مجردة من آل و الإضافه فاما أن تذكر معها "من" الجاره للمفضول عليه، و اما أن تكون مقدره كما فى بيت الشاعر: -

ان الذى سمك السماء بنى لنايتا دعائمه أعز و أطول

و كأنه قال: بيتا عز الدعائم و أطولها أو أعز و أطول من بيتك.

(باب المفعول به)

قال الفراء بان الناصب للمفعول به هو الفعل و الفاعل كلاهما بحجه أن الفعل و الفاعل كالشئ الواحد و لا يعمل بعض الكلمه دون بعضها الآخر.

(باب النداء)

ص: ٣٤٥

(باب الترقيم)

أجاز الفراء حذف الياء و الالف مع الآخر من نحو سعيد و عماد فى كل لغه و حذف الواو مع الآخر فى نحو ثمود فى لغه من يجعله اسما برأسه و لا- ينتظر المحذوف فيقول يا سع و يا عم و يا ثم و اما على لغه من ينتظر فيوجب حذف الواو و الدال و لا يجيز يا ثمو بحذف الدال فقط لأن بقاء الواو يستلزم عدم النظير إذ ليس فى العربيه اسم متمكن فى آخره واو لازمه قبلها ضمه.

كما انه لا- يشترط المجانسه فيجيز حذف اللين و ان كان قبله فتحه فيقول يا فرع و يا غرن فى فرعون و غرنيق لبقاء الاسم المتمكن على ثلاثه أحرف.

كما منع الفراء ترقيم المركب من العدد إذا سمى به.

(باب حذف الفعل)

قال الفراء فى قوله تعالى: (انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ) : الكلام جمله واحده و خيرا نعت لمصدر محذوف أى انتهاء خيرا. و فى قوله تعالى (وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى و اعتقدوا الايمان من قبل هجرتهم.

(مفسر ضمير الشأن)

أجاز الفراء أن يفسر [يفسر] ضمير الشأن مفرد مؤول بالجمله نحو كان قائما زيد و كان قائما الزيدان أو الزيدون على أن قائما فى جميعها خبر عن ذلك الضمير و ما بعده مرتفع به. و أجاز أيضا نحو ظننته قائما زيدا أو الزيدان أو الزيدون و كذا ليس بقائم اخواك و ما هو بذاهب الزيدان.

(باب ظن و أخواتها)

جواز [جوز] الفراء قيام الضمير و اسم الإشارة مقام مفعولى ظن و دلال على ذلك بانك تقول لمن قال أظن زيدا قائما أنا أيضا أظنه أو أظن هذا و كذا باقى أفعال القلوب.

(باب النعت)

إذا تعددت النعوت مع تفریق المنعوت فان اختلف العمل و اختلفت نسبه العامل إليهما نحو ضرب زيد عمرا الظريفيين فاتباع الأخير عند الفراء.

كما يرى بأنه قد يعامل الوصف الرافع ضمير المنعوت معامله رافع السببى إذا كان معناه له فيقال: مررت برجل حسنه العين كما يقال حسنت عينه.

(باب التوكيد)

زعم الفراء أن أجمعين تفيده اتحاد الوقت. كما أجاز حذف الضمير استغناءً بنيه الإضافه كما في قوله تعالى: (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) وقراءه بعضهم "أنا كلا فيها" على ان المعنى: جميعه و كلنا. كما أجاز الفصل بين المؤكد و المؤكد ياما فأجاز "مررت بالقوم اما أجمعين و اما بعضهم".

(باب عطف البيان)

جوز الفراء إضافه الوصف المفرد المقترن بال إلى العلم و بهذا أعرب كلمه (بشر) في قول الشاعر: -.

انا ابن التارك البكرى بشر عليه الطير ترقبه وقوعا

بدلا من (البكرى) و ليس عطف بيان كما عند جمهور العلماء.

(باب عطف النسق)

منع الفراء إفاده الفاء للترتيب منعا مطلقا. كما زعم أن الواو تفيده الترتيب و التعبير بمطلق الجمع مساو التعبير بالجمع المطلق من حيث المعنى و لا التفات لمن غير بينهما بالإطلاق و التقييد. كما قال في معنى "أو" في الآية الكريمة "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" أنها بمعنى بل يزيدون.

كما انه يقيس حذف اما إذا عطفت على كلام سابق تقدمته في الأصل "أما" ثم حذف لأن في ذكر الثانيه المسبوقه بواو العطف إيماء إليها و إشاره لها فيجيز "زيد يقوم و أما يقعد" كما يجيز "أو يقعد" فهو يقول بالنص "و لا تدخل أو على أما، و لا أما على أو، و ربما فعلت العرب ذلك لتأخيرهما في المعنى على التوهم فيقولون: عبد الله أما جالس أو ناهض، و يقولون: عبد الله يقوم و أما يقعد، و في قراءه أبي: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) فوضع "أم" في موضع "أما". و قال الشاعر: -.

فقليل لهن امشين اما نلاقه كما قال أو نشف النفوس فنعدرا

و قال آخر: -.

تلم بدار قد تقادم عهدها و اما بأموات الم خيالها

فوضع "أما" في موضع "أو" على التوهم و ذلك إذا طالت الكلمه بعض الطول أو فرقت بينهما بشيء هنالك" انتهى كلام الفراء في "أما".

و أجاز الفراء كذلك العطف ب "لا" على اسم لعل كما يعطف بها على اسم ان نحو "لعل زيدا لا عمرا قائم".

(الضمير)

مذهب الفراء ان المجيء بالنون مع ليت ليس بلازم، و تركه ليس ضروره و لا شاذا فيجوز أن تقول: ليتي في سعه الكلام كما

تقول: ليتنى و ان كان ذكر النون أكثر من تركها.

(اسم الإشارة)

حكى ابن منظور عن الفراء دخول (ها) التنبيه على اسم الإشارة المختص بالبعيد نحو (هناك أو هنالك) و القريب نحو هنا، فيجوز أن يقال: هاهنا بهاء التنبيه مع تشديد النون أما (هاء) (هنا) فالفراء يرويها مكسوره و مفتوحه.

(الاسم الموصول)

قال الفراء: "العرب قد تذهب ب "ذا" و "هذا" إلى معنى "الذى" فيقولون: من ذا يقول ذاك، فى معنى: من الذى يقول، و قال يزيد بن مفرغ:

عدس ما لعباد عليك اماره نجوت و هذا تحمليين طليق

كأنه قال: و الذى تحمليين طليق انتهى كلام الفراء.

(باب النكره)

قال ابن الأنبارى فى (الزاهر) ان الفراء و هشاما قالوا: نسيج وحده و عيبر وحده، و واحده، و واحد امه، نكرات و الدليل على هذا أن العرب تقول:

رب نسيج وحده قد رأيت، و رب واحد امه قد أجزت.

(باب الاشتغال)

ص: ٣٤٦

غلامه و زيدا حبست عليه لا ينتصب الاسم بفعل يفسره ما بعده أى ضربت و جاوزت و أهنت و لا بست بل أن ناصبه لفظ الفعل المتأخر عنه اما لذاته أن صح المعنى و اللفظ بتسليطه عليه نحو زيدا ضربته فضربت عامل فى زيد كما انه عامل فى ضميره و اما غيره ان اختل المعنى بتسليطه عليه فالعامل فى زيدا هو قولك مررت به لسده مسد جاوزت و فى عمرا ضربت أخاه لسده مسد أهنت و ليس قبل الاسم فى الموضعين فعل مضمّر ناصب عنده.

(باب التنازع)

يرى الفراء بأنه إذا اتفق العاملان فى طلب المرفوع فالفعل لهما و لا إضمار نحو يحسن و يسىء ابناكا و لا تقول يحسان و يسىء ابناك. هذا عند توجه العاملين إلى الاسم الظاهر، و ان اختلفا أضمرته مؤخرا، نحو: ضربنى و ضربت زيدا هو.

(مبحث المضمرات)

قال الفراء فى قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ان (هو) ضمير اسم الله تعالى و جاز ذلك و ان لم يجر [يجز] له ذكر لما فى النفوس من ذكره، و كان يجيز: كان قائما زيد و كان قائما الزيدان و الزيدون فيكون قائما خبرا لذلك الضمير و ما بعده مرتفع به. كما أجاز ان تقول: الضارب زيد نظرا إلى الاسميه و ان الإضافة لفظيه لم يحصل بها تعريف فيكون مانعا من الإضافة.

(باب نعم و بئس)

ذهب الفراء و جماعه من الكوفيين إلى أن "نعم و بئس" اسمان و استدلوا على ذلك بدخول حرف الجر عليهما فى قول بعضهم - و قد بشر بنت -

" و الله ما هى بنعم الولد "

و قول آخر - و قد سار إلى محبوبته على حمار بطىء السير -

"نعم السير على بئس العير "

. و اعرابه على مذهب الفراء و من وافقه من الكوفيين هكذا: "نعم" مبتدأ، و هو اسم بمعنى الممدوح مبنى على الفتح فى محل رفع. "الرجل" يدل من نعم أو عطف بيان عليه مرفوع بالضمه الظاهره "زيد" خبر المبتدأ مرفوع بالضمه الظاهره.

(باب الاستثناء)

يرى الفراء ان (الا) مركبه من (ان) و (لا) ثم خففت ان و أدغمت فى اللام فإذا انتصب ما بعدها فعلى تغليب حكم ان و إذا لم ينتصب فعلى تغليب حكم لا لأنها عاطفه.

كما قال فى الصحاح عن بعض بنى أسد و قضاة انهم ينصبون (غير) إذا كانت فى معنى الا، تم الكلام قبلها أم لم يتم. يقولون ما جاءنى غيرك و ما جاءنى أحد غيرك.

١ - يرى الفراء و الكوفيون عامه ان الـاعراب فى الفعل يفرق بين المعانى فكان أصلا كاعراب الأسماء كقولك: أريد أن أزورك فيمنعنى البواب. إذا رفعت كان له معنى و إذا نصبت كان له معنى، و كذلك قولك: لا يسعنى شىء و يعجز عنك إذا نصبت كان له معنى، و إذا رفعت كان له معنى آخر، و كذلك باب الجواب بالفاء أو الواو، نحو: لا تأكل السمك و تشرب اللبن.

و هو فى ذلك كالاسم، إذا رفعت كان له معنى، و إذا نصبت أو جررت كان له معنى آخر. ٢ - يرى الفراء ان المراد بزياده التنوين فى الاسم الفرق بين المتصرف و غير المتصرف. بينما يرى آخرون بان المراد به الفرق بين الاسم و الفعل. و نسبة الزجاجى [الزجاج] للفراء أيضا.

٣ - ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على موضع "أن" قبل تمام الخبر. و اختلفوا بعد ذلك فالكسائى جوز ذلك على كل حال سواء يظهر فيه عمل "ان" أو لم يظهر، و ذلك نحو قولك "ان زيدا و عمرو قائمان، و انك و بكر منطلقان" و ذهب الفراء إلى أنه لا يجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عمل أن. و ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر على كل حال.

٤ - ذهب الكوفيون إلى أن "عليك، و دونك، و عندك" فى الإغراء يجوز تقديم معمولاتها عليها نحو "زيدا عليك، و عمرا عندك، و بكرا دونك" و ذهب البصريون و الفراء إلى أنه لا يجوز تقديم معمولاتها عليها.

٥ - ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المنادى المعرف المفرد معرب مرفوع بغير تنوين و ذهب الفراء من الكوفيين إلى أنه مبنى على الضم و ليس بفاعل و لا مفعول.

٦ - يرى الفراء بان حرف القسم يعمل محذوفا بغير عوض مستدلا على ذلك بسماعه عن العرب يقولون "الله لتفعلن" فيقول المجيب "الله لأفعلن" بالف واحده مقصوره فى الثانية فيخفض بتقدير حرف الخفض و ان كان محذوفا.

٧ - ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسم المرفوع فى جواب الشرط فإنه لا يجوز فيه الجزم و وجب الرفع، نحو "أن تاتنى زيد يكرمك" و اختلفوا فى تقديم المنصوب فى جواب الشرط نحو "أن تاتنى زيدا أكرم" فاباه الفراء و اجازه الكسائى.

٨ - ذهب الكوفيون إلى انه يجوز تقديم المفعول بالجزء على حرف الشرط نحو "زيدا أن تضرب اضرب" و اختلفوا فى جواز نصبه بالشرط فأجازه الكسائى و منعه الفراء. و ذهب البصريون إلى انه لا يجوز أن ينصب بالشرط و لا بالجزء.

(باب الحروف)

١ - الالف المفردة: - يرى الفراء ان الهمزة فى قراءه الحرمين (أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ) للنداء إذ أنه سليم من دعوى المجاز إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته و من دعوى كثره الحذف لأن التقدير عند من جعلها للاستفهام: أ من هو قانت خير أم هذا الكافر أى المخاطب بقوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) فحذف شيئا: تعادل الهمزة و الخبر.

٢ - إذن: يرى الفراء أنها إذا عملت كتبت بالألف و الا كتبت بالنون للفرق بينها و بين إذا.

٣ - ان المكسوره الخفيفه عند سيويه و الفراء لا تعمل عمل ليس إذا دخلت على الجملة الاسميه.

ص: ٣٤٧

الدار فان زيدا جالس" و لا يكون العامل ما بعد الفاء لأن خبر أن لا يتقدم عليها فكذلك معموله هذا قول سيوييه و المازنى و الجمهور، و خالفهم المبرد و ابن درستويه و الفراء فجعلوا العامل نفس الخبر، و توسع الفراء فجوزه فى بقيه أخوات (ان)، فان قلت "اما اليوم فانا جالس" احتمال كون العامل "اما" و كونه الخبر لعدم المانع، و ان قلت "أما زيدا فانى ضارب" لم يجز أن يكون العامل واحدا منهما.

٥ - أو: قال الفراء فى معنى (أو) فى قوله تعالى: (وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) : بل يزيدون.

٦ - الا: ذكر الأخفش و الفراء و أبو عبيده أن من أحد معانيها أن تكون عاطفه بمنزله الواو فى التشريك فى اللفظ و المعنى، و جعلوا منه قوله تعالى:

(لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَىكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) ، (لا يَخَافُ لَمَدَى الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ يَدَّلَ حَسِينًا بَعْدَ سُوءٍ) أى و لا الذين ظلموا، و لا من ظلم.

٧ - إلى: - اثبت الفراء ان من معانيها التوكيد، و هى الزائده، و استدل بقراءه بعضهم (أَفْنِدَّةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ) بفتح الواو، و خرجت على تضمين تهوى معنى تميل، أو أن الأصل تهوى بالكسر فقلبت الكسره فتحه و الياء ألفا كما يقال فى رضى رضا، و فى ناصيه ناصاه يقول الفراء: قال ذلك ابن مالك، و فيه نظر، لان شرط هذه اللغه تحرك الياء فى الأصل.

٨ - ثم: - يرى الفراء أن (ثم) المهمله قد تتخلف بدليل قولك:

"اعجبني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب" لأن ثم فى ذلك لترتيب الاخبار، و لا تراخى بين الاخبارين.

٩ - عن: - حكى الفراء عن العرب قولهم رميت عن القوس و رميت بالقوس ف (عن) تفييد الاستعانه فى أحد معانيها، و فيه رد على الحريرى فى إنكاره ان يقال ذلك الا إذا كانت القوس هى المرميه، و حكى أيضا "رميت على القوس".

١٠ - حرف الفاء المفردة: - قال الفراء: انها لا- تفييد الترتيب مطلقا و احتج بقوله تعالى: (أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسِينَا بَيَاتًا، أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) . و من معانيها ان تكون زائده بشرط ان يكون الخبر امرا و نهيا. و مثل للأمر بقول الشاعر: - و قائله:

خولان فانكح فئاتهم....

و مثل للنهى بنحو "زيد فلا فلا تضربه".

١١ - حرف الكاف: - قال الفراء فى قوله تعالى (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) : التاء حرف خطاب، و الكاف فاعل لكونها المطابقه للمسند إليه.

١٢ - كم: - أجاز الفراء و الزجاج و ابن السراج و آخرون ان يكون تمييز كم الاستفهاميه مجرورا.

١٣ - كلا: - و يرى الفراء انها تكون حرف جواب بمنزله أى و نعم، و حمل عليه "كَلَّا وَ الْقَمَرِ" معناه أى و القمر.

١٤ - كل: - أجاز الفراء أن تقطع (كل) المؤكد بها عن الإضافه لفظ متمسكا بقراءه بعضهم (إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) . ١٥ - اللام المفرده:
- ويرى الفراء ان الشرط قد يجاب بها مع تقدم القسم عليه.

١٦ - لا: مثل لا رجل - عند الفراء - "لا جرم" نحو "لا جرم ان لهم النار" والمعنى عنده لا بد من كذا أو لا محاله فى كذا
فحذفت من أو فى.

١٧ - لات: - زعم الفراء انها تستعمل حرفا جاريا لأسماء الزمان خاصه كما أن مذ و منذ كذلك، و أنشد: -

طلبوا صلحنا و لات أو ان....

البيت. و استدل على ذلك بقراءه (وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ) بخفض الحين.

١٨ - لو: أثبت الفراء ورودها مصدرية استشهادا بقراءه بعضهم (وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ) بحذف النون فعطف يدهنوا بالنصب
على تدهن لما كان معناه أن تدهن.

١٩ - لولا: - و تأتي للتوبيخ كما يتضح من تفسير الفراء قوله تعالى:

(فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ) أى فهلا كانت قريه من القرى المهلكه ثابت عن الكفر قبل مجيء العذاب
فنفعتها ذلك.

٢٠ - لن: يرى الفراء ان أصلها و أصل (لم): (لا) فأبدلت الالف نونا فى لن و ميما فى لم.

٢١ - ليت: - و حكمه ان ينصب الاسم و يرفع الخبر و يرى الفراء انه قد ينصبهما كما فى قول الراجز:

يا ليت أيام الصبا رواجعا

٢٢ - لعل: - حرف ينصب الاسم و يرفع الخبر و أجاز الفراء نصبهما كما فى بعض لغات العرب "لعل أباك منطلقا".

٢٣ - لكن: - قال الفراء بان أصلها لكن ان، فطرح الهمزه للتخفيف، و نون لكن للساكنين، كقول الشاعر: -

..... ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل

فحذف نون (لكن) فى قوله (ولاك).

٢٤ - هل: من معانيها انها تأتي بمعنى (قد) و ذلك مع الفعل. و بذلك فسر الفراء قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ
الدَّهْرِ) قال: انها بمعنى (قد أتى).

٢٥ - الواو المفردة: - وقال الفراء و قطرب و الربيعى و ثعلب و أبو عمرو الزاهد و هشام و الشافعى بأفادتها معنى الترتيب.

(باب فى مسائل متفرقة)

١ - نقل أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب قول الفراء فى (لدى غدوه) حيث قال فى (غدوه) انها تنصب و ترفع و تخفض. فتأويل الرفع لى كان غدوه، و ينصب بخبر كان، و يخفض بعند، أى عند غدوه.

٢ - كلمه (سبحان) عند الفراء تأويلها الإضافة و هى تنزیه وضعت موضع المصدر، فى الأصل سبحت تسيحاً و سبحاناً، فإذا أسقطت الكاف فتحت، و انشد: - سبحان من علقمه الفاخر... فقال الفراء: طلب الكاف ففتح.

ص: ٣٤٨

و قال: هي من صله: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ). قال: و معنى (لإيلاف قريش) إيلافهم: يجعل مثل أنبتكم نباتا، رده إلى الأصل.

٤ - قال الفراء فى نحو (ان عبد الله قام أقم): ان أضمر مجهولا رفع لا غير، و إذا أضمر غير مجهول رفع و نصب.

قال: و الشروط كلها يتقدمها المستقبل و الماضى و الدائم، و "ان" لا يتقدمها الا مستقبلها.

٥ - و قال الفراء فى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) : انما عد أصناف الكفرة، فهم اليهود. قال: و خبر "ان" فى قوله: (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) و هو جزاء.

٦ - و قال الفراء فى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ) : اما الصابئون فان رفعه على انه عطف على الذين، و الذين:

حرف على وجه واحده فى رفعه و نصبه و خفضه فلما كان اعرابه واحدا و كان نصب ن ضعيفا - و ضعفه انه يقع على الاسم و لا يقع على خبره - جاز رفع الصابئين. و لا استحباب ان أقول: إن عبد الله و زيد قائمان، لتبين الاعراب فى عبد الله.

٧ - و قال الفراء: الاعداد لا يبنى عنها ثانيه، فلا أقول: عندى الخمسه الدراهم و الستتها، و أقول: عندى الحسن الوجه الجميله، فاكنى عنه، فكل ما كنى عنه كان مفعولا، و كل ما لم أكن عنه لم يكن مفعولا.

٨ - و قال الفراء فى قوله تعالى: (فَامِنُوا خَيْرٌ لَّكُمْ) : فامنوا إيمانا خيرا لكم.

و قال أيضا فى قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا) : هو جزاء، و فيه شىء من الحكايه.

١٠ - و قال أيضا فى نحو قولهم (أنت رجل قائم) يكون صله و لا يكون صله، و يكون حالا و لا يكون حالا. و أنت، هو الرجل، و الرجل هو أنت.

١١ - كل ما كان مثل عباس و العباس، و حسن و الحسن، فادخال الالف و اللام و إخراجهما و الاسم لا يحتاج إلى الالف و اللام، لأنك تقول: هذا زيد الساعه و غدا و أمس، فتكون له الحالات، فإذا قلت الحسن فنزلت الالف و اللام فيه فهو للمعهود، فقد خرج إذا سميت به من ذلك الطريق.

١٢ - يجوز الفراء نحو "قائم أخوك" و هو يريد "من قائم فأخوك".

١٣ - قال الفراء فى قوله تعالى: (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) ان اطهر نصبت على التقريب، و هو يسمى: هذا زيد القائم، تقريبا أى قرب الفعل به.

١٤ - و قال فى نحو: نحن بنى، و معشر، و رهط: هو مثل "جميعا" فكان العرب حينما تقول: نحن بنى فلان أو معشر فلان أو رهط فلان نقول ذاك، معناه: نحن جميعا نقول ذلك.

- ١٥ - وقال في (ما) في قوله تعالى: (وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) انها على ضربين، تكون مصدرا، و تكون عائدا للالف و اللام.
١٦ - وقال أيضا: الايمان ترتفع بجواباتها، و هذا موضع هذا و انشد: -

لعمر أبي الواشين لا عمر غيرهم لقد كلفوني خطه لا أريدها

فتنصب "عمر" إذا سقط اللام.

- ١٧ - يجوز عند الفراء ترخيم المندوب و انشد: -

يا فقعسا و أين منى فقعسا أبلى يأكلها كروس

و أصله: "يا فقعساه".

- ١٨ - إذا قالوا (من ذا ناته) فالفراء يرفع من بذا و ذا بمن، و ناته جواب الجزاء. كأنه قال من يكن هذا ناته. و إذا أراد الاستفهام قال من ذا فنأتيه؟ كأنه قال، من هذا فنأتيه.

- ١٩ - "حيث" على مذهب الفراء يرفع بها شيان، لأنها تقوم مقام صفتين، إذ قالوا: حيث زيد عمرو، فالتأويل: مكان يكون فيه زيد يكون فيه عمرو. فضمت لأنها تدل على محذوف مثل قبل و بعد.

- ٢٠ - وقال في قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً) : تكون أمرا. و قال: و سمعت أعرابيا يقول: هل أنت ساكت. مثله (هل أنتم متتهون). هذا استعراض لآراء الفراء في النحو عسى ان ينتفع القارئ الكريم بما قدمته بين يديه، و من الله التوفيق.

الشيخ يحيى بن محمد الكتكاني

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من اعلام فقهاء هجر و المنبى عن حقائق البشر له كتاب فى التاريخ و السير و كانت له عند شاه عباس الصفوى المنزله العليا و المكانه التى تنافست فيها الدنيا.

مات قدس سره الشريف سنة ٩٩٩ التاسعه و التسعين و تسعمائه من الهجره.

يعقوب بن إسحاق الكندى

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٠٧ من المجلد العاشر، و نشر هنا بحثا عنه بعنوان (الله و العالم عند الكندى) بقلم الدكتور عثمان

عيسى شاهين:

ص: ٣٤٩

لا يقبل أرسطاطاليس أن يكون هذا المحرك الابدى الأول متكثرا، بل انه واحد و عله لما عداه من المتحركات الأخرى. يختلف هذا المحرك عن الموجودات التي تتكون من الاحجام و الا-جزاء و الإعظام، أنه، و هو يتصف بالوحده، و يعتبر مبدأ جميع الأشياء عله الوجود و العدم و التغير فى الكائنات، و لكن من غير أن ينعت باى من هذه فى وجه من الوجوه. و حينما يرى أرسطاطاليس أن الأشياء المتغيره لا- يمكن أن تكون عله حقيقيه للحركه، فإنه يفرق، و فى أصاله، بين حركات الاجرام العليا، التي تتحرك بواسطه محرك أزلى لا يتحرك، و إن تغيرها يكون أزليا كذلك، و حركات الأشياء الطبيعیه السفلى التي تتحرك عن طريق شىء متغير متبدل، و إنها تكون بذاتها متغيره كذلك. و لكن هذا المحرك القديم، الذى يطلق عليه الكندى لفظه الله، و الذى يقبل أن يكون عنده عله الأشياء جميعها بتوسط و بغير توسط، هو عند أرسطاطاليس ابدى بسيط، إنه، و باستمرار، فى حاله واحده لا تتبدل، أنه يحرك حركه واحده و بسيطه.

إن الله الابدى، و الذى هو العله الأولى، لا يقبل أن يوصف عند الكندى بالعدم، أنه لا موضوع له، و لا محمول، و لا فاعل و لا سبب.

يبرهن الكندى هنا، و كما يفعل الغزالي و ابن سينا، على أن الله الأزلى لا تحده التعريفات المنطقيه، يعنى أنه لا جنس له، لأنه إن كان له جنس فهو نوع، و النوع مركب من جنسه العام له و لغيره و من فصل ليس فى غيره، فله موضوع هو الجنس القابل لصورته و صورته غيره، و محمول هو الصورة الخاصه له دون غيره، فله موضوع و محمول.

و لكن قد ظهر أن الله الأبدى ليس له عند الكندى موضوع و لا محمول و لا جنس... أن الله عند الكندى، و هو الذى أوجد العالم المحدث، تام و كامل و موجود، لا يقبل التبدل و الفساد و الانتقال من النقص إلى التمام، لأن الانتقال استحاله ما، أنه لا يمكن أن يكون ناقصا فيصير إلى حال يكون بها فاضلا و كاملا، إنه لا يمكن أن يستحيل إلى أفضل منه و لا إلى انقص منه بته، إن الله الابدى، - و كما يبرهن أرسطاطاليس فى طبيعه المحرك الأول الذى لا يقبل الامتداد، - لا جنس له عند الكندى، لا يمكن أن يكون جرما ذا كمييه أو كفييه، لأنه سيصنف بحدود الزمان و المكان و التناهى، و الله الذى خلق العالم و أمسكه و أبدعه، هو الفاعل، الحق الأول، الأزلى، إنه يعلو على كل ما يتصوره عقل الإنسان...

يحاول ان يربط الكندى فى كثير من رسائله، و فى أصاله ظاهره بين الحركه و الجرم و الزمان، و يدعم بهذا الربط نظريته فى تناهى و حدوث العالم.

إذا قال الكندى فى بادئ الأمر أن الزمان مده تعدها الحركه، و إنه إذا لم تكن حركه لم يكن زمان، فإنه يوحد بينها حينما يقول: إن كان زمان فحركه، و إن كانت حركه فجرم. أن الحركه ملازمه للجرم بوجه عام، و إن الجرم فى زمان حى كم متصل. أن الحركه و الجرم و الزمان لا يسبق بعضها بعضا فى الآنيه، انها، - و تختلف فى هذا عن الذات الالهيه، - ذات بدايه و نهايه. و الجرم، كالزمان موجود معناه، أنه يقبل الكون و الفساد، و أنه، من حيث أنه شىء حادث، لا يمكن أن يكون لا نهايه له بالفعل.

و يرى الكندى، فى نظريته عن الله و العالم، أن الحركه موجوده ما دام هنالك جرم، و قد قيل أن الحركه لا- تكون، إذا كان الجرم موجودا، و هذا محال حسب رأيه، لأنه إذا كان هنالك جرم كانت حركه اضطرارا، إذا افترض وجود الجرم بدون الحركه، فاما ألا- تكون حركه بته، و أما أن تقبل ألا تكون فى وقت ما، و أن تكون فى آخر، يعنى الكندى أن تقبل هذه الحركه حالتى

الوجود و العدم. و من الطبيعي أنه إذا كانت الحركة ليست موجودة، و إن الجرم موجود، فسيحدث تناقض واضح حسب مذهب الكندي العام، لأننا عرفنا أن الحركة و الجرم و الزمان عنده لا يسبق بعضها بعضا في الآنيه فهي معا.

و لتفهم رأى الكندي في عدم قبول انتساب اللاتناهي إلى الجرم و العالم، لا بد لنا أن نناقش، و في اقتضاب، آراء أرسطاطاليس في هذا السبيل تلك الآراء التي ستوضح لنا طبيعه ادراك التناهي و اللاتناهي بوجه عام. يقول أرسطاطاليس في الكتاب الثالث من الطبيعيات: أن الفيثاغورسيين و أفلاطون قد اعتبروا اللامتناهي جوهرًا و شيئًا قائمًا بذاته، و أن تصور العناصر الأربعة في الفلسفتين الأيونيه و الطبيعيه قد أشار إلى وجود هذا اللامتناهي، - و هو مبدأ لا يقبل الفناء، - عن متصل ملموس.

لا ينكر أرسطاطاليس أننا سنكون أمام صعوبات جمه حينما نحاول امتحان نظريه اللامتناهي. يظهر أرسطو هنا أمام نظرتين قد لا تبدو ان متعارضتين إلى حد كبير، نظره أوحث بها إليه دراساته الطبيعيه التي تعتبر الجسم المكاني متناهيًا، و نظره ثانيه أسعفته بها الدراسات المتقدمه عليه حينما اعتبر ماده العالم القديمه أزلية غير محدوده. أن الكندي لم يقف كثيرا أمام هذه الناحيه كما سيفعل ابن رشد فيما بعد، أنه لم يفكر في المشاكل الذهنيه البعيده المدى، تلك المشاكل التي قد تعترض الباحث حينما يتصور فكره اللامتناهي عند الأقدمين، و فكره الحدوث أو التناهي عند المسلمين. و إذا لم تستوقف الكندي هذه النظره العويصه بعض الوقت، فان استاذة أرسطاطاليس قد أخذ يتساءل عن طبيعه هذا اللامتناهي: هل هو جوهر، أم هو محمول ذاتي على طبيعه ما، أم هو لا- هذا و لا- ذاك؟ لا- يمكن أن يوجد اللامتناهي بالفعل... تلك هي حكمه قال بها أرسطاطاليس حينما نظر إلى الجسم المحسوس المحدود، و أكدها عن طيب خاطر تلميذه الكندي، لا يتصور أرسطاطاليس أن يوجد اللامتناهي بالفعل كجوهر، أو كمبدأ، أو كقدر أو كعدد، لأنه سيقبل إذن القسمه و التجزئه و التناهي و الزيادة و النقصان. أن الجسم المحسوس الذي يتكون من عناصر متناهيه العدد، و الذي يوجد بطبيعته في مكان ما لا يقبل أن ينتسب إليه كما يقول أرسطاطاليس، و كما يتضح هذا بجلاء عند تلميذه الكندي، فكره اللاتناهي بآيه حال من الأحوال.

و لكن إذا حاول أرسطاطاليس أن ينكر فكره انتساب اللاتناهي إلى الجسم المحسوس الموجود في المكان، فإنه قد يقبل وجود جوهر اللامتناهي بوجه ما. لأننا إذا أنكرنا، و كما تقول نصوص الطبيعيات فكره اللامتناهي إنكارًا مطلقًا و ابدية، فستكون إذن للزمان و لهذا العالم بدايه و نهايه. و كانا بارسطاطاليس يعبر عن هذا في أسلوب شعري جميل، و ذلك حينما يقول:

فى وضع يختلف عما هو عليه فى الواقع، و من هنا فان فكره الجوهر اللامتناهى قد تتحقق عند أرسطاطاليس و إلى حد ما، فى جو يقرب من المثل الافلاطونيه، على حين أن الكندى لم يلجا إلى هذا التصور الجزئى المثالى، و أمن بعالم الأجسام المتناهيه و ارتباطها بالحركه و الزمان و المكان...

و لكن كيف يوضح الكندى، فى نظريته عن الله و العالم، أنه لا يمكن أن يكون جرم لا نهايه له. يبرهن على هذا بنصه: أنه إن أمكن أن يكون جرم لا-نهايه له، فقد يمكن أن يتوهم منه جرم محدود الشكل متناه، و إذا توهم من الجرم اللامتناهى آخر محدودا، فقد يقال: هل هذا الجسم المحدود هو متناه أم لا متناه، فان كان هذا الجسم المحدود متناه فان الجملة ستكون متناهيه، ذلك لأن الإعظام التى يعتبر كل واحد منها متناه تكون جملة متناهيه، و من المستحيل، حسب برهنه الكندى، أن يكون الجرم لا متناهيًا و متناهيًا.

لم يشن الكندى، حينما يقول بتناهى الجرم، أن يثبت فى نظريته عن الله و العالم، كيف أن الله، و هو الفاعل الحق، و غايه كل عله، يستطيع وحده إيجاد الموجودات عن عدم. أنه المبدع الذى لا-يتأثر بجنس من أجناس التأثر، أنه و هو الفاعل لا يقبل، كمخلوقاته، أن يفعل بته. و قد يقرب الكندى، حينما يناقش طبيعه الفعل و الانفعال، من الغزالي. يقول الكندى: " أن الفاعل الحق الأول لا-يفعل بته و أما ما دونه أعنى جميع خلقه، فإنها تسمى فاعلات بالمجاز، لا-بالحقيقه أعنى انها كلها منفعله بالحقيقه. " و هو يقدر بهذا أن الفلك الأعلى هو المفعول الأول، و أنه باختلاف حركات ما فيه من أجرام متحركه على أنحاء معينه، يفعل فيما دونه، و يعتبر هذا الفلك مبدعا، أبدعه خالقه و منشئه، أى أبدعه الله الذى هو العله المباشره أو غير المباشره لكل ما يقع فى الكون. يرى الكندى أن الأول يفعل عن البارئ و يفعل عن هذا ثان، و هكذا حتى ينتهى الأمر إلى المنفعل الأخير منها. أن المنفعل الأول يسمى فاعلا-بالمجاز للمنفعل عنه، لأنه عله انفعاله القريبه، و كذلك الثانى، إذ هو عله الثالث القريبه فى انفعاله حتى ينتهى إلى آخر المفعولات. و يختم الكندى هذه البرهنه التى قد توهم بتأثير افلوطنى [افلاطونى]، و التى قد تبدو واضحه عند الفارابى فيما بعد، إلى أن الله، أى البارئ تعالى هو " العله الأولى لجميع المفعولات التى بتوسط، و التى بغير توسط، بالحقيقه، لأنه فاعل لا منفعل بته، إلا أنه عله قريبه للمنفعل الأول، و عله بتوسط لما بعد المنفعل الأول من مفعولاته.

ان الظواهر المحسوسه لتدل، كما يرى الكندى، أوضح دلالة على وجود هذا الفاعل الحق المدير، هذا الموجود الذى لم يكتسب وجوده من شىء خارجى عنه، و الذى يعده الكندى الواحد العى، و العله الأولى التى لا تقبل التكثر بحال من الأحوال. أنه كما يقول فى نصه: " العله الفاعله التى لا فاعل لها، المتممه التى لا تتم لها "، و انه هو الذى يجعل الأشياء تقبل العلل و الأسباب. و قد رمزت الطبيعه فى جميع الأشياء بان عله الكل واحد حق، هذا الواحد المحجوبه عنه الأعين الجثمانيه، الذى هو تام و كامل، لا يلحقه النقص و الانفصال بجهه من الجهات.

و الكندى الذى يرى، فى نظريته عن الله و العالم، أن الواحد الحق تام و كامل، يبرهن على أن الجرم و كل محمول فيه هو متناه، أنه يقبل الحركه و الكم و المكان و الزمان. و العلاقه كائنه عند الكندى بين الجرم، - الذى يحده بأنه جوهر طويل عريض عميق، ذو ابعاد ثلاثه. مركب من هولى و صوره، - و بين الإعظام المتجانسه. يرى الكندى أن الإعظام المتجانسه التى كل واحد منها متناه هى فى جملة متناهيه. أنه لا-يمكن أن يكون جرم لا نهايه له أعظم من جرم لا نهايه له، على حين أن كل عظيمين متجانسين، - ليس أحدهما أعظم من الآخر، - متساويان. و يخلص الكندى من هذا إلى أن جرم الكل، أى العالم، ليس يمكن

أن يكون لا نهايه له بل هو متناه.

و إذ يحاول الكندي اقامه الدليل على فكره التناهي يقول: قد يظن أنه يمكن أن يكون جرم الكل كان ساكنا أولا و كان ممكنا أن يتحرك ثم تحرك، وهذا ظن كاذب بالضرورة، لأن جرم الكل، أى العالم، إن كان ساكنا أولا ثم تحرك، فلا يخلو أن يكون جرم الكل موجودا بعد عدم، أى كما جاء فى نص الكندي، كونا عن ليس، أو يكون قديما. فان كونا عن ليس، فان وجوده قد اكتسب إذن الكون عن طريق الحركة، و إذا لم يسبق الجرم الكون كان الكون ذاته، فاذن لم يسبق كون الجرم الحركة به. و قد قيل أن جرم الكل كان أولا و لا حركه، و هذا ما لا يقبله الكندي، لأنه إن كان جرم الكل موجودا عن عدم، كونا عن ليس، فإنه ليس يمكن أن يسبق الحركة. و إذا كان الجرم لم يزل ساكنا، أى قديما، ثم تحرك لأنه كان ممكنا له أن يتحرك، فقد استحال إذن جرم الكل القديم من السكون بالفعل إلى الحركة بالفعل، و القديم، كما نعرف، لا يقبل أن ينعت بلفظه الاستحاله، فهو إذن مستحيل لا مستحيل، و هذا خلف لا يمكن. و يخلص الكندي من هذه البرهنه الاصيله على أنه ليس يمكن أن يكون جرم الكل قديما أى لم يزل ساكنا بالفعل، ثم قبل أن يتحرك بالفعل، لأنه إذا كانت الحركة فيه موجوده، فهو لم يسبق الحركة به. و يختم الكندي هذه البرهنه فى نص مشرق جميل: "إن كانت حركه كان جرم اضطرارا، و إن كان جرم كانت حركه اضطرارا، فمده الجرم اللازمه للجرم ابدا تعدها حركه الجرم اللازمه للجرم ابدا، فالجرم لا يسبق الزمان ابدا، فالجرم و الحركة و الزمان لا يسبق بعضها ابدا". و فكره التناهي هذه فى الجرم هى التى تميز نظريه الحدوث عند الكندي، بالاصاله، و تجعلها ذات طابع يختلف عن الفلسفه الايونيه و الطبيعيه، و عن استاذه أرسطاطاليس.

أن الجرم المتناهي الذى يقبل التبدل، عن طريق الحركة المكانية، بالقرب من مركزه أو البعد منه، يوصف عند الكندي بأنه مركب، لا- يمكن تصوره منفصلا عن الحركة و الزمان، لا- يقبل الازليه بحال من الأحوال، أنه محدث له خالقه و محدثه. أن الجرم و الحركة و الزمان، كما يؤكد الكندي فى كل نص و مناسبه، لا يسبق بعضها بعضا فى الآنيه، فهى معا، فإذا كان الجرم لا يسبق مده تعدها الحركة، و إذا كان الزمان ذا نهايه بالفعل، فانيه الجرم ذات نهايه بالفعل اضطرارا. و من هنا فقد أثبتت نظريه الله و العالم عند الكندي، حدوث العالم، زواله و نهايته، كما إنها أكدت خلود الله المحدث، لا نهايته و أبديته...

بأنه ماضٍ إلا إذا أحسسنا بالتقدم والتأخر في الحركة. و أرسطاطاليس الذى يقول أن الحركة انما تعرف بالمتحرك، و أن النقلة انما تعرف بالمتنقل، و الذى يقبل انه لا يمكن تصور الزمان من غير الآن، كما لا يمكن تصور الآن من غير الزمان، يعطينا تعريفاً خالداً، و جامعاً مانعاً، تعريفاً قبلته منه الفلاسفات المسيحيه و الإسلاميه، و ذلك حينما يذكر: أن الزمان هو مقدار الحركة بحسب المتقدم و المتأخر، انه متصل و ينتسب إلى متصل...

و إذا كان زمان الموجودات الأبدية الخالده لا يحويها، لا يقيس مقدار وجودها و ليس له تأثير عليها فان زمان الكائنات الحسيه يعتبر، عند الفيلسوف اليونانى و فى لحظه تشاؤم، سبب هدم لا بناء، لأنه مقدار الحركة، و الحركة تضعف و تفنى ما هو موجود. و لكن هل يمكن تصور الزمان من غير النفس؟ سؤال ممتع و جميل سبق أرسطاطاليس الكندى إليه، جاء ديكارت و إقامه نظريه دفعته إلى معرفه الله و العالم و جاء برجسون و إقامه فلسفه انبنى عليها فهم الحريه و الشعور و الحدس و الوجدان. يرتأى أرسطاطاليس انه ليس من هناك شىء يمكن أن يعد خارج النفس و العقل، و إذا كان الزمان هو مقدار الحركة، - بصفه عامه و كليه و ليست حركة ما، - بحسب المتقدم و المتأخر، و إذا كانت الحركة المعدوده لا- تقوم إلا بالزمان، فان الزمان يوجد فى داخل النفس.

و الكندى الذى قد تاثر كغيره من فلاسفه المسلمين باستاذه أرسطاطاليس، لا يستطيع أن يتصور، فى نظريه الله و العالم، جرماً بلا زمان. يرى أن الزمان و الجرم متناهين، أن الحركة هى حركة الجرم، فان كان جرم كانت حركه، و ان لم يكن جرم لم تكن حركه. و إذا كانت الحركة هى تبدل الأحوال، و ان كل تبدل هو عاد كما يقول فى نصه، مدته المتبدل، فان التبدل سيسرى كذلك على الزمان، هذا الزمان الذى لا يمكن أن يتصور بالفعل لا نهايه له.

و ليبرهن الكندى على أنه لا يمكن أن يكون زمان لا نهايه له بالفعل فى ماضيه و لا آتية يقول: اننا إذا قسمنا الزمان إلى أجزاء فيجب أن نقف عند فصل متناه لا يكون قبله فصل، أنا إذا افترضنا خلف كل فصل من الزمان فصلاً و لم نقدر أن نقف، و لو فى حاله التوهم، عند حد ما، فسنكون إذن امام لا متناه، و سينتج فى ذهننا زمان معلوم محدود، و زمان غير معلوم: أى سنقف أمام لا متناه متناه، و هذا خلف لا يمكن. ان ما لا نهايه له لا تقطع مسافته و لا يؤتى على آخرها، فإنه لا يقطع ما لا نهايه له من الزمان، حتى ينتهى إلى زمن محدود، و الانتهاء إلى زمن محدود، موجود به، فليس الزمان فصلاً من لا نهايه، بل من نهايه اضطراراً... و لكل زمان محدود نهايتان:

نهايه أولى و نهايه آخره، فان اتصل زمانان محدودان بنهايه واحده مشتركه لهما، فان نهايه كل واحد منهما الباقية محدوده معلومه، و إذا فرض أن جمله الزمانين و هى محدوده تصير، عن طريق هذا الاتصال لا محدوده النهايات، فسنكون إذن أمام زمان محدود و لا محدود، و هذا ما لا تقبله نظريه حدوث العالم عند الكندى بحال لأنه كما زيد على الزمان المحدود زمان محدود، فكله محدود النهايه من آخره، و لا يمكن أن يكون الزمان الآتى و على هذا الأساس لا نهايه له بالفعل.

تجمع مصنفات الكندى، حينما يحاول أن يفهم تصور الله و العالم على أن الزمان من الكميّه المتصله، و هى تتفق فى هذا مع تعريف أرسطاطاليس. تنفرد الفلاسفه الأولى و تضيف على هذا التعريف بان العدد و القول لا يمكن أن يقال عليه و فى ذاته طويل أو قصير، بل ينصب عليه هذا من جهه الزمان الذى هو فيه. يقال عدد طويل، أى فى زمان طويل، و قول طويل أى فى زمان طويل، و لا يمكن أن يحتمل أى واحد من القول و العدد اسم الطول و اسم القصر بذاته أى انه ليس هنالك للأشياء وجود

مطلق في ذاتها بل في الزمان. صحيح، و كما تتفق على هذا المصادر الكنديه، ان افتراض زمان لا نهايه لأوله قد يؤدي إلى تناقض لأننا إذا قلنا أن الزمان مكون من انات مفعوله، و هو من الكم المتصل عنده، فسنصل إلى حد متناه نقف عنده، و افتراضنا نظره اللاتناهي ستناقض التناهي، و سيكون الزمان متناهيًا و لا متناهيًا في نفس الوقت، و هذا غير معقول و لا مقبول. و نظره ثانيه بان اللامتناهي لا تقطع مسافته و لا يؤتى على آخرها، و بأنه ليس متصلًا من لا نهايه اضطرارا.

و الله، الذي خلق العالم و الزمان، يتصف عند الكندي بالوحدانيه، لا تعجز قدرته عن شيء، أنه يستطيع إخراج المعاني إلى الكون، خلق العالم في اتقن و أكمل و أفضل وجه، خلق المعاني البسيطة مثل العنصر و الصوره، و إبداع الأشياء المركبه. و قد صير الله الجوهر النفساني أما ناطقا و أما لا ناطقا، الناطق مثل الأشخاص العاليه و الإنسان، و الذي لا ناطق هو الحرث و النسل، و أنه هو الذي جعل للحركه كينونتها و بقاءها. و يتساءل الكندي، مع كل ذهن يعرض له هذا، و كما فعل أرسطاطاليس بوضوح في الطبيعيات، عن خالق هذا العالم و محركه، هو واحد أم كثير، هل هو بسيط أم مركب؟ أن الأشياء المركبه لا بد أن تقبل القسمة و التجزئه، و المتكثره لا بد أن تقبل انفصال بعض أجزائها عن بعض. و الله، الواحد، الفاعل، الأول، لا يقبل من حيث أنه يتسم بالبساطه، الكثره و التركيب، و كما يقول الكندي في نص له: "أن الكثره في كل الخلق موجوده، و ليست فيه بته، و لأنه مبدع و هم مبدعون، و لأنه دائم و هم غير دائمين، لأن ما تبدل تبدلت أحواله، و ما تبدل فهو غير دائم".

يحاول أن يبرهن أرسطاطاليس في الطبيعيات، كما يفعل في ما وراء الطبيعه، على وجود محرك أول قديم دائم غير متكثر، و غير قابل للحركه.

و إذا كان انكسا جوارس قد قال، كما يذكر عنه أرسطاطاليس، بان العقل منزه عن الاختلاط بشيء، أنه مبدأ للحركه، فان هذا الأخير قد قال بان المحرك الأول، الذي لا يقبل التحريك بواسطه شيء سابق عليه يحرك ذاته.

أن هذا المحرك هو دائما، كالله عند الكندي، بالفعل أنه لا- يمكن أن يكون فيه جانبان: أحدهما يحرك و الثاني يقبل أن يتحرك، لأنه إذا صح هذا فسيكون التحرك بينهما بالتناوب، و سوف لا يكون هنالك محرك أول قديم أنه لا بد من أن تقف سلسله الأشياء المتحركه بالغير عند حد، و إن هذا الأخير لا بد أن يحرك ذاته بذاته، و لا بد من أن يتسم بصفه القدم و الابديه و الخلود.

تكون ذاته معدومه. لا يقبل الشيء أن يوصف بأنه عله و معلول إلا إذا وصف بالوجود، و أنه من المستحيل أن يكون عله كون ذاته إذا كان معدوما. إذا كانت ذات الشيء هي غيره، و المتغيرات يمكن أن يعرض لأحدها ما لا يعرض للآخر، و قد عرض له أن يكون موجودا و عرض لذاته أن تكون معدومه، فستكون ذاته إذن هي لا هو، و كل شيء فذاته هي هو فهو لا هو، و هو هو، و هذا خلف لا- يمكن. إذا كان الشيء موجودا و ذاته موجوده، أى حسب تعبير الكندي: إن كان أيسا و ذاته أيس، فهو عله و معلول. يعنى أن يكون عله ذاته، و عرض لذاته أن تكون معلولته، فذاته هي لا هو، و كل شيء فذاته هي هو، فهو لا هو، و هو هو، و هذا خلف لا- يمكن.. يخلص الكندي من هذه البرهنه الاصيله إلى أنه من المستحيل أن يكون الشيء عله ذاته بل هو معلول دائما. أن الله و هو الفاعل الحقيقى، و العله القريبه و البعيده لهذا الشيء، يعطى للمعلولات جميعها وجودها و كمالتها و بقاءها.

يعرف الكندي الحركة، فى بحثه عن الله و العالم، بأنها تبدل أما بمكان، و أما بكم، و أما بكيف و أما بجوهر، و كل تبدل فإلى غير يرى الكندي أن كل حركة إما أن تكون ذاتيه و إما أن تكون عرضيه، و يعنى بالذاتيه هي ما تكون من ذات الشيء، و لا تفارق الشيء الذى هي فيه إلا بفساد جوهره، و يضرب لهذا مثلا بحياه الحى التى لا تفارق الحى إلا بفساد جوهره و انتقاله إلى لا- حى، على حين أن الحركة العرضيه هي عنده تلك التى ليست من ذات الشيء، و يعنى بما ليس من ذات الشيء ما يفارق الشيء و لا يفسد جوهره، كالحياه فى الجرم، فان الجرم الحى قد تفارقه الحياه و أن الجرميه ثابتة فيه على حالها لم تفسد.

و يكاد الكندي ينقل، و لكن فى شيء من الأصاله، ما قاله أرسطاطاليس فى تصور الزمان فى داخل النفس. يقول الكندي: أن الحركة موجوده فى النفس، أعنى أن الفكر ينتقل من بعض صور الأشياء إلى بعض، و من أخلاق لازمه للنفس شتى مثل الفرح و الحزن و ما كان كذلك، فالفكر متكثره و متوحده، إذ لكل كثره كل و جزء، إذ هي معدوده، و هذه أعراض النفس، فهي متكثره أيضا و متوحده، بهذا النوع. و من هنا يتضح لنا كيف يصور الكندي ارتباط الزمان، و هو فى داخل النفس، بالحركة و الجرم، و لكن هل يمكن تصور جرم من غير مكان؟ هذا ما ستجيب عليه فلسفه أرسطاطاليس و براهين الكندي...

و إذا كان الجرم لا يمكن أن يتصور إلا فى المكان، فان الكندي لم يناقش، فى نظريته عن الله و العالم، علاقه الحركة و الجرم و الزمان و المكان، و كل ما فعله فى هذا السبيل هو إشاره عابره إلى آراء الفلاسفه الذين لم يتعرض لاسمائهم، إلى أفلاطون، ثم إلى أرسطاطاليس الذى يقول أن المكان موجود و بين. لا يقبل الكندي أن يكون المكان جسما، و لعله يفترض يختل خلاء، لأن الخلاء الخالى، كما يقول أرسطو و ابن سينا و الكندي، لا وجود له.

يرفض الكندي أن يكون المكان جسما، لأن الجسم يقبل إذن الجسم، و الجسم يقبل و يقبل، و هكذا ابدا بلا نهايه، و فكره اللاتناهى هذه، و كما نعرف مرفوضه عنده فى نظريه حدوث العالم. يرى الكندي إذن أن المكان ليس جسما، بل هو السطح الذى هو خارج الجسم الذى يحويه المكان ينظر الخوارزمى إلى مكان الشيء بأنه سطح تعقير الهواء الذى فيه الجسم، أو سطح تعقير الجسم الذى يحويه هواء يعرف الكندي المكان بأنه نهايات الجسم، و بأنه بتكثر بقدر أبعاد المتمكن و نهاياته... لا يقبل الكندي أن يكون للخلاء المطلق وجود، و ليبرهن على هذا الرفض يقول أن معنى الخلاء هو مكان لا متمكن فيه. لا يصح و بأنه حال من الأحوال، تصور مكان من غير أن تتبعه إضافه متمكن، إذا كان متمكن كان مكان اضطرارا، إذا كان مكان و فيه متمكن، فان وجود الخلاء المطلق إذن عند الكندي، كما هو عند أرسطاطاليس، مستحيل. و إذا لم يكن ثمة خلاء مطلق فلا بد

إذن من الملائ، و حيث أن هذا يكون جسما، فلا بد من أن يكون متناهيا، لأنه ليس يمكن، حسب المذهب العام لنظريه الحدوث عند الكندي، أن يكون شيء لا نهايه له بالفعل.

و الكندي الذى يعرف الهيولى أى الماده، فى نظريته عن الله و العالم، بأنها موضوعه لحمل الصور، و بأنها منفعله، يرى أن الهيولى هى ما يقبل و لا يقبل، أنها ما يمسك و لا يمسك.

يعنى بهذا انها تحفظ الصوره. و الماده التى يتكون منها كل شيء، و التى نقبل الاضداد دون فساد، تعطينا تمثلات كليه فى النفس، بحيث تكون هذه التمثلات القائمه فى المصوره أشبه بالمحسوسه. و هو لا ينسى أن يفرق، فى نظريته إلى الماده، بين نوعين من المعرفه، أى الوجود. ينقسم الوجود عنده إلى حس يتصل بطبيعته الأشياء الجزئيه الهيولانيه، و عقلى ينتسب إلى الكليات و الأجناس و العقل الإنسانى. و الكندي الذى يعرف الصور فى رسالته عن الحدود بأنها الشيء الذى به الشيء هو ما هو، يراها تنقسم إلى قسمين:

أحدهما يقع تحت الحس و الثانى تحت الجنس. و إذا كانت الصوره الحسيه تميز، و عن طريق البصر، الشيء من حيث الجوهر و الكيف و الكم و بقيه الأجناس العشره، فان الكندي يرى أن الصوره فى النفس هى و النفس شيء واحد، لا يتغيران تغايرا مصدره غيريه المحمولات، يعنى بهذا ما تحمله النفس فى ذاتها و ليس المحمولات المنطقيه.

يتضح لنا من فهم الماده و الصوره من ادراك المحمولات و الأجناس العشره فى نظريه الله و العالم عند الكندي، ان القول أولا بوجود الواحد الحق المبدع، و القول ثانيا بالحدوث، يحل مشكله رئيسه تبدو فى صميم العلاقه الكائنه بين الفيلسوفه و الدين. يظهر لنا بجلاء من هذه الصله أن تدبير العالم المرئى لا يمكن أن يكون الا بعالم لا يرى، و أن آثار العالم، و ما فيه من التناسق و النظام، تدل على موجدته و مدبره، هذا المدبر الابدى الذى وهب العالم الحركه و الزمان و الإبداع، الذى خلق المحدثات المنفعلات من لا شيء، و الذى أعطى الوجود أصالته و تمامه و كماله..

رساله للكندى

و نشر فيما يلى كلمه عن رساله له مخطوطه فى موضوع (قلع الآثار من الثياب) و هى مكتوبه بقلم الدكتور محمد عيسى صالحيه:

ص: ٣٥٣

سأحاول في مقدمه دراستي هذه أن أعاود تأكيد بعض الحقائق الهامه عن حياته و التي تظل مطلبا رئيسا لكل باحث عند العناية بتراث الكندي.

إن ما أورده إسماعيل حقي الأزميرلي في كتابه عن فيلسوف العرب الكندي المنشور بالتركيه و الذي نقله إلى العربيه عباس العزاوي يظل رأيا له تقديره عندي على الأقل، فقد قرن الأزميرلي اتخاذ بغداد غداه بنائها من قبل أبي جعفر المنصور كقاعده حضاريه، بظهور الكندي كبان لأسس العلم و الفلسفه و الطب عند العرب. (1) فبناء بغداد الحضاريه و نبوغ الكندي العلمى كانا معلمين يكمل بعضهما بعضا: فالكندي هو أبو الحكماء و فيلسوف العرب و المسلمين، عربى من قبيله كنده، كان والده أمير الكوفه أيام المهدي و هارون الرشيد، و أما الكندي فقد كان منكباً على العلوم و الفنون بلا هواده، ألف فى المنطق و الفلسفه و الهندسه و الحساب و الأرثماطيقى و الموسيقى و النجوم، و إن مراجعه إحصائيه لمؤلفاته و فروعها تسجل منها قوائم رقميه نجملها بما يلى:

الفلسفيات: ٢٧ مؤلفا.

المنطق: ٩ مؤلفات.

الحساب و ما يتعلق به: ٢١ مؤلفا.

الكريات: ٩ مؤلفات.

الموسيقى: ٧ مؤلفات.

النجوميات: ٣٨ مؤلفا.

الهندسه: ٢٤ مؤلفا.

الطب: ٣١ مؤلفا.

الفلك: ١٧ مؤلفا.

الجدليات: ١٩ مؤلفا.

علم النفس: ٧ مؤلفات.

السياسه: ١٢ مؤلفا.

الأحداثيات: ١٦ مؤلفا.

الابعاديات: ١٠ مؤلفات.

الأنواعيات: ٢٩ مؤلفا.

الأحكاميات: ١٠ مؤلفات.

التقدمات: ٨ مؤلفات. (٢)

ولا غرابه من كثره مؤلفاته و تنوعها و تشعب اختصاصاتها، فالكندى كما تؤكد كافة المراجع التي عنيت به أنه كان مطلعاً على علوم اليونان و الهنود و الفرس، و تلكم مراكز الحضارة الرئيسية في عصره، هذا بالإضافة إلى إلمامه بالسريانية و اليونانية و الهنديه و الفارسيه. و قد أصاب الشهرزورى حين قال عنه: "كان مهندساً خائضاً غمرات العلوم". (٣)

قلع الآثار و الطبوعات من الثياب و غيرها في التراث العربى

يجد الباحث صعوبه في العثور على عناوين مستقلة لهذا الفن في التراث العربى، و يبدو أن العناية بهذا الفن كانت مسأله معروفه لا تحتاج إلى تدوين عند العرب، كما هو حالهم في تدوين هندسه البناء و نسج الثياب و غزل بيوت الشعر و صناعه الخيم و الحياكه و التطريز و الوشى و غيرها من الأمور الحياتيه، و ما عدا إشارات ترد عن صناعه الصابون و الصباغه فلا تكاد تعثر على عناوين تخص قلع الآثار و الطبوعات من الثياب حتى منتصف القرن الثالث الهجرى.

لقد أعملنا جهدنا درسا في التراث العربى علنا ننجح في تطير هذا الفن تاريخيا و كانت حصيله اشتغالنا ما يلى:

- ورد في كتاب فردوس الحكمه لعلى بن ربن الطبرى (ت ٢٤٧ هـ)، ذكر ما يقلع الآثار من الثياب في النوع السابع من مقاله الثانيه، الباب الثالث، بين الصفحات ٥٣٠-٥٣٢، و تناول قلع الآثار و الطبوعات من ثياب الطيلسان و الوشى و الفراش، و الآثار التى أشار إليها، هى قلع آثار النفط و الموز و البسر و قشور الرمان و الحبر و الدم و الودك و الزعفران و دهن البزر و السواد و القير و العنب و القطران و الخلوق و الدهن و الدسم المغره و المداد بالإضافة إلى صباغه الثوب و الشراب.

- رساله في الصباغه الكيماويه لابن وحشيه (ت حوالى ٢٩١ هـ)، و هى الرساله التى كتبها لابنه و جاء بأولها: " فأول ما أعملك يا بنى من ذلك ما أشاهده و تشاهدون من عمل الصباغين بالبقم و العصفرو، و كيفيه استخراج الأصباغ من هذين الجسدين". (٤)

و لعل من معترض، يرى بان هذا باب الصباغه، فما بال إزالة الآثار، و عندى أن الصباغه تتطلب بدايه إزالة أى آثار أو طبوعات تكون في الثوب أو القماش، مهما كان نوعه، قبل الشروع في الصباغه. غير أن الجانب الطلسمى في الرساله يبدو واضحا، و هذا المنهج يفقد الرساله مصداقيه النهج العلمى، و تلك الصفه الطلسميه برزت أيضا في العديد من مؤلفات ابن وحشيه، و خاصه الفلاحه النبويه، و كتاب أسرار التعافين، و خواص النبات، و كنا قد ناقشنا هذه المسأله و أسبابها عند تحقيقنا لكتاب مفتاح الراحه لأهل الفلاحه، لمجهول من القرن ٨ هـ، في درسا للمقدمه.

- فوائد في قلع الآثار من الثياب لمؤلف مجهول، لا تزال محفوظه في خزانه شهيد على، بالمكتبه السليمانيه، رقم ٢٠٩٢ ضمن مجموع، بين الصفحات (٤٧ أ - ٤٨ ب)، و هو نفس المجموع المحفوظه فيه رساله الكندى التى نشرها، و تاريخ نسخ المخطوط يرجع إلى سنه ٧٥٧ هـ (٥)، و قد شملت تلك الفوائد قلع الآثار و الطبوعات للحبر و النطفه و الدم و المداد و القير و الموز و

الرمان و الزعفران و القلقاس و العنب الأسود و القطران و الزفت و المغره و الأثقال و الورد و الدهن بالاضافه إلى غسل الجلود و المصاحف من الحبر.

- الباب التاسع من كتاب المخترع فى فنون من الصنع المنسوب للملك المظفر يوسف الرسولى (ت ٦٩٤هـ)، و المحفوظ فى الخزانة الأصفيه بالهند تحت رقم ٢٢١ متفرقات، و فيه إشارات لقلع آثار الرمان و الموز و التوت الأسود و الحديد، و النفط الأسود و النفط الطيار و الزعفران و المداد و الحبر و أثر الشمع و الخمر و الياسمين و الشقائق و العفونات و الفواكه و الجوز و الدم و السفرجله.

ص: ٣٥٤

١- الأزميرلى: فيلسوف العرب (يعقوب بن إسحاق الكندى)، ص ٥.

٢- ابن النديم، الفهرست، ٣١٥-٣٢٠.

٣- الشهرزورى: نزه الأرواح و روضه الأفراح فى تاريخ الحكماء و الفلاسفه: ٢٢/٢، ط حيدرآباد، ١٩٧٦.

٤- الأزميرلى: فيلسوف العرب، ١٧.

٥- مخطوط محفوظ فى دار الكتب القوميه بالقاهره تحت رقم ٧٣١ طبيعه.

و الكحل و المنى و الريحان و القراصيا و السمن و الودك و البلح و العصفر و البان و التفاح و الإجاص و الزنجار و السوسن و الدهن و الزفت و الأشكلاط و طبع الورد و القراصيا و الخوخ و العفص.

و أورد كذلك وسائل لقلع الأصباغ من الثياب و السواد من الخف، و رد ألوان الثياب بما فيها الأطلس و العتابى و قلع الدهن، و تنظيف الشياشيات الحريرية من أوساخها و بقعها و غيرها.

الرساله

يبدو أن الكندى كان قد تلقى رساله من أحدهم يسأله فيها عن قلع الآثار و الطبوعات من الثياب و غيرها، فكتب إليه هذه الرساله التعليميه الخفيفه المثنونه، السريعه التعلم و السهله على الطالب. و التى فيها منفعه للخاصه و العامه.

و الرساله بكل بساطه تعرض لكل ما يقلع الأثر من الثياب الفاخره و الثياب البضاء و الخز و الوشى و الطيالس الطرازيه و القرمزيه و الفراء، و كذا المصبوغ من الثياب أما الآثار التى قد تلحق بما ذكر عاليه فهى آثار و طبوعات كل من: المداد و الحبر و الدبق و الشمع و النفط و البزر و السمن و الودك من اللحم و الرءوس و السمك و المرق و النطفه و الدم و قشور الرمان و أثرها و المغره و الأسرنج و السواد.

إن القراءه المتانيه للرساله تفيدنا فى تسجيل الحقائق التاليه:

- كانت أكثر المواد استعمالا لقلع الآثار و الطبوعات هى الماء و الحرض (الأشنان) و الصابون.

- تظهر الرساله أن العلماء العرب المسلمين قد عرفوا التدخين كطريقه للتنظيف، و خاصه تدخين القماش أو الثياب بالكبريت، فالسواد من الثياب المصبوغه يدللك بحماض الأترج المرضوض ثم يدخن بالكبريت و هو رطب، و الثوب الأحمر يغسل بالحرض و يدخن بالكبريت، و لازاله أثر الزعفران يغسل بالبورق و يدخن بالكبريت، و كذا آثار و طبوعات الأسرنج و المغره تطفى بالماذريون المدقوق و تدلك بماء الحمض و تدخن بالكبريت، و الثوب الوشى إذا بان فيه أثر البزر، بخر بالكبريت و غسل بالصابون.

و فى تقديرى أن هذه المسأله من أهم ما عرفه العلماء العرب فى مجال تنظيف الثياب ففى عصرنا نرى أن التنظيف بالبخار إنجاز علمى متقدم، و عندى أن التنظيف بالبخار قد عرفه العرب منذ منتصف القرن الثالث الهجرى، و قد وردت إشاره صريحه إلى ذلك فى مخطوطه "فوائد فى قلع الآثار من الثياب و غيرها" و الذى يعود تاريخ نسخه إلى منتصف القرن الثامن الهجرى، و نص العبارة:

"إذا أردت أن يذهب صبغ الثوب فدخنه و هو رطب بالكبريت، و أى صبغ لا يذهب بالغسل يذهب بالتبخير". فالتبخير يعلو الغسل مرتبه فى التنظيف، و تلك نظريه العصر فى زماننا.

- كانت المواد المستعمله فى إزاله الآثار و الطبوعات مما يسهل الحصول عليه من البيئه و لا تحتاج إلى كثير عناء لا فى التحضير أو التجهيز مثل الخل و الحرض و الصابون و الأشنان و اللبن و الملح و الخردل و الشعير و الماذريون و الكبريت و السمسم و

الصعتر و الرماد و الطين الحر و الرمان و البورق و الخطمي و القرطم و القلى و النوره و التين و الكتان و التمر و غيرها من المواد المذكوره فى الرساله، و هى فى مجملها مواد متوفره فى البيئه المحليه.

- اتسمت الرساله بالاختصار الشديد فلم تفصل فى كيفيه استعمال المواد أو طرق استخدامها و الكميات التى يجب خلطها بعضها مع بعض، و لعل الكندى كان مدركا لذلك و لكنه تركها ثقه منه بفظنه من يخاطبه فى عصره، بل إن فصل على بن ربن الطبرى يبدو أشد اختصارا من رساله الكندى، و كذا الفوائد فى قلع الآثار، أما الفصل التاسع من المخترع فإنه يفصل و يوضح و يشرح كيفيه استعمال المواد و كمياتها النسبيه و معالجتها عند وضعها على الثياب و غيره. و معلوم أن صاحب المخترع قد عاش فى منتصف القرن الثامن الهجرى تقريبا، و طبيعه الحياه فى عصره تختلف عن نظيرتها فى منتصف القرن الثالث الهجرى.

- و بالإجمال، فان الرساله تطرح موضوعا جديدا فى بابها لا علم لمحققها إن كان أحد من الباحثين و المحققين فى التراث العربى أو الدارسين لتاريخ العلوم عند العرب قد أشاروا لهذا الفن - فن قلع الآثار و الطبوعات من الثياب و غيرها - فى أبحاثهم أو دراساتهم.

يوسف بن قزأوغلى بن عبد الله التركى العونى الهيرى البغدادى

سبط أبى الفرج بن الجوزى.

هكذا ذكره الذهبى فى الصفحه ٢٩٧ من الجزء ٢٣ من كتابه (سير أعلام النبلاء). و وصفه: بالشيخ العالم المتفنن الواعظ البليغ المؤرخ الأخبارى واعظ الشام. و كان قد أضاف إلى ألقابه لقب الحنفى. ثم قال فى ترجمته:

ولد سنه نيف و ثمانين و خمس مائه. و سمع من جده و من عبد المنعم بن كليب و عبد الله بن أبى المجد الحربى، و بالموصل من أحمد و عبد المحسن بن ابنى الخطيب الطوسى، و بدمشق من أبى حفص بن طبرزد و أبى اليمن الكندى و طائفه.

حدث عنه الدمياطى و عبد الحافظ الشروطى و الزين عبد الرحمن بن عبيد و النجم الشقراوى و العز أبو بكر من [بن] الشائب و أبو عبد الله بن الزراد و العماد بن البالىسى، و آخرون.

انتهت إليه رئاسه الوعظ و حسن التذكير و معرفه التاريخ، و كان حلو الإيراد، لطيف الشمائل، مليح الهيئه، وافر الحرمة، له قبول زائد و سوق نافذ بدمشق. أقبل عليه أولاد الملك العادل و أحبوه، و صنف (تاريخ الزمان) و أشياء، و رأيت له مصنفا يدل على تشيعه. و كان العامه يبالغون فى التغالى فى مجلسه.

سكن دمشق من الشيبه و أفتى و درس. توفى بمنزله بسفح قاسيون، و شيعه السلطان و القضاء، و كان كيسا ظريفا متواضعا، كثير المحفوظ، طيب النغمه، عديم المثل.

له "تفسير" كبير فى تسعه و عشرين مجلدا.

توفى فى ذى الحجه سنه أربع و خمسين و ست مائه (انتهى).

و يبدو أن الكتاب الذى ذكر الذهبى انه يدل على تشيع المترجم هو كتاب (رياض الافهام) و هو فى مناقب أهل البيت، و

فيه قول النبى (ص) لعلى:

من كنت مولاه فعلى مولاه.

ص: ٣٥٥

الشيخ يوسف بن الشيخ خلف بن الشيخ عبد علي صاحب الأحياء

من آل عصفور.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من فقهاء عصره كان عالما فاضلا ذكيا سخيا جمع بين العلم والعمل وأخذ الفنون على الوجه الأكمل. تصدر للافتاء و الجمعة و الجماعه في الفلاحيه و المحمره و هو مجاز عن أبيه عن صاحب الحدائق و لم أجد من تصنيفاته شيئا سوى بعض الحواشى على كتب الحديث. مات قدس سره سنه خمس و خمسين و مائتين بعد الألف، و له من الأولاد: الشيخ خلف و هو من العلماء المتورعين تشرفت بخدمته في سنه ١٣١٢ و كان سخيا ورعا تقيا و بيته محل حاجات الطالبين و له من المصنفات ارجوزه في علم الهيئه، و رساله في الإجماع و غير ذلك من الفوائد.

و توفي في سنه ١٣١٧ و له من العمر عشرون سنه طيب الله مضجعه.

الشيخ يوسف بن علي المقابى البحرانى

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

صاحب تصانيف البديعه، و كان من أذكىء زمانه و أوجزهم بلاغه و بيان [بيانا] و له تصانيف كثيره منها كتاب الجواهر الثمينه و منها كتاب في إثبات العقول مات آخر المحرم سنه ١٢٦٠.

ملحق بالمستدركات

هذه بحوث إذا لم تكن داخله في باب التراجم فان لها علاقه وثيقه به لذلك جعلناها ملحقا للمستدركات.

صلاح الدين الأيوبي

إشاره

بعد معركة حطين تقام في بعض العواصم العربيه احتفالات مرور ٨٠٠ سنه على وقعه حطين التي كانت في ٤ تموز ١١٨٧ (١٥ ربيع الآخر سنه ٥٨٣ هـ) و التي انتهت بهزيمة الصليبيين و استرداد المسلمين للقدس، و التي قاد فيها المسلمين صلاح الدين الأيوبي.

و هذه الوقعه جديره بكل هذه الاحتفالات، و لكن المغالاه و الزعم أنها كانت المعركه الفاصله في الحرب مع الصليبيين هما ما يتنافى مع حقائق التاريخ.

أ صحيح أنه كان لمعركة حطين هذه النتائج التي ينوه بها من ينوه؟ وهل صحيح أنها كانت المعركة الحاسمه فى تاريخ الحروب الصليبيه؟ أنا سنسبسط هنا أمام القارئ هذه الحقائق التاريخيه، و نترك له أن يحكم:

لا- شك أن النصر فى حطين كان نصرا مؤزرا، و لا شك أن ما أسفرت عنه المعركة من استرداد القدس كان إنجازا عظيما. و لكن إلى أى مدى أمكن استغلال هذا النصر، و إلى أى نتيجة عمليه وصل؟ اننا نقول مستندين إلى ما سجله مؤرخو تلك الأحداث، و معتمدين على الوقائع المسلم بها: لقد أضاعت التصرفات التي تلت معركة حطين ما كان يمكن استغلاله من هذا النصر، و أضاعت أية نتيجة عمليه حقيقه له! و يجب أن لا- يصرفنا التحمس للمعركة، و لا التصفيق المتواصل لمن قادوها عن التبصر فيما أدت إليه تلك التصرفات من عواقب وخيمه لكل ثمرات النصر. و لا- أن ننزلق فى تهويمات خياليه، و تفكيرات سطحيه تبعدنا عن النظر البعيد فى تقلاب صفحات تاريخنا. فما ذا جرى بعد معركة حطين؟ كان المفروض مواصله الكفاح لاجلاء الصليبيين عن البلاد، فإذا كان استرداد القدس أمنيه غالبه تحققت بعد النصر، فليست القدس هى كل الوطن، و أهميتها من حيث الواقع لا- تختلف عن أهميه أية مدينه تسترد من الأعداء، و لكن أهميتها تفوق هذا الواقع بما تحتوى من مقدسات إسلاميه، و بما ترمز إليه أنها أولى القبلتين و ثالث الحرمين، لذلك كان لاستردادها ذاك الصدى العاطفى البعيد. و يبدو أن ذلك الصدى قد خدر تفكير الناس فألهاهم عن التبصر فى العواقب.

خدر تفكير الناس يوم ذاك، و ما زال يخدر تفكير معظم الناس حتى اليوم.

جرى بعد حطين: أن صلاح الدين الأيوبى و هو المنتصر فى حطين، المعقوده عليه الآمال فى مواصله الزحف لانهاء الاحتلال الأجنبى، و اقتلاع آخر جذوره فيها.

أن صلاح الدين هذا بطل حطين، لم يكد يطمئن إلى النصر الرائع فى تلك المعركة حتى أسرع إلى القيام بعمل لا يكاد الإنسان يصدقه، لو لا أنه يقرأ بعينيه تفاصيله الواضحه فيما سجله مؤرخو تلك الحقبه! المؤرخون الذين خدرت عقولهم روائع استرداد القدس فذهلوا عما بعده، لم تتخدر أقدامهم فسجلوا الحقائق كما هى. و ظل تخدير العقول متواصلا من جيل إلى جيل، تتعمى حتى عما هو كالشمس الطالع! حصل بعد حطين أن صلاح الدين الأيوبى آثر الراحة بعد العناء و التسليم بعد التمرد فأسرع يطلب إلى الفرنج إنهاء حاله الحرب و إحلال السلام.

إنهاء حاله الحرب و إحلال السلام، و ما وراء ذلك من اعتراف بوجودهم و إقرار لاحتلالهم و دولتهم و سسمى ذلك (هدنه). و يبدو جليا أن الصليبيين قد استغلوا هذا الطلب أحسن الاستغلال فاشترطوا للقبول بالهدنه أن يعاد إليهم الكثير مما كان قد أخذه صلاح الدين منهم بعد النصر فى حطين، و لم تكن القدس بين ما طالبوا به و لا كان من الممكن أن يجيبهم صلاح الدين إلى ذلك لو فعلوا، لأنه لو أجاب لبطل مفعول المخدر و تنبته العقول.

و وافق الصليبيون على إنهاء حاله الحرب و إحلال السلام، و عقدت الهدنه فى ٢١ شعبان سنه ٥٨٨ هـ و قبض الصليبيون الثمن الباهظ الذى دفعه صلاح الدين لهم لقاء قبولهم بالمهادنه، فأعاد إليهم حيفا و يافا و قيساريه و نصف اللد و نصف الرمله و غير ذلك، حتى لقد صار لهم من يافا إلى قيساريه إلى عكا إلى صور، بل صارت لهم فلسطين إلا أقل القليل و لم يكن لهم ذلك من قبل.

يقول ابن شداد فى كتابه "الأعلاق الخطيره فى أمراء الشام و الجزيره " و هو يتحدث عن حيفا (ص ١٧٧-١٧٨): "لم تزل فى أيدي الفرنج إلى أن فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاثه و ثمانين، فلم تزل فى يده إلى أن نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم فى المهادنه التى وقعت بينه و بينهم، و ذلك سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه، ثم لم تزل بعد فى أيديهم".

و قال هو يتحدث عن الرمله و اللد (ص ١٧٣-١٨٤): "لم تزل فى أيديهم إلى أن ملكها و ملك معها (لد) الملك الناصر صلاح الدين يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائه.

و لم تزل فى يده إلى أن وقعت الهدنه بينه و بين الفرنج سنة ثمان و ثمانين، فنزل لهم عن البلاد و جعل (لد) و (الرمله) بينه و بينهم مناصفه".

ص: ٣٥٦

أخيه العادل و خربها و بقيت خرابا إلى أن تقرر الهدنه بين الملك الناصر (صلاح الدين) و بين الفرنج و شرطوا عليه إبقاءها في أيديهم " .

و لنلاحظ هنا كلمه (شرطوا عليه) و دلالتها المؤلمه التي توضح لنا أن صلاح الدين هو المتوسل لطلب الهدنه و أن الفرنج هم واضعو الشروط.

ليس ما ذكرناه هنا كل النصوص لهذه الحقائق، و لم نخترها اختيارا، و إنما عمدنا إلى أول كتاب وقع عليه نظرنا في خزانه الكتب فتناولناه فكان كتاب (الأعلاق الخطيره).

و تلا- هذا التسليم للصليبيين فعل أنهى كل تفكير في مقاومتهم و أجلائهم عن البلاد في المستقبل، بل أدى إلى ما هو شر من ذلك أدى إلى توسيع رقعه احتلالهم، و تمكينهم في مناطق أخرى غير التي مكنهم منها صلاح الدين نفسه.

كان ورثه صلاح الدين من أخ و أولاد كثيرين فرأى أن يقسم البلاد بينهم، و أن يقطع كل واحد منهم جزءا من الوطن يستقل به عن غيره، و هكذا فلم يكدموت صلاح الدين حتى انفرد كل واحد من إخوته و أولاده بالرقعه التي خصصت به، فعاد الوطن مزقا بين الورثه، و نسي هو و نسي ورثته أن الاحتلال الصليبي لا يزال جاثما على صدر الوطن، و أن ذلك لا يستدعى تمزيق الوطن و تشتيت شمل حكامه، بل يستدعى تماسك وحدته و تضافر أمرائه، و لم يقنع كل واحد من هؤلاء الورثه بما تحت يده من مخلفات صلاح الدين بل راحوا يتنازعون و يتقاتلون، و يستنصرون في هذا التنازع و التقاتل بالصليبيين مغرين إياهم باعطائهم ما يشاءون من بلاد و عباد! و لن نسترسل في تفاصيل تلك النزاعات و تلك الأعطيات، بل سنكتفى بذكر واحده منها هي الطامه الكبرى التي قضت على كل ثمره من ثمرات معركة حطين، و أضاعت كل نتيجته من نتائجها، و جعلتها كأنها لم تكن.

فإذا كان استرداد القدس على يد صلاح الدين قد اكسب ذلك الزمن كل ذلك التالق و أعطاه كل ذلك الوهج، ثم خدر الأفكار و العقول و أعماها عن التبصر في الحقائق، فان تصرف صلاح الدين نفسه قد أطفأ ذلك الألق و محا ذلك الوهج، و إن لم يبطل مفعول المخدر، فكان من تقسيمه البلاد بين أقربائه و ما نتج من تنازعهم و تشاكسهم و استنصارهم بعضهم على بعض بالصليبيين، أن ولدى أخيه العادل و هما الكامل و الأشرف سلما إلى الصليبيين القدس نفسها و أعاداهم إليها.

و هكذا إذا كان الانتصار في معركة حطين يثير في النفس البهجه، فان البهجه لا تلبث أن تتلاشى حين نتذكر التصرفات التي أعقبت المعركة و ذهبت معها دماء المقاتلين هدرا و في سبيل لا شيء.

و قد رد على راد فرددت عليه بما يلي:

الواقع أنى كنت رفيقا كل الرفق بصلاح الدين الأيوبي، و تعمدت أن لا أصدم (المخدرين) صدمات قويه فاجعه، لا ترك لهم منفذا و لو كسم الخياط يتعلمون به في مرور ٨٠٠ سنه على معركة حطين.

يقول هاشم الأيوبي: " فهذه السنوات القصيره بين حطين و وفاه صلاح الدين كانت جهادا متواصلا أكملها من جاءوا بعده حتى تسنى لهم طرد الصليبيين نهائيا".

و نقول له: كلا، أنها كانت استسلاما متواصلا، و نتحدها أن يذكر لنا معركة واحده جرت بعد استسلام صلاح الدين و تسليمه البلاد للصليبيين. نعم نتحدها و نقول له: إن تلك السنوات كانت استسلاما في استسلام و هوانا في هوان، و أن سهما واحدا لم يرم، و رمحا واحدا لم يشرع، و سيفا واحدا لم يجرى في تلك المده في وجه الصليبيين... نقول هذا في تحد صارم لا هواده فيه.

و قد كنت أحسب أنه بقى للخجل مكان فيمتنع سليل الأيوبيين - إن صح أنه من سلالتهم - عن القول أن الجهاد المتواصل أكمله من جاءوا بعد صلاح الدين حتى تسنى لهم طرد الصليبيين.

ان الذين جاءوا بعد صلاح الدين من أسلافك قد واصلوا المهمه، و لكن لا مهمه الجهاد بل مهمه الاستسلام و الذل، مهمه تسليم البلاد للصليبيين:

و لن نعدد كل أفعالهم بل سنورد له أمرين اثنين فقط.

أن الذى فعله صلاح الدين هو أنه سلم فلسطين كلها للصليبيين ما عدا القدس، و أعاد إليهم ما كان قد أخذه منهم بعد معركة حطين كما بيناه فى مقال سابق. و لم يبق فى يده إلا بعض ما يعرف اليوم بالجمهوريه اللبنانيه ما عدا صور التى ظل الصليبيون متمسكين بها. أما الذين جاءوا بعد صلاح الدين فقد تنازلوا للصليبيين حتى عن هذا الذى بقى بيد صلاح الدين من لبنان و السواحل السوريه.

فالكامل و الأشرف مثلا سلما القدس للملك الصليبي فريديريك الثانى و هل يعتبر هاشم الأيوبي تسليم القدس للصليبيين جهادا متواصلا؟ و قد مر تسليم خلفاء صلاح الدين القدس للصليبيين بالأدوار التاليه:

١: - بعد تسليم الكامل و الأشرف القدس للملك الصليبي فريديريك الثانى سنه ٦٥٥ هـ (١٢٢٨ م) ظلت فى يد الصليبيين حتى استردها منهم الناصر صاحب الكرك سنه ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م).

٢: - استنجد الصالح إسماعيل صاحب دمشق بالصليبيين ليساعده على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر، و على الناصر داود صاحب الكرك (مسترد القدس). و أعاد إليهم لقاء ذلك القدس ٦٤١ ١٢٤٤ م، كما سلمهم صفد و عسقلان و طبريه و أعمال كل منهما، و جميع جبل عامل بما منه قلاع هونين و تبينين و الشقيق و مدينه صيدا أو سائر بلاد الساحل، و هكذا عادت القدس مره ثانيه إلى الصليبيين.

و وعد الصالح إسماعيل الصليبيين أيضا بأنه إذا ملك مصر أعطاهم بعضها. فاستعد الصليبيون لمهاجمه مصر و زحفوا إلى غزه، فى حين كون الصالح إسماعيل حلفا من بعض الملوك الأيوبيين فى شمال الشام و زحفوا جميعا إلى حلفائهم الفرنج عند غزه.

أما الصالح نجم الدين أيوب فقد تقدم من مصر إلى غزه لمواجهة هذا الهجوم. و لما بين لعساكر الشام حقيقه الموقف تمردوا على قوادهم و مالوا على الفرنج مع الصالح أيوب فالتزم الفرنج و انسحبوا إلى عسقلان، و فاوضوا الصالح أيوب سنه ٦٣٨ ١٢٤٠ م فاعترف لهم بحقهم فى ملكيه الشقيق و نهر الموجب (أرنون) و إقليم الجليل بالاضافه إلى القدس و بيت لحم و مجدل بابا و عسقلان.

و هكذا فلم يكن الصالح أيوب خيرا من الصالح إسماعيل.

و هنا تحالف الصالح إسماعيل مع الناصر داود و استنجدا من جديد بالصلبيين مقابل جعل سيطرتهم على القدس كامله، بمعنى أن يستولى الصليبيون على الحرم الشريف بما فيه المسجد الأقصى و قبه الصخره، و هى الأماكن التى طلت، و لو نظريا فى حوزة المسلمين عند ما سلم الكامل و لأشرفالقدس للصلبيين سنه ٦٢٥ ١٢٢٨ م.

و هنا تقدم الصالح أيوب إلى الصليبيين طالبا مساعدتهم مقابل الثمن نفسه

ص: ٣٥٧

الذى عرضه منافسائه. و بذلك يكون الملوك الأيوبيون الثلاثة: الصالح أيوب و الصالح إسماعيل و الناصر داود قد أقروا مبدأ استيلاء الصليبيين على الحرم الشريف - على حد تعبير بعض المؤرخين.

على أن الصليبيين اختاروا الوقوف إلى جانب الصالح إسماعيل صاحب دمشق لأنه أقرب إليهم من صاحب [صاحب] مصر. و بالتالى فهو أكثر قدره على التحكم فى مصائرهم. فشرع الصالح إسماعيل فى غزو مصر بمساعدة حليفه الناصر داود صاحب الكرك و المنصور إبراهيم ملك حمص، مع الصليبيين، و تقرر أن تجتمع قوات الحلفاء جميعا عند غزه.

فاستنجد الصالح أيوب (1) بالخوارزميه فانجدوه بعشره آلاف منهم ساروا من إقليم الجزيره فمروا بدمشق، ثم استولوا على طبريه و نابلس ثم القدس سنه ٦٤٢ ١٦٤٤ م فعادت القدس نهائيا إلى المسلمين.

و العادل: أعاد للصليبيين سنه ١٢٠٤ ما كان قد ورثه عن صلاح الدين من المواقع الساحليه، ما عدا الشقه المحصوره فى اللاذقيه. هذا هو الجهاد المتواصل الذى أكمله من جاءوا بعد صلاح الدين من ورثته.

يقول هاشم الأيوبى عن مقالنا: أنه لا يحمل أيه قيمه تاريخيه أو علميه.

و نقول له - و لا فخر - أن كل العلم و كل التاريخ فى هذا المقال. ذلك أنه استند إلى مصادر كبرى و وقائع معينه، حدد مكانها و زمانها، ما لم يستطع معه الأيوبى أن ينكر شيئا منها، بل عمد إلى مثل هذه التهويشات التى يلجا إليها العاجزون حين تفحمهم الحقائق الناصعه، فلا يرون غير الشتائم ملاذا يعوذون به...

التهويشات التى لا تستطيع أن تجعل من الحق باطلا و من الباطل حقا.

و من أطرف الطرائف و أضحك المضحكات أن دليل الأيوبى على أن المقال لا يحمل قيمه علميه أو تاريخيه، هو أنى صرحت بانى عمدت إلى أول كتاب وقع عليه نظرى فتناولته.

نعم: أن أول كتاب وقع عليه نظرى كان كتاب (الأعلاق الخطيره فى أمراء الشام و الجزيره) لابن شداد، و حسب المقال ليكون حاملا للعلم و التاريخ أن يكون مستندا إلى ابن شداد صاحب (الأعلاق الخطيره).

و قد عمدت الآن مره ثانيه إلى أول كتاب وقع عليه نظرى فكان كتاب (الكامل) لابن الأثير فإذا بى اقرأ فيه ما يلى:

" كان المانع لصلاح الدين من غزو الفرنج الخوف من نور الدين، فإنه كان يعتقد أن نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه فكان يحتمى بهم عليه و لا يؤثر استئصالهم، و كان نور الدين لا يرى إلا الجدد فى غزوهم بجهد و طاقته، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو و علم غرضه تجهز بالمسير إليه، فأتاه أمر الله الذى لا يرد".

و مع أن هذا الكلام واضح كل الوضوح، نحب أن نزيده لهاشم الأيوبى وضوحا فنقول: كان وضع مصر و بلاد الشام يوم ذاك يشبه الوضع الذى كانت عليه مصر و سوريه أيام قيام الوحده بينهما باسم الجمهوريه العربيه المتحده. فكما أن كيان العدو

اليهودى كان الفاصل بين سوريه و مصر المتحدتين كان الكيان الصليبي يفصل بين مصر و بلاد الشام المتحدتين، و الفرق بين الحاليين: هو أن العاصمه أيام الصليبيين كانت دمشق، و أنها فى أيام الصهاينه كانت القاهره، فكان صلاح الدين معتبرا تابعا لنور الدين و واليا من ولاته. فقرر نور الدين استئصال الصليبيين بان يحصرهم بين جبهتين: جبهه مصر، و جبهه بلاد الشام، فيزحف هو من دمشق، و يزحف صلاح الدين من القاهره فيضطر الصليبيون للقتال على جبهتين، لذلك أوعز إلى صلاح الدين أن يتقدم بالجيش المصرى ليتقدم هو بالجيش الشامى، و لكن صلاح الدين رفض الامتثال لأوامر نور الدين، أى أنه أعلن إيقاف حال الحرب بين مصر و الصليبيين (و التاريخ - كما يقال - يعيد نفسه دائما).

و ابن الأثير كان واضحا فى تبيان السبب الذى دعا صلاح الدين لإخراج مصر من الحرب مع الصليبيين، ذلك أن الاحتلال الصليبي لفلسطين كان يعطى صلاح الدين انفصالا كاملا عن المملكه المتحده، و تبقى تبعيته لها اسميه فقط، فإذا زال الكيان الصليبي من فلسطين تم الاتصال بين بلاد الشام (سوريه و فلسطين و لبنان و الأردن) و بين مصر و تصبح مملكه واحده يكون لصلاح الدين المكان الثانى فيها بعد نور الدين، بل يصبح مجرد حاكم لمصر تابع فعليا لا اسميا لنور الدين، و هذا ما لا يرضى مطامع صلاح الدين الشخصيه، لذلك آثر التمرد على نور الدين و إخراج مصر من الحرب المأموله لاستئصال الصليبيين.

و غضب نور الدين لذلك، و صمم على التفرغ لصلاح الدين أولا و تسليم حكم مصر لمن يعيد مصر إلى حال الحرب مع الصليبيين، و لما أعد عدته للزحف على مصر و إزاحه صلاح الدين فاجاه الموت.

و كما ساء هاشم الأيوبي مبادرتنا فى المره الأولى إلى أول كتاب وقع عليه نظرنا فى خزانه الكتب فكان كتاب (الأعلاق الخطيره)، فسيسوؤه - و لا شك - إن كان أول كتاب وقع عليه نظرنا هذه المره هو كتاب (الكامل) لابن الأثير، فيقول عن قولنا المعتمد على كتاب (الكامل) أنه قول لا يحمل قيمه علميه أو تاريخيه.

و يوم يكون (الكامل) و (الأعلاق الخطيره) لا قيمه علميه أو تاريخيه لهما، فاننا يسرنا أن نكون فى زمره ابن الأثير و ابن شداد، و أن تكون لنا القيمه العلميه و التاريخيه التى لهما.

و نرجو أن لا يضطرنا هاشم الأيوبي لأن نخرج من خزانه الكتب أول كتاب يقع عليه نظرنا للمره الثالثه فنريه ما هو أدهى و أمر.

و رد مره ثانيه فأجبت بما يلى:

لقد كنا نحسب أننا ناقش بحثا تاريخيا محضا أدلينا منه بأحاديث دونتها أمهات كتب التاريخ، و كنا نفترض أن نلقى من يناقش هذه الأحاديث فيدحضها أو يثبتها، فإذا بنا أمام بؤره سفاهه تعجز عن رد الحججه بالحجه و لا تستطيع نقض ما أبرمنا و إنكار ما أوردنا فتلجأ إلى ما تفيض به من سفاهه.

أما الدرکه التى انحدر إليها فى حديثه عن الأفاعى الشعوبيه، فاننا أرفع رءوسا و أكرم نفوسا و أشمخ أنوفنا و أنصع صفحات و أروع وقفات من أن يصلى إلى كعوب أحذيتنا مثله من حشرات.

أما تعريضاته الأخرى التى جمجمت بها كلماته و تلجلجت فلن تروعا فى شىء.

و أما ما لجا إليه مما كان يلجا إليه أمثاله في ماضى الأزمان من التهويل على المعتقدات و لمزها و التخويف بها، فاننا نقول له أنه ينسى أن الزمن تبدل و أننا نعيش الآن في أواخر القرن العشرين و يقصر معه لسانه عما كانت تطول به ألسنه الغابرين من سيئ القول و فحش الوصف و فظيح الشر.

لقد حددنا الوقائع و عينا زمانها و مكانها و كان يستطيع هذا الرجل أن ينهى

ص: ٣٥٨

١- هم من نزحوا عن بلادهم (خوارزم) بعد غزو و [] جنكيز فنزلوا العراق و حدود سوريا.

الأمر كله بسطر واحد يقول فيه: أن ما تدعيه غير صحيح و أن صلاح الدين لم يسلم حيفا و يافا و قيساريه بل فلسطين كلها ما عدا القدس للصليبيين بعد أن استردها منهم.

و لكنه لم يستطع أن ينكر ذلك و راح يهوش و يشتم و يحرض و يثير الضغائن و يملأ أعمده الجريده بكلام فارغ.

لم يكتب السطر الذى ينهى الأمر - كما قلنا - و أنى له أن يكتب هذا السطر و صحف التاريخ أمامه تصفعه و تصفع أمثاله.

ثم عدنا نقول له كلاما نقلناه بنصه من كتاب الكامل لابن الأثير و فيه يقول حرفيا بان صلاح الدين كان يحتمى من نور الدين بالصليبيين.

و كان يكفيه هنا أيضا أن يكتب سطرا واحدا، و لكن كيف يستطيع كتابه هذا السطر و صفعات التاريخ تنهال عليه صفعه وراء صفعه.

لقد فر من كتابه هذا السطر و لجأ إلى عشرات السطور يتخبط بها ما شاء له التخبط و يحاول الوصول و لو إلى (قشه) يتمسك بها و هو يرى نفسه غريقا فى بحر الضلال فلم يستطع أن يصل حتى إلى هذه (القشه).

لقد استرسل فى هذيان لا يعيننا أن نلتفت إليه، و لكننا نريد أن ندل القارئ على ثلاثة أشياء نفرزها من ذلك الهذيان:

١ - لقد عدد هذا الرجل المدن و القرى التى دخلتها القوى الإسلاميه بقياده صلاح الدين.

لقد عددها كأننا ننكر ذلك، مع أننا قلناه و نقوله و نكرر الآن قوله.

و لكن هل كان هذا موضوع كلامنا، أن ما جرى من دخول تلك المدن هو نتيجة حتميه للنصر فى معركة حطين و هو جزء من تلك المعركة. نحن لم نعرض له بشىء. و لكننا عرضنا لما جرى بعده و قلنا بملء الفم قولاً واضحاً صريحاً. أن أعمال صلاح الدين بعد هذا الذى جرى قد أبطلت نتائج كل ما جرى.

لم يخجل من أن يذكر فيما عدده من المدن و القرى أسماء حيفا و قيساريه و الرمله، و هى من البلدان التى ذكرنا أن صلاح الدين أعادها للصليبيين.

٢ - يقول هذا الرجل ما نصه بالحرف: "كما يبدو وفاء صلاح الدينلنور الدين عميقا بعد وفاه نور الدين".

و نقول له: أن هذا الوفاء تجلى كل التجلى فى المعامله التى عامل بها صلاح الدين ابن ولى نعمته نور الدين.

لقد كان هذا مقيما فى حلب و كان على صغر سنه محاطا برعايه الحلبيين لاعتباره ملكهم المقبل - وفاء لنور الدين - فكان أول ما فعله صلاح الدين أن قصد إلى حلب ليقضى عليه. و نترك الكلام هنا لابن الأثير: "لما ملك صلاح الدين حماه سار إلى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخره فقاتله أهلها و ركب الملك الصالح (ابن نور الدين) و هو صبي و عمره اثنتا عشره سنه و جمع أهل الحلب و قال لهم: قد عرفتم إحسان أبى إليكم و محبته لكم و سيرته فيكم و أنا يتيمكم و قد جاء هذا الظالم الجاحد

إحسان والدى إليه يأخذ بلدى ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق، وقال من هذا كثيرا وبكى وأبكى الناس فبذلوا له الأموال والأفئس واتفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده " إلى آخر ما قال ابن الأثير.

هذا هو وفاء صلاح الدين لنور الدين: فى حياته، يحتمى منه بالصليبيين و بعد موته يحاول القضاء على ولده ذى الاثنى عشره سنه.

ليس ما يحركنا إلى كتابه ما نكتب هو ما يريد أن يوهم القراء به استدرارا لعطفهم واستثاره للشروع. بل أن الذى يحركنا هو الحقيقه وحدها.

تدخل شخص آخر و تدخل آخر فرد على ردى، فرددت عليه بما يلى:

الصدىق المتوارى وراء طلال المنجد نبعث له قبل البدء بمناقشه أقواله بتحيه صداقه عاطره، ونقول له: أن تسميه رأى تاريخى برجل تاريخى تحاملا هو التحامل الذى ما بعده تحامل.

إننا نطرح قضيه تاريخيه محضه و على من لا يرى رأينا أن يدحض هذا الرأى بالحجه لا بترديد ألفاظ التحامل و أمثال التحامل، مما هو سلاح العاجزين.

ولما ذا يعتبر نقد صلاح الدين " من الأمور المألوفه فى بعض الكتابات انطلاقا من دوافع وخلفيات و غايات " و لا يكون التحمس لطمس الحقائق التاريخيه الواضحه التى تلتصق بشخص صلاح الدين من الأمور المألوفه فى كل الكتابات لا فى بعضها انطلاقا من دوافع وخلفيات و غايات. و إذا كان الصديق المتوارى يدعو إلى الدقه و الرصانه و العلميه و الموضوعيه فى الأبحاث التاريخيه، فاننا نقول له: لقد كنا فيما كتبناه فى أعلى درجات الدقه و الرصانه و العلميه و الموضوعيه لأننا لم نخلق شيئا و لأننا اعتمدنا على مؤرخين هم وحدهم المصدر الأساس لكل من يكتب فى التاريخ و فيهم من هو ألصق الناس بصلاح الدين و من عاشوا فى نعمه و كانوا من موظفيه المنافحين عنه.

و يروغ (الكاتب المتوارى) عن هذه الحقيقه و يدور و يلف ثم لا يستطيع إلا أن يعترف بها، ولكنه يحاول تغليف اعترافه بقوله عن بهاء الدين ابن شداد:

" سيره صلاح الدين التى وضعها ابن شداد ابتداء من عام التحق ابن شداد بصلاح الدين كقاض للجيش الأيوبى. و قبل ذلك العام كان بهاء الدين ملازما الموصل و لم يكن يستطيع الروايه إلا بطريقه غير مباشره و غالبا ما أثبتت الدراسات المقارنه وقوعه فى أخطاء التفصيلات الوثائقيه و التسلسل الزمنى "، إلى آخر ما قال من مثل هذا اللف و الدوران. و نقول له:

أن الوقائع التى لم يستطع ابن شداد إلا أن يذكرها كانت و هو صفى لصلاح الدين، و كذلك لا ينطبق عليها قولك: " و غالبا ما أثبتت الدراسات المقارنه وقوعه فى اخطاء التفصيلات الوثائقيه و التسلسل الزمنى ".

فهو عند ما يقول مثلا عن تسليم صلاح الدين مدينه (حيفا) للصليبيين:

"لم تزل فى أيدى الفرنج إلى أن فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاث وثمانين فلم تزل فى يده إلى أن نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم فى المهادنة التى وقعت بينه وبينهم و ذلك سنة ثمان وثمانين و خمس مائه، و لم تزل بعد فى أيديهم".

و عند ما يقول عن تسليمه مدينه (يافا): " و شرطوا (الصليبيون) عليه إبقاءها فى أيديهم". عند ما يقول ابن شداد هذه الأقوال الواضحه الصريحه الداله على أن الموقف كان هوانا فى هوان و استسلاما فى استسلام، و أن الصليبيين كانوا يشترطون و صلاح الدين يخضع لشروطهم. عند ما يقول ذلك لم يقله و هو فى الموصل، لم يقله و هو بعيد عن الأحداث، بل كان فى صميمها، و لم يروه بطريقه غير مباشره، بل بطريقه مباشره، طريقه شاهد العيان. و ليس فى هذا القول وقوع فى اخطاء التفصيلات الوثائقيه و التسلسل الزمنى.

و ما شان التفصيلات الوثائقيه و التسلسل الزمنى فى تسليم حيفا و يافا للصليبيين و النزول على شروطهم؟ و أى تفصيلات و أى وثائق و أى تسلسل زمنى فى أمر تم فى غايه البساطه و السهوله؟ و هو أمر باد ظاهر يراه كل الناس، و لا يستطيع ابن شداد تجاهله و تاليا لا- تستطيع أنت إنكاره، و لكن يصعب عليك الاعتراف به فرحت تدور و تلف، ثم تدور و تلف و لكن بلا جدوى.

و يقول عنى: إننى لا أبالى أن أقع فيما وقع فيه من قبل المؤرخ ابن الأثير فى تحامله على صلاح الدين. إلى آخر ما قال من مثل اتهامه لابن الأثير بتبديله للوقائع و تحريفه للتواريخ و تغليبه للأهواء و الغايات.

ثم يقول عنى: إننى أعلنت على رؤوس الأرماع انتسابى إلى زمره ابن الأثير مهما تكن القيمه العلميه و التاريخيه له.

أجل يا صديقى إننى لا أبالى بان أقع فيما وقع فيه ابن الأثير، و أنه ليشرفنى أن انتسب إلى زمره ابن الأثير، و إننى لعالم بقيمته العلميه و التاريخيه.

أن ابن الأثير هو إحدى الصخرتين اللتين يقوم عليهما التاريخ الإسلامى:

الطبرى أولا- و ابن الأثير ثانيا، و إذا كانت أقوال ابن الأثير لا- توافق أهواءك، و لا- تؤيد ما لديك "من دوافع و خلفيات و غايات" فانك لن تستطيع أن تحطم الصخره بكلمه جوفاء تنشرها على صفحات الجريده، و قد جرب ذلك قبلك (الوعلى) فأدمى قرنيه و لم يضر الصخره.

و أنك تصر دائما على أن كل من يخالف آراءك هو (متحامل) فابن الأثير متحامل و ابن شداد متحامل و حسن الأمين متحامل، و على هذا المنوال لن تستطيع إحصاء (المتحاملين).

أنك تتهم ابن الأثير بالباطل، فابن الأثير يثنى على صلاح الدين فيما يوجب الثناء، و لم يقل كلمه واحده تمس صلاح الدين. و لكنه و هو المؤرخ الثقة الأمين لا يستطيع أن لا يذكر فى كتابه رفض صلاح الدين أن يفتح جبهه قتال للصليبيين تبدأ من حدود مصر بينما يفتح نور الدين جبهه تبدأ من حدود بلاد الشام، و لا أن لا يسجل احتمال صلاح الدين من نور الدين بالصليبيين و تفضيله الاحتلال الصليبي على أن يكون تابعا لنور الدين. و طبعى أن لا يستطيع ذلك و هو مؤرخ العصر المفروض فيه تسجيل كل وقائعه، و ضاقت بك الدنيا لهذه الحقائق المره فلم تجد للخروج من مازقك سوى الشتيمة و سوى سب ابن الأثير ثم سب ابن شداد.

و ليس ابن الأثير وحده الذى ذكر ذلك، بل ذكره كل المؤرخين و منهم صنيعه صلاح الدين و عميله (أبو شامه)، فهل هو الآخر له ضغينه على صلاح الدين و متحامل عليه؟ و لن ننقل هنا أقواله لأنها لا تختلف كثيرا عن أقوال ابن الأثير، بل سننقل أقوال مؤرخ آخر هو ابن العديم، قال ابن العديم:

"سار الملك الناصر (صلاح الدين) من مصر غازيا فنازل حصن الشوبك و حصره، فطلبوا الأمان و استمهلوه عشره أيام، فلما سمع نور الدين بذلك سار عن دمشق فدخل بلاد الإفرنج من الجبهه الأخرى، فقيل للملك الناصر (صلاح الدين): أن دخل نور الدين من جانب و أنت من هذا الجانب ملك بلاد الإفرنج، فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام، و إن جاء و أنت هاهنا فلا بد من الاجتماع به و يبقى هو المتحكم فيك بما يشاء، و المصلحه الرجوع إلى مصر فرحل عن الشوبك إلى مصر".

إذن فقد بدت طلائع النصر و قرر صليبو (الشوبك) التسليم، و اقتحم نور الدين الحدود من الجبهه الأخرى و انحصر الصليبيون بين الجبهتين.

و فجاء ينسحب صلاح الدين من المعركة و يعود إلى مصر، فيضطر نور الدين للانسحاب و تضع الفرصه العظيمة، و لما ذا؟ لأن صلاح الدين يرفض أن يحكم البلاد نور الدين و يفضل تركها بيد الصليبيين على أن يحكمها نور الدين و هو تابع له.

هذا يا صديقي العزيز بعض ما أنكرناه على صلاح الدين، و لم نكن نحب لك أن تقف مدافعا عن هذا الموقف " انطلاقا من دوافع و خلفيات و غايات"، و أن يصل بك الأمر إلى النيل من المؤرخ العظيم ابن الأثير لأنه لا ينطلق من الدوافع و الخلفيات و الغايات التي تنطلق منها أنت و أمثالك.

و يوم تحاول، عبثا، تحطيم سمعه ابن الأثير فهل تظن أنه سيقى حرمه للتاريخ الإسلامى؟ و ها أنت ترى أن ليس ابن الأثير وحده هو الذى يروى ذلك، فهل كل هؤلاء المؤرخين مفترون مزورون، لأنهم لا ينطلقون مما تنطلق منه أنت و أمثالك؟ نقول نحن قال ابن الأثير، فيرد علينا: قال (هاملتون جب) لا يا صديقي العزيز، أن تاريخنا لا نأخذه من المستشرق الانكليزى هاملتون جب، إننا نأخذه من ابن الأثير و ابن شداد و ابن العديم و أمثالهم و لن تبلغ بنا الضعه أن تدع للانكليز أن يدونوا تاريخنا، و لن يكونوا هم مصدر هذا التاريخ. إننا نحن الذين نسجل تاريخنا، و لن يكون مصدرنا ما يكتبه هاملتون جب، بل ما هو مدون فى الكامل. و الأغلاق الخطيره و أمثالهما.

و إذا كنت اليوم تعتمد فى التاريخ الإسلامى هاملتون جب، فقد اعتمدته قبل اليوم فى العقائد الإسلاميه، و لعلك لم تنس ذلك.

و نحن لم نقول ابن الأثير ما لم يقله كما تزعم، بل نقلنا قوله بنصه، و لم نطرح احتمالات غامضه و ملتبسه كما تدعى، بل طرحنا حقائق واضحه صريحه لا غموض فيها و لا التباس، و لا تستطيع أن (تغطى السماوات بالقبوات)، بإرسال جمل متكلفه لا محصل لها، فالقبوات أضيق من أن تتسع لتغطيه السماوات. و ما قلناه لم يكن اجتهادا كما تقول، بل كان نصوصا و أى نصوص، نصوصا أنت أعجز من أن تقف لها. و قد بان عجزك.

و ما شان الظاهر بيبرس فى موضوعنا لتحاول أن تغطى به، أما قولك: أن الواقع يكذب الاحتمال و إلا لاستمرت ممالك الصليبيين حتى يومنا، ففرد عليه باننا لم نحتمل احتمالا بل قرنا واقعا، و الذين أزالوا ممالك الصليبيين و لم تبق بسببهم حتى اليوم ليسوا صلاح الدين و ورثه صلاح الدين. و نحن لم نقل أن الحرب لم تقم بعد زوال صلاح الدين و ورثته، بل قلنا و سنظل نقول: أن صلاح الدين أعاد للصليبيين ما استرده منهم، أعاد لهم فلسطين عدا القدس، و أدت تصرفاته الشخصيه لأن يعيد القدس نفسها للصليبيين أولاد أخيه، و أنه هو نفسه عقد الصلح مع الصليبيين و أنهى معهم حاله الحرب و ما يستتبع ذلك من اعتراف بوجودهم و سلطتهم و أنه بعد معركة حطين و بعد هذا الاستسلام لم يشرع صلاح الدين و لا ورثته رمحا و لا جردوا سيفا و لا أطلقوا سهما على الصليبيين و أن الأمر عاد هوانا فى هوان.

و أنك فى كل ما درت به و لففت، و فى كل ما نمقته من عبارات و زخرفته من كلمات، و لوحات من تهويلات، لم تستطع أن تنفى حرفا واحدا مما قرنا، و كل ما فعلته أنك سببت ابن الأثير و ألحقت به فى السبب ابن شداد صديق صلاح الدين، و صديق صديقك هو صديقك - كما يقولون - و هكذا حملك التخبط على أن تتناول بالسباب اصدقاءك و أعداءك على السواء.

و يؤسفنا يا صديقنا العزيز أننا كنا السبب فى إيصالك إلى هذه النتيجة المؤلمه المخزيه.

صلاح الدين مقلوبه مثل عمليه البصر المعكوسه و غير المتصله بعصب تصحيح البصر فالتوحيد عنده تقسيم و الانتصار استسلام
"إلى آخر ما قلت من مثل هذا الكلام الفارغ. أن التهويل بمثل هذه الجمل و نقل الأمر من علم التاريخ إلى علم البصريات لا
يستطيعان أن يطمسا الحقائق.

نعم، لقد قسم صلاح الدين الوطن بتوزيعه على الإخوه و الأولاد و تحويله إلى دويلات متناحره متقاتله تستسلم فى النهايه
للأعداء و تسلمهم حتى القدس.

و الانتصار عاد استسلاما بالخضوع لشروط الصليبيين و إعادته فلسطين إليهم.

هذا القول قاله كل مؤرخى ذاك الزمن، و كل ما عملناه نحن أن نقلنا أقوالهم بنصها، فان كان لك من كلام فلتوجهه إلى
أولئك المؤرخين لا إلينا.

عليك أن تكذب ابن الأثير و ابن شداد و أبا شامه و ابن العديم و أضرابهم، و لا شغل لك معنا و لا كلام لك و لا لغيرك
لدينا. و لكن من العيب أن يكون جزاؤهم على تسجيل الحقائق سبك لهم، و أننا لنعذر لهم فى قبورهم لأننا كنا سبب هذا
السب، و مما سيدعوهم لقبول عذرنا أننا نالنا نصيب من هذا السب لأننا نقلنا حقاقتهم للناس كافه، و فى سبيل حمل الحقيقه و
نقلها يهون كل شىء.

أما حديثك عن دائره المعارف فانا كنا نحب لك حفاظا عليك أن لا تذكره، أن دائره المعارف ينطبق اسمها على مسماها
تماما، و هى تصحح أغلط المستشرقين مما لم يصححه المترجمون المصريون. و أما قولك: يا حبذا لو يبدأ السيد حسن الأمين
بتصحيح أغلطه المتعمده و غير المتعمده، فهو قول نترفع عن الرد عليه. هذا هو سلاحكم حين تواجهون بالحقائق: السباب و
الشتائم.

و كل ما نقوله لك فى هذا الموضوع: إننا لا نلومك فان الزمن قد أضعف ذاكرتك فأنساك أنك كنت فى أول المرشحين
بدائره المعارف هذه يوم صدور طبعها الأولى، و أنك كنت تطلب المجموعه بعد المجموعه لتتاجر بها، و أنك لم تجد فيها أيه
أغلط و لا كان لك أيه ملاحظات، بل كنت تقابلها بالقبول و الاستحسان و التشجيع و ترى ضروره وجودها.

لقد طال الزمن فاضعف ذاكرتك، فلم تعد تذكر شيئا من هذا، و كل ما بقى لديك: "دوافع و خلفيات و غايات" انطلقت منها
هذا الانطلاق غير الموفق.

أما ما ختمت به مقالك من قولك: "يخشى المرء فى تحامل السيد حسن الأمين على صلاح الدين أن يكون الدافع إليه هو
الغيظ من شىء ما، من حقيقه تاريخيه لتلك الحقبه من الزمن المضىء و مؤداها أن شرف القدس أبى ألا أن تحرر على يدى
صلاح الدين و أن القضاء نهائيا على الصليبيين أبى أن يتحقق إلا على أيدي خلفائه الصالحين". فنجيبك: أن شرف استرداد
القدس قد محاه خزي عقد الصلح مع الصليبيين و التصرفات التى أدت إلى إعادتها للصليبيين. و أن خلفاء صلاح الدين لم
يكونوا صالحين لأنهم سلموا للصليبيين ما لم يسلمه لهم صلاح الدين، و إذا كان صلاح الدين قد سلم فلسطين كلها للصليبيين،
فان خلفاءه سلموا مع القدس ما كان قد بقى فى أيديهم مما هو داخل اليوم فيما سمي بالجمهوريه اللبنانيه.

و أن القضاء نهائيا على الصليبيين لم يتحقق على أيدي خلفائه، بل تحقق على أيدي من جاءوا بعدهم، على يد الظاهر بيبرس و يد قلاوون و ابنه خليل.

على أيدي هؤلاء تم القضاء نهائيا على الصليبيين، و هم الذين غسلوا العار الذي جلل العرب و المسلمين بعقد الصلح مع الصليبيين و الاعتراف بسلطتهم و تسليمهم فلسطين و إعادة القدس إليهم على يد الأيوبيين ابتداء من صلاح الدين و انتهاء بخلفائه الذين جاءوا بعده.

الخراسانية و المتشيعة

صدر للدكتور حسن منيمه كتاب (الدولة البويهية) فعلق عليه الدكتور وضاح شراره في جريده النهار، فقرأت التعليق، و لم يصل إلى الكتاب فتناولت التعليق بالكلمه التاليه:

يقول الدكتور منيمه فيما يقول: "فغلب المأمون على الحكم و الخلافه عن طريق الخراسانية الذين امتدت أيديهم إلى الأعمال و الدواوين و الولايات و الجند فحوروها و أخذوها و توارثوها".

من هم الخراسانية الذين تردد ذكرهم كثيرا في الثورة العباسيه و ظل يتردد حتى وصل إلى الدكتور حسن منيمه؟ و طبعي أن الدكتور منيمه إنما يقصد بهم ما قصده غيره أنهم الفرس.

و بهذا التفسير لهم و صفت الثورة العباسيه بأنها ثوره الفرس على الحكم العربي، حتى أن كاتبها مصريا لم يتورع عن القول بان معركة (الزاب) الحاسمه كانت ردا على معركة القادسيه الحاسمه، و ذلك لمجرد كون قسم من الجيش الذي حسم الأمر على ضفه نهر الزاب لمصلحه العباسيين كان قادما من خراسان.

و نحن نقول أن القوى التي زحفت من خراسان كانت قوى عربيه بقياده عربيه على رأسها قحطبه بن شبيب الطائي(1) يعاونه القاده العرب: أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي و مقاتل بن حكيم العكي، و خازم بن خزيمه، و المنذر بن عبد الرحمن، و عثمان بن نهيك، و جهور بن مراد العجلي، و عبد الله بن عثمان الطائي و سلمه بن محمد و أبو غانم عبد الحميد بن ربيع، و أبو حميد، و أبو الجهم، و عامر بن إسماعيل. و ألحق بهم واحد فقط من أصل فارسي هو خالد بن برمك.

و لما مات قحطبه قبل الوصول إلى الزاب عين مكانه في القيادة العامه ابنه الحسن بن قحطبه.

هذا في الجيش الزاحف من خراسان، أما في القوى التي أرسلت إلى انجاده من الكوفه فكانت على دفعات يقودها في دفعاتها المتتابعه: عيينه بن موسى، و المنهال بن فتان، و إسحاق بن طلحه، و سلمه بن محمد، و عبد الله الطائي ثم أصبح القائد العام للقوى سواء منها القادم من خراسان أم المتجه من الكوفه، عبد الله بن علي العباسي.

فما شان الثار من معركة القادسيه بين جيشين عربيين يقود أحدهما قائد قرشي هو مروان بن محمد و يقود الثاني قائد قرشي آخر

هو عبد الله بن علي؟ و بذلك نرد علي من يتساءل: هل المقصود بكلمه (الخراسانيه) الوارده في كتب الأقدمين هو الفرس؟ نرد عليه: كلا.

أن المقصود بها هو القبائل العربيه المقيمه بخراسان، و حين يقال في كتب الأقدمين: (أهل خراسان)، فإنما يراد بهم أصحاب خراسان من العرب، و دليلنا على ذلك: خطب الولاة و الأمراء و أقوال المؤرخين: فمن خطب الولاة خطبه نصر بن سيار التي يقول فيها: "يا أهل خراسان أنكم غمطتم الجماعه و ركتم إلى الفرقة، السلطان المجهول تريدون و تنظرون؟ أن فيه لهلاككم معشر العرب".

و عند ما استخلف يزيد بن المهلب ابنه مخلد على (جرجان) أوصاه بسكانها العرب من اليمن و ربيعه و قيس.

و صاحب كتاب الامامه و السياسه يقول في إحدى المناسبات متحدثا عن

ص: ٣٦١

١- كان قحطبه يقارن بأبي مسلم.

الجيش: بان تعداده كان ١٢ ألفا من أهل خراسان سوى الأعاجم.

و لن نكثر من الاستشهاد، بل نحيل القارئ للدلالة على عروبه زعماء خراسان على تاريخ الطبرى و تاريخ اليعقوبى و مروج الذهب للمسعودى و الكامل لابن الأثير. و عن القبائل العربيه الخراسانيه من تميم و ربيعه و اليمن على كتاب الوزراء للجهمشيارى، و عن احياء العرب فى خراسان على كلمه لقتيبه بن مسلم فى البيان و التبيين. و عن بنى تميم فى خراسان على كلمه خاطب بها الأحنف بن قيس قبيلته فى البيان و التبيين نفسه. و عن طعائن العرب تخرج من (مرو) إلى (سمرقند) بدون جواز على خطبه لقتيبه بن مسلم فى العقد الفريد... إلى غير ذلك.

لقد كان العرب و قد نزلت قبائلهم فى خراسان ينسبون إلى المدن المقيمين فيها، فهذا (الكرمانى) و هو من أشهر رؤساء خراسان فى أواخر عصر بنى أميهمنسوب إلى مدينه (كرمان) الخراسانيه، و هو جديد بن على شيخ قبائل الأزد و قد كان يقال له (شيخ خراسان و فارسها) و هو العربى القح الأصيل.

و هذا أبو الفرج الأصفهاني ينسب إلى أصفهان و هو العربى الأموى النسب.

و ترى فى كتاب (فتوح البلدان) للبلاذرى ذكرا لخطط العرب و منازلهم فى خراسان و غير خراسان. و كثير من المؤرخين العرب يقولون عن فلان (عربى خراسانى)، و أكثر ما ورد ذلك فى رساله الجاحظ المسماه (مناقب الأتراك).^(١)

و هذا أبو مسلم يخاطب العرب الخراسانيين قائلا: "أمرنى الامام (إبراهيم) أن انزل فى أهل اليمن و أتالف ربيعه و لا أدع نصيبى من صالحى مضر".

و هذا الامام محمد العباسى يوصى رسوله قائلا: "فإذا قدمت (مرو) فاحلل فى اليمن و تألف ربيعه و توق مضر و خذ نصيبك من ثقاتهم".

و قد حاول نصر بن سيار أن يفرق بين العرب من أنصار العباسيين فأشار إلى أحد قواده قائلا: "ما أهون هؤلاء إن كفت عنهم اليمن و ربيعه".

و عند ما يتحدث المنصور بعد قيام الدوله العباسيه يؤكد أن اليمانيين كانوا عماد الثوره فيقول عنهم: "فيحق لنا أن نعرف لهم حق نصرهم لنا و قيامهم بدعوتنا و نهوضهم بدولتنا".

إذن فالخراسانيه فى أقوال المؤرخين و غير المؤرخين لا تعنى الفرس، بل تعنى فى الأصل سكان خراسان من العرب.

أما القول بان هؤلاء الخراسانيه امتدت أيديهم إلى الأعمال و الدواوين و الولايات و الجند فحوروها و أخذوها و توارثوها، فقول يحتاج إلى إيضاح و تفسير. فنحن نريد أن نفهم ما المقصود بالتحويل و الأخذ، و ما الذى جرى فى عهد المأمون مما لم يجر مثله فى عهد الرشيد مثلا؟ أما عن التوريث للولايات فان كان المقصود ما جرى من الطاهريين فانا نقول بان ذلك لم يكن المسئول عنه لا المأمون و لا الخراسانيه. فان الرشيد ولى إبراهيم بن الأغلب على تونس على أن تكون الولايه مستمره فى عقبه، فى حين أن المأمون ولى طاهرا بن الحسين كما يولى كل الولاه و لم يقطعه و أسرته خراسان، كما اقطع الرشيد (ابن الأغلب) تونس و إذا

كانت الأمور قد تطورت بعد ذلك إلى ما تطورت إليه فذلك كان حكم التاريخ واطراد سير الزمان.

و يقول الدكتور حسن منيمه فيما يقول: " فانقلب البدو ماده لكل الحركات الغاليه من خارجيه و قرمطيه و زنجيه و متشيعه "

و لقد كنا نحب للدكتور منيمه أن لا يغرق فيما غرق فيه بعض الناس فى العصور المظلمه، بل حتى فى هذا العصر، فيحشر من سماهم (بالمشيعه) مع من ذكرهم و سماهم بالحركات الغاليه و نسبهم إلى البدو.

أن من سماهم (متشيعه) لم يكونوا بدوا و ليسوا من الحركات الغاليه، و ليسوا من صنف من ذكرهم معهم.

و يقول الدكتور منيمه: " و توسل بعضها الآخر إلى الغرض نفسه بتنصيب دعاه علويين طالبين بلورت [تبلورت] دعواتهم حركات محليه و برزت صبغتها المحليه فى أفكارها و فقهها و فى طاقمها الحاكم من قاده حرب و قضاة و كتاب و عمال دواوين.

فاستتب الأمر لعبيد الله المهدي فى إفريقيا و للحسن بن زيد فى طبرستان "

ما دام الدكتور منيمه قد خص بالذكر من سماه عبيد الله المهدي (٢) و الحسن بن زيد، فاننا لنستغرب كل الاستغراب أن يقول أن هناك من توسلوا لتنصيبهما، أن أحدا لم يتوسل لتنصيب واحد من هذين الاثنين، و لم يكن واحد منهما ألعوبه لأحد، بل أن كلا منهما كان هو صاحب دعوه صريحه سليمه نجحت على يد صاحبها و كان فيها كل الخير للعرب و للمسلمين.

أما أن الدعاه العلويين الطالبين قد تبلورت دعواتهم بحركات محليه و أن تلك الحركات برزت صبغتها المحليه فى أفكارها و فقهها إلى آخر ما ذكر فما دام قد خص بالذكر عبد الله المهدي و الحسن بن زيد فان المقصود بكل ذلك هذين الاثنين.

من المؤلم أن يذكر الدكتور منيمه قيام الدوله الفاطميه، و قيام دوله الحسن بن زيد فى طبرستان بمثل هذه الخفه و بمثل هذا الإزراء و التميع.

لقد كان قيام الدوله الفاطميه حدثا ضخما فى العالم الإسلامى استطاعت معه تلك الدوله أن تنهض بذلك العالم و أن تجمع شتاته المتمزق فى بقاع من أخطر بقاعه، و أن تقف سدا منيعا فى وجه الخطر الدايم الذى كان يهدده من الروم و الإفرنج. و كان شمال إفريقيا هو المنطقه المعرضه أكثر من غيرها لذلك الخطر، و كانت متمزقه مقسومه إلى أربع دويلات هى: الأدارسه، و الأغالبه، و بنو مدرار، و الرستميون. فاستطاع الفاطميون أن يوحدوا ذلك الشتات و أن يجعلوا منه دوله واحده متماسكه ضمت إلى تونس كلا من المغرب الأوسط (الجزائر) و المغرب الأقصى (المملكه المغربيه) و المغرب الأدنى (ليبيا)، فتحقق يوم ذاك ما لا يزال العرب عاجزين عنه مما يسمونه (وحده المغرب العربى).

ثم خطوا الخطوه الثانيه فضموا إلى هذه الوحده القطر العربى الأكبر (مصر)، ثم بلاد الشام (سوريا و لبنان و فلسطين و الأردن)، ثم الجزيره العربيه، و لم يبق خارجا عنها إلا العراق.

و تحقق لأول مره فى التاريخ بعد التشتت و التمزق و الانفصال قيام الوحده العربيه و دولتها الكبرى التى استمرت ما يزيد على

ثم عجز العرب بعد زوال الدوله الفاطميه عن أن يحققوا مثل هذه.

ص: ٣٤٢

-
- ١- يذكرنى هذا بما كان يقوله بعض الفرنسيين الذين لقيتهم مره مصادفه فى باريس: (أنا فرنسى جزائرى).
 - ٢- أن اسمه الحقيقى عبد الله لا عبيد الله كما هو الشائع - و رب شائع لا أصل له - فاتباعه الذين هم أعرف الناس بحقيقه اسمه يفكرون تسميته عبيد الله. كما تبين من نقوش الدراهم و الدينانير و الصنوج و الأوزان المحفوظه فى متحف القيروان أن اسمه عبد الله لا عبيد الله.

الوحده، و لا يزالون عاجزين.

و ينبه المؤرخان المصريان الدكتور حسن إبراهيم حسن و الدكتور طه أحمد شرف في كتابهما (المعز لدين الله) إلى أمر مهم جدا، و هو: "أن الفاطميين رفضوا أن يقيموا دولتهم في غير البلاد العربيه و لم يفكروا في إقامة دولتهم المنشوده في غيرها برغم كثره أشياعهم فيها و إنما عولوا على إقامتها في اليمن و لما استحال عليهم ذلك قصدوا المغرب فأقاموا دولتهم فيه".

و لسنا الآن في صدد تاريخ للدولة الفاطميه، و إنما نكتفي بالقول: أنهم بهذه الوحده العربيه الكبرى التي أقاموها استطاعوا التصدي للبيزنطيين في البر و البحر و ردهم أولا- عن شمال إفريقيا، ثم عن بلاد الشام و إحباط محاولتهم المتكرره للوصول إلى القدس مما ليس هنا مكان تفصيله.

و دوله بمثل هذا الشأن الخطير لا يصح لمؤرخ أن يذكرها - كما قلنا - بمثل هذه الخفه و الإزرء و التميع.

و دوله طبرستان الطالبية العلوية الزيدية إذا لم يكن لها من الشأن ما كان للدولة الفاطميه فقد كان لها شأن أى شأن في ميدان عظيم، هو ميدان تعميم الإسلام في منطق طبرستان(1). و برغم وصول الفتح الإسلامى إليها ما قبل السنه الثانيه و العشرين للهجره إذ يستفاد مما ذكره الطبرى و يعقوبى و البلاذرى أنها في هذه السنه كانت تابعه للحكم الإسلامى، فليس ما يدل على استقرار المسلمين فيها، و لم يكن الأمر يعدو غارات تشن عليها، و ظلت خاضعه عمليا لملوکها الذين كانوا ما بين مزدكى و زرداشى و عابد نار.

و فى سنه ٢٥٠ هجرية استطاع الحسن بن زيد من أحفاد الحسن بن على الملقب بالداعى الكبير أو الداعى الأول أن يستولى على طبرستان و ذلك فى خلافه المستعين العباسى و أن يقيم فيها دوله امتدت حوالى مائتى سنه كان من أكبر منجزاتها أنها أحالت تلك البلاد بلادا إسلاميه خالصه.

أما القول عن هاتين الدولتين و عن رجالهما (العلويين الطالبين) بأنهم " بلورت دعواتهم حركات محليه و برزت صبغتها المحليه فى أفكارها و فقهها و فى طاقمها الحاكم من قاده حرب و قضاء و كتاب و عمال دواوين"، فهو قول كنت اربا بالدكتور حسن منيمه أن يقوله، فالعلويون الطالبيون فى طبرستان هم الذين بلوروا طبرستان إسلاميا، و ليست هى التى بلورت دعواتهم، و هم الذين صبغوها بصبغتهم الإسلاميه و ليست هى التى صبغتهم بصبغتها المحليه. و أكثر من ذلك، فقد غدت طبرستان بفضلهم مهبط العلماء و مقصد الشعراء تتجاوب فى أنديتها أصداء الشعر العربى الأصيل كاي انديه عربيه فى العالم العربى.

و قصه الشاعر الأعمى أبى مقاتل، قصه مشهوره فى كتب التاريخ السياسى و الأدبى، و ذلك أنه أنشد الداعى قصيده مطلعها:

لا تقل بشرى و لكن بشريان غره الداعى و يوم المهرجان

فقال له الداعى: " أن الشعراء لا يبدءون الشعر بحرف النفى - لا - لئلا يتشاءم المستمع، ألم يكن الأحسن أن تقرأ هذا البيت بتقديم عجزه على صدره فتقول:

غره الداعى و يوم المهرجان لا تقل بشرى و لكن بشريان

فقال أبو مقاتل: كلا يا مولاي، فان أحسن ما يذكر به (الله) يبتدىء ب (لا) و هي كلمه لا إله إلا الله.

فقال الحسن: أحسنت، فأنت في هذا الأمر أكثر معرفه مني.

و قد حفل تاريخ طبرستان في تلك العهود بعدد كبير من اعلام الفقه و اللغه و الأدب لا يتسع المجال الآن للاشاره إلى بعضهم.

أما عن الدوله الفاطميه فيكفي أن أنقل جملة واحده لمؤرخ مصرى هو الدكتور محمد كامل حسين، و هي قوله: " فالقاهره الفاطميه أصبحت مطمح أنظار العلماء و محط رحال الطلاب و في العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تنتزع زعامه العالم الإسلامي في الحياه العلميه ".

و من أعجب العجب حشر الدكتور منيمنه (الفقه) مع ما حشره من الشئون التي أذعى اصطبأها بالصباغ المحلي.

و تلك زله أنا على يقين بان الدكتور الحصيف سيحاسب نفسه عليها.

أما قاده الحرب و القضاء و الكتاب و عمال الدواوين فليت المجال يتسع لنعدد له منهم ما ينفي قوله.

و يقول الدكتور منيمنه عن الحكام الشيعه في ذلك العصر كالحمدانيين و البويهيين: " و لم يحمل التشيع هؤلاء المتشيعين على استخلاف أحد أهل البيت ". ثم يعلل ذلك بالتعليل المنسوب إلى أحد الذين استشاره أحد الحكام في هذا الشأن.

و الذى يعرف حقيقه العقيدة الشيعيه في أمر الخلافه يدرك أن تلك القصة منحوله و أن تبني الدكتور منيمنه لها في غير محله. فالشيعه لم يعد لهم بعد السنه ٢٦٠ هجرية مرشح للخلافه، و أصبحوا لا يهتمون بمن يتولاها، و سيان عندهم أن تولاها أحد ممن يتصلون بالنسب بال البيت أو لا. فإذا كان الحكام الذين ذكرهم لم يولوا الخلافه أحد ممن يتحدرون من آل البيت فليس ذلك للسبب الذى ذكره و نقله عن غيره، بل لأنه ليس في مذهبهم ما يحملهم على ذلك.

على أنه هو نفسه يذكر ذلك بعد قليل و يؤكد دون أن ينتبه للتناقض بين القولين.

و يستهين الدكتور منيمنه بعقيدته البويهيين و يرى أن اختيارهم لما اختاروه كان لمنافع دنيويه بحته فيقول: " و اختاروا الاماميه من فرق الشيعه لأن الزيديه تلزم أصحابها بتأمير واحد من أهل البيت و لا تقبل بغير ذلك ".

بهذا القول يؤيد ما قلناه أنه ليس في مذهب البويهيين ما يوجب عليهم تأمير واحد من سلاله أهل البيت للخلافه. أما أنهم اختاروا ما اختاروه للسبب الذى ذكره فهو مخطئ في ذلك.

ليس عماد الدوله أبو الحسن على، و ركن الدوله أبو على الحسن، و معز الدوله أبو الحسين أحمد هم الذين اختاروا مذهب الاماميه، بل أن الذين كانوا على هذا المذهب هم آباؤهم الأولون الذين كانوا فقراء بسطاء لا يفكرون في ملك و لا سلطه. و هؤلاء الملوك الثلاثه نشاوا في بيتهم الفقير على هذه العقيدته و شبوا عليها ثم سادوا و هي في قلوبهم و عقولهم.

و من أوهام الدكتور منيمنه و أوهام غيره أيضا قوله: " و صاغ البويهيونر.

١- هي القسم الشمالي من إيران تعرف اليوم بـمازندران، بلاد جبليه و عره المسالك، و قسم منها ساحلى يقع على شاطئ بحر مازندران الذى اشتهر باسم بحر الخزر.

التشيع الشعبى بصيغه لم تمنح فسونا سنه الاحتفال بعاشوراء على مثال بكائهم أمواتهم و انتحابهم عليهم فى منتصف القرن الرابع، و جعلوا عيد غدیر خم عيدا شعبيا كعيد الربيع".

ليس البويهيون هم الذين سنوا سنه الاحتفال بعاشوراء، بل أن الاحتفال بها كان متصلا قبلهم بأبعد الأزمان، و لم يكن يجرى بشكل جماهيرى، لأن السلطات كانت تمنع ذلك، و كان يجرى ضمن البيوت الرحبه الواسعه و يضم من الناس ما يتسع له كل بيت، و كانت تنشد فى هذه الاحتفالات الأشعار الرقيقه التى تبكى الناس و تشجيعهم. و كل ما فعله معز الدوله هو أنه أباح الاحتفالات الجماهيريه، و منح أصحابها حريتهم فأخرجوها من دائرتها الضيقه إلى الدائره الأوسع.

و ليس البويهيون وحدهم هم الذين يكون على أمواتهم و ينتحبون عليهم، ليكونوا مثلا- للباكين المنتحيين، فكل الناس تبكى على أمواتها و تنتحب عليهم.

و أما عن عيد غدیر خم و أن البويهيين اخترعوه و جعلوه عيدا شعبيا شبيها بعيد الربيع، فهو أيضا داخل فى باب الأوهام، فعيد غدیر خم الذى يطلق عليه اسم (عيد الغدير) كان يحتفل به قبل البويهيين. و ما فعله البويهيون هنا هو عين ما فعلوه فى احتفالات عاشوراء و هو أنهم أطلقوا الحريه للناس فخرجوا به من النطاق الضيق إلى النطاق الواسع.

و لم تقتصر هذه الاحتفالات الواسعه على مناطق نفوذ البويهيين، ففى مصرالفاطميه كان يوم الغدير من الأيام المشهوده فى تاريخها، و لا يزال عيد الغدير فى اليمن العيد الشعبى الأول.

و أبو العلاء المعرى نفسه كان يحتفل بعيد الغدير مع المحتفلين به فى بلاد الشام فهو القائل:

لعمرك ما أسر بيوم فطر و لا أضحى و لا بغدير خم

فما دخل البويهيين فى احتفالات مصر و اليمن و بلاد الشام.

أما قول الدكتور منيمه بان البويهيين " حكموا العراق حين الناس فرق و أهواء و شيع فسلطوا عليها الخلاف".

فنقول له: ما دام الناس فرقا و أهواء و شيعا، فليسوا فى حاجه لمن يسلط عليهم الخلاف.

نعم أن البويهيين حين حكموا وجدوا أن فريقا من الشعب محروم من أبسط حرياتهم، و مضطهد مطارد، فمنحوه حريته و رفعوا عنه الاضطهاد و المطارده، حتى إذا حاول أحد من هذا الفريق أن يستغل ما منحوه ذره من الاستغلال، أو يتجاوز شعره من الحدود المرسومه للجميع أوقفوه حتى إنهم لم يتوانوا فى أن ينفوا عن بغداد لفته رجلا كالشيخ المفيد هو الرجل الأول و العالم الأكبر. و هكذا فهم لم يتحيزوا لأحد.

العرب و المأمون ثم البويهيون

إشارة

ورد الدكتور حسن منيمنه على مقالنا فرددنا عليه بما يلي:

بعد أن يسلم الدكتور منيمنه معنا بان كلمه (الخراسانيه) فى الأيام الأولى للحركه العباسيه لا تعنى الفرس بل تعنى فى الأصل عرب خراسان، يقول بان الأمر لم يكن كذلك فى عهد المأمون، و يسألنى هل كنت أريد أن أطبق هذه النتيجة على كلمه خراسانيين المستعمله زمن المأمون.

و أنى لأجيبه بكل وضوح: نعم.

و ما الذى حصل فى تلك المده المنقضييه بين نشوء الدوله العباسيه و خلافه المأمون من أحداث أزاله العرب من خراسان لنبدل الرأى فى (الخراسانيه)؟ أين ذهبت تلك القبائل العرييه من تيمم و ربيعه و اليمن و كانت تنزل خراسان كما يخبرنا الجهشياري؟ و ما الذى جرى على احياء العرب فى خراسان كما حدثنا عنها (البيان و التبيين)؟ و أين مضت طعائن العرب التى كانت تخرج من مرو إلى سمرقند كما أخبرنا (العقد الفريد)؟ و أين صارت جمهره بنى تميم فى خراسان التى قرأنا عنها فى (البيان و التبيين)؟ و أين انتهت جموع اليمن و ربيعه و قيس فى جرجان، و أوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلد بهم؟ و ما ذا كان مصير الجماهير العرييه التى خاطبها نصر بن سباز قائلاً: يا أهل خراسان؟ و ما ذا كانت نهايه خطط العرب و منازلهم فى خراسان و غير خراسان و قص قصتها علينا البلاذرى؟ أين انطوى ذلك كله لنقول أن كلمه (الخراسانيه) فى الزمن العباسى الأول لا تعنى ما تعنيه أيام المأمون؟ يقول الدكتور منيمنه أن المؤرخين استعملوا كلمه الخراسانيين أو أهل خراسان للتدليل على الكتله الفارسيه التى وقفت إلى جانب المأمون فى وجه الكتله العرييه التى ساندت الأميين. و قد اختارت الكتله خراسان مقراً و منطلقاً لإيصال المأمون إلى الخلافه.

و نقول له: و ما الدليل على ذلك؟ أنه يستشهد بان الفضل بن سهل حذر المأمون من الهاشمين و العرب الساعين لخلافه الأميين. ثم يورد عبارته المسعودى التى جاء فيها على لسان الفضل مخاطباً المأمون أنه يخشى: "أن يثب عليك أخوك فيخلعك و أمه زييده و أخواله من بنى هاشم".

و نقول: ليس فى هذا القول تحذير من العرب، بل فيه تحذير من زييده أم الأميين و اقربائها. و من الطبيعى أن يكون هوى زييده و اقربائها الأدنين مع الأميين، و ليس المأمون فى حاجه لنصيحه الفضل ليدرك هذا ثم يستشهد بقول الطبرى و ابن الأثير بان أهل خراسان قالوا عن المأمون: ابن أختنا و ابن عم نينا، لأن أمه كانت فارسيه.

و نقول له: إننا لا ننكر أن للمأمون أخوالاً و أقرباء فى خراسان و إنه يمكن أن يقولوا هذا القول. و لكن هل هؤلاء كل خراسان؟ و هنا نعود فنكرر اسئلتنا السابقه عن مصير الشعب العربى الذى كانت تتمثل به خراسان، و هل انقرض بهذه السرعه؟ أو هل يمكن أن يكون بعيداً عن هذه الأحداث المصيرييه؟ كان من اصطلاحات المؤرخين يوم ذاك أن يقولوا: "فى خراسان جميعه العرب و فرسانها".

فهل من المعقول أن تكون تلك الجمجمه قد تحطمت، و أن يكون أولئك الفرسان قد تبددوا في مشارق الأرض و مغاربها؟ و أن يكون ذلك قد جرى في (غمضه عين و انتباهتها) بالنسبه لحياه الشعوب؟ ثم أليس عجيبا من الدكتور منيمنه الحصيف أن يقول: أن الكتله التي ساندت المأمون قد اختارت خراسان مقرها و منطلقا لإيصال المأمون إلى الخلافه؟ و أين رأى أن هذه الكتله هي التي اختارت خراسان؟ و هل كان في يد المأمون و كتلته أن يختاروا مقرهم و منطلقهم؟ أليس الرشيد هو الذى اختار المقر، و الأمين هو الذى اختار المنطلق؟ هل المأمون و كتلته هم الذين قسموا المملكه إلى قسمين: غربى يحكمه الأمين و مقره فى بغداد. و شرقى يحكمه المأمون و مقره فى مرو عاصمه خراسان، أو الرشيد هو الذى فعل ذلك؟ و هل المأمون و كتلته كانوا مختارين فى إيصال المأمون إلى الخلافه فانطلقوا من مرو، أو الأمين هو الذى خلع أخاه المأمون من ولايه العهد و جعله ينطلق مع كتلته من خراسان للوصول إلى الخلافه؟ نحن لا ننكر أنه كان بين من ناصروا المأمون فرس، و يكفى فى ذلك أخواله، كما أننا لا ننكر أنه كان بين من ناصروا الثورة العباسيه فرس، و لكن العرب كانوا يشكلون القوه الضاربه فى كلا الموقفين.

و كما كان بين أنصار العباسيين أيام الثورة فرس كذلك كان بين أنصار خصومهم فرس، فقد انضم الفرسان إلى الجانبين العباسى و الأموى، فرأينا مثلا أهل نيسابور و بلخ الفرسان ينحازون إلى نصر بن سيار.

و هذا طبيعى ما دام فى الناس اختلاف المشارب و الأهواء و الأغراض.

و كذلك الحال فى الخلاف بين الأمين و المأمون، و إذا كنا لم نر اسما فارسيا بارزا بين أنصار الأمين، فلأن أصحاب مثل هذه الأسماء كانوا تحت سيطره المأمون فلا يستطيعون التحرك كما يريدون.

على أننا ننكر القضييه من أصلها، و هى الزعم أن العرب كانوا مع الأمين، فنحن نقول بان العرب حتى فى الجزيره العربيه عش العرب و منبتهم كانوا مع المأمون. فان والى مكه داود بن عيسى لما بلغه خلع الأمين لأخيه المأمون من ولايه العهد، دعا أهل مكه و أعلن أنه يبايع المأمون بالخلافه و سألهم ما هم فاعلون؟ فاستجاب له وجوه القوم و بايعوا المأمون، ثم استجابت له جماهير الشعب كلها. و يصف الطبرى بعض ما جرى قائلا: و جعل الناس يبايعونه جماعه بعد جماعه، ففعل ذلك أياما. و مثل الذى جرى فى مكه جرى فى المدينه، حيث بايعت جماهير الشعب المأمون و خلعت الأمين.

و جرى مثل ذلك فى اليمن أيضا، و يصف الطبرى بيعه أهل اليمن بقوله:

فأجاب أهل اليمن إلى بيعه المأمون و استبشروا بذلك و بايعوا للمأمون و خلعوا الأمين.

و إذا كانت الجزيره العربيه قد خلعت الأمين و بايعت المأمون و أمره لا يزال متارجحا بين النجاح و الفشل، بل أنه كان إلى الفشل أقرب، و إذا كان عرب الحجاز و اليمن قد أعلنوا أنهم مع المأمون على الأمين و هم يبعدون عنه عشرات آلاف الأميال.

و إذا كانت مكه و المدينه و صنعاء و هى عواصم العرب الأولى قد أيدت المأمون، فهل يصح القول بان العرب لم يكونوا مع المأمون؟ و إذا كان للمأمون أخوال فى خراسان، فما أكثر أعمامه فى الحجاز و اليمن، و لن يكون الأخوال - مهما أشفقوا - أكثر إشفاقا من الأعمام.

على أن مما يجب ذكره أن عرب الجزيرة قد أعلنوا المأمون خليفه و بايعوه، من قبل أن يعلن هو ذلك، إذ أنه كان لا يزال مجرد متمرّد على خليفه بغداد، و لا يعلم إلى أى مصير سيصير.

و جاء موسم الحج و حال المأمون هو الحال نفسه، و لكن موقف أهل مكه المؤيد جعل طاهر بن الحسين قائد المأمون المتقدم لحصار بغداد - يرسل العباس بن موسى ليحج بالناس باسم المأمون، و هو أول موسم دعى فيه للمأمون بالخلافه فى مكه و المدينه.

و هكذا أعلنت خلافه المأمون فى صميم بلاد العرب قبل أن تعلن فى خراسان، و غير خراسان، أعلنتها العرب فى أقدس مكان عند المسلمين و العرب. و يقول الدكتور منيمنه أن الجيش الخراسانى الذى خرج هذه المره من خراسان ليحمل المأمون إلى سده الخلافه كان معظم قاداته و عناصره من أهل خراسان الفرس. و نقول له: لا دليل على هذا القول بل أن الأمر على العكس ما دام لم يثبت بل ليس من المعقول أن يكون العرب قد أزيلوا من خراسان.

و أننا نستطيع أن نعدد من أسماء قاده ذلك الجيش من العرب كلا من: محمد بن طالوت، و محمد بن العلاء، و الحارث بن هشام، و داود بن موسى، و هادى بن حفص، و قريش بن شبل، و الحسن بن على المأمونى. و هذه الأسماء وحدها كافيه لتدل على أن القيادة كانت عربيه.

و ما رأيه إذا قلنا أن فرقه عسكريه يبلغ عدد رجالها نحو خمسه آلاف رجل نص الطبرى على أنهم من أهل خراسان انسلخت عن جيش المأمون المحاصر لبغداد و انضمت إلى الأمين.

فإذا كان هؤلاء الرجال فرسا فان خئوله الفرس للمأمون لم تنفعه بشىء، و أن كانوا عربا فان الطبرى قد نص على أنهم من أهل خراسان، إذن فان كلمه (أهل خراسان) فى أيام المأمون لا تعنى الفرس، كما يقول الدكتور منيمنه، بل تعنى العرب و أن الجيش لم يكن فارسيا.

و ما رأيه فى أن بغداد العربيه نفسها كان فيها الناقعون على الأمين، و لم يمنعهم من الجهر بنقمتهم إلا خوف السلطه. و قد عبر عن هذه النقمه شاعر بغدادى ظل اسمه مجهولا بسبب الخوف فقال يخاطب الأمين و جيوش المأمون مشرفه على حصار بغداد:

بخلعه لأخيه المأمون من ولايه العهد، و عواطف الناس هي دائما مع المعتدى عليه.

و لقد أدهشني قول الدكتور منيمنه: "سترداد شكوك الخليفة المنتصر في العرب الذين أخذوا جانب الأمين، و سيتعاضم دور الجند الخراسانيين و اعتماد الخليفة عليهم و ستظهر نتائج ذلك واضحة في توليه قادتهم آل طاهر و إطلاق يدهم في خراسان و جوارها أمراء شبه مستقلين".

إذن يعتبر آل طاهر فرسا، مع أنهم من صميم العرب، و كون طاهر بن الحسين قائدا للجيش الذي بعثه المأمون لاسترداد بغداد من أخيه الأمين و إنهاء خلافته هو الذي يؤيد قولنا أن القوه الضاربه في جيش المأمون كانت عربيه.

فطاهر بن الحسين عربي من قبيله خزاعه، و ما دام قائد الجيش خزاعيا فمن الطبيعي أن تكون (خزاعه) ركنا من أركان القوه الضاربه في هذا الجيش.

و إلى ذلك يشير الشاعر دعبل الخزاعي حين هدد المأمون قائلا:

أنى من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك و شرفتك بمقعد

و على هذا فالجند الخراسانيون الذين "تعاضم دورهم و اعتماد الخليفة عليهم" هم عرب و من خزاعه بالذات.

ثم يردف قوله هذا بهذا القول: "و ستظهر نتائج ذلك واضحة في توليه قادتهم آل طاهر و إطلاق يدهم في خراسان و جوارها أمراء شبه مستقلين".

و قد عرف القارئ أن آل طاهر هم عرب خزاعيون فإذا صح أن المأمون أطلق يدهم في خراسان، فإنه يكون بذلك قد أطلق فيها يدا عربيه أصيله.

على أننا نحن ننكر أن توليه المأمون لآل طاهر كانت توليه استثنائية، و أنه أطلق يدهم أمراء شبه مستقلين. و نقول أن الذي فعل ذلك هو غير المأمون و في غير خراسان.

لقد فعل ذلك الرشيد حين ولي إبراهيم بن الأغلب على تونس على أن تكون الولاية وراثيه في أعقابه، و على أن يكونوا أكثر من شبه مستقلين.

أما المأمون فلم يكن في نيته ابدا توليه طاهر بن الحسين على خراسان، بل أن ظرفا عاطفيا طارئا أدى إلى ذلك، و هذا ما ينفي ما ذكره الدكتور منيمنه في قوله: "و سيتعاضم دور الجند الخراسانيين و اعتماد الخليفة عليهم و ستظهر نتائج ذلك واضحة في توليه قادتهم آل طاهر"، إلى آخر ما قال:

أما سبب توليه طاهر بن الحسين فهو أنه دخل على المأمون و هو في مجلس انس و انشراح، فلما رآه المأمون بكى و تغرغت عيناه. فاستغرب طاهر ذلك و سال المأمون لم يبكك و قد دانت له البلاد و أذعن له العباد و صار إلى المحبه في كل أمره.

فقال المأمون: أبكى لأمر ذكره ذل و ستره حزن و لن يخلو أحد من شجن.

و انشغل بال طاهر لبكاء المأمون في غير ساعه بكاء، فأغرى أحد خواص المأمون بمبلغ من المال لسأله عن سبب بكائه، و استطاع الرجل أن يسأل المأمون. فقال المأمون: أنى ذكرت أخى محمدا (الأمين) و ما ناله من الذله فخنقتنى العبره فاسترحت إلى الإفاضه، و لن يفوت طاهرا منى ما يكره.

لقد قلق طاهر كل القلق لما جرى، فإذا كان المأمون قد اكتفى هذه المره بمجرد البكاء لرؤيه طاهر مذل أخيه و قاتله، فما يدريه ما يمكن أن يصيبه من المأمون في مره أخرى، أ لا يمكن أن تبلغ ثوره العاطفه في المأمون في مره من المرات إلى الحد الذى يأمر فيه بقتل طاهر الذى تذكره رؤيته في كل مره بذل أخيه و قتله؟ أ ليس من المريح للمأمون أن لا يرى طاهرا ابدا فيتخلص من الأشجان الذى تبعثها في نفسه مشاهده طاهر، و قتل طاهر هو الذى يريح.

فذهب طاهر إلى أحمد بن أبى خالد و قص عليه ما جرى، و قال له غيبنى عن عينى المأمون.

فذهب أحمد إلى المأمون، فلما دخل عليه، قال: ما نمت البارحه...

فقال المأمون: و لم ويحك؟ فقال لأنك وليت غسان خراسان و هو و من معه أكله رأس و أخاف أن يخرج عليه خارجه من الترك فتصطلمه. فقال له: لقد فكرت فيما فكرت فيه، فمن ترى؟ قال: طاهر بن الحسين. و قد تردد المأمون و ذلك و أبدى ما يخشاه من محاذيره في توليه طاهر.

و بعد حوار قصير دعا المأمون بطاهر من ساعته فعقد له على خراسان.

هذه هى قصه توليه طاهر بن الحسين التى وصفها الدكتور منيمنه بأنها "توليه قاده الخراسانيين آل طاهر و إطلاق يدهم في خراسان" إلى آخر ما قال.

و من الطبيعى أن تتطور الأمور في زمن كان زمن التطورات المتعاقبه، و أن يأخذ التاريخ مسراه في التحول و التبديل.

البويهون

وقت يقرن الدكتور منيمنه حديثه عن عقيدة البويهيين مره بكلمه (احتمال) و مره بكلمه (فالأرجح) فيدل على التشكيك و عدم الجزم، يعود في النهايه فيجزم فيما لا- يصح فيه الجزم. و عند ما قلنا أن ليس الملوك البويهيون هم الذين أخذوا بالمذهب الجعفرى ليصح اتهامهم بأنهم كانوا على المذهب الزيدى، ثم انتقلوا إلى المذهب الجعفرى تحقيقا لمآرب سياسيه. بل أن الذين كانوا على هذا المذهب هم آباؤهم الأولون، و ساروا هم على ما كان عليه آباؤهم.

عند ما قلنا ذلك حكم الدكتور منيمنه بان آباءهم لم يكونوا على الإسلام ليقال أنهم كانوا على مذهب من مذاهبه، و دليله على ذلك أن الإسلام لم يعم الديلم إلا على يد الأطروش (٢٩٠ - ٣٤٠) و أن (الأرجح) أن هذه الأسره دخلت الإسلام على يد الأطروش.

و نقول: لما ذا يكون هذا هو (الأرجح)، و لا يكون (الأرجح) أن آباء هذه الأسره دخلوا الإسلام قبل السنه الثانيه و العشرين للهجره، و هو الزمن الذى ثبت أن الإسلام قد وصل فيه إلى تلك البلاد، و إذا كان تعميم الإسلام فيها قد تم على يد الأطروش، فلما ذا لا يكون هؤلاء فيمن أسلم قبل عهد الأطروش؟، و حتى قبل السنه الثانيه و العشرين؟ و أن كون مذهب دوله طبرستان زيديا لا-يمنع أن يكون بين رعاياها من هو غير زيدي، بل نحن نعرف أسماء لعلماء غير زيديين نشاوا فى ظلال تلك الدوله مثل: ابن هندو المكنى بأبى الفرج و أبى العباس بن سعد بن أحمد الطبرى. و أبى هشام العلوى الطبرى و غيرهم. هذا فى العلماء و أما فى جمهور الشعب فمن ذا يمكنه احصاؤهم، و منهم آباء الملوك البويهيين.

و يستدل بتقلباتهم السياسيه على عدم استقرارهم المذهبى، و يعيب عليهم تلك التقلبات كأنهم وحدهم المتقلبون فى السياسه، المنتقلون فيها من ولاء إلى

ولاء حسبما تقتضيه المصلحه.

و إذا كان الإنكليز يقولون فى هذا العصر: بان لا صداقه دائمه و لا عداوه فى السياسه، فقد كان هذا هو التطبيق العملى للناس جميعا منذ وجدت السياسه حتى اليوم. و لما ذا يريد الدكتور منيمنه أن ينفرد البويهيون من بين سياسى العالم بفضيله الثبات على الصداقه مهما تعارض هذا الثبات مع المصلحه؟ فإذا لم ينفردوا بها كان ذلك عنده دليلا على التشكيك فى ولائهم الدينى..

ثم يتساءل عن مقدار تدينهم، كأنما المطلوب أن يكونوا أئمه جمعه و جماعه.

و يذكر أن ابن الجوزى نقل ما يدل على جهل معز الدوله بأمر الدين، كأننا نقول أن معز الدوله فقيه الأمه و مرجعها فى الفتيا.

و يقول أن ابن الجوزى نقل أيضا ما يدل على جهل معز الدوله نفسه حتى بسيره حياه الامام على، كأننا نقول أن معز الدوله كان استاذا للتاريخ فى الجامعه على اننا لا نبرئ ابن الجوزى من الافتراء على البويهيين.

و نحن نسأل الدكتور منيمنه هل بين الملوك السلاجقه من كان أعلى درجه من البويهيين سواء فى مقدار التدين أم فى الفقه و فى التاريخ، و هل يقدر ذلك عنده فى أيانهم؟ ثم يقول: أن مسكويه قال أن لعلى بن بويه مجلس شراب، و أن هذا كان حال أخيه معز الدوله...

و نقول: إذا كان لمن كانوا يحملون لقب (أمير المؤمنين) مجالس شراب، فهل نستغرب أن يكون لمن دونهم مثل هذه المجالس؟ و لا يرى الدكتور منيمنه إيذاء الرجل بان يدفن فى بعض الضرائح ما يدل على التدين. و نقول له: أن هذا أكبر دليل [دليل] على التدين، فغير المتدين لا يهمله أين يدفن.

و عن ركن الدوله البويهى يقول ابن الأثير: كان حليما كريما واسع الكرم كثير البذل، حسن السياسه لرعاياه و جنده. رءوفا بهم عادلا- فى الحكم بينهم، متحرجا من الظلم، مانعا لأصحابه منه، عفيفا عن الدماء يرى حقنها واجبا و كان يحامى على أهل البيوتات و كان يجرى عليهم الأرزاق و يصونهم عن التبذل، و كان يقصد المساجد الجامعه فى أشهر الصيام للصلاه و ينتصب للمظالم، و يتعهد العلويين بالأموال الكثيره، و يتصدق بالأموال الجليله على ذوى الحاجات و يلين جانبه للخاص و العام.

ثم يختم ابن الأثير وصفه له بقوله: رضى الله عنه و أرضاه.

هذه صورته و ضاءه عن الحكم البويهى جلاها لنا ابن الأثير، و إذا لم تكن هذه صفات المؤمن المتدين الثابت على العقيده، فكيف تكون صفاته؟ و حين يدعو ابن الأثير لركن الدوله البويهى بقوله: رضى الله عنه، فهو يقترنه بكبار الصحابه الذين يدعى لهم و حدهم بهذا الدعاء.

و إذا كان هذا رأى المؤرخين القدماء فى واحد من أحكام البويهيين فلنستمع إلى رأى مؤرخين حديثين فى حكم البويهيين:

يرى الأستاذ حسن أحمد محمود الشريف فى كتابه (العالم الإسلامى فى العصر العباسى) أن العصر البويهى هو عصر "حرية

المذاهب" و يستند إلى أقوال الصاحب بن عباد في رسائله حيث يقول: "و قد كتبت في ذلك كتابا أرجوه أن يجمع على الألفه و يحرس من الفرقه و ينظم على ترك المنازعه و الجنوح إلى الموادعه، فان المهادنه تجمل بين الملتين فكيف بين النحلتين".

و يعلق على ذلك الدكتور فاروق عمر و هو ينقل هذا الكلام في كتابه (الخلافه العباسيه في عصر الفوضى العسكريه) قائلا: "على أن لهذه السياسه جانبها الايجابي حيث لجات المذاهب المتنازعه إلى المنطق و الفلسفه و علم الكلام لتأييد آرائها، فحدث نهضه علميه و كثرت التصانيف في المناظرات و أسست دور العلم".

استدراك على المستدركات

السيد سعيد صالح

مر بحث عنه في المجلد الأول من المستدركات ثم بحث ثان في هذا المجلد، و قد عثرنا بعد ذلك على كلمه كان قد نشرها عبد القادر البراك بعد وفاه سعد تتضمن قصيده من قصائده هي التاليه:

كان من جنايه السياسه على الأدب في حياه السيد سعد صالح أن حجبت خطبه و مقالاته السياسيه و تقاريره المعتمده عن مشاكل (المحافظات) التي تولى ادارتها، موهبته كشاعر مطبوع كان بمقدوره لو انقطع للشعر أن يقف كتفا إلى كتف بجانب كبار شعراء العراق في مطلع القرن العشرين.

فلقد هيات بيئه النجف الشعريه (سعدا) لأن يكون في عداد شداه الشعر، كما أن ملكاته المتعدده قد جعلته قادرا على أن يودع عواطفه الجياشه، و معانيه الرائعه، و تطلعاته الوطنيه و القوميه في قوالب من الشعر، تميزه عن سواه من شعراء الفتره التي لمع فيها اسمه بين رواد الآداب، فلقد قصد القصائد المطوله فكانت ديباجته فيها معيده للأسماع و القلوب الديباجه العباسيه التي تلت مدرسه (الشريف الرضى)، و نظم الموشحات و الأناشيد في مختلف الأغراض الوطنيه و الوجدانيه فكان خاتمه أمثاله بين كبار الوشاحين على قله ما هو ميسور مما نظمه و نشره.

و لقد سبق لى نشر فصل ضاف عن شاعريه (سعد صالح) في جريده الحريه في الخمسينات، و لقد صح عزمى على الإفاضه فيما كتبت مستعينا بما وقفت عليه من قصائده و أناشيد، و ما استقر في ذهني من آراء و أحكام به و بآرائه.

و إلى أن يحين الوقت لظهور هذه الدراسه لا بد لى من أن أطرف القراء بقصيده هي واحده من آثار عراقيه كثيره حفلت بها خزانه الأستاذ مصطفى على، و قد بعث بها إليه سعد صالح من الكويت، أثر مهاجرته إليها بعد أن أجهض الاستعمار البريطاني و أعوانه ثوره ١٩٢٠ الخالده و شرعوا بمطارده الأحرار الذين ساهموا فيها و كان الشاعر في الطليعه منهم.

ذلك أن السيد سعد صالح كان طالبا في دار المعلمين، فلما اندلعت الثوره غادر مقاعد الدراسه ليحتل موقعه في خنادقها، صادحا بشعره باهدافها و مقاصدها التحرريه، و مساهما بالكفاح الفعلي مع صفوف المجاهدين، و قد أدى دوره كاملا، و لكن ملاحقه السلطات له و لإخوانه المناجيد المساعير اضطرته إلى الفرار مما كان ينتظره من انتقام تعرض له الكثير من أمثاله.

حممه و شواظه فى قصائد متاججه نشر بعضها فى الصحف الناطقه بلسان القوى الوطنيه و لم يكتب بعضها الآخر أن يأخذ طريقه إلى النشر. و هذه القصيده يغنى نصها عن التعريف بها و عما اشتملت عليه من مميزات و خصائص الشاعر الوطنى المطبوع: الذى عانى التجربه شعورا و عملا، و أداها أحسن ما يكون الأداء فى شعر صادق التعبير و الدلاله و الايجاء، هو شعر سعد صالح:

فؤاد كله كمد و عين كلها سهد

و آلام مبرحه و عيش ما به رغد

و آمال مضيعه و عمر كله نكد

و دمع هاتن وحشا يكاد لظاه تتقد

جوى ييكى الجماد دما فكيف تطيقه كبد

و أشجان يكابدها غريب الدار مبتعد

فتى تقتاده الأسفار حتى مله القتد

إذا ما شاقه بلد دعاه إلى الشقا بلد

تحير اين حل الرحل حل الطالع النكد

فليس يفيده جزع و ليس يفيده جلد

فكم من مهمه قذف يضل بعرضه الرشد

تروح به مطيته تخب و تاره تخذ

يفتش هل يرى أحدا و ليس لعينه أحد

فلا عين و لا أثر و لا غير و لا وتد

و لا شاء و لا نعم و لا طنب و لا عمد

و كيف العيش تقربه و عنه الوحش يبتعد

فلا كلاء به ترعى و لا ماء به ترد

فدافد لا أنيس بها يشيب لهولها الولد

يهاب الوحش وحشتها و يجزع عندها الجلد

و نعم الأرض تلك لو انه أثرا بها يجد

و يرعى الوحش فيها و هو مفترق و متحد

فيبغم فى الكناس رشا و يزأر فى الشرى أسد

و ليل طال حتى خلت ليس لطوله أمد

و قد وقفت كواكبه و ملء عيونها رمد

و حار دليل انجمه فضل العلم و الرصد

كان الليل تيار و شهب نجومه زبد

كان سحابه سفن تعوم و أهلها رقدوا

بواخر فى بواطنها لظى للبرق تتقد

إذا عصفت بها ريح تروح و شملها بدد

و ان زفرت بصوت الرعد خلت الأفق يرتعد

فخضت عباب لجته و قلبى خانه الجلد

على زيافه من سيرها تجد الذى أجد

قتاد الأرض يؤلمها و يؤلم جسمى القتد

كلانا فى السرى دنف يغالب سقمه الجسد

تخاطبنى إلى كم أنت فى الظلماء منفرد

أ نقضى العمر بالسير الحثيث و ليس تتد

ترى لا تنتهى الاسفار حتى ينتهى الأبد

غدا يا سعد قلت و هل لليل البائسين غد

أراحلتى و فى كبدى تعيث من الهموم يد

و لى أمل غدا ألما له فى اضلعى و قد

دعى فندى فحسب الصب من عداله الفند

ساقضى فى الفلا عمرى فليس يروقنى بلد

سئمت العيش فى وطن يضام، يذل، يضطهد

محته يد القضاء فراح لا روح و لا جسد

عفت تلك الربوع فلا قديمات و لا جدد

رياض صوحت و مها ذعرن و مجمع بدد

مرابض فى الحمى لم يبق من آسادهأ أسد

ربوع غير سرح الوحش لا ياوى لها أحد

دموع تستفيض على دماء ما لها قود

خطوب لو دعت أحدا لساخ بعبئها أحد

(١)

صلاح الدين و خلفاؤه

يقول الباحث المصرى الدكتور حسين مؤنس عن تمزيق الوطن العربى على يدى صلاح الدين و توزيعه على أقربائه ما يلى:

قسم الامبراطوريه ممالك بين اولاده و إخوته و أبناء أخويه، كأنها ضيعه يملكها لا وطنا عربيا اسلاميا ضخما يملكه مواطنوه و يقول أيضا عن خلفاء صلاح الدين:

عملوا أثناء تنافسهم بعضهم مع بعض - على منح بقايا الصليبيين فى انطاكيه و طرابلس و عكا امتيازات جديده، فتنازل لهم السلطان (العادل) عن يافا و الناصره، و كانت بقيه من أهل مملكه بيت المقدس الزائله قد أقامت فى عكا و استمسكت بلقب ملوك بيت المقدس فاعترف لهم به هذا (العادل) فى ثلاث معاهدات.

و حاول الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب ان يتحالف مع الصليبيين على عمه العادل.

و عند ما نزلت الحمله الصليبيه الخامسه شاطى دمياط يقودها الفارس الفرنسى جان دى بريين JeandeBrienne و استولى على دمياط سنه ١٢١٨ استنجد العادل بأقاربه ملوك الشام و الجزيره فلم يسعفه أحد منهم، و لو لم ينهض المتطوعون من نواحي الدلتا و يتصدوا للصليبيين و يكسروا سدود النيل لما أمكن الانتصار على المغيرين على المنصوره.

و عند ما أقبل الامبراطور فردريك الثانى يقود الحمله الصليبيه السادسه و نزل عكا سنه ١٢٢٧ أسرع الملك الكامل سلطان مصر و تنازل له عن بيت المقدس و يافا و جزء من أرض فلسطين يمتد من الساحل إلى البلد المقدس، و وقع معاهده بذلك فى ١٨ شباط ١٢٢٩.

و فى سنه ١٢٤٤ تقدم ايوبى آخر هو الصالح إسماعيل صاحب دمشق فجعل للصليبيين الملكيه الكامله لبيت المقدس و سلم لهم قبه الصخره.

ص: ٣٦٨

١- تاريخ نظم القصيده ١٤ ربيع الثانى / ١٣٣٩ هـ.

مر الحديث عنه فى مكانه من هذا المجلد، و نضيف هنا إلى ذلك ما يلى:

بعد الحرب العسكرىه الشرسه التى شنت على الشاه إسماعيل الأول الصفوى دون أن تنال من دولته منالا، بل أن تلك الدوله ثبتت أقدامها و شقت طريقها بين الدول الكبرى، رأى الذين غاظهم قيامها أن يشنوا عليها حربا من نوع آخر: هى الحرب الكلاميه لتشويه سمعتها مما رأينا مثيلا له فى كلام النهر والى المتقدم.

و من المؤسف أن يتبنى هذه الحرب خريجو الجامعات و أساتذتها فى هذا العصر المفروض برجاله أن يعالجوا الأمور التاريخيه معالجات موضوعيه غير متأثره بما كانت تتأثر به معالجات الأقدمين.

فصاحب كتاب (مقدمه تاريخ العرب الحديث) يقول فى الصفه ٢٠ ما يلى:

" و قصد أسطول برتغالى المياه العربيه فى الصيف. و لكن هذا الأسطول لم يحقق أية انتصارات و اكتفى بالقرصنه على السفن العربيه، ثم جاء الأسطول (هرمز) مطالباً بالجزيه السنويه و لكن ملك هرمز كان قد دان بالولاء للشاه فلم يدفع للبرتغاليين شيئا".

إذن باعتراف الكاتب أن استناد صاحب هرمز إلى دعم الشاه الصفوى جعله يتمرد على البرتغاليين، و إذن فان الشاه الصفوى ببسطه حمايته على أرض إسلاميه قد حماها من ذل دفع الجزيه للمستعمرين المعتدين الأوربيين.

و تلك منقبه كبرى كان على الكاتب أن يشيد بها و يسجلها فى سجل حسنات الشاه الصفوى، و لكنه لم يفعل، بل أراد أن يحولها إلى سيئه لأن قلمه لا يطاوعه على تسجيل حسنات شاه صفوى أقام دوله جديده لا يجب هذا الكاتب أن تقوم، لا لشيء إلا لنعرات نحليه سيطرت عليه.

لذلك أضاف إلى كلامه السابق ما يلى:

" و لم يكن البرتغاليون على استعداد لاغضاب الشاه الذى وصل سفيره إلى جوا فى ذلك العام لوضع أسس حلف برتغالى إيرانى ضد العثمانيين".

و نحن نسأل الكاتب هذا السؤال: من هو المعتدى؟ هل أن الشاه إسماعيل هو الذى جيش الجيوش و آثار الحروب لغزو السلطان سليم فى دياره و دخول عاصمته و القضاء على دولته، أم أن الأمر بالعكس، و أن السلطان سليم هو الذى فعل ذلك؟!.

فإذا صح - و هو ما لم يصح - أقول: إذا صح أن سفير الشاه وصل إلى جوا لوضع أسس حلف برتغالى إيرانى ضد العثمانيين، فان هدف هذا الحلف هو حمايه إيران من هجمات أعدائها المحاولين القضاء عليها و وأد دولتها الفتيه فى مهدها. و هذا ما لا تلام عليه أى دوله ترى نفسها مهدده بمثل ما هددت به إيران.

و لما ذا يباح للعثمانيين أن يسفكوا دماء المسلمين و يغزوهم فى ديارهم و يحتلوا عاصمتهم و يقضوا على دولتهم، و لا يباح لهؤلاء المسلمين الدفاع عن أنفسهم بكل وسيله؟.

لو أن الشاه الصفوى أراد حلفا إيرانيا برتغاليا ليغزوا به العثمانيين المسلمين، لجاز لنا لومه و التنديد به، و لكنه كان يعمل على صون بلاد إسلاميه من شر يراد بها، و بذلك لا يستطيع أى منصف أن يلومه.

ثم إننا نسأل الكاتب و غيره من أمثاله - و ما أكثرهم نسأله ما ذا فعل سلطانك العثمانى أمام الغزو البرتغالى الماحق التى تسلط على البلاد الإسلاميه يوم ذاك يحتل و يحرق و ينهب و يقتل و يستبيح و يمتلك البلاد و بذلها؟!.

لقد وقف يتفرج على ذلك و لا تهمة دماء المسلمين المطلوله و ديارهم المستعبده و سلطانهم الزائل، و لم يجد فى ذلك أىه غضاظه و لم يتقدم بقوته الجباره لحمايتهم و الذود عنهم، و لكن استثاره و استفزه قيام الدوله الصفويه فوجه إليها الجيوش و قصدها بالحديد و النار.

و أنت نفسك تعترف فتقول فى كتابك: "...و شعر المسئولون فى استنبول بعظم الخطر الجديد (قيام الدوله الصفويه)، فأخبر سليم أباه المسالم بايزيد الثانى على التنازل عن العرش. و أهمل سليم جبهه البلقان و ركز اهتمامه بشئون دار الإسلام. فأجرى مذابح كثيره بين الشيعيين فى شرق الأناضول...".

لم تكن سيطره البرتغاليين عند السلطان سليم خطرا، و لم تكن جبهه البلقان الصليبيه المتحفزه كذلك خطرا، و لكن كان الخطر عند المسئولين فى أستنبول و عند مؤلف كتاب (مقدمه تاريخ العرب الحديث) هو قيام الدوله الصفويه، فأجرى السلطان سليم مذابح الأناضول و تقدم إلى تبريز لمجابهه الخطر بالمذابح بعد المذابح.

ثم أن الكاتب و غير الكاتب من الزاعمين مزاعمه لم يحدثونا شيئا عن أثر (حلفهم) المزعوم، و لا عن المعارك التى خاضها معا الجيشان المتحالفان الايرانى و البرتغالى فى مواجهه العثمانيين!..

إنهم لم يفعلوا ذلك لأنه لا حلف و لا متحالفين... و هل كانت أيام أشد حرجا على الشاه الصفوى من أيام (جالديران) ليسعفه فيها حلفاؤه لو كان له حلفاء.

لقد كان العامل الأول فى هزيمه الشاه إسماعيل فى معركة جالديران أمام السلطان سليم هو أن الجيش العثمانى كان مزودا بمدفعيه قويه كان يفتقد مثلها الجيش الصفوى إذ لم تكن يده قد وصلت بعد إلى شىء من ذلك. فلو كان هناك تفاهم بينه و بين البرتغاليين لزودوه على الأقل بالمدافع التى تحمى جيوشه.

ثم أننا نسأل هؤلاء الناس، ما ذا فعل السلطان سليم و غيره لاجلاء البرتغاليين عما كانوا يحتلونه من بلاد إسلاميه؟ و إذا كان السلطان سليم قد هزم الشاه إسماعيل فى جالديران، فلما ذا لم يتفرغ للبرتغاليين و يجليهم عن البلاد الإسلاميه؟!.

على أن الحقيقه هى ان السلطان سليم هو الذى استعان بالاجانب أعداء الإسلام على الدوله الإسلاميه الصفويه و على الملك المسلم الشاه إسماعيل و على دوله المماليك الإسلاميه و عمل على إفقار الشعب الايرانى المسلم:

جاء فى كتاب (أصول التاريخ العثمانى) الصفحه ٨٤ عن عهد السلطان سليم و حروبه مع الشاه إسماعيل:

ص: ٣٦٩

الذين فروا من اسبانيا. كما ساعدهم المرتزقه الايطاليون على استعمال المدفعيه بمهاره.

و يقول (ص ٨٥) عن السلطان سليم: لم يمنح الأبرمن الجورجين وضعاً مستقلاً إلا- في مقابل مساعدتهم للعثمانيين ضد المماليك.

نقول: في هذا الوقت كان سلطان المماليك قانصوه الغوري ينجد السلطان مظفر شاه سلطان كجرات (الهند) الذي استعان به على البرتغاليين، كما كان ينجد عامر بن عبد الله ملك اليمن على البرتغاليين أنفسهم.

و يقول (ص ٨٠) عن السلطان سليم: وقد أدت هذه الأعمال الحربيه في شرق الأناضول إلى سيطره السلطان (سليم) على الممرات الاستراتيجيه المفضيه من الأناضول إلى القوقاز و سوريا و إيران. كما حصلت الخزانة العثمانيه نتيجة لسيطره سليم على طرق التجاره الدوليه التي كان ينقل عبرها حرير إيران و غيره من منتجات الشرق من تبريز إلى حلب و بروسه على مصادر هامه من الدخل، مما مكّنه من عرقله تجاره الحرير الفارسيه مع الغرب (انتهى).

ثم أن صاحب كتاب (تاريخ العرب الحديث) ينسى ان العثمانيين - و هم في شده قوتهم - وقفوا وقفه المتفرج امام نكبه المسلمين في الأندلس و استئصال الإسلام فيها.

مواقف ايرانيه

و ما دمنا في هذا الموضوع فاننا لنعطى القارئ نماذج عن المواقف الإيرانيه المشرفه التي تغلبت فيها حميه الايرانيين الإسلاميه على مصلحتهم الخاصه و التي آثروا فيها نصره المسلمين و خذلان أعداء الإسلام و لو تعارض ذلك مع منافعهم. فقد جاء في كتاب (داود باشا والي بغداد) الصفحه ٦٢ ما يلي:

".....و كان عبد الله باشا و سعيد باشا أضعف من أن يقفا موقفا حازما من إيران و كانت سياسه داود مناهضه منذ البدايه لايران فتحالف داود مع محمود الباباني ضد سعيد على أساس تخلي محمود عن الايرانيين. و منذ ان تولى داود باشا الحكم لم يحضر في ايه مناسبة يحتفل بها معتمد الشاه في بغداد. و كانت أسس حلفه مع محمود بابان مضيعة للنفوذ الايراني في كردستان و قد منحه داود كوى و حرير مكافاه له على تخليه عن إيران(١) و كانت إيران قد تلقت منذ وقت وجيز صفعه معاهده گلستان المهينه حتى أصبحت كتابعه لسانبترسبرج(٢) و هذا العامل الجديد الذي ظهر في المشكله العراقيه الإيرانيه و أعنى به مؤامرات عملاء روسيا في إيران لاآثارها ضد الدوله العثمانيه.

ففي سنه ١٨١٧ م لم يكن هناك أمل للايرانيين في ان يستردوا شيئاً من ممتلكاتهم المفقوده بمساعدته حلفائهم القدماء (الإنكليز). بينما أرسل القيصر الجنرال (يارمولوق) الحاكم الجبار و القائد العام للقوقاز على رأس بعثه دبلوماسيه مهيبه إلى طهران، و بدل ان يتنازل الجنرال عن شبر من الممتلكات التي استولت عليها روسيا من إيران قدم اقتراحا بعقد - حلف براني [ايراني] - روسي ضد الدوله العثمانيه. و طالب في هذا الحلف بان تمنح القوات الروسيه ممرا عبر الأراضي الإيرانيه في أسترآباد و خراسان لتصل هذه القوات إلى خيوه، كما اقترح امداد الجيش الايراني بالضباط و بالقياده الروسيه. و لكن كل هذه المقترحات رفضت في هدوء و عادت البعثه الروسيه إلى بطرسبرج محمله بالهدايا و ان كانت ممثله غيظاً من ايران.(٣)

فی جبل عامل رب كلمه من مؤرخ أرسلها إرسالا فكان منها للأجيال بعده نبغ معرفه، و رب سانحه من كاتب ندبها قلمه فاغنت الباحثين أيما غناء.

و هذا ما كان من الرحاله العربی ابن جبیر الذی لم تكن الرحله لمجرد الرحله غايته، بل كان متعبدا طالبا للثواب حين عزم على الترحل وجوب الأرض. انه كان يقصد الحج إلى مكه كغيره من مئات الألوف و من الملايين الذین سبقوه أو تاخروا عنه، و لكنه كان ذا ذهن متفتح و فكر منطلق، فاتخذ من السفر إلى الحج وسیله للكتابه و تصوير الوقائع، فدون رحله جميله كتبها بعقل العالم و عين الفنان و ذهن المؤرخ و قلم الأديب، فكانت مصدرا من أهم مصادر تاريخنا السياسی و الاقتصادی و الاجتماعی.

و لقد مر ابن جبیر فی لبنان، أو الأحرى فی (جبل عامل) من لبنان، فوصف بعض مشاهده الطبيعیه، كما تحدث عن بعض شئونه العمرانيه و الاقتصاديه، فكان ما كتبه كنزا من كنوز المعرفه.

و الواقع أن ابن جبیر بالرغم من عظیم ما خلف لنا، كان يمكن أن يخلف أكثر مما خلف لو أنه تنبه لخطر ما يدون، و لكنه كان يرى نفسه مسافرا بسيطا يحب أن لا تضيع مشاهداته فكان يكتب بعض ما يعن له كتابه الحصيف الكيس الدقيق الملاحظه، دون أن يسترسل فی التفاصيل. فهو مثلا- يتحدث عن رحيله عن بلده (تبنين) قائلا: " و رحلنا عن تبنين دمرها الله و طريقنا كله على ضياع متصله و عمائر منتظمه سكانها كلهم مسلمون".

و الدعاء على تبنين بالدمار لأنها كانت حين مر، حصننا من أمنع حصون الصليبيين. أما نحن اليوم فاننا نقول: "زادها الله عمرانا" و لو قدر لابن جبیر أن يعلم من أخرجت تبنين بعده من العلماء و الكتاب و الشعراء و الزهاد و العباد، لردد معنا دعاءنا و تراجع عن دعائه.

لقد اكتفى بهذا القدر، و لم يحدد لنا أسماء تلك الضياع و لا حقيقه تلك العمائر، بل اقتصر على أن قال عن الأولى بأنها متصله، و عن الثانيه أنها منتظمه، ما يدلنا على انتشار العمران انتشارا واسعا يكاد يجعل القرى متصلا بعضها ببعض، و على أن بنیان تلك القرى لم يكن أكواخا، بل كان أشبه ما يكون بالدارات، لأن كلمه (عمائر منتظمه) تعنى الشىء الكثير.

و نحن إذا لاحظنا الزمن الذى مر فيه ابن جبیر فى بلادنا و لاحظنا كذلك أحداث ذلك الزمن أدركنا حالا أن هذا الذى دونه هو أهم كل شىء فيما رآه.

و ربما خيل لمن لم يقرأ من الرحله الأمثل هذه الفقرات، أن هذا الذى يذكره ابن جبیر شىء تافه لا يستحق التدوين، إذ لم يقترن بتفاصيل، و لكن الأمر على العكس لمن قرأ الرحله كوحده كامله و هو يعرف زمنها و ظروفها.

فالزمن الذى مر فيه ابن جبیر بلبنان كان سنه ٥٨٠ هجرية، و فى هذه السنه كان الصليبيون يحتلون البلاد. و الذین دونوا تاريخ هذه الفتره أشاروا إلى حاله المدن و لم يثيروا إلى حاله القرى و الأرياف، فنحن مثلا نعرف أن سكان صور نزحوا عنها و لم يبق

فيها إلا العاجز و الضعيف، و نعرف أن سكان صيدا و بيروت

ص: ٣٧٠

١- جودت: ج ١١: ٣٠.

٢- Hoskins: British routes to india, London, ١٩٢٦P, ١٣٧

٣- Ileid .

و طرابلس أصابهم ما يشبه ما أصاب سكان صور، و لكننا لا نعلم ما حل بالقرى و الأرياف، و إذا باين جبير وحده دون سائر المؤرخين يترك معلومات عنها لا تقدر.

لقد كان يجهل حقيقه الحال فيما سيمر به من بلدان، أ هي عامره أم خراب؟ أ بقي سكانها فيها أم نزحوا عنها؟ لذلك نرى طبيعه المفاجاه فى هذا الكلام: "...ضياح متصله و عمائر منتظمه..." ثم المفاجاه تلو المفاجاه: "...سكانها كلهم مسلمون".

و لقد أذهل تتابع المفاجئات ابن جبير عن أن يتعرف أسماء الضياح، فلم يحاول أن يسأل عنها، فأكتفى بذلك الإجمال و هو فى عقيدته أوسع التفصيل! أ ليس يكفى بان يخبر بان الأرياف بالرغم من الاحتلال الصليبي هي "ضياح متصله و عمائر منتظمه". ثم أ ليس هذا خبرا يكفى لكل تساؤل و استطلاع: "سكانها كلهم مسلمون".

و الحقيقه أن الأمر كما قدر ابن جبير، و لكن ليته جمع المهم إلى الأهم، ففصل لنا أسماء ما رآه من قرى و وصفها بعض الوصف.

و تتابع المفاجئات على ابن جبير، فبعد أن علم ما علم و اطمأن إلى ما اطمأن إليه، و عرف ما كان يود أن يعرفه من حال تلك الضياح و العمائر، و حال أهلها المسلمين، قال أن أولئك السكان المسلمين "يؤدون للفرنج نصف الغله و جزيه عن كل رأس ديناراً و خمسه قراريط و لهم على ثمر الشجر ضريبه خفيفه".

هذا النص مضافا إلى النص السابق هو من أعظم ما كتب المؤرخون فى تعريف حال المواطنين القرويين خلال الاحتلال الصليبي، فانى لا أحسب أن مؤرخا عربيا عنى بتتبع حياه الأرياف خلال تلك الحقبة المؤلمه. و لو لا ابن جبير لجهلنا حاله كانت معرفتها ضروريه.

و يتلخص الموقف استنتاجا من نصوص الرحله بما يلى: الزخوف الفرنجيه بخيلها و رجلها نزلت المدن فأعملت السيف و النهب فى بعضها، كما جرى فى طرابلس و بيروت، و اكتفت من مدن أخرى بجلاء أهلها و فرض الأموال الباهظه عليهم كما فى صيدا و صور. و هذا التمييز تبعاً للحاله التى دخل بها الصليبيون إلى تلك المدن، فالمدن التى رفضت الاستسلام و ظلت تقاوم حتى دخلوها منتصرين عاملوها بالقتل و النهب، و المدن التى فاوضت على التسليم بشروط، طبقوا فيها تلك الشروط.

و أعقب جلاء العرب يوقتلهم [و قتلهم] حلول الصليبيين محلهم، فعاتت المدن فرنجيه بسكانها ما عدا قله قليله ظلت فى بعض المدن، و كانت هذه القله أعجز من أن تؤثر فى مصائر المدن و مجرى حياتها.

و الفرنج النازلون فى هذه المدن كان منهم حكامها كما كان منهم الجنود المحاربون، ثم كان من الطبيعى أن تنشأ طبقه تجاريه تؤمن احتياجات المدن و تتسلم زمام الاقتصاد و توجهه و تسيطر عليه.

و لكن إذا استطاع الفرنج أن يكونوا الحكام و الجنود و التجار و الصناع، فهل يستطيعون أن يكونوا الفلاحين؟ هذا ما لم يكن مستطاعاً لهم لأن إعمار القرى و تسيير الزراعه فيها و تأمين الأقوات منها ذلك محتاج إلى عشرات الألوف من البشر المعتادين على طبيعه الأرض العارفين بدخائل استنباتها. و لم يكن فى مقدور الفرنج تأمين هذا العدد من الناس القادمين معهم، لأن

القادمين كانوا فى الأصل جنودا للقتال، و يمكن أن يكون منهم التجار و الصناع، و لكن لا يمكن أن يكون منهم الفلاحون لا كما و لا- كيفا. و إذا حل القادمون محل النازحين فى القرى و عادوا زراعا يلازمون الأرض، فمن يقاتل، و البلاد الإسلاميه محيطه بالفرنح من كل ناحيه؟ و إذا لم تزرع الأرض و لم يقم أحد عليها فكيف يستطيع الفرنج ضمان الأقوات؟ هذا الوضع الذى لا بد منه حفظ للقرويين وجودهم أولا، ثم عقائدهم و حرياتهم. و أن اضطرار الفرنج لعدم إغصاب الفلاحين، و حرصهم على أن يتمسك الفلاحون بأرضهم كانا العامل الوحيد لأن يرى ابن جبير الضياع المتصله و العمائر المنتظمه و أن يكون جميع سكانها مسلمين.

و نستطيع القول بان مشاطره القرويين غلاتهم، و أخذ ضريبه أخرى على الرءوس و على الثمر لم يكونا شيئا عادا. و مهما كان فهما عند القرويين أفضل من التشرذ و النزوح عن الأوطان.

و إذا كنا عرفنا هذا المقدار عن الحياه الاجتماعيه و الاقتصاديه، فقد كان لا بد لنا من أن نعرف شيئا عن الحياه العلميه فى تلك الأرياف.

عنانى فى هذا البحث هو المنطقه التى عرفت اسم (جبل عامل)، و التى جنوا على اسمها التاريخى الجميل فى هذا العصر فاستبدلوا به اسم (الجنوب).

ذلك لأننى أعلم بأنه كان لهذه المنطقه ماض زاهر بالعلم و الأدب قبل الصليبيين، ثم كان لها الماضى نفسه بعد الصليبيين، فحسبها مثلا أن تكون قد أخرجت قبلهم شاعرا مثل عبد المحسن الصورى، و أن تكون قد أخرجت بعدهم عالما مثل الشهيد محمد بن مكى. فهل يمكن أن تكون قد أجدبت بعد أن احتلوها؟ لقد كان البحث شاقا فى الوصول إلى الحقيقه، و لكن كان لا بد من الوصول إليها و هكذا كان: فقد تبين بعد طول التنقيب أنه كان هم هؤلاء العرب الحفاظ على تتابع الدرس و التدريس، و إيصال العلوم الإسلاميه و الآداب العربيه من جيل إلى جيل لئلا تضيع الشخصيه الإسلاميه و تزول الروح العربيه، و هو ما وفقوا فيه كل التوفيق.

لقد كانت المقاومه العسكريه عبثا، ميثوسا من النصر فيها، إذن فلا بد من المقاومه الفكريه، و هذا ما اختطه أولئك الناس.

فمن أقدم من وصلتنا أخباره من علماء العاملين الشيخ جمال الدين إبراهيم بن الحسام أبى الغيث العاملى الذى كان حيا سنه ٦٦٩ هـ و هو الذى رثى أبى القاسم بن الحسين العود الأسدى المتوفى سنه ٦٧٩ هـ، و أبو القاسم هذا عراقى حلى الأصل جاء إلى حلب فى عهد النقيب عز الدين مرتضى فاسىء إليه إساءات همجيه مبعثها التعصب الذمى مما اضطره للنزوح إلى بلده جزين اللبنانيه حيث مات سنه ٦٧٩ هجرية و رثاه ابن الحسام بقصيده مطلعها:

عرج بجزين يا مستبعد النجف ففضل من حلها يا صاح غير خفى

و لكى نعلم ما كان عليه أمر جزين فى ذلك الحين نضطر لنقل ما ذكره الذهبى فى مختصر تاريخ الإسلام بعبارة النايه التى اعتادها هو و أمثاله من ذوى الأفكار السوداء، قال و هو يصف حادث حلب الفطيع و اضطرار ابن العود للذهاب إلى جزين: "... و تسحب ابن العود من حلب ثم أنه أقام بقرية جزين مأوى الرافضه فاقبلوا عليه".

و يمكن تحديد زمن انتقال ابن العود من حلب إلى جزين بما ذكره أبو ذر في

ص: ٣٧١

كتابه (كنوز الذهب فى تاريخ حلب) الذى جاء فيه و هو يتحدث عن هذه القصة: "و قال القاضى شهاب الدين محمود: و أنا أذكر هذه الواقعة و أنا بحلب فى الكتاب بعد".

إذن فان جزين كانت حافله بحمله العلم بعد سنه ٦٥٠ هـ و هذا يدل على أنها كانت حافله بهم قبل هذا التاريخ.

و نحن نعلم أن جلاء الصليبيين النهائى عن جبل عامل كان سنه ٦٦٦ هـ و كانوا قد جلوا قبل ذلك سنه ٥٨٣ ثم عادوا. هذا باستثناء مدينه صور التى لميجلوا [لم يجلوا] عنها إلا سنه ٦٩٠ هـ.

و من القدامى الذين وصلت إلينا أخبارهم من علماء العاملين الشيخ نجم الدين طومان بن أحمد المنارى. و الأخبار الواصله إلينا عن هذا العالم العاملى ليست كثيره و لكنها ذات أهميه كبرى، فالذين ذكروه قالوا أنه توفى سنه ٧٢٨ و أنه رحل إلى العراق لطلب العلم و أنه من أساتذه الشيخ مكى والد الشهيد محمد بن مكى.

و بين وفاه الشيخ طومان و بين جلاء الصليبيين اثنتان و ستون سنه، و لم يشر المؤرخون إلى سنه مولد (طومان)، و لكن مهما افترضنا قصر حياته (و لعلها لم تكن قصيره بل طويله) فاننا نستطيع أن نستنتج أن رحله طومان إلى العراق كانت خلال الاحتلال الصليبي، و ليس من المعقول أن يرحل لطلب العلم جاهلا، فلا بد أنه كان على مقدار من التحصيل مهما كان شأنه، فهو يدل على أن دراسه كانت قائمه فى جبل عامل خلال الاحتلال، و أن هذه الدراسه أمكنها أن تعد طلابا لمتابعه الدراسه العليا فى العراق و كان (طومان) واحدا منهم.

و يمكن أن نضيف إلى ذلك أن الذين ترجموا للشهيد محمد بن مكى ذكروا أنه ابن الشيخ جمال الدين مكى بن الشيخ شمس الدين [شمس الدين] محمد بن حامد. فقد وصف كل من أبيه و جده (بالشيخ) و لقب الأول (بجمال الدين) و الثانى (بشمس الدين) و هذه الأوصاف لا تطلق إلا على أهل العلم، بينما لم يوصف أبو جده و لم يلقب مما دل على أنه لم يكن منهم.

و قد رأينا أن والد الشهيد هو تلميذ طومان الذى عاش فى الاحتلال الصليبي، فيكون جد الشهيد قد درس فى جبل عامل خلال الاحتلال.

و هكذا نستطيع القول بان العاملين تغلوا على محنه الاحتلال و على ما حملتهم إياه تلك المحنه من ضيق و تضيق، و قدروا أن يؤسسوا مدارسهم و أن يحتفظوا بوجودهم كاملا-لا-ينقصه الجهل المؤدى إلى الذوبان و الانحلال، و أن يظلوا أمناء على رسالتهم الفكرية الأصيلة، فحرسوا اللغة العربية و صانوا علومها فى ذاك البحر الفرنجى الطامى و حرسوا علوم الشريعة و حفظوها و أورثوا ذلك للأجيال التاليه أمانه خالده.

جبل عامل و العالميون

بعد نشر مقالى بعنوان (ابن جبير فى جبل عامل) انهالت على التساؤلات الهاتفيه من الأصدقاء: لما ذا تعد اسم الجنوب بدلا من اسم جبل عامل جنايه على هذا الاسم؟ و كنت قد قلت فى ذلك المقال: "المنطقه التى عرفت باسم جبل عامل، و التى جنوا على اسمها التاريخى الجميل فى هذا العصر فاستبدلوا به اسم الجنوب...".

و إذا كانت تساؤلات الأصدقاء هي بهذه الكثرة. فاني أحسب أن القراء الذين لم يتصلوا بي، و كان تساؤلهم بينهم و بين أنفسهم، هم عدد وافر. و لقد كان جوابي عن تساؤل المتسائلين: إن الكلام في هذا الموضوع لا تتسع له آله الهاتف، لذلك سأجيب على صفحات "النهار". و ها أنا برا بوعدي أكتب هذه الكلمه عسى مقنع أن يكون فيها للجميع:

لم يحمل هذا الجبل اسمه (جبل عامل) دفعه واحده، بل لقد تدرجت هذه التسميه تدرجا حتى استقرت على ما استقرت عليه. فقد أطلق عليه أولا اسم (جبال بنى عامله)، ثم اختصر إلى (جبال عامله) ثم زيد اختصارا إلى (جبل عامله)، ثم استقر على (جبل عامل).

و قد لحقته التسميه الأولى لأن قبيله عربيه يمانيه هاجرت إليه فيمن هاجر من قبائل اليمن فاستقرت فيه، و كان اسم القبيله (بنى عامله).

و هذه الهجره اليمانيه إليه لم تكن هجره فريده، بل هي واحده من تلك الموجات العربيه التي تدفقت في التاريخ البعيد من اليمن إلى شتى بلاد العرب، فهاجر بنو قبيله إلى الحجاز و استقروا في (المدينه) حيث عرفوا بعد ذلك باسم (الأوس) و (الخزرج)، ثم تحول اسمهم في أول الإسلام إلى (الأنصار).

و هاجر الغساسنه إلى غوطه دمشق و حوران و الجولان. و هاجر اللخميون إلى الحيره في العراق حيث عرف متأخروهم باسم المناذره.

و كنا نتساءل إلى أي تاريخ تعود هذه الهجره، و منذ متى حمل هذا الجبل اسم العامليين؟ و لم يكن في المصادر التاريخيه التي كانت بين أيدينا ما يجيب عن هذا السؤال، إلى أن طلع علينا الدكتور أسد رستم بمقال له في مجله "العرفان" يقول فيه: "و الإسكندر البير [الكبير] إذ تحدثه صور و صمدت في وجهه و اضطر أن يحاصرها حصارا طويلا أحب في يوم من أيام الحصار أن يروح عن النفس برحله صيد قصيره، فقام من ضواحي صور ممتطيا جواده و اتجه شرقا متسلقا جويا و تبين، فوجد نفسه فجاه بين قوم من العرب، هكذا يقول أريانوس أقدم من ارخ للإسكندر و أقربهم إليه زما " (انتهى كلام الدكتور أسد رستم).

و من هم هؤلاء العرب الذين لقيهم الإسكندر في جويا و تبين؟ من هم إن لم يكونوا (بنى عامله)؟ و قد كان كلام الدكتور أسد رستم هذا حافزا على تتبع هذا الأمر تتبعا متصلا، و قد استعنت في ذلك بالمؤرخ الصوري الأستاذ معن عرب الذي كان مشغولا بكتابه تاريخ مفصل لمدينه صور، فاستفدت من معاونته استفاده كبرى، و تبين أن ليس أريانوس وحده هو الذي يذكر لقاء الإسكندر لبنى عامله، بل لقد جاء ذلك في الصفحه ٥٤١ من مجله (ريفو بيبليك) في بحث عن الإسكندر الكبير في سوريا و فلسطين بقلم الأب ف. م. إبل: " خلال حصار الإسكندر لصور و بينما كان يسلح أسطوله و يصنع آلات القذف و الهجوم إذا به يعلم أن ثلاثين من رجاله قتلهم عرب من لبنان بغته "

كما تبين أن كنتوس كورتيوس المؤرخ الروماني الذي كتب في عهد الإمبراطور كلاوديوس تاريخ الإسكندر الكبير (٤١ - ٤٥ ب. م) في عشره كتب قد ذكر ما يلي: " حدث أن هاجم المكدونيين بعض الفلاحين العرب على جبل لبنان

و اليوم إذا ذهبت إلى مدينة أصفهان مثلاً فانك تجد كلمة (العاملية) تطلق مقرونه باسم الشيخ لطف الله على مسجد من أفخم مساجد الدنيا، و تطلق مقرونه باسم الشيخ البهائي العاملة على شارع من أزهى الشوارع. و إذا ذهبت إلى حيدرآباد فانك تجد كلمة (العاملية) تطلق على صاحب قبر بين قبور العلماء قرب قصر (قدير جنك بهادر). و لا يعرف الزائرون اسم أحد من أصحاب تلك القبور، و لكنهم يعرفون اسم هذا (العاملية). على أن أكثر ما كانت كلمة (العاملية) خلوداً، و أعظم ما كانت أثراً هو ما سطر منها تحت أسماء الكتب التي لا تزال حيه خالده تتداولها أيدي العلماء و المتعلمين من جيل إلى جيل.

أعرفتم الآن لما ذا قلت: "إنهم في هذا العصر جنوا على هذا الاسم التاريخي الجميل و استبدلوا به اسم الجنوب؟ و عرفتم ما ذا تعنى كلمة (جبل عامل) و ما ذا تعنى كلمة (العاملية)؟

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

